

(١٣٥٠)

المطوعة أو المتطوعة

الجنود غير النظامية

أحكامهم ودورهم في الحروب قديما

من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"عليه بأحمد بن طولون فولاه المعتز بالله سنة ٢٥٤ مصر. وفي سنة ٢٦٤ توفي أماجور بدمشق واستخلف ابنه علي، فحرك ذلك أحمد بن طولون على فتح الشام فكتب إلى علي يخبره بأنه سائر إليه وأمره بإقامة الأنزال والميرة لعساكره، فرد علي بن أماجور أحسن جواب، وخرج ابن طولون في **المطوعة** من مصر وفلسطين فبلغ الرملة فتلقاه محمد بن رافع خليفة أماجور عليها وأقام الدعوة بها فأقره عليها، ومضى إلى دمشق فتلقاه علي بن أماجور وأقام له بها الدعوة واحتوى على خزائن أماجور وأقام بها أحمد حتى استوثق له أمرها، ثم استخلف عليها احمد بن دوغباش، ومضى إلى حمص فلقيه عيسى الكرخي خليفة أماجور عليها فسلمها إليه، ثم بعث إلى سيما الطويل التركي وهو بإنطاكية يأمره بالدعاء له فلم يجبه سيما، فتحصن بإنطاكية في جيش من الأتراك وغيرهم، وامتنع، فحاصره أحمد ورمى حصنها بالمنجنيق، وطال حصاره لها فاشتد ذلك على أهلها فبعثوا إلى أحمد بن طولون فخبروه بالموضع الذي يمكنه أن يدخل إليها منه فقصده، وعاونه أهلها على سيما فدخلها في المحرم سنة خمس وستين ومائتين فقتل سيما واستباح أمواله ورجاله. وكان قبل نزول ابن طولون على إنطاكية ٢٦٤ وقع بين سيما وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم، وكان سيما قد عم أذاه أهلها فعاث ابن طولون ساعة بإنطاكية ثم ارتحل يؤم الثغر الشامي، وبهذا استولى ابن طولون على الشام أجمع والثغور وامتد حكمه من مصر إلى الفرات، ومن مصر إلى المغرب، وكان ذلك مدة اشتغال لموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل بحرب الزنج.
كان ابن طولون أول من اقتطع جزءا من المملكة الإسلامية عن الخلافة، وجمع بين ملك مصر والشام في الإسلام، فكان لمن بعده من المستبدين بالنواحي قدوة ومثالا. وأخذ يستكثر من مشترى المماليك والديالمة حتى بلغت عدتهم أربعة وعشرين ألف مملوك وأربعين ألفا من الزنج، واستكثر من العرب حتى بلغت عدتهم سبعة آلاف. وذكر بعض المؤرخين أن ابن طولون كان أعد بأمر الخليفة جيشا مؤلفا من مائة ألف إنسان لقتال أحد الخوارج على الخلافة في الشام، وكانت
هذه الكتلة من." (١)

"حمص وقنسرين وحلب وديار مضر من الجزيرة وسار إلى بالس ونهبها، وكاتب ابن طولون الخليفة المعتمد في المصير إليه، فمنعه الموفق واشتد الخلاف بين الموفق ولي عهد الخلافة وبين ابن طولون، فخلع ابن طولون الموفق من ولاية العهد في مدينة دمشق وأقبل يلعنه على منابر مصر والشام والموفق يلعنه على منابر العراق وما إليها، وابن طولون يوهم أنه ينصر الخليفة.

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٧٣/١

وفي سنة ٢٦٩ غزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية خلف الفرغاني عامل ابن طولون، فقتل من الروم بضعة عشر ألفا وغنم الناس. وبلغ ابن طولون قدوم عرب من الحجاز إلى حوران، فأرسل إلى صحراء أذرعات نحو خمسين ألفا فتلقاهم الأمير عامر الملقب بالأذرعي بخمسة عشر ألفا فكسرهم. والأمير عامر هو من نسل الحارث بن هشام المخزومي، الذي أرسله الخليفة الثاني إلى الشام مع أبي عبيدة بن الجراح أميرا على بني مخزوم فسكن ولده حوران وتولوا الأعمال للأمويين، ثم للعباسيين وسموا ببني شهاب نسبة للأمير شهاب المخزومي والي حوران المتوفي سنة ١٧٣.

عهد أبي الجيش خمارويه وجيشه:

خلف أحمد بن طولون ابنه أبو الجيش خمارويه، وكان على قدم أبيه في الاستكثار من العدد والعدد وترتيب الرواتب الدارة والمشاهرات والجرايات لجيشه وغيره.

وقد بلغ جيشه في الشام ومصر نحو أربعمائة ألف فارس على ما روى بعض أصحاب السير، وهو عدد مبالغ فيه كثيرا والغالب أن جيشه لم يتجاوز المائة ألف، ولا شك أن مثل هذا الجيش، وما يلحقه من الرجالة **والمتطوعة** تفتح به ممالك الخلافة العباسية كلها. وربما كان جيشه وجيش أبيه من قبله أول جيش جعل على الدوام تحت السلاح.

ولما بايع الجند أبا الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بعد وفاة أبيه، أمر بقتل أخيه العباس لامتناعه عن مبايعته، وعقد لأبي عبد الله أحمد الواسطي على جيش الشام، وعقد لسعد الأعسر على جيش آخر، وبعث بمراكب." (١)

"ألف نسمة، واليهود كالعرب لم ينجوا من الذبح أيضا، فوضع الصليبيون النار في المذبح الذي لجأ إليه أبناء إسرائيل وأهلكوهم كلهم بالنار.

ذكر ابن خلكان أن الأفضل كات تسلم القدس من سقمان بن أرتق وولى فيه من قبله فلم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج فتسلموه منهم، ولو كان في يد الأرتقية لكان أصلح للمسلمين. وكان الأفضل راسل الأمير سقمان وإيلغازي ابني أرتق ليسلماه بيت المقدس بدون حرب فلم يجيباه، فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانبا فلم يجد بدا من الإذعان له فسلماه إليه، وكان الأمير أتسز بن أوق الخوارزمي انتزع القدس من يد المصريين سنة نيف وستين وأربعمائة قبل ملكه دمشق، ثم لما كسر بمصر سنة ٤٦٩ قام على

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٧٦/١

أصحابه فئة فأخرجوهم ثم أعاد

الدعوة العباسية، ولم يزل القدس بيده إلى أن قتله تاج الدولة تتش بن أرسلان سنة ٤٧٢ ثم انتزعه تاج الدولة سنة ٤٧٤ ثم سلمه إلى الأمير ظهير الدين أرتق أواخر سنة ٤٧٨ فعمره وأسكن به ولده، ولم يزالوا به إلى سنة ٤٩١ حتى تسلمه المصريون. وجاء الأفضل وقد فات الأمر فانضاف إليه عساكر الساحل، ونزل بظاهر عسقلان منتظرا وصول الأسطول في البحر، فنهض عسكر الفرنج إليه وهجموا عليه في خلق عظيم، فانهزم العسكر المصري إلى ناحية عسقلان ودخل الفرنج إليها، وتمكنت سيوفهم من المسلمين، فأتى القتل على الرجالة **والمطوعة** وأهل البلد، وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس ونهب العسكر الإسلامي، وتوجه الأفضل في خواصه إلى مصر، وضايقوا عسقلان فقتل من أهلها وغيرهم سوى أجنادها ألفان وخمسمائة نفس.

ولما توغل الصليبيون في الشام، وكانوا في كل بلد يدخلونه يقتلون أهله، ويخربون عمرانه، ويحرقون كتبه ومتاعه وآثاره، هام الناس على وجوههم في البراري ومنهم من قصد إلى داخلية الشام، ومنهم من فر إلى مصر على حالة رثة. وفي سنة ٤٨٥ ملك الفرنج ما حول بيت المقدس مثل صور وعكا والرملة ويافا، أما بقية الساحل كطرابلس وبيروت واللاذقية فبقيت تقاوم إلى حدود سنة ٥٠٠ معتصمة وراء أسوارها محصورة في بقعة ضيقة من أرباضها، معتمدة على معاونة الفاطميين لها من البحر.." (١)

"ملوكهم ومن هو دونه، وصلى الصليبيون في القدس صلاة الموت، وعادوا إلى عكا وفرقوا المال في العسكر وكان مقدار ما فرقوه سبعمائة ألف دينار ولم يعينوا لهم وجهة وما كانت وجهتهم إلا فتح دمشق فوروا بغيرها وهربوا المسلمين بين أيديهم. ولم يشعر أهل دمشق إلا وملك الألمان قد ضرب خيمته على باب مدينتهم في الميدان الأخضر. وكان الفرنج في نحو خمسين ألفا من الخيل والرجل وقيل أكثر من ذلك. ويقول ابن منقذ: إن ملك الألمان لما وصل إلى الشام اجتمع إليه كل من في أرجاء الساحل من الفرنج، فقصدوا أولا المنزل المعروف بمنازل العسكر فصادفوا الماء مقطوعا عنه، فقصدوا ناحية المزة ووصلت طلائعهم إلى الميدان الأخضر فنشبت الحرب بين الفريقين، واجتمع عليهم من الأجناد والأتراك والتركمان وأحداث البلد **والمطوعة** والغزاة الجم الغفير، وكانت المكاتبات قد نفذت

إلى ولاة الأطراف بالاستصراخ، وأخذت خيل التركمان تتواصل، فلما ضاق الأمر بالفرنج بعد أربعة أيام ورأوا شدة عزيمة المسلمين في قتالهم رحلوا مفلولين.

ويرى مؤرخو الحروب الصليبية من الفرنج أن جيش الحملة الصليبية الثانية كان أكثر نظاما وقيادة من جيش

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢٥٥/١

الحملة الأولى، ليس فيه المتشردون والأشقياء، وكان مؤلفا من فرسان وبارونات وغيرهم أخذوا بالحماسة الدينية وساروا في قيادة ملكين عظيمين. وفي التاريخ العام أن هذه الحملة الصليبية الكبرى لم تجد نفعا البتة حتى استغربت حالها أمم النصرانية فبحث بعضهم عن الخطايا التي استحقت بارتكابها هذه الكارثة، ونسبت أخرى هزيمة الحملة لخداع الروم أو لخيانة نصارى الشرق وذكروا أن الصليبيين في القدس قد ارتشوا من أمير دمشق بمبلغ مائتين وخمسين ألف دينار وأن الأمير أرسل المال زيوفا أو نحاسا طلي بالذهب.

انكسر الجيش الذي قاتل دمشق بقيادة كونراد الألماني ولويز السابع الفرنسوي وبودوين الثالث ملك القدس في بساتين المزة ولحق فلهم بالساحل، بعد أن قطعوا أشجار الحدائق للتحصن بها وأحرقوا الربوة والقبة المهدوية. وقد وصف أبو الحكم الأندلسي جيش الفرنجة على دمشق في مخيمه ومعتركه ومجتلده ومنهزمه وصفا جميلا قال:

بشطى نهر داريا ... أمور ما تؤاتينا

وأقام رأوا سفك ال ... دما في جلق دينا." (١)

"ثم توجه الفرنج إلى بيروت وكانوا في نحو من أربعين مركبا فواقعهم دمرداش ومن معه من الجند **والمطوعة** وقتل بعض الناس من الفريقين وجرح الكثير، وكان نائب الشام ببعلبك

فجاءه الخبر فتوجه من وقته وأرسل إلى العسكر يستنجد به ومضى على طريق صعبة إلى أن وصل إلى طرابلس ثم توجه من فوره إلى بيروت فوجدهم قد نهبوا ما فيها وأحرقوها وكان أهلها قد هربوا إلى الجبال إلا المقاتلة منهم، فوقع بين الفريقين مقتلة عظيمة فأمر النائب بإحراق قتلى الفرنج، ثم توجه إلى صيدا ومعه العساكر فوجدهم في القتال مع أهلها ولم يتقدمه أحد بل كان معه عشرة أنفس، فحمل على الفرنج فكسرهم وفروا في مراكبهم راجعين إلى ناحية بيروت ثم نزلوا لأخذ الماء فتبعهم بعض أصحاب النائب فغلبوه على الماء وأخذوا حاجتهم وتوجهوا إلى جهة طرابلس.

ودامت الفوضى في القطر حتى خامر النواب إلا قليلا في الشام ٨٠٦ وأصبح الناس فرقتين فرقة مع الملك الناصر وفرقة عليه إلى أن خلع سنة ٨٠٨ وفي سنة ٨٠٦ أوقع نائب الشام بعرب آل فضل وكان كبيرهم علي بن فضل قد قسم الشام سنة ثلاث وثماني مائة فطمع أن يفعل ذلك هذه السنة، فقبض عليه النائب ونهب بيوته، ووقع بين نعير أمير عرب آل فضل وبين حجا بن سالم الدوكاري وقعة عظيمة قتل فيها ابن سالم وانكسر عسكره وغلب نعير وأرسل برأس ابن سالم إلى القاهرة. وكان عسكر ابن سالم طاف في

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٩/٢

أعمال حلب كعزاز وغيرها وأفسد فيها الفساد الفاحش، وكان وقع بينه وبين نعير قتال بين جعبر وابلستين واستمرا أياما إلى أن قتل ابن سالم. وقع بين دمرداش والتركمان وقعة عظيمة فانكسر دمرداش. وفي أيام الناصر فرج نصب نوروز الحافظي على دمشق وجكم العوضي نائبا على حلب، فلما توجها إلى عملهما أظهر كل منهما العصيان والمخامرة على السلطان فتسلطن جكم العوضي بحلب وقبل الأمراء الأرض بين يديه وتلقب بالملك العادل ووضع يده على البلاد الحلبية وكتب إلى نواب الشامات فأطاعوه إلا القليل منهم، وأخرج أوقاف الناس وجعلها إقطاعات وفرقها مثالات على عسكر

حلب وصار يحكم من الشام الى الفرات فانتزعت يد الناصر من الديار الشامية والحلبية وصار حكمه لا يجاوز غزة.." (١)

"ليلتقوا مع الجيش التركي الذي خرج من الشرق على معان فباغتت الحامية ليلا على تل سمنة المطلة على معان واستولوا على حصونها، وبضبطها أصبح الجيش العربي في خطر، فبلغ الأمير فيصلا ذلك بالهاتف من الوهيدة بين معان وأبي الأسل

وتبعد عن كل منهما زهاء ساعتين أو أكثر، وكانت مقر الجيش العربي ومقر الأمير وراءها في أبي الأسل، فاهتم للأمر لتناقص عدد الجيش العربي الذي انضمت أكثريته إلى الحملة المنوه بها، وكانت بارحت قبل هذا الهجوم بيوم المقر من جهة الطريق الشرقي البعيد عن الخط الحجازي مسافة يوم تقريبا وهو من جهة الجفر وباير ماءان لأهل البادية فندب الأمير أخاه الأمير زيدا واستعداد حصون تل سمنة، وكان الأتراك ينوون أن يتقدموا منها للاستيلاء على الوهيدة مقر المعسكر العربي، ولو لم يتقدم أحد أبناء العرب ممن كان مع الجيش التركي ويفاوض بالهاتف مركز الجيش العربي وينذره سوء العقبى ويسارع الأمير فيصل بإرسال عبيده وعددهم مائة وخمسون ويسيروا كالبرق الخاطف يقفون أمام الجيش التركي ويشاغلونه ريثما تقدمت فرسان الجيش العربي وتبعها المشاة لولا هذا لما رد الأتراك عن معان ولهلك الجيش العربي بأسره.

ومن ذلك الحين انقلبت حامية معان من طور الدفاع إلى طور الهجوم، وعهد الأمير فيصل بالقيادة العامة في مقر أبي الأسل إلى أخيه الأمير زيد والتحق بالحملة يرافقه قليل من الجند النظامي وحرسه من العبيد وبعض **المتطوعة** من بدو ومن حضر قاصدا الأزرق ليتخذه مقر القيادة للحملة، وضرب موعدا للنوري بن شعلان أن يلاقيه بالأزرق مع شرذمة من قبيلته كما أوعز إلى عوده أبي تايه أن ينزح مع شرذمة من قبيلته من الجفر إلى الأزرق، ولكن جنده كان قليل العدد والبدو الذين أرادهم على أن يوافوه تخلفوا عنه فأصبح موقفه

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٧٧/٢

في خطر، وكان في وسع مائة جندي عثماني لو هموا به أن يأسروه ومن معه، ولكن قذف الرعب في قلوب المحاربين من الترك فظنوا أو هناك جيوشا جرارة لا قبل لهم بها، وزاد حراجة الموقف تشويشا أن بعض مشايخ قرى جبل الدروز بعثوا إلى الأمير يحتجون على احتلاله الأزرق بدعوى أن احتلاله يوغر عليهم صدر الحكومة

التركية لأن الأزرق وإن كان مقدمة بادية الشام وغير مملوك لأحد لكنه." (١)

"يعتبر في نظر الدروز ونظر القبائل الرحل ملحقا بالدروز، ولم يؤثر هذا الاحتجاج في نفس الأمير فيصل لعلمه أن لا قيمة له بالنسبة إلى زعماء الجبل الموالين له وفي طليعتهم سلطان باشا الأطرش الذي أخلص كل الإخلاص للثورة العربية وعاونها بماله وجاهه، ولعلمه أنهم متجرون بهذا الاحتجاج غير أنه أورث اضطراب الأفكار خشية تجسسهم للأتراك، وبعد خمسة أيام أرسل أحد شيوخ قبيلة بني صخر وهو الوحيد في موالاة الجيش العربي دون بقية شيوخ القبيلة الذين كانوا موالين للحكومة التركية ويقطعون السابلة على كل قافلة تلتحق بالأمير فيصل في أبي الأسل، وجهزه بفئة من **المتطوعة** لتخريب جسر عمان لقطع المواصلة بين القيادة التركية ومعان. وجاء على الأثر الكولونل لورانس الإنكليزي، ملقن الثورة العربية والمشرف عليها الذي دعي ملك العرب غير المتوج وأخبره بسقوط نابلس وما وراءها إلى الشمال، وأنه وقع في أسر الجيش البريطاني من الجيش التركي زهاء ستين ألفا وكان الفضل الأكبر في ذلك لتخريب جسر تل شهاب. وصباح اليوم السادس ورد على الأمير فيصل نجاب يخبره بسقوط معان وأسر حاميتها وسوق رجالها إلى العقبة، وبعد ساعتين جاءه نجلب آخر من عمان يحمل إليه أوراق الحكومة التركية فيها مبرهنا على سقوطها وانجلاء الترك عنها قبل تخريب الجسر. فرأى الأمير فيصل عندئذ نقل المقر إلى بصرى عاصمة حوران، مخافة أن يضم الأتراك شملهم في درعا دفاعا عن دمشق ولم يكد يستقر بها حتى بلغه سقوط درعا بيد الجيش العربي الإنكليزي ومتطوعة الحورانيين، فسار إليها ونظم حكومتها وأخذ منه القلق لأنه كان جرى اتفاق بينه وبين الحلفاء أي بينه وبين البريطانيين أن كل فريق من العرب أو البريطانيين يسبق جيشه إلى فتح مقاطعة أو بلد يكون حق احتلالها وإدارة شؤونها لذلك الفريق إلى أن يبت في المصير،

وحافظ الجيش الإنكليزي على هذا الوفاق فكان إذا سبق ففتح بلدا أو أسقط حصنا في العمالة التي يريد إعطاءها للعرب يتوقف ريثما يدخل العرب فينسب الفتح إليهم ولا سيما في الشام الداخلية. ولذلك خف

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٥٠/٣

السيد نسيب البكري من الأزرق بأمر الأمير فيصل إلى جبل الدروز ولقي صديقه سلطان باشا الأطرش وجيش هذا من الجبل نحو مائتي فارس وذهبوا إلى بصرى وهناك التحق بهم بعض الحورانيين." (١)

"الأول دخل البريطانيون والجيش العربي في يوم واحد، وقد تأثر الجيش البريطاني بقايا المنهزمين من الجيش التركي بين ربوة دمشق وقرية دمر فهلك من الجند المنهزم نحو مائة وعشرين، وسرقت خزينة الجيش التركي وكانت في القطار في مركبتين بين الشاذروان ودمر فنهبها الفلاحون وغيرهم من المصطافين، وطارد الفرسان البريطانيون والأستراليون المنهزمين من الأتراك ممن حاولوا المقاومة أولا في سفح جبل قلمون قرب دومة فظن الترك أن الأهلين قاموا بمناصرة الجيش البريطاني فاستسلموا فخف أهل قرية حفير من أعالي الجبل لرد الأتراك دفاعا عن قرتهم. وكان بعض سكان حوران اعتدوا في الأيام التي سبقت سقوط دمشق على بعض المنهزمين من الجيش لأخذ سلاحهم على الأكثر، ولكن الأمير طاهرا الحسني وأبناء عمه الأمير سعيد والأمير عبد القادر كانوا ألفوا من المغاربة سرايا من **المطوعة** وأخذوا ألف بندقية من الحكومة التركية خرجوا إلى أذرع وخففوا ويلات الجيش التركي وساعدوه على الهزيمة، ولما خلت دمشق من حكومة كانت مسائل الأمن فيها لأناس من أهل البلد والوجاهة في مقدمتهم أحفاد الأمير عبد القادر الحسني فلم يقع ما يكدر في النفس والأموال.

وقبيل سقوط مدينة دمشق عقد الأتراك مجلسا حربيا حضره قواد الجيش من الترك والألمان والنمساويين والمجريين ورجال الشورى الحربي، فرأى القسم الأعظم من المؤتمرين نسف جميع الأماكن الأميرية في دمشق، وكان الألمان أعدوا لذلك العدة، وقال بعض الراوين بل نسف مدينة دمشق، إلا أن القائد النمساوي أقنع رفاقه بأن هذا عمل غير معقول، لأن الدمشقيين حاربوا مع الدولة العثمانية وقاموا بكل ما فرض عليهم بإخلاص، فليس من العدل وقد خسر الترك الحرب أن يعاملوا دمشق هذه المعاملة القاسية وكانت حجته داحضة. وكان جمال باشا المرسيني المعروف بجمال باشا الصغير من رأي القائد النمساوي سرا فعاضده وأشار إلى من استلموا زمام البلد من الوطنيين أن يعلنوا استقلال الشام، فرفعوا العلم العربي على دار الحكومة ضحوة يوم ٣٠ أيلول وبعد أن هنأ جمال باشا الصغير الحاضرين من الدمشقيين باستقلالهم، غادر دمشق على." (٢)

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٥١/٣

(٢) خطط الشام، محمد كرد علي ١٥٣/٣

"التي تعمل في المنطقة الفرنسية. ٦ نزع السلاح من أهالي دمشق ومن الجنود الذين سرحوا. ٧ قبول بعثة فرنسية بدمشق تقف على صورة تنفيذ شروط الإنذار، وترسم خطة للمباشرة بتطبيق الانتداب الفرنسي على الشام.

كان الجيش الفرنسي الزاحف على دمشق مؤلفا من عشر كتائب مشاة وست كتائب فرسان وسبع بطاريات من الجنود الفرنسية والسنغالية والمراكشية والجزائرية، والجيش العربي مؤلفا من بضعة ألوف سطر عددها على الورق فقط وهو مشتت في حلب وحمص ودمشق، وليس له وحدة في القيادة. وصدر الأمر إلى الجند المرابط في حصون المجدل من الجيش العربي بالتسليم وفض الجيش، ثم عاد فصدر الأمر ثانية إلى جماعة الحصون أن يبقوا على المقاومة، ولم يكن عددهم يزيد على مائة وعشرين جنديا. وأصبح الحكم في دمشق للغوغاء الذين كان يحمسهم زعماؤهم، وهجموا على القلعة لأخذ السلاح منها فنهبوا الذخائر فاضطرت الحكومة لحفظ الأمن أن تستءمل فيهم القوة فقتل منهم نحو مأتي إنسان، وبات الناس في كرب عظيم. وحدث تبلبل، فلم تصل برقية الملك فيصل إلى المفوض السامي للجمهورية الفرنسية بقبول شروط فرنسا كلها إلا بعد أن تقدم الجيش الفرنسي ووصل إلى ميسنون من طريق دير العشائر إلى الميماس وقطع خط الرجعة على العرب، فدارت الحرب في عقبة الطين بين الجيش الزاحف وبين سرايا الجند العربي وجند البدو **والمتطوعة**، وكان الجيش العربي أربعمائة جندي ومائتين من الهجانة يصحبهم ويتبعهم من الأهالي والعربان عدد يختلف بين

الأربعة والخمسة آلاف على رواية الريحاني، فقتل في أربع ساعات بقنابل الطيارات وقذائف البنادق والرشاشات كثير من الفريقين، وفي مقدمة الوطنيين يوسف بك العظمة ناظر حربية الملك فيصل وكان من أكبر القائلين بالمقاومة وعرف أنه غلط في تقدير القوة وسبق السيف العذل بعد صدور أمر الملك بفض الجيش وتراجع القوة المنظمة في الجملة، فآثر الانتحار في خط النار واستشهد في ساحة الحرب محافظا على شرفه العسكري، وقد قتل الجيش الزاحف طائفة من الأهالي الذين حاربوه بعد أن سقطوا أسرى في يده لأن قانون الجندية يبيح قتل غير الجند إذا اشتركوا في المعمعة، وفي رواية." (١)

"يوم عيد الفطر في المسجد الأعظم دون سبب مفهوم، وعمره لم يتجاوز السابعة والثلاثين.

فخلفه في الملك ابنه أبو عبد الله محمد الغني بالله، وكان حدثا فاستأثر بالحكم الحاجب رضوان، وكان من بين كتابه لسان الدين بن الخطيب الذي أرسله إلى سلطان المغرب أبي عنان المريني فور توليه يستنصره

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٧٧/٣

على النصارى. وشغلت قشتالة بحوادثها الداخلية فأمنت غرناطة بعض الوقت. لكن ثورة داخلية قامت ضد السلطان أبي عبد الله محمد الغني بالله، فخلع ونصب محله أخوه أبو الوليد إسماعيل سنة ٧٦٠ هـ فالتجأ السلطان المخلوع مع ابن الخطيب إلى فاس عند السلطان أبي سالم المريني. ثم قامت ثورة أخرى سنة ٧٦١ هـ في غرناطة وأطاحت بأبي الوليد إسماعيل فقتل ونصب محله أبو سعيد ألبرميخو (الأحمر) بن إسماعيل بن محمد بن الرئيس أبي سعيد فرج. فعمل الغني بالله على استعادة ملكه بمساعدة المغاربة، ففر أبو سعيد إلى قشتالة وبويع السلطان أبو عبد الله محمد الغني بالله من جديد سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦٢ م)، والتحق به وزيره لسان الدين بن الخطيب. وأول ما عمله الغني بالله عند عودته لملكه إلغاء خطة مشيخة الغزاة من بني مرين، وصار أمر الغزاة والمتطوعة المجاهدين إلى السلطان مباشرة. وأمنت غرناطة لمدة وجيزة من شر قشتالة التي التهت بحروبها الداخلية. وفي سنة ٧٧٣ هـ هاجر ابن الخطيب إلى المغرب عندما رأى أن الغني بالله تغير عنه، وأخذ مكانه في غرناطة تلميذه ابن زمرك. وقتل ابن الخطيب في فاس سنة ٧٧٦ هـ في ظروف مأساوية. تابع الغني بالله الجهاد ضد قشتالة بعد هجومها على ضواحي مدينة رندة سنة ٧٦٧ هـ. فغزا بين سنة ٧٦٨ إلى ٧٧١ هـ (١٣٧٠ م) مناطق جيان وإشبيلية وأطريرة. وركز الغني بالله فيما تبقى من حكمه على البناء والتصميم والتشييد. ووقع معاهدة سلام مع مملكة أراغون تعهدت فيها أراغون بالسماح بهجرة المدجنين الراغبين في ذلك إلى غرناطة. وكان عهد الغني بالله عهد تقدم في الآداب والعلوم إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م).

ولما توفي الغني بالله خلفه ولده أبو الحجاج يوسف، فاستبد بالأمر وزيره خالد وقتل أخوته، ثم سخط السلطان على وزيره فقتله وهادن قشتالة. وثار ولده محمد عليه ففشل. ورغم هذه الأحداث الداخلية المؤلمة قام المسلمون بالإغارة على النصارى في أحواز مرسية ولورقة كما صدوا بقوة هجوما نصرانيا على مرج غرناطة.

وتوفي السلطان يوسف في أوائل سنة ٧٩٧ هـ (١٣٩٤ م).." (١)

"خاطىء آخر وهو أنه يمكنهم المحافظة على الإسلام في قلوبهم سرا متظاهرين بالنصرانية إلى أن يأتي فرج من الله. وكان فقهاؤهم ينشرون قصصا مؤملة تعدهم برجوع سطوة الإسلام إلى الأندلس لإنقاذهم. وكان الأندلسيون على صلة وثيقة بإخوانهم في المغرب، وكان المتطوعة في غياب مساندة دول المغرب يقطعون البحر باستمرار لمساعدة إخوانهم أو تهريبهم وإيصال المراسلات إليهم من تشجيع وفتاوى.

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/٤٢

وهكذا أرسل مفتي وهران، أحمد بن بوجمعة المغراوي، وهو أندلسي من بلدة المغرو بمقاطعة قلعة رباح، فتوى بتاريخ غرة رجب سنة ٩١٠ هـ (١٨/ ١١ / ١٥٠٤ م) هذا نصها: " الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، من أجزل الله ثوابهم فيما لقوا في ذاته، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته، الغرباء القرباء إن شاء الله، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته، وارثو سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس إلى التراق. نسأل الله أن يلطف بنا، وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجا ومن كل ضيق مخرجا. بعد السلام عليكم من كتابه إليكم، من عبيد الله أصغر عبيده، وأحوجهم إلى عفوه ومزيده، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني، كان الله للجميع بلطفه وستره، سائلا من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار".

" مؤكدا عليكم في ملازمة دين الإسلام، آمرين به من بلغ من أولادكم إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم. فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى. فاعلموا أن الأصنام خشب منجور، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع، وأن الملك الله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله. فاعبدوه، واصطبروا لعبادته. فالصلاة ولو بالإيماء، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء. لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم. والغسل من الجنابة ولو عوما في البحور. وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتيمم ولو مسحا بالأيدي للحيطان، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد، إلا أن يمكنكم الإشارة إليه." (١)

"وهكذا تظاهر المسلمون مكرهين بقبول دين النصارى، يقومون بما يجبرون عليه من الترداد إلى الكنائس وتعميد الأطفال. لكنهم ظلوا مسلمين سرا يقومون بشعائر الإسلام من صلاة وصيام وتحاشي المنكرات. فكانوا يغسلون أبناءهم من التعميد، ويقومون بالزواج الإسلامي بعد الزواج في الكنيسة، ويربون أبناءهم سرا على الإسلام. وعملوا جهدهم للتكيف مع هذا الوضع الشاذ الحرج الخطر إلى أن يأتي الله بفرج من عنده. وتحولت الكنيسة والدولة من أمل تنصير المسلمين بالتبشير إلى أمل تنصيرهم بالإكراه والعنف والقوة. وتجددت القوانين الجائرة والإجراءات الصارمة لتطبيقها بعنف. ففي سنة ١٥٠٨ م جددت

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/٧١

لائحة ملكية منع استعمال اللباس العربي بين الموركسيين. كما أصدر الملك فراندو خمس لوائح سنة ١٥١١ م أولها بتاريخ ٢٠/ ٥ / ١٥١١ م تحدد استعمال الموركسيين لبعض الأدوات التي يمكن أن تستعمل كأسلحة، كالسكاكين وغيرها، ولائحة بتاريخ ١٠/ ٦ / ١٥١١ م تحدد ضرورة إحراق ما تبقى من الكتب العربية، وثلاثة لوائح بتاريخ ٢٠/ ٦ / ١٥١١ م حول منع ذبح الحيوانات بالطريقة الإسلامية وحول"البادرينو" و" المادرينة"أي ولي الرجل أو ولية المرأة في الشعائر النصرانية عند التعميد والزواج إلى غير ذلك، وكانت هذه القوانين تهدف إلى تحطيم الخاصية الثقافية للموركسيين بعد إلغاء عقيدتهم الإسلامية.
وبما أن هذه الإجراءات لم تطبق بالصفة المرضية للكنيسة والطاغية جددت لوائح في فبراير سنة ١٥١٢ م تؤكد منع الذبح واللباس الإسلامي كما تمنع الموركسيين من مزاولة مهنة الصرافة لمنعهم من الاتصال **بالمتطوعة** المغاربة الذين هم على صلة بهم. وقد صدرت قوانين أخرى مكملة في ٢٩/ ٧ / ١٥١٣ م.
وأخذ فراندو الكاثوليكي يتنكر للوعود التي قطعها على نفسه بمعاملة النصارى الجدد في موضوع الضرائب معاملته للنصارى القدامى حتى قبل سنة ١٥١٠ م حيث طبق على الموركسيين ضرائب خاصة بهم سميت ب"الفارضة" تنقسم إلى أربعة أجزاء، ثلاثة منها تسمى"بالفارضة العظمى" وتضم غرامة سنوية قدرها ٢١,٠٠٠ دوقة ذهبية، وأخرى فوق العادية قدرها ٥,٠٠٠ دوقة، وضريبة من ١٠,٠٠٠ دوقة لبناء قصر للملك في غرناطة. والفارضة الرابعة، وتسمى"الفارضة الصغرى" أو"فارضة البحر" لتمويل حراس البحر.
ومات فراندو الكاثوليكي في ٢٣/ ١ / ١٥١٦ م وهو يوصي أولاده بالقضاء على الإسلام وتحطيم بقايا الديانة المحمدية في إسبانيا، بعد أن ذاقت الأمة الأندلسية من." (١)

"المحافظة على حقوق المسلمين ومطالبة الملك بتحويل المسلمين إلى النصرانية بالقوة ومنحه حق فرض الرق على من رفض ونصحه باستعمال محاكم التفتيش لإرهاب المسلمين وإجبارهم على التنصير.
وفي ١٦/ ١١ / ١٥٢٥ م أصدر الملك أمرا بتنفيذ مضمون الأمر البابوي وقضى بتنصير المسلمين ونزعهم من السلاح وتحويل جميع المساجد إلى كنائس تحت طائلة إيقاع المعارضين في الرق بعد ٨/ ١٢ / ١٥٢٥ م. وفي ١٠/ ١٢ / ١٥٢٥ م طلب مفوض ديوان التفتيش من المسلمين الرافضين للتنصير الاستعداد لترك بيوتهم والخروج من المملكة في موعد أقصاه ٢١ /
١/ ١٥٢٦ م.
أوفد المسلمون شخصين إلى الملك يسترجعونه في هذا الأمر فرفض الرجوع عنه. لكن مقابل غرامة له منهم

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/٧٣

قدرها ٤٠,٠٠٠ دوقة خفف عليهم شروط التنصير، إذ منحهم حق الاستمرار في استعمال اللغة العربية لمدة أقصاها عشر سنين، ووعدهم بإبطال نزع السلاح، وبأن يساويهم بالنصارى القدامى في الضرائب. فدخل اليأس نفوس المسلمين ولم يعودوا يفكرون إلا في الثورة، فثار بعضهم في أحواز سرقسطة.

وانطلقت الثورة في منطقة بلنسية من بلدة بني الوزير وانتشرت إلى القرى المجاورة.

ثم ثار المسلمون على ضفاف نهر شقر وفي الأراضي الواقعة بين دانية وغاندية وتحصنوا في حصن بولبه.

ثم تحرك الثوار إلى مدينة بيكوك.

وفي ١٥/ ٢ / ١٥٢٦ م أعلن المنادون في شوارع بلنسية باسم نائب الملك الحرب على المسلمين، فتقدم ٥,٠٠٠ متطوع نصراني، حاصروا حصن بولبه، فاضطر المدافعون عنه إلى الاستسلام في ١٨/ ٣ / ١٥٢٦ م. فاسترق النصارى من وجدوا فيه من مسلمي أراغون وأجبروا الباقين على التنصير ودفع غرامة قدرها ١٢,٠٠٠ دوقة من الذهب. لكن معظم الثوار اتجهوا شمالا إلى بلدة شقوربة وتحصنوا بجبال "أشالدان " الواقعة بقربها وبايعوا سلطانا عليهم سليم المنصور. ونشطوا في تحصين تلك الجبال وتعاهدوا على الجهاد حتى الشهادة. فجاء الملك على جيش إلى بلنسية وبدأ هجماته على الثوار في شهر أبريل ١٥٢٦ م ثم استنجد **بالمتطوعة** الألمان، فالتحق بجيشه ٣,٠٠٠ جندي ألماني في ٧/ ٩ / ١٥٢٦ م، وتزايد عدد جنود الجيش المهاجم حتى زادوا على ٨,٠٠٠ جندي دون الفرسان. فانهزم المسلمون واستشهد سلطانهم سليم المنصور. ثم قضي على الثوار المسلمين في منطقة دانية، ففر منهم حوالي ألفي شخص على بواخر مجاهدي البحر للجزائر والمغرب.." (١)

"شواطيء الأندلس أثر إعلان الثورة، وأرسل مع المبعوثين المال والسلاح، ولحق بهم من الجزائر والمغرب بعض **المتطوعة** للجهاد. فشجعت ردود الفعل هذه منظمي الثورة وقوت عزيمتهم على القتال.

وفي نفس الوقت قام منظمو الثورة بالاتصال بمدن وقرى مملكتي غرناطة وبلنسية بتكتم شديد. وكان المورسكيون قد أسسوا جمعية خيرية صرح لها بجمع المال لبناء مستشفى خارج غرناطة للفقراء المرضى. ولم يكتمل بناء المستشفى، فاقترح منظمو الثورة على رئيس الجمعية أن يبعثوا تحت ستار جمعيته وفودا لجمع المال تعمل في الحقيقة على تنظيم الثورة في المناطق المختلفة، وحصلوا على ترخيص بذلك من الرئيس ديسا. فذهب ثلاثة من زعماء المسلمين لهذه المهمة في وفد عمل على تقصي مستوى مساندة الأندلسيين للثورة بتكتم شديد. وقدروا عند رجوعهم عدد من يمكن أن ينضم إلى الثورة ب ٤٥,٠٠٠ رجل

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/٨٨

ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٤٥ سنة. وتبين أن جميع مناطق مملكة غرناطة القديمة تساند الثورة، لكن مسلمي مملكتي مرسية وبلنسية رفضوا المشاركة فيها لعدم ثقتهم بنجاحها ولدوام أملهم في تحرير العثمانيين لهم.

ورغم تستر منظمي الثورة الشديد، فقد أخذت الإشاعات تنطلق بقرب ثورة المسلمين. لكن لا الرئيس ديسا، رئيس الإدارة المدنية، ولا المركيز دي مندوجر، القائد العام للجيش، صدقا هذه الإشاعات. ولإبعاد الشك، أرسل منظمو الثورة ممثلا عنهم إلى الرئيس ديسا يشتكي من هذه الإشاعات وادعى أنها كاذبة، واقترح باسم المورسكيين تقديم ٣٠٠ رهينة عنوانا على حسن نيتهم.

ثم اجتمع زعماء الثورة للمرة الثانية في البيازين ودرسوا ردود الوفود إلى الأندلس وإلى المغرب والجزائر. فقرر المجتمعون إعلان الثورة يوم الخميس المقدس (١٤/ ٤ / ١٥٦٨ م)، ووزعوا بينهم مسؤوليات إخبار المناطق الأندلسية المختلفة والمغرب والجزائر. ولم تسر الخطة حسب ما قرر لها، إذ قام أحدهم بتبليغ الرئيس ديسا في ٥/ ٤ / ١٥٦٨ م، فاضطر المنظمون لتأجيل موعد إشعال الثورة. واعتقل ديسا عددا من وجهاء المسلمين، وألغى تصاريح اقتناء الأسلحة، كما ذهب القائد العام إلى حي البيازين يأمر الناس بالهدوء والسكينة والحفاظ على الأمن. فطمأن بعد ذلك زعماء المسلمين الرئيس ديسا والماركيز دي مندوجر، ثم حددوا موعدا آخر لإعلان الثورة الذي أجل مرة أخرى.." (١)

"السجناء يذبحونهم دون سابق إنذار، ثم فتحوا أبواب السجن لعامة النصارى، ومضوا الليل جميعا قتلا في المسلمين العزل حتى أتوا على ما لا يقل عن ١٥٠ سجينا من أعيان غرناطة الذين احتفظ بهم الإسبان رهائن للضغط على المجاهدين. ولم ينج من هذه المذبحة الشنيعة سوى والد محمد بن أمية أنطونيو دي بالور وأخيه فرنسسكو. ثم بعد هذه المذبحة قامت محاكم التفتيش بالحكم على القتلى بمصادرة أموالهم.

ولما علم أهل مملكة غرناطة بهذه الجريمة، ثاروا في عدة مدن، كطرش وعذرة، ضد الجيش وقتلوا عددا من الجنود والضباط. بينما قضى جيشا دي مندوجر ودي بلش معظم شهر مارس في القتل والسلب والنهب، وشتتا المجاهدين على أعالي الجبال بعد أن كبدوا النصارى خسائر كبيرة في الأرواح. وكان مصير من استسلم من المجاهدين الاسترقاق. غير أن شراسة النصارى ضد المسلمين، المسالمين منهم والمحاربين، أدت بالمسلمين إلى تفضيل الموت في معركة الدفاع عن الدين والشرف على الموت دون سبب، مما أذكى

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/٩٦

روح الجهاد من جديد.

ولم يلتحق بالمجاهدين من الدول الإسلامية إلا بعض المتطوعة المغاربة والجزائريين والأتراك، وقليل من المال والعتاد من الجزائر. وهذا نص رسالة جوابية من السلطان سليم للمجاهدين الأندلسيين في هذه الفترة: "مهمة دفتري رقم ١٤ حكم رقم ٢٣١ بتاريخ ٢٤ شوال عام ٩٧٧ هـ موافق ٢٠/ ١ / ١٥٦٩ م، أعطي إلى خليل جاوخي في ١٠ ذي القعدة. حكم إلى أهالي الأندلس".

"وصل إلى أستانة سعادتنا عرض حالكم الذي جاء فيه أن الكفارة، دمرهم الله وأضلهم، قد سلبوكم أسلحتكم ومنعوكم من التحدث بالعربية، وأنهم يتعرضون لنسائكم ويمارسون كل أنواع الظلم والتعدي عليكم. وتعلمون أنه يوجد حاليا لديكم عشرون ألف رجل مسلم كما أن هناك مائة ألف رجل قادر على حمل السلاح. وعلمنا باستلامكم مقدارا من السلاح من الجزائر، وأن ذلك قد ربط على قلوبكم، وتمكنتم بذلك من تكبيد الكفار العديد من الخسائر. فالحمد لله على نصر أهل الإسلام، وليكتب لهم الفوز الدائم على الكفار، أضلهم الله. وقد عرض بالتفصيل كل ما جاء في عرض حالكم من تحريرات وتقريرات على سرير سعادتنا، وأحاط علمي الشريف الملوكي وشمل كل ما يتعلق بأحوالكم وأخباركم، وأن أنظاري منصرفة دائما نحوكم".." (١)

"كان ابن أمية يقيم في طاعة أجيجير بالبشرات وخطط مع قواته الهجوم على جيش النصارى محاولا الحفاظ على المبادرة بالاستفادة من المعارك السريعة المباغتة وتجنب المعارك المكشوفة. ووزع المجاهدون فرقهم المقاتلة في ضواحي المرية ووادي المنصورة ووادي آش ووادي شنيل ومرج غرناطة ووادي الإقليم وجبال البشرات وجبال ابن طوميز شرق مالقة ومنطقة رندة، أي كل نواحي مملكة غرناطة القديمة، حتى أنه قيل إن بعض فرق المجاهدين دخلت حاضرة غرناطة نفسها.

وأخذ المجاهدون المبادرة في كثير من الأحيان: فاجأ المجاهدون كتيبة من ٤٠٠ جندي تحت إمرة حاكم وادي آش الذي تحرك بأمر من ماركيز دي بلش لاحتلال مضيق رياحة، فهزموها وقضوا عليها. ثم شتت المجاهدون قوة تحت إمرة حاكم بلش أرادت أن تحتل صخرة فرجليانة، فهزموها وتابعوها إلى بلش. وبقيت فرجليانة في يد المسلمين إلى أن احتلتها قوة دي ريكسنس المتطوعة في ١١/ ٦ / ١٥٦٩ م. فأبادت حاميتها التي استبسلت في الدفاع عنها بمشاركة النساء والشيوخ. هكذا حرر المجاهدون في ظرف أسابيع المئات من الحصون والقرى والمدن في كل أنحاء مملكة غرناطة.

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/١٠٣

تقدم جيش الماركيز دي بلش إلى برجة، فزحف إليه ابن أمية في أوائل يونيو عام ١٥٦٩ م على رأس عدة آلاف من المجاهدين منهم حوالي ٤٠٠ متطوع مغربي. وكان قائد المعارك المجاهد مشكر. فاشتعلت في برجة أول معركة كبيرة في هذه المرحلة من الجهاد، اضطر ابن أمية على أثرها إلى الانسحاب إلى قديار بعد أن حمل جيش دي بلش خسائر فادحة. وقد ادعى كل من المجاهدين والنصارى النصر في معركة برجة التي استشهد فيها حوالي ١٥٠٠ مجاهد.

وفي ٢٣/ ٥ / ١٥٦٩ م انضمت منطقتا الحامة ورندة وجبال بني طوميز شرق مالقة إلى الثورة، فطرد مجاهدو تلك المناطق الحاميات القشتالية بقوات تحت قيادة الشريران وفراندو الدرة، وردوا هجوما شنه حاكم المرية عليهم و اضطر إلى الالتجاء إلى بلش مالقة ولم يعد يخرج منها.

وسيطر مجاهدو وادي المنصورة، شرق المرية، على سلسلة من الحصون والقرى. وحاصروا قلعة صيرون، أكبر تلك الحصون وأمنعها، منذ ١٠/ ٦ / ١٥٦٩ م، إلى أن حرروها في ١١/ ٧ / ١٥٦٩ م بعد أن هزموا قوة قشتالية برئاسة حاكم بسطة حاولت إنقاذها. كما حرر المجاهدون قصور أرية، ثم حاصروا بيرة في سبتمبر." (١)

"وأرجبة في أكتوبر، وفي شهر يوليوز توفي أحد قواد الجهاد محمد ابن جهور الصغير، عم محمد بن أمية.

بينما كان المجاهدون ينتشرون في كل أنحاء مملكة غرناطة تواجههم قوات دي بلش وفرق **المتطوعة** النصارى تحت قيادة حكام المناطق، كان دون خوان النمساوي مقيما في حاضرة غرناطة منشغلا عن المعارك بحضور جلسات المجلس العسكري بأمر من أخيه الملك. فوصلته أوامر بتهجير الموركسيين من حاضرة غرناطة في ٢٣/ ٦ / ١٥٦٩ م. وأيد هذا القرار جميع أعضاء المجلس، بما فيهم دي مندوجر. فانتشر الجيش القشتالي في حاضرة غرناطة ومرجها، وبعد فجر ذلك اليوم مباشرة خرج المنادون على أصوات الطبول يعلنون وجوب التحاق الموركسيين بالكنائس، ومنح الرئيس ديسا الأمان لكل من يطيع الأمر. فأذعن أهل غرناطة دون مقاومة، وتجمعوا في الكنائس وقضوا يومهم وليلتهم تحت الحراسة. وفي الصباح فرق الجنود النساء عن الرجال، ثم فرقوا الرجال م ا بين الذين تقل أعمارهم عن عشر سنين أو تزيد على الستين وبين الآخرين، وأخذوا هؤلاء بين صفين من الجنود إلى المستشفى الملكي خارج المدينة. ثم انتقوا منهم بعض الصناع والمهرة من العمال الذين سمحوا لهم بالمكوث في غرناطة. وأخذوا الجميع إلى

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/١٠٦

قشتالة، بما فيها مناطق الأندلس التي احتلت قديما ومنطقة بطليوس. وعومل المهجرون في الطريق أسوأ معاملة من نهب وقتل، بينما صودرت منازلهم وأملاكهم وأموالهم التي تركوها في غرناطة. ويقدر عدد المهجرين ب ٧,٠٠٠ امرأة و ٣,٥٠٠ رجل لم تصل منهم إلى المناطق المعينة لهم إلا أعداد قليلة، بينما قتل الباقون أو ماتوا جوعا ومرضا وتعبا، أو بيعوا في أسواق النخاسة كعبيد.

وزادت هذه الجريمة النكراء على جرائم النصارى في حق أهل الأندلس مستوى جديدا، وزادت من كره الأندلسيين للقشتاليين النصارى. وانضمت للمجاهدين بسببها أعداد جديدة من المتطوعين الأندلسيين.

وفي ٣/ ٨ / ١٥٦٩ م تمكنت قوة من المجاهدين بقيادة الناقص من القضاء على قوة قشتالية في وادي الإقليم كانت متجهة إلى أرجبة بالمؤن، وأباد المجاهدون كتيبة قشتالية كانت تحرس جسر الطبلات. وضاعف الأرشذوني هجماته على الحصون التي لا زالت بيد الجيش الإسباني، وشدد ابن المليح قائد منطقة وادي المنصورة هجماته على مدينة أرية، وأصبح المجاهدون على أبواب مدينة المرية.." (١)

"والمتطوعين القادمين من الجزائر. فطلب ابن أمية من قريبه وقائده محمد بن عبو (واسمه الإسباني دييغو لوبيز) ضم الأتراك إلى قوته والسير بهم إلى البنيول ولينتظر هناك أوامره. وكانت غاية ابن أمية تحرير ميناء مطريل دون أن يتسرب خبر اتجاه قوة المجاهدين، للحفاظ على المبادرة. فمر حامل الرسالة على أجيجر، فعلم الوزير منه مضمونها، فتآمر مع كاتب ابن أمية في تزوير رسالة أخرى، وأمر بقتل حامل الرسالة الأولى. فوصلت الرسالة المزورة إلى ابن عبو تأمره بتجريد المتطوعين من السلاح وإعدامهم. فاستنكر ابن عبو هذا الأمر، وآمن بالشائعات التي نشرها العدو حول ابن أمية بأنه يريد مهادنة الإسبان لتحرير والده وأخيه. واعتقد المتطوعون أن ابن أمية قد خان، فقرروا عزله وإعدامه دفاعا عن الثورة.

وسار ابن عبو **والمتطوعة** الأتراك إلى مقر ابن أمية في لوشر، فقبضوا عليه وواجهوه بالتهم التي يتهمونه بها، وأطلعوه على الرسالة التي بيدهم. فتبرأ ابن أمية من التهم الموجهة ضده، وأكد لهم أن الرسالة مزورة ولم يأمر بكتابتها قط، وأنه ما خان أمته ولا دينه أبدا. فلم يفده دفاعه عن نفسه، فسجنوه في غرفة، وكلفوا بحراسته دييكو الوزير، كبير المتآمرين عليه، ودييكو أركش، كاتبه. وفي ليل ٢٠/ ١٠ / ١٥٦٩ م، قتله هاذان الخائنان خنقا.

وهكذا استشهد قائد ثورة الأندلس ضحية الدسائس والغدر، على يد أبناء أمته، تلك الأمة التي ضحى في سبيلها بالغالي والرخيص والتي بسببها شرد أهله وقتلت أمه وأخوته وزوجته وسجن أبوه وأخوه وما وهن ولا

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/١٠٧

استكان، وأجره عند الله. وكان قتله، والمبادرة في يد المجاهدين، انتكاسة كبيرة للثورة.

واقترح قواد الثورة بعد اغتيال ابن أمية، بيعة أحد قائدي المتطوعين، حسين أو أخيه. فرفضا واقترحا مبايعة ابن عبو شرط أن يوافق أمير أمراء الجزائر على ذلك. فوصلت موافقة هذا الأخير مع بعض التعزيزات العسكرية بعد ثلاثة شهور.

فنصب ابن عبو سلطانا للأندلس تحت اسم عبد الله محمد بن عبو. وقد استاء بعض قواد الثورة، كابن مكنون والأرشذوني، من اغتيال ابن أمية، فانسحبوا من الجهاد واختاروا الهجرة إلى أرض الإسلام، وقد انضم إلى الثورة في أوجها ما يقارب ثلاثين ألف مقاتل، منهم حوالي ٥,٠٠٠ من المتطوعين الأتراك والجزائريين والمغاربة.." (١)

"ولما استغاث محمد المتوكل بالبرتغاليين ليستعيد ملكه مقابل احتفاظهم بسواحل المغرب، انضم أندلسيو المغرب إلى عبد الملك المعتصم ضد البرتغاليين. وكانت لهؤلاء الأندلسيين صلات وثيقة بإخوانهم في الأندلس الذين كانوا يخبرونهم بالنوايا البرتغالية. وكانت مشاركة عدد كبير من الجنود **والمتطوعة** الأندلسيين في معركة وادي المخازن سنة ١٥٧٨ م عاملا أساسيا في انتصار المسلمين. لذا لم يكن ذلك انتصارا للمغرب على البرتغال فقط، بل كان كذلك انتصارا للأندلسيين على الإسبان الذين حاربوا بأعداد كبيرة ضد المغرب في الجيش البرتغالي. وفعلا ارتعبت بعده إسبانيا من تدخل مغربي في الأندلس لصالح المسلمين. ونتج عن معركة وادي المخازن مقتل ملك البرتغال ومحمد المتوكل والسلطان عبد الملك المعتصم، وبويع المتوكل أبو العباس أحمد المنصور خلفا لهذا الأخير. كما نتج عنها ضياع استقلال البرتغال التي اندمجت بعدها في إسبانيا لمدة طويلة.

هذه مساعدة الأندلسيين للسلطان عبد الملك المعتصم فما هي مساعدته لهم في الدفاع عن الأندلس؟ في الحقيقة، لم يهتم عبد الملك بمساعدة الأندلسيين في مقاومتهم ضد الإسبان، بل كان يرى فيهم مخزن الرجال لجيوشه ولتعمير مدن المغرب. وكباقي السلاطين السعديين، أدى الخوف من الدولة العثمانية بعبد الملك إلى التحالف مع الإسبان، ضد مصالح المغرب العليا، وعلى حساب الأندلسيين.

ووصل به الحال إلى أن عرض مرتين على الملك فليبي الثاني، أعدى عدو للإسلام والمسلمين، مشروع حلف مغربي – إسباني دفاعي – هجومي ضد الدولة العثمانية، يتضمن فتح البلدين لتجارة رعاياهما وعدم مساعدة أي طرف لمعارضي الطرف الثاني، أي يتعهد عبد الملك بعدم مساعدة المورسكيين مقابل مساندة

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/١٠٩

إسبانيا في مقاومته للعثمانيين.

وبعد استشهاد عبد الملك المعتصم في معركة وادي المخازن بويع أخوه أبو العباس أحمد المنصور (١٥٧٨ م – ١٦٠٣ م) الذي تابع سياسة سلفه في علاقته مع الأندلسيين. إذ كان هو الآخر يرى في الدولة العثمانية عدوه الأول، وفي الهجرة الأندلسية الرجال لجيشه والسكان لمدن المغرب. ولذلك تركزت آمال الأندلسيين أكثر فأكثر على العثمانيين، مما جعلهم مشبوهين لدى المنصور. فقتل زعماءهم الذين أبلوا معه البلاء الحسن في معركة وادي المخازن وكانوا سببا في انتصار المسلمين، وهم سعيد بن فرج الدغالي وابن أخيه محمد ومحمد زرقون وأبو الفضل الغري وغيرهم.." (١)

"عندما انتقلت الخلافة إلى بني أمية أصبحت دمشق مقر الخلافة ومركز القيادة العليا للإدارة العسكرية، فكان الخليفة بها هو الذي يقرر السياسة الحربية كما كان مسئولا عن الحرب والسلم فكان التنظيم الإداري العام للجيش أمرا من الأمور المركزية التي يشرف الخليفة مباشرة عليها٢٤٥٩، وذلك بالرغم من وجود عمال الولايات والأقاليم الذين كان لهم مطلق السلطات والتي منها قيادة الجيوش بأنفسهم أو تعيين القادة المناسبين من قبلهم ووضع الخطط لهم وإمدادهم وتموينهم ومن أمثلة هؤلاء زياد بن أبيه وابنه عبيد الله٢٤٦٠، فمن مركزية القيادة لإدارة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في تعيين القادة أنه كتب إلى واليه بالبصرة زياد بن أبيه يأمره أن يوجه إلى خراسان رجلا يقوم بأمرها فولى زياد الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه، وكتب له عهده على خراسان وولاه حربها، وخراجها وسار إليها بمن يريد الجهاد في سبيل الله، من المتطوعة من أهل البصرة، إضافة إلى الجند النظامي أصحاب الديوان، فوضع لهم الأرزاق، وأعطاهم وقواهم وسار لما أمر به٢٤٦١. ومن مركزية القيادة العليا في إدارة معاوية العسكرية تسيير الجيوش والإمدادات العسكرية لها، فنرى القائد، علقمة بن يزيد الغطيفي كتب إليه قائلا: إنك خلفتني بالإسكندرية وليس معي إلا اثنا عشر ألفا ما يكاد بعضنا يرى بعض من القلة فكتب إليه الخليفة معاوية: إني قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة الآف من أهل المدينة، وأمرت معن بن يزيد السلمي أن يكون بالرملة في أربعة الآف مسكين بأعنة خيولهم متى يبلغهم عنك فزع يعبروا إليك٢٤٦٢.

سابعا: الألوية والرايات:." (٢)

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/١٤٤

(٢) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٢/٥٠

"٣ ـ سجستان: ولى الخليفة عبد الملك: أمية بن عبد الملك بن خالد بن أسيد بن أبي العيص فوجه هذا ابنه عبد الله فصالحه رتبيل القائم على ثلاثمائة ألف درهم، ولما بلغ الخليفة ذلك عزله، ثم ولى الحجاج عام ٧٨هـ عبيد الله بن أبي بكرة فلبث سنة بلا غزو، وفي السنة التالية تحرك لمناجزة رتبيل الذي كان مصالحا، ولكنه يؤدي الخراج حينا ويمنع حينا آخر، فقام عبيد الله بن أبي بكرة عام ٧٩هـ، ومضى إليه غازيا حتى دخل بلاده، فأصاب منها الغنائم وهدم الحصون وغلب على أرض من أرضيهم وهرب أتباع رتبيل من الترك أمام جحافل المسلمين، حتى اقتربوا من عاصمتهم كابل، فأخذ الترك على المسلمين الشعاب والمسالك، فسقط في أيديهم المسلمين حتى شعر الجنود المسلمين بالضيق والهلاك، مما دفع عبيد الله بن أبي بكرة إلى مصالحة رتبيل ليمكن المسلمين الخروج من أرض الترك سالمين٤٨١١، وكان بين المقاتلين أحد الزهاد ممن يعشق الجهاد، ويعرف باسم شريح بن هانيء، فقام شريح ودعا الجنود إلى الاستمرار في القتال لطلب الشهادة ومما جاء في دعوته: يا أهل الإسلام، من أراد منكم الشهادة فإلي: فاتبعه أناس من المتطوعة وفرسان الناس، وأهل الحفاظ فقاتلوا الترك حتى أصيبوا إلا قليلا، وعادوا من بلاد رتبيل فاستقبلهم الناس بالأطعمة، فكان أحدهم إذا أكل وشبع مات، وبذلك لم تحقق هذه الغزوة أهدافها العسكرية مما دفع الحجاج إلى استئذان الخليفة عبد الملك بإرسال جيش جديد٤٨١٢، يعيد للدولة هيبتها ومكانتها٤٨١٣، فأعد الحجاج في عام ٨٠هـ جيشا قويا من أهل الكوفة بلغ عدد عسكره أربعين ألفا، عشرون ألفا من الكوفة ومثلهم من البصرة وتشجيعا للجنود ورفعا لروحهم المعنوية أعطاهم أعطياتهم مسبقة، وأنفق فيها الأموال، وأنجدهم بالخيل والسلاح، حتى سمي هذا الجيش ((جيش الطواويس)) فقد بلغت الأموال التي أنفقها على تجهيزه سوى الأعطيات مليونِي درهم٤٨١٤، واختار لهذا الجيش الكبير عبد الرحمن." (١)

"٢- إلتفاف الشعب حول القيادة، تم إلتحام القبائل والطرق الصوفية وأهل المدن لأن المعركة كانت حاسمة في تاريخ الاسلام وفاصلة في تاريخ المغرب وكان الشيخ ابو المحاسن الفاسي زعيم الطريقة الشاذلية الجزولية لا يكل ولا يمل في شحذ الهمم ورفع المعنويات وقد قاد هذا الشيخ أحد جناحي الجيش المغربي وأبلى بلاء حسنا رائعا وثبت الى أن منح الله المسلمين النصر، وركبوا أكتاف العدو يقتلون ويأسرون وتورع أبو المحاسن عن الغنيمة بعد الانتصار العظيم ، وعف عنها، ولم يأخذ منها شيئا(١).

وأظهر عبدالملك المعتصم بالله وأخوه ابوالعباس والقادة العثمانيون عبقرية فذة في المعركة.

---

(١) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٣٤/٣

" لقد حنكت التجارب عبدالملك المعتصم بالله، فعزل عدوه عن اسطوله بالشاطئ بمكيدة عظيمة، وخطة مدروسة حكيمة، عندما استدرج سبستيان الى مكان حدده عبدالملك ميدانا للمعركة. وكان عزله عن أسطوله محكما عندما أمر عبدالملك بالقنطرة أن تهدم ووجه إليها كتيبة من الخيل بقيادة أخيه المنصور فهدمها"(٢).

لقد جعل عبدالملك المدفعية في المقدمة، ثم صفوف للرماة المشاة، وجعل قيادته في القلب وعلى المجنبتين رماه فرسان والقوى الاسلامية **المتطوعة** وجعل مجموعة من الفرسان كقوة احتياطية لتنقض في الوقت المناسب وهي في غاية الراحة لمطاردة فلولا البرتغاليين ، واستثمار النصر(٣).

كان صباح الاثنين ٣٠ جمادى الآخرة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م يوما مشهودا في تاريخ المغرب، ويوما خالدا في تاريخ الاسلام.

وقف السلطان عبدالملك المعتصم بالله خطيبا في جيشه، مذكرا بوعد الله للصادقين المجاهدين بالنصر(٤) :

﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (الحج: آية ٤٠).

﴿ وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ (الانفال: آية ١٠).

كما ذكر بوجب الثبات:

---

(١) المصدر السابق نفسه ، ص٥٨.

(٢) انظر: وادي المخازن ، ص٦٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص٦٢.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص٦٢.." [١]

"وفي سنة ١٨٩، صلب الإمام الحكم اثنين وسبعين رجلا بقرطبة، منهم أبو كعب بن عبد البر، ويحيى بن مضر، ومسرور الخادم. وكان السبب في ذلك أنهم أرادوا الغدر به، وهموا بالخلاف عليه؛ وطلبوا رئيسا يقومون به. فوقع الخبر علي محمد بن القاسم عم هشام بن حمزة، وأطلعوا على أمرهم، ودعوه للقيام معهم؛ فخذلهم، وأفشى سرهم، وتقرب إلى الحكم بدمائهم. فتثبت الحكم، وسأله تصحيح ما رفع إليه؛ فقال له:)هات أمناءك!(فأخفاهم عنده، ووجه عنهم لميعاده؛ ثم قال لهم:)هذا الذي تدعونني إليه لا أثق

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ١/٣٥٠

بمن سميتم، دون أن أسمع منهم كما سمعت منكم؛ فتطيب نفسي، وأدخل في الأمر على قوة وبصيرة!(فأتوه، وسمه مقالتهم، والأمناء بحيث يرون ويسمعون. فلما صح عند الحكم أمرهم بشهادة الأمناء عليهم، أخذهم وصلبهم جميعا بمردة واحدة. ثم أتقن سور قرطبة وحفر خندقها، وتوجه غازيا إلى بلاد المشركين.

ومن قوله)طويل(:

رأيت صدوعِ الأرض بالسيف رافعا ... وقدما لأمت الشعث مذ كنت يافعا

فسائل ثغوري هل بها الآن ثغرة ... أبادرها مستنضي السيف دارعا

وشافه على الأرض الفضاء جماجما ... كأقحاف شريان الهبيد لوامعا

تنبئك أني لم أكن عن قراعهم ... بوان وأني كنت بالسيف قارعا

فإني إذا حادوا جزاعا عن الردى ... فلم أك ذا حيد عن الموت جازعا

حميت ذماري وانتهكت ذمارهم ... ومن لا يحامي ظل خزيان ضارعا

ولما تساقينا سجال حروبنا ... سقيتهم سما من الموت نافعا

وهل زدت أن وقيتهم صاع قرضهم ... فوافوا منايا قدرت ومصارعا

فهاك بلادي إنني قد تركتها ... مهادا ولم أترك عليها منازعا

وفي سنة ١٩٠، خرج الأمير الحكم غازيا إلى ماردة. فلما وصلها، احتلها وحاصرها)وكان بها أصبغ بن عبد الله بن وانسوس ثائرا(وإذا بالخبر وصله أن سواد أهل قرطبة أعلنوا بالنفاق، وتداعوا إلى صاحب السوق بالسلاح؛ وكتب المخلفون إلى الحكم بما حدث بعده وبما ظهر من ضمائر السفلة؛ فصدر قافلا، وطوى المراحل، وقطع الطريق في ثلاثة أيام، ودخل القصر. فهدأ الناس، وسكنت الأحوال، وصار الناس في هدوء وسكون من سنة ١٩٠ إلى سنة ٢٠٢، والتزموا الدعة اثني عشر سنة.

وترددت الغزوات سبعة أعوام إلى ماردة، وبها أصبغ بن عبد الله ثائرا متمنعا. وكان سبب ثورته أن عدوا لأصبغ طالبه عند الحكم وأغراه عليه. ثم مشى إلى أصبغ بمثل ذلك، وروعه منه؛ فتوقع العقوبة والسطوة به. فكان ذلك سبب دخوله ماردة وقيامه بها. وتكررت الغارات عليه سبعة أعوام؛ فافتتحت في العام السابع بمحاولة انجلت عن طلب الأمان لأصبغ فأمن، وخرج من ماردة، وصار في مصف الحكم؛ فسكن قرطبة؛ ثم فسح له في الاختلاف إلى ضياعه بماردة حتى التاث أمرها، واضطربت حالها.

وفي سنة ١٩٢، خرج رذريق صاحب إفرنجة إلى جهة طرطوشة؛ فأغزى الحكم ابنه عبد الرحمن في جيش كثيف، وكتب إلى عمروس وعبدون عاملي الثغر بالغزو معه بجميع أهل الثغر. فتقدم عبد الرحمن بالجنود،

وتوافت عليه الحشود، وحفت به **المطوعة**. فألفوا الطاغية خارجا إلى بلاد المسلمين. ودارت بينهم حروب شديدة ، ثبت الله فيها أقدام المسلمين. فانهزم المشركون؛ وكانت فيهم مقتلة عظيمة؛ ففنى أكثرهم.." (١)

"@ ١٩٠ @ $ ثم دخلت سنة تسع وسبعين $ $ ذكر غزو عبيد الله بن أبي بكرة رتبيل $ # لما ولى الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة سجستان وذلك سنة ثمان وسبعين مكث سنة لم يغز وكان رتبيل مصالحا وكان يؤدي الخراج وربما امتنع منه فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة يأمره بمناجزته وأن لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيد رجاله فسار عبيد الله في أهل البصرة وأهل الكوفة وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ وكان من أصحاب علي ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فأصاب من الغنائم ما شاء وهدم حصونا وغلب على أرض من أراضيهم وأصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم أرضا بعد أرض حق أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فأخذوا على المسلمين في أيدي المسلمين فظنوا أن قد هلكوا فصالحهم عبيد الله على سبعمائة ألف درهم يوصلها إلى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من أرضه فلقيه شريح فقال له إنكم لا تصالحون على شيء إلا حسبه السلطان من أعطياتكم وقد بلغت من العمر طويلا وقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان وإن فاتتني اليوم الشهادة ما أدركها حتى أموت ثم قال شريح يا أهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له ابن أبي بكرة إنك شيخ قد خرقت فقال له شريح إنما حسبك أن يقال بستان عبيد الله وحمام عبيد الله يا أهل الإسلام من أراد منكم الشهادة فإلي فاتبعه ناس من **المتطوعة** غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا وجعل شريح يرتجز ويقول # (أصبحت ذا بث أقاسي الكبرا ٪ قد عشت بين المشركين أعصرا) # (ثمة أدركنا النبي المنذرا ٪ وبعده صديقه وعمرا)." (٢)

"@ ٣٠٥ @ والورق وكل شيء غير التراب وسليمان مقيم بدابق ودخل الشتاء فلم يقدر أن يمدهم حتى مات وفي هذه السنة بايع سليمان لابنه أيوب بولاية العهد فمات أيوب قبل أبيه # وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقالبة وكان برجان قد أغار على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة من الناس فكتب إلى سليمان يستمده فأمده فمكرت بهم الصقالبة ثم انهزموا وفيها غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس فأصيب ناس من أهل انطاكية وأصاب الوليد ناسا من ضواحي الروم وأسر منهم بشرا كثيرا $ ذكر فتح جرجان وطبرستان $ # في هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان وسبب غزوهما

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/١٧٠

(٢) الكامل في التاريخ، ٤/١٩٠

واهتمامه بهما أنه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام فكان سليمان كلما فتح قتيبة فتحا يقول ليزيد ألا ترى إلى ما يفتح الله على قتيبة فيقول يزيد ما فعلت جرجان التي قطعت الطريق وأفسدت قومس ونيسابور ويقول هذه الفتوح ليست بشيء الشأن هي جرجان فلما ولاه سليمان خراسان لم يكن له همة غير جرجان فسار إليها في مائة ألف من أهل الشام والعراق وخراسان سوى الموالي **والمتطوعة** ولم تكن جرجان يومئذ مدينة إنما هي جبال ومخارم وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد فابتدأ بقهستان فحاصرها وكان أهلها طائفة من الترك وأقام عليها وكان أهلها يخرجون ويقاتلون فيهزمهم المسلمون في كل ذلك فإذا هزموا دخلوا الحصن فخرجوا ذات يوم وخرج إليهم الناس فاقتتلوا قتالا شديدا فحمل محمد بن أبي سبرة على تركي قد صد الناس عنه فاختلفا ضربتين فثبت سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة وضربه ابن ابي سبرة فقتله ورجع وسيفه يقطر دما وسيف التركي في بيضته فنظر الناس إلى أحسن منظر رأوه وخرج يزيد بعد ذلك يوما ينظر مكانا يدخل منه عليهم وكان في أربعمائة من وجوه الناس وفرسانهم فلم يشعروا حتى هجم عليهم الترك في نحو أربعة آلاف فقاتلوهم ساعة وقاتل يزيد قتالا شديدا فسلموا وانصرفوا وكانوا قد عطشوا فانتهوا إلى الماء فشربوا ورجع عنهم العدو # ثم إن يزيد ألح عليهم في القتال وقطع عنهم المواد حتى ضعفوا وعجزوا فأرسل صول دهقان قهستان إلى يزيد يطلب منه أن يصالحه ويؤمنه على نفسه وأهله وماله." (١)

"@ ٤٠٦ @ $ ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة $ $ ذكر ولاية مروان بن محمد أرمينية واذربيجان $ # في هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان وهو ابن عمه على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية وكان سبب ذلك أنه كان عسكر في مسلمة بارمينية حين غزا الخزر فلما عاد مسلمة سار مروان إلى هشام فلم يشعر به حتى دخل عليه فسأله عن سبب قدومه فقال ضقت ذرعا بما اذكره ولم أر من يحمله غيري قال وما هو قال مروان قد كان من دخول الخزر إلى بلا الاسلام وقتل الجراح وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين ثم رأى أمير المؤمنين أن يوجه أخاه مسلمة بن عبد الملك إليهم فوالله ما وطئ من بلادهم إلا أدناها ثم انه لما رأى كثرة جمعه أعجبه ذلك فكتب إلى الخزر يؤذنهم بالحرب وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر فاستعد القوم وحشدوا فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية وكان فصاراه السلامة وقد أردت ان تأذن لي في غزوة أذهب بها عنا العار وانتقم من العدو قال قد أذنت لك قال وتمدني بمائة وعشرين ألف مقاتل قال قد فعلت قال وتكتم هذا الأمر عن كل واحد قال قد فعلت وقد استعملتك على أرمينية فودعه وسار إلى أرمينية واليا عليها وسير هشام الجنود من الشام والعراق والحزيرة

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٠٥/٤

فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة وعشرون ألفا فأظهر أنه يري غزو اللان وقصد بلادهم وأرسل إلى ملك الخزر يطلب منه المهادنة فأجابه إلى ذلك وأرسل اليه من يقر الصلح فأمسك الرسول عنده إلى أن فرغ من جهازه وما ير يد ثم أعلظ له م القول وأذنهم بالحرب وسير الرسول إلى صاحبه بذلك ووكل به من يسيره على طريق فيه بعد وسار هو في أقرب الطرق فما وصل الرسول إلى صاحبه إلا ومروان قد وافاهم فأعلم صاحبه الخبر وأخبره بما قد جمع له مروان وحشد واستعد." (١)

"@ ٢٣٤ @ عاد العباس وجه المهدي إليه أبا هريرة محمد بن فروخ القائد في ألف من صاحبه ذوي البصائر في التشيع للمهدي وجعل مع كل واحد منهم طبلا وأمرهم أن يضربوا طبولهم جميعا عند قدومهم إليه فوصلوا سحرا وضربوا طبولهم فارتاع عيسى روعا شديدا ودخل عليه أبو هريرة وأمره بالشخوص معه فاعتل بالشكوى فلم يقبل منه وأخذه معه فلما قدم عيسى بن موسى نزل دار محمد بن سليمان فيعسكر المهدي فأقام أياما يختف إلى المهدي ولا يكلم بشيء ولا يرى مكروها فحضر الدار يوما قبل جلوس المهدي فجلس في مقصورة للربيع وقد اجتمع شيعة رؤساء المهدي على خلعه فثاروا به وهو في المقصورة فاغلق الباب دونهم فضربوا الباب بالعمد حتى هشموه وشتموه عيسى اقبح الشتم واظهر المهدي إنكارا لما فعلوه فلم يرجعوا فبقوا في ذلك أياما إلى أن طائفة أكابر أهل بيته وكان أشدهم عليه محمد بن سليمان وألح عليه المهدي فأبى وذكر أن عليه ايمانا في أهله وماله فاحضر له من القضاة والفقهاء عدة منهم محمد بن عبد الله بن علاثة ومسلم بن خالد الزنجي فافتوه بما رأوه فأجاب إلى خلع نفسه فأعطاه المهدي عشرة آلاف ألف درهم وضياعا بالزاب وكسكر وخلع نفسه لأربع بقين من المحرم وبايع للمهدي ولابنه موسى الهادي ثم جلس المهدي من الغد واحضر أهل بيته واخذ بيعتهم ثم خرج إلى الجامع وعيسى معه فخطب الناس وأعلمهم بخلع عيسى والبيعة للهادي ودعاهم إلى البيعة فسارع الناس إليها واشهد على عيسى بالخلع فقال بعض الشعراء # (كره الموت أبو موسى وقد ٪ كان في الموت نجاة وكرم) # (خلع الملك واضحى ملبسا ٪ ثوب لوم ما ترى منه القدم) # (الرحبة) بضم الراء قرية عند الكوفة و (صبح) بضم الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة $ ذكر فتح مدينة باربد $ # كان المهدي قد سير سنة تسع وخمسين ومائة جيشا في البحر وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعي إلى بلاد الهند في جمع كثير من

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤/٤٠٦

الجند **والمتطوعة** وفيهم الربيع بن صبيح فساروا حتى نزلوا على باربد فلما نازلوها حصروها من نواحيها وحرض الناس بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا أهلها ففتحها الله عليهم هذه السنة." (١)

"@ ٢٤٢ @ $ ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة $ $ ذكر قتل عبد السلام الخارجي $ # وفي هذه السنة قتل عبد السلام بن هاشم اليشكري يقنسرين وكان قد خرج بالجزيرة فاشتدت شوكته وكثر أتباعه فلقيه عدة من قواد المهدي فيهم عيسى بن موسى القائد فقتله في عدة ممن معه وهزم جماعة من القواد فيهم شبيب بن واج المروروذي فندب المهدي إلى شبيب ألف فارس وأعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة فوافوا شبيبا فخرج بهم في طلب عبد السلام فهرب منه فأدركه بقنسرين فقاتله فقتله بها $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة وضع المهدي ديوان الأزمة وولي عليها عمرو بن مربع مولاه وأجرى المهدي على المجذمين وأهل السجون الأرزاق في جميع الأفاق # وفيها خرجت الروم إلى الحدث فهدموا سورها وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألف مرتزق سوى **المتطوعة** فبلغ حمة أذرولية واكثر التحريق والتخريب في بلاد الروم ولم يفتح حصنا ولا لقي جمعا وسمته الروم التنين وقالوا إنما أتى الحمة ليغتسل من مائها للوضح الذي به ورجع الناس سالمين وفيها غزا." (٢)

"@ ٣٤٢ @ الاتباع **والمتطوعة** ومن لا ديوان له وأناخ عبد الله بن مالك على ذي الكلاع ووجه داود بن عيسى بن موسى سائرا في أرض الروم في سبعين ألفا يخرب وينهب ففتح الله عليه # وفيتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسة وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقونية واستعمل حميد بن معيوف على سواحل الشام ومصر فبلغ قبرس فهدم وأحرق وسبى من أهلها سبعة عشر ألفا فأقدمهم الرافقة فبيعوا بها وبلغ فداء أسقف قبرس ألفي دينار ثم سار الرشيد إلى طوانة فنول بها ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وبعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير وعن رأس ولده دينارين وعن بطارقته كذلك وكتب نقفور إلى الرشيد في جارية من سبي هرقلة كان خطبها فارسلها اليه $ ذكر عدة حوادث $ # وخرج في هذه السنة خارجي من ناحية عبد القيس يقال له سيف بن بكير فوجه إليه الرشيد محمد بن يزيد بن مزيد فقتله بعين النورة وفيها نقض أهل قبرض العهد فغزاهم معيوف بن يحيى فسبى أهلها # وحج بالناس عيسى بن موسى الهادي وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون وقيل بل أسلم أبوه سهل على يدي المهدي وكان محبوسا وقيل أسلم الفضل وأخوه الحسن على يد يحيى بن خالد

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٣٤/٥

(٢) الكامل في التاريخ، ٢٤٢/٥

فاختاره يحيى لخدمة المأمون فلهذا كان الفضل يرعى البرامكة ويثنى عليهم ولقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزراة والسيف وكان يتشيع وهو الذي اشار على المأمون بالعهد لعلي بن موسى الرضا عليه السلام # وكان على الموصل هذه السنة خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب لوما." (١)

"@ ٣٤٦ @ فوصل إلى قرطبة في ثلاثة أيام وكشف عن الذين أثاروا الفتنة فصلبهم منكسين وضرب أعناق جماعة فارتدع الباقون بذلك واشتدت كراهيتهم له ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون ومرة يعصون إلى سنة اثنتين وتسعين فضعف أمر أصبغ لأن الحكم تابع إرسال الجيوش إليه واستعمال جماعة من أعيان أهل ماردة وثقاته من أصحابه فمالوا إليه وفارقوا أصبغ حتى أخوه فتحير اصبغ وضعفت نفسه فأرسل يطلب الأمان فأمنه الحكم ففارق ماردة وحضر عند الحكم وأقام عنده بقرطبة $ ذكر غزو الفرنج بالأندلس $ # في هذه السنة تجهز لذريق ملك الافرنج بالأندلس وجمع جموعه ليسير إلى مدينة طرطوشة ليحصرها فبلغ ذلك الحكم فجمع العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن فاجتمعوا في جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة فساروا فلقوا الافرنج في أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد المسلمين شيئا فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفذ وسعه فانزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الكفار وكثر القتل فيهم والاسر ونهبت أموالهم وأثقالهم وعاد المسلمونت ظافرين غانمين $ ذكر عصيان حزم على الحكم $ # في هذه السنة خالف حزم بن وهب بناحية باجة ووافقه غيره وقصدوا لشبونة وكان الحكم يسمى حزما في كتبه النبطي فلما سمع الحكم خبره سير إليه ابنه هشاما في جمع كثير فأذله ومن معه وقطع الأشجار وضيق عليهم حتى أذعنوا لطلب الأمان فأمنه $ ذكر عزل علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاية هرضمة $ # وفيها عزل الرشيد علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان وكان سبب ذلك ما ذكرناه من قتل ابنه عيسى فلما قتل جزع عليه أبوه فخرج عن بلخ إلى مرو مخافة عليها أن يسير إليها رافع بن الليث ليأخذها وكان ابنه عيسى قد دفن في بستان في داره." (٢)

"@ ٤٣٠ @ الكوفة فنزل بقصر ابن هبيرة فلم يشعر غسان إلا وقد أحاط به حميد الطوسي فأخذه أسيرا وقتل من أصحابه وذلك لأربع خلون من رجب وسير منصور بن المهدي محمد بن يقطين في عسكر إلى حميد فسار حتى أتى كوثر فلم يشعر بشيء حتى هجم عليه حميد وكان بالنيل فقاتله قتالا شديدا وانهزم ابن يقطين وقتل من أصحابه وأسر وغرق بشر كثير ونهب حميد ما حول كوثى من القرى ورجع

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٤٢/٥

(٢) الكامل في التاريخ، ٣٤٦/٥

حميد إلى النيل وابن يقطين أقام بنهر صرصر # وأحصى عيسى بن محمد بن أبي خالد من في عسكره وكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا بين فارس وراجل فأعطى الفارس أربعين درهما والراجل عشرين درهما $ ذكر أمر المتطوعة بالمعروف $ # وفي هذه السنة تجردت المتطوعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان سبب ذلك أن فساق بغداد والشطار آذوا الناس أذى شديدا وأظهروا الفسق وقطعوا الطريق وأخذوا النساء والصبيان علانية وكانوا يأخذون ولد الرجل وأهله فلا يقدر أن يمتنع منهم وكانوا يطلبون من الرجل أن يقرضهم أو يصلهم فلا يقدر على الامتناع وكانوا ينهبون القرى لا سلطان يمنعهم ولا يقدر عليهم لأنه كان يغريهم وهم بطانته وكانوا يمسكون المجتازين في الطريق ولا يعدي عليهم أحد وكان الناس معهم في بلاء عظيم وآخر أمرهم أنهم خرجوا إلى قطربل وانتهبوها علانية وأخذوا العين والمتاع والدواب فباعوها ببغداد ظاهرا واستعدى أهلها السلطان فلم يعدهم وكان ذلك آخر شعبان فلما رأى الناس ذلك قام صلحاء كل ربض ودرب ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا إنما في الدرب الفاسق والفاسقان إلى العشرة وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفساق ولعجزوا عن الذي يفعلونه # فقام رجل يقال له خالد الدريوش فدعا جيرانه وأهل محلته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأجابوه إلى ذلك فشد على من يليه من الفساق والشطار فمنعهم وامتنعوا عليه وأرادوا قتاله فقاتلهم فهزموهم." (١)

"@ ٤٩١ @ $ ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين $ $ ذكر قتل محمد الطوسي $ # فيها قتل محمد بن حميد الطوسي قتله بابك الخرمي وسبب ذلك انه لما فرغ من أمر المتغلبين على طريقه إلى بابك سار نحوه وقد جمع العساكر والآلات والميرة فاجتمع معه عالم من المتطوعة من سائر الأمصار فسلك المضائق إلى بابك وكان كلما تجاوز مضيقا أو عقبة ترك عليه من يحفظه من أصحابه إلى أن ينزل بهشتادسر وحفر خندقا وشاور في دخول بلد بابك فأشاروا عليه بدخوله من وجه ذكروه له فقبل رأيهم وعبى أصحابه وجعل على القلب محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي المعروف بابي سعيد وعلى الميمنة السعدي بن اصرم وعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليقطيني ووقف محمد بن حميد خلفهم في جماعة ينظر إليهم ويأمرهم بسد خلل أن رآه فكان بابك يشرف عليهم من الجبل وقد كمن لهم الرجال تحت كل صخرة فلما تقدم أصحاب محمد وصعدوا في الجبل مقدار ثلاثة فراسخ خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك إليهم فيمن معه وانهزم الناس فأمرهم أبو سعيد ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ومروا على وجوههم والقتل يأخذهم وصبر محمد بن حميد مكانه وفر من مكان معه غير رجل واحد وسارا يطلبان الخلاص

---

(١) الكامل في التاريخ، ٥/٤٣٠

فرأى جماعة وقتالا فقصدهم فرأى الخرمية يقاتلون طائفة من أصحابه فحين رآه الخرمية قصدوه لما رأوا من حسن هيئته فقاتلهم وقاتلوه وضربوا فرسه بمزراق فسقط إلى الأرض واكبوا على محمد بن حميد فقتلوه وكان محمد ممدوحا جوادا فرثاه الشعراء واكثروا منهم الطائي فلما وصل خبر قتله إلى المأمون عظل ذلك عنده واستعمل عبد الله بن طاهر على قتال بابك فسار نحوه $ ذكر حال أبي دلف مع المأمون $ كان أبو دلف من أصحاب محمد الامين وسار مع علي بن عيسى بن ماهان إلى." (١)

"@ ٣١ @ من **المتطوعة** فعبروا إلى جعفر بغير أمر الأفشين وتعلقوا بالبذ وأثروا فيه أثرا وكادوا يصعدونه فيدخلون البذ ووجه جعفر إلى الأفشين أن أمدني بخمسمائة راجل من الناشبة فإني أرجو أن أدخل البذ إن شاء الله تعالى فبعث إليه الأفشين إنك أفسدت علي أمري فتخلص قليلا وخلص أصحابك وانصرف وارتفعت الصيحة من **المتطوعة** حتى تعلقوا بالبذ وظن الكمناء الذي لبابك أن الحرب قد اشتبكت فوثب بعضهم من تحت بخاراخذاه ووثب بعضهم من ناحية أخرى فتحركت الكمناء من الخرمية والناس على رؤوسهم فلم يزل منهم أحد # فقال الأفشين الحمد لله الذي بين مواضع هؤلاء ورجع جعفر وأصحابه **والمتطوعة** فجاء جعفر إلى الأفشين فأنكر عليه حيث لم يمده وجرى بينهما نفرة شديدة وجاء رجل من **المتطوعة** ومعه ضخرة فقال للأفشين أتردنا وهذا الحجر أخذته من السور فقال إذا انصرفت عرفت من على طريقك يعني الكمين الذي عند بخاراخذاه وقال لجعفر لوثار هذا الكمين الذي تحتك كيف كنت ترى هؤلاء **المتطوعة** ثم رجع هو وأصحابه على عادتهم فلما رأى هؤلاء الكمين الذي عند بخاراخذاه علموا ما كان وراءهم فإن بخاراخذاه لو تحرك نحو القتال لملكوا ذلك الموضع وهلك المسلمون عن آخرهم فأقام الأفشين بخندقه أياما فشكا **المتطوعة** إليه ضيق العلوفة والزاد والنفقة فقال من صبر فليصبر ومن لا فالطريق واسع فلينصرف وفي جند أمير المؤمنين كفاية فانصرف **المتطوعة** يقولون لو ترك الأفشين جعفرا وتركنا لأخذنا البذ لكنه يشتهي المطاولة فبلغه ذلك وما تناوله **المتطوعة** بألسنتهم حتى قال بعضهم إني رأيت رسول الله في المنام قال لي قل للأفشين إن أنت حاربت هذا وجددت في أمره وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة فتحدث الناس بذلك فبلغ الأفشين فأحضره وسأله عن المنام فقصه عليه فقال الله يعلم نيتي وما أريد بهذا الخلق وإن الله لو أمر الجبال برجم أحد لرجم هذا الكافر فكفانا مؤنته فقال رجل من **المتطوعة** أيها الأمير لا تحرمنا شهادة إن كانت حضرت وإنما قصدنا ثواب الله ووجهه فدعنا وحدنا حتى نتقدم بعد أن يكون بإذنك لعل الله أن يفتح علينا فقال الأفشين إني أرى نياتكم حاضرة وأحسب هذا الأمر

---

(١) الكامل في التاريخ، ٥/٤٩١

يريده الله تعالى وهو خير إن شاء الله تعالى وقد نشطتم ونشط الناس وما كان هذا رأيي وقد حدث الساعة لما سمعت من كلامكم اعزموا على بركة الله أي يوم أردتم حتى نناهضه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فخرجوا مستبشرين فتأخر من أراد الانصراف." (١)

"@ ٣٢ @ # ووعد الأفشين الناس ليوم ذكره لهم وأمر الناس بالتجهز وحمل المال والزاد والماء وجعل المحامل على البغال تحمل الجرحى وزحف بالناس ذلك اليوم وجعل بخاراخذاه بمكانه على العقبة وجعل الأفشين بالمكان الذي كان يجلس فيه وقال لأبي دلف قل للمتطوعة أي ناحية أسهل عليكم فاقتصروا عليها فقال لجعفر العسكر كله بين يديك والناشبة والنفاطون فإن أردت فخذ منهم ما تريد واعزم على بركة الله وتقدم من أي موضع تريده فسار إلى الموضع الذي كان به ذلك اليوم وقال لأبي سعيد قف عندي أنت وأصحابك وقال لجعفر قف أنت ههنا لمكان عينه له فإن أراد جعفر رجالا أو فرسانا أمددناه وتقدم جعفر والمتطوعة فقاتلوا وتعلقوا بسور البذ وضرب جعفر باب البذ ووقف عنده يقاتل عليه ووجه الأفشين إليه وإلى المتطوعة بالأموال لتفرق فيهم ويعطى من تقدم وأمدهم بالفعلة معهم الفؤوس وبعث إليهم بالمياه لئلا يعطشوا وبالكعك والسويق فاشتبكت الحرب على الباب طويلا ففتحت الخرمية الباب وخرجوا على أصحاب جعفر فنحوهم عن الباب وشدوا على المتطوعة من الناحية الأخرى فطرحوهم عن السور ورموهم بالصخر وأثروا فيهم وضعفوا عن الحرب وأخذ جعفر من أصحابه نحو مائة رجل فوقفوا خلف تراسهم متحاجزين لا يقدم أحد على الآخر فلم يزالوا كذلك حتى صليت الظهر فتحاجزوا # وبعث الأفشين الرجالة الذي كانوا عنده نحو المتطوعة وبعث إلى جعفر بعضهم خوفا أن يطمع العدو فقال جعفر لست أوتى من قلة ولكني لا أرى للحرب موضعا يتقدمون فيه فأمره بالانصراف فانصرف وحمل الأفشين الجرحى ومن به وهن من حجر فحملوا في المحامل على البغال وانصرفوا عنهم وأيس الناس من الفتح تلك السنة وانصرف أكثر المتطوعة ثم إن الأفشين تجهز بعد جمعيتن فلما كان جوف الليل بعث الرجالة الناشبة وهم ألف رجل وأعطى كل واحد منهم شكوة وكعكا وأعطاهم أعلاما غير مركبة وبعث معهم أدلاء فساروا في جبال منكرة صعبة في غير طريق حتى صاروا خلف التل الذي يقف أذين عليه وهو جبل شاهق وأمرهم أن لا يعلم بهم أحد حتى إذا رأوا أعلام الأفشين وصلوا الغداة ورأوا الوقعة ركبوا تلك الأعلام في الرماح وضربوا الطبول

(١) الكامل في التاريخ، ٣١/٦

وانحدروا من فوق الجبل ورموا بالنشاب والصخر على الخرمية وإن هم لم يروا الأعلام لم يتحركوا حتى يأتيهم خبره ففعلوا ذلك فوصلوا إلى رأس الجبل عند السحر." (١)

"@ ١١٤ @ منه الماء وتلقى فيه الأقذار فدخل المسلمون كلهم فوضعوا السيف في الروم وفتحوا الأبواب # وجاء العباس في باقي العسكر فدخلوا المدينة وصلوا الصبح يوم الخميس منتصف شوال وبنى فيها في الحال مسجدا ونصب فيه منبرا وخطب فيه يوم الجمعة وقتل من وجد فيها من المقاتلة وأخذوا ما فيها من بنات البطارقة بحليهن وأبناء الملوك وأصابوا فيها ما يعجز الوصف عنه وذل الشرك يومئذ بصقلية ذلا عظيما ولما سمع الروم بذلك أرسل ملكهم بطريقا من القسطنطينية في ثلاثمائة شلندي وعسكر كثير فوصلوا إلى سرقوسة فخرج إليهم العباس من المدينة ولقي الروم وقاتلهم فهزمهم فركبوا في مراكبهم هاربين وغنم المسلمون منهم مائة شلندي وكثر القتل فيهم ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر النشاب # وفي سنة ست وأربعين ومائتين نكث كثير من قلاع صقلية وهي سطر وابلا وابلاطنوا وقلعة عبد المؤمن وقلعة البلوط وقلعة أبي ثور وغيرها من القلاع فخرج العباس إليهم فلقيهم عساكر الروم فاقتتلوا فانهزم الروم وقتل منهم كثير وسار إلى قلعة عبد المؤمن وقلعة ابلاطنوا فحصرها فأتاع الخبر أن كثيرا من عساكر الروم قد وصلت فرحل إليهم فالتقوا بجفلودي وجرى بينهم قتال شديد فانهزمت الروم وعادوا إلى سرقوسة وعاد العباس إلى المدينة وعمر قصريانة وحصنها وشحنها بالعساكر # وفي سنة سبع وأربعين ومائتين سار العباس إلى سرقوسة فغنم وسار إلى غيران قرقنة فاعتل ذلك اليوم ومات بعد ثلاثة أيام ثالث جمادى الآخرة فدفن هناك فنبشه الروم وأحرقوه وكانت ولايته إحدى عشرة سنة وأدام الجهاد شتاء وصيفا وغزا أرض قلورية وانكبردة وأسكنها المسلمين $ ذكر ابتداء أمر يعقوب بن الليث $ # وفيها تغلب إنسان من أهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب بن الليث فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر أمير خراسان واستنقذها من يده ثم ظهر بها إنسان اسمه درهم بن الحسين من **المتطوعة** فتغلب عليها وكان غير." (٢)

"@ ١٢٣ @ $ ذكر غارات البجاة بمصر $ # وفيها غارت البجاة على أرض مصر وكانت قبل ذلك لا تغزو بلاد الإسلام لهدنة قديمة وقد ذكرناها فيما مضى وفي بلادهم معادن يقاسمون المسلمين عليها ويؤدون إلى عمال مصر نحو الخمس فلما كان أيام المتوكل امتنعت عن أداء ذلك فكتب صاحب

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٢/٦

(٢) الكامل في التاريخ، ١١٤/٦

البريد بمصر يخبرهم وأنهم قتلوا عدة من المسلمين ممن يعمل في المعادن فهرب المسلمون خوفا منها خوفا على أنفسهم فأنكر المتوكل ذلك فشاور في أمرهم فذكر له أنهم أهل بادية أصحاب إبل وماشية وأن الوصول إلى بلادهم صعب لأنها مفاوز وبين أرض الإسلام وبينها مسيرة شهر في أرض قفر وجبال وعرة وأن كل من يدخلها من الجيوش يحتاج أن يتزود لمدة يتوهم أنه يقيمها إلى أن يخرج إلى بلاد الإسلام فإن جاوز تلك المدة هلك وأخذتهم البجاة باليد وأن أرضهم لا ترد على سلطان شيئا فأمسك المتوكل عنهم فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف أهل الصعيد على أنفسهم من٥م فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمي محاربتهم وولاه معونة تلك الكور وهي قفط والأقصر أسنا وأرمنت وأسوان وأمره بمحاربة البجاة وكتب إلى عنبسة بن إسحاق الضبي عامل حرب مصر بإزاحة علته وإعطائه من الجند ما يحتاج إليه ففعل ذلك وسار محمد إلى أرض البجاة وتبعخ ممن يعمل في المعادن والمتطوعة عالم كثيرفبلغت عدتهم نحوا من عشرين ألفا بين فارس وراجل ووجه إلى القلزم فحمل في البحر سبعة مراكب موقورة بالدقيق والزيت والتمر والشعير والسويق وأمر أصحابه أن يوافوه بها في ساحل البحر مما يلي بلاد البجاة وسار حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب وسار إلى حصونهم وقلاعهم وخرج إليه ملكهم واسمه علي بابا في جيش كثير أضعاف من مع القمي فكانت البجاة على الإبل وهي إبل فره تشبه المهارى فتحاربوا أياما ولم يصدقهم علي بابا القتال ليطول الأيام وتفنى أزواد المسلمين وعلوفاتهم فيأخذهم بغير حرب فأقبلت تلك المراكب التي فيها الأقوات في البحر ففرق القمي ما كان فيها في أصحابه فاتسعوا فيها فلما رأى علي بابا ذلك صدقهم القتال وجمع لهم فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وكانت إبلهم ذعرة تنفر من كل شيء فلما." (١)

"@ ١٢٦ @ $ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين $ # في هذه السنة كانت زلازل هائلة بقومس ورساتيقها في شعبان فتهدمت الدور وهلك تحت الهدم بشر كثير قيل كانت عدتهم خمسة وأربعين ألفا وستة وتسعين نفسا وكان أكثر ذلك بالدامغان وكان بالشام وفارس وخراسان في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة وكان باليمن مثل ذلك مع خسف وفيها خرجت الروم من ناحية سميساط بعد خروج علي بن يحيى الأرمني من الصائفة حتى قاربوا آمد وخرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا وأسروا نحوا من عشرة آلاف وكان دخولهم من ناحية أرين قرية قريباس ثم رجعوا فخرج قريباس وعمر بن عبد الله الأقطع وقوم من المتطوعة في آثارهم فلم يلحقوهم فكتب المتوكل إلى علي بن يحيى الأرمني أن يسير إلى بلادهم شاتيا وفيها قتل المتوكل رجلا عطارا وكان نصرانيا فأسلم فمكث مسلما سنين كثيرة ثم ارتد واستتيب فأبى الرجوع

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٢٣/٦

إلى الإسلام فقتل وأحرق وفيها سير محمد بن عبد الرحمن بالأندلس جيشا إلى بلاد المشركين فدخلوا إلى برشلونة وحارب قلاعها وجازها إلى ما وراء أعمالها فغنموا كثيرا وافتتحوا حصنا من أعمال برشلونة يسمى طراجة وهو من آخر حصون برشلونة وفيها مات أبو العباس محمد بن الأغلب أمير إفريقية عاشر المحرم كان عمره ستا وثلاثين سنة وولي بعده ابنه أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب وقد ذكرنا ذلك." (١)

"@ ١٩٣ @ $ ذكر ابتداء دولة يعقوب الصفار وملكه هراة وبوشنج $ كان يعقوب بن الليث وأخوه عمرو يعملان الصفر بسجستان ويظهران الزهد والتقشف وكان في أيامهما رجل من أهل سجستان يظهر التطوع بقتال الخوارج يقال له صالح المطوعي فصحبه يعقوب وقاتل معه فحظي عنه فجعله صالح مقام الخليفة عنه ثم هلك صالح وقام مقامه إنسان آخر اسمه درهم فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح قبله ثم إن صاحب خراسان احتال لدرهم لما عظم شأنه وكثر أتباعه حتى ظفر به وحمله إلى بغداد فحبسه بها ثم أطلق وخدم الخليفة ببغداد وعظم أمر يعقوب بعد أخذ درهم وصار متولي أمر **المتطوعة** مكان درهم وقام بمحاربة الشراة فظفر بهم وأكثر القتل فيهم حتى كاد يفنيهم وهرب قراهم وأطاعه أصحابه بمكره وحسن حاله ورأيه طاعة لم يطيعوها أحدا كان قبله واشتدت شوكته فغلب على سجستان وأظهر التمسك بطاعة الخليفة وكاتبه وصدر عن أمره وأظهر أنه هو أمرهـ بقتال الشراة وملك سجستان وضبط الطرق وحفظها وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فكثر أتباعه فخرج عن حد طلب الشراة وصار يتناول أصحاب أمير خراسان للخليفة ثم سار من سجستان إلى هراة من خراسان هذه السنة ليملكها وكان أمير خراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وعامله على هراة محمد بن أوس الأنباري فخرج منها لمحاربة يعقوب في تعبية وبأس شديد وزي جميل فتحاربا واقتتلا قتالا شديدا فانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة وبوشنج وصارت المدينتان في يده فعظم أمره حينئذ وهابه أمير خراسان وغيره من أصحاب الأطراف." (٢)

"@ ٢٠٩ @ سلاحه وولى هاربا وانهزم أصحابه وكانوا أربعة آلاف وقتل منهم جماعة ومات بعضهم عطشا وأسر منهم وأمر بضرب أعناقهم # ثم سار إلى القادسية فنهبها أصحابه بأمره وما زال يتردد إلى أنهار البصرة فوجد بعض السودان دارا لبعض بني هاشم فيها سلاح بالسيب فانتهبوه فصار معهم ما يقاتلون به فأتاه وهو بالسيب جماعة من أهل البصرة يقاتلونه فوجه يحيى بن محمد في خمسمائة رجل فلقوا

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٢٦/٦

(٢) الكامل في التاريخ، ١٩٣/٦

البصريين فانهزم البصريون منهم وأخذوا سلاحهم ثم قاتل طائفة أخرى عند قرية تعرف بقرية اليهود فهزمهم أيضا وأثبت أصحابه في الصحراء # ثم أسرى إلى الجعفرية فوضع في أهلها السيف فقتل أكثرهم وأتى منهم بأسرى فأطلقهم ولقي جيشا كبيرا للبصريين مع رئيس اسمه عقيل فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكان معهم سفن فهبت عليها ريح فألقتها إلى الشط فنزل الزنج وقتلوا من وجدوا فيها وغنموا ما فيها وكان مع الرئيس سفن فركبها ونجا فأنفذ صاحب الزنج فأخذها ونهب ما فيها ثم نهب القرية المعروفة بالمهلبية وأحرقها وأفسد في الأرض وعاث ثم لقيه قائد من قواد الأتراك يقال له أبو هلال في أربعة آلاف مقاتل على نهر الريان فاقتتلوا وحمل السودان عليه حملة صادقة فقتلوا صاحب علمه فانهزم هو وأصحابه وتبعهم السودان فقتلوا من أصحاب أبي هلال أكثر من ألف وخمسمائة رجل وأخذوا منهم أسرى فأمر بقتلهم ثم إنه أتاه من أخبره أن الزينبي قد أعد له الخيول **والمتطوعة** والبلالية والسعدية وهم خلق كثير وقد أعدوا الحبال ليكتف من يأخذونه من السودان والمقدم عليهم أبو منصور وأخذ موالي الهاشميين فأرسل علي بن أبان في مائة أسود ليأتيه بخبرهم فلقي طائفة منهم فهزمهم فأتوا إلى موضع فيه ألف وتسعمائة سفينة ومعها من يحفظها فلما رأوا الزنج هربوا عنها فأخذ الزنج السفن وأتوا بها إلى صاحبهم فلما أتوه قعد على نشز من الأرض وكان في السفن قوم حجاج أرادوا أن يسلكوا طريق البصرة فناظرهم فصدقوه على قوله وقالوا له لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك فأطلقهم # وأرسل طليعة تأتيه بخبر ذلك المعسكر فأتاه خبرهم أنه قد أتوه في خلق كثير فأمر محمد بن سالم وعلي بن أبان أن يقعد لهم بالنخل وقعد هو على جبل مشرف فلم." (١)

"@ ٢١١ @ جماعة وتفرق الباقون وتخلف صاحبهم عنهم وبقي في نفر يسير فنجاه الله تعالى ثم لقيهم وهم متحيرون لفقده وسأل عن أصحابه فإذا ليس معه إلا خمسمائة رجل فأمر بالنفخ في البوق الذي يجتمعون لصوته فلم يأته أحد وكان أهل البصرة قد انتهبوا السفن التي كانت للزنوج وبها متاعهم فلما أصبح رأى أصحابه في ألف رجل وأرسل محمد بن سالم إلى أهل البصرة يعظهم ويعلمهم ما الذي دعاه إلى الخروج فقتلوه # فلما كان يوم الاثنين لأربع خلون من ذي القعدة جمع أهل البصرة وحشدوا لما رأوا من ظهورهم عليه وانتدب لذلك رجل يعرف بحماز الساجي وكان من غزاة البحر وله علم في ركوب السفن فجمع **المتطوعة** ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومن خف معه من البلالية والسعدية ومن أحب النظر من غيرهم وشحن ثلاثة مراكب وشذوات مقابلة وجعلوا يزدحمون ومضى جمهور الناس رجالة منهم من معه سلاح ومنهم نظارة فدخلت المراكب في المد والرجالة على شاطئ النهر فلما علم صاحب الزنج

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٠٩/٦

بذلك وجه طائفة من أصحابه مع زريق الأصبهاني في شرقي النهر كمينا وطائفة مع شبل وحسين الحمامي في غربيه كمينا وأمر علي بن ابان أن يلقى أهل البصرة وأن يستتر هو ومن معهم بتراسهم ولا يقاتل حتى تظهر أصحابه وتقدم إلى الكمينين إذا جاوزهم أهل البصرة أن يخرجوا ويصيحوا بالناس وبقي هو في نفر يسير من أصحابه وقد هاله ما رأى من كثرة الجمع فسار أصحابه إليهم وظهر الكمينان من جانبي النهر ومن وراء السفن والرجالة فضربوا من ولي من الرجالة والنظارة فغرقت طائفة وقتلت طائفة وهرب الباقون إلى الشط فأدركهم السيف فمن ثبت قتل ومن ألقى نفسه في الماء غرق فهلك أكثر ذلك الجمع فلم ينج إلا الشريد وكثر المفقودون من أهل البصرة وعلا العويل من نسائهم وهذا يوم البيداء الذي أعظمه الناس وكان فيمن قال جماعة من بني هاشم وغيرهم في خلق كثير لا يحصى وجمعت للخبيث." (١)

"@ ٢٦٧ @ فاقتتلا وانهزم عمرو ورجع إلى هراة وأقام أحمد بنيسابور # وكان كيكان وهو يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي وجماعة من **المتطوعة** والفقهاء بنيسابور يميلون إلى عمرو لتولية السلطان إياه # فرأى الخجستاني أن يوقع بينهم ليشتغل بعضهم ببعض وأحضر منهم جماعة من الفقهاء القائلين بمذاهب أهل العراق # فأحسن إليهم وقربهم وأكرمهم وأظهروا الخلاف على كيكان ونابذوه # وكان كيكان يقول بمذهب أهل المدينة فكفى شرهم وسار إلى هراة فحصر بها عمرو بن الليث سنة سبع وستين فلم يظفر بشيء فسار نحو سجستان فحصر في طريقه رمل (سي) فلم يظفر بشيء منها # فاحتال حتى استمال رجلا قطانا كانت داره إلى جانب السور ووعده أن ينقب إلى العسكر من داره ويخرج أصحابه إلى البلد # فاستأمن رجلان إلى البلد من أصحاب الخجستاني وذكرا الخبر لصاحبه فأخذ القطان وأخربت داره وبطل ما كان الخجستاني عزم عليه # وكان خليفة الخجستاني بنيسابور قد أساء السيرة وقوي العيارين وأهل الفساد # فاجتمع الناس إلى كيكان فثار على نائبه وأعانهم عمرو بن الليث بجنده فقبضوا على خليفة الخجستاني وأقام أصحاب عمرو بنيسابور فبلغ الخبر إلى أحمد فوافى نيسابور فخرج عنها كيكان وغيره فردهم أصحاب أحمد الخجستاني فقتل منهم جماعة وغيب كيكان فلم يظهر إلا بعد مدة ميتا وقد بنى عليه حائطا فمات فيه # وأقام أحمد بنيسابور تمام سنة سبع وستين ومائتين # ثم أن عمرا كاتب أبا طلحة وهو يحاصر بلخ يستقدمه إلى هراة فأتاه فأكرمه وأعطاه مالا عظيما ووعده وتركه بخراسان وعاد إلى سجستان # فسار أحمد إلى سرخس وبها عامل عمرو فأتاه أبو طلحة فقاتله فانهزم أبو طلحة ومر على وجهه وسار أحمد خلفه فلحقه بخلم فحاربه فهزمه أيضا # وسار نحو سجستان وأقام أحمد بطخارستان

---

(١) الكامل في التاريخ، ٦/٢١١

وكان ناسرار عباس القطان قد أتى طلحة فسار نحو نيسابور فأعانه أهلها فأخذوا والدة الخجستاني وما كان معها وأقام بنيسابور ولحق به أبو طلحة فمنعه أهل نيسابور من دخولها # واتصل الخبر بالخجستاني وهو بطايكان من طخارستان فسار مجدا نحو نيسابور ولما أيس الطاهرية من الخجستاني # وكان أحمد بن محمد بن طاهر بخوارزم واليا عليها فأنفذ أبا العباس النوفلي في خمسة آلاف." (١)

"@ ٣٠١ @ ممن كان معه قائد ذو بأس يقال له عميرة وظفر أبو العباس بشذاة فقتل أهلها ورجع هو ومن معه سالمين # فاستأمن إلى أبي العباس أهل شذاة منهم فأمنهم وأحسن إليهم وخلع عليهم # ورجع الموفق ومن معه إلى عسكره بالنهر المبارك واستأمن إليه عند منصرفه خلق كثير فأمنهم وخلع عليهم ووصلهم وأثبت أسماءهم مع أبي العباس وأقام في عسكره يومين ثم نقل عسكره لست بقين من رجب إلى نهر جطى فنزله وأقام به إلى منتصف شعبان لم يقاتل # ثم ركب منتصف شعبان في الخيل والرجال وأعد الشذاوات والسميريات وكان من معه من الجند والمتطوعة زهاء خمسين ألفا وكان من مع الخبيث أكثر من ثلاثمائة ألف إنسان كلهم من يقاتل بسيف أو رمح أو قوس أو مقلاع أو منجنيق وأضعفهم رماة الحجارة من أيديهم وهم بالنظارة والنساء تشركهم في ذلك # فأقام أبو أحمد ذلك اليوم ونودي بالأمان للناس كافة إلا الخبيث # وكتب الأمان في رقاع ورماها في السهام ووعد فيها الإحسان فمالت قلوب أصحاب الخبيث واستأمن ذلك اليوم خلق كثير فخلع عليهم ووصلهم ولم يكن ذلك اليوم حرب # ثم رحل من نهر جطى من الغد فعسكر قرب مدينة الخبيث ورتب قواده وأجناده وعين لكل طائفة موضعا يحافظون عليه ويضبطونه # وكتب الموفق إلى البلاد في عمل السميريات والشذاوات والزواريق والإكثار منها ليضبط بها الأنهار ليقطع الميرة عن الخبيث وأسس في منزلته مدينة سماها الموفقية وكتب إلى عماله في النواحي بحمل الأموال والميرة في البر والبحر إلى مدينته وأمرهم بإنفاذ من يصلح للإثبات في الديوان وأقام ينتظر ذلك شهرا # فوردت عليه الميرة متتابعة وجهز التجار صنوف التجارات إلى الموفقية واتخذت فيها الأسواق وردتها مراكب البحر # وبنى الموفق بها المسجد الجامع وأمر الناس بالصلاة فيه # فجمعت هذه المدينة من المرافق وسيق إليها من صنوف الأشياء ما لم يكن في مصر من الأمصار القديمة وحملت الأموال وأدرت الأرزاق وعبرت طائفة من الزنج فنهبوا أطراف عسكر نصير وأوقعوا به فأمر الموفق نصيرا بجمع عسكره

---

(١) الكامل في التاريخ، ٦/٢٦٧

وضبطهم # وأمر الموفق ابنه أبا العباس بالمسير إلى طائفة من الزنج كانوا خارج المدينة فقاتلهم فقتل منهم." (١)

"@ ٣٦٩ @ $ ذكر الحرب بين الخوارج وأهل الموصل والأعراب $ # في هذه السنة اجتمعت الخوارج ومقدمهم هارون ومعهم متطوعة أهل الموصل وغيرهم وحمدان بن حمدون التغلبي على قتال بني شيبان # وسبب ذلك أن جمعا كثيرا من بني شيبان عبروا الزاب وقصدوا نينوى من أعمال الموصل للإغارة عليها وعلى البلد # فاجتمع هارون الشاري وحمدان بن حمدون وكثير من **المتطوعة** المواصلة وأعيان أهلها على قتالهم ودفعهم # وكان بنو شيبان نزلوا على باعشيقا ومعهم هارون بن سليمان مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني صاحب ديار بكر # وكان قد أنفذه محمد بن إسحاق بن كنداج واليا على الموصل فلم يمكنه أهلها من المقام عندهم وطردوه فقصد بني شيبان معاونا على الخوارج # وأهل الموصل فالتقوا وتصافوا واقتتلوا فانهزمت بنو شيبان وتبعهم حمدان والخوارج وملكوا بيوتهم واشتغلوا بالنهب # وكان الزاب لما عبر بنو شيبان زائدا فلما انهزمو ، علموا أن لا ملجأ ولا منجى غير الصبر فعادوا إلى القتال والناس مشغولون بالزاب فأوقعوا بهم وقتل كثير من أهل الموصل ومن معهم وعاد الظفر للأعراب # وكتب هارون بن سيما إلى محمد بن إسحاق بن كنداج يعرفه أن البلد خارج عن يده إن لم يحضر هو بنفسه # فسار في جيش كثيف يريد الموصل فخافه أهلها فانحدر بعضهم إلى بغداد يطلبون إرسال وال إليهم وإزالة ابن كنداج عنهم فاجتازوا في طريقهم بالحديثة وبها محمد بن يحيى المجروح يحفظ الطريق قد ولاه المعتضد ذلك وقد وصل إليه عهد بولايته الموصل فحثوه على تعجيل السير وأن يسبق محمد بن كنداج إليها وخوفوه من ابن كنداج إن دخل الموصل قبله فسار فسبق محمد إليها # ووصل محمد بن كنداج إلى بلد فبلغه دخول المجروح الموصل فندم على التباطؤ وكتب إلى خمارويه بن طولون يخبره الخبر فأرسل أبا عبد الله بن الحصاص بهدايا كثيرة إلى المعتضد ويطلب أمورا منها إمرة الموصل # كما كانت له قبل فلم." (٢)

"@ ٤٠٠ @ بالأمان وأمر العسكر برد ما نهبوه منهم ففعلوا ذلك وكانت الوقعة لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة # فلما فرغ منه رحل إلى المصيصة وأحضر رؤوس طرسوس فقبض عليهم لأنهم كاتبوا وصيفا وأمر بإحراق مراكب طرسوس التي كانوا يغزون فيها وجميع آلاتها # وكان من جملتها نحو من خمسين مركبا قديمة قد أنفق عليها من الأموال ما لا يحصى ولا يمكن عمل مثلها فأضر ذلك بالمسلمين وفت في

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٠١/٦

(٢) الكامل في التاريخ، ٣٦٩/٦

أعضادهم وأمر الروم أن يغزوا في البحر # وكان إحراقها بإشارة دميانة غلام بازمار لشيء كان في نفسه على أهل طرسوس # واستعمل على أهل الثغور الحسن بن علي كوره # وسار المعتضد إلى أنطاكية وحلب وغيرهما وعاد إلى بغداد # وفيها توفيت ابنة خمارويه زوج المعتضد $ ذكر أمر القرامطة وانهزام العباس الغنوي منهم $ # في هذه السنة في ربيع الآخر عظم أمر القرامطة بالبحرين وأغاروا على نواحي هجر وقرب بعضهم من نواحي البصرة فكتب أحمد الواثقي بسأل المدد فسير إليه سميريات فيها ثلاثمائة رجل # وأمر المعتضد باختيار رجل ينفذه إلى البصرة # وعزل العباس بن عمرو الغنوي عن بلاد فارس وأقطعه اليمامة والبحرين وأمره بمحاربة القرامطة وضم إليه زهاء ألفي رجل # فسار إلى البصرة واجتمع إليه جمع كثير من **المتطوعة** والجند والخدم # ثم سار منها إلى أبي سعيد الجنابي فلقوه مساء وتناوشوا القتال وحجز بينهم الليل # فلما كان الليل انصرف عن العباس من كان معه من أعراب بني ضبة وكانوا ثلاثمائة إلى البصرة وتبعهم متطوعة البصرة # فلما أصبح العباس باكر الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا ثم حمل نجاح غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ من ميسرة العباس في مائة رجل على ميمنة أبي سعيد فوغلوا فيهم فقتلوا عن آخرهم وحمل الجنابي ومن معه على أصحاب العباس فانهزموا وأسر العباس واحتوى الجنابي على ما كان في عسكره # فلما كان من الغد أحضر الجنابي الأسرى فقتلهم جميعا وحرقهم وكانت الوقعة آخر شعبان # ثم سار الجنابي إلى هجر بعد الوقعة." (١)

"@ ٤٢٣ @ # وفيها خلع المكتفي على محمد بن سليمان كاتب الجيش وعلى جماعة من القواد وأمرهم بالمسير إلى الشام ومصر لأخذ الأعمال من هارون بن خمارويه لما ظهر من عجزه وذهاب رجاله بقتل من قتل منهم القرمطي فسار عن بغداد في رجب وهو في عشرة آلاف رجل وجد في المسير # وفيها خرجت الترك في خلق كثير لا يحصون إلى ما وراء النهر وكان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية ولا تكون إلا للرؤساء منهم فوجه إليهم إسماعيل بن أحمد جيشا كثيرا وتبعهم من **المتطوعة** خلق كثير فساروا نحو الترك فوصلوا إليهم وهم غارون فكبسهم المسلمون مع الصبح فقتلوا منهم خلقا عظيما لا يحصون وانهزم الباقون واستبيح عسكرهم وعاد المسلمون سالمين غانمين # وفيها خرج من الروم عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف إلى الثغور فقصد جماعة منهم إلى الحدث فأغروا وسبوا وأحرقوا # وفيها سار المعروف بغلام زرافة من طرسوس نحو بلاد الروم ففتح مدينة أنطاكية وهي تعادل القسطنطينية فتحها بالسيف عنوة فقتل خمسة آلاف رجل وأسر مثلهم واستنقذ من الأسارى خمسة آلاف وأخذ لهم ستين

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٠٠/٦

مركبا فحمل فيها ما غنم لهم من الأموال والمتاع والرقيق # وقدر نصيب كل رجل ألف دينار وهذه المدينة على ساحل البحر # فاستبشر المسلمون بذلك # وحج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس # وفيها توفي القاسم بن عبد الله وزير الخليفة في ذي القعدة # وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما # ولما مات قال ابن سيار # (أمات ليحيا فيما أن حيى ٪ وأفنى ليبقى فما أن بقى) # (وما زال في كل يوم يرى ٪ إمارة حتف وشيك وحى) # (وما زال يسلح من دبره ٪ إلى أن خرى النفس فيما خرى) # وفيها مات أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن الماستواي الفقيه بنيسابور ومحمد بن محمد الجزوعي قاضي الموصل ببغداد # وفيها توفي أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني النحوي وكان عالما بنحو الكوفيين وكان موته ببغداد." (١)

"@ ٦٩ @ من المقتدر عزل الحسين ومصادرته فأجاب إلى عزله ولم يصادره وأمر الحسين بلزوم بيته فلم يقنع مؤنس بذلك فبقي في وزارته وأوقع الحسين عند المقتدر أن مؤنسا يريد أخذ ولده أبي العباس وهو الراضي من داره بالمخرم والمسير به إلى الشام والبيعة له فرده المقتدر إلى دار الخلافة فعلم ذلك أبو العباس فلما أفضت الخلافة إليه فعل بالحسين ما نذكر وكتب الحسين إلى هارون وهو بدير العاقول بعد انهزامه من مرداويج ليستقدمه إلى بغداد وكتب إلى محمد بن ياقوت وهو بالأهواز يأمره بالإسراع إلى بغداد فزاد استشعار مؤنس وصح عنده أن الحسين يسعى في التدبير عليه وسنذكر تمام أمره سنة عشرين وثلاثمائة $ ذكر الحروب بين المسلمين والروم $ # في هذه السنة في ربيع الأول غزا ثمال والي طرسوس بلاد الروم فعبر نهرا ونزل عليهم ثلج إلى صدور الخيل وأتاهم جمع كثير من الروم فواقعوهم فنصر الله المسلمين فقتلوا من الروم ستمائة وأسروا نحوا من ثلاثة آلاف وغنموا من الذهب والفضة والديباج وغيره شيئا كثيرا # وفيها في رجب عاد ثمال إلى طرسوس ودخل بلاد الروم صائفة في جمع كثير من إليهرس والراجل فبلغوا عمورية وكان قد تجمع إليه كثير من الروم ففارقوها لما سمعوا خبر ثمال ودخلها المسلمون فوجودا فيها من الأمتعة والطعام شيئا كثيرا فأخذوه واحرقوا ما كانوا عمروه منها # واوغلوا في بلاد الروم ينهبون ويقتلون ويخربون حتى بلغوا انقرة وهي التي تسمى الآن انكورية وعادوا سالمين لم يلقوا كيدا فبلغت قيمة السبي مائة ألف دينار وستة وثلاثين ألف دينار وكان وصولهم إلى طرسوس آخر رمضان # وفيها كاتب ابن الديراني وغيره من الأرمن وهم بأطراف ارمينية الروم وحثوهم على قصد بلاد الاسلام ووعدوهم النصرة فسارت الروم في خلق كثير فخربوا بزكرى وبلاد خلاط وما جاورها وقتل من المسلمين خلق كثير وأسروا كثير منهم فبلغ

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٢٣/٦

خبرهم مفلحا غلام يوسف ابن أبي الساج وهو والي اذربيجان فسار في عسكر كبير وتبعه كثير من **المتطوعة** إلى ارمينية فوصلها في رمضان وقصد بلد ابن الديراني ومن." (١)

"@ ١٨٢ @ الحسن بن هارون وأبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي إليه في الصلح فلقيهما توزون وابن شيرزاد بنهاية الرغبة فيه والحرص عليه فاستوثقا من توزون وحلفاه للمتقي لله وأحضر لليمين خلقا كثيرا من القضاة والعدول والعباسيين والعلويين وغيرهم من أصناف الناس وحلفت توزون للمتقي والوزير وكتبوا خطوطهم بذلك وكان من أمر المتقي لله ما نذكره سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة $ ذكر ملك الروس مدينة بردعة $ # في هذه السنة خرجت طائفة من الروسية في البحر إلى نواحي أذربيجان وركبوا في البحر في نهر الكر وهو نهر كبير فانتهوا إلى بردعة فخرج إليهم نائب المرزبان ببردعة في جمع من الديلم **والمطوعة** يزيدون على خمسة آلاف رجل فلقوا الروس فلم يكن إلا ساعة حتى انهزم المسلمون منهم وقتل الديلم عن آخرهم وتبهم الروس إلى البلد فهرب من كان له مركوب وترك البلد فنزله الروس ونادوا فبه بالأمان فأحسنوا السيرة وأقبلت العساكر الإسلامية من كل ناحية فكانت الروس تقاتلهم فلا يثبت المسلمون لهم وكان عامة البلد يخرجون ويرجمون الروس بالحجارة ويصيحون بهم فينهام الروس عن ذلك فلم ينتهوا سوى العقلاء فإنهم كفوا أنفسهم وسائر العامة والرعاع لا يضبطون أنفسهم فلما طال ذلك عليهم نادى مناديهم بخروج أهل البلد منه وأن لا يقيموا بعد ثلاثة أيام فخرج من كان له ظهر يحمله وبقي أكثرهم بعد الأجل فوضع الروسية فيهم السلاح فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا بعد القتل بضعة عشر ألف نفس وجمعوا من بقي بالجامع وقالوا اشتروا أنفسكم وإلا قتلناكم وسعى لهم انسان نصراني فقرر عن كل رجل عشرين درهما فلم يقبل منهم إلا عقلاؤهم فلما رأى الروسية أنه لا يحصل منهم شيء قتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم إلا الشريد وغنموا أموال أهلها واستعبدوا السبي واختاروا من النساء من استحسنوها." (٢)

"@ ٣٧٤ @ بالاستعانة به فأتاه بعض الأمراء الكبار وهو صاحب بست واسمه طغان مستعينا به مستنصرا وسبب ذلك انه خرج عليه امير يعرف بباني تور فملك مدينة بست عليه واجلاه عنها بعد حرب شديدة فقصد سبكتكين مستنصرا به وضمن له مالا مقررا وطاعة يبذلها له فتجهز وسار معه حتى نزل على بست وخرج إليه بأبي تور فقاتله قتالا شديدا ثم إنهزم بأبي تور وتفرق هو وأصحابه وتسلم طغان البلد فلما استقر فيه طالبه سبكتكين بما استقر عليه من المال فاخذ في المطل فاغلظ له في القول لكثرة مطله فحمل

---

(١) الكامل في التاريخ، ٦٩/٧

(٢) الكامل في التاريخ، ١٨٢/٧

طغان جهله على ان سل السيف فضرب يد سبكتكين فجرحها فاخذ سبكتكين السيف وضربه أيضا فجرحه وحجز العسكر بينهما وقامت الحرب على ساق فانهزم طغان واستولى سبكتكين على بست ثم إنه سار إلى قصدار وكان متوليها قد عصي عليه لصعوبة مسالكها وحصانتها وظن ان ذلك يمنعه فسار إليه جريدة مجدا فلم يشعر إلا والخيل معه فاخذ من داره ثم إنه من عليه ورده إلى ولايته وقرر عليه مالا يحمله إليه كل سنة $ ذكر مسير الهند إلى بلاد الاسلام وما كان منهم مع سبكتكين $ # لما فرغ سبكتكين من بست وقصدار غزا الهند فافتتح قلاعا حصينة على شواهق الجبال وعاد سالما ظافرا ولما راة جيبال ملك الهند ما دهاه وان بلاده تملك من اطرافها اخذه ما قدم وحدث فحشد وجمع واستكثر من الفيول وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين وقد باض الشبطان في رأسه وفرخ فسار سبكتكين عن غزنة إليه ومعه عساكره وخلق كثير من **المتطوعة** فالتقوا واقتتلوا أياما كثيرة وصبر الفريقان وبالقرب منهم عقبة غورك وفيها عين ماء لا تقبل نجسا ولا قذرا واذا القى فيها شيء من ذلك اكفهرت السماء وهبت الرياح وكثر الرعد والبرق والأمطار ولا تزال كذلك إلى ان تطهر من الذي القي فيها فأمر سبكتكين بالقاء نجاسة في تلك العين فجاء الغيم والرعد والبرق وقامت القيامة على الهنود لانهم راوا ما لم يروا مثله وتوالت عليهم الصواعق والأمطار واشتد البرد حتى هلكوا وعميت عليهم المذاهب واستسلموا لشدة ما عاينوه وأرسل ملك الهند إلى سبكتكين يطلب الصلح وترددت الرسل فأجابهم إليه بعد امتناع من ولده محمود على مال يؤدسه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها إليه فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد وسير معه." (١)

"@ ٢٠ @ $ ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة $ $ ذكر وقعة ليمين الدولة بالهند $ # في هذه السنة أوقع يمين الدولة محمود بن سبكتكين بجيبال ملك الهند وقعة عظيمة وسبب ذلك أنه لما اشتغل بأمر خراسان وملكها وفرغ منها ومن قتال خلف بن أحمد وخلا وجهه من ذلك أحب أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين # فثنى عنانه نحو تلك البلاد فنزل على مدينة برشور فأتاه عدو الله جيبال ملك الهند في عساكر كثيرة # فاختار يمين الدولة من عساكره **والمطوعة** خمسة عشر ألفا وسار نحوه فالتقوا في المحرم من هذه السنة # فاقتتلوا وصبر الفريقان فلما انتصف النهار انهزم الهند وقتل فيهم مقاتلة عظيمة وأسر جيبال ومعه جماعة كثيرة من أهله وعشيرته وغنم المسلمون منهم أموالا جليلة وجواهر نفيسة وأخذ من عنق عدو الله جيبال قلادة من الجوهر العديم النظير قومت بمائتي ألف دينار وأصيب أمثالها في أعناق مقدمي الأسرى وغنموا خمسمائة الف رأس من العبيد وفتح من بلاد الهند

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٧٤/٧

بلادا كثيرة # فلما فرغ من غزواته أحب أن يطلق جيبال ليراه الهنود في شعار الذل فأطلقه بمال عليه فأدى المال ومن عادة الهند أنهم من حصل منهم في أيدي المسلمين أسيرا لم ينعقد له بعدها رياسة فلما رأى جيبال حاله بعد خلاصة حلق رأسه ثم ألقى نفسه في النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة." (١)

"@ ٨١ @ بمحاربتهم # فسار إليهم وأوقع بنهر الرمان # وأسر محمد بن ثمال وجماعة معه ونجا سلطان وأدخل الأسرى إلى بغداد مشهرين وحبسوا # وهب على المنهزمين من بني خفاجة ريح شديدة حارة فقتلت منهم نحو خمسمائة رجل وأفلت منهم جماعة ممن كانوا أسروا من الحجاج # وكانوا يرعون إبلهم وغنمهم فعادوا إلى بغداد فوجد بعضهم نساءهم قد تزوجن وولدن واقتسمت تركاتهم $ ذكر استيلاء طاهر بن هلال على شهرزور $ # قد ذكرنا حال شهرزور وأن بدر بن حسنويه سلمهما إلى عميد الجيوش فجعل فيها نوابه # فلما كان الآن سار طاهر بن هلال بن بدر إلى شهرزور وقاتل من بها من عسكر فخر الملك وأخذها منهم في رجب # فلما سمع الوزير الخبر أرسل إلى طاهر يعاتبه ويأمره بإطلاق من أسر من أصحابه ففعل # ولم تزل شهرزور بيد طاهر إلى أن قتله أبو الشوك وأخذها منه وجعلها لأخيه مهلهل $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة سار أبو الحسن عدي بن مزيد الأسدي إلى الشوك على عزم محاربته فاصطلحها من غير حرب وتزوج ابنه أبو الأغرديبس بن علي باخت أبي الشوك # وفيها توفي القاضي أبو الحسن علبي بن سعيد الإصطخري وهو شيخ من شيوخ المعتزلة ومشهور بهم وكان عمره قد زاد على ثمانين سنة وله تصانيف في الرد على الباطنية ٨٢ $ ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة $ $ ذكر غزوة تانشير $ # قد ذكر ليمين الدولة أن بناحية تانشير فيله الصليمان الموصوفة في الحرب وأن صاحبها غال في الكفر والطغيان و العناد للمسلمين # فعزم على غزوه في عقر داره وأن يذيقه شربة من كأس قتاله # فسار في الجنود والعساكر والمتطوعة فلقي في طريقه وأودية بعيدة القعر وعرة المسالك وقفارا فسيحة الأقطار والأطراف بعيدة الأكناف والماء بها قليل فلقوا شدة وقاسوا مشقة إلى أن قطعوها # فلما قابوا مقصدهم لقوا نهرا شديد المجرية صعب المخافضة وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره ومعه عساكره وفيلته التي كان يدل بها فأمره يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر وأشغال الكافر بالقتال ليتمكن باقي العسكر من العبور ففعلوا ذلك # وقاتلوا الهنود وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر بالمخاضات وقاتلوهم من جميع جهاتهم إلى لآخر النهار # فانهزم الهند وظفر المسلون وغنموا ما معهم من أموال وفيلة وعادوا إلى غزنة موفورين ظافرين $ ذكر قتل بدر بن حسنويه وإطلاق ابنه

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٠/٨

هلال وقتله $ # في هذه السنة قتل بدر بن حسنويه أمير الجبل # وكان سبب قتله أنه سار إلى الحسين بن مسعود الكردي ليملك عليه بلاده فحصره بحصن كوسحد فضجر أصحاب بدر منه لهجوم الشتاء فعزموا على قتله فأتاه بعض خواصه وعرفه ذلك فقال ((فمن هم الكلاب حتى يفعلوا ذلك)) # وأبعدهم فعاد إليه فلم يأذن له فقال له من وراء الخركاه الذي أعلمتك قد قوي العزم عليه فلم بلتفت إليه فخرج فجلس على تل فثاروا به فقتله طائفة منهم تسمى الجورقان # ونهبوا عسكره وتركوه وساروا # فنزل الحسين بن." (١)

"@ ٩٥ @ إلى أطراف بلاده من أرض الهند يحمونها من الأعداء ويحفظونها من أهل الفساد وأخذ خوارزم واستناب بها حاجبه التونتاش $ ذكر غزوة قشمير وقنوج وغيرهما $ # في هذه السنة غزا يمين الدولة بلاد الهند بعد فراغه من خوارزم فسار منها إلى غزنة ومنها إلى الهند عازما على غزو قشمير إذ كان قد استولى على بلاد الهند ما بينه وبين قشمير وأتاه من **المتطوعة** نحو عشرين ألف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد # وسار إليها من غزنة ثلاثة أشهر سيرا دائما وعبر نهر سيحون وجيلوم وهما نهران عميقان شديدا الجرية فوطئ أرض الهند وأتاه ملوكها بالطاعة وبذل الأتاوة # فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها وأسلم على يده وسار بين يديه إلى مقصد # فبلغ ماء جون في العشرين من رجب # وفتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن هودب وهو آخر ملوك الهند # فنظر هودب من أعلى حصنه فرأى من العساكر ما هاله وأرعبه وعلم أنه لا ينجيه إلا الإسلام # فخرج في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الإخلاص طلبا للخلاص فقبله يمين الدولة وسار عنه إلى قلعة كالجند وهو من أعيان الهند وشياطينهم وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها إلا بمشقة # فسير كلجند عساكره وفيوله إلى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها # فترك يمين الدولة عليهم من يقاتلهم وسلك طريقا مختصرة إلى الحصن فلم يشعروا به إلا وهو معهم # فقاتلهم قتالا." (٢)

"@ ١١٦ @ $ ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة $ $ ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان $ # في هذه السنة خرج الترك من الصين في عدد كثير يزيدون على ثلاثة مائة ألف خركاه من أجناس الترك منهم الخطابية الذين ملكوا ما وراء النهر وسيرد خبر ملكهم إن شاء الله تعالى # وكان سبب خروجهم أن طغان خان لما ملك تركستان مرض مرضا شديدا وطال به المرض فطمعوا في البلاد لذلك # فساروا

---

(١) الكامل في التاريخ، ٨١/٨

(٢) الكامل في التاريخ، ٩٥/٨

إليها وملكوا بعضها وغنموا وسبوا وبقي بينهم وبين بلاساغون ثمانية أيام # فلما بلغه الخبر كان بها مريضا فسأل الله تعالى أن يعافيه لينتقم من الكفرة ويحمي البلاد منهم ثم يفعل به بعد ذلك ما أراد فاستجاب الله له وشفاه # وجمع العساكر وكتب إلى سائر بلاد الإسلام يستنفر الناس فاجتمع إليه من **المتطوعة** مائة ألف وعشرون ألفا # فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا إلى بلادهم # فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر حتى أدركهم وهم آمنون لبعد المسافة # فكبسهم وقتل منهم زيادة على ما أتيت ألف رجل وأسر نحو مائة ألف وغنم من الدواب والخركاهات وغير ذلك من الأواني الذهبية والفضية ومعمول الصين مالا عهد لأحد بمثله # وعاد إلى بلاساغون # فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه # وكان عادلا خيرا دينا يحب العلم وأهله ويميل إلى أهل الدين ويصلهم ويقربهم # وما أشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الأنصاري وقد تقدمت في غزوة الخندق وقيل كانت هذه الحادثة مع أحمد بن علي قراخان أخي طغان خان وإنها كانت سنة ثلاث وأربعمائة $ ذكر ملك أخيه أرسلان خان $ # لما مات طغان خان ملك بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان ولقبه شرف الدولة فخالف عليه قدر خان يوسف بن بغرا خان هارون بن سليمان الذي ملك." (١)

"@ ١٤٩ @ من هذه السنة في ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى **المتطوعة** # وسلك سبيل الملتان فوصلها منتصف شهر رمضان وفي طريقه الى الهند برية قفر لا ساكن فيها ولا ماء ولا ميرة فتجهز هو وعسكره على قدرها ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة وقصد انهلوارة فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال وعندها آبار قد غوروها ليعتذر عليه حصرها فيسر الله تعالى فتحها عند قربه منها بالرعب الذي قذفه في قلوبهم وتسلمها وقتل سكانها وأهلك أوثانها وامتاروا منها الماء وما يحتاجون إليه وسار إلى انهلوراة فوصلها مستهل ذي القعدة فرأى صاحبها المدعو بهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن في الهرب وقصد حصنا له يحتمي به فاستولى يمين الدولة على المدينة وسار إلى سومنات فلقي في طريقه عدة حصون فيها كثير من الأوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات على ما سول لهم الشيطان فقاتل من بها وفتحها وخربها وكسر أصنامها # وسار إلى سومنات في مفازة قفرة قليلة الماء فلقي فيها عشرين ألف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك فأرسل إليهم السرايا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا ما لهم وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا دبولواره وهي مرحلتين من سومنات وقد ثبت أهلها له ظنا منهم أن سومنات يمنعهم ويدفع عنهم فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم أموالها و سار عنها إلى سومنات فوصلها

---

(١) الكامل في التاريخ، ١١٦/٨

يوم الخميس منتصف ذي القعدة # فرأى حصنا حصينا مبنيا على ساحل البحر بحيث تبلغه أمواجه # وأهله على الاسوار يتفرجون على المسلمين واثقين أن معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم # فلما كان الغد وهو الجمعة زحف وقاتل من به فرأى الهنود من المسلمين قتالا لن يعهدوا مثله ففارقوا السور فنصب المسلمون عليه السلام وصعدوا إليه وأعلنوا بكلمة الاخلاص وأظهروا شعار الإسلام فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب وتقدم جماعة الهنود إلى سومنات فعفروا له خدودهم وسألوه النصر وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض فلما كان الغد بكر المسلمون إليهم وقاتلوهم فأكثروا في الهنود." (١)

"@ ١٩٤ @ $ ذكر استيلاء عسكر جلال الدولة على البصرة وأخذها منهم $ # لما انحدروا الوزير أبو علي بن ماكولا إلى البصرة على ما ذكرناه لم يستصحب معه الأجناد البصريين الذين مع جلال الدولة تأنيسا للديلم الذين بالبصرة فلما أصيب على ما ذكرنا تجهز هؤلاء البصريون وانحدروا إلى البصرة فوصلوا إليها وقاتلوا من بها من عسكر أبي كاليجار فانهزم عسكر أبي كاليجار ودخل عسكر جلال الدولة البصرة في شعبان واجتمع عسكر أبي كاليجار بالأبلة مع يختيار فأقاموا بها يستعذون للعود وكتبوا إلى أبي كاليجار يستمدونه فسير إليهم عسكرا كثيرا مع وزير ذي السعادات أبي الفرج بن فسانجس فقدموا إلى الأبلة واجتمعوا مع بختيار في ووقع الشروع في قتال من بالبصرة من أصحاب جلال لاالدولى فسير بختيار جمعا كثيرا في عدة من السفن فقاتلوهم فنصر أصحاب جلال الدولة عليهم وهزموهم فوبخهم بختيار وسار من وقته في العدد الكثير والسفن الكثثرة فاقتتلوا واشتد القتال فانهزم يختيار وقتل من أصحابه جماعة كثيرة وأخذ هو فقتل من غير قصد لقتله وأخذوا كثيرا من سفنه وعاد كل فريق إلى موضعه وعزم الأتراك على أصحاب جلال الدولة على مباكرة الحرب وإتمام الهزيمة وطالبوا العامل الذي على البصرة بالمال فاختلفوا وتنازعوا في الاقطاعات فأصعد ابن المعز الني صاحب البطيحة فسار إليه جماعة من الأتراك الواسطيين ليردوه فلم يرجع فتبعوه وخاف من بقي يعضهم من بعض أن لا يناصحوهم ويسلموهم عند الحرب فتفرقوا واستأمن بعضهم إلى ذي السعادات وقد كان خائفا منهم فجاءه ما لم يقدره من الظفر ونادى من بقي بالبصرة بشعار أبي كاليجار فدخلها عسكره وأرادوا نهبها فمنعهم ذو السعادات $ ذكر غزو فضلون الكردي الخزر وما كان منه $ # كان فضلون الكردي هذا بيده من أذربيجان قد استولى عليها وملكها فاتنق أنه غزا الخزر هذه السنة فقتل منهم وسبى وغنم شيئا كثيرا # فلما عاد إلى بلده أبطأ في سيره وأمل الستظهار في أمره ظنا قد دوخهم زشغلهم بما عمله بهم فاتبعوه مجدين وكبسوه وقتوا من أصحابه **والمطوعة** الذين

---

(١) الكامل في التاريخ، ٨/١٤٩

معه أكثر من عشرة آلاف قتيل واستردوا الغنائم التي أخذت منهم وغنموا أموال العساكر الإسلاميه وعادوا." (١)

"@ ٢١٢ @ إلى أن أحرقها عساكرها الحسين بن الحسين الغوري على ما نذكره إن شاء الله تعالى $ ذكر الحرب بين نور الدولة دبيس وأخيه ثابت $ # في هذه السنة كانت حرب شديدة بين دبيس بن علي بن مزيد وأخيه أبي قوام ثابت بن علي بن مزيد # وسبب ذلك أن ثابتا كان يعتضد بالبساسيري ويتقرب إليه فلما كان سنة أربع وعشرين وأربعمائة سار البساسيري معه إلى قتال أخيه دبيس فدخلوا النيل واستولوا عليه وعلى أعمال نور الدولة فسير نور الدولة إليهم طائفة من أصحابه فقتلوهم فانهزموا فلما رأى دبيس هزيمة أصحابه سار عن بلده وبقي ثابت فيه إلى الآن فاجتمع دبيس وأبو المعز اعناز بن المغر وبنو أسد وخفاجة وأعانه أبو كامل منصور بن قراد وساروا جريدة لإعادة دبيس إلى بلده وأعماله وتركوا حللهم بين خصى وجربى فلما ساروا لقيهم ثابت عند جرجرايا وكانت بينهم حرب قتل فيها جماعة من الفريقين ثم تراسلوا واصطلحوا ليعود دبيس الى أعماله ويقطع أخاه ثابتا أقطاعا وتحالفوا على ذلك وسار البساسيري نجدة لثابت فلما وصل إلى النعمانية سمع بصلحهم فعاد إلى بغداد $ ذكر ملك الروم قلعة بركوى $ # هذه قلعة متخمة للأرمن في يد أبي الهيجاء بن ربيب الدولة ابن أخت وهودان بن مملان فتنافر هو وخاله فأرسل خاله إلى الروم فأطمعهم فيها فسير الملك إليها جمعا كثيرا فملكوها فبغ الخبر إلى الخليفة فأرسل إلى أبي الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا إلى استعادة القلعة فاصلحا ولم يتمكنا من استعادتها واجتمع إليها خلق كثير من **المتطوعة** فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها $ ذكر عدت حوادث $ # في هذه ه السنة استوز جلال الدولة عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم وهي الوزارة الخامسة وكان قبله في الوزارة ابن ماكولا ففارقها وسار إلى كبرا فرده جلال الدولة إلى الوزارة وعزل أبا سعد فبقي أياما ثم فارقها إلى أوانا وفيها استخلف البساسيري في حماية الجانب الغربي ببغداد لأن العيارين اشتد أمرهم وعظم فسادهم عجز عنهم نواب السلطان فاستعملوا البساسيري لكفايته # نهضته." (٢)

"@ ٢١٧ @ الهدنة وفسح الصلح الذي كان بينهما وراسل أصحاب الأطراف يستنجدهم للغزاة فكثر جمعه من الجند **والمتطوعة** وعزم على قصد الرها ومحاصرتها فوردت رسل ملك الروم يتعذر ويحلف أنه لم يعلم بما كان وأرسل إلى عسكره الذين بالرها والمقدم عليهم ينكر ذلك وأهدى إلى نصر الدولة هدية

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٩٤/٨

(٢) الكامل في التاريخ، ٢١٢/٨

سنية فترك ما كان عازما عليه من الغزو وفرق العساكر المتجمعة عنده $ ذكر عدة حوادث $ # فيها خرج أبو سعد وزير جلال الدولة إلى أبي الشوك مفارقا للوزارة ووزر بعده أبو القاسم وكثرت مطالبات الجند فهرب فأخرج وحمل إلى دار المملكة مكشوف الرأس في قميص خفيف وكانت وزارته هذه شهرين وثمانية أيام وعاد أبو سعد بن عبد الرحيم إلى الوزارة # وفيها في ذي الحجة وثب الحسن بن أبي البركات بن ثمال الخفاجي بعمه علي ابن ثمال أمير بني خفاجة فقتله وقام بإمارة بني خفاجة # وفيها جمعت الروم وسارت إلى ولاية حلب فخرج إليهم صاحبها شبل الدولة بن صالح بن مرداس فتصافوا واقتتلوا فانهزمت الروم وتبعهم إلى عزاز وغنم غنائم كثيرة وعاد سالما # وفيها قصدت خفاجة الكوفة ومقدمهم الحسن بن أبي البركات بن ثمال فنهبوها وأرادوا تخريبها ومنعوا النخل من الماء فهلك أكثره # وفيها هرب الزكي أبو علي النهر سابسي من محبسه وكان قرواش قد اعتقله بالموصل فبقي سنستين إلى الآن ولم يحج هذه السنة من العراق أحد # وفي هذه السنة توفي أحمد بن كليب الأديب الشاعر الأندلسي وحديثه مع أسلم بن أحمد بن سعيد مشهور وكان يهواه فقال فيه # (أسلمني في هوى ٪ أسلم هذا الرشا) # (غزال له مقلة ٪ يصيب بها من يشا) # (وشى بيننا حاسد ٪ سيسأل عما وشى) # (ولو شاء أيرتشى ٪ على الوصل روحي رتشى) # (ومات كمدا من هواه ٪) # وتوفي في جمادى الأولى منها أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد الأديب الأندلسي ومن شعره." (١)

"@ ٤٤٦ @ الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ما هو قالوا نكتب إلى عرب إفريقية ونبذل لهم إذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله قال نخاف إذا وصلوا إلأينا يخربون بلادنا كما فعلوا بإفريقية ويتركون الفرنج ويبدؤون بكم والمرابطون أصلح منهم وأقرب إلأينا قالوا له فكاتب أمير المسلمين وأرغب إليه ليعبر إلأينا ويرسل بعض قواده وقدم عليهم المعتمد بن عبادوهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد أنت رسولي إليه في ذلك فامتنع وإنما أراد أن يبرئ نفسه من تهمة فألح عليه المعتمد فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش وكان أمي والمسلمين بمدينة سبتة ففي الحال امر بعبور العساكر إلى الأندلس فأرسل إلى مراكش في طلب من بقي من عساكره فأقلبت إليه تتلو بعضه ا بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية وكان قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده **المطوعة** من سائر بلاد الأندلس # ووصلت الأخبار إلى

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢١٧/٨

الأذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب إلى أمير المسلمين كتابا كتبه له بعض أدباء المسلمين يغلط له القول ويصف ما عنده من القورة والعدد والعدد وبالغ الكاتب بالكتاب فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب فأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل أحضر كتاب الأذفونش واكتب في ظهره الذي يكون ستراه فلما عاد الكتاب إلى الأذفونش ارتاع لذلك وعلم أنه بلي برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا فرأى في منامه كأنه راكب فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويلها فأحضر رجلا مسلما عالما بتأويل الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالة ! [١]! السورة وقوله تعالى ! [٢]! ويقتضي هلاك هذا الجيش الذي تجمعه فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فأعجبته فأحضر ذلك المعبر." (٣)

"@ ٧٥ @ منهم إلى بركيارق وجماعة إلى بغداد وصار مع صدقة جماعة منهم ثم إنه أحضر مهذب الدولة بن أبي الجير صاحب البطيحة وضمنه البلد لمدة آخرها السنة بخمسين ألف دينار وعاد إلى الحلة وأقام مهذب الدولة بواسط إلى سادس ذي القعدة وانحدر إلى بلده $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة في ربيع الأول أطلق سديد الملك أبو المعالي من الاعتقال وهو الذي كان وزير الخليفة ولما أطلق هرب إلى الحلة السيفية ومنها إلى السلطان بركيارق فولاه الإشراف على ممالكه # وفيها توفي أمين الدولة أبو سعيد العلاء بن الحسن بن الموصلايا فجأة وكان قد أضر وكان بليغا فصيحا وكان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله اثنتين وثلاثين وأربعمائة خدم الخلفاء خمسا وستين سنة كل يوم تزداد منزلته حتى ناب عن الوزارة وكان نصرانيا فأسلم سنة أربع وثمانين وكان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النية ووقف أملاكه على أبواب البر ومكاتباته مشهورة حسنة # ولما مات خلع على ابن أخته أبي نصر ولقب نظام الحضرتين وقلد ديوان الإنشاء # وفيها كانت ببغداد بين العامة فتن كثيرة وانتشر العيارون # وفيها قتل أبو نعيم بن ساوة الطبيب الواسطي وكان الحذاق في الطب وله فيه إصابات حسنة # وفيها عزل السلطان سنجر وزيره المجير أبا الفتح الطغرائي # وسبب ذلك أن الأمير بزغش وهو إصفهسلار العسكر السنجري ألقى إليه ملطف فيه لا يتم لك أمر مع هذا السلطان ووقع إلى سنجر لا يتم لك مع الأمير بزغش مع كثرة جموعه

---

(١) ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل

(٢) فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير

(٣) الكامل في التاريخ، ٨/٤٤٦

فجمع بزغش أصحاب العمائم وعرض عليهم الملطفين فاتفقوا على كاتب الطغرائي وظهرت عليه فقتل وقبض سنجر على الطغرائي وأراد قتله فمنعه بزغش وقال له حق خدمة فأبعده إلى غزنة # وفيها جمع بزغش كثيرا من عساكر خراسان وأتاه كثير من **المتطوعة** وسار إلى قتال الإسماعيلية فقصد طبس وهي لهم فخربها وما جاورها من القلاع والقرى وأكثر فيهم القتل والنهب و السبي وفعل بهم الأفعال العظيمة ثم إن أصحاب سنجر أشاروا بأن يؤمنوا ويشرط عليهم أنهم لا يبنون حصنا ولا يشترون سلاحا ولا يدعون أحدا إلى عقائدهم فسخط كثير من الناس هذا الأمان وهذا الصلح ونقموه على سنجر ثم إن." (١)

"@ ٨٢ @ وأياز وجكرمش وغيرهم من الأمراء فلما حضروا أرسل إليهم أنه بلغنا أن قلج أرسلان بن سلمان بن قتلمش قصد ديار بكر ليتملكها ويسير منها إلى الجزيرة وينبغي أن تجتمع آراؤكم على من يسير غليه ليمنعه ويقاتله فقال الجماعة ليس لهذا غير الأمير أياز فقال أياز ينبغي أن أجتمع أنا وسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الأمر والدفع لهذا القاصد فقيل ذلك للسلطان فأعاد الجواب يستدعى أياز وصدقة والوزير سعد الملك ليحرر الأمر في حضرته فنهضوا ليدخلوا إليه وكان قد أعد جماعة من خواصه ليقتلوا أياز إذا دخل إليه فلما دخلوا ضرب أحدهم رأسه فأبانه فأما صدقة فغطى وجهه بكمه وأما الوزير فإنه غشي عليه ولف أياز في مسح وألقي على الطريق عند دار المملكة وركب عسكر أياز فنهبوا ما قدروا عليه من داره فأرسل السلطان من حماها من النهب وتفرق أصحابه من يومهم وكان زوال تلك النعمة العظيمة والدولة الكبيرة في لحظة بسبب هزل ومزح # فلما كان من الغد كفنه قوم من **المتطوعة** ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر أبي حنيفة رحمه الله وكان عمره قد جاوز أربعين سنة وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه ثم صار بعد موته في جملة أمير آخر فاتخذه ولدا # وكان غزير المروءة شجاعا حسن الرأي في الحرب وأما وزيره الصفي فإنه اختفى ثم أخذ وحمل إلى دار الوزير سعد الملك ثم قتل في رمضان وعمره ست وثلاثون سنة وكان من بيت رياسة بهمذان $ ذكر وفاة سقمان بن أرتق $ # كان فخر الملك عمار صاحب طرابلس قد كاتب سقمان يستدعيه إلة نصرته على الفرنج وبذل له المعونة بالمال والرجال فبينما هو يتجهز للمسير أتاه كتاب طغتكين صاحب دمشق يخبره أنه مريض قد أشفى على الموت وأنه يخاف إن مات وليس بدمشق من يحميها أن يملكها الفرنج ويستدعيه ليوصي إليه وبما يعتمده في حفظ البلد فلما رأى أسرع في السير عازما على أخذ دمشق وقصد الفرنج في طرابلس وإبعادهم عنها فوصل إلى القريتين واتصل خبره بطغتطين فخاف عاقبة ما صنع ولقوة فكره زاد مرضه ولامه أصحابه على ما فرط في تدبيره وخوفوه

---

(١) الكامل في التاريخ، ٧٥/٩

عاقبة ما فعل وقالوا له قد رأيت سيدك تاج الدولة لما استدعاه إلى دمشق ليمنعه كيف قتله عينه عليه فبينما هم يدبرون الرأي بأي حيلة يردونه أتاهم الخبر بأنه وصل القريتين ومات وحمله أصحابه." (١)

"@ ٨٤ @ حصر سقمان نصيبين وهي الحرب لجكرمش فسير جكرمش إلى سقمان مالا كثيرا فأذه وري وقال إنه قتل في الحرب ولا يعرف قاتله ماردين بعد ياقوتي أخوه علي وصار في طاعة كرمش واستخلف بها أميرا اسمه علي أيضا فأرسل علي الوالي بماردين إلى سقمان يقول له ابن أخيك يريد أن يسلم ماردين إلى جكرمش فسار سقمان بنفسه وتسلمها فجاء إليه علي ابن أخيه وطلب إعادة القلعة إليه فقال إنما أخذتها لئلا يخرب البيت فأقطعه جبل جور ونقله إليه # وكان جكرمش يعطي عليا كل سنة عشرين ألف دينار فلما أخذ عمه سقمان ماردين منه وأرسل علي إلى جكرمش يطلب منه المال فقال إنما كنت أعطيتك احتراما لماردين وخوفا من مجاورتك والآن فاصنع ما أنت صانع فلا قدرة لك علي $ ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان $ # في هذه السنة سار جمع كثير من الإسماعيلية من طريثيث عن بعض أعمال بيهق وشاعت الغارة في تلك النواحي وأكثروا القتل في أهلها والنهب لأموالهم والسبي لنسائهم ولم يقفوا على الهدنة المتقدمة # وفي هذه السنة اشتد أمرهم وقويت شوكتهم ولم يكفوا أيديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم فمن جملة فعلهم أن قفل الحاج تجمع هذه السنة مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد فوصلوا إلى جوار الري فأتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤوا وغنموا أموالهم ودوابهم ولم يتركوا شيئا وقتلوا هذه السنة أبا جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية أخذ الفقه عن الخجندي وكان يدرس بالري ويعظ الناس فلما نزل من كرسيه أتاه باطني فقتله $ ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام $ # في هذه السنة في شعبان كانت وقعة بين طنكري الفرنجي صاحب أنطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب انهزم فيها رضوان وسببها أن طنكري حصر حصن أرتاح وبها نائب الملك رضوان فضيق الفرنج على المسلمين فأرسل النائب بالحصن إلى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذي أضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف من **المتطوعة**." (٢)

"@ ١٢٩ @ يعرفه ما عليه جاولي من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه ويعلمه أنه على قصد حلب وأنه إن ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه فأجابه طنكري

---

(١) الكامل في التاريخ، ٨٢/٩

(٢) الكامل في التاريخ، ٨٤/٩

إلى منعه وبرز من أنطاكية فأرسل إليه رضوان ستمائة فارس فلما سمع جاولي الخبر أرسل إلى القمص صاحب الرها يستدعيه إلى مساعدته وأطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة فسار إلى جاولي فلحق به وهو على منبج فوصل الخبر إليه وهو على هذه الحال بأن الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه وأمواله فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكي بن آقسنقر وبكتاش النهاوندي وبقي جاولي في ألف فارس وانضم إليه خلق من **المطوعة** فنزل بتل باشر وقاربهم طنكري وهو في ألف وخمسمائة فارس من الفرنج وستمائة من أصحاب ملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولي في ميمنته الأمير اقيسان والأمير التونتاش الأبري وغيرهما وفي المسيرة الأمير بدران بن صدقة والأصبهبذ صباوو وسنقر داراز وفي القلب القمص بغدوين وجوسلين الفرنجيين وقعت الحرب فحمل أصحاب أنطاكية على القمص صاحب الرها # واشتد القتال فأزاح طنكري عن موضعه وحملت ميسرة جاولي على رجالة أنطاكية فقتلت منهم خلقا كثيرا ولم يبق غير هزيمة صاحب أنطاكية فحينئذ عمد أصحاب جاولي إلى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوها وانهزموا فمضى جاولي ورآهم فلم يرجعوا وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أخذت الموصل منه فلما رأى أنهم لا يعودون معه أهمه نفسه وخاف من المقام فانهزم وانهزم باقي عسكره فأما الأصبهبذ صباوو فسار نحو الشام وأما بدران بن صدقة فسار إلى قلعة جعبر # وأما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر # وأما جاولي فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير ونهب صاحب أنطاكية أموالهم وأثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين إلى تل باشر والتجأ خلق كثير من المسلمين ففعلا معهم الجميل وداويا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم إلى بلادهم $ ذكر عود جاولي إلى السلطان $ # لما انهزم جاولي سقاوو قصد الرحبة فلما قاربها بات دونها في عدة فوارس فاتفق أن طائفة من عسكر الأمير مودود الذين أخذوا الموصل منه أغاروا على قوم من العرب يجاورون الرحبة فقاربوا جاولي وهم لا يشعرون به ولو علموا لأخذوه فلما رأى الحال." (١)

"@ ١٨٥ @ بهم فعاد الرسول وأبلغه عن الأمراء الذين مع السلطان محمود أنهم لا يصالحونه حتى يعود إلى خراسان فلم يجب إلى ذلك وسار من همذان إلى كرج وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح ووعده أن يجعله ولي عهده فأجاب إلى ذلك واستقر الأمر بينهما وتحالف عليه وسار السلطان محمود إلى عمه سنجر في شعبان فنزل على جدته والدة سنجر وأكرمه عمه وبالغ في ذلك وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة فقبلها ظاهرا وردها باطنا ولم تقبل منه سوى خمسة أفراس عربية وكتب

---

(١) الكامل في التاريخ، ٩/١٢٩

السلطان سنجر إلى سائر الأعمال التي بيده كخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بأن يخطب للسلطان محمود بعده وكتب إلى بغداد مثل ذلك وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد سوى الري وقصد بأخذها أن تكون له في هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه بالخروج $ ذكر غزاة أيلغازي بلاد الفرنج $ # في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم إلى نواحي حلب فملكوا بزاعة وغيرها وأخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا وخافهم أهلها خوفا شديدا ولو مكنوا من القتال لم يبق بها أحد لكنهم منعوا من ذلك وصنعوا الفرنج أهل حلب على أن يقاسموهم على أملاكهم التي بباب حلب فأرسل أهل البلد إلى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يغاثوا وكان الأمير أيلغازي صاحب حلب ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين ألفا وكان معه أسامة بن المبارك بن شبل الكلابي والأمير طغان أرسلان بن المكر صاحب بدليس وأرزن وسار بهم إلى الشام عازما على قتال الفرنج فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل فنزلوا قريبا من الأثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق إلا من ثلاث جهات وفي هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش وظن الفرنج أن أحدا لا يسلك إليهم لضيق الطريق فأخلدوا إلى المطاولة وكانت عادة لهم إذا رأوا قوة من المسلمين وراسلوا أيلغازي يقولون له لا تتعب نفسك بالمسير إلينا فنحن واصلون إليك فأعلم أصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فأشاروا إليه بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار إليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج أن أحدا يقدم عليهم لصعوبة." (١)

"@ ٢٠٦ @ أكثرهم وغنمت إبلهم وأغنامهم وأموالهم وسبي نساؤهم وذراريهم فبيعت الجارية الحسناء بدراهم بصيرة # وعاد عبد المؤمن إلى مراكش مظفرا منصورا وثبت ملكه وخافه الناس في جميع المغرب وأذعنوا له بالطاعة $ ذكر حصر مدينة كتندة $ # في هذه السنة يعني سنة أربع عشرة وخمسمائة خرج ملك من ملوك الفرنج بالأندلس يقال له ابن ردمير فسار حتى انتهى إلى كتندة وهي بالقرب من مرسية في شرق الأندلس فحصرها وضيق على أهلها # وكان أمير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والأجناد المتطوعة فسيرهم إلى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا أشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل في المسلمين وكان فيمن قتل أبو عبد الله بن الفراء قاضي المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد في الدنيا العادلين في القضاء $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة كسر بلك بن أرتق عفراس الرومي وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد يدكان وأسر عفراس وكثير

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٨٥/٩

من عسكر # وفيها أغار جوسلين الفرنجي صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين غربي الفرات وغنم من أموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئا كثيرا ولما عاد خرب بزاعة # وفيها تسلم أتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمير والشقيف # وفيها أمر السلطان محمود الأمير جيوش بك بالمسير إلى حرب أخيه طغرل فسار إليه فسمع طغرل وأتابكه كنتغدي ذلك فسار إلى كنجة من بين يدي العسكر ولم يجر قتال # وفيها في المحرم توفي خالصة الدولة أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن السبي صاحب المخزن ببغداد وولي مكانه الكمال أبو الفتوح حمزة بن طلحة المعروف بابن البقشلام والد علم الدين الكاتب المعروف # وفي جمادى الأولى منها توفي أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري الإمام وكان أخذ العلم من قرابته والطريقة أيضا ثم استفاد أيضا من إمام الحرمين أبي المعالي الجويني وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسين الوعظ سريع الخاطر ولما توفي جلس الناس في البلاد البعيدة للعزاء به حتى في بغداد برباط شيخ الشيوخ." (١)

"@ ٢٩٨ @ $ ذكر فتح المسلمين حصن وادي ابن الأحمر من الفرنجح $ # وفي هذه السنة في رجب سار عسكر دمشق مع مقدمتهم الأمير تراوش إلى طرابلس الشام فاجتمع معه كثير من الغزاة المتطوعة والتركمان أيضا خلق كثير فلما سمع القمص صاحبها بقربهم من ولايته سار إليهم في جموعه وحشوده فقاتلهم وانهزم الفرنج وعادوا إلى طرابلس في صورة سيئة قد قتلت فرسانهم وشجعانهم فلما عادوا نهب المسلمون من أعمالهم أكثرها وحصروا حصن وادي ابن الأحمر وضيقوا عليه فملكوها عنوة ونهبوا ما فيه وقتلوا المقاتلة وسبوا الحريم والذرية وأسر الرجال فاشتروا أنفسهم بمال جزيل وعاد المسلمين إلى دمشق سالمين والله أعلم $ ذكر حصر زنكي مدينة حمص $ # في هذه السنة في شعبان سار أتابك زنكي إلى مدينة حمص وقدم إليها حاجبه صلاح الدين محمد الباغيسياني وهو أكبر أمير معه وكان ذا مكر وحيل أرسله ليتوصل مع من فيها ليسلموها إليه # فوصل إليها وفيها معين الدين أنز وهو الوالي عليها والحاكم فيها وهو أيضا أكبر أمير بدمشق وحمص أقطاعه كما سبق ذكره فلم ينفذ فيه مكره فوصل حينئذ زنكي إليها وحصرها وعاودا مراسلة أنز في التسليم غير مرة تارة بالوعد وتارة بالوعيد واحتج بأنها ملك صاحبه شهاب الدين وأنها بيده أمانة ولا يسلمها إلا عن غلبة فأقام عليها إلى العشرين من شوال ورحل عنها من غير بلوغ غرض إلى بعرين فحصرها وكان منه ومن الفرنج ما نذكره إن شاء الله تعالى $ ذكر ملك زنكي قلعة بعرين وهزيمة الفرنج $ # وفي هذه السنة في شوال سار أتابك زنكي من حمص كما ذكرناه وحصر

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٠٦/٩

قلعة بعرين وهي للفرنج تقارب مدينة حماة وهي من أمنع الحصون وأحصنها فلما نزل عليها قاتلها وزحف إليها فجمع الفرنج فارسيهم وراجلهم وساروا في قضهم وقضيضهم وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم إلى أتابك زنكي ليرحلوه عن بعرين فلم يرحل وصبر لهم إلى أن وصلوا إليه فلقيهم وقاتلهم أشد قتال وصبر الفريقان ثم أجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب واحتمى ملوكهم بحصن بعرين لقربه منهم فحصرهم المسلمون ومنع أتابك زنكي عنهم كل شيء." (١)

"@ ٤٥٢ @ $ ذكر حصر المؤيد شارستان $ # في هذه السنة حصر المؤيد أي أبه مدينة شارستان قريب نيسابور وقاتله أهلها ونصب المجانيق والعرادات فصبر أهلها خوفا على أنفسهم من المؤيد وكان مع المؤيد جلال الدين الموفقي الفقيه الشافعي فبينما هو راكب إذ وصل إليه حجر منجنيق فقتله خامس جمادى الآخرة من السنة وتعدى الحجر منه إلى شيخ من شيوخ بيهق فقتله فعظمت المصيبة بقتل جلال الدين على أهل العلم خصوصا أهل السنة والجماعة وكان في عنفوان شبابه رحمه الله لما قتل ودام الحصار إلى شعبان سنة سبع وخمسين وخمسمائة فنزل خواجكي صاحبها بعدما كثر القتل ودام الحصر وكان لهذه القلعة ثلاثة رؤساء هم أرباب النهي والأمر وهم الذين حفظوها وقاتلوا عنها أحدهم خواجكي هذا والثاني داعي بن محمد ابن أخي حرب العلوي والثالث الحسين بن أبي طالب العلوي الفارسي فنزلوا كلهم أيضا إلى المؤيد أي أبه فيمن معهم من أشياعهم وأتباعهم فأما خواجكي فإنه أثبت عليه أنه قتل زوجته ظلما وعدوانا وأخذ مالها فقتل بها وملك المؤيد شارستان وصفت له فنهبها عسكره إلا أنهم لم يقتلوا امرأة ولا سبوها $ ذكر ملك الكرج مدينة آني $ # في هذه السنة في شعبان اجتمعت الكرج مع ملكهم وساروا إلى مدينة آني من بلاد آران وملكوها وقتلوا فيها خلقا كثيرا فانتدب لهم شاه أرمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط وجمع العساكر واجتمع معه من **المتطوعة** خلق كثير وسار إليهم فلقوه وقاتلوه فانهزم المسلمون وقتل أكثرهم وأسر كثير منهم وعاد شاه أرمن مهزوما ولم يرجع معه غير أربعمائة فارس من عسكره $ ذكر ولاية عيسى مكة حرسها الله تعالى $ # كان أمير مكة هذه السنة قاسم بن فليتة بن قاسم بن أبي هاشم العلوي الحسيني فلما سمع بقرب الحجاج من مكة صادر المجاورين وأعيان أهل مكة وأخذ كثيرا من أموالهم وهرب من مكة خوفا من أمير الحاج أرغش وكان قد حج هذه السنة زين الدين علي بن بكتكين صاحب جيش الموصل ومعه طائفة صالحة من." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٩٨/٩

(٢) الكامل في التاريخ، ٤٥٢/٩

"@ ١٤٤ @ طرق بلادهم خوفا من العسكر الذي مع ولده الأفضل فتمكن من الحصر والنهب والحريق والتخريب هذا فعل صلاح الدين $ ذكر الغارة على بلد عكا $ # أرسل صلاح الدين إلى ولده الأفضل يأمره أن يرسل قطعة صالحة من الجيش إلى بلد عكا ينهبونه ويخربونه فسير مظفر الدين كوكبري بن زين الدين صاحب حران والرها وأضاف اليه قايماز النجمي ودلدرم الياقوتي وهما من أكابر الأمراء وغيرهما فساروا ليلا وصبحوا صفورية أواخر صفر فخرج اليهم الفرنج في جمع من الداوية والاسبتارية وغيرهما فالتقوا هناك وجرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود ثم أنزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة وأسر الباقون وفيمن قتل مقدم الاسبتارية وكان من فرسان الفرنج المشهورين وله النكايات العظيمة في المسلمين ونهب المسلمون ما جاورهم من البلاد وغنموا وسبوا وعادوا سالمين وكان عودهم على طبرية وبها القمص فلم ينكر ذلك فكان فتحا كثيرا فإن الداوية والاسبتارية هم جمرة الفرنج وسيرت البشائر إلى البلاد بذلك $ ذكر عود صلاح الدين إلى عسكره ودخوله إلى الفرنج $ # لما أتت صلاح الدين البشارة بهزيمة الاسبتارية والداوية وقتل من قتل منهم وأسر من أسر منهم عاد عن الكرك الى العسكر الذي مع ولده الملك الأفضل وقد تلاحقت سائر الأمراء والعساكر واجتمع بهم وساروا جميعا وعرض العسكر فبلغت عدتهم اثني عشر الف فارس ممن له الأقطاع والجامكية سوى **المتطوعة** فعلى عسكره قلبا وجناحين وميمنة وميسرة وجاليشية وساقة وعرف كل منهم موضعه وموقفه وأمره بملازمته وسار على تعبية فنزل بالأقحوانة بقرب طبرية وكان القمص قد انتمى إلى صلاح الدين كما ذكرناه وكتبه متصلة إليه يعده النصرة ويمنيه المعاضدة $ وما يعدهم الشيطان إلا غرورا $ # فلما رأى الفرنج العساكر الإسلامية وتصميم العزم على قصد بلادهم أرسلوا إلى القمص البطرك والقسوس والرهبان وكثيرا من الفرسان فأنكروا عليه انتماءه إلى صلاح الدين وقالوا له لا شك اسلمت وإلا لم تصبر على فعل المسلمين أمس بالفرنج." (١)

"@ ١٤٧ @ الماء فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدهم عن مرادهم ووقف بالعسكر في وجوههم وطاف بنفسه على المسلمين يحرضهم ويأمرهم بما يصلحهم وينهاهم عما يضرهم والناس يأتمرون لقوله ويقفون عند نهيه فحمل مملوك من مماليكه الصبيان حملة منكرة على صف الفرنج فقاتل قتالا عجب منه الناس ثم تكاثر الفرنج عليه فقتلوه فحين قتل حمل المسلمون حملة منكرة ضعضعوا الكفار وقتلوا منهم كثيرا فلما رأى القمص شدة الأمر علم أنهم لا طاقة لهم بالمسلمين فاتفق هو وجماعة وحملوا على من

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٠/١٤٤

يليهم وكان المقدم من المسلمين في تلك الناحية تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين فلما رأى حملة الفرنج حملة مكروب علم أنه لا سبب إلا الوقوف في وجوههم فأمر اصحابه ان يفتحوا لهم طريقا يخرجون منه وكان بعض المتطوعة قد القى في تلك الأرض نارا وكان الحشيش كثيرا فاحترق وكانت الريح فحملت حر النار والدخان إليهم فاجتمع عليهم العطش وحر ا لزمان وحر النار والدخان وحر القتال فلما انهزم القمص سقط في أيديهم وكادوا يستسلمون ثم علموا أنهم لا ينجيهم من الموت إلا الإقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم عن مواقفهم لولا لطف الله بهم إلا ان الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون إلا وقد قتل منهم فوهنوا لذلك وهنا عظيما فأحاط بهم المسلمون إحاطة الدائرة بقطرها فارتفع من بقي من الفرنج إلى تل بناحية حطين وأرادوا أن ينصبوا خيامهم ويحموا نفوسهم به فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات ومنعهوهم عما ارادوا ولم يتمكنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم لا غير وأخذ المسلمون صليبهم الأعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت ويذكرون أن فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم فكان أخذه عندهم من أعظم المصائب عليهم وأيقنوا بعده بالقتل والهلاك هذا والقتل والأسر يعملان في فرسانهم ورجالتهم فبقي الملك على ا لتل في مقدار مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين والشجعان المذكورين # فحكى لي عن الملك الأفضل ولد صلاح الدين قال كنت إلى جانب أبي في ذلك المصاف وهو أول مصاف شاهدته فلما صار ملك الفرنج على التل في تلك الجماعة حملوا حملة منكرة على من بإزائهم من المسلمين حتى الحقوهم بوالدي." (١)

"@ ١٨١ @ ويظهر مخالفته لا يقبل فيه فلما قارب انقضاء الهدنة تقدم صلاح الدين من معسكره إلى القرب من شقيف أرنوم وأحضر عنده أرناط وقد بقي من الأجل ثلاثة أيام فقال له في معنى تسليم الشقيف فاعتذر بأولاده وأهله وأن المركيس لم يمكنهم من المجيء إليه وطلب التأخير مدة أخرى فحينئذ علم السلطان مكره وخداعه فأخذه وحبسه وأمره بتسليم الشقيف فطلب قسيسا ذكره ليحمل رسالة إلى من بالشقيف ليسلموه فأحضروه عنده فساره بما لم يعلموا فمضى ذلك القسيس إلى الشقيف فأظهر أهله العصيان فسير صلاح الدين ارناط إلى دمشق وسجنه وتقدم إلى الشقيف فحصره وضيق عليه وجعل عليه من يحفظه ويمنعه عن الذخيرة والرجال $ ذكر وقعة اليزك مع الفرنج $ # لما كان صلاح الدين بمرج عيون وعلى الشقيف جاءته كتب من أصحابه الذين جعلهم يزكا في مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها أن الفرنج قد أجمعوا على عبور الجسر الذي لصور وعزموا ا على حصار صيدا فسار صلاح الدين جريدة

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٤٧/١٠

في شجعان أصحابه سوى من جعله على الشقيف فوصل إليهم وقد فات الأمر وذلك أن الفرنج قد فارقوا صور وساروا عنها لمقصدهم فلقيهم اليزك على مضيق هناك وقاتلوهم ومنعوهم وجرى لهم معهم حرب شديدة يشيب لها الوليد وأسروا من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقتل من المسلمين أيضا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من أشجع الناس فحمل وحده على صف الفرنج فاختلط بهم وضربهم بسيفه يمينا وشمالا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله # ثم إن الفرنج عجزوا عن الوصول إلى صيدا فعادوا إلى مكانهم $ ذكر وقعة ثانية للغزاة **المتطوعة** $ # لما وصل صلاح الدين إلى اليزك وقد قاتته تلك الوقعة أقام عندهم في خيمة صغيره ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم ويأخذ بثأر من قتلوه من المسلمين فركب في بعض الأيام في عدة يسيرة على أن ينظر إلى مخيم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى ما يشاهده وظن من هناك م ن غزاة العجم والعرب **المتطوعة** أنه على قصد المصاف والحرب فساروا مجدين وأوغلوا في أرض العدو مبعدين وفارقوا الحزم وخلفوا." (١)

"@ ٢٥٣ @ إلى الخطا فبيتوهم وكبسوهم ليلا من عادة الخطا أنهم لا يخرجون من خيامهم ليلا ولا يفارقونها فأتاهم هؤلاء الغورية وقاتلوهم وأكثروا القتل في الخطا وانهزم من سلم منهم من القتل وأين ينهزمون والعسكر الغوري خلفهم وجيحون بين أيديهم وظن الخطا أن غياث الدين قد قصدهم في عساكره فلما أصبحوا وعرفوا من قاتلهم وعلموا أن غياث الدين بمكانه قويت قلوبهم وثبتوا عامة نهارهم فقتل من الفريقين خلق عظيم ولحقت **المتطوعة** بالغوريين وأتاهم مدد من غياث الدين وهم في الحرب فثبت المسلمون وعظمت نكايتهم في الكفار وحمل الأمير حروش على قلب الخطا وكان شيخا كبيرا فأصابه جراحة توفي منها ثم إن محمود بن جربك وابن خرميل حملا في اصحابهما وتنادوا أن لا يرمي أحد بقوس ولا يطعن برمح وأخذوا اللنوت وحملوا على الخطا فهزموهم وألحقوهم بجيحون فمن صبر قتل ومن ألقى نفسه في الماء غرق ووصل الخبر إلى ملك الخطا فعظم عليه وأرسل إلى خوارزم شاه يقول له أنت قتلت رجالي وأريد عن كل قتيل عشرة آلاف دينار وكان القتلى اثني عشر الفا وأنفذ إليه من رده إلى خوارزم وألزموه بالحضور عنده فأرسل حينئذ خوارزم شاه إلى غياث الدين يعرفه حاله مع الخطا ويشكو إليه ويستعطفه غير مرة فأعاد الجواب يأمره بطاعة الخليقة وإعادة ما أخذه الخطا من بلاد الإسلام فلم ينفصل بينهما حال $ ذكر ملك خوارزم شاه مدينة بخارا $ # لما ورد رسول ملك الخطا على خوارزم شاه بما ذكرناه اعاد الجواب ان عسكرك إنما قصد انتزاع بلخ ولم يأتوا إلى نصرتي ولا اجتمعت بهم ولا أمرتهم بالعبور وإن كنت

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٠/١٨١

فعلت ذلك فأنا مقيم بالمال المطلوب مني ولكن حيث عجزتم انتم عن الغورية عدتم علي بهذا القول وهذا المطلب وأما أنا فقد أصلحت الغورية ودخلت في طاعتهم ولا طاعة لكم عندي فعاد الرسول بالجواب فجهز ملك الخطا جيشا عظيما وسيره إلى خوارزم شاه يخرج إليهم كل ليلة ويقتل منهم خلقا عظيما وأتاه من **المتطوعة** خلق كثير فلم يزل هذا فعله بهم حتى أتى على أكثرهم فدخل الباقون إلى بلادهم ورحل خوارزم شاه في آثارهم وقصد بخارا فنازلها وحصرها وامتنع أهلها منه وقاتلوه مع الخطا حتى أنهم أخذوا كلبا أعور وألبسوه قباء وقلنسوة وقالوا هذا خوارزم شاه لأنه كان أعورا وطافوا به على السور ثم ألقوه في منجنيق إلى." (١)

"@ ٣٢٠ @ حلب فليس إليه طريق لأن جميع بلاده لا طريق إليها إلا من جبال وعرة ومضايق صعبة فلا يقدر غيره على الدخول إليها لا سيما من ناحيى حلب فإن الطريق منها متعذر جدا فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب وجعل على مقدمته جماعة من عسكره مع أمير كبير من مماليك أبيه يعرف بميمون القصري ينسب إلى قصر الخلفاء العلويين بمصر لأن أباه منهم أخذه فأنفذ الظاهر ميرة وسلاحا إلى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون اسمه دربساك وأنفذ إلى ميمون ليرسل طائفة من العسكر الذي عنده إلى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها إلى دربساك ففعل ذلك وسير جماعة كثيرة من عسكره وبقي في قلة فبلغ الخبر إلى ابن ليون فجد فوفاه وهو مخف من العسكر فقاتله واشتد القتال بينهم فأرسل ميمون إلى الظاهر يعرفه وكان بعيدا عنه فطالت الحرب بينهم وحمى ميمون نفسه وأثقاله على قلة من المسلمين وكثرة من الأرمن فانهزم المسلمون ونال العدو منهم فقتل وأسر وكذلك أيضا فعل المسلمون بالأرمن من كثرة القتل وظفر الأرمن بأثقال المسلمين وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذخائر إلى دربساك فلم يشعروا بالحال فلم يرعهم إلا العدو وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا أشد قتال ثم انهزم المسلمون أيضا وعاد الأرمن إلى بلادهم بما غنموا واعتصموا بجبالهم وحصونهم $ ذكر نهب الكرج أرمينية $ # في هذه السنة قصدت الكرج في جموعها ولاية خلاط من أرمينية ونهبوا وقتلوا وأسروا وسبوا أهلها كثيرا وجاسوا خلال الديار آمنين ولم يخرج إليهم من خلاط من يمنعهم فبقوا متصرفين في النهب والسبي والبلاد شاغرة لا مانع لها لأن صاحبها صبي والمدبر لدولته ليست له تلك الطاعة على الجند فلما اشتد البلاء على الناس تذامروا وحرض بعضهم بعضا واجتمعت العساكر الإسلامية التي بتلك الولاية جميعها وانضاف إليهم من **المتطوعة** كثير فساروا جميعهم نحو الكرج وهم خائفون فرأى بعض الصوفية الأخبار

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٥٣/١٠

الشيخ محمد البستي وهو من الصالحين وكان قد مات فقال له الصوفي أراك ههنا فقال جئت لمساعدة المسلمين على عدوهم فاستيقظ فرحا بمحل البستي من الإسلام وأتى إلى مدبر العسكر والقيم بأمره وقص عليه رؤياه ففرح بذلك وقوي عزمه على قصد الكرج وسار بالعساكر إليهم فنزل." (١)

"@ ٤١٢ @ يخرج عن الحد والاحصاء ونهبوا كل ما صلح لهم وما لا يصلح لهم واحرقوه واختفى بعض الناس منهم فكانوا يأخذون الأسارى ويقولون لهم نادوا في الدروب ان التتر قد رحلوا فإذا نادى أولئك خرج من اختفى فيؤخذ ويقتل # وبلغني أن امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت جماعة من أهلها وهم يظنونها رجلا فوضعت السلاح وإذا هي امرأة فقتلها رجل اخذته اسيرا # وسمعت من بعض أهلها ان رجلا من التتر دخل فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحدا واحدا حتى أفناهم ولم يمد أحد يده اليه بسوء ووضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيرا نعوذ بالله من الخذلان ثم رحلوا عنها نحو مدينة إربل ووصل الخبر إلينا بذلك بالموصل فخفنا حتى إن بعض الناس هم بالجلاء خوفا من السيف وجاءت كتب مظفر الدين صاحب إربل الى بدر الدين صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر فسير جمعا صالحا من عسكره وأراد ان يمضي إلى طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق لئلا يجوزها احد فإنها جميعها جبال وعرة ومضايق لا يقدر أن يجوزها إلا الفارس بعد الفارس ويمنعهم من الجواز إليه ووصلت كتب الخليفة ورسله الى الموصل والى مظفر الدين يأمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فإنهم ربما عدلوا عن جبال إربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون العراق فسار مظفر الدين من إربل في صفر وسار إليهم جمع من عسكر الموصل وتبعهم من **المتطوعة** كثير وأرسل الخليفة ايضا الى الملك الأشرف يأمره بالحضور بنفسه في عسكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم فاتفق ان الملك المعظم بن الملك العادل وصل من دمشق إلى أخيه الأشرف وهو بحران يستنجده على الفرنج الذين بمصر وطلب منه ان يحضر بنفسه ليسيروا كلهم الى مصر ليستنقذوا دمياط من الفرنج فاعتذر الى الخليفة بأخيه وقوة الفرنج وإن لم يتداركها خرجت هي وغيرها وشرع يتجهز للسيـر الى الشام ليدخل مصر وكان ما ذكرناه من استنقاذ دمياط فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا سير الخليفة اليهم مملوكه قشتمر وهو اكبر امير بالعراق ومعه غيره من الأمراء في نحو ثمانمائة فارس فاجتمعوا هناك ليتصل بهم باقي عسكر الخليفة وكان المقدم على الجميع مظفر الدين فلما رأى قلة العسكر لم يقدر على قصد التتر." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٢٠/١٠

(٢) الكامل في التاريخ، ٤١٢/١٠

"الهندية والمتاع الصيني وغيره، وهي على نهر صغير، ومنها إلى صنعاء مائة ميل واثنان وثلاثون ميلا.

زبطرة (١) :

من الثغور الجزرية، بينها وبين ملطية أربعة فراسخ وزبطرة حصن منيع كثير الأهل قديم رومي، فتحه حبيب بن مسلمة الفهري وكان قائما إلى أن أخربته الروم أيام الوليد بن يزيد، فبني بناء غير محكم فهدمته الروم في فتنة مروان، فأعاده المنصور فهدمته الروم فبناه الرشيد وشحنه، فطرقته الروم في خلافة المأمون وأغاروا على سرح أهله فأمر المأمون بمرمته وتحصينه.

ثم خرجت الروم (٢) إلى زبطرة أيام المعتصم بالله عليهم توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره، ومعه ملوك برجان والبرغز والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم، فنزلوا على زبطرة وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وفتحها بالسيف، وقتل الصغير والكبير، وسبى وأغار على ملطية، فضج الناس في الأمصار واستغاثوا في المساجد والديار، ودخل إبراهيم بن المهدي على المعتصم فأنشده قصيدة طويلة منها:

يا غيرة الله قد عاينت فانتقمي ... تلك النساء وما منهن يرتكب

هب الرجال على إجرامها قتلت ... ما بال أطفالها بالذبح تنتهب ويقال إن المعتصم بلغه أن روميا لطم أسيرة في زبطرة فصاحت: وامعتصماه، فأحفظه ذلك وأغضبه، فخرج من فوره نافرا عليه دراعة من الصوف بيضاء قد تعمم بعمة الغزاة، فعسكر غربي دجلة، ونودي في الأمصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين، فسالت العساكر **والمطوعة** من سائر بلاد الإسلام، فمن مكثر يقول: سار في خمسمائة ألف، ومقلل يقول: سار في مائتي ألف، ولقي الأفشين أحد قواده ملك الروم فهزمه وقتل أكثر بطارقته ووجوه أصحابه، وفتح المعتصم حصونا، ونزل على عمورية ففتحها الله على يديه، وخرج إليه لاوي (٣) البطريق منها وأسلمها إليه،

وأسر منها البطريق الكبير باطس (٤) ، وقتل فيها ثلاثين ألفا، وأقام المعتصم عليها أربعة أيام يهدم ويحرق.

وفي وصف هذه الحال يقول أبو تمام حبيب بن أوس الطائي قصيدته المشهورة التي أولها:

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب يقول فيها:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... منك المنى حفلا معسولة الشنب

ألفيت جد بني الإسلام في صعد ... والمشركين وجد الشرك في صبب يقول فيها للمعتصم:

لبيت صوتا زبطريا هرقت له ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب يعني صوت التي صاحت: وامعتصماه، ثم أمر المعتصم ببناء زبطرة وشحنها، فرامها العدو بعد ذلك فلم يقدر عليها.

زحالة (٥) :

في البلاد الإفريقية وبناحية الأربس، بها وصل الخبر بمقتل عبد العزيز بن إبراهيم وأصحابه إلى أحمد بن مرزوق وهو في الجنود الإفريقية متوجه إليه، فاختلت محلة عبد العزيز وفسد أمره وقتل، وسيق رأسه إلى أحمد بن مرزوق، وظهر صنع الله تعالى في البغاة، وبسط هذا مذكور في افرن.

الزرادة (٦) :

مدينة بناحية اليمن، كان أبو سعيد الجنابي، وهو من جزيرة جنابا، من جملة من قام بدعوة القرامطة، وكان يبيع الطعام بالزرادة، وكان بها أيضا رجل يعرف بإبراهيم الصائغ وكان

---

(١) (Sozopetra) قارن بياقوت (زبطرة)، والتنبيه والأشراف: ١٦٩، وتقويم البلدان: ٢٣٤، والكرخي: ٤٧.

(٢) مروج الذهب ٧: ١٣٣.

(٣) ص ع: الدي.

(٤) ع: باطيش؛ ص: باطيس.

(٥) انظر مادة أفرن؛ ولم أجد ((زحالة)) في المصادر المتيسرة.

(٦) ينقل المؤلف عن البكري (مخ) ٦٨ وهو المصدر الوحيد الذي ورد عنده اسم هذا الموضع (الزرادة) – فيما أعلم – ، ولا أدري هل التبست هنا ب؟((الزارة)) إحدى مدن البحرين أو لا، على أن البكري نفسه ورد الأسم لديه في صورة ((الواردة))؛ وذكر الاسم في الترجمانة: ٤٩٢. وقارن بالطبري ٣: ٢١٢٤ وأخبار القرامطة: ١١٣.." (١)

"ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه فوصفه بالعقل وقال: انتهت خيله إلى الشماسية.

قال: وكان فرات جلولاء في يد المعتصم، وهو أمير، فكتبت إليه عنه: لعبد الله مهدي أمير المؤمنين من أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين يسأله الكف عن ضياعه ويبذل له عليها شيئا من المال، ووجه بالكتاب معي، فصرت إليه وهو بجلواباذ عليه دراعة وسيف وعمامة هارونية، فقلت له: قد أتيتك بكتاب ما أتاك مثله، أعني مخاطبة أبي إسحاق إياه بالخلافة، قال: فدعا بكتب كثيرة من الهاشميين وغيرهم يخاطبونه بالخلافة، قال: فكتب لي بما أردت وأعطاني خاتمه فختمت به الكتاب، فكان أول خاتم باطل وقع في

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٢٨٥

يدي ثم ردفه خاتم إبراهيم بن المهدي.
قال: ومرت بنا امرأة نصرانية فقال لي مهدي: هذه أمي وليس يحل لي أن أكرهها على الإسلام.
قال: وذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسوء، فقال: هل لكم فيما هو خير من هذا كله؟ نكله إلى الله عز وجل.
وقال يحيى بن أكثم: كنت أساير المأمون فوق باب الشماسية وهو على بغل، فخرج من زرع كان بالقرب من الطريق رجل معه قصة، فنفر البغل ورمى بالمأمون، فقال المأمون: والله لأقتلنك، فلما استوى على بغلته قال له الرجل: يا أمير المؤمنين لأن تلقى الله حانثا خير لك من أن تلقاه قاتلا، قال: صدقت والله، وقضى حاجته ووقع في قصته ما أراد.
وقال أحمد بن أبي دواد: كنت أعيب الغناء وأطعن على أهله، فخرج المعتصم يوما إلى الشماسية في حراقة يشرب ووجه في طلبي فصرت إليه، فلما قربت منه سمعت غناء حيرني وشغلني عن كل شيء، فسقط سوطي من يدي، فالتفت إلى غلامي أطلب منه سوطه فقال لي: قد والله سقط مني، قلت له: فأي شيء كان سبب سقوطه؟ قال: صوت سمعته شغلني عن كل شيء فسقط سوطي من يدي، فإذا قصته قصتي، قال: وكنت أنكر أمر الطرب على الغناء وما يستفز به الناس منه ويغلب على عقولهم، وأناظر المعتصم فيه، فلما دخلت عليه يومئذ أخبرته بالخبر، فضحك وقال: هذا عمي كان يغني:
إن هذا الطويل من آل حفص ... نشر المجد بعد ما كان ماتا فإن كنت تبت مما كنت تناظرنا عليه في ذم الغناء سألته أن يعيده، ففعلت وفعل، وبلغ الطرب مني أكثر مما كان يبلغني عن غيري فأنكره، ورجعت عن رأيي فيه منذ ذلك اليوم.
شنترين (١) :
بالأندلس مدينة معدودة في كور باجة، وهي مدينة على جبل عال كثير العلو جدا، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها، وبأسفلها ربض على طول النهر، وشرب أهلها من العيون ومن ماء النهر، ولها بساتين كثيرة وفواكه ومباقل، وبينها وبين بطليوس أربع مراحل.
وهي من أكرم الأرضين (٢) ، ونهرها يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر فيزدرع أهلها على ثراه عند انقطاع الزريعة في البلاد وذهاب أوانها فلا يقصر عن نمائه الطيب ولا يتأخر إناه وإدراكه.
ومن أقاليمها صقلب (٣) ، وهي أطيب بقاع الأرض يرفع في أرضه عند توسط الرياع للحبة مائة، وعند كماله للحبة مائتان. ولشنترين جزائر في البحر مسكونة. وكانت جباية شنترين ألفين وتسعمائة دينار،

وأحوازها متصلة بأحواز باجة.

وكان يوسف بن عبد المؤمن (٤) ملك المغرب اجتاز عليها في حركته الأندلسية بعسكره وهو أربعون ألفا من أنجاد العرب الفرسان، ومن الموحدين والجنود **والمطوعة** وفرسان الأندلس وأجنادها ما ينيف على مائة ألف فارس، وبرز أسطوله على الأشبونة وحاصرها عشرين يوما ونزل على أعظم قواعد ابن الرنق عدو المغرب، وكان مؤذيا للمسلمين من قاعدته (٥) ، وهي شنترين هذه، فبرز عليها في أمم لا تحصى، وهناك عرض له المرض الذي توفي فيه، أقام يرحل به على مطية مضطجعا على فراشه وضعفه يتزايد إلى أن تفقد في بعض أميال فوجد ميتا، وذلك في سنة ثمانين وخمسمائة، فتقدم

---

(١) بروفنسال: ١١٣، والترجمة: ١٣٩ (Santrem)، وقارن بآثار البلاد: ٥٤٢.

(٢) من هنا عن الإدريسي (د): ١٨٦,

(3) انظر ياقوت (صقلب).

(٤) انظر تفصيل غزوة أبي يعقوب هذه إلى الأندلس في البيان المغرب ٣: ١٢٨ وما بعدها (تطوان) وخاصة الصفحة ١٣٣ - ١٣٤ في حصار شنترين.

(٥) سقطت من ص ع.." (١)

"إذا جار الأمير وحاجباه ... وقاضي الأرض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء وكان على قنسرين (١) سور حصين فهدم في أيام قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بأمر يزيد بن معاوية، وفيها الآن آثار من سورها، ولها حصن منيع وبها أسواق وفعلة وهي على نهر قويق، وهو نهر حلب يصل في جريته إلى قنسرين ثم يغوص في الأجمة، وقيل بين قنسرين وحلب عشرون ميلا.

قنوج (٢) :

أفخر بلاد الهند اسما وشأنا، وأعظمها صيتا وأقدمها بنيانا، وكان واليها بأجيال أكبر شياطين الكفر جاها ومقدارا وأتمهم قوة، وكان سلفه ملوك الهند من مستقرهم إلى منتهى الثغور، وكان ولاة قشمير لهم بمنزلة الحجاب، وكانوا قد أقروا لهم بالسمع والطاعة أذعنوا للانقياد والمتابعة، وكان بين آخر ثغور هذا الجانب وبين قنوج ممالك الهند متصلة الحدود بالحدود، تقطعها قوافل التجار في مدة سنة كاملة إذا واظبو ا على

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٣٤٦

السير، وكان ولاة كفارها لهم أمر نافذ وذكر سائر وناحية عظيمة وقلاع حصينة وعدة كاملة وقوة وافرة، وهم يعتقدون أن الأصنام آلهتهم ولا يتفكرون في خلق السموات والأرض.

وقصدها غازيا لها محمود بن سبكتكين سلطان خراسان من مستقره بغزنة سنة عشر وأربعمائة، في خلافة الإمام القادر بالله أمير المؤمنين، وفي رسالته يخاطب القادر بالله بذلك: استخار العبد في النهوض إلى عرصة مقره وعقر داره، ابتداء بتحصين الممالك المعقودة بإقباله، فوثب (٣) بنواحي غزنة العبد محمدا مع خمسة عشر ألف راجل وعشرة آلاف فارس من أولي الإخلاص في الوفاء وخواص الأولياء الموثوق بغنائهم، وأنهض العبد مسعودا مع عشرة آلاف راجل وعشرة آلاف فارس من أولي الإخلاص في الوفاء والامحاض في الولاء إلى ملتان لتنظيفها من بقايا الباطنية، وتقرير أمورها على الطريقة السوية، وشحن بلخ وطخارستان بأرسلان مع اثني عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل من الأنجاد والشجعان، وضبط ولاة خوارزم بالترشاش الحاجب مع عشرين ألف فارس وعشرين ألف راجل المختارين للجلاد والطعان، بعدما هذب أحوال الأطراف والقلاع، وسد ثغورها بالأمناء والأنجاد عند المصاع، غير ساكن إلى حضورهم ولا واثق بقوة جمهورهم، بل اعتمد كتاب الله تعالى واتكل عليه في رعاية ما استرعي من الممالك والأمم، وانتخب ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل لصحبة راية الإسلام، كلهم طلاب الشهادة، وتحت ظلل الحمام، وانضمت إليهم جماهير **المطوعة** من النواحي المفترقة، وانتظمت أحوالهم بإطلاق ما يسر الله عز وجل من الصلة والنفقة.

القندهار (٤) :

مدينة بالهند كبيرة النظر كثيرة الخلق، وهم قوم يمتازون بلحاهم من غيرهم، فإنهم يتركون لحاهم تطول حتى تصل إلى ركبهم ودونها، وهي عراض كثيرة الشعر، ووجوههم مدورة، والمثل يضرب بكبر لحاهم وطولها، وزيهم زي الأتراك، وعندهم حنطة و أرز وحبوب وأغنام وأبقار، وهم يأكلون الأغنام الميتة ولا يأكلون البقر الميتة، وهم يحاربون ملك كابل وكابل من مدن الهند المجاورة لبلاد طخارستان.

قال بعضهم: مدحت ملك القندهار والطاق فأعطاني ستين ألف درهم طاطرية، كل درهم مثقال (٥) :

---

(١) عن نزهة المشتاق: ١٩٦.

(٢) ذكر المسعودي (المروج ١: ٣٧٤) ملك القنوج وقال إن مسافة مملكته من عشرين ومائة فرسخ سندية، الفرسخ ثمانية أميال، وذكر أن له أربعة جيوش كل جيش سبعمائة ألف لمحاربة من حوله، وهو

قليل الفيلة ورسمه لحربه ألفا قبل حربية؛ وتحدث الإدريسي (ق): ٦٧، ٦٩ عن المدينة والملك، وخالف المسعودي فقال إنه كثير الفيلة وليس في ملوك الهند البرية ملك عنده من الفيلة ما عنده منها؛ وقال صاحب حدود العالم: ٨٩ ((قنوج مدينة كبيرة وهي مدينة القنوج الملك ومعظم ملوك الهند في طاعته، ويقال إن لديه ١٥٠ ألف قرش و ٨٠٠ فيل معدة للحرب؛ وكانت مدينة قنوج في أيام ابن بطوطة (الرحلة: ٥٣٩) مدينة كبيرة حسنة العمارة حصينة رخيصة كثيرة السكر، وعليها سور عظيم، ويذهب مينورسكي إلى أسرة Gujara - Parihara وأن إمبراطورية هذه الأسرة كانت تضم كل شمال الهند (ما عدا السند) وأجزاء غربية من البنجاب وقشمير ونيبال وأسام وأجزاء من البنغال والولايات الوسطى وأوريسا (حدود العالم: ٢٣٨ – ٢٣٩، ٢٤٦) وانظر تقويم البلدان: ٣٦٠، وقد وردت اللفظة عند البيروني (تحقيق ما للهند: ١٦): كنوج.

(٣) لعلها: ((فرتب)).

(٤) يعتمد المؤلف على الإدريسي (ق): ٧١ (OG: 195)، وقارن بما في تقويم البلدان: ٣٥٦، وحدود العالم: ٨٨، ورحلة ابن بطوطة: ٣٩٢، ٥٥٢، وقندهار (Ghandahar) تقع على الزاوية الشرقية من خليج كمبي (Cambay) (انظر حدود العالم: ٢٤٥).

(٥) وردت ألفاظ في هذه الأبيات لم أوفق لوجه الصواب فيها.." (١)

"فنزل على هرقلة هذه، وكان معه أهل الثغور، وفيهم شيخا الثغور الشامية: مخلد بن الحسين وأبو إسحاق الفزاري صاحب كتاب السير، فخلا الرشيد بمخلد بن الحسين فقال: أيش تقول في نزولنا على هذا الحصن؟ فقال: هذا أول حصن لقيته من حصون الروم، وهو في نهاية المنعة والقوة، فإن نزلت عليه وسهل فتحه لم يتعذر عليك فتح حصن بعده، فأمره بالانصراف ودعا بأبي إسحاق الفزاري فقال له مثل ما قال لمخلد، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا حصن بنته الروم في نحر الدروب، وجعلته لها ثغرا من الثغور، وليس بالآهل، فإن فتحته لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم، وإن تعذر فتحه كان ذلك نقصا في التدبير، والرأي عندي أن يسير أمير المؤمنين إلى مدينة عظيمة من مدن الروم، فإذا فتحت عمت غنائمها المسلمين، وإن تعذر ذلك قام العذر، فقال الرشيد: القول قول مخلد، ونزل على هرقلة ونصب حواليها الحرب سبعة عشر يوما فأصيب خلق من المسلمين، وفنيت الأزودة والعلوفات، وضاق صدر الرشيد من ذلك، فأحضر أبا إسحاق الفزاري فقال: يا إبراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين، فما الرأي الآن عندك؟ قال: يا أمير المؤمنين، قد أشفقت من هذا وقدمت القول فيه، ورأيت أن يكون الحرب والجد من المسلمين على

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٤٤٧

غير هذا الحصن، والآن فلا سبيل إلى الرحيل عنه من بعد المباشرة، فيكون ذلك نقصا في الملك ووهنا على الدين، وإطماعا لغيره من الحصون في الامتناع على المسلمين والمصابرة لهم، ولكن يا أمير المؤمنين تأمر بالنداء في الجيش: أن أمير المؤمنين مقيم على هذا الحصن حتى يفتحه الله على المسلمين، وتأمر بقطع الحجارة وجمع الخشب وبناء مدينة بإزاء هذا الحصن إلى أن يفتحه الله تعالى، ولا يكون هذا الخبر ينمي إلى من في الحصن (١) إلا على المقام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الحرب خدعة " ، وهذه حرب حيلة لا حرب سيف.

فأمر الرشيد بالنداء من ساعته، فحملت الحجارة وقطع الشجر، وأخذ الناس في البناء، فلما رأى أهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون في الليل ويدلون أنفسهم في الحبال (٢) إلى أن أسلموها وتركوها وهي الآن خراب تعرف بهرقلة.

وقال سهل (٣) الترجمان: كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة ففتحها، فرأيت فيها حجرا مكتوبا عليه باليونانية، فجعلت أترجمه والرشيد ينظر إلي وأنا لا أعلم، وكانت ترجمته: بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم غافص الفرصة عند إمكانها، وكل الأمور إلى وليها، ولا يحملنك إفراط السرور على المآثم، ولا تحمل نفسك هم يوم لم يأت فإنه إن يكن من أجلك يأت الله فيه برزقك، ولا تكن من المغرورين من جمع المال، فكم قد رأينا جامعا لبعل حليلته ومقترا على نفسه توفيرا لخزانة غيره، وكان تاريخ الكتاب في ذلك اليوم زائدا على ألفي سنة.

وباب هرقلة (٤) مطل على واد وخندق يطيف بها. وذكر جماعة من أهل الثغور أن أهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة والنار والسهام، فتح الباب فاستشرف المسلمون لذلك، فإذا رجل من أهلها كأجمل الرجال قد خرج في أكمل السلاح فنادى: يا معشر العرب قد طالت مواقفتكم إيانا، فليخرج إلي منكم الرجل والعشرة إلى العشرين مبارزة، فلم يخرج إليه من الناس أحد ينتظرون إذن الرشيد، وكان الرشيد نائما، فعاد الرومي إلى حصنه، فلما هب الرشيد أخبر بذلك، فتأسف ولام خدمه على تركهم إيقاظه، فقيل يا أمير المؤمنين: إن امتناع الناس منه اليوم سيطمعه ويطغيه، وأحر به أن يخرج في غد فيعود لمثل قوله، فطالت على الرشيد ليلته، وأصبح كالمنتظر له، إذ فتح الباب فإذا بالفارس قد خرج وعاد إلى كلامه، فقال الرشيد: من له؟ فابتدره جلة القواد فعزم على إخراج بعضهم، فضج أهل الثغور والمطوعة بباب المضرب، فأذن لبعضهم، وفي مجلسه مخلد بن الحسين وإبراهيم الفزاري، فدخلوا فقالوا: يا أمير المؤمنين، قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحرب، ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم

يكبر ذلك، وإن قتله العلج كانت وصمة على العسكر وثلمة لا تسد، ونحن عامة لا يرتفع لأحد منا صوت (٥) ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يختار منا رجلا يخرجه إليه فعل، فاستصوب الرشيد رأيهم، قال مخلد وإبراهيم: صدقوا يا أمير المؤمنين، فأوموا إلى رجل منهم يعرف بابن الجزري مشهور في الثغور معروف بالنجدة، فقال له الرشيد: تخرج؟

---

(١) المروج: الجيش.

(٢) المروج: بالحبال.

(٣) المروج: شبل.

(٤) النقل مستمر عن المروج.

(٥) المروج: صيت.." (١)

"قال: نعم وأستعين بالله عليه، فقال: أعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا فقال: يا أمير المؤمنين أنا بقوسي أوثق، ورمحي في يدي أسد (١) ، ولكن قد قبلت السيف والترس، فلبس السلاح، واستدناه الرشيد فودعه وأتبعه الدعاء، وخرج معه عشرون من **المطوعة**.

فلما انقض (٢) في الوادي قال لهم العلج وهو يعدهم واحدا واحدا: إنما كان في الشرط عشرون وقد ازددتم رجلا، ولكن لا بأس، فنادوه: ليس يخرج إليك منا إلا رجل واحد، فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله العلج وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم، فقال له الرومي: أتصدقني عما أسألك عنه؟ قال: نعم، قال: أنت ابن الجزري بالله؟ قال: اللهم نعم، ثم أخذا في شأنهما، فاطعنا حتى طال الأمر بينهما، وكاد الفرسان يقومان تحتهما، وليس منهما واحد خدش صاحبه، ثم رميا برمحيهما، هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه، وانتضيا سيفيهما وقد اشتد الحر عليهما وتبلد جواداهما فجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يظن أنه بالغ فيها، فيتقيها الرومي، وكانت درقته حديدا، فيسمع بذلك صوت منكر، ويضربه الرومي فينغرز سيفه (٣) لأن ترس ابن الجزري كان درقة ثبتية، وكان العلج يخاف أن يعض السيف (٤) فيعطب، فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزري، فدخلت الرشيد والمسلمين كآبة لم يصبهم مثلها، وفرح المشركون، وإنما كانت حيلة من ابن الجزري، فاتبعه العلج وعلا عليه، فلما تمكن منه ابن الجزري رماه بوهق، فاختطفه من سرجه، ثم عطف عليه، فما وصل إلى الأرض حتى فارقه رأسه، فكبر المسلمون

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٥٩٣

وانكسر المشركون وبادروا الباب ليغلقوه.

واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد أن يجعلوا في حجارة المنجنيق النار، فليس عند القوم دفع بعد هذا، وعاجلهم المسلمون إلى الباب فدخلوها بالسيف، وقيل إنهم بادروا بالأمان، وافتتاحها عنوة أشهر من قول من قال فتحت صلحا، قال الشاعر في ذلك (٥) :

هوت هرقلة لما أن رأت عجبا ... حوائما (٦) ترتمي بالنفط والنار

كأن نيرانها في جنب قلعتهم ... معلقات (٧) على أرسان قصار وصبت الأموال على ابن الجزري وقود وخلع عليه، فلم يقبل شيئا من ذلك، وسأل أن يعفى ويترك على ما هو عليه، وفي ذلك يقول أبو العتاهية:

ألا نادت هرقلة بالخراب ... من الملك الموفق للصواب

غدا هارون يوعد بالمنايا ... ويبرق بالمذكرة القضاب

ورايات يحل النصر فيها ... تمر كأنها مر السحاب

أمير المؤمنين ظفرت فاسلم ... وابشر بالغنيمة والإياب

هرقلية (٨) :

بلد قديم قريب من المهدية على طريقها من تونس.

هراة (٩) :

بلد في خراسان بقرب بوشنج، وهي مدينة عامرة لها ربض محيط بها من جوانبها، وداخلها مياه، والنهر جار على باب المدينة وعليه قنطرة، وعلى سائر أبوابها مياه جارية وبساتين، إلا أن الباب الذي عليه القنطرة لا ترى بعد عبورك لها جرية ماء ولا اخضرار نبات وماء ہراة (١٠) يخرج من قرب مخرج ماء مرو، ويجري في

---

(١) المروج: أشد.

(٢) ص ع: انغمص.

(٣) زيادة من المروج.

(٤) ص ع: السيوف.

(٥) نسبه المسعودي إلى أبي نواس.

(٦) ص ع والمسعودي: جواثما.

(٧) المروج: كمشعلات؛ والرواية المشهورة ((مصبغات)).
(٨) انظر الإدريسي (د): ١٢٥، والبكري: ٨٤ (هرقلة).
(٩) انظر الكرخي: ١٤٩، وابن حوقل: ٣٦٦، واليعقوبي: ٢٨٠، والمقدسي: ٣٠٦.
(١٠) وياقوت: (هراة)، وآثار البلاد: ٤٨١.." (١)

"قال الرئيس أبو يعلى: وفي هذه السنة تواصلت الأخبار من ناحية القسطنطينية وبلاد الفرنج والروم وما والاها بظهور ملوك الإفرنج من بلادهم؛ منهم الألمان والفنش، وجماعة من كبارهم، في العدد الذي لا يحصر، لقصد بلاد الإسلام بعد أن نادوا في سائر بلادهم ومعاقلهم: النفير النفير إليها، والإسراع نحوها؛ وخلوا بلادهم وأعمالهم خالية شاغرة من حملتها والحفظة لها. ثم استصحبوا من ذخائرهم وأموالهم وعددهم الشيء الكثير الذي لا يحصى، بحيث يقال إن عدتهم ألف ألف من الرجالة والفرسان، ويقال أكثر من ذلك وغلبوا على أعمال قسطنطينية، واحتاج ملكها إلى الدخول في مداراتهم ومسالمتهم، والنزول على أحكامهم. وحين شاع خبرهم واشتهر امرهم، شرعت ولاة الأعمال المصاقبة لهم، والأطراف الإسلامية القريبة منهم، في التأهب للمدافعة لهم، والاحتشاد على المجاهدة فيهم. وقصدوا منافذهم، ودروب معابرهم، لكي يمنعوهم من العبور والنفوذ إلى بلاد الإسلام، وواصلوا شن الغارات على أطرافهم؛ واستحر القتل فيهم والفتك بهم إلى أن هلك منهم العدد الكثير، وحل بهم من عدم القوت والعلوفات والمير وغلاء السعر، إذا وجدوه، ما أفنى الكثير منهم بالجوع والمرض. ولم تزل أخبارهم تتواصل بهلاكهم وفناء أعدادهم إلى أواخر سنة اثنتين وأربعين، بحيث سكنت النفوس بعض إلى سكون

ودخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

وتواترت الأخبار بوصول مراكب الفرنج وحصولهم على سواحل الثغور الساحلية صور وعكا، واجتماعهم مع من بها من الفرنج. و يقال إنهم بعد ما فنى منهم بالقتل والمرض والجوع، وصل تقديرهم مائة ألف، وقصدوا البيت المقدس فقضوا حتى حجم وعاد من عاد منهم إلى بلادهم في البحر، وقد هلك منهم بالموت والمرض الخلق العظيم، وهلك من ملوكهم من هلك، وبق للألمان أكبر ملوكهم ومن هودونه واختلفت الآراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الإسلامية، إلى أن استقرت الحال على منازلتهم دمشق. وبلغ ذلك معين الدين فاستعد لحربهم، فجاءوا في تقدير خمسين ألفا ودنوا من البلاد؛ ثم قصدوا في المنزله المعروفة بنزول العساكر فيها فصادفوا الماء مقطوعا؛ فقصدوا ناحية المزة فخيموا عليها لقربهم من الماء. وزحفوا إلى

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٥٩٤

البلد بخيلهم ورجلهم، ووقف المسلمون بازائهم، في يوم السبت سادس ربيع الأول. ونشبت الحرب بين الفريقين، واجتمع عليهم من الأعمال الأجناد والأتراك والقتال وأحداث البلد **والمطوعة** والغزاة، الجم الغفير؛ واستظهر الكفار على المسلمين بكثرة الأعداد، وغلبوا على الماء، وانتشروا في البساتين وخيموا فيها، وقربوا من البلد وحصلوا منه بمكان لم يتمكن أحد من العساكر قديما وحديثا منه واستشهد في هذا اليوم الفقيه الإمام يوسف الفندلاوي المالكي، رحمه الله، قريب الربرة على الماء، لوقوفه في وجوههم، وترك الرجوع عنهم ؟ اتبع أوامر الله تعالى في كتابه الكريم وقال بعنا واشترى. وكذلك عبد الرحمن الحلحول الزاهد، رحمه الله، جرى أمره هذا المجرى.

قلت: وذكر الأمير أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار أن ملك الألمان الفرنجي لما وصل إلى الشام اجتمع إليه كل من بالشام من الإفرنج، وقصد دمشق فخرج، عسكرها وأهلها لقتالهم، وفي جملتهم الفقيه الفندلاوي المالكي، والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحلحول، رحمهما الله، وكانا من خيار المسلمين،. فلما قاربوهم قال الفقيه عبد الرحمن: أما هؤلاء الروم. قال: بلى: قال فإلى متى نحن وقوف قال: سر على اسم الله. فتقدما فقاتلا حتى قتلا في مكان واحد، رحمهما الله تعالى.." (١)

"قال: وتبع هذا الفتح ورود البشرى الثانية من أسد الدين باجتماع العدد الكثير إليه من شجعان التركمان، وافي قد ظفر من المشركين بسريه وافرة ظهرت في معاقلهم من ناحية الشمال، فانهزمت، وتخطف التركمان منهم من ظفروا به. قال: ووصل أسد الدين، إلى بعلبك في العسكر من مقدمي التركمان وأبطالهم للجهاد، وهم في العدد الكثير والجم الغفير، واجتمعوا بنور الدين. وتقررت الحال على قصد بلاد المشركين لتدويخها، والابتداء بالنزول على بانياس. وقدم نور الدين دمشق في إخراج آلات الحروب وتجهيزه إلى العسكر بحيث يقيم أياما يسيرة ويتوجه. وأمر بالنداء بدمشق في الغزاة والمجاهدين؛ فتبعه من الأحداث **والمطوعة**، والفقهاء والصوفية والمتدينين خلق كثير؛ وخرج يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الأول.

وفي سابع ربيع الآخر، عقيب نزول نور الدين على بانياس ومضايقته لها بالمنجنيقات والحرب، سقط بدمشق الطائر من العسكر المنصور بظاهر بانياس، يتضمن كتابة الإعلام لورود المبشر من معسكر أسد الدين بناحية هونين في التركمان والعرب بأن الفرنج، خذلهم الله تعالى،. أنهضوا سرية من أعيان مقدميم وأبطالهم تزيد على مائة فارس، سوى أتباعهم، لكبس المذكورين، ظنامنهم بأنهم في قل، ولم يعلموا انهم في ألوف. فلما دنوا منهم وثبوا إليهم كالليوث إلى فرائسها فأطبقوا عليهم بالقتل والسمر، والسلب، ولم يبق

---

(١) الروضتين في أخبار النورية والصلاحية، ص/٦١

منهم إلا اليسير. ووصلت الأسرى ورءوس القتلى وعددهم من الخيول المنتخبة، والطوارق، والقنطاريات، إلى دمشق وطيف بهم فيه يوم الاثنين تالي اليوم المذكور.

قال: وتلا هذه الموهبة المتجددة سقوط الطائر من المعسكر المحروس ببانياس، في يوم الثلاثاء تلو المذكور، يذكر افتتاح مدينة بانياس بالسيف قهرا، على مض أربع ساعات من يوم الثلاثاء المذكور، عند تناهي النقب وإطلاق النار فيه، وسقوط البرج المنقوب وهجوم الرجال فيه، وبذل السيف في قتل من فيه، ونهب ما حواه، وانهزام من سلم إلى القلعة وانحصارهم بها، وأن أخذهم بمشيئة الله تعالى لا يبطيء، والله يسهله ويعجله.

قال: وانفق بعد ذاك أن الفرنج تجمعوا من معاقلهم عازمين على استنقاذ الهنفري صاحب بانياس ومن معه من أصحابه المحصورين بقلعة بانيس، وقد أشرفوا على الهلاك وبادروا وبالغوا في سؤال نور الدين الأمان ويسلمون ما في أيديهم من القلعة وما حوته لينجوا سالمين؛ فلم يجبهم إلى ما سألوه ورغبوا فيه. فلما وصل ملك الفرنج في جمعه من الفارس والراجل من ناحية الجبل على حين غفله من العسكرين، النازل على بانياس لحصارها، . والنازل على الطريق لمنع الواصل إليها، اقتضت السياسة الاندفاع عنها بحيث وصلوا إليها واستخلصوا من كان فيها. وحين شاهدوا ماعم بانياس من إخراب سورها ومنازل سكانها يئسوا من عمارتها بعد خرابها.." (١)

"ورحل السلطان من المنصورة، ونزل بفارسكور وضرب بها الدهليز السلطاني، وعمل فيه برجا من خشب، وأقام على لهوه. وكتب إلى الأمير جمال الدين بن يغمور نائب دمشق كتابا بخطه نصه: من ولده تورانشاه الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، " وما النصر إلا من عند الله " ، " ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله " ، " وأما بنعمة ربك فحدث " ، " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " ، نبشر المجلس السامي الجمالي، بل نبشر المسلمين كافة، بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين، فإنه استفحل أمره واستحكم شره، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد، فنودوا لا تيأسوا من روح الله. ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة، تمم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان **والمطوعة** وخلقا لا يعلمهم إلا الله، فجاءوا من كل فج عميق ومكان سحيق. فلما كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم، وقصدوا دمياط هاربين. وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل، فيوحل بهم الخزي والويل. فلما أصبحنا يوم الأربعاء، قتلنا منهم ثلاثين ألفا، غير من ألقى نفسه في اللجج، وأما

(١) الروضتين في أخبار النورية والصلاحية، ص/١١٧

الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج. والتجأ الفرنسيس إلى المنية، وطلب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه، وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته، وجلاله وعظمته، وذكر كلاما طويلا. وبعث المعظم مع الكتاب غفارة الملك الفرنسيس، فلبسها الأمير جمال الدين بن يغمور وهي أشكرلاط أحمر بفرو سنجاب، فيها بكلة ذهب فقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

إن غفارة الفرنسيس التي ... جاءت جباء لسيد الأمراء

كبياض القرطاس لونا ولكن ... صبغتها سيوفنا بالدماء

وقال آخر:

أسيد أملاك الزمن بأسرهم ... تنجزت من نصر الإله وعوده

فلا زال مولانا يبيح حمى العدى ... ويلبس أسلاب الملوك عبيده

وأخذ الملك المعظم في أبعاد رجال الدولة، فأخرج الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل من قلعة الجبل إلى الشوبك، واعتقله بها. وأخرج الملك السعيد فخر الدين حسن بن الملك العزيز عثمان بن العادل أبي بكر بن أيوب من مصر إلى دمشق، فلما وصل دمشق قبض عليه ابن يغمور واعتقله. وفي يوم الجمعة لخمس من المحرم: ورد إلى القاهرة كتاب السلطان إلى الأمير حسام الدين أبي علي نائب السلطنة بالقدوم عليه، وأقام بدله في نيابة السلطة بالقاهرة الأمير جمال الدين أقوش النجيبي ووصل الأمير أبو علي إلى المعسكر، فنزل به مطرح الجانب، بعدما كان عدة الملك الصالح وعمدته، وبعث المعظم إلى شجر الدر يتهددها، ويطالبها بمال أبيه وما تحت يدها من الجواهر فداخلها منه خوف كثير، لما بدا منه الهوج والخفة، وكاتبت المماليك البحرية بما فعلته في حقه، من تمهيد الدولة وضبط الأمور حتى حضر وتسلم المملكة، وما جازاها به من التهديد والمطالبة بما ليس عندها. فأنفوا لها، وحنقوا من أفعال السلطان. وكان السلطان المعظم قد وعد الفارس أقطاي لما أتاه في حصن كيفا بأن يؤمره، فلم يف له بذلك، فتنكر له أقطاي وكتم الشر، فحرك كتاب شجر الدر منه ساكنا.

وانضاف إلى هذه الأمور، أن السلطان المعظم أعرض عن مماليك أبيه الذين كانوا عنده لمهماته، واطرح الأمراء والأكابر أهل الحل والعقد، وأبعد غلمان أبيه، واختص بجماعته الذين قدموا معه، وولاهم الوظائف السلطانية. وقدم الأراذل: وجعل الطواشي مسرورا – هو خادمه – أستادار السلطان، وأقام صبيحا – وكان عبدا حبشيا فحلا – أمير جاندار، وأنعم عليه بأموال كثيرة وإقطاعات جليلة، وأمر أن يصاغ له عصا من ذهب. وأساء السلطان إلى المماليك وتوعدهم، وصار إذا سكر في الليل جمع ما بين يديه من الشمع،

وضرب رءوسها بالسيف حتى تتقطع، ويقول: هكذا أفعل بالبحرية،، ويسمى كل واحد منهم باسمه. واحتجب أكثر من أبيه، مع الانهماك على الفساد بمماليك أبيه، ولم يكونوا يألفون هذا الفعل من أبيه وكذلك فعل بحظايا أبيه.." (١)

"ثم أخذ السلطان الناصر في التجهيز للمسير إلى الشام ثانيا، وشرع الأمراء في الاهتمام بأمر السفر، وجمعوا صناع السلاح للعمل. وأخذ الوزير في جمع الأموال للنفقة، وكتب إلى أعمال مصر بطلب الخيل والرماح والسيوف من سائر الوجهين القبلي والبحري، فبلغ القوس الذي كان يساوي ثلاثمائة درهم إلى ألف درهم، وأخذت خيول الطواحين وبغالها بالأثمان الغالية، وطلبت الجمال والهجن والسلاح ونحو ذلك. فأبيع ما كان. بمائة بسبعمائة وبألف، ونودي بحضور الأجناد البطالين، فحضر خلق كثير من الصنائعية، ونزلوا أسماءهم في البطالين. وفرقت أخباز المفقودين، ورسم لكل من أمراء الألوف بعشرة من البطالين يقوم بأمرهم، ولكل من الطبلخاناه بخمسة، ولكل من العشراوات برجلين. واستخدم جماعة من الأمراء الغزاة **المطوعة** احتسابا.

واستدعى مجدي الدين عيسى بن الخشاب نائب الحسبة ليأخذ فتوى الفقهاء بأخذ المال من الرعية للنفقة على العساكر، فأحضر فتوى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام للملك المظفر قطز، بأن يؤخذ من كل إنسان دينار، فرسم له سلار بأخذ خط الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد، فأبي أن يكتب بذلك، فشق هذا على سلار واستدعاه وقد حضر عنده الأمراء، وشكا إليه قلة المال وأن الضرورة دعت إلى أخذ مال الرعية لأجل دفع العدو، وأراد منه أن يكتب على الفتوى بجواز ذلك فامتنع، فاحتج عليه ابن الخشاب بفتوى ابن عبد السلام، فقال: لم يكتب ابن عبد السلام للملك المظفر قطز حتى أحضر سائر الأمراء ما في ملكهم من ذهب وفضة وحلي نسائهم وأولادهم هم وراه، وحلف كلا منهم إنه لا يملك سوى هذا، كان ذلك غير كاف، فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد. وأما الآن فيبلغني أن كلا من الأمراء له مال جزيل، وفيهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلئ، ويعمل الإناء الذي يستنجي منه في الخلاء من فضة، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر، وقام عنهم فطلب ناصر الدين محمد بن الشيخي متولي القاهرة، ورسم له بالنظر في أموال التجار ومياسير الناس، وأخذ ما يقدر عليه من كل منهم بحسب حاله.

فما أهل جمادى الأولى حتى استجد عسكر كبير، وغصت القاهرة ومصر وما بينهما بكثرة من ورد من البلاد الشامية حتى ضاقت بهم المساكن، ونزلوا بالقرافة الخمور وشق ظروفها على يد ابن تيمية.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١١٧/١

وعندما تكملت النفقة على العساكر نودي بالقاهرة ومصر بالسفر، ومن تأخر شنق، ورسم أن يكون سعر الدينار عشرين درهما. وخرج السلطان في تاسع رجب فسار إلى الصالحية، وقدمت إليه كتب الأمير قبجق و بكتمر السلاح دار و الألبكي بقدومهم صحبة عز الدين حمزة بن القلانسي والشريف ابن عدنان، فأقام السلطان بالصالحية.

وسار الأميران سلار نائب السلطنة و بيبرس الجاشنكير الأستادار بالعساكر إلى دمشق في ثاني عشرى رجب، فلقوا الأمير قبجق ومن معه بين غزة وعقلان، فترجل كل من۰م لصاحبه وتباركوا وأنزلوا، ورتب لهم ما يليق بهم، وأمروا بالتوجه إلى السلطان، وسار الأمراء بالعساكر إلى دمشق. فقدم قبجق بمن معه إلى الصالحية في عاشر شعبان، فركب السلطان إلى لقائهم، وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم، وأنزلهم، ثم سار بهم إلى قلعة الجبل فقدمها في رابع عشره.

ودخل الأمير جمال الدين أقش الأفرم إلى دمشق في يوم السبت عاشر شعبان.

وفي حادي عشره: قدم إليها الأمير قرا سنقر المنصوري نائب حلب بعساكرها، وقد استقر عوضا عن بلبان الطباخي، واستقر الطباخي من أمراء مصر بالخدمة السلطانية على إقطاع أقسنقر كرتاي بعد موته. ودخل الأمير أسندمر كرجي نائب الفتوحات الطرابلسية بعساكرها، وقد استقر عوضا عن الأمير قطلوبك.

وفي ثاني عشره: قدمت ميسرة العساكر المصرية، ومقدمها الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح.

وفي ثالث عشره: قدمت ميمنة العساكر المصرية، مع الأمير حسام الدين ل١جين أستادار.

وفي رابع عشره: قدم الأمير سلار النائب والمماليك السلطانية، والملك العاد ل كتبغا – وقد استقر في نيابة حماة عوضا عن قرا سنقر المنتقل لنيابة حلب – والأمير كراي المنصوري المستقر في نيابة صفد.

ونزل الأمير سلار بالميدان، وجلس في دار العدل بحضور الأمراء والقضاة، وخلع على الصاحب عز الدين حمزة بن القلانسي.." (١)

"الله تعالى، وبلغ كراء المركب الذي يحمل عشرة أنفس إلى مائة درهم، امتلأ البران من بولاق إلى الصناعة بالناس، حتى لم يوجد موضع قدم خال.

ووقف العسكر على بر بستان الخشاب، وركب الأمراء الحراريق إلى الروضة. وبرزت الشواني للعب كأنها في الحرب، فلعب الأول والثاني والثالث، واعجب الناس بذلك إعجابا زائدا، لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط و آلالات الحرب. ثم تقدم الرابع وفيه أقوش، فما هو إلا أن خرج من منية الصناعة. بمصر وتوسط

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣١٢/١

النيل، إذا بالريح حركه، فمال به ميلة واحدة انقلب وصار أعلاه أسفله، فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها ذات الأحمال، وتكدر ما كانوا فيه من الصفو، وتلاحق الناس بالشيني وأخرجوا ما سقط منه في الماء، فلم يعدم منه سوى أقوش، وسلم الجميع، وعاد السلطان والأمراء إلى القلعة، وانفض الجمع.

وبعد ثلاثة أيام أخرج الشيني، فإذا امرأة الرئيس وابنها وهي ترضعه في قيد الحياة، فاشتد العجب من سلامتها طول هذه الأيام، ووقع العمل في إعادته حتى تنجز، وندب الأمير سيف الدين كهرداش الزراق المنصوري للسفر عوضا عن أقوش القاري فسار إلى طرابلس بالشواني، واستجد منها ستين مقاتلا من المماليك سوى البحرية والمطوعة.

وتوجه كهرداش إلى جزيرة أرواد، وهى بقرب أنطرسوس، وصبحهم في غفلة وأحاط بهم وقاتلهم ساعة، فنصره الله عليهم وقتل منهم كثيرا، وسألوا الأمان فأخذوا أسرى في يوم الجمعة ثامن عشرى صفر. واستولى كهرداش على سائر ما عندهم، وعاد إلى طرابلس وأخرج الخمس من الغنائم لتحمل إلى السلطان، وقسم ما بقي فكانت عدة الأسرى مائتين وثمانين. فلما قدم البريد من طرابلس بذلك دقت البشائر بالقلعة، وفي يوم دق البشائر قدم الأمير بدر الدين بكتاش من غزاة سيس.

وفي هده السنة: توفي قاضي القضاة تقي الدين أبو محمد بن على بن وهب بن مطيع ابن أبي الطاعة القشيري المنفلوطي المالكي المصري بن دقيق العيد، وكان مولده في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة. ولما مات تقي الدين محمد بن دقيق العيد، خرج البريد إلى في دمشق بطلب قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، فقدمها في سابع عشر صفر، وخرج به منها في تاسع عشره. فوصل ابن جماعة إلى القاهرة وخلع عليه يوم السبت رابع ربيع الأول، واستقر في قضاء القضاة، وولي قضاء دمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن ابن صصري، واستقر بلبان الجوكندار نائب قلعة دمشق، عوضا عن أرجواش، واستقر عوضه في شد الدواوين بدمشق الأمير بيبرس التلاوي.

وفي رابع جمادى الآخرة: ظهر في النيل دابة لونها كلون الجاموس بغير شعر، وأذناها كأذن الجمل، وعيناها وفرجها مثل الناقة، ويغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك، ورقبتها مثل ثخن التليس المحشو تبنا، وفمها وشفتاها مثل الكربال، ولها أربعة أنياب، اثنان فوق اثنين، في طول نحو شبر وعرض أصبعين، وفي فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج، وطول يديها من باطنها شبران ونصف، ومن ركبتيها إلى حافرها مثل أظافر الجمل، وعرض ظهرها قدر ذراعين ونصف، ومن فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما، وفي بطنها ثلاثة كروش، ولحمها أحمر له زفرة السمك، وطعمه مثل لحم الجمل، وثخانة جلدها

أربعة أصابع لا تعمل فيه السيوف، وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله، فكان ينقل من الجمل إلى جمل وقد حشي تبنا حتى وصل إلى قلعة الجبل.

ومدم البريد من حلب بأن غازان على عزم الحركة إلى الشام، فوقع الاتفاق على خروج العسكر، وعين من الأمراء بيبرس الجاشنكير وطغريل الإيغاني وكراي المنصوري وبيبرس الدوادار وسنقر شاه المنصوري وحسام الدين لاجين الرومي أستادار، بمضافيهم وثلاثة آلاف من الأجناد، فساروا في ثامن عشر رجب.

وتواترت الأخبار بنزول غازان على الفرات، ووصل عسكره الرحبة وأراد منازلتها بنفسه. وكان النائب بها الأمير علم الدين سنجر الغتمي، فلاطفه وخرج إليه بالإقامات، وقال له: هذا المكان قريب المأخذ، والملك يقصد المدن الكبائر، فإذا." (١)

"أن نائب السلطان بثغر الإسكندرية – وهو الأمير صلاح الدين خليل بن عرام –كان غائبا عن الثغر المذكور بالحجاز الشريف، بسبب الحج. وكان نائبا عنه فيه بإشارة الأمير الأتابكي الخاسكي أمير يسمى جنغرا. فلما دخل جنغرا المذكور الإسكندرية رأى طوائفها **المتطوعة** الحارسة لمينتها تبحر عليه بالجزيرة بقسيهم الجرخ الموترة وأعلامهم الحرير المنشورة، مع ما بأيديهم من المزاريق والرمح والدرق والصفاح، والزرد النضيد، ومصفحات الحديد، والنفط الطيار الصاعد منه لهب النار، وهم بملبوسهم المختلف الألوان كالزهر في البستان. فلما عاينهم جنغرا بكى وقال: " هؤلاء أهل الجنة لرباطهم وجهادهم في سبيل الله، قد طاب والله العيش بقوة هذا الجيش، لو أتى الإسكندرية جميع نصارى الرومانية، ما قدروا على هذا الجيش الثقيل على الإسكندرية، بل يكسرون النصارى، ويصيرونهم قتلى وأسارى،.

فأقام جنغرا بالإسكندرية من شوال سنة ست وستين وسبعمائة إلى المحرم، ينظر إلى تلك الطوائف التي لكل طائفة منها ليلة في الأسبوع، تبيت تحرس بساحل، المينا، وربما بات ليال في الغرفة التي على باب مسجد تربة طغية، ويقدم قدامه فانوسين أكرتين مقابل باب المسجد المذكور. وتأتي طائفة الزراقين يطلقون النفط وهو ينظر من طيقان الغرفة المذكورة إلى الشرار الطيار واللوالب التي تدور بألوان النار، من الخضرة والصفرة، والبياض والحمرة، فيتحصل بذلك الانشراح، من العشي إلى الصباح، ويبتهج أيضا بنظره إلى كثرة الخلائق المنتشرة على الساحل من الرماة والعوام، وقد نصب لهم سوق فيه من أصناف المأكول، يشترون ويأكلون، ومن ماء الروايا والقرب التي تحمل من البلد إليهم، يشربون.فإذا أصبحوا انتظمت الطائفة التي باتت تحرس، ودخل البلد في همة وجلد وكثرة ومدد ، فتجتمع لدخولهم الرجال والنسوان، ينظرون لأقوام

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٢٣/١

كزهر بستان، من حسن الملابس وبياض تلك ار أطالس، فتزغرت لهم النسوان إعلانا عند مشاهدتهن لهم عيانا، والأبواق حينئذ تصرخ والكوسات تدق، والمزامر تزمر،والأعلام منشورة، والمباخر بالطيب معمورة، ودخانها يفوح، فتنبسط لتلك الروائح الأرجة كل روح، والناس في شرح وسرور لرؤية ذلك الجيش المخبور، المهتز له الشوارع والدور. فبينما هم كذلك على عادتهم مستمرين، وفي ثغرهم مطمئنين، لا تروعهم الأعداء، ولا رأوا مكروها أبدا، إذا دهمهم صاحب قبرس اللعين في جنده الضالين ، وشتت شملهم أجميعن، فروا منه في البلدان، ودخل البلد باطمئنان، وذلك في يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم، سنة سبع وستين وسبعمائة، والنيل منتشر على البلاد قصد الملعون بإتيانه لتتعوق النجدة من مصر لبعد الطريق من الجبل، فنال الخبيث قصده في ذلك اليوم، والذي بعده، وتحصن قبل إتيان النجدة. بمراكبه، وفرح بسلامة نفسه ومكاسبه فلو كان بها أمراء مجردة ما نال الخبيث منها ثمن زردة لكن كان ذلك في.الكتاب مسطورا ،وكان أمر الله قدرا مقدورا .

عود إلى ذكر كيفية إتيان القبرسي إلى الإسكندرية وظفره بها وذلك أنه لما كان في يوم الأربعاء العشرين من المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة،ظهر في البحر مراكب مشرقة ومغربة، زعم أهل الإسكندرية أنهم تجار البنادقة، ينتظرونهم يأتون بمتاجرهم على جاري عادتهم في كل سنة. وكانت تجار المسلمين جلبوا لهم من اليمن أصناف البهار، يبيعونها عليهم، ويتعوضون عنها من متاجرهم.

فلما لم يدخلوا لميناء بات الناس في خوف شديد بسببهم. فلما أصبح يوم الخميس أقبلته المراكب الكثيرة طالبة ساحل الجزيرة، منشورة قلاعها كالقصور البيض. فصار الناس في الطويل العريض من كثرة لهجهم، وحر وهجهم. وتلك المراكب مقلعة آتية قد ملأت البحر من كل ناحية، فلم تزل تشق البحر كالزلزلة، إلى أن حطت قلاعها ببحر السلسلة ، وذلك من جهة الباب الأخضر المسدود بعد الوقعة بالجير والحجر، ثم فتح بعد ذلك وركبت علمه أبوابه الأول والثاني والثالث المتجددة، وذلك في يوم الوقعة سنة سبع وستين وسبعمائة، في ولاية الأمير سيف الدين الأكز بالإسكندرية، وسيأتي ذكر ولايته بها وما فعل فيها إن شاء الله تعالى.." (١)

"نعود إلى ذكر من قاتل بالجزيرة من المسلمين للفرنج الكافرين. وذلك أن جماعة من رماة قاعة القرافة المتطوعة. لما حوصروا في الرباط الذي عمره لهما الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن سلام خارج باب البحر بالجزيرة بسبب مبيتهم فيه وصلواتهم ،وذكرهم ليلة خروج طائفتهم ،ترابط به وكان بناؤه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٤٥/٢

قبل الوقعة ما يزيد على سنة ،قيل وذكرهم ليلة خروج طائفتهم ،ترابط به وكان بناؤه قبل الوقعة ما يزيد على سنة ،قيل إنه انصرف على عمارته ثمانمائة دينار فلما تكاثرت الفرنج حول الرباط ،صارت رماة المسلمين في أعلاء يرمون على الفرنج بسهامهم، فقتلوا من الفرنج جماعة. فلما نفدت سهامهم عمدوا إلى شرفات الرباط صاروا يهدمونها، ويرمون الفرنج بأحجارها إلى أن نفذت حجارة الشراريف منهم. فانقطع رميهم فكسرت الفرنج شبابيك الرباط المذكور، وصعدوا إليهم فلما صارت الفرانج معهم صاحوا بأجعهم " يا محمد " وصمتوا، فلم يسمع لهم بعد ذلك صوت. أخبر عنهم بذلك عبد الله بن الفقيه أبو بكر قيم مسجد القشيري، كان مختفيا بصهريج المذكور فذبحتهم الفرنج عن آخرهم بخناجرهم، فصارت أدميتهم تجري من ميازيب الرباط المذكور، كجري الأمطار حين أبانها فيها. وقيل كان عدد المذبوحين فوق السطح الرباط من المسلمين زيادة على الثلاثين، فطوبى لهم إذ رزقوا الشهادة، وختم لهم بالسعادة. فلما رجع من خرج من الإسكندرية فارا من الفرنج من أبواب البر – كما سيأتي ذكر صفة فرارهم – وعاينوا القتلى المطروحين بالأرض داخل البلد وخارجه بالجزيرة. وقصدوا رباط ابن سلام المذكر، فرأوا تحت الميازيب دماء كثرة جامدة، فصعدوا إلى سطحه فوجدوا الرماة ذبحوا. وبالجنة قد فرحوا وربحوا فحفروا لهم خارج الربط قبرا متسعا ودفنوهم فيه، رحمة الله عليهم. فكانوا كما قال الله تعالى في أمثالهم: " وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله و الله عنده حسن الثواب قال المؤلف – غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجعين – : حدثني الشيخ الصاع أحمد بن النشاء – شيخ رماة قاعة القرافة بالإسكندرية – قال: حدثني محمد الخياط بعد قدومه من مدينة قبرص مع من حضروا من أساري الإسكندرية الراجعين إليها منها. قال: "كنت مع رماة المسلمين على سطح رباط ابن سلام. حين صعدت الفرنج إلينا، فصاروا يذبحون الرماة، وأنا أضطرب من الخوف، فتركوني حيا لصغر سني وأما حسين البباع فإنهم لما قصدوا ذبحه. ضحك لهم فضحكت الفرنج بضحكه: وقالوا: " اتركوه لأنه ضحك موضع الخوف، فأسرنا نحن الإثنين، فحزن حسين بعد ذلك وبكى " .

ولما رأى الشيخ محمد بن سلام ما فعل برباطه من بابه وشبابيكه النحاس وكسر قناديله. وحرق سقف إيوانه، وقتل رماة المسلمين به بكى وتألم على ما رأى وشاهد. فسد حينئذ شبابيكه وبابه بالحجارة. ثم أنه عمره ثانيا سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، فصار كما كان أولا، لكنه أقنى سقف إيوانه بالحجارة لا بالخشب، حتى لا يصير للنار فيه عمل، إن حدث أمر...

نعود إلى ذكر خبر الإسكندرية: وذلك أن الأمير جنغرا المتقدم ذكره، لما رأى الناس فروا من بين يديه ومن

خلفه، وعن يمينه وشماله بلذع سهام الفرنج، والتذع هو أيضا بها، وسال دمه من نصلها. ندم على مخالفته لقول القائل: " أدخل الناس ليتحصنوا بأسوارها الحصينة يقاتلوا الفرنج الكفار بسهامهم من كوى الأسوار. إلى أن تأتي النجدة في أقرب مدة، ليزول بحضروها عن المسلمين الشدة " ،. فتيقن حينئذ أن عدم خروجهم من الأبواب كان عين الصواب، وأن الذي أشار بعدم دخولهم البلد كان فيه أليم العذاب، وصار كل منهم بالفرار مركون ببلد البسلقون وبلد الكريان، وغيرهما من البلاد الدانية والبعاد.." (١)

"وحج بالناس من مصر في هذه السنة الأمير الطواشي فارس الدين شاهين الحسني. وأخذت في هذه السنة مدينة أشقيرة من بلاد الأندلس، وذلك أن الطاغية صاحب قشتالة لما أوقع بالمسلمين في الزقاق، كثرت غاراته في بلاد المسلمين بالأندلس، وكثرت غاراتهم أيضا على بلاد قشتالة، وكان ألفنت قد قام بأمر أخيه دون، وكان عارفا بالحروب والمكايد، شجاعا، دريا، شديد البأس، فجمع لحرب المسلمين، ونزل على أنتقيرة – تجاه مالقة – أول ذي الحجة، فلم يستنجد أبو الحجاج يوسف بن يوسف بن محمد بن إسماعيل بن نصر بن الأحمر – صاحب غرناطة – عساكر فاس كما هي العادة، بل رأى أن في عسكره كفاية، وجهز أخويه محمد وعليا على عسكر الأندلس، وقد جمع أهل القرى بأسرها، وخرجوا من غرناطة في ثامن عشر ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثمانمائة، ونزلوا على حصن أرشذونة – وهو على ستة أميال من أنتقيرة – حتى تكاملت الجموع في ثامن عشرينه، ثم ساروا في ليلة التاسع والعشرين وعسكروا تجاه العدو، بسفح جبل المدرج، فما استقرت، وقد أعجبتهم أنفسهم بهم الدار حتى زحف العدو لحربهم، فثاروا لقتاله، وقد أعجبتهم أنفسهم، واغتروا بكثرتهم، وتباهوا بزينتهم، ولم يراقبوا الله في أمرهم، فما أحد إلا ومعه نوع من المعاصي كالخمر والأحداث، حتى لقد أخبرني من شهد الوقيعة انه سمع عالم الأندلس – أبا يحيى بن عاصم – يقول: ما أظن إلا أنا مخذولون. فلما اشتد القتال في الليل، انهزم العدو بعد ما قتل من المسلمين عشرة فرسان، ولما كان أول يوم من محرم سنة ثلاث عشرة، نادى أخو السلطان في العسكر بالنقة، وكانت نفقة السفر قد أخرت عن وقتها، لئلا يأخذها العسكر ولا يشهدوا الحرب، وجعلت عند حضور الجهاد، فهم في أخذ النفقة، وإذا بالعدو وقد أقبل عند طلوع الشمس، فخرجت **المطوعة** وقاتلتهم، وأقام العسكر بأجمعهم لأخذ النفقة، وعلم العدو بذلك فرجعوا كأنهم منهزمين، **والمطوعة** تتبعهم. وتنادي في العسكر: يا أكالين الحرام العامة هزمت النصارى، وأنتم في خيامكم جلوس.

فلما وصل العدو إلى معسكرهم، وقفوا للحرب، وقد اجتمع جميع رجالة المسلمين طمعا في الغنيمة، فإذا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٤٨/٢

العدو وقد خندق على معسكره ورتب عليه الرماة، فسقط في أيديهم، ووقفوا إلى الظهر في حيرة، فخرج أمراء الطاغية عند ذلك من جوانب الخندق، وحملوا على المسلمين، فقتلوا من قاتلهم، وأسروا من ألقى منهم سلاحه، حتى وصلوا مخيم المسلمين، فركب طائفة من بني مرين وبني عبد الواد، وقاتلوا على أطراف خيمهم قليلا، وانهزموا هم وجميع أهل الأندلس، بحيث خرج أخوا السلطان بمن معهما مشاة إلى الجبل على أقدامهم، فأحاط العدو بجميع ما كان معهم، وأكثروا من القتل فيهم.

وكانت عدة من قتل من المعروفين من أهل غرناطة خاصة مائة ألف إنسان، سوى من لم يعرف، وسوى أهل أقطار الأندلس، بحرها وبرها، سهلها وجبلها، فإنهم عالم لا يحصيه إلا الله تعالى. واستشهد أبو يحيى بن عاصم في عدة من الفقهاء. وأقام النصارى ثلاثة أيام يتتبعون المسلمين، فيقتلون ويأسرون.." (١)

"وفي سادس عشره: نودي أن يكون صرف الدينار المختوم الهرجة بثلاثين مؤيديا فضة، وصرف الدينار الأفرنتي بثمانية وعشرين مؤيديا، فيكون الدينار الهرجة بمائتين وسبعين درهما من الفلوس، والدينار الأفرنتي بمائتين واثنين وخمسين درهما، ومنع الناس أن يتعاملوا بالناصري، وأن يقص جميع ما ظهر منه، ويحسب في المثقال منه مبلغ مائتين وأربعين درهما فلوسا، فلم يستقر الحال على ذلك، وخرج الدينار الأفرنتي بمائتين وستين درهما، والناصري بمائتين وعشرة.

وفي سادس عشره: قدم الأمير صلاح الدين محمد الحاجب بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص إلى الإسكندرية في تحصيل المال، فجلس بالخمس، وبين يديه أعيان أهلها، فجاءه الخبر بأن الفرنج الذين وصلوا ببضائع المتجر - وهم في ثمان عشاريات من مراكب بحر الملح - قد عزموا على أن يهجموا عليه، وأن يأخذوه هو ومن معه، فقام عجلا من غير تأن يريد الفرار، وتسارع الناس أيضا يفرون، فهجم الفرنج من باب البحر، فدافعهم من هناك من العتالين، حتى أغلقوا باب البحر، وقتلوا رجلا من الفرنج، فقتل الفرنج نحو عشرين من المسلمين، وانتشروا على الساحل، وأسروا نحو سبعين مسلما، وأخذوا ما ظفروا به، ولحقوا بمراكبهم، وأتوا في الليل يريدون السور، فتراموا ليلتهم كلها مع المسلمين إلى الفجر، فأخذ كثير من المسلمين في الرحيل من الإسكندرية، وأخرجوا عيالهم، وقام الصياح على فقد من قتل وأسر، وباتوا ليلة الجمعة مع الفرنج في الترامي من أعلى السور، فقدمت طائفة من المغاربة في مركب ومعهم زيت وغيره من تجاراتهم، فمال الفرنج عليهم وقاتلوهم قتالا شديدا حتى أخذوهم عنوة، وأخرجوهم إلى البر، وقطعوهم قطعا، وأهل الإسكندرية يرونهم فلا يغيثونهم. فقدم الخبر بذلك في ليلة السبت عشرينه، فاضطرب

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٣١/٣

الناس بالقاهرة، وخرج ناظر الخاص نجدة لولده، ومضى معه عدة من الأمراء، وخرج الشيخ أبو هريرة بن النقاش في عدة من **المطوعة**، يوم الأحد حادي عشرينه، وقدموا الإسكندرية، فوجدوا الفرنج قد أقلعوا، وساروا بالأسرى، وما أخذوه من البر ومن مركب المغاربة، في يوم الثلاثاء ثاني عشرينه، فعادوا في آخر الشهر إلى القاهرة.

وفيه كثر الطاعون بدمشق. وفيه قتل حميد بن نعير غدرا.

وفيه نزل على مدينة الرحبة حسين بن نعير وحصرها عشرين يوما، كانت فيها حروب عظيمة، حتى أخذها ونهبها، ثم أحرقها حتى جعلها فحمة سوداء.

وفي سابع عشرينه: اعتقل الأمير كزل العجمي، الذي كان حاجب الحجاب بديار مصر، ونفي إلى قلعة صفد.

شهر رجب، أوله الثلاثاء: في سابع عشره: دار المحمل على العادة، بعدما جبي الأمير سيف الدين خرز والي القاهرة ما حدث من أخذ الخمر للمماليك الرماحة من أهل الذمة، فجبي من اليهود خمسة وستين مروقة خمر، ثمنها عندهم مائة وعشرون درهما كل مروقة، وغرموا مع ذلك جملة لأعوانه، بلغت خمسة آلاف درهم.

وطلب من النصارى مثل ذلك، فتعززوا عليه لقوة جاههم، فحقد عليهم ذلك، وكبس سريقة صفية خارج القاهرة، وكبس الكوم خارج مصر، وأراق للنصارى - باعة الخمر - عدة آلاف من جرارها وكتب على أكابرهم إشهادات بكثير من جرار الخمر، يقومون له بها، فمنهم من ألزمه بثلاثمائة جرة، وتلف لهم مع هذا مال كبير مما غرموه للأعوان، ومما نهب، فكان هذا من شنيع المنكرات.

وفي ثامن عشره: نودي أن يكون النصف المؤيدي بثمانية دراهم فلوسا، وكل رطل من الفلوس بخمسة دراهم ونصف، وكل دينار أفرنتي بمائتين وثلاثين فلوسا، وكل دينار هرجة بمائتين وخمسين درهما فشملت المضرة عامة الناس لخسارة أموالهم.

وفي ثاني عشرينه: خلع على الأمير منكلي بغا العجمي، وأعيد إلى حسبة القاهرة. وعزل ابن شعبان مزموما لقبح سيرته، ونودي بتهديد من خالف ما رسم به في الفلوس والفضة المؤيدية، أو تكلم فيما لا يعنيه.

وفي يوم الثلاثاء سلخه: خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، واستقر كاشف الوجه القبلي، بعدما ضرب بحضرة السلطان.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٩١/٣

"وفي يوم الاثنين ثامنه: خلع على شمس الدين محمد الهروي، واستقر قاضي القضاة، عوضا عن الشيخ الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، فغير زيه. وهذه المرة الرابعة في تغيير زيه، فإنه كان أولا يتزيا بزي العجم، فيلبس عمامة عوجاء بعذبة عن يساره. فلما ولي قضاء القضاة لبس الجبة، وجعل العمامة كبيرة، وأرخى العذبة من بين كتفيه. فلما ولي كتابة السر تزيا بزي الكتاب، وترك زي القضاة، فضيق كمه، وجعل عمامته صغيرة مدورة، ذات أضلاع، وترك العذبة، وصار على عنقه طوق، ولبس الذهب الحرير، ولم يخش الله، ولا استخفى من الناس. فلما أعيد إلى القضاء ثانيا خلع زي الكتاب، وتزيا - بزي القضاة وكان ضخما، بطينا، ألحي، فأشبه في حالاته هذه الصفاعتة من المخايلين، الذين يضحكون أهل المجانة والهزو، وماذا بمصر من المضحكات!!.

وفي يوم الاثنين: قدم الأمير أينال الجكمي من القدس، فخلع عليه واستقر أمير مجلس، عوضا عن أينال النوروزي. وهذا الجكمي من جملة مماليك الأمير جكم، وانتقل إلى الأمير سودن بقجة. ثم صار إلى الأمير شيخ المحمودي. فلما تسلطن، عمله من جملة المماليك الخاصكية. ثم غضب عليه ونفاه، ثم أعاده من النفي لبراءته مما رمى به، فرقاه ططر حتى صار من الأمراء المقدمين. ثم قبض عليه، ونفي حتى أعاده السلطان في يوم تاريخه إلى الإمرة.

وفي يوم السبت عشرينه: وصل الغرابان بالأسرى والغنيمة. وذلك أنهما لما مرا بدمياط، تبعهما قوم من **المطوعة** في سلورة، حتى مروا بطرابلس سار معهم غربان إلي الماغوصة، فأضافهم متملكها، فلم يتعرضوا لبلاده، ومضوا عنه إلى بلاد يقال لها اللمسون من جزيرة قبرس، وقد استعد أهلها وأبعدوا عيالهم، وخرجوا في سبعين فارسا وثلاثمائة راجل، فقاتلهم المسلمون، وهزموهم وقتلوا منهم فارسا واحدا وعدة رجال، وحرقوا ثلاثة أغربة، وغرقوا ثلاثة أغربة، وعاثوا فيما وجدوه من ظروف العسل والسمن وغير ذلك. وأسروا ثلاثة وعشرين رجلا، وغنموا جوخا كثيرا، رفع للسلطان منه مائة وثلاث قطع، طرحت على التجار ولم يعط المجاهدون منها شيئا.

وفي تاسع عشرينه: نودي بخروج أهل الريف من القاهرة ومصر إلى بلادهم فلم عمل بذلك.

وفي هذا الشهر: هبط ماء النيل، وشرق أكثر النواحي بالصعيد والوجه البحري. ومع ذلك فالأسعار رخيصة، القمح بمائة وثمانين درهما الأردب، والشعير بخمسة وثمانين الأردب، والفول بثمانين درهما الأردب.

وفيه كثرت الفتن، وتعددت بالوجه القبلي والبحري.

وفيه فتحت كنيسة قمامة بالقدس، وكان قد تأخر فتحها بعد ما رسم به.

شهر ذي الحجة، أوله الثلاثاء: في يوم النحر رمى بعض المماليك من أعلا الطباق بالحجارة، والسلطان يذبح الأضاحي، والمماليك تنهب لحومها، بخلاف العادة، فأصيب بعض الأمراء بحجر. ودخل السلطان داخل الدور، وكثر الكلام. وسبب ذلك أنه لم يفرق الأضاحي في المماليك، وأعطى كل واحد منهم دينارا، فلم يرضهم هذا، و لم يكن منهم سوى ما ذكر. وسكن أمرهم.

وفي ثالث عشره: قبض على الأمير كمشبغا الفيسي، أحد أمراء الناصر فرج.

وفي ثامن عشره: خلع على سعد الدين سعد ابن قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري، واستقر في مشيخة الجامع المؤيدي، بعد موت أبيه بالقدس.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

شرف الدين يعقوب بن الجلال رسولا بن أحمد بن يوسف التباني الحنفي في يوم الأربعاء سادس عشر صفر. وكان يعرف الفقه والعربية، وله همة ومكارم ووصلة كبيرة بالأمراء واختص بالمؤيد شيخ اختصاصا كبيرا. وأفتى ودرس وولي نظر الكسوة، ووكالة بيت المال، ومشيخة خانكاة شيخو.

وقتل بدمشق الأمير تنبك البجاسي في أول ربيع الأول، وهو أحد المماليك الذين مروا من الناصر فرج، ولحق بشيخ المحمودي، فرقاه في سلطته، وولي نيابة حماة وحلب ودمشق، وشكرت سيرته، لتنزهه عن قاذورات المعاصي، كالخمر والزنا، مع إظهار العدل وفعل الخير.." (١)

"ومات الواعظ المذكر بالله شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن عبد الله المعروف بالشاب التائب بدمشق، في يوم الجمعة ثامن عشر رجب عن نحو سبعين سنة ، ومولده ومنشأه بالقاهرة. وكان من جملة طلبة العلم الشافعية، ثم صحب في أثناء عمره رجلا من الفقراء يعرف بأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر ابن الزياب أحد أصحاب الشيخ يحيى الصنافيري، فمال إلى طريقة التصوف، ورحل إلى اليمن. ثم قدم وعمل الميعاد، ونظم الشعر على طريق القوم، وبنى زواية خارج القاهرة، فحصل له قبول من العامة. وسمعت ميعاده بالجامع الأزهر، وقد تكلم في تفسير آية من كتاب تعالى فأكثر من النقل الجيد بعبارة حسنة، وطريقة مليحة. وحج مرارا، ثم رحل إلى دمشق وبنى بها زاوية وعمل الميعاد، فأقبل عليه الناس، وزاد اعتقادهم فيه بمصر والشام، حتى توفي. ونعم الرجل كان.

ومات بالنحريرية الأديب المعتقد نور الدين علي بن عبد الله الشهير بابن عامرية، في يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الآخر، وأكثر شعره - رحمه الله - في المدائح النبوية.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٨٤/٣

سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة بيوم الجمعة، الموافق له ثاني بابة: والشمس في نصف برج الميزان، والوقت فصل الخريف.

شهر المحرم: في يوم السبت ثانيه: خلع على الأمير زين الدين عبد القادر أستادار خلعة الإستمرار، ثم خلع عليه ثانيا في يوم الاثنين رابعه، وخلع على الأمير أقبغا الجمالي كاشف الوجه القبلي خلعة الاستمرار، وقد أرجف باستقراره أستادارا وألزم بحمل عشرين ألف دينار.

وفي تاسعه: خلع على الصاحب كريم الدين الوزير، واستقر في نظر الديوان المفرد، مضافا إلى الوزارة، ليتقوى به الأمير زين الدين أستادار.

وفي ليلة الجمعة تاسعه أو عاشره: أمطرت مدينة حمص مطرا وابلا، ونزل معه ضفادع خضر حتى امتلأت بها أزقة المدينة وأسطحة الدور.

وفي العشر الثاني من هذا الشهر: حملت نفقة المماليك السلطانية من حاصل الأستادار إلى قلعة الجبل، لتنفق في المماليك على العادة في كل شهر، فامتنعوا من قبضها وطلبوا أن يزاد كل واحد على ماله مبلغ ثلاثمائة درهم في كل شهر وكانوا قد فعلوا ذلك في نفقة ذي الحجة، حتى زيد كل منهم أربعمائة درهم في كل شهر فبلغت الزيادتان في الشهر نحو الخمسة آلاف دينار. وكان قبل رضائهم بذلك قد استطار شرهم، وتعدوا في العتو طورهم حتى خافهم أعيان أهل الدولة، ووزعوا ما في دورهم خوف وقوع الفتنة.

وفي حادي عشرينه: قدم ركب من الحاج تقدم أولا، ثم قدم الركب الأول من الغد، وقدم المحمل ببقية الحاج في ثالث عشرينه.

وفي رابع عشرينه: قدم رسول ملك المشرق – شاه رخ بن تيمور – بكتابه يطلب فيه شرح البخاري للحافظ قاضي القضاة شهاب الدين، أحمد بن حجر، وتاريخي السلوك للدول الملوك ويعرض فيه بأنه يريد أن يكسو الكعبة ويجري العين بمكة.

وفي ثامن عشره: بعث صاحب تونس وإفريقية وتلمسان – أبو فارس عبد العزيز – أسطولا فيه مائتا فرس، وخمسة عشر ألف مقاتل من العسكرية والمطوعة، لأخذ جزيرة صقلية، فنازلوا مدينة مارز حتى أخذوها عنوة، ومضوا إلى مدينة مالطة. وحصروها حتى لم يبق إلا أخذها فانهزم من جملتهم أحد الأمراء من العلوج، فانهزم المسلمون لهزيمته، فركب الفرنج أقفيتهم، فاستشهد منهم في الهزيمة خمسون رجلا من الأعيان، ثم إنهم ثبتوا وقبضوا على العلج الذي كادهم بهزيمته، وبعثوا به إلى أبي فارس، فأمدهم بجيوش كثيرة.

شهر صفر، أوله الأحد: في رابع عشره: خلع على السيد الشريف شهاب الدين كاتب السر ونزل إلى الجامع

المؤيدي، وقد استقر ناظره على العادة، فقرئ به تقليده بكتابة السر، تولى قراءته منشأة القاضي شرف الدين أبو بكر الأشقر نائب كاتب السر. وقد حضر قضاة القضاة الثلاث، ولم يحضر الحنفي، وحضر الأمير أركماس الدوادار، وكثر من الأعيان، فكان من المجامع الحفلة الحشمة.

وفي هذه الأيام: ارتفع سعر الذهب حتى بلغ الدينار الأفرنتي مائتين وستين درهما، وارتفع أيضا سعر الغلال. وقدم الخبر بغلاء الأسعار بمدينة حلب ودمشق، وأن بدمشق وحمص طاعون فاش في الناس.." (١)

"في حادي عشره: كانت زلزلة عظيمة شديدة، بعد صلاة الظهر، بجزيرة الأندلس، وبمرج أغرناطة، سقطت بها أبنية كثيرة على سكانها فهلكوا، وخسف بثلاث بلاد كبيرة في مرج أغرناطة – وهي بلد همدان وبلد أوطورة وبلد دارما – فابتلعت الأرض هذه البلاد بأناسها وبقرها وغنمها وسائر ما فيها، حتى صار من يمر من حولها يقول كان هنا بلد كذا وبلد كذا، وانخسف في كثير من البلاد عدة مواضع، وسقط نصف قلعة أغرناطة، وتهدم كثير من الجامع الأعظم، وسقط أعلى منارته، ورؤى حائط الجامع يرتفع ثم يرجع، ومقدار ارتفاعه نحو عشرة أذرع، ارتفع كذلك مرتين، وخاف رجل عند حدوث الزلزلة، فأخذ ابنه وأراد أن يخرج من باب داره، فالتصق جانبا الباب، وانفرج الحائط فخرج من ذلك الفرج هو وابنه وامرأته، فعاد الحائط كما كان، وتراجع جانبا الباب إلى حالهما قبل الزلزلة، وأقامت الأرض بعد ذلك نحو خمسة وأربعين يوما تهتز، حتى خرج الناس إلى الصحراء ونزلوا في الخيم خوفا من المدينة أن تسقط مبانيها عليهم، وكان هذا كله بعد وصول السلطان المخلوع أبي عبد الله محمد الأيسر من تونس إلى الأندلس، وحصره قلعة أغرناطة سبعة أشهر، وقتله الأجناد والرجال حتى فنيت العدد والأموال، فبلغ ذلك ملك قشتالة الفنشي فجمع عساكره من الفرنج، وركب البحر إلى قرطبة يريد أخذ أغرناطة من المسلمين، فاشتد البلاء عليهم لقلة المال بأغرناطة، وفناء عسكرها في الفتنة، وموت من هلك في الزلزلة، وهم زيادة على ستة آلاف إنسان، ونزل الفرنج عليهم، فلقوهم في يوم الجمعة عاشر رمضان من هذه السنة، وقاتلوهم يومهم ومن الغد، قتل من المسلمين نحو الخمسة عشر ألف، وألجأهم العدو إلى دخول المدينة، وعسكر بإزائها على بريد منها، وهم نحو خمسمائة وثمانين ألف، وقد اشتد الطمع في أخذها، فبات المسلمون ليلة الأحد في بكاء وتضرع إلى الله، ففتح عليهم الله تعالى، وألهمهم رشدهم، وذلك أن الشيخ أبا زكريا يحيى بن عمر ابن يحيى بن عمر بن عثمان بن عبد الحق – شيخ الغزاة – خرج من مدينة أغرناطة في جمع ألفين من الأجناد، وعشرين ألفا من **المطوعة**، وسار نصف الليل على جبل الفخار. حتى أبعد عن معسكر الفرنج إلى جهة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٣٣٢

بلادهم، ورفع إمارة في الجبال يعلم بها السلطان بأغرناطة، فلما رأى تلك العلامات من الغد خرج يوم الأحد، بجميع من بقي عنده إلى الفرنج، فثاروا لحربهم، فولى السلطان بمن معه من المسلمين، كأنهم قد انهزموا، والفرنج، تتبعهم، حتى قاربوا المدينة، ثم رفعوا الأعلام الإسلامية، فلما رآها الشيخ أبو زكريا نزل بمن معه إلى معسكر الفرنج، وألقي فيه النار، ووضع السيف فيمن هنالك، فقتل وأسر وسبى، فلم يدع الفرنج إلا والصريخ قد جاءهم، والنار ترتفع من معسكرهم، فتركوا أهل أغرناطة ورجعوا إلى معسكرهم، فركب السلطان بمن معه أقفيتهم، يقتلون ويأسرون، فبلغت عدة من قتل من الفرنج ستة وثلاثون ألفا، ولحق باقيهم ببلادهم، بعد ما كادوا أن يملكوا أغرناطة.

وبلغت عدة من أسر المسلمون من الفرنج نحو اثني عشر ألفا، ويقول المكثر إنه قتل ومات وأسر من الفرنج في هذه الكائنة زيادة على ستين ألفا. وكان سبب هذه الحادثة أنه وقع بين ملك القطلان صاحب برجلونة، وبين ملك قشتالة صاحب أشبيلية وقرطبة، فجمع القشتيلي، وسار لحرب القطلاني، حتى تلاقى الجمعان، فمشى الأكابر بين الملكين في الصلح، فاعتذر القشتيلي بأنه أنفق في حركته مالا كثيرا، فأشير عليه بأخذ ما أنفقه من المسلمين، بأن يغزوهم فإنهم قد ضعفوا، وما زالوا حتى تقرر الصلح، ونزل على أغرناطة، وكان ما تقدم ذكره.

وفي شهر رمضان: هذا ابتدأت في إسماع كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع صلى الله عليه وسلم من أول يوم فيه بقراءة – المحدث الفاضل تقي الدين محمد بن محمد بن فهد الهاشمي، بالمسجد الحرام تجاه الميزاب، وكان جمعا موفورا. شهر شوال، أوله الثلاثاء: في يوم الأربعاء تاسعه – الموافق لسادس عشرين بؤونة – : أخذ قاع النيل، فجاء ستة أذرع وثلاثة أصابع، ونودي عليه من الغد بزيادة ثلاثة أصابع، واستمرت الزيادة.." (١)

"وفي سحر يوم الجمعة خامس عشره: رحل زين الدين عبد الباسط من منزلته بقبة النصر، حتى أناخ ببركة الحجاج، ورافقه في سفره جماعات من الرجال والنساء، فصار في ركب من الحجاج، وكان يتردد إليه في منزلته هذه عامة الأمراء، والمقام الناصري محمد ولد السلطان، وجميع مباشري الدولة، من الوزير، وكاتب السر، وناظر الجيش، وناظر الخاص، ومعظم أعيان القاهرة من القضاة، ومشايخ العلم، والتجار، وغيرهم من سائر طبقات الناس، فأقام ببركة الحجاج وهم يترددون إليه، ويحملون له المبالغ الكثيرة من الذهب والثياب والخيول والأغنام وغير ذلك، حتى إستقل بالمسير في ليلة الإثنين ثامن عشره، فما زادته

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٣٤٧

هذه المحنة إلا رفعة وعزا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وفي خامس عشرينه: عزل ناصر الدين محمد بن أحمد بن سلام عن ولاية دمياط، ولعزله خبر يذكر، وهو أن جماعة من **المطوعة** بدمياط ركبوا البحر يريدون جهاد الفرنج، فمضوا من دمياط حتى أرسوا بميناء بيروت، وهم في ثلاثة مراكب، فإجتمع عليهم عدة من الغزاة، وساروا غير بعيد، وإذا بطائفة كبيرة من الفرنج في أربعة مراكب قد أقبلوا فإحتربوا معهم حربا شديدة، حتى إستشهدوا بأجمعهم، إلا طائفة من البحارة فإنهم ألقوا أنفسهم في البحر، وأخذ الفرنج مراكب المسلمين بما فيها وأقلعوا، فما هو إلا أن وصل الخبر بذلك إلى دمياط وإذا بالعزاء والمأتم قد أقيمت على من فقد من الغزاه حيث عم ذلك أهل البلد بأسرهم، إلا رجلا من نصارى دمياط يقال له جرجس بن ضو، فإنه في وقت عزاء الناس عمل فرحا، وجمع على طعامه عدة أناس، وأظهر الشماتة والمسرة بما أصاب المسلمين، وكان قبل يتهمه الناس بدمياط أنه يكاتب الفرنج ويدلهم على عورات المسلمين، ويحضهم على محاربتهم، فلما عمل هذا المجتمع، لم تصبر العامة على ذلك، وثاروا به وأخرجوه، وادعوا عليه عند القاضي بقوادح، قامت عليه بها بينات أوجبت قتله، فلما أيقن بالهلاك أظهر الإسلام، وتلفظ بالشهادتين، فقام ابن سلام على العامة، وتخلصه من بين أيديهم على مال فيما زعموا أنه وعده به، فتعصبت العامة، وقتلت النصراني الأسلمي، وأحرقوه بالنار، ونهبوا كنائس النصارى، فحنق ابن سلام، وكتب إلى السلطان وإلى ناظر الخاص، وهو يشنع الأمر، ويذكر أن حرمة السلطان قد إنكسرت، وضاع مال السلطان، وتعطل إستخراجه، فاشتد غضب ناظر الخاص، وأغرى السلطان بأهل دمياط، حتى غضب عليهم، وبعث ثلاثين مملوكا صحبة بعض الأمراء ليقبضوا على التجار بدمياط، وعلى أعيانها، فدخلوا دمياط وقد طار الخبر إليها، فرحل جمهور أهلها، وتركوا دورهم وضعفة أهاليهم.

هذا، وكتب ابن سلام تتواتر مرة بعد أخرى لإغراء السلطان بأهل دمياط، وقد طار الخبر إليها، والسلطان يشتد غضبه على العامة، ويهم أن يفتك بهم، فأخذ جماعة من أعيان الدولة في تسكين غضبه، وبالغوا في تقبيل يديه، وسألوه. العفو عنهم، حتى تمهل عن قتلهم، ورسم بعزل ابن سلام، وقد إتضح أمره.

وفي خامس عشرينه: قدم أحد حجاب دمشق بسيف الأمير أقبعا التمرازي نائب الشام، وقد مات فجأة، في سادس عشره، فرسم لنائب حلب الأمير جلبان بإستقراره في نيابة الشام، وأن ينتقل نائب طرابلس الأمير قانباى الحمزاوي إلى نيابة حلب، وينتقل الأمير برسباى الناصري حاجب الحجاب إلي بدمشق إلى نيابة طرابلس، ويستقر عوضه في الحجوبية الكبرى بدمشق الأمير سودون النوروزي حاجب حلب، وينتقل حاجب

حماة الأمير سودون المؤيدي إلى الحجوبية الكبرى بحلب، وأن يستقر الأمير جمال الدين يوسف بن قلندور نائب خرت برت في نيابة ملطية، عوضا عن الوزير الأمير غرس الدين خليل، ويستقر خليل المذكور أحد أمراء الألوف بدمشق، عوضا عن الأمير ألطبغا الشريفي ، ويستقر الشريفي المذكور أميرا كبيرا بحلب، عوضا عن الأمير قطج وأن يحضر الأمير قطج إلى القاهرة، وجهزت تقاليدهم ومناشيرهم في سابع عشرينه، ورسم للأمير دولات باى المريدي الدوادار أن يكون متسفر الأمير جلبان نائب الشام، وأن يكون الأمير أرنبغا اليونسي رأس نوبة متسفر الأمير قانباى الحمزاوي نائب حلب، وأن يكون الأمير سودون المحمدي المعروف بأتمكجي رأس نوبة متسفر الأمير برسباى نائب طرابلس ، وخلع عليهم في تاسع عشرينه خلع السفر، فسافروا.." (١)

"ونقل ابن أبي الفرج من بيت الأمير طوغان قز أستادار إلى تسليم الصاحب برهان الدين إبراهيم ابن كاتب جكم ناظر الخاص، بعدما حمل عشرة آلاف دينار وتأخر عليه أربعة آلاف دينار، مما ألزم به، وأسلم عبد العظيم إلى الوزير الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، ليحمل ألفي دينار.

وفي هذه الأيام: وقع الإهتمام بتجهيز تجريدة في البحر لغزو الفرنج. وفيها قدم القاضي زين الدين عبد الباسط بأهله وعتيقه الأمير جانبك أستادار من مكة إلى بيت المقدس، ليقيم به حسب ما رسم له به، فنزل بمدرسته التي أنشأها على مسجد بيت المقدس، فسكن جأشه، لأنه كان كثير القلق وهو بمكة.

شهر صفر، أوله يوم السبت: في يوم الإثنين ثالثه: خلع على الحافظ قاضي القضاة شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن على بن حجر الشافعي وإستمر على عادته ، بعد أن عين شمس الدين محمد الونائي لولاية قضاء القضاة، فقام المقام الناصري محمد ابن السلطان في إستقرار الحافظ شهاب الدين حتى إستقر، ولله الحمد، فو الله ما يبلغ أحدهم في العلم مده ولا نصيفه، وكان سبب هذه الحادثة أن رجلا أسند وصيته بعد موته لإمرأتيه، وأقام عليهما ناظرا سماه في وصيته. ومات الموصي، فأقام القاضي رجلا يتحدث مع الناظر، فإختلفا وترافعا إلى السلطان فأنكر السلطان إقامة الرجل المتحدث مع الناظر، وسجن أبا البركات الهيتمي من أجل أنه أثبت أهلية المذكور، وأذن له في التحدث مع الناظر في تركة الموصي. وأمر بالرجل المتحدث مع الناظر، فعمل في الحديد، وسجن أيضا فكثرت الشناعة على ابن حجر بلا موجب، إلى أن فوض السلطان أمر تركة الموصي إلى من يثق به من أمرائه، فجمع الناظر على التركة والرجل الذي أقامه القاضي يتحدث معه وحسابهما، فلم يجد في جهة المتحدث مع الناظر شيئا من التركة، وظهر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٥٠/٣

أن تلك الشناعات كلها كذب. فلما تبين للسلطان حقيقة الأمر سكنت حدة غضبه، وأفرج عن الهيتمي وعن الرجل المتحدث مع الناظر، وأقر قاضي القضاة على عادته.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره: قدمت تقدمة القاضي زين الدين عبد الباسط من القدس، على يد دوادره أرغون أحد مماليكه، وهي فرسان، وعشرون جملا، وشاشات، وأزر وصيني، وثياب حرير، وتخت يماني، وغير ذلك مما تبلغ قيمة الجميع نحو الألفي دينار، فقبل السلطان ذلك، وقرئ عليه كتابه، فشكره، وخلع على أرغون. وفيه أفرج عن ابن أبي الفرج، فلزم داره.

وفي يوم الإثنين خامس عشرينه وهو أول مسرى: نودي على النيل بزيادة ثلاثين إصبعا، لتتمة أربع عشرة ذراعا وإصبعين، وهذا القدر من الزيادة ومبلغ الأذرع مما يستكثر في أول مسرى ولله الحمد.

وفيه خلع على الأمير عيسى بن يوسف بن عمر الهواري أمير هوارة بالصعيد، وقد رضي السلطان عن بني عمر بن عبد العزيز أمراء هوارة ورسم بإحضار أخيه الأمير إسماعيل من سجنه بمدينة الكرك، ليستقر على عادته في إمرة ہوارة، على أن يحمل سبعين ألف دينار، يعجل منها أربعين ألف دينار.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه: رضي السلطان على الأمير أيتمش الخضري، وخلع عليه بشفاعة بعض الأمراء.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه ورابع مسرى: نودي بوفاء النيل ست عشرة ذراعا وإصبعين، من سبع عشره، فركب المقام الناصري محمد إلى المقياس حتى خلق العامود بين يديه على العادة، ثم فتح الخليج، وكان وفاء النيل في رابع مسرى من النوادر التي يجب الحمد لله عليها.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الأحد: وفي هذا الشهر والذي قبله: كثرت الفواكه والبطيخ، بزيادة في الطيب والخصب ورخص السعر، ولله الحمد.

وفي يوم الإثنين تاسعه: إنحدر من ساحل بولاق ظاهر القاهرة خمسة عشر غرابا لغزو الفرنج، بأحسن هيئة، وأكمل عدة، وأتم زاد، وفيها من الأجناد والمطوعة جماعة. فعلى الأجناد وعدتهم مائتان تغرى برمش الزردكاش من أمراء العشرات، ويونس المحمدي أمير أخور من العشرات أيضا، وسبب هذه التجريدة كثرة عبث المتجرمة من الفرنج، وأخذها مراكب التجار بما فيها، فأنشأ السلطان هذه الأغربة وشحنها بما تحتاج إليه من العدد والأسلحة والمقاتلة، وسيرها، عسى الله أن يظفرهم، فانضم إليهم طوائف من أوغاد العامة، وأراذل المفسدين، ومن الزعر المجرمين، حتى بلغوا ألفا أو يزيدون. و لم ينفق في المماليك مال.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٤٦٠

"، وأخذ نور الدين يكاتب أهل دمشق ويستميلهم : وكان الناس يميلون إليه لما هو عليه من العدل والديانة والإحسان فوعدوه

بالتسليم (١) . وقد دخل نور الدين دمشق عام ٥٤٩هـ في فتح أبيض لم ترق فيه دماء وما ذلك إلا – بتوفيق الله – ثم بمساعدة الجماهير التي كانت تنتظر دخوله منذ سنوات وسنوات : يقال أن امرأة كانت على السور فدلت حبلا فصعدوا إليه، وصار على السور جماعة ونصبوا السلالم وصعدت جماعة أخرى ونصبوا علما وصاحوا بشعار نور الدين (٢) وبعد أقل من ثلاث سنين، حينما أعلن في دمشق عن التطوع في حملة لقتال العدو خرج كل قادر على حمل السلاح من أهل دمشق وتبع نور الدين في حملته تلك : فتيان البلد من الأحداث والغرباء والمتطوعة والفقهاء والصوفية والمتدينين العدد

(١) زبدة حلب (٣٠٤/٢ – ٣٠٥).

(٢) كتاب الروضتين نقلا عن نور الدين محمود ص ٢٦.." [١]

"وكان ابن عساكر في هذه الفترة مواكبا لنور الدين ومحفزا له وداعيا للجهاد والتحرير، وكان يقول داعيا للوحدة : لم يمكن الله أهل فرقة على جماعة أبدا (١) ، وخطط نور الدين لجوله فاصلة مع الصليبيين تستخدم فيها طاقات الشام والجزيرة ومصر، والمغرب، وبلاد إسلامية أخرى، وبات متيقنا بالنصر، وتسامع الناس أخبار ثقته بالنصر، فقد كان لنور الدين نجارا بحلب يعرف بالأختريني من ضيعة قريبة من حلب تعرف " بأخترين" اشتهر ببراعته ودقة صنعه التي لا تجارى فأمره " أن يصنع منبرا لبيت الله المقدس، ولبى الرجل ما ندب له، وبذل النجارون، الصناع في صناعته سنين وأبدعوا في تركيبه الإحكام والتزيين (٢) ، واستطاع نور الدين من خلال وسائله وخططه وتواصله مع العلماء أن يقلب موازين الصراع لصلاحه، فالمعارك قبل نور الدين كانت تخوضها قوات محترفة تابعة للحكام المسلمين، ومنذ أيام نور الدين بدأ عنصر المتطوعة ي كثر ويندفع في المعارك، وباتت مع الأيام أعداد المتطوعة أكبر من أعداد الجند المحترفة، وكان ذلك كله، نتيجة تعبئة مشاعر الناس وتحريضهم على الجهاد، وندبهم إلى حمل السلاح وهو ما كان يتولاه الولاة والوعاظ، ويأتي ابن عساكر كبير علماء الشام ومحدثها الأول في مقدمة هؤلاء. وفي هذا المجال لابد من ملاحظة هامة وهي أن المتطوعة لم يقتصروا على سكان العراق وبلاد الشام، أو مصر بل تعداه إلى سكان المغرب والأندلس، فلقد كان المغاربة يأتون للجهاد والحج فيجاهدون ويحجون أو يحجون

(١) السيرة الزنكية، ٩٦٢/١

ويجاهدون، أو يجاهدون وتكتب لهم الشهادة، وكلنا يعلم أن أحد أهم أحياء دمشق هو حي (المغاربة) الذي يعود إنشاؤه إلى تلك المرحلة (٣) ، ولقد تحدث عن المغاربة والأندلسيين ومشاركتهم في الجهاد ضد الصليبيين والعلاقات الثقافية والفكرية بين المغرب

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٨.

(٢) كتاب الروضتين نقلا عن دوره في الجهاد ضد الصليبيين ص ٤٨.

(٣) ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين ص ٤٨.." (١)

"والوزير الحسن بن علي بن صدقة، وشرف الدين علي بن طراد الزينبي، والوزير الكبير عون الدين بن هبيرة والذي سيأتي بإذن الله ترجمته مفصله في سيرة نور الدين زنكي عند حديثنا عن الزنكيين ودورهم المجيد في دحر الصليبيين، كما أشرت إلى وزراء سلاطين السلاجقة وأهم أعمالهم وفي الفصل الثالث :اهتممت بالمؤسسة العسكرية السلجوقية والتي كانت القوى الضاربة للدولة، ففصلت في أسس الإدارة العسكرية السلجوقية، كتنشئة العسكرية للأبناء، والجهاد في سبيل الله، والحرص على كسب ولاء الجيش وقادته، والخبرة والتجربة، والإخلاص والتضحية، والحيطة والحذر والمتابعة، والعلاقة بين الجند وقادتهم والتدرج في الرتب العسكرية، والجمع بين الرأي والتدبير والقوة العسكرية، والاعتماد على أجناس مختلفة، وزيادة عدد أفراد الفرق العسكرية، والتقسيم العشري كأمراء المئين مقدموا الألوف، وأمراء العشرات، والخمسات، والإقطاع العسكري، وخصائصه، وعوامل التوسع فيه وموقف العلماء منه، ونظام الرهائن، والإعداد المعنوي للجيش، كما تحدثت عن نظم الإدارة العسكرية كالمناصب القيادية، كالأمير الحاجب الكبير، وصفات قائد الجيش ورواتب الجند، والقائد العام وأمير الحرس والمقدم والعميد والأتابك، وقاضي العسكر وديوان عرض الجيش، كتنظيم سجلات أسماء الجند، وعرض الجيش، وتحديد المهام الموكلة إلى الجند والإشراف على النواحي التموينية، والنواحي المالية، والإشراف على التسليح وعلى زي الجند، وثكناتهم، وعن أقسام الجيش السلجوقي من القوة النظامية، والقبائل التركمانية، وفرق الولايات وقوات المدن **والمتطوعة** والأوباش والطلائع وفرق إعداد المنازل التي سيمر بها الجيش، وعن عناصر الجيش من الأتراك والعرب، والأكراد والديلم والأرمن، وفرق الجيش، كالفرسان والنشابة والنفاطيون والمنجنيقيون، وعن التعليم

---

(١) السيرة الزنكية، ٢/٤٣

والتدريب العسكري، وحجم الجيش السلجوقي ونظام العيون والجواسيس، والإسناد العسكري بالجند."
(١)

"قوات المدن والمتطوعة والأوباش : لم يكن الجيش السلجوقي يتكون من القوة النظامية والقبائل التركمانية وفرق الولايات وأصحاب الإقطاع وقوات الأمراء فقط، بل يوجد عدا هذه الأقسام جحافل كثيرة من القوات التي تنضم إلى الجيش من المدن القريبة من ميدان الحرب والتي تختلف أعدادها باختلاف هذه المناطق، فكانت تسمى بأسماء المدن والأقاليم التي جاءت منها فتذكر في بعض المصادر عبارة عساكر العراق وغيرها(١)، ويضم الجيش السلجوقي كذلك المتطوعة الذين يلتحقون بالجيش لفترة محددة، أو دائمة لتأدية فريضة الجهاد (٢)، ويعرفهم الماوردي بأنهم الخارجين عن ديوان الجيش من أهل البادية وسكان المدن ممن انضموا للجيش حين النفرة للحرب (٣)، وهناك طوائف ذكرت في المصادر باسم أو باش رغم إضافتها للجيش لم يكن لهما تأثير يذكر في نتيجة الحرب مثل القوى الرئيسية في الجيش السلجوقي (٤)، وهذا لا يقلل من الجهود البارزة لهاتين الطائفتين في الجيش واستفادته منهما فقد كان لإخلاص المتطوعة واستماتتهم في القتال طلبا للشهادة دور فاعل في إثارة حماس الجند للقتال (٥)، وعلى سبيل المثال، كيف استفاد الجيش السلجوقي في عهد السلطان ملكشاه ابن ألب أرسلان من جهود الأوباش في أعمال الردم للخندق حول مدينة ترمذ، فنجح الجيش بعد ذلك في فتح المدينة وقلعتها (٦).

---

(١) الكامل في التاريخ نقلا عن النظم الحربية عند السلاجقة ص ١٥٩.

(٢) الحرب عند العرب ص ٣٣٠.

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٥٩.

(٤) النظم الحربية عند السلاجقة ص ١٦٠.

(٥) المصدر نفسه ص ١٦٠.

(٦) المصدر نفسه ص ١٦٠ ، أخبار الدولة السلجوقية ص ٦٠ ، ٦٠.." (٢)

"ونتيجة لهذا الدور الحماسي الذي قام به رجال الدين المسيحي في تشجيع الصليبين بأنطاكية ازداد الصليبيون ثقة في أنفسهم (١).

---

(١) السلاجقة، ١/٦

(٢) السلاجقة، ١/٣٨٠

جهود ياغي سيان والي أنطاكية للدفاع عن المدينة : كان والي أنطاكية " ياغي سيان " من التركمان، ويتمتع بدرجة عالية من الكفاية، إلا أن الخلافات والحروب التي كانت بين الأخوين دقاق ورضوان ابني تتش بالشام – وانحياز ياغي سيان إلى هذا مرة وذاك مرة أخرى حرمه من مساعدة أمير حلب، عندما داهمه الغزاة وقد حاول ياغي سيان آنذاك الحصول على مساعدة جيرانه المسلمين : دقاق ملك دمشق، وجناح الدولة أمير حمص، وكربوقا أتابك الموصل، إلا أن التمزق السياسي، والمطامع الشخصية حالت دون تقديم المساعدات المرجوة، كما أنه طلب النجدة من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي في فارس ولكن دون جدوى إلا أن ياغي سيان، كان قد أعد عدته لحصار فشحن القلاع بالجند والمقاتلين، واختزن المؤن الك افية، وقد استمر الحصار مدة تسعة أشهر، حتى كاد شبح المجاعة يهدد الفرنجة، ولم تكفهم المعونة المتقطعة التي كانت تأتيهم من قبرص والغرب، حتى صار بعض الجند يفرون من المعركة (٢) وتجمعت قرب " شيزر" نجدة إسلامية لإنقاذ أنطاكية كان على رأسها : دقاق ملك دمشق، وأمير حمص جناح بن ملاعب ودارت معركة بينهم وبين الفرنجة، وتفوق فيها المسلمون، وقتلوا من الصليبيين جماعة كبيرة عند ضفاف نهر العاصي (٣). وكان ممن ساهم بالدفاع عن المدينة جماعة من المسلمين يعرفون باسم **المطوعة**، ظلت تدافع عن أنطاكية رغم قلة عددهم حتى بعد اشتداد هجمات الصليبيين عليها – بعد عثورهم على الحربة المقدسة – وبعد أن تفرق شمل العسكر التركماني عن حاكم المدينة مما أدى في النهاية إلى استشهادهم جميعا (٤).

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٤٣.

(٢) الحركة الصليبية (١٥٠/١ – ١٥٣) الجهاد والتجديد ص ٩٨.

(٣) الجهاد والتجديد ص 89.

(٤ (دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى ص ٢٤٤.." (١)

---

(١) السلاجقة، ٢٢٦/٢

الحادي عشر : الخيل ودورها في الجيش السلجوقي ... ٢٦٣

الثاني عشر : الموارد المالية للجيش السلجوقي ... ٢٦٣

الثالث عشر : شعار السلاجقة وأعلامهم ... ٢٦٤." (١)

"أن يوجه إلى خراسان رجلا يقوم بأمرها فولى زياد الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه، وكتب له عهده على خراسان وولاه حربها، وخراجها وسار إليها بمن يريد الجهاد في سبيل الله، من **المتطوعة** من أهل البصرة، إضافة إلى الجند النظامي أصحاب الديوان، فوضع لهم الأرزاق، وأعطاهم وقواهم وسار لما أمر به (١). ومن مركزية القيادة العليا في إدارة معاوية العسكرية تسيير الجيوش والإمدادات العسكرية لها، فنرى القائد، علقمة بن يزيد الغطيفي كتب إليه قائلا: إنك خلفتني بالإسكندرية وليس معي إلا اثنا عشر ألفا ما يكاد بعضنا يرى بعض من القلة فكتب إليه الخليفة معاوية: إني قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة الآف من أهل المدينة، وأمرت معن بن يزيد السلمي أن يكون بالرملة في أربعة الآف مسكين بأعنة خيولهم متى يبلغهم عنك فزع يعبروا إليك (٢).

سابعا: الألوية والرايات:

حين انتقلت الخلافة إلى معاوية تعددت الألوية والرايات في إدارتهم العسكرية، كما تعددت ألوانها كاللون الأخضر والأحمر والأبيض بالرغم من اتخاذهم اللون الأبيض شعارا ورمزا لخلافتهم (٣)، فمنذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لا نرى جيشا يخرج ويسير نحو العدو إلا ويعقد لقائه لواء أو راية تكون لهم شعارا ورمزا يسيرون خلفها ويذودون عنها فنرى الواحد يصرع تلو الآخر وكل همه بقاءها منصوبة (٤)، وكان القادة من الشجاعة والإقدام ما جعلهم يكونون أكفاء لحمل هذه الراية مثل عقبة بن نافع والحكم بن عمرو الغفاري وفضالة بن عبيد الله، وقد جعل والي العراق من قبل الخليفة معاوية زياد بن أبيه خروج القبائل على الرايات، ويبدو أن الغاية من ذلك معرفة مدى جدية كل منها في القتال والتزامها بالأوامر (٥).

ثامنا: اهتمامه بالعيون والبريد:

كان اهتمام معاوية رضي الله عنه بأمر المخابرات وجمع المعلومات على الأعداء قديما منذ كان أميرا على بلاد الشام وتطور جهاز المخابرات لما تولى الخلافة، وزاد اهتمامه به، ففي عهده أسر رجل من المسلمين

---

(١) السلاجقة، ٤٤١/٢

بالقسطنطينية وأهين ببلاطهم فاستغاث وا معاوياه: لقد أغفلت أمورنا وأضعتنا فوصل الخبر إليه عن طريق جواسيسه المتواجدين بأرض الروم فقام بفدائه وبأسر من أهانه وجعل المسلم يقتص منه بمثل ما أهانه وأن لا يزيد وهذا دليل على مدى دقة نظام

---

(١) الفتوح لابن أعثم (٢/ ٣١٨).

(٢) فتوح مصر صـ١٩٢، الخطط للمقريزي (١/ ٢٦٨).

(٣) تاريخ الطبري نقلا عن الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٣٦٨).

(٤) تاريخ الطبري نقلا عن الإدارة العسكرية (١/ ٣٦٨).

(٥) تنظيمات الجيش للجنابي صـ٢٢٧، الإدارة العسكرية (١/ ٣٦٩).." [١]

"الزهاد ممن يعشق الجهاد، ويعرف باسم شريح بن هانيء، فقام شريح ودعا الجنود إلى الاستمرار في القتال لطلب الشهادة ومما جاء في دعوته: يا أهل الإسلام، من أراد منكم الشهادة فإلي: فاتبعه أناس من **المتطوعة** وفرسان الناس، وأهل الحفاظ فقاتلوا الترك حتى أصيبوا إلا قليلا، وعادوا من بلاد رتبيل فاستقبلهم الناس بالأطعمة، فكان أحدهم إذا أكل وشبع مات، وبذلك لم تحقق هذه الغزوة أهدافها العسكرية مما دفع الحجاج إلى استئذان الخليفة عبد الملك بإرسال جيش جديد (١)، يعيد للدولة هيبتها ومكانتها (٢)، فأعد الحجاج في عام ٨٠هـ جيشا قويا من أهل الكوفة بلغ عدد عسكره أربعين ألفا، عشرون ألفا من الكوفة ومثلهم من البصرة وتشجيعا للجنود ورفعا لروحهم المعنوية أعطاهم أعطياتهم مسبقة، وأنفق فيها الأموال، وأنجدهم بالخيل والسلاح، حتى سمي هذا الجيش ((جيش الطواويس)) فقد بلغت الأموال التي أنفقها على تجهيزه سوى الأعطيات مليوني درهم (٣)، واختار لهذا الجيش الكبير عبد الرحمن بن الأشعث الذي سار بهم حتى وصل سجستان (٤). وقد تحدثنا عن هذا الجيش وما قام به من حروب أهلية عند دراستنا لثورة عبد الرحمن بن الأشعث.

ثانيا: فتوحات قتيبة بن مسلم في بخارى وسمرقند وغيرها:

هو قتيبة بن مسلم الباهلي الأمير أبو حفص، أحد الأبطال والشجعان، ومن ذوي الحزم والدهاء والرأي والغناء، وهو الذي فتح خوارزم وبخارى وسمرقند وكانوا قد نقضوا وارتدوا. ثم أنه افتتح فرغانه، وبلاد الترك

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ٣٩٩/١

في سنة ٩٥هـ (٥)، ولي خراسان عشر سنين وله رواية عن عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري (٦)، ولم ينال قتيبة أعلى الرتب بالنسب، بل بكمال الحزم والعزم والإقدام، والسعد، وكثرة الفتوحات ووفور الهيبة (٧).

تولى قتيبة خراسان بعد المفضل بن المهلب وكان من الأبطال الشجعان ذوي الحزم والدهاء والرأي والغناء، ويعتبر بحق من أعظم القادة الفاتحين، الذين عرفهم التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ الدولة الأموية خاصة (٨)، ففي عشر سنين فتح أقاليم شاسعة: وقد هدى الله على يديه خلقا لا يحصيهم إلا الله، فأسلموا ودانوا لله عز وجل (٩)، وكانت بداية فتوحاته عندما وصل لخراسان، فقد جمع الناس وخطبهم قائلا: إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات، ويزيد بكم المال استفاضة والعدو ـ وقما ـ أي ذلا ـ

---

(١) المصدر نفسه (٧/ ٢٢٣).

(٢) المصدر نفسه (٧/ ٢٢٤) تجديد الدولة الأموية صـ١٦٩.

(٣) المصدر نفسه (٧/ ٢٢٤) تجديد الدولة الأموية صـ١٦٩.

(٤) تاريخ الطبري (٧/ ٢٢٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٠).

(٧) المصدر نفسه (٤/ ٤١١).

(٨) العالم الإسلامي في العصر الأموي صـ٣٤١.

(٩) البداية والنهاية نقلا عن العالم الإسلامي صـ٣٤١.." (١)

" الله عنه وشهرته تغني عن ذكره

المطوعي بضم الميم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو وفي آخرها عين مهملة هذه النسبة إلى **المطوعة** وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور وقصدوا جهاد العدو في بلادهم لا إذا قصد العدو بلاد الإسلام وهم جماعة منهم أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل بن يزداد المطوعي المروزي يروي عن أبي داود السنجي وأبي الموجه محمد بن عمرو وغيرهما روى عنه الدارقطني وأبو عمر بن حيويه الخزاز وابو علي الحافظ النيسابوري وغيرهم وتوفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وأحمد بن توبة الغازي المطوعي السلمي

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات ال ا نهيار، ٢/٤٠

المروزي الزاهد فتح اسبيجاب في اربعين رجلا وبها أولادهم يعرفون بأولاد الأربعين يشار إليهم روى عن ابن المبارك وابن عيينة وغيرهما ومات ببيكند روى عنه اسحاق بن منصور وعبد الله بن أحمد شبوية وغيرهما

المطهري بضم الميم وفتح الطاء وتشديد الهاء المفتوحة وفي آخرها راء هذه النسبة إلى قرية ورجل فأما القرية فهي مطهر من أعمال سارية مازندران والمشهور بالنسبة إليها ابو اسحاق إبراهيم بن محمد بن موسى ابن هارون بن الفضل بن هارون بن يزيد السروي المطهري الفقيه الشافعي تفقه ببلده على أبي محمد بن أبي يحيى وببغداد على أبي حامد الاسفراييني وصار مفتي بلده وإليه التدريس والقضاء وسمع أبا طاهر المخلص وأبا نصر الإسماعيل وغيرهما ومات في صفر سنة ثمان وخمسين وأربعمائة عن مائة سنة وأما الرجل فهو جد أبي الفضل محمد بن علي بن سعيد بن محمد ابن المطهري بن عبد العزيز بن محمد بن علي المطهر البخاري سمع أباه وأبا حفص عمر بن منصور بن خنب الحافظ وأبا بكر محمد بن علي بن حيدرة الجعفري وغيرهم ولأبي سعد السمعاني منه اجازة وتوفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

". (١)

"فلما كان الغد خرج الفارس وأعاد القول فقال الرشيد: من له ؟ فابتدر جلة القواد، وكان عند الرشيد مخلد بن الحسين وإبراهيم الفزاري، قالا: يا أمير المؤمنين إن قوادك مشهورون بالبأس والنجدة، ومن قتل منهم هذا العلج لم يكن فعلا كبيرا، وإن قتله العلج كانت وصمة على العسكر كبيرة، فإن رأى الأمير أن يأذن لنا حتى نختار له رجلا فعل. فاستصوب الرشيد ذلك، فأشاروا إلى رجل يعرف بابن الجزري، وكان من **المتطوعة**، معروف بالتجارب مشهور في الثغور بالنجدة، فقال له الرشيد: أتخرج إليه ؟ فقال: نعم، وأستعين بالله عليه. فأدناه الرشيد وودعه واتبه وخرج معه عشرون من **المتطوعة**. فقال لهم العلج وهو يعدهم واحدا واحدا: كان الشرط عشرين وقد ازددتم رجلا، ولكن لا بأس ! فنادوه: ليس يخرج إليك إلا واحد. فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله العلج وقال له: أتصدقني فيما أسألك ؟ قال: نعم. قال: بالله أنت ابن الجزري ؟ قال: نعم. فقال: ملأكفؤ ! ثم أخذا في شأنهما حتى طال الأمر بينهما، وكاد الفرسان ينفقان تحتهما، وزجا برمحيهما وانتضيا بسيفيهما، وقد اشتد الحر، فلما أيس كل واحد منهما عن الظفر بصاحبه ولى ابن الجزري، فدخل المسلمين كآبة وغطغط الكفار، فاتبعه العلج فتمكن ابن الجزري منه، فرماه بوهق واستلبه عن ظهر فرسه ثم عطف عليه، فما وصل إلى الأرض حتى فارقه رأسه، فكبر المسلمون تكبيرا

---

(١) اللباب في تهذيب الأنساب، ٣/٢٢٦

وانخذل المشركون وبادروا إلى الحصن، وأغلقوا الأبواب، فصبت الأموال على ابن الجزري فلم يقبل منها شيئا، وسأل أن يعفى ويترك بمكانه. وأقام الرشيد عليها حتى استخلصها وسبى أهلها وخربها، وبعث فيسقوس الجزية عن رأسه أربعة دنانير، وعن كل واحد من البطارقة دينارين.

هزاراسب

مدينة كبيرة وقلعة حصينة بأرض خوارزم. الماء محيط بها وهي كالجزيرة ليس إليها إلا طريق واحد.

تنسب إليها رحمة بنت إبراهيم الهزاراسبية المشهورة بأنها ما تناولت ثلاثين سنة طعاما. وحكى أبو العباس عيسى المروزي أنها إذا شمت رائحة الطعام تأذت، وذكرت أن بطنها لاصق بظهرها، فأخذت كيسا فيه حب القطن، وشدته على بطنها لئلا يقصف ظهرها. وبقيت إلى سنة ثمان وستين ومائتين.

وادي الحجارة

ناحية بقرب طليطلة؛ قال العذري: لا يدخلها أحد من غير أهلها بصبي ابنا له ويعيش فيها، هذا قول العذري. وجاز أن يكون مراده أن الصبي لا يعيش وجاز أن يكون مراده أن الأب لا يعيش، والله أعلم بصحة ذلك.

وشلة

قرية بآذربيجان من قرى خوي. بها عين من شرب من مائها يسهل في الحال جميع ما في بطنه، حتى لو تناول شيئا من الحبوب وشرب من ذلك الماء عليه يخرج في الحال.

والوطة

مدينة بجزيرة ميورقة، كبيرة حصينة طيبة الأرض، رخيصة الأسعار. بها مياه غزيرة وأشجار كثيرة؛ قال العذري: بها أرحية عجيبة وذاك أن المياه إذا قلت لا تدير الرحا، فعمدوا إلى عود غلظ دورته نحو عشرة أشبار، وطوله سبعة أذرع، وشقوه بنصفين ويحفرون وسط الشقين إلا نصف ذراع من آخره، ويضمون أحدهما إلى الآخر، ويفتحون في آخره كوة مقدار حافر حمار ثم ينصبونه على الساقية، ويقومونه على الدولاب، فيخرج الماء من الثقبة التي في العود بالقوة، ويضرب أمشاط الدولاب ويدور الرحا.

وبقرب والوطة فتق كأنه بئر ينزل الناس فيه بالمصابيح إلى أسفله، فيجدون فيه ساقية ماء وبعدها ظلمة تأخذ بالنفس ولا يبقى فيها المصباح، وإذا ألي في تلك الساقية شيء يخرج إلى البحر ويوجد فيه.

ياسي جمن

موضع بين خلاط وارزن الروم. به عين يفور منها الماء فورانا شديدا، يسمع صوته من بعيد، وإذا دنا منه

شيء من الحيوان يموت في الحال، فيرى حولها من الطيور والوحوش الموتى ما شاء الله. وقد وكلوا بها من يمنع الغريب من الدنو منها.

يونان

موضع كان بأرض الروم. به مدن وقرى كثيرة، وإنها منشأ الحكماء اليونانيين، والآن استولى عليها الماء. من عجائبها أن من حفظ شيئا في تلك الأرض لا ينساه أو يبقى معه زمانا طويلا. وحكى التجار أنهم إذا ركبوا البحر ووصلوا إلى ذلك الموضع يذكرون ما غاب عنهم. ولهذا نشأ بهذه الأرض الحكماء الفضلاء الذين لم يوجد أمثالهم في أرض أخرى إلا نادرا.." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٥٥ """""""

وتتابع الجمع ، والتف بهم من أهل الجهاد من **المطوعة** ، واتصل منهم السير إلى قرية دلر من قرى غرناطة ، وكان من استمرار الهزيمة على ابن همشك الذي أمده بنفسه وجيشه ، من نصارى وغيرهم ، ما يأتي ذكره عند اسم ابن مردنيش في الموحدين ، في حرف الميم بحول الله تعالى .

إنخلاعه للموحدين عما بيده وجوازه للعدوة ، ووفاته بها قالوا ، ولما فسد ما بينه وبين ابن مردنيش بسبب بنته التي كانت تحت الأمير أبي محمد بن مردنيش إلى أن طلقها ، وانصرفت إلى أبيها ، وأسلمت إليه ابنها منه ، مختارة كنف أبيها إبراهيم ، نازعة في انصرامه إلى عروقها ، فلقد حكي أنها سئلت عن ولدها ، وإمكان صبرها عنه ، فقالت : جرو كلب ، جرو سوء ، من كلب سوء لا حاجة لي به ، فأرسلت كلمتها في نساء الأندلس مثلا ، فاشتدت بينهما الوحشة والفتنة ، وعظمت المحنة ، وهلك بينهما من الرعايا الممرورين ، المضطرين ، بقنينه الثوار ممن شاء الله بهلاكه ، إلى أن كان أقوى الأسباب في تدمير ملكه .

ولما صرف ابن سعد عزمه إلى بلاده ، وتغلب على كثير منها ، خدم ابن همشك الموحدين ولاذ بهم وساتجارهم ، فأجاز البحر ، فقدم على الخليفة عام خمسة وستين وخمسمائة ، وأقره بمواضعه ، إلى أوائل عام أحد وسبعين ، فطولب بالانصراف إلى العدوة بأهله وولده ، وأسكن مكناسة وأقطع بها سآما لها خطر واتصلت تحت عنايته إلى أن هلك . وفاته : قالوا ، واستمر مقام ابن همشك بمكناسة غير كبير ، وابتلاه الله بفالج غريب الأغراض ، شديد سوء المزاج ، إلى أن هلك ، فكان يدخل الحمام الحار ، فيشكو حره بأعلى صراخه ، فيخرج فيشكو البرد كذلك ، إلى أن مضى سبيله .

إبراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، ص/٢٣٤

إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق

يكنى أبا سالم .." (١)

"على الصليبيين أنهم استطاعوا الإستيلاء على ثمانين سفينة من سفن الصليبيين بعد أن قاموا بسحب بضعة سفن من سفن المسلمين إلى اليابسة ثم أنزلوها ثانية إلى الماء على بعد فرسخ من شمال معسكرهم، فاستحالت عودة الفرنج الذين ذهبوا إلى دمياط لجلب المؤنة وتم قتل جميع بحارة الثمانين سفينة كما استولوا على اثنين وثلاثين مركبا مما أضعفهم وطلبوا الصلح(١).

١- بشائر النصر تعلن للمسلمين: كتب تورانشاه في أعقاب المعركة إلى الأمير جمال الدين بن يغمور نائب دمشق كتاب بخطه نصه: من ولده تورانشاه الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (وما النصر إلا من عند الله" (الأنفال، آية: ١٠) "يؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله" (سورة الروم، آية:٤) "وأما بنعمة ربك فحدث" (الضحى، آية:١١) "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها" (النحل، آية: ١٨) نبشر المجلس السامي الجمالي، بل نبشر المسلمين كافة، بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدون الدين، فإنه استفحل أمره واستحكم شره، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد، فنودوا لا تيأسوا من روح الله، ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة، تمم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح وجمعنا العربان **والمطوعة** وخلقا لا يعلمهم إلا الله، فجاءوا من كل فج عميق ومكان سحيق، فلما كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم، وقصدوا دمياط هاربين، وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل، فيوحل بهم الخزي والويل، فلما أصبحنا يوم الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا، غير من ألقيى نفسه من اللجج، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجأ الفرنسيين إلى المنية، وطلب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته وجلاله وعظمته وذكر كلاما طويلا وبعث المعظم مع الكتاب غفارة (٢)

---

(١) الجواري والغلمان في مصر ص ٤٠٥، ٤٠٦.

(٢) الغفارة : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.." (٢)

" فامتلأت المساجد والرحاب **بالمطوعة** وتواصوا بهم خيرا هذا مساق صاحب الروض المعطار

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ـ موافقا للمطبوع، ١٥٥/١

(٢) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ٤٩٦/١

وقال ابن الأثير لما رجع المعتمد ابن عباد إلى إشبيلية وترك قرطبة بدون مدافع وسمع مشايخها بما جرى من قتل ابن عباد لليهودي ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الأندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها إلا القليل وإن استمرت الأحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت وساروا إلى القاضي أبي بكر عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة وإعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ما هو قالوا نكتب إلى عرب إفريقية ونشترط لهم إذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله وقال أخاف إذا وصلوا إلينا أن يخربوا بلادنا كما فعلوا بإفريقية ويتركوا الفرنج ويبدؤوا بنا والمرابطون أصلح منهم واقرب إلينا قالوا له فكاتب يوسف بن تاشفين وراغب إليه في العبور إلينا أو يرسل بعض قواده

وبينما هم يتفاوضون إذ قدم عليهم ابن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد أنت رسولي إليه في ذلك فامتنع القاضي وإنما أراد أن يبرىء نفسه من تهمة تلحقه فألح عليه المعتمد فعبر القاضي البحر إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش وكان أمير المسلمين يومئذ بمدينة سبتة ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس وأرسل إلى مراكش في طلب من بقي من عساكره فأقبلت إليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد ابن عباد بإشبيلية

وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كبير وقصده **المطوعة** من سائر بلاد الأندلس ووصلت الأخبار إلى الأذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب إلى أمير

". (١)

"كثيرة فهم تميم بالفرار فلم يجد له سبيلا ثم صمم قواد لمتونة على مناجزة العدو وصمدوا إليه فكانت بينهم حرب عظيمة بعد العهد بمثلها فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين وقتل ولد الفنش وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا ونيف ودخل المسلمون أفليج بالسيف عنوة واستشهد في هذه الوقعة جماعة من

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢/٤٠

المسلمين رحمهم الله واتصل الخبر بالفنش فاغتم لقتل ولده وأخذ بلده وهلاك جنده فمرض ومات أسفا لعشرين يوما من الوقعة وكتب تميم بن يوسف إلى أمير المسلمين بالفتح

واعلم أنه يقال في ملوك الجلالقة الذين نسميهم اليوم الإصبنيول الأذفونش ويقال الفنش فقال ابن خلكان الأذفونش بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو بعدها نون ثم شين معجمة هو اسم لأكبر ملوك الإفرنج وهو صاحب طليطلة وقال ابن خلدون بنو أذفونش هم ولد أذفونش بن بطرة أول ملوك الجلالقة اه وأما قولهم الفنش فهو اسم علم لبعض ملوكهم وليس لقبا لجميعهم

وكان محمد بن الحاج رحمه الله مدة مقامه ببلنسية قد ضيق على النصارى تضييقا فاحشا بالغارات والنهب فخرج في غزاة له ذات مرة فأخذ على طريق البرية فغنم وسبى وكان معه جماعة من قواد لمتونة فبعث بالمغنم على الطريق الكبير وأخذ هو على برية تقرب من بلاد المسلمين وكان أكثر الناس مع المغنم وكان طريق البرية الذي أخذ عليه محمد بن الحاج لا يسلك إلا على سرب واحد لصعوبته وشدة وعورته فلما توسطه محمد بن الحاج وأخذته الأوعار والمضايق من بين يديه ومن خلفه وجد النصارى قد كمنوا له في جهة من تلك الجهات فقاتلهم قتال من أيقن بالموت واغتنم الشهادة إذ لم يجد منفذا يخلص منه فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من **المتطوعة** وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة في نفر يسير بحيلة أعملها

". (١)

" فجاز معه خلق كثير من المرابطين **والمتطوعة** من العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر فوصل بجيوشه إلى قرطبة ونزل خارجها وأتته وفود الأندلس للسلام عليه فسألهم عن أحوال بلادهم وثغورهم بلدا بلدا فعرفوه بما كان

وعزل القاضي أبا الوليد بن رشد عن قضاء قرطبة وولى مكانه أبا القاسم بن حمدين ويقال إنما عزل ابن رشد لأنه استعفاه وكان قد اشتغل بتأليف البيان والتحصيل

ثم سار أمير المسلمين حتى نزل على مدينة شنترية ففتحها عنوة وسار في بلاد الفرنج يقتل ويسبي ويقطع الثمار ويخرب القرى والديار حتى دوخ بلاد غرب الأندلس وفر أمامه الفرنج وتحصنوا بالمعاقل المنيعة

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٦٤/٢

وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة عاد أمير المسلمين إلى بلاد العدوة بعد أن ولى أخاه تميم بن يوسف على جميع بلاد الأندلس فلم يزل عليها إلى أن توفي سنة عشرين وخمسمائة ولاية الأمير تاشفين بن علي بن يوسف على بلاد الأندلس وأخباره في الجهاد

لما توفي الأمير تميم بن يوسف في التاريخ المتقدم ولى أمير المسلمين على بلاد الأندلس ابنه تاشفين بن علي بن يوسف ما عدا الجزائر الشرقية فإنه قد عقد عليها لمحمد بن علي المسوفي المعروف بابن غانية فعبر الأمير تاشفين البحر إلى الأندلس في خمسة آلاف من الجند وبعث إلى أجناد البلاد فأتوه فخرج بهم غازيا طليطلة ففتح بعض حصونها بالسيف وانتسف ما حولها

وفي السنة المذكورة أعني سنة عشرين وخمسمائة هزم الأمير تاشفين

---

(١) ".

" قبائل العرب والبربر وزناتة أزيد من ثلاثمائة ألف فارس ومن جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل فضاقت بهم الأرض وانتشرت المحلات والعساكر في أرض سلا من عين غبولة إلى عين خميس إلى حلق المعمورة

فلما استوفيت لديه الحشود وتكاملت لديه الجنود والوفود كان المعنى الذي أشار الله القائل

(إذ تم أمر بدا نقصه ** ترقب زوالا إذا قيل تم)

فابتدأ بعبد المؤمن مرضه الذي توفي منه وتمادى به ألمه فخاف أن يفجأه الحمام فأمر بعزل ولده محمد عن ولاية العهد وإسقاط اسمه من الخطبة لما ظهر له من العجز عن القيام بأمر الخلافة

وكان ذلك يوم الجمعة الثاني من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكتب بذلك إلى جميع طاعته وتمادى به مرضه واشتد ألمه فتوفي ليلة الجمعة الثامن من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وقيل غير ذلك وحمل إلى تينملل فدفن بها إلى جنب قبر الإمام المهدي رحمه الله فسبحان من لا يبيد ملكه ولا ينقضي عزه

ونقل ابن خلكان في كيفية عزل ولي العهد وجها آخر قال ناقلا من خط العماد بن جبريل أن عبد المؤمن كان في حياته عهد إلى أكبر أولاده وهو محمد وبايعه الناس بعد تحليف الجند له وكتب ببيعته إلى البلاد فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الأمر لأنه كان على أمور لا يصلح معها للمملكة من إدمان شرب

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٦٨/٢

الخمر واختلاف الرأي وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال إنه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام واضطرب أمره

". (١)

"

وفي سنة خمس وستين بعدها وجه يوسف بن عبد المؤمن أخاه السيد أبا حفص إلى الأندلس برسم الجهاد فعبر البحر من قصر المجاز إلى طريف في عشرين ألفا من الموحدين **والمتطوعة** فدخلوا بلاد العدو وبعث السيد أبو حفص أخاه السيد أبا سعيد إلى بطليوس فعقد الصلح مع الطاغية ابن أذفونش وهو يومئذ أعظم ملوك فرنج الجزيرة وانصرف ونهضوا جميعا إلى مرسية ومعهم إبراهيم بن همشك كان من قواد ابن مردنيش فنزع عنه إلى الموحدين فحاصروا ابن مردنيش الثائر بمرسية وأعمالها واستولوا على أكثر بلاده واتصل الخبر بالخليفة بمراكش وقد خف إلى الجهاد

وفي سنة ست وستين أمر أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ببناء قنظرة تانسيفت وكان الشروع في بنائها يوم الأحد ثالث صفر من السنة المذكورة الجواز الأول لأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن إلى الأندلس بقصد الجهاد

لما اتصل بأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ما اتفق لشقيقه السيد أبي حفص من الاستيلاء على غالب بلاد ابن مردنيش وظهور المسلمين على عدوهم بها وكان بعض ملوك الفرنج بها لم يزالوا يشغبون على المسلمين بالغارات على أطراف بلادهم تاقت نفسه إلى العبور إلى بلاد الأندلس بقصد إصلاح حالها وجهاد العدو بها وقد توافدت لديه وهو بمراكش جموع العرب من إفريقية صحبة السيد أبي زكريا صاحب بجاية والسيد أبي عمران صاحب تلمسان

وكان يوم قدومهم عليه يوما مشهودا فاعترضهم وسائر عساكرهم

". (٢)

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢/١٤٤

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢/١٤٩

" وهم صاغرون) ثم كتب الجواب ما ترى لا ما تسمع فهو أول من تكلم به فأرسله مثلا وأنشد متمثلا

(ولا كتب إلا المشرفية والقنى ** ولا رسل إلا الخميس العرمرم)

ثم أمر بالإستنفار واستدعاء الجيوش من الأمصار وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبتة يريد الأندلس

وقال ابن أبي زرع خرج أمير المؤمنين يعقوب المنصور من حضرة مراكش يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة يولي السير ويطوي المناهل و لا يلوي على فارس ولا راجل والجيوش تتابع في أثره من سائر الأقطار فلما انتهى إلى قصر المجاز أخذ في إجازة الجيوش الواردة عليه لا يفرغ من طائفة إلا وقد لحقت بها أخرى فأجاز أولا قبائل العرب ثم زناتة ثم المصامدة ثم غمارة ثم **المتطوعة** من قبائل المغرب ثم الأغزاز والرماة ثم الموحدون ثم العبيد ثم أجاز أمير المؤمنين في أثرهم في موكب عظيم من أشياخ الموحدين وأهل النجدة والزعامة ومعه فقهاء المغرب وصلحاؤه واستقر بالجزيرة الخضراء بعد صلاة الجمعة الموفي عشرين من رجب من السنة المذكورة فأقام بها يوما واحدا

ثم نهض إلى العدو قبل أن تخمد قرائح المجاهدين وتضعيف نياتهم فسار حتى بقي بينه وبين حصن الأرك الذي كان العدو نازلا بإزائه نحو مرحلتين فنزل هنالك وذلك يوم الخميس ثالث شعبان من السنة فجمع الناس ذلك اليوم وفاوضهم ووعظهم ثم اختص أهل الأندلس بمزيد المشورة وقال لهم إن جميع من استشرته وإن كانوا أولي بأس ومعرفة بالحرب لكنهم لا يعرفون من قتال الفرنج ما تعرفونه أنتم لتمرسكم بهم وتمرسهم بكم فأحالوه في الرأي على القائد أبي عبد الله بن صناديد فعول المنصور رحمه الله في ذلك على رأيه

". (١)

"

وقال ابن الخطيب في رقم الحلل إن أمير المؤمنين المنصور رحمه الله عرض جيشه وأخذ في تقريب القرب الى الله تعالى بين يدي جهاده فسرح السجون وأدر الأرزاق وعين الصدقات ورحل فنزل الأرك وقد خيمت بأحوازه محلات العدو يضيق عنها المتسع وقام المنصور بعد أن اجتمع الناس فتحلل من المسلمين

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٧/٢

وقال أيها الناس اغفروا لي فيما عسى أن يكون صدر مني فبكي الناس وقالوا منكم يطلب الرضى والغفران وخطب الخطباء بين يديه محرضين ومذكرين فنشط الناس وطابت النفوس ومن الغد صدع المنصور بالنداء وأمر بأخذ السلاح والبروز إلى اللقاء فكانت التعبئة تحت الغلس

وحكى ابن أبي زرع أن المنصور بات تلك الليلة عاكفا بمصلاه على الركوع والسجود وإنه أغفى إغفاءه فرأى ملكا نزل من السماء في صورة بشر وبيده راية خضراء وبشره بالفتح وأنشده في ذلك أبياتا بقيت على ذكر المنصور إلى أن استيقظ وقص رؤياه على وجوه الجند فازداد الناس طمأنينة وبصيرة

فلما كان يوم السبت خامس شعبان جلس المنصور في قبته الحمراء المعدة للجهاد ثم دعا بكبير وزرائه الشيخ أبي يحيى بن أبي حفص وقدمه على ذلك الجيش وعقد له رايته وقدمه بين يديه فرفرفت على رأسه الرايات وقرعت بين يديه الطبول وسار في قبيل هنتاتة وبين يديه القائد ابن صناديد في جيش الأندلس ثم عقد المنصور لجرمون بن رياح على قبائل العرب ولمنديل بن عبد الرحمن المغراوي على قبائل مغراوة ولمحيو بن أبي بكر بن حمامة المريني جد الملوك المرينيين على قبائل بني مرين ولجابر بن يوسف العبد الوادي على قبائل بني عبد الواد ولعباس بن عطية التوجيني على قبائل بني توجين ولتلجين بن علي على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ولمحمد بن منغفاد على قبائل غمارة وعقد للفقيه الصالح أبي خزر يخلف بن خزر الأوربي على **المتطوعة**

". (١)

"

وقال ابن خلدون إن الذي كان على **المتطوعة** يومئذ هو الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص والكل إلى نظر الشيخ أبي يحيى بن أبي حفص وبقي المنصور رحمه الله في جيش الموحدين والعبيد وأمر الشيخ أبا يحيى بالرحيل والتقدم أمامه إلى جهة العدو

وكان المنصور قد ضفر مع ابن صناديد من الرأي أن يبقى هو متأخرا في الموحدين والعبيد والجشم على مسافة يخفى بها عن أعين العدو ويقدم الشيخ أبا يحيى ببعض الرايات والطبول في هيئة السلطان فيلقى العدو فإن كانت للمسلمين فهو المطلوب وإن كانت عليهم كان المنصور ردأ لهم ثم يستأنف القتال مع العدو وقد انفل حده ولانت شوكته

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٨/٢

فسار الشيخ أبو يحيى على هذا الترتيب وابن صناديد أمامه في فرسان الأندلس وحماتها فكان الشيخ أبو يحيي إذا أقلع بجيشه عن موضع صباحا خلفه المنصور فيه بجيشه مساء حتى أشرف الشيخ أبو يحيي على جموع الفرنج وهي يومئذ إلى جنب حصن الأرك ويقال الأركو بزيادة الواو في آخرة قد ضربت أخبيتها على ربوة عالية ذات مهاو وأحجار كبار قد ملأت السهل والوعر ونزل الشيخ أبو يحيى بجيشه في البسيط ضحوة يوم الأربعاء التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وعند ابن خلكان أن ذلك كان يوم الخميس قال واقتفى المنصور في ذلك طريقة أبيه وجده فإنهم أكثر ما كانوا يصافون يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر فعبأ الشيخ أبو يحيى عساكره تعبئة الحرب وعقد الرايات لأمراء القبائل وأوقف كل قبيلة في مركزها الذي عين لها فجعل عسكر الأندلس في الميمنة وجعل زناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في المسيرة وجعل المتطوعة والأغزاز والرماة في المقدمة وبقي هو في القلب في قبيلة هنتاتة

ولما أخذ الناس مراكزهم من حومة القتال خرج جرمون بن رياح يمشي في صفوف المسلمين ويحضهم على الثبات والصبر وبينما الناس

". (١)

" على ذلك إذ انفصلت من جيوش العدو كتيبة عظيمة من نحو عشرة آلاف فارس كلهم مدجج في الحديد وكانت هذه الكتيبة هي شوكة ذلك الجيش وحده كان الفنش لعنه الله قد انتخبهم وصلت أقسته عليهم صلاة النصر ورشوهم بماء المعمودية وتحالفوا عند الصلبان أن لا يبرحوا حتى يقتلوا المسلمين أو يهلكوا دونهم فلما برزت هذه الكتيبة نادى منادي الشيخ أبي يحيى معشر المسلمين اثبتوا في مصافكم وأخلصوا لله تعالى ينتكم وأذكروا الله عز وجل في قلوبكم وبرز عامر الزعيم من أمراء العرب فحض الناس على الصبر وثبتهم وحملت كتيبة العدو حتى اندقت رماح المسلمين في صدور خيلها أو كادت ثم تقهقرت قليلا ثم عاودت الحملة فكانت كالأولى ثم تهيأت للحملة الثالثة فدفعت حتى خالطت صفوف المسلمين وخلص البعض منها إلى الشيخ أبي يحيى يطنونه المنصور فاستشهد رحمه الله بعد ما أحسن البلاء وقاتل قتالا شديدا واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاتة والمتطوعة وغيرهم وسمي بنو الشيخ أبي يحيى ببني الشهيد وعرفوا به من يومئذ وأظلم الجو بالغبار واختلطت الرجال بالرجال وانفرد كل قرن بقرنه وأقبلت العرب والمتطوعة فأحاطوا بالكتيبة التي دفعت إلى الشيخ أبي يحيى وزحفت زناتة والمصامدة وغمارة إلى

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٩/٢

الربوة التي فيها الفنش وجموعه وكانت على ما قيل تنيف على ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل فتوغل المسلمون في تلك الأوعار إليهم وخالطوهم بها واشتد القتال واستحر القتل في الكتيبة التي دفعت أولا وانقضت عليهم العرب **والمتطوعة** وهنتاتة فطحنوهم طحنا وانكسرت شوكة الفنش بهلاكهم إذ كان اعتماده ومعوله عليهم

وأسرعت خيل من العرب إلى أمير المؤمنين المنصور فأعلموه بأن الله تعالى قد فل شوكة العدو وأشرف على الإنهزام فعندها أمر المنصور بالرايات فرفعت وبالطبول فقرعت ورفع المسلمون أصواتهم بالتكبير وتسابقوا لقتال العدو وخفقت البنود وزحف أمير المؤمنين نحو المعركة

". (١)

" بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والحمار بدرهم وقسم المنصور الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع كذا في نفح الطيب

وفي كامل ابن الأثير أن يعقوب المنصور رحمه الله نادى في عسكره من غنم شيئا فهو له سوى السلاح وأحصى ما حمل إليه منه فكان زيادة على سبعين ألف لبس واستشهد من المسلمين نحو عشرين ألفا

ثم تقدم المنصور بجيوشه إلى بلاد الفرنج وأخذ يخرب المدن والقرى ويفتح الحصون والمعاقل ويقتل ويسبي ويأسر حتى وصل إلى جبل سليمان ثم ثنى عنانة راجعا وقد أمتلأت أيدي المسلمين من الغنائم ولم يعارضه من الفرنج معارض حتى وصل الى إشبيلية فاستقر بها

وأما الفنش فإنه لما انهزم وصل إلى طليطلة في أسوأ حال فحلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وركب حمارا وأقسم أن لا يركب فرسا ولا بغلا ولا ينام على فراش ولا يقرب النساء حتى تنصر النصرانية فجمع جموعا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى المنصور فبعث الى بلاد المغرب مراكش وغيرها يستنفر الناس من غير إكراه فأتاه من **المتطوعة** والمرتزقة جمع عظيم ثم نهض إلى الفنش فالتقوا في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الأموال والسلاح والدواب وغيرها

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٩٠/٢

ثم تقدم المنصور إلى مدينة طليطلة فحاصرها وقاتلها قتالا شديدا وقطع أشجارها وشن الغارات على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدة حصون مثل قلعة رباح ووادي الحجارة ومجريط وجبل سليمان وأفليج وكثير من أحواز طليطلة

ثم ارتحل عن طليطلة إلى مدينة طلمنكة فدخلها عنوة بالسيف فقتل المقاتلة وسبا النساء والذرية وغنم أموالها وهدم أسوارها وأضرم النيران في جوانبها وتركها قاعا صفصفا

وثنى عنانه إلى إشبيلية فدخلها غرة صفر سنة ثلاث وتسعين

." (١)

" غزوة العقاب التي محص الله فيها المسلمين

ثم اتصلت الأخبار بالناصر وهو بمراكش أن الفنش لعنه الله قد استطال على ثغور المسلمين بالأندلس وأنه يغير على قراها وينهب الأموال ويسبي النساء والذرية فأهمه ذلك وأقلقه وكتب إلى الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص صاحب إفريقية يستشيره في الغزو فأبى عليه فخالفه وأخذ في الحركة للجهاد

وكان الناصر معجبا برأيه مستبدا بأموره ففرق الأموال على القواد والأجناد وكتب إلى جميع بلاد إفريقية والمغرب وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكفار فأجابه خلق كثير وألزم كل قبيلة من قبائل العرب بحصة من الخيل والرجل تخرج للجهاد فتقدمت عليه الجيوش من سائر الأقطار وتسارع الناس إليه خفافا وثقالا من البوادي والأمصار

فلما تكاملت لديه الحشود وتوافت بحضرته الجنود خرج من مراكش في تاسع عشر شعبان سنة سبع وستمائة فانتهى إلى قصر المجاز فأقام به وشرع في إجازة الجيوش من أوائل شوال إلى أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة فتلقاه هنالك قواد الأندلس وفقهاؤها ورؤساؤها وأقام بطريف ثلاثا ثم نهض إلى إشبيلية في أمم لا تحصى وجيوش لا تستقصى قد ملأت السهل والوعر

حكى بعض الثقات من مؤرخي المغرب أنه اجتمع مع الناصر في هذه الغزوة من أهل المغرب والأندلس ستمائة ألف مقاتل وكان الناصر رحمه الله قد أعجبه ما رأى من كثرة جنوده وأيقن بالظفر فقسم الناس على خمس فرق فجعل العرب فرقة وزناتة وصنهاجة و المصامدة و غمارة وسائر أصناف قبائل المغرب

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٩٢/٢

فرقة وجعل **المتطوعة** فرقة وجعل جند الأندلس فرقة والموحدين فرقة وأمر كل فرقة أن تنزل ناحية واهتزت جميع بلاد

". (١)

" جامع ما قال أمر بقتله هو وصهره قطعا بالرماح رحمهما الله

فحقدت جيوش الأندلس على ابن جامع وفسدت نياتهم على الناصر وأحس ابن جامع بذلك فأمر بإحضار قوادهم فحضروا بين يديه فقال اعتزلوا جيش الموحدين فلا حاجة لنا بكم كما قال الله تعالى ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ﴾ وسننظر بعد هذا في أمر كل فاجر

ولما علم الناصر بحال الفنش وما هو عليه من القوة وكثرة الجموع واستيلائه على قلعة رياح التي هي أمنع ثغور المسلمين شق ذلك عليه وامتنع من الطعام والشراب حتى مرض من شدة الوجد ثم شدد في قتال سلبطرة وبذل الأموال الجليلة حتى فتحها صلحا وذلك في أواخر ذي الحجة من سنة ثمان وستمائة ثم زحف الفنش إلى الناصر ونهض الناصر إليه فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحصن العقبان فضرب المصاف وضرب للناصر قبته الحمراء المعدة للقتال على رأس ربوة وقعد أمامها على درقته وفرسه قائم بإزائه ودارت العبيد بالقبة من كل ناحية ومعهم السلاح التام ووقفت الساقات والبنود والطبول أمام العبيد مع الوزير ابن جامع وأقبلت جموع الفرنج على مصافها كأنها الجراد المنشر فتقدمت إليهم **المتطوعة** وحملوا عليهم أجمعون وكانوا مائة وستين ألفا فغابوا في صفوفهم وانطبقت عليهم الفرنج فاقتتلوا قتالا شديدا فاستشهد **المتطوعة** عن آخرهم هذا وعساكر الموحدين والعرب والأندلس ينظرون إليهم لم يحرك إليهم منهم أحد

ولما فرغ الفرنج من **المتطوعة** حملوا بأجمعهم على عساكر الموحدين والعرب حملة منكرة فلما انتشب القتال بين الفريقين فرقت قواد الأندلس وجيوشها لما كانوا قد حقدوه على ابن جامع في قتل ابن قادس أولا وتهديدهم وطرده لهم ثانيا فجروا الهزيمة على المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله وتبعهم قبائل البربر والموحدون العرب وركبتهم الفرنج بالسيف وكشفوهم عن الناصر حتى انتهوا إلى الدائرة التي دارت عليه من العبيد

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢/٢٢٠

". (١)

" دخلها أوائل شعبان من السنة المذكورة لاستشراف أحوال يغمراسن بن زيان فوصل إليه الخبر في اليوم الرابع من شوال المذكور فنهض السلطان يعقوب من فوره بعد أن صلى العصر بتازا من ذلك اليوم فأسرى ليلته تلك في نحو الخمسين فارسا ومن الغد صلى العصر بظاهر سلا فكان قطعه مسافة ما بينهما في يوم وليلة وهذا أمر خارق للعادة بلا شك أظهره الله على يد هذا السلطان لصدق عزمه وحسن نيته وإلا فالمسافة ما بين تازا وسلاست مراحل أو أكثر ثم تلاحقت به جيوش المسلمين من القبائل **المتطوعة** من جميع آفاق المغرب فحاصر النصارى بها وضيق عليهم ووالى القتال عليهم بالليل والنهار حتى اقتحمها عليهم عنوة لأربع عشرة ليلة من حصارها وأثخن فيهم بالقتل ونجا من نجا منهم إلى سفنهم فنشروا قلوعهم وذهبوا يلتفتون وراءهم ثم شرع السلطان يعقوب رحمه الله في بناء السور الغربي من سلا الذي يقابل الوادي منها فإنها كان لا سور لها من تلك الجهة من أيام عبد المؤمن بن علي فإنه كان قد هدم أسوار قواعد المغرب مثل فاس وسبتة وسلا حسبما قدمنا الخبر عنه في دولته ومن هذه التلمة كان دخول النصارى الى سلا فشرع السلطان يعقوب رحمه الله في بنائه فبناه من أول دار الصناعة قبلة إلى البحر جوفا وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ويناول الحجر بيده ابتغاء ثواب الله وتواضعا وسعيا في صلاح المسلمين حتى تم السور المذكور على أحصن وجه وأكمله

ودار الصناعة المذكورة في هذا الخبر هي الدار التي كانت تصنع بها الأساطيل البحرية والمراكب الجهادية يجلب إليها العود من غابة المعمورة فتصنع هنالك ثم ترسل في الوادي وكان ذلك من الأمر المهم في دولة الموحدين حسبما سلف قال في الجذوة دار الصناعة بسلا بناها المعلم أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل إشبيلية وكان من العارفين بالحيل الهندسية ومن أهل المهارة في نقل الأجرام ورفع الأثقال بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية اه

وأما يعقوب بن عبد الله الثائر فإنه خشي بادرة السلطان يعقوب بن

". (٢)

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢/٢٢٣

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/٢٢

" عبد الحق فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض إلى بلاد تأمسنا فاستولى عليها وملك مدينة آنفى وهي المسماة الآن بالدار البيضاء فضبطها ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلي بن زيان لمنازلته وسار هو إلى لقاء يغمراسن فلقيه وعقد معه المهادنة وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب ورجع السلطان إلى المغرب فخرج عليه بنو أخيه إدريس على ما نذكره خروج بني إدريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

قد تقدم لنا أن الأمير عبد الحق المريني كان له تسعة من الولد أكبرهم إدريس وقتل مع والده في حرب رياح وكان لإدريس هذا عدة أولاد بقوا في كفالة أعمامهم ولما أفضى الأمر إلى السلطان يعقوب وكان أولاد إدريس قد ملكوا أمر أنفسهم واشتدت شكيمتهم فنفسوا عليه ما أتاه الله من الملك ورأوا أنهم أحق به منه لأن أباهم هو الأكبر من ولد عبد الحق كما مر فخرجوا على عمهم يعقوب ولحقوا بقصر كتامة وتابعوا ابن عمهم يعقوب بن عبد الله على رأية واجتمعوا الى كبيرهم محمد بن ادريس بن عبد الحق وانضم اليه من كان على رأيهم من عشيرتهم ومواليهم واعتصموا بجبال غمارة فنهض إليهم السلطان يعقوب وتلطف بهم حتى استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن إدريس منهم سنة ستين وستمائة على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من **المتطوعة** من بني مرين وأغزاهم الأندلس لجهاد العدو بها وحملهم وفرض لهم في العطاء وشفع بهذه الفعلة الحسنة عمله في واقعة سلا وهو أول جيش عبر البحر إلى الأندلس من بني مرين فكان لهم في الجهاد والمرابطة مواقف مذكورة ومقامات محمودة تبع الخلف فيها السلف ودام ذلك فيهم برهة من الدهر وقاموا عن أهل المغرب والأندلس بهذا الواجب العظيم رحمهم الله وجزاهم عن المسلمين خيرا

---

(١) ".

" زيان وأعطاه الراية واستدعى من العزفي صاحب سبتة السفن لإجازتهم فوافاه بقصر المجاز منه عشرون أسطولا فأجاز العسكر المذكور ونزل بطريف في السادس عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة فأراح الأمير أبو زيان بطريف ثلاثا ثم دخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبسائطها وامتلات أيديهم من المغانم وأثخنوا بالقتل والأسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة شريش فخام

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢٣/٣

حاميتها عن اللقاء وتحصنوا بالأسوار وقفل الأمير أبو زيان الجزيرة الخضراء وقد أمتلأت أيدي عسكره من الأموال وحقائبهم من السبي وركائبهم من السلاح والأثاث ورأى أهل الأندلس أن قد ثأروا بعام العقاب بعد أن لم تنصر لهم راية من ذلك اليوم إلى الآن والله غالب على أمره الجواز الأول للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد

ثم اتصل الخبر بالسلطان يعقوب رحمه الله أن العدو قد أخذ في الاستعداد وعزم على الخروج إلى بلاد المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه وخشي على ثغور بلاده من عادية يغمراسن صاحب تلمسان فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم موصله وموصل قومه وبادر إلى الإجابة والألفة وأوفد مشيخة بني عبد الواد على السلطان يعقوب لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسني الهدية وجمع الله كلمة الإسلام وعظم موقع هذا السلم من السلطان يعقوب لما كان في نفسه من الميل الى الجهاد وإيثار مبرورات الأعمال فبث الصدقات شكرا لله تعالى على ما منحه من التفرغ لذلك ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع ودعا المسلمين إلى جهاد عدوهم وخاطب في ذلك سائر أهل المغرب من زناتة والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأروبة ومكناسة وجميع قبائل البربر من المرتزقة والمتطوعة وأهاب بهم وشرع في عبور البحر فأجازهم من فرضة قصر المجاز في صفر

(١) ".

" بطنجة ثلاثا ثم نهض إلى فاس فدخلها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسك عيده ارتحل إلى مراكش لتمهيدها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحي سلا حظا فأقام برباط الفتح شهرين اثنين وتوفيت في هذه المدة الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوي وهي أم الأمير يوسف وكانت وفاتها برباط الفتح فدفنت بشالة ثم نهض السلطان يعقوب إلى مراكش فدخلها فاتح ثلاث وثمانين وستمائة وبلغه مهلك الطاغية هراندة بن أذفونش واجتماع النصرانية على ابنه سانجة الخارج عليه فحركت همته إلى الجهاد ثم سرح ابنه الأمير يوسف وولي عهده بالعسكر إلى بلاد السوس لغزو العرب الذين بها وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المنتزين على الدولة فأجفلوا أمامه واتبع آثارهم إلى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر العرب في تلك القفار جوعا وعطشا وقفل راجعا لما بلغه من اعتلال والده السلطان

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣٩/٣

يعقوب فوصل إلى مراكش وقد أبل من مرضه وعزم على الجهاد شكرا لله تعالى على نعمة العافية وفي هذه السنة وصل ماء عين غبولة إلى قصبة رباط الفتح بأمر السلطان يعقوب وكان ذلك على يد المعلم المهندس أبي الحسن علي بن الحاج والله تعالى أعلم الجواز الرابع للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد

لما اعتزم السلطان يعقوب على العبور إلى الأندلس عرض جنوده وحاشيته وأزاح عللهم وبعث في قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراكش في جمادى الآخرة لثلاث وثمانين وستمائة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان فقضى به صومه ونسكه ثم ارتحل إلى قصر المجاز وشرع في إجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمتطوعة خاتم سنته ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع وثمانين بعدها واحتل بظاهر طريف ثم سار إلى الجزيرة الخضراء فأراح بها أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى إلى وادي لك وسرح الخيول في بلاد العدو وبسائطه يحرق وينسف فلما خرب بلاد النصرانية

". (١)

" من معسكره كان أهله يقطعون الطريق على من خرج من المحله مفردا أو في قلة وسرح معه الرجل من الناشبة والفعلة بآلات من المساحي والفؤوس وأمده بالرجل من المصامدة وغزاة سبتة فاقتحموه عنوة على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية وألصقوا خده بالتراب ونسفوا آثاره نسفا ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان إلى حصن مرتقوط قريبا من معسكره فخربه وحرقه بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى الأهل ولعشرين من شهره المذكور وصل ولي عهده الأمير يوسف من العدوة المغربية بنفير أهل المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب السلطان للقائهم وبرور مقدمهم وعرض العساكر القادمة معه يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف من برابرة المغرب كلهم متطوع بالجهاد فعقد السلطان لولي العهد على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجل وألفين من الناشبة وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الأول المذكور وسرحه لغزو إشبيلية والإثخان في نواحيها فعبأ كتائبه ونهض لوجهه وبث الغارات بين يديه فأثخنوا وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكتسحوا الأموال وعاج ولي العهد على الشرف والغابة من بسيط إشبيلية فنسف قراها واقتحم بعض حصونها وقفل إلى معسكر السلطان وهو بمكانه من حصار شريش وفي يوم الاثنين السادس من ربيع الثاني قدم أبو زيان منديل ابن السلطان يعقوب من المغرب في جيش كثيف فيهم خمسمائة فارس من عرب

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/٥٨

بني جابر أهل تادلا مع كبيرهم يوسف بن قيطون وفيهم من **المتطوعة** والناشبة عدد كثير فعقد له السلطان غداة وصوله وأمده بعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادي الكبير فأغار على قرمونة وطمعت حاميتها في المدافعة فبرزوا له وصدقهم القتال فانكشفوا حتى أدخلوهم البلد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار واقتحموه عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة إشبيلية فأغار واقتحم برجا

". (١)

"

ثم إن السلطان المولى يزيد رحمه الله زحف إلى سبتة واستنفر الناس لجهادها والمرابطة عليها واستصحب معه آلة الحرب من المدافع والمهاريس ونصب عليها سبعة أشبارات كان جلها لفنانشة سلا وأهرعت إليه **المتطوعة** من حاضر وباد ونسلوا إليه من كل حدب وواد وأقام على حصارها مدة ثم أفرج عنها وسار إلى ناحية مراكش لأمر اقتضى ذلك فلما وصل إلى مدينة آنفا بدا له من الرجوع فرجع ونزل عليها واستأنف الجد وأرهف الحد وأرسل إلى قبائل الحوز يستنفرهم للجهاد والمرابطة فتقاعدوا عنه بعد أن أشرف على فتحها وكان ما نذكره انتقاض أهل الحوز على السلطان المولى يزيد ابن محمد وبيعتهم لأخيه المولى هشام رحمهما الله

لما قدمت قبائل الحوز على السلطان المولى يزيد بمكناسة ظهر لهم منه بعض التجافي عنهم وأنزلهم في العطاء دون البربر والودايا وغيرهم فساءت ظنونهم به وانفسدت قلوبهم عليه ولما رجعوا إلى بلادهم تمشت رجالاتهم بعضها إلى بعض وخب الرحامنة في ذلك ووضعوا واتفقت كلمتهم مع أهل مراكش وعبدة وسائر قبائل الحوز فقدموا المولى هشام بن محمد للقيام بأمرهم وآتوه بيعتهم وطاعتهم ولما اتصل خبر ذلك بالمولى يزيد وهو محاصر لسبتة أقلع عنها وسار إلى الحوز فشرد قبائله ووصل إلى مراكش فدخلها عنوة يقال إن دخوله إليها كان من الباب المعروف بباب يغلى فاستباحها وقتل وسمل وكان الحادث بها عظيما ثم استجاش عليه المولى هشام قبائل دكالة وعبدة وقصده بمراكش فبرز إليه المولى يزيد ولما التقى الجمعان بموضع يقال له تازكورت انهزم جمع المولى هشام وتبعهم المولى يزيد فأصيب برصاصة في خده فرجع إلى مراكش يعالج جرحه فكان في ذلك حتفه رحمه الله وذلك أواخر جمادى الثانية سنة ست ومائتين وألف

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٦٠/٣

". (١)

"

وتخوفوا معرته في مالهم وأولادهم لأنهم كانوا قد أحسوا بشدة شوكته فوعدهم السلطان رحمه الله بأن يمدهم ويحامي عنهم ولا يدخر عنهم شيئا من العدد والعدد حتى يعذر فيهم وفي غيرهم ثم إن العدو ارتحل من الفنيدق بعد نحو عشرة أيام وتقدم نحو تطاوين وكان الناس قبل هذا لا يدرون أين هو قاصد ولما ارتحل من الفنيدق عرفوا أنه قاصد تطاوين فنزل بموضع يقال له النيكرو فأقام هنالك نحو ثمانية أيام والقتال على حاله المتقدم غير أن العدو كان في مادة قوية من البر والبحر يصل إليه من سبتة وغيرها كل ما يحتاج إليه من طعام وعلف وأرز وشعير وبقسماط وغير ذلك حتى أنه كان إذا ارتحل ترك من ذلك فضلة كثيرة يتعيش فيها ضعفاء أهل تلك الناحية وكان ذلك مكيدة مقصودة عنده يظهر بها القوة والرفاهية وكان شذاذ **المتطوعة** من أهل البادية يهجمون على معسكره بالليل ويجلبون منه البغال والنيران ويصبحون بها في تطاوين وغيرها وكان ضعفاء العقول من العامة يستحسنون ذلك وينشطون له ويرون أنهم قد صنعوا شيئا مع أن ذلك لا عبرة به في جنب ما كان يستولي عليه العدو من الأرض ويتقدم به في نحر المسلمين وهم يتأخرون والحاصل أن المسلمين لم يكونوا يقاتلونه على ترتيب مخصوص وهيئة منضبطة إنما كانوا يقاتلونه وهم متفرقون أيدي سبا فإذا حان المساء تفرقوا إلى محالهم في غير وقت معلوم وعلى غير تعبية فكان قتالهم على هذا الوجه لا يجدي شيئا وكان العدو يقاتل بالصف وعلى ترتيب محكم وكانت عنايته بما يستولي عليه من الأرض ويرى تقدمه إلى أمام وتأخر المسلمين بين يديه إلى خلف هزيمة عليهم

وقد ذكر ابن خلدون في فصل الحروب قتال أهل المغرب الذي هو المطاردة بالكر والفر وعابه فقال وصفة الحروب الواقعة بين أهل الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين نوع بالزحف صفوفا ونوع بالكر والفر أما الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب أجيالهم وأما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب وقتال الزحف أوثق وأشد

". (٢)

"

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٨٢/٣

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٨٧/٣

خلفه وتقدم حتى كان بوادي أبي صفيحة فلما شعر به الناس من أهل المداشر والمتطوعة تسابقوا إليه من كل جانب ووافق ذلك اليوم قدوم عرب الحياينة جاؤوا في حرد كبير وحنق شديد فقويت قلوب الناس بهم واشتد أزرهم وتقدموا إلى العدو فأنشبوا معه الحرب بأبي صفيحة قبل أن يصل إلى محلة المسلمين وكثروه فأوقعوا به وقعة أنست ما قبلها فقتلوا منه ما خرج عن الحصر وأما الجرحى فقل ما شئت وكست قتلاه الأرض ولما أعياه الدفن جعل يجمع الجماعة من الثمانية إلى العشرة ويهيل عليها التراب ومع ذلك بقي منه عدد كبير بلا دفن حتى أنتن موضع المعركة من شدة نتن الجيف ونال المسلمون من عدوهم في هذا اليوم ما لم ينالوا قبله مثله ولا ما يقاربه وكان الذكر فيه لعرب الحياينة ثم للمتطوعة غيرهم وأما محلة المولى العباس فكانت بعيدة عن المعركة بمسافة كبيرة

وقد ذكر منويل خبر هذا اليوم فأقر بأنه أهرق منهم دم كثير وخسروا فيه عددا كبيرا من نفوس العسكر والخيل ولما بلغ المولى العباس أن العدو قد برز من تطاوين وأن المسلمين يقاتلونه الآن في أبي صفيحة قلب رأيه واستأنف النظر في عاقبة أمره ورأى أن المسلمين وإن نالوا من العدو في هذه المرة وأبلغوا في نكايته لكن الثمرة ضعيفة من جهة أن نكايتنا له إنما هي في القتل والجرح ونكايته في أخذ الأرض والاستيلاء عليها كما قلنا غير مرة فجنح رحمه الله إلى الصلح واختاره على الحرب حتى تدور للمسلمين سعود إن شاء الله

أخبرني صاحبنا القائد الأجل أبو عبد الله محمد بن إدريس بن حمان الجراري حفظه الله قال لما طالت الحرب بين المسلمين والنصارى على تطاوين استدعاني السلطان وسيدي محمد بن عبد الرحمن رحمه الله وأعطاني ستين ألف مثقال أذهب بها إلى جيش المسلمين المرابط على تطاوين بقصد المؤنة والصائر وقال لي مع ذلك إذا وصلت إلى محلة المسلمين فانظر

---

(١) ".

" بعدوهم وخالطوهم في أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم في اليم وقتلوا قائدهم الملند واستاقوا أساطيلهم مجنوبة إلى مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤوسهم في جوانب البلد ونظمت أصفاد الأسرى بدار الإنشاء وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشد الشعراء بين يديه وكان ذلك يوم السبت سادس شوال سنة أربعين وسبعمائة فكان من أعز أيام الإسلام ثم

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٩٩/٣

شرع السلطان أبو الحسن في إجازة العساكر من المتطوعة والمرتزقة وانتظمت الأساطيل سلسلة واحدة من العدوة إلى العدوة ولما تكاملت العساكر بالعبور وكانت نحو ستين ألفا أجازهو في أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين وسبعمائة ونزل بساحة طريف وأناخ عليها ثالث محرم من السنة بعدها وشرع في منازلتها ووافاه سلطان الأندلس أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الأحمر في عسكر الأندلس من غزاة بني مرين وحامية الثغور ورجالة البدو فعسكروا حذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بها أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات وجهز الطاغية أسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر وطال مقام المسلمين بمكانهم حول طريف ففنيت أزوادهم وقلت العلوفات فوهن الظهر واختلت أحوالهم ثم احتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب أشبونة وغرب الأندلس وزحفوا إلى المسلمين لستة أشهر من نزولهم على طريف ولما قرب الطاغية من معسكر المسلمين سرب إلى طريف جيشا من النصارى أكمنه بها إلى وقت الحاجة إليه فدخلوها ليلا على حين غفلة من العسس الذين أرصدوا لهم وأحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا وقد نجا أكثرهم فلبسوا على السلطان أنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته ثم زحف الطاغية من الغد في جموعه إلى المسلمين وعبأ السلطان مواكبه صفوفا وتزاحفوا ولما نشبت الحرب برز الجيش الكمين من البلد وهو الذي

".(١)

"

ثم كتب السلطان أبو مروان للطاغية ثانية وذلك بعد ما وصل إلى القصر إني رحلت إليك ست عشرة مرحلة أما ترحل إلى واحدة فرحل الطاغية من موضع يقال له تاهدارت ونزل على وادي المخازن بمقربة من قصر كتامة وكان ذلك من السلطان أبي مروان مكيدة ثم إن الطاغية تقدم بجيوشه وعبر جسر الوادي ونزل من هذه العدوة فأمر السلطان بالقنطرة أن تهدم ووجه إليها كتيبة من الخيل فهدموها وكان الوادي لا مشرع له سوى القنطرة ثم زحف السلطان أبو مروان إلى العدو بجيوش المسلمين وخيل الله المسومة وانضاف إليه من المتطوعة كل من رغب في الأجر وطمع في الشهادة وأقبل الناس سراعا من الآفاق وابتدروا حضور هذا المشهد الجليل فكان ممن حضره من الأعيان الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي وغيره

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٣٦/٣

قال في المرآة كان الشيخ أبو المحاسن في ذلك اليوم في أحد الجناحين وأظنه الميسرة من عسكر المسلمين في مقابلة النصارى دمرهم الله قال فوقع في ذلك الجناح انكسار تزحزح به المسلمون عن مصافهم وحملت عليهم النصارى دمرهم الله فثبت الشيخ وثبت من كان معه إلى أن منح الله المسلمين النصر وركبوا أكتاف العدو يقتلون ويأسرون والشيخ لم يتزلزل ولم يلتفت منذ توجه إلى قتالهم حتى فتح الله عليهم اه

ولما التقت الفئتان وزحف الناس بعضهم إلى بعض وحمى الوطيس واسود الجو بنقع الجياد ودخان المدافع وقامت الحرب على ساق توفي السلطان أبو مروان رحمه الله عند الصدمة الأولى وكان مريضا يقاد به في محفة فكان من قضاء الله السابق ولطفه السابغ أنه لم يطلع على وفاته أحد إلا حاجبه مولاه رضوان العلج فإنه كتم موته وصار يختلف إلى الأجناد ويقول السلطان يأمر فلانا أن يذهب إلى موضع كذا وفلانا أن يلزم الراية وفلانا يتقدم وفلانا يتأخر

وقال شارح الزهرة لما توفي السلطان أبو مروان لم يظهر الذي كان سائس المحفة موته فصار يقدم دواب المحفة نحو العدو ويقول للجند السلطان يأمركم بالتقدم إليهم وعلم أيضا بموته أخوه وخليفته أبو

---

(١) ".

"وهذه قصة قباذ ومزدك قالوا أن قباذ بن فيروز كان رجلا مداريا متئدا يكره الدماء والمعاقبة وكثرت الأهواء في زمانه وانتحل كل فريق ملة ومذهبا ووثب مزدك وهو رجل من أهل فساد فعمل على الناس وقال أن الله عز وجل جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالسوية حتى لا يكون لأحد منهم فضل على الآخر ولكن الناس تظالموا وتغالبوا واستأثر كل واحد بما أحب والواجب أن يؤخذ فضل ما في أيدي الأغنياء ويرد في الفقراء حتى يستووا في الدرجة فشايعه على ذلك الغوغاء وافترضوا قوله وجعلوا يدخلون على الرجل فيغلبون على أهله وماله ونسائه وعبيده واشتدت شوكتهم وعظمت نكبتهم وعجز السلطان عن مقاومتهم ولم يكن عندهم لمن أبى عليهم إلا القتل ثم وثبوا على قباذ فخلعوه وحسبوه وملكوا أخاه جاماسب وفسدت معائش الناس واختلطت أنسابهم فكان المولود لا يعرف أباه والضعيف لا يمتنع منه القوي ثم خرج زرمهر ابن سوخرا في من تبعه من الغواة والمطوعة وقتلوا من الزدكية ناسا كثيرا ورد الملك إلى قباذ فتبرأ منهم ويقال أنه كان بايعهم وفي أيامه ولد عبد المطلب وحمل إلى مكة وكان جاءه الحارث بن عمرو المعصوب بن حجر آكل المرار ودخل في دين المزدكية فملكه على العرب كلها فلما صار الأمر إلى

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٥/٨٠

انوشروان رد الملك إلى المنذر بن امرئ القيس وكان ملك قباذ اثنتين وأربعين سنة وفي أيامه غلبت الروم والحبشة على اليمن ثم ملك كسرى انوشروان بن قباذ وكان ملكه سبعا وأربعين سنة وسبعة أشهر فقتل ثمانين ألفا من المزدكية في يوم واحد وجمع الناس على الدين وأتم بباب الأبواب السور وغزا الروم ففتح إنطاكية وبنى بالمدائن مدينة على صورة إنطاكية وسماها الرومية وصاهر خاقان ملك الترك حتى عاونه على الهياطلة فأدرك منهم وتر فيروز وانبسط ملكه حتى بلغ قشمير وسرنديب وهو الذي بعث وهرز إلى اليمن فنفى عنه الحبشة وعلى رأسه أربعين من ملكه ولد النبي صلعم في قول بعضهم وكان حسن السيرة مبارك الولاية رحيما بالرعية متميزا للخيم ثم ملك ابنه هرمز بن كسرى فجار وعسف فزحفت إليه الجيوش من النواحي الأربع الروم والترك والخزز واليمن فوجه بهرام شوبينه اصفهبذ الري لالتقاء فقتلهم وسباهم ثم خلع بهرام يده عن الطاعة وتغلب على خراسان وما يليها وكتب القود والمرازبة يغريهم به فوثبوا عليله وسملوا عينيه وحبسوه وملكوا ابنه ابرويز بن هرمز وملك هرمز إحدى عشرة سنة وسبعة أشهر ثم ملك ابرويز وجاء بهرام شوبينة فقاتله على شط النهروان وهزمه وكان ابرويز يومئذ على فرسه شبديز فلح به فقال للنعمان بن المنذر وهو يمشي بين يديه أعطني اليحموم وهو فرس معروف مشهور له وفيه يقول الأعشى

ويأمر لليحموم كل عشية ... بقت وتعليق وقد كان يسبق

فلم يعطه اليحموم ونزل حسان بن حنظلة الطائي عن فرسه الضبيب وقال اركب أيها الملك فإن حياتك للناس خير من حياتي فركبه ابرويز ومر إلى ملك الروم موريقيس فاستنجده فزوجه ابنته مريم وأمده بمال ورجال فقاتل بهرام وهزمه إلى الترك واستولى على الملك فلم يزل يدس على بهرام حتى قتل بدار الغربة وكان ملك ابرويز ثمانيا وثلاثين سنة وفي أيامه بعث الله نبينا محمدا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم بالرسالة وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليه بعبد الله بن حذافة السهمي يدعوه إلى الإسلام فمزق كتابه واستخف به وكتب إلى باذان ملك اليمن أن عبدا من عبيدي قد كتب يدعوني إلى دينه فابعث إليه رجلين جلدين يأتيان به مربوطا وإن أبى عليهما فليضربا عنقه ولهذه القصة موضع غير هذا فلما بلغ النبي صلعم تمزيقه كتابه قال مزق كتابي مزق الله عليه ملكه قال الله عز وجل (آلم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) روى أن عاملا لابرويز يقال له شهرابراز الفارسي غلبهم وسباهم ذلك أن الروم وثبت على ملكهم موريقيس فقتلوه فبعث ابرويز شهرابراز فنكا فيهم نكاية عظيمة قبل الهجرة بسنة ثم أدبرت الروم ابرويز فقتله ابنه وفي ابرويز يقول خالد الفياض

والكهل كسرى شنهشاه يقنصه ... سهم بريش جناح الموت مقطوب

إن كان لذته شبديز مركبه ... وغنج شيرين والديباج والطيب

بالنار آلى يمينا شد ما غلظت ... أن من بدا بنعي شبديز مصلوب." (١)

"و في السنة الثالثة من ولاية أبي العباس انتفض أمر بخارا بنجوم شريك بن شيخ الفهري في ثلاثين ألفا من فلال العرب و سائر الناس و نقموا على أبي مسلم سفكه الدماء بغير حق و إسرافه في القتل فنهض إليهم أبو مسلم وعلى مقدمته زياد بن صالح و أبو داود خالد بن إبرهيم الذهلي فناجزهم و قتل شريك بن شيخ و افتتح بخارا و السغد ثانيا و أمر ببناء حائط سمرقند ليكون حصنا لهم إن دحمهم عدو و بعث زياد بن صالح فافتتح كور ما وراء النهر حتى بلغ طرازا و اطلخ فتحرك أهل الصين و جاؤوا أكثر من مائة ألف و تحصن سعيد بن حميد في مدينة الطراز و أقام أبو مسلم في معسكره بسمرقند و استمد العمال و حشر المطوعة إلى سعيد بن حميد فواقعهم دفعات و قتل منهم خمسة و أربعين ألفا و أسر خمسة و عشرين ألفا و انهزم الباقون فاستولى المسلمون على عسكرهم و انصرف إلى بخارا و بسط يده على ملوك ما وراء النهر و دهاقينها فضرب أعناقهم و سبى ذراريهم و استصفى أموالهم و عبر النهر من السبى غير مرة بخمسين ألفا خمسين ألفا و هم أبو مسلم بغزو الصين و هيأ أهبة لذلك فشغله عنه إظهار زياد بن صالح كتابا من أبي العباس بولايته على خراسان من غير أن كان لذلك أصل فعمل أبو مسلم في ذلك حتى قتل زيادا و بعث برأسه إلى أبي العباس و كتب إليه يستأذنه في الحج و اختار من جلة رجاله خمسة آلاف فقدمهم أمامه و خرج و استخلف على خراسان أبا داود فلما انتهى إلى الري تلقاه كتاب أبي العباس بتخليف من معه من الجنود بالري و أن تقدم في خمسمائة رجل فكتب إني قد وترت الناس و لا آمن على نفسي ألا أن أكون في كنف قوي فكتب إليه أن أقبل في ألف فلما بلغ أبو مسلم الحيرة تلقاه أبو العباس في بني هاشم و سائر القواد من العرب و الموالي و بالغ في إلطافه و تكرمته وشكر صنيعه و أشار أبو جعفر عليه بقتله فقال أبو العباس يا أخي قد عرفت بلاءه عندنا و قيامه بأمرنا و سابقته في دولتنا قال إن في رأسه و إنما بلغ ما بلغ بدولتنا و أيامنا فتغد به قبل أن يتعش بك قال و كيف الحيلة فيه قال إذا دخل عليك فاشغله بالكلام حتى آتيه من ورائه فأضربه عنقه قال دونك فاصنع ما أنت صانع و دخل أبو مسلم للسلام فأخذ أبو العباس يسأله عن وقائعه و حيله إذ أدركته حالة صرفته عما هم به فقال لبعض شاكريته قل لأبي جعفر لا يفعل ذلك ثم قال لأبي مسلم لولا أن أبا جعفر ولى ابن أخيه أميرا على الحاج لكنت أنت فخرج أبو جعفر و أبو مسلم بتقدمته حتى إذا بلغ صفينة موضعا بين البستان و ذات عرق بلغه خبر وفاة أبي العباس

---

(١) البدء والتاريخ، ص/١٧٦

فسار حتى حج بالناس و أقبل منصرفا إلى الحيرة.

خروج عبد الله بن علي على أبي جعفر." (١)

"و كان مروان بن محمد كتب إلى أهل مكة يهجو أبا مسلم و أنه يحرق المصاحف و يهدم المساجد فلما سمعوا بقدومه خرجوا ينظرون إليه فلما بلغ الحرم نزل عن دابته و خلع نعليه و مشى حافيا على رجليه إعظاما للبيت و قضى نسكا قل ما قضاه أحد من الملوك غيره فقالوا ما رأينا سلطانا أعظم الحرم إعظامه و ولد سنة مائة و اثنتين و قتل سنة سبع و ثلاثين و هو ابن خمس و ثلاثين سنة و خلف بنتا يقال لها فاطمة بت أبي مسلم يتولاها الخرمية و يزعمون أنه يخرج من نسلها رجل يستولي على الأرض كلها و يسلب بني العباس ملكهم و فيه يقول

أبا مجرم ما غير الله نعمة ... على عبده حتى يغيرها العبد

و في دولة المهدي حاولت غدرة ... إلا إن أهل الغدر آباؤك الكرد

أبا مجرم خوفتني الفتك فانتحي ... عليك بما خوفتني الأسد الورد

المهدي محمد بن أبي جعفر و بويع ابنه المهدي محمد بن أبي جعفر سنة تسع و خمسين و مائة و صار إليه خاتم الخلافة و قضيب النبي صلى الله عليه وسلم و بردته فكان كما سمي هاديا مهديا رد المظالم و شهد الصلوات في جماعة و فرق خزائن المنصور في سبل الخير و رد ولاء آل أبي بكرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و رد ولاء آل زياد من نسبهم إلى أبي سفيان إلى عبيد من ثقيف و كتب بذلك إلى المدن و الأمصار و وسع المسجد الحرام و مسجد المدينة و فرق في حجه بمكة و المدينة ثلاثين ألف ألف درهم سوى ما حمل إليه من مال مصر و اليمن و حمل إليه محمد بن سليمان الثلج من أرض الموصل و لم يحمله أحد قبله و أمر بنزع المقاصير عن المسجد و تقصير المنابر إلى الحد الذي كان عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم و وضع دور المرضى و أجرى على العميان و المجذمين و الضعفى و أغزى الصائفة ابنة هارون بن المهدي في مائة ألف من المسترقة سوى **المطوعة** والأتباع و أهل الأسواق و الغزاة فقتلوا من الروم خمسة و أربعين ألفا وأصابوا من المال ما بيع البرذون بدرهم و الدرع بدرهم و عشرون سيفا و ألزموهم الجزية كل سنة سبعين ألف دينار و فيه يقول ابن أبي حفصة

أطفت بقسطنطينية الروم مستندا ... إليها القفاء حتى اكتسى الذل سورها

و ما رمتها حتى تفيك ملوكها ... بجزيتها و العرب تغلي قدورها

---

(١) البدء والتاريخ، ص/٣٥٠

و كثير من الناس يرون ذلك الفتح الفتح الذي وعد الله به وفي أيامه خرج رجل يقال له يوسف البرم و استغوى خلقا كثيرا و جمع بوشا و أدعى النبوة فبعث إليه جيشا ففضوا جموعه فأسروه فأمر به المهدي فصلب و خرج حكيم المقنع و قال بتناسخ الأرواح و اتبعه ناس كثير و كان حكيم هذا رجلا قصيرا أعور من قرية من قرى مرو يقال لها كاره و كان لا يسفر عن وجهه لأصحابه فلذلك قيل له المقنع و زعم أن روح الله التي كانت في آدم تحولت إلى شيث ثم إلى نوح ثم إلى إبرهيم ثم إلى موسى ثم إلى عيسى ثم إلى محمد بن الحنفية ثم إليه و كان يحسن شيئا من الشعبذة و النيرنجات فاستغوى أهل العقول الضعيفة فاستمالهم فبعث المهدي في طلبه فصار إلى ما وراء النهر و تحصن في قلعة كش و جمع فيها من الطعام و العلوفة و بث الدعاة في الناس و ادعى إحياء الموتى و علم الغيب و ألح المهدي في طلبه فحوصر فلما اشتد الحصار عليه سقى نساءه و غلمانه كلهم السم و شرب هو منه فماتوا عن آخرهم و حمل إلى المهدي و كان وعد أصحابه أن يتحول روحه إلى قالب رجل أشمط على برذون أشهب و أنه يعود إليهم بعد كذا سنة و يملكهم الأرض فهم ينتظرونه و يسمون المبيضة و في أيامه خرج المحمرة بخراسان و عليهم رجل يقال له عبد الوهاب فغلب على خرسان و ما يليها و قتل خلقا كثيرا من الناس فانهض إليه المهدي عمرو بن العلاء فقتله و فض جموعه و في أيامه ظهرت الزنادقة فقتل المهدي بعضهم و استتاب بعضها و عقد البيعة لابنه موسى الهادي و بعده لأخيه هارون الرشيد و اعتل المهدي فحمل إلى ماسبذان يتروح إلى ذلك بالهواء فمات فحمل درابة إذ لم يجدوا جنازة فجزت حسنة عبيدها و لبست المسوح في وصائفها ولم تزل كذلك إلى أن فارقت الدنيا و كانت من أجمل النساء فقال أبو العتاهية

رحن في الوشي وأصبح ... ن عليهن المسوح

كل نطاح وإن عا ... ش له يوم نطوح." (١)

" حتى يبلغ المدينة فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها ووهنت قوتها فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة فمتى ما فتحت فإن باقي ما دونها من البلاد والحصون بيدك فقال سليمان هذا هو الرأي ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البر مائة وعشرين ألفا وفي البحر مائة وعشرين ألفا من المقاتلة وأخرج لهم الأعطية وأنفق فيهم الأموال الكثيرة وأعلمهم بغزو القسطنطينية والإقامة إلى أن يفتحوها ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمر عليهم أخاه مسلمة

---

(١) البدء والتاريخ، ص/٣٥٦

ثم قال سيروا على بركة الله وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق فاجتمع إليه الناس أيضا من **المتطوعة** المحتسبين أجورهم على الله فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومي المرعشي ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة قالوا فابعث إلينا إليون نشاوره فأرسله إليهم فقالوا له رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا فرجع إلى مسلمة فقال قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تتنحى عنهم فقال مسلمة إني أخشى غدرك فحلف له أن يدفع إليه مفاتيحها وما فيها فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار وغدر إليون بالمسلمين قبحه الله

قال ابن جرير وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبدالملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من بعده وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك فعدل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب وتربص بأخيه الدوائر فمات أيوب في حياة أبيه فبايع سليمان إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده ونعم ما فعل وفيها فتحت مدينة الصقالية قال الواقدي وقد أغارت البرجان على جيش مسلمة وهو في قلة من الناس في هذه السنة فبعث إليه سليمان جيشا فقاتل البرجان حتى هزمهم الله عز و جل وفيها غزا يزيد بن المهلب قهستان من أرض الصين فحاصرها وقاتل عندها قتالا شديدا ولم يزل حتى تسلمها وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبرا وأخذ منها من الأموال والأثاث والأمتعة مالا يحد ولا يوصف كثرة وقيمة وحسنا ثم سار منها إلى جرجان فاستجاش صاحبها بالديلم فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد بن المهلب وقاتلوه فحمل محمد بن عبد الرحمن أبي سبرة الجعفي وكان فارسا شجاعا باهرا على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله ولقد بارز ابن أبي سبرة هذا يوما بعض فرسان الترك فضربه التركي بالسيف على البيضة فنشب فيها وضربه ابن ابي سبرة فقتله ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دما وسيق التركي ناشب في ." (١)

" ابن عبدالرحمن بن أبي ليلى وقيل ابن شبرمه فادعى عليه عنده فأنكر اليهودي فشهد له أبو دلامه وابنه فلم يستطع القاضي أن يرد شهادتهما وخاف من طلب التزكية فأعطى الطبيب المدعي المال من عنده وأطلق اليهودي وجمع القاضي بين المصالح توفي أبو دلامة في هذه السنة وقيل إنه أدرك خلافة الرشيد سنة سبعين فالله أعلم

(ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة)

---

(١) البداية والنهاية، ١٧٥/٩

فيها خرج عبد السلام بن هاشم اليشكري بأرض قنسرين وأتبعه خلق كثير وقويت شوكته فقاتله جماعة من الأمراء فلم يقدروا عليه فجهز إليه المهدي جيوشا وأنفق عليهم أمولا فهزمهم مرات ثم آل الأمر به فقتل بعد ذلك وفيها غزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفا من المرتزقة سوى **المتطوعة** فدمر الروم وحرق بلدانا كثيرة وخرب أماكن وأسر خلقا من الذراري وكذلك غزا يزيد بن أبي أسيد السلمي بلادالروم من باب قالبقلا فغنم وسلم وسبا خلقا كثيرا

وفيها خرجت طائفة بجرجان فلبسوا الحمرة مع رجل يقال له عبد القهار فغزاه عمرو بن العلاء من طبر ستان فقهر غبد الفهار وقتله وأصحابه وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الاقاليم والآفاق على المجذومين والمحبوسين وهذه مثوبة عظيمة ومكرمة جسيمة وفيها حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن المنصور وفيه توفي من الاعيان

(إبراهيم بن أدهم)

أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد كانت له همة عالية في ذلك رحمه الله فهو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن عامر بن إسحاق التميمي ويقال له العجلي أصله من بلخ ثم سكن الشام ودخل دمشق وروى الحديث عن أبيه الأعمش ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة وأبي إسحاق السبيعي وخلق وحدث عنه خلق منهم بقية والثورى وأبو اسحاق الفزارى ومحمد بن حميد وحكى عنه الأوزاعي وروى الحديث عن إبن عساكر من طريق عبدالله بن عبد الرحمن الجزري عن إبراهيم بن أدهم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال

(دخلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو يصلي جالسا فقلت يا رسول الله إنك تصلي جالسا فماأصابك قال الجوع يا أبا هريره قال فبكيت فقال لا تبك فإن شدة يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا) ومن طريق بقية عن إبراهيم بن أدهم

حدثني أبو اسحاق الهمداني عن عمارة بن عزية عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (إن الفتنة تجيء فتنسف العباد نسفا وينجوا العالم منها بعلمه)

قال النسائي إبراهيم بن أدهم ثقة مأمون أحد الزهاد وذكر أبو نعيم أنه كان ابن ملك من ملوك خراسان وكان قد حبب إليه الصيد قال فخرجت مرة فأثرت ثعلبا فهتف بي هاتف ." (١)

---

(١) البداية والنهاية، ١٣٥/١٠

" الإسلام ووعدهم النصر منه والإعانة فدخلوا في جحافل عظيمة كثيرة جدا وانضاف إليهم الأرمني فركب إليهم مفلح غلام يوسف بن أبي الساج وهو يومئذ نائب أذربيجان واتبعه خلق كثير من **المتطوعة** فقصد أولا بلاد ابن اليران فقتل من الأرمن نحوا من مائة ألف وأسر خلقا كثيرا وغنم أموالا جزيلة وتحصن ابن الديراني في قلعة له هناك وكاتب الروم فوصلوا إلى شميشاط فحاصروها فبعث أهلها يستصرخون سعيد بن حمدان نائب الموصل فسار إليهم مسرعا فوجد الروم قد كادوا يفتحونها فلما علموا بقدومه رحلوا عنها واجتازوا بملطية فنهبوها ورجعوا خاسئين إلى بلادهم ومعهم ابن نفيس المتنصر وقد كان من أهل بغداد وركب ابن حمدان في آثار القوم فدخل بلادهم فقتل خلقا كثيرا منهم وأرسر وغنم أشياء كثيرة قال ابن الأثير وفي شوال من هذه السنة جاء سيل عظيم إلى تكريت ارتفع في أسواقها أربعة عشر شبرا وغرق بسببه أربعمائة دار وخلق ل ا يعلمهم إلا الله حتى كان المسلمون والنصارى يدفنون جميعا لا يعرف هذا من هذا قال وفيها هاجت بالموصل ريح محمرة ثم اسودت حتى كان الإنسان لا يبصر صاحبه نهارا وظن الناس أنها القيامة ثم انجلى ذلك بمطر أرسله الله عليهم وفيها توفي من الأعيان الحسين بن عبدالرحمن أبو عبدالله الأنطاكي قاضي ثغور الشام يعرف بابن الصابوني وكان ثقة نبيلا قدم بغداد وحدث بها

علي بن الحسين بن حرب بن عيسى

تولى القضاء بمصر مدة طويلة جدا وكان ثقة عالما من خيار القضاة وأعدلهم تفقه على مذهب أبي ثور وقد كرناه في طبقات الشافعية وقد استعفى عن القضاء فعزل عنه في سنة إحدى عشرة وثلثمائة ورجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات في ههذه السنة في صفر منها وصلى عليه أبو سعيد الأصطخري ودفن بداره قال الدارقطني حدث عنه أبو عبدالرحمن النسائي في الصحيح ولعله مات قبله بعشرين سنة وذكر من جلالته وفضله رحمه الله محمد بن الفضل بن العباس أبو عبدالله البلخي الزاهد حكى عنه أنه مكث أربعين سنة لم يخط فيها خطوة في هوى نفسه ولا نظر في شيء فاستحسنه حياء من الله عز و جل وأنه مكث ثلاثين سنة لم يمل على ملكية قبيحا

محمد بن سعيد بن أبو الحسين الوراق

صاحب أبي عثمان النيسابوري وكان فقيها يتكلم على المعاملات ومن جيد كلامه قوله من غض بصره عن محرم أورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهتدي بها سامعوه ومن غض نفسه عن شبهة نور الله قلبه نورا يهتدي به إلى طريق مرضاة الله ." (١)

---

(١) البداية والنهاية، ١٦٧/١١

" وأخذ عنه إمام الحرمين وفيما قاله نظر لأن سن إمام الحرمين لا يحتمل ذلك فإن القفال هذا مات في هذه السنة وله تسعون سنة ودفن بسجستان وإمام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة كما سيأتي وإنما قيل له القفال لأنه كان أولا يعمل الأقفال ولم يشتغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة رحمه الله تعالى ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة في ربيع الأول منها وقع برد أهلك شيئا كثيرا من الزروع والثمار وقتل خلقا كثيرا من الدواب قال ابن الجوزي وقد قيل إنه كان في برده كل بردة رطلان وأكثر وفي واسط بلغت البردة أرطالا وفي بغداد بلغت قدر البيض وفي ربيع الآخر سألت الإسفهلارية الغلمان الخليفة أن يعزل عنهم أبا كاليجار لتهاونه بأمرهم وفساده وفساد الأمور في أيامه ويولي عليهم جلال الدولة الذي كانوا قد عزلوه عنهم فما طلهم الخليفة في ذلك وكتب إلى أبي كاليجار أن يتدارك أمره وأن يسرع الأوبة إلى بغداد قبل أن يفوت الأمر وألح أولئك على الخليفة في تولية جلال الدولة وأقاموا له الخطبة ببغداد وتفاقم الحال وفسد النظام وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضا وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بسومنات وقد كانوا يفدون إليه من كل فج عميق كما يفد الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم وينفقون عنده الفقات والأموال الكثيرة التي لا توصف ولا تعد وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية ومدينة مشهورة وقد امتلأت خزائنه أموالا وعنده ألف رجل يخدمونه وثلثمائة رجل يحلقون رؤس حجيجه وثلثمائة رجل يغنون ويرقصون على بابه لما يضرب على بابه الطبول والبوقات وكان عنده من المجاورين ألوف يأكلون من أوقافه وقد كان البعيد من الهنود يتمنى لو بلغ هذا الصنم وكان يعوقه طول المفاوز وكثرة الموانع والآفات ثم استخار الله السلطان محمود لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده وكثرة الهنود في طريقه والمفاوز المهلكة والأرض الخطرة في تجشم ذلك في جيشه وأن يقطع تلك الأهوال إليه فندب جيشه لذلك فانتدب معه ثلاثون ألفا من المقاتلة ممن اختارهم لذلك سوى **المتطوعة** فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن ونزلوا بساحة عباده فإذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة قال فما كان بأسرع من أن ملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفا وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالا جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم فقال حتى أستخير الله عز و جل فلما أصبح قال إني فكرت في الأمر الذي ذكر فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم أحب إلى من أن يقال الذي ترك

الصنم لأجل ما يناله من الدنيا ثم عزم فكسره رحمه الله فوجد عليه وفيه من الجواهر واللآلئ والذهب والجواهر ." (١)

" تعرض الرسائل بعد ابن بابشاد وكان كثير الاطلاع عالما بهذا الشأن ومطرحا للتكيف في كلامه لايلتفت ولا يعرج على الأعراب فيه إذا خاطب الناس وله التصانيف المفيدة توفي وقد جاوز الثمانين بثلاث سنين رحمه الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

فيها كانت وقعة حطين التي كانت أمارة وتقدمة وإشارة لفتح بيت المقدس واستنفاذه من أيدي الكفرة قال ابن الأثير كان أول يوم منها يوم السبت وكان يوم النيروز وذلك أول سنة الفرس وأتفق أن ذلك كان أول سنة الروم و هو اليوم الذي نزلت فيه الشمس برج الحمل وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضا وهذا شئ يبعد وقوع مثله وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى فخيم على قصر أبي سلام ينتظر قدوم الحجاج وفيهم أخته ست الشام وأبنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين ليسلموا من معرة برنس الكرك فلما جاز الحجيج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الاشجار ورعى الزرع وأكلوا الثمار وجاءت العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلمت ورجعت فبشر بمقدمات الفتح والنصر وجاء السلطان بجحافله فإلتفت عليه جميع العساكر فرتب الجيوش وسار قاصدا بلاد الساحل وكان جملة من معه من المقاتلة أثنى عشر ألفا غير المتطوعة فتسامعت الفرنج بقدومه فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم وصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر وجاءوا بحدهم وحديدهم وأستصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت وضلال الناسوت في خلق لايعلم عدتهم إلاالله عز و جل يقال كانوا خمسين ألفا وقيل ثلاثا وستين ألفا وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك فقال له لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم وسترى غب ما أقول لك فتقدموا نحو المسلمين وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمنعة وغير ذلك وتحصنت منه القلعة فلم يعبأ بها وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة حتى صاروا في عطش عظيم فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها حطين التي يقال إن فيها قبر شعيب

(١) البداية والنهاية، ١٢/٢٢

عليه الصلاة و السلام وجاء العدو المخذول وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان وأسفر وجه الإيمان وإغبر وأقتم وأظلم وجه الكفر والطغيان ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان وذلك عشية يوم ." (١)

" الناس في دفع الاعداء عنهم لأنه إذا دهم العدو البلاد وجب على الناس كافة دفعهم باموالهم وأنفسهم

ولاية الملك المظفر قطز وفيها قبض الامير سيف الدين قطز علي ابن أستاذه نور الدين علي الملقب بالمنصور وذلك في غيبة أكثر الأمراء من مماليك ابيه وغيرهم في الصيد فلما مسكه سيره مع امه وابنيه واخوته الى بلاد الاشكري وتسلطن هو وسمى نفسه بالملك المظفر وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين فإن الله جعل على يديه كسر التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وبان عذره الذي اعتذر به إلى الفقهاء والقضاة وإلى ابن العديم فإنه قال لا بد للناس من سلطان قاهر يقاتل عن المسلمين عدوهم وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة

وفيها برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى وطاء برز في جحافل كثيرة من الجيش **والمتطوعة** والاعراب وغيرهم ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول أرفض ذلك الجمع ولم يسر لا هو ولا هم فإنا لله وإنا إليه راجعون وفيها توفي من الاعيان

واقف الصدرية صدر الدين أسعد بن المنجاة بن بركات بن مؤمل التنوخي المغربي ثم الدمشقي الحنبلي احد المعدلين ذوي الاموال والمروءات والصدقات الدارة البارة وقف مدرسة للحنابلة وقبره بها إلى جانب تربة القاضي المصري في راس درب الريحان من ناحية الجامع الاموي وقد ولى نظر الجامع مدة واستجد أشياء كثيرة منها سوق النحاسين قبلي الجامع ونقل الصاغة إلى مكانها الان وقد كانت قبل ذلك في الصاغة العتيقة وجدد الدكاكين التي بين أعمدة الزيارة وثمر الجامع أموالا جزيلة وكانت له صدقات كثيرة وذكر عنه انه كان يعرف صنعة الكيميا وأنه صح معه عمل الفضة وعندي أن هذا لا يصح ولا يصح عنه والله أعلم

الشيخ يوسف الاقميني

كان يعرف بالأقميني لأنه كان يسكن قمين حمام نور الدين الشهيد وكان يلبس ثيابا طوالا تحف على الارض ويبول في ثيابه ورأسه مكشوفة ويزعمون أن له أحوالا وكشوفا كثيرة وكان كثير من العوام وغيرهم

---

(١) البداية والنهاية، ١٢/ ٣٢٠

يعتقدون صلاحه وولايته وذك لانهم لا يعملون شرائط الولاية ولا الصلاح ولا يعملون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر والمؤمن والكافر كالرهبان وغيرهم وكالدجال وابن صياد وغيرهم فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على اذن الانسي ولا سيما من يكون مجنونا أو غير نقي الثياب من النجاسة فلا بد من اختبار صاحب الحال بالكتاب والسنة فمن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله فهو رجل صالح سواء كاشف أو لم يكاشف ومن لم يوافق فليس ." (١)

" الخونده غزية خاتون

بنت الملك المنصور قلاوون زوجة الملك السعيد

الحكيم الرئيس

علاء الدين بن أبي الحزم بن نفيس شرح القانون لابن سينا وصنف الموجز وغيره من الفوائد وكان يكتب من حفظه كان اشتغاله على ابن الدخواري وتوفي بمصر في ذي القعدة

الشيخ بدر الدين

عبد الله بن الشيخ جمال الدين بن مالك النحوي شارح الالفية التي عملها أبوه وهو من أحسن الشروح وأكثرها فوائد وكان لطيفا ظريفا فاضلا توفي في يوم الاحد الثامن من المحرم ودفن من الغد بباب الصغير والله أعلم

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة

فيها كان فتح مدينة طرابلس وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيوش المنصورة المصرية صحبته إلى دمشق فدخلها في الثالث عشر من صفر ثم سار بهم وبجيش دمشق وصحبته خلق كثير من المتطوعة منهم القاضي نجم الدين الحنبلي قاضي الحنابلة وخلق من المقادسة وغيرهم فنازل طرابلس يوم الجمعة مستهل ربيع الاول وحاصرها بالمجانيق حصارا شديدا وضيقوا على أهلها تضيقا عظيما ونصب عليها تسعة عشر منجنيقا فلما كان يوم الثلاثاء رابع جمادي الاخرة فتحت طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوة وشمل القتل والاسر جميع من فيها وغرق كثير من اهل الميناء وسبيت النساء والاطفال وأخذت الذخائر والحواصل وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ وقد كانت قبل ذلك في أيدي المسلمين من زمان معاوية فقد فتحها سفيان بن نجيب لمعاوية فأسكنها معاوية اليهود ثم كان عبد الملك بن مروان جدد عمارتها وحصنها و أسكنها المسلمين وصارت آمنة عامرة مطمئنة وبها ثمار الشام

---

(١) البداية والنهاية، ١٣/٢١٦

ومصر فإن بها الجوز والموز والثلج والقصب والمياه جارية فيها تصعد إلى أماكن عالية وقد كانت قبل لك ثلاث مدن متقاربة ثم صارت بلدا واحدا ثم حولت من موضعها كما سيأتي الان ولما وصلت البشارة إلى دمشق دقت البشائر وزينت البلاد وفرح الناس فرحا شديدا ولله الحمد والمنة

ثم امر السلطان الملك المنصور قلاوون أن تهدم البلد بما فيها من العمائر والدور والأسوار الحصينة التي كانت عليها وأن يبنى على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن ففعل ذلك فهي هذه البلدة التي يقال لها طرابلس ثم عاد إلى دمشق مؤيدا منصورا مسرورا محبورا فدخلها يوم النصف من جمادى الاخرة ولكنه فوض الامور والكلام في الاموال فيها إلى إلى علم الدين ." (١)

" هم المذكورون في التي قبلها وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول وصاحب مكة نجم الدين أبو نمي محمد بن إدريس بن علي بن قتادة الحسيني وصاحب المدينة عز الدين جماز بن شيحة الحسيني وصاحب الروم غياث الدين كنجسر وهو ابن ركن الدين قلج أرسلان السلجوقي وصاحب حماة تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمد وسلطان بلاد العراق وخراسان وتلك النواحي ارغون بن أبغا بن هولاكوين تولى بن جنكزخان

وكان أول هذه السنة يوم الخميس وفيه تصدق عن الملك المنصور بأموال كثيرة جدا من الذهب والفضة وأنزل السلطان إلى تربته في ليلة الجمعة فدفن بها تحت القبة ونزل في قبره بدر الدين بيدرا وعلم الدين الشجاعي وفرقت صدقات كثيرة حينئذ ولما قدم الصاحب شمس الدين بن السلعوس من الحجاز خلع عليه للوزارة وكتب تقليده بها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر كاتب الانشا بيده وركب الوزير في أبهة الوزارة إلى داره وحكم ولما كان يوم الجمعة قبض على شمس الدين سنقر الاشقر وسيف الدين بن جرمك الناصري وأفرج عن الامير زين الدين كتبغا وكان قد قبض عليه مع طرقطاي ورد عليه أقطاعه وأعيد التقي توبة إلى وزارة دمشق مرة أخرى وفيها اثبت ابن الخوي محضرا يتضمن ان يكون تدريس الناصرية للقاضي الشافعي وانتزعها من زين الدين الفارقي

فتح عكا وبقية السواحل

وفيها جاء البريد إلى دمشق في مستهل ربيع الاول لتجهيز الات الحصار لعكا ونودي في دمشق الغزاة في سبيل الله إلى عكا وقد كان أهل عكا في هذا الحين عدوا على من عندهم من تجار المسلمين

---

(١) البداية والنهاية، ٣١٣/١٣

فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأبرزت المناجيق إلى ناحية الجسورة وخرجت العامة والمتطوعة يجرون في العجل حتى الفقهاء والمدرسين والصلحاء وتولى ساقها الامير علم الدين الدويداري وخرجت العساكر بين يدي نائب الشام وخرج هو في آخرهم ولحقه صاحب حماة الملك المظفر وخرج الناس من كل صوب واتصل بهم عسكر طرابلس وركب الأشرف من الديار المصرية بعساكره قاصدا عكا فتوافت الجيوش هنالك فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الاخر ونصبت عليها المناجيق من كل ناحية يمكن نصبها عليها واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاربتها والتضييق على أهلها واجتمع الناس بالجوامع لقراءة صحيح البخاري فقرأه الشيخ شرف الدين الفزاري فحضر القضاة والفضلاء وال ا عيان وفي أثناء محاصرة عكا وقع تخبيط من نائب الشام حسام الدين لاجين فتوهم أن السلطان يريد مسكه وكان قد اخبره بذلك الامير الذي يقال له أبو خرص فركب هاربا فرده علم الدين الدويداري بالمسابه وجاء به إلى السلطان فطيب قلبه وخلع عليه تم ." (١)

" ثم ترك المناصب وحج وجاور بمكة ثم قدم دمشق فأقام بها دون السنة ومات توفي يوم الجمعة ثامن وعشرين ذي الحجة وصلى عليه بعد الجمعة بالجامع ودفن بتربتهم بسفح قاسيون وعمل عزاؤه بالصاحبية

ياقوت بن عبد الله

ابو الدر المستعصمي الكاتب لقبه جمال الدين وأصله رومي كان فاضلا مليح الخط مشهورا بذلك كتب ختما حسانا وكتب الناس عليه ببغداد توفي بها في هذه السنة وله شعر رائق فمنه ما اورده البرزالي في تاريخه عنه ... تجدد الشمس شوقي كلما طعلت ... الى محياك يا سمعي ويا بصري ... وأسهر الليل في انس بلاونس ... إذ طيب ذكراك في ظلماته يسرى ... وكل يوم مضى لا أراك به ... فلست محتسبا ماضيه من عمري ... ليلى نهار إذا ما درت في خلدي ... لأن ذكرك نور القلب والبصر ...

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة وفيها كانت وقعة قازان وذلك ان هذه السنة استهلت والخليفة والسطان هما المذكوران في التي قبلها ونائب مصر سلار ونائب الشام اقوش الافرم وسائر الحكام هم المذكورون في التي قبلها وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام وقد خاف الناس من ذلك خوفا شديدا وجفل الناس من بلاد حلب وحماة وبلغ كرى الخيل من حماة الى دمشق نحو المائتي درهم فلما كان يوم الثلاثاء ثاني المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من مصر قاصدا الشام فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان الى دمشق في مطر شديد ووحل كثير ومع هذا خرج الناس لتلقيه وكان قد

---

(١) البداية والنهاية، ١٣/٣٢٠

اقام بغزة قريبا من شهرين وذلك لما بلغه قدوم التتار الى الشام فتهيأ لذلك وجاء فدخل دمشق فنزل بالطارمة وزينت له البلد وكثرت له الأدعية وكان وقتا شديدا وحالا صعبا وامتلأ البلد من الجافلين النازحين عن بلادهم وجلس الأعسر وزير الدولة وطالب العمال واقتضروا اموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول ولم يتخلف احد من الجيوش وخرج معهم خلق كثير من **المتطوعة** واخذ الناس في الدعاء والقنوت في الصلوات بالجامع وغيره وتضرعوا واستغاثوا وابتهلوا الى الله بالادعية

وقعة قازان لما وصل السلطان الى وادي الخزندار عند وادي سلمية فالتقى التتر هناك يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول فالتقوا معهم فكسروا المسلمين وولى السلطان هاربا فانا لله وانا اليه راجعون وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم ومن العوام خلق كثير وفقد في المعركة قاضي قضاة ." (١)

" ولبس أقبجاشد الدواوين في باب الوزير شمس الدين سنقر الأعسر وباشر الأمير عز الدين ايبك الدويدار النجيبي ولاية البر بعد ما جعل من أمراء الطبلخانة ودرس الشيخ كمال الدين بن الزملكاني بأم الصالح عوضا عن جلال الدين القزويني يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان وفي هذا اليوم ولي قضاء الحنفية شمس الدين بن الصفي الحريري عوضا عن حسام الدين الرومي فقد يوم المعركة في ثاني رمضان ورفعت الستائر عن القعلة في ثالث رمضان وفي مستهل رمضان جلس الأمير سيف الدين سلار بدار العدل في الميدان الأخضر وعنده القضاة والأمراء يوم السبت وفي السبت الآخر خلع على عز الدين القلانسي خلعة سنية وجعل ولده عماد الدين شاهدا في الخزانة وفي هذا اليوم رجع سلار بالعساكر الى مصر وانصرفت العساكر الشامية الى مواضعها وبلدانها وفي يوم الاثنين عاشر رمضان درس على بن الصفي بن ابي القاسم البصراوي الحنفي بالمدينة المقدمية وفي شوال فيها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتتر ويؤذي المسلمين وشنق منهم طائفة وسمر آخرون وكحل بعضه وقطعت ألسن وجرت امور كثيرة وفي منتصف شوال درس بالدولعية قاضي القضاة جمال الدين الزرعي نائب الحكم عوضا عن جمال الدين بن الباجريقي وفي يوم الجمعة العشرين منه ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق الى جبال الجرد وكسروان وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من **المتطوعة** والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية بسب فسادنيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا حين اجتازوا ببلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم واخذوا اسلحتهم وخيولهم وقتلوا كثيرا منهم فلما وصلوا الى بلادهم جاء رؤساؤهم

---

(١) البداية والنهاية، ١٤/٦

الى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب وحصل بذلك خير كثير وانتصار كبير على اولئك المفسدين والتزموا برد ما كانوا اخذوه من أموال الجيش وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها الى بيت المال وأقطعت اراضيهم وضياعهم ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون احكام الملة ولا يدينون دين الحق ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذي القعدة وتلقاه الناس بالشموع الى طريق بعلبك وسط النهار وفي يوم الأربعاء سادس عشره نودي في البلد ان يعلق الناس الأسلحة بالدكاكين وأن يتعلم الناس الرمي فعملت الأماجات في أماكن كثيرة من البلد وعلقت الأسلحة بالأسواق ورسم قاضي القضاة بعمل الأماجات في المدارس وأن يتعلم الفقهاء الرمي ويستعدوا لقتال العدو ان حضر وبالله المستعان

وفي الحادي والعشرين من ذي القعدة استعرض نائب السلطنة اهل الأسواق بين يديه وجعل على كل سوق مقدما وحوله اهل سوقه وفي الخميس رابع عشرينه عرضت الأشراف مع نقيبهم نظام ." (١)

"سيروا على بركة الله، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف. ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق فاجتمع إليه الناس أيضا من **المطوعة** المحتسبين أجورهم على الله، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومي المرعشي، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم، وعرض أهلها الجزية على مسلمة، فأبى إلا أن يفتحها عنوة، قالوا: فابعث إلينا إليون نشاوره. فأرسله إليهم، فقالوا له: رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا. فرجع إلى مسلمة، فقال له: قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها ما لم تنح عنهم. فقال مسلمة: إني أخشى غدرك، فحلف له أن يدفع إليه مفاتيحها وما فيها، فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار. وغدر إليون بالمسلمين، قبحه الله.

قال ابن جرير وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أن يكون الخليفة من بعده، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك بن مروان، فعدل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب، وتربص بأخيه الدوائر فمات أيوب في حياة أبيه، فبايع سليمان لابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده، ولنعم ما فعل. وفيها فتحت مدينة الصقالبة. قال." (٢)

---

(١) البداية والنهاية، ١٤/١٢

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٢/٦٣٣

"ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة

فيها خرج عبد السلام بن هاشم اليشكري بأرض قنسرين، واتبعه خلق كثير، وقويت شوكته، فقاتله خلق من الأمراء، وجهز إليه المهدي جيوشا، وأنفق فيهم أموالا جزيلة، وهزم الخارجي الجيوش مرات، ثم إنه قتل بعد ذلك.

وفيها غزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفا من المرتزقة سوى **المطوعة**، فقهر الروم، وحرق بلدانا كثيرة وخربها، وأسر خلقا من الذراري.

وكذلك غزا يزيد بن أبي أسيد السلمي بلاد الروم من باب قاليقلا، فغنم وسلم وسبى خلقا كثيرا.

وفيها خرجت طائفة بجرجان، فلبسوا الحمرة؛ ولهذا يقال لهم: المحمرة. مع رجل يقال له: عبد القهار. فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان، فقهر عبد القهار، فقتله وأصحابه.

وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والآفاق على المجذمين." (١)

"وفيها وقعت وحشة بين الخليفة ومؤنس الخادم، بسبب أن الخليفة ولى الحسبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت، وكان أميرا على الشرطة أيضا، فقال مؤنس: إن الحسبة لا يتولاها إلا القضاة والعدول، وهذا لا يصلح لها، ولم يزل بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة أيضا، وانصلح الحال بينهما، ثم تجددت الوحشة بينهما في ذي الحجة من هذه السنة، وما زالت تتزايد حتى آل الحال إلى قتل المقتدر بالله، كما سنذكره.

وفي هذه السنة أوقع ثمل متولي طرسوس بالروم وقعة عظيمة جدا، قتل منهم خلقا كثيرا، وأسر نحوا من ثلاثة آلاف، وغنم من الذهب والفضة والديباج شيئا كثيرا جدا، ثم أوقع بهم مرة ثانية كذلك. وكتب ابن الديراني الأرمني إلى الروم يحضهم على الدخول إلى بلاد الإسلام، ووعدهم منه النصر والإعانة، فدخلوا في جحافل كثيرة جدا، وانضاف إليهم الأرمن، فركب إليهم مفلح، غلام يوسف بن أبي الساج، وهو يومئذ نائب أذربيجان واتبعه خلق كثير من **المطوعة**، فقصد أولا بلاد ابن الديراني، فقتل من الأرمن نحوا من مائة ألف، وأسر خلقا كثيرا، وغنم أموالا جزيلة جدا، وتحصن ابن الديراني بقلعة له هنالك، وجاءت الروم، فوصلوا إلى سميساط فحاصروها، فبعث أهلها يستصرخون بسعيد بن حمدان نائب الموصل فسار إليهم مسرعا، فوجد الروم قد كادوا يفتحونها، فلما علموا بقدومه أجلوا عنها واجتازوا بملطية فنهبوها، ورجعوا خاسئين إلى

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٤٩٣/١٣

بلادهم، ومعهم ابن نفيس المتنصر، وقد كان من أهل بغداد قبل ذلك كما ذكرناه قبل. وركب ابن حمدان في آثار الروم، فدخل." (١)

"وعنده ألف رجل يخدمونه، وثلاثمائة يحلقون حجيجه، وثلاثمائة وخمسون يغنون ويرقصون على باب الصنم، وقد كان العبد – يعني الملك محمود بن سبكتكين – يتمنى قلع هذا الصنم، وكان يعوقه عنه طول المفاوز وكثرة الموانع، ثم استخار الله تعالى وتجشم بجيشه تلك الأهوال إليه في ثلاثين ألفا ممن اختارهم سوى **المطوعة**، فسلم الله تعالى حتى انتهينا إلى بلد هذا الوثن، فملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفا، وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار.

وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا أموالا جزيلة للملك محمود بن سبكتكين ليترك لهم هذا الصنم الأعظم، فأشار من أشار من الأمراء بقبول تلك الأموال الجزيلة، فقال: حتى أستخير الله تعالى. فلما أصبح قال: إني فكرت في الأمر فرأيت إذا نوديت يوم القيامة، فيقال: أين محمود الذي كسر الصنم ؟ أحب إلي من أن يقال: أين محمود الذي ترك الصنم ؟ ثم عزم فكسره، فوجد عليه وفيه من الذهب واللآلئ والجواهر النفيسة ما ينيف على ما بذلوه بأضعاف مضاعفة، مع ما ادخر الله تعالى له من الأجر الجزيل في الآخرة والثناء الجميل في الأولى، فرحمه الله وأكرم مثواه.

وفي يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة إلى بغداد فتلقاه الخليفة في دجلة في الطيار، ومعه الأكابر والأعيان، فلما واجه جلال الدولة قبل الأرض دفعات، ثم سار إلى دار الملك، وعاد الخليفة إلى داره، وأمر جلال الدولة أن يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الثلاث، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة وصمصامها وشرفها وبهائها، وكان الخليفة يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الخمس، فأراد جلال الدولة ذلك، فقيل: لا يحسن مساواة الخليفة. ثم صمم على ذلك في أوقات الصلوات الخمس.." (٢)

"المشرقية، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج، فقتلت وغنمت وسلمت وكسرت وأسرت، ورجعت فبشرت بمقدمات الفتح والنصر، وجاء السلطان في جحافله والتفت عليه جميع العساكر البادي منهم والحاضر، فرتب الجيوش والأطلاب، وسار قاصدا بلاد الساحل، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفا غير **المطوعة**، فتسامعت الفرنج بمقدمه، فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم، ودخل معهم قومص أطرابلس الغادر وإبرنس الكرك الفاجر، وجاءوا بقضهم وقضيضهم

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٥/٥٣

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٥/٦١٦

وأهل أوجهم وحضيضهم، واستصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت، وضلال الناسوت واللاهوت، في خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، يقال: كانوا خمسين ألفا. وقيل: ثلاثا وستين ألفا. وقد خوفهم صاحب طرابلس بأس المسلمين، فاعترض عليه الإبرنس أرناط صاحب الكرك فقال له: لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم، والنار لا تخاف من كثرة الحطب. فقال القومص لهم: ما أنا إلا منكم، وسترون غب ما أقول لكم. فتقدموا وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك، وتحصنت عنه القلعة فلم يشتغل بها، وحاز البحيرة في حوزته، ومنع الكفرة أن يصلوا منها إلى غرفة، أو يروا للماء ريا، وأقبلوا في عطش لا يعلمه إلا." (١)

"لاجين، وهو الذي افتتحها ؛ وكان جملة ما افتتحه في هذه المدة القريبة قريبا من خمسين بلدا كل بلدة لها مقاتلة وقلعة ومنعة، فلله الحمد.

وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن شيئا كثيرا، وسبوا شيئا كثيرا لا يحد ولا يوصف، واستبشر الإسلام وأهله شرقا وغربا بهذا النصر العظيم والفتوحات الهائلة. وترك السلطان جيوشه ترتع في هذه الفتوحات والغنائم الكثيرة مدة شهور ؛ ليستريحوا ويجمعوا أنفسهم وخيولهم ليتأهبوا لفتح بيت المقدس الشريف، وطار في الناس أن السلطان عزم على فتح بيت المقدس فقصده العلماء والصالحون **والمتطوعة** من كل فج عميق، وجاء أخوه العادل بعد وقعة حطين وفتح عكا ففتح بنفسه حصونا كثيرة أيضا، فاجتمع من عباد الله ومن الجيوش **المتطوعة** خلق كثير وجم غفير، فعند ذلك قصد السلطان بيت المقدس بمن معه، كما سيأتي بيانه.

وقد امتدح الشعراء الملك صلاح الدين بسبب وقعة حطين فقالوا وأكثروا، وأطابوا وأطنبوا، وكتب إليه القاضي الفاضل من دمشق - وكان مقيما بها لمرض ناله -: ليهن المولى أن الله قد أقام به الدين القيم، وأنه كما قيل: أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. وأنه قد أسبغ عليه النعمتين ؛ الباطنة والظاهرة، وأورثه الملكين ؛ ملك الدنيا وملك الآخرة، كتب المملوك الخدمة، والرءوس إلى الآن لم ترفع من سجودها، والدموع لم تمسح من خدودها، وكلما فكر المملوك أن البيع تعود وهي مساجد، والمكان الذي كان يقال فيه: إن الله ثالث ثلاثة، يقال اليوم فيه: إنه الواحد. جدد لله شكرا تارة يفيض من لسانه." (٢)

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٦/٥٨٠

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٦/٥٨٤

"الجيش والمطوعة والأعراب وغيرهم، ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول، ارفض ذلك الجمع، ولم يصبر لا هو ولا هم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها توفي من الأعيان:
واقف الصدرية الرئيس صدر الدين أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا بن بركات بن مؤمل التنوخي المعري ثم الدمشقي الحنبلي، أحد المعدلين ذوي الأموال والمروءات والصدقات الدارة البارة، وقف مدرسة للحنابلة، وقبره بها إلى جانب تربة القاضي المصري في رأس درب الريحان من ناحية الجامع الأموي، وقد ولي نظر الجامع مدة، وقد استجد أشياء كثيرة، منها سوق النحاسين قبلي الجامع، ونقل الصاغة إلى مكانها الآن، وقد كانت قبل ذلك حيث يقال لها: الصاغة العتيقة. وجدد الدكاكين التي بين أعمدة الزيادة، وثمر للجامع أموالا جزيلة، وكانت له صدقات كثيرة، وذكر عنه أنه." (١)

"ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة
فيها كان فتح مدينة طرابلس، وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيوش المنصورة المصرية في صحبته إلى دمشق فدخلها في الثالث عشر من صفر، ثم صار بهم وبجيش دمشق وصحبته خلق كثير من المطوعة؛ منهم القاضي نجم الدين الحنبلي قاضي الحنابلة، وخلق من المقادسة وغيرهم، فنازل طرابلس يوم الجمعة مستهل ربيع الأول، وحاصرها بالمجانيق حصارا شديدا، وضيقوا على أهلها تضييقا عظيما، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقا، فلما كان يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر فتحت طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوة، وشمل القتل والأسر جميع من فيها، وغرق كثير من أهل الميناء ونهبت الأموال، وسبيت النساء والأطفال، وأخذت الذخائر والحواصل، وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ، كان الملك صنجيل الفرنج حاصرها سبع سنين حتى ظفر بها كما ذكرنا، وقد كانت قبل ذلك في أيدي." (٢)

"لعكا، ونودي في دمشق: الغزاة في سبيل الله إلى عكا. وقد كان أهل عكا في هذا الحين عدوا على من عندهم من تجار المسلمين، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأبرزت المجانيق إلى ناحية الجسورة، وخرجت العامة والمطوعة يجرون في العجل، حتى الفقهاء والمدرسون والصلحاء، وتولى سياقتها الأمير علم الدين

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٣٨٩/١٧

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٦١٦/١٧

الدواداري، وخرجت العساكر بين يدي نائب الشام، وخرج هو في آخرهم، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر، وخرج الناس من كل صوب، واتصل بهم عسكر طرابلس، وركب الأشرف من الديار المصرية بعساكره قاصدا عكا، فتوافت الجيوش هنالك، فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر، ونصبت عليها المجانيق من كل ناحية يمكن نصبها عليها، واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاربتها والتضييق على أهلها، واجتمع الناس بالجامع لقراءة " صحيح البخاري "، فقرأه الشيخ شرف الدين الفزاري، وحضر القضاة والفضلاء والأعيان، وفي أثناء محاصرة عكا وقع تخبيط من نائب الشام حسام الدين لاجين، فتوهم أن السلطان يريد مسكه، وكان قد أخبره بذلك الأمير الذي يقال له: أبو خرص. فركب هاربا فرده علم الدين الدواداري بالمسابه، وجاء به إلى السلطان، فطيب قلبه وخلع عليه، ثم أمسكه بعد ثلاثة أيام، وبعثه إلى قلعة صفد، واحتاط على حواصله، ورسم على أستداره بدر الدين بكداش، وجرى ما لا يليق وقوعه هنالك، إذ الوقت وقت عسر وضيق وحصار، وصمم السلطان على الحصار، فرتب الكوسات ثلاثمائة حمل، ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر." (١)

"ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة

وفيها كانت وقعة قازان، وذلك أن هذه السنة استهلت والخليفة الحاكم العباسي، وسلطان البلاد الشامية والمصرية وما يتبعها من الممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون، ونائب مصر سلار، وبالشام جمال الدين آقوش الأفرم، والقضاة بالديار المصرية والبلاد الشامية هم المذكورون في التي قبلها، وقد تواترت الأخبار بقصد التتر إلى بلاد الشام، وقد خاف الناس من ذلك خوفا شديدا، وجفل الناس من بلاد حلب وحماة، وبلغ كراء الجمل من حماة إلى دمشق نحو المائتي درهم، فلما كان يوم الثلاثاء ثاني المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من الديار المصرية قاصدا الشام، فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان إلى دمشق، وقد أقام بغزة قريبا من شهرين، وذلك لما بلغه قدوم التتر إلى الشام تهيأ لذلك، وجاء فدخل دمشق في اليوم الذي ذكرنا في مطر شديد ووحل كثير، ومع هذا خرج الناس لتلقيه والدعاء له، فنزل بالطارمة، وزينت له البلد وكثرت له الأدعية، وكان وقتا شديدا وحالا صعبا، وامتلأ البلد من الجافلين النازحين عن بلادهم، وجلس الأعسر وزير الدولة، وطالب العمال، واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش، وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول، ولم يتخلف أحد من

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٧/٦٣٣

الجيوش، وخرج معهم خلق كثير من **المطوعة**، وأخذ الناس في الدعاء والقنوت في الصلوات بالجامع وغيره، وتضرعوا واستغاثوا وابتهلوا إلى الله بالأدعية.." (١)

"وفي شوال منها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتتر ويؤذي المسلمين، فشنق منهم طائفة، وسمر آخرون، وكحل بعضهم، وقطعت ألسن، وجرت أمور كثيرة.

وفي منتصف شوال درس بالدولعية قاضي القضاة جمال الدين الزرعي نائب الحكم عوضا عن جمال الدين بن الباجربقي.

وفي يوم السبت العشرين من شوال ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان، وخرج الشيخ تقي الدين ابن تيمية ومعه خلق كثير من **المطوعة** والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد دينهم وعقائدهم، وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا؛ حين اجتازوا ببلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم، وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيرا منهم، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فاستتابهم، وبين لكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال، وأقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله. وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذي القعدة، وتلقاه الناس بالشموع إلى طريق بعلبك وسط النهار.

وفي يوم الأربعاء سادس عشره نودي بالبلد أن يعلق الناس الأسلحة بالدكاكين، وأن يتعلم الناس الرمي، فعملت الآماجات في أماكن كثيرة من." (٢)

"

الاستشعار ولما تعالى النار وعيل الاصطبار وزال القرار انقض الجدار فأبرت البشرى وتباشرت الأبرار وتسابق الناس إلى الثلمة واجتلوا لمع الرحمة من فرج الزحمة

وكان الفرنج قد جمعوا وراء ذلك الواقع حطبا وحموا به عن أنفسهم عطبا فلما وقع الجدار دخلت الرياح منها فعادت عليهم النار واحرقت البيوت الدانية منها في الجوانب وبلوا من كل صوب بالمصائب فاجتمعوا الى الجانب البعيد من النار وقد لفحهم وهج الاستشعار وصاحوا الأمان وأظهروا الإذعان وحنت

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٧١٧/١٧

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٧٣٠/١٧

حمت النيران من الهجوم عليهم والدخول إليهم وتسلق الخلق وتعلقوا فلقوا وفلقوا وأطلقوا أيديهم في القتل فقادوا وقيدوا وشدوا وشددوا

وجلس السلطان وأنا عنده وقد حمد الله تعالى وحده فمن احضر عنده من الأسارى استنطقه فمن كان مرتدا أو راميا بجرخ ضرب عنقه

وخلص من الأسر أكثر من مائة مسلم أحضروهم للعمارة وقطع الحجارة وأكثر من أسر قتله في الطريق الغزاة **المطوعة** والرعاع المجمعة وكان فتحا هنيا ومنحا سنيا

وما ظن لاحكام بنائه وتوثيق رفعه واعتلائه وتسفيح تله وتسطيح محله وتوعير سبله أنه يتأتى افتتاحه ويتصور اجتياحه وكان قد بذل في هدمه لليأس منه والسلو عنه مبلغ ستين ألف دينار فلم يذعنوا بالفرار وبلغ بالمبلغ مائة الف فثبتوا على الاصرار وقالوا ما أنفقنا فيه الأموال ونحن إليها مفتقرون وقد أخرج الداوية عليه جميع ما ملكوه وهم بقوتهم مستظهرون وظنوا أنهم به يحاصرون البلاد ويحصلون المراد ولو بقي الحصن لم يحصن البقاء ولدنا من البلاد البلاء ولأعضل بقرب الداوية الداء واعوز الدواء لكن الله نظر للإسلام ونصره وقمع الكفر وقهره ويسر لنا ما ظنناه عسيرا ولم يزل للمؤمنين نصيرا

ورأيت السلطان منتديا في حبى الحبور مستبشرا يتلألأ وجهه بنور السرور وعنده رسول القومص معافى وهو يشاهد أهل ملته ولا يجد لاستشعار همومه نقع

". (١)

"ومن الظواهر الصوتية التي عزيت إلى الأزد أيضا ظاهرة الاستنطاء(١)، وهي عبارة عن جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء، ومثلوا لها بالفعل (أنطى) بدلا من (أعطى). ومن شواهدها: ما روته أم سلمة – رضي الله عنها – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ﴿إنا أنطيناك الكوثر﴾(٢).وقرأ بها الحسن البصري وطلحة بن مصرف وابن محيصن والزعفراني(٣). كما قرأ ابن مسعود والأعمش: ﴿وأنطاهم تقواهم﴾(٤) في قوله تعالى: ﴿وآتاهم تقواهم﴾(٥)

٢- المستوى الصرفي:

حكى الفراء "أن من العرب – وهم قليل – من يقول في المتكبر: متكبر، كأنهم بنوه على يتكبر. وهو من لغة الأنصار ، وليس مما يبنى عليه. قال الفراء: وحدثت أن بعض العرب يكسر الميم في هذا النوع إذا أدغم

---

(١) البرق الشامي، ١٨٠/٣

، فيقول: هم المطوعة والمسمع للمستمع ، وهم من الأنصار، وهو من المرفوض"(٦).

والبخل والبخل بفتحتين، لغتان، الأخيرة لغة الأنصار، وقرئ بها قوله تعالى: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾(٧).

وروى الهجري عن ابن علكم: إن ثمالة وأهل السراة كلهم يقولون: الترحاب والتحباس والتفراق، يجئ هذا في التفعل والتفعيل. يشاركهم في ذلك فهم وعدوان، وخثعم ونهد وفصحاء مذحج(٨). قلت: ولا يزال هذا الاستعمال مسموعا إلى اليوم في سراة غامد وزهران وبني عمر.

---

(١) المزهر ٢٢٢/١، و التاج (المقدمة) ٨/١ (ن ط ا) ٣٧٢/١٠.

(٢) سورة الكوثر١.وينظر: المعجم الكبير للطبراني٣٦٥/٢٣ (٨٦٢)، وشواذ القرآن١٨٢، والكشاف٨٠٦/٤.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١٤٧/٢٠، والبحر المحيط ٥٥٥/١٠، والدر المصون ١٢٥/١١.

(٤) شواذ القرآن ١٤٢.

(٥) سورة محمد ١٧.

(٦) معاني القرآن ١٥٣/٢.

(٧) سورة النساء ٣٧، والحديد ٢٤. وينظر: السبعة ٢٣٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٩، وعون المعبود ٥/١١.

(٨) التعليقات والنوادر ١٠٧٨/٣.." (١)

"فى ضعف [١١٧ ب] فنزل على باب المدينة و كان درهم بن نصر يظهر أنه من المطوعة و أنه قصد قتال الشراة محتسبا فاستمال العامة فأطاعته و دخل المدينة و خرج منها [و اليها] «٣» الى بعض النواحى و لم يزل حتى تمكن من البلد و قاتلوه الشراة و كان لهم رئيس يعرف بعمار بن ياسر فانتدب لقتاله يعقوب [بن] «٥» الليث فقاتله و قتل عمار و كان لا يحزبهم أمر شديد إلا انتدب له يعقوب فكان يرتفع ذلك الأمر له على ما يحبه و استمال أصحاب درهم بن نصر حتى قلدوه الرياسة و صار الأمر له و كان درهم بن نصر بعد ذلك فى جملة يعقوب و أصحابه و لم يزل محسنا الى درهم بن نصر حتى استأذنه فى الحج فأذن له فحج و أقام ببغداذ مدة و عاد الى عمرو رسولا من أمير المؤمنين فقتله يعقوب و استفحل

---

(١) الأزد ومكانتهم في العربية، ٣١/١

أمره و أمر إخوته بعد ذلك حتى استولوا على فارس و كرمان و خراسان و بعص العراق و خوزستان، (١١) و مدينة الطاق على مرحلة من زرنج و تكون على ظهر الجائى من سجستان الى خراسان و هى مدينة صغيرة و لها رستاق و بها كروم و أعناب كثيرة يتسع بها أهل سجستان، و مدينة خواش من قرنين على مرحلة عن يسار الذاهب الى بست و بينها و بين الطريق نحو نصف فرسخ و هى أكبر من قرنين «١٧» و بها نخيل و أشجار و لها و للقرنين «٢٠» مياه جارية و قنى من تحت الأرض كثيرة، و فره «١٨» مدينة أكبر من هذه المدن و لها رستاق يشتمل على نحو ستين قرية و بها نخيل و فواكه و زروع و عليها نهر فره و أبنيتها طين و هى أرض سهلة، و جزه متصلة بعمل فره عن يمين الذاهب من سجستان الى خراسان على نحو مرحلة و هى ناحية مائية صغيرة نحو القرنين و لها قرى و رساتيق و هى خصبة و ماؤهم من قنى لهم و أبنيتهم أيضا من طين، و سروان مدينة صغيرة نحو القرنين إلا أنها أعمر و أكثر [أهلا] «٢٣» و بها

صورة الارض، ج ٢، ص: ٤٢١." (١)

"وقد كان معاوية شمت بعمرو، حيث لقى من على عليه السلام ما لقى، فقال عمرو في شماتة معاوية:

معاوى لا تشمت بفارس بهمة * لقى فارسا لا تعتريه الفوارس معاوى إن أبصرت في الخيل مقبلا * أبا حسن يهوى دهتك الوساوس وأيقنت أن الموت حق وأنه * لنفسك إن لم تمض في الركض حابس فإنك لو لاقيته كنت بومة * أتيح لها صقر من الجو آنس وماذا بقاء القوم بعد اختباطه * وإن امرأ يلقى عليا لآيس دعاك فصمت دونه الأذن هاربا * بنفسك قد ضاقت عليك الأمالس وأيقنت أن الموت أقرب موعد * وأن التى ناداك فيها الدهارس وتشمت بى أن نالنى حد رمحه * وعضضنى ناب من الحرب ناهس (١) أبى الله إلا أنه ليث غابة * أبو أشبل تهدى إليه الفرائس وأنى امرؤ باق فلم يلف شلوه * بمعترك تسفى عليه الروامس فإن كنت في شك فأرهج عجاجة * وإلا فتلك الترهات البسابس نصر: حدثنا عمرو بن شمر قال: حدثنا أبو ضرار قال: حدثنى عمار ابن ربيعة قال: غلس على بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، وقيل عاشر شهر صفر، ثم زحف إلى أهل الشام بعسكر العراق والناس على راياتهم، وزحف إليهم أهل الشام، وقد كانت الحرب أكلت الفريقين ولكنها في أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعا، فقد ملوا الحرب وكرهوا القتال، وتضعضعت أركانهم.

---

(١) صورة الارض، ٤١٢/١

قال: فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميت ذنوب، عليه السلاح، لا يرى منه إلا عيناه،

---

(١) في الأصل: " عضعضنى " والوجه ما أثبت.

والمطوعة لم ترد في مظنها من ح.

(*)." (١)

"ومن خلال المعلومات التي وردت في بعض المصادر ندرك أن أعداد الحشم لم تكن قليلة، يدل على ذلك ما ذكره ابن حيان من أن الأمير محمد بن عبد الرحمن أرسل أخاه الحكم بن عبد الرحمن على رأس صائفة، فوصل إلى قلعة رباح فأعاد إعمارها وأتقنها واسترجع أهلها إليها، وجعل عندهم جيشا كثيفا من الحشم(١)، كما أن الخليفة عبد الرحمن الناصر شحن مدن الأندلس وحصونها وقصابها وفروج ثغورها بالحشم(٢)، وهناك نص لابن حيان أكد فيه كثرة أعداد أولئك الحشم، فقد ذكر أن صاحب الشرطة محمد بن قاسم بن طملس خرج من قرطبة قائدا ومددا للوزير القائد غالب بن عبد الرحمن "فكان خروجه فخما ظاهرا في عسكر لجب من طبقات الحشم الذين استجاز حملاتهم"(٣).

وإلى جانب هذه العناصر التي ذكرناها والتي تشكل في مجملها القوات النظامية في الجيش الأموي بالأندلس، وجد المتطوعه الذين يخرجون للجهاد في سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم طلبا لما عند الله تعالى وإعلاء لكلمته، فقد كان هؤلاء **المتطوعة** بمجرد أن يسمعوا نداء الأمير أو الخليفة للجهاد يسارعون بتلبية النداء بلاد تردد، وكانت العدوة المغربية مصدرا من مصادر **المتطوعة** الذين يرون في الأندلس "دار جهاد وموطن رباط(٤)".

---

(١) - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٩٤.

(٢) - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٥٥-٤٥٦.

(٣) - المقتبس، تحقيق: د.عبد الرحمن الحجي، ص ٢٢٨.

(٤) - جغرافية الأندلس وأوربا، ص١٣٠. وانظر ابن الزبير، صلة الصلة، (تحقيق: ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط ١٩٣٧م). ترجمة رقم ٣٣٢.." (٢)

---

(١) وقعة صفين، ص/٤٧٣

(٢) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ١٣/٣

"وقد كان **المتطوعة** موضع ثناء أمراء وخلفاء بني أمية لسرعة استجابتهم وصالح بلائهم(١) ورغم أنه كان يسمح لهم بالعودة إلى ديارهم ومنازلهم بعد الغزو، إلا أن بعضهم يرفض العودة إلى أهله، مفضلا المرابطة في سبيل الله تعالى وحراسة الثغور على كل شيء، فأقاموا الربط(٢) التي كان لها بالليل دوي كدوي النحل من تلاوة القرآن وترديد ذكر الله تعالى، وفي النهار كان المرابطون فرسانا أشاوس يرهب جانبهم(٣). ورغم أننا لا نجد بيانا خاصا برواتب الجند النظاميين، فإننا لا نشك بأنه كانت هناك مرتبات شهرية تدفع لهم، فقد كان الأمويون لا "يزيدون فارسا على خمسة دنانير للشهر شيئا، مع نفقته وعلف فرسه(٤)".

---

(١) – المقتبس، تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي، ص٢٢٦.

(٢) – عن الربط انظر: المالكي، رياض النفوس، (تحقيق:د.حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية ط الأولى ١٩٥١م) ج١ ص٢٥-٢٧ من مقدمة المحقق.

(٣) – در ا سات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٩٦-٣٠٠.

(٤) – الحلل الموشية، ص٨٢.." (١)

"وهذا المرتب كان يتأثر بالحالة السياسية للدولة، فإنه نظرا للإضطراب السياسي الذي كانت تعاني منه الدولة الأموية إبان إمارة الأمير عبد الله بن محمد بسبب كثرة الفتن، نجد أنه ضيق على جنوده وقلل أعطياتهم(١). وكما أن المرتبات تتأثر بالوضع السياسي للدولة، فكذلك يتأثر عطاء كل جندي وفق بسالته وشجاعته، "فمن ظهرت نجدته وإعانته وشجاعته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده(٢)"، والأمير عبد الرحمن الداخل عندما كان في إحدى معاركه في الثغر الأعلى نظر إلى أحد فرسانه وقد أظهر كفاءة وشجاعة نادرتين، فأمر أحد فتيانه أن يسأل عن الرجل، فإن كان من أشراف الناس أعطاه ألف دينار، وإن كان من أفناء الناس فيعطيه نصفها(٣)، وأما من استشهد من جند الجيش الأموي فإن عطاؤه وأرزاقه تنتقل إلى ذريته(٤).

وأما **المتطوعة** الذين لا ذكر لهم في الديوان، فهم بالإضافة إلى ما يغنمونه من المعارك فإن لهم صلات من ال أمراء والخلفاء(٥).

---

(١) – أخبار مجموعة، ص ١٥٠-١٥١.

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ٣/ ١٤

(٢) – الحلل الموشية، ص ٨٢.
(٣) – أخبار مجموعة ص١١٩، والمكافأة على الشجاعة والاستبسال أول من أقرها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بأن يفرض لخارجة بن حذافة رضي الله عنه في شرف العطاء لشجاعته. انظر: البلاذري، فتوح البلدان، (بعناية: رضوان محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، ط الأولى ١٣٥٠هـ)، ص٤٤٢ .
(٤) – أخبار مجموعة، ص١٢٠. وهو في هذا متبع لفعل الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه، انظر: فتوح البلدان، ص ٤٤٧.
(٥) – البيان المغرب ٣/٤.." (١)

"ورغم حرص حكومة قرطبة على أن تلتزم كل كورة بما تقدمه من فرسان، إلا أن الوضع السياسي العام للدولة له أكبر الأثر في أعداد أولئك الفرسان، ففي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن كان عدد الجيش مائة ألف فارس منهم عشرون ألفا بدروع الفضة(١)، وأما في عهد الأمير عبد الله بن محمد فقد كانت الدولة تعيش فترة مضطربة، بسبب كثرة حركات التمرد والعصيان التي اندلعت في أرجاء الأندلس، مما قلص نفوذ الإمارة كثيرا بحيث لم يعد يتجاوز قرطبة وما جاورها، حتى أن الأمير عبد الله عندما خرج سنة ٢٧٨هـ (٨٩١م) لمواجهة ابن حفصون كان تعداد القوة التي رافقته أربعة عشر ألف رجل بمن فيهم جنده والحشم والموالي **والمطوعة** والمرتزقة(٢). بل إن قائده الشهير أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبد ه كان يخوض معاركة بثلاثمائة فارس انتخبهم من خيرة المدونة(٣).
وعلى العكس من عصر الأمير عبد الله نجد أن الجيش أصبح تعداده هـ ائلا في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، إذ أدرك منذ وصوله للحكم معنى توفر قوة عسكرية ضاربة لدى حكومته، فعمل على إصلاح الجيش وحشد الجند، حتى أنه كان ينفق ثلث خزينة الدولة على جيشه(٤)، حتى أصبح لديه أفضل جيش في العالم(٥) ولنا أن نتصور ضخامة الجيش الذي خاض معركة "الخندق" بعد أن حشر له الناس حشرا(٦)، وإذا كان عدد قتلى المسلمين في المعركة بلغ أربعين أو خمسين ألف (٧)، فكم سيكون العدد الكلي للجيش إذن؟

---

(١) – ابن الكردبوس، ص ٥٧. ابن أبي دينار، ص٩٩.

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ٣/١٥

(٢) – المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص١٠٤. العرب في إسبانيا، ص٨٩.

(٣) – المقتبس، تحقيق:أنطونيه، ص ١٢٩.

(٤) – البيان المغرب، ٢/٢٣١.

(٥) – مختصر تاريخ العرب، ص ٤٢٠.

(٦) – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٣٣.

(٧) – العرب في إسبانيا، ص١٠٨. دولة الإسلام في الأندلس، ع١ق٢ ص ٤١٤.." [١]

"ولم تلغ ضريبة الحشود والبعوث عن أهل قرطبة إلا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي ترك الأمر عائدا لهمة أهلها، إلا في حالة تعرض البلاد لهجوم مفاجئ من أي جهة كانت، ثم أعيدت هذه الضريبة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(١)، وأصبح **المتطوعة** يشكلون قوة رئيسة في الجيش لديه، وقد كثرت أعدادهم في جيشه، حتى أن "جموعهم إذا توافت، وأعدادهم إذا تكاملت تضيق عنهم بلاد العدو ولا تسعهم غلاتها، ولا ترويهم مياهها(٢)"، وقد توقف العمل بتلك الضريبة بعد معركة الخندق(٣)

---

(١) – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٧١.

(٢) – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٤٩.

(٣) – وذلك لأن القتلى والأسرى في تلك المعركة كان جلهم من **المتطوعة** انظر: المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٤٣٦. اهتم الأندلسيون بأمر التطوع، ووصل الأمر ببعضهم أن وضع أقوالا نسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم كلها تحض على الجهاد في الأندلس، كما أن المرابطة في الثغر إلى نيل الشهادة كانت اولى الحلول لدى الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى بوصفها كفارة للقاتل إذا أبى أهل القتيل القصاص أو الدية . انظر: بغية الملتمس، ص ١٤. النباهي، تاريخ قضاة الندلس، ص ٦٢. ومن هنا لا نستغرب كثرة **المتطوعة** الذين يخرجون للجهاد في سبيل الله تعالى. وقد ذكر ليفي بروفنسال L.Provencal: Op. Cit. 3, P: 68 وتابعه هشام أبو رميلة في رسالته عن "نظم الحكم في الأندلس،ص٣٠٧" أن الحشاد الذين يتم تكليفهم من قبل حكومة قرطبة، لأجل حشد **المتطوعة** واستنفارهم، كانوا يلجأون إلى طرق ملتوية في الحشد، ولم يفسر بروفنسال ولا من تابعه تلك الطرق الملتوية. وأود أن أذكر هنا أنه إذا كانت كلمات الحشاد التي تعتمد على إثارة الناس من خلال تذكيرهم بعظيم الأجر

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ٣/١٨

والمثوبة لمن جاهد حتى تكون كلمة الله هي العليا وما ادخر للشهيد من ثواب، وكذلك إلهاب حماس المخاطبين بالأشعار والأقوال المؤثرة، إذا كان هذا هو التحايل فقول بروفنسال مردود عليه. وبمقابل جهود الحشاد في استنفار الناس للجهاد، نجد أن الرهبان مع ألفونس الثاني "٢٢٧هـ /٨٤٢م" ملك جليقية "وليون" قد اخترعوا "سنة ١٩٧هـ/٨١٣م" قصة القديس يعقوب وذلك لإثارة النصارى ودفعهم للاستماتة في القتال ضد المسلمين. انظر العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، ص ١١٩.." [١]

"وعندما أعلن الجهاد، لمواصلة المسيرة العسكرية لأبيه وأخيه، لم يستجب له إلا المرتزقة ويسير من **المطوعة**(١)، ثم ارتكب حماقة كبيرة عندما خرج بمن استجاب له في أشد أوقات السنة برودة(٢)، وسلك طريقا يدعى بالعريان(٣)، فاقتحم أرض جليقية(٤)، من قبل طليطلة، وهو على حاله في المجانة والخلاعة(٥)، فلما وصل طليطلة بلغه نبأ اندلاع الفتنة في قرطبة، فكر راجعا إليها، وعندما بلغ قلعة رباح(٦)

---

(١) – المصدر السابق ٣/٣٩.

(٢) – نفسه ٣/٦٦.

(٣) – ذكر ابن عذاري أن شنجول عندما سلك هذا الطريق، تفائل له قوم من الناس وقالوا: أعرى هذا الفتى. البيان المغرب ٣/٣٩.

(٤) – جليقية هي المنطقة الممتدة من نهر دويرة جنوبا حتى الساحل الشمالي لأسبانيا ومن ساحل البحر المحيط لها حتى منطقة قشتالة، انظر: البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٧١-٧٣، الروض المعطار ص١٦٩، ويعتبر الفونسو الأول بن بطره حاكم إمارة كانتبريا المؤسس الحقيقي لمملكة جليقية، وذلك حوالي النصف الأول من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) انظر: د.عبد الرحمن علي الحجي، اندلسيات، المجموعة الثانية، (بيروت، دار الإرشاد، ط الأولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ص٤٢. و أما اليوم فإن إقليم جليقية هو الركن الشمالي لأسبانيا وهو يضم أربع مديريات تحمل كل منها اسم عاصمتها، وهي في مجموعها ولايات بحرية، يعمل أهلها بالزراعة وتربية الماشية وصيد السمك وبناء السفن. انظر: رحلة الأندلس ص٣٦٢-٣٦٣.

(٥) – البيان المغرب ٣/٤٨.

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ٣/٢٠

(٦) – قلعة رباح Calatrava من عمل مدينة جيان، تقع بين قرطبة وطليطلة، وتوصف بأنها مع مدينة طلبيرة حد فاصل بين أرض النصارى وأرض المسلمين، وفي العصر الحالي تتبع المدينة الملكية Ciudad real في إقليم لامنشا La Mancha . وقلعة رباح تبعد عن هذه المدينة بإثنى عشر كيلو متر إلى الشمال الشرقي منها، واكتسبت اسم رباح نسبة للتابعي الشهير علي بن رباح اللخمي الذي دخل الأندلس مع موسى بن نصير رحمهما الله تعالى. وقد سقطت قلعة رباح مع طليطلة في يد الفونسو السادس ملك قشتالة وذلك سنة ٤٧٨هـ ثم استعادها أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي بعد انتصاره في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ، ثم خرجت من أيدي المسلمين نهائيا عندما استولى عليها الفونسو الثامن ملك قشتالة سنة ٦٠٩هـ، وقد أصبحت فيما بعد مقرا للنظام الديني الرهباني المسمى La order de calitrava الذي تجرد لمحاربة= =المسلمين، انظر المقتبس، تحقيق د.محمود مكي التعليق رقم ٤٧٨، الحلة السيراء ١٧٧/٢ حاشية رقم٣ ، الروض المعطار ص ٤٦٩.." (١)

"وأغزى الرشيد عام ١٩١ هـ يزيد بن مخلد الهبيرى بلاد الروم في عشره آلاف، فأخذت عليه الروم المضيق فقتلوه في خمسين من أصحابه على مرحلتين من طرسوس، وانهزم الباقون. فولى الرشيد الصائفة الهرثمة بن أعين، وقام هو بنفسه فافتتح هرقلة(١). وأرسل محمد بن يزيد بن مزيد الشيباني أشهر قادته إلى طرسوس مرابطا(٢). فكانت جهود الرشيد قد تركت جرحا عميقا في جسد الدولة البيزنطية، وكانت مرابطة طرسوس وأهلها شجى في حلوق الروم، فلم تستطع بيزنطة أن تفيق منها في سهولة ويسر، يدل على هذا أنها لم تحاول استغلال أوضاع الدولة العباسية أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون(٣)
(١٩٣-١٩٤هـ). فمكن طرسوس وبقية الثغور من أن تحتفظ بمركزها، بل أن تقوم بدور فعال في الجهاد بنفسها. وظهر إلى جانب المجاهدين من أهلها **المتطوعة** الذين كان لهم أثر محمود في الجهاد إجمالا، وخاصة في الثغور، وكانوا يجعلون في جناحي الجيش النظامي، فتكون وظيفتهم الإحاطة بجناحي العدو، دون أن يختلطوا بالجند النظامي المدرب، أو أن يوكل إليهم أن يغيروا على العدو، قبل نشوب الحرب لإزعاجه في قواعده، وعرقلة تجمعاته، وتخريب مدخراته، وقطع مواصلاته، كما قد يوكل إليهم مهمة مطاردة العدو عند تقهقره.

وقد ظهر دور **المتطوعة** في الثغور جليا إبان ضعف الدولة الإسلامية، الداخلي، وعدم قدرة الخلفاء على تسيير الجيوش أثناء الفتن الداخلية. وكانت أعمالهم كما عبر عنها الذهبي: تسر قلب المسلم(٤).

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ٥٧/٧

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٦.

(٢) ابن تغري– النجوم الزاهرة– ٢/ ١٣٦

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/٤٠.

(٤) العالم الإسلامي ص ١٦٥.." (١)

"استكملت طرسوس قوتها البرية والبحرية في عهد المتوكل على الله، ولما قتله القادة الأتراك عام ٢٤٨ هـ تنافسوا على السلطة، والتسلط على الخلفاء، فدبت الفوضى في مركز الخلافة في الفترة (٢٤٨– ٢٥٦ هـ) ففقدت الثغور الإمدادات العسكرية، وقامت بعبء الجهاد معتمدة على نفسها، وتعرضت لكارثة كبيرة عام ٢٤٩ هـ، باستشهاد أمير المسلمين في الثغور المجاهد عمر بن الأقطع، ومعه ألف رجل، واستشهاد علي بن يحي الأرمني أمير طائفة أخرى من المجاهدين في الثغور.

ووصلت أخبار الكارثة إلى بغداد، فجمع أهل اليسار أموالا كثيرة من أهل بغداد، لتصرف إلى من ينهض إلى ثغور المسلمين لقتال العدو، عوضا عن من استشهد من المسلمين هناك. فأقبل الناس من نواحي الجبال، وأهواز، وفارس لغزو الروم، ذلك لأن الخليفة والجيش لم ينهضوا لقتال الروم(١) فورد طرسوس عدد من المجاهدين رابطوا فيها ومنهم أحمد بن طولون ومعه الخاقاني وكان خصيصا عنده، وردها عام ٢٥١ هـ(٢) ورابط بها، وأدمن على الغزو والجهاد. فحصلت نقطة تحول تاريخي، إذ ظهر دور **المتطوعة** وأهالي الثغور بوضوح في التصدي للروم، وأصبحت طرسوس تظهر بقوة عظيمة، منها تخرج النجدات لأهالي الثغور، ولا يجرؤ الروم على مهاجمتها.

(١) البداية والنهاية ١١/٣.

(٢) ابن تغري ٣/٥.." (٢)

"وقام أحمد بن طغان بالفداء عام ٢٨٣ هـ على نهر اللامس ، ومعه راغب ومواليه، ووجوه طرسوس ، **والمطوعة** ، والقواد بأحسن زي. وبعد الفداء انصرف الأمير ومن معه، وخر ج أحمد بن طغان إلى البحر وخلف دميانة على عمله في طرسوس. ثم وجه بعد يوسف بن الباغمردي على طرسوس ولم يرجع هو

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص/١٢

(٢) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص/١٨

إليها(١). وكان راغب قد ترك الدعاء لهرون بن خمارية ودعا لبدر مولى المعتضد، فأمد أحمد بن طوغان دميانة وقوي أمره وأنكر ما كان يفعله راغب ، فوقعت الفتنة في طرسوس بين راغب ودميانة ، وظفر راغب عام ٢٨٤ هـ، فحمل دميانة إلى بغداد(٢). فوفد أهل طرسوس على المعتضد، وطلبوا أن يولي عليهم وال، فأرسل ابن الإخشيد أميرا على طرسوس من بغداد(٣)، فقاد عملية الجهاد، وغزا بأهلها عام ٢٨٥ هـ، وفتح الله على يديه(٤). وقام راغب الخادم بالغزو في البحر(٥) ولم تدم إمارة ابن الإخشيد طويلا، إذ توفي عام ٢٨٦ هـ، واستخلف أبا ثابت عليه ١. ولما خرج المعتضد إلى الرقة، استدعى راغبا من طرسوس، فقدم عليه، فحبسه وأخذ جميع أمواله، ومات بعد أيام من حبسه، وقبض على مكنون غلام راغب وأخذ ماله بطرسوس(٦) فحنق أهل طرسوس على المعتضد، وكانت حركة القرامطة أيضا قد اشتدت بهجر عام ٢٨٧ هـ، فطمعت الروم في ناحية طرسوس، واجتمعت، وحشدت العساكر، ووافت باب قلمية من طرسوس، فنفر أبو ثابت أميرها، فلم يقدر على مقاومتهم، وأسروه، وقتلوا من أصحابه جماعة، وأسروا من أسروا. وكان ابن كلوب غازيا في درب السلامة، فلما عاد جمع مشايخ الثغر، ليتراضوا على أمير، فأجمعوا رأيهم على ابن الأعرابي، فولوه أمرهم(٧).

---

(١) الطبري ٨/ ١٧٦.

(٢) الكامل في التاريخ ٦/ ٨٥.

(٣) الطبري ٨/ ١٨١، ١٩٣.

(٤) الكامل ٦/ ٩١، البداية والنهاية ١١/ ٧٩.

(٥) الطبري ٨/ ١٩٤، ا بن تغري ٣/ ١١٦.

(٦) الطبري ٨/ ١٩٦، ابن تغري ٣/١١٨، الكامل ٦/٩٣ (في الكامل بكنون).

(٧) الطبري ٨/ ١٩٩، الكامل ٦/ ٩٤، البداية والنهاية ١١/ ٨٣.." (١)

"وتوفي المعتضد عام ٢٨٩ هـ، وبويع للمكتفي بالله ٢٨٩١-٢٩٥ هـ، وفي عهده اشتد أذى القرامطة، والأعراب، وامتد من هجر إلى الشام(١)، فأثر ذلك على عملية الجهاد في طرسوس، واتجه أهلها إلى المكتفي بالشكوى من واليهم مظفر بن جناح، فعزله المكتفي عام ٢٩٠ هـ، وولى عليهم أبا العشائر أحمد بن نصر(٢)، الذي خرج مع جماعة من **المطوعة** للغزو، كما حمل الهدايا من المكتفي إلى ملك الروم(٣).

---

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص/٢٤

وخرج المكتفي إلى الرقة عام ٢٩١ هـ، وأخذ يسرح الجيوش إلى القرمطي، جيشا بعد جيش، وورده هناك رسول من ملك الروم يسأله الفداء بمن في يده من المسلمين أسرى، ومعهما هدايا، وأسارى من المسلمين، بعث بهم إليه، فأجابه إلى طلبه. وقام أبو العشائر أمير طرسوس بالفداء(٤).

ويظهر أن مهمة رسل الروم كانت للتجسس في الدرجة الأولى، فبعد عودتهم وإتمام عملية الفداء، نهض الروم في عشرة صلبان، مع كل صليب عشرة آلاف، وتوجهوا إلى الثغور، وأغاروا عليها، وخربوا، وقتلوا خلقا، وسبوا نساء وذرية من المسلمين(٥).

وكان غلام زرافة قد أتم استعداداته البحرية، فهاجم بعسكر طرسوس بلاد الروم من الساحل، وفتح مدينة أنطاكية. وهي أتاليا أو انطاليا- من أعظم مدن الروم على ساحل البحر المتوسط، وخلص من أسارى المسلمين خمسة آلاف أسير، وأخذ للروم ستين مركبا، وغنم شيئا كثيرا، فبلغ نصيب كل واحد من الغزاة ألف دينار(٦).

---

(١) الطبري ٨/٢١٣-٢١٥، ابن تغري ٣/ ٢٩ ١- ١٣٠.

(٢) الطبري ٨/١٦، البداية والنهاية ١١/ ٩٦.

(٣) الطبري ٨/٢١٧.

(٤) الطبري ٨/ ٢٢٥.

(٥) الطبري ٨/٢٣٢، ابن تغري ٣/١٢٣، البداية ١١/٨، العبر ١/٤١٩، دول الإسلام ١/١٧٦، ابن العبرى ص ١٥٤.

(٦) الطبري ٨/ ٢٣٣، ابن تغري ٣/ ١٣، الكامل ٦/ ١٠٩، البداية ١١/ ٩٨، العبر ١/ ٤١٩، التنبيه والإشراف ص ١٥٣، سير أعلام النبلاء ١٣/٤٨٣.." (١)

"وفي أثناء هذه الأحداث انشغل البويهيون بحرب الحمدانين في الجزيرة الفراتية، وبالخارجين عليهم، وابتعد سيف الدولة إلى ميافارقين هربا من حلب التي تعرضت لهجمات الروم، واتهم كافور الإخشيدي بالتهاون في أمر الثغور(١). وأرسل أهل طرسوس الوفود إلى مصر، والعراق، وبقية بلدان العالم الإسلامي، يحملون الاستغاثة، وعاد اغلب الرسل دون الحصول على مساعدة تذكر من الجهات الرسمية. وتنادى الناس للجهاد، ووصل **المطوعة** إلى طرسوس. ولكن الأمر زاد سوءا بانتشار الوباء والغلاء في طرسوس وبقية

---

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص/٢٦

الثغور الشامية، حتى اضطر الناس إلى أكل دوابهم، وأكل الميتة(٢) وراسل أهل بغراس الدمستق، وبذلوا له الأموال، فأقرهم، وتركهم(٣). وتوجه الروم في مائتي ألف إلى حلب. وفيهم ثلاثون ألفا بالجواشن، وثلاثون ألفا للهدم، وإصلاح الطرق من الثلج، وتمكن الروم من دخولها، وفر سيف الدولة إلى ميافارقين فقد كان قليل الصبر) ٤). ولم ينج إلا قلعه حلب، وبقي فيها الروم تسعة أيام، عاثوا فيها فسادا، وقتلوا حتى كلوا، وملوا، وأحرقوا المساجد، وقتلوا جميع أسرى المسلمين، وقدر عدد القتلى بمائة وخمسين ألفا بحلب(٥) واستنجد سيف بأهل الشام، فسار إليه جيش من دمشق على رأسه ظالم بن السلال العقيلي واليها من جهة الدولة الإخشيدية(٦)، كما وصل إلى طرسوس كثير من المجاهدين. فانسحب الروم من حلب. وسير سيف حاجبه في جيش من أهل طرسوس إلى بلاد الروم، فحققوا بعض لانتصارات(٧).

---

(١) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ص ١٨٣.

(٢) زبدة الحلب ١/ ١٤٢، تاريخ يحي بن سعيد ص ١٢١- ١٢٢، البداية والنهاية ١١/ ٢٥٥، الكامل في التاريخ ١٣/٧.

(٣) الكامل ٣/٧.

(٤) البداية والنهاية ١١/ ٢٣٩، ابن تغري ٣/ ٣٣٢.

(٥) ابن تغري ٣٣٢/٣، دول الإسلام ٢١٧/١، العبر ٨٧/٢.

(٦) زبدة الحلب ٣٩١.

(٧) الكامل ٧/ ٧٠٥، البداية ١١/ ٢٤١، ابن تغري ٣/ ٣٣٥- ٣٣٦.." (١)

" وفيه وصل حجاج المغاربة الى مصر من طريق البر واخبروا انهم حجوا وقضوا مناسكهم وان مسعود الوهابي وصل الى مكة بجيش كثيف وحج مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار واحضر مصطفى جاويش امير الركب المصري وقال له ما هذه العويدات والطبول التي معكم يعني بالعويدات المحمل فقال هو اشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عادتهم فقال لاتأت بذلك بعد هذا العام وان اتيت به احرقته وانه هدم القباب وقبة ادم وقباب ينبع والمدينة وابطل شرب التنباك والنارجيلة من الأسواق وبين الصفا والمروة وكذلك البدع

---

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص/٤١

وفي وفي تلك الليلة ارسل الباشا وطلب السيد عمر في وقت العشاء الاخيرة والزمه بتحصيل ألف كيس لنفقة العسكر وان يوزعها بمعرفته

وفي يوم الاثنين رابعه دخلت طوائف العسكر الواصلين من الجهة القبلية الى المدينة وطلبوا سكنى البيوت كعادتهم ولم يرجعوا الى الدور التي كانو ساكنين بها واخربوها

و في يوم الثلاثاء وردت مكاتبة من رشيد وعليها امضاء السيد حسن كريت يخبر فيها بأن الإنكليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله ويضربون على البلد بالمدافع والقنابر وقد تهدم الكثير من الدور والأبنية ومات كثير من الناس وقد ارسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الإغاثة والنجدة فلم تسعفونا بإرسال شيء وما عفرنا لأي شيء هذا الحال وما هذا الإهمال فالله الله في الإسعاف فقد ضاق الخناق وبلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه وملازمة المرابطة والسهر على المتاريس ونحو ذلك من الكلام وهي خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ ومؤرخة في ثاني شهر صفر

وفي و في ذلك اليوم اهتم الباشا وعزم على السفر بنفسه الى بولاق وركب صحبته حسن باشا وعابدين بك وعمر بك فسافروا في تلك الليلة

وفي و في يوم الأربعاء سافر أيضا حجوبك وخرج معه بعض **المتطوعة** من الأتراك وغيرهم تهيئوا واتفقوا مع المسافرين معهم وامدهم الكثير من ." (١)

" الامر لأن من الثابت عندهم صداقة الإنكليز مع العثماني من قديم الزمان وان المراسيم التي وردت بالتحذير والتحفظ من الموسكوب ولم يذكر الانكليز فاتفق الحال بأن يرسلوا لهم جوابا بالحقيقة صحبة مصطفى افندي كتخدا القاضي ويصحب معه المراسيم التي وردت في شأن ذلك وفيها ذكر الإنكليز ومنابذتهم للدولة فسافر الكتخدا المذكور في صبحها اليهم وكانوا حضروا الى ناحية المنية واما ياسين بك فانه اذعن للصلح على أن يعطيه الباشا اربعمائة كيس بعد ترداد المراسلات بينه وبين الباشا ثم انه عدى الى ناحية شرق اطفيح وفرض عليهم الأموال الجسيمة وكان اهل تلك البلاد اجتمعوا بصول والبرنبل بمتاعهم واموالهم ومواشيهم فنزل عليهم وطلب منهم الأموال فعصوا عليه فأوقد فيهم النيران وحرق جرونهم ونهبهم

وفي عصر يوم الثلاثاء حضر جماعة من العرب وصحبتهم ثلاثة انفار من البرية واحضروهم الى مصر فمثلوا بين يدي الباشا وكلمهم ثم امر بطلوعهم الى القلعة وفيهم شخص كبير يقال انه من قباطينهم

---

(١) عجائب الآثار، ١٨٩/٣

و في يوم الخميس رابع عشرة عملوا ديوانا ببيت القاضي اجتمع فيه الدفتردار والمشايخ والوجاقلية هكذا وردت مرسوما تقدم حضوره قبل وصول الإنكليز الى الإسكندرية مضمونه ضبط تعلقات الإنكليز ومالهم من المال والودائع والشركات مع التجار بمصر والثغور

و في ذلك اليوم حضر شخصان من السعاة واخبرا بالنصر على الإنكليز و هزيمتهم وذلك انه اجتمع الجم الكثير من اهالي بلاد البحيرة وغيرها واهالي رشيد ومن معهم من **المتطوعة** والعساكر واهل دمنهور وصادف وصول كتخدا بك واسمعيل كاشف الطوبجي الى تلك الناحية فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة و أسروا من الإنكليز طائفة وقطعوا منهم عدة رؤوس فخلع الباشا على الساعيين جوختين وفي اثر ذلك وصل أيضا شخصان من الأتراك بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر وبالغا في الأخبار وان الأنكليز انجلوا عن متاريس رشيد وابي منصور والحماد ولم تزل المقاتلون من اهل القرى ." (١)

"فصل فيما وقع من الحوادث في

السنة الثامنة والأربعين بعد الستمائة

استهلت هذه السنة، والخليفة هو: المستعصم بالله.

وسلطان الديار المصرية: الملك المعظم تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين، ولكنه ما أقام في السلطنة إلا يسيرا، وقتل على ما نذكره عن قريب إن شاء الله تعالى.

وبقية أصحاب البلاد وملوك الأطراف على حالهم، غير صاحب اليمن، فإنه قتل أيضا في هذه السنة على ما نذكره إن شاء الله.

ذكر كسر الفرنج وأخذ ريد افرنس أسيرا

قد ذكرنا في السنة الماضية من القتال مع الفرنج، وكانوا قد ضعفوا لأجل انقطاع المدد والميرة عنهم من دمياط، فإن المسلمين قطعوا الطريق الواصل إليهم من دمياط، فلم يبق لهم صبر على المقام، فرحلوا ليلة الأربعاء لثلاث مضين من المحرم من هذه السنة متوجهين إلى دمياط، وركبت المسلمون أكتفاهم، ولما أسفر صباح يوم الأربعاء خالطهم المسلمون، وبذلوا فيهم السيف، ولم يسلم منهم إلا قليل، وبلغت عدة الموتى من الفرنج ثلاثين ألفا، وإنحاز ريد افرنس ومن معه من الملوك والأمراء إلى تل هناك.

قال المؤيد: إلى بلد هناك، فطلبوا الأمان، فآمنهم الطواشى محسن الصالحى، ثم احتيط عليهم وأحضروا إلى المنصورة.

---

(١) عجائب الآثار، ١٩٢/٣

قال أبو شامة: وأسر ريد افرنس وأخوه، وجماعة من خواصه كانوا اختفوا في منية عبد الله من ناحية شرمساح، فأخذوا برقابهم، وقيدوا ريدافرنس، وجعل في الدار التي كان ينزلها كاتب الإنشاء فخر الدين بن لقمان، ووكل به الطواشى صبيح المعظمى.

وقال بيبرس: وكان للبحرية النجمية في هذه الوقعة الحظ الأوفى، والقدح المعلى.

وفي المرآة: وفي أول ليلة من سنة ثمان واربعين وستمائة كان المصاف بين الفرنج والمسلمين على المنصورة، بعد وصول الملك المعظم توران شاه إلى المخيم، ومسك الأفرنسيس وهو ريدافرنس، وقتل من الفرنج مائة ألف، ووصل كتاب المعظم توران شاه، يعنى إلى دمشق، إلى نائبه[1] جمال الدين ابن يغمور: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، وما النصر إلا من عند الله، ويومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله،)ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم(، وأما بنعمة ربك فحدث، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها؛ نبشر المجلس السامي الجمالى، بل نبشر الإسلام كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين، فإنه كان قد استفحل أمره، واستحكم شره، ويئس العباد من الأهل والأولاد، فنودوا: ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله الآية ولما كان يوم الأربعاء مستهل السنة المباركة تمم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن، وبذلنا الأموال، وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان، **والمطوعة**، واجتمع خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله تعالى، وجاؤوا من كل فج عميق، ومن كل مكان بعيد سحيق،)ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع عليه الإتفاق بينهم وبين الملك الكامل رحمه الله، فأبينا،)ولما كان في الليل(، تركوا خيامهم، وأثقالهم، وأموالهم، وقصدوا دمياط هاربين،)فرسنا في آثارهم طالبين(، وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل، وقد حل بهم الخزى والويل: فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا، غير من ألقى نفسه في اللجج، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج، والتجأ الفرنسيس إلى المنية، وطلب الأمان فآمناه، وأخذناه، وأكرمناه، وتسلمنا دمياك بعون الله ولطفه.

وقال أبو شامة: وفي يوم الأربعاء سادس عشر المحرم وصل إلى دمشق غفارة ملك افرنسيس المأسور، أرسلها السلطان المعظم إلى نائبه بدمشق الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، فلبسها، فرأيتها عليه، وهيى أشكرلاط أحمر، تحته فرو سنجاب، فيها بكلة ذهب، فنظم صاحبنا الفاضل الزاهد نجم الدين بن إسرائيل مقطعات ثلاثيا إرتجالا، كل قطعة بيتين في مدح السلطان، والأمير. أحديها:

إن غفارة الفرنس التي ... جاءت حباء لسيد الأمراء

كبياض القرطاس في اللون لكن ... صبغتها سيوفنا بالدماء

والثانية: مخاطبة للأمير

يا واحد العصر الذي لم يزل ... يحوز في نيل المعالى المدا

لا زلت في عز وفى رفعة ... تلبس أسلاب ملوك العدا

والثالثة: كتبها الأمير مقدمة كتاب إلى السلطان:." (١)

"وصاحب دمشق وحلب وغيرهما: السلطان الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز بن الملك الظاهر بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، والحرب قائمة بينه وبين المصريين، ولكنه رجع عن ذلك لكثرة الأراجيف بقصد التتار الديار الشامية، حتى أن هلاون أرسل إلى الناصر المذكور يستدعيه إليه، فأرسل الناصر ولده العزيز، وهو صغير، ومعه هدايا كثيرة وتحف سنية، فلم يحتفل به هلاون، وغضب على إبنه؛ إذ لم يقدم إليه أبوه، وقال: أنا الذي أسير إلى بلاده بنفسى، فانزعج الناصر لذلك، وبعث بحريمه وأهله إلى الكرك، ليحضهم بها، وخاف أهل دمشق خوفا شديدا حين بلغهم أن التتار قد قطعوا الفرات، وصار منهم جماعة كثرة إلى الديار المصرية في زمن الشتاء، ومات كثير منهم، ونهب آخرون.

وأقبل هلاون بجنوده يقصد نحو الشام، ونازل حران وملكها، واستولى على البلاد الجزرية، وأرسل ولده شموط بن هلاون إلى الشام، فوصل إلى ظاهر حلب في العشر الأخير من ذي الحجة من هذه السنة، وكان الحاكم في حلب يومئذ الملك المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين نائبا عن ابن ابن أخيه الملك النصار، فخرج في عسكر حلب لقتالهم، ولم يكن من الرأى خروجه، وأكمن لهم التتار في باب إلى المعروف بباب الله، وتقاتلوا عند بانقوسا، فاندفع التتار قدامهم حتى خرجوا عن البلد، ثم عادوا عليهم، وهرب المسلمون طالبين المدينة، والتتار يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد، واختنق جماعة من المنهزمين في أبواب البلد، ثم رحل التتار إلى عزاز فتسلموها بالأمان.

وكان الملك الناصر قد أرسل قبل ذلك القاضى الوزير كمال الدين عمر بن أبي جرادة المعروف بابن العديم إلى الديار المصرية رسولا يستنجد المصريين على قتال التتار، فإنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام، وأنهم قد استولوا على حران وبلاد الجزيرة وغيرها في هذه السنة، وقد جاز شموط بن هلاون الفرات واقترب من مدينة حلب.

فعقد لذلك مجلس بالديار المصرية بين يدى الملك المنصور بن الملك المعز أيبك التركمانى، وحضر قاضى القضاة بالديار المصرية بدر الدين السنجارى، وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وأفاضوا

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/١

الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال الناس لمساعدة الجند، وكانت العمدة على ما يقوله ابن عبد السلام، فكان حاصل كلامه أنه قال: إذا لم يبق في بيت المال شيء، وأنفقتم الحوائص الذهب وغيرها من الزينة، وتساويتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب، ولم يبقى للجندى سوى فرسه التي يركبها، ساغ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء، إلا أنه إذا دهم العدو وجب على الناس كافة أن يدفعوهم بأموالهم وأنفسهم.

ثم أن الملك الناصر برز إلى وطاة برزة في جحافل كثيرة من الجيش **والمطوعة** والأعراب وغيرهم، ولما سمعوا ما فعل شموط بن هلاون على حلب، وعلموا ضعفهم عن مقاومة المغول انقض ذلك الجمع، ولم يصبر لاهو ولا هم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ذكر سلطنة سيف الدين قطز

النائب بالديار المصرية ولما عقد المصريون المجلس، حين قدم إليهم رسول الملك الناصر صاحب دمشق، وهو كمال الدين بن العديم المذكور، قالوا: لا بد من سلطان قاهر يقاتل التتار، وهذا صبى صغير لا يعرف تدبير المملكة، يعنى السلطان الملك المنصور ابن الملك المعز، وكان كذلك فإنه كان يركب الحمير الغرة، ويلعب بالحمام مع الخدام.

واجتمع الأمراء الكبار وأعيان العساكر على أنه لا غنى للمسلمين من ملك يقوم بدفعه، وينتدب لمنعه، ويذب عن حوزة الدين، وذلك لما تحققوا قصد هلاون الديار الشامية، وامتداده إلى ممالك الإسلام، واتفقوا على إقامة الأمير سيف الدين قطز المعزى سلطانا لأنه كبير البيت، ونائب الملك، وزعيم الجيش، وهو معروف بالشجاعة والفروسية، ورضى به الأمراء الكبار فأجلسوه على سرير الملك، ولقبوه المرلك المظفر.

وكان الأمير علم الدين العتمى، وسيف الدين بهادر، وهما من كبار المعزية غائبين في رمى البندق حين تسلطن المظفر، ولما حضرا قبض عليهما واعتقلا.

وكان جلوس الملك المظفر على تخت السلطنة في الرابع من ذي الحجة من هذه السنة بقلعة الجبل.

وكان ذلك كله بحضرة كمال الدين بن العديم، فأعاد قطز الجواب إلى الملك الناصر يوسف بأنه سينجده ولا يقعد عن نصرته، ورجع ابن العديم إلى دمشق بذلك.." (١)

"وفي هذه السنة رسم السلطان للعساكر بالتجهيز، وعزم على التبريز، وخرج من قلعته في المحرم من هذه السنة، وسار إلى الشام على عزم غزو طرابلس وأخذها وذلك أن أهلها نقضوا قواعد الصلح، وكدروا

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٥٤

موارد الهدنة، بما ارتكبوا من الفساد، وسوء الاعتماد، والتطرق إلى الطرقات، والتعرض إلى المسلمين في معظم الأوقات، فعزم على حصارها، وصمم على دمارها، وكتب إلى النواب بالممالك الشامية والحصون الساحلية بتجهيز الجيوش إليها، وإنقاذ المجانيق وآلات الحصار والنزول عليها.

ذكر فتح طرابلس

توجه السلطان إليها، ونزل عليها، وجاءت الأمداد من جميع البلاد، وجدوا في الحصار.

وقال ابن كثير: نزل السلطان على طرابلس وصحبته خلق كثير من **المتطوعة**، منهم القاضى الحنابلة نجم الدين بن الشيخ، وخلق من المقادسة وغبرهم، فنازلها يوم الجمعة مستهل ربيع الأول وحاصرها بالمجانيق حصارا شديدا، وضايقها مضايقة عظيمة ونصب عليه، تسعة عشر منجنيقا، فلما كان يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة فتحت طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوة، وشمل القتل والأسر جميع من فيها، وغرق كثير منهم في الميناء، ونهبت الأموال، وسببت النساء والأطفال، وأخذت الذخائر والحواصل، وقد كانت طرابلس في أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ، وقد كان الملك صنجيل حاصرها سبع سنين حتى ظفر بها كما ذكرنا، وكانت قبل ذلك بأيدي المسلمين من زمن معاوية رضى الله عنه، فإنه فتحها في زمن معاوية سيفان بن نجيب فأمسكها معاوية اليهود، ثم لما كان عبد الملك بن مروان جدد عمارتها وحصنها وسكنها المسلمون، حينئذ وصارت مطمئنة، وبها ثمار الشام ومصر، فإنه يجتمع فيها الجوز والموز والبلح والقصب، وقد كانت قبل ذلك كله ثلاث مدن متقاربة، ثم صارت بلدا واحدا، ثم حولت من موضعها، فإن السلطان أمر بهدم هذه البلدة بما فيها من العمائر والآدر والأسوار وأن تبنى على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن ةففعل ذلك، فهى هذه التى هي الآن، جعلها الله دار أمان.

وفي تاريخ النويرى: مدة لبث الفرنج عليها من يوم استولوا عليها نحو مائة سنة وخمس وثمانون سنة وشهورا، وكان فتحها عنوة يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر، وهرب أهلها إلى الميناء، فنجا أولهم في المراكب، وقتل غالب رجالها، وسببت ذراريهم، وغنم منها المسلمون غنيمة عظيمة، وكان في البحر قريبا من طرابلس جزيرة، وفيها كنيسة تسمى كنيسة سنطماس بينها وبين طرابلس الميناء، فلما أخذ طرابلس هرب إلى الجزيرة المذكوره عالم عظيم من الإفرنج رجال ونساء، فاقتحم العسكر الإسلامى البحر وعبروا خيولهم سباحة إلى الجزيرة المذكورة، وقتلوا جميع من بها من الرجال، وغنموا ما بها من النساء والصغار والأموال، وصار الناس لا يستطيعون الصعود إليها من نتن جيف القتلى ثم عاد السلطان إلى دمشق، وأعطى صاحب حماة الدستور، فعاد إلى بلده، ودخل السلطان دمشق يوم النصف من جمادى الآخرة.

ثم سافر السلطان في ثاني شعبان بجيشه إلى الديار المصرية، فدخلها في آخر شعبان من هذه السنة.
وفي تاريخ بيبرس: وانهزمت طائفة من الفرنج وأهل طرابلس إلى جزيرة قريبة من الميناء لم يكن يتوصل إليها إلا بالقوارب وصغار المراكب، فالتجأوا إليها وظنوا أنهم يحتمون بها، ونقلوا معهم ما عز عليهم من قماشهم وأثاثهم،فاقتضعت سعادة السلطان وشقوقهم أن، انطرد البحر عنهم، وظهرت العساكر المخائص إليهم، فبادروا إليها ما بين راجل وفارس، وأوقفوا بمن كان فيها من شيخ وشاب، وبكر وعانس، وركب أقوام منهم مركبا في البحر لينجوا بأنفسهم، فطردتهم الريح إلى الساحل، وتعذر عليهم الخروج في العاجل، وكانت هناك الخيول الإسلامية مع الدشارية، فخرج إليهم الغلمان والشاكردية والوشافية وأمير آخورية ووقعوا فيهم ونهبوا وأسروا من وجدوا منهم، فكان الخذلان لهم في البر والبحر، ولم يستشهد في هذه الغزاة إلا الأمير عز الدين مغان أمير شكار، والأمير ركن الدين منكورس الفارقانى، ثم أمر السلطان بتخريب المدينة بكمالها، وبنيت بالقرب منها مدينة أخرى وسميت طرابلس المستجدة، وسكنها كثير من المسلمين، واستقر بها نائب السلطنة، وطائفة من العسكر، ولما فرغ السلطان من أمرها رحل عائدا إلى الديار المصرية.." (١)

"وكان السلطان المنصور قد جرد جماعة من الأمراء ليقيموا بجينين، وقدم عليهم أميرا يسمى سنقر يعرف بالمساح، وأمره أن يركب كل يوم بالعسكر إلى مقابل حصن عكا، ويحفظوا الساحل والتجار خشية من أهل عكا، فإنهم كانوا قد نقضوا الهدنة بينهم وبين السلطان، وتعرضوا للسفارة من التجار وغيرهم، وكان يجرى بينه وبين أهل عكا كل وقت حروب ووقائع، وهو ينتصر عليهم، فوشى به الواشي إلى الأشرف بأنه كان منتميا إلى طرنطاى، وكان الأمير بدر الدين بكتوت العلائي مجردا على حمص، قد كان المنصور جرده مع جماعة من الأمراء، فأرسل إليه الأشرف أن يحضر ويجعل طريقه على جينين، ويحتال على قبض المساح، ويسيره إلى سجن صفد، ثم يحضر إلى مصر وصحبته الأمراء، وكان العلائي هذا له خدمة سابقة مع الأشرف في حياة والده، فلما وصل إليه الخبر ركب بمن معه إلى أن وصل دمشق، ثم خرج منها إلى أن وصل إلى جينين وسمع به المساح، فركب إلى لقائه مع الأمراء الذين معه وتلقوه، ولما نزلوا قدم طعام فأكلوا، وخرجت الأمراء وبقى المساح، فأخرج إليه العلائي مرسوم الأشرف وقرأه عليه، وتقدمت مماليكه وأخذوا سيفه، وأركبه من وقته على خيل البريد وصحبته أميران، فأوصلاه إلى سجن صفد، ثم رحل العلائي بمن معه إلى أن وصل إلى مصر، فحضر بين يدي الأشرف وأكرمه وغير إقطاعه، وكان ذلك في أوائل صفر.

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٢٠٥

وفي سابع صفر قبض الأشرف على الأمير سنقر الأشقر، وسيف الدين برمك الناصري، وأفرج عن الأمير زين الدين كتبغا، وكان قد مسك مع طرنطاى، كما ذكرناه، ورد عليه إقطاعه، ثم شرعوا في الخروج إلى جهة عكا.

قال ابن كثير: جاء البريد إلى دمشق في مستهل ربيع الأول لتجهيز الآلات بسبب حصار عكا، ونودي بدمشق الغزاة في سبيل الله إلى عكا، وبرزت المجانيق إلى ناحية الجسورة، وخرجت العامة والمطوعة يجرون العجل، حتى الفقهاء والمدرسون والصلحاء، فتولى سياقها علم الدين سنجر الدواداري، وخرجت العساكر المنصورة بين يدي نائب الشام، وخرج في إثرهم النائب حسام الدين لاجين السلحدار، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر بن الملك المنصور، وصحبته مجانيق وزردخاناه، ووصل نائب طرابلس الطباخي، وصحبته عسكر طرابلس، وتوجه الجميع إلى حصن عكا.

ذكر خروج الأشرف

خرج الأشرف من مصر في الرابع من ربيع الآخر بعساكره قاصدا عكا، فوافى الجيش هناك، فنازلوها يوم الخميس التاسع عشر من ربيع الآخر.

وفي تاريخ ابن كثير: فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر، فهذا يدل على أن خروجه كان في ربيع الأول، والله أعلم.

وذكر في نزهة الناظر: أن السلطان الأشرف رسم قبل خروجه أن ينقل والده المنصور إلى تربته في القبة التي أنشأها بين القصرين، فجرجت سائر الأمراء ونائب السلطنة والشجاعي والوزير صلاة العشاء الآخرة ومشى الجميع قدام تابوته إلى جامع الأزهر، وحضر القضاة والمشايخ والفقراء، وتقدم قاضي القضاة تقي الدين وصلى عليه، ثم ذهبوا به إلى المدرسة، وكانت ليلة عظيمة.

وبعد أيام خرج الدهليز والعسكر في مستهل ربيع الأول، ولما استقر، رسم للوزير والنائب بأن يدخلا المدينة ويعملا ختمة لوالده فركبا ليلة الجمعة وعملا ختمة هائلة، وعملا أطعمة عظيمة، وتصدقا على الفقراء والمساكين بصدقات كثيرة.." (١)

"ثم خرج السلطان بجيش من دمشق يوم الأحد السابع عشر من ربيع الأول من هذه السنة، ولم يتخلف أحد من الجيوش، وخرج خلق كثير من المطوعة. ولما وصلوا إلى حمص ضربوا الدهليز بها، وشرعوا يرسلون إلى العرب ويخبروهم بمجيء العدو. وشرعت الناس يتلقطون نصرة العدو على المسلمين، واشتهر

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٢١٩

ذلك بينهم، فوقع الجفل والخوف فيهم حتى أن المقدم الذي كان مضافيه خمسين نفسا أو أربعين يفتقدهم إذا كثروا قدر عشرين أو خمسة وعشرين، فصار رجال الحلقة يقول بعضهم لبعض: يا فلان من أش تنفع هذا وقت الغيبة خل البرجية الذين يأكلون مصر يقاتلون العدو.

ثم تواترت الأخبار بأن التتار وصلوا إلى وادي الخزندار عند سلمية، فسارت العساكر إليهم ليهجموا عليهم، وقطعوا ثلاث مراحل في مرحلة واحدة، فلما أشرفوا على مجمع المروج ركب التتار وطلبوا، وكان قازان فيهم وصحبته الأمراء المتوجهون إليه وهم: سيف الدين قبجق، وسيف الدين بكتمر السلاح دار، وفارس الدين ألبكى الظاهري، وسيف الدين عزاز الصالحي.

ولما أشرفوا على طلائع العدو نادت الحجاب والنقباء بين العسكر بأن يرموا رماحهم ويعتمدوا على الضرب بالسيوف، وكان هذا من سوء التدبير وعلامة الخذلان، فرمى جميع العسكر ما بأيديهم من الرماح إلى الأرض فحصل للخيل ضرر كثير منها لمصادمة حوافرها على أسنة الرماح وهي مطروحة على الأرض، وكان كل سنان منها يساوي مائة درهم إلى خمسين درهما، فنظروا إلى التتار وقد ملأوا الأرض.

ثم شرعت الأمراء والحجاب في ترتيب الجيش، ورتبوا في رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنى وأخاه فضلا، ومعهما آل مرا وآل على وآل كلب وجميع العربان، ونائب حلب ونائب حماة بعساكرهما، وفي الميسرة بدر الدين بكتاش الفخري، والأمير جمال الدين قتال السبع، والأمير علم الدين الدواداري، وطغربل الإيغاني، والحاج كرت نائب طرابلس، وطلب الأمير حسام الدين لاجين الأستادار وفيه الأمراء الطبخانات من بقية الظاهرية ومضافوها، وفي القلب جمهور العسكر وفيهم سيق الدين سلار، وركن الدين بيبرس، وسيف الدين برلغي ومضافوه وسيف الدين قطلوبك الحاجب ومضافوه، والأمير عز الدين أيبك الخزندار ومضافوه، وجعلوا الجناحين المماليك السلطانية، ورتبوا أن يكون الأمير حسام الدين لاجين الأستادار صحبة السلطان يحفظه، وجعلوه في موضع بعيد عن الملاقاة خشية عليه، ورسموا للأمير علم الدين أن يكون سنجق السلطان منعزلا عنه كي لا يعرف أنه تحت الأعلام فيقصد، ورتبوا جماعة من الزراقين نحوا من خمسمائة مملوك في مقدمة الجيش.

وفي ذلك الوقت حصل للأمير بيبرس إسهال مفرط وحرارة عظيمة حتى ما بقى يمكنه الركوب على الفرس ولا الثبات على ظهره، فأركبوه المحفة، وأبعدوه عن الملاقاة.

وأخذ الأمير سلار الحجاب ومعهم الفقهاء، وداروا على العسكر جميعهم، وهم يتلون الآيات المناسبة للجهاد، ويحرضون للجهاد وتوطين النفس على الملاقاة حتى غشى الناس البكاء والتوجع.

وأما قازان فإنه طلب مقدمى التوامين وأمرهم أن أحدا منهم إذا رأى جيش المسلمين لا يحمل عليه ولا يتحرك من مكانه إلى حين يرى غريمه يدخل عليه، وأراد بذلك تضعيف خيل المسلمين وكسر همة الفرسان، وأن يمكن رماته من رمي السهام، لأن ذلك أثبت لهم وأسكن، وكذلك كان، فإنه لما وقعت الصدمة، وتحركت العساكر، وأوقد الزراقون نفطهم، واعتقد المسلمون – على ما عهدوه من اللقاء في المصاف – أنه ساعة يحمل الجيش يحمل أيضا جيش العدو، فتقع الصدمة من الطائفتين، ويعطي الله النصر لمن يشاء.

ولما حملت العساكر وخرجت الخيول بقوة بأسها، وحدة شوطها، حتى قربوا من وجه العدو، لم يتحرك منهم أحد، ولا انزعج جيشهم، فلما شاهدوا ذلك منهم قل عزمهم، وانطفأ النفط الذي كان مع الزراقين في مقدم الجيش، لأنهم كانوا أوقدوه من بعد على أنهم يتقدمون لهم، فبينما تقدم عسكر المسلمين إليهم مع بعد المسافة وثبات العدو وعدم حركتهم فرغ البارود، وبردت الهمة، بعيد ذلك حملت التتار حملة صادقة حتى اختلطوا بالمسلمين، وأصابت سهامهم خيلا كثيرا منهم، ورموا فرسانها.." (١)

"أما تفصيل القول في الأمر بالمعروف فإنه يحويه كتاب يليق بالفقهاء أن يستقصوه، فوكلوه إلى المتكلمين، كما وكلوا إليهم التوبة، وتفاصيل الأقوال في الخروج عن المظالم. ولو حاولت قولا قريبا في الأمر بالمعروف وسيطا، لأبر على قدر هذا الكتاب، ولم يكن حاويا بسيطا.

انتهى القول في الكلي والجزئي، مما يسوس به الإمام الرعية.

]ج . نجدة الإمام وعدته[

٣٤٦. والآن أبتدئ ذكر نجدة الإمام وعدته:

ليس يخفي على ذي بصيرة أن الإمام يحتاج في منصبه العظيم، وخطبه الشامل العميم، إلى الاعتضاد بالعدد والعتاد، والاستعداد بالعساكر والأجناد؛ فإنه متصد لحراسة البيضة، وحفظ الحريم، والتشوف إلى بلاد الكفار، فيجب أن يكون عسكره معقودا، يرون التطلع إلى أوامره شوفا مقصودا، ومطمحا معمودا، ولا يجوز أن يكون معوله **المتطوعة** الذين لا يتنشأون إذا ندبوا مبادرين؛ حتى يتأهبوا، ويستعدوا ويتألبوا، ولن تقوم الممالك إلا بجنود مجندة، وعساكر مجردة، مشرئبون للانتداب، مهما ندبوا، بعزائم جامعة، وآذان متشوفة إلى صوت هائعة، وهؤلاء هم المرتزقة لا يشغلهم عن البدار دهقنة وتجارة، ولا تلهيهم ترفة ولا عمارة.

٣٤٧ . وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في زمنه لا يدون ديوانا، ولا يجرد للجهاد أعوانا، إذ كان

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٣٥٠

المهاجرون والأنصار يخفون إلى ارتسام أوامره من غير أناة واستئخار، وانقرض على ذلك زمن خلافة الصديق – رضي الله عنه – ، ثم لما انتهت النوبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه جند الجنود، وعسكر العساكر، ودون الدواوين، وصارت سيرته وإيالته أسوة للعالمين إلى يوم الدين.

٣٤٨ . فإذا تقرر أنه يتحتم استظهار الإمام بالأعوان والأنصار فلا بد من الاستعداد بالأموال. وقد ذكرنا أن الأموال التي يجمعها ويجبيها ويطلبها وينتحيها، تنقسم إلى ما يتعين مصرفه وإلى ما يعم انبساطه على وجوه المصالح.." (١)

"والدليل القاطع على ذلك أن الاستظهار بالجنود والعسكر المعقود عند التمكن حتم، وإن بعد الكفار، وتقاصت الديار، لأن الخطة إذا خلت عن نجدة معدة، لم يأمن من الحوادث والبوائق، والآفات والطوارق، وإذا ارتبط النظر بالأمر الكلي وآل الخوف والاستشعار إلى البيضة والحوزة، فقد عظم الخطر، وتفاقم الغرر، وصعب موقع تقدير الزلل والخطل، وإذا كان الاستظهار بالجنود محتوما فلا معول على مملكة لا معتضد ولا مستند لها من الأموال، فإنها شوف الرجال، ومرتبط الآمال، ومن ألف مبادئ النظر في تصاريف الأحوال في الإيالات، لم يخف عليه مدرك الحق في هذا المقال.

وإذا كان منصب الإمام القوام على طبقات الأنام مقتضيا أن يتحرى الأصلح فالأصلح، فكيف يليق بنظر ذي تحقيق أن يبدد الأموال في ابتناء القناطر والدساكر، ويترك ما هو ملاذ العساكر؟

والإطناب في الواضحات يزري بذوي الألباب.

فإذا يتعين على الإمام الاحتفاظ بفضلات الأموال؛ فإنها تنزل من نجدة الإسلام منزلة السور من الثغور.

٣٦٠ . فإن قيل: إن احتاج الإمام إلى مال أخذه من الجهة التي يأخذ منها لو صفر بيت المال.

قلنا: هذا ضعف بين في الرأي، وانحلال واضح في النظر في العواقب، ولا يستتب بهذا النظر أمر جزئي، فكيف الظن بسياسة الإسلام.

ولو ساغ، ذلك لجاز ألا يستظهر بالجنود المعقودة، ويعول على استنفار **المطوعة**، مهما عنت الحاجة، وألمت ملمة.

وهذا باطل لا سبيل إلى المصير إليه، والتعويل عليه.

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم، ص/١١٣

٣٦١ ـ وأما ما تعلق به الأولون من سير الخلفاء، فحق على المنتهي إلى هذا الموضع أن ينعم نظره، ويجرد لدرك التحقيق فكره، فنقول:." (١)

"٤٨٣ ـ هذه كنايات عن سيد الدهر، وصدر العصر، ومن إلى جنابه منتهى العلا والفخر، وقد قيضه الله جلت قدرته لتولي أمور العالمين وتعاطيها، وأعطي القوس باريها. فهو على القطع في الذب عن دين الله، والنضال عن الملة. وترفيه المسلمين عن كل مدحضة ومزلة، وتنقية الشريعة عن كل بدعة شنعاء مضلة، وكف الأكف العادية. وعضد الفئة المرشدة الهادية، في مقام شفيق رفيق، قوام على كفالة أيتام: ينتحي غبطتهم، ويتجاوز عثرتهم وسقطتهم.

٤٨٤ ـ وإذا كان يقوم الرجل الفرد بالذب عن أخيه وبهداية من يستهديه، ونصرة من يندبه ويستدعيه، فالإسلام في حكم شخص مائل يلتمس من يقيم أوده، ويجمع شتاته وبدده، ويكون عضده ومدده، ووزره وعدده.

فلئن وجب إسعاف الرجل الواحد بمناه وإجابته في استنجاده واسترفاده إلى مهواه ـ فالإسلام أولى بالذب؛ والنادب إليه الله.

٤٨٥ ـ وإنما لم يجعل لآحاد الناس شهر السلاح، ومحاولة المراس في رعاية الصلاح والاستصلاح، لما فيه من نفرة النفوس، والإباء والنفاس، والإفضاء إلى التهارش والشماس.

٤٨٦ ـ والذي يزيل أصل الإشكال والإلباس أنا نجوز للمطوعة في الجهاد الإيغال في بلاد أهل العناد من الكفار، على الاستبداد، وإن كان الأولى أن يكون صدرهم عن رأي الإمام الذي إليه الاستناد؛ فلما كان غايتهم الاستشهاد ـ والشهادة إحدى الحسنيين ـ لم يمنع المطوعة من التشمير للقتال.

والنزاع بين المسلمين محذور، والسبب المفضي اليه محرم محظور. فإذا استقل فرد الزمان بعدة لا تصادم، واستطالت يده الطولى، على الممالك عرضا وطولا، واستتبت الطاعة، وأمكنت الاستطاعة، فقيامه بمصالح أهل الإيمان بالسيف والسنان، كقيام الواحد من أهل الزمان بالموعظة الحسنة باللسان.." (٢)

"

الرعية

والان ابتداء ذكر نجدة الأمام وعدته

(١) غياث الأمم في التياث الظلم، ص/١١٨

(٢) غياث الأمم في التياث الظلم، ص/١٦١

بخفي على ذي بصيرة أن الأمام يحتاج في منصبه العظيم وخطبه الشامل العميم إلى الاعتضاد بالعدد والعتاد والاستعداد بالعساكر والاجناد فإنه متصد لحراسة البيضة وحفظ الحريم والتشوف إلى بلاد الكفار فيجب أن يكون عسكره معقودا يرون التطلع إلى اوامره شوفا مقصودا ومطمحا معمودا ولا يجوز أن يكون معوله **المطوعة** الذي لا ينشأون إذا ندبوا مبادرين حتى يتأهبوا ويستعدون وتيألبوا وان تقوم الممالك إلا بجنود مجندة وعساكر مجردة هم مشرأبون للانتداب مهما ندبوا بعزائم جامعة وآذان متشوفة إلى صوت هائعة وهؤلاءهم المرتزقة لا يشغلهم عن البدار دهقنة وتجارة ولا تلهيهم ترفة ولا عمارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمنه لا يدون ديوانا ولا يجرد للجهاد اعوانا إذ كان المهاجرون والانصار يحفون إلى ارتسام اوامره من غير اناة واستئخار وانقرض على ذلك من خلافة الصديق ثم لما انتهت النوبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه جند الجنود وعسكر العساكر ودون

(١) ".

"

ابتناء القناطر والدساكر ويترك ما هو ملاذ العساكر والاطناب في الواضحات يزري بذوي الالباب فإذا يتعين على الأمام الاحتفاظ بفضلات الأموال فإنها تنزل من نجدة الإسلام منزلة السور من الثغور

فإن قيل أن احتاج الأمام إلى مال اخذه من الجهة التي يأخذ منها لو صفر بيت المال عن المال قلنا هذا ضعف بين في الرأي وانحلال واضح في النظر في العواقب ولا يستتب بهذا النظر أمر جزئي فكيف الظن بسياسة الإسلام ولو ساغ ذلك لجاز أن لا يستظهر بالجنود المعقودة ويعول على استنفار **المطوعة** مهما عنت الحاجة والمت ملمة وهذا باطل لا سبيل إلى المصير اليه والتعويل عليه

وأما ما تعلق به الاولون من سير الخلفاء فحق على المنتهى إلى هذا الموضع أن ينعم نظره ويجرد لدرك التحقيق فكرة فنقول

ما كانت الاموال تبلغ في زمنهم مبلغا يحتمل الادخار فإن الصديق رضيالله عنه بلى في معظم زمانه بقتال الردة وما اتفقت مغانم بها اكتراث والاحتفال ثم لما ولى عمر الأمر واتسعت خطة الإسلام وانتشرت رايات الدين واستفحل أمر المسلمين وكثرت الغزوات وانبثت الدعوات وكسر جند الإسلام صول كسرى وقصر طول قيصر واستمرت الدولة وعظم الصولة ووفرت المغانم وتجردت للجهاد والعزائم والقت الممالك

(١) غياث الأمم والتياث الظلم، ص/١٧٨

إلى حماة الإسلام مقاليدها ولنت كل جبنة ابية للاحكام جيدها وفتحت الكور والامصار وكثر الاعوان والانصار فقد يعتقد المعتقد

". (١)

"

وسقطتهم وإذا كان يقوم الرجل الفرد بالذب عن اخيه وبهداية من يستهديه ونصرة من يندبه ويستدعيه فالاسلام في حكم شخص مائل يلتمس من يقيم اوده ويجمع شتاته وبدده ويكون عضده ومدده ووزره وعدده فلئن وجب استعاف الرجل الواحد بمناه واجابته في استنجاده واسترفاده إلى مهواه فالاسلام اولى بالذب والنادب اليه الله وانما لم يجعل لآحاد الناس شهر السلاح ومحاولة المراس في رعاية الصلاح والاستصلاح لما فيه من نفرة النفوس والاباء والنفاس والافضاء إلى التهارش والشماس

والذي يزيل اصل الاشكال والالباس انا نجوز للمطوعة في الجهاد الايغال في بلاد أهل العناد من الكفار على الاستبداد وان كان الاولي أن يكون صدرهم عن رأي الأمام الذي اليه الاستناد فلما كان غايتهم الاستشهاد والشهادة احدى الحسنيين لم نمنع **المطوعة** من التشمير للقتال والنزاع بين المسلمين محذور والسبب المفضي اليه محرم محظور فإذا

". (٢)

"منازلهم وأعانهم على البناء، وأقطع الفرض قطائع ومساكن.

ولما استخلف المهدى فرض بالمصيصة لالفى رجل ولم يقطعهم لانها قد كانت شحنت من الجند **والمطوعة**، ولم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكية في كل عام حتى وليها سالم

البرلسى، وفرض موضعه لخمس مئة مقاتل على خاصة عشرة دنانير.

فكثر من بها وقووا.

وذلك في خلافة المهدى.

٤٣٥ - وحدثني محمد بن سهم، عن مشايخ الثغر قالوا: ألحت الروم على أهل المصيصة في أول أيام

---

(١) غياث الأمم والتياث الظلم، ص/١٨٦

(٢) غياث الأمم والتياث الظلم، ص/٢٤٤

الدولة المباركة حتى جلوا عنها.
فوجه صالح بن على جبريل بن يحيى البجلى إليها فعمرها وأسكنها الناس في سنة أربعين ومئة.
وبنى الرشيد٢٥فربيا، ويقال: بل كانت ابتديت في خلافة المهدى ثم غير الرشيد بناءها وحصنها بخندق.
ثم رفع إلى المأمون في أمر غلة كانت على منازلها فأبطلها.
وكانت منازلها كالخانات.
وأمر فجعل لها سور فرفع، فلم يستتم حتى توفى، فأمر المعتصم بالله بإتمامه وتشريفه.
٤٣٦ - قالوا: وكان الذى حصن المثقب هشام بن عبد الملك على يد حسان بن ماهويه الانطاكي.
ووجد في خندقه حين حفر عظم ساق مفرط الطول (ص ١٦٦) فبعث به إلى هشام.
وبنى هشام حصن قطرغاس على يدى عبد العزيز بن حيان الانطاكي، وبنى هشام حصن مورة على يدى رجل من أهل أنطاكية.
وكان سبب بنائه إياه أن الروم عرضوا لرسول له في درب اللكام عند العقبة البيضاء، ورتب فيه أربعين رجلا وجماعة من الجراجمة، وأقام ببغراس ملحة في خمسين رجلا، وابتنى لها حصنا.
وبنى هشام حصن بوقا من عمل أنطاكية، ثم جدد وأصلح حديثا.." (١)

"٤٤٦ - قالوا: والحصن المعروف بذى الكلاع إنما هو الحصن ذو القلاع لانه على ثلاث قلاع.
فحرف اسمه.
وتفسير اسمه بالرومية الحصن الذى مع الكواكب.
٤٤٧ - وقالوا: سميت كنيسة الصلح لان الروم لما حملوا صلحهم إلى الرشيد نزلوها.
ونسب مرج حسين إلى حسين بن مسلم الانطاكي.
وذلك أنه كانت له به وقعة ونكاية في العدو.
٤٤٨ - قالوا: وأغزى المهدى ابنه هارون الرشيد في سنة ثلاث وستين ومئة.
فحاصر أهل صمالو وهى التى تدعوها العامة سمالو.
فسألوه الامان لعشرة أهل أبيات فيهم القومس فأجابهم إلى ذلك.
وكان في شرطهم أن لا يفرق بينهم.
فأنزلوا ببغداد على باب الشماسية.

---

(١) فتوح البلدان، ١٩٧/١

فسموا موضعهم سمالو، فهو معروف.

ويقال بل نزلوا على حكم المهدى فاستحياهم وجمعهم بذلك الموضع، وأمر (ص ١٧٠) أن يسمى سمالو.

وأمر الرشيد فنودى على من بقى في الحصن فبيعوا.

وأخذ حبشي كان يشتم الرشيد والمسلمين فصلب على برج من أبراجه.

٤٤٩ - وحدثني أحمد بن الحارث الواسطي عن محمد بن سعد، عن الواقدي قال: لما كانت سنة ثمانين ومئة أمر الرشيد بابتناء مدينة عين زربة وتحصينها، وندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم فأقطعهم بها المنازل.

ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين ومئة أمر ببناء الهارونية، فبنيت وشحنت أيضا بالمقاتلة ومن نزح إليها من المطوعة ونسبت إليه.

ويقال إنه بناها في خلافة المهدى ثم أتمت في خلافته.." (١)

" قراءة ابي عمرو وجالس احمد بن جنبل وكان احمد اذا عرضت مسألة يقول ما تقول فيها يا صوفي وجالس بشر بن الحارث وابا نصر التمار وسريا السقطي وسافر مع ابي تراب النخشبي الا انه انغمس في مذاهب الصوفية حتى روينا انه وقع في بئر فجاز قوم فأخذوا يطمونها فرأنى من التوكل ان لا ينطق وسكوته في مثل هذا يخالف الشرع وقد قيل ان الواقع في البئر ابو حمزة الخراساني لا البغدادي والله اعلم

اخبرنا ابو منصور القزاز اخبرنا ابو بكر احمد بن علي قال اخبرني الحسن بن ابي الفضل الشر مقاني حدثنا ابراهيم بن احمد بن محمد الطبري حدثنا معروف بن محمد ابن معروف الواعظ حدثنا ابو سعيد الزيادي قال كان ابو حمزة استاذ البغداديين وهو اول من تكلم ببغداد في هذه المذاهب من صفاء الذكر وجمع الهم والمحبة والشوق والقرب والانس ولم يسبقه الى الكلام على رؤوس الناس ببغداد احد وما زال حسن المنزلة عند الناس الى ان توفي سنة تسع وستين ومائتين ودفن بباب الكوفة وقد ذكر السلمي انه توفي في سنة تسع وثمانين والاول اصح

١٥٦ - محمد بن الخليل

ابن عيسى ابو جعفر المخرمي سمع عبيد الله بن موسى وروح بن عبادة وحجاج ابن محمد وغيرهم روى عنه وكيع القاضي ومحمد بن مخلد وغيرهما وكان ثقة من خيار الناس وتوفي في شعبان هذه السنة سنة

---

(١) فتوح البلدان، ٢٠٢/١

ثم دخلت سنة سبعين ومائتين

فمن الحوادث فيهاوقعة كانت بين ابي احمد وصاحب الزنج في المحرم اضعفت اركان صاحب الزنج واسمه بهبوذ وفي صفر قتل وشرح القصة ان ابا احمد الح على حربه ورغب الناس في جهاد العدو وصار معه جماعة من **المطوعة** ورتب الناس ." (١)

" بنيسابور وسمع ببغداد والكوفة روى عنه ابو بكر البرقانى وقال كان ثقة جليلا وحجة واكثر اثار نيسابور منوطة باهل بيته

اخبرنا عبد الرحمن بن محمد اخبرنا احمد بن على بن ثابت اخبرنى محمد بن على المقرئ عن محمد بن عبد الله الحافظ النيسابورى قال كان حسينك تربية ابى بكر ابن خزيمة وجاره الأدنى وفى حجره من حين ولد الى ان توفى ابو بكر وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وكان ابن خزيمة اذا نخلف عن مجالس السلاطين بعث بالحسين نائبا عنه وكان يقدمه على جميع اولاه ويقرأ له وحده مالا يقرأه لغيره وكان يحكى ابا بكر فى وضوءه وصلاته فانى ما رأيت فى الاغنياء احسن طهارة وصلاة منه ولقد صحبته قريبا من ثلاثين سنة فى الحضر والسفروفى والحر وفى البرد فما رايته ترك صلاة الليل وكان يقرأ فى كل ليلة سبعا من القرآن ولا يفوته ذلك وكانت صدقاته دائمة فى السر والعلانية ولما وقع الاستنفار لطرسوس دخلت عليه وهو يبكى ويقول قد دخل الطاغى ثغر المسلمين طرسوس وليس فى الخزانة ذهب ولا فضة ثم باع ضيعتين نفيستين من اجل ضياعه بخمسين الف درهم واحرج عشرة من الغزاة **المتطوعة** الاجلاد بدلا عن نفسه وسمعته غير مرة يقول اللهم انك تلم انى لادخر ما ادخره ولا اقتنى هذه الضباع الا للاستغناء عن خلقك والاحسان الى اهل السنة والمستورين توفى فى ربيع الآخر من هذه السنة وصلى عليه ابو احمد بنيسابور

١٨٣ – عبيد الله بن محمد

ابن احمد بن محمد ابو الحسين الشيبانى المعروف بالحوشبى سمع ابا بكر بن ابى داود روى عنه البرقانى والتنوخى وكان ثقة ثبتا مستورا امينا توفى فى ذى القعدة من هذه السنة

١٨٤ – عبد الرحمن بن محمد

ابن عبد الله بن مهران ابو مسلم سمع الباغندى والبغوى ورحل الى الشام والى ." (٢)

---

(١) المنتظم، ٥/٦٩

(٢) المنتظم، ٧/١٢٨

" العبد مسعودا مع عشرة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل وشحن بلخ وطخرستان بارسلان حاجب مع اثنتى عشر الف فارس وعشرة آلاف راجل وضبط ولاية خوارزم بالتونتاش الحاجب مع عشرين الف فارس وعشرين الف راجل وانتخب ثلاثين الف فارس وعشرة آلاف راجل لصحبة راية الاسلام وانضم اليه جماهير **المطوعة** وخرج العبد من غزنة يوم السبت الثالث عشر من جمادى الاولى سنة تسع بقلب منشرح لطلب الشهادة ونفس مشتاقة الى درك الشهادة ففتح قلاعا وحصونا واسلم زهاء عشرين الفا من عباد الوثن وسلموا قدر الف الف درهم من المورق ووقع الاحتواء على ثلاثين فيلة وبلغ عدد الهالكين منهم خمسين ألفا ووافى العبد مدينة لهم عاين فيها زهاء ألف قصر مشيد وألف بيت للأصنام ومبلغ ما في الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال وثلثمائة مثقا وقلع من الأصنام الفضية زيادة على ألف صنم ولهم صنم معظم يؤرخون مدته لعظم جهالتهم بثلثمائة ألف عام وقد بنوا حول تلك الأصنام زهاء عشرة آلاف بيت للأصنام المنصوبة واعتنى العبد بتخريب هذه المدينة اعتناء تاما وعمها المجاهدون بالاحراق فلم يبق منها إلا الرسول وحين وجد الفراغ لاستيفاء الغنائم حصل منها عشرون ألف ألف درهم وافرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثة وخمسين الفا واستعرض ثلثمائة وستة وخمسين فيلا

وفى ربيع الاول جلس القادر بالله وقرىء عهد الملك ابى الفوارس ولقب قوم الدولة وحملت اليه الخلع بولاية كرمان وتأخر الحاج الخراسانية وتوقف الأمر من العراق وفى هذه السنة مات الاصيفر المنتفقى الذى كان يخفر الحاج وفى يوم الاربعاء تاسع ذى الحجة نشأت ريح شديدة كالزلزلة وورد معها رمل أحمر وفيها قبض على الوزير ابن فسانجس وعلى اخوته ." (١)

" للثواب الجزيل ونهض العبد في شعبان سنة ست عشرة في ثلاثين الف فارس اختارهم سوى **المطوعة** ففرق في **المطوعة** خمسين الف دينار ليستعينوا على أخذ الآ هبة ثم مضى في مقارنة اصعب مما وصف وقضى الله الوصول الى بلد الصنم واعان حتى ملك البلد وقلع الوثن واوقدت عليه النار حتى تقطع وقتل خمسون الف من سكان البلد

وفي يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة الى دار المملكة بعد أن خرج الخليفة ليلقيه قبل ذلك بساعة فاجتمعا في دجلة ونزل الخليفة من داره في الطيار بين سرادقين مضروبين ومعه الامير ابو جعفر وابو الحسن علي بن عبد العزيز والمرتضى ابو القاسم الموسري ونظام الحضرتين ابو الحسن الزينبي والمصطنع ابو نصر منصور بن رطاس الحاجب وانحدر الى ان قرب من مضرب الملك جلال الدولة فخرج

---

(١) المنتظم، ٢٩٣/٧

اليه في زبزبه وصعد فقبل الارض دفعات وجلس بين يديه على كرسي طرح له وسأله عن اخباره وعرفه انه يقرب داره فشكر ودعا وعاد الى الزبزب فوقف فيه فتقدم اليه الخليفة بالجلوس فجلس وتبع الطيار على سبيل الخدمة الى ان عبر الى درجة دار الخليفة وصعد الملك من الزبزب وجلس في خيمة لطيفة ضربت له على شاطيء دجلة بقرب قصر عيسى ثم مضى الى دار المملكة وتقدم بأن يضرب له الطبل على بابها في اوقات الصلوات الخمس على مثل ما كان سلطان الدولة فعله عند وروده وغير مشرف الدولة بعده ورده الى الرسم وهو في اوقات الصلوات الثلاث وعلى ذلك جرت العادة في ايام عضد الدولة وصمصامها وشرفها وبهائها فثقل ما فعله على الخليفة لانه مساواة له وراسل في معناه فاحتج بما فعله سلطان الدولة فقيل ذلك على غير اصل ومن غير اذن ولم تجر العادة بمماثلة الخليفة في هذا الأمر ثم تردد الرسائل ما نتهى الى ان قطع الملك ضرب الطبل في الواحدة فأذن الخليفة في ضرب الطبل في اوقات الصلوات الخمس

وفي هذه السنة حلف جلال الدولة لجنوده على الوفاء والصفاء وحلف ." (١)

" فضلون الكردي غزا الخزم فقتل منهم وسبى وغنم من اموالهم غنما كثيرا وعاد الى بلده يقدر انه قد كسر شوكتهم وامن غائلتهم فاتبعوه وكسبوه واستنقذوا الغنائم والسبي من يده قتلوا من الأكراد والمطوعة اكثر من عشرة الآف واستباحوا اموالهم

وكان ملك الروم قد قصد حلب في ثلثمائة الف ومعه أموال على سبعين جمازة فأشرف على عسكره مائة فارس من لعرب والف راجل فظن الروم انها كبسة فلبس ملكهم خفا اسود حتى يخفي امره وافلت واخذوا من خاصته اربعمائة بغل محملة ثيابا وقتلوا مقتله كثيرة من رجاله

ولليلة بقيت من رمضان كان اول تشرين الاول وينقضي ايلول عن حر شديد زاد على حر تموز وحزيران زيادة كثيرة وعصفت في اليوم السابع منه ريح سموم تلاها رعد ومطر جود

وكان في هذه السنة موتان ببغداد وجرف عظيم في السواد

وفي سادس شوال جرت منازعة بين احد الاتراك النازلين بباب البصرة وبعض الهاشميين فاجتمع الهاشميون الى جامع المدينة ورفعوا المصاحف واستنفروا الناس فاجتمع لهم الفقهاء والعدد الكثير من الكرخ وغيرها وضجوا بالاستغفار من الاتراك وسبهم فركب جماعة من الاتراك فلما رأوهم قد رفعوا اوراق القرآن على القصب رفعوا بازائهم قناة عليها صليب وترامى الفريقان بالنشاب والآجر وقتل من الآجر قوم ثم اصلحت الحال

---

(١) المنتظم، ٣٠/٨

وفي ليالي هذه الايام كثرت العملات والكبسات الجانب الشرقي من البرجمي ورجاله وقصدوا درب عليه ودرب الربع ففتحوا فيها عدة خانسارات ومخازن وأخذوا منها شيئا كثيرا وكبسوا عدة دور واستولوا على ما فيها

وتجدد القتال بين القلائين والدقاقين واسمترت الفتنة ودخل من كان غائبا من العيارين وكثر الاستقفاء وفتح الدكاكين وعمل العملات ليلا ولم يعمل الغدير ولا الغار في هذه السنة لأجل الفتنة وفي هذا الوقت تجدد دخول ." (١)

" فلما كان يوم الخميس ثالث عشر جمادي الآخرة استدعى السلطان الامراء سيف الدولة واياز وغيرهما فحضورا فخرج اليهم الحاجب وقال السلطان يقول لكم بلغنا نزول الامير ارسلان بن سليمان بديار بكر وينبغي ان يجتمع آراؤكم على من يتجهز لقتاله فقال الجماعة هذا امر لا يصلح الا للامير اياز فقال اياز ينبغي ان اجتمع مع سيف الدولة ونتعاضد على ذلك فخرج الحاجب فقال السلطان يقول لكما قوما فادخلا لتقع المشورة ها هنا فدخلا اليه وقد رتب اقواما لقتل اياز فلما دخل اياز بادره احدهم بضربة أبان بها رأسه واما سيف الدولة فغطى وجهه بكمه واما الوزير سعد الملك فأظهر انه اخذته غشية واخرج اياز مقتولا في زلى ورأسه مقطوع على صدره فألقى بازاء دار السلطان وركب عسكر اياز الى داره فنهبوها وجمع بين بدنه ورأسه قوم من المطوعة وكفنوه في خرقة خام وحملوه الى مقبرة الخيزران

وفي ثاني عشر رجب ازيل الغيار عن اهل الذمة الذين كان الزموه في سنة اربع وثمانين ولا يعرف سبب زواله

وفي هذا الشهر مضى ابن جهير في الموكب فخلع على السلطان محمد وقصد دار وزيره سعد الملك وحمل اليه من دار الخليفة الدست والدواة والخلع

وفي هذا الشهر قصد الوزير سعد الملك المدرسة النظامية وحضر تدريس الكيا الهراسي بها ليرغب الناس في العلم

وانفذ السلطان محمد الى الوزير الزعيم الخلع الكاملة فلبسها في الديوان وانفذ الى كل واحد من الكتاب تختا من الثياب وجاء سعد الملك الى دار الزعيم مسلما وزائرا

---

(١) المنتظم، ٨/٥٠

وفي شعبان خرج السلطان محمد من بغداد ورتب البرسقى شحنة العراق وفوض العمارة الى محمد بن الحسن البلخي ورد امر واسط الى سيف الدولة صدقة ." (١)

"وباب هرقلة مطل على واد وخندق يطيف بها، وذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور أن أهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار، وعضتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار فتحوا الباب فاستشرف المسلمون لذلك – ، فإذا رجل من أهلها كأجمل الرجال قد خرج في أكمل السلاح، فنادى: يا معشر العرب: قد طالت مواقفتكم إيانا، فليخرج إلي منكم الرجل والعشرة إلى العشرين مبارزة، فلم يخرج إليه من الناس أحد، ينتظرون إذن الرشيد، وكان الرشيد نائما فعاد الرومي إلى حصنه، فلما استيقظ أخبر بذلك، فتأسف ولام خدمه على تركهم إيقاظه، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إن امتناع الناس منه اليوم يطمعه ويطغيه ويجرئه أن يخرج في غد فيطلب المبارزة ويعود لمثل قوله، فطالت على الرشيد ليلته، وأصبح كالمنتظر له، إذ فتح الباب، فإذا الفارس قد خرج، وعاد إلى كلامه، فقال الرشيد: من له؟ فابتدره جلة القواد، فعزم على إخراج بعضهم، فضج أهل الثغور **والمتطوعة** بباب المضرب، فأذن لبعضهم، وفي مجلسه مخلد بن الحسين وإبراهيم الفزاري، فدخلوا، فقالوا: يا أمير المؤمنين، قوادك مشهورون بإلباس والنجدة، وعلو الصيت ومباشرة الحرب ومتى خرج واحد منهم وقتل هذا العلج لم يكبر ذلك، وإن قتله العلج كانت وصمة على العسكر عظيمة، وثلمة لا تنسد، ونحن عامة لا يرتفع لأحد منا صيت فإن رأى أمير المؤمنين أن يختار رجلا منا يخرج إليه فعل، فصوب الرشيد رأيهم وقال مخلد وإبراهيم: صدقوا يا أمير المؤمنين، فأومؤا إلى رجل منهم يعرف بابن الجزري مشهور في الثغور موصوف بالنجدة، فقال له الرشيد: أتخرج إليه؟ قال: نعم، وأستعين بالله عليه، فقال: أعطوه فرسا وسيفا ورمحا وترسا، فقال: يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق، ورمحي في يدى أشد، ولكن قد قبلت السيف والترس. فلبس السلاح، وأشتدناه الرشيد فودعه وأتبعه بالدعاء، وخرج معه عشرون من **المتطوعة**، فلما انقض في الوادي قال لهم العلج وهو يعدهم واحدا: إنما كان الشرط عشرين، وقد إزددتم رجلا ولكن لا بأس، فناده: ليس يخرج لك منا إلا رجل واحد، فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله العلج، وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم، فقال له الرومي: أتصدقني عما أسألك عنه؟ قال: نعم، قال: أنت ابن الجزري بالله. قال: اللهم نعم، فكف لك، قال: بل كف، ثم أخذا في شأنهما، فتطاعنا حتى طال الأمر بينهما، وكاد الفرسان أن يقوما تحتهما، وليس واحد منهما خدش صاحبه، ثم رميا برمحيهما هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه، وانتضيا سيوفهما وقد اشتد الحر عليهما، وتبلد

---

(١) المنتظم، ١٤٣/٩

جواداهما، فجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يظن أنة قد بالغ فيها فيتقيها الرومي، وكانت درقته حديدا، فيسمع لها صوت منكر، ويضربه الرومي فيغوص سيفه لأن ترس ابن الجزري كان درقة تبتية، وكان العلج يخاف أن يغوص السيف فيعطب، فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزري، فداخلت الرشيد والمسلمين من ذلك كآبة لم يصبهم مثلها، وعطعط المشركون من حصنهم، وإنما كانت حيلة من ابن الجزري، فاتبعه العلج وعلا عليه، فلما تمكن منه ابن الجزري رماه بوهق فاختطفه من سرجه، ثم عطف عليه، فما وصل إلى الأرض جسده حتى فارقه رأسه، وكبر المسلمون، وانكسر المشركون، وبادروا الباب ليغلقوه، واتصل الخبر بالرشيد، فصاح بالقؤاد أن يجعلوا في حجارة المجانيق النار، فليس عند القوم دفع بعدما، وعاجلهم المسلمون إلى الباب فدخلوها بالسيف، وقيل: إنهم نادوا بالأمان، فأمنوا، وافتتاحها عنوة أشهر من قول من قال.: إنها فتحت صلحا، فقال في ذلك الشاعر الحكمي وهو أبو نواس:

هوت هرقلة لما رأت عجبا ... جواثما ترتمي بالنفط والنار

كأن نيراننا من جنب قلعتهم ... كمشعلات على أرسان قصار

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره في ذلك الوقت للمعنى، وعظمت لصاحبه الجائزة، وصبت الأموال على ابن الجزري، وقؤد، وخلع عليه، فلم يقبل شيئا من ذلك، وسأل أن يعفى ويترك على ما هو عليه. ففي هذا يقول الشاعر أبو العتاهية:

ألا نادت هرقلة بالخراب ... من الملك الموفق للصواب

غدا هارون يرعد بالمنايا ... ويبرق بالمذكرة العضاب." (١)

"ووصل إلى المأمون أبو الحسن علي بن موسى الرضا، وهو بمدينة مرو، فأنزله المأمون أحسن إنزال، وأمر المأمون بجميع خواص الأولياء، وأخبرهم أنه نظر في ولد العباس، وولد علي رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا، فبايع له بولاية العهد، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، وزوج محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته أم الفضل، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام وأظهر بدلا من ذلك الخضرة في اللباس والأعلام وغير ذلك ونمي ذلك إلى من بالعراق من ولد العباس، فأعظموه إذ علموا أن في ذلك خروج الأمر عنهم، وحج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بأمر المأمون، واجتمع من بمدينة السلام من ولد العباس ومواليهم وشيعتهم على خلع المأمون ومبايعة إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة، فبويع له يوم الخميس لخمس ليال خلون من المحرم سنة اثنتين

---

(١) مروج الذهب، ١٤٨/١

ومائتين، وقيل: إن ذلك في سنة ثلاث ومائتين.

مقتل الفضل بن سهل

وفي سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل ذو الرياستين في حمام غيلة، وذلك بمدينة سرخس من بلاد خراسان، وذلك في دار المأمون في مسيره إلى العراق فاستعظم المأمون ذلك وقتل قتلته، وسار المأمون إلى العراق.

موت علي بن موسى الرضا

وقبض علي بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله وأكثر منه، وقيل: إنه كان مسموما، وذلك في صفر سنة ثلاث ومائتين، وصلى عليه المأمون، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وقيل: سبع وأربعين سنة وستة أشهر. وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة، وكان المأمون زوج ابنته أم حبيبة لعلي بن موسى الرضا، فكانت إحدى الأختين تحت محمد بن علي بن موسى، والأخرى تحت أبيه علي بن موسى.

إبراهيم بن المهدي يخرج على المأمون

واضطربت بغداد في أيام إبراهيم بن المهدي، وثارت الرويبضة، وسموا أنفسهم **المطوعة**، وهم رؤساء العامة والتوابع، ولما قرب المأمون من مدينة السلام صلى إبراهيم بن المهدي بالناس في يوم النحر، واختفى في يوم الثاني من النحر، وذلك في سنة ثلاث ومائتين، فخلعه أهل بغداد، وكان دخوله المأمون بغداد سنة أربع ومائتين، ولباسه الخضرة، ثم غير ذلك، وعاد إلى لباس السواد، وذلك حين قدم طاهر بن الحسين من الرقة إليه.

خروج بابك الخرمي

وفي سنة أربع ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها، وفيها كان خروج بابك الخرمي ببلاد البدين في أصحاب جاويذان بن شهرك، وقد قدمنا ذكرنا بلاد بابك، وهي البدين من أرض أذربيجان والران والبيلقان فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل القبخ والباب والأبواب ونهر الراس وجريانه نحو بلاد البدين.

الظفر بإبراهيم

وبث المأمون عيونه في طلب إبراهيم بن المهدي، وقد علم باختفائه فيها، فظفر به ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة سبع ومائتين في زي امرأة، ومعه امرأتان، أخذه حارس بن أسود في الدرب المعروف بالطويل ببغداد، فأدخل إلى المأمون فقال: هيه يا إبراهيم، فقال: يا أمير المؤمنين، ولي

الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن تناوله الزمان واستولى عليه الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه، وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو، كما جعل كل في ذنب دوني، فإن تعاقب فبحقك، وإن تعف فبفضلك، قال: بل العفو يا إبراهيم، فكبر ثم خر ساجدا، فأمر المأمون فصيرت المقنعة التي كانت عليه على صدره ليرى الناس الحال التي أخذ عليها، ثم أمر به فصير في دار الحرس أياما ينظر الناس إليه، ثم حول إلى أحمد بن أبي خالد، ثم رضي عنه من بعد أن كان وكل به، فقال إبراهيم في ذلك من كلمة له:

إن الذي قسم المكارم حازها ... من صلب آدم للإمام السابع

جمع القلوب عليك جامع أهلها ... وحوى ودادك كل خير جامع

فبذلت أعظم ما يقوم بحمله ... وسع النفوس من الفعال البارع

وعفوت عمن لم يكن عن مثله ... عفو ولم يشفع إليك بشافع

زواج المأمون ببوران بنص الحسن بن سهل." (١)

"وفي هذه السنة – وهي سنة ثلاث وعشرين ومائتين – خرج توفيل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة، وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم، حتى نزل على مدينة زبطرة من الثغر الخزري، فافتتحها بالسيف، وقتل الصغير والكبير وسبى وأغار على بلاد ملطية، فضج الناس في الأمصار، واستغاثوا في المساجد والديار، فدخل إبراهيم بن المهدي على المعتصم، فأنشده قائما قصيدة طويلة يذكر فيها ما نزل بمن وصفنا ويحضه على الانتصار ويحثه على الجهاد، فمنها:

يا غارة الله قد عاينت فانتهكي ... هتك النساء وما منهن يرتكب

هب الرجال على أجرامها قتلت ... ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

هزيمة الروم

وإبراهيم بن المهدي أول من قال في شعره يا غارة الله.

فخرج المعتصم من فوره نافرا عليه دراعة من الصوف بيضاء، وقد تعمم بعمامة الغزاة، فعسكر في غربي دجلة، وذلك يوم الاثنين، لليلتين خلتا من جمادى الأولى من سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ونصبت الأعلام على الجسر، ونوعي في الأمصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين، فسارت إليه العساكر **والمطوعة** من سائر الإسلام، وجعل على مقدمته أشناس التركي، ويتلوه محمد بن إبراهيم، وعلى ميمنته إيتاخ التركي، وعلى

---

(١) مروج الذهب، ٢/٤٨

ميسرته جعفر بن دينار الخياط وعلى ساقته بغا الكبير ويتلوه دينار بن عبد الله وعلى القلب عجيف، وسار المعتصم من الثغور الشامية، ودخل من درب السلامة، ودخل الأفشين من درب الحدث، ودخل الناس من سائر الدروب، فلم يكن يحصي الناس العدد، ولا يضبطون كثرة، فمن مكثر ومقلل؛ فالمكثر يقول: خمسمائة ألف، والمقل يقول: مائتي ألف؛ ولقي ملك الروم الأفشين، فحاربه فهزمه الأفشين، وقتل أكثر بطارقته وأصحابه، وحماه رجل من المتنصرة يقال له نصير في خلق من أصحابه، وقد كان الأفشين قصر عن أخذ الملك في ذلك اليوم حين ولي، وقال: هو ملك، والملوك تبقي بعضا على بعض، وفتح المعتصم حصونا كثيرة، ونزل على مدينة عمورية، ففتحها الله على يديه، وخرج إليه لاوي البطريق منها، وسلمها إليه، وأسر البطريق الكبير منها، وهو باطس، وقتل منها ثلاثين ألفا، وأقام المعتصم عليها أربعة أيام يهدم ويحرق، وأراد المسير إلى القسطنطينية، والنزول على خليجها، والحيلة في فتحها برا وبحرا، فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون، وأن ناسا قد بايعوه، وأنه كاتب طاغية الروم، فأعجل المعتصم في مسيره وحبس العباس وشيعته.

وفي هذه السنة مات العباس بن المأمون.

خروج المازيار صاحب طبرستان وموته

وفي سنة خمس وعشرين ومائتين أدخل بن قارن بن بندارهرمس صاحب جبال طبرستان إلى سامرا وقد كان أصطنعه المأمون، فعصى في أيام المعتصم، وكثرت عساكره، واتسعت جيوشه، وكتب المعتصم إليه يأمره بالحضور، فأبى، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بحربه، فسير إليه من نيسابور عمه الحسن بن الحسين بن مصعب، فنزل مدينة السارية من بلاد طبرستان، بعد حروب كثيرة كانت له مع المازيار، وأتت الحسن بن الحسين عيونه بركوب محمد بن قارن – وهو المازيار – إلى الصيد في نفر يسير، فبادره الحسن وناوشه الحرب، فأسر وحمل إلى سامرا فأقر على الأفشين: أنه بعثه على الخروج والعصيان، لمذهب كانوا اجتمعوا عليه، ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس، وقبض على الأفشين قبل قدوم المازيار بسامرا بيوم، وأقر عليه كاتب له يقال له: سابور، فضرب المازيار بسوط حتى مات، بعد أن شهر وصلب إلى جانب بابك، وقد كان المازيار رغب المعتصم في أموال كثيرة يحملها إليه إن هو من عليه بالبقاء، فأبى قبول ذلك، وتمثل:

إن الأسود أسود الغيل همتها ... يوم الكريهة لي المسلوب لا السلب

ومالت خشبة مازيار إلى خشبة بابك، فتدانت أجسامهما، وقد كان صلب في ذلك الموضع باطس بطريق

عمورية، وقد انحنت نحوهما خشبته، ففي ذلك يقول أبو تمام حبيب بن أوس من كلمة له:
ولقد شفى الأحشاء من برحائها ... إذ صار بابك جار مازيار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن ... لاثنين ثان إذ هما في الغار." (١)

"ووجه الموفق ابنه أبا العباس لمحاربة أبي الجيش خمارويه في سنة إحدى وسبعين ومائتين، فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال في هذه السنة، فكانت الهزيمة على أبي الجيش، واحتوى أبو العباس على جميع عسكره، وأفلت أبو الجيش في جماعة من قواده حتى أتى الفسطاط، وتخلف غلامه سعد الأعسر فواقع أبا العباس، فهزمه واستباح عسكره، وقتل رؤساء قواده، وجلة أصحابه، ومضى أبو العباس لا يلوي على شيء حتى أتى العراق، وقلد أبو الجيش أمر وزراته علي بن أحمد المادراني، وأبو بكر محمد بن علي بن أحمد المادراني هو المعتقل في يد الإخشيد محمد بن طغج في هذا الوقت – وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة – وقد كان على وزارته بمصر هو وولده الحسين بن محمد، فلما استوزر الإخشيد أبا الحسن علي بن خلف بن طباب وانفصل من دمشق إلى الفسطاط قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن خلف واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب.

الربيع المراعي

وفي سنة سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان، المراثي، المؤذن، صاحب محمد بن إدريس الشافعي، والراوي لأكثر كتبه عنه بمصر.

وأخبرنا أبو عبد الله الحسن بن مروان المصري وغيره، عن الربيع بن سليمان قال: استعار الشافعي من محمد بن الحسن الكوفي شيئا من كتبه! فلم يبعث بها إليه، فكتب إليه الشافعي:

يا، قل لمن لم تر عين من رآه مثله
من كان من قدراءه ... ما قد رأى من قبله
ومن كلامنا له ... حيث عقلنا عقله
لأن ما يجنه ... فاق الكمال كله
العلم ينهى أهله ... أن يمنعوه أهله
لعله يبذله ... لأهله لعله

فبعث إليه محمد بن الحسن بأكثر كتبه التي سأل عنها.

---

(١) مروج الذهب، ٦٤/٢

المعتمد والموفق

وبايع المعتمد لابنه جعفر، وسماه المفوض إلى الله، وقد كان المعتمد آثر اللذة، واعتكف على الملاهي، وغلب أخوه أبو أحمد الموفق على الأمور وتدبيرها، ثم حظر على المعتمد وحبسه، فكان أول خليفة قهر وحبس وحجر عليه، ووكل به بفم الصلح، وقد كان قبل ذلك هرب وصار إلى حديثة الموصل، فبعث الموفق بصاعد إلى سامرا، وكتب إلى إسحاق بن كنداج فرده من حديثة الموصل.

خروج أحمد بن طولون

وفي سنة أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مظهرا للغزو في عساكر كثيرة وخلق من **المطوعة** قد انجذبوا معه من مصر وفلسطين، فقبل وصوله إلى دمشق مات ماجور التركي بدمشق، وقد كان عليها، فدخلها أحمد، واحتوى على جميع تركته من الخزائن وغيرها، وسبار منها إلى حمص، وسار منها إلى بلاد أنطاكية، ووصلت مقدمته إلى بلاد الإسكندرية من شاطئ بحر الروم، ووصل هو إلى الموضع المعروف ببغراس من جبل اللكام، وقد تقدمته **المطوعة** والغزاة إلى الثغر الشامي، ثم عطف هو راجعا من غير أن يكون تقدم إلى الناس معرفة ذلك منه، حتى نزل مدينة إنطاكية، وفيها يومئذ سيما الطويل في عدة منيعة من الأتراك وغيرهم وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء إنطاكية وقصة سورها، والملك الباني لها، وصفة سورها في السهل والجبل. وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على أنطاكية وقع بين سيما وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم من أرض الشام، وكان سيما الطويل قط عم أذاه أهلها من قتل وأخذ مال، وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب فارس تلقاء السوق، وقد أحاطت عساكره بها، ونزل غلامه المعروف بلؤلؤ على باب من أبوابها يعرف بباب البحر، وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر إلى السلطان مستأمنا، فأتى الموفق وهو منازل لصاحب الزنج، فكان من أمره وقتل صاحب الزنج ما قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كما قدمنا أيهم القاتل لصاحب الزنج، وكادت الحال أن تنفرج بينهم في فلك اليوم حتى قيل في عسكر الموفق:

كيفما شئتم فقولوا ... إنما الفتح للولو." (١)

"وفي رجب من هذه السنة، وهي سنة سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة في جيش عظيم ومعه خلق من **المطوعة** نحو هجر، فالتقى هو وأبو سعيد الجنابي، فكانت بينهم وقائع

---

(١) مروج الذهب، ٢/١٢٨

انهزم فيها أصحاب العباس، وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرا، دون من هلك من الرمل والعطش، فأحرقت الشمس أجسادهم؛ ثم إن أبا سعيد من على العباس بن عمرو بعد ذلك فأطلقه فصار إلى المعتضد فخلع عليه وبعد هذه الوقعة افتتح أبو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل، وقد أتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذي من أجله كانت تخلية أبي سعيد العباس بن عمرو الغنوي في كتابنا الأوسط، وما كان من أمر العباس عمرو مع من بالبحرين من قومه وعصبتهم له.

الداعي العلوي

وفي هذه السنة – وهي سنة سبع وثمانين ومائتين – كان مسير الداعي العلوي من طبرستان إلى بلد جرجان في جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم فلقيته جيوش المسودة من قبل إسماعيل بن أحمد، وعليها محمد هارون، فكانت وقعة لم ير مثلها في ذلك العصر، وصبر الفريقان جميعا وكانت للمبيضة على المسودة، ثم كانت مكيدة من محمد بن هارون لما رأى من ثبوت الديلم على مصافها، فلم ينقض صفوفه، وولى فأسرعت الديلم ونقضت صفوفها، فرجعت عليهم المسودة، وأخذ السيف، فقتل منهم بشر كثير وأصاب الداعي ضربات، وذلك أن أصحابه لما نقضوا صفوفهم في الغنيمة ولم يعرجوا عليه ثبت مع من وقف لنصره فكرت عليهم الجيوش، فأسفرت الحرب وقد أثخن يا لكلوم، وأسر ولى زيد بن محمد بن زيد وغيره، وبقى محمد الداعي أياما يسيرة، وتوفى لما ناله، فدفن بباب جرجان وتبره هناك معظم إلى هذه الغاية.

وقد أتينا على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته، وخبر بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف حين دخل إليه مسنامنا في كتابنا أخبار الزمان وكذلك ذكرنا خبر يحيى بن الحسين الحسني الرسي باليمن، وتظافره هو وأبو سعد بن يعفر على كان من حروبهم باليمن مع القرامطة، وما كان من أمرهم مع علي بن الفضل صاحب المذيخرة، وما كان من قصته وخبر وفاته، وقصة شيخ لاعة صاحب قلعة نحل، وحبر وللى إلى هذا الوقت بها – وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة – ونزول يحيى بن الحسين الرسي مدينة صعدة من بلاد اليمن، وخبر ولده أبي القاسم، وخبر ولد ولده إلى هذه الغاية وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعا منبهين على ما قدمنا من تصنيفنا مما بطناه من أخبار من ذكرناه وشرحنا من قصصهم وسيرهم وما كان منهم.

المعتضد ووصيف الخادم." (١)

"فسير المقتدر هارون بن غريب في الحال نحو قزوين فكانت له معه حروب، فانكشف هارون وقتل من أصحابه خلق كثير، وذلك بباب قزوين، وقد كان أهل قزوين عاونوا أصحاب السلطان، فقتلوا منهم عدة،

---

(١) مروج الذهب، ٢/١٥٤

فكانت لهم بعد هزيمة هارون بن غريب مع الديلم حروب، وسار إليهم أسفار بن شيرويه؛ فأتى على خلق عظيم بها، وملك القلعة التي في وسط قزوين، وتدعى بالفارسية: كشوين وهو الحصن الذي كان للمدينة أولا في نهاية المنعة، مما كانت الفرس جعلته ثغرا بإزاء الديلم وشحنته بالرجال، لأن الديلم والجبل – مذ كانوا – لم ينقادوا إلى ملة، ولا استحبوا شرعا ثم جاء الإسلام، وفتح الله على المسلمين البلاد، فجعلت قزوين للديلم ثغرا هي وغيرها، مما أطاف ببلاد الديلم والجبل وقصدها **المطوعة** والغزاة؛ فرابطوا وغزوا ونفروا منها، إلى أن كان من أمر الحسن بن علي العلوي الداعي الأطروش؛ وإسلام من ذكرنا من ملوك الجبل والديلم على يديه ما تقدم ذكره في صدر هذا الباب من خبره، والآن قد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم وألحد أكثرهم، وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم يدخلون في الإسلام، وينصرون من ظهر ببلاد طبرستان من آل أبي طالب، مثل الحسن ومحمد ابني زيد الحسيني؛ وخرب أسفار بن شيرويه قزوين لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله، وقلع أبوابها، وسبى، وأباح الفروج، وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع، فأمر أن ينكس منها على أم رأسه، وخرب المساجد، ومنع الصلوات، فاستغاث الناس – في المساجد في أمصار المشرق، واستفحل أمره، وسار صاحب خراسان يريد الري لحرب أسفار بن شيرويه في عساكره وانفصل عن مدينة بخارى، وهي دار مملكة صاحب خراسان في هذا الوقت، وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور، وسار أسفار بن شيرويه إلى الري، وجمع عساكره، وضم إليه رجاله من الأطراف، وعزم على محاربة صاحب خراسان فأشار عليه وزيره – وهو مطرف الجرجاني، وكان يخاطب بالرئيس – أن يلاطف صاحب خراسان، ويراسله ويطمعه في المال وإقامة الدعوة؛ فإن الحرب تارات، وأوقاتها سجال، والإنفاق عليها من رأس المال، فإن جنح إلى ما دعوته إليه وراسلته به، وإلا فالحرب بين يديك، لأن من معك من الأتراك وأكثر فرسان خراسان إنما هم رجاله، وإنما قد تملكتهم بالإحسان إليهم، ولا تدري لعله إذا قرب منك صاروا مع صاحبهم، فقبل قوله: وأمر بمكاتبته، فلما وردت الكتب على صاحب خراسان أبى أن يقبل شيئا من ذلك، وعزم على المسير إليه، فأشار عليه وزيره أن يقبل منه ما بذل، وأن يرضى منه بما تحمل من الأموال وإقامة الدعوة، فإن الحرب عثراتها لا تقال، ولا يدرى إلى ما تؤول، لأن الرجل قوي بالمال والرجال، فإن هزم لم يكن في ذلك كبير فتح، إذ كان رجلا من رجالك انتدبته لحرب عدوك وضممت إليه عساكرك وغلمانك، فخالف عليك، وإن كانت وعائذ بالله عليك لم تستقل من ذلك، فشاور صاحب خراسان ذوي الرأي من قواده وأصحابه فيما قال وزيره فسددوا رأيه، وصوبوا قوله، فجنح إلى قولهم، وما أشير عليه، فأجاب أسفار بن شيرويه إلى ما سأل، وأعطاه ما طلب، من بعد شروط اشترطها

عليه من حمل أموال وغير ذلك، فلما ورد الكتاب على أسفار بن شيرويه قال لوزيره: هذه أموال عظيمة قد اشترط علينا حملها، ولا سبيل إلى إخراجها من بيت المال، فالواجب أن نستفتح خراج هذه البلاد.." (١)

"سفينة وهربوا الى مصر بحرا، وهكذا وصف التاريخ العربي تلك الهزيمة العربية (١) .

وكان طبيعيا أن تحل الهزيمة بالفاطميين، فقد كانوا كحكام هذا الزمان، يحسنون الظن أمام العدو، ولم يجد المؤرخ العربي في وصف تلك المأساة إلا أن يقول " ... ... .تمكنت سيوف الإفرنج من المسلمين، فأتى القتل على الراجل والمطوعة وأهل البلد، وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس، ونهب العسكر" (٢) . وهكذا تكون عاقبة الذين يحسنون الظن بالأعداء، يفاوضونهم متهافتين، وإذا حاربوا، يحاربونهم متخاذلين!!

وسقطت هيبة الفاطميين، ولم يستشعر أهل البلاد أن لهم أملا في الخلافة الفاطمية في القاهرة أن تحميهم، ولم يبق أمام الإفرنج إلا أن يتوجوا انتصاراتهم في سائر أنحاء البلاد، بأن يعلنوا في بيت المقدس، قيام المملكة وتسمية الملك.

وفي عيد الميلاد، في كانون الأول من عام ١٠٩٩، كانت كنيسة العذراء في بيت لحم تدق أجراسها، فرحا وابتهاجا، بتتويج أمير الإفرنج بلدوين، أول ملك على بيت المقدس، يتبعه بعد ذلك ثمانية عشر ملكا، آخرهم هنري الثالث.... والشعوب العربية غامضة مذهولة، والملوك والخلفاء يتوارثون العروش في قصورهم الباذخة ... واحدا بعد واحد...

وأدرك بلدوين أن "مملكته" لا تزال تحت رحمة "جيوب" عربية قائمة على ساحل فلسطين، أهمها قيسارية، وأرسوف، وكان الأهلون يقومون

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٣.

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٧.." (٢)

"والمطوعة والغزاة الحجم الغفير، واستظهر الكفار على المسلمين بكثرة الأعداد" (١) .

واسمرت المعركة خمسة أيام، واتخذ الإفرنج في اليومين الأول والثاني خطة الدفاع، فقطعوا أشجار الغوطة وتحصنوا فيها، وانتشروا في البساتين وخيموا فيها واقتربوا من دمشق. واستطاع الإفرنج أن يشقوا طريقهم إلى الربوة على نهر بردى تحت أسوار المدينة.

---

(١) مروج الذهب، ٢/١٩٩

(٢) معارك العرب، ص/٥٧

وهب الشعب بكل طبقاته وفئاته للدفاع عن مدينته العريقة، وشرعوا في إقامة المتاريس بالشوارع، وانتقلوا من الدفاع إلى الهجوم، بينما إلى الحدائق والبساتين التي رابط فيها الإفرنج "نفر كثير من رجالة الأحداث والضباع ... . فيقتلون من ظفروا به، ويحضرون رؤوسهم لطلب الجوائز عليها" كما يقول أبو شامة وهو يسرد أسماء المواقع، وأنباء الوقائع.

ولما رأى الإفرنج خطورة الموقف العسكري، قرروا الجلاء عن البساتين الواقعة جنوب المدينة والانتقال إلى جهة الشرق لعلهم يقتحمون المدينة.

ولكن هذه الخطة العسكرية كانت فاشلة من بدايتها، فإن ذلك الموقع لا تتوافر فيه المياه، وهو يضم أشد أسوار المدينة مناعة وحصانة.

وتعاظمت عزيمة الشعب وحماسته، واندفع في مهاجمة الإفرنج، وخرج العلماء والفقهاء والزهاد، من المساجد والزوايا للتصدي للإفرنج، وقد ذكر التاريخ منهم الأمامين الحلحولي والقندلاوي، سقطا شهيدين في ميدان المعركة عند الربوة ... .. ولما رأى الإفرنج أن أهل دمشق مستميتون في الذود عن عاصمتهم الباسلة، لم يجدوا مناصا من الارتداد عن أسوارهما

---

(١) أبو شامة ، كتاب الروضتين، ص٥٢.." (١)

" هـ

باب الهاء والألف وما يليهما

هاب قلعة عظيمة من العواصم

الهاربية بلفظ اسم الفاعل من لفظ هرب يهرب مويهة لبني هاربة بن ذبيان وقال بشر بن أبي خازم ولم تهلك لمرة إذ تولوا وساروا سير هاربة فغادوا وذلك لحرب كانت بينهم فرحلوا من غطفان فنزلوا في بني ثعلبة بن سعد فعدادهم اليوم فيهم وهم قليل قال هشام بن محمد الكلبي لم أر هاربيا قط

هاروت بلفظ هاروت الذي جاء ذكره في القرآن وهو من الهرت وهو الشق قرية بأسفل واسط ينسب إليها أبو البقاء الهاروتي روى عنه أبو محمد عبد الله بن موسى بن عبد الله الكرخي

الهارونية مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام استحدثها هارون الرشيد وعليها سوران وأبواب حديد ثم خربها الروم فأرسل سيف الدولة غلامه غرقويه فأعاد عمارتها وهي اليوم من

---

(١) معارك العرب، ص/٩٦

بلاد بني ليون الأرمني قال أحمد بن يحيى لما كانت سنة ٣٨١ أمر الرشيد ببناء الهارونية بالثغر فبنيت وشحنت بالمقاتلة ومن نزع إليها من **المطوعة** ونسبت إليه ويقال إنه بناها في خلافة أبيه المهدي وتمت في أيام ابنه ثم استولى عليها العدو لسبع بقين من شوال سنة ٨٤٣ وسبي من أهلها ألف وخمسمائة مسلم ما بين امرأة ورجل وصبي

والهارونية أيضا من قرى بغداد قرب شهرابان في طريق خراسان بها القنطرة العجيبة البناء لها ذكر تعرف بقنطرة الهارونية

هارة موضع في قول ابن مقبل قريت الثريا بين بطحاء هارة ومنزوز قف حيث يلتقيان وقيل هارة أي هائرة من قوله تعالى جرف هار فانهار به وقف ما على طرف الأرض ومنزوز لا يحبس الماء

الهاروني قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل وبإزائه بالجانب الغربي المعشوق ." (١)

"تعد في بقايا الاعراب **المتطوعة** في جيش ابراهيم المصري حينما استولى على حلب في سنة ١٢٤٨ هـ، ١٨٣٢ م، وهؤلاء البقايا من عشائر مصرية مختلفة في الاصول والمنابت، يقيمون في شمالي سورية في قرى الجبول، حقلة، الجديدة، وتل سبعين بقضاء الباب، وفي قريتي أبي قلقل وخربة العشرة بقضاء منبج.

وفي قريتي قرة موخ.

ورسم الغزال التابعتين لناحية صرين بقضاء عين العرب وفي قربة الزيادة بقضاء جسر الشغور.

وفي قرية خان شيخون بقضاء المعرة.

وببلغ عدد بيوتهم نحو ٤٠٠ بيت.

(عشائر الشام لوصفي زكريا ج ٢ ص ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٧)) ١٠٠.

الهنادي: قبيلة من nomades des etats du levant p -) les tribus nomades et semi السلالمة، أو بني سلام، من ابي الليل، من سليم بن منصور من العدنانية نزلت القطر المصري من طرابلس في اواخر القرن الثاني عشر الهجري وتقطن الشرقية، والغربية، وغيرهما من الديار المصرية (رحلة مصر والسودان لمحمد مهدي ص ٤٨٤.

تاريخ جبل نابلس لاحسان النمر ج ١ ص ١٣٩.

---

(١) معجم البلدان، ٥/٣٨٨

قبائل العرب في مصر لاحمد لطفي السيد ج ١ ص ٢١، ٣١، ٣٣، ٣٤.
تاريخ سينا لنعوم شقير ص ٧٢٤.
تاج العروس للزبيدي ج ٢ ص ٥٤٨.
الهنادي: عشيرة من قبيلة عقار، من قبيلة السعادي التي تسكن الصحراء الغربية (تاريخ سينا لنعوم شقير ص ٧٢٦) هنان بن شاول: بطن من حجور ابن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد، من همدان، من القحطانية.
(الاكليل للهمداني ج ١٠ ص ١٠٢) الهناندة: عشيرة بناحية عبيد بمنطقة عجلون يقطنون في قرية ايدون، وكانوا في السابق يقطنون في خربتي سامتة وعفنة التابعتين لقرية عين جنا، ويقال: إنهم خرجوا من صفد.
(تاريخ شرقي الاردن وقبائلها لبيك ص ٢٩١) الهناهنات: فرقة من عشيرة العسيفات، من العقيلات، من بني عطية احدى قبائل بادية شرقي الاردن.
(تاريخ شرقي الاردن وقبائلها لبيك ص ٢٢٤) هنب بن أفصى: بطن من ربيعة ابن نزار، من العدنانية، وهم: بنو هنب ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن." (١)

""مملكة اليمن" أو في مملكة الحيرة، ومن هؤلاء يتألف الجيش النظامي للدولة وهو جيش دائم يستخدم في السلم والحرب، أما في أيام الحروب فتشترك القبائل المتحالفة والمؤيدة للدولة كلها في الحرب، وقد حدث في أيام النبي -صلى الله عليه وسلم- كما حدث في حروب الردة، وكذلك في الفتوح الإسلامية، ولقد كانت القبائل تقاتل تحت رايتها متساندة تحت إمرة رجال منهم يخضعون للقيادة العامة.
على أن العرب قد عرفوا علم الحرب كما علمته دول الحضارة في عصور الجاهليةالعربية؛ فقد كانت غسان على مقربة من الروم وكانت تدخل معهم في الفرق **المتطوعة** على حالي الدفاع والهجوم، وكذلك كان ملوك الحيرة على مقربة من الفرس يشاركون في تكوين جيوشهم وفي حروبهم، وكان لملك الحيرة فرقتان إحداهما هي الشهباء والأخرى عربية تحمل شعار الدولة الفارسية "الأسدان" وتسمى به "الدوسر"١. والعربي لا يحتاج إلى أكثر من هذه المقاربة وهذه القدوة لالتقاط الفنون التي يحتاج إليها في تعبئة الجيوش، وللفطنة إلى المخاوف التي يتقيها في مواجهة التعبئة النظامية من جانب دول الحضارة، وقد تبين هذا فعلا في موقعة ذي قار التي تغلب العرب على الفرس فيها٢.
وقد كان العرب في هذه الموقعة أبرع قيادة وأخبر بفنون الزحف والتبعئة من قادة الجيوش النظامية، فلم يغفلوا

---

(١) معجم قبائل العرب، ١٢٢٨/٣

قط عن حيطة واجبة أو حيلة نافعة قبل اشتباكهم بالجيوش الفارسية؛ بعثوا الطلائع وبثوا العيون وقسموا جموعهم إلى ميمنة يتولاها بنو عجل، وميسرة يتولاها بنو شيبان، وقلب تولته بطون من بكر بن وائل عليهم رئيسهم هانئ بن مسعود. وحاولوا إفساد الموقف على العدو بضم بعض القبائل الموالية له، وهي قبيلة إياد التي اتفقوا معها سرا على أن تنهزم عند اللقاء. ففرت في الميعاد المتفق عليه. كما كانوا يتشاورون في المواقف، وعرفوا كذلك نظام الكراديس والكمائن، ولم يغفلوا عن حمية الجند والفرسان يلهبونها للمجازفة بالحياة والأنفة من طلب النجاة، وهو ما نسميه بالروح المعنوية.

–

١ النويري ١٥/ ٤٣٢.

٢ ابن الأثير ١/ ١٨٩- ٢٩١، النويري ١٥/ ٤٣٢.." (١)

" فعزم السلطان ابن الأحمر على أمير جيوشه الصالح المجاهد أبي سعيد عثمان بن أبي العلا أن يبرز إليهم بالعسكر في نصف ربيع الآخر وذلك يوم عيد العنصرة للعدو وخرج من رجالة غرناطة نحو خمسة آلاف من **المطوعة** فعزم عليهم أبو سعيد أن يرجعوا حياطة لهم وأن يكون طريق الخيل لهم مصاحبا لكونه أمنع وأوصاهم أن يثبتوا بمكان عينه لهم ٢٩ ظ وترجل أبو سعيد وبكى وسجد فضج الخلق بالدعاء وحرك الفرسان الحرب فاستشهد أمير رندة فجاشت لمصرعه نفوس الأبطال وحمى القتال ووجه أبو سعيد إلى الرجالة أن يسرعوا إلى خيام العدو فبادروا ونزل الخذلان على عباد الصليب وعمل فيهم السيف أكثر النهار وحاز المسلمون غنيمة لم نسمع بمثلها وقتلت ملوكهم الكل وأقل ما قيل أن عدد القتلى خمسون ألفا ومنهم طاغيتهم الأكبر دونبترة فصبر وعلق على باب غرناطة ورتب للأسارى ولمن يحرسهم كل يوم خمسة آلاف درهم وقيل كان عدة فرسان المسلمين ألفين وخمسمائة وقيل أقل

." (٢)

"المساحقي: بالضم إلى مساحق جد. المسافري: بالضم إلى مسافر جد. المسائلي: بالفتح إلى المسائل. المسبحي: إلى مسبح بلفظ فاعل سبح جد. المستعيني: إلى المستعين الخليفة. المستغفري: إلى المستغفر جد. المستملي: الذي يستملي على العلماء. المستيناني: بالفتح والسكون وكسر الفوقية

---

(١) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد للرسول – الرقمية، ص/٧١

(٢) من ذيول العبر، ١٠٥/٦

وتحتية ونونين بينهما ألف إلى مستينان قرية ببلخ. المسدي: بالضم والفتح وتشديد المهملة الذي يعمل سدى الثياب. المسروقي: إلى مسروق جد. المسعري: بالكسر والسكون وفتح العين المهملة وراء إلى مسعر جد. المسعودي: إلى مسعود رجل. المسكيني: إلى مسكين بن الحارث صاحب الشافعي رضي الله تعالى عنه. المسكي: بالكسر إلى بيع المسك. المسلمي: إلى المسلمة جدة. المسلي: بالضم والسكون ولام إلى مسلية قبيلة من مذحج ومحلة لهم بالكوفة. المسمعي: بكسر الميم الأولى وفتح الثانية إلى مسمع. المسناني: بالكسر والسكون ونونين إلى مسنان قرية بنسف. المسندي: بالضم وفتح النون إلى الحديث المسند. المسوحي: بضمتين إلى المسوح الشعر. المسوسي: بفتح أوله والواو وسكون المهملة الأولى إلى مسوس قرية بمرو. المسيبي: بالضم وفتح المهملة والتحتية المشددة وموحدة إلى المسيب جد. المسيحي: بالفتح والكسر ومهملة إلى مسيح جد.

باب الميم والشين

المشاط: إلى عمل الأمشاط. المشاطي: بالفتح والتشديد إلى مشاط رجل. المشاني: بالضم والتخفيف إلى مشان قرية بالبصرة. المشتلي: بفتح أوله والفوقية وسكون المعجمة ولام إلى مشتلة قرية بأصبهان. المشتولي: بضمهما وسكون الشين المعجمة إلى مشتول قرية بمصر. المشتوي: مثله. المشجعي: بفتح أوله والجيم وسكون المعجمة آخره مهملة إلى مشجعة بطن من قضاعة. المشرقي: بالكسر والسكون وفتح الراء وقاف إلى مشرق بطن من همدان المشرقي بالضم والسكون والكسر إلى مشرق رجل. المشروقي: بالفتح والسكون والضم إلى مشروق بقعة باليمن. المشطاحي: بالكسر والسكون ومهملتين. المشظي: بالكسر وتشديد المعجمة إلى المشظ بطن من كلب. المشغراني: بفتح أوله والغين المعجمة والراء إلى مشغرا قرية بدمشق. المشكاني: بالضم والسكون إلى مشكان قرية بنواحي همذان وجد.

باب الميم والصاد

المصاحفي: إلى كتابة المصاحف. المصامدي: بكسر الميم الثانية ودال مهملة إلى المصامدة بالغرب. المصراثائي: بالكسر والسكون وراء ومثلثة إلى مصراثا قرية بسواد بغداد. المصري: بالكسر إلى مصر الشهيرة. المصطلقي: بالضم والسكون وفتح الطاء وكسر اللام وقاف إلى بني المصطلق بطن من خزاعة. المصعبي: بالضم والسكون وفتح العين المهملة وموحدة إلى مصعب جد. المصقلي: بفتح أوله والقاف إلى مصقلة جد. المصمودي: بالفتح والسكون والضم آخره مهملة إلى مصمودة قبيلة من البربر بالغرب. المصيصي: بكسر الميم والمهملة المشددة إلى المصيصة مدينة على ساحل البحر.

باب الميم والضاد

المضري: بالضم وفتح المعجمة وراء إلى مضر بن نزار. المطاعي: إلى مطاع جد. المطاميري: بالفتح وكسر الميم الثانية وراء إلى المطامير ضيعة بحلوان. المطبخي: بفتح أوله والباء الموحدة إلى المطبخ المعروف. المطرز: إلى تطريز الثياب. المطرفي: بالضم والفتح وكسر الراء المشددة وفاء إلى مطرف جد. المطرفي: بالكسر والسكون وفتح الراء وفاء إلى مطرف لقب عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهم. المطرودي: إلى مطرود فخذ من سليم. المطري: بفتحتين إلى مطر جد وبطن من ذهل بن شيبان قلت: وإلى المطرية بلد بمصر انتهى. المطلبي: بالضم وتشديد الطاء المفتوحة وكسر اللام وموحدة إلى المطلب بن عبد مناف. المطوعي: بالضم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو ومهملة إلى **المطوعة** وهم الذين أرصدوا أنفسهم للجهاد. المطهري: بالضم وفتح الطاء والهاء المشددة إلى مطهر قرية من عمل مازندارن وجد. المطيبي: بوزنه إلى المطيب جد. المطيري: بالفتح والكسر إلى المطيرة قرية بنواحي سر من رأى.

باب الميم والظاء

المظالمي: الذي ترفع إليه الظلامات فيرفعها. المظهري: بالضم وفتح المعجمة والهاء المشددة إلى مظهر جد.

باب الميم والعين." (١)

"وفي السنة المذكورة توفي الإمام الحبر الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدي وصاحب الطبقات والتواريخ.

وفيها توفي الحافظ محدث بغداد أبو الحسن علي بن الجعد الهاشمي مولاهم، روى عن شعبة وابن أبي ذيب والكبار، وقيل: مكث سنين يصوم يوما ويفطر يوما.

إحدى وثلاثين ومائتين

فيها ورد كتاب الواثق على أمير البصرة يأمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وكان قد تبع أباه في امتحان الناس.

وفيها قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد، من أولاده أمراء الدولة، نشأ في علم وصلاح، وكتب عن مالك وجماعة، وحمل عن هشيم مصنفاته، قتله الواثق بيده لإمتناعه عن القول بخلق القرآن لكونه أغلظ للواثق في الخطاب، وقال له: يا صبي، وكان رأسا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقام معه خلق من

---

(١) لب اللباب في تحرير الأنساب، ص/٧٨

المطوعة، واستفحل أمره، فخافت الدولة من فتن تحصل بذلك.

وروي أنه صلبه، فاسود وجهه، فتغيرت قلوب من راه بهذا الوصف، ثم ابيض وجهه بعد ذلك، فراه بعضهم في النوم، فسأله عن ذلك فقال: لما صلبت رأيت النبي صلى الله عليه، وآله وسلم قد أعرض عني بوجهه، فاسود وجهي من ذلك، فسألته صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، أي سبب إعراضه عني فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنما أعرضت حياء منك إذا كان قتلك على يد واحد من أهل بيتي، فعندها زال ذلك السواد الذي رأيتم عني، وهذا معنى ما قيل في ذلك والله أعلم.

وفيها توفي الإمام العلامة أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي الفقيه صاحب الشافعي، مات في السجن والقيد ببغداد، ممتحنا بخلق القرآن، وكان عابدا دائم الذكر كبير القدر. قال الشافعي: ليس في أصحابي أعلم من البويطي، حمل من مصر في أيام الواثق فني زمن الفتنة، فامتنع من القول بخلق القرآن، فحبس حتى مات، وكان صالحا متنسكا، رحمة الله عليه.

قال الربيع بن سليمان: رأيت البويطي على بغلة، وفي عنقه غل، وفي رجليه قيد، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوية وزنها أربعون رطلا.

وقال الشيخ أبو إسحاق في طبقات الفقهاء: وكان أبو يعقوب البويطى إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة، اغتسل ولبس ثيابه، ومشي حتى يبلغ باب السجن، فيقول السجان: أين تريد؟. فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عفاك الله فيقول: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني.

وقال الربيع: كان الرجل ربما يسأل الشافعي عن المسألة فيقول: سل أبا يعقوب، فإذا أجابه أخبره، فيقول: هو كما قال: وقال الخطيب البغدادي: قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلس من يوسف بن يحيى، وقال الربيع: كنت عند الشافعي أنا والمزني وأبو يعقوب البويطي قال للبويطي: أنت تموت في الحديث، وقال لي: موتك في الحديث، وقال للمزني: هذا النواظر، الشياطين تطيعه.

وفيها توفي أبو تمام الطائي: حبيب بن أوس الحوراني، متقدم شعراء عصره في ديباجة لفظه وصناعة شعره وحسن أسلوبه، وله: كتاب الحماسة الدال على غزارة فضله واتقان معرفته وحسن اختياره، وله مجموع آخر سماه " فحول الشعراء " جمع فيه بين طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين و "كتاب اختيارات من شعر الشعراء " ، كان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره قبل، كان يحفظ أربعة آلاف ديوان الشعر غير ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع، ومدح الخلفاء، وأخذ جوائزهم، وجاب البلاد، وقصد البصرة، وبها عبد الصمد بن المعدل الشاعر، فلما سمع بوصوله وكان في جماعة من غلمانه وأتباعه

خاف من قدومه أن يميل الناس إليه، ويعرضوا عنه، فكتب إليه قبل دخوله البلد:
أنت بين اثنين تبرز للناس ... وكلتاهما بوجه مذال
أيما يبقى لوجهك هذا ... بين ذل الهوى وذل السؤال
فلما وقف على هذا النظم أضرب عن مقصده ورجع، وقال: قد شغل هذا ما يليه، فلا حاجة لنا فيه، ولما قال ابن المعدل هذا النظم، كتبه ودفعه إلى وراق، وكان هو وأبو تمام يجلسان إليه، ولا يعرف أحدهما الآخر، وأمره أن يدفعه إلى أبي تمام، فلما قرأ الورقة أبو تمام قال:
أتى ينظم قول الزور والفند ... وأنت أنقص من لا شيء في العدد
أسرجت قلبك من غيظ على خنق ... كأنها حركات الروح في الجسد
أقدمت ويلك من هجوي على خطر ... كالعير يقدم من خوف على الأسد." (١)

"كوز نحاس، فقيل له في ذلك فقال: بلغني أنهم يستعملون السرجين في الكيزان، والنار لا بطهر ذلك، وقيل: إنه إذا كان فاته الصلاة في جماعة، صلى منفردا خمسا وعشرين صلاة استدراكا لفضيلة الجماعة، مستندا في ذلك إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة " ، وكان من الزهد على طريقة صعبة شديدة، وكان مجاب الدعوة، ولم يكن أحد من أصحاب الشافعي يحدث نفسه قدم عليه في شيء من الأشياء، وهو الذي تولى غسل الشافعي، وقيل: كان معه أيضا الربيع، ومناقبه كثيرة. والمزني نسبة إلى مزينة بنت كلب، وفاته لست بقين من رمضان، ودفن بالقرب من تربة الشافعي بالقرافة الصغرى رحمة الله عليهما.

خمس وستين ومائتين

فيها توفي الشيخ الكبير العارف بالله الشهير أبو حفص الحداد النيسابوري، شيخ خراسان. كان كبير الشأن صاحب أحوال وكرامات وسمو في المقامات، وكان عجبا في الجود والسماحة. ويقول: ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء، أو لمحه بقلبه. وقد نفد مرة بضعة عشر ألف دينار يستفك بها أسارى، وبات وليس له عشاء، ومن كلامه: حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن. والفتوة أداء الإنصاف، وترك مطالبة الإنتصاف. وقال: من لم يزن أفعاله وأحواله كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعده في ديوان الرجال.

وفيها توفي محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١/٢٥٢

بن جعفر الصادق العلوي الحسيني، أبو القاسم الذي تلقبه الرافضة بالحجة وبالقائم وبالمهدي وبالمنتظر، وبصاحب الزمان. وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب، وهو عندهم خاتم الأثني عشر الإمام. وضلال الرافضة ما عليه مزيد، فإنهم يزعمون أنه داخل السرداب الذي بسر من، رأى، وأمه تنظر إليه، فلم يخرج إليها، وذلك في سنة خمس وستين، وقيل ست وخمسين ومائتين وهو االأصح، فاختفى إلى الآن، وكان عمره لما عدم تسع سنين، وقيل أربع سنين، وقيل غير ذلك في سنه، وفي السنة التي عدم فيها. وهم ينتظرون ضالته منذ خمس مائة سنة، وما وجدوها ولا يجدونها.

قلت: والمهدي الذي وردت به الأخبار، اسمه محمد بن عبد الله، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: " يواطي اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي " ، وقد أوضحت فساد مذهبهم، وما هم عليه من الضلالة والخرافات والمحال في "كتاب المرهم في علم الأصول " .

وفي السنة المذكورة توفي الإمام العلامة محمد بن سحنون المغربي المالكي، مفتي القيروان ، تفقه على أبيه، وكان بارعا مناظرا كثير التصانيف، معظما بالقيروان، خرج له عدة أصحاب، وما خلف بعده مثله.

وفيها توفي يعقوب بن الليث الصفار الذي غلب على بلاد المشرق، وهزم الجيوش. وقام بعده أخوه عمرو بن ليث، وكانا شابين صفارين فيهما شجاعة مفرطة، فصحبا صالح بن النضر الذي كان يقاتل الخوارج بسجستان، فآل أمرهما إلى الملك، ولما مات يعقوب قام بعده أخوه بالعدل والدخول في طاعة الخليفة، وامتدت أيامه. وكان موت يعقوب بالقولنج. وكتب على قبره: هذا قبر يعقوب المسكين. وقيل أن الطبيب قال: لا دواء لك إلا الحقنة، فامتنع منها وخلف أموالا عظيمة من الذهب ألف ألف دينار ومن المراهم خمسين، ألف درهم .

ست وستين ومائتين

فيها توفي الحافظ أحد أذكياء المحدثين أبو إسحاق إبراهيم بن أرومة الأصفهاني.

وفيها توفي محمد بن شجاع فقيه العراق، وشيخ الحنفية. تفقه بالحسن بن زياد اللؤلؤي، وصنف واشتغل، وتوفي ساجدا في صلاة العصر، وله نحو من تسعين سنة، رحمة الله عليه.

سبع وستين ومائتين

فيها برز قائد الزنج في ثلاثمائة ألف فارس وراجل، والمسلمون في خمسين ألفا، وفصل النهر بين الجيشين، فلم يقع بينهم واقعة. وكان قبل ذلك قد هزم الموفق الزنج وقائدهم العلوي غائب عنهم فلما جاءته الأخبار بهزيمة جنوده إختلف إلى الكنيف مرارا وتقطعت كبده.

وفيها توفي يحيى بن محمد بن عبد الله الذهلي الحافظ شيخ نيسابور بعد أبيه، وكان أمير **المطوعة** المجاهدين.

وفيها توفي الحافظ أبو بشر إسماعيل بن عبد الله العبدي الأصفهاني.

ثمان وستين ومائتين." (١)

"فيها افتتح السلطان محمود بن ناصر الدولة الهند، وأسلم نحو من عشرين ألفا، وقتل من الكفار نحو خمسين ألفا، وهدم مدينة الأصنام، وبلغ عدد الخمس من الرقيق ثلاثة و خمسين ألفا، واستولى على عدة قلاع وحصون، وكان جيشه ثلاثين ألف فارس سوى الرجالة و **المطوعة**،ولم يزل يفتح في بلاد الهند إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية،وطهرها من أرجاس الشرك، وبنى مساجد وجوامع. وتفصيل حاله في الحروب والفتح يطول شرحه.ولما فتح بلاد الهند كتب كتابا إلى بغداد يذكر فيه ما فتح الله عل يديه من بلاد الهند،وأنه كسر الضم المشهور بسومنات، و ذكر في كتابه أن هذا الصنم عند الهنود يحيي ويميت،ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويبرىء من العلل، وربما كان يتفق لشقوتهم برء عليل بقصده، ويوافقه طيب الهواء، وكثرة الحركة، ويزيدون به افتنانا ويقصدونه من أقاصي البلاد رجالا وركبانا، ومن لم يصادف منهم انتعاشا أجنح بالذنب وقال: إنه لم يخلص له الطاعة،فلم يستحق منه الإجابة. ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ وتشبيهها فيمن شاء، وأن مد البحر وجزره عبادة له على قدر طاعته، وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجونه من كل صقع بعيد،ويأتونه من كل فج عميق، يتحفونه بكل مال نفيس،ولم يبق في بلاد الهند والسند على تباعد أقطارها وتفاوت أديانها ملك ولا سوقة إلا وقد تقرب إلى هذا الصنم بما عز عليه من أمواله وذخائره، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية في تلك البقاع، وامتلأت خزانته من أصناف الأموال. وفي خدمته من البراهمة ألف رجل يخدمونه، وثلاث مائة رجل يحلقون رؤوس حجاجه ولحاهم عند الورود عليه، وثلاثمائة رجل وخمس مائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه، ويجري من الأوقات المصدرة له لكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم. وكان بين المسلمين وبين القلعة التي فيها الصنم المذكور مسيرة شهر في مفازة موصوفة بقلة الماء وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها. وسار إليها السلطان محمود في العدد المذكور مختارا له من عدد كثير، وأنفق عليهم من الأموال ما لا يحصى، فلما وصلوا إلى القلعة وجدوها حصنا منيعا، ففتحوها في ثلاثة أيام، ودخلوا بيت الصنم وحوله من أصنام الذهب والمرصع بأنواع الجواهر عدة كثيرة محيطة بعرشه يدعون أنها الملائكة

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٢٨٤/١

فأحرق المسلمون الصنم، ووجد وافي أذنه نيفا وثلاثين حلقة، فسألهم محمود عن معنى ذلك فقالوا: لكل حلقة عبادة ألف سنة، وكلما عبدوه ألف سنة علقوا في أذنه حلقة. وذكروا من أخبار هذا الصنم هذيانا يطول ذكره، حذفت بعضه، وذكرت بعضه، وبعض المؤرخين حذف الجميع، وبعضهم ذكر الجميع.ومما ذكروا عن السلطان محمود ما هو مشهور، ومن فضل مذهب الشافعي معدود ما سيأتي الآن ذكره، ويعلم منه فضل المذهب المذكور وفخره، قضية عجيبة مشتملة على نادرة غريبة، وهي ما ذكره إمام الحرمين: فحل الفروع والأصليين أبو المعالي عبد الملك ابن شيخ الإسلام، أبي محمد الجويني في كتابه الموسوم بمغيث الخلق في اختيار الحق أن السلطان محمود المذكور كان على مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وكان مولعا بعلم الحديث، وكان الناس أو قال: الفقهاء يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه، وهو يسمع، وكان يستفسر الأحاديث، فوجد أكثرها موافقا لمذهب الشافعي رضي الله عنه، فوقع في خلده حبه، فجمع الفقهاء من الفريقين في مرو، والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر، فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي، وركعتين على مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، يقتصر فيهما على أقل الفروض، لينظر فيها السلطان، ويتفكر، ويختار. ما هو أحسنه، فصلى القفال المروزي بطهارة مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة، واتى بالأركان والفرائض على وجه الكمال والتمام، وكانت صلاة لا يجوز الشافعي دونها، ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة، ولبس جلد كلب مدبوغ، ولطخ ربعه بالنجاسات، وتوضأ بنبيذ التمر وكانت في صميم الصيف في المفازة، فاجتمع عليه الذباب والبعوض، وكان وضوءه منكوسا منكسا، ثم استقبل القبلة، وأحرم بالصلاة من غير نية للوضوء، وكبر بالفارسية، ثم قرأ آية بالفارسية دوبرك كل سبز ثم نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع، وتشهد وضرط في آخره من غير نية." (١)

"قلت: ومن ذلك قوله في بعض المسائل بعد ذكره مقال والده فيها: وهذه زلة من الشيخ يعني والده. وكان من التواضع لكل أحد بمحل، ويتحمل منه الاستهزاء لمبالغة فيه،ومن رقة القلب بحيث يبكي إن سمع بيتا، أو تفكر في نفسه ساعة،وإذا شرع في حكاية لأحوال، وخاض في علوم الصوفية في فصول مجالسه للغدوات، حتى أبكى الحاضرين ببكائه، وتقطر الدماء من الجفون لزعقاته وإشاراته واحتراقه في نفسه، وتحققه بما يجري من دقائق الأسرار. هذه الجملة نبذ مما عهدناه منه إلى انتهاء أجله.ولما توفي رحمه الله صاح الصائح من كل جانب، وجزع الخلق عليه جزعا لم يعهد مثله، ولم تفتح الأبواب في البلد،

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٤٠٨/١

ووضعت المناديل عن الرؤوس عاما، بحيث ما اجترأ احد على ستر رأسه من الرؤوس والأكابر، وصلي عليه بعد جهد وشدة زحمة، ودفن في داره، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين، وكسر منبره في الجامع، وقعد الناس للعزاء أياما. وكان طلبته قريبا من أربعمائة، يتفزقون في البلد نائحين عليه، وكان عمره تسعا وخمسين سنة.وسمع الحديث من جماعة كثيرة، وله إجازة من الحافظ أبي نعيم الأصبهاني، صاحب حلية الأولياء، وقد سمع سنن الدارقطني من أبي سعيد بن عليك، وكان يعتمد تلك الأحاديث في مسائل الخلاف، ويذكر الجرح والتعديل منها في الرواية، وظني أن آثار جده واجتهاده في دين الله تعالى يدوم إلى قيام الساعة وإن انقطع نسله من جهة الذكور ظاهرا فنشر علمه يقوم مقام كل نسب، ويغني عن كل سبب مكتسب.قلت: ومن المشهور المذكور في بعض التواريخ وغيرها أن والده الشيخ أبا محمد كان في أول أمره ينسخ بالأجرة، فاجتمع له من كسب يده شيء اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح، ولم يزل يطعمها من كسب يده أيضا إلى أن حبلت بإمام الحرمين وهو مستمر على تربيتها بمكتسب الحلال فلما وضعته، أوصاها أن لا تمكن أحدا من إرضاعه، فاتفق أنه دخل عليها يوما وهي متألمة، والصغير يبكي، وقد أخذته امرأة من جيرانهم، وشاغلته بثديها فرضع منها قليلا فلما رآه شق عليه، وأخذه إليه، ونكس رأسه، ومسح على بطنه، وأدخل إصبعه في فيه، ولم يزل يفعل ذلك حتى قاء جميع ما شربه، وهو يقول: يسهل علي أن يموت، ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه.ويحكى عن إمام الحرمين أنه كان يلحقه في بعض الأحيان فترة في مجلس المناظرة، فيقول: هذا من بقايا تلك الرضاعة، ومولده في ثاني عشر المحرم، سنة تسع عشرة وأربع مائة، ولما مرض حمل إلى قرية من أعمال نيسابور، موصوفة باعتدال الهواء وخفة الماء، فمات بها، ونقل إلى نيسابور، ودفن في داره، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين كما تقدم ودفن بجنب أبيه، وصلي عليه ولده أبو القاسم، وأكثر الشعراء المراثي، ومما رثي به:

قلوب العالمين على المعالي ... وأيام الورى شبه الليالي

أيثمر غصن أهل الفضل يوما ... وقد مات الإمام أبو المعالي؟

سنة تسع وسبعين واربع مائة

فيها نزل تتش حلب، ثم أخذها. وساق السلطان ملك شاه من أصبهان فقدم حلب، وخافه أخوه تتش، فهرب.وفيها وقعة الزلاقة،وذلك أن ملك الإفرنج جمع الجيوش، فاجتمع المعتمد يوسف بن تاشقين أمير المسلمين والمطوعة، فأتوا الزلاقة من عمل بطليو، فالتقى الجمعان، فوقعت الهزيمة على أعداء الله تعالى،

وكانت ملحمة عظيمة في أول جمعة من رمضان، وجرح المعتمد عدة جراحات شديدة، وطابت الأندلس، فعمل الأمير ابن تاشقين على تملكها.." (١)

"وفيها توفي أبو سعد المطرز بن محمد الأصبهاني في نيف وتسعين سنة، سمع الحسين ابن ابراهيم وأبا علي غلام محسن وغيرهما، وهو أكبر شيخ للحافظ أبي موسى المديني، سمع منه حضورا.

سنة أربع وخمس مائة

فيها أخذت الفرنج بيروت بالسيف، ثم أخذوا صيدا بالأمان، وأخذ صاحب أنطاكية بعض الحصون، وعظم المصاب، وتوجه خلق كثير من المطوعة يستصرخون الدولة ببغداد على الجهاد، واستغاثوا، وكسروا منبر جامع السلطان، وكثر الضجيج، فشرع السلطان في أهبة الغزو.وفيها توفي أبو الحسين الخشاب يحيى بن علي بن الفرج المصري، شيخ الإقراء با لروايات.وفيها توفي اسماعيل بن أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي، ثم النيسابوري.وأبو يعلى حمزة بن محمد بن علي البغدادي أخو طراد الزينبي.وفيها توفي أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الفقيه الشافعي، المعروف بألكيا، بكسر الكاف وفتح المثناة من تحت والتخفيف وبعدها ألف، وهي في اللغة العجمية الكبير القدر المقدم بين الناس، كان من أهل طبرستان، فخرج إلى نيسابور، وتفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني مدة إلى أن برع، وكان حسن الوجه جهوري الصوت فصيح العبارة حلو الكلام، وخرج من نيسابور إلى بيهق، ودرس بها مدة، ثم خرج إلى العراق، وتولى التدريس بالنظامية ببغداد إلى أن توفي. ذكره الحافظ عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي وقال: كان من درس معيدا إمام الحرمين في الدروس، وكان ثاني أبي حامد الغزالي، بل أرجح منه في الصوت والمنظر، ثم اتصل بخدمة الملك بركيا روق – بالموحدة قبل الراء والمثناة من تحت بين الكاف والراء مكررة قبل الكاف والواو ابن ملك شاه السلجوقي، وحظي عنده بالمال والجاه، وارتفع شأنه، وتولى القضاء بتلك الدولة، وكان يستعمل الأحاديث في ميادين الكفاح إذا طارت رؤوس المقاييس في مهاب الرياح.قال الحافظ أبو طاهر السلفي: استفتيت شيخنا أبا الحسن المعروف بالكيا، وقد جرى بيني وبين الفقهاء كلام في المدرسة النظامية – ما يقول الإمام – وفقه الله تعالى – في رجل أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء، هل يدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية أم لا؟ فكتب الشيخ تحت السؤال: نعم، كيف لا؟ وقد قال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم " من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله تعالى يوم القيامة فقيها عالما " انتهى.قلت الظاهر – والله أعلم إنه محمول على ما إذا عرف معنى الحديث وأحكامه، وإلا

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١/٤٥٨

فلا يدخل في الوصية، وقد وقفت بعد قولي هذا على ما يؤيده - والحمد لله تعالى - وهو ما نص عليه الإمام الرافعي، وقرره الإمام النووي في الروضة، قال: فيما إذا أوصي للعلماء لا يدخل فيهم الذين يسمعون الحديث، ولا علم لهم بطرقه، ولا بأسماء الرواة، ولا بالمتون، فإن السماع المجرد ليس بعلم.توفي رحمه الله تعالى يوم الخميس مستهل السنة المذكورة، ودفن في تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وحضر دفنه الشريف أبو طالب الزينبي وقاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني، وكانا مقدمي الطائفة الحنفية، وكان بينه وبينهما مناقشة، فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال أبو الحسن الدامغاني متمثلا:

وما تغني النوادب والبواكي ... وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبي متمثلا:

عقم النساء فما يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عقم

وكان في خدمته بالمدرسة النظامية ابراهيم بن عثمان الغزي الشاعر المشهور، فرثاه بأبيات منها قوله:

هي الحوادث لا تبقي ولا تذر ... ما للبرية عن محتومها وزر

لو كان ينجي علو من بوائقها ... لم تكسف الشمس، بل لم يخسف القمر

قل للجبان الذي أمسى على حنر ... من الحمام متى رد الردى الحدر؟

بكى على شمسه الإسلام إذ أفلت ... بأدمع قل في تشبيهها المطر

حبر عهدناه طلق الوجه مبتسما ... والبشر أحسن ما يلقى به البشر

لئن طوته المنايا تحت أخمصها ... فعلمه الجم في الآفاق منتشر

أخا ابن إدريس كنت تورده ... تحار في نظمه الأذهان والفكر." (١)

"صحب الشيخ الكبير العارف بالله الشهير أبا العز المغربي، وكمل على يديه، وكان سلطان المغرب في زمانه قد أمر بإشخاصه إليه، فلما وصل إلى تلمسان قال: ما لنا وللسلطان!الليلة نزور الإخوان، ثم نزل واستقبل القبلة وتشهد وقال: ها قد جئت، ها قد جئت، وعجلت إليك رب لترضى. فمات ودفن في جبانة العباد، وقد ناهز الثمانين. وقبره بها ظاهر للزائرين، رضي الله عنه وعن سائر الصالحين.وفي السنة المذكورة توفي الشيخ الكبير العارف بالله الخبير إمام العارفين: جاكير:صاحب الفتح السني والكشف الجلي، والكرامات الباهرة والأحوال الفاخرة والمقامات العلية والأنفاس الزكية، والتصريف النافذ في العوالم، ومحاسن الأوصاف، وجميل الشيم والمكارم، والمعارف.كان تاج العارفين - رضي الله تعالى عنه - يثني عليه وينوه

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٤٧٨/١

بذكره وبعث إليه طاقيته مع الشيخ علي ابن الهيتي، ولم يكلفه الحضور وقال: سألت الله تعالى أن يكون جاكير من مريدي، فوهبه لي. وكان رضي الله تعالى عنه يقول: ما أخذت العهد على أحد حتى رأيت اسمه مرقوما في اللوح المحفوظ من جملة مريدي.وقال أيضا أوتيت سيفا ماضي الحد، أحد طرفيه بالمشرق والآخر بالمغرب، لو أشير به إلى الجبال الشوامخ لهوت.وروى الشيخ أبو الحسن علي ابن الشيخ الصالح ابن الشيخ العارف أبي الصبر يعقوب قال:أخبرنا أبي قال: سمعت والدي يقول: كانت نفقة شيخنا الشيخ جاكير بالجيم والمثناة من تحت بين الكاف والراء – رضي الله تعالى عنه من الغيب، وكان نافذ التصرف خارق الفعل متواتر الكشف، ينذر له كثير.وكنت عنده يوما فمرت به بقرات مع راعيها فأشار إلى إحداهن وقال: هذه حامل بعجل أحمر أغر، صفته كذا، يولد وقت كذا من يوم كذا، وهو نذر لي، ويذبحه الفقراء يوم كذا، ويأكله فلان وفلان، ثم أشار إلى الأخرى وقال: هذه حامل بأنثى، ومن صفتها كذا تولد وقت كذا، وهي نذر لي، ويذبحها فلان رجل من الفقراء يوم كذا، ويأكلها فلان وفلان، ولكلب أحمر فيها رزق. قال: فوالله لقد جرت الحال على ما وصف، ولم يخل منها بشيء، ودخل كلب أحمر إلى الزاوية، واختطف قطعة من لحم الأنثى وذهب بها.ومن كلامه – رضي الله تعالى عنه – إذا قدحت نار التعظيم مع نور الهيبة في زناد السر تولد منها شعاع المشاهدة، فمن شاهد الحق عز وجل في سره سقط الكون من قلبه. وأصله من الأكراد، سكن صحراء من صحارى العراق بالقرب من قنطرة الرصاص على يوم من سامرا، ولم يزل مستوطنا بها إلى أن مات بها، وقبره بها ظاهر يزار يؤمه من البعد الزوار، قد عمر الناس عنده قرية، رغبة في مجاورته والتماسا منهم لبركته.

سنة احدى وتسعين وخمس مائة

فيها كانت وقعة الزلاقة بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين ملك الفرنج،فدخل يعقوب وغدا من زقاق سبتة في مائة ألف غير المطوعة، وأقبل الكافر عدو الله في مائتي ألف وأربعين ألفا فانتصر بحمد الله الإسلام، وانهزم الكلب في عدد يسير، وقتل من الفرنج على ما أرخ أبو شامة وغيره مائة ألف وستة وأربعون ألفا، وأسر ثلاثون ألفا، وغنم المسلمون غنيمة لم يسمع بمثلها، حتى بيع السيف بنصف درهم، والحصان بخمسة دراهم، والحمار بدرهم، وذلك في تاسع شعبان من السنة المذكورة.وفيها سار الملك العزيز ولد صلاح الدين من مصر، فنزل بحوران لياخذ دمشق من أخيه الأفضل، فاتخذ الأفضل عمه العادل، فرجع العزيز، وتبعاه، فدخل القاضي الفاضل في الصلح بينهم، وأقام العادل بمصر.وفيها توفي الحافظ القدوة الإمام أحد العلماء الأعلام أبو محمد عبد الله الأندلسي الزاهد: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله

بن عبيد الله المرسي، سمع فأكثر على أبي الحسن بن مغيث وابن العربي والكبار، وتفنن في العلوم، وبرع في الحديث، وطال عمره، وشاع ذكره، وكان قد سكن سبتة فاستدعاه السلطان إلى مراكش ليسمع.
سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة." (١)
"معالم أخرى توجد في بلادهم.

كما أن المتمعن في الجزء السادس "للعبر" لابن خلدون يلاحظ فيه أنه رغم عدم الإشارة إلى وجود بعض الحرفيين وأرباب الصنائع وغيرهم من العامة للمهاجرين الأندلسيين، فإن إشارة هذا المصنف في العديد من المناسبات إلى تواجد جالية من شرقي الأندلس من غربيه بمدينة تونس وخاصة ذكره لوجود كتيبة من الجند متكونة من الأندلسيين ساهمت في الحروب الصليبية التي واجه خلالها المستنصر الحفصي ملك الإفرنجة لويس التاسع سنة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م(١)

---

(١) يفيدنا ابن خلدون بأنه: "ملئت سواحل رادس بالمرابطة بجند الأندلس والمطوعة زهاء أربعة آلاف فارس"، انظر: العبر الجزء السادس، ص. ٦٦٨.." (٢)

"... وفي عام ٥٥٧ هـ، »استجلب عبد المومن الأجناد والمطوعة من سائر عمله يستنفرهم للجهاد فاجتمع له ما لم يجمع لغيره من بلاد إفريقية والمغرب والقبائل... من العرب«(١). وقبل أن ينتقل عبد المومن إلى الأندلس، أرسل مبشرا بقدومه على رأس قوات عربية لرد هجومات الإسبان. وقد جاء في هذه الرسالة:

ويصحبنا من خالص العرب معشر أنابوا فما ردوا وتابوا فما ارتدوا(٢)

٢ ـ للاستيطان في مختلف الأقطار المغربية

---

(١) المونس، ص. ١٠٥.

(٢) عبد الله كنون، رسائل موحدية، ص. ٢٧.." (٣)

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١٢٢/٢

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/٥٢٩

(٣) مجلة التاريخ العربي، ص/١١١٦

"قبائل العرب والبربر أزيد من ثلاثمائة ألف فارس ومن جيوش **المتطوعة** ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل فضاقت بهم الأرض (١).

* * *

... بعد انتصار صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين عام ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م وفتح القدس الشريف، »خاطب... يعقوب... وأخبره بأنه هزم روم الشام واستأصل شأفتهم وفتح بيت المقدس ـ شرفها الله ـ وجميع تلك البلاد التي كانت بأيدي أعداء الله«(٢).

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المؤلف المجهول، الاستبصار، ص. ١٠٤.." (١)

"الثالثة بعد الشافعية والأحناف، وهم يتقدمون على الحنابلة.

... كما ظهر ـ ولا يزال زاهرا حتى الآن ـ الأثر الأندلسي ـ المغربي في عمارة طرابلس المملوكية، في الهندسة والتزيينات والكتابة بالخط المغربي، والمظاهر الأخرى.

... ويمكن القول إن جماعة من الأندلسيين والمغاربة كانوا من جملة **المتطوعة** الذين أتوا من مصر مع جيش المنصور قلاوون(١) وأسهموا في فتح طرابلس وتحريرها من الفرنجة سنة ٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩ م، ثم نزلوها واستوطنوها، وشاركوا في إعادة بناء مدينة المنصور

---

(١) ... لبنان من السقوط بيد الصليبيين، ص. ٣٦٨.." (٢)

"وفيها سار الرشيد إلى الري وأقام به أربعة أشهر ثم رجع الرشيد إلى العراق ودخل بغداد في آخر ذي الحجة وأمر بإحراق جثة جعفرة وكانت مصلوبة على الجسر ولم ينزل ببغداد ومضى من فوره إلى الرقة فقال في ذلك بعض شعراء الرشيد : ما أنخنا حتى ارتحلنا فانف - - رق بين المناخ والارتحال سألونا عن حالنا إذ قدمنا فقرأنا وداعهم بالسؤال فقال الرشيد : والله إني أعلم أنه ما في الشرق ولا في الغرب مدينة أيمن ولا أيسر من بغداد وأنها دار مملكة بني العباس ولكني أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق والبغض

---

(١) مجلة التاريخ العربي، ص/١١٢٤

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/١٤٩٠

لأئمة الهدي والحب لشجرة اللعنة بني أمية ولولا ذلك ما فارقت بغداد .
وفي هذه السنة مات محمد بن الحسن الشيباني الفقيه صاحب أبي حنيفة وكان والده الحسن من أهل قرية حرستا من غوطة دمشق فسار إلى العراق وأقام بواسط فولد ولده محمد بن الحسن المذكور ونشأ بالكوفة ثم صحب أبا حنيفة وتفقه على أبي يوسف وصنف عدة كتب مثل : الجامع الكبير والجامع الصغير في فقه أبي حنيفة وغير ذلك .
ثم دخلت سنة تسعين ومائة
في هذه السنة سار الرشيد في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة سوى من لا ديوان له من الأتباع والمتطوعة حتى نزل على هرقلة وحصرها ثلاثين يوما ثم فتحها في شوال من هذه السنة وسبى أهلها وبث عساكره في بلاد الروم ففتحوا الصفصاف وملقونية وخربوا ونهبوا وبعث تقفور بالجزية عن رعيته وعن رأسه أيضا ورأس ولده وبطارقته وفي هذه السنة نقض أهل قبرس العهد .
فغزاهم معتوق بن يحيي وكان عاملا على سواحل مصر والشام فسبى أهل قبرس وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون وكان مجوسيا وفيها توفي أسد بن عمر وابن عامر الكوفي صاحب أبي حنيفة وفيها توفي يحيى بن خالد بن برمك محبوسا بالرقة في المجرم وعمره سبعون سنة .
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة
". (١)

"وفي اعتقادنا أن السلطان (سليم) الثالث رأى في موقف سعود خروج على طاعته ، واعتبر أن رسالة سعود إليه لم يكن فيها الاحترام والتبجيل اللائقان به كخليفة للمسلمين، واعتبر أن ما جاء فيها انما يؤكد تمرد سعود على الدولة وإلغاءه لقوانينها، فوجه أوامره الى والي مصر من قبل الدولة العثمانية آنذاك محمد علي باشا يطلب منه أن يضع حدا للوهابيين ، واصدر فرمانا بتولية محمد علي ولاية الحجاز عام ١٨٠٩م بالإضافة الى ولاية مصر، وكان محمد علي يمر بفترة حرجة هي فترة تمكين سلطانه في مصر ولكنه سرعان ما تخلص من منافسيه من المماليك بالقضاء عليهم في مذبحة القلعة عام ١٨١١م . أرسل في نفس العام ابنه طوسون بحملة الى الحجاز مكونة من الجند الانكشارية، وبقايا الارناؤود الذين تمردوا عليه، بالإضافة إلى عدد من المصريين الذين سماهم بالمتطوعة (١) ، وعززهم بعدد من المرتزقة من بقايا جيش نابليون. وقد بلغ عدد جنود هذه الحملة ثمانية آلاف جندي تقريبا، زحف بهم طوسون بحرا الى الحجاز ، ولكن

---

(١) تاريخ أبى الفداء، ١/٣٦٠

هذه الاستعدادات لم تخف السعوديون، فجهز امامهم سعود جيشا بقيادة ابنه عبد الله وامره بأن يتصدى لهجوم المصريين والتقى الجيشان في مكان يسمى الخيف بالقرب من المدينة المنورة . وبعد قتال عنيف انهزم جيش طوسون بعد ثلاثة أيام من القتال، مخلفا وراءه عددا من القتلى والجرحى، بلغ حوالي خمسة آلاف جندي (٢) .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٩.

(٢) أمين الريحاني نجد وملحقاته ، ص٧٢ .." (١)

"ولكن ذلك لم ينطلق على والي الحجاز ، الذي كانت الاوامر قد صدرت اليه من القاهرة بتجهيز حملة الى نجد وخلع (فيصل) وإقامة (خالد بن سعود) بدلا منه. وفعلا بدأت الحملة للاستعداد بالمسير بقيادة (اسماعيل أغا) والي المدينة المنورة وفشلت محاولات (فيصل) لاقناع السلطات المصرية بالتخلي عن خطتها مقابل ان يخضع هو نفسه لمطالبها، ولذا راحت قوات مصر تتقدم صوب نجد (١) عندئذ بات على (فيصل) أن يواجه الخطر الذي راح يداهمه، فأعلن النفير العام وجمع جيشا من نجد والاحساء وجميع اقاليم بلاده ، وراح يزحف لصد العدوان، والتقت جموعه بالجيش الزاحف من الحجاز في مكان يسمى (رياض الخبرا) قرب مدينة عنيزة ، وهناك وضع (فيصل) مخططا للايقاع بخصمه ، فأمر بعض وحدات من جنده بالتراجع أمام العدو على أن تعود وتطبق مع بقية الوحدات الاخرى من جيشه على الاعداء في معركة حاسمة. ولكن معظم قوات (فيصل) كانت من الجنود **المتطوعة** ، غير المتمرسة بالنظم العسكرية وأساليب القتال الحديثة، فظنوا عند بدء المعركة أن تراجع مقدمة جيشهم انما يعني الهزيمة، فدبت الفوضى في صفوفهم، ولا قسم كبير منهم بالفرار ، ولذا رأى (فيصل) أن يتراجع للرياض، وهناك يعيد تنظيم صفوف جنده، فلما وصلها اخبره عيونه أن اهل الرياض يتآمرون عليه، ويبيتون له الخيانة لذا حمل عائلته وتراجع مع بعض قادته الى الاحساء آخر اقليم في ملكه، وقرر أن يخوض معركته النهائية من تلك القاعدة الصلبة بمساعدة عاملة القوي (عمر بن عفيصان) الذي سانده قبل ذلك بثلاث سنوات حين زحف من الاحساء ليستعيد ملك ابيه الضائع .

---

(١) تاريخ الاحساء السياسي، ص/٢٤

(١) J. B. Kelly , op , Cit , p , 290.." (١)

" من **المتطوعة** غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول ... أصبحت ذا بث أقاسي الكبرا ... قد عشت بين المشركين أعصرا ... ثمت أدركت النبي المنذرا ... وبعده صديقه عمرا ... ويوم مهران ويوم تسترا ... والجمع في صفينهم والنهرا ... وباجميرات مع المشقرا ... هيهات ما أطول هذا عمرا ...

فقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ونجا من نجا فخرجوا من بلاد رتبيل حتى خرجوا منها فاستقبلهم من خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة فإذا أكل أحدهم وشبع مات فلما رأى ذلك الناس حذروا يطعمونهم ثم يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمرؤوا وبلغ ذلك الحجاج فأخذه ما تقدم وما تأخر وبلغ ذلك منه كل مبلغ وكتب إلى عبدالملك

أما بعد فإن جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليل وقد اجترأ العدو بالذي اصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادهم وغلبوا على حصونهم وقصورهم وقد أردت أن أوجه إليهم جندا كثيفا من أهل المصرين فأحببت أن أستطلع رأي أمير المؤمنين في ذلك فإن رأى لي بعثة ذلك الجند أمضيته وإن لم ير ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنده مع أني أتخوف إن لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جند كثيف عاجلا أن يستولوا على ذلك الفرج كله

وفي هذه السنة قدم المهلب خراسان أميرا وانصرف عنها أمية بن عبدالله وقيل استعفى شريح القاضي من القضاء في هذه السنة وأشار بأبي بردة بن أبي موسى الأشعري فأعفاه الحجاج وولى أبا بردة

وحج بالناس في هذه السنة فيما حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر أبان بن عثمان وكذلك قال الواقدي وغيره من أهل السير

وكان أبان هذه السنة أميرا على المدينة من قبل عبدالملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج

وقيل إن المهلب كان على حربها وابنه المغيرة على خراجها وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس ." (٢)

(١) تاريخ الاحساء السياسي، ص/٦٦

(٢) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٦١٥/٣

" ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة العباس بن محمد الصائفة فيها حتى بلغ أنقرة وكان على مقدمة العباس الحسن الوصيف في الموالي وكان المهدي ضم إليه جماعة من قواد أهل خراسان وغيرهم وخرج المهدي فعسكر بالبردان وأقام فيه حتى أنفذ العباس بن محمد ومن قطع عليه البعث معه ولم يجعل للعباس على الحسن الوصيف ولاية في عزل ولا غيره ففتح في غزاته هذه مدينة للروم ومصمورة معها وانصرفوا سالمين لم يصب من المسلمين أحد

وهلك في هذه السنة حميد بن قحطبة وهو عامل المهدي على خراسان فولى المهدي مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد

وفيها ولي حمزة بن مالك سجستان وولي جبرئيل بن يحيى سمرقند

وفيها بنى المهدي مسجد الرصافة

وفيها بنى حائطها وحفر خندقها

وفيها عزل المهدي عبد الصمد بن علي عن المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم عن موجدة واستعمل عليها مكانه محمد بن عبد الله الكثيري ثم عزله واستعمل عليها مكانه عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجمحي

وفيها وجه المهدي عبد الملك بن شهاب المسمعي في البحر إلى بلاد الهند وفرض معه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد وأشخصهم معه وأشخص معه من **المطوعة** الذين كانوا يلزمون المرابطات ألفا وخمسمائة رجل ووجه معه قائدا من أبناء أهل الشأم يقال له ابن الحباب المذحجي في سبعمائة من أهل الشأم وخرج معه من مطوعى أهل البصرة بأموالهم ألف رجل فيهم فيما ذكر الربيع بن صبيح ومن الأسواريين والسبابجة أربعة آلاف رجل فولى عبد الملك بن شهاب المنذر بن محمد الجارودي الرجل **المطوعة** من أهل البصرة وولى ابنه غسان بن عبد الملك الألفي الرجل الذين من فرض البصرة وولى عبد الواحد بن عبد الملك الألف والخمسمائة الرجل من **المطوعة** المرابطات وأفرد يزيد بن الحباب في أصحابه فخرجوا وكان المهدي وجه لتجهيزهم حتى شخصوا أبا القاسم محرز بن إبراهيم فمضوا لوجههم حتى أتوا مدينة باربد من بلاد الهند في سنة ستين ومائة ." (١)

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥٤٨/٤

" المسلمين من أهل خراسان وغيرهم الوفاء بما شرطت على نفسي في هذا الأمر الذي خرجت منه والتمام عليه علي بذلك عهد الله وما اعتقد أحد من خلقه من عهد أو ميثاق أو تغليظ أو تأكيد على السمع والطاعة والنصيحة للمهدي محمد أمير المؤمنين وولي عهده موسى بن أمير المؤمنين في السر والعلانية والقول والفعل والنية والشدة والرخاء والسراء والضرء والموالاة لهما ولمن والاهما والمعاداة لمن عاداهما كائنا من كان في هذا الأمر الذي خرجت منه فإن أنا نكبت أو غيرت أو بدلت أو دغلت أو نويت غير ما أعطيت عليه هذه الأيمان أو دعوت إلى خلاف شيء مما حملت على نفسي في هذا الكتاب للمهدي محمد أمير المؤمنين ولولي عهده موسى ابن أمير المؤمنين ولعامة المسلمين أو لم أف بذلك فكل زوجة عندي يوم كتبت هذا الكتاب أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثا ألبتة طلاق الحرج وكل مملوك عندي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله وكل مال لي نقد أو عرض أو قرض أو أرض أو قليل أو كثير تالد أو طارف أو أستفيده فيما بعد اليوم إلى ثلاثين سنة صدقة على المساكين يضع ذلك الوالي حيث يرى وعلي من مدينة السلام المشي حافيا إلى بيت الله العتيق الذي مكة نذرا واجبا ثلاثين سنة لا كفارة لي ولا مخرج منه إلا الوفاء به والله على الوفاء بذلك راع كفيل شهيد وكفى بالله شهيد على عيسى بن موسى بإقراره بما في هذا الشرط أربعمائة وثلاثون من بني هاشم ومن الموالي والصحابة من قريش والوزراء والكتاب والقضاة

وكتب في صفر سنة ستين ومائة وختم عيسى بن موسى

فقال بعض الشعراء ... كره الموت أبو موسى وقد ... كان في الموت نجاء وكرم ... خلع الملك وأضحى ملبسا ... ثوب لوم ما ترى منه القدم ...

وفي سنة ستين ومائة وافى عبد الملك بن شهاب المسمعي مدينة باربد بمن توجه معه من **المطوعة** وغيرهم فناهضوها بعد قدومهم بيوم وأقاموا عليها يومين فنصبوا المنجنيق وناهضوها بجميع الآلة وتحاشد الناس وحض بعضهم بعضا بالقرآن والتذكير ففتحها الله عليهم عنوة ودخلت خيلهم من كل ناحية حتى ألجؤوهم إلى بدهم فأشعلوا فيها النيران والنفط فاحترق منهم من احترق وجاهد بعضهم المسلمين فقتلهم الله أجمعين واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا أفاءها الله عليهم وهاج البحر فلم يقدروا على ركوبه والانصراف فأقاموا إلى أن يطيب فأصابهم في أفواههم داء يقال له حمام قر فمات نحو من ألف رجل منهم الربيع بن صبيح ثم انصرفوا لما أمكنهم الانصراف حتى بلغوا ساحلا من فارس يقال له بحر حمران

فعصفت عليهم فيه الريح ليلا فكسرت عامة مراكبهم فغرق منهم بعض ونجا بعض وقدموا معهم بسبي من سبيهم فيهم بنت ملك باربد على محمد بن سليمان وهو يومئذ والي البصرة

وفيها صير أبا بن صدقة كاتبا لهارون بن المهدي ووزيرا له

وفيها عزل أبو عون عن خراسان عن سخطة وولي مكانه معاذ بن مسلم

وفيها غزا ثمامة الوليد العبسي الصائفة

وفيها غزا الغمر بن العباس الخثعمي بحر الشأم ." (١)

" ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من مقتل عبد السلام الخارجي بقنسرين

ذكر الخبر عن مقتله

ذكر أن عبد السلام بن هاشم اليشكري هذا خرج بالجزيرة وكثر بها أتباعه واشتدت شوكته فلقيه من قواد المهدي عدة منهم عيسى بن موسى القائد فقتله في عدة ممن معه وهزم جماعة من القواد فوجه إليه المهدي الجنود فنكب غير واحد من القواد منهم شبيب بن واج المروروذي ثم ندب إلى شبيب ألف فارس أعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة وألحقهم بشبيب فوافوه فخرج شبيب في أثر عبد السلام فهرب منهم حتى أتى قنسرين فلحقه بها فقتله

وفيها وضع المهدي دواوين الأزمة وولى عليها عمر بن بزيع مولاه فولى عمر بن بزيع النعمان بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق

وفيها أمر المهدي أن يجرى على المجذمين وأهل السجون في جميع الآفاق

وفيها ولي ثمامة بن الوليد العبسي الصائفة فلم يتم ذلك

وفيها خرجت الروم إلى الحدث فهدموا سورها

وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثلاثين ألف مرتزق سوى **المطوعة** فبلغ حمة أذرولية فأكثر التخريب والتحريق في بلاد الروم من غير أن يفتح حصنا وسمته الروم التنين وقيل إنه إنما أتى هذه الحمة الحسن ليستنقع فيها للوضح الذي كان به ثم قفل بالناس سالمين وكان على قضاء عسكره وما يجتمع من الفيء حفص بن عامر السلمي

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥٥٥/٤

قال وفيها غزا يزيد بن أسيد السلمي من باب قاليقلا فغنم وفتح ثلاثة حصون وأصاب سبيا كثيرا وأسرى

وفيها عزل علي بن سليمان عن اليمن وولي مكانه عبد الله بن سليمان

وفيها عزل سلمة بن رجاء عن مصر ووليها عيسى بن لقمان في المحرم ثم عزل في جمادى الآخرة ووليها واضح مولى المهدي ثم عزل في ذي القعدة ووليها يحيى الحرشي ." (١)

" ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة هارون بن محمد المهدي الصائفة ووجهه أبوه فيما ذكر يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة غازيا إلى بلاد الروم وضم إليه الربيع مولاه فوغل هارون في بلاد الروم فافتتح ماجدة ولقيته خيول نقيطا قومس القوامسة فبارزه يزيد بن مزيد فأرجل يزيد ثم سقط نقيطا فضربه يزيد حتى أثخنه وانهزمت الروم وغلب يزيد على عسكرهم وسار إلى الدمشتق بنقمودية وهو صاحب المسالح وسار هارون في خمسة وتسعين ألفا وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلا وحمل لهم من العين مائة ألف دينار وأربعة وتسعين ألفا وأربعمائة وخمسين دينارا ومن الورق أحدا وعشرين ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألف وثمانمائة درهم وسار هارون حتى بلغ خليج البحر الذي على القسطنطينية وصاحب الروم يومئذ أغسطه امرأة أليون وذلك أن ابنها كان صغيرا قد هلك أبوه وهو في حجرها فجرت بينهما وبين هارون بن المهدي الرسل والسفراء في طلب ال‍صلح والموادعة وإعطائه الفدية فقبل ذلك منها هارون وشرط عليها الوفاء بما أعطت له وأن تقيم له الأدلاء والأسواق في طريقه وذلك أنه دخل مدخلا صعبا مخوفا على المسلمين فأجابته إلى ما سأل والذي وقع عليه الصلح بينه وبينها تسعون أو سبعون ألف دينار تؤديها في نيسان الأول في كل سنة وفي حزيران فقبل ذلك منها فأقامت له الأسواق في منصرفه ووجهت معه رسولا إلى المهدي بما بذلت على أن تؤدي ما تيسر من الذهب والفضة والعرض وكتبوا كتاب الهدنة إلى ثلاثة سنين وسلمت الأسارى وكان الذي أفاء الله على هارون إلى أن أذعنت الروم بالجزية خمسة آلاف رأس وستمائة وثلاثة وأربعين رأسا وقتل من الروم في الوقائع أربعة وخمسون ألفا وقتل من الأسارى صبرا ألفان وتسعون أسيرا ومما أفاء الله عليه من الدواب الذلل بأدراتها عشرون ألف دابة وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس وكانت المرتزقة سوى **المطوعة** وأهل الأسواق مائة ألف وبيع البرذون بدرهم والبغل بأقل من عشرة دراهم والدرع

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥٦٤/٤

بأقل من درهم وعشرين سيفا بدرهم فقال مروان بن أبي حفصة في ذلك ... أطفت بقسطنطينية الروم مسندا ... إليها القنا حتى اكتسى الذل سورها ... وما رمتها حتى أتتك ملوكها ... بجزيتها والحرب تغلي قدورها ...

وفيها عزل خلف بن عبد الله عن الري وولاها عيسى مولى جعفر

وحج بالناس في هذه السنة صالح بن أبي جعفر المنصور

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم عمالها في السنةالماضية غير أن العامل على أحداث البصرة (١) ".

" وفيها فتح الرشيد هرقلة وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم وكان دخلها فيما قيل في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق سوى الأتباع وسوى **المطوعة** وسوى من لا ديوان له وأناخ عبد الله بن مالك على ذي الكلاع ووجه داود بن عيسى بن موسى سائحا في أرض الروم في سبعين ألفا وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودبسة وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف ومقلوبية وكان فتح الرشيد هرقلة في شوال وأخربها وسبى أهلها بعد مقام ثلاثين يوما عليها وولى حميد بن معيوف سواحل بحر الشأم إلى مصر فبلغ حميد قبرس فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفا فأقدمهم الرافقة فتولى بيعهم أبو البختري القاضي فبلغ أسقف قبرس ألفي دينار

وكان شخوص هارون إلى بلاد الروم لعشر بقين من رجب واتخذ قلنسوة مكتوبا عليها غاز حاج فكان يلبسها فقال أبو المعالي الكلابي ... فمن يطلب لقاءك أو يرده ... فبالحرمين أو أقصى الثغور ... ففي ارض العدو على طمر ... وفي أرض الترفه فوق كور ... وما حاز الثغور سواك خلق ... من المتخلفين على الأمور ...

ثم صار الرشيد إلى الطوانة فعسكر به ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وأمره ببناء منزل هنالك وبعث نقفور إلى الرشيد بالخراج والجزية عن رأسه وولي عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار منها عن رأسه أربعة دنانير وعن رأس ابنه استبراق دينارين وكتب نقفور مع بطريقين من عظماء بطارقته في جارية من سبي هرقلة كتابا نسخته

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥٧٢/٤

لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم سلام عليكم أما بعد أيها الملك فإن لي إليك حاجة لا تضرك في دينك ولا دنياك هنية يسيرة أن تهب لابني جارية من بنات أهل هرقلة كنت قد خطبتها على ابني فإن رأيت أن تسعفني بحاجتي فعل والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

واستهداه أيضا طيبا وسرادقا من سرادقاته فأمر الرشيد بطلب الجارية فأحضرت وزينت وأجلست على سرير في مضربه الذي كان نازلا فيه وسلمت الجارية والمضرب بما فيه من الآنية والمتاع إلى رسول نقفور وبعث إليه بما سأل من العطر وبعث إليه من التمور والأخصبة والزبيب والترياق فسلم ذلك كله إليه رسول الرشيد فأعطاه نقفور وقر دراهم إسلاميه على برذون كميت كان مبلغه خمسين ألف درهم ومائة ثوب ديباج ومائتي ثوب بزيون واثني عشر بازيا وأربعة أكلب من كلاب الصيد وثلاثة براذين وكان نقفور اشترط ألا يخرب ذا الكلاع ولا صمله ولا حصن سنان واشترط الرشيد عليه ألا يعمر هرقلة وعلى أن يحمل نقفور ثلاثمائة ألف دينار

وخرج في هذه السنة خارجي من عبد القيس يقال له سيف بن بكر فوجه إليه الرشيد محمد بن يزيد بن مزيد فقتله بعين النورة

ونقض أهل قبرس العهد فغزاهم معيوف بن يحيى فسبى أهلها

وحج بالناس فيها عيسى بن موسى الهادي ." (١)

" هوى خيل الأبناء بعد محمد ... وأصبح منها كاهل العز أخضعا ... فلا تشمتوا يا آل سهل بموته ... فإن لكم يوما من الدهر ...

وأحصى عيسى بن محمد بن أبي خالد ما كان في عسكره فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا بين فارس وراجل فأعطى الفارس أربعين درهما والراجل عشرين درهما

وفي هذه السنة تجردت **المطوعة** للنكير على الفساق ببغداد ورئيسهم خالد الدريوش وسهل بن سلامة الأنصاري أبو حاتم من أهل خراسان

ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله فعلت **المطوعة** ما ذكرت

كان السبب في ذلك أن فساق الحربية والشطار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس أذى شديدا وأظهروا الفسق وقطع الطريق وأخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل فيأخذون ابنه فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع وكانوا يسألون الرجل أن يقرضهم أو يصلهم فلا يقدر أن يمتنع عليهم

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٤/٦٧٧

وكانوا يجتمعون فيأتون القرى فيكاثرون أهلها ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغير ذلك لا سلطان يمنعهم ولا يقدر على ذلك منهم لأن السلطان كان يعتز بهم وكانوا بطانته فلا يقدر أن يمنعهم من فسق يركبونه وكانوا يجبون المارة في الطرق والسفن وعلى الظهر ويخفرون البساتين ويقطعون الطرق علانية ولا أحد يعدو عليهم وكان الناس منهم في بلاء عظيم ثم كان آخر أمرهم أنهم خرجوا إلى قطربل فانتهبوها علانية وأخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك وأدخلوها بغداد وجعلوا يبيعونها علانية وجاء أهلها فاستعدوا السلطان عليهم فلم يمكنه إعداؤهم عليهم ولم يرد عليهم شيئا مما كان أخذ منهم وذلك آخر شعبان

فلما رأى الناس ذلك وما قد أخذ منهم وما بيع من متاع الناس في أسواقهم وما قد أظهروا من الفساد في الأرض والظلم والبغي وقطع الطريق وأن السلطان لا يغير عليهم قام صلحاء كل ربض وكل درب فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا إنما في الدرب الفاسق والفاسقان إلى العشرة وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم فلو اجتمعتم حتى يكون أمركم واحدا لقمعتم هؤلاء الفساق وصاروا لا يفعلون ما يفعلون من إظهار الفسق بين أظهركم

فقام رجل من ناحية طريق الأنبار يقال له خالد الدريوش فدعا جيرانه وأهل بيته وأهل محلته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأجابوه إلى ذلك وشد على من يليه من الفساق والشطار فمنعهم مما كانوا يصنعون فامتنعوا عليه وأرادوا قتاله إلا أنه كان لا يرى أن يغير على السلطان شيئا ثم قام من بعده رجل من اهل الحربية يقال له سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان يكنى أبا حاتم فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله جل وعز وسنة نبيه صلى الله عليه و سلم وعلق مصحفا في عنقه ثم بدا بجيرانه واهل محلته فأمرهم ونهاهم فقبلوا منه ثم دعا الناس جميعا إلى ذلك الشريف منهم والوضيع بني هاشم ومن دونهم وجعل له ديوانا يثبت فيه اسم من اتاه منهم فبايعه على ذلك وقتال من خالفه وخالف ما دعا إليه كائنا من كان فاتاه خلق كثير فبايعوا

ثم إن طاف ببغداد وأسواقها وأرباضها وطرقها ومنع كل من يخفر ويجبي المارة والمختلفة وقال لا ". (١)

" ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/١٣٦

فمن ذلك الوقعة التي كانت بين بابك وبغا الكبير من ناحية هشتادسر فهزم بغا واستبيح عسكره وفيها واقع الأفشين بابك وهزمه

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وكيف كان السبب فيها

ذكر أن بغا الكبير قدم بالمال الذى قد مضى ذكره وأن المعتصم وجهه معه إلى الأفشين عطاء للجند الذي كان معه ولنفقات الأفشين على الأفشين وبالرجال الذين توجهوا معه إليه فأعطى الأفشين أصحابه وتجهز بعد النيروز ووجه بغا في عسكر ليدور حول هشتادسر وينزل في خندق محمد بن حميد ويحفزه ويحكمه وينزله فتوجه بغا إلى خندق محمد بن حميد وصار إليه ورحل الأفشين من برزند ورحل أبو سعيد من خش يريد بابك فتوافوا بموضع يقال له دروذ فاحتفر الأفشين بها خندقا وبنى حوله سوارا ونزل هو وأبو سعيد في الخندق مع من كان صار إليه من المطوعة فكان بينه وبين البذ ستة أميال ثم إن بغا تجهز وحمل معه الزاد من غير أن يكون الأفشين كتب إليه ولا أمره بذلك فدار حول هشتادسر حتى دخل إلى قرية البذ فنزل في وسطها وأقام بها يوما واحدا ثم وجه ألف رجل في علافة له فخرج عساكر من عساكر بابك فاستباح العلافة وقتل جميع من قاتله منهم وأسر من قدر عليه وأخذ بعض الأسرى فأرسل منهم رجلين مما يلي الأفشين وقال لهما اذهبا إلى الأفشين وأعلماه ما نزل بأصحابكم فأشرف الرجلان فنظر إليهما صاحب الكوهبانية فحرك العلم فصاح أهل العسكر السلاح السلاح وركبوا يريدون البذ فتلقاهم الرجلان عريانين فأخذهما صاحب المقدمة فمضى بهما إلى الأفشين فأخبراه بقضيتهما فقال فعل شيئا من غير أن نأمره ورجع بغا إلى خندق محمد بن حميد شبيها بالمنهزم وكتب إلى الأفشين يعلمه ذلك ويسأله المدد ويعلمه أن العسكر مفلول فوجه إليه الأفشين أخاه الفضل بن كاوس وأحمد بن الخليل بن هشام وابن جوشن وجناحا الأعور السكري وصاحب شرطة الحسن بن سهل وأحد الأخوين قرابة الفضل بن سهل فداروا حول هشتادسر فسر أهل عسكره بهم ثم كتب الأفشين إلى بغا يعلمه أنه يغزو بابك في يوم سماه له ويأمره أن يغزوه في ذلك اليوم بعينه ليحاربه من كلا الوجهين فخرج الأفشين في ذلك اليوم من دروذ يريد بابك وخرج بغا من خندق محمد بن حميد فصعد إلى هشتادسر فعسكر على دعوه بجنب قبر محمد بن حميد فهاجت ريح باردة ومطر شديد فلم يكن للناس عليها صبر لشدة البرد وشدة الريح فانصرف بغا إلى عسكره وواقعهم الأفشين من الغد وقد رجع بغا إلى عسكره ." (١)

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٢١٦

" بصنوجهم ونفخوا بوقاتهم استهزاء ولا يبرح بخاراخذه من العقبة التي هو عليها حتى تجوزه الناس جميعا ثم ينصرف في آثارهم فلما كان في بعض أيامهم ضجرت الخرمية من المعادلة والتفتيش الذي كان يفتش عليهم فانصرف الأفشين كعادته وانصرفت الكراديس أولا فأولا وعبر أبو سعيد الوادي وعبر أحمد بن الخليل وعبر بعض أصحاب جعفر الخياط وفتح الخرمية باب خندقهم وخرج منهم عشرة فوارس وحملوا على من بقي من أصحاب جعفر الخياط في ذلك الموضع واتفعت الضجة في العسكر فرجع جعفر مع كردوس من أصحابه بنفسه فحمل على أولئك الفرسان حتى ردهم إلى باب البذ ثم وقعت الضجة في العسكر فرجع الأفشين وجعفر وأصحابه من ذلك الجانب يقاتلون وقد خرج من أصحاب جعفر عدة وخرج بابك بعدة فرسان لم يكن معهم رجالة لا من اصحاب الأفشين و لا من اصحاب بابك كان هؤلاء يحملون وهؤلاء يحملون فوقعت بينهم جراحات ورجع الأفشين حتى طرح له النطع والكرسي فجلس في موضعه الذي كان يجلس فيه وهو يتلظى على جعفر ويقول قد أفسد علي تعبيتي وما أريد

وارتفعت الضجة وكان مع أبي دلف في كردوس قوم من **المطوعة** من أهل البصرة وغيرهم فلما نظروا إلى جعفر يحارب انحدر أولئك **المطوعة** بغير امر الأفشين وعبروا الى ذلك جانب الوادى حتى صاروا الى جانب البذ فتعلقوا به واثروا فيه آثارا وكادوا يصعدونه فيدخلون البذ ووجه جعفر الى الأفشين ان امدنى بخمسمائة راجل من الناشبه فإني ارجو أن أدخل البذ إن شاء الله ولست أرى في وجهي كثير أحد إلاهذا الكردوس الذي تراه أنت فقط يعني كردوس آذين فبعث إليه الأفشين أن قد أفسدت علي أمري فتخلص قليلا قليلا وخلص أصحابك وانصرف وارتفعت الضجة من **المطوعة** حتى تعلقوا بالبذ وظن الكمناء الذين أخرجهم بابك أنها حرب قد اشتبكت فنعروا ووثبوا من تحت عسكر بخاراخذه ووثب كمين آخر من وراء الركوة التي كان الأفشين يقعد عليها فتحركة الخرمية والناس وقوف على رؤوسهم لم يزل منهم احد فقال الأفشين الحمد لله الذي بين لنا مواضع ہؤلاء

ثم انصرف جعفر وأصحابه **والمطوعة** فجاء جعفر إلى الأفشين فقال له إنما وجهني سيدي أمير المؤمنين للحرب التي ترى ولم يوجهني للقعود ها هنا وقد قطعت بي في موضع حاجتي ما كان يكفيني إلا خمسمائة راجل حتى أدخل البذ أو جوف داره لأني قد رأيت من بين يدي فقال له الأفشين لا تنظر إلى ما بين يديك ولكن انظر إلى ما خلفك وما قد وثبوا ببخاراخذاه وأصحابه فقال الفضل بن كاوس لجعفر الخياط لو كان الأمر إليك ما كنت تقدر أن تصعد إلى هذا الموضع الذي أنت عليه واقف حتى تقول كنت وكنت فقال له جعفر هذه الحرب وها انا واقف لمن جاء فقال له الفضل لولا مجلس الأمير لعرفتك نفسك

الساعة فصاح بهما الأفشين فأمسكا وأمر أبا دلف أن يرد **المطوعة** عن السور فقال أبو دلف للمطوعة انصرفوا فجاء رجل منهم ومعه صخرة فقال أتردنا وهذا الحجر أخذته من السور فقال له الساعة إذا انصرف تدري من على طريقك جالس يعني العسكر الذي وثب على بخاراخذاه من وراء الناس ثم قال الأفشين لأبي سعيد في وجه جعفر أحسن الله جزاءك عن نفسك وعن أمير المؤمنين فإني ما علمتك عالما بأمر هذه العساكر وسياستها ليس كل من حف رأسه يقول إن الوقوف في الموضع الذي يحتاج إليه خير من المحاربة في المواضع الذي لا يحتاج إليه لو وثب هؤلاء الذين تحتك وأشار إلى الكمين الذي تحت الجبل كيف كنت ترى هؤلاء **المطوعة** الذين هم في القمص أي شيء كان يكون حالهم ومن كان يجمعهم الحمد لله الذي ." (١)

" سلمهم فقف ها هنا فلا تبرح حتى لا يبقى ها هنا أحد وانصرف الأفشين وكان من سنته إذا بدأ بالانصراف ينحدر عن الكراديس وفرسانه ورجالته والكردوس الآخر واقف بينه وبينه قدر رمية سهم لا يدنو من العقبة ولا من المضيق حتى يرى أنه قد عبر كل من في الكردوس الذي بين يديه وخلابه الطريق ثم يدنو بعد ذلك فينحدر في الكردوس الآخر بفرسانه ورجالته ولا يزال كذلك وقد عرف كل كردوس من خلف من ينصرف فلم يكن يتقدم أحد منهم بين يدي صاحبه ولا يتأخر هكذا حتى إذا نفذت الكراديس كلها ولم يبق أحد غير بخاراخذاه انحدر بخاراخذاه وخلى العقبة فانصرف ذلك اليوم على هذه الهيئة وكان أبو سعيد آخر من انصرف وكلما مر العسكر بموضع بخاراخذاه ونظروا إلى الموضع الذي كان فيه الكمين علموا ما كان وطيء لهم وتفرق أولئك الأعلاج الذين أرادوا أخذ الموضع الذي كان بخاراخذه يحفظه ورجعوا إلى مواضعهم فأقام الأفشين في خندقه بروذ الروذ أياما فشكا إليه **المطوعة** الضيق في العلوفة والأزواد والنفقات فقال لهم من صبر منكم فليصبر ومن لم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام معي جند أمير المؤمنين ومن هو في أرزاقه يقيمون معي في الحر والبرد ولست أبرح من ها هنا حتى يسقط الثلج فانصرف **المطوعة** وهم يقولون لو ترك الأفشين جعفرا وتركنا لأخذنا البذ هذا لا يشتهي إلا المماطلة فبلغه ذلك وما كثر **المطوعة** فيه ويتنالونه بألسنتهم وأنه لا يحب المناجزة وإنما يريد التطويل حتى قال بعضهم إنه رأى في المنام أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له قل للأفشين إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت في أمره وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة فتحدث الناس بذلك في العسكر علانية كأنه مستور فبعث الأفشين إلى رؤساء **المطوعة** فأحضرهم وقال لهم أحب أن تروني هذا الرجل فإن الناس يرون في المنام أبوابا فأتوه

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٢٢٤

بالرجل في جماعة من الناس فسلم عليه فقربه وأدناه وقال له قص علي رؤياك لا تحتشم ولا تستحي فإنما تؤدي قال رأيت كذا ورأيت كذا فقال الله يعلم كل شيء قبل كل أحد وما أريد بهذا الخلق إن الله تبارك وتعالى لو أراد أن يأمر الجبال أن ترجم أحدا لرجم الكافر وكفانا مؤنته كيف يرجمني حتى أكفيه مؤنة الكافر كان يرجمه ولا يحتاج ان أقاتله أنا وأنا أعلم أن الله عز و جل لا يخفى عليه خافية فهو مطلع على قلبي وما أريد بكم يا مساكين فقال رجل من **المطوعة** من اهل الدين يا أيها الأمير لا تحرمنا شهادة إن كانت قد حضرت وإنما قصدنا وطلبنا ثواب الله ووجهه فدعنا وحدنا حتى نتقدم بعد أن يكون بإذنك فلعل الله أن يفتح علينا فقال الأفشين إني أرى نياتكم حاضرة وأحسب هذا الأمر يريده الله وهو خير إن شاء الله وقد نشطتم ونشط الناس والله أعلم ما كان هذا رأيي وقد حدث الساعة لما سمعت من كلامكم وأرجو أن يكون أراد هذا الأمر وهو خير اعزموا على بركة اللہ أي يوم أحببتم حتى نناهصهم ولا حول ولا قوة إلا بالله فخرج القوم مستبشرين فبشروا أصحابهم فمن كان أراد أن ينصرف أقام ومن كان في القرب وقد خرج مسيرة أيام فسمع بذلك رجع ووعد الناس ليوم وأمر الجند والفرسان والرجالة وجميع الناس بالأهبة وأظهر أنه يريد الحرب لا محالة وخرج الأفشين وحمل المال والزاد ولم يبق في العسكر بغل الا وضع عليه محمل للجرحى واخرج معه المتطببين وحمل الكعك والسويق وغير ذلك وجميع ما يحتاج اليه وزحف الناس حتى صعد الى البذ وخلف بخاراخذاه في موضعه الذي كان يخلفه عليه على العقبة ثم طرح النطع ووضع له الكرسي وجلس عليه كما كان يفعل وقال لأبي دلف قل للمطوعة أي ناحية هي أسهل عليكم فاقتصروا عليها وقال لجعفر العسكر كله بين يديك والناشبة والنفاطون فإن أردت رجالا دفعتهم إليك فخذ حاجتك وما تريد واعزم ." (١)

" على بركة الله فادن من أي موضع تريد قال أريد أن أقصد الموضع الذي كنت عليه قال امض إليه

ودعا ابا سعيد فقال له قف بين يدي أنت وجميع أصحابك ولا يبرحن منكم أحد ودعا أحمد بن الخليل فقال له قف أنت وأصحابك ها هنا ودع جعفرا يعبر وجميع من معه من الرجال فإن أراد رجالا أو فرسانا أمددناه ووجهنا بهم إليه ووجه أبا دلف وأصحابه من **المطوعة** فانحدروا إلى الوادي وصعدوا إلى حائط البذ من الموضع الذي كانوا صعدوا عليه تلك المرة وعلقوا بالحائط على حسب ما كانوا فعلوا ذلك اليوم وحمل جعفر حملة حتى ضرب باب البذ على حسب ما كان فعل تلك المرة الأولى ووقف على الباب وواقفه الكفرة ساعة صالحة فوجه الأفشين برجل معه بدرة دنانير وقال له اذهب إلى أصحاب جعفر فقل

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٥٢٢

من تقدم فاحث له ملء كفك ودفع بدرة أخرى الى رجل من أصحابه وقال له اذهب الى **المطوعة** ومعك هذا المال وأطواق فأسورة وقل لأبي دلف كل من رأيته محسنا من **المطوعة** وغيرهم فأعطه ونادى صاحب الشراب فقال له اذهب فتوسط الحرب معهم حتى أراك بعيني معك السويق والماء لئلا يعطش القوم فيحتاجوا إلى الرجوع وكذلك فعل بأصحاب جعفر في الماء والسويق ودعا صاحب الكلغرية فقال له من رأيته في وسط الحرب من **المطوعة** في يده فأس فله عندي خمسون درهما ودفع إليه بدرة دراهم وفعل مثل ذلك بأصحاب جعفر ووجه إليهم الكلغرية بأيديهم الفؤوس ووجه إلى جعفر بصندوق فيه أطواق وأسورة فقال له ادفع إلى من أردت من أصحابك هذا سوى ما لهم عندي وما تضمن لهم علي من الزيادة في أرزاقهم والكتاب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم فاشتبكت الحرب على الباب طويلا ثم فتح الخرمية الباب وخرجوا على أصحاب جعفر فنحوهم عن الباب وشدوا على **المطوعة** من الناحية الأخرى فأخذوا منهم علمين طرحوهم عن السور وجرحوهم بالصخر حتى اثروا فيهم فرقوا عن الحرب ووقفوا وصاح جعفر بأصحابه فبدر منهم نحو من مائة رجل فبركوا خلف تراسهم التي كانت معهم وواقفوهم متحاجزين لا هؤلاء يقدمون على هؤلاء ولا هؤلاء يقدمون على هؤلاء فلم يزالوا كذلك حتى صلى الناس الظهر وكان الأفشين قد حمل عرادات فنصب عرادة منها مما يلي جعفرا على الباب وعرادة أخرى من طرف الوادي من ناحية **المطوعة** فأما العرادة التي من ناحية جعفر فدافع عنها جعفر حتى صارت العرادة فيما بينهم وبين الخرمية ساعة طويلة ثم تخلصها أصحاب جعفر بعد جهد فقلعوها وردوها إلى العسكر فلم يزل الناس متواقفين متحاجزين يحتلف بينهم النشاب والحجارة أولئك على سورهم والباب وهؤلاء قعود تحت اتراسهم ثم تناجزوا بعد ذلك فلما نظر الأفشين إلى ذلك كره أن يطمع العدو في الناس فوجه الرجالة الذين كان اعدهم قبله حتى وقفوا في موضع **المطوعة** وبعث إلى جعفر بكردوس فيه رجالة فقال جعفر لست أوتى من قلة الرجالة معي رجال فره ولكني لست أرى للحرب موضعا يتقدمون إنما ها هنا موضع مجال رجل أو رجلين قد وقفوا عليه وانقطعت الحرب فبعث إليه انصرف على بركة الله فانصرف جعفر وبعث الأفشين بالبغال التي كان جاء بها معه عليها المحامل فجعلت فيها الجرحى ومن كان به وهن من الحجارة ولا يقدر على المشي وأمر الناس بالانصراف فانصرفوا إلى خندقهم بروذ الروذ وأيس الناس من الفتح في تلك السنة وانصرف أكثر **المطوعة**

ثم إن الأفشين تجهز بعد جمعتين فلما كان في جوف الليل بعث الرجالة الناشبة وهم مقدار ألف رجل فدفع إلى كل واحد منهم شكوة وكعكا ودفع إلى بعضهم أعلاما سودا وغير ذلك وأرسلهم عند مغيب الشمس وبعث معهم أدلاء فساروا ليلتهم في جبال منكرة صعبة على غير الطريق حتى داروا فصاروا ." (١)

" قال فلما كان يوم عاشوراء لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائتين احتمع المسلمون ومن معهم من العلوج وقائدان من قواد الروم يقال لأحدهما أنقاس وللآخر لمسنوس والمسلمون والمطوعة في أربعة آلاف بين فارس وراجل فاجتمعوا بموضع يقال له اللمس فذكر عن محمد بن أحمد بن سعيد بن قتيبة الباهلي أن كتاب أبيه أتاه أن من فودي به من المسلمين ومن كان معهم من اهل ذمتهم أربعة آلاف وستمائة إنسان منهم صبيان ونساء ستمائة ومنهم من اهل الذمة أقل من خمسمائة والباقون رجال من جميع الآفاق

وذكر أبو قحطبة وكان رسول خاقان الخادم إلى ملك الروم لينظر كم عدد الأسرى ويعلم صحة ما عزم عليه ميخائيل ملك الروم أن عدد المسلمين قبل الفداء كان ثلاث آلاف رجل وخمسمائة امرأة وصبي ممن كان بالقسطنطينية وغيرها إلا من أحضره الروم ومحمد بن عبد الله الطرسوسي وكان عندهم فأوفده أحمد بن سعيد بن سلم وخاقان مع نفر من وجوه الأسرى على الواثق فحملهم الواثق على فرس فرس وأعطى لكل رجل منهم ألف درهم

وذكر محمد هذا أنه كان أسيرا في أيدي الروم ثلاثين سنة وانه كان أسر في غزاة رامية كان في العلافة فأسر وكان فيمن فودي به في هذا الفداء وقال فودي بنا في يوم عاشوراء على نهر يقال له اللامس على سلوقية قريبا من البحر وأن عدتهم كانت أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفسا النساء وأزواجهن وصبيانهن ثمانمائة وأهل ذمة المسلمين مائة أو أكثر فوقع الفداء كل نفس عن نفس صغيرا أو كبيرا فاستفرغ خاقان جميع من كان في بلد الروم من المسلمين ممن علم موضعه

قال فلما جمعوا للفداء وقف المسلمون من جانب النهر الشرقي والروم من الجانب الغربي وهو مخاضة فكان هؤلاء يرسلون من ها هنا رجلا وهؤلاء من ها هنا رجلا فيلتقيان في وسط النهر فإذا صار المسلم إلى المسلمين كبر وكبروا وإذا صار الرومي إلى الروم تكلم بكلامهم وتكلموا شبيها بالتكبير

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٢٢٦

وذكر عن السندي مولى حسين الخادم أنه قال عقد المسلمون جسرا على النهر وعقد الروم جسرا فكنا نرسل الرومي على جسرنا ويرسل الروم المسلم على جسرهم فيصير هذا إلينا وذاك إليهم وانكر أن يكون مخاضة

وذكر عن محمد بن كريم أنه قال لما صرنا في أيدي المسلمين امتحننا جعفر ويحيى فقلنا وأعطينا دينارين دينارين

قال وكان البطريقان اللذان قدما بالأسرى لا بأس بهما في معاشرتهما

قال وخاف الروم عدد المسلمين لقلتهم وكثرة المسلمين فآمنهم خاقان من ذلك وضرب بينهم وبين المسلمين أربعين يوما لا يغزون حتى يصلوا إلى بلادهم ومأمنهم وكان الفداء في أربعة أيام ففضل مع خاقان ممن كان أمير المؤمنين أعد لفداء المسلمين عدة كبيرة وأعطى خاقان صاحب الروم ممن كان قد فضل في يده مائة نفس ليكون عليهم الفضل استظهارا مكان من يخشى أن يأسروه من المسلمين إلى انقضاء المدة ورد الباقين إلى طرسوس فباعهم

قال وكان خرج معنا ممن تنصر ببلاد الروم من المسلمين نحو من ثلاثين رجلا فودي بهم ." (١)

" يتجاوز تلك المدة هلك وجميع من معه وأخذتهم البجة بالأيدي دون المحاربة وأن أرضهم أرض لا ترد على السلطان شيئا من خراج ولا غيره

فأمسك المتوكل عن التوجيه إليهم وجعل أمرهم يتزيد وجرأتهم على المسلمين تشتد حتى خاف أهل الصعيد من أرض مصر على أنفسهم وذراريهم منهم فولى المتوكل محمد بن عبد الله المعروف بالقمي محاربتهم وولاه معاون تلك الكور وهي قفط والأقصر وإسنا وأرمنت وأسوان وتقدم إليه في محاربة البجة وأن يكاتب عنبسة بن إسحاق الضبي العامل على حرب مصر وكتب إلى عنبسة بإعطائه جميع ما يحتاج إليه من الجند والشاكرية المقيمين بمصر

فأزاح عنبسة علته في ذلك وخرج إلى أرض البجة وانضم إليه جميع من كان يعمل في المعادن وقوم كثير من **المتطوعة** فكانت عدة من معه نحوا من عشرين ألف إنسان بين فارس وراجل ووجه إلى القلزم فحمل في البحر سبعة مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير وأمر قوما من أصحابه أن يلججوا بها في البحر حتى يوافوه في ساحل البحر من أرض البجة فلم يزل محمد بن عبد الله القمي يسير في أرض البجة حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب وصار إلى حصونهم وقلاعهم وخرج إليه ملكهم

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٢٨٦

واسمه علي بابا واسم ابنه لعيس في جيش كثير وعدد أضعاف من كان مع القمي من الناس وكانت البجة على إبلهم ومعهم الحراب وإبلهم فرة تشبه بالمهاري في النجابة فجعلوا يلتقون أياما متوالية فيتناوشون ولا يصححون المحاربة وجعل ملك البجة يتطارد للقمي لكي تطول الايام طمعا في نفاد الزاد والعلوفة التي معهم فلا يكون لهم قوة ويموتون هزلا فيأخذهم البجة بالأيدي

فلما توهم عظيم البجة أن الأزواد قد نفدت أقبلت السبع المراكب التي حملها القمي حتى خرجت إلى ساحل من سواحل البحر في موضع يعرف بصنجة فوجه القمي إلى هنالك جماعة من أصحابه يحمون المراكب من البجة وفرق ما كان فيها على اصحابه فاتسعوا في الزاد والعلوفة فلما رأى ذلك علي بابا رئيس البجة قصد لمحاربتهم وجمع لهم والتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا وكانت الإبل التي يحاربون عليها إبلا زعرة تكثر الفزع والرعب من كل شيء فلما رأى ذلك القمي جمع أجراس الإبل والخبل التي كانت في عسكره كلها فجعلها في أعناق الخيل ثم حمل على البجة فنفرت إبلهم لأصوات الأجراس واشتد رعبها فحملتهم على الجبال والأودية فمزقتهم كل ممزق وأتبعهم القمي بأصحابه فأخذهم قتلا وأسرا حتى أدركه الليل وذلك في أول سنة إحدى وأربعين ثم رجع إلى معسكره ولم يقدر على إحصاء القتلى لكثرتهم فلما أصبح القمي وجدهم قد جمعوا جمعا من الرجارة ثم صاروا إلى موضع أمنوا فيه طلب القمي فوافاهم القمي في الليل في خيله فهرب ملكهم فأخذ تاجه ومتاعه ثم طلب علي بابا الأمان على أن يرد إلى مملكته وبلاده فأعطاه القمي ذلك فأدى إليه الخراج للمدة التي كان منعها وهي أربع سنين لكل سنة أربعمائة مثقال واستخلف علي بابا على مملكته ابنه لعيس وانصرف القمي بعلي بابا إلى باب المتوكل فوصل إليه في آخر سنة إحدى وأربعين ومائتين فكسا علي بابا هذا دراعة ديباج وعمامة سوداء وكما حمله رحلا مدبجا وجلال ديباج ووقف بباب العامة مع قوم من البجة نحو من سبعين غلاما على الإبل بالرحال ومعهم الحراب في رؤوس حرابهم رؤوس القوم الذين قتلوا من عسكرهم قتلهم القمي فأمر المتوكل أن يقبضوا من القمي يوم الأضحى من ستة إحدى وأربعين ومائتين وولى المتوكل البجة وطريق ما بين مصر ومكة سعدا الخادم الأيتاخي فولى سعد محمد بن عبد الله ." (١)

" ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٣٢٣/٥

فمما كان فيها من ذلك الزلازل الهائلة التي كانت بقومس ورساتيقها في شعبان فتهدمت فيها الدور ومات من الناس بها مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشر كثير ذكر أنه بلغت عدتهم خمسة وأربعين ألفا وستة وتسعين نفسا وكان عظم ذلك بالدامغان

وذكر أنه كان بفارس وخراسان والشأم في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة وكان باليمن أيضا مثل ذلك مع خسف بها

وفيها خرجت الروم من ناحية شمشاط بعد خروج علي بن يحيى الأرمني من الصائفة حتى قاربوا آمد ثم خرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا عدة قرى وأسروا نحوا من عشرة آلاف إنسان وكان دخولهم من ناحية أبريق قرية قربياس ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم فخرج قربياس وعمر بن عبد الله الأقطع وقوم من المتطوعة في أثرهم فلم يلحقوا منهم أحدا فكتب إلى علي بن يحيى أن يسير إلى بلادهم شاتيا

وفيها قتل المتوكل عطاردا رجلا كان نصرانيا فأسلم فمكث مسلما سنين كثيرة ثم ارتد فاستتيب فأبى الرجوع الى الإسلام فضربت عنقه لليلتين خلتا من شوال وأحرق بباب العامة

وفي هذه السنة مات أبو حسان الزيادي قاضي الشرقية في رجب

وفيها مات الحسن بن علي بن الجعد قاضي مدينة المنصور

وحج بالناس فيها عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي وهو والي مكة

وحج فيها جعفر بن دينار وهو والي طريق مكة وأحداث الموسم ." (١)

" هلال في سوق الريان ذكر عن قائد من قواده يقال له ريحان أن هذا التركي وافاهم في هذا السوق ومعه زهاء أربعة آلاف رجل أو يزيدون وفي مقدمته قوم عليهم ثياب مشهرة وأعلام وطبول وأن السودان حملوا عليه حملة صادقة وأن بعض السودان ألقى صاحب علم القوم فضربه بخشبتين كانتا معه في يده فصرعه وانهزم القوم وتلاحق السودان فقتلوا من أصحاب أبي هلال زهاء ألف وخمسمائة وإن بعضهم اتبع أبا هلال ففاته بنفسه على دابة عري وحال بينهم وبين من أفلت ظلمة الليل وأنه لما أصبح أمر بتتبعهم ففعلوا ذلك فجاءوا بأسرى ورؤوس فقتل الأسرى كلهم ثم كانت له وقعة أخرى بعد هذه الوقعة مع أصحاب السلطان هزمهم فيها وظفر بهم وكان مبتدأ الأمر في ذلك فيما ذكر عن قائد لصاحب الزنج من السودان يقال له ريحان أنه قال لما كان في بعض الليل من ليالي هذه السنة التي ذكرنا أنه ظهر فيها سمع نباح

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٣٢٥/٥

كلب في أبواب تعرف بعمرو بن مسعدة فأمر بتعرف الموضع الذي يأتي منه النباح فوجه لذلك رجلا من أصحابه ثم رجع فأخبره أنه لم ير شيئا وعاد النباح قال ريحان فدعاني فقال لي صر إلى موضع هذا الكلب النابح فإنه إنما نبح شخصا يراه فصرت فإذا أنا بالكلب على المسناة ولم أر شيئا فأشرفت فإذا أنا برجل قاعد في درجات هنالك فكلمته فلما سمعني أفصح بالعربية كلمني فقال أنا سيران بن عفو الله أتيت صاحبكم بكتب من شيعته بالبصرة وكان سيران هذا أحد من صحب صاحب الزنج أيام مقامه بالبصرة فأخذته فأتيته به فقرأ الكتب التي كانت معه وسأله عن الزينبي وعن عده من كان معه فقال إن الزينبي قد أعد لك الخول **والمطوعة** والبلالية والسعدية وهم خلق كثير وهو على لقائك بهم ببيان فقال له اخفض صوتك لئلا يرتاع الغلمان بخبرك وسأله عن الذي يقود هذا الجيش فقال قد ندب لذلك المعروف بأبي منصور وهو أحد موالي الهاشميين قال له أفرأيت جمعهم قال نعم وقد أعدوا الشرط لكتف من ظفروا به من السودان فأمره بالانصراف إلى الموضع الذي يكون فيه مقامه فانصرف سيران إلى علي بن أبان ومحمد بن سلم ويحيى بن محمد فجعل يحدثهم إلى أن أسفر الصبح ثم سار صاحب الزنج إلى أن اشرف عليهم فلما انتهى إلى مؤخر ترسى وبرسونا وسنداداان بيان عرض له قوم يريدون قتله فأمر علي بن أبان فأتاهم فهزمهم وكان معهم مائة أسود فظفر بهم قال ريحان فسمعته يقول لأصحابه من أمارات تمام أمركم ما ترون من إتيان هؤلاء القوم بعبيدهم فيسلمونهم إليكم فيزيد الله في عددكم ثم سار حتى صار إلى بيان

قال ريحان فوجهني وجماعة من أصحابه إلى الحجر لطلب الكاروان وعسكرهم في طرف النخل في الجانب الغربي من بيان فوجهنا إلى الموضع الذي أمرنا بالمصير إليه فألفينا هناك ألفا وتسعمائة سفينة ومعها قوم من **المطوعة** قد احتبسوها فلما رأونا خلوا عن السفن وعبروا سلبان عرايا ماضين نحو جوبك وسقنا السفن حتى وافيناه بها فلما أتيناه بها أمر فبسط له على نشز من الأرض وقعد وكان في السفن قوم حجاج أرادوا سلوك طريق البصرة فناظرهم بقية يومه إلى وقت غروب الشمس فجعلوا يصدقونه في جميع قوله وقالوا لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك فردهم إلى سفنهم فلما أصبحوا أخرجهم فأحلفهم ألا يخبروا أحدا بعدة أصحابه وأن يقللوا أمره عند من سألهم عنه وعرضوا عليه بساطا كان معهم فأبدله ببساط كان معه واستحلفهم أنه لا مال للسلطان معهم ولا تجارة فقالوا معنا رجل من أصحاب السلطان فأمر بإحضاره فأحضر فحلف الرجل أنه ليس من أصحاب السلطان وأنه رجل معه نقل أراد ." (١)

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٤٥٠

" بالفضل بن ميمون فكان أول من بدر إليه وضربه بالسيف فتح غلام أبي شيث وأتاه ابن التومني السعدي فاحتز رأسه فرجع سليمان ويحيى إليه فأخبراه الخبر فأمرهما بطي ذلك عن الناس حتى يكون هو الذي يقوله لهم فلما صلى العصر نعى محمد بن سلم لأصحابه وعرف خبره من لم يكن عرفه فقال لهم إنكم تقتلون به في غد عشرة آلاف من أهل البصرة ووجه زريقا وغلاما له يقال له سقلبتويا وأمرهما بمنع الناس من العبور وذلك في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين

قال محمد بن الحسن فحدثني محمد بن سمعان الكاتب قال لما كان في يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة جمع له أهل البصرة وحشدوا له لما رأوا من ظهورهم عليه في يوم الأحد وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحماد الساجي وكان من غزاة البحر في الشذا وله علم بركوبها والحرب فيها فجمع **المطوعة** ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومن خف معه من حزبي البلالية والسعدية ومن أحب النظر من غير هذه الأصناف من الهاشميين والقرشيين وسائر أصناف الناس فشحن ثلاثة مراكب من الشذا من الرماة وجعلوا يزدحمون في الشذا حرصا على حضور ذلك المشهد ومضى جمهور الناس رجالة منهم من معه السلاح ومنهم نظارة لا سلاح معهم فدخلت الشذا والسفن النهر المعروف بأم حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم في المد ومرت الرجالة والنظارة على شاطيء النهر قد سدوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفا وكثرة وكان صاحب الزنج مقيما بموضعه من النهر المعروف بشيطان

قال محمد بن الحسن فأخبرنا صاحب الزنج أنه لما أحس بمصير الجمع إليه وأتته طلائعه بذلك وجه زريقا وأبا الليث الأصبهاني في جماعة معهما في الجانب الشرقي من النهر كمينا وشبلا وحسينا الحمامي في جماعة من أصحابه في الجانب الغربي بمثل ذلك وأمر علي بن ابان ومن بقي معه من جمعه بتلقي القوم وأن يجثو لهم فيمن معه ويستتروا بتراسهم فلا يثور إليهم منهم ثائر حتى يوافيهم القوم ويوموا إليهم بأسيافهم فإذا فعلوا ذلك ثاروا إليهم وتقدم إلى الكمينين إذا جاوزهما الجمع وأحسا بثورة أصحابهم إليهم أن يخرجا من جنبتي النهر ويصيحا بالناس وأمر نساء الزنج بجمع الآجر وإمداد الرجال به

قال وكان يقول لأصحابه بعد ذلك لما أقبل إلي الجمع يومئذ وعاينته رأيت أمرا هائلا راعني وملأ صدري رهبة وجزعا وفزعت إلى الدعاء وليس معي من أصحابي إلا نفر يسير منهم مصلح وليس منا أحد إلا وقد خيل له مصرعه في ذلك فجعل مصلح يعجبني من كثرة ذلك الجمع وجعلت أومي إليه أن يمسك فلما قرب القوم مني قلت اللهم إن هذه ساعة العسرة فأعني فرأيت طيورا بيضا تلقت ذلك الجمع فلم أستتم كلامي حتى بصرت بسميرية قد انقلبت بمن فيها فغرقوا ثم تلتها الشذا وثار أصحابي إلى القوم الذين قصدوا

لهم فصاحوا بهم وخرج الكمينان عن جنبتي النهر من وراء السفن والرجالة وخبطوا من ولى من الرجالة والنظارة الذين كانوا على شاطىء النهر المعروف فغرقت طائفة وقتلت طائفة وهربت طائفة نحو الشط طمعا في النجاة فأدركها السيف فمن ثبت قتل ومن رجع إلى الماء غرق ولجأ من كان على شاطىء النهر من الرجالة إلى النهر فغرقوا وقتلوا حتى أبير أكثر ذلك الجمع ولم ينج منهم إلا الشريد وكثر المفقودون بالبصرة وعلا العويل من نسائهم وهذا يوم الشذا الذي ذكره الناس وأعظموا ما كان فيه من القتل وكان فيمن قتل من بني هاشم جماعة من ولد جعفر بن سليمان وأربعون رجلا من الرماة ." (١)

" قبل قائد الزنج سليمان بن جامع وقد كان سليمان قبل أن يصرف ابن أتامش عن الباذاورد قد نال من عسكره فلما صرف ابن أتامش وجعل موضعه جعلان وجه سليمان من قبله رجلا من البحرانيين يقال له ثعلب بن حفص فأوقع به وأخذ منه خيلا ورجلا ووجه قائد الزنج من قبله رجلا من أهل جبى يقال له أحمد بن مهدي في سميريات فيها رماة من أصحابه فأنفذه إلى نهر المرأة فجعل الجبائي يوقع بالقرى التي بنواحي المذار فيما ذكر فيعيث فيها ويعود إلى نهر المرأة فيقيم به

فكتب هذا الجبائي إلى قائد الزنج يخبر بأن البطيحة خالية من رجال السلطان لانصراف مسرور وعساكره عند ورود يعقوب بن الليث واسطا فأمر قائد الزنج سليمان بن جامع وجماعة من قواده بالمصير إلى الحوانيت وأمر رجلا من الباهليين يقال له عمير بن عمار كان عالما بطرق البطيحة ومسالكها أن يسير مع الجبائي حتى يستقر بالحوانيت

فذكر محمد بن الحسن أن محمد بن عثمان العباداني قال لما عزم صاحب الزنج على توجيه الجيوش إلى ناحية البطيحة ودستميسان أمر سليمان بن جامع أن يعسكر **بالمطوعة** وسليمان بن موسى أن يعسكر على فوهة النهر المعروف باليهودي ففعلا ذلك وأقاما إلى أن أتاهما إذنه فنهضا فكان مسير سليمان بن موسى إلى القرية المعروفة بالقادسية ومسير سليمان بن جامع الى الحوانيت والجبائى في السميرات امام جيش سليمان بن جامع ووافى أبا التركي دجلة في ثلاثين شذاة فانحدر يريد عسكر قائد الزنج فمر بالقرية التي كانت داخلة في سلم الخبيث فنال منها وأحرق فكتب الخبيث إلى سليمان بن موسى في منعه الرجوع وأخذ عليه سليمان الطريق فأقام شهرا يقاتل حتى تخلص فصار إلى البطيحة

وذكر محمد بن عثمان أن جباشا الخادم زعم أن ابا التركي لم يكن صار إلى دجلة في هذا الوقت وأن المقيم كان هناك نصير المعروف بأبي حمزة

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٤٥٦/٥

وذكر أن سليمان بن جامع لما فصل متوجها إلى الحوانيت انتهى إلى موضع يعرف بنهر العتيق وقد كان الجبائي سار في طريق الماديان فتلقاه رميس فواقعه الجبائي فهزمه وأخذ منه أربعا وعشرين سميرية ونيفا وثلاثين صلغة وأفلت رميس فاعتصم بأجمة لجأ إليها فأتاه قوم من الجوخانيين فأخرجوه منها فنجا ووافق المنهزمين من أصحاب رميس خروج سليمان من النهر العتيق فتلقاهم فأوقع بهم ونال منهم نيلا ومضى رميس حتى لحق بالموضع المعروف ببر مساور وانحاز إلى سليمان جماعة من مذكوري البلاليين وأنجادهم في خمسين ومائة سميرية فاستخبرهم عما أمامه فقالوا ليس بينك وبين واسط أحد من عمال السلطان وولاته فاغتر سليمان بذلك وركن إليه فسار حتى انتهى إلى الموضع الذي يعرف بالجازرة فتلقاه رجل يقال له أبو معاذ القرشي فواقعه فانهزم سليمان عنه وقتل أبو معاذ جماعة من أصحابه وأسر قائدا من قواد الزنج يقال له رياح القندري فانصرف سليمان إلى الموضع الذي كان معسكرا به فأتاه رجلان من البلالية فقالا له ليس بواسط أحد يدفع عنها غير أبي معاذ في الشذوات الخمس التي لقيك بها فاستعد سليمان وجمع أصحابه وكتب إلى الخبيث كتابا مع البلالية الذين كانوا استأمنوا إليه وأنقذهم إلا جميعة يسيرة في عشر سميريات انتخبهم للمقام معه واحتبس الاثنين معه اللذين أخبراه عن واسط بما أخبراه به وصار قاصدا لنهر أبان فاعترض له أبو معاذ في طريقه وشبت الحرب بينهما وعصفت الريح فاضطربت ." (١)

" بالرجوع إلى معسكرهم بنهر المبارك

واستأمن إلى أبي أحمد في هذا اليوم عند منصرفه خلق كثير من الزنج وغيرهم فقبلهم وحملهم في الشذا والسميريات وأمر أن يخلع عليهم ويوصلوا ويحبوا وتكتب أسماؤهم في المضمومين إلى أبي العباس

وسار أبو أحمد فوافى عسكره بعد العشاء الأخيرة فأقام به يوم الجمعة والسبت والأحد ثم عزم على نقل عسكره إلى حيث يقرب منه عليه القصد لحرب الخبيث فركب الشذا في يوم الاثنين لست ليال بقين من رجب سنة سبع وستين ومائتين ومعه أبو العباس والقواد من مواليه وغلمانه فيهم زيرك ونصير حتى وافى النهر المعروف بنهر جطى في شرقي دجلة وهو حيال النهر المعروف باليهودي فوقف عليه وقدر فيه ما أراد وانصرف وخلف به أبا العباس وزيرك ونصيرا وعاد إلى معسكره فأمر فنودي في الناس بالرحيل إلى الموضع الذي اختار من نهر جطى وتقدم في قود الدواب بعد أن أصلحت لها الطرق وعقدت القناطر على الأنهار وغدا في يوم الثلاثاء لخمس بقين من رجب في جميع عساكره حتى نزل نهر جطى فأقام به إلى يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وستين ومائتين ولم يحارب في شيء من هذه الأيام وركب في

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٥٠٧

هذا اليوم في الخيل والرجالة ومعه جميع الفرسان وجعل الرجالة والمطوعة في السفن والسميريات على كل رجل منهم لامته وزيه وسار حتى وافى الفرات ووازى عسكر الفاسق وأبو أحمد من أصحابه وأتباعه في زهاء خمسين ألف رجل أو يزيدون والفاسق يومئذ في زهاء ثلاثمائة ألف إنسان كلهم يقاتل أو يدافع فمن ضارب بسيف وطاعن برمح ورام بقوس وقاذف بمقلاع ورام بعرادة أو منجنيق وأضعفهم أمر الرماة بالحجارة عن أيديهم وهم النظارة المكثرون السواد والمعتنون بالنعير والصياح والنساء يشركنهم في ذلك

فأقام أبو أحمد في هذا اليوم بإزاء عسكر الفاسق إلى أن أضحى وأمر فنودي أن الأمان مبسوط للناس أسودهم وأحمرهم إلا الخبيث وأمر بسهام فعلقت فيها رقاع مكتوب فيها من الأمان مثل الذي نودي به ووعد الناس فيها الإحسان ورمى بها إلى عسكر الخبيث فمالت إليه قلوب أصحاب المارق بالرهبة والطمع فيما وعدهم من إحسانه وعفوه فأتاه في ذلك اليوم جمع كثير يحملهم الشذا إليه فوصلهم وحباهم ثم انصرف إلى معسكره بنهر جطى ولم يكن في هذا اليوم حرب

وقدم عليه قائدان من مواليه أحدهما بكتمر والآخر جعفر بن بغلاغز في جمع من أصحابهما فكان ورودهما زائدا في قوة من مع أبي أحمد

ورحل أبو أحمد عن نهر جطى إلى معسكر قد كان تقدم في إصلاحه وعقد القناطر على أنهاره وقطع النهر ليوسعه بفرات البصرة بإزاء مدينة الفاسق فكان نزوله هذا المعسكر في يوم الأحد للنصف من شعبان سنة سبع وستين ومائتين وأوطن هذا المعسكر وأقام به ورتب قواده ورؤساء أصحابه مراتبهم فيه فجعل نصيرا صاحب الشذا والسميريات في جيشه في أول العسكر وآخره بالموضع الموازي النهر المعروف بجوى كور وجعل زيرك التركي صاحب مقدمة أبي العباس في أصحابه موازيا ما بين نهر أبي الخصيب وهو النهر الموسوم بنهر الأتراك والنهر المعروف بالمغيرة ثم تلاه علي بن جهشيار حاجبه في جيشه

وكانت مضارب أبي أحمد وابنيه حيال الموضع المعروف بدير جابيل وأنزل راشدا مولاه في مواليه وغلمانه ." (١)

" وحرض الخبيث أشياعه واستنجدهم فبانت منهم جماعة وشدوا على السفن المتخلفة فنالوا منها نيلا وقتلوا فيها نفرا وقد كان بهبوذ بإزاء مسرور البلخي وأصحابه في هذا اليوم في نهر الغربي فأوقع بهم وقتل جماعة منهم وأسر أسارى وصارت في يده من دوابهم فكسر ذلك نشاط أصحاب الموفق وقد كان

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٥٤٣

الخبيث أخرج في هذا اليوم جميع شذواته إلى دجلة محاربين فيها رشيقا وضرب منها رشيق على عدة شذوات وغرق منها وحرق وانهزم الباقون إلى نهر أبي الخصيب

وذكر أنه نزل في هذا اليوم بالفاسق وأصحابه ما دعاهم إلى التفرق والهرب على وجوههم نحو نهر الأمير والقندل وإبرسان وعبادان وسائر القرى وهرب يومئذ أخوا سليمان بن موسى الشعراني محمد وعيسى فمضيا يؤمان البادية حتى انتهى إليهما رجوع أصحاب الموفق فرجعا وهرب جماعة من العرب الذين كانوا في عسكر الفاسق وصاروا إلى البصرة وبعثوا يطلبون الأمان من أبي أحمد فآمنهم ووجه إليهم السفن فحملهم إلى الموفقية وأمر أن يخلع عليهم ويوصلوا ويجري عليهم الأرزاق والأنزال ففعل ذلك بهم

وكان فيمن رغب في الأمان من جلة قواد الفاجر ريحان بن صالح المغربي وكانت له رياسة وقيادة وكان يتولى حجبة ابن الخبيث المعروف بأنكلاي فكتب ريحان يطلب الأمان لنفسه ولجماعة من أصحابه فأجيب إلى ذلك وأنفذ إليه عدد كثير من الشذا والسميريات والمعابر مع زيرك القائد صاحب مقدمة أبي العباس فسلك النهر المعروف باليهودي حتى وافى الموضع المعروف بالمطوعة فألفى به ريحان ومن معه من أصحابه وقد كان الموعد تقدم في موافاة ذلك الموضع زيرك ريحان ومن معه فوافى بهم دار الموفق فأمر لريحان بخلع وحمل على عدة من أفراس بآلتها وأجيز بجائزة سنية وخلع على أصحابه وأجيزوا على أقدارهم وضم إلى أبي العباس وأمر بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم إلى إزاء دار الخبيث فوقفوا هنالك في الشذا فعرفوا خروج ريحان وأصحابه في الأمان وما صاروا إليه من الأحسان فاستأمن في ساعتهم تلك من أصحاب الريحان الذين كانوا تخلفو ، وغيرهم جماعة فألحقوا في البر والإحسان بأصحابهم وكان خروج ريحان بعد الوقعة التي كانت يوم الأربعاء في يوم الأحد لليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وستين ومائتين

وفي هذه السنة أقبل أحمد بن عبد الله الخجستاني يريد العراق بزعمه حتى صار إلى سمنان وتحصن منه أهل الري وحصنوا مدينتهم ثم انصرف من سمان راجعا إلى خراسان

وفيها انصرف خلق كثير من طريق مكة في البدأة لشدة الحر ومضى خلق كثير فمات ممن مضى خلق كثير من شدة الحر وكثير منهم من العطش وذلك كله في البدأة وأوقعت فزارة فيها بالتجار فأخذوا فيما ذكر منهم سبعمائة حمل بز

وفيها اجتمع بالموسم عامل لأحمد بن طولون في خيله وعامل لعمرو بن الليث في خيله فنازع كل واحد منهما صاحبه في ركز علمه على يمين المنبر في مسجد إبراهيم خليل الرحمن وادعى كل واحد منهما أن الولاية لصاحبه وسلا السيوف فخرج معظم الناس من المسجد وأعان موالي هارون بن محمد من الزنج

صاحب عمرو بن الليث فوقف حيث أراد وقصر هارون وكان عامل مكة الخطبة وسلم الناس وكان المعروف بأبي المغيرة المخزومي حينئذ يحرس في جميعة

وفيها نفي الطباع عن سامرا ." (١)

" الخبر بما كان من بهبوذ إلى الموفق فأمر أبا العباس بمعارضته في الشذا من النهر المعروف باليهودي ورجا أن يسبقه إلى المعترض فيقطعه عن الطريق المؤدي إلى مأمنه

فوافى أبو العباس الموضع المعروف **بالمطوعة** وقد سبق بهبوذ فولج النهر المعروف بالسعيدي وهو نهر يؤدي إلى نهر أبي الخصيب وبصر أبو العباس بشذوات بهبوذ وطمع في إدراكها فجد في طلبها فأدركها ونشبت الحرب فقتل أبو العباس من أصحاب بهبوذ جمعا وأسر جمعا واستأمن إليه فريق منهم وتلقى بهبوذ من أشياعه خلق كثير فعاونوه ودافعوا عنه دفعا شديدا وقد كان الماء جزر فجرت شذواته في الطين في المواضع التي نضب الماء عنها من تلك الأنهار والمعترضات فأفلت بهبوذ والباقون من أصحابه بجريعة الذقن

وأقام الموفق على حصار الخبيث ومن معه وسد المسالك التي كانت المير تأتيهم منها وكثر المستأمنون منهم فأمر الموفق لهم بالخلع والجوائز وحملوا على الخيل الجياد بسروجها ولجمها وآلتها وأجريت لهم الأرزاق وانتهى الخبر إلى الموفق بعد ذلك أن الضر والبؤس قد أحوج جماعة من أصحاب الخبيث إلى التفرق في القرى لطلب القوت من السمك والتمر فأمر ابنه أبا العباس بالمصير إلى تلك القرى والنواحي والإسراع إليها في الشذا والسميريات وما خف من الزواريق وأن يستصحب جلد أصحابه وشجعانهم وأبطالهم ليحول بين هؤلاء الرجال والرجوع إلى مدينة صاحب الزنج فتوجه أبو العباس لذلك وعلم الخبيث بمسير أبي العباس له فأمر بهبوذ أن يسير في أصحابه في المعترضات والأنهار الغامضة ليخفي خبره إلى أن يوافي القندل وأبراسان ونواحيها فنهض بهبوذ لما أمره به الخبيث من ذلك فاعترضت له في طريقه سميرية من سميريات أبي العباس فيها غلمان من غلمانه الناشبة في جماعة الزنج فقصد بهبوذ لهذه السميرية طامعا فيها فحاربه أهلها فأصابته طعنة في بطنه من يد غلام من مقاتلة السميرية أسود فهوى إلى الماء فابتدره أصحابه فحملوه وولوا منهزمين إلى عسكر الخبيث فلم يصلوا به إليه حتى أراح الله منه فعظمت الفجيعة به على الفاسق وأوليائه واشتد عليه جزعهم وكان قتله الخبيث من أعظم الفتوح وخفي هلاكه على

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٥٥١

أبي أحمد حتى استأمن رجل من الملاحين فأنهى إليه الخبر فسر بذلك وأمر بإحضار الغلام الذي ولي قتله فأحضر فوصله وكساه وطوقه وزاد في أرزاقه وأمر لجميع من كان في تلك السميرية بجوائز وخلع وصلات

وفي هذه السنة كان أول شهر رمضان منها يوم الأحد وكان الأحد الثاني من السعانين وفي الأحد الثالث الفصح وفي الأحد الرابع النيروز وفي الأحد الخامس انسلاخ الشهر

وفيها ظفر أبو أحمد بالذوائبي وكان ممايلا لصاحب الزنج

وفيها كانت وقعة بين يدكوتكين بن إساتكين وأحمد بن عبد العزيز فهزمه يدكوتكين وغلبه على قم

وفيها وجه عمرو بن الليث قائدا بأمر أبي أحمد إلى محمد بن عبيد الله بن أزارمرد الكردي فأسره القائد وحمله إليه

وفي ذي القعدة منها خرج رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي بالشام يقال له بكار بين سلمية ." (١)

" ثم دخلت سنة سبعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

ففي المحرم منها كانت وقعة بين أبي أحمد وصاحب الزنج أضعفت أركان صاحب الزنج

وفي صفر منها قتل الفاجر وأسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني واستريح من أسباب الفاسق

ذكر الخبر عن هاتين الوقعتين

قد ذكرنا قبل أمر السكر الذي كان الخبيث أحدثه وما كان من أمر أبي أحمد وأصحابه في ذلك ذكر أن أبا أحمد لم يزل ملحا على الحرب على ذلك السكر حتى تهيأ له فيه ما أحب وسهل المدخل للشذا في نهر أبي الخصيب في المد والجزر وسهل لأبي أحمد في موضعه الذي كان مقيما فيه كل ما أراده من رخص الأسعار وتتابع المير وحمل الأموال إليه من البلدان ورغبة الناس في جهاد الخبيث ومن معه من أشياعه فكان ممن صار إليه من **المطوعة** أحمد بن دينار عامل إيذج ونواحيها من كور الأهواز في جمع كثير من الفرسان والرجالة فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قتل الخبيث ثم قدم بعده من أهل البحرين فيما ذكر خلق كثير زهاء ألفي رجل يقودهم رجل من عبد القيس فجلس لهم أبو أحمد ودخل إليه رئيسهم ووجوههم فأمر أن يخلع عليهم واعترض رجالهم أجمعين وأمر بإقامة الأنزال لهم وورد بعدهم

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٥٥٨

زهاء ألف رجل من كور فارس يرأسهم شيخ من المطوعة يكنى أبا سلمة فجلس لهم الموفق فوصل إليه هذا الشيخ ووجوه أصحابه فأمر لهم بالخلع وأقر لهم الإنزال ثم تتابعت المطوعة من البلدان فلما تيسر له ما أراد من السكر الذي ذكرنا عزم على لقاء الخبيث فأمر بإعداد السفن والمعابر وإصلاح آلة الحرب في الماء وعلى الظهر واختار من يثق ببأسه ونجدته في الحرب فارسا وراجلا لضيق المواضع التي كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والأنهار بها فكان عدة من تخير من الفرسان زهاء ألفي فارس ومن الرجالة خمسين ألفا أو يزيدون سوى من عبر من المطوعة وأهل العسكر ممن لا ديوان له وخلف بالموفقية من لم يتسع السفن بحمله جما كثيرا أكثرهم من الفرسان

وتقدم الموفق إلى أبي العباس في القصد للموضع الذي كان صار إليه في يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين من الجانب الشرقي بإزاء دار المهلبي في أصحابه وغلمانه ومن ضمهم إليه من الخيل والرجالة والشذا وأمر صاعد بن مخلد بالخروج على النهر المعروف بأبي شاكر في الجانب الشرقي أيضا ونظم القواد من مواليه وغلمانه من فوهة نهر أبي الخصيب إلى نهر الغربي وكان فيمن خرج من حد دار الكرنبائي إلى نهر أبي شاكر راشد ولؤلؤ موليا الموفق في جمع من الفرسان والرجالة زهاء عشرين ألفا يتلو ." (١)

" لذلك من أرباب الضياع والإقطاعات أربعة آلاف دينار وكسر فيما ذكر وأنفق عليه وولي ذلك كاتب زيرك وخادم من خدم المعتضد

وفي شعبان منها كان الفداء بين المسلمين والروم على يدي أحمد بن طغان وذكر ان الكتاب الوارد بذلك من طرسوس كان فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلمك أن أحمد بن طغان نادى في الناس يحضرون الفداء يوم الخميس لأربع خلون من شعبان سنة ثلاث وثمانين ومائتين وأنه قد خرج إلى لامس وهو معسكر المسلمين يوم الجمعة لخمس خلون من شعبان وأمر الناس بالخروج معه في هذا اليوم فصلى الجمعة وركب من مسجد الجامع ومعه راغب ومواليه وخرج معه وجوه البلد والموالي والقواد والمطوعة بأحسن زي فلم يزل الناس خارجين إلى لامس إلى يوم الاثنين لثمان خلون من شعبان فجرى الفداء بين الفريقين اثني عشر يوما وكانت جملة من فودي به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس وأطلق المسلمون يوم الثلاثاء لسبع

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٥٨٢

بقين من شعبان سميون رسول ملك الروم وأطلق الروم فيه يحيى بن عبد الباقي رسول المسلمين المتوجه في الفداء وانصرف الأمير ومن معه

وخرج فيما ذكر أحمد بن طغان بعد انصرافه من هذا الفداء في هذا الشهر في البحر وخلف دميانة على عمله على طرسوس ثم وجه بعده يوسف بن الباغمردي على طرسوس ولم يرجع هو إليها

وفي يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان من هذه السنة قرىء كتاب على المنبر بمدينة السلام في مسجد جامعها بأن عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف صار إلى بدر وعبيد الله بن سليمان في الأمان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سامعا مطيعا منقادا لأمير المؤمنين مذعنا بالطاعة والمصير معهما إلى بابه وأن عبيد الله بن سليمان خرج إليه فتلقاه وصار به إلى مضرب بدر فأخذ عليه وعلى أهل بيته وأصحابه البيعة لأمير المؤمنين وخلع عليه بدر وعلى الرؤساء من أهل بيته وانصرفوا إلى مضرب قد أعد لهم وكان قبل ذلك قد دخل بكر بن عبد العزيز في الامان على بدر وعبيد الله بن سليمان فولياه عمل أخيه عمر على أن يخرج إليه ويحاربه فلما دخل عمر في الأمان قالا لبكر إن أخاك قد دخل في طاعة السلطان وإنما كنا وليناك عمله على أنه عاص والآن فأمير المؤمنين أعلى عينا فيما يرى من أمركما فامضيا إلى بابه

وولي عيسى النوشري أصبهان وأظهر أنه من قبل عمر بن عبد العزيز فهرب بكر بن عبد العزيز في أصحابه فكتب بذلك إلى المعتضد فكتب إلى بدر يأمره بالمقام بموضعه إلى أن يعرف خبر بكر وما إليه يصير أمره فأقام وخرج الوزير عبيد الله بن سليمان إلى أبي محمد علي بن المعتضد بالري ولحق بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف بالأهواز فوجه المعتضد في طلبه وصيفا موشكير فخرج من بغداد في طلبه حتى بلغ حدود فارس وقد كان لحقه فيما ذكر ولم يواقعه وباتا كل واحد منهما قريب من صاحبه فارتحل بكر بالليل فلم يتبعه وصيف ومضى بكر إلى أصبهان ورجع وصيف إلى بغداد فكتب المعتضد إلى بدر يأمره بطلب بكر وعربه فتقدم بدر إلى عيسى النوشري بذلك فقال بكر بن عبد العزيز ... عني ملامك ليس حين ملام ... هيهات أحدث زائدا للوام ." (١)

" على غير حرب ففتك به أبو سعيد فقتله ومضى أبو سعيد نحو شهرزور فاجتمع هو وابن أبي الربيع الكردي وصاهره واجتمعا على عصيان السلطان ثم إن أبا سعيد قتل بعد ذلك وتفرق من كان اجتمع إليه

ولعشر خلون من جمادى الآخرة شخص أبو العشائر إلى عمله بطرسوس وخرج معه جماعة من **المطوعة** للغزو ومعه هدايا من المكتفي إلى ملك الروم

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٦١٥

ولعشر بقين من جمادى الآخرة خرج المكتفي بعد العصر عامدا سامرا مريدا البناء بها للانتقال إليها فدخلها يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الآخرة ثم انصرف إلى مضارب قد ضربت له بالجوسق فدعا القاسم بن عبيد الله والقوام بالبناء فقدروا له البناء وما يحتاج إليه من المال للنفقة عليه فكثروا عليه في ذلك وطولوا مدة الفراغ مما أراد بناءه وجعل القاسم يصرفه عن رأيه في ذلك ويعظم أمر النفقة في ذلك وقدر مبلغ المال فثناه عن عزمه ودعا بالغداء فتغدى ثم نام فلما هب من نومه ركب إلى الشط وقعد في الطيار وأمر القاسم بن عبيد الله بالانحدار ورجع أكثر الناس من الطريق قبل أن يصلوا إلى سامرا حين تلقاهم الناس راجعين

ولسبع خلون من رجب خلع على ابني القاسم بن عبيد الله فولي الأكبر منهما ضياع الولد والحرم والنفقات والأصغر منهما كتبة أبي أحمد بن المكتفي وكانت هذه الأعمال إلى الحسين بن عمرو النصراني فعزل بهما وكان القاسم بن عبيد الله اتهم الحسين بن عمرو أنه قد سعى به إلى المكتفي

ثم إن الحسين بن عمرو كاشف القاسم بن عبيد الله بحضرة المكتفي فلم يزل القاسم يدبر عليه ويغلظ قلب المكتفي عليه حتى وصل إلى ما أراد من أمره

وفي يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شعبان قرئ كتابان في الجامعين بمدينة السلام بقتل يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ قتله المصريون على باب دمشق وقد كانت الحرب اتصلت بينه وبين من حاربه من أهل دمشق وجندها ومددهم من أهل مصر وكسر لهم جيوشا وقتل منهم خلقا كثيرا وكان يحيى بن زكرويه هذا يركب جملا برحاله ويلبس ثيابا واسعة ويعتم عمة أعرابية ويتلثم ولم يركب دابة من لدن ظهر إلى أن قتل وأمر أصحابه ألا يحاربوا أحدا وإن أتى عليهم حتى يبتعث الجمل من قبل نفسه وقال لهم إذا فعلتم ذلك لم تهزموا

وذكر أنه كان إذا أشار بيده إلى ناحية من النواحي التي فيها محاربوه انهزم أهل تلك الناحية فاستغوى بذلك الأعراب ولما كان في اليوم الذي قتل فيه يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ وانحازوا إلى أخيه الحسين بن زكرويه فطلب أخاه الشيخ في القتلى فوجده فواراه وعقد الحسين بن زكرويه لنفسه وتسمى بأحمد بن عبد الله وتكنى بأبي العباس

وعلم أصحاب بدر بعد ذلك بقتل الشيخ فطلبوه في القتلى فلم يجدوه ودعا الحسين بن زكرويه إلى مثل ما دعا إليه أخوه فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم من سائر الناس واشتدت شوكته وظهر وصار إلى دمشق فذكر أن أهلها صالحوه على خراج دفعوه إليه ثم انصرف عنهم ثم سار إلى أطراف حمص فتغلب

عليها وخطب له على منابرها وتسمى بالمهدي ثم سار إلى مدينة حمص فأطاعه أهلها وفتحوا له بابها ." (١)

" الجسر الأعلى ببغداد وحفرت لأجساد القتلى في يوم الأربعاء آبار إلى جانب الدكة وطرحت فيها وطمت ثم أمر بعد أيام بهدم الدكة ففعل

ولأربع عشرة خلت من شهر ربيع الآخر وافى بغداد القاسم بن سيما منصرفا عن عمله بطريق الفرات ومعه رجل من بني العليص من أصحاب القرمطي صاحب الشامة دخل إليه بأمان وكان أحد دعاة القرمطي يكنى ابا محمد وكان سبب دخوله في الأمان أن السلطان راسله ووعده الإحسان إن هو دخل في الأمان وذلك أنه لم يكن بقي من رؤساء القرامطة بنواحي الشام غيره وكان من موالي بني العليص فروقت الوقعة إلى بعض النواحي الغامضة فأفلت ثم رغب في الدخول في الأمان والطاعة خوفا على نفسه فوافى هو ومن معه مدينة السلام وهم نيف وستون رجلا فأومنوا وأحسن إليهم ووصلوا بمال حمل إليهم وأخرج هو ومن معه إلى رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيما وأجريت لهم الأرزاق فلما وصل القاسم بن سيما إلى عمله وهم معه أقاموا معه مدة ثم أجمعوا على الغدر بالقاسم بن سيما وأتمروا به ووقف على ذلك من عزمهم فبادرهم ووضع السيف فيهم فأبارهم وأسر جماعة منهم فارتدع من بقي من بني العليص ومواليهم وذلوا ولزموا أرض السماوة وناحيتها مدة حتى راسلهم الخبيث زكرويه وأعلمهم أن مما أوحي إليه أن المعروف بالشيخ وأخاه يقتلان وأن إمامه الذي يوحي إليه يظهر بعدهما يظفر

وفي يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى زوج المكتفي ابنه محمدا ويكنى أبا أحمد بابنة أبي الحسين القاسم بن عبيد الله على صداق مائة ألف دينار

وفي آخر جمادى الأولى من هذه السنة ورد فيما ذكر كتاب من ناحية جبى يذكر فيه أن جبى وما يليها جاءها سيل في واد من الجبل فغرق نحوا من ثلاثين فرسخا غرق في ذلك خلق كثير وغرقت المواشي والغلات وخرجت المنازل والقرى وأخرج من الغرقى ألف ومائتا نفس سوى من لم يلحق منهم

وفي يوم الأحد غرة رجب خلع المكتفي على محمد بن سليمان كاتب الجيش وعلى جماعة من وجوه القواد منهم محمد بن إسحاق بن كنداجيق وخليفة بن المبارك المعروف بأبي الأغر وابنا كيغلغ وبندقة بن كمشجور وغيرهم من القواد وأمرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن سليمان وخرج محمد بن سليمان والخلع عليه حتى نزل مضربه بباب الشماسية وعسكر هنالك وعسكر معه جماعة القواد الذين أخرجوا وبرزوا وكان

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٦٤٥

خروجهم ذلك قاصدين لدمشق ومصر لقبض الأعمال من هارون بن خمارويه لما تبين للسلطان من ضعفه وضعف من معه وذهاب رجاله بقتل من قتل منهم القرمطي ثم رحل لست خلون من رجب محمد بن سليمان من باب الشماسية ومن ضم إليه من الرجال وهم زهاء عشرة آلاف رجل وأمر بالجد في المسير

ولثلاث بقين من رجب قرئ في الجامعين بمدينة السلام كتاب ورد من إسماعيل بن أحمد من خراسان يذكر فيه أن الترك قصدوا المسلمين في جيش عظيم وخلق كثير وأنه كان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية ولا يكون ذلك إلا للرؤساء منهم فوجه إليه برجل من قواده في جيش ضمه إليه ونودي في الناس بالنفير فخرج من **المطوعة** ناس كثير ومضى صاحب العسكر نحو الترك بمن معه فوافاهم المسلمون وهم غارون فكبسوهم مع الصبح فقتل منهم خلق كثير وانهزم الباقون واستبيح عسكرهم وانصرف المسلمون إلى موضعهم سالمين غانمين ." (١)

"الصائفة بعدها من درب الصفصاق فدوخوا أرض الروم وجمع نغفور ولقيهم فكانت عليه هزيمة صنعاء قتل فيها أربعون ألفا ونجا نغفور جريحا وفي سنة تسعين ومائة دخل الرشيد بالصائفة إلى بلاد الروم في مائة وخمسة وثلاثين ألفا سوى **المطوعة** وبث

السرايا في الجهات وأناخ على هرقلة ففتحها وبلغ سبيها ستة عشر ألفا وبعث نغفور بالجزية فقبل وشرط عليهم أن لا يعمر هرقلة وهلك نغفور في خلافة الامين وولى ابنه استبران قيصر وغزا المأمون سنة خمس عشرة ومائتين إلى بلاد الروم ففتح حصونا عدة ورجع إلى دمشق ثم بلغه أن ملك الروم غزا طرسوس والمصيصة وقتل منها نحوا من ألف وستمائة رجل فرجع وأناخ على انطواغوا حتى فتحها صلحا وبعث المعتصم ففتح ثلاثين من حصون الروم وبعث يحيى بن أكثم بالعساكر فدوخ أرضهم ورجع المأمون إلى دمشق ثم دخل بلاد الروم وأناخ على مدينة لؤلوة مائة يوم وجهز إليها العساكر مع عجيف مولاه ورجع ملك الروم فنازل عجيفا فأمده المأمون بالعسكر فرحل عنه ملك الروم وافتتح لولوة صلحا ثم سار المأمون إلى بلاد الروم ففتح سلعوس والبروة وبعث ابنه العباس بالعساكر فدوخ أرضهم وبنى مدينة الطولية ميلا في ميل وجعل لها أربعة أبواب ثم دخل غازيا بلاد الروم ومات في غزاته سنة ثمان عشرة ومائتين وفي أيامه غلب قسطنطين على مملكة الروم وطرد ابن نغفور عنها وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين فتح المعتصم عمورية وقصتها معروفة في أخباره اه كلام ابن العميد وأغفلنا من كلامه أخبار البطاركة من لدن فتح الاسكندرية بمدينة لانا رأيناه مستغنى عنه وقد صارت بطركيتهم الكبرى التى كانت بالاسكندرية بمدينة

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٦٥٥

رومة وهى هنا لك للملكية ويسمونه البابا ومعناه أبو الآباء وبقى ببلاد مصر بطرك اليعاقبة على المعاهدين من النصارى بتلك الجهات وعلى ملوك النوبة والحبشة (وأما المسعودي فذكر ترتيب هؤلاء القياصرة من بعد الهجرة والفتح كما ذكره ابن العميد (قال والمشهور بين الناس أن الهجرة وأيام الشيخين كان ملك الروم فيها لهرقل قال وفي كتب أهل السير أن الهجرة كانت على عهد قيصر بن مورق ثم كان بعده ابنه قيصر بن قيصر أيام أبى بكر ثم هرقل بن قيصر أيام عمر وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشأم أيام أبى عبيدة وخالد بن الوليد ويزيد بن أبى سفيان فاستقر بالقسطنطينية وبعده مورق بن هرقل أيام عثمان وبعده مورق بن مورق

أيام على ومعاوية وبعده قلفط بن مورق آخر أيام معاوية وأيام يزيد ومروان بن الحكم كان معاوية يراسله ويراسل أباه مورق وكانت تختلف إليه علامة نياق وبشره مورق بالملك وأخبره أن عثمان يقتل وان الامر يرجع إلى معاوية وهادى ابنه قلفط حين سار إلى حرب على رضى الله عنه ثم نزلت جيوش معاوية مع ابنه اليزيد قسطنطينية وهلك." (١)

"في قلة لهزمهم وفتح مدينتهم وغزا في هذه السنة الوليد بن هشام فأثخن في بلاد الروم وغزا داود بن سليمان سنة ثمان وتسعين ففتح حصن المراة مما يلى ملطية وفى سنة تسع وتسعين بعث عمر بن عبد العزيز مسلمة وهو بأرض الروم وأمده بالنفول بالمسلمين وبعث إليه بالخيل والدواب وحث الناس على معونتهم ثم أمر عمر بن عبد العزيز أهل طريدة بالجلاء عنها إلى ملطية وخربها وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين وفرض على أهل الجزيرة مسلحة تكون عندهم إلى فصل الشتاء وكانت متوغلة في أرض الروم فخربها عمر وولى على ملطية جعونة بن الحرث من بنى عامر بن صعصعة وأغزى عمر سنة مائة من الهجرة بالصائفة الوليد بن هشام المعيطى وعمر بن قيس الكندى * (فتح جرجان وطبرستان) * كان يزيد بن المهلب يريد فتحهما لما أنهما كانتا للكفار وتوسطتا بين فارس وخراسان ولم يصبهما الفتح وكان يقول وهو في جوار سليمان بالشأم إذا قصت عليه أخبار

قتيبة وما يفعله بخراسان وما وراء النهر ما فعلت جرجان التى قطعت الطريق وأفسدت يوسس ونيسابور وليست هذه الفتوح بشئ والشأن في جرجان فلما ولاه سليمان خراسان سار إليها في مائة ألف من أهل العراق والشأم وخراسان سوى الموالى **والمتطوعة** ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هي جبال ومخارم يقوم الرجل على باب منها فيمنعه فابتدأ بقهستان فحاصرها وبها طائفة من الترك فكانوا يخرجون فيقاتلون

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢/٢٢٨

وينهزمون في كل يوم ويدخلون حصنهم ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه دهقان بتستاذن يسأل في الصلح ويسلم المدينة وما فيها فصالحه وأخذ ما فيها من الاموال والكنوز والسبي ما لا يحصى وقتل أربعة عشر ألفا من الترك وكتب إلى سليمان بذلك ثم سار إلى جرجان وكان سعيد بن العاصى قد صالحهم على الجزية مائة ألف في السنة فكانوا أحيانا يجبون مائة وأحيانا مائتين وأحيانا ثلثمائة وربما أعطوا ذلك وربما منعوا ثم كفروا ولم يعطوا خراجا ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا الطريق إلى خراسان على فكان الناس يسلكون على فارس وسلماس ثم فتح قتيبة طريق قومس وبقى أمر جرجان حتى جاء يزيد فصالحوه ولما فتح يزيد قهستان وجرجان طمع في طبرستان فاستعمل عبد الله بن معمر اليشكرى على ساسان وقهستان وخلف معه أربعة آلاف فارس وسار إلى أدنى جرجان من جهة طبرستان ونزل بآمد ونسا راشد بن عمر في أربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان فسأل صاحبها الاصبهند في الصلح وأن يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه أخاه عيينة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه وإذا اجتمعا فعيينة على الناس واستجاش الاصبهند." (١)

"وثمانين ابراهيم بن جبريل ودخل من درب الصفصاف فخرج إليه يقفور ملك الروم وانهزم وقتل من عسكره نحوا من أربعين ألفا وفى هذه السنة رابط القاسم بن الرشيد ابق وفى سنة تسع وثمانين كتب الرشيد وهو بالرى كتب الامان لشروين ابى قارن وندا هرمز جد مازيار مرزبان خستان صاحب الديلم وبعث بالكتب مع حسين الخادم إلى طبرستان فقدم خستان وونداهرمز فأكرمهما الرشيد وأحسن اليهما وضمن وندا هرمز وشروين صاحبي طبرستان وذكرا كيف توجه الهادى لهما وحاصرهما وفى سنة ست وثمانين كان فداء بين المسلمين حتى لم يبق بأرض الروم مسلم الا فودى وفى سنة تسعين سار الرشيد إلى بلاد الروم بسبب ما قدمناه من غدر يقفور في مائة

وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة سوى الاتباع **والمتطوعة** ومن ليس له ذكر في الديوان واستخلف المأمون بالرقة وفوض إليه الامور وكتب إلى الآفاق بذلك فنزل على هرقل فحاصرها ثلاثين يوما وافتتحها وسبى أهلها وغنم ما فيها وبعث داود بن عيسى بن موسى في سبعين أنفا غازيا في أرضهم ففتح الله عليه وخرب ونهب ما شاء وفتح شراحيل بن معن ابن زائدة حصن الصقالبة وديسة وافتتح يزيد بن مخلد حصن الصفصاف وقونية وأناخ عبد الله بن مالك على حصن ذى الكلاع واستعمل الرشيد حميد بن معيوب على الاساطيل ممن بسواحل الشأم ومصر إلى قبرس فهزم وخرق وسبى من أهلها نحوا من سبعة عشر ألفا وجاء

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٧٢/٣

بهم إلى الواقعة فبايعوا بها وبلغ فداء أسقف قبرس ألفى دينار ثم سار الرشيد إلى حلوانة فنزل بها وحاصرها ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وبعث يقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير وعن ابنه دينارين وعن بطارقته كذلك وبعث يقفور في جارية من بنى هرقلة وكان خطبها ابنه فبعث بها إليه ونقض في هذه السنة قبرس فغزاهم معيوب بن يحيى فأثخن فيهم وسباهم ولما رجع الرشيد من غزاته خرجت الروم إلى عيز زربة والكنيسة السوداء وأغاروا ورجعوا فاستنقذ أهل المصيصة ما حملوه من الغنائم وفيها غزا يزيد بن مخلد الهبيرى أرض الروم في عشرة آلاف فأخذت الروم عليه المضايق فانهزم وقتل في خمسين من أصحابه على مرحلتين من طرسوس واستعمل الرشيد على الصائفة هرثمة بن أعين قبل أن يوليه خراسان وضم إليه ثلاثين ألفا من أهل خراسان وأخرجه إلى الصائفة وسار بالعساكر الاسلامية في اثره ورتب بدرب الحرث عبد الله بن مالك و بمرعش سعيد ابن مسلم بن قتيبة وأغارت الروم عليه أصابوا من المسلمين وانصرفوا ولم يتحرك من مكانه وبعث الرشيد محمد بن زيد بن مزيد إلى طرسوس وأقام هو بدرب الحرث وأمر قواده بهدم الكنائس في جميع الثغور وأخذ أهل الذمة بمخالفة زى المسلمين في ملبوسهم." (١)

"انتقض محمد بن أبى خالد على على بن هشام بما كان يستحق به وغضب يوما مع زهير بن المسيب فقنعه بالسوط فسار إلى الحربية ونصب لهم الحرب وانهزم على بن هشام إلى صرصر وقيل ان ابن هشام أقام الحد على عبد الله بن على بن عيسى فغضب الحربية وأخرجوه واتصل ذلك بالحسن بن سهل وهو بالمدائن كما قلناه فانهزم إلى واسط أول سنة احدى ومائتين والفضل بن الربيع وقد ظهر من اختفائه من لدن الامين وجاء عيسى ابن محمد بن أبى خالد من الرقة من عند طاهر فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن وهزموا

كل من تعرض للقائهم من أصحابه وكان زهير بن المسيب عاملا للحسن على جوخى من السواد وكان يكاتب بغداد فركب إليه محمد بن أبى خالد وأخذه أسيرا وانتهب ماله وحبسه ببغداد عند ابنه جعفر ثم تقدم إلى واسط وبعثه ابنه هرون إلى النيل فهزم نائب الحسن بها إلى الكوفة فلحق بواسط ورجع هرون إلى أبيه وتقدم نحو واسط فسار الحسن عنها واقام الفضل بن الربيع مختفيا بها واستأمن لمحمد وبعثه إلى بغداد وسار إلى الحسن على البقية ولقيتهم عساكر الحسن وقواده وانهزم محمد وأصحابه وتبعهم الحسن إلى تمام الصلح ثم لحقوا بجرجابا ووجه محمد ابن ابنه هرون إلى فأقام بها وسار محمد ابن ابنه أبو رتيل وهو جريح إلى بغداد فمات بها ودفن في داره سرا ومحمد أبو رتيل إلى زهير بن المسيب فقتله من ليلته

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢٢٦/٣

وقام خزيمة بن خازم بأمر بغداد وبعث إلى عيسى بن محمد بأن يتولى حرب الحسن مكان أبيه وبلغ الحسن موت محمد فبعث عسكره إلى هرون بالنيل فغلبوا وانتهبوها ولحق هرون بالمدائن ثم اجتمع أهل بغداد وأرادوا منصور بن المهدى على الخلافة فأبى فجعلوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق انحرافا عن الحسن بن سهل وقيل ان الحسن لما ساعد أهل بغداد عيسى بن محمد بن أبى خالد على حربه خام عنه فلاطفه ووعده بالمصاهرة ومائة ألف دينار والامان له ولاهل بيته ولاهل بغداد وولاية النواحى فقبل وطلب خط المأمون بذلك وكتب إلى أهل بغداد انى شغلت بالحرب عن جباية الخراج فولوا رجلا من بنى هاشم فولوا المنصور ابن المهدى وأحصى عيسى أهل عسكره فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا وبعث منصور غسان بن الفرج إلى ناحية الكوفة فغزاه حميد الطوسى من قواد الحسن بن سهل وأخذ أسيرا ونزل النيل فبعث منصور بن محمد يقطين في العساكر إلى حميد فلقيه حميد بكونا فهزمه وقتل من أصحابه ونهب ما حول كونا ورجع إلى النيل وأقام ابن يقطين بصرصر * (أمر المطوعة) *

ولما كثر الهرج ببغداد وامتدت أيدى الدعاوى باذاية الناس في أموالهم وأفشى." (١)

"لزحفه في الجبال والاودية على مصافهم وإذا امسك وقفوا وكان إذا أراد أن يتقدم المضيق الذى أتى منه عام أول خلف به عسكرا على رأس العقبة يحفظونه لئلا يأخذه الحرسة منه عليهم وكان بابك متى زحفوا عليه كمن عسكرا تحت تلك العقبة واجتهد الافشين أن يعرف مكان الكمين فلم يطق وكان يأمر أبا سعيد وجعفرا الخياط وأحمد ابن الخليل بن هشام فيتقدمون إلى الوادي في ثلاثة كراديس ويجلس على تلك ينظر إليهم والى قصر بابك ويقف بابك قبالته في عسكر قليل وقد أكمن بقية العسكر فيشربون الخمر ويلعبون بالسرياني فإذا صلى الافشين الظهر رجع إلى خندقه برود الرود مصافا بعد مصاف الاقرب إلى العدو ثم الذى يليه وآخرين ترجع العسكر الذى عقبه المضيق حتى ضجرت الخرمية من المطاولة وانصرف بعض الايام وتأخر جعفر فخرج

الخرمية من البد على أصحابه فردهم جعفر على أعقابهم وارتفع الصياح ورجع الافشين وقد نشبت الحرب وكان مع أبى دلف من أصحاب جعفر قوم من المطوعة فضيقوا على أصحاب بابك وكانوا يصدعون البد وبعث جعفر إلى الافشين يستمده خمسمائة راجل من الناشبة فأتى له وأمره بالتحيل في الانصراف وتعلق أولئك المطوعة بالبد وارتفع الصياح وخرج الكمناء من تحت العقبة وتبين الافشين أماكنهم واطلع على خدعتهم وانصرف جعفر إلى الافشين وعاتبه فاعتذر إليه يستأمن الكمين وأراه مكانه فانصرف عن عتابه

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢٤٦/٣

وعلم أن الرأى معه وشكا **المطوعة** ضيق العلوفة والزاد فأذن لهم في الانصراف وتناولوه بألسنتهم ثم طلبوه في المناهضة فأذن لهم ووادعهم ليوم معلوم ومجهز وحمل المال والزاد والماء والمحامل لجرجا وتقدم إلى مكانه بالامس وجهز العسكر على العقبة على عادته وأمر جعفرا بالتقدم **بالمطوعة** وأن يأتوا من أسهل الوجوه وأطلق يده بمن يريده من الناشبة والنفاطين وتقدم جعفر إلى مكانه بالامس **والمتطوعة** معه فقاتلوا وتعلقوا بسور لبد حى ضرب جمعهم ما به وجاء الفعلة بالفؤس وطيف عليهم بالمياه والازودة ثم جاء الخرمية من الباب وكسروا على **المطوعة** وطرحوهم على السور ورموهم بالحجارة فنالت منهم وضعفوا عن الحرب ثم تحاجزوا آخر يومهم وأمرهم الافشين بالانصراف وداكلهم البأس من الفتح تلك السنة وانصرف أكثر **المطوعة** ثم عاود الافشين الحرب بعد أسبوعين وبعث من جوف الليل ألفا من الناشبة إلى الجبل الذى وراء البد حتى يعاينوا الافشين من هذه الناحية فيرمون على الخرمية وبعث عسكرا آخر كمينا تحت ذلك الجبل الذى وراء البد وركب هو من الغداة إلى المكان الذى يقف فيه على عادته وتقدم جعفر الخياط والقواد حتى صاروا جميعا حول ذلك الجبل فوثب كمين بابك من أسفل الجبل." (١)

"* (اغارة البجاة على مصر) *كانت الهسدنة بين أهل مصر والبجاة من لدن الفتح وكان في بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس إلى أهل مصر فامتنعوا أيام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين بالمعادن وكتب صاحب البريد بذلك إلى المتوكل فشاور الناس في غزوهم فأخبروه انهم أهل ابل وشاء وان بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر ولابد فيها من الزاد وان فنيت الازواد هلك العسكر فأمسك عنهم وخاف أهل الصغد من شرهم فولى المتوكل محمد ابن عبد الله القمى على أسوان وقفط والاقصر واسنا وأرمنت وأمره بحرب البجاة وكتب إلى عنبسة بن اسحق الضبى عامل مصر بتجهيز العساكر معه وأزاحه عليهم فسار في عشرين ألفا من الجند **والمتطوعة** وحملت المراكب من القلزم بالدقيق والتمر

والادم إلى سواحل بلاد البجاة وانتهى إلى حصونهم وقلاعهم وزحف إليه ملكهم واسمه على بابا في أضعاف عساكرهم على المهارى وطاولهم على بابا رجاء أن تفنى أزوادهم فجاءت المراكب وفرقها القمى في أصحابه فناجزهم البجاة الحرب وكانت ابلهم نفورة فأمر القمى جنده باتخاذ الاجراس بخيلهم ثم حملوا عليهم فانهزموا وأثخن فيهم قتلا وأسرا حتى استأمنوا على أداء الخراج لما سلف ولما يأتي وأن يرد إلى مملكته وسار مع القمى إلى المتوكل واستخلف ابنه فخلع القمى عليه وعلى أصحابه وكسا أرجلهم الجلال المديحة وولاهم طريق ما بين مصر ومكة وولى عليهم سعدا الاتياخى الخادم فولى سعد محمدا القمى فرجع

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣/٢٦٠

معهم واستقامت ناحيتهم * (الصوائف) * وفى سنة ثمان وثلاثين ورد على دمياط اسطول الروم في مائة مركب فكبسوها وكانت المسلحة الذين بها قد ذهبوا إلى مصر باستدعاء صاحب المعونة عنبسة بن اسحق الضبى فانتهزوا الفرصة في مغيبهم وانتهبوا دمياط وأحرقوا الجامع بها وأوقروا سفنهم سبيا ومتاعا وذهبوا إلى تنيس ففعلوا فيها مثل ذلك وأقطعوا وغزا بالصائفة في هذه السنة علی بن يحيى الارمينى صاحب الصوائف وفى سنة احدى وأربعين كان الفداء بين الروم وبين المسلمين وكانت ندورة ملكة الروم قد حملت أسرى المسلمين على التنصر فتنصر الكبير منهم ثم طلبت المفاداة فيمن بقى فبعث المتوكل سيفا الخادم بالفداء ومعه قاضى بغداد جعفر بن عبد الواحد واستخلف على القضاء ابن أبى الشوارب وكان الفداء على نهر اللامس ثم أغارت الروم بعد ذلك على روبة فأسروا من كان هنالك من الزط وسبوا نساءهم وأولادهم ولما رجع على بن يحيى الارمينى من الصائفة." (١)

"خرجت الروم في ناحية سمسياط فانتهوا إلى آمد واكتسحوا نواحى النغور والخزرية نهبا وأسروا نحوا من عشرة آلاف ورجعوا واتبعهم فرشاس وعمر بن عبد الاقطع

وقوم من **المتطوعة** فلم يدركوهم وأمر المتوكل على بن يحيى أن يدخل بالثانية في تلك السنة ففعل وفى سنة أربع وأربعين جاء المتوكل من بغداد إلى دمشق وقد اجتمع نزولها ونقل الكرسي إليها فأقام بها شهرين ثم استوبأها ورجع بعد أن بعث بغا الكبير في العساكر للصائفة فدخل بلاد الروم فدوخها واكتسحها من سائر النواحى ورجع وفى سنة خمس وأربعين أغارت الروم على سميساط فغنموا وغزا على بن يحيى الارمينى بالصائفة كركرة وانتقض أهلها على بطريقهم فقبضوا عليه وسلموه إلى بعض موالى المتوكل فأطلق ملك الروم في فداء البطريق ألف أسير من المسلمين وفى سنة ست وأربعين غزا عمر بن عبيد الله الاقطع بالصائفة فجاؤا بأربعة آلاف رأس وغزا قرشاس فجاء بخمسة آلاف رأس وغزا الفضل بن قاران في الاسطول بعشرين مركبا فافتتح حصن انطاكية وغزا ملكها دورهم وسبا وغزا على بن يحيى فجاء بخمسة آلاف رأس ومن الظهر بعشرة آلاف وكان على يده في تلك السنة الفداء في ألفين وثلثمائة من الاسرى * (الولاية في النواحى) * ولى المتوكل سنة ثنتين على بلاد فارس محمد بن ابراهيم بن مصعب وكان على الموصل غانم بن حميد الطوسى واستوزر لاول خلافته محمد بن عبد الله بن الزيات وولى على ديوان الخراج يحيى بن خاقان الخراساني مولى الازد وعزل الفضل بن مروان وولى على ديوان النفقات ابراهيم بن محمد بن حتول وولى سنة ثلاث وثلاثين على الحرمين واليمن والطائف ابنه المستنصر وعزل محمد بن عيسى وولى على

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢٧٧/٣

حجابة بابه وصيفا الخادم عند ما سار اتياخ للحج وفى سنة خمس وثلاثين عهد لاولاده كما مر وولى على الشرطة ببغداد اسحق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب مكان ابنه ابراهيم عند ما توفى وكانت وفاته ووفاة الحسن بن سهل في سنة واحدة وفى سنة ست وثلاثين استكتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزره بعد ذلك وولى على

ارمينية وأذربيجان حربا وخواجا يوسف بن أبى سعيد محمد بن يوسف المروذوذى عند ما توفى أبوه فجاءه فسار إليها وضبطها وأساء إلى البطارقة بالناحية فوثبوا به كما مر وقتلوه وبعث المتوكل بغا الكبير في العساكر فأخذ ثاره منهم وولى معادن السواد عبد الله بن اسحق بن ابراهيم وفى سنة تسع وثلاثين عزل ابن أبى دواد عن القضاء وصادره وولى مكانه يحيى بن أكثم وقدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان فولاه." (١)

"**المتطوعة** حتى قيل له صالح المطوعى وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث هذا وغلبوا على سجستان ثم أخرجهم عنها طاهر بن عبد الله أمير خراسان وهلك صالح اثر ذلك وقام بأمر **المتطوعة** درهم بن الحسن فكثر اتباعه وكان يعقوب بن الليث شهما وكان درهم مضعفا واحتال صاحب خراسان حتى ظفر به وحبس ببغداد فاجتمعت **المتطوعة** على يعقوب بن الليث وقام بقتال السراة وأتيح له الظفر عليهم وأثخن فيهم وخرب قراهم وكانت له شرية في أصحابه لم تكن لاحد قبله فحسنت طاعتهم له وعظم أمره وملك سجستان مظهر اطاعة الخليفة وكاتبه وقلده حرب السراة فأحسن الغناء فيه وتجاوزه إلى سائر أبواب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم سار من سجستان إلى نواحى خراسان وعليها يومئذ محمد بن عبد الله بن طاهر وعلى هراة من قبله محمد بن أوس

الانباري فجمع لمحاربة يعقوب وسار إليهم في التعبية فاقتتلوا وانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة وبوشنج وعظم أمره وهابه صاحب خراسان وغيرها من الاطراف وكان المعتز قد كتب بولاية سجستان فكتب له الآن بولاية كرمان وكان على فارس على بن الحسين بن وأبطأ عامل الخراج واعتذر فكتب له المعتز بولاية كرمان يريد اعداء كل منهما بصاحبه لان طاعتهما مهوضة فأرسل على بن الحسين بفارس طوق بن الغلس خليفة على كرمان وسار يعقوب الصفار من سجستان فسبقه طوق واستولى عليها وأقام يعقوب بمكانه قريبا منها يترقب خروج طوق إليه وبعد شهرين ارتحل إلى سجستان فوضع طوق أوزار الحرب وأقبل على اللهو واتصل ذلك بيعقوب في طريقه فكر راجعا واغذ السير فصادفه بعد يومين وركب أصحابه وقد أحيط بهم ففروا ناجين بأنفسهم وملك يعقوب كرمان وحبس طوق وبلغ الخبر إلى على بن الحسين وهو على شيراز فجمع

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢٧٨/٣

جيشه ونزل على مضيق شيراز وأقبل عليه يعقوب حتى نزل قبالته والمضيق متوعر بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما فاقتحم يعقوب النهر بينهما وأجاز إلى على بن الحسين وأصحابه فانهزموا وأخذ على أسيرا واستولى على جميع عسكره ودخل شيراز وملكها وجبى الخوارج ورجع إلى سجستان وذلك سنة خمس وخمسين ويقال بل وقع بينهما بعد عبور النهر حرب شديدة انهزم آخرها على وكان عسكره نحوا من خمسة عشر ألفا من الموالى والاكراد ورجعوا منهزمين إلى شيراز آخر يومهم وازدحموا في الابواب وافترقوا في نواحى فارس وانتهوا إلى الاهواز وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف ولما دخل يعقوب وملك فارس امتحن عليا وأخذ منه ألف بردة ومن الفرش والسلاح والآلة ما لا يحد وكتب إلى الخليفة بطاعته وأهدى هدية جليلة يقال منها عشر بازات بيض وباز أبلق صينى ومائة نافجة من المسك وغير ذلك من الطرف ورجع إلى سجستان ثم." (١)

"سلاحهم وخرج جماعة من أهل البصرة لقتاله فبعث إليهم يحيى بن محمد في خمسمائة رجل فهزمهم وأخذ سلاحهم ثم طائفة أخرى كذلك وأخرى وخرج قائدان من البصرة فهزمهما وقتل منهما وكانت معهما سفن ألقتها الريح إلى الشط فغنموا

ما فيها وقتلوا وكثر عيثه وفساده وجاء أبو هلال من قواد الاتراك في أربعة آلاف مقاتل فلقيه على نهر الريان فهزمه الزنج واستلحموا أكثر أصحابه ثم خرج أبو منصور احد موالى الهاشميين في عسكر عظيم من المطوعة والبلالية والسعدية فسرح للقائهم على بن أبان فلقى طائفة منهم فهزمهم ثم أرسل طائفة أخرى إلى مرفا السفن وفيه نحو من ألفى سفينة فهرب عنها أهلها ونهبوها ثم جاءت عساكر أبى منصور وقعد الزنوج لهم بين النخل وعليهم على بن أبان ومحمد بن مسلم فهزموا العسكر وقتلوا منهم وأخذوا سلاحهم ثم سار فنهب القرى حتى امتلات أيديهم بالنهب ثم سار يريد البصرة ولقيته عساكرها فهزمهم الزنج وأثخنوا فيهم ثم سار من الغد نحو البصرة وخرج إليه أهلها واحتشدوا وزحفوا إليه برا وبحرا فلقيهم بالسد وانهزموا هزيمة شنعاء كثر فيها القتل ووهن أهل البصرة وكتبوا إلى الخليفة فبعث إليهم جعلان التركي مددا وولى على الابلة أبا الاخوص الباهلى وأمه بجند من الاتراك وقد بث صاحب الزنج أصحابه يمينا وشمالا للغارة والنهب ولما وصل جعلان إلى البصرة نزل على فرسخ منهم وخندق عليه وأقام ستة أشهر يسرح لحربهم الزينى مع بنى هاشم ومرجف ثم بيته الزنج فقتلوا جماعة من أصحابه وتحول عن مكانه ثم انصرف عن حربهم وظفر صاحب الزنج بعده من المراكب غنم فيها أموالا عظيمة وقتل أهلها وألح بالغارات على الابلة إلى أن دخلها

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣/٢٩٤

عنوة آخر رجب سنة ست وخمسين وقتل عاملها أبا الاخوص عبيد الله بن حميد الطوسى وخلقا من أهلها واستباحها وأحرقها وبلغ ذلك أهل عبادان فاستأمنوا له وملكها واستولى على ما فيها من الاموال و العبيد والسلاح إلى الاهواز وبها ابراهيم ابن المدبر على الخراج فهرب أهلها ودخلها الزنج ونهبوا وأسروا ابن المدبر فخاف أهل البصرة وافترق كثير منهم من البلدان وبعث المعتمد سعيد بن صالح الحاجب لحربهم سنة سبع وخمسين فهزمهم وأخذ ما معهم وأثخن فيهم وكان ابن المدبر أسيرا عندهم في بيت يحيى بن محمد البحراني وقد ضمن لهم مالا كثيرا ووكل به رجلين فداخلهم

حتى حفر سربا من البيت وخرج منه ولحق بأهله * (خلع المهتدى وقتله وبيعة المعتمد) * وفى أول رجب من سنة ست وخمسين شعف الاتراك من الترك والدور بطلب أرزاقهم وبعث المهتدى أخاه أبا القاسم ومعه كفقا وغيره فشكوهم وعادوا وبلغ محمد." (١)

"عليها سنة تسعين ثم انه تشاغل باللهو والصيد وأعرض عن أمور ملكه ومضى في بعض الايام إلى سجستان فوثب على فارس الليث بن على بن الليث وسيكرى مولى عمرو بن الليث فاستوحش منها بعض قوادهما يعرف بأبى قابوس وفارقهما إلى بغداد وأحسن المكتفى إليه ثم كتب إليه طاهر في رد أبى قابوس إليه ويحتسب له ما معه من أموال الجباية فأعرض الخليفة عن ذلك * (الصوائف) * وفى سنة احدى وتسعين خرج الروم إلى الثغور في مائة ألف وقصد جماعة منهم الحدث ثم غزا بالصائفة من طرسوس القائد المعروف غلام زرافة ففتح مدينة انطاكية وفتحها عنوة فقتل خمسة آلاف من مقاتلتهم وأسر مثلها واستنقذ من اسرى المسلمين مثلها وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والمتاع والرقيق فقسمها مع غنائم انطاكية فكان السهم ألف دينار وفى سنة ثنتين وتسعين أغار الروم على مرعش ونواحيها فخرج أهل المصيصة وأهل طرسوس فأصيب منهم جماعة فعزل المكتفى أبا العشائر عن الثغور وولى رستم بن برد وفكان على يديه الفداء وفودي ألف من المسلمين ثم أغارت الروم سنة ثلاث وتسعين على موارس من أعمال حلب وقاتلهم أهلها فانهزموا وقتل منهم خلق ودخلها الروم فأحرقوا جامعها وأخذوا من بقى فيها وفى سنة أربع وتسعين غزا ابن كيغلغ من طرسوس فأصاب من الروم أربعة آلاف سبيا واستأمن بطريق من الروم فأسلم ثم عاود ابن كيغلغ الغزو وبلغ سكند وافتتحها وسار إلى اللبس فبلغ خمسين ألف رأس وقتل من الروم خلقا ثم استأمن البطريق المتولي الثغور من جهة الروم إلى المكتفى وخرج بمائتي أسير من المسلمين وكان ملك الروم قد شعر بأمره وبعث من يقبض عليه فقتل الاسرى المسلمون من جاء للقبض عليه وغنموا

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٠٣/٣

عسكرهم واجتمع الروم على محاربة البطريق انذوقس وزحف المسلمون لخلاصه وخلاص من معه من الاسرى فبلغوا قونية وخربوها وانصرف الروم وأمر المسلمون في طريقهم بحصن اندوس فخرج معهم بأهله وسار إلى بغداد وفى سنة احدى وتسعين خرج الترك إلى ما وراء النهر في خلق لا يحصون فبعث إليهم اسمعيل عسكرا عظيما من الجند **والمطوعة** فكبسوهم واستباحوهم وفى سنة ثلاث وتسعين افتتح اسمعيل مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم * (الولايات بالنواحي) * قد ذكرنا ولايات خاقان المفلحى على الرى ثم اسمعيل بن أحمد بن سامان بعده وولاية عيسى النوشرى على مصر بعد انتزاعها من بنى طولون وولاية أبى العشائر أحمد بن نصر." (١)

"الدروب وحاصروا ملطية وهربوا إلى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا وغزا أهل طرسوس بالصائفة فغنموا ورجعوا وفى سنة خمس عشرة دخلت سرية من طرسوس إلى بلاد الروم فأوقع بهم الروم وقتلوا أربعمائة رجل صبرا وجاء الدمستق في عساكر من الروم إلى مدينة دبيل وبها نصر السبكى فحاصرها وضيق مختنقها واشتد في قتالها حتى نقب سورها ودخل الروم إليها ودفعهم المسلمون فأخرجوهم وقتلوا منهم بعد أن غنموا ما لا يحصى وعاثوا في أنعامهم فغنموا من الغنم ثلثمائة ألف رأس فأكلوها وكان رجل من

رؤساء الاكراد يعرف بالضحاك في حصن له يعرف بالجعبرى فتنصر وخدم ملك الروم فلقيه المسلمون في سنة الغزاة فأسروه وقتلوا من معه وفى سنة ست عشرة وثلثمائة خرج الدمستق في عساكر الروم فحاصر خلاط وملكها صلحا وجعل الصليب في جامعها ورحل إلى تدنيس ففعل بها كذلك وهرب أهل أردن إلى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا وفيها ظهر أهل ملطية على سبعمائة رجل من الروم والارمن دخلوا بلدهم خفية وقدمهم مليح الارمني ليكونوا لهم عونا إذا حاصروها فقتلهم أهل ملطية عن آخرهم وفى سنة سبع عشرة بعث أهل الثغور الجزرية مثل ملطية وفارقين وآمد وارزا يستمدون المقتدر في العساكر والا فيعطوا الاتاوة للروم فلم يمدهم فصالحوا الروم وملكوا البلاد وفيها دخل مفلح الساجى بلاد الروم وفى سنة عشرين غزا نمالى بلاد الروم من طرسوس ولقى الروم فهزمهم وقتل منهم ثلثمائة وأسر ثلاثة آلاف وغنم من الفضة والذهب شيأ كثيرا وعاد بالصائفة في سنته في حشد كثير وبلغ عمورية فهرب عنها من كان تجمع إليها من الروم ودخلها المسلمون فوجدوا من الامتعة والاطعمة كثيرا فغنموا وأحرقوا وتوغلوا في بلاد الروم يقتلون ويكتسحون ويخربون حتى بلغوا انكمورية التى مصرها اهده وعادوا سالمين وبلغت قيمة السبى مائة ألف وستة وثلاثين ألف دينار وفى هذه السنة راسل ابن الريدانى وغيره من الارمن في نواحى أرمينية وحثوا الروم

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٥٧/٣

على قصد بلاد الاسلام فساروا وخربوا نواحى خلاط وقتلوا وأسروا فسار إليهم مفلح غلام يوسف بن أبى الساج من أذربيجان في جموع من الجند **والمتطوعة** فأثخن في بلاد الروم حتى يقال ان القتلى بغوا مائة ألف وخرب بلاد ابن الريدانى ومن وافقه وقتل ونهب ثم جاءت الروم إلى سميساط فحصروها وأمدهم سعيد بن حمدان وكان المقتدر ولاه الموصل وديار ربيعة على أن يسترجع ملطية من الروم فلما جاء رسول أهل سميساط إليهم فأجفل الروم عنها فسار إلى ملطية وبها عساكر الروم ومليح الارمني صاحب الثغور الرومية وبنى بن قيس صاحب المقتدر الذى
تنصر فلما أحسوا باقبال سعيد هربوا وتركوها خشية أن يثب بهم أهلها وملكها سعيد." (١)

"أبا القاسم ابن أخيه أبى عبد الله وأمد أبو طاهر القرمطى أبا الحسن وبعث معه أخويه لحصار البصرة فامتنعت عليهم وأصلحوا بين أبى القاسم وعمه ودخل البصرة وسار منها إلى تورون ببغداد ثم طمع يأنس مولى أبى عبد الله في الرياسة وداخل بعض قواد الديا في الثورة بأبى القاسم واجتمع الديلم إلى القائد وبعث أبو القاسم وليه يأنس فهم به ليفرد بالامر فهرب يأنس واختفى وتفرق الديلم واختفى القائد ثم قبض عليه ونفاه وقبض عليه يأنس بعد أيام وصادره على مائة ألف دينار وقتله ولما قدم أبو الحسين البريدى إلى بغداد مستأمنا إلى تورون فأمنه وطلب الامداد على ابن أخيه وبذل في ذلك أموالا ثم بعث ابن أخيه من البصرة بالاموال فأقره على عمله وشعر أبو الحسن بذلك فسعى عند ابن تورون في ابن شيرازد إلى أن قبض عليه وضرب واستظهر أبو عبد الله بن أبى موسى
الهاشمي بفتاوى الفقهاء والقضاة باباحة دم أبى الحسين كانت عنده من ايام ناصر الدولة وأحضروا بدار المتقى وسئلوا عن فتاويهم فاعترفوا بأنهم أفتوا بها فقتل وصلب ثم أحرق ونهب داره وكان ذلك منتصف ذى الحجة من السنة وكان ذلك أخرى أمر البريديين * (الصوائف أيام المتقى) * خرج الروم سنة ثلاثين أيام المتقى وانتهوا إلى قرب حلب فعاثوا في البلاد وبلغ سبيهم خمسة آلاف وفيها دخل ثمل من ناحية طرسوس فعاث في بلاد الروم وامتلات أيدى عسكره من الغنائم وأسر عدة من بطارقتهم وفى سنة احدى وثلاثين بعث ملك الروم إلى المتقى يطلب منه منديلا في بيعة الرها زعموا أن المسيح مسح به وجهه فارتسمت فيه صورته وأنه يطلق فيه عددا كثيرا من أسرى المسلمين واختلف الفقهاء والقضاة في اسعافه بذلك وفيه غضاضة أو منعه ويبقى المسلمون بحال الاسر فأشار عليه على ابن عيسى باسعافه لخلاص المسلمين فأمر المتقى بتسليمه إليهم وبعث إلى ملك الروم من بتسليم الاسرى وفى سنة ثنتين وثلاثين خرجت طوارق من الروس

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣/٣٨٦

في البحر إلى نواحى أذربيجان ودخلوا في نهر اللكز إلى بردعة وبها نائب المرزبان ابن محمد بن مسافر ملك الديلم بأذربيجان فخرج في جموع الديلم **والمطوعة** فقتلوهم وقاتلوهم فهزمهم الروس وملكوا البلد وجاءت العساكر الاسلامية من كل ناحية لقتالهم فامتنعوا بها ورماهم بعض العامة بالحجارة فأخرجوهم من البلد وقاتلوا من بقى وغنموا أموالهم واستبدوا بأولادهم ونسائهم واستنفر المرزبان الناس وزحف إليهم في ثلاثين ألفا فقاتلوهم فامتنعوا عليه فأكمن لهم بعض الايام فهزمهم وقتل أميرهم ونجا الباقون إلى حصن البلد وحاصرهم المرزبان وصابرهم ثم جاءه الخبر بأن أبا عبد الله الحسين بن سعيد." (١)

"عثمان بن أبى العلى فقتله لحينه وقتل الموالى المجاهدين فخرج عليهم ولحق بانديس فتملكها واستدعى محمد بن الرئيس أبى سعيد في معتقله بسلوباشة ونصبه للملك فلم يتم له مراده من ذلك ورجعوا آخر اللمهادنة وقتل السلطان محمد وزيره ابن المحروق بداره غدرا سنة تسع وعشرين استدعاه للحديث على لسان عمته المتغلبة عليه مع ابن المحروق وتناوله مع علوجه طعنا بالخناجر إلى أن مات وقام السلطان باعباء ملكه ورجع عثمان ابن أبى العلى إلى مكانه من يعسوبية الغزاة وزناتة حق إذا هلك قدم عليهم مكانه ابنه ابا ثابت وأجاز السلطان محمد إلى المغرب صريخا للسلطان أبى الحسن على الطاغية فوجده مشغولا بفتنة أخيه محمد ومع ذلك جهز له العساكر وعقد عليها سنة ثلاث وثلاثين واستراب بنو أبى العلى بمداخلة السلطان أبى الحسن فتشاوروا في أمره وغدروا به يوم رحيله عن الجبل إلى غرناطة فتقاصفوه بالرماح وقدموا أخاه أبا الحجاج يوسف فقام بالامر وشمر عن ساعده في الاخذ بثار أخيه فتكب بنى العلى وغر بهم إلى تونس وقدم على الغزاة مكان أبى ثابت بن عثمان قرثية من بنى رحو بن عبد الله بن عبد الحق وهو يحيى بن عمر بن رحو فقام بأمرهم وطال أمر رياسته واستدعى السلطان

أبو الحجاج السلطان أبا الحسن صاحب المغرب فأجاز ابنه عند ما تم له الفتح بتلمسان وعقد له على عساكر جمة من زناتة **والمطوعة** فغزاهم وغنم وقفل راجعا وتلاحقت به جموع النصارى وبيتوه على حدود أرضهم فاستشهد كثير من الغزاة وأجاز السلطان أبو الحسن سنة احدى وأربعين بكافة أهل المغرب من زناتة ومغراوة والمرتزقة **والمتطوعة** فنازل طريف وزحف إليه الطاغية فلقيه بظاهرها فانكشف المسلمون واستشهد الكثير منهم وهلك فيها نساء السلطان وحريمه وفسطاطه من معسكره وكان يوم ابتلاء وتمحيص وتغلب الطاغية اثرها على القلعة ثغر غرناطة ونازل الجزيرة الخضراء وأخذها صلحا سنة ثلاث وأربعين ولم يزل أبو الحجاج في سلطانه إلى أن هلك يوم الفطر سنة خمس وخمسين طعنه في سجوده من صلاة العيد وغد

(١) تاريخ ابن خلدون، ٤١٧/٣

من صفاعفة البلد كان مجتمعا وتولى ابنه واستبد عليه مولاهم رضوان حاجب أبيه وعمه فقام بأمره وغلبه عليه وحجبه وكان اسمعيل أخوه ببعض قصور الحمراء قلعة الملك وكانت له ذمة وصهر من محمد بن عبد الله بن اسمعيل بن محمد ابن الرئيس أبي سعيد بما كان أبوه أنكحه شقيقة إسماعيل هذا وكان أبو يحيى هذا يدعى بالرئيس وجده محمد هذا هو الذى قدمنا أن عثمان بن أبي العلى دعاه من مكان اعتقاله للملك فداخل محمد هذا الرئيس بعض الزعالقة من الغوغاء وبيت حصن الحمراء وتسوره ولج على الحاجب رضوان في داره فقتله وأخرج صهره اسمعيل ونصبه للملك ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة ستين." (١)

"فرجع عنه منصور بن مزيد وابنه صدقة ومن معهما من العرب وسار فخر الدولة المعروف بالقرم فنزل عليها وشد حصارها ونزل يوما بعض الحامية من السور وأخلى مكانه فوقف فيه بعض العامة ونادى بشعار السلطان واتبعه سائر الحامية بالسور وبعثوا إلى زعيم الرؤساء ابن جهير فركب إليهم وملك البلد وذلك سنة ثمان وسبعين ونصب أهل البلد بيوت النصارى الذين كانوا يستخدمون لبنى مروان في الجبايات وانتقموا منهم والله أعلم * (استيلاء ابن جهير على ميافارقين وجزيرة ابن عمر وانقراض دولة بنى مروان) *كان فخر الدولة بن جهير لما بعث ابنه إلى آمد سار هو إلى ميافارقين وأقام على حصارها منذ سنة سبع وسبعين وجاءه سعد الدولة كوهوا بين مددا واشتد الحصار وانثلم السور في بعض الايام فنادى أهلها بشعار ملك شاه ودخل فخر الدولة وملك البلد واستولى على أموال بنى مروان وذخائرهم وبعثها إلى السلطان ملك شاه مع ابنه زعيم الرؤساء فوصل اصفهان في شوال سنة ثمان وسبعين وسار فخر الدولة وكوهوا بين إلى بغداد وكان قد بعث عسكر الحصار جزيرة ابن عمر فحصروها وثار بها أهل بيت من أعيانها يعرفون ببنى رهان وفتحوا بابا صغيرا للبلد كان منفذ للرجالة وأدخلوا العسكر منه وملكوه بدعوة السلطان ملك شاه وانقرضت دولة بنى مروان ولحق منصور بن نظام الدين نصر بن نصير الدولة بالجزيرة وأقام في ايالة الغز ثم قبض عليه جكرمس وحبسه بدار يهودى فمات بها سنة تسع وثمانين والبقاء لله وحده [الخبر عن دولة بنى الصفار ملوك سجستان المتغلبين على خراسان ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم] كان أهل هذه الدولة قوما اجتمعوا بنواحي سجستان ونسبوا لقتال الخوارج الشراة بتلك الناحية عندما اضطربت الدولة ببغداد لقتل المتوكل وسموا أنفسهم **المتطوعة**

وكان اجتماعهم على صالح بن نصر الكنانى ويقال له صالح المتطوعى وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث الصفار وغلبوا على سجستان وملكوها ثم سار إليهم طاهر بن عبد الله أمير

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١٧٤/٤

خراسان وغلبهم عليها وأخرجهم منها ثم هلك صالح اثر ذلك وقام بأمره في **المتطوعة** درهم بن الحسن فكثر أتباعه وكان يعقوب بن الليث قائده وكان درهم مضعفا فتحيل صاحب خراسان عليه حتى ظفر به وبعثه إلى بغداد فحبس بها واجتمع **المتطوعة** على يعقوب بن الليث قائده وكان درهم بكاتب المعتز يسأله ولايتها وأن يقلده حرب الخوارج فكتب له بذلك وأحسن الغناء في حرب الشراة وتجاوزه إلى سائر أبواب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم سار من سجستان إلى." (١)

"العلوى ولقيه على جرجان فانهزم محمد بن زيد وغنم ابن هرون عسكره وأصابت محمد بن زيد جراحات هلك لايام منها وأسر ابنه زيد فانزله اسمعيل ببخارى وأجرى عليه وسار محمد ابن هرون إلى طبرستان فملكها وخطب فيها لاسمعيل وولاه اسمعيل عليها * (استيلاء اسمعيل على الرى) *كان محمد بن هرون قد انتقض في طبرستان على اسمعيل وخلع دعوة العباسية وكان

الوالي على أهل الرى من قبل المكتفى أغرتمش التركي وكان سيئ السيرة فيهم فاستدعوا محمد بن هرون من طبرستان فسار إليها وحارب أغرتمش فقتله وقتل ابنين له وأخاه كيغلغ من قواد المكتفى واستولى على الرى فكتب المكتفى إلى اسمعيل بولاية الرى وسار إليها فخرج محمد بن هرون عنها إلى قزوين وزنجان وعاد إلى طبرستان واستعمل اسمعيل بولاية الذين على جرجان فارس الكبير وألزمه باحضار محمد بن هرون فكاتبه فارس وضمن له اصلاح حاله فقبل قوله وانصرف عن حسان الديلمى إلى بخارى في شعبان سنة تسعين ثم قبض في طريقه وأدخل إلى بخارى مقيدا فحبس بها ومات لشهرين * (وفاة اسمعيل بن أحمد وولاية ابنه احمد) * ثم توفى اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر في منتصف سنة خمس وتسعين وكان يلقب بعد موته بالماضي وولى بعده أبو نصر أحمد وبعث إليه المكتفى بالولاية وعقد له لواء بيده وكان اسمعيل عاد لاحسن السيرة حليما وخرجت الترك في أيامه سنة احدى وتسعين إلى ما وراء النهر في عدد لا يحصى يقال كان معهم سبعمائة قبة وهى لا تكون الا للرؤساء فاستنفر لهم اسمعيل الناس وخرج من الجند **والمتطوعة** خلق كثير وخرجوا إلى الترك وهم غارون فكبسوهم مصبحين وقتلوا منهم ما لا يحصى وانهزم الباقون واستبيح عسكرهم ولما مات وولى ابنه أبو نصر أحمد واستوسق أمره ببخارى بعث عن عمه اسحق بن أحمد من سمرقند فقبض عليه وحبسه ثم عبر إلى خراسا ن ونزل نيسابور وكان فارس الكبير مولى أبيه عاملا على جرجان وكان ظهر له أن أباه عزله عن جرجان بفارس هذا وكان فارس قد ولى الرى وطبرستان وبعث إلى اسمعيل بن أحمد بثمانين حملا من المال فلما سمع بوفاة اسمعيل استردها من الطريق وحقد

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٢١/٤

له أبو نصر ذلك كله فخافه فارس فلما نزل أبو نصر نيسابور كتب فارس إلى المكتفى يستأذنه في المسير إليه وسار في أربعة آلاف فارس وأتبعه أبو نصر فلم يدركه وتحصن منه عامل أبى نصر بالرى ووصل إلى بغداد فوجد المقتدر قد ولى بعد المكتفى وقد وقعت حادثة ابن المعين

فولاه المقتدر ديار ربيعة وبعثه في طلب بنى حمدان وخشى أصحاب المقتدر أن يتقدم." (١)

"أحوالها ورجع إلى غزنة ثم اعتزم على غزو الهند سنة تسع وأربعمائة وكان قد دوخ بلادها كلها ولم يبق عليه الاقشمير ومن دونها الفيافي والمصاعب فاستنفر الناس من جميع الجهات من المرتزقة والمتطوعة وسار تسعين مرحلة وعبر نهر جيحون وحيلم وخيالا هو وامراؤه وبث عساكره في أودية لا يعبر عن شدة جريها وبعد اعماقها وانتهى إلى قشمير وكانت ملوك الهند في تلك الممالك تبعث إليه بالخدمة والطاعة وجاءه صاحب درب قشمير وهو جنكى بن شاهى وشهى فأقر بالطاعة وضمن دلالة الطريق وسار أمام العسكر إلى حصن مأمون لعشرين من رجب وهو خلال ذلك يفتتح القلاع

إلى أن دخل في ولاية هردت أحسد ملوك الهند فجاء طائعا مسلما ثم سار السلطان إلى قلعة كلنجد من أعيان ملوكهم فبرز للقائه وانهزم واعترضهم انهار عميقة سقطوا فيها وهلكوا قتلا وغرقا يقال هلك منهم خمسون ألفا وغنم السلطان منهم مائة فيل وخمسة إلى غير ذلك مما جل عن الوصف ثم عطف إلى سقطا لتقيذ وهو بيت مبنى بالصخور الصم بشرع منها بابان إلى الماء المحيط موضوعة ابنيته فوق التلال وعن جنبتيه ألف قصر مشتملة على بيوت الاصنام وفي صدر البلد بيت أصنام منها خمسة من الذهب الاحمر مضروبة على خمسة أذرع في الهواء قد جعلت عينا كل واحدة منهما ياقوتتان تساويان خمسين ألف دينار وعين الآخر قطعة ياقوت أزرق تزن أربعمائة وخمسين مثقالا وفى وزن قدمى الضم الواحد أربعة آلاف وأربعمائة مثقال وجملة ما في الاشخاص من الذهب ثمانية وتسعون ألف مثقال وزادت شخوص الفضة على شخوص الذهب في الوزن فهدمت تلك الاصنام كلها وخربت وسار السلطان طالبا قنوج وخرب سائر القلاع في طريقه ووصل إليها في شعبان سنة تسع وقد فارقها نزو جبال حين سمع بقدومه وعبر نهر كنك الذى تغرق الهنود فيه أنفسهم ويذرون فيه رماد المحرقين منهم وكان أهل الهند واثقين بقنوج وهى سبع قلاع موضوعة على ذلك الماء فيها عشرة آلاف بيت للاصنام تزعم الهنود أن تاريخها منذ مائتي ألف سنة ثلثمائة ألف سنة وانها لم تزل متعبدا لهم فلما وصلها السلطان ألفاها خالية قد هرب أهلها ففتحها كلها في يوم واحد واستباحها أهل عسكره ثم أخذ في السير منها إلى قلعة لنج وتعرف بقلعة البراهمة فقاتلوا ساعة ثم

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٤/٣٣٥

تساقطوا من أعاليها على سنا الرماح وضياء الصفاح ثم سار إلى قلعة اسا وملكها جندبال فهرب وتركها وأمر السلطان بتخريبها ثم عطف على جندراى من أكابر الهنود في قلعة منيعة وكان جميال ملك الهند من قبل ذلك يطلبه للطاعة والالفة فيمتنع عليه ولحق جميال بنهوجد أحد المغرورين بحصانة المعقل فنجا بنفسه ورام جندراى المدافعة وثوقا بامتناع قلعته ثم تنصح له بهميال ومنعه من ذلك." (١)

"كان للهند صنم يسمونه وهو أعظم أصنامهم في حصن حصين على ساحل البحر بحيث تلتقفه أمواجه والصنم مبنى في بيته على ستة وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وهو من حجر طوله خمسة أذرع منها ذراعان غائصان في البناء وليس له صورة مشخصة والبيت مظلم يضئ بقناديل الجوهر الفائق وعنده سلسلة ذهب بجرس وزنها مائة من تحرك بأدوار معلومة من الليل فيقوم عباد البرهميين لعبادتهم بصوت الجرس وعنده خزانة فيها عدد كثير من الاصنام ذهبا و فضة عليها ستور معلقة بالجوهر منسوجة بالذهب تزيد قيمتها على عشرين ألف ألف دينار وكانوا يحجون إلى هذا الصنم ليلة خسوف القمر فتجتمع إليه عوالم لا تحصى وتزعم الهنود أن الارواح بعد المفارقة تجتمع إليه فيبثها فيمن شاء بناء على التناسخ والمد والجذر عندهم هو عبادة البحر وكانوا يقربون إليه كل نفيس وذخائرهم كلها عنده ويعطون سدنته الاموال الجليلة وكان له أوقاف تزيد على عشرة آلاف ضيعة وكان نهرهم المسمى كنك الذى يزعمون أن مصبه في الجنة ويلقون فيه عظام الموتى من كبرائهم وبينه وبين سومنات مائتا فرسخ وكان يحمل من مائه كل يوم لغسل هذا الصنم وكان يقوم عند الصنم من عباد البرهميين ألف رجل في كل يوم للعبادة وثلثمائة لحلق رؤس الزوار ولحاهم وثلثمائة رجل وخمسمائة

امرأة يغنون ويرقصون ولهم على ذلك الجرايات الوافرة وكان كلما فتح محمود بن سبكتكين من الهند فتحا أو كسر صنما يقول أهل الهندان سومنات ساخط عليهم ولو كان راضيا عنهم لا هلك محمود ادونه فاعتزم محمود بن سبكتكين إلى غزوه وتكذيب دعاويهم في شأنه فسار من غزنة في شعبان سنة ست عشرة في ثلاثين ألف فارس سوى المتطوعة وقطع القفر إلى الملتان وتزود له من القوت والماء قدر الكفاية وزيادة عشرين ألف حمل وخرج من المفازة إلى حصون مشحونة بالرجال قد غوروا آبارهم مخافة الحصار فقذف الله الرعب في قلوبهم وفتحها وقتل سكانها وكسر أصنامها واستقى منها الماء وسار إلى انهلوارن وأجفل عنها صاحبها بهيم وسار إلى بعض حصونه و ملك السلطان المدينة ومر إلى سومنات ووجد في طريقه حصونا كثيرة فيها أصنام وضعوها كالنقباء والخدمة لسومنات ففتحها وخربها وكسر الاصنام ثم سار في قفر

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٧٢/٤

معطش واجتمع من سكانه عشرون ألفا لدفاعه فقاتلهم سراياه وغنموا أموالهم وانتهوا إلى دبلواه على مرحلتين من سومنات فاستولى عليها وقتل رجالها ووصل إلى سومنات منتصف ذى القعدة يفوجد أهلها مختفين في أسوارهم وأعلنوا بكلمة الاسلام فوقها فاشتد القتال حتى حجز بينهم الليل ثم أصبحوا إلى القتال وأثخنوا في الهنود وكانوا يدخلون إلى الصنم فيعنفونه ويبكون ويتضرعون إليه ويرجعون إلى القتال ثم انهزموا بعد." (١)

"إليه بنفسه ولحقه بمنيح وجاء الخبر إلى جاولي باستيلاء مودود وعساكر السلطان على الموصل وعلى خزائنه فاضطرب أمره وانفض عنه كثير من أصحابه منهم زنكى بن اقسنقر وبكتاش وبقى معه اصبهد صباوو وبدروان بن صدقة وابن جكرمس وانضم إليه كثير من **المتطوعة** ونزل تل ناشر وأتى عسكر رضوان وسكرى وكادان يهزمهم لو لا أن أصحابه ساروا عنه وسار في اتباعهم فأبوا عليه فمضى منهزما وقصد اصبهد الشأم وبدروان بن صدقة قلعة جعفر وابن جكرمس جزيرة ابن عمر وقتل من المسلمين خلق ونهب صاحب انطاكية سوادهم وهرب القمص وجوسكر إلى تل ناشر وكان المنهزمون من المسلمين يمرون بهم فيكرمونهم ويجيزونهم إلى بلادهم ولحق جاولي بالرحبة فلقى بها سرايا مودود صاحب الموصل وخفى عنهم فارتاب في أمره ولم ير الخير له من قصد

السلطان محمد ثقة بما ألقى إليه حسين بن قطلغ تكين في شأنه فأوغر في السير ولحق بالسلطان قريبا من اصبهان ونزل حسين بن قطلغ فدخل به إلى السلطان فأكرمه وطلب منه بكتاش بن عمه تتش واعتقله باصبهان * (متقل مودود بن توتكين صاحب الموصل في حرب الافرنج وولاية البرسقى مكانه) *كان السلطان محمد قد أمر مودودا صاحب الموصل سنة خمس وخمسمائة بالمسير لقتال الافرنج وأمده بسقمان القطبى صاحب ديار بكر وأرمينية واياكى وزتكى ابني برسق أمراء همدان وما جاورها والامير أحمد بك أمير مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل والامير أبو الغازى صاحب ماردين وبعث إليه اياز مكانه فسار إلى سنجار وفتحوا حصونا للافرنج وحاصروا مدينة الرها فامتنعت عليهم وأقام الافرنج على الفرات بعد أن طرقوا أعمال حلب فعاثوا فيها ثم حاصر العساكر الاسلامية قلعة ناشر فامتنعت ودخلوا إلى حلب فامتنع رضوان من لقائهم فعادوا ومات سقمان القبطى في دلاس فحمله أصحابه في تابوت إلى بلاده واعترضهم أبو الغازى بن ارتق ليأخذهم فهزموه ثم افترقت العساكر بمرض ابن برسق ومسير أحمد بن صاحب مراغة إلى السلطان لطلب بلاد سقمان القبطى واجتمع قطلغتكين صاحب دمشق بمودود ونزل معه على نهر القاضى وسمع الافرنج بافتراق العساكر فساروا إلى ماميا وجاء السلطان ابن منقذ صاحب شيراز إلى مودود

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٧٤/٤

وقطلغتكين وحصرهما على الجهاد ونزلوا جميعا على شيراز ونزل الفرنج قبالتهم ثم رأوا قوة المسلمين فعادوا إلى فامية ثم سار مودود سنة ست إلى الرها وسروج فعاث في نواحيها فكبسه جوسكر صاحب تل ناشر في الافرنج ونال منه ثم اجتمع المسلمون سنة سبع للجهاد باستنجاد قطلغتكين صاحب دمشق لمودود فاجتمع معه بمنزل صاحب سنجار واياز بن أبى الغازى وعبروا الفرات إلى قطلغتكين وقصدوا." (١)

"ونهبوا طوس ولما دخل الخان إلى نيسابور أمهله المؤيد إلى رمضان سنة سبع وخمسين ثم قبض عليه وسمله وأخذ ما كان معه الذخائر وحبسه وحبس معه جلال محمد فماتا في محبسهما وخطب المؤيد لنفسه بعد المستنجد ثم زحف المؤيد إلى شهرستان وقرب نيسابور فحاصرها حتى نزلوا على حكمه في شعبان سنة تسع وخمسين ونهبها عسكره ثم رفع الايدى عنهم واستقامت في ملكه والله أعلم ثم زحف المؤيد إلى قلعة معسكره من طوس وكان بها أبو بكر جاندار ممتنعا فحاصره بها شهرا وأعانه أهل طوس لسوء سيرته فيهم ثم جهده الحصار فاستأمن ونزل فحبسه وسار إلى كرمان فأطاعوه وبعث عسكرا إلى اسفراين فتحصن بها رئيسها عبد الرحمن بن محمد بالقلعة فحاصره واستنزله وحمله مقيدا إلى الشاد باخ فحبس ثم قتل في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ثم ملك المؤيد قهندر ونيسابور واستفحل ملكه وعاد إلى ما كان عليه وعمر الشادباخ وخرب المدينة العتيقة ثم بعث عسكرا إلى بوشنج وهراة وهى في ولاية محمد بن الحسين ملك الغور فحاصرها وبعث الملك محمد عسكرا لمدافعته فافرجوا عنها وصفت ولاية هراة للغورية كان الكرج قد ملكوا مدينة انى من بلاد اران في شعبان سنة ست وخمسين واستباحوها قتلا وأسرا وجمع لهم شاه ارمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط جموعا من الجند

والمتطوعة وسار إليهم فقاتلوه وهزموه وأسر كثير من المسلمين ثم جمع الكرج في شعبان سنة سبع وخمسين ثلاثين ألف مقاتل وملكوا دوس من اذربيجان والجبل واصبهان فسار إليهم ايلدكز وسار معه شاه ارمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط واقسنقر صاحب مراغة في خمسين ألفا ودخلوا بلاد الكرج في صفر سنة ثمان وخمسين فاستباحوها وأسروا الرجال وسبوا النساء والولدان وأسلم بعض أمراء الكرج ودخل مع المسلمين وكمن بهم في بعض الشعاب حتى زحف الكرج وقاتلوا المسلمين شهرا أو نحوه ثم خرج الكمين من ورائهم فانهزموا واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وعادوا ظافرين ثم سار المؤيد إلى ايه صاحب نيسابور إلى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان وولى بسطام مولاه تنكز فجرى بينه وبين شاه مازندان اختلاف أدى إلى الحرب واقتتلوا في ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ولما ملك المؤيد قومس بعث إليه

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٥/٤١

السلطان ارسلان بن طغرل بالخلع والاولية لما كان بين المؤيد وايلدكز من المودة وأذن له في ولاية ما يفتحه من." (١)

"فملكوا مراغة ونازلوا المدينة فصانعهم أهلها بمقاسمتهم أملاكهم وزحف أبو الغازى من ماردين في عشرين ألفا من العساكر والمتطوعة ومعه أسامة بن مالك بن شيرز الكنانى والامير طغان ارسلان بن افتكين بن جناح صاحب ارزن وسار الافرنج إلى صنبيل عرمس قرب الاثاوب فنزلوا به في موضع منقطع المسالك وعزموا على المطاولة فناجزهم أبو الغازى وسار إليهم ودخل عليهم في مجتمعهم وقاتلوه أشد القتال فلم يقاوموه وفتك فيهم فتكة شنعاء وقتل فيهم سرحان صاحب انطاكية وأسر سبعون من زعمائهم وذلك منتصف ربيع من السنة ثم اجتمع فل الافرنج وعاودوا الحرب فهزمهم أبو الغازى وملك عليهم حصن آلات رب وزدناد وجاء إلى حلب فأصلح أحوالها وعاد إلى ماردين ثم سار جوسكين صاحب تل ناشر في مائتين من الافرنج ليكبس حلة من احياء طيئ يعرفون ببنى خالد فأغار عليهم وغنم أموالهم ودلوه على بقية قومهم من بنى

ربيعة فيما بين دمشق وطبرية فبعث أصحابه إليهم وسار هو من طريق آخر فضل عن الطريق ووصل أصحابه إليهم وأميرهم مر من ربيعة فقاتلهم وغلبهم وقتل منهم سبعين وأسر اثنى عشر ففاداهم بمال جزيل وأصناف عدتهم من الاسرى وبلغ إلى جوسكين في طريقه فعاد إلى طرابلس وجمع جمعا وأغار على عسقلان فهزمه المسلمون وعاد مفلولا والله أعلم * (ارتجاع الرها من الافرنج) * ثم سار بهرام أخو أبى الغازى إلى مدينة الرها وحاصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها ولقيه النذير بأن جوسكين صاحب الرها وسرود قد سار لاعتراضه وقد تفرق عن مالك أصحابه فاستجاب لما وصل إليه الافرنج ودفعهم لارض سنجة فوصلت فيها خيولهم فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسكين وخاط عليه جلد جمل وفادى نفسه بأموال جليلة فأبى مالك من فديته الا أن يسلم حصن الرها فلم يفعل وحبسه في خرت برت ومعه كلمام ابن خالته وكان من شياطينهم وجماعة من زعمائهم والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق * (استيلاء الافرنج على خرت برت وارتجاعها منهم) *كان مالك بن بهرام صاحب خرت برت وكان في جواره الافرنج في قلعة كركر فحاصرهم بها وسار بقدوين إليه في جموعه فلقيه في صفر سنة سبعة عشر فهزم الافرنج وأسر ملكهم وجماعة من زعمائهم وحبسهم مالك في قلعة خرت برت مع جوسكين صاحب الرها وأصحابه وسار

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٥/٨٠

مالك إلى حران في ربيع الاول وملكها ولما غاب من خرت برت تحيل الافرنج وخرجوا من محبسهم بمداخلة بعض الجند وسار بقدوين إلى بلده وملك." (١)

"يتغلبون على ما يقدرون عليه من بلاد المسلمين وكان رجار بن رجار يتعاهد سواحل افريقية بالغزو فبعث سنة ثلاث وخمسين اسطول صقلية إلى جزيرة جربة وقد تقلص عنها ظل الدولة الصنهاجية فأحاطوا بها واشتد القتال ثم اقتحمو الجزيرة عليهم عنوة وغنموا وسبوا واستأمن الباقون وأقرهم الافرنج في جزيرتهم على جزية وملكوا عليهم

أمرهم والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده * (فتح صاحب دمشق بعض حصون الافرنج) * ثم بعث شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق عساكره مع الامير خزواش سنة احدى وثلاثين إلى طرابلس الشأم ومعه جمع كثير من التركمان والمتطوعة وسار إليه القمص صاحب طرابلس فقاتلوه وهزموه وأثخنوا في عساكره وأحجزه بطرابلس وعاثوا في أعماله وفتحوا حصن وادى ابن الاحمر من حصونه عنوة واستباحوه واستلحموا من فيه من الافرنج ثم سار الافرنج سنة خمس وثلاثين إلى عسقلان وأغاروا في نواحيها وخرج إليهم عسكر مصر الذين بها فهزموا الافرنج وظفروا بهم وعادوا منهزمين وكفى الله شرهم بمنه وكرمه * (استيلاء الافرنج على طرابلس الغرب) *كان أهل طرابلس الغرب لما انحل نطام الدولة الصنهاجية بافريقية وتقلص ظلها عنهم قد استبدوا بأنفسهم وكان بالمهدية آخر الملوك من بنى باديس وهو الحسن بن على ابن يحيى بن تميم بن المعز فاستبد لعهده في طرابلس أبو يحيى بن مطروح ورفضوا دعوة الحسن وقومه وذلك عندما تكالب الافرنج على الجهات فطمع رجار في ملكها وبعث اسطوله في البحر فنازلها آخر سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فنقبوا سورها واستنجد أهلها بالعرب فأنجدوهم وخرجوا إلى الافرنج فهزموهم وغنموا أسلحتهم ودوابهم ورجع الافرنج إلى صقلية فتجهزوا إلى المغرب وطرقوا جيجيل من سواحل بجاية وهرب أهلها إلى الجبل ودخلوها فنهبوها وخربوا القصر الذى بناه بها يحيى بن العزيز بن حماد ويسمى النزهة ورجعوا إلى بلادهم ثم بعث رجار اسطوله إلى طرابلس سنة احدى وأربعين فأرسى عليها ونزل المقاتلة وأحاطوا بها برا وبحرا وقاتلوها ثلاثا وكان أهل البلد قد اختلفوا قبل وصول الافرنج وأخرجوا بنى مطروح وولوا عليهم رجلا من أمراء لمتونة قام حاجا في قومه فولوه أمرهم فلما شغل أهل البلد بقتال الافرنج

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١٩٨/٥

اجتمعت شيعة بنى مطروح وأدخلوهم للبلد ووقع بينهم القتال فلما شعر الافرنج بأمرهم بادروا إلى الاسوار فنصبوا عليها السلالم وتسنموها وفتحوا البلد عنوة وأفحشوا." (١)

"فقاسموهم أملاكهم التى بضاحيتها في سبيل المصانعة وبعثوا إلى بغداد يستغيثون فلم يغاثوا وجمع أبو الغازى من العساكر والمتطوعة نحوا من عشرين ألفا وسار بهم إلى الشأم سنة ثلاث عشرة ومعه أسامة بن مبارك بن منقذ الكنانى وطغان ارسلان ابن اسكين بن جناح صاحب ارزن الروم ونزل الافرنج قريبا من حصون الامارى في ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ونزلوا في تل عفرين حيث كان مقتل مسلم بن قريش وتحصنوا بالجبال من كل جهة الا ثلاث مسارب فقصدهم أبو الغازى ودخل عليهم من تلك المسارب وهم غارون فركبوا وصدقوا الحملة فلقوا عساكر المسلمين متتابعة فولوا منهزمين وأخذهم السيف من كل جهة فلم يفلت الا القليل وأسر من زعمائهم سبعون فاداهم أهل حلب بثلثمائة ألف دينار وقتل سرجان صاحب انطاكية ونجا فلهم من المعركة فاجتمع جماعة من الافرنج وعاودوا اللقاء فهزمهم أبو الغازى وفتح حصن الاربات ورزدنا وعاد إلى حلب فأصلح أمورها وعبر الفرات إلى ماردين وولى على حلب ابنه سليمان ثم وصل دبيس بن صدقة إلى أبى الغازى مستجيرا به فكتب إليه المسترشد مع سرير الدولة عبد أبى الغازى بايعاد دبيس ثم وقع بينه وبين السلطان محمود الاتفاق ورهن ولده على الطاعة ورجع وسار
أبو الغازى إلى الافرنج عقب ذلك سنة أربع عشرة فقاتلهم بأعمال حلب وظفر بهم ثم سار هو وطغركين صاحب دمشق فحاصروا الافرنج بالمثيرة وخشوا من استماتتهم فأفرج لهم أبو الغازى حق خرجوا من الحصن وكان لا يطيل المقام بدار الحرب لان أكثر الغزاة معه التركمان يأتون بجراب دقيق وقديد شاه فيستعجل العودان فنيت ازوادهم والله أعلم * (انتقاض سليمان بن أبى الغازى بحلب) *كان أبو الغازى قد ولى على حلب ابنه سليمان فحمله بطانته على الخلاف على أبيه وسار إليه أبوه تلقاه ابنه سليمان بالمعاذير فأمسك عنه وقبض على بطانته الذين داخلوه في ذلك وكان متولى كبرها أمير كان لقيطا لابيه ونشأ في بيته فسمله وقطع لسانه وكان منهم آخر من أهل حماه قدمه أبو الغازى على أهل حلب فقطعه وسمله فمات وأراد قتل ابنه ثم ثنته الشفقة عليه وهرب إلى دمشق وشفع فيه طغركين فلم يشفعه ثم استخلف على حلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار ولقبه بدر الدولة وعاد إلى ماردين وذلك سنة خمس عشرة ثم ابنه حسام الدين تمرتاش

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢٠٢/٥

مع القاضى بهاء الدولة أبى الحسن الشهرزورى شافعا في دبيس وضامنا في طاعته فلم يتم ذلك فلما انصرف تمرتاش إلى أبيه أقطع السلطان أباه أبا الغازى مدينة ميافارقين وكانت لسقمان القطبى صاحب." (١)

"جوبان إلى الاردن ومعناه بلغتهم العسكر والمخيم وانتهى إلى أبى سعيد خبر أمرائه فقتل منهم أربعين ورجع جوبان إلى خراسان سنة ثمان عشرة وقد استولى سيول عليها وعلى طائفة من عراق العجم وبعث إليه ازبك صاحب الشمال نائبه قطلقتمر مددا في العساكر فلقيهم جوبان وكانت بينهم حروب وانتزع جوبان ما ملكه سيول من بلاد خراسان وصالحه على ما بقى ورجع ثم سار أزبك ملك الشمال إلى مراغة فأغار عليها وغنم ورجع وأتبعه جوبان في العساكر فلم يدركه وهلك سيول سنة عشرين وارتجع أبو سعيد ما كان بيده من خراسان وكان أزبك صاحب الشمال ينقم على أبى سعيد استبداد جوبان عليه وتحكمه في بنى جنكز خان ويحرض أهل النواحى على جوبان ويتوقع له المهالك وأوصل الملوك في النواحى للمظاهرة على جوبان وسلطانه

أبى سعيد حتى لقد صاهر صاحب مصر على مثل ذلك ولم يتم الصلح لابي سعيد معه كما مر في أخبارهم وجهز أزبك العساكر سنة عشرين لحرب جوبان فحاصرهم المدنى بنهر كوزل الذى في حدود ملكهم فرجعوا ثم جهز جيشا آخر مع قطلقتمر نائبه وكان جوبان نائب أبى سعيد قد ولى على بلاد الروم ابنه دمرداش فزحف سنة احدى وعشرين إلى بلاد سيس وافتتح منها قلاعا ثلاثا وخربها وبعث إلى الملك الناصر يطلب المظاهرة في جهاد الارمن بسيس فبعث السلطان عساكره سنة ثنتين وعشرين ومعهم من **المتطوعة** عدد وحاصروا سيس ثم انعقد الصلح سنة ثلاث وعشرين بعدها بين الملك الناصر وبين أبى سعيد واستقامت الاحوال وحج أكابر المغل من قرابة أبى سعيد ملك التتر بالعراقين واتصلت المهاداة بينهما وسار نائبه جوبان سنة خمس وعشرين إلى خراسان في العساكر وقد زحف إليه كبك بن سيول فجرت بينهما حروب وانهزم جوبان واستولى كبك على خراسان ثم كبسه جوبان فهزمه وأثخن في عساكره وغلبه على خراسان فعادت إلى ملكة أبى سعيد وبينما جوبان مشتغل بتلك الفتنة والحروب في نواحى خراسان إذ بلغه الخبر بأن السلطان أبا سعيد تقبض على ابنه خواجا دمشق فلما بلغه الخبر بذلك انتقض وزحف إليه أبو سعيد فافترق عنه أصحابه ولحق بهراة فقتل بها سنة ست وعشرين وأذن أبو سعيد لولده ان ينقلوا شلوه إلى تربته التى بناها بالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام ونقلوه فلم يقدر دفنه بها وتوقف أمير المدينة على اذن السلطان بمصر في ذلك فدفن بالبقيع ولما بلغ خبر جوبان لابنه دمرداش وهو أمير ببلاد الروم

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٥/٢١٥

انزعج لذلك ولحق بمصر فيمن معه من الامراء والعساكر وأقبل السلطان الملك الناصر عليه وأحله محل التكرمة وجاءت على أثره رسل أبى سعيد يطلب حكم الله فيه لسعيه في الفساد والفتنة وأجابه السلطان إلى ذلك على أن يفعل مثل ذلك في قراسنقر النازع." (١)

"اشبيلية بذلك استنفر الياس للجهاد وخرج سنة ست وثمانين إلى قصر مصمودة فأرح به ثم أجاز إلى طريف وأغذ السير منها إلى شلب ووافته بها حشود الاندلس فتركهم لحصارها وزحف إلى حصن طرش فافتتحه ورجع إلى اشبيلية ثم رجع إلى منازلة شلب سنة سبع وثمانين فافتتحه وقدم عليه ابن وزير بعد ان كان افتتح في طريقه إليه حصونا أخرى ثم قفل إلى حضرته بعد استكماله غزانه وكتب بعهده لابنه الناصر وقدم عليه سنة ثمان وثمانين السيد أبو زيد صاحب افريقية ومعه مشيخة العرب من هلال وسليم فتلقاهم مبرة وتكريما وانقلب وفدهم إلى بلادهم ثم بلغه سنة تسعين استفحال ابن غانية بافريقية وكثرة العيث والفساد بها فاعتزم على النهوض إليها ووصل إلى مكناسة فبلغه من أمر الاندلس ما أهمه فصرف وجهه إليها ووصل قرطبة سنة احدى وتسعين فأراح بها ثلاثا وامداد الحشود تتلاحق به من كل ناحية ثم ارتحل للقاء العدو ونزل بالارك من نو ا حى بطليوس وزحف إليه العدو من النصارى وأمراؤهم يومئذ ثلاثة ابن ادفونش وابن الرند والبيوح وكان اللقاء يوم كذا سنة احدى وتسعين وأبو محمد ابن ابى حفص يومئذ على **المطوعة** وأخوه أبو يحيى على العساكر والموحدين فكانت الهزية المشهورة على النصارى واستلحم منهم ثلاثين ألفا بالسيف واعتصم فلهم بحصن الارك وكانوا خمسة آلاف من زعمائهم فاستنزلهم المنصور على حكمه وفودي بهم عددهم من المسلمين واستشهد في هذا اليوم أبو يحيى بن الشيخ أبى حفص بعد ان أبلى بلاء حسنا وعرف بنوه بعدها ببنى الشهيد وانكف المنصور راجعا إلى اشبيلبة ثم خرج منها سنة ثنتين وتسعين غازيا إلى بلاد الجوف فافتتح حصونا ومدنا وخربها كان منها

برحالة وطلبيرة واطل على نواحى طليطلة فخرب بسائطها واكتسح مسارحها وقفل إلى اشبيلية سنة ثلاث وتسعين فرفع إليه في القاضى أبى الوليد بن رشد مقالات فيها إلى المرض في دينه وعقده وربما لقى بعضها بخطه فحبس ثم أطلق وأشخص إلى الحضرة وبها كانت وفاته ثم خرج المنصور من اشبيلية غازيا إلى بلاد ابن ادفونش حتى احتل بساحة طليطلة وبلغه ان صاحب برشلونة أمد ابن أدفونش بعساكره وانهم جميعا بحصن مجريط فنهص إليهم ولما أطل عليهم انفضت جموع ابن ادفونش من قبل القتال ثم انكف المنصور راجعا إلى اشبيلية ثم رغب إليه ملوك النصرانية في السلم فبذله لهم وعقد على اشبيلية للسيد أبى

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٥/٥٥٠

زيد ابن الخليفة وعلى مدينة بطليوس للسيد أبى الربيع بن السيد أبى حفص وعلى المغرب للسيد أبى عبد الله بن السيد أبى حفص وأجاز إلى حضرته سنة أربع وتسعين فطرقه المرض الذى كان منه حنفه وأوصى وصيته التى تناقلها الناس وحضر لوصيته عيسى ابن الشيخ أبى حفص وهلك رحمه الله سنة خمس." (١)

"وأنشده قائلا من قول أبى مطروح شاعر السلطان بمصر قل للفرنسيس إذا جئته * مقال صدق من وزير نصيح آجرك الله على ما جرى * من قتل عباد نصارى المسيح أتيت مصرا تبتغى ملكها * تحسب ان الزمر بالطبل ريح فساقك الحين إلى أدهم * ضاق به عن ناظريك الفسيح وكل أصحابك أودعتهم * بسوء تدبيرك بطن الضريح سبعون ألفا لا يرى منهم * الا قتيل أو أسير جريح ألهمك الله إلى مثلها * لعل عيسى منكم يستريح ان كان باباكم بذا راضيا * فرب غش قد أتى من نصيح فاتخذوه كاهنا انه * أنضح من شق لكم أو سطيح وقل لهم ان أزمعوا عودة * لاخذ ثار أو لشغل قبيح دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشي صبيح يعنى بدار ابن لقمان موضع اعتقاله بالاسكندرية والطواشي في عرف أهل مصر هو الخصى فلما استكمل انشاده لم يزد ذلك الطاغية الا عتوا واستكبارا واعتذر عن نقض العهد في غزو تونس بما يسمع عنهم من المخالفات عذرا دافعهم به وصرف الرسل من سائر الآفاق ليومه فوصل رسل السلطان منذرين بشأنهم وجمع الطاغية حشده وركب أساطيله إلى تونس آخر ذى القعدة سنة ثمان وستين فاجتمعوا بسردانية وقيل بصقلية ثم واعدهم بمرسى تونس وأقلعوا ونادى السلطان في الناس بالنذير بالعدو والاستعداد له والنفير إلى أقرب المدائن وبعث الشوانى لاستطلاع الخبر واستفهم أياما ثم توالت الاساطيل بمرسى قرطاجنة ونفاوض السلطان مع أهل الشورى من الاندلس والموحدين في تخليتهم وشأنهم من النزول بالساحل أو صدهم عنه فأشار بعضهم بصدهم

حتى تنفد ذخيرتهم من الزاد والماء فيضطرون إلى الاقلاع وقال آخرون إذا أقلعوا من مرسى الحضرة ذات الحامية والعدد صبحوا بعض الثغور سواها فملكوه واستباحوه واستصعبت مغالبتهم عليه فوافق السلطان على هذا وخلوا وشأنهم من النزول فنزلوا بساحل قرطاجنة بعد ان ملئت سواحل رودس بالمرابطة بجند الاندلس والمطوعة زهاء أربعة آل ‌ف فارس لنظر محمد بن الحسين رئيس الدولة ولما نزل النصارى بالساحل وكانوا زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين ألفا من الرجالة فيما حدثنى أبى عن أبيه رحمهما الله قال وكان أساطيلهم

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٦/٢٤٥

ثلثمائة بين كبار وصغار وكانوا سبعة يعاسيب كان فيهم الفرنسيس واخوة جرون صاحب صقلية وصاحب الجزر والعلجة زوج." (١)

"الطاغية تسمى الرينة وصاحب البر الكبير وتسميهم العامة من أهل الاخبار ملوكا ويعنون انهم متباينون ظاهروا على غزو تونس وليس كذلك وانما كان واحدا وهو طاغية الفرنجة واخوته وبطارقته عد كل واحد منهم ملكا لفضل قوته وشدة بأسه فأنزلوا عساكرهم في المدينة القديمة من قرطاجنة وكانت مائلة الجدران اضطرم المعسكر بداخلها ووصلوا ما فصله الخراب من أسوارها بألواح الخشب ونضدوا شرفاتها وأداروا على السور خندقا بعيد المهوى وتحصنوا وندم السلطان على اضاعة الحزم في تخريبها أو دفاعهم عن نزلها وأقام ملك الفرنجة وقومه متمرسين بتونس ستة أشهر والمدد ياتيه في أساطيله من البحر من صقلية والعدوة بالرجل والاسلحة والاقوات وسلك بعض المسلمين طريقا في البحيرة واتبعه العرب فأصابوا غرة في العدو فظفروا وغنموا وشعروا بمكانهم فكلفوا بحراسة البحيرة وبعثوا فيها الشوانى بالرماة ومنعوا الطريق إليهم وبعث السلطان في ممالكه حاشدا فوافته الامداد من كل ناحية ووصل أبو هلال صاحب بجاية وجاءت جموع العرب وسد ويكش وولهاصة وهوارة حتى أمده ملوك المغرب من زناتة وسرح إليه محمد بن عبد القوى عسكر بنى توجين لنظر ابنه زيان

وأخرج السلطان ابنيته وعقد لسبعة من الموحدين على سائر الجند من المرتزقة والمطوعة وهم اسمعيل بن أبى كلداسن وعيسى بن داود ويحيى بن أبى بكر ويحيى بن صالح وأبو هلال عياد صاحب بجاية ومحمد بن عبو وأمرهم كلهم راجع ليحيى بن صالح ويحيى ابن أبى بكر منهم واجتمع من المسلمين عدد لا يحصى وخرج الصلحاء والفقهاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بأنفسهم والتزم السلطان القعود بايوانه مع بطانته وأهل اختصاصه وهم الشيخ أبو سعيد المعروف بالعود وابن أبى الحسين وقاضيه أبو القاسم بن البراء وأخو العيش واتصلت الحرب والتقوا في منتصف محرم سنة تسع بالمنصف فزحف يومئذ يحيى بن صالح وجرون فمات من الفريقين خلق وهجموا على المعسكر بعد العشاء وتدامر المسلمون عنده ثم غلبوا عليه بعد ان قتل من النصارى زهاء خمسمائة فأصبحت ابنيته مضروبة كما كانت وأمر بالخندق على المعسكر فتعاورته الايدى واحتفر فيه الشيخ أبو سعيد بنفسه وابتلى المسلمون بتونس وظنوا الظنون واتهم السلطان بالتحول عن تونس إلى القيروان ثم ان الله أهلك عدوهم وأصبح ملك الفرنجة ميتا يقال حتف أنفه ويقال أصابه سهم غرب في بعض المواقف فأبته ويقال أصابه مرض الوباء ويقال وهو بعيد ان السلطان بعث إليه مع ابن جرام

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢٩٢/٦

الدلاصى بسيف مسموم وكان فيه مهلكه ولما هلك اجتمع النصارى على ابنه دمياط سمى بذلك لميلاده بها فبايعوه واعتزموا على الاقلاع وكان أمرهم راجعا إلى العلجة فراسلت المستنصر أن يبذل لها ما خسروه." (١)

"الامير أبى يحيى سما له أمل في الاجلاب على المغرب فجمع ذلك قومه واستجاش بنى توجين ومغراوة وأظمعهم في غبل الاسد ونهض إلى المغرب حتى انتهوا إلى كلداMان وصمد السلطان يعقوب بن عبد الحق إلى لقائهم فغلبهم ورجعوا إلى تفيئته ومر يغمراسن ببلاد بطوية فأحرق وانتسف واستباح وأعظم فيها لنكاية ورجع السلطان إلى فاس وتقبل مذاهب أخيه الامير أبى يحيى في فتح أمصار المغرب وتدويخ أقطاره وكان مما أكرمه الله به أن فتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدى النصارى فكان له بها أثر جميل وذكر خالد على ما نذكره ان شاء الله تعالى * (الخبر عن فجأة العدو مدينة سلام واستنقاذها من أيديهم) *كان يعقوب بن عبد الله قد استعمله عمه الامير أبو يحيي على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرناه ولما استرجعها الموحدون من يده أقام بتغلب في جهاتها مراصدا لاهلها وحاميتها ولما بويع عمه يعقوب بن عبد الحق اسفته بعض الاحوال فذهب مغاضبا حتى نزل غبولة وألطف الحيلة في تملك رباط الفتح وسلا ليعتدها ذريعة لما أسر في

نفسه فتمت له الحيلة وركب عاملها ابن يعلو البحر فارا إلى أزمور وخلف أمواله وحرمه فتملك يعقوب بن عبد الله البلد وجاهر بالخلع وصرف إلى منازعة عمه السلطان أبى يوسف وجوه العزم وداخل تجار الحرب في الامداد بالسلاح فتماروا في ذلك وكثر سفر المترددين بينهم حتى كثروا أهلها وأسملوا فيها غرة عيد الفطر من سنة ثمان وخمسين عند شغل الناس بعيدهم وثاروا بسلا وسبوا الحرم وانتهبوا الاموال وضبطوا البلد وامتنع يعقوب بن عبد الله برباط الفتح وطار الصريخ إلى السلطان أبى يوسف وكان بتازى مستشرفا لاحوال يغمراسن فنادى في قومه وطار بأجنحة الخيول ووصلها اليوم وليلة وتلاحقت به امداد المسلمين من أهل الديوان **والمطوعة** ونازلها أربع عشرة ليلة ثم اقتحمها عليهم عنوة وأثخن فيهم بالقتل ثم رم بالبناء ماكان متثلما بسورها الغربي حيث أمكنت منه الفرصة في البلد وتناول البناء فيه بيده والله لا يضيع عمل عامل وخشى يعقوب بن عبد الله بادرة السلطان فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض إلى بلاد تامسنا وأنفى فملكها وضبطها ولحق يعقوب ابن عبد الله بحصن علودان من حبال غمارة فامتنع به وسرح السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلى بن زيان لمنازلته وسار إلى لقاء يغمراسن لقاء

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢٩٣/٦

المهادنة فلقيه بجو حرمان وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب ورجع السلطان إلى المغرب فخرج عليه أبناء أخيه أولاد ادريس ولحقوا بقصر كتامة وتابعوا يعقوب ابن عمهم عبد الله على رأيه واجتمعوا إلى اكبيرهم محمد بن ادريس فبمن إليهم من العشير والصنائع فنهض." (١)

"إليهم واعتصموا بجبال غمارة ثم استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس سنة ستين على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من **المطوعة** من بنى مرين وأغزاهم إلى العدوة لجهاد العدو وحملهم وفرض لهم وشفع بها عمله في واقعة سلا وهو أول جيش أجاز من بنى مرين فكان لهم في الجهاد والمرابطة مقامات محمودة وكذر خالد تقبل سلفهم

فيها خلفهم من بعدهم حسبما نذكره وأقام يعقوب بن عبد الله خارجا بالنواحي مثقلا في الجهات إلى أن قتله طلحة بن على بساقية غبولة من ناحية سلا سنة ثمان وستين فكفى السلطان شأنه وكان المرتضى مذ توالت عليهم الوقائع واستمر الظهور لبنى مرين انحجر في جدرانه وتوارى بالاسوار عن عدوه فلم يسم إلى لقاء زحف ولاحدث نفسه بشهود حرب واستأنيد بنو مرين على الدولة وشرهوا إلى التهام وأسفوا إلى منازلة مراكش دار الخلافة كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم ﴿ الخبر عن منازلة السلطان أبى يوسف حضرة مراكش دار الخلافة وعنصر الدولة وما كان اثر ذلك من نزوع أبى دبوس إليه وكيف نصبه للامر وكان مهلك المرتضى على يده ثم انتقض عليه ﴾ لما فرغ السلطان من شأن الخوارج عليه من عشيره استجمع لمنازلة المرتضى والموحدين في دارهم ورأى أنه أوهن لدولتهم وأقوى لامره عليهم وبعث قومه واحتشد أهل ممالكه واستكمل تعبيته وسار حتى انتهى إلى ايكليز واعتزم على ذلك سنة ستين وشارف دار الخلافة ثم نزل بقعرها وأخذ بمخنقها وعقد المرتضى لحربهم للسيد أبى العلاء ادريس لمكنى بأبى دبوس ابن السيد أبى عبد الله ابن السيد أبى حفص بن عبد المؤمن فعبى كتائبه ورتب مصافه وبرز لمدافعتهم ظاهرا نصرة فكانت بينهم حروب بعد العهد بمثلها استشهد فيها الامير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق وكانوا يسمونه برطانتهم العجوب ففت مهلكه في عضدهم وارتحلوا عنها إلى أعمالهم د واعترضهم عساكر الموحدين بوادي أم الربيع وعليهم يحيى بن عبد الله بن وانودين فاقتتلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين وكان في مسيل الواد كدى تحسر عنها غمر الماء تبدو كأنها أرجل فسميت الواقعة بها أم الرجلين ثم سعى سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وقائد حربه السيد أبى دبوس بطلبه الامر لنفسه وشعر بالسعاية فخشى بادرة المرتضى ولحق بالسلطان أبى يوسف مدخله إلى فاس من منازلته آخر سنة احدى وستين

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١٧٨/٧

نازعا إليه فأقام عنده

مليا ثم سأل منه الاعانة على أمره بعسكر يمده وآلة يتخذها لملكه ومال يصرفه في ضروراته على أن يشركه في القسمة والفتح والسلطان فامده بخمسة آلاف من بنى مرين وبالكفاية من المال والمستجاد من الآلة وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل." (١)

"وانحجزوا في البلاد وقفل عنها إلى الجزيرة وقد امتلات أيديهم من الاموال وحقائبهم من السبى وركائبهم من الكراع والسلاح ورأى أهل الاندلس قد ثاروا بعام العقاب حتى جاءت بعدها الطاعة الكبرى على أهل الكفر واتصل الخبر بأمير المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه وخشى على ثغور بلاده من عادية يغمراسن في الفتنة فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد في وفد من بنى مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم موصله وموصل قومه وبادر إلى الاجابة والالفة وأوفد مشيخة بنى عبد الواد على السلطان لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الاسلام وعظم موقع هذا السلم من أمير المسلمين لما كان في نفسه من الصاغية إلى الجهاد وايثاره مبرورات الاعمال وبث الصدقات يشكر الله على ما منحه من التفرغ لذلك ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع ودعا المسلمين إلى الجهاد وخاطب في ذلك كافة أهل المغرب من زناتة

والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل البرابرة وأهل المغرب من المرتزقة والمطوعة وأهاب بهم وشرع في اجازة البحر فأجازه من فرضة طنجة لصفر من سنة أربع وسبعين واحتل بساحة طريف وكان لما استصرخه السلطان ابن الاحمر وأوفد عليه مشايخ الاندلس اشترط عليه النزول عن بعض الثغور بساحل الفرضة لاحتلال عساكره فتجافى له عن رندة وطريف ولما احتل بطنجة بادر إليه ابن هشام السائر بالجزيرة الخضراء وأجاز البحر إليه ولقيه بظاهر طنجة فأدى له طاعته وأمكنه من قياد بلده وكان الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة وأخوه أبو اسحق صهر السلطان ابن الاحمر تبعا له في أمره وموازرا له على شأنه كله وأبوهما أبو الحسن هو الذى تولى كبر الثورة على ابن هود ومداخلة أهل اشبيلية في الفتك بابن الباجى فلما استوت قدمه في ملكه وغلب الثوار على أمره فسد ما بينهما بعد أن كان ولى أبا محمد على مقاله وأبا اسحق على وادى آش فامتنع أبو محمد بن اشقيلولة بمالقة واستأثر بها ونفر بيتها دونه ومع ذلك فكانوا على الصاغية فئة ولحمة ولما أحس أبو محمد باجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١٧٩/٧

قدم إليه الوفد من أهل ما لقة ببيعتهم وصريخهم وانحاش إلى جانب السلطان وولايته وأمحضه المخالصة والنصيحة فلما احتل السلطان بناحية طريف ملات كتائبه ساحة الارض ما بينهما وبين الجزيرة وتسابق السلطان ابن الاحمر وهو الفقيه أبو محمد بن الشيخ أبى دبوس صاحب غرناطة والرئيس أبو محمد بن اشقيلولة صاحب ما لقة والغربية إلى لقاء السلطان وتنازعوا في برور مقدمه والاذعان له ففاوضهما في أمور الجهاد وأرجعهما لحينه إلى بلديهما وانصرف ابن الاحمر مغاضبا لبعض النزغات." (١)

"واحتل رباط الفتح منتصف شعبان فقضى به صومه ونسكه ثم ارتحل إلى قصر مصمودة وشرع في اجازة العساكر والحشود من المرتزقة **والمطوعة** خاتم سنته ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع بعدها واحتل بظاهرها ثم سار من الخضراء وأراح أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى إلى وادلك وسرح الخيول في بلاد العدو وبسائطها يحرق وينسف فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فنزل بساحتها وأناخ عليها وبث السرايا والغارات في جميع نواحيها وبعث عن المسالح التى كانت بالثغور فتوافت لديه ولحقه حافده عمر بن أبى مالك بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب فرسانا ورجالا ووافته حصة العزفى من سبتة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة وأوعز إلى ولى عهده الامير أبى يعقوب باستنفار من بقى من العدوة واعطاء الراية وسرحه لغزو اشبيلية لآخر صفر من سنته فغنموا ومروا بقرمونة في منصرفهم فاستباحوها وأثخنوا بالقتل والاسر ورجعوا وقد امتلات أيديهم من الغنائم وبعث وزيره محمد بن عطوا ومحمد بن عمران بن عبلة عيونا فوافوا حصن القناطر وروضه واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور فعقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان لثالثة من ربيع وأعطاه الراية وسرحه إلى بسائط وادلك فرجعوا من الغنائم بما ملا العساكر بعد أن أثخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا عمرانها ثم سرح ثامن ربيع عسكرا للاغارة على حصن أركش ووافوه على غرة فاكتسحوا أموالهم ثم عقد تاسع ربيع لابنه أبى معروف على ألف من الفرسان وسرحه لغزو اشبيلية فساروا حتى عليها وانحجرت منه حاميتها فخرب عمرانها وقطع شجرها وامتلات أيدى عسكره سبيا وأموالا ورجع إلى معسكر السلطان مملوء الحقائب ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع لغزو حصن كان بالقرب من معسكره وسرح الرجل من الناشبة والفعلة بالآلات وأمده بالرجل من المصامدة وغزاه سنته فاقتحموه عنوة على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية وأرغموا خده بالتراب ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان إلى حصن سقوط قريبا من معسكره فخربه وحرقه بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى أهله ولعشرين من شهره وصل ولى عهده

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١٩٢/٧

الامير أبو يعقوب من العدوة بنفير أهل المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب أمير المسلمين للقائهم وبرور مقدمهم واعترض العساكر الموافية يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف من برابرة المغرب متطوعون كلهم بالجهاد فعقد السلطان له على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجلين وألفين من الناشبة وسرحه." (١)

"لما بلغ الخبر إلى السلطان باستشهاد ابنه أخرج وزراءه إلى السواحل لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء واعترض الجنود وأزاح عللهم واستنفر أهل المغرب وارتحل إلى سبتة ليباشر أحوال الجهاد وتسامعت أمم النصرانية بذلك فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية أسطوله إلى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان أساطيل المسلمين من مراسي العدوة وبعث إلى الموحدين بتجهيز أسطولهم إليه فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية من صنائع دولتهم ووافى سبتة في ستة عشر من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وتوافت أساطيل المغربين بمرسى سبتة تناهز المائة وعقد السلطان عليها لمحمد بن على العزفي الذى كان صاحب سبتة يوم فتحها وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق وقد اكتمل عديدهم وعدتهم فاستلاموا وتظاهروا في السلاح وزحفوا إلى أسطول النصارى وتواقفوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها إلى بعض وقرنوها للمصاف فلم يمض الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم في أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم في اليم وقتلوا قائدهم الملند واستاقوا أساطيلهم مجنوبة إلى مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤسهم في جوانب البلد ونظمت أصفاد الاسرى بدار الانشاء وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشدت الشعراء بين يديه وكان يوما من أعز الايام والمنة لله * (الخبر عن واقعة طريف وتمحيص المسلمين) * لما ظفر المسلمون باسطول النصارى وخضدوا شوكتهم عن ممانعة الجواز شرع السلطان في اجازة العساكر الغزاة من المطوعة والمرتزقة وانتظمت الاساطيل سلسلة واحدة من العدوة إلى العدة ولما استكمل اجازة العساكر أجاز هو في أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين ونزل بساحة طريف وأناخ بعساكره عليها واضطرب معسكره بفنائها وبدأ بمنازلتها ووافاه سلطان الاندلس أبو الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بعسكر الاندلس من غزاة زناتة وحامية الثغور ورجل البدو فعسكروا حذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بهم أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات وجهز الطاغية اسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر وطال ثواؤهم بمكانهم من حصار البلد ففنيت أزودتهم وافتقدوا العلوفات فوهن الظفر

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢٠٧/٧

واختلت أحوال المعسكر واحتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس فجاء معه في قومه وزحف إليهم لستة أشهر من نزولهم ولما قرب معسكرهم سرب إلى طريف جيشا من النصارى أكمنه بها فدخلوه ليلا على حين غفلة من العسس الذى أرصد لهم." (١)

"الجهاد في الروم وأقام ثلاثة أيام وخلع على رؤساء الأحداث وحملهم ووصلهم ونزل حمص. ووصل إليه أبو الحسن عبد الواحد بن حيدرة في جند طرابلس **والمتطوعة** من عامتها وتوجه إلى الدوقس عظيم الروم النازل على حصن أفامية فصارت أهله قد اشتد بهم الحصار وبلغ منهم عدم الأقوات وانتهى أمرهم إلى أكل الجيف والكلاب وابتاع واحد واحدا بخمسة عشرين درهما. فنزل بإزاء الروم وبينه وبينهم النهر المعروف بالمقلوب والتقى الفريقان وتنازعا الحرب والمسلمون في عشرة ألف رجل ومعهم ألف فارس من بني كلاب فحمل الروم على القلب وفيه بدر العطار والديلم والسواد فكسروه ووضعوا السيف في من كان فيه وانهزمت الميسرة وفيها ميسور الصقلبي والي طرابلس ولحقتها الميمنة وفيها جيش بن محمد بن الصمصامة المقدم ووحيد الهلالي وركب الروم المسلمين وقتلوا منهم ألفي رجل واستولوا على سوادهم وسلاحهم وكراعهم ومال بنو كلاب على أكثر من ذلك فانتهبوه وثبت بشارة الأخشيدي في خمسمائة غلام وشاهد أهل أفامية من المسلمين ما نزل بالناس فأيقنوا بالهلاك والعطب وابتهلوا إلى الله الكريم اللطيف بعباده وسألوا الرحمة والنصر. وكان ملك الروم قد وقف على رايته بين يديه ولدان له وعشرة نفر من غلمانه ليشاهد ظفر عسكره وأخذه ما يأخذه من الغنائم فقصده كردي يعرف بأبي الحجر أحمد بن الضحاك السليل على فرس جواد وعليه كذا غند وخوذة وبيده اليمنى خشت وباليسرى العنان وخشت آخر فظنه الدوقس مستأمنا له ومستجيرا به فلم يحفل به ولا تحرز منه فلما دنا منه حمل عليه والدوقس متحصن بلأمته فرفع يده ليتقي ما يرميه به فرماه بالزوبين الذي في يمناه رمية أصابت خللا في الدرع فوصل إلى جسده وتمكن منه في أضلاعه فسقط إلى الأرض ميتا وصاح الناس إن عدو الله قد قتل فانهزمت الروم وتراجع المسلمون وعادت العرب ونزل من كان في الحصن فأعانوهم واستولى المسلمون على الروم فقتلوهم وأسروهم وكانت الوقعة في مرج أفيح يطيف به جبل يعرف بالمضيق لا يسلكه إلا رجل في أثر رجل ومن جانبه بحيرة أفامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة وتصرم النهار وقد احتز من رؤوس القتلى عشرة ألف راس وبات المسلمون مبيت المنصورين الغانمين المسرورين بما منحهم الله إياهم من الكفاية ووهب لهم من الظفر. ووافى العرب من غد بما نهبوه من دواب المسلمين عند الهزيمة ومنهم من رد ومنهم من باع بالثمن البخس لأن جيش

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢٦١/٧

بن الصمصامة المقدم نادى في معسكره بألا يبتاع أحمد من العرب الا ما عرفه وكان مأخوذا منه فلم يجد الا ما أخذه أصحابه. وحصل ولدا الدوقس في أسر بعض المسلمين فابتاعهما جيش بن الصمصامة المقدم منه بستة ألف دينار وأخذهما إليه وأقام على حصن أفامية أسبوعا وحمل إلى مصر عشرة ألف راس وألفي رجل من الأسرى إلى باب أنطاكية ونهب الرساتيق وأحرق القرى وانصرف منكفيا إلى دمشق. وقد عظمت هيبته فاستقبله أشرافها ورؤساؤها وأحداثها مهنئين وداعين له فتلقاهم بالشماسية وزادهم من الكرامة وخلع عليهم وعلى وجوه الأحداث وحملهم على الخيل والبغال ووهب لهم الجواري والغلمان وعسكر بظاهر البلد وخاطبوه في الدخول والجواز في الأسواق وقد كانوا زينوها اظهارا للسرور به والتقرب إليه فلم يفعل وقال: معي عسكر وإن دخلت دخلوا معي ولم أمن أن يمدوا أيديهم إلى ما يثقل به الوطأة منهم. والتمس أن يخلوا له قرية على باب دمشق تعرف ببيت لهيا ليكون نزوله بها فأجابوه إلى ذلكلجهاد في الروم وأقام ثلاثة أيام وخلع على رؤساء الأحداث وحملهم ووصلهم ونزل حمص. ووصل إليه أبو الحسن عبد الواحد بن حيدرة في جند طرابلس والمتطوعة من عامتها وتوجه إلى الدوقس عظيم الروم النازل على حصن أفامية فصارت أهله قد اشتد بهم الحصار وبلغ منهم عدم الأقوات وانتهى أمرهم إلى أكل الجيف والكلاب وابتاع واحد واحدا بخمسة عشرين درهما. فنزل بإزاء الروم وبينه وبينهم النهر المعروف بالمقلوب والتقى الفريقان وتنازعا الحرب والمسلمون في عشرة ألف رجل ومعهم ألف فارس من بني كلاب فحمل الروم على القلب وفيه بدر العطار والديلم والسواد فكسروه ووضعوا السيف في من كان فيه وانهزمت الميسرة وفيها ميسور الصقلبي والي طرابلس ولحقتها الميمنة وفيها جيش بن محمد بن الصمصامة المقدم ووحيد الهلالي وركب الروم المسلمين وقتلوا منهم ألفي رجل واستولوا على سوادهم وسلاحهم وكراعهم ومال بنو كلاب على أكثر من ذلك فانتهبوه وثبت بشارة الأخشيدي في خمسمائة غلام وشاهد أهل أفامية من المسلمين ما نزل بالناس فأيقنوا بالهلاك والعطب وابتهلوا إلى الله الكريم اللطيف بعباده وسألوا الرحمة والنصر. وكان ملك الروم قد وقف على رايته بين يديه ولدان له وعشرة نفر من غلمانه ليشاهد ظفر عسكره وأخذه ما يأخذه من الغنائم فقصده كردي يعرف بأبي الحجر أحمد بن الضحاك السليل على فرس جواد وعليه كذا غند وخوذة وبيده اليمنى خشت وباليسرى العنان وخشت آخر فظنه الدوقس مستأمنا له ومستجيرا به فلم يحفل به ولا تحرز منه فلما دنا منه حمل عليه والدوقس متحصن بلأمته فرفع يده ليتقي ما يرميه به فرماه بالزوبين الذي في يمناه رمية أصابت خللا في الدرع فوصل إلى جسده وتمكن منه في أضلاعه فسقط إلى الأرض ميتا وصاح الناس إن عدو الله قد قتل فانهزمت الروم وتراجع المسلمون وعادت العرب ونزل من كان في الحصن فأعانوهم

واستولى المسلمون على الروم فقتلوهم وأسروهم وكانت الوقعة في مرج أفيح يطيف به جبل يعرف بالمضيق لا يسلكه إلا رجل في أثر رجل ومن جانبه بحيرة أفامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة وتصرم النهار وقد احتز من رؤوس القتلى عشرة ألف راس وبات المسلمون مبيت المنصورين الغانمين المسرورين بما منحهم الله إياهم من الكفاية ووهب لهم من الظفر. ووافى العرب من غد بما نهبوه من دواب المسلمين عند الهزيمة ومنهم من رد ومنهم من باع بالثمن البخس لأن جيش بن الصمصامة المقدم نادى في معسكره بألا يبتاع أحمد من العرب الا ما عرفه وكان مأخوذا منه فلم يجد الا ما أخذه أصحابه. وحصل ولدا الدوقس في أسر بعض المسلمين فابتاعهما جيش بن الصمصامة المقدم منه بستة ألف دينار وأخذهما إليه وأقام على حصن أفامية أسبوعا وحمل إلى مصر عشرة ألف راس وألفي رجل من الأسرى إلى باب أنطاكية ونهب الرساتيق وأحرق القرى وانصرف منكفيا إلى دمشق. وقد عظمت هيبته فاستقبله أشرافها ورؤساؤها وأحداثها مهنئين وداعين له فتلقاهم بالشماسية وزادهم من الكرامة وخلع عليهم وعلى وجوه الأحداث وحملهم على الخيل والبغال ووهب لهم الجواري والغلمان وعسكر بظاهر البلد وخاطبوه في الدخول والجواز في الأسواق وقد كانوا زينوها اظهارا للسرور به والتقرب إليه فلم يفعل وقال: معي عسكر وإن دخلت دخلوا معي ولم أمن أن يمدوا أيديهم إلى ما يثقل به الوطأة منهم. والتمس أن يخلوا له قرية على باب دمشق تعرف ببيت لهيا ليكون نزوله بها فأجابوه إلى ذلك." (١)

"وفي شعبان منها وردت الأخبار بخروج الأفضل أمير الجيوش من مصر في عسكر كثير إلى ناحية الشام ونزل على بيت المقدس وفيه الأميران سكمان وايل غازي ابنا أرتق وجماعة من أقاربهما ورجالهما وخلق كثير من الأتراك فراسلهما يلتمس منهما تسليم بيت المقدس إليه من غير حرب ولا سفك دم فلم يجيباه إلى ذلك فقاتل البلد ونصب عليه المناجيق فهدمت ثلمة من سوره وملكه وتسلم محراب داود من سكمان ولما حصل فيه أحسن إليهما وأنعم عليهما وأطلقهما ومن معهما ووصلوا إلى دمشق في العشر الأول من شوال وعاد الأفضل في عسكره إلى مصر. وفيها توجه الافرنج إلى معرة النعمان بأسرهم ونزلوا عليها في التاسع والعشرين من ذي الحجة وقاتلوها ونصبوا عليها البرج والسلالم. وبعد افتتاح الافرنج بلد أنطاكية بتدبير الزراد وهو رجل أرمني اسمه نيروز في ليلة الجمعة مستهل رجب وتواصلت الأخبار بصحة ذلك تجمعت عساكر الشام في العدد الذي لا يدركه حصر ولا حزر وقصدوا عمل أنطاكية للايقاع بعساكر الافرنج فحصروهم حتى عدم القوت عندهم حتى أكلوا الميتة ثم زحفوا وهم في غاية من الضعف إلى عساكر

(١) تاريخ أبي يعلى، ص/٣٥

الاسلام وهم في الغاية من القوة والكثرة فكسروا المسلمين وفرقوا جموعهم وانهزم أصحاب الجرد السبق ووقع السيف في الرجال المتطوعين والمجاهدين والمغالبين في الرغبة في الجهاد وحماية المسلمين في ذلك يوم الثلاثاء السادس من رجب في السنة

سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة

في المحرم منها زحف الافرنج إلى سور معرة النعمان من الناحية الشرقية والشمالية وأسندوا البرج إلى سورها وهو أعلى منه فكشفوا المسلمين عن السور ولم يزل الحرب عليه إلى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من محرم وصعدوا السور وانكشف أهل البلد عنه وانهزموا بعد أن ترددت إليهم رسل الافرنج في التماس التقرير والتسليم واعطاء الأمان على نفوسهم وأموالهم ودخول الشحنة إليهم فمنع من ذلك الخلف بين أهلها وما قضاه الله تعالى وحكم به وملكوا البلد بعد صلاة المغرب وقتل فيه خلق كثير من الفريقين وانهزم الناس إلى دور المعرة للاحتماء بها فأمنهم الافرنج وغدروا بهم ورفعوا الصلبان فوق البلد وقطعوا على أهل البلد القطائع ولم يفوا بشيء مما قرروه ونهبوا ما وجدوه وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به ورحلوا يوم الخميس السابع عشر من صفر إلى كفرطاب. ثم قصدوا بعد ذلك ناحية بيت المقدس آخر رجب من السنة وأجفل الناس منهم من أماكنهم ونزلوا أولا على الرملة فملكوها عند إدراك الغلة وانتقلوا إلى بيت المقدس فقاتلوا أهله وضيقوا عليهم ونصبوا عليه البرج وأسندوا إلى السور. وانتهى إليهم خروج الأفضل من مصر في العساكر الدثرة لجهادهم والايقاع بهم وانجاد البلد عليهم وحمايته منهم فشدوا في قتاله ولازموا حربه إلى آخر نهار ذلك اليوم وانصرفوا عنه وواعدهم الزحف إليهم من الغد ونزل الناس عن السور وقت المغرب فعاود الافرنج الزحف إليه وطلعوا البرج وركبوا سور البلد فانهزم الناس عنه وهجموا على البلد فملكوه وانهزم بعض أهله إلى المحراب وقتل خلق كثير وجمع اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم وتسلموا المحراب بالأمان في الثاني والعشرين من شعبان من السنة وهدموا المشاهد وقبر الخليل عم. ووصل الأفضل في العساكر المصرية وقد فات الأمر فانضاف إليه عساكر الساحل ونزل بظاهر عسقلان في رابع عشر سهر رمضان منتظرا لوصول الاسطول في البحر والعرب فنهض عسكر الافرنج إليه وهجموا عليه في خلق عظيم فانهزم العسكر المصري إلى ناحية عسقلان ودخل الأفضل إليها وتمكنت سيوف الافرنج من المسلمين فأتى القتل على الراجل والمطوعة وأهل البلد وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس ونهب العسكر وتوجه الأفضل في خواصه إلى مصر وضايقوا عسقلان إلى أن قرروا عليها بعده الافرنج عشرين ألف دينار تحمل إليهم وشرعوا في جبايتها من أهل البلد فاتفق حدوث الخلف بين المقدمين فرحلوا ولم يقبضوا من المال شيئا وحكي أن الذين قتلوا في

هذه الوقعة من أهل عسقلان من شهودها وتنائها وتجارها وأحداثها سوى أجنادها ألفان وسبعمائة نفس سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة." (١)

"وفي هذه السنة وردت الأخبار بظهور قوم كافر نزل على من صادفوه في الأعمال ووصلوا إلى جيحون فأفسدوا تلك الأعمال وأعاثوا فيها واتصل الخبر بالسلطان المعظم أبي الحرث سنجر بن ملك شاه سلطان خراسان فانهض إليهم أميرا كبيرا من مقدمي عساكر خراسان في عدد دثر من الأتراك فظفر بهم وكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا عائدين خاسرين مفلولين وفي ثامن من ذي القعدة من السنة ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة إلى القبلة وأقام إلى آخر ذي الحجة ثم غاب. وفيها كاتب السلطان غياث الدنيا والدين الأمير سكمان القطبي صاحب أرمينية وميافارقين وشرف الدين مودود صاحب الموصل يأمرهما بالمسير في العساكر إلى جهاد الافرنج وحماية بلاد الموصل فجمعا واحتشدا ونهضا ونزلا بجزيرة بني نمير إلى أن تكامل وصول ولاة الأطراف إليهما وخلق كثير من **المتطوعة** ووصل إليهما أيضا الأمير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في خلق كثير من التركمان واجتمع المسلمون في عدد لا يقوم بلقائه جميع الافرنج. واتفقت الآراء على افتتاح الجهاد بقصد الرها ومضايقتها إلى أن يسهل الله افتتاحها بحكم حصانتها ومنعتها. فرحلوا بأسرهم ونزلوا عليها في العشر الثاني من شوال وأحاطوا بها من جهاتها كالنطاق ومنعوا الداخل والخارج بالمسير إليها وكان القوت بها قليلا فأشرف من بها على الهلاك وغلا بها السعر وطالت مدة الحصر لها والتضييق عليها. وحين عرف الافرنج صورة هذه الحال شرعوا في الجمع والاحتشاد والتأهب للذب عنها والاستعداد واتفقت الكلمة بينهم على هذه الحال واجتمع طنكري صاحب انطاكية وابن صنجيل صاحب طرابلس والملك بغدوين مقدمو ولاة الأعمال. من الافرنج وتعاهدوا وتعاقدوا على الثبات في الحرب والمصابرة واللباث، فلما استقرت الأحوال بينهم على البينة رحلوا بأسرهم إلى ناحية الرها. واتصلت الأخبار بظهير الدين أتابك وعرف صورة الحال فيما تقرر بينهم فسار من دمشق في العسكر وخيم على سلمية وعرف إن الافرنج قد قصدوا في طريقهم رفنية وفيها الأمير شمس الخواص واليها وإنهم لما نزلوا عليها ظهر إليهم في خيله وقتل منهم جماعة ووصل إلى المخيم بسلمية واجتمع إليه خلق كثير من الشام ووصل الخبر بحصول الافرنج على الفرات عازمين على قطعه قصد الرها فرحل أتابك في الحال وتوجه إلى ناحية الرقة وقلعة جعبر وقطع الفرات وتلوم هناك إلى أن عرف خبر الافرنج وإنهم قد أحجموا عن العبور لتفرق سرايا العساكر الاسلامية وطلائعهم في سائر الجهات والمسالك إلى الفرات ولما عرف المسلمون قرب الافرنج

---

(١) تاريخ أبي يعلى، ص/٨١

منهم اتفقت الآراء فيما بينهم على الافراج لهم ليتمكنوا من لقائهم في الفضاء من شرقي الفرات ورحلوا عن الرها في آخر ذي الحجة منها ونزلوا أرض حران على سبيل الخديعة والمكر وكانت حران قد حصلت للأمير مودود وسلمها إلى نجم الدين ايل غازي بن ارتق. وتوفق المسلمون عن لقاء الافرنج إلى أن يقربوا منهم ويصل إليهم عسكر دمشق وفطن الافرنج لهذا التدبير والاتفاق عليه فخافوا واستشعروا الهلاك والخذلان وأجفلوا ناكصين على الأعقاب إلى شاطئ الفرات وبلغ المسلمين خبرهم فنهضوا في أثرهم وأدركهم سرعات الخيل وقد قطع الفرات بعضهم من مقدميهم فغنم المسلمون سوادهم وأثقالهم وأتوا على العدد الدثر من أتباعهم قتلا وأسرا وتغريقا في الفرات وامتلأت الأيدي من الغنائم والأسلاب والسبي والدواب. ولم يتمكن المسلمون من قطع الفرات للحاق بهم بحكم اشتغالهم بأمر الرها والعود إليها وكانوا قد أخرجوا منها كل ضعيف الحال ورتبوا جماعة من الأرمن لحفظها وحملوا إليها ما صحب العسكر الواصل من الأقوات تقوية لها وخرج بغدوين الرويس صاحبها عنها وتوجه صحبة الافرنج المنهزمين. وأقام عسكر الاسلام على الفرات أياما نازلا بإزائهم ورحل طالبا للعود إلى منازلة الرها وعرف ظهير الدين أتابك خبر عودهم على تلك الصفة فعاد منكفيا إلى عمله لحمايته منهم بعد أن نفد شطرا وافرا من معسكره إلى النازلين على الرها لمعونتهم ووصل إلى دمشق وأقام من كان أنهضه من عسكره إلى الرها إلى أن خلت البلاد منها وأذن لهم في العود إلى أماكنهم بعد اكرامهم والاحسان إليهم." (١)

"وفي هذه السنة نقض الملك بغدوين صاحب بيت المقدس الهدنة المستقر بين أتابك وبينه وكتب إلى ابن صنجيل صاحب طرابلس يلتمس منه الوصول إليه في عسكره ليجتمع معه في طبرية وجمع وحشد ورحل إلى ناحية بيت المقدس لتقرير أمر كان في نفسه فحدث له في طريقه مرض أقام به أياما ثم ابل منه ولم يبق في عينه منهم أمر يحفل به من جهتهم. فنهض ظهير الدين أتابك عند معرفته قصده في عسكره ونزل في المنزل المعروف برأس الماء ثم رحل عنه إلى اللجاة ونهض الافرنج في أثره إلى الضمين ففرق أتابك العسكر عليهم من عدة جهات وبث في المعابر والمسالك خيلا يمنع من حمل المية إليهم وضايقهم مضايقة ألجأتهم إلى الدخول في حكم المسالمة والموادعة وترددت المراسلات في ذلك إلى أن استقرت الحال بينهما على أن يكون لبغدوين النصف من ارتفاع جبل عرف والسواد والجبانية مضافا إلى ما في يده ومن هذه الأعمال التي يليها في أيدي العرب من آل جراح وكوتب بينهما هذا الشرط ورحل كل منهما منكفئا إلى عمله في آخر ذي الحجة منها. وقد كان الأمر تقزر مع السلطان غياث الدنيا والدين على

---

(١) تاريخ أبي يعلى، ص/١٠٢

انهاض العساكر عقيب تلك الاستغاثة المقدم شرحها ببغداد والتقدم إلى الأمراء بالتأهب للمسير إلى الجهاد فتأهبوا لذلك وكان أول من نهض منهم إلى أعمال الافرنج الأمير الاسفهسلار شرف الدين مودود صاحب الموصل في عسكره إلى سنجتان فافتتح تل مراده وعدة حصون هناك بالسيف والأمان ووصل إليه الأمير أحمديل في عسكر كثيف الجمع وكذلك تلاه الأمير قطب الدين سكمان القطبي من بلاد أرمينية وديار بكر فاجتمعوا في أرض حران وكتب إليهم سلطان بن علي بن منقذ صاحب شيزر يعلمهم نزول طنكري صاحب أنطاكية أرض شيزر وشروعه في بناء تل ابن معشر في مقابلة شيزر وحمل الغلال إليه ويستصرخهم ويبعثهم على الوصول إلى جهته. فحين عرفوا ذاك رحلوا إلى الشام وقطعوا الفرات في النصف من المحرم سنة ٥٠٥ ونزلوا على تل باشر في التاسع عشر من المحرم وأقاموا عليه منتظرين وصول الأمير برسق بن برسق صاحب همذان وكان قد أمر من السلطان بالتقدم عليهم فوصل إليهم في بعض عسكره وبه مرض من علة النقرس وسكمان القطبي أيضا مريض والآراء بينما مختلفة وقاتل **المطوعة** والسوقة هذا الحصن ونقبوه فأنفذ جوسلين صاحب تل باشر إلى الأمير أحمديل الكردي يلاطفه بمال وهدية ويبذل له الكون معه والميل إليه وكان أكثر العسكر مع أحمديل وسأله الرحيل عن الحصن وينزل إليه فأجابه إلى ذلك على كراهية من باقي الأمراء واشتد مرض سكمان القطبي وعزم أحمديل على العود طمعا منه في أن السلطان يقطعه بلاد سكمان وكان قد عقد بينهما وصلة وصهر فعادوا عن تل باشر إلى حلب ونزلوا عليها وعاثوا في أعمالها وفعلوا أقبح من فعل الافرنج في الفساد وتوقعوا خروج الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب إليهم أو خدمه ينفذها لهم فلم يلتفت إلى أحد منهم وأغلق أبواب حلب وأخذ رهاين أهلها إلى القلعة ورتب الجند وأحداث الباطنية والطائعين لحفظ الأسوار ومنع الحلبيين من الصعود إلى السور وأطلق الحرامية في أخذ من يظفرون به من أطراف العسكر. وقد كان ظهير الدين أتابك عند اجتماع هؤلاء الأمراء وعبورهم الفرات قد كاتبوه بالوصول إليهم ورد التدبير فيما يعتمدون عليه إليه ووصل إليه كتاب السلطان بمثل هذه الحال فاقتضت الصورة وصائب الرأي أن ينهض في العسكر نحوهم للاعتضاد على الجهاد وتقوية النفوس على حماية هذه البلاد من أهل الشرك والالحاد وجمع من أمكنه من رجال حمص وحماة ورفنية وسائر المعاقل الشامية وسار إليهم ووصلهم على ظاهر حلب فتلقوه بالاكرام والمزيد في الاحترام وقويت بوصوله النفوس واشتدت الظهور وسروا بحصوله عندهم سرورا أظهر منهم وشاع عنهم فل ير منهم عزيمة صادقة في جهاد ولا حماية بلاد." (١)

---

(١) تاريخ أبي يعلى، ص/١٠٦

"في هذه السنة وردت الأخبار من مصر بتقدم الآمر بأحكام الله بالقبض على المأمون أبي عبد الله وأخيه المؤتمن ابني البطائحي غلامي الأفضل اللذين كانا عاملا على قتله وأعانا على إتلافه واعتقالهما في شعبان والاستيلاء على أموالهما وذخائرهما للأسباب التي نقم بها عليهما والمنكرات التي اتصلت به عنهما وفيا اتصلت الأخبار من ناحية بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بالاحتشاد والتأهب والاستعداد لقصد ناحية حوران من عمل دمشق للعيث فيها والافساد وشرع في شن الغارات على الجهات القريبة من دمشق والمضايقة لها وقطع الطرقات على الواردين إليها. فعند المعرفة بذاك والتحقق له شرع ظهير الدين أتابك في الاستعداد للقائه والاجتماع على جهاده وكاتب أمراء التركمان ومقدميهم وأعيانهم باعلامهم صورة الحال ويستنجد بهم عليهم ويبذل لهم الاحسان والانعام وبرز في عسكره وقد ورد عليه خبر قربهم من طبرية قاصدين أعمال البلد من مرج الصفر وشرخوب وخيم به وكاتب ولاة الأطراف بامداده بالرجالة واتفق وصول التركمان في ألفي فارس أولى بأس شديد ورغبة في الجهاد ومسابقة إلى الكفاح والجلاد فاجتمع إليه خلق كثير. وكان الافرنج حين عرفوا نزول أتابك والعسكر بمرج الصفر رحلوا إليه وخيموا بازائه ووقعت العين على العين وتطاردت طلائع الفريقين. فلما كان يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي الحجة من السنة اجتمع للقضاء المقضي والحكم النافذ من أحداث دمشق والشباب الأغرار ورجال الغوطة والمرج والأطراف وأحداث الباطنية المعروفين بالشهامة والبسالة من حمص وغيرها والعقبة وقصر حجاج والشاغور خلق كثير رجالة وخيالة بالسلاح التام والناهض مع **المتطوعة** المتدينين وشرعوا بالمصير للحاق المصاف قبل اللقاء وقد شاع الخبر بقوة عسكر الاسلام وكثرته واستظهاره على حزب الافرنج وشدة شوكته ولم يشك أحد في هلاك الافرنج في هذا اليوم وبوارهم وكونهم طعمة للمسلمين متسهلة واتفق أن فرقة وافرة من عسكر التركمان غارت على أطراف الافرنج ونالت منهم واستظهرت عليهم وخاف الافرنج وعلموا أنه لا طاقة لهم بهذا الجمع وأيقنوا بالهلكة ورحلوا بأسرهم من منزلهم الذي كانوا فيه عائدين إلى أعمالهم على غاية من الخوف والوجل ونهاية من الذل والوهل. ونشب فرقة من التركمان في فريق منهم وهم راحلون فغنمت من أثقالهم ودوابهم غنيمة وافرة وظفرت بالكنيسة المشهورة التي لهم في مخيمهم. وطمع العسكر عند ذاك فيهم وحملوا عليهم وهم مولون لا يلوون على تابع ولا يقفون على مقصر لاحق وقد شملهم الرعب وضايقوهم مضايقة ألجأتهم إلى رمي نفوسهم عليهم أما لهم وأما عليهم فتجمعوا وعادوا على العسكر الاسلامي وحملوا عليه حملتهم المعروفة فكسروهم وهزموهم وقتلوا من أعقابهم من شطبه الوجل وخانه الأجل. وتم العسكر في الهزيمة على حاله وعادوا على جميع الرجالة وهم العدد الكثير والجم الغفير وأطلقوا السيف فيهم حتى أتوا

عليهم وتتبعوا المنهزمين بالقتل حتى وصلوا إلى عقبة سحورا وقربوا من البلد من شرخوب مع بعد المدى والمسافة وصبر خيولهم ووصل ظهير الدين أتابك والعسكر إلى دمشق آخر نهار هذا اليوم وبنوا الأمر بينهم على مباكرتهم في غد للإيقاع بهم فصادفوهم قد رحلوا عائدين إلى عملهم خوفا مما عز عليه من قصدهم وتتبعهم والله يحكم ما يشاء

سنة عشرين وخمسمائة." (١)

"وأولها يوم الجمعة الحادي وعشرين من أيار والشمس في الجوزاء. وفي أوائلها تواترت الأخبار من سائر الجهات بوصول مراكب الافرنج المقدم ذكرهم إلى ساحل البحر وحصولهم على سواحل الثغور الساحلية صور وعكا واجماعهم مع من كان بها من الافرنج ويقال إنهم بعد ما فني منهم بالقتل والمرض والجوع تقدير مائة ألف عنان وقصدوا بيت المقدس وقضوا مفروض حجهم وعاد بعد ذلك من عاد إلى بلادهم في البحر. وقد هلك منهم بالموت والمرض الخلق العظيم وهلك من ملوكهم من هلك وبقي المان أكبر ملوكهم ومن هو دونه واختلفت الآراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الاسلامية والأعمال الشامية إلى أن استقرت الحال بينهم على منازلة مدينة دمشق وحدثتهم نفوسهم الخبيثة بملكتها وتبايعوا ضياعها وجهاتها. وتواصلت الأخبار بذلك وشرع متولي أمرها الأمير معين الدين أنر في التأهب والاستعداد لحربهم ورفع شرهم وتحصين ما يخشى من الجهات وترتيب الرجال في المسالك والمنافذ وقطع مجاري الميرة إلى منازلهم وطم الآبار وعفى المناهل وصرفوا أعنتهم إلى ناحية دمشق في حشدهم وحدهم وحديدهم في الخلق الكثير على ما يقال تقدير الخمسين ألف من الخيل والرجل ومعهم من السواد والجمال والأبقار ما كثروا به العدد الكثير ودنوا من البلد وقصدوا المنزل المعروف بمنازل العساكر فصادفوا الماء معدوما فيه مقطوعا عنه فقصدوا ناحية المزة فخيموا عليها لقربها من الماء وزحفوا إليه بخيلهم ورجلهم. ووقف المسلمون بإزائهم في يوم السبت السادس من شهر ربيع الأول سنة ٤٣ ونشبت الحرب بين الفريقين واجتمع عليهم من الأجناد والأتراك القتال وأحداث البلد **والمطوعة** والغزاة الجم الغفير واشتجر القتل بينهم واستظهر الكفار على المسلمين بكثرة الأعداد والعدد وغلبوا على الماء وانتشروا في البساتين وخيموا فيها وقربوا من البلد وحصلوا منه بمكان لم يتمكن أحد من العساكر قديما ولا حديثا منه. واستشهد في هذا اليوم الفقيه الامام يوسف الفندلاوي المالكي رحمه الله قريب الربوة على الماء لوقوفه في وجوههم وترك الرجوع عنهم اتباعا لأوامر الله تعالى في كتابه الكريم وكذلك عبد الرحمن الحلحولي الزاهد رحمه الله جرى أمره هذا المجرى وشرعوا في

---

(١) تاريخ أبي يعلى، ص/١٣٠

قطع الأشجار والتحصين بها وهدم القناطر وباتوا تلك الليلة على هذه الحال وقد لحق الناس من الارتياع لهول ما شاهدوه والروع بما عاينوه ما ضعفت به القلوب وحرجت معه الصدور وباكروا الظهور إليهم في غد ذلك اليوم وهو يوم الأحد تاليه وزحفوا إليهم ووقع الطراد بينهم واستظهر المسلمون عليهم وأكثروا القتل والجراح فيهم. وأبلى الأمير معين الدين في حربهم بلاء حسنا وظهر من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهد في غيره بحيث لا يني في ذيادتهم ولا يفتئ عن جهادهم ولم تزل رحى الحرب دائرة بينهم وخيل الكفار محجمة عن الحملة المعروفة لهم إلى أن تتهيأ الفرصة لهم إلى أن مالت الشمس إلى الغروب وأقبل الليل وطلبت النفوس الراحة وعاد كل منهم إلى مكانه وبات الجند بإزائهم وأهل البلد على أسوارهم للحرس والاحتياط وهم يشاهدون أعداءهم بالقرب منهم وكانت المكاتبات قد نفذت إلى ولاة الأطراف بالاستصراخ والاستنجاد وحصلت خيل التركمان تتواصل ورجالة الأطراف تتتابع وباكرهم المسلمون وقد قويت نفوسهم وزال روعهم وثبتوا بإزائهم وأطلقوا فيهم السهام ونبل الجرح بحيث تتبع في مخيمهم في راجل أو فارس أو فرس أو جمل." (١)

"ووصل نور الدين إلى البلد المحروس في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر ربيع الأول لتقرير الأمر في إخراج آلات الحرب وتجهيزها إلى العسكر بحيث يقيم أياما يسيرة ويتوجه في الحال إلى ناحية العساكر المجتمعة من التركمان والعرب للجهاد في الكفرة الأضداد والله يسهل أسباب الادالة منهم ويعجل البوار والهلاك لهم إن شاء الله تعالى. وفي وقت وصوله شرع في انجاز ما وصل لأجله وأمر بتجهيز ما يحتاج إليه من المناجيق والسلاح إلى العسكر المنصور بالنداء في البلد المحروس في الغزاة والمجاهدين والأحداث **المتطوعة** من فتيان البلد والغرباء بالتأهب والاستعداد لمجاهدة الافرنج أولي الشرك والالحاد وبادر بالمسير في الحال إلى عسكره المنصور مغذا غير متلوم ولا متربث في يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الأول وتبعه بين الأحداث **والمتطوعة** والفقهاء والصوفية والمتدينين العدد الكثير الدثر المباهي في الوفور والكثرة فالله تعالى يقرن آراءه وعزماته بالنصر المشرق المنار والظفر باخراب المردة الكفار ويعجل لهم أسباب الهلاك والبوار بحيث لا تبقى لهم باقية ولا يرى لهم رائحة ولا غادية وما ذلك على الله تعالى القادر القاهر بعزيز ولما كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الآخر تالي اليوم المقدم ذكره عقيب نزول الملك العادل نور الدين على بانياس في عسكره المنصور ومضايقته لها بالمنجنيقات والحرب سقط الطائر من العسكر المنصور بظاهر بانياس يتضمن كتابه الاعلان بورود المبشر من معسكر أسد الدين بناحية هونين

---

(١) تاريخ أبي يعلى، ص/١٨٠

في التركمان والعرب بأن الافرنج خذلهم الله أنهضوا سرية من أعيان مقدميهم وأبطالهم تزيد على مائة فارس سوى أتباعهم لكبس المذكورين ظنا منهم إنهم في قل ولم يعلموا إنهم في ألوف فلما دنوا منهم وثبوا إليهم كالليوث إلى فرائسها فأطبقوا عليهم بالقتل والأسر والسلب ولم يفلت منهم إلا اليسير ووصلت الأسرى ورؤوس القتلى وعددهم من الخيول المنتخبة والطوارق والقناريات إلى البلد في اليوم الاثنين تالي اليوم المذكور وطيف بهم فيه فسرت القلوب بمشاهدتهم وأكثروا الشكر لله على هذه النعمة المسهلة بعد الأولى المتكملة والله المأمول لتعجيل هلاكهم وبوارهم وما ذلك على الله بعزيز. وتتلو هذه الموهبة المجددة سقوط الطائر من المعسكر المحروس ببانياس في يوم الثلاثاء يتلو المذكور بذكر افتتاح مدينة بانياس السيف قهرا على مضي أربع ساعات من يوم الثلاثاء المذكور عند تناهي النقب واطلاق النار فيه وسقوط البرج المنقوب وهجوم الرجال فيه وبذل السيف في قتل من فيه ونهب ما حواه وانهزام من سلم إلى القلعة وانحصارهم بها وإن أخذهم بمنية الله تعالى لا يبطئ والله يسهله ويعجله واتفق بعد ذلك للأقضية المقدرة إن الافرنج تجمعوا من معاقلهم عازمين على استنقاذ الهنفري صاحب بانياس ومن معه من أصحابه الافرنج المحصورين بقلعة بانياس وقد أشرفوا على الهلاك وبالغوا في السؤال للأمان للمولى نور الدين ويسلمون ما في أيديهم من القلعة وما حوته لينجوا سالمين فلم يجبهم إلى ما سألوه ورغبوا فيه. فلما وصل ملك الافرنج في جمعه من الفارس والراجل من ناحية الجبل على حين غفلة من العسكرين النازلين على بانياس لحصارها والنازل على الطريق لمنع الواصل إليها واقتضت السياسة الاندفاع عنها بحيث وصلوا إليها واستحصلوا من كان فيها فحين شاهدوا ما عم بانياس من خراب سورها ومنازل سكانها يئسوا من عمارتها بعد خرابها وذلك في أيام من العشر الأخير من شهر ربيع الآخر." (١)

" جعفر ، ومضى إلى الرقة تحرزا من أتباع الأمويين مع شدة حبه لبغداد ، فقال شاعر : (ما انحنا حتى ارتحلنا فما نفرق ** بين المناخ والارتحال) (ساءلونا عن حالنا إذا قدمنا ** فقرنا وداعهم بالسؤال) وفيها : مات محمد بن الحسن الشبياني صاحب أبي حنيفة أبوه من حرستا من الغوطة ، ولمحمد عدة كتب كالجامع الكبير والجامع الصغير وغيرهما . قلت : طلب الشافعي منه كتبا فتأخرت عنه ، فكتب إليه : (قل للذي لم ترعين ** من رآه مثله) (ومن كان من رآه ** قد رأى من قبله) (العلم ينهى أهله ** أن يمنعوه أهله) (لعله يبذله ** لأهله لعله) فأنفذ الكتب إليه ، كذا قال الشيخ أبو إسحاق في الطبقات ، والله أعلم . ثم دخلت سنة تسعين ومائة : فيها سار الرشيد في مائة ألف وخمسة

---

(١) تاريخ أبي يعلى، ص/٢٠٤

وثلاثين ألفا سوى المتطوعة والأتباع ، وحاصر هرقلة ثلاثين يوما وفتحها في شوال وسبى أهلها ، وبث العساكر في الروم ففتحوا الصفصاف وملقونية وخربوا ونهبوا فبعث تقفور بالجزية عن رعيته وعن رأسه ورأس ولده وبطارقته . وفيها : نقض أهل قبرس العهد ، فغزاهم معتوق بني يحيى عامل سواحل مصر والشام فسباهم . وفيها : أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون وكان مجوسيا ، وتوفي أسيد بن عمرو بن عامر الكوفي صاحب أبي حنيفة ويحيى بن خالد بن برمك محبوسا بالرقة في المحرم ، وعمره سبعون . ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة وسنة اثنتين وتسعين ومائة : فيها سار الرشيد إلى خراسان من الرقة فنزل بغداد ، ورحل عنها إلى النهروان لخمس خلون من شعبان واستخلف على بغداد ابنه الأمين . ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة : فيها مات الفضل بن يحيى في حبس الرقة في المحرم ، وعمره خمس وأربعون ، وكان من محاسن الدنيا . وفيها : مات الرشيد لثلاث خلون من جمادى الآخرة ، كان من بدو سفره مريضا فاشتد مرضه بجرحان وسار إلى طوس فمات بها ، وأنزل في قبره قوما ختموا فيه القرآن وهو في محفة على شفير القبر ويقول : وإسوأتا من رسول الله [ ] وغشي عليه ، ثم أفاق فقال للفضل بن الربيع يا فضل : (أحين دنا ما كنت أخشى دنوه ** رمتني عيون الناس من كل جانب)

". (١)

"أيام محمد المنتصر وبويع محمد المنتصر بن جعفر المتوكل وأمه أم ولد يقال لها حبشية رومية في الليلة التي قتل فيها أبوه وهي ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة ٢٤٧، وكانت الشمس يومئذ في العقرب خمس عشرة درجة واثنتين وخمسين دقيقة، والقمر في الميزان ستا وعشرين درجة وأربع دقائق، وزحل في السنبلة إحدى وعشرين درجة وعشرين دقيقة، والمشتري في الثور درجتين وخمسا وثلاثين دقيقة، والمريخ في القوس خمسا وعشرين درجة ودقيقتين، والزهرة في العقرب درجتين وخمسا وعشرين دقيقة، وعطارد في العقرب ثلاث درجات واثنتين وعشرين دقيقة، وأحضر أخويه أبا عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد فأخذ عليهما البيعة وعلى جميع من حضر من الناس، وركب إلى دار العامة، وأعطى الجند رزق عشرة أشهر، وانصرف من الجعفري إلى سر من رأى، وأمر بتخريب تلك القصور، فنقل الناس عنها، وعطل تلك المدينة، فصارت خرابا، ورجع الناس إلى منازلهم بسر من رأى، وخلع أخويه المعتز والمؤيد وأشهد عليهما بخلعهما أنفسهما، ونقل أحمد بن محمد بن المدبر عن الشامات إلى مصر، وفرقت أعمال الشامات على جماعة.

(١) تاريخ ابن الوردي، ٢٠٠/١

وكان الغالب عليه أوتامش وأحمد بن الخصيب، وكانت خلافته ستة أشهر، وتوفي يوم السبت لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٨، وكانت سنة خمسا وعشرين سنة وستة أشهر.

؟أيام أحمد المستعين

وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه المنتصر وهو يوم السبت لأربع خلون من شهر ربيع الآخر، وكانت الشمس يومئذ في الجوزاء خمس عشرة درجة وإحدى عشرة دقيقة، وزحل في السنبلة ست عشرة درجة وسبع دقائق، والمشتري في الجوزاء خمس عشرة درجة، والمريخ في الجوزاء ثلاث درجات وسبعا وعشرين دقيقة، والزهرة في السرطان أربع عشرة درجة واثنتين وعشرين دقيقة، وعطارد في السرطان أربع درجات واثنتين وعشرين دقيقة ولم يكن يؤهل للخلافة ولكنه لما توفي المنتصر استوحش الأتراك من ولد المتوكل وخشوا سوء العاقبة، فأشار عليهم أحمد بن الخصيب أن يبايعوا أحمد بن محمد بن المعتصم فبايعوه وأنكر بعض القواد البيعة وجرى بين الأتراك والأبناء منازعات حتى تحاربوا ثلاثة أيام، ثم ضعف أمر الأبناء، وفرق المستعين في الناس أموالا كثيرة، واستقامت أموره، وغلب على أمره أوتامش التركي وشجاع بن القاسم كاتب أوتامش وأحمد بن الخصيب حتى لم يبق لأحد معهم أمر، ثم تحامل الأتراك على أحمد بن الخصيب فسخط المستعين عليه، ونفاه إلى المغرب بعد أربعة أشهر من ولايته فحمل في البحر إلى أقريطش ثم حمل إلى القيروان.

ولم يكن أصحاب المستعين لأحد أخوف منهم لصاحب خراسان وتوفي طاهر بن عبد الله بن طاهر في رجب سنة ٢٤٨، وهو ابن أربع وأربعين سنة فأفرخ روعهم، ودبروا أن يخرجوا محمد بن عبد الله من العراق إلى خراسان فقال له المستعين أن ينفذ إلى خراسان فقال: إن أخي قد أوصى إلى ابنه ولا آمن أن يكون في خروجي فساد البلد. فكتب المستعين إلى محمد بن طاهر بن عبد الله ابن طاهر بولاية خراسان مكان أبيه وخرج أبو العمود الشاري بديار ربيعة في هذه السنة، فوجه إليه المستعين بلكاجور الفرغاني، فواقعه، فقتله، وفرق جمعه. ولما توفي طاهر وولى محمد ابنه، وكان يوم ولي حدث السن، تحرك قوم بخراسان من الشراة وغيرهم، وكثر الشراة حتى كادوا أن يغلبوا على سجستان فقام يعقوب بن الليث، ويعرف بالصفار من أهل البأس والنجدة فسأل محمد بن طاهر أن يأذن له في الخروج إلى الشراة وجمع المطوعة، فأذن له في ذلك، فسار إلى سجستان فنفى من بها من الشراة ثم زحف إلى كرمان ففعل كذلك حتى نقى البلاد منهم، فعظم شأنه، فكتب المستعين إلى محمد أن يوليه كرمان فأقام بها وأحسن أثره في البلاد.

ووثب بالأردن رجل من لخم، فطلبه صاحب الأردن فصار إلى ناتليق وهرب، فقام مكانه رجل من عماله

يعرف بالقطامي وكثف جمعه، فجبى الخراج وكسر جيشا بعد جيش أنفذهم إليه صاحب فلسطين فلم تزل هذه حاله حتى قدم مزاحم بن خاقان التركي في جمع من الأتراك وغيرهم ففرق جمعهم، ونفاهم عن البلاد.." (١)

"لما أخرج أهل بغداد علي بن هشام من بغداد واتصل الخبر بالحسن بن سهل وكان بالمدائن انهزم حتى صار إلى واسط فتبعه محمد بن أبي خالد مخالفا له وقد تولى القيام بأمر الناس وولي سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربي ونصر بن حمزة بن مالك الجانب الشرقي وكانفه ببغداد منصور بن المهدي وخزيمة ابن خازم والفضل بن الربيع وقد كان الفضل بن الربيع مختفيا قبل قتل المخلوع فلما رأى محمد بن أبي خالد قد بلغ واسطا بعث إليه يطلب منه الأمان فأعطاه إياه وظهر وقدم على محمد ابن أبي خالد للقتال وتقدم هو وابنه عيسى مع أصحابهما حتى صاروا على ميلين من واسط فوجه إليهم الحسن أصحابه وقواده فاقتتلوا قتالا شديدا عند أبيات واسط فلما كان بعد العصر هبت ريح شديدة وغبرة حتى اختلط القوم بعضهم ببعض فكانت الهزيمة على أصحاب محمد بن أبي خالد فأصابته جراحات شديدة في جسده فانهزم هو وأصحابه هزيمة شديدة قبيحة فقتل أصحاب الحسن منهم وسلبوا حتى بلغوا فم الصلح وقلعت الريح ما كان معهم من سفن فيها متاع وسلاح حتى أدخلتها واسطا فأخذها أصحاب الحسن وتبعوه ولم يزل يقاتلهم في كل منزل بالنهار ثم يرتحل بالليل حتى بلغ جرجرايا فاشتدت به الجراحات فأمر قواده أن يقيموا في عسكره وحمله ابنه المعروف بأبي زنبيل حتى أدخله بغداد ومات محمد من ليلته ودفن في داره سرا وكان زهير ابن المسيب محبوسا عند جعفر بن محمد بن أبي خالد فلما قدم أبو زنبيل مضى إلى خزيمة بن خازم فأعلمه خبر أبيه وأوصل إليه كتابا عن أخيه عيسى فبعث خزيمة إلى بني هاشم والقواد فأعلمهم الخبر وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمد بن أبي خالد إليه وأنه يكفيهم الحرب فرضوا به وصار عيسى مكان أبيه، وانصرف أبو زنبيل من عند خزيمة حتى أتى زهير بن المسيب فأخرجه من محبسه وضرب عنقه ونصب رأسه على رمح وأخذوا جسده فشدوا في رجله حبلا وطافوا به على دوره أهل بيته ثم أداروا به في الكرخ وردوه إلى باب الشام ولما جن عليه الليل رموه في دجلة ورجع أبو زنبيل إلى أخيه عيسى فوجهه عيسى إلى فم الصراة، وبلغ الحسن بن سهل موت محمد بن أبي خالد فخرج من واسط ووجه حميد بن عبد الحميد الطوسي وسعيد بن الساجور وغيره من القواد فتلقوا أبا زنبيل بفم الصراة فهزموه فانحاز إلى أخيه هارون بالنيل ثم رجعوا إلى هارون فقاتلوه وهزموه مع أخيه أبي زنبيل فخرجا هاربين إلى المدائن وبلغ الخبر

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ص/٣١٣

بني هاشم وقواد بغداد فجدوا في الخلاف على الحسن بن سهل وقالوا لا نرضى بالمجوسي بن المجوسي ابن سهل حتى تطردوه ونرجع إلى خراسان ونخلع المأمون وتراوضوا أياما ثم أرادوا منصور بن المهدي على أن يعقدوا له الخلافة فأبى عليهم فما زالوا به حتى صيروه أميرا وخليفة للمأمون بالعراق، وقوى أمر عيسى بمن ذكرنا وكثر جنده، فأمر بإحصائهم وكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا بين فارس وراجل فأعطى الفارس اربعين درهما والراجل عشرين درهما. وفي هذه السنة تجردت **المطوعة** للنكير على الفساق ببغداد ورئيسهم خالد الدريوش وسهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان.

ذكر السبب الذي فعلت **المطوعة** ذلك له." (١)

"وفي هذه السنة كانت بين بغا الكبير وبابك وقعة بناحية هشتادسر ثم خرج وأخرج المحامل على البغال لمن لعله يخرج وأخرج المتطببين وزحف الناس حتى صعد إلى المكان الذي كان يجلس فيه وخرج له القطع ووضع عليه الكرسي كما كان يفعل وقال لأبي دلف قل لأصحابك أي ناحية هي أسهل عليكم فاقتصروا عليها وقال لجعفر العسكر كله بين يديك والناشبة والنفاطون أمامك فخذ حاجتك واعزم على بركة الله ادن من أي موضع شئت قال أريد أن أقصد الوضع الذي كنت عليه قال امض ثم دعا أبا سعيد فقال له قف بين يدي أنت وجميع أصحابك ولا يبرحن منكم أحد ودعا أحمد بن الخليل فقال له قف أنت أيضا وجميع أصحابك ها هنا ودعوا جعفرا يغير ومن معه من الرجال فإن أراد رجالا أو فرسانا أمددناه فتوجه أبو دلف مع **المطوعة** نحو حائط البذ وعلقوا بالحائط على حسب ما كانوا فعلوا ذلك اليوم وحمل جعفر حملة حتى ضرب باب البذ كما فعل تلك الدفعة ووقف على الباب وواقفه الخرمية ساعة فوجه الأفشين برجل معه بدرة دنانير وقال له قل لأصحاب جعفر من تقدم حثوت له ملء كفي ودفع بدرة أخرى دنانير إلى آخر وقال اذهب إلى موضع **المطوعة** وقل مثل ذلك وبعث بأطواق وأسورة مع البدرتين فاشتبكت الحرب ثم فتح الخرمية الباب وخرجوا إلى أصحاب جعفر فنحوهم عن الباب وشدوا على **المطوعة** من الناحية الأخرى فرموهم عن السور وأخذوا علمين لهم وشدخوهم بالصخر حتى أثروا فيهم حتى رقوا عن الحرب وصاح جعفر بأصحابه فبدر منهم نحو من مائة رجل فبركوا خلف تراسهم التي كانت معهم وواقفوهم متحاجزين لا هؤلاء يقدمون ولا هؤلاء يتأخرون حتى صلوا الظهر يختلف بينهم النشاب والحجارة فلما نظر الأفشين إلى ذلك كره أن يطمع العدو في الناس فوجه إلى جعفر بكردوس فقال جعفر لست أوتي من قلة الرجال معي رجال فرة ولكن لست أرى موضعا للحرب وقد انقطعت الحرب فبعث إليه انصرف على بركة

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ص/١٠

الله فانصرف جعفر وتقدم الأفشين بحمل الجرحى ومن به وهن من الحجارة في المحامل التي على البغال وأمر الناس بالانصراف فانصرف إلى خندقهم بروذ الروذ ويئس الناس من الفتح في تلك السنة وانصرف أكثر **المطوعة**، ثم إن الأفشين تجهز بعد جمعتين فلما كان في الليل بعث الرجالة الناشبة وهم مقدار ألف رجل فدفع إلى واحد منهم شكوة وكعكا ودفع إليهم أعلاما سودا وقال سيروا حتى تصيروا خلف التل الذي عليه آذين وهو صاحب جيش بابك وأرسل معهم الادلاء وأمرهم ألا يعلم بهم أحد حتى يروا أعلام الأفشين عند صلاة الغداة فحينئذ ركبوا الأعلام في الرماح واضربوا بالطبول وانحدروا من فوق الجبل وارموا بالنشاب والصخر على الخرمية وإن هم لم يروا الأعلام لم يتحركوا حتى يأتيهم خبره ففعلوا ذلك ووافوا رأس الجبل عند السحر وجعلوا في تلك الشكاء الماء من الوادي فلما كان السحر توجه الأفشين إلى القواد أن اركبوا في السلاح فركبوا وأخرج النفاطين والشمع وضرب الطبل حتى وافى الموضع الذي كان يقف عليه وبسط له النطع ووضع الكرسي كعادته وكان بخاراخذاه يقف على العقبة التي كان يقف عليها في كل يوم فلما كان في ذلك اليوم صير بخاراخذاه في المقدمة مع أبي سعيد وجعفر الخياط وأحمد بن الخليل فأنكر الناس هذه التعبئة وأمرهم أن يدنوا من التل الذي عليه آذين وقد كان ينهاهم عن هذا قبل ذلك اليوم فمضوا حتى صاروا جميعا كالحلقة حول التل وارتفعت الضجة وتحرك الكمين واشتبكت الحرب فلما سمع الرجالة الناشبة الذين تقدموا صوت الطبل ورأوا الأعلام ركبوا أعلامهم وانحدروا على أصحاب آذين وحمل جعفر الخياط وأصحابه حتى صعدوا إليهم ثم حملوا حملة منكرة فكبوه وأصحابه في الوادي وكان آذين قد هيأ فوق الجبل عجلا عليها صخر فلما حمل الناس دفع العجل على الناس فأفرج الناس عنها حتى تدحرجت ثم حمل الناس من كل وجه فلما نظر الناس إلى ذلك كبروا ونظر بابك إلى أصحابه قد أحدق بهم فخرج من طرف البذ من باب يلي الأفشين يكون بين هذا الباب وبين التل الذي عليه الأفشين قدر ميل فأقبل بابك يسأل عن الأفشين فقال لهم **المطوعة** وأصحاب أبي دلف من هذا فقالوا هذا بابك يريد الأفشين فأرسل أبو دلف إلى الأفشين يعلمه ذلك فأرسل الأفشين رجلا يعرف بابك فنظر إليه ثم عاد إليه فقال نعم هو ذلك فركب إليه الأفشين فدنا منه حتى صار بحيث يسمع كلامه وكلام أصحابه والحرب مشتبكة في ناحية آذين." (١)

"كان البجة لا تغزو المسلمين ولا يغزوهم المسلمون بهدنة بينهم قديمة وهم جنس من أجناس الحبشة وفي بلادهم معادن ذهب فهم يقاسمون من يعمل فيها ويؤدون إلى عمال مصر في كل سنة شيئا معلوما

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ص/٣٠

فلما كان في أيام المتوكل امتنعت البجة عن أداء ذلك الخراج سنين متوالية وهذه المعادن منها ما هو على التخوم فيما بين أرض مصر وبلاد بجة فقتلوا عدة من المسلمين ممن كان يعمل في المعادن ويستخرج الذهب وسبوا عدة من ذراريهم ونساؤهم وذكروا أن المعادن لهم في بلادهم وأنهم لا يأذنون للمسلمين في دخولها وأن ذلك أوحش المسلمين الذين كانوا يعملون هناك حتى انصرفوا عنه فانقطع ما كان يؤخذ للسلطان بحق الخمس من الذي كان يستخرج من المعدن فلما بلغ ذلك المتوكل احفظه ذلك وشاور في أمر البجة فأنهى إليه أنهم قوم أهل بدو وأصحاب إبل وماشية وأن الوصول إلى بلادهم صعب لا يمكن أن يسلك إليهم الجيوش لأنها مغاوز وصحار وبين أرض الإسلام وبينها مسيرة شهر في أرض قفر وجبال وعرة لاماء فيها ولا زرع ولا معقل ولا حصن وأن من يدخلها من أولياء السلطان يحتاج أن يتزود لجميع من معه المدة التي يتوهم أنه يقيمها في بلادهم حتى يخرج إلى أرض الإسلام فإن تجاوز تلك المدة هلك هو وجميع من معه وأخذتهم البجة بالأيدي دون المحاربة وان أرضهم لا ترد على السلطان شيئا من خراج ولا غيره، فأمسك المتوكل عن التوجيه إليهم وجعل أمرهم يتزيد وحربهم يكثر حتى خاف أهل الصعيد من أرض مصر على أنفسهم وذراريهم فولى المتوكل محمد ابن عبد الله القمى محاربتهم وولاه معاون تلك الكور وتقدم إليه في محاربة البجة وكتب إلى عنبسة بن إسحاق الضبى العامل على حرب مصر بإعطائه جميع ما يحتاج إليه من جميع الجند والشاكرية بمصر فأزاح عنبسة علته في ذلك وخرج إليه من جميع ما اقترحه عليه وانضم إليه جميع من كان يعمل في المعادن وقوم كثير من **المطوعة** وكانت عدة من معه نحوا من عشرين ألف إنسان بين فارس وراجل ووجه إلى القلزم فحمل في البحر سبعة مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير وأمر قوما من أصحابه أن يلججوا بها في البحر حتى يوافوه في سواحل البحر من أرض البجة، ولم يزل محمد بن عبد الله القمي يسير في أرض البجة حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها وصار إلى حصونهم وقلاعهم وخرج إليه ملكهم واسمه علي بابا وله ابن يسمى بغشى في جيش كثير وعدد أضعاف من كان مع القمى وكانت البجة على إبلهم ومعهم الحراب وإبلهم فره تشبه بالمهارى في النجابة فجعلوا يلتقون أياما متوالية فيتناوشون ولا يصححون القتال وجعل ملك البجة يتطارد للقمى ويطول الأيام طمعا في نفاد الأزواد التي معهم فلا يكون لهم قوة فتأخذهم البجة بالأيدي فلما توهم عظيم البجة أن الأزواد قد نفذت أقبلت المراكب السبعة التي حملها القمى حتى خرجت إلى ساحل من سواحل البحر في موضع يعرف فوجه القمى إلى هناك جماعة من أصحابه يحمون المراكب من البجة وفرق ما كان فيها على أصحابه فاتسعوا في الزاد وفي العلوفة فلما رأى ذلك علي بابا رئيس البجة قصد لمحاربتهم وجمع لهم فالتقوا واقتتلوا قتالا

شديدا وكانت إبلهم زعرة تكثر الفزع من كل شئ فلما رأى ذلك محمد بن عبد الله القمى جمع أجراس الإبل والخيل التي في معسكره كلها فجعلها في أعناق الخيل ثم حمل على البجة فنفرت إبلهم واشتد رعبهم فحملتهم على الجبال والأودية فمزقتهم كل ممزق وأتبعهم القمى بأصحابه قتلا وأسرا حتى غشيهم الليل فلم يقدر على إحصاء القتلى لكثرتهم فلما أصبح القمى وجدهم قد جمعوا جمعا من الرجالة ثم صاروا إلى موضع أمنوا فيه طلب القمى فوافاهم القمى في الليل في خيله فهرب ملكهم وأخذ تاجه ومتاعه ثم طلب الأمان على أن يرد إلى بلاده ويؤدي الخراج للسنين التي عليه وأعطاه القمى ذلك وأدى ما عليه و ا ستخلف على مملكته ابنه بغشى وانصرف القمى بعلي بابا إلى المتوكل فوصل إليه في آخر سنة٤١ فكانت غيبته دون سنة وكسا القمى علي بابا دراعة ديباج وعمامة سوداء وكسا جمله رحلا مدبجا وجلال ديباج ليتميز عن أصحابه ووقف بباب العامة مع قوم من البجة على الإبل بالحراب وفي رؤوس حرابهم رؤوس القوم الذين قتلهم القمى فأمر المتوكل أن يقبضوا من القمى ثم ولي المتوكل البجة وطريق ما بين مصر ومكة سعدا الخادم الإيتاخي فولى سعد محمد بن عبد الله." (١)

"١٠٥٧ و هذه المنارة من دخلها تلف «١» فيها إلا أن يكون عالما بها لكثرة بيوتها و حجراتها و طبقاتها «٢». و ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولم المنارة فتلفوا «٣» فيها، و فيها طرق تؤول إلى مهاو إلى سرطان الزجاج «٤» و مخاريق إلى البحر، فتهوروا «٥» بدوابهم و فقد منهم عدد كبير.

١٠٥٨ و فيها مسجد في هذا الوقت يرابط فيه **المطوعة**. و كان حول المنارة مغاوص «٦» تستخرج منها أنواع جوهر يتخذ منه فصوص الخواتم منها الاسباذجشم و الكركهن و الباقلمون «٧»، و هذا الباقلمون «٨»، حجر يتلون في المنظر ألوانا مختلفة كتلون ريش الطاووس «٩» الهندية، فإنها تتلون ألوانا لا تحصى و لا تشبه بلون «١٠» من الألوان لما يترادف من تموج الألوان في ريشها.

و لتلك الطواويس شأن عجيب و خلق عظيم، و ما خرج منها من أرض الهند صغر جسمه و كدر لونه كما يفعل ما نقل منها «١١» من النارنج و الأترج «١٢»، فإنها تصغر و تعدم تلك الأرواح «١٣» العطرية لعدم ذلك الهواء و التربة. فمن الناس من رأى أن الإسكندر غرق هذه الأنواع من الجواهر حول المنارة لكي لا تخلو من الناس لأن من شأن الجواهر أن تكون مطلوبة على الأعصار «١٤».

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ص/٦٠

و قيل إنها كانت آلات شراب الإسكندر، فلما مات كسرتها أمة و رمت بها في تلك المواضع.
المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٦٣٥." (١)

"لقد تعرض شرق الدولة الإسلامية لهذا الغزو المغولي، على هذه الصورة المروعة، ومع ذلك فإن خليفة بغداد الناصر لدين الله لم تبد منه أية محاولة لصده، كما لم يستمع إلى الرسل الذين قدموا إليه من البلاد التي نكبها المغول، وقد حمل موقف الخليفة السلبي من هذه البلاد، وعدم الإسهام في نجدتها بعض المؤرخين على اتهامه بالاتصال بالمغول، وتحريضهم على غزو الدولة الخوارزمية على أن الخليفة الناصر بدأ يشعر بخطر الزحف المغولي عندما رحل المغول عن مدينة مراغة، وقصدوا مدينة إربل، فأثار بعض أمراء المسلمين الخاضعين له، وقد عبر ابن الأثير عما انتاب أهل الموصل من الخوف حين شرع المغول في الزحف على مدينة أربل بقوله: ووصل الخبر إلينا بذلك بالموصل، فخفنا حتى إن بعض الناس هم بالجلاء خوفا من السيف(١)، وانزعج الخليفة الناصر حين علم بزحف المغول على مدينة إربل، وكان يلي إمارتها حينئذ مظفر الدين كوكبري من قبل خليفة بغداد، فقد خشي الناصر أن يتجه قواد المغول إلى العراق العربي عن طريق دقوقا بدلا من إربل، بعد أن يكتشفوا وعورة مسالكها، وصعوبة الوصول إليها، لذا بعث برسل تحمل أوامره إلى كل من مظفر الدين كوكبري صاحب إربل، وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، والملك الأشرف موسى صاحب بلاد الجزيرة، يأمرهم بالتوجه إلى مدينة دقوقا في عسكرهم ليصدوا المغول إن هم عدلوا عن إربل إليها، توطئة لاقتحام العراق العربي، فسير بدر الدين بعض فرق جيشه إلى دقوقا، وغادر مظفر الدين إربل في صفر سنة ٦١٨هـ١٢٢١م مع عساكره وتبعهم جمع كثير من العساكر **المتطوعة** أما الملك الأشرف فاعتذر عن الحضور بنفسه في عسكره إلى دقوقا بوصول الملك المعظم عيسى بن الملك العادل من دمشق، يستنجده على الفرنج الذين كانوا وقتذاك قد استولوا على دمياط(٢)،

---

(١) عودة الروح صـ٢٠٩، الكامل (١٢/١٥٥ ـ ١٥٦).
(٢) مرآة الجنان (٤/٣٨ ، ٤٨)، عودة الروح صـ٢١٠..." (٢)

"فأخذ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في أهبة العبور إلى جزيرة الأندلس وذلك في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة فاستنفر من قدر على استنفاره من القواد وأعيان الجند ووجوه قبائل البربر فاجتمع

---

(١) المسالك والممالك ـ البكري، ٢/٢٢
(٢) المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ١/١٧٦

له نحو من سبعة آلاف فارس في عدد كثير من الرجل فعبر البحر بعسكر ضخم - وكان عبوره من مدينة سبتة - فنزل المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء وتلقاه المعتمد في وجوه أهل دولته وأظهر من بره وإكرامه فوق ما كان يظنه أمير المسلمين وقدم إليه من الهدايا والتحف والذخائر الملوكية ما لم يظنه يوسف عند ملك فكان هذا أول ما أوقع في نفس يوسف التشوف إلى مملكة جزيرة الأندلس.

ثم إنه فصل عن الخضراء بجيوشه قاصدا شرقي الأندلس وسأله المعتمد دخول أشبيلية دار ملكه ليستريح فيها أياما حتى تزول عنه وعثاء السفر ثم يقصد قصده فأبى عليه وقال: إنما جئت ناويا جهاد العدو فحيثما كان العدو توجهت وجهه.

وكان الأدفنش - لعنه الله - محاصرا لحصن من حصون المسلمين يعرف بحصن الليط فلما بلغه عبور البربر أقلع عن الحصن راجعا إلى بلاده مستنفرا عساكره ليلقى بهم البربر.

وتوجه يوسف المذكور إلى شرقي الأندلس يقصد ذلك الحصن المحاصر والإصلاح بين المعتمد على الله وبين رجل كان تغلب على مرسية يقال له ابن رشيق - قد تقدم ذكره في أخبار ابن عمار - فأصلح بينهما يوسف أمير المسلمين على أن يخرج له ابن رشيق عن مرسية ويعوضه المعتمد عن ذلك مالا جعله له ويوليه في جهة أشبيلية ولاية فأجابه ابن رشيق إلى ذلك وتسلم المعتمد مرسية وأعمالها.

ولقي يوسف أمير المسلمين ملوك الأندلس الذين كان عليهم طريقه كصاحب غرناطة والمعتصم بن صمادح صاحب المرية وابن عبد العزيز أبو بكر صاحب بلنسية.

وقعة الزلاقة

ثم إن يوسف المذكور استعرض جنده على حصن الرقة فرأى منهم ما يسره فقال: للمعتمد على الله هلم ما جئنا له من الجهاد وقصد العدو وجعل يظهر التأفف من الإقامة بجزيرة الأندلس ويتشوق إلى مراكش ويصغر قدر الأندلس ويقول في أكثر أوقاته كان أمر هذه الجزيرة عندنا عظيما قبل أن نراها فلما رأيناها وقعت دون الوصف! وهو في ذلك كله يسر حسوا في ارتغاء! فخرج المعتمد بين يديه قاصدا مدينة طليطلة واجتمع للمعتمد أيضا جيش ضخم من أقطار الأندلس.

وانتدب الناس للجهاد من سائر الجهات وأمد ملوك الجزيرة يوسف والمعتمد بما قدروا عليه من خيل ورجال وسلاح فتكامل عدد المسلمين من المتطوعة والمرتزقة زهاء عشرين ألفا والتقوا هم والعدو بأول بلاد الروم.

وكان الأدفنش - لعنه الله - قد استنفر الصغير والكبير ولم يدع في أقاصي مملكته من يقدر على النهوض إلا استنهضه وجاء يجر الشوك والشجر وإنما كان مقصوده الأعظم قطع تشوف البرابرة عن جزيرة الأندلس

والتهيب عليهم فأما ملوك الأندلس فلم يكن منهم أحد إلا يؤدي إليه الإتاوة وهم كانوا أحقر في عينه وأقل من أن يحتفل لهم!.

ولما تراءى الجمعان من المسلمين والنصارى رأى يوسف وأصحابه أمرا عظيما هالهم من كثرة عدد وجودة سلاح وخيل وظهور قوة فقال: للمعتمد ما كنت أظن هذا الخنزير – لعنه الله – يبلغ هذا الحد!.

وجمع يوسف أصحابه وندب لهم من يعظهم ويذكرهم فظهر منهم من صدق النية والحرص على الجهاد واستسهال الشهادة ما سر به يوسف والمسلمون.

وكان ترائيهم يوم الخميس وهو الثاني عشر من شهر رمضان فاختلفت الرسل بينهم في تقرير يوم الزحف ليستعد الفريقان فكان من قول الأدفنش – لعنه الله – : الجمعة لكم والسبت لليهود وهم وزراؤنا وكتابنا وأكثر خدم العسكر منهم فلا غنى بنا عنهم والأحد لنا فإذا كان يوم الاثنين كان ما نريده من الزحف وقصد – لعنه الله – مخادعة المسلمين واغتيالهم فلم يتم له ما قصد.." (١)

"وبالس اسم الناحية ومدينتها سيوي، غير أن الوالي مقيم بالقصر، وأسفنجاي أكبر من القصر، ورخج اسم الإقليم ومدينتها بنجواي، ولها من المدن كهك، ورخج إقليم بين بلدي الداور وبين بالس، وعامتها صواف، يرتفع لبيت المال منها مال عظيم، ويتسع أهل تلك النواحي بغلاتها، وهي على غاية الخصب والسعة؛ وبلاد الداور إقليم خصب وهو ثغر للغور، وبغنين وخلج وبشلنك وخاش وليس عليها سور ولها قلعة، وبلد الداور اسم إقليم ومدينتها تل، ولها من مدن درغش، وهما على مجرى هندمند على الشط، غير أن بغنين وخلج وكابل والغور وهذه النواحي – بعض هؤلاء قد اسلموا، وبعضهم مسالمون، وهي من الصرود؛ والخليج صنف من الأتراك، وقلعوا في قديم الأيام إلى الأرض التي بين الهند ونواحي سجستان في ظهر الغور، وهم أصحاب نعم، على خلق الأتراك وزيهم ولسانهم. وأما بست فإنها مدينة ليس في أعمال سجستان نعد زرنج أكبر منها، إلا أنهار وبية، وزيهم زي أهل العراق، يرجعون إلى مروة ويسار، وبها متاجر إلى بلد الهند والسند، وبها نخيل وأعناب، وهي خصبة جدا. وأما القرنين فإنها مدينة صغيرة لها قرى ورساتيق، وهي على مرحلة من سجستان عن يسار الذاهب إلى بست، على فرسخين من سروزن، منها الصفارون الذين تغلبوا على فارس وكرمان وخراسان وسجستان، وكانوا أربعة أخوة – يعقوب وعمرو وطاهر وعلي بنو الليث، فأما طاهر فإنه قتل بباب بست، وأما يعقوب فإنه مات بجند يسابور بعد رجوعه من بغداد وفبره هناك، وأما عمرو بن الليث فإنه قتل ببغداد وقبره هناك، وأما علي بن الليث فكان أستأمن إلى رافع بجرجان، ومات

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص/٣٦

بدهستان وقبره هناك، ويعقوب كان أكبرهم وكان غلاما لبعض الصفارين، وأما عمرو فإنه كان مكاريا، وبلغني أنه كان في بعض أيامه بناء، وكان عليبن الليث أصغرهم ستا، وكان السبب في خروجهم وارتفاع أمرهم أن خالا لهم يسمى كثير بن رقاق، كان قد تجمع إليه جمع في وجوه الخوارج، فحوصر في قلعة تسمى قفيل، وتخلص هؤلاء ووقعوا إلى بعض بست، وكان بتلك الناحية رجل عنده جمع كثير، يظهرون الحسبة في الغزو وقتال الخوارج يسمى درهم بن نصر، فصار هؤلاء الأخوة في جملة أصحابه فقصدوا سجستان، والوالي بها إبراهيم بن الحسين من قبل الطاهرية وكان في ضعف، فنزل على باب المدينة، وكان درهم بن نصر هذا يظهر أنه من **المطوعة**، وأنه قاصد لقتال الشراة محتسبا، فاستمال العامة حتى مالوا إلية، ودخل المدينة وخرج منها وإليها إلى بعض النواحي فتمكنوا من البلد، وقاتلوا الشراة، وكان للشراة رئيس يعرف بعمار بن ياسر، فانتدب لقتاله يعقوب، فقاتله وقتل عمارا، وكان لا يحزبهم أمر شديد ألا انتداب له يعقوب، فكان يرتفع ذلك الأمر له على ما يحبه، فاستمال أصحاب درهم بن نصر إليه حتى قلدوه الرياسة، وصار الأمر له، وكان درهم بن نصر بعد ذلك من جملة أصحابه، وما زال محسنا إلى درهم بن نصر حتى استأذنه في الحج، وأقام ببغداد مدة رجع رسولا من أمير المؤمنين إليهم فقتله. واستفحل أمرهم بعد ذلك حتى استولوا على سجستان وما يتصل بها من أطراف السند والهند، ومهدوا تلك الثغور، وأسلم على يدي يعقوب خلق منهم، استولى بعد ذلك على كرمان وفارس وخوزستان وبعض العراق وعلى خراسان.." (١)

"وفي هذه السنة خلع الروم ملكتهم وكانت امرأة تدعى رمنى وملكوا تقفور فكتب إلى الرشيد: من تقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد، فإن الملكة التي كان قبلي أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أضعافه إليها، لكن ذلك من ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من أموالها، وإلا السيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب، وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين، إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه لا ما تسمعه، ثم سار الرشيد من يومه حتى نزل على هرقلة، ففتح وغنم وخرب، فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله في كل سنة فأجابه. وفي هذه السنة هاجت الفتنة بالشام بين المضرية واليمانية، فأرسل الرشيد وأصلح بينهم، وفيها ترفي الفضيل بن عياض الزاهد وكان مولده بسمرقند وانتقل إلى مكة ومات بها، وفيها توفي أبو مسلم معاذ الفرءا النحوي وعنه أخذ الكسائي النحو وولد أيام يزيد بن عبد الملك.

---

(١) المسالك والممالك – الإصطخري، ص/٨٥

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة فيها توفي العباس بن الأحنف الشاعر.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة فيها وقيل في سنة إحدى وثمانين توفي أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز المعروف بالكسائي، في الري، وهو أحد القراء السبعة، وكان إماما في النحو واللغة، وقيل له الكسائي لأنه دخل الكوفة وأتى إلى حمزة بن حبيب الزيات ملتفا بكساء، وقيل بل حج وأحرم بكساء.

وفيها سار الرشيد إلى الري وأقام به أربعة أشهر، ثم رجع الرشيد إلى العراق ودخل بغداد في آخر ذي الحجة، وأمر بإحراق جثة جعفرة وكانت مصلوبة على الجسر، ولم ينزل ببغداد، ومضى من فوره إلى الرقة، فقال في ذلك بعض شعراء الرشيد:

ما أنخنا حتى ارتحلنا فانف ... رق بين المناخ والارتحال

سألونا عن حالنا إذ قدمنا ... فقرأنا وداعهم بالسؤال

فقال الرشيد: والله إني أعلم أنه ما في الشرق ولا في الغرب مدينة أيمن ولا أيسر من بغداد، وأنها دار مملكة بني العباس، ولكني أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق، والبغض لأئمة الهدي، والحب لشجرة اللعنة بني أمية، ولولا ذلك ما فارقت بغداد.

وفي هذه السنة مات محمد بن الحسن الشيباني الفقيه صاحب أبي حنيفة، وكان والده الحسن من أهل قرية حرستا، من غوطة دمشق، فسار إلى العراق وأقام بواسط، فولد ولده محمد بن الحسن المذكور، ونشأ بالكوفة، ثم صحب أبا حنيفة وتفقه على أبي يوسف، وصنف عدة كتب مثل: الجامع الكبير، والجامع الصغير، في فقه أبي حنيفة وغير ذلك.

ثم دخلت سنة تسعين ومائة في هذه السنة سار الرشيد في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة سوى من لا ديوان له من الأتباع **والمتطوعة**، حتى نزل على هرقلة وحصرها ثلاثين يوما، ثم فتحها في شوال من هذه السنة، وسبى أهلها، وبث عساكره في بلاد الروم، ففتحوا الصفصاف وملقونية وخربوا ونهبوا وبعث تقفور بالجزية عن رعيته وعن رأسه أيضا، ورأس ولده، وبطارقته، وفي هذه السنة نقض أهل قبرس العهد. فغزاهم معتوق بن يحيى، وكان عاملا على سواحل مصر والشام، فسبى أهل قبرس، وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون، وكان مجوسيا، وفيها توفي أسد بن عمر، وابن عامر الكوفي صاحب أبي حنيفة، وفيها توفي يحيى بن خالد بن برمك محبوسا بالرقة، في المجرم وعمره سبعون سنة.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة.

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة فيها سار الرشيد من الرقة إلى خراسان فنزل بغداد، ورحل عنها إلى

النهروان، لخمس خلون من شعبان، واستخلف على بغداد ابنه الأمين.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة. فيها مات الفضل بن يحيى بن خالد ابن برمك في الحبس بالرقة، في المحرم، وعمره خمس وأربعون سنة، وكان من محاسن الدنيا؛ لم ير في العالم مثله.

موت الرشيد." (١)

"ليست فتوحات الإسكندر التي قذفا بالإغريق والرومان إلى مساحات واسعة من آسية، حدثا سياسيا حسب، إنما هي فصل من فصول كتاب التأريخ البشري، نقرأ فيه أخبار التقاء العالمين الشرقي والغربي وجها لوجه على مساحات واسعة مهن وجه هذه المسكونة. ونزعة الغرب في السيطرة على الشرق وتأثر الحضارات و الثقافات بعضها لبعض. وحصول علماء اليونان والرومان على معارف مباشرة عن أحوال أمم كانوا يسمعون أخبارها من أفواه التجار والسياح والملاحين فإذا وصلت إليهم كان عنصر الخيال فيها الذي يميل إلى التفخيم والتجسيم قد انتهى من عمله وأدى واجبه. فصححت فتوحات الإسكندر هذه للهلال الخصيب ولمصر، بعض تلك الأوهام، وجاءت بعلماء من اليونان إلى هذه البلاد، ولا سيما مصر فأفادوا واستفادوا، وصارت "الإسكندرية" بصورة خاصة، وبعض مدن بلاد الشام، ملتقى الثقافات، الثقافات الشرقية والثقافات الغربية، ومركز الاتصال العقلي بين الغرب والشرق وبقيت الإسكندرية محافظة على مكانتها هذه حتى ظهور الإسلام. وقد حملت فتوحات الإسكندر والحروب، التي وقعت بين الروم والفرس إلى الشرق الأدنى، دما جديدا هو دم الإغريق ومن دخل في خدمة الإسكندر واليونان والرومان من الجنود **والمتطوعة** والمرتزقة من سواحل البحر المتوسط الشمالية وما صاقبها من أصقاع أوروبية. لقد بنى الإسكندر الأكبر مدينة Charax على ملتقى نهر "كارون" بدجلة، وأسكنها أتباعه وجنوده ومواطني المدينة الملكية، كما بنى مدنا أخرى، وقد كان من المحبين المولعين ببناء المدن، وبنى خلفاؤه مدنا جديدة في الشرق، وكذلك من أخذ تراثهم من اليونان والرومان. وحمل الفرس عددا من أسرى الروم، وأسكنوهم في ساحل الخليج وفي مواضع أخرى. وطبيعي إن ترك سكنى هؤلاء في الشرق أثرا ثقافيا في الأماكن التي أقاموا فيها وفي نفوس من جاورهم أدرك قيمته المؤرخون المعاصرون.." (٢)

"ولم تكن الرابطة الدينية التي ربطت بين أكثر عرب بلاد الشام والبيزنطيين، هي العامل الوحيد الذي جعل أولئك العرب ينضمون إلى صفوف الروم في الدفاع عنهم وفي مقاومة جيوش المسلمين، بل كانت

(١) المختصر في أخبار البشر، ١٥٩/١

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٨٨/٢

هنالك عوامل أخرى، مثل المنافع المادية التي كان يجنبها سادات الأعراب من البيزنطيين، حيث كانوا ينالون هدايا ورواتب منهم في مقابل حماية الحدود والمحافظة عليها من غارات الأعراب وفي مقابل الغارات التي كان البيزنطيون يكلفونهم بها لغزو حدود العراق لازعاج أعدائهم الفرس وقت الحاجة والضرورة، ومثل التسهيلات التي كانوا ينالونها من البيزنطيين في الإتجار مع مدن الشام وفي معاملات البيع والشراء والرواتب السخيفة التي تدفع للأعراب إذا خدموا في صفوف العساكر **المتطوعة**، وهي رواتب سخية إذا قيست بالنسبة لحالة أهل البادية المنخفضة من الناحية المادية كثيرا بالنسبة إلى حالة سكان بلاد الشام.

وكان "الحيار": "حيار بني القعقاع" بلدا معروفا قبل الإسلام. وبه كان مقبل "المنذر بن ماء السماء" اللخمي، ملك الحيرة. فنزله "بنو القعقاع" من "عبس بن بغيض".

وكانت البلقاء في أيدي قبائل من العرب مثل لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلي، وهي قبائل يطلق عليها المؤرخون اسم "المستعربة". وكانوا على النصرانية في الغالب، لذلك كان هواهم إلى جانب الروم. فكانوا معهم في غزوة "مؤتة" يقاتلون مع "هرقل" ضد المسلمين وعليهم "مالك بن رافلة" وهو من "بلي" ثم أحد إراشة. وكان المسلمون إذ ذاك في "معان". وهي من أعمال البلقاء يستعدون للروم. وكان صاحب هذه المدينة في أيام الرسول رجلا من "جذام"، هو "فروة بن عمرو الجذامي". وكان عاملا للروم على من يليهم من العرب، ومنزله بمعان. فلما أرسل فروة رسولا عنه إلى الرسول يبلغه بإسلامه، قبض الروم عليه وحبسوه، ثم ضربوا عنقه وصلبوه.." (١)

"وفي يوم السبت ورد الفرنج وضربوا خيامهم في أكثر البلاد التي فيها عساكر المسلمين، وكانت خيمة الملك رواد فرنس حمراء، فناوشهم المسلمون القتال، واستشهد يومئذ الأمير نجم الدين يوسف بن شيخ الإسلام، والأمير صارم الدين أزبك الوزيري، فلما أمسى الليل رحل الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بعساكر المسلمين جبنا وصلفا، وسار بهم في بر دمياط، وسار إلى جهة أشموم طناح، فخاف من كان في مدينة دمياط، وخرجوا منها على وجوههم في الليل لا يلتفتون إلى شيء، وتركوا المدينة خالية من الناس، ولحقوا بالعسكر في أشموم، وهم حفاة عرايا جياع حيارى بمن معهم من النساء والأولاد، ومروا هاربين إلى القاهرة، فأخذ منهم قطاع الطريق، ما عليهم من الثياب، وتركوهم عرايا، فشنعت القالة على الأمير فخر الدين من كل أحد، وعد جميع ما نزل بالمسلمين من البلاه بسبب هزيمته، فإن دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والأزواد العظيمة والأسلحة وغيرها، خوفا أن يصيبها في هذه المدة ما أصابها في أيام الكامل، فإنه ما أتى

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٣٩/٥

عليها ذاك إلا من قلة الأقوات بها، ومع ذلك امتنعت من الفرنج أكثر من سنة، حتى فني أهلها كما تقدم، ولكن الله يفعل ما يريد.

ولما أصبح الفرنج يوم الأحد لسبع بقين من صفر قصدوا دمياط فإذا أبواب المدينة مفتحة، ولا أحد يدفع عنها، فظنوا أن ذلك مكيدة، وتمهلوا حتى ظهر لهم خلوها فدخلوا إليها من غير مانع ولا مدافع، واستولوا على ما بها من الأسلحة العظيمة، وآلات الحرب، والأقوات الخارجة عن الحد في الكثرة والأموال والأمتعة صفوا بغير كلفة، فأصيب الإسلام والمسلمون ببلاء، لولا لطف الله لمحي اسم الإسلام ورسمه بالكلية، وانزعج الناس في القاهرة ومصر انزعاجا عظيما، لما نزل بالمسلمين مع شدة مرض السلطان، وعدم حركته، وأما السلطان فإنه اشتد حنقه علي الأمير فخر الدين، وقال: أما قدرت أنت والعساكر أن تقفوا ساعة بين يدي الفرنج؟ وأقام عليه القيامة، لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والإغضاء، وغضب على الكنانيين الذين كانوا بدمياط ووبخهم، فقالوا: ما نعمل إذا كانت عساكر السلطان بأجمعهم وأمراؤه هربوا وأخربوا الزردخاناه، كيف لا نهرب نحن؟ فأمر بشنقهم لكونهم خرجوا من دمياط بغير إذن، وكانت عدة من شنق من الأمراء الكنانية زيادة على خمسين أميرا في ساعة واحدة، ومن جملتهم أمير جسيم، له ابن جميل يسأل أن يشنق قبل ابنه، فأمر السلطان أن يشنق ابنه قبله، فشنق الابن ثم الأب، ويقال: إن شنق هؤلاء كان بفتوى الفقهاء، فخاف جماعة من الأمراء، وهموا بالقيام على السلطان.

فأشار عليهم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بأن السلطان على خطة، فإن مات فقد كفيتم أمره، وإلا فهو بين أيديكم وأخذ السلطان في إصلاح سور المنصورة، وانتقل إليها لخمس بقين من صفر، وجعل الستائر على السور، وقدمت الشواني إلى تجاه المنصورة، وفيها العدد الكاملة وشرع العسكر في تجديد الأبنية هناك، وقدم من العربان، وأهل النواحي ومن المطوعة خلق لا يحصى عددهم، وأخذوا في الإغارة على الفرنج، فملأ الفرنج أسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والآلات، فلما كان أول ربيع الأول قدم إلى القاهرة من أسرى الفرنج الذين تخطفهم العربان، ستة وثلاثون منهم: فارسان، وفي خامس ربيع الآخر، ورد منهم تسعة وثلاثون، وفي سابعه ورد اثنان وعشرون أسيرا، وفي سادس عشرة ورد خمسة وأربعون أسيرا منهم: ثلاثة خيالة، وفي ثامن عشر جمادى الأولى ورد خمسون أسيرا.

هذا ومرض السلطان يتزايد، وقواه تتناقص حتى آيس الأطباء منه، وفي ثالث عشر رجب قدم إلى القاهرة سبعة وأربعون أسيرا، وأحد عشر فارسا، وظفر المسلمون بمسطح للفرنج في البحر فيه مقاتلة من نستراوة. فلما كانت ليلة الأحد لأربع عشرة مضت من شعبان، مات الملك الصالح بالمنصورة، فلم يظهر موته،

وحمل في تابوت إلى قلعة الروضة، وقام بأمر العسكر الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ .

فإن شجرة الدر زوجة السلطان، لما مات أحضرت الأمير فخر الدين، والطواشي جمال الدين محسنا، وإليه أمر المماليك البحرية والحاشية وأعلمتهما بموته، فكتما ذلك خوفا من الفرنج، لأنهم كانوا قد أشرفوا على تملك ديار مصر، فقام الأمير فخر الدين بالتدبير.." (١)

"ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة، وهي سنة ثمان وأربعين وستمائة، تمم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال، وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان **والمطوعة**، وخلقا لا يعلمهم إلا الله جاءوا من كل فج عميق، ومكان سحيق، فلما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم، وبين الملك الكامل فأبينا، ولما كانت ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم، وقصدوا دمياط هاربين، فسرنا في آثارهم طالبين، وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل، وقد حل بهم الخزي والويل، فلما أصبحنا يوم الأربعاء، قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه في اللجج، وأما الأسرى فحدث عن الحر، ولا حرج، والتجأ الفرنسيس إلى المينة، وطلب الأمان، فأمناه، وأخذناه وكرمناه، وسلمناه دمياط بعون الله تعالى، وقوله وجلاله وعظمته، وبعث مع الكتاب غفارة الملك فرنسيس، فلبسها الأمير جمال الدين بن يغمور، وهي: اشكر لاطا أحمر بفرو سنجاب، فقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

إن غفارة الفرنسيس جاءت ... فهي حقا لسيد الأمراء

كبياض القرطاس لونا ... ولكن صبغتها سيوفنا بالدماء

وقال آخر:

أسيد أملاك الزمان بأسرهم ... تنجزت من نصر الإله وعوده

فلا زال مولانا يبيح حمى العدى ... ويلبس أثواب الملوك عبيده

وأخذ الملك المعظم، يهدد زوجة أبيه، شجرة الدر، ويطالبها بمال أبيه، فخافته وكاتبت مماليك الملك الصالح، تحرضهم عليه، وكان المعظم لما وصل إليه الفارس، أقطاي إلى حصن كيفا، وعده أن يعطيه إمرة، فلم يف له بها، وأعرض مع ذلك عن مماليك أبيه، واطرح أمراءه، وصرف الأمير حسام الدين بن أبي علي، عن نيابة السلطنة، وأحضره إلى العسكر، ولم يعبأ به وأبعد غلمان أبيه، واختص بمن وصل معه من المشرق، وجعلهم في الوظائف السلطانية، فجعل الطواشي مسرورا خادمه إستادارا، وعمل صبيحا، وكان عبدا حبشيا فحلا خازنداره، وأمر أن تكون له عصا من ذهب، وأعطاه مالا جزيلا، وإقطاعات جليلة، وكان إذا سكر

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٧٧/١

جمع الشمع، وضرب رؤوسها بالسيف، حتى تنقطع، ويقول هكذا أفعل بالبحرية، فإنه كان فيه هرج وخفة، واحتجب على العكوف بملاذه، فنفرت منه النفوس، وبقي كذلك إلى يوم الاثنين، تاسع عشري المحرم، وقد جلس على السماط، فتقدم إليه أحد المماليك البحرية، وضربه بسيف قطع أصابع يديه، ففر إلى البرج، فاقتحموا عليه، وسيوفهم مصلتة، فصعد أعلى البرج الخشب، فرموه بالنشاب، وأطلقوا الناس في البرج، فألقى نفسه ومر إلى البحر، وهو يقول: ما أريد ملككهم دعوني أرجع إلى الحصن يا مسلمين؟ ما فيكم من يصطنعني ويجيرني. وسائر العساكر بالسيوف واقفة، فلم يجبه أحد والنشاب يأخذه من كل ناحية، وأدركوه، فقطع بالسيوف ومات حريقا غريقا قتيلا في يوم الاثنين المذكور، وترك على الشط ثلاثة أيام، ثم دفن.

ولما قتل الملك المعظم، اتفق أهل الدولة، على إقامة شجرة الدر، والدة خليل في مملكة مصر، وأن يكون مقدم العسكر الأمير عز الدين أيبك التركماني الصالحي، وحلف الكل على ذلك، وسيروا إليها عز الدين الرومي، فقدم عليها في قلعة الجبل، وأعلمها بما اتفق فرضيت به، وكتبت على التواقيع علامتها، وهي والدة خليل، وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة، وجرى الحديث مع الملك روادفرنس في تسليم دمياط، وتولى مفاوضته في ذلك الأمير حسام الدين بن أبي علي الهدياني، فأجاب إلى تسليمها، وأن يخلى عنه بعد محاورات، وسير إلى الفرنج بدمياط يأمرهم بتسليمها إلى المسلمين، فسلموها بعد جهد جهيد من كثرة المراجعات في يوم الجمعة ثالث صفر، ورفع العلم السلطاني على سورها، وأعلن فيها بكلمة الإسلام، وشهادة الحق بعدما أقامت بيد الفرنج، أحد عشر شهرا وسبعة أيام، وأفرج عن الملك روادفرنس، وعن أخيه، وزوجته، ومن بقي من أصحابه إلى البر الغربي. وركبوا البحر من الغد، وهو يوم السبت رابع صفر، وأقلعوا إلى عكا. وفي هذه النوبة يقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح:

قل للفرنسيس إذا جئته ... مقال نصح عن قؤول نصيح

آجرك الله على ما جرى ... من قبل عباد يسوع المسيح." (١)

"...وبعد كل هذا فهذه قراءة مجتهد ، ولا يلام المرء بعد اجتهاده ، فما فيها من خير وحق فمن توفيق الله وإعانته ، وما فيها من زلل وخطأ فمن نفس ما تعمدته ، نسأل الله جل في علاه أن يلهمنا الصواب وأن يرزقنا العلم والعمل مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وأن يغفر سبحانه الذنوب ويستر العيوب بجميل فضله وكريم إحسانه إنه سميع قدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه : العبد الفقير إلى مولاه المحتاج لعطاياه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٨١/١

... علي بن محمد باخيل آل بابطين

مكة حرسها الله

...

...

الفصل الأول

الإرهاصات المبكرة

...قبل الخوض في معترك هذه الإرهاصات الأولى لنشأة الحنابلة في بغداد ينبغي أن نتطرق إلى عدد من المداخل الأولية المتعلقة بقراءتنا ومن أهمها بغداد مدينة السلام .

...وبغداد مدينة العباسين ، ومولودة المنصور ، كانت الأرض البكر التي تبلور فيها المذهب الحنبلي بسبب تلاطم الأفكار الفكرية الكبرى ، التي ضمتهم بغداد في رحمها الواسع ، وانطلق من رؤية السلف وفهمهم للدين الإسلامي الذي كان أهل الحديث هم ممثلوه والمدافعون عنه .

...وكانت بغداد من أهم مدن العالم آنذاك وعاصمة الإسلام ومقصد الباحثين عن المال والعلم والشهرة .

... روى في تاريخ بغداد عن ابن مجاهد قال : " رأيت أبا عمر بن العلاء في النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال لي : دعني مما فعل الله بي من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة إلى جنة "(١)

...ونقل كذلك قول أبي بكر ابن عياش قال : الإسلام ببغداد وإنها لصيادة تصيد الرجال ومن لم يرها لم ير الدنيا " (٢)

---

(١) الخطيب البغدادي "تاريخ بغداد ج١ ص 3٨٤

(2) المرجع السابق ج١ ص٣٤٩." (١)

"...ثم عقب ذلك في سنة إحدى ومائتين اختيار منصور بن المهدي على أنه أمير من قبل المأمون حتى يرجع ، وكانت بغداد آنذاك خارجة عن سلطة المأمون فعليا رغم كونها معترفة بشرعيته وخلافته حتى اختير علي بن موسى الرضا العلوي وليا للعهد فتحول الأمر إلى معارضة صريحة ، وتم إسقاط الاعتراف بخلافة وشرعية المأمون واختير إبراهيم بن المهدي خليفة لكنه لم يتسن له السيطرة على بغداد بسبب الحروب التي نشبت بين قادته في بغداد والحسن بن سهل القائد المأموني ، وكان للعوام خصوصا من العيارين حضور في جيش معارضي المأمون فعاشت بغداد حينئذ فوضى اجتماعية بالغة وتأذى الناس كثيرا من انفلات الوضع الأمني فكان أن نشأت حركة **المطوعة** .

...

[**المطوعة**] .

...في سنة ٢٠١ ظهرت حركة **المطوعة** ، وهي حركة تنظيمية سنية نشأت في بغداد نتيجة عدد من الظروف الاجتماعية والأمنية الناشئة بسبب الفوضى السياسية والصراعات العسكرية .

...والمطوعة من التطوع وهو العمل الاختياري ، وأصلها **المتطوعة** أدغم التاء في الطاء لتقارب المخرج .

... وسيظل هذا المصطلح حيا في التاريخ الإسلامي لحقب تالية خصوصا في المجال العسكري إذ يقابل مصطلح المرتزقة وهم الجنود يعملون بأجر .

...قال الطبري شارحا الظروف التي نشأت فيها هذه الحركة :" لما رأى الناس ذلك وما قد أخذ منهم وبيع من متاع الناس في أسواقهم وما قد أظهروه من الفساد في الأرض والظلم والبغي وقطع الطريق وأن السلطان لا يغير عليهم "(١).

---

(١) الطبري " مرجع سابق " ج ٨ ص ٥٢٢." (٢)

"...وذكر ابن الأثير :" وفي هذه السنة تجردت **المتطوعة** للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان سبب ذلك أن فساق بغداد والشطار آذوا الناس أذى شديدا وأظهروا الفسق وقطعوا الطريق وأخذوا النساء

---

(١) سنوات الحنابلة، ص/١٣

(٢) سنوات الحنابلة، ص/٢٤

والصبيان علانية وكانوا يأخذون ولد الرجل وأهله فلا يقدر أن يمتنع منهم وكانوا يطلبون من الرجل أن يقرضهم أو يصلهم فلا يقدر على الامتناع وكانوا ينهبون القرى لا سلطان يمنعهم ولا يقدر عليهم لأنه كان يعتز بهم وهم بطانته قال فلما رأى الناس ذلك قام صلحاء كل ربض ودرب ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا إنما في الدرب الفاسق والفاسقان إلى العشرة وأنتم أكثر منهم فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفساق "(١)

...وذكر المسعودي في مروج الذهب أنه :" اضطربت بغداد في أيام إبراهيم بن المهدي وثارت الرويبضة وسموا أنفسهم **المطوعة** وهم رؤساء العامة والتوابع " (٢)

...وذكر مسكويه قال " وتجردت **المطوعة** للنكير على الفساق ببغداد ورئيسهم خالد الدريوش وسهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان قال فلما رأى الناس ذلك وظهور هذا البغي والفسق والنهب وأن السلطان لا يغيره مشى بعضهم إلى بعض " وقال عن الدريوش فدعا جيرانه وأهل محلته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأجابوه إلى ذلك فشد على من يليه من الفساق والشطار فمنعهم فيما كانوا يصنعون وامتنعوا عليه فقاتلهم وهزمهم وأخذ بعضهم فضربهم وحبسهم "(٣)

...وقال ابن كثير :" وفيها عم البلاء بالعيارين والشطار والفساق ببغداد وما حولها من القرى ، قال انتدب لهم رجل يقال له خالد الدريوش وآخر يقال له سهل بن سلامة أبو حاتم الأنصاري من أهل خراسان والتف عليهم جماعة من العامة فكفوا شرهم وقاتلوهم ومنعوهم من الفساد في الأرض واستقرت الأمور كما كانت وذلك في شعبان ورمضان "(٤).

---

(١) المرجع السابق ج ٨ ص٥٥١

(٢) المسعودي " مروج الذهب " ج ٤ ص ٢٩

(٣) مسكويه " تجارب الأمم ج ٦ ص ٤٣٣

(٤) ابن كثير " البداية والنهاية " ج ١٠ ص ٢٤٧." (١)

"...قلت وقد اتفق جميع المؤرخين الذين ذكرنا على أن دافع **المطوعة** كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في زمن اختلت فيه سبل الناس وانتهكت أعراضهم وانتهبت أموالهم مع عجز السلطة عن ردع ذلك ، أما قول المسعودي فلا يعتد به فهو معتزلي قح متشيع وقوله الرويبضة يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه قيل وما الرويبضة قال التافه يتكلم في أمر العامة

---

(١) سنوات الحنابلة، ص/٢٥

" (١) وفي رواية لأنس رضي الله عنه وأرضاه قيل وما الرويبضة قال الفويسق الذي يتكلم في أمر العامة " (٢).

...قلت وفاعل ما يحبه الله ويرضاه ليس تافها إنما التافه الفويسق الذي يتطاول على المحرمات ويقترف المنهيات .

...وأشار الطبري ومسكويه إلى وجود خلاف بين الدريوش وسهل بن سلامة قال أبو جعفر رحمه الله :" إلا أن الدريوش خالفه وقال : أنا لا أعيب على السلطان شيئا ولا أغيره ولا أقاتله ولا آمره بشيء ولا أنهاه ، وقال سهل بن سلامة : ولكني أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائنا من كان سلطانا أو غيره والحق قائم في الناس أجمعين فمن بايعني على هذا قبلته ومن خالفني قاتلته "(٣)

...قلت وينبغي أن نعرف مدلول كلمة (سلطان) في هذا الاختلاف فمن هو المقصود بذلك أهو المأمون الخليفة القائم بأمر الناس والمعترف به في بغداد آنذاك ، أم أن المقصود الجهات ذات النفوذ المتمثلة في منصور بن المهدي المختار حاكما على العراق نيابة عن المأمون ، والذي لم يصل إلى هذا المنصب بأمر ولي الأمر وإنما اختاره العباسيون في بغداد الذين أزعجهم تولية الحسن بن سهل ، وقالوا : لا نرضى المجوسي ابن المجوسي ، وكان في صف منصور هذا قائد جيشه عيسى بن محمد بن أبي خالد .

---

(١) مسند أحمد ٧٨٩٩

(٢) مسند أحمد ١٣٢٣١

(٣) الطبري " مرجع سابق " ج ٨ ص ٥٥٢." (١)

"...والراجح القول الثاني لما في سياق النص من دلالة ، فقد جاء في نص للطبري عند الحديث عن الفساق " وجاء أهلها فاستعدوا السلطان عليهم فلم يمكنه اعداؤهم عليهم ولم يرد عليهم شيئا مما كان أخذ منهم "(١) وقال مسكويه :" فلما رأى الناس ذلك وظهور هذا البغي والفسق والنهب وأن السلطان لا يغيره "(٢) وقول صاحب العيون والحدائق " وسبب ذلك أن السلطان تقوى بهم على محاربة الحسن بن سهل"(٣) ولاشك أن عبارة السلطان فيما سبق لا يراد بها المأمون إطلاقا .

...وإن ترجح ذلك ألا يدخل الجند الذين في جيش عيسى بن أبي خالد تحت كلمة السلطان ، و هل التعرض لهم وقتالهم إلا تعرض للسلطان ، فكيف على قول الدريوش أنه لا يتعرض لهم ، وإنما هم أس الشر

---

(١) سنوات الحنابلة، ص/٢٧

ودافع قيام **المطوعة** ، وقد ذكر المؤرخون أن قيام حركة **المطوعة** كسر منصور ابن المهدي لأنه إنما كان عظم أصحابه الشطار ومن لا خير فيه .

...وعلى هذا فالخلاف المذكور خلاف لفظي لا معنى له ، إذ لا يمكن لمدع أن يقول بأن الدريوش وأتباعه يتركون العيارين والفساق واللصوص ممن ينضوي تحت لواء السلطة وينهون غيرهم .

...وعندي أن قيام حركة سهل بن سلامة لم يكن ذا بعد سياسي وإنما بعد اجتماعي أمني ، وقد بايعه على ذلك كل رموز السلطة في بغداد ، ولا يمكن أن يبايعوه وهم يرون فيه منافسا سياسيا ، قال ابن جرير :" وتحول منصور بن المهدي وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع وكانوا يوم تحولوا بايعوا سهل بن سلامة على ما يدعو إليه من العمل بالكتاب والسنة "(٤)

---

(١) الطبري " تاريخ الرسل والملوك " ج ٨ ص ٥٥١

(٢) مسكويه " تجارب الأمم " ج ٦ ص ٤٣٣

(٣) مؤلف مجهول " العيون والحدائق " ج٣ ص ٣٥٣

(٤) الطبري " مرجع سابق " ج ٨ ص ٥٥٣." (١)

"...وكان من أكبر نتائج حركة **المطوعة** انكسار شوكة العيارين والشطار المنضوين تحت جيش منصور بن المهدي وعيسى بن أبي خالد ، فساهم ذلك في ضعف المعارضة البغدادية للحسن بن سهل أمير المأمون على العراق ووقوع الصلح بين عيسى بن أبي خالد والحسن بن سهل .

...ثم تحرك أحد أمراء الحرب في بغداد من الذين بايعوا سهل بن سلامة ، وهو المطلب بن عبدالله بن مالك الخزاعي يدعو إلى المأمون والى الفضل وأخيه الحسن ابني سهل ، وكان هذا الانقلاب داخل أمراء الحرب في بغداد من قبل المطلب غير معروفة دوافعه ، سوى ما يمكن اعتباره قراءة مبكرة من قبل المطلب لتهاوي المعارضة البغدادية في وجه المأمون ، وأراد المطلب لضمان نجاح حركته تأييد المطوع سهل بن سلامة صاحب الشعبية في بغداد ، إلا أن الأخير رفض تقديم يد العون له ، قال ابن جرير فامتنع عليه سهل بن سلامة وقال ليس على هذا بايعتني "(١) .

...والواضح أن امتناع س٥ل بن سلامة كان عن معاونة المطلب في ثورته ضد بقية أمراء الحرب في بغداد ، و قوله ليس على هذا بايعتني لا يعني إطلاقا أن المطلب الخزاعي كان من أتباع سهل بن سلامة ، أو أن

---

(١) سنوات الحنابلة، ص/٢٨

حركته مشتقة من حركة **المطوعة** بل إن الراجح أن المبايعة هذه كانت صورية من المطلب كمبايعة منصور بن المهدي وغيره من قادة بغداد ، فليست المبايعة هنا بمفهومها الاصطلاحي المعروف بل هي أقرب إلى الموافقة على ما يدعو إليه فحسب .

...ويورد الطبري رواية مضطربة وينقلها كذلك مسكويه قال :" وجاء سهل بن سلامة إلى الحسن (بن سهل) وبعث إلى المطلب أن يأتيه وقال ليس على هذا بايعتني فأبى المطلب أن يجيئه فقاتله سهل بن سلامة يومين أو ثلاثة قتالا شديدا حتى اصطلح عيسى والمطلب فدس عيسى إلى سهل من اغتاله فضربه ضربة بالسيف إلا أنها لم تعمل فيه فلما اغتيل سهل رجع إلى منزله وقام عيسى بأمر الناس " (٢)

(١) الطبري " مرجع سابق " ج ٨ ص٥٥٣

(٢) الطبري " مرجع سابق " ج ٨ ص ٥٥٣." (١)

"...ويصور الحوار الذي جرى بين إسحاق بن موسى ولي العهد في حكومة إبراهيم وبين سهل بن سلامة بعد القبض عليه إلى الطبيعة الحقيقية للحركة بأنها حركة اجتماعية أمنية كما سلف القول كانت تقر بحق بني العباس في الخلافة ولم تكن تطمح في الخروج عليها أو استبدالها ، فقد جاء عند ابن جرير أن إسحاق قال له بعد قبضه : حرضت علينا الناس وعبت أمرنا قال له : إنما كانت دعوتي عباسية وإنما كنت أدعو إلى العمل بالكتاب والسنة وأنا على ما كنت عليه أدعوكم إليه الساعة فلم يقبلوا ذلك منه ثم قالوا له : اخرج إلى الناس فقل لهم إن ما كنت أدعوكم إليه باطل فأخرج إلى الناس وقال : قد علمتم ما كنت أدعوكم إليه من العمل بالكتاب والسنة وأنا أدعوكم إليه الساعة فلما قال لهم هذا وجئوا عنقه وضربوا وجهه فلما فعلوا ذلك به قال : المغرور من غررتموه يا أصحاب الحربية فأخذ وأدخل على إسحاق فقيده " (١) .

... ولما قدم المأمون أتاه فأجازه ووصله وأمره أن يجلس في بيته "(٢) وكان هذا متوقعا من المأمون فقد كان ضيق الصدر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما تدل على ذلك النصوص التي تبحث في سيرته . أما سهل بن سلامة رحمه الله فقد انقطع ذكره بعد ذلك .

...وما من شك أن القتال على السلطة لم يكن من أهداف حركة **المطوعة** ، وجولة القتال الأخيرة إنما كانت انجرارا وخروجا عن دواعي الحركة ، ولم يكن الخروج على السلطان مطروحا البتة في أدبيات الحركة السنية التي لا تجيز لها النصوص الشرعية الخروج على ولي الأمر .

(١) سنوات الحنابلة، ص/٢٩

...ووضعت هذه الحركة السنية سابقة تاريخية ، وأساسا سيقف عليه الحنابلة في عصورهم التالية و سيمثل جزءا من شخصية المذهب الحنبلي .

---

(١) المرجع السابق ج ٨ ص٥٦٣
(٢) المرجع السابق ج ٨ ص ٥٧٣." (١)

"...وذكر الذهبي في العبر قال " وفيها قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد كان من أولاد أمراء الدولة فنشأ في علم وصلاح وكتب عن مالك وجماعة قال قتله الواثق بيده لامتناعه من القول بخلق القرآن ولكونه أغلظ للواثق في الخطاب وقال له : يا صبي ، وكان رأسا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقام معه خلق من المطوعة واستفحل أمرهم فخافته الدولة من فتق يتم بذلك "(١) .
...وذكره الأزدي في تاريخ الموصل وقال عنه " الذي قتله الواثق في القرآن والأمر بالمعروف " (٢) .
...وقال ابن الجوزي في المناقب " وكان قد اتهم بأنه يريد الخلافة " (٣) .
...قال المسعودي :" قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي في المحنة على القرآن "(٤)
...ومن المتأخرين ذكر الدكتور الدميجي اعتمادا على رواية الطبري والصولي قال :" وممن طبق الخروج فعلا على السلطان المبتدع الواثق بالله القائل بخلق القرآن أحمد بن نصر الخزاعي " (٥).
...وقال م حقق تاريخ دار السلام للخطيب تعليقا في الحاشية على سبب قتله قال " هذا هو السبب المعلن من قبل الخلافة أما الحقيقة فإنه كان يقود حركة دينية سياسية ضد الدولة "(٦) .
...قلت وبعد عرض هذا كله يظهر بوضوح أن مسألة الوثوب على السلطان مرجعها رواية الطبري ومحمد بن يحيى الصولي ، وهي كما سبق القول أصلهما واحد وكلا منهما لم يعايش الحدث ولم يذكر عمدته في هذه الرواية ، والراجح أن هذه الرواية إنما سيقت من قبل السلطة العباسية الحاكمة بعد مقتل أحمد بن نصر تبريرا لقتله عند العامة الذين أظهروا تعاطفا مع شخصية هذا الشهيد .

---

(١) الذهبي " العبر في أخبار من غبر " ج ١ ص٤٠٨
(٢) الأزدي " تاريخ الموصل " ص١٧٨
(٣) ابن الجوزي " المناقب " ٥٣٦

---

(١) سنوات الحنابلة، ص/٣٢

(٤) المسعودي " مروج الذهب " ج ٤ ص٧٦

(٥) الدميجي " الإمامة العظمى " ص٥٤٠

(٦) بشار عواد معروف " حاشية كتاب تاريخ بغداد للخطيب ج ٦ ص٤٠٠." (١)

"بيد أن النشاط الشافعي كان في جهة المشرق خراسان وجرجان وغيرها من بلدان المشرق أكثر وضوحا منه في بغداد .

أما التيار الرئيسي في بغداد فهو الذي التف حول تلميذ الإمام أحمد بن حنبل أبي بكر المروذي المتوفى سنة مائتين وخمس وسبعين ، وكان من أخص تلاميذ الإمام أحمد ، وقد ورد في ترجمته في مناقب ابن الجوزي ": أنه خرج إلى الغزو فشيعه الناس إلى سامرا فجعل يردهم فلا يرجعون فحزروا فإذا هم بسامرا – سوى من رجع – خمسين ألف إنسان فقيل له : يا أبا بكر احمد الله هذا علم (بفتحتين) قد نشر لك قال فبكى ثم قال : ليس هذا العلم لي وإنما هو علم أحمد بن حنبل "(١).

وبغض النظر عن المبالغة في عدد الأتباع إلا أن في النص دلالة على شعبية المروذي الكبيرة في بغداد ، كذلك وعيه بأن هؤلاء الأتباع إنما هم في الحقيقة أتباع أحمد بن حنبل أو بتعبير آخر حنابلة .

وقد خطا تلاميذ أبي بكر المروذي بعد وفاته خطوتين كان من شأنهما بلورة المذهب الحنبلي ، الأولى وضع مختصر فقهي على يد الحسين بن علي أبي علي الخرقي المتوفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان وجود مثل هذا المختصر –وهو أشبه بالمقرر المدرسي – ضرورة مذهبية يتم من خلالها الحكم في أمور الناس وقضاياهم ، وهي خطوة جسدت المذهب الحنبلي في بغداد ، وللمختصرات دور و لاشك في نشر المذهب وقد مر بنا ما يدفعه أبو زرعة الثقفي لمن يحفظ مختصر المزني .

والخطوة الأخرى وهي استمرار الدور الذي كانت تقوم به حركة **المطوعة** من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وقاد هذا الدور تلميذ المروذي الحسن بن علي أبو محمد البربهاري ، وساهم هذا في استمرارية التعاضد الشعبي في بغداد حول أتباع مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى والذين سيعرفون منذ أوائل القرن الرابع بالحنابلة أو الحنبلية .

---

(١) ابن الجوزي " المناقب " ص٦٧٤." (٢)

---

(١) سنوات ا لحنابلة، ص/٥٨

(٢) سنوات الحنابلة ، ص/٦٥

"...وقال التنوخي في موضع آخر من كتابه :" وكان هذا في شعبان والناس إذ ذاك يلقون جهدا جهيدا من الحنابلة إذا أرادوا الخروج إلى الحائر "(١) .

...قلت وتعليق المحقق فيه تدليس وإنما وقفوا في وجه الفساد الذي انتشر في بغداد وكبسهم للدور – إن صح – فهي الدور التي هي مظنة الفساد فكانوا يريقون الخمر ويكسرون آلات اللهو ويعترضون عمليات الغش وكل هذا من الأمر بالمعروف ، وما أحنق المحقق غير منعهم للرافضة من النوح .

...ولا شك أن هذه الحملة هي إحياء للدور السني البارز في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي مثلته حركة **المطوعة** .

...أما ما ذكره ابن الأثير من مسألة التعرض للشافعية فلم يذكرها أحد ممن سبقه من المؤرخين – فيما أعلم – ، ولم يتعرض لها الكتاب المنسوب للراضي ، إضافة أن علاقة الشافعية بالحنابلة كانت آنذاك حسنة لم يكدرها بعد شيء ، ولم يكن هناك دافع للحنابلة أن يرتكبوا هذا المنكر وهم يقودون حملة مكافحة المنكرات في بغداد لذا فإن في هذه الزيادة نظر . ولا يظنن ظان أن إيراد اشتراط الجهر بالبسملة في المناداة دال على حضور المذهب الشافعي ذلك الوقت ، فإن الجهر بالبسملة من أقوال الشافعية إلا أنه من أقوال الرافضة كذلك ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في المنهاج " وكذلك الجهر بالبسملة هو مذهب الرافضة وبعض الناس تكلم في الشافعي بسببها وبسبب القنوت ونسبه إلى قول الرافضة والقدرية لأن المعروف في العراق أن الجهر كان من شعار الرافضة "(٢) .

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص٢٣٢

(٢) ابن تيمية " منهاج السنة " ج ٤ ص١٥٠." (١)

"والحقيقة أن التحالف الشافعي – الأشعري تحالف غير منسجم ، إذ أن البناء الفقهي الشافعي يعتمد مسألة النقل ويقدمها على العقل ، وقد كانت العلاقات بين الشافعية وأهل الحديث وطيدة متداخلة ، خلافا للمذهب الحنفي أو مذهب أهل الرأي الذي عرف منذ بداياته اعتماده على الرأي أولا ، فكان من المستساغ تبني هذا المذهب للفكر الاعتزالي المقدم للعقل ، والذي شهد تغلغلا واسعا في أوساط فقهاء المذهب الحنفي .

وقد استفاد الأشاعرة من الانتشار الواسع للشافعية في أنحاء العالم الإسلامي من مصر غربا وحتى بلاد

---

(١) سنوات الحنابلة، ص/١٠٤

ماوراء النهر شرقا .

أما الركيزة الثانية والتي سببت دخول الحنابلة في كثير من صراعاتهم مع الفرق والمذاهب المناوئة فهي مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان هذا جزء من اختيار سلفي قديم ، إذ نقل ابن حجر في الفتح عن الطبري قوله :" اختلف السلف في الأمر بالمعروف فقالت طائفة يجب مطلقا واحتجوا بحديث طارق بن شهاب رفعه " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " وبعموم قوله " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ..الحديث ، وقال بعضهم يجب إنكار المنكر لكن شرطه أن لا يلحق بالمنكر بلاء لا قيل له به ، قال والصواب اعتبار الشرط المذكور " (١)

وقد كان الحنابلة ممن قال بقول الطائفة الأولى التي أوجبته مطلقا ، وكان لهذه المسألة شقان : شق على الصعيد الاجتماعي – الخلقي و كانت تقوم به جماعات متطوعة حنبلية ، كان من أشهرها جماعة عبدالصمد ، انطلاقا من إرث قديم بدأته جماعة **المطوعة** .

وشق على الصعيد المذهبي – العقدي استتبعه نشوء نزاعات وفتن ترتبت على إنكار المنكر الذي يظهر في الفرق والمذاهب الأخرى التي اصطدم بها الحنابلة في بغداد ، وهي استتباعات غير مرغوب فيها لكنها لا تلغي الأصل المشروع ، المبني على المدافعة المشروعة .

---

(١) ابن حجر العسقلاني " فتح الباريء " ج ١٣ ص٥٣." (١)

"هو جبل الثلج المشهور بالأندلس، وهو بإزاء جبل إلبيرة، وهو متصل بالبحر المتوسط، مقتطع بجبل ريه، ويذكر ساكنوه أنهم لا يزالون يرون الثلج نازلا فيه شتاء وصيفا. وهذا الجبل يرى من اكثر بلاد الأندلس ويرى من عدوة البحر ببلاد البربر، وفي هذا الجبل أصناف الفواكه العجيبة، وفي قراه المتصلة به يكون أفضل الحرير والكتان الذي يفضل كتان الفيوم. وطوله يومان، وهو في غاية الارتفاع، والثلج به دائما في الشتاء والصيف. ووادي آش وغرناطة في شمال هذا الجبل، ووجه الجبل الجنوبي مطل على البحر، يرى من البحر على مجرى أو نحوه. وفيه يقول ابن صارة، وأستغفر الله من كتب هذا الاستخفاف " طويل " :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم ... وشرب الحميا وهو شئ محرم

فرارا إلى أرض الجحيم فإنها ... أحن علينا من شلير وأرحم

فإن كنت ربي مدخلي في جهنم ... ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

---

(١) سنوات الحنابلة، ص/٢٣٨

شنتجالة

في طرف كورة تدمير بال أندلس مما بلى الجوف، ويقال لها أيضا جنجالة، وإليها ينسب الوطاء الجنجالي لعمله بها.

شنترة

من مدائن الأشبونة بالأندلس على مقربة من البحرن ويغشاها ضباب دائم لا ينقطع، وهي صحيحة الهوى، تطول أعمار أهلها، ولها حصنان في غاية المنعة، وبينها والبحر قدر ميل، وهناك نهر ماؤه يصب في البحر،ومنه شرب جناتهم؛ وهي أكثر البلاد تفاحا، ويجل عندهم حتى يبلغ دورها أربعة أشبار، وكذلك الكمترى، وبجبل شنترة ينبت البنفسج بطبعه، ويخرج من شنترة عنبر جيد، ويخرج أيضا في شذونة من بلاد الأندلس.

شنترلانة

مدينة أو قرية بالأندلس، على طريق قلشانة، وهي عن يمين الطريق، وناقوسها ملقى في الأرض لا حارس له ولا رقبة عليه، ويزعم أهلها أنه معقود ممنوع من جميع الناس، وأن من اخذه لا يمكنه الخروج به من القرية، وأن خصيتى من أخذه تنتفخان ويشتد وجعهما حتى يصرفه إلى موضعه؛ هذا عندهم صحيح لا يشكون فيه.

شنترين

ب الأندلس، مدينة معدودة في كور باجة.

وهي مدينة على جبل عال كثير العلو جدا، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لهان وبأسفلها ربض على طول النهر، وشرب أهلها من العيون ومن ماء النهر، ولها بساتين كثيرة وفواكه ومباقل، وبينها وبين بطليوس أربع مراحل.

وهي من أكرم الأرضبين، ونهرها يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر، فتزدرع أهلها على ثراه عند انقطاع الزريعة في البلاد وذهاب أوانها، فلا يقصر عن نمائه الطيب ولا يتأخر إناه وإدراكه.

ومن أقاليمها صقلب، وهي أطيب بقاع الأرض، يرفع في أرضه عند توسط الرباح للحبة مائة، وعند كماله اللحبة مائتان. ولشنترين جزائر في البحر مسكونة، وكانت جباية شنترين ألفين وتسعمائة دينار، وأحوازها متصلة بأحواز باجة.

وكان يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب اجتاز عليها في حركته الأندلسية بعسكره، وهو أربعون ألفا من

أنجاد العرب الفرسان ومن الموحدين والجنود والمطوعة وفرسان الأندلس، واجتازها ما ينيف على مائة ألف فارس، وبرز أسطوله على الأشبونة، وحاصرها عشرين يوما، ونزل على أعظم قواعد ابن الرنق عدو المغرب، وكان مؤذيا للمسلمين من قاعدته، وهي شنترين هذه، فبرز إليها في أمم لا تحصى، وهناك عرض له المرض الذي توفى فيه، أقام الرحل به على مطية مضطجعا على فراشه، وضعفه يتزايد، إلى أن تفقد في بعض أميال فوجد ميتا، وذلك في سنة ٥٨٠ فتقدم بالأمر ولده يعقوب المنصورز فقفل بالناس إلى إشبيلية. فبويع بها ورجع إلى مراكش.

شنتمرية

مدينة في الأندلس من مدن أكشونبة.

وهي أول الحصون التي تعد لبنبلونة، وهي أتقن حصون بنبلونة بنيانا، وأعلاها سموكا، مبتناه على نهر أرغون، على مسافة ثلاثة أميال منه.

وبناحية شنتمرية أعجوبة عاينها كل من دخل على تلك الناحية من المسلمين، وذلك عين ينفجر بماء كثير، ينظر الناس ذلك عيانا، فإذا قربوا منها، ووقفوا عليها انقطع جريانها، فلا تنبض بقطرة، فإذا تباعد الناس عنها عادت إلى حالها، وهذا مستفيض لا يجهد له أحد ممن صاقب تلك الناحية.." (١)

"- ١ - (١)

سنة ٢٢٦: وفيها مات إسحاق بن عيسى الطباع بأذنه

- ٢ - (٢)

سنة ٢٨٢: وفي شعبان منها كان الفداء بين المسلمين والروم على يد أحمد ابن طغان (٣) وورد كتاب فيه: أعلمك أن أحمد بن طغان نادى في الناس بحضور الغداء نادي في الناس بحضور الغداء، وأنه صلى في الجامع وركب منه، ومعه راغب ومواليه ووجوه البلد والقواد والموالي والمطوعة، بأحسن زي وأكمل عدة، ووقع الفداء يوم الثلاثاء لتسع خلون منه، فأقاموا على ذلك اثني عشر يوما، فكان جملة من فدي به من المسلمين من رجل وإمرأة وصبي ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس، وأنصرف الفريقان، وخرج أحمد بن طغان وأستخلف على طرسوس دميانة ولم يعد إلى طرسوس. ولما كان في هذا الشهر - يعني في صفر سنة أربع وثمانين - وافى يوسف بن البغامردي يخلف بن طغان على طرسوس، فهوى به دميانه، فوثب براغب، فنصر راغب وقبض على دميانه، وابن البغامردي وابن اليتيم، فقيدهم وبعث بهم إلى بغداد، وكتب أهل طرسوس

---

(١) صفة جزيرة الأندلس، ص/٤١

إلى هارون بن خمارويه: لا توجه إلين إلينا واليا من قبلك، فإن اتانا قاتلناه، فكف عنهم، وبعثوا إلى المعتضد ليولي عليهم واليا.

- ٣ - (٤)

سنة ٢٨٩: وفي آخر هذه السنة ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن يحيي

---

(١) بغية الطلب ٢: ٢٩٠ (من تاريخ القطربلي وابن أبي الأزهر).

(٢) بغية الطلب ١: ١١٧ (من تاريخ القطربلي وابن أبي الأزهر)

(٣) قائد من قواد خمارويه بن أحمد بن طولون ولي على طرسوس وعلى جميع الثغور الشامية سنة ٢٧٩ وعزل عنها محمد بن بن موسى الأعرج، وكان أحمد بن طغان حسن السيرة في تدبير الثغور مشكور السياسة وله غناء في الجهاد، وإليه ينسب المدي الطغائي الذي كان أهل طرسوس يتعارفونه.

(٤) بغية الطلب ١: ١٣٢ (من تاريخ القطربلي وابن أبي الأزهر).." (١)

"كان معه مع غلام له يعرف بمكنون وأمره أن يتقدمه إلى طرسوس، ورحل هو مخفا إلى دمشق، فلقي أبا الجيش فأحسن أبو الجيش تلقيه وسر بنظره ووصله وأحسن إليه، وكان يكثر عنده ويحادثه، وكانت لراغب عارضة وبيان وحسن عبارة، وكان قد رأى الخلفاء، وعرف كثيرا من أخبارهم، فكان يصل مجلسه بشيء من أخبارهم وسيرهم، فأنس به خمارويه وكان يستريح إلى خدمته ومذاكرته، فلما رأى راغب ما يخصه به خمارويه من التكرمة والأنس به والاستدعاء إذا تأخر استحيى أن يذكر له الخروج إلى طرسوس، فلما طال مقامه بدمشق ظن مكنون غلامه أن أبا الجيش قد قبض عليه ومنعه من الخروج إلى الثغر، فأذاع ما ظنه عند **المطوعة** وشكاه إليهم، وأكثر هؤلاء **المطوعة** من أهل الجبل وخراسان معهم غلظ الأعجمية وسوء أدب الصوفية، فأحفظهم هذا القول وظنوه حقا، فقالوا: أتعمد إلى رجل قد خرج إلى سبيل الله محتسبا نفسه لله عز وجل وفي مقام مثله للثغر قوة للمسلمين وكبت لأعدائهم من الكافرين فتقبض عليه وتمنعه من ذلك جرأة على الله؟ واتفقوا وتجمعوا ومشى بعضهم إلى بعض وأقبلوا إلى واليهم ابن عم خمارويه فشغبوا عليه، فأدخلهم إليه ليسكن منهم [وليجيبهم إلى] ما يحبون، فنهضوا عليه وقالوا: لآ نزال أو يطلق [خمارويه] صاحبنا فإن قتله قتلناك به، وتسع سفلهم إلى داره فنهبت وهتكت حريمه ولحقه كل ما يكره، وجاءت الكتب إلى أبي الجيش بذلك، فأحضر راغبا وأقرأه الكتب وقال له: والله ما منعناك ولا عسرنا عليك

---

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، ١/٢٩

الخروج، ولقد سررنا بقربك وما أوليت فما أوليناك إلا جميلا، وقد جنى علينا سوء ظن غلامك ما لم نجنه فإن شئت فارحل مصاحبا، وقل لأهل طرسوس: ياجهلة، ما يومنا فيكم بواحد، تتسرعون إلى ما نكره مرة بعد أخرى، ونغضي عنكم، ويحكم الله عز وجل، ولولا المحافظة على ثغر المسلمين وعز الإسلام لا خشية منكم، ولا من كثرتكم وإلى الله الشكوى، ولولا الخوف من غضبه عز وجل لحاربناكم على أفعالكم. فودعه راغب ورحل إلى طرسوس، فلما صح عند أهل طرسوس خبر راغب أطلقوا عن محمد بن موسى بن طولون، فلما أطلقوه قال: قبح الله بلدكم، ورحل عنهم فسكن بيت المقدس، وكان له دين وفيه خير كثير.." (١)

"والنشاط والنية من المطوعة المسجدية حتى إذا نزلوا أول منزل تبتل شيخ بل شيوخ من الصلحاء معروفون بحفظ من هناك من الغلمان المرموقين بالصباحة والوضاءة، فتنضاف طبقة طبقة إلى ذي معرفتهم وثقتهم وحصلوا تحت علمه ورايته، فلو هم أحدهم بالوضوء لصلاة لما أفرج عنه إلا برقيب ثقة أمين شيخ معروف يمضي معه لحاجته، حتى إذا فرغ منها عاد إلى جملته.

وقد رأينا في آخر أيام طرسوس رجلا يعرف برؤبة يجتمع إليه الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم يزيد عددهم على ألف صبي، كلهم بالسلاح الذي يمكن مثله حمل مثله وبمزاودهم، وقد عدوا فيها من صنوف أطعمة أمثالهم، يطوف جميعهم بمطرد يحمله رؤبة، يسيرون بسيره ويقفون بوقوفه، فلا يزال ذلك دأبهم حتى إذا عاد السلطان إلى مقر داره عند رجوعه من نفيره دخل أولئك الصبيان أمامه على مراتبهم، يصفهم قائدهم الأمثل فالأمثل، رماتهم عن قسي الرجل التي قد عملت على مقاديرهم ثم رماتهم عن القسي الفارسية، وربما كان فيه من أولاد اليمانية من يحمل القسي العربية بنبلها، فيدخلون فوجا فوجا صبيين صبيين، ثم من يحسن الثقاف فيثاقف قرينه ومثله وخدينه وشكله حتى يدخل كل صنف منهم في مرتبته، ثم يتلوهم رؤبة قائدهم بمطرده وعلامته، حتى إذا خرج [أحد] أولئك الصبيان من حد الطفولة واشتد عضده وقارب حد البلوغ أو بلغ أو تجاوز البلوغ قليلا انضاف إلى قائد من قواد الرجالة الذين ذكرت، وصحبه في نفيره وغزوه وارتاد لنفسه الرفاق بحسب ما يختار تربه وجاره وقرينه، فإذا ألتحى وخرج عن حد المرد دخل في جمهور الناس حاذقا بما يحتاج إليه ماهرا بصيرا بأمر جهاده وتدبيره أمره نافذا يقظا إن شاء الله.

[الاستصراخ لإنقاذ طرسوس]

٢٣ - (١)

وقرأت بخط أبي عمرو في كتابه: وجرى من اعتياد الروم طرسوس ما

---

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، ١/٢١٩

(١) بغية الطلب: ٢٢٩ - ٢٣١.." [1]

" وأقام الحج المتوكل جعفر بن المعتصم أمير المؤمنين

سنة ثمان وعشرين ومائتين

فيها مات مسدد بن مسرهد . وعبيد الله بن محمد بن حفص يقال له : ابن عائشة . وعبد الرحمن بن المبارك مولى بني تيم بن ثعلبة . وتركي داود بن سليمان

أقام الحج محمد بن داود . وغزا إبراهيم بن هاشم بحر البصرة من قبل أحمد بن رياح

سنة تسع وعشرين ومائتين

أقام الحج عمر بن داود . وغزا إبراهيم بن هاشم بحر البصرة من قبل أحمد بن رياح

سنة ثلاثين ومائتين

أقام الحج محمد بن داود . وغزا إبراهيم بن هاشم بحر البصرة فبلغ أداني بلاد سرشب وبعض قراها وأصاب سبيا

سنة إحدى وثلاثين ومائتين

أقام الحج محمد بن داود . وفيها مات محمد بن المنهال الضرير راوية يزيد بن زريع . وأمية بن بسطام العائشي . وخلف بن سالم المخرمي . وهارون بن معروف من أهل بغداد . وعبد الله بن محمد بن أسماء

قال بقي بن مخلد : وفيها مات يحيى بن عبد الله بن بكير يوم السبت لاثنتي عشرة بقين من صفر أخبرني بذلك ابنه عبد الله . وفيها كسرت مراكب **المطوعة** في بحر البصرة بين جنابا وسينين وأصيب فيها ناس من **المطوعة** . وفيها كان الفداء بالروم والوالي أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي ففدي من المسلمين نحو من أربعة آلاف رجل وست مائة ونحوها من النساء والصبيان

سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

فيها أقام الحج محمد بن داود ." [2]

---

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، ٢/٤٥٤

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص/١٤٣

"وفي يوم الجمعة ثاني يوم نزولهم شرعوا في الخروج إلى البر الذي فيه المسلمون وضربت خيمة عظيمة حمراء لريدا فرنس وناوشهم بعض المسلمين فاستشهد في ذلك اليوم الوزيري وهو من أمراء الديار المصرية والأمير نجم الدين بن شيخ الإسلام وكان رجلا صالحا رحمهما الله، فلما أمس المسلمون رحل بهم الأمير فخر الدين وقطع بهم الجسر إلى البر الشرقي الذي فيه دمياط وخلا البر الغربي للفرنج ثم رحل بالعساكر طالبا أشمون طناح وخلا البر الشرقي والغربي من عساكر المسلمين فخاف أهل دمياط على أنفسهم وكان بها جماعة شجعان من الكنانية فألقى الله في قلوبهم الرعب فخرجوا هم وأهل دمياط على وجوههم طول الليل ولم يبق بدمياط أحد البتة، ورحلوا تحت الليل مع العسكر هاربين إلى أشمون طناح ولو غلقوا أبوابها وأقاموا بها مع مشيئة الله لم يقدر العدو عليها ولما كان صباح الأحد جاء الفرنج إلى دمياط فوجدوها صفرا من الناس وأبوابها مفتحة فملكوها صفوا عفوا واحتووا على ما فيها من العد والأسلحة والذخائر والأقوات والمجانيق، فلما وصلت العساكر وأهل دمياط إلى الملك الصالح حنق على الكنانيين فشنقهم جميعهم وكان فيهم شيخ له ابن فسأل أن يشنق قبل ولده لئلا يراه فحمل الملك الصالح ما عنده من الجبروت وقلة الرحمة والحنق على أن شنق الولد قبل والده وعينه تراه ثم شنق والده بعده وعظم على الناس شنق الكنانيين وأطلقوا لسنتهم بسبب الملك الصالح وكونه تزود بدمائهم وهو في آخر رمق وقد يئس من نفسه ولم يمكنه أن يقول للأمير فخر الدين وبقية العسكر شيئا لقوة مرضه وعجزه، ثم رحل الملك الصالح بالعساكر إلى المنصورة وهي شرقي النيل فنزل بقصرها الذي أنشأه الملك الكامل بها وضرب دهليزه إلى جانبه وكان استقراره بالمنصورة يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر وشرعت العساكر في تجديد الأبنية وقامت بها الأسواق وأصلح السور الذي كان على البحر وستر بالستائر وجاءت الشواني والحراريق بالعدد الكاملة والمقاتلة فأرسوا قدام السور وحضر من الرجالة والغزاة **المطوعة** والعربان من سائر النواحي خلق لا يحصون وشرع العربان في الإغارة على الفرنج وحصن الفرنج أسوار دمياط وشحنوها بالمقاتلة وفي كل وقت يحضر المسلمون جماعة سرى من الفرنج واتفقت وفاة الملك الصالح في حدود منتصف شعبان سنة سبع وأربعين، فلما تحقق الفرنج موته رحلوا بجملتهم من دمياط وشوانيهم تحاذيهم في البحر ونزلوا على فارس كور ثم تقدموا منها مرحلة، وذلك يوم الخميس لخمس بقين من شعبان، ولما كان يوم الثلاثاء مستهل شهر رمضان وقع بين المسلمين والفرنج وقعة استشهد فيها جماعة من الجند وغيرهم، وفي يوم الأحد عشر شهر رمضان وصلت الفرنج طرف جزيرة دمياط وهي المنزلة التي نزلوها في أيام الملك الكامل وانتصر المسلمون عليهم فيها والمسلمون قبالة الفرنج وبينهم النيل وخندق الفرنج على أنفسهم وأداروا عليهم سورا

وستروه بالستائر ونصبوا المجانيق يرمون بها المسلمين وأرست شوانيهم بإزائهم في النيل وشواني المسلمين بإزاء المنصورة ونشب القتال بين الفريقين برا وبحرا، وكل يوم يقتل من الفرنج ويؤسر جماعة وفي يوم الأربعاء لسبع مضين من شوال أخذ المسلمون من الفرنج شينيا فيه مائتا رجل وكند كبير، وفي يوم الخميس منتصف شوال ركبت الفرنج والمسلمون ودخل المسلمون إلى برهم واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من الفرنج أربعون فأرسا، وفي يوم الخميس لثمان بقين من شوال أحرق المسلمون للفرنج مرمة عظيمة في البحر واستظهر عليهم المسلمون استظهارا بينا.." (١)

"وفي ويوم الاثنين سابع عشر ذي الحجة تقدم الملك الظاهر باراقة الخمور في سائر بلاده والوعيد لمن يعصرها بالقتل فاريق على الأجناد والعوام منها ما لا يحصى قيمة ومكان ضمان ذلك في ديار مصر خاصة ألف دينار في كل يوم وكتب بذلك توقيع قرئ على منبري مصر والقاهرة.

وفي الآخر من ذي الحجة اهتم الملك الظاهر بإنشاء شواني عوضا عما ذهب على قبرس وفيها نزل الفرنج على تونس وسبب ذلك أن تجارا منهم قصدوها فألزموا على تجارتهم حقوقا فضربوا دراهم مغشوشة على سكة صاحب تونس وأخرجوها في الحقوق الموجبة عليهم وظن العمال أن الأمير تقدم بضربها فأخذوها ثم فحصوها فوجدوها ضرب خارج الدار فسأل عن أكثر الفرنج مالا فقيل له أهل جنوة فأمر باستيصال أموالهم في سائر بلاده وحبسهم فاستصرخ أهل جنوة بريدا فرنس وأمدوه بالأموال فجمع وحشد وقصد تونس في أربعمائة ألف رجل منها ستة وعشرون ألف فارس ومعه من الملوك صاحب نابرة وابن الفنش وزوجة صاحب صقلية وعدة مراكبهم أربعمائة مركب فأمر صاحب تونس إلى أن يخلي لهم الساحل ولا يقاتلهم أحد فنزلوا في البر في ثامن عشر ذي الحجة سنة ثمان وبعث صاحب تونس إلى قبائل العرب الذين في بلاده وجمع مشايخهم وكبراء دولته من الأجناد والكتاب ليشاورهم فكل أشار برأي ورأت الجماعة الأندلسيون أن يفسح لهم في البر فإن المكان الذي نزلوا به لا يتسع لقتال فنزلت زوجة صاحب صقلية في البرج الذي على طرف المرسي وأخرج صاحب تونس العدد وفرقها في الجند والمطوعة فحملوا من غير أمره وكان معهم جماعة من الفرنج في طاعتهم فأشاروا على من معها أن تنزل من البرج إلى البحر ويلحقوها بالمراكب لئلا تؤخذ ففعلوا ففهم الأندلسيون كلامهم فلما فاتهم مقصودهم منها عادوا إلى البلد وحكموا في نسائهم وأولادهم السيف ونهبوا أموالهم وأمر صاحب تونس الرعية بعدم القتال فأشتد طمع الفرنج وقصدوا المعلقة وقتلوا من أهلها سبعين رجلا وأخذوا منبرها وبعثوا به إلى بلادهم.

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ٢٣٨/١

وذلك في ثاني عشر ذي الحجة سنة ثمان ثم بعثوا إلى صاحب تونس يطلبونه لمبارزتهم فقال ليس فيكم ملك متوج حتى أخرج إليه وإنما الذين معكم كنود فأنا أبعث إليهم أكفاءهم ثم أنفق في العربان وأمرهم بالاحتياط بهم فخافت الفرنج وخندقوا على أنفسهم جميع شهر ذي الحجة فلما هل المحرم سنة تسع ومضت منه أيام خرج الفرنج وقاتلوا قتالا شديدا ولم يكن في المسلمين من الجند أحد إنما هم عربان وبربر وعوام فاستظهر المسلمون عليهم وأخذوا لهم فوق المائتي فرس وقتلوا ابن ريدافرنس وصاحب نابرة وابن صاحب قشتالة ابن الفنش.

وعلم ذلك المسلمون في العشرين من ربيع الأول وأخبروا أيضا أن ريدا فرنس مات في الليلة التي خرجوا في صبيحتها ولم يبق عند الفرنج ملك غير أخيه شرون وطلب الفرنج الصلح فتوقف صحب تونس فقيل له المصلحة الصلح فإن العرب لهم باطن مع ،الفرنج ولهم عليهم في كل يوم أربعون ألف دينار حتى لا يقاتلونهم فأجاب في ذلك فتمنع الفرنج حينئذ وقالوا كيف نصالح وقد حلفنا أن نموت بعضا على بعض إلى أن ترد أموال الجنويين عليهم وقال شرون لصاحب تونس تعطيني الذي كان أبوك يعطيه لإنبرطور من حين قطعه وذلك عشرون سنة فقال إن كنت قويا فاجلس ومني ومنك وإن كنت ضعيفا مهزوما فلا تشترط فوقع الصلح على رد مال الجنويين واتفقوا في رابع وعشرين ربيع الآخر ورحلوا بعد ذلك بسبعة عشر يوما.

ذكر دخول آجاي بن هولاكو وصمغرا

صحبته إلى بلاد الروم

قد تقدم القول برجوع أبغا إلى أذربيجان بعد كسر برق ووصل إلى ظاهر توريز ثم رحل إلى مدينة رومى وضرب مشورة بسبب صاحب مصر وغيره فاتفقوا أنهم يسيروا آجاي بن هولاكو في ثلاثة آلاف فارس وقال له تأخذ في طريقك عول بألف فارس وابن نايجونوين بألف فارس ودرباي بألف فارس وجمغل بألف فارس ونابجي بثلاثة آلاف فارس وعسكر الروم والبرواناة فوصلوا إلى الروم واجتمعوا وسيأتي ذكر ذلك في حوادث سنة سبعين إن شاء الله تعالى.

فصل." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٤١ """"""""

وأكل الفرنج بأنطاكية الميتات والدواب ، فخرجوا من أنطاكية يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر رجب .

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ١/٣٣٠

فأشار وثاب بن محمود أن يمنعوا من الخروج ، وأشار بعض الأمراء أن لا يمكنوا من الخروج بأجمعهم ويقتلوا أولا فأولا ، فلم يعرج المسلمون على شيء من : ذلك لأنهم أيقنوا بالظفر بالفرنج ، وخرجوا بأجمعهم في خلق عظيم ، وعاث التركمان في العسكر فانهزم ، وتوهم الفرنج أن ذلك مكيدة فتوقفوا عن تبعهم ، فكان ذلك سببا لسلامة من أراد الله سلامته ، ولم يبق غير كربوقا ومعه أكثر عسكره ، فأحرق سرادقه وخيامه وانهزم نحو حلب .

وقتل من **المطوعة** والغلمان والسوقة خلق كثير ، ولم يقتل مذكور ، ونهب من المسلمين من الآلات والخيام والكراع والغلات ما لا يحصى ، ومن انقطع من العسكر نهبه الأرمن وعاد الفرنج إلى قلعة أنطاكية ، وبها أحمد بن مروان ، فراسله الفرنج وأمنوه ، ومن كا ن معه ، وسلمها إليهم يوم الأحد الثاني من شعبان من السنة ، وأنزلوه في دار بأنطاكية ، وأطلقوا أصحابه وسيروا معهم من يوصلهم إلى أعمال حلب ، فخرج الأرمن فأخذوا بعضهم وقتلوا بعضهم ، ولم يسلم منهم إلا القليل .

ولما وصل كربوقا إلى حلب خرج إليه الملك رضوان ، وحمل له خياما وغيرها ، ورحل عنها وعاد عسكر دمشق إليها وتفرقت العساكر .

وبعد أيام من هذه الوقعة خرج جماعة من الفرنج في شعبان ، وزحفوا مع أهل تلمنس وجميع نصارى بلد المعرة على المعرة وقاتلوها ، فوصلت قطعة من عسكر حلب إليهم ، فالتقوا بين تل منس والمعرة ، فانهزم الفرنج وبقي الرجالة منهم ، فقتل منهم زائدا عن ألف رجل ، وحملت رؤوسهم إلى معرة النعمان . وفي هذه السنة وهي سنة إحدى وتسعين في جمادى الأولى عزل الملك رضوان وزيره أبا النجم هبة الله بن محمد بن بديع ، وولى وزارته أبا الفضل هبة بن." (١)

"هذه باختصار أمثلة عابرة عن مآسي الطفولة في تلك الأيام ولم تكن تلك الأوضاع مقتصرة على الكويت بل كانت تشمل المنطقة العربية بأسرها. كذلك كانت الفتيات يذهبن إلى (**المطوعة**) ولكن بعدد أقل من الفتيان، وفي العراق يسمونها (ملاية) مؤنث كلمة (ملا) وأظن أن الكلمة تركية الأصل لأنها متداولة في بعض البلاد العربية منذ أيام العهد العثماني (لقد تطرق بعض الكتاب الكويتيين في مؤلفاتهم إلى الكثير من عادات تلك الأيام وتقاليدها، أمثال السيد أيوب حسين الأيوب والسيدة مريم عبدالملك الصالح والسيد سيف مرزوق الشملان).

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٢٤١

كان أسعد الأيام عندنا يوم الخميس حيث تليه عطلة الجمعة وكنا نذهب ذلك اليوم إلى (المدرسة) ومعنا (الخميسية) وهي دريهمات معدودة لا تزيد عن (آنه) هندية (أربع فلوس) نقدمها للأستاذ.

وكان الشارع ميدان اللعب عندنا وألعابنا بدائية وكانت أمهاتنا تصنع (اللعبة) مثل العرائس وغيرها للبنات وكنا نحن الأولاد نصنع بعض ألعابنا بأيدينا وكان الأكبر منا سنا يمارسون السباحة في البحر وصيد السمك (الحداق) أو صيد الطيور أيام الربيع بالفخ و(الصلابة) وهي عبارة عن عودين من أغصان الأشجار يتم ربطهما من الأسفل وفي أعلاهما خيط مزدوج يمر من خرق في أحد العودين وينفذ داخل الخرق عود خشبي يشبه قلم الرصاص طوله حوالي ثمانية أو عشرة سنتيمترات وتوضع الصلابة وسط بعض أغصان الأشجار الصحراوية ثم فوق أعلى مكان في البيت فإذا حط الطير فوق القلم سقط بسبب ثقل الطير فتشتبك رجلا الطير في الخيط ويظل مدلى ولا يستطيع الإفلات.

وعلى ذكر طيور الربيع في الكويت وهي كثيرة الأنواع والأسماء فمنها الحمامي وهو من الطيور الصغيرة الجارحة ولونه سماوي مع خطوط سوداء في بعض ريش جناحيه وفي رأسه عند العينين وحجمه أكبر من حجم العصفور وعند صيده كنا نحتفظ به عدة أسابيع ونطعمه من لحوم صغار الطيور كما كنا نحتفظ به ونربيه كما يربى الكبار الصقور!." (١)
"

ولما أخذنا في المسير قال اعلم أنني ابن فلان التاجر الذي يقع قصره في مكان كذا من هذه المدينة والناس كلهم يعرفون أي رجل كان والدي وما كان له من مال وثروة وخلاصة الأمر أنه لما انتقل والدي إلى جوار ربه أطلقت لهواي العنان وسمت سرح اللهو وعاقرت ابنة الكرم سنوات فابتليت بمرض عضال فقدت معه كل أمل بالشفاء ونذرت نذرا لله تعالى أنني سأحج وأغزو إذا ما شفيت من مرضي ومن الله تعالى بالشفاء علي وقمت من المرض سالما وعقدت العزن على الحج ومن ثم الغزو وأعتقت جواري وغلماني جميعا ووهبتهم مالا وبيوتا وضياعا وألفت بيهم بالزواج ثم بعت ما كان لي من أسباب وضياع ومستغلات بخمسين ألف دينار ذهبا وفكرت في نفسي بأنني مقدم على سفرين محفوفين بالمخاطر فليس صوابا أن أحمل الذهب كله معي ورأيت أن أحمل ثلاثين الفا وأبقي العشرين الأخرى فاشتريت إبريقي نحاس ووضعت

---

(١) رحلة مع قافلة الحياة، ص/١٠

في كل منهما عشرة الاف دينار وقلت وال١ن عند من أودعها ولم يدلني ضميري إلا على قاضي القضاة من المدينة كلها وقلت في نفسي إنه رجل عالم وقاض وقد اعتمده الملك ووكل إليه دماء المسلمين وأموالهم انه لن يخونني على أية حال فمضيت إليه وكلمته بالأمر سرا فقبل هو وسررت أنا ونهضت سحرا وحملت الإبريقين إلى بيته ووضعتهما عنده وديعة ثم مضيت في سبيلي فأديت فريضة الحج وتوجهت من مكة والمدينة إلى بلاد الروم والتحقت بالغزاة وقضيت سنوات أجاهد في سبيل الله وفي إحدى المعارك مع الكفار أصبت بجروح في مواطن من وجهي وعنقي وركبتي وفخذي ووقعت أسيرا بيد الروم وأمضيت أربع سنوات في أغلالهم وسجنهم إلى الوقت الذي ابتلي فيه القيصر بمرض فأطلق سراح جميع الأسرى وبعد فكاكي من الأسر التحقت **بالمطوعة** وخدمت في صفوفهم ولما هيأت نفقات طريق العودة قفلت راجعا على أمل أنني كنت قد أودعت قاضي بغداد عشرين ألف دينار

وبعد عشر سنوات عدت إلى بغداد صفر اليدين رث الملابس هزيل الجسم لشدة ما قاسيت من مشاق السفر والام ضنك العيش في تلك المدة وذهبت إلى القاضي فسلمت عليه وجلست عنده وانصرفت وترددت عليه على هذه الحال يومين ولما لم يقل لي شيئا ذهبت إليه في اليوم الثالث وجلست طويلا فلما لم يبق أحد اقتربت منه وقلت له بهدوء وبطء أنا فلان ابن فلان قد حججت وغزوت وعانيت المتاعب

---

(١) ".

"

وفيها ورد الخبر بان اسماعيل بن احمد صاحب خراسان قتله غلمانه على شاطىء نهر بلخ وقام ابنه ابو الحسن نصر (١) مقامه وانفذ اليه الخليفة عهده

وفيها ورد الخبر با خادما صقلابيا لابي سعيد الجنانبي (٢) قتله وخرج فلم يزل يستدعي قائدا قائدا ويقتله حتى قتل جماعة (٣) ففطن به النساء فصحن بالامر فقام ابو طاهر سليمان بن الحسن مقام ابيه

واتى القرامطه في هذه السنة البصرة (٤) في ثلاثين فارسا والناس في صلاة الجمعة فقتلوا الموكلين بالباب ومن خرج اليهم من **المطوعة** وبلغ الخبر امير البصرة محمد بن اسحاق بن ينداحيق (٥) فغلق الابواب (٦) سنة اثنين وثلاثمائة

---

(١) سياسة نامه أو سير الملوك، ص/١١٢

ورد فيها كتاب ابي الحسن نصر بن احمد صاحب خراسان بانه واقع عمه اسحاق واسره

وفي هذه السنة خرج مونس الى مصر وضم اليه علي بن عيسى اخاه عبدالرحمن وقلده كتابته وذلك عند سماعهم قرب الخارج بالقيروان وواقعه مونس فانهزم من بين يديه

وهذا الخارج ذكر الصولي عن اصحاب النسب انه عبيدالله بن عبدالله بن سالم من اهل عسكر مكرم وجده سالم قتله المهدي رضوان الله عليه على الزندقة

وانفذ ابا عبدالله الصوفي الى المغرب فارى الناس زهدا وعبادة وطرد زيادة الله ابن عبدالله ابن الاغلب واتاه عبيدالله فقال الى هذا ادعوكم

فلما ظهر عبيدالله شرب الخمر تبرا الصوفي منه فدس عليه عبيدالله من قتله وملك بلاد المغرب فهزمه مونس وتصدق المقتدر بالله عند هزيمته باموال كثيرة

." (١)

"

وكان لابي طاهر اخوان (١) ابو القسم سعيد بن الحسن وابو العباس الفضل بن الحسن وكان امرهم واحدا فكانوا اذا ارادوا حالا خرجوا الى الصحراء واتفقوا على (٢) ما يعملون فاذا انصرفوا تمموا ما عولوا عليه وكان لهم اخ (٣) متشاغلا باللذات لايدخل معهم في امورهم

وفي هذه السنة توفي ابو عبد الله البريدي (٤) بحمى حادة مكثت به سبعة ايام وكان بين قتله لاخيه وبين مؤته ثمانية اشهر

وانتصب ابو الحسين مكان اخيه فاستطال على اصحابه فمضى يانس الى ابي القسم ابن مولات (٥) واخذ منه ثلاثمائة الف دينار ففرقها في الديلم حتى عقدوا له الرئاسة وكبسوا أبا الحسين بمسماران فخرج من تحت ليلته وتنكر ومضى الى الجعفرية ومضى الى الهجري فقبله واقام عنده شهرا وسار معه اخو (٦) ابي طاهر ولم يتمكنوا (١٧٦٩١) من دخول البلد فسفروا بين ابي الحسين وبين عمه في الصلح وسالوه ان يؤمنه فاختار الاصعاد الى بغداد وكان من حالة ما ياتي ذكره

---

(١) تكملة تاريخ الطبري، ص/١٤

واجتمع لشكرستان (٧) الديلمي ويانس على الايقاع بابي القسم فلما خرج يانس من عند القائد اتبعه بزوبين (٨) في الليل فسلم منه وصار الى خراب فاواه وكان ابو القسم معولا على الهرب حين بلغه ما هما به واستتر لشكرستان حين علم سلامة يانس

وعولج يانس حتى برئ وصادره ابو القسم على مائة الف دينار وتلقاه الى عمان فلما صار في الحديدي قتله غلمان ابي القسم وتمكن ابو القسم من الرئاسة

وخرج في هذه السنة عسكر الروسية الى اذربيجان وفتحوا برذعة وملكوها وسبوا اهلها

فجمع المرزبان بن محمد (٩) عسكره واتته **المطوعة** حتى صار في مائتي الف رجل فلم يقاومهم وكان اميرهم يركب حمارا

---

(١) ".

"٦- التجاوب الضعيف من المسلمين لنصرة إخوانهم المنكوبين: فعندما هاجم الصليبيون الرها سنة ٣٦١هـ ألح الناس على بختيار البويهي(١٨) أن يقوم بواجبه، فماطلهم ولم يحصل منه شيء، وعندما استولى الصليبيون على القدس هام الناس على وجوههم فارين من وحشية العدو الصليبي، وخرج الفقهاء من بغداد ليندبوا الملوك على الجهاد، فلم ينفع سعيهم، وتجهز بعض الفقهاء في بغداد ومعهم جمع من **المتطوعة** سنة ٥٠٤هـ للجهاد ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة الصليبيين، وعندما أرسل صلاح الدين رسالة إلى ملك المغرب يطلب منه المساعدة بأسطول بحري يقطع إمدادات الصليبيين القادمة عبر مضيق جبل طارق غضب؛ لأنه لم يخاطبه بأمير المؤمنين(١٩).

٧-الاستنصار بالأعداء النصارى في النزاعات الداخلية:

ومن ذلك ما فعله عمارة اليمني الشاعر المشهور عندما كاتب الصليبيين لغزو مصر، واسترجاع الحكم الفاطمي، وفيه يقول الشاعر:

عمارة في ال‍إسلام أبدى جناية*وبايع فيها بيعة وصليبا(٢٠) وأمسى شريك الشرك في بغض أحمد*فأصبح في حب الصليب صليبا

وكان خبيث الملتقى إن عجمته*تجد منه عودا في النفاق صليبا* سيلقى غدا ما كان يسعى لأجله*ويسقى صديدا في لظى وصليبا

---

(١) تكملة تاريخ الطبري، ص/١٤٠

بوادر العودة:

في ظل تلك الأوضاع السيئة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم نجد أن العلماء تحركوا للقيام بما أوجب الله تعالى عليهم من إصلاح المجتمعات المسلمة، فكان لهم جهود لا تخفى لاستنهاض الأمة لتعود إلى الجهاد ، ففي سنة ٣٦٢هـ اجتمع أبو بكر الرازي الحنفي، وأبو الحسن الرماني، وابن الدقاق الحنبلي بعز الدولة بختيار وحرضوه على غزو الروم الذين استولوا على الرها وبعض بلاد الشام، فبعث جيشا إلى الشام فأظفره الله بهم، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وبعثوا برؤوسهم إلى بغداد فسكنت أنفس الناس(٢٥)..." (١)

"عنه ولم يزل ابن ياقوت في ذلك اليوم ثابتا بعد أن انهزم ابن الخال وأبلى بلاء حسنا فلما لم يجد ابن ياقوت مساعدا انهزم وانهزم عبد الواحد بن المقتدر وبقى المقتدر وحده وحوله جماعة من العامة وهو يحض الناس على القتال ويسألهم الثبات معه ويتوسل إليهم بالله وبنبيه وببردته ويمسح المصحف على وجهه إلى أن أقبل موكب على بن يلبق وكان قد أصابته جراح في الحرب فلم يهن لها وأقبل معه فارس تحته فرس أدهم وعليه درع على رأسه زردية فضرب المقتدر ضربة بالسيف في عاتقه الايمن فقطعت الضربة طاقا من حمائل السيف وأثخنته الضربة وكان السيف بيد المقتدر مجردا وقد كان نافع صاحب ركاب مونس ضرب بيده إلى عنان دابة المقتدر ليسيربه إلى مونس فلما ضربه الفارس خلى نافع عنانه ومضى الفارس بعد أن ضربه ولم يقف عليه ووافى بعد هذا الفارس ثلاثة فوارس يقال لاحدهم بهلول وللثاني سيمجور ورفيق لهما لم أحفظ اسمه فوقفوا بالمقتدر يخاطبونه ويسمعون منه منه فأخذ أحدهم السيف من يده وانترع الآخر البردة والخفتان منه وطالب الثالث بخاتمه فدفعه إليه وكان الخاتم ياقوتا أحمر مربعا فضربه أحد الثلاثة بالسيف على جبينه فألمه فأخرج المقتدر كم قميصه ليمسح الدم عن وجهه فضربه الآخر ضربة ثالثة فتلقاها المقتدر بيده اليسرى فقطعت إبهامه وانقلبت الابهام إلى ذراعه وسقط إلى الارض واجتمعت عليه جماعة رجالة فاحتزوا رأسه وحمل إلى مونس وذلك يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شوال سنة ٣٢٠ وكان الذى حمله سراج البكتمرى فلما نظر إليه مونس اشتد جزعه وغمه وناله عليه أمر عظيم وقيل إن الذى قتل المقتدر نقيط غلام مونس وأن جثته بقيت مجردة فطرح بعض **المطوعة** على سوأته خرقة ثم أخذها رجل من العجم وألقى عليها حشيشا إلى أن حملت الجثة إلى مونس فأضاف إليها الرأس وسلمه إلى ابن أبى الشوارب القاضى ليتولى أمره فقيل إنه دفن مع أبيه وقيل إنه دفن في رقة الشماسية وقيل أيضا انه طرح في

---

(١) جهود العلماء والأدباء في استنقاذ القدس من الصليبيين، ص/٦

دجلة ولم تزل الرعية يصلون في مصرعه ويدعون على قاتله وبنى في الموضع مسجد وحظيرة كبيرة وكان عمر المقتدر يوم قتل ثمانية وثلاثين سنة وشهرا وستة أيام." (١)

"التدبير في أمور الإدارة العسكرية، وكان من هؤلاء عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي كان مشهورا بالصفات السابقة، مما جعل الخليفة معاوية يعتمد عليه كالوزير المدبر لدولته والمشير ومنهم أيضا زياد بن أبيه ولم تكن الوزارة في عهد بني أمية مقننة القواعد ولا مقررة القوانين، وكان ذوو الآراء من مستشاري الخليفة يقومون مقام الوزراء، وكان الواحد منهم يسمى كاتبا أو مشيرا (١) إضافة إلى ذلك كان الخليفة معاوية يعتمد في إدارته العسكرية على مشورة قادة وأمراء القبائل وخصوصا التي بالشام، فقد كان يقربهم ويدني مجلسهم ويستشيرهم، وسار قادة معاوية بن أبي سفيان سيرته بمبدأ المشورة في إدارتهم العسكرية للمعارك الحربية (٢).

سادسا: مركزية القيادة والإمداد في إدارة معاوية:

عندما انتقلت الخلافة إلى بني أمية أصبحت دمشق مقر الخلافة ومركز القيادة العليا للإدارة العسكرية، فكان الخليفة بها هو الذي يقرر السياسة الحربية كما كان مسئولا عن الحرب والسلم فكان التنظيم الإداري العام للجيش أمرا من الأمور المركزية التي يشرف الخليفة مباشرة عليها (٣)، وذلك بالرغم من وجود عمال الولايات والأقاليم الذين كان لهم مطلق السلطات والتي منها قيادة الجيوش بأنفسهم أو تعيين القادة المناسبين من قبلهم ووضع الخطط لهم وإمدادهم وتموينهم ومن أمثلة هؤلاء زياد بن أبيه وابنه عبيد الله (٤)، فمن مركزية القيادة لإدارة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في تعيين القادة أنه كتب إلى واليه بالبصرة زياد بن أبيه يأمره

أن يوجه إلى خراسان رجلا يقوم بأمرها فولى زياد الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه، وكتب له عهده على خراسان وولاه حربها، وخراجها وسار إليها بمن يريد الجهاد في سبيل الله، من **المتطوعة** من أهل البصرة، إضافة إلى الجند النظامي أصحاب الديوان، فوضع لهم الأرزاق، وأعطاهم وقواهم وسار لما أمر به (٥). ومن مركزية القيادة العليا في إدارة معاوية العسكرية تسيير الجيوش والإمدادات العسكرية لها، فنرى القائد، علقمة بن يزيد

---

(١) صلة تاريخ الطبري، ص/١٢٥

(١) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٢٨٠).

(٢) الفتوح، ابن أعثم (١/ ٣٤٠)، الإدارة العسكرية (١/ ٢٨٠).

(٣) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٣١٤).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٣١٤).

(٥) الفتوح لابن أعثم (٢/ ٣١٨).." (١)

"١ - بشائر النصر تعلن للمسلمين: كتب تورانشاه في أعقاب المعركة إلى الأمير جمال الدين بن يغمور نائب دمشق كتاب بخطه نصه: من ولده تورانشاه الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (وما النصر إلا من عند الله" (الأنفال، آية: ١٠) "يؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله" (سورة الروم، آية:٤) "وأما بنعمة ربك فحدث" (الضحى، آية:١١) "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها" (النحل، آية: ١٨) نبشر المجلس السامي الجمالي، بل نبشر المسلمين كافة، بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدون الدين، فإنه استفحل أمره واستحكم شره، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد، فنودوا لا تيأسوا من روح الله، ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة، تمم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح وجمعنا العربان **والمطوعة** وخلقا لا يعلمهم إلا الله، فجاءوا من كل فج عميق ومكان سحيق، فلما كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم، وقصدوا دمياط هاربين، وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل، فيوحل بهم الخزي والويل، فلما أصبحنا يوم الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا، غير من ألقيى نفسه من اللجج، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجأ الفرنسيين إلى المنية، وطلب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته وجلاله وعظمته وذكر كلاما طويلا وبعث المعظم مع الكتاب غفارة (١)، الملك لويسع التاسع فلبسها الأمير جمال الدين بن يغمور (٢).

---

(١) الغفارة: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

(٢) السلوك (١/ ٤٥٦).." (٢)

"فتح جرجان وطبرستان.

عليه الصلاة والسلام ٩٨ ¤ ٦١٧ ١/٨

---

(١) معاوية بن أبي سفيان، علي محمد الصلابي ص/٤٥٢

(٢) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/٥٤١

غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان. وسبب غزوهما واهتمامه بهما أنه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام كان سليمان كلما فتح قتيبة فتحا يقول ليزيد: ألا ترى إلى ما يفتح الله على قتيبة؟ فيقول يزيد: ما فعلت جرجان التي قطعت الطريق وأفسدت قومس ونيسابور ويقول: هذه الفتوح ليست بشيء، الشأن هي جرجان. فلما ولاه سليمان خراسان لم يكن له همة غير جرجان، فسار إليها في مائة ألف من أهل الشام والعراق وخراسان سوى الموالي والمتطوعة، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة إنما هي جبال ومخازم وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد. فابتدأ بقهستان فحاصرها، وكان ذلك، فإذا هزموا دخلوا الحصن. فخرجوا ذات يوم وخرج إليهم الناس فاقتتلوا قتالا شديدا، فحمل محمد بن سبرة على تركي قد صد الناس عنه فاختلفا ضربتين، فثبت سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة، وضربه ابن أبي سبرة فقتله ورجع وسيفه يقطر دما وسيف التركي في بيضته، فنظر الناس إلى أحسن منظر رأوه. وخرج يزيد بعد ذلك يوما ينظر مكانا يدخل منه عليهم، وكان في أربعمائة من وجوه الناس وفرسانهم، فلم يشعروا حتى هجم عليهم الترك في نحو أربعة آلاف فقاتلوهم ساعة، وقاتل يزيد قتالا شديدا، فسلموا وانصرفوا، وكانوا قد عطشوا، فانتهوا إلى الماء فشربوا، ورجع عنهم العدو. ثم إن يزيد ألح عليهم في القتال وقطع عنهم المواد حتى ضعفوا وعجزوا. فأرسل صول، دهقان قهستان، وإلى يزيد يطلب منه أن يصالحه ويؤمنه على نفسه وأهله وماله ليدفع إليه المدينة بما فيها، فصالحه ووفى له ودخل المينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز والسبي ما لايحصى، وقتل أربعة عشر ألف تركي صبرا، وكتب إلى سليمان بن عبد الملك بذلك ثم خرج حتى أتى جرجان، وكان أهل جرجان قد صالحهم سعيد بن العاص، وكانوا يجبون أحيانا مائة ألف وأحيانا مائتي ألف وأحيانا ثلاثمائة ألف، وربما أعطوا ذلك وربما منعوه، ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا، ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا ذلك الطريق، فلم يكن يسلك طريق خراسان أحد إلا على فارس وكرمان. وأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان. وبقي أمر جرجان كذلك حتى ولي يزيد وأتاهم فاستقبلوه بالصلح وزادوه وهابوه، فأجابهم إلى ذلك وصالحهم. فلما فتح قهستان وجرجان طمع في طبرستان أن يفتحها فعزم على أن يسير إليها، فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكري على الساسان وقهستان وخلف معه أربعة آلاف، ثم أقبل إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان فاستعمل على ايذوسا راشد بن عمرو وجعله في أربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان، فأرسل إليه الأصبهبذ صاحبها يسأله الصلح وأن يخرج من طبرستان، فأبى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه أخاه أبا عيينة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه وأبا الجهم الكلبي من وجه، وقال: إذا اجتمعتم فأبو عيينة على الناس. فسار أبو عيينة

على الناس. فسار أبو عيينة وأقام يزيد معسكرا. واستجاش الأصبهبذ أهل جيلان والديلم فأتوه فالتقوا في سفح جبل، فانهزم المشركون في الجبل، فاتبعهم المسلمون حتى انتهوا إلى فم الشعب، فدخله المسلمون وصعد المشركون في الجبل واتبعهم المسلمون يرومون الصعود، فرماهم العدو بالنشاب والحجارة، فانهزم أبو عيينة والمسلمون يركب بعضهم بعضا يتساقطون في الجبل حتى انتهوا إلى عسكر يزيد، وكف عدوهم من المسلمين وأن يقطعوا عن يزيد المادة والطريق فيما بينه وبين بلاد الإسلام ويعدهم أن يكافئهم على ذلك، فثاروا بالمسلمين فقتلوهم أجمعين وهم غارون في ليلة، وقتل عبد الله بن المعمر وجميع من معه فلم ينج منهم أحد، وكتبوا إلى الأصبهبذ بأخذ المضايق والطرق

٢/٣." (١)

"فتح مدينة باربد.

ﷺ ١٦٠ ¤ ٧٧٦ ١/٨

كان المهدي قد سير، سنة تسع وخمسين ومائة، جيشا في البحر، وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعي إلى بلاد الهند في جمع كثير من الجند **والمتطوعة**، وفيهم الربيع بن صبيح، فساروا حتى نزلوا على باربد، فلما نازلوها حصروها من نواحيها، وحرض الناس بعضهم بعضا على الجهاد، وضايقوا أهلها، ففتحها الله عليهم هذه السنة عنوة واحتمى أهلها بالبلد الذي لهم، فأحرقه المسلمون عليهم، فاحترق بعضهم، وقتل الباقون، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا، وأفاءها الله عليهم، فهاج عليهم البحر، فأقاموا إلى أن يطيب، فأصابهم مرض في أفواههم، فمات منهم نحو من ألف رجل فيهم الربيع بن صبيح، ثم رجعوا. فلما بلغوا ساحلا من فارس يقال له بحر حمران عصفت بهم الريح ليلا، فانكسر عامة مراكبهم، فغرق البعض، ونجا البعض.

٢/٣." (٢)

"غزو الفرنجة في الأندلس.

ﷺ ١٩١ ¤ ٨٠٦ ١/٨

تجهز لذريق ملك الفرنج بالأندلس، وجمع جموعه ليسير إلى مدينة طرطوشة ليحصرها فبلغ ذلك الحكم، فجمع العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن فاجتمعوا في جيش عظيم، وتبعهم كثير من **المتطوعة**، فساروا

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٣٤٧

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٤٧٦

فلقوا الفرنج في أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد المسلمين شيئا فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده، واستنفد وسعه، فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين، فانهزم الكفار، وكثر القتل فيهم، والأسر، ونهبت أموالهم وأثقالهم، وعاد المسلمون ظافرين غانمين.

٢/٣. " (١)

"فتح هرقلة.

عليه السلام ١٩١ رضي الله عنه شوال ¤ ٨٠٧ ١/٨

فتح الرشيد هرقلة، وكان سبب مسيره إليها ما حصل سنة سبع وثمانين ومائة، من غدر نقفور، وكان فتحها في شوال، وكان حصرها ثلاثين يوما وسبى أهلها وكان قد دخل البلاد في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة، سوى الأتباع **والمتطوعة**، ومن لا ديوان له، وأناخ عبد الله بن مالك على ذي الكلاع، ووجه داود بن عيسى بن موسى سائرا في أرض الروم في سبعين ألفا، ففتح الله عليه، وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسة، وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقونية، كما أجبر نقفور على دفع جزية كبيرة للمسلمين وإلزامه بها فبعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير، وعن رأس ولده دينارين، وعن بطارقته كذلك، وكتب نقفور إلى الرشيد في جارية من سبي هرقلة كان خطبها لولده، فأرسلها إليه.

٢/٣. " (٢)

"التقاء محمد الطوسي ببابك الخرمي وقتل محمد الطوسي.

عليه السلام ٢١٤ ¤ ٨٢٩ ١/٨

لما فرغ محمد بن حميد الطوسي من أمر المتغلبين على طريقه إلى بابك سار نحوه وقد جمع العساكر، والآلات، والميرة، فاجتمع معه عالم كثير من **المتطوعة** من سائر الأمصار، فسلك المضايق إلى بابك، وكان كلما جاوز مضيقا أوعقبة ترك عليه من يحفظه من أصحابه إلى أن نزل بهشتادسر، وحفر خندقا وشاور في دخول بلد بابك، فأشاروا عليه بدخوله من وجه ذكروه له، فقبل رأيهم، وعبأ أصحابه، فكان بابك يشرف عليهم من الجبل، وقد كمن لهم الرجال تحت كل صخرة. فلما تقدم أصحاب محمد، وصعدوا في الجبل خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك إليهم فيمن معه، وانهزم الناس، وصبر محمد بن حميد مكانه، وفر من كان معه غير رجل واحد، وسارا يطلبان الخلاص، فرأى جماعة وقتالا فقصدهم، فرأى الخرمية يقاتلون

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٥٥

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٥٦

طائفة من أصحابه، فحين رآه الخرمية قصدوه لما رأوا من حسن هيئته، فقاتلهم، وقاتلوه، وضربوا فرسه بزراق، فسقط إلى الأرض، وأكبوا على محمد بن حميد فقتلوه.

٢/٣. " (١)

"القضاء على حكم بابك الخرمي في أذربيجان.

ﷺ ٢٢٢ ¤ ٨٣٦ ١/٨

تقدم الأفشين حتى شارف الموضع الذي كانت به الوقعة في العام الماضي، فاختار ثلاثة أجبل كان عليها حصون فخربت، فسد الطريق إلى تلك الجبال، حتى صارت كالحصون، وأمر بحفر خندق على كل طريق وراء تلك الحجارة، وكان جماعة من الخرمية يأتون إلى قرب خندق الأفشين فيصيحون، فلم يترك الأفشين أحدا يخرج إليهم، فعلوا ذلك ثلاثة أيام؛ ثم إن الأفشين كمن لهم كمينا فإذا جاؤوا ثاروا عليهم، فهربوا ولم يعودوا. وعبأ الأفشين أصحابه، وأمر كلا منهم بلزوم موضعه، وكان إذا أراد أن يتقدم إلى المكان الذي كانت به الوقعة عام أول، خلف بخاراخذاه على رأس العقبة في ألف فارس، وستمائة راجل، يحفظون الطريق لئلا يأخذه الخرمية عليهم. وكان بابك إذا أحس بمجيئهم وجه جمعا من أصحابه، فيكمنون في واد تحت تلك العقبة، تحت بخارى اخذاه، واجتهد الأفشين أن يعرف مكان كمين بابك، فلم يعلم بهم، وكان بابك يخرج عسكره فيقف بإزاء هذه الكراديس، لئلا يتقدم منهم أحد إلى باب البذ. وكان يفرق عساكره كمينا ولم يبق إلا في نفر يسير. فصارت مناوشة بين بعض الخرمية وبعض جيش الأفشين كان من سببها تحرك الكمناء من الخرمية، فقال الأفشين: الحمد لله الذي بين مواضع هؤلاء، فأقام الأفشين بخندقه أياما فشكا المتطوعة إليه ضيق العلوفة، فوعد الأفشين الناس ليوم ذكره لهم، وأمر الناس بالتجهز وحمل المال والزاد والماء، فاشتبكت الحرب على الباب طويلا ففتحت الخرمية الباب وخرجوا على أصحاب جعفر فنحوهم عن الباب وشدوا على المتطوعة من الناحية الأخرى، فطرحوهم عن السور، ورموهم بالصخر، وأثروا فيهم، وضعفوا عن الحرب، وأيس الناس من الفتح تلك السنة وانصرف أكثر المطوعة. ثم إن الأفشين تجهز بعد جمعتين، فلما كان جوف الليل بعث الرجالة الناشبة، وهم ألف رجل، إذا رأوا أعلام الأفشين ورأوا الوقعة انحدروا من فوق الجبل، ورموا بالنشاب والصخر على الخرمية، وإن هم لم يروا الأعلام لم يتحركوا حتى يأتيهم خبره. فلما بدأت الحرب وثب كمين بابك ببشير التركي والفراغنة، فحاربوهم، وسمع أهل العسكر صيحتهم، فأرادوا الحركة، فأمر الأفشين مناديا ينادي لا يتحركن أحد، فسكنوا ولما سمع الرجال الذين كان سيرهم

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/١٢٢

حتى صاروا في أعلى الجيل ضجة العسكر ركبوا الأعلام على الرماح، فنظر الناس إلى الأعلام تنحدر من الجبل على خيل آذين، فوجه آذين إليهم بعض أصحابه. وحمل جعفر وأصحابه على آذين وأصحابه، حتى صعدوا إليه، فحملوا عليه حملة منكرة، فوجه الأفشين الفعلة يطمون تلك الآبار، ففعلوا وحمل الناس عليهم حملة شديدة. وكان آذين قد جعل فوق الجبل عجلا عليها صخر، فلما حمل الناس عليه دفع تلك العجل عليهم، فأفرج الناس منها حتى تدحرجت، ثم حمل الناس من كل وجه، فلما نظر بابك إلى أصحابه قد أحدق بهم خرج من طرف البذ، مما يلي الأفشين، فأقبل نحوه، فقيل للأفشين: إن هذا بابك يريدك، فتقدم إليه، حتى سمع كلامه، وكلام أصحابه، والحرب مشتبكة في ناحية آذين، فقال: أريد الأمان من أمير المؤمنين، فقال له الأفشين: قد عرضت هذا عليك، وهو لك مبذول متى شئت، فقال: قد شئت الآن فجاء رسول الأفشين ليرد الناس، فقيل له إن أعلام الفراغنة قد دخلت البذ، وصعدوا بها القصور، فركب وصاح بالناس، فدخل، ودخلوا وصعد الناس بالأعلام فوق قصور بابك، وكان قد كمن في قصوره، وهي أربعة، ستمائة رجل، فخرجوا على الناس، فقاتلوهم، ومر بابك، حتى دخل الوادي الذي يلي هشتادسر، واشتغل الأفشين ومن معه بالحرب على أبواب القصور، فأحضر النفاطين فأحرقوها وهدم الناس القصور، فقتلوا الخرمية عن آخرهم، وأخذ الأفشين أولاد بابك وعيالاته، وبقي هناك حي أدركه المساء، فأمر الناس بالانصراف، فرجعوا إلى الخندق بروذ الروذ. وأما بابك فإنه سار فيمن معه، وكانوا قد عادوا إلى البذ، بعد رجوع الأفشين، فأخذوا ما أمكنهم من الطعام والأموال، ولما كان الغد رجع الأفشين إلى البذ، وأمر بهدم القصور وإحراقها فلم يدع منها بيتا وجاءت جواسيس الأفشين إليه فأعلموه بموضع بابك، فوجه الأفشين إلى كل موضع فيه طريق إلى الوادي جماعة من أصحابه يحفظونه، وورد كتاب المعتصم فيه أمان بابك، وقعد بابك في موضعه فلم يزل في تلك الغيضة حتى فني زادهن وخرج من بعض تلك الطرق، وساروا يريدون أرمينية، فرآهم الحراس، فلما رأى بابك العساكر ركب هو ومن معه، فنجا هو، وأخذ معاوية، وأم بابك والمرأة الأخرى، فأرسلهم أبو الساج إلى الأفشين. وسار بابك في جبال أرمينية مستخفيا فبينما بابك وابن سنباط يتصيدان إذ خرج عليهما أبو سعيد وبورماره في أصحابهما وعلى بابك دراعة بيضاء، فأخذوه وساروا به إلى الأفشين، فأدخله الأفشين بيتا ووكل به من يحفظه، فحبسه مع أخيه، وكتب إلى المعتصم بذلك، فأمره بالقدوم بهما عليه. وكان وصول بابك إلى الأفشين ببرزند لعشر خلون من شوال، وكان الأفشين قد أخذ نساء كثيرة وصبيانا كثيرا ذكروا أن بابك أسرهم، وأنهم أحرار من العرب والدهاقين، فأمر بهم فجعلوا في حظيرة كبيرة، وأمرهم أن يكتبوا إلى أوليائكم، فكل من جاء يعرف امرأة، أوصبيا أو جارية، وأقام شاهدين

أخذه، فأخذ الناس منهم خلقا كثيرا وبقي كثير منهم.

٢/٣. " (١)

"بداية ظهور يعقوب بن الليث في سجستان.

عليه الصلاة والسلام٢٣٧ ¤ ٨٥١ ١/٨

تغلب رجل من أهل بست، اسمه صالح بن النضر الكناني، على سجستان، ومعه يعقوب بن الليث، فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر أمير خراسان واستنقذها من يده، ثم ظهر بها رجل اسمه درهم بن الحسين، من **المتطوعة**، فتغلب عليها وكان غير ضابط لعسكره، وكان يعقوب بن الليث هو قائد عسكره، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه، اجتمعوا على يعقوب بن الليث، وملكوه أمرهم، لما رأوا من تدبيره، وحسن سياسته، وقيامه بأمورهم، فلما تبين ذلك لدرهم لم ينازعه في الأمر، وسلمه إليه، واعتزل عنه، فاستبد يعقوب بالأمر، وضبط البلاد، وقويت شوكته وقصدته العساكر من كل ناحية.

٢/٣. " (٢)

"(يعقوب بن الليث الصفار) يستولي على (هراة) ويقاتل أتباع طاهر فيما عرف تاريخيا بمعارك (الصفارية والأهرية).

عليه الصلاة والسلام٢٥٣ ¤ ٨٦٧ ١/٨

كان يعقوب بن الليث وأخوه عمرو يعملان الصفر بسجستان، ويظهران الزهد والتقشف. وكان في أيامهما رجل من أهل سجستان يظهر التطوع بقتال الخوارج، يقال له صالح المطوعي، فصحبه يعقوب، وقاتل معه، فحظي عنده، فجعله صالح مقام الخليفة عنه، ثم هلك صالح، وقام مقامه إنسان آخر اسمه درهم، فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح قبله. ثم إن صاحب خراسان احتال لدرهم لما عظم شأنه وكثر أتباعه، حتى ظفر به وحمله إلى بغداد فحبسه بها ثم أطلقه، وخدم الخليفة بغداد، وعظم أمر يعقوب بعد أخذ درهم، وصار متولي أمر **المتطوعة** مكان درهم، وقام بمحاربة الشراة، فظفر بهم، وأكثر القتل فيهم، حتى كاد يفنيهم، وخرب قراهم، وأطاعه أصحابه بمكره، وحسن حاله، ورأيه، طاعة لم يطيعوها أحدا كان قبله، واشتدت شوكته، فغلب على سجستان، وأظهر التمسك بطاعة الخليفة، وكاتبه، وصدر عن أمره، وأظهر أنه هو أمره بقتال أتباعه، فخرج عن حد طلب الشراة، وصار يتناول أصحاب أمير خراسان للخليفة، ثم سار

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/١٥١

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/١٩٢

من سجستان إلى هراة، من خراسان، هذه السنة، ليملكها وكان أمير خراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، وعامله على هراة محمد بن أوس الأنباري، فخرج منها لمحاربة يعقوب في تعبئة حسنة، وبأس شديد، وزي جميل، فتحاربا واقتتلا قتالا شديدا فانهزم ابن أوس، وملك يعقوب هراة وبوشنج، وصارت المدينتان في يده، فعظم أمره حينئذ، وهابه أمير خراسان وغيره من أصحاب الأطراف.

٢/٣. " (١)

"القتال مع القرامطة.

عليه الصلاة والسلام ٢٨٧ رضي الله عنه شعبان ¤ ٩٠٠ ١/٨

عظم أمر القرامطة بالبحرين، وأغاروا على نواحي هجر، وقرب بعضهم من نواحي البصرة، فكتب أحمد الواثقي يسأل المدد، فأمر المعتضد باختيار رجل ينفذه إلى البصرة، وعزل العباس بن عمرو عن بلاد فارس، وأقطعه اليمامة والبحرين، وأمره بمحاربة القرامطة وضم إليه زهاء ألفي رجل، فسار إلى البصرة، واجتمع إليه جمع كثير من **المتطوعة** والجند والخدم، ثم سار إلى أبي سعيد الجنابي، فلقوه مساء، وتناوشوا القتال، وحجز بينهم الليل، فلما كان الليل انصرف عن العباس من كان معه من أعراب بني ضبة وكانوا ثلاثمائة إلى البصرة، وتبعهم مطوعة البصرة، فلما أصبح العباس باكر الحرب، فاقتتلوا قتالا شديدا ثم حمل نجاح غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ من ميسرة العباس في مائة رجل على ميمنة أبي سعيد، فتوغلوا فيهم، فقتلوا عن آخرهم، وحمل الجنابي ومن معه على أصحاب العباس، فانهزموا وأسر العباس، واحتوى الجنابي على ما كان في عسكره، فلما كان من الغد أحضر الجنابي الأسرى فقتلهم جميعا وحرقهم، وكانت الوقعة آخر شعبان، ثم سار الجنابي إلى هجر بعد الوقعة، فدخلها وأمن أهلها وانصرف من سلم من المنهزمين، وهم قليل، نحو البصرة بغير زاد، فخرج إليهم من البصرة نحو أربعمائة رجل على الرواحل، ومعهم الطعام والكسوة والماء، فلقوا بها المنهزمين، فخرج عليهم بنو أسد وأخذوا الرواحل وما عليها وقتلوا من سلم من المعركة، فاضطربت البصرة لذلك، وعزم أهلها على الانتقال منها فمنعهم الواثقي، وبقي العباس عند الجنابي أياما ثم أطلقه، وقال له: امض إلى صاحبك وعرفه ما رأيت؛ وحمله على رواحل، فوصل إلى بعض السواحل وركب البحر فوافى الأبلة، ثم سار منها إلى بغداد فوصلها في رمضان، فدخل على المعتضد فخلع عليه.

٢/٣. " (٢)

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٢٤٦

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٣٨٧

"قتال الترك.

ﷺ٢٩١¤٩٠٣هـ

في هذه السنة خرجت الترك في خلق كثير لا يحصون إلى ما وراء النهر، وكان في عسكرهم سبع مائة قبة تركية، ولا يكون إلا للرؤساء منهم، فوجه إليهم إسماعيل بن أحمد جيشا كثيرا وتبعهم من **المتطوعة** خلق كثير، فساروا نحو الترك، فوصلوا إليهم وهم غارون، فكبسهم المسلمون مع الصبح، فقتلوا منهم خلقا عظيما لا يحصون، وانهزم الباقون، واستبيح عسكرهم، وعاد المسلمون سالمين غانمين.

٢/٣. " (١)

"القتال مع الروم.

ﷺ٣١٩ؓربيع الأول¤٩٣١هـ

أوقع ثمل متولي طرسوس بالروم وقعة عظيمة، قتل منهم خلقا كثيرا وأسر نحوا من ثلاثة آلاف، وغنم من الذهب والفضة والديباج شيئا كثيرا جدا، ثم أوقع بهم مرة ثانية كذلك، وكتب ابن الديراني الأرمني إلى الروم يحثهم على الدخول إلى بلاد الإسلام ووعدهم النصر منه والإعانة، فدخلوا في جحافل عظيمة كثيرة جدا، وانضاف إليهم الأرمني فركب إليهم مفلح غلام يوسف بن أبي الساج وهو يومئذ نائب أذربيجان واتبعه خلق كثير من **المتطوعة**، فقصد أولا بلاد ابن الديراني فقتل من الأرمن نحوا من مائة ألف، وأسر خلقا كثيرا، وغنم أموالا جزيلة، وتحصن ابن الديراني في قلعة له هناك، وكاتب الروم فوصلوا إلى شميشاط، فحاصروها، فبعث أهلها يستصرخون سعيد بن حمدان نائب الموصل، فسار إليهم مسرعا، فوجد الروم قد كادوا يفتحونها، فلما علموا بقدومه رحلوا عنها واجتازوا بملطية فنهبوها، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم، ومعهم ابن نفيس المنتصر، وقد كان من أهل بغداد، وركب ابن حمدان في آثار القوم فدخل بلادهم فقتل خلقا كثيرا منهم وأسر وغنم أشياء كثيرة.

٢/٣. " (٢)

"الروس يهاجمون أذربيجان ويذبحون أهلها.

ﷺ٣٣٢¤٩٤٣هـ

خرجت طائفة من الروسية في البحر إلى نواحي أذربيجان، وركبوا في البحر في نهر للكر، وهو نهر كبير،

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٠٣/٢

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٠/٣

فانتهوا إلى بردعة، فخرج إليهم نائب المرزبان بردعة في جمع الديلم **والمطوعة** يزيدون على خمسة آلاف رجلن فلقوا الروس، فلم يكن إلا ساعة حتى انهزم المسلمون منهم، وقتل الديلم عن آخرهم، وتبعهم الروس إلى البلد، فهرب من كان له مركوب وترك البلد، فنزله الروس ونادوا فيه بالأمان فأحسنوا السيرة، وأقبت العساكر الإسلامية من كل ناحية فكانت الروس تقاتلهم، فلا يثبت المسلمون لهم، وغنموا أموال أهلها واستعبدوا السبي، واختاروا من النساء من استحسنوها، لما فعل الروس بأهل بردعة ما فعلوا استعظمه المسلمون، وتنادوا بالنفير، وجمع المرزبان بن محمد الناس واستنفرهم وسار بهم، فلم يقاوم الروسية، ولما طال الأمر على المرزبان أعمل الحيل، فرأى أن يكمن كمينا، ثم يلقاهم في عسكره، ويتطارد لهم، فإذا خرج الكمين عاد عليهم، فتقدم إلى أصحابه بذلك، ورتب الكمين ثم لقيهم، واقتتلوا، فتطارد لهم المرزبان وأصحابه، وتبعهم الروسية حتى جازوا موضع الكمين، فاستمر الناس على هزيمتهم لا يلوي أحد على أحد، فخرجوا من ورائهم، والتجأ الباقون إلى حصن البلد، ويسمى شهرستان، وكانوا قد نقلوا إليه ميرة كثيرة، وجعلوا معهم السبي والأموال، فحاصرهم المرزبان وصابرهم، ثم إن أصحاب المرزبان أقاموا يقاتلون الروسية، وزاد الوباء على الروسية فكانوا إذا دفنوا الرجل دفنوا معه سلاحه، فاستخرج المسلمون من ذلك شيئا كثيرا بعد انصراف الروس، ثم إنهم خرجوا من الحصن ليلا وقد حملوا على ظهورهم ما أرادوا من الأموال وغيرها، ومضوا إلى الكر، وركبوا في سفنهم ومضوا، وعجز أصحاب المرزبان عن اتباعهم وأخذ ما معهم، فتركوهم وطهر الله البلاد منهم.

٢/٣ ." (١)

"سبكتكين الغزنوي مؤسس دولة الغزنويين يوالي انتصاراته في الهند.

عليه الصلاة والسلام ٣٦٦ ¤ ٩٧٦ ١/٨

جمع العساكر وسار نحو الهند مجاهدا، وجرى بينه وبين الهنود حروب يشيب لها الوليد، وكشف بلادهم، وشن الغارات عليها، وطمع فيها، وخافه الهنود، ففتح من بلادهم حصونا ومعاقل، وقتل منهم ما لا يدخل تحت الإحصاء، ولما رأى جيبال ملك الهند ما دهاه، وأن بلاده تملك من أطرافها، أخذه ما قدم وحدث، فحشد وجمع واستكثر من الفيول، وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين، فسار سبكتكين عن غزنة إليه ومعه عساكره وخلق كثير من **المتطوعة**، فالتقوا واقتتلوا أياما كثيرة، وصبر الفريقان، وأرسل ملك الهند إلى سبكتكين يطلب الصلح، وترددت الرسل، فأجابهم إليه بعد امتناع من ولده محمود، على مال يؤديه، وبلاد

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥١/٣

يسلمها، وخمسين فيلا يحملها إليه، فاستقر ذلك، ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد، وسير معه سبكتكين من يتسلمها، فلما أبعد جيبال ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه، فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر وسار نحو الهند، فأخرب كل ما مر عليه من بلادهم، وقصد لمغان، وهي من أحصن قلاعهم، فافتتحها عنوة وهدم بيوت الأصنام وأقام فيها شعار الإسلام، وسار عنها يفتح البلاد، ويقتل أهلها، فلما بلغ ما أراده عاد إلى غزنة، فلما بلغ الخبر إلى جيبال سقط في يده، وجمع العساكر وسار في مائة ألف مقاتل، فلقيه سبكتكين، فانهزم الهنود، وذلوا بعد هذه الوقعة، ولم يكن لهم بعدها راية، ورضوا بأن لا يطلبوا في أقاصي بلادهم، ولما قوي سبكتكين، بعد هذه الوقعة، أطاعه الأفغانية والخلج وصاروا في طاعته.

٢/٣." (١)

"غزو تانشير بالهند.

عليه الصلاة والسلام ٤٠٥ ¤ ١٠١٤ ١/٨

ذكر ليمين الدولة الغزنوي أن بناحية تانشير فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحرب، وأن صاحبها غال في الكفر والطغيان، والعناد للمسلمين، فعزم على غزوه في عقر داره، فسار في الجنود والعساكر والمتطوعة، فلقي في طريقه أودية بعيدة القعر، وعرة المسالك، وقفارا فسيحة الأقطار والأطراف، بعيدة الأكناف، والماء بها قليل، فلقوا شدة، وقاسوا مشقة إلى أن قطعوها، فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهرا شديد الجرية، صعب المخاضة، وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه، يمنع من عبوره، ومعه عساكره، وفيلته التي كان يدل بها. فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر، وإشغال الكفار بالقتال ليتمكن باقي العسكر من العبور، ففعلوا ذلك، وقاتلوا الهنود، وشغلوهم عن حفظ النهر، حتى عبر سائر العسكر في المخاضات، وقاتلوهم من جميع جهاتهم إلى آخر النهار، فانهزم الهند، وظفر المسلمون، وغنموا ما معهم من أموال وفيلة، وعادوا إلى غزنة موفرين ظافرين.

٢/٣." (٢)

"ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان.

عليه الصلاة والسلام ٤٠٨ ¤ ١٠١٧ ١/٨

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/١٦٦

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٢٩٢

خرج الترك وهم من الوثنيين من الصين وكان سبب خروجهم أن طغان خان لما ملك تركستان مرض مرضا شديدا، وطال به المرض، فطمعوا في البلاد لذلك فساروا إليها وملكوا بعضها وغنموا وسبوا وبقي بينهم وبين بلاساغون ثمانية أيام، فلما بلغه الخبر كان بها مريضا، فسأل الله تعالى أن يعافيه لينتقم من الكفرة، فاستجاب الله له وشفاه، فجمع العساكر، وكتب إلى سائر بلاد الإسلام يستنفر الناس، فاجتمع إليه من **المتطوعة** مائة ألف وعشرون ألفا، فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا إلى بلادهم، فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر حتى أدركهم وهم آمنون لبعد المسافة، فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتي ألف رجل، وأسر نحو مائة ألف، وغنم من الدواب وغير ذلك من الأواني الذهبية والفضية ومعمول الصين ما لا عهد لأحد بمثله، وعاد إلى بلاساغون، فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه، وقيل: كانت هذه الحادثة مع أحمد بن علي قراخان، أخي طغان خان، وأنها كانت سنة ثلاث وأربعمائة.

٢/٣." (١)

"فتح سومنات في الهند.

عليه الصلاة والسلام ٤١٦ رضي الله عنه شعبان ¤ ١٠٢٥ ١/٨

كان لأهل الهند صنم يعظمونه أشد التعظيم ويقدمون له من القرابين ما لا يقدم لصنم غيره، وكان يمين الدولة كلما فتح من الهند فتحا، وكسر صنما يقول الهنود: إن هذه الأصنام قد سخط عليها سومنات، ولو أنه راض عنها لأهلك من تقصدها بسوء، فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه وإهلاكه، ظنا منه أن الهنود إذا فقدوه، ورأوا كذب ادعائهم الباطل، دخلوا في الإسلام، فاستخار الله تعالى وسار عن غزنة عاشر شعبان، في ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى **المتطوعة**، وسلك سبيل الملتان، فوصلها منتصف شهر رمضان، وقصد أنهلوارة فوصلها مستهل ذي القعدة، فرأى صاحبها المدعو بهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن في الهرب وقصد حصنا له يحتمي به فاستولى يمين الدولة على المدينة، وسار إلى سومنات، فلقي في طريقه عدة حصون فيها كثير من الأوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات، على ما سول لهم الشيطان، فقاتل من بها، وفتحها وخربها، وكسر أصنامها، وسار إلى سومنات في مفازة قفرة قليلة الماء، فوصلها يوم الخميس منتصف ذي القعدة، فرأى حصنا حصينا مبنيا على ساحل البحر بحيث تبلغه أمواجه، وأهله على الأسوار يتفرجون على المسلمين، واثقين أن معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم، فلما كان من الغد، وهو يوم الجمعة، زحف وقاتل من به، فرأى الهنود من المسلمين قتالا لم يعهدوا مثله، ففارقوا السور، فنصب

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٠٦/٣

المسلمون عليه السلاليم، وصعدوا إليه، وأعلنوا بكلمة الإخلاص، وأظهروا شعار الإسلام، فحينئذ اشتد القتال، وعظم الخطب وتقدم جماعة الهنود إلى سومنات، فعفروا له خدودهم، وسألوه النصر، وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض، ولما كان الغد بكر المسلمون إليهم وقاتلوهم، فأكثروا في الهنود القتل، وأجلوهم عن المدينة إلى بيت صنمهم سومنات، فقاتلوا على بابه أشد قتال، وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخلون إلى سومنات فيعتنقونه ويبكون، ويتضرعون إليه، ويخرجون فيقاتلون إلى أن يقتلوا، حتى كاد الفناء يستوعبهم، فبقي منهم القليل، فدخلوا البحر إلى مركبين لهم لينجوا فيهما، فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرق بعض، وأما البيت الذي فيه سومنات فهو مبني على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص، وسومنات من حجر طوله خمسة أذرع: ثلاثة مدورة ظاهرة، وذراعان في البناء، وليس بصورة مصورة، فأخذه يمين الدولة فكسره، وأحرق بعضه، وأخذ بعضه معه إلى غزنة، فجعله عتبة الجامع، ثم إن يمين الدولة ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب أنهلوارة قد قصد قلعة تسمى كندهة في البحر، بينها وبين البر من جهة سومنات أربعون فرسخا، فسار إليها يمين الدولة من سومنات، وخاض البحر هو ومن معه، فخرجوا سالمين، فرأوا بهيم وقد فارق قلعته وأخلاها فعاد عنها، وقصد المنصورة، وكان صاحبها قد ارتد عن الإسلام، فلما بلغه خبر مجيء يمين الدولة فارقها واحتمى بغياض أشبة، فقصده يمين الدولة من موضعين، فأحاط به وبمن معه، فقتل أكثرهم، وغرق منهم كثير، ولم ينج منهم إلا القليل، ثم سار إلى بهاطية، فأطاعه أهلها، ودانوا له، فرحل إلى غزنة، فوصلها عاشر صفر من سنة سبع عشرة وأربعمائة.

٢/٣." (١)

"ذكر ملك الروم قلعة بركوي.

عليه الصلاة والسلام ٤٢٥ ¤ ١٠٣٣ ١/٨

كانت قلعة بركوي المتاخمة للأرمن في يد أبي الهيجاء بن ربيب الدولة، ابن أخت وهسوذان بن مملان، فتنافر هو وخاله، فأرسل خاله إلى الروم فأطمعهم فيها، فسير الملك إليها جمعا كثيرا فملكوها، فبلغ الخبر إلى الخليفة، فأرسل إلى أبي الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة، فاصطلحا، ولم يتمكنا من استعادتها، واجتمع إليهما خلق كثير من **المتطوعة**، فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها.

٢/٣." (٢)

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٣٣٥

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٣٦٨

"مسير ابن وثاب والروم إلى بلد ابن مروان.

ﷺ٤٢٦ ¤١٠٣٤ ⅛

جمع ابن وثاب النميري جمعا كثيرا من العرب وغيرهم، واستنجد من بالرها من الروم، فسار معه منهم جيش كثيف، وقصد بلد نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر، ونهب وأخرب. فجمع ابن مروان جموعه وعساكره واستمد قرواشا وغيره، وأتته الجنود من كل ناحية، فلما رأى ابن وثاب ذلك وأنه لا يتم له غرض عاد عن بلاده، وأرسل ابن مروان إلى ملك الروم يعاتبه على نقض الهدنة وفسخ الصلح الذي كان بينهما، وراسل أصحاب الأطراف يستنجدهم للغزاة، فكثر جمعه من الجند والمتطوعة، وعزم على قصد الرها ومحاصرتها، فوردت رسل ملك الروم يعتذر، ويحلف أنه لم يعلم بما كان، وأرسل إلى عسكره الذين بالرها والمقدم عليهم ينكر ذلك، وأهدى إلى نصر الدولة هدية سنية، فترك ما كان عازما عليه من الغزو، وفرق العساكر المجتمعة عنده.

⅔." (١)

"موقعة الزلاقة وهزيمة النصارى أمام المرابطين.

ﷺ٤٧٩ ﵁رمضان ¤١٠٨٧ ⅛

راسل بعض ملوك الطوائف بالأندلس يوسف بن تاشفين يستنصرونه على ألفونسو واختيار ألفونسو الحرب مع يوسف، فقام يوسف بن تاشفين وكان بمدينة سبتة، ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس، وأرسل إلى مراكش في طلب من بقي من عساكره، فأقبلت إليه يتلو بعضها بعضا، فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار، فاجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية، وكان قد جمع عساكره أيضا، وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير. وقصده المتطوعة من سائر بلاد الأندلس، ووصلت الأخبار إلى ألفونسو فجمع فرسانه وسار من طليطلة، وسار أمير المسلمين، والمعتمد بن عباد، حتى أتوا أرضا يقال لها: الزلاقة، من بلد بطليوس، وأرسل ألفونسو إلى المعتمد في ميقات القتال، وقصده الملك، فقال: غدا الجمعة، وبعده الأحد، فيكون اللقاء يوم الاثنين، فقد وصلنا على حال تعب، واستقر الأمر على هذا، وركب ليلة الجمعة سحرا، وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة، غدرا، وظنا منه أن ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين، فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون، فأشرفوا على الهزيمة، وكان المعتمد قد أرسل إلى أمير المسلمين يعلمه بمجيء الفرنج للحرب، فقال: احملوني إلى خيام الفرنج، فسار إليها، فبينما هم في القتال وصل أمير المسلمين إلى خيام الفرنج،

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية ، مجموعة من المؤلفين ٣/٣٧٠

فنهبها، وقتل من فيها، فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا، وأخذهم السيف، وتبعهم المعتمد من خلفهم، ولقيهم أمير المسلمين من بين أيديهم، ووضع فيهم السيف، فلم يفلت منهم أحد، ونجا ألفونسو في نفر يسير، وجعل المسلمون من رؤوس القتلى كوما كثيرة، فكانوا يؤذنون عليها إلى أن جيفت فأحرقوها وكانت الوقعة يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان، وأصاب المعتمد جراحات في وجهه، وظهرت ذلك اليوم شجاعته. ولم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غير ثلاثمائة فارس، وغنم المسلمون كل ما لهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك، وعاد ابن عباد إلى إشبيلية، ورجع أمير المسلمين إلى الجزيرة الخضراء، وعبر إلى سبتة، وسار إلى مراكش، فأقام بها إلى العام المقبل.

٢/٣." (١)

"أخبار الفرنج في الشام.

عليه الصلاة والسلام٤٩٨ رضي الله عنه شعبان ¤ ١١٠٥ ١/٨

كانت وقعة بين طنكري الفرنجي، صاحب أنطاكية، وبين الملك رضوان، صاحب حلب، انهزم فيها رضوان، وسببها أن طنكري حصر حصن أرتاح، وبه نائب الملك رضوان، فضيق الفرنج على المسلمين، فأرسل النائب بالحصن إلى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذي أضعف نفسه ويطلب النجدة، فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة، وسبعة آلاف من الرجالة، منهم ثلاثة آلاف من **المتطوعة**، فساروا حتى وصلوا إلى قنسرين، وبينهم وبين الفرنج قليل، فلما رأى طنكري كثرة المسلمين أرسل إلى رضوان يطلب الصلح، فأراد أن يجيب، فمنعه أصبهبذ صباوة، وكان قد قصده، وصار معه بعد قتل آياز، فامتنع من الصلح، واصطفوا للحرب، فانهزمت الفرنج من غير قتال، ثم قالوا: نعود ونحمل عليهم حملة واحدة، فإن كانت لنا، وإلا انهزمنا، فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا، وانهزموا، وقتل منهم وأسر كثير، وأما الرجالة فإنهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا، فاشتغلوا بالنهب، فقتلهم الفرنج، ولم ينج إلا الشريد فأخذ أسيرا، وهرب من في أرتاح إلى حلب، وملكه الفرنج، وهرب أصبهبذ صباوة إلى طغتكين أتابك بدمشق، فصار معه ومن أصحابه.

٢/٣." (٢)

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤/٨٤

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤/١٦٩

"ذكر الحرب بين جاولي والفرنج.

عليه الصلاة والسلام٥٠٢ رضي الله عنه صفر ¤١١٠٨ ١/٨

كان المصاف بين جاولي سقاوو وبين طنكري الفرنجي، صاحب أنطاكية، وسبب ذلك أن الملك رضوان كتب إلى طنكري صاحب أنطاكية، يعرفه ما عليه جاولي من الغدر، والمكر، والخداع، ويحذره منه، ويعلمه أنه قصد حلب، وأنه إن ملكها لا يبقي للفرنج معه بالشام مقام، وطلب منه النصرة، والاتفاق على منعه. فأجابه طنكري إلى منعه وبرز من أنطاكية، فأرسل إليه رضوان ستمائة فارس، فلما سمع جاولي الخبر أرسل إلى القمص، صاحب الرها، يستدعيه إلى مساعدته، وأطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة، فسار إلى جاولي فلحق به، وهو على منبج، فوصل الخبر إليه، وعلى هذه الحال، بأن الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان، وملكوا خزائنه وأمواله، فاشتد ذلك عليه، وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكي بن آقسنقر، وبكتاش النهاوندي، وبقي جاولي في ألف فارس، وانضم إليه خلق من المطوعة، فنزل بتل باشر، وقاربهم طنكري، وهو في ألف وخمسمائة فارس من الفرنج، وستمائة من أصحاب الملك رضوان، سوى الرجالة، فجعل جاولي في ميمنته الأمير أقسيان، والأمير التونتاش الأبري، وغيرهما، وفي الميسرة الأمير بدران بن صدقة، وأصبهبذ صباوة، وسنقر دراز، وفي القلب القمص، صاحب الرها، واشتد القتال، فأزاح طنكري القلب عن موضعه، وحملت ميسرة جاولي على رجالة صاحب أنطاكية، فقتلت منهم خلقا كثيرا، ولم يبق غير هزيمة صاحب أنطاكية، فحينئذ عمد أصحاب جاولي إلى جنائب القمص، وجوسلين، وغيرهما من الفرنج، فركبوها وانهزموا، فمضى جاولي وراءهم ليردهم، فلم يرجعوا، وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أخذت الموصل منه، فلما رأى أنهم لا يعودون معه أهمته نفسه، وخاف من المقام، فانهزم، وانهزم باقي عسكره فأما أصبهبذ صباوة فسار نحو الشام، وأما بدران بن صدقة فسار إلى قلعة جعبر، وأما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر، وأما جاولي فقصد الرحبة، وقتل من المسلمين خلق كثير، ونهب صاحب أنطاكية أموالهم وأثقالهم، وعظم البلاء عليهم من الفرنج، وهرب القمص وجوسلين إلى تل باشر والتجأ إليهما خلق كثير من المسلمين، ففعلا معهم الجميل، وداويا الجرحى، وكسوا العراة، وسيراهم إلى بلادهم.

٢/٣." (١)

"هزيمة الصليبيين في معركة سهل بلاط (سهل الحلقة).

عليه الصلاة والسلام٥١٣ ¤١١١٩ ١/٨

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤/١٨٨

سار الفرنج من بلادهم إلى نواحي حلب، فملكوا بزاعة وغيرها، وخربوا بلد حلب ونازلوها، ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا، وخافهم أهلها خوفا شديدا، ولو مكنوا من القتال لم يبق بها أحد، لكنهم منعوا من ذلك، وصانع الفرنج أهل حلب على أن يقاسموهم على أملاكهم التي بباب حلب. فأرسل أهل البلد إلى بغداد يستغيثون، ويطلبون النجدة، فلم يغاثوا، وكان الأمير إيلغازي، صاحب حلب، ببلد ماردين يجمع العساكر **والمتطوعة** للغزاة، فاجتمع عليه نحو عشرين ألفا، وكان معه أسامة بن المبارك بن شبل الكلابي، والأمير طغان أرسلان بن المكر، صاحب بدليس وأرزن، وسار بهم إلى الشام، عازما على قتال الفرنج، فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم، وكانوا ثلاثة آلاف فارس، وتسعة آلاف راجل، ساروا فنزلوا قريبا من الأثارب، بموضع يقال له تل عفرين، بين جبال ليس لها طريق إلا من ثلاث جهات، وفي هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش وظن الفرنج أن أحدا لا يسلك إليهم لضيق الطريق، فأخلدوا إلى المطاولة، وكانت عادة لهم، إذا رأوا قوة من المسلمين، وراسلوا إيلغازي يقولون له: لا تتعب نفسك بالمسير إلينا، فنحن واصلون إليك، فأعلم أصحابه بما قالوه، واستشارهم فيما يفعل، فأشاروا بالركوب من وقته، وقصدهم، ففعل ذلك، وسار إليهم، ودخل الناس من الطرق الثلاثة، ولم تعتقد الفرنج أن أحدا يقدم عليهم، لصعوبة المسلك إليهم، فلم يشعروا إلا وأوائل المسلمين قد غشيتهم، فحمل الفرنج حملة منكرة، فولوا منهزمين، فلقوا باقي العسكر متتابعة، فعادوا معهم، وجرى بينهم حرب شديدة، وأحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم، وأخذهم السيف من سائر نواحيهم، فلم يفلت منهم غير نفر يسير، وقتل الجميع، وأسروا، وكان من جملة الأسرى نيف وسبعون فارسا من مقدميهم، وحملوا إلى حلب، فبذلوا في نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار، فلم يقبل منهم، وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة، وأما سيرجال، صاحب أنطاكية، فإنه قتل وحمل رأسه، وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الأول، ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم، فلقيهم إيلغازي أيضا، فهزمهم، وفتح منهم حصن الأثارب، وزردنا، وعاد إلى حلب، وقرر أمرها، وأصلح حالها، ثم عبر الفرات إلى ماردين، ويعرف السهل الذي تمت فيه المعركة بسهل بلاط وهو اليوم عرف بسهل الحلقة أما الصليبيون فيسمونه ساحة الدم لكثرة ما أريق من الدماء فيه.

٢/٣. " (١)

"حصر مدينة كتندة بالأندلس.

ﷺ ٥١٤ ¤ ١١٢٠ ١/٨

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٣٢/٤

خرج ملك من ملوك الفرنج بالأندلس، يقال له ابن ردمير، فسار حتى انتهى إلى كتندة، وهي بالقرب من مرسية، في شرق الأندلس، فحصرها، وضيق على أهلها، وكان أمير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة، ومعه جيش كثير من المسلمين والأجناد **المتطوعة**، فسيرهم إلى ابن ردمير، فالتقوا واقتتلوا أشد القتال، وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة، وكثر القتل في المسلمين، واستطاع الفرنج أن يستولوا على قلعة أيوب وهي من أشد القلاع حصانة وقوة وكانت تمثل معقلا هاما وقويا للمسلمين.

٢/٣." (١)

"فتح المسلمين حصن وادي ابن الأحمر من الفرنج.

عليه الصلاة والسلام ٥٣١ رضي الله عنه رجب ¤ ١١٣٧ ١/٨

سار عسكر دمشق مع مقدمهم الأمير بزاوش إلى طرابلس الشام، فاجتمع معه من الغزاة **المتطوعة** والتركمان أيضا خلق كثير، فلما سمع القمص صاحبها بقربهم من ولايته سار إليهم في جموعه وحشوده، فقاتلهم وانهزم الفرنج وعادوا إلى طرابلس على صورة سيئة وقد قتل كثير من فرسانهم وشجعانهم فنهب المسلمون من أعمالهم الكثير وحصروا حصن وادي ابن الأحمر فملكوه عنوة ونهبوا ما فيه، وقتلوا المقاتلة، وسبوا الحريم والذرية، وأسروا الرجال فاشتروا أنفسهم بمال جليل، وعادوا إلى دمشق سالمين.

٢/٣." (٢)

"صلاح الدين الأيوبي يهزم الصليبيين في معركة (حطين).

عليه الصلاة والسلام ٥٨٣ رضي الله عنه ربيع الثاني ¤ ١١٨٧ ١/٨

لما أتت صلاح الدين البشارة بهزيمة الإسبتارية والدواية، وقتل من قتل منهم، وأسر من أسر، عاد عن الكرك إلى العسكر الذي مع ولده الملك الأفضل، فنزل بالأقحوانة بقرب طبرية، وتقدم صلاح الدين حتى قارب الفرنج، فلم ير الفرنج من يمنعهم من القتال، ونزل جريدة إلى طبرية وقاتلهم، ونقب بعض أبراجها، وأخذ المدينة عنوة في ليلة، ولجأ من بها إلى القلعة التي لها، فامتنعوا بها، وفيها صاحبتها، فنهب المدينة وأحرقها، فقوي عزم الروم على التقدم إلى المسلمين وقتالهم، فرحلوا من معسكرهم الذي لزموه، وقربوا من عساكر الإسلام؛ فلما سمع صلاح الدين بذلك عاد عن طبرية إلى عسكره، وكان قريبا منه، وإنما كان قصده بمحاصرة طبرية أن يفارق الفرنج مكانهم لتمكن من قتالهم، وكان المسلمون قد نزلوا على الماء، والزمان

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤/٢٤١

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤/٣٢٦

قيظ شديد الحر، فوجد الفرنج العطش، ولم يتمكنوا من الوصول إلى ذلك الماء من المسلمين، وكانوا قد أفنوا ما هناك من ماء الصهاريج ولم يتمكنوا من الرجوع خوفا من المسلمين، فبقوا على حالهم إلى الغد، وهو يوم السبت، وقد أخذ العطش منهم، وأصبح صلاح الدين والمسلمون يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر، فركبوا وتقدموا إلى الفرنج، فركب الفرنج، ودنا بعضهم من بعض، إلا أن الفرنج قد اشتد بهم العطش وانخذلوا، فاقتتلوا، واشتد القتال، وصبر الفريقان، ورمى جاليشية المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر، فقتلوا من خيول الفرنج كثيرا. والفرنج قد جمعوا نفوسهم براجلهم وهم يقاتلون سائرين نحو طبرية، لعلهم يردون الماء. فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدهم عن مرادهم، وكان بعض **المتطوعة** من المسلمين قد ألقى في تلك الأرض نارا، وكان الحشيش كثيرا فاحترق، وكانت الريح على الفرنج، فحملت حر النار والدخان إليهم، فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار، والدخان، وحر القتال، فلما انهزم القمص سقط في أيديهم وكادوا يستسلمون، ثم علموا أنهم لا ينجيهم من الموت إلا الإقدام عليه، فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون بها المسلمين، على كثرتهم، عن مواقفهم لولا لطف الله بهم، إلا أن الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون إلا وقد قتل منهم، فوهنوا لذلك وهنا عظيما، فأحاط بهم المسلمون إحاطة الدائرة بقطرها، فارتفع من بقي من الفرنج إلى تل بناحية حطين، وأرادوا أن ينصبوا خيامهم، ويحموا نفوسهم به، فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات، ومنعوهم عما أرادوا، ولم يتمكنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم، وأخذ المسلمون صليبهم الأعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت، ويذكرون أن فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح، عليه السلام، بزعمهم، فكان أخذه عندهم من أعظم المصائب عليهم، وأيقنوا بعده بالقتل والهلاك، هذا والقتل والأسر يعملان في فرسانهم ورجالتهم، فبقي الملك على التل في مقدار مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين والشجعان المذكورين، وكان سبب سقوط الفرنج لما حملوا تلك الحملات ازدادوا عطشا، وقد كانوا يرجون الخلاص في بعض تلك الحملات مما هم فيه، فلما لم يجدوا إلى الخلاص طريقا، نزلوا عن دوابهم وجلسوا على الأرض، فصعد المسلمون إليهم، فألقوا خيمة الملك، وأسروهم على بكرة أبيهم، وفيهم الملك وأخوه والبرنس أرناط، صاحب الكرك، ولم يكن للفرنج أشد منه عداوة للمسلمين، وأسروا أيضا صاحب جبيل، وابن هنفري، ومقدم الداوية، وكان من أعظم الفرنج شأنا، وأسروا أيضا جماعة من الداوية، وجماعة من الإسبتارية، وكثر القتل والأسر فيهم، فكان من يرى القتلى لا يظن أنهم أسروا واحدا، ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحدا، فلما فرغ المسلمون منهم نزل صلاح الدين في خيمته، وأحضر ملك الفرنج عنده، وبرنس صاحب الكرك، وأجلس الملك إلى جانبه

وقد أهلكه العطش، فسقاه ماء مثلوجا، فشرب، وأعطى فضله برنس صاحب الكرك، فشرب، فقال صلاح الدين: إن هذا الملعون لم يشرب الماء بإذني فينال أماني؛ ثم كلم البرنس، وقرعه بذنوبه، وعدد عليه غدراته، وقام إليه بنفسه فضرب رقبته وقال: كنت نذرت دفعتين أن أقتله إن ظفرت به: إحداهما لما أراد المسير إلى مكة والمدينة، والثانية لما أخذ القفل غدرا؛ فلما قتله وسحب وأخرج ارتعدت فرائص الملك، فسكن جأشه وأمنه.

٢/٣." (١)

"انتصارات الموحدين على الأسبان النصارى في معركة الأندلس.

﵊ ٥٩١ ﵁ شعبان ¤ ١١٩٥ ١/٨

غزا أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن، صاحب بلاد المغرب والأندلس، بلاد الفرنج بالأندلس؛ وسبب ذلك أن ألفونسو ملك الفرنج بها، ومقر ملكه مدينة طليطلة، كتب إلى يعقوب كتابا فحواه أنه يريد الإغارة على البلاد والقتل وأنه لا مانع له من ذلك ويستهزئ بقوة المسلمين ويتهمهم بالضعف مع أنهم أي المسلمون مأمورون بالجهاد حتى لو كان العدو ضعف العدد، واستهزأ بالملك أبي يوسف يعقوب، فلما وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب في أعلاه هذه الآية: ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ [النمل ٣٧]، وأعاده إليه، وجمع العساكر العظيمة من المسلمين وعبر المجاز إلى الأندلس، وقيل: كان سبب عبوره إلى الأندلس أن يعقوب لما قاتل الفرنج سنة ست وثمانين وصالحهم، بقي طائفة من الفرنج لم ترض الصلح، فلما كان الآن جمعت تلك الطائفة جمعا من الفرنج، وخرجوا إلى بلاد الإسلام، فقتلوا وسبوا وغنموا وأسروا، وعاثوا فيها عيثا شديدا، فانتهى ذلك إلى يعقوب، فجمع العساكر، وعبر المجاز إلى الأندلس في جيش يضيق عنهم الفضاء، فسمعت الفرنج بذلك، فجمعت قاصيهم ودانيهم، فالتقوا، تاسع شعبان، شمالي قرطبة عند قلعة رياح، بمكان يعرف بمرج الحديد، فاقتتلوا قتالا شديدا، فكانت الدائرة أولا على المسلمين، ثم عادت على الفرنج، فانهزموا أقبح هزيمة وانتصر المسلمون وغنم المسلمون منهم شيئا عظيما، ولما انهزم الفرنج اتبعهم أبو يوسف، فرآهم قد أخذوا قلعة رياح، وساروا عنها من الرعب والخوف، فملكها، وجعل فيها واليا، وجندا يحفظونها، وعاد إلى مدينة إشبيلية، وأما ألفونسو فإنه لما انهزم حلق رأسه، ونكس صليبه، وركب حمارا، وأقسم أن لا يركب فرسا ولا بغلا حتى تنصر النصرانية، فجمع جموعا عظيمة، وبلغ الخبر بذلك إلى يعقوب، فأرسل إلى بلاد الغرب مراكش وغيرها يستنفر الناس من

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٩٣/٥

غير إكراه، فأتاه من **المتطوعة** والمرتزقين جمع عظيم، فالتقوا في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة، وغنم المسلمون ما معهم من الأموال والسلاح والدواب وغيرها، وتوجه إلى مدينة طليطلة فحصرها، وقاتلها قتالا شديدا، وقطع أشجارها، وشن الغارة على ما حولها من البلاد، وفتح فيها عدة حصون، فقتل رجالها، وسبى حريمها، وخرب دورها، وهدم أسوارها، فضعفت النصرانية حينئذ، وعظم أمر الإسلام بالأندلس، وعاد يعقوب إلى إشبيلية فأقام بها، فلما دخلت سنة ثلاث وتسعين سار عنها إلى بلاد الفرنج، وذلوا، واجتمع ملوكها، وأرسلوا يطلبون الصلح، فأجابهم إليه بعد أن كان عازما على الامتناع مريدا لملازمة الجهاد إلى أن يفرغ منهم، فأتاه خبر علي بن إسحق الملثم الميورقي أنه فعل بإفريقية من الأفاعيل الشنيعة، فترك عزمه، وصالحهم مدة خمس سنين، وعاد إلى مراكش آخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

٢/٣." (١)

"انهزام الخطا من الغورية.

ﷺ ٥٩٤ ¤ ١١٩٧ ١/٨

عبر الخطا نهر جيحون إلى ناحية خراسان، فعاثوا في البلاد وأفسدوا، فلقيهم عسكر غياث الدين الغوري وقاتلهم فانهزم الخطا، وكان سبب ذلك أن خوارزم شاه تكش كان قد سار إلى بلد الري، وهمذان وأصفهان وما بينهما من البلاد، وملكها، وتعرض إلى عساكر الخليفة، وأظهر طلب السلطنة والخطبة ببغداد، فأرسل الخليفة إلى غياث الدين ملك الغور وغزنة يأمره بقصد بلاد خوارزم شاه ليعود عن قصد العراق، وكان خوارزم شاه قد عاد إلى خوارزم، فراسله غياث الدين يقبح له فعله، ويتهدده بقصد بلاده وأخذها، فأرسل خوارزم شاه إلى الخطا يشكو إليهم من غياث الدين، فساروا وعبروا جيحون في جمادى الآخرة، وكان الزمان شتاء، وكان شهاب الدين الغوري أخو غياث الدين ببلاد الهند، والعساكر معه، وغياث الدين به من النقرس ما يمنعه من الحركة، إنما يحمل في محفة، والذي يقود الجيش ويباشر الحروب أخوه شهاب الدين، فلما وصل الخطا إلى جيحون سار خوارزم شاه إلى طوس، عازما على قصد هراة ومحاصرتها، وعبر الخطا النهر، ووصلوا إلى بلاد الغور وقتلوا وأسروا ونهبوا وسبوا كثيرا لا يحصى، فاستغاث الناس بغياث الدين، فلم يكن عنده من العساكر ما يلقاهم بها، فراسل الخطا بهاء الدين سام ملك باميان يأمرونه بالإفراج عن بلخ، أو أنه يحمل ما كان من قبله يحمله من المال، فلم يجبهم إلى ذلك، وعظمت المصيبة على المسلمين بما

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/١٥٥

فعله الخطا، فانتدب الأمير محمد بن جربك الغوري، وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين، وكان شجاعا، وكاتب الحسين بن خرميل، وكان بقلعة كرزبان، واجتمع معهما الأمير حروش الغوري، وساروا بعساكرهم إلى الخطا، فبيتوهم، وكبسوهم ليلا، فأتاهم هؤلاء الغورية وقاتلوهم، وأكثروا القتل في الخطا، وانهزم من سلم منهم من القتل، ثم قويت قلوبهم، وثبتوا واقتتلوا عامة نهارهم فقتل من الفريقين خرق عظيم، ولحقت **المتطوعة** بالغوريين، وأتاهم مدد من غياث الدين وهم في الحرب، فثبت المسلمون، وعظمت نكايتهم في الكفار.

٢/٣. " (١)

"فتح خوارزم شاه بخارى.

عليه الصلاة والسلام ٥٩٤ ¤ ١١٩٧ ١/٨

لما ورد رسول ملك الخطا على خوارزم شاه، أعاد الجواب: إن عسكرك إنما قصد انتزاع بلخ، ولم يأتوا إلى نصرتي، ولا اجتمعت بهم، ولا أمرتهم بالعبور، إن كنت فعلت ذلك، فأنا مقيم بالمال المطلوب مني، ولكن حيث عجزتم أنتم عن الغورية عدتم علي بهذا القول وهذا المطلب، وأما أنا فقد أصلحت الغورية، ودخلت في طاعتهم، ولا طاعة لكم عندي، فعاد الرسول بالجواب، فجهز ملك الخطا جيشا عظيما وسيره إلى خوارزم فحصروها، فكان خوارزم شاه يخرج إليهم كل ليلة، ويقتل منهم خلقا، وأتاه من **المتطوعة** خلق كثير، فلم يزل هذا فعله بهم حتى أتى على أكثرهم، فدخل الباقون إلى بلادهم، ورحل خوارزم شاه في أثارهم، وقصد بخارى فنازلها وحصرها، وامتنع أهلها منه، وقاتلوه مع الخطا، فلم يزل هذا دأبهم حتى ملك خوارزم شاه البلد، بعد أيام يسيرة، عنوة وعفا عن أهله، وأحسن إليهم، وفرق فيهم مالا كثيرا، وأقام به مدة ثم عاد إلى خوارزم.

٢/٣. " (٢)

"نهب الكرج أرمينية.

عليه الصلاة والسلام ٦٠٢ ¤ ١٢٠٥ ١/٨

قصدت الكرج في جموعها ولاية خلاط من أرمينية، ونهبوا، وقتلوا، وأسروا وسبوا أهلها كثيرا، وجاسوا خلال الديار آمنين، ولم يخرج إليهم من خلاط من يمنعهم فبقوا متصرفين في النهب والسبي، والبلاد شاغرة لا

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/١٦٤

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/١٦٥

مانع لها، لأن صاحبها صبي، والمدبر لدولته ليست له تلك الطاعة على الجند، فلما اشتد البلاء على الناس تذامروا، وحرض بعضهم بعضا، واجتمعت العساكر الإسلامية التي بتلك الولاية جميعها، وانضاف إليهم من **المتطوعة** كثير، فساروا جميعهم نحو الكرج وهم خائفون، فوصلت الأخبار إلى الكرج؛ فعزموا على كبس المسلمين، فانتقلوا من موضعهم بالوادي إلى أعلاه، فنزلوا فيه ليكبسوا المسلمين إذا أظلم الليل، فأتى المسلمين الخبر، فقصدوا الكرج وأمسكوا عليهم رأس الوادي وأسفله، وهو واد ليس إليه غير هذين الطريقين، فلما رأى الكرج ذلك أيقنوا بالهلاك، وسقط في أيديهم، وطمع المسلمون فيهم، وضايقوهم، وقاتلوهم، فقتلوا منهم كثيرا، وأسروا مثلهم، ولم يفلت من الكرج إلا القليل، وكفى الله المسلمين شرهم بعد أن كانوا أشرفوا على الهلاك.

٢/٣." (١)

"الحملة الصليبية الإنجليزية.

عليه الصلاة والسلام ٦٣٨ ¤ ١٢٤٠ ١/٨

هذه الحملة تعتبر الثامنة وكانت مكونة من **المتطوعة** الإنكليز بقيادة ريتشارد كورنفيل أخو هنري الثالث ملك إنكلترا، وقد وصلت هذه الحملة إلى عكا وقامت بتحصين عسقلان فاعترف لها الملك الصالح نجم الدين أيوب بحق الصليبيين في ملكية إقليم الجليل فضلا عن بيت المقدس وعسقلان ولكن ريتشارد اكتفى بما استولى عليه ثم إنه أبحر عائدا إلى بلاده.

٢/٣." (٢)

"الأسبان يهاجمون غرناطة وابن الأحمر يهزمهم ويسترجع بعض المدن.

عليه الصلاة والسلام ٦٦٢ ¤ ١٢٦٣ ١/٨

كان ملك قشتالة ألفونسو ملك النصارى قد طلب من ابن الأحمر الساحل من مالقة إلى المرية فاستعان ابن الأحمر أميرها **بالمتطوعة** والمجاهدين الذين وفدوا إليه من المغرب فهزم الأسبان واسترد منهم مدينة شريش وقادس، وأخذ ألفونسو أسيرا. ثم اجتمع العدو المخذول في جمع كبير، ونازلوا غرناطة فانتصر عليهم المسلمون، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وجمع من رؤوسهم نحو خمسة وأربعين ألف رأس، فعملوها كوما، وأذن المسلمون فوقه، وأسروا منهم عشرة آلاف أسير. وكان ذلك في رمضان. وانهزم ألفونسو إلى إشبيلية،

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٢٠٨

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٣٩٦

وهي له، وكان قد دفن أباه بها بالجامع، فأخرجه من قبره خوفا من استيلاء المسلمين، وحمله إلى طليطلة. واسترجع المسلمون اثنين وثلاثين بلدا، من جملتها إشبيلية ومرسية.

٢/٣." (١)

"المغول يهزمون المماليك في موقعة سلمية بالشام.

عليه الصلاة والسلام٦٩٩ رضي الله عنه ربيع الأول¤١٢٩٩ ١/٨

تحرك غازان متجها إلى بلاد الشام فقطع الفرات، وكانت الأخبار قد وصلت إلى السلطنة وتجهز العسكر من مصر ووصل إلى دمشق وتجهز عسكر دمشق، ووصلت الأخبار أن غازان قد وصل قريبا من حلب في جيش عظيم، حتى هرب كثير من أهل حلب وحماة إلى دمشق، ووصل العسكر المصري إلى دمشق، ثم خرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول ولم يتخلف أحد من الجيوش، وخرج معهم خلق كثير من **المتطوعة**، فلما وصل السلطان إلى وادي الخزندار عند وادي سلمية قريبا من حمص، التقى مع التتر هناك يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول وتصادما، وقد كلت خيول السلطان وعساكره من السوق؛ والتحم القتال بين الفريقين، وحملت ميسرة المسلمين عليهم فكسرتهم أقبح كسرة، وقتلوا منهم جماعة كثيرة نحو خمسة آلاف أو أكثر ولم يقتل من المسلمين إلا اليسير، ثم حملت القلب أيضا حملة هائلة وصدمت العدو أعظم صدمة، وثبت كل من الفريقين ثباتا عظيما ثم حصل تخاذل في عسكر الإسلام بعضهم في بعض - بلاء من الله تعالى - فانهزمت ميمنة السلطان بعد أن كان لاح لهم النصر فلا قوة إلا بالله، ولما انهزمت الميمنة انهزم أيضا من كان وراء السناجق السلطانية من غير قتال، وألقى الله تعالى الهزيمة عليهم فانهزم جميع عساكر الإسلام بعد النصر؛ وساق السلطان في طائفة يسيرة من أمرائه ومدبري مملكته إلى نحو بعلبك وتركوا جميع الأثقال ملقاة؛ فبقيت العدد والسلاح والغنائم والأثقال ملأت تلك الأراضي حتى بقيت الرماح في الطرق كأنها القصب لا ينظر إليها أحد، ورمى الجند خوذهم عن رؤوسهم وجواشنهم وسلاحهم تخفيفا عن الخيل لتنجيهم بأنفسهم، وقصدوا الجميع دمشق، وكان أكثر من وصل إلى دمشق من المنهزمين من طريق بعلبك، ولما بلغ أهل دمشق وغيرها كسرة السلطان عظم الضجيج والبكاء، وخرجت المخدرات حاسرات لا يعرفن أين يذهبن والأطفال بأيديهن، وصار كل واحد في شغل عن صاحبه إلى أن ورد عليهم الخبر أن ملك التتار قازان مسلم وأن غالب جيشه على ملة الإسلام، وأنهم لم يتبعوا المنهزمين، وبعد انفصال الوقعة لم يقتلوا أحدا ممن وجدوه، وإنما يأخذون سلاحه

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٢/٦

ومركوبه ويطلقونه، فسكن بذلك روع أهل دمشق قليلا، ثم صار من وصل إلى دمشق أخذ أهله وحواصله بحيث الإمكان وتوجه إلى جهة مصر، وبقي من بقي بدمشق في خمدة وحيرة لا يدرون ما عاقبة أمرهم؛ فطائفة تغلب عليهم الخوف، وطائفة يترجون حقن الدماء، وطائفة يترجون أكثر من ذلك من عدل وحسن سيرة.

٢/٣." (١)

"مسير الجيش الشامي برفقة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى جبيل وكسروان بسبب خيانتهم وضلالهم.

عليه الصلاة والسلام٦٩٩ رضي الله عنه شوال ¤ ١٣٠٠ ١/٨

في يوم الجمعة العشرين من شوال ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان (وهي من مناطق الساحل اللبناني كان يسكنها الدروز والروافض) وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من **المتطوعة** والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا حين اجتازوا ببلادهم، وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيرا منهم، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال، وأقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذي القعدة وتلقاه الناس بالشموع إلى طريق بعلبك وسط النهار.

٢/٣." (٢)

"فرنج قشتالة يستولون على مدينة أشقيرة بالأندلس.

عليه الصلاة والسلام٨١٣ رضي الله عنه محرم ¤ ١٤١٠ ١/٨

أن الطاغية صاحب قشتالة لما أوقع بالمسلمين في الزقاق، كثرت غاراته في بلاد المسلمين بالأندلس، وكثرت غاراتهم أيضا على بلاد قشتالة، وكان ألفونسو قد قام بأمر أخيه دون، وكان عارفا بالحروب والمكايد، شجاعا، دربا، شديد البأس، فجمع لحرب المسلمين، ونزل على أشقيرة – تجاه مالقة – أول ذي الحجة،

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٦١/٦

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٦٥/٦

فلم يستنجد أبو الحجاج يوسف بن يوسف بن محمد بن إسماعيل بن نصر بن الأحمر – صاحب غرناطة – عساكر فاس كما هي العادة، بل رأى أن في عسكره كفاية، وجهز أخويه محمد وعليا على عسكر الأندلس، وقد جمع أهل القرى بأسرها، وخرجوا من غرناطة في ثامن عشر ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثمانمائة، ونزلوا على حصن أرشذونة – وهو على ستة أميال من أشقيرة – حتى تكاملت الجموع في ثامن عشرينه، ثم ساروا في ليلة التاسع والعشرين وعسكروا تجاه العدو، بسفح جبل الـمدرج، فما استقرت، وقد أعجبتهم أنفسهم بهذه الدار حتى زحف العدو لحربهم، فثاروا لقتاله، وقد أعجبتهم أنفسهم، واغتروا بكثرتهم، وتباهوا بزينتهم، ولم يراقبوا الله في أمرهم، فما أحد إلا ومعه نوع من المعاصي كالخمر والأحداث، فلما اشتد القتال في الليل، انهزم العدو بعد ما قتل من المسلمين عشرة فرسان، ولما كان أول يوم من محرم سنة ثلاث عشرة، نادى أخو السلطان في العسكر بالنفقة، وكانت نفقة السفر قد أخرت عن وقتها، لئلا يأخذها العسكر ولا يشهدوا الحرب، وجعلت عند حضور الجهاد، فهم في أخذ النفقة، وإذا بالعدو وقد أقبل عند طلوع الشمس، فخرجت **المطوعة** وقاتلتهم، وأقام العسكر بأجمعهم لأخذ النفقة، وعلم العدو بذلك فرجعوا كأنهم منهزمين، **والمطوعة** تتبعهم، وتنادي في العسكر: يا أكالين الحرام العامة هزمت النصارى، وأنتم في خيامكم جلوس، فلما وصل العدو إلى معسكرهم، وقفوا للحرب، وقد اجتمع جميع رجالة المسلمين طمعا في الغنيمة، فإذا العدو وقد خندق على معسكره ورتب عليه الرماة، فسقط في أيديهم، ووقفوا إلى الظهر في حيرة، فخرج أمراء الطاغية عند ذلك من جوانب الخندق، وحملوا على المسلمين، فقتلوا من قاتلهم، وأسروا من ألقى منهم سلاحه، حتى وصلوا مخيم المسلمين، فركب طائفة من بني مرين وبني عبد الواد، وقاتلوا على أطراف خيمهم قليلا، وانهزموا هم وجميع أهل الأندلس، بحيث خرج أخوا السلطان بمن معهما مشاة إلى الجبل على أقدامهم، فأحاط العدو بجميع ما كان معهم، وأكثروا من القتل فيهم، وكانت عدة من قتل من المعروفين من أهل غرناطة خاصة مائة ألف إنسان، سوى من لم يعرف، وسوى أهل أقطار الأندلس، بحرها وبرها، سهلها وجبلها، فإنهم عالم لا يحصيه إلا الله تعالى، وأقام النصارى ثلاثة أيام يتتبعون المسلمين، فيقتلون ويأسرون، وبعث الطاغية إلى أعماله يخبرهم بنصرته، فلما بلغ ذلك أهل أبده وسبته، وأهل حيان، خرجوا إلى وادي أش – وهو بيد المسلمين – ونزلوا قريبا من حصن أرتنة، فاستغاث أهل الحصن بأهل غرناطة، فأمدوهم بعسكر، فصار النصارى إلى حصن مشافر، وقاتلوا أهله حتى أخذوا الربض، وشرعوا في تعليق الحصن، وإذا بعسكر غرناطة قد جاءهم في سابع المحرم، فأوقعوا بهم وقيعة شنعاء، أفنوهم فيها، وأسروا منهم زيادة على ألف وخمسمائة، وعادوا إلى غرناطة بهم، فدخلوا في تاسعه، وبلغ ذلك الطاغية –

وهو على حصار أشقيرة – فكف أصحابه عن الدخول بعدها إلى بلاد المسلمين، وأقام على الحصار ستة أشهر حتى ضعفت أحوال المسلمين بأشقيرة، ورفعوا كرائم أموالهم إلى حصنها، وتعلقوا به، فملك الطاغية المدينة بما فيها من الأزواد والأمتعة، ووقع مع هذا في المسلمين الوخم، فمات منهم جماعة كثيرة، فاضطرهم الحال إلى طلب الأمان ليلحقوا ببلاد المسلمين بأموالهم فأمنهم ألفونسو على أن يخرجوا بما يطيقون حمله، فخرجوا بأجمعهم إلى معسكره، فوفى لهم، وجهز جميع المسلمين، وبعث من أوصلهم إلى غرناطة، فلم يفقد أحد منهم، ولا شراك نعل وأقام بأشقيرة من يثق به، وعاد عنها قافلا إلى بلاده في أوائل جمادى الآخرة، فكانت هذه الحادثة من أشنع ما أصاب المسلمين بالأندلس.

٢/٣." (١)

"الفرنج ينزلون على الإسكندرية ويأسرون بعض المسلمين.

عليه الصلاة والسلام٨١٩ رضي الله عنه جمادى الآخرة¤١٤١٦ ١/٨

في سادس عشر جمادى الآخر قدم الأمير صلاح الدين محمد الحاجب بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص إلى الإسكندرية في تحصيل المال، فجلس بالخمس، وبين يديه أعيان أهلها، فجاءه الخبر بأن الفرنج الذين وصلوا ببضائع المتجر – وهم في ثمان عشاريات من مراكب بحر الملح – قد عزموا على أن يهجموا عليه، وأن يأخذوه هو ومن معه، فقام عجلا من غير تأن يريد الفرار، وتسارع الناس أيضا يفرون، فهجم الفرنج من باب البحر، فدافعهم من هناك من العتالين، حتى أغلقوا باب البحر، وقتلوا رجلا من الفرنج، فقتل الفرنج نحو عشرين من المسلمين، وانتشروا على الساحل، وأسروا نحو سبعين مسلما، وأخذوا ما ظفروا به، ولحقوا بمراكبهم، وأتوا في الليل يريدون السور، فتراموا ليلتهم كلها مع المسلمين إلى الفجر، فأخذ كثير من المسلمين في الرحيل من الإسكندرية، وأخرجوا عيالهم، وقام الصياح على فقد من قتل وأسر، وباتوا ليلة الجمعة مع الفرنج في الترامي من أعلى السور، فقدمت طائفة من المغاربة في مركب ومعهم زيت وغيره من تجاراتهم، فمال الفرنج عليهم وقاتلوهم قتالا شديدا حتى أخذوهم عنوة، وأخرجوهم إلى البر، وقطعوهم قطعا، وأهل الإسكندرية يرونهم فلا يغيثونهم، فقدم الخبر بذلك في ليلة السبت عشرينه، فاضطرب الناس بالقاهرة، وخرج ناظر الخاص نجدة لولده، ومضى معه عدة من الأمراء، وخرج الشيخ أبو هريرة بن النقاش في عدة من المطوعة، يوم الأحد حادي عشرينه، وقدموا الإسكندرية، فوجدوا الفرنج قد أقلعوا، وساروا بالأسرى، وما أخذوه من البر ومن مركب المغاربة، في يوم الثلاثاء ثاني

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦٠/٧

عشرينه، فعادوا في آخر الشهر إلى القاهرة.

٢/٣. " (١)

"السلطان الأشرف برسباي يرسل جيشا يغزو قبرس.

ﷺ٨٢٨ﷻ جمادى الآخرة¤ ١٤٢٥ ١/٨

أخذ السلطان في تجهيز الغزاة وعين جماعة كبيرة من المماليك السلطانية والأمراء، وقام السلطان في الجهاد أتم قيام، ثم في عشرينه سارت خيول الأمراء والأعيان من المجاهدين في البر إلى طرابلس، وعدتها نحو ثلاثمائة فرس، لتحمل من طرابلس صحبة غزاتها في البحر ثم في يوم الخميس تاسع شوال ورد الخبر من طرابلس بنصرة المسلمين على الفرنج، وبينما الناس مستبشرون في غاية ما يكون من السرور والفرح بنصر الله قدم الخبر في يوم الاثنين ثالث عشر شوال بوصول الغزاة المذكورين إلى الطينة من مصر وكان من خبرهم أنهم لما توجهوا من ساحل بولاق إلى دمياط ساروا منه في البحر المالح إلى مدينة طرابلس فطلعوا إليها، فانضم عليهم بها خلائق من المماليك والعساكر الشامية وجماعة كبيرة من المطوعة إلى أن رحلوا عن طرابلس في بضع وأربعين مركبا، وساروا إلى جهة الماغوصة، فنزلوا عليها بأجمعهم، وخيموا في برها الغربي، وقد أظهر متملك الماغوصة طاعة السلطان وعرفهم تهيؤ صاحب قبرس واستعداده، لقتالهم وحربهم، فاستعدوا وأخذوا حذرهم وباتوا بمخيمهم على الماغوصة، وهي ليلة الأحد العشرين من شهر رمضان، وأصبحوا يوم الاثنين شنوا الغارات على ما بغربي قبرس من الضياع، ونهبوا وأسروا وقتلوا وأحرقوا وعادوا بغنائم كثيرة، وأقاموا على الماغوصة ثلاثة أيام يفعلون ما تقدم ذكره من النهب والأسر وغيره، ثم ساروا ليلة الأربعاء يريدون الملاحة، وتركوا في البر أربعمائة من الرجالة يسيرون بالقرب منهم إلى أن وصلوا إليها ونهبوها وأسروا وأحرقوا يضا، ثم ركبوا البحر جميعا وأصبحوا باكر النهار فوافاهم الفرنج في عشرة أغربة وقرقورة كبيرة، فلم يثبتوا للمسلمين وانهزموا من غير حرب، واستمر المسلمون بساحل الملاحة وقد أرست مراكبهم عليها، وبينما هم فيما هم فيه كرت أغربة الفرنج راجعة إليهم، وكان قصد الفرنج بعودهم أن يخرج المسلمون إليهم فيقاتلوهم في وسط البحر، فلما أرست المسلمون على ساحل الملاحة، كرت الفرنج عليهم فبرزت إليهم المسلمون وقاتلوهم قتالا شديدا إلى أن هزمهم الله تعالى، وعادوا بالخزي، وبات المسلمون ليلة الجمعة خامس عشرين شهر رمضان، فلما كان بكرة نهار الجمعة أقبل عسكر قبرس وعليهم أخو الملك، ومشى على المسلمين، فقاتله مقدار نصف العسكر الإسلامي أشد قتال حتى كسروهم، وانهزم أخو الملك بمن

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٨٧/٧

كان معه من العساكر بعد أن كان المسلمون أشرفوا على الهلاك، ولله الحمد والمنة، وقتل المسلمون من الفرنج مقتلة عظيمة، ثم أمر الأمير جرباش بإخراج الخيول إلى البر، فأخرجوا الخيول من المراكب إلى البر في ليلة السبت، وتجهزوا للمسير ليغيروا على نواحي قبرس من الغد، فلما كان بكرة يوم السبت المذكور ركبوا وساروا إلى المغارات حتى وافوها، فأخذوا يقتلون ويأسرون ويحرقون وينهبون القرى حتى ضاقت مراكبها عن حمل الأسرى، وامتلأت أيديهم بالغنائم، وألقى كثير منهم ما أخذه إلى الأرض، فعند ذلك كتب الأمير جرباش مقدم العساكر المجاهدة كتابا إلى الأمير قصروه من تمراز نائب طرابلس بهذا الفتح العظيم والنصر المبين صحبة قاصد بعثه الأمير قصروه مع المجاهدين ليأتيه بأخبارهم، فعندما وصل الخبر للأمير قصروه كتب في الحال إلى السلطان بذلك، وفي طي كتابه كتاب الأمير جرباش المذكور، ثم إن الأمير جرباش لما رأى أن الأمر أخذ حده، وأن السلامة غنيمة، ثم ظهر له بعض تخوف عسكره، فإنه بلغهم أن صاحب قبرس قد جمع عساكر كثيرة واستعد لقتال المسلمين، فشاور من كان معه من الأمراء والأعيان، فأجمع رأي الجميع على العود إلى جهة الديار المصرية مخافة من ضجر العسكر الإسلامي إن طال القتال بينهم وبين أهل قبرس إذا صاروا في مقابله، فعند ذلك أجمع رأي الأمير جرباش المذكور أن يعود بالعساكر الإسلامية على أجمل وجه، فحل القلاع بعد أن تهيأ للسفر، وسار عائدا حتى أرسى على الطينة قريبا من قطيا وثغر دمياط، ثم توجهوا إلى الديار المصرية، ولما بلغ الناس ذلك، وتحقق كل أحد ما حصل للمسلمين من النصر والظفر، عاد سرورهم أما الغزاة فقدموا يوم السبت خامس عشرين شوال ومعهم ألف وستون أسيرا ممن أسروا في هذه الغزوة، وباتوا تلك الليلة بساحل بولاق، وصعدوا في بكرة يوم الأحد سادس عشرينه إلى القلعة، وبين أيديهم الأسرى والغنائم، وهي على مائة وسبعين حمالا وأربعين بغلا وعشرة جمال، ما بين جوخ، وصوف، وصناديق، وحديد، وآلات حربية، وأوان.

" (١) ٢/٣.

"ملك الحفصيين يرسل جيشا يغزو صقلية.

عليه الصلاة والسلام٨٣٣ رضي الله عنه محرم ¤ ١٤٢٩ ١/٨

في ثامن عشر محرم بعث صاحب تونس وإفريقية وتلمسان – أبو فارس عبد العزيز – أسطولا فيه مائتا فرس، وخمسة عشر ألف مقاتل من العسكرية والمطوعة، لأخذ جزيرة صقلية، فنازلوا مدينة مارز حتى أخذوها عنوة، ومضوا إلى مدينة مالطة، وحصروها حتى لم يبق إلا أخذها فانهزم من جملتهم أحد الأمراء

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٣١/٧

من العلوج، فانهزم المسلمون لهزيمته، فركب الفرنج أقفيتهم، فاستشهد منهم في الهزيمة خمسون رجلا من الأعيان، ثم إنهم ثبتوا وقبضوا على العلج الذي كادهم بهزيمته، وبعثوا به إلى أبي فارس، فأمدهم بجيوش كثيرة.

٢/٣." (١)

"ملك قشتالة يهاجم بني نصر.

عليه الصلاة والسلام ٨٣٤ رضي الله عنه رمضان ¤ ١٤٣١ ١/٨

جمع ملك قشتالة الفنشي عساكره من الفرنج، وركب البحر إلى قرطبة يريد أخذ غرناطة من المسلمين، فاشتد البلاء عليهم لقلة المال بغرناطة، وفناء عسكرها في الفتنة التي حصلت في استعادة الملك، وموت من هلك في الزلزلة، وهم زيادة على ستة آلاف إنسان، ونزل الفرنج عليهم، فلقوهم في يوم الجمعة عاشر رمضان من هذه السنة، وقاتلوهم يومهم ومن الغد، قتل من المسلمين نحو الخمسة عشر ألف، وألجأهم العدو إلى دخول المدينة، وعسكر بإزائها على بريد منها، وهم نحو خمسمائة وثمانين ألف، وقد اشتد الطمع في أخذها، فبات المسلمون ليلة الأحد في بكاء وتضرع إلى الله، ففتح عليهم الله تعالى، وألهمهم رشدهم، وذلك أن الشيخ أبا زكريا يحيى بن عمر ابن يحيى بن عمر بن عثمان بن عبد الحق – شيخ الغزاة – خرج من مدينة غرناطة في جمع ألفين من الأجناد، وعشرين ألفا من **المطوعة**، وسار نصف الليل على جبل الفخار، حتى أبعد عن معسكر الفرنج إلى جهة بلادهم، ورفع أمارة في الجبال يعلم بها السلطان بغرناطة، فلما رأى تلك العلامات من الغد خرج يوم الأحد، بجميع من بقي عنده إلى الفرنج، فثاروا لحربهم، فولى السلطان بمن معه من المسلمين، كأنهم قد انهزموا، والفرنج، تتبعهم، حتى قاربوا المدينة، ثم رفعوا الأعلام الإسلامية، فلما رآها الشيخ أبو زكريا نزل بمن معه إلى معسكر الفرنج، وألقي فيه النار، ووضع السيف فيمن هنالك، فقتل وأسر وسبى، فلم يدع الفرنج إلا والصريخ قد جاءهم، والنار ترتفع من معسكرهم، فتركوا أهل أغرناظة ورجعوا إلى معسكرهم، فركب السلطان بمن معه أقفيتهم، يقتلون ويأسرون، فبلغت عدة من قتل من الفرنج ستة وثلاثون ألفا، ولحق باقيهم ببلادهم، بعد ما كادوا أن يملكوا غرناطة، وبلغت عدة من أسر المسلمون من الفرنج نحو اثني عشر ألفا، ويقول المكثر إنه قتل ومات وأسر من الفرنج في هذه

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٤٩/٧

الكائنة زيادة على ستين ألفا.

٢. " (١)
٣

"خروج العسكر المصري لغزو رودس وعودته دون الوصول لرودس.

ﷺ٨٤٦ﷺمحرم ¤ ١٤٤٢ ١
٨

كان السلطان في اهتمام لغزو رودس، فعين عدة كبيرة من المماليك السلطانية والأمراء، ومقدم الجميع اثنان من مقدمي الألوف، وسافروا الجميع من ساحل بولاق، في محرم سنة ست وأربعين، ومعهم عدة كبيرة من **المطوعة**، بأبهج زي من العلا والسلاح؛ وكان لسفرهم بساحل بولاق يوم مشهود، إلا أنهم عادوا في أثناء السفر، ولم ينالوا من رودس غرضا، بعد أن أخربوا قشتيل.

٢. " (٢)
٣

"العسكر المصري والشامي يغزو رودس ويعود دون فتحها.

ﷺ٨٤٨ﷺربيع الأول ¤ ١٤٤٤ ١
٨

في يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الأول خرجت الغزاة من القاهرة، فنزلت في المراكب من ساحل بولاق؛ وقصدوا الإسكندرية ودمياط، ليركبوا من هناك البحر المالح، والجميع قصدهم غزو رودس، وكانوا جمعا موفورا، ما بين أمراء وخاصكية ومماليك سلطانية ومطوعة، وكان مقدم الجميع في هذه السنة الأمير إينال العلائي الدوادار الكبير، وكانت المماليك السلطانية في هذه الغزوة تزيد عدتهم على ألف مملوك، هذا خارج عمن سافر من **المطوعة**، وأضاف إليهم السلطان أيضا جماعة كبيرة من أمراء البلاد الشامية، ورسم لهم السلطان أن يتوجه الجميع إلى طرابلس، ليضاف إليهم العسكر الشامي، ويسير الجميع عسكرا واحدا، ففعلوا ذلك، وسافر الجميع من ثغر دمياط وثغر الإسكندرية، في يوم الخميس حادي عشر شهر ربيع الآخر؛ وساروا من ثغر الإسكندرية ودمياط إلى طرابلس، ثم من طرابلس إلى رودس، حتى نزلوا على برها بالقرب من مدينتها في الخيم، وقد استعد أهلها للقتال، فأخذوا في حصار المدينة، ونصبوا عليها المناجيق والمكاحل، وأرموا على أبراجها بالمكاحل والمدافع، واستمروا على قتال أهل رودس في كل يوم، هذا ومنهم فرقة كبيرة قد تفرقت في قرى رودس وبساتينها ينهبون ويسبون، واستمروا على ذلك أياما، ومدينة رودس لا تزداد إلا قوة، لشدة مقاتليها ولعظم عمارتها، وقد تأهبوا للقتال وحصنوا رودس بالآلات والسلاح والمقاتلة،

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٥٤/٧

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٩٤/٧

وصار القتال مستمرا بينهم في كل يوم، وقتل من الطائفتين خلائق كثيرة، هجم عليهم الفرنج في عدة كبيرة من المراكب، فبرز إليهم يلخجا ومن معه، وقاتلوهم قتالا عظيما، حتى نصر الله المسلمين، وانهزم الفرنج وغنم المسلمون منهم، كل ذلك وقتال رودس مستمر في كل يوم، والعساكر في غاية ما يكون من الاجتهاد في قتال رودس، غير أن رودس لا يزداد أمرها إلا قوة، لعظم استعداد أهلها للقتال، ولما كان في بعض الأيام، وقع للمسلمين محنة عظيمة، قتل فيها جماعة كبيرة من أعيان الغزاة من الخاصكية وغيرهم حيث كانوا بائتين في كنيسة فطرقهم الفرنج وقتلوهم، ودام القتال بعد ذلك في كل يوم بين عساكر الإسلام وبين فرنج رودس أياما كثيرة، ومدينة رودس لا تزداد إلا قوة، فعند ذلك أجمع المسلمون على العود، وركبوا مراكبهم، وعادوا إلى أن وصلوا إلى ثغر الإسكندرية ودمياط، ثم قدموا إلى القاهرة.

٢/٣. " (١)

"*محمد بن عبدالرحمن الأوسط

أحد حكام الأندلس فى فترة الإمارة الأموية، تولى الحكم فى (٤من ربيع الآخر ٢٣٨هـ = ٢٤ من سبتمبر ٨٥٢م)، وقدر له أن يقضى فترة حكمه فى إخماد الثورات ومواجهة أعداء دولته من النصارى ومحاولة قمع ثورة عمر بن حفصون. عنى الأمير محمد بالجيش بسبب الظروف التى عاشتها الإمارة فى زمنه، وكان حريصا على فرض أعداد من الفرسان على كل ناحية أندلسية تحشد دائما للصوائف، وهؤلاء كانوا يسمون «الفرسان المستقرين» يضاف إليهم حشود المستنفرة **والمتطوعة**، مما يدل على ضخامة الجيش الذى كانت الإمارة تستطيع تعبئته. كما عنى بالأسطول لحماية الشواطئ الغربية من ناحية، وغزو مملكة «جليقية» من ناحية أخرى، واهتم بتحصين أطراف الثغور، وأقام قلاعا منيعة؛ لحماية مدينة «سالم» و «طليطلة»، وبنى حصونا فى «طلمنكة» و «مجريط» بمنطقة وادى الحجارة. أما من ناحية سياسته الخارجية فقد جمعته مع أمراء المغرب المعاصرين علاقة

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٩٨/٧

صداقة متينة خاصة «بنى رستم» فى «تيهرت» و «بنى مدرار»
فى «سجلماسة»، وكان يشاورهم فى أموره ويهتم بأخبارهم
ويستنصحهم، وتتردد الكتب والرسل بينه وبين هذه الدول بهدف
متابعة أخبار «بنى العباس» وأعمالهم فى إفريقية وبلاد الشام.
كذلك قامت علاقة صداقة بين الأمير «محمد» وملك «فرنسا»
وتبادلا الرسائل والهدايا. أما من الناحية المالية فقد خفف
الضرائب على المواطنين رغم حاجته إلى المال للإنفاق على
الجهاد والقضاء على الثورات المستمرة، وكان يكتفى من أهل
«قرطبة» بجهادهم ولايكلفهم أعباء مالية، وكان الأمير «محمد»
بارعا فى مراجعة الحسابات وموازنة الدخل والخرج، وقد
ساعده هذا الضبط للأمور المالية على مواجهة بعض المحن
الطبيعية التى تعرضت لها الإمارة فى زمنه. وعلى الرغم من أن
أحداث فترة حكم الأمير «محمد» لم تتح له فرصة كبيرة للقيام
بأعمال إنشائية، فإنه أولى لل مسجد الجامع فى قرطبة اهتماما." (١)

"*عبدالملك بن المنصور المظفر بالله

هو عبد الملك بن محمد بن أبى عامر الملقب بالمظفر بالله، تولي
منصب الحجابة بعد وفاة والده المنصور، وقد بدأ عهده بإسقاط
سدس الجباية (الضرائب) عن السكان بكل نواحى الأندلس
فاستبشر الناس به خيرا. ظن ملوك النصارى أن خطر الغزوات
الإسلامية عليهم سيقل بعد وفاة المنصور، لكنهم كانوا واهمين
لأن عبدالملك بدأ بعد أشهر قليلة من ولايته يستعد لغزواته ضدهم
التى بلغت سبع غزوات التزم عبدالملك الأسلوب الذى كان يحكم
به والده الأندلس فجعل الخليفة محجورا عليه لاحول له
ولاقوة. وجمع السلطات كلها فى يديه، وحد من نفوذ الوزراء

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ١٩٢/١٠

والكتاب وراقبهم وحاسبهم، وجلس للناس وهجر اللهو، وعمل
على تنمية الموارد وترتب على هذا تحسن فى الأحوال المالية
التى كانت قد ساءت بسبب كثرة النفقات. ولم يكن لعبدالملك
نصيب كبير فى مجالات العلم والأدب وكان مجلسه لايقوم إلا على
الأعاجم من البربر وغيرهم، ومع ذلك فقد استمر يجرى الرواتب
التى كان أبوه يجريها على العلماء والأدباء والندماء، كما
استمع إلى الشعر ووصل الشعراء. وفى شوال من سنة ٣٩٨هـ
خرج عبدالملك بغزوته السابعة والأخيرة وتعرف «بغزوة العلة»؛
إذ إنه ما كاد يصل إلى مدينة سالم حتى اشتد به المرض وتفرق
عنه **المتطوعة**، واضطر إلى الرجوع إلى قرطبة فى (المحرم
٣٩٩هـ = سبتمبر ١٠٠٨م) لكنه شعر بتحسن فى صحته فعمل
على استئناف الغزو بعد فترة وجيزة لكن حالته ساءت، وتعرض
لنكسة سببها التهاب رئوى، وعاد إلى العاصمة فى محفة حيث
مات فى (١٦ من صفر سنة ٣٩٩هـ = ٢١ من أكتوبر ١٠٠٨م) بعد
حكم دام نحو سبع سنوات.." (١)

"*العلة (معركة)

فى شوال ٣٩٧هـ خرج عبدالملك المظفر بالله حاجب الخليفة
هشام المؤيد بالله بغزوته السابعة والأخيرة وتعرف «بغزوة
العلة»؛ إذ إنه ما كاد يصل إلى مدينة سالم حتى اشتد به المرض
وتفرق عنه **المتطوعة**، واضطر إلى الرجوع إلى قرطبة فى
(المحرم ٣٩٩هـ = سبتمبر ١٠٠٨م) لكنه شعر بتحسن فى صحته
فعمل على استئناف الغزو بعد فترة وجيزة لكن حالته ساءت،
وتعرض لنكسة سببها التهاب رئوى، وعاد إلى العاصمة فى

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ١٠/٢١٠

محفة حيث مات فى (١٦ من صفر سنة ٣٩٩هـ = ٢١ من أكتوبر ١٠٠٨م) بعد حكم دام نحو سبع سنوات.." (١)

"والزجاجية، والقطنية والحريرية، وكذلك التمور بأنواعها والتين والحلى، أما وارداتهم فكانت الذهب وبعض التوابل. لم تختلف طبقات المجتمع كثيرا فى العهد الوطاسى عما سبقه من عهود، واحتل الجيش مكانا بارزا، نظرا لكثرة الحروب التى خاضها الوطاسيون، وقد انقسم هذا الجيش إلى قسمين هما: الجيش النظامى، وأفراده من البربر، ويضم: الفرسان والرماة وراشقى السهام، والمشاة، والقسم الثانى: من **المتطوعة** من العرب وغيرهم، وقد عرف جيش الوطاسيين نظام الحصون والحاميات. وتوقف نشاط الوطاسيين العمرانى على مدينة «فاس»، ويرجع ذلك إلى الأوضاع السياسية المضطربة التى سادت تلك الفترة، وانصراف «بنى وطاس» إلى المعارك والحروب، وصرف إمكاناتهم المادية فى التسليح والإنفاق على الجيش. وقد أدى كل ذلك إلى توقف النشاط العمرانى، وتناقص عدد الفنادق والمستشفيات، وقلة الاهتمام بالمرضى. شهدت العلوم الدينية نشاطا مرحوظا، وبرز عدد كبير من العلماء فى المجالات كافة، منهم: «أبو عبدالله بن أبى جمعة الهبطى»، صاحب كتاب: «الوقف فى القرآن الكريم»، والمتوفى عام (٩٣٠هـ= ١٥٢٤م)، والفقيه «محمد بن عبدالله بن عبدالواحد الفاسى» المتوفى عام (٨٩٤هـ= ١٤٨٩م)، وألف «الونشريشى» عدة كتب منها: «المعيار المعزب، والجامع المعرب عن علماء إفريقية والأندلس والمغرب»، وهو فى اثنى عشر جزءا. وفى علم التاريخ برز القاضى «أبو عبدالله محمد الكراسى الأندلسى»، الذى ألف منظومة عن «بنى

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ١٣/٩٩

وطاس»، أسماها: «عروسة المسائل فيما لبنى وطاس من
فضائل». وتقع هذه المنظومة فى نحو ثلاثمائة بيت، وهى
المصدر الوحيد الذى يعتمد عليه المؤرخون فى التأريخ لهذه
الفترة، حيث لم يصل إليهم غيره. ويعد كتاب «وصف إفريقيا»
للجغرافى «حسن الزان» من أهم الكتب وأشهرها فى هذا
المجال، وقد تناول فيه جغرافية «إفريقية» عموما، و «المغرب
الأقصى»، و «مملكة فاس»، و «مملكة مراكش»، كما تناول." (١)

"المنصور فى سنة (٣٨٨هـ = ٩٩٨م) أعفى الناس من إلزامهم
بالغزو؛ بسبب ما وصلت إليه أعداد الجيش وما توافر له من قوة،
واكتفى بالقوات المرابطة، وقد بلغ الجيش المرابط أى الثابت فى
زمن المنصور (١٢١٠٠) من الفرسان يصرف لهم جميعا المرتبات
والسلاح والنفقة بخلاف (٦٠٠) فارس للحراسة الخاصة، أما الجيش
المرابط من الرجالة فقد بلغ ستة وعشرين ألفا، وكان هذا العدد
يتضاعف بمن ينضم إليه من **المتطوعة** أثناء الصوائف ولا يدخل
فى هذا الخيل ومطايا الركوب ودواب الحمل وغيرها من العدد،
وكان المنصور يتولى قيادة قواته بنفسه غالبا. وقد حققت
غزواته أهدافها من ردع النصارى ومنعهم من الهجوم على
أراضى المسلمين، وكان يعرف أبرز جنده جميعا بأسمائهم
ويدعوهم إلى المآدب التى يقيمها عقب كل انتصار، ومع ذلك
فإن المحصلة النهائية لغزواته كانت ضعيفة فهو لم يقض على
كل قوى النصرانية أو يسحقها، وغزواته وإن أضعفت
النصارى، فإنها لم تغير أحوالهم، وبقيت حدود دولة الإسلام
على ما هى عليه، فهى غزوات دويها عظيم تجذب الناس إليها،
لكن نتائجها قليلة فقد أنهكت قوى الجيوش الإسلامية دون أن

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ١٢٤/١٤

تحقق هدفا ثابتا أو تقضى على خصم، إنها مثل الطبل الأجوف
صوت كبير وعمل قليل. إدارة المنصور: أظهر المنصور مقدرة
كافية ممتازة فى جميع المناصب التى تولاها وشهدت البلاد فى
زمنه أمنا واستقرارا وطمأنينة لم تعرفها قبله، وفى زمنه لم
تعرف البلاد الثورات مقارنا بغيره، وازدهرت الصناعة والتجارة
والزراعة، وارتقت العلوم والآداب، وامتلأت خزائن قرطبة بالمال
حتى وصلت الإيرادات إلى نحو أربعة ملايين دينار، بخلاف
الموارد من المواريث ومال السبى والغنائم، وقد عاون المنصور
مجموعة من الكتاب والوزراء فى هذا العصر من أبرزهم: «أبو
مروان عبدالملك بن شهيد» و «محمد بن جهور» و «أحمد بن سعيد
بن حزم» والد الفيلسوف المشهور، و «خلف بن حسين بن حيان»." (١)

"إلى الصقالبة الجدد الذين اشتراهم المنصور لحسابه ومن هؤلاء
جميعا يتكون الحزب العامرى - وهم الذين قضوا على وحدة
الأندلس فيما بعد، ويتكون منهم ما يعرف بملوك الطوائف. ٢ -
انعدام المفهوم الأخلاقى عنده، وهذا جعل الناس يخافونه ولا
يحبونه، بل إن أنصاره ما كانوا يأمنونه؛ لأنه كان كثير التجسس
فكان يطلب من العبيد والجوارى أن يكونوا عيونا فى بيوتهم
وأفسد أخلاق الناس بالرشوة ونحوها. ٣ - حجر المنصور على
الخليفة «هشام»، وتعيين ابنه «عبدالملك بن المنصور» وليا
لعهده، والتخلص من معارضيه بالتآمر والقتل. ولقى المنصور ربه
فى «مدينة سالم» فى (٢٧ من رمضان سنة ٣٩٢هـ = أغسطس
سنة ١٠٠٢م) كما أسلفنا وتولى الأمر من بعده ابنه عبدالملك
المظفر. عبدالملك المظفر بالله ابن المنصور [رمضان ٣٩٢ - صفر
٣٩٩هـ = أغسطس ١٠٠٢ - أكتوبر ١٠٠٨م]: صدر أمر الخليفة

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٣٣٣/١٤

«هشام» بتولية «عبدالملك» الحجابة بعد وفاة والده، وقضى عبدالملك بسرعة على من أراد انتهاز الفرصة للعودة إلى حكم الخليفة، وقد بدأ عهده بإسقاط سدس الجباية (الضرائب) عن السكان بكل نواحى الأندلس فاستبشر الناس به خيرا. سياسة عبدالملك مع النصارى: ظن ملوك النصارى أن خطر الغزوات الإسلامية عليهم سيقل بعد وفاة المنصور، لكنهم كانوا واهمين لأن عبدالملك بدأ بعد أشهر قليلة من ولايته يستعد لغزوته الأولى، ووفد إليه الزعماء **والمتطوعة** من المغرب وغيرها للاشتراك معه، فرحب بهم وبذل لهم الأموال ووزع عليهم السلاح، وخرج بالجيش من مدينة الزاهرة فى (شعبان ٣٩٣هـ = يونيو ١٠٠٣م)، وتوجه إلى مدينة «طليطلة»، ومنها إلى مدينة «سالم»، حيث انضم إليه «الفتى واضح» فى قواته وقوات من النصارى حسب اتفاقهم مع المنصور، ثم اتجه الجنود نحو الثغر الأعلى، ثم من سرقسطة إلى «برشلونة»، حيث استولت القوات الإسلامية على بعض الحصون المنيعة، واستولت على سبى ومغانم، ثم." (١)

"أمر عبدالملك بقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية، ثم رجع إلى العاصمة فى شهر ربيع الثانى. وفى شوال من العام نفسه خرج عبدالملك بغزوته السابعة والأخيرة وتعرف «بغزوة العلة»؛ إذ إنه ما كاد يصل إلى مدينة سالم حتى اشتد به المرض وتفرق عنه **المتطوعة**، واضطر إلى الرجوع إلى قرطبة فى (المحرم ٣٩٩هـ = سبتمبر ١٠٠٨م) لكنه شعر بتحسن فى صحته فعمل على استئناف الغزو بعد فترة وجيزة لكن حالته ساءت، وتعرض لنكسة سببها التهاب رئوى، وعاد إلى العاصمة فى محفة حيث مات فى (١٦ من صفر سنة ٣٩٩هـ = ٢١ من أكتوبر ١٠٠٨م) بعد

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٣٣٦/١٤

حكم دام نحو سبع سنوات. أسلوب عبدالملك فى الإدارة والحكم:
التزم عبدالملك الأسلوب الذى كان يحكم به والده الأندلس فجعل
الخليفة محجورا عليه لاحول له ولاقوة. وجمع السلطات كلها فى
يديه، وحد من نفوذ الوزراء والكتاب وراقبهم وحاسبهم، وجلس
للناس وهجر اللهو، وعمل على تنمية الموارد وترتب على هذا
تحسن فى الأحوال المالية التى كانت قد ساءت بسبب كثرة
النفقات. ولم يكن لعبدالملك نصيب كبير فى مجالات العلم والأدب
وكان مجلسه لايقوم إلا على الأعاجم من البربر وغيرهم، ومع
ذلك فقد استمر يجرى الرواتب التى كان أبوه يجريها على
العلماء والأدباء والندماء، كما استمع إلى الشعر ووصل
الشعراء. عبدالرحمن بن شنجول قلد الخليفة هشام الحجابة
لعبدالرحمن بن منصور، وأنعم عليه بالخلع السلطانية، وكانت
أمه ابنة لملك «نبرة» تزوجها «المنصور» وأنجب منها، وقد
أسلمت وتسمت باسم «عبدة» ولأنه أشبه جده لأمه المسمى
«شانجة» لقب بشنجول أو شانجة الصغير. ولم يكن الشعب يميل
إلى «عبدالرحمن» لما فيه من دماء نصرانية ولانحراف سلوكه،
ولأنه جرى على منهج أبيه وأخيه فى الحجر على الخليفة هشام
مع الاستبداد بالرأى وإن مال هو إلى التودد إلى الخليفة
ومخالطته، وقد منحه الخليفة لقب المأمون ناصر الدولة بعد
عشرة أيام من ولايته، ليس هذا فحسب، بل إن عبدالرحمن جرؤ." (١)

"النواحى الاقتصادية:
نجحت الزراعة نجاحا عظيما، كعادتها ببلاد «المغرب»، وكثرت
المحاصيل وزادت أنواع الفواكه، وساعدت هجرة الأندلسيين إلى
«بلاد المغرب» على إدخال النظم الزراعية الحديثة، واستحداث أنواع

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٣٣٨/١٤

كثيرة من المحاصيل بالبلاد.

وقد ترتب على ازدهار الزراعة قيام صناعات كثيرة، إلى جانب الصناعات التى كانت موجودة من قبل، واشتهرت «فاس» بصناعات الأحذية والأوانى النحاسية والخيوط والمنسوجات. وكذلك صناعة الحلى.

ونشطت التجارة - خاصة فى أوقات السلم- وتوافرت الطرق الداخلية التى تربط بين المدن، كما توافرت الطرق الرئيسية التى تسير فيها القوافل من المدن المغربية وإليها، مثل: «سوسة» و «درعة» اللتين حظيتا بنشاط تجارى كبير.

وتنوعت صادرات «المغرب» من الأوانى النحاسية، والمصنوعات الجلدية والزجاجية، والقطنية والحريرية، وكذلك التمور بأنواعها والتين والحلى، أما وارداتهم فكانت الذهب وبعض التوابل.

الحياة الاجتماعية:

لم تختلف طبقات المجتمع كثيرا فى العهد الوطاسى عما سبقه من عهود، واحتل الجيش مكانا بارزا، نظرا لكثرة الحروب التى خاضها الوطاسيون، وقد انقسم هذا الجيش إلى قسمين هما: الجيش النظامى، وأفراده من البربر، ويضم: الفرسان والرماة وراشقى السهام، والمشاة، والقسم الثانى: من **المتطوعة** من العرب وغيرهم، وقد عرف جيش الوطاسيين نظام الحصون والحاميات.

وتوقف نشاط الوطاسيين العمرانى على مدينة «فاس»، ويرجع ذلك إلى الأوضاع السياسية المضطربة التى سادت تلك الفترة، وانصراف «بنى وطاس» إلى المعارك والحروب، وصرف إمكاناتهم المادية فى التسليح والإنفاق على الجيش. وقد أدى كل ذلك إلى توقف النشاط العمرانى، وتناقص عدد الفنادق والمستشفيات، وقلة الاهتمام بالمرضى.

الحياة الفكرية:

شهدت العلوم الدينية نشاطا ملحوظا، وبرز عدد كبير من العلماء فى المجالات كافة، منهم: «أبو عبدالله بن أبى جمعة الهبطى»، صاحب." [١]

"عنى الأمير محمد بالجيش بسبب الظروف التى عاشتها الإمارة فى زمنه، وكان حريصا على فرض أعداد من الفرسان على كل ناحية أندلسية تحشد دائما للصوائف، وهؤلاء كانوا يسمون «الفرسان المستقرين» يضاف إليهم حشود المستنفرة **والمتطوعة**، مما يدل على ضخامة الجيش الذى كانت الإمارة تستطيع تعبئته.

كما عنى بالأسطول لحماية الشواطئ الغربية من ناحية، وغزو مملكة «جليقية» من ناحية أخرى، واهتم بتحصين أطراف الثغور، وأقام قلاعا منيعة؛ لحماية مدينة «سالم» و «طليطلة»، وبنى حصونا فى «طلمنكة» و «مجريط» بمنطقة وادى الحجارة.

أما من ناحية سياسته الخارجية فقد جمعته مع أمراء المغرب المعاصرين علاقة صداقة متينة خاصة «بنى رستم» فى «تيهرت» و «بنى مدرار» فى «سجلماسة»، وكان يشاورهم فى أموره ويهتم بأخبارهم ويستنصحهم، وتتردد الكتب والرسل بينه وبين هذه الدول بهدف متابعة أخبار «بنى العباس» وأعمالهم فى إفريقية وبلاد الشام. كذلك قامت علاقة صداقة بين الأمير «محمد» وملك «فرنسا» وتبادلا الرسائل والهدايا.

أما من الناحية المالية فقد خفف الضرائب على المواطنين رغم حاجته إلى المال للإنفاق على الجهاد والقضاء على الثورات المستمرة، وكان يكتفى من أهل «قرطبة» بجهادهم ولايكلفهم أعباء مالية، وكان الأمير «محمد» بارعا فى مراجعة الحسابات وموازنة الدخل والخرج، وقد ساعده هذا الضبط للأمور المالية على مواجهة بعض

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ١٠١/٦

المحن الطبيعية التى تعرضت لها الإمارة فى زمنه.

النظام الإدارى ومظاهر الحضارة:

فقد الصقالبة والجوارى كثيرا من نفوذهم فى القصر أيام الأمير «محمد» واستمر النظام الإدارى سائدا كما كان أيام أبيه وتولى مناصب الوزارة الرجال أنفسهم، ونظمت أعمال الوزراء وتحددت اختصاصاتهم حتى أصبحت قريبة من اختصاص الوزراء فى أيامنا هذه؛ حيث اختص كل واحد منهم بفرع من فروع الإدارة، وقدم وزراء أهل الشام على غيرهم، وقد تولى الحجابة للأمير «محمد» «عيسى." (١)

"٩٤١م)، وتوجيه بعض الحملات إليها وإلى جليقة.

وفى سنة (٣٣٥هـ = ٩٤٦م) جدد الناصر مدينة سالم، أقصى مدن الأندلس الشمالية الغربية إلى حدود ليون، ونقل قاعدة الثغر الأعلى من طليطلة إليه، وولى عليها قائده «غالب الناصرى» الذى كان له شأن فى تاريخ الأندلس زمن الناصر وابنه الحكم المستنصر بعده، وقامت قوات عبد الرحمن بمعارك وغزوات ناجحة حتى وصلت إلى شاطئ المحيط الأطلسى، الشىء الذى جعل ملك ليون يطلب الصلح مع الناصر إيمانا بأنه لاقبل له به.

عبد الرحمن الثالث والبلاد المغربية:

عندما تولى عبد الرحمن الناصر، كانت الدولة الفاطمية قد قامت فى بلاد المغرب منذ أربع سنوات فى (٢٩٦هـ = ٩٠٩م)، وامتد نفوذها بسرعة حتى وصل إلى سبتة، وأصبحت تهدد الشواطئ الأندلسية وتمثل خطرا دينيا وسياسيا عليها، ومن الطبيعى أن يزعج هذا الأمر الأمويين فى الأندلس؛ لأن المغرب قاعدة من يريد الوصول إلى الأندلس. كما أنه يمد الثوار بها بحاجاتهم ويشجعهم على التآمر ضد الإدارة الأموية.

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٣٧/٧

كان على الناصر أن يواجه هذه المشكلة قبل أن يستفحل خطرها.
ولهذا بعث سنة (٣١٩هـ = ٩٣١م) أسطولا مكونا من (١٢٠) سفينة
وسبعة آلاف رجل إلى سبتة انضم إليه بعض **المتطوعة** فى الطريق،
وقد تمكن هذا الأسطول من السيطرة على سبتة وانتزعها من البربر
حلفاء الفاطميين، ثم حاصر الأسطول بعد ذلك طنجة وضيق عليها
حتى استسلمت وخضعت للناصر وغادرها بقية الأدارسة، وبادر زعماء
البربر إلى إعلان الطاعة للناصر وامتدت دعوته حتى فاس، وأطاعه
«موسى بن أبى العافية» زعيم مكناسة، وأمده الناصر بالجنود
والسفن حتى هزم الفاطميين ووقف سدا منيعا أمام محاولاتهم فى
المغرب واستمرت جيوش عبد الرحمن تعبر من الأندلس لمحاربة
الفاطميين وحلفائهم من البربر والأدارسة حتى استقر له الأمر ودعى
له على منابر المغرب سنة (٣٣٢هـ = ٩٤٤م).
وقد قويت الأساطيل الفاطمية فى عهد الخليفة «المعز لدين الله»،." (١)
"وجدير بالذكر أن المنصور فى سنة (٣٨٨هـ = ٩٩٨م) أعفى الناس من
إلزامهم بالغزو؛ بسبب ما وصلت إليه أعداد الجيش وما توافر له من
قوة، واكتفى بالقوات المرابطة، وقد بلغ الجيش المرابط أى الثابت
فى زمن المنصور (١٢١٠٠) من الفرسان يصرف لهم جميعا المرتبات
والسلاح والنفقة بخلاف (٦٠٠) فارس للحراسة الخاصة، أما الجيش
المرابط من الرجالة فقد بلغ ستة وعشرين ألفا، وكان هذا العدد
يتضاعف بمن ينضم إليه من **المتطوعة** أثناء الصوائف ولا يدخل فى
هذا الخيل ومطايا الركوب ودواب الحمل وغيرها من العدد، وكان
المنصور يتولى قيادة قواته بنفسه غالبا.
وقد حققت غزواته أهدافها من ردع النصارى ومنعهم من الهجوم على
أراضى المسلمين، وكان يعرف أبرز جنده جميعا بأسمائهم ويدعوهم

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٥٦/٧

إلى المآدب التى يقيمها عقب كل انتصار، ومع ذلك فإن المحصلة النهائية لغزواته كانت ضعيفة فهو لم يقض على كل قوى النصرانية أو يسحقها، وغزواته وإن أضعفت النصارى، فإنها لم تغير أحوالهم، وبقيت حدود دولة الإسلام على ما هى عليه، فهى غزوات دويها عظيم تجذب الناس إليها، لكن نتائجها قليلة فقد أنهكت قوى الجيوش الإسلامية دون أن تحقق هدفا ثابتا أو تقضى على خصم، إنها مثل الطبل الأجوف صوت كبير وعمل قليل.

إدارة المنصور:

أظهر المنصور مقدرة كافية ممتازة فى جميع المناصب التى تولاها وشهدت البلاد فى زمنه أمنا واستقرارا وطمأنينة لم تعرفها قبله، وفى زمنه لم تعرف البلاد الثورات مقارنا بغيره، وازدهرت الصناعة والتجارة والزراعة، وارتقت العلوم والآداب، وامتلأت خزائن قرطبة بالمال حتى وصلت الإيرادات إلى نحو أربعة ملايين دينار، بخلاف الموارد من المواريث ومال السبى والغنائم، وقد عاون المنصور مجموعة من الكتاب والوزراء فى هذا العصر من أبرزهم: «أبو مروان عبدالملك بن شهيد» و «محمد بن جهور» و «أحمد بن سعيد بن حزم» والد الفيلسوف المشهور، و «خلف بن حسين بن حيان» والد أمير." (١)

"الذين اشتراهم المنصور لحسابه ومن هؤلاء جميعا يتكون الحزب العامرى – وهم الذين قضوا على وحدة الأندلس فيما بعد، ويتكون منهم ما يعرف بملوك الطوائف.

٢ – انعدام المفهوم الأخلاقى عنده، وهذا جعل الناس يخافونه ولا يحبونه، بل إن أنصاره ما كانوا يأمنونه؛ لأنه كان كثير التجسس فكان يطلب من العبيد والجوارى أن يكونوا عيونا فى بيوتهم وأفسد أخلاق الناس بالرشوة ونحوها.

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٦٩/٧

٣ – حجر المنصور على الخليفة «هشام»، وتعيين ابنه «عبدالملك بن المنصور» وليا لعهده، والتخلص من معارضيه بالتآمر والقتل.

ولقى المنصور ربه فى «مدينة سالم» فى (٢٧ من رمضان سنة ٣٩٢هـ = أغسطس سنة ١٠٠٢م) كما أسلفنا وتولى الأمر من بعده ابنه عبدالملك المظفر.

عبدالملك المظفر بالله ابن المنصور:

[رمضان ٣٩٢ – صفر ٣٩٩هـ = أغسطس ١٠٠٢ – أكتوبر ١٠٠٨م].

صدر أمر الخليفة «هشام» بتولية «عبدالملك» الحجابة بعد وفاة والده، وقضى عبدالملك بسرعة على من أراد انتهاز الفرصة للعودة إلى حكم الخليفة، وقد بدأ عهده بإسقاط سدس الجباية (الضرائب) عن السكان بكل نواحى الأندلس فاستبشر الناس به خيرا.

سياسة عبدالملك مع النصارى:

ظن ملوك النصارى أن خطر الغزوات الإسلامية عليهم سيقل بعد وفاة المنصور، لكنهم كانوا واهمين لأن عبدالملك بدأ بعد أشهر قليلة من ولايته يستعد لغزوته الأولى، ووفد إليه الزعماء **والمتطوعة** من المغرب وغيرها للاشتراك معه، فرحب بهم وبذل لهم الأموال ووزع عليهم السلاح، وخرج بالجيش من مدينة الزاهرة فى (شعبان ٣٩٣هـ = يونيو ١٠٠٣م)، وتوجه إلى مدينة «طليطلة»، ومنها إلى مدينة «سالم»، حيث انضم إليه «الفتى واضح» فى قواته وقوات من النصارى حسب اتفاقهم مع المنصور، ثم اتجه الجنود نحو الثغر الأعلى، ثم من سرقسطة إلى «برشلونة»، حيث استولت القوات الإسلامية على بعض الحصون المنيعة، واستولت على سبى ومغانم، ثم عاد المسلمون إلى قرطبة عن طريق مدينة «لاردة» فى شهر ذى." (١)

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٧/٧٢

"العاصمة فى شهر ربيع الثانى.
وفى شوال من العام نفسه خرج عبدالملك بغزوته السابعة والأخيرة
وتعرف «بغزوة العلة»؛ إذ إنه ما كاد يصل إلى مدينة سالم حتى
اشتد به المرض وتفرق عنه **المتطوعة**، واضطر إلى الرجوع إلى قرطبة
فى (المحرم ٣٩٩هـ = سبتمبر ١٠٠٨م) لكنه شعر بتحسن فى صحته
فعمل على استئناف الغزو بعد فترة وجيزة لكن حالته ساءت،
وتعرض لنكسة سببها التهاب رئوى، وعاد إلى العاصمة فى محفة
حيث مات فى (١٦ من صفر سنة ٣٩٩هـ = ٢١ من أكتوبر ١٠٠٨م) بعد
حكم دام نحو سبع سنوات.

أسلوب عبدالملك فى الإدارة والحكم:

التزم عبدالملك الأسلوب الذى كان يحكم به والده الأندلس فجعل
الخليفة محجورا عليه لاحول له ولاقوة.
وجمع السلطات كلها فى يديه، وحد من نفوذ الوزراء والكتاب
وراقبهم وحاسبهم، وجلس للناس وهجر اللهو، وعمل على تنمية
الموارد وترتب على هذا تحسن فى الأحوال المالية التى كانت قد
ساءت بسبب كثرة النفقات.
ولم يكن لعبدالملك نصيب كبير فى مجالات العلم والأدب وكان مجلسه
لايقوم إلا على الأعاجم من البربر وغيرهم، ومع ذلك فقد استمر يجرى
الرواتب التى كان أبوه يجريها على العلماء والأدباء والندماء، كما
استمع إلى الشعر ووصل الشعراء.

عبدالرحمن بن شنجول:

قلد الخليفة هشام الحجابة لعبدالرحمن بن منصور، وأنعم عليه بالخلع
السلطانية، وكانت أمه ابنة لملك «نبرة» تزوجها «المنصور» وأنجب
منها، وقد أسلمت وتسمت باسم «عبدة» ولأنه أشبه جده لأمه
المسمى «شانجة» لقب بشنجول أو شانجة الصغير.

ولم يكن الشعب يميل إلى «عبدالرحمن» لما فيه من دماء نصرانية
ولانحراف سلوكه، ولأنه جرى على منهج أبيه وأخيه فى الحجر على
الخليفة هشام مع الاستبداد بالرأى وإن مال هو إلى التودد إلى
الخليفة ومخالطته، وقد منحه الخليفة لقب المأمون ناصر الدولة بعد
عشرة أيام من ولايته، ليس هذا فحسب، بل إن عبدالرحمن جرؤ على." (١)

"وقاضى الجماعة هو الشخصية الثالثة بعد الأمير والحاجب، ولذا تطلب
الأمر التدقيق عند اختياره، ورغم مكانة القاضى، فإن الكثيرين لم
يرغبوا فى شغل هذا المنصب؛ لأنهم قد يجدون حرجا فى أداء مهام
وظيفتهم ضد كبار الموظفين أو مع أمير لا ترضيه أعمالهم الحريصة
على العدالة وحدها.

وفى أواخر عهد الدولة العامرية تولى الصقالبة الخطط الكبرى، ثم
تولى الفتيان العامريون الحجابة لآخر الخلفاء الأمويين، واستبدوا بعد
ذلك برئاسة المدن والولايات، وظهر فى عهد الدولة العامرية بدعة
جديدة هى إسناد الحجابة إلى الأطفال، فقد استصدر عبدالملك – مثلا
– أمرا من الخليفة «هشام» المغلوب على أمره بتعيين ولده الطفل
«محمد» فى منصب الحجابة ولقبه بذى الوزارتين، كذلك استحدث
بالوزارة عدة خطط جديدة مثل خطة خدمة الأسلحة وخدمة الوثائق
وخطة خزانة الطب والحكمة .. الخ.

الجيش والأسطول:

عبر إلى شبه الجزيرة جيش الفتح مكونا من العرب والبربر، وقام
البربر بدور مهم فى تكوين قوى الأندلس دفاعا وهجوما، ولما كون
عبدالرحمن الغافقى جيشه بهدف غزو بلاد الفرنج، كان البربر من
عناصره المهمة، وبقيت القيادة بيد الضباط العرب، ثم ظهر خلاف بين
العرب والبربر، بسبب إحساس البربر باستيلاء العرب على القيادة

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٧٤/٧

لأنفسهم فقط، ثم كانت ثورة البربر فى المغرب وانتقال بلج بن بشر
القشيرى إلى الأندلس الشيء الذى رجح كفة العرب، غيرأن الجيش
الأندلسى ما لبث أن انقسم إلى العرب الشاميين وأنصار «بلج»
والعرب والبربر المحليين، وقامت الحرب الأهلية، إلى أن جاء يوسف
بن عبدالرحمن الفهرى فأعاد تنظيم الجيش وأصلحه، وجعله جيشا
أندلسيا، يغزو ويرد هجمات نصارى الشمال.

ثم جاء «عبدالرحمن الداخل» فاهتم بالجيش غاية الاهتمام، وبلغت
جنوده المتطوعة والمرتزقة (١٠٠) ألف مقاتل، بخلاف الحرس الخاص
الذى تكون من (٤٠) ألفا من الموالى والرقيق والبربر.." (١)

"قال بقي بن مخلد وفيها مات يحيى بن عبد الله بن بكير يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من
صفر أخبرني بذلك ابنه عبد الله

وفيها كسرت مراكب المطوعة في بحر البصرة بين جنابة وسينيز وأصيب فيها ناس من المطوعة

وفيها كان الفداء بالروم والوالي أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي ففدى من المسلمين نحوا من أربعة آلاف
رجل وستمائة ونحوها من النساء والصبيان

سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

فيها أقام الحج محمد بن داود." (٢)

"ولم تزل الحرب بينه وبينه إلى أن ورد «المأمون» «بغداد» فقدم عليه.

ووجه «الحسن بن سهل» «عبدوس بن محمد بن أبى خالد» إلى «أبى السرايا» فالتقوا، فقتل «عبدوس»
وأصحابه، وأقبل أهل «الكوفة» حتى ساروا إلى نهر «صرصر» «١» أخذوا «واسط» و «البصرة» . فبعث
«الحسن بن سهل» «السندى بن شاهك» إلى «هرثمة» وهو: «حلوان» ، فرده، وبعث به فسار إلى نهر
«صرصر» فكشفهم، وأتبعهم، فأدركهم بالقرب من قصر «ابن هبيرة» فواقعهم، فقتل منهم خلقا كثيرا، وانهزموا
حتى دخلوا «الكوفة» . ومات «ابن طباطبا» ، فنصب «أبو السرايا» مكانه فتى من العلويين، يقال له:
محمد ابن محمد. ولم يزل «هرثمة» يحاربهم، وقد أثخنوا في أصحابه حتى ضعفوا وكاتبوه، وهرب «أبو

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٩٠/٧

(٢) تاريخ خليفة بن خياط خليفة بن خياط ص/٤٨٠

السرايا» ومعه العلوي. ودخلها «هرثمة» فأقام بها أياما، ثم استخلف عليها، ثم رجع إلى «بغداد» ، ومضى إلى «خراسان» وظفر ب «أبى السرايا» و «العلوي» ، فقتل «أبا السرايا» ، ثم حمل «العلوي» إلى «خراسان» . وحارب أهل «بغداد» «الحسن بن سهل» ، ورئيسهم «محمد بن أبى خالد المروزي» ، وبنوه: عيسى، وهارون، وأبو زنبيل، و «الحسن» ب «المدائن» . وصار الناس فوضى لا أمير عليهم. فخرج «سهل بن سلامة» **والمطوعة**. وبعث «المأمون» إلى «على بن موسى» - الذي يدعى: «الرضى» - فحمله إلى «خراسان» ، فبايع له بولاية العهد بعده. وأمر الناس بلباس الخضرة. وصار أهل «بغداد» إلى «إبراهيم ابن المهدي» فبايعوه بيعة الخلافة، فخرج إلى «الحسن بن سهل» فألحقه." (١)

"قال: وشخص عمر بن عبد العزيز حتى نزل هرى المصيصة وأراد هدمها وهدم الحصون بينها وبين أنطاكية، وقال: أكره أن يحاصر الروم أهلها فاعلمه الناس أنها إنما عمرت ليدفع من بها من الروم عن انطاكية وأنه إن أخربها لم يكن للعدو ناحية دون انطاكية فأمسك وبنى لأهلها مسجدا جامعا من ناحية كفربيا واتخذ فيه صهريجا وكان اسمه عليه مكتوبا، ثم إن المسجد خرب في خلافة المعتصم بالله وهو يدعى مسجد الحصن، قال: ثم بنى هشام بن عبد الملك الربض ثم بنى مروان بن محمد الخصوص في شرقي جيحان وبنى عليها حائطا وأقام عليه باب خشب وخندق خندقا فلما استخلف أبو العباس فرض بالمصيصة لأربعمائة رجل زيادة في شحنتها وأقطعهم، ثم لما استخلف المنصور فرض بالمصيصة لأربعمائة رجل ثم لما دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة أمر بعمران مدينة المصيصة، وكان حائطها متشعثا من الزلازل وأهلها قليل في داخل المدينة فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة أربعين ومائة وسماها المعمورة وبنى فيها مسجدا جامعا في موضع هيكل كان بها وجعله مثل مسجد عمر مرات، ثم زاد فيه المأمون أيام ولاية عبد الله بن طاهر بن الحسين المغرب وفرض المنصور فيها لألف رجل، ثم نقل أهل الخصوص وهم فرس وصقالبة وأنباط نصارى، وكان مروان أسكنهم إياها وأعطاهم خططا في المدينة عوضا عن منازلهم على ذرعها ونقض منازلهم وأعانهم على البناء وأقطع الفرض قطائع ومساكن، ولما استخلف المهدي فرض بالمصيصة لألفي رجل ولم يقطعهم لأنها قد كانت شحنت من الجند **والمطوعة**، ولم تزل الطوالع تأتيها من انطاكية في كل عام حتى وليها سالم البرلسي وفرض موضعه لخمسمائة مقاتل على خاصة عشرة دنانير

---

(١) المعارف الدينوري، ابن قتيبة ص/٣٨٨

عشرة دنانير فكثر من بها وقووا وذلك في خلافة المهدي.

وحدثني محمد بن سهم عن مشايخ الثغر، قالوا: ألحت الروم على أهل." (١)

"وتفسير اسمه بالرومية الحصن الذي مع الكواكب، وقالوا: سميت كنيسة الصلح لأن الروم لما حملوا صلحهم إلى الرشيد نزلوها، ونسب مرج حسين إلى حسين بن مسلم الأنطاكي، وذلك أنه كانت له به وقعة ونكاية في العدو قالوا. وأغزى المهدي ابنه هارون الرشيد في سنة ثلاث وستين ومائة فحاصر أهل ضمالو وهي التي تدعوها العامة سمالو فسألوا الأمان لعشرة أهل أبيات فيهم القومس فأجابهم إلى ذلك، وكان في شرطهم أن لا يفوق بينهم فأنزلوا ببغداد على باب الشماسية فسموا موضعهم سمالو فهو معروف، ويقال بل نزلوا على حكم المهدي فاستحياهم وجمعهم بذلك الموضع وأمر أن يسمى سمالو وأمر الرشيد فنودي على من بقي في الحصن فبيعوا وأخذ حبشي كان يشتم الرشيد والمسلمين فصلب على برج من أبراجه.

وحدثني أحمد بن الحارث الواسطي عن محمد بن سعد عن الواقدي، قال: لما كانت سنة ثمانين ومائة أمر الرشيد بابتناء مدينة عين زربة وتحصينها وندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم فأقطعهم بها المنازل ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة أمر ببناء الهارونية فبنيت وشحنت أيضا بالمقاتلة ومن نزح إليها من المطوعة ونسبت إليه، ويقال أنه بناها في خلافة المهدى ثم أنمت في خلافته، قالوا: وكانت الكنيسة السوداء من حجارة سود بناها الروم على وجه الدهر، ولها حصن قديم أخرب فيما أخرب فأمر الرشيد ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها وندب إليها المقاتلة في زيادة العطاء.

وأخبرني بعض أهل الثغر عزون بن سعد: أن الروم أغارت عليها والقاسم بن الرشيد مقيم بدابق فاستاقوا مواشي أهلها وأسروا عدة منهم فنفر إليهم أهل المصيصة ومطوعتها فاستنقذوا جميع ما صار إليهم وقتلوا منهم بشرا ورجع الباقون منكوبين مفلولين، فوجه القاسم من حصن المدينة." (٢)

"فوافته المراكب هناك فاستعان بتلك الميرة وتقوتها ومن معه حتى وصل إلى قلعة ملك البجة فناهضه وكان في عدة يسيرة، فخرج إليه البجوي في الدهم على إبل محزمة فعمد القمي إلى الأجراس فقلدها الخيل، فلما سمعت الإبل أصواتها تقطعت بالبجويين في الأودية والجبال وقتل صاحب البجة، ثم قام من بعده ابن أخته وكان أبوه أحد ملوك البجويين وطلب الهدنة فأبى المتوكل على الله ذلك إلا أن يطأ بساطه فقدم سر من رأى فصولح في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة على أداء الإتاوة والبقط ورد مع القمي فأهل البجة على

---

(١) فتوح البلدان البلاذري ص/١٦٦

(٢) فتوح البلدان البلاذري ص/١٧١

الهدنة يؤدون ولا يمنعون المسلمين من العمل في معدن الذهب وكان ذلك في الشرط على صاحبهم [١]

[١] في صفحات التاريخ رواية تفيد بأن البجاة غاروا على أرض مصر بعد أن رفضوا تقديم الجزية المفروضة عليهم من الذهب الخالص، وأبدوا عن عدم استعدادهم لنقل هذا الذهب إلى مصر.
وعند ما هاجموا العمال الذين يستخدمهم والي مصر في تعدين الذهب، هرب هؤلاء خوفا من القتل، فكتب والي مصر يعرض الأمر على الخليفة العباسي، الذي علم أن أهل تلك المنطقة ليسوا سوى أهل بادية وأصحاب إبل وماشية، وإن الوصول إلى بلادهم صعب لصعوبة مسالكها، ولكثرة مفاوزها، ووعورة أرضها، وبينها وبين بلاد الإسلام مسيرة شهر في أرض قفراء خالية من الماء، وعلى الجيوش التي ترغب في دخولها التزود بالغذاء الذي يكفيها مدة شهر متى تخرج منها، فإن جاوز تلك المدة هلكت وفتك بمجموعها البجاة باليد، فأمسك المتوكل عنهم فطمعوا وزاد شرهم حتى ارتعدت فرائص أهل مصر منهم، فبعث والي مصر جيشا لمحاربتهم، فلما وصل الجيش إلى عنبسة زود بما يلزمه من الغذاء، فواصل السير إلى أرض البجة وتبعه عمال المعادن وبعض **المتطوعة**، بين فارس وراجل قيل أنهم بلغوا العشرين ألفا، ووجه إلى القلزم فحمل له في البحر سبع مراكب عامرة بالمواد التموينية، وأمر أصحابه أن يوافوه بها إلى ساحل البحر مما يلي بلاد البجة. ولما وصل الجيش إلى منطقة مناجم الذهب وحاول مهاجمة الحصون والقلاع خرج إليه ملك تلك البلاد علي بابا في جيش كبير يفوق عدد الجيش المصري بكثير، وهم على إبل سريعة،." (١)

"اليهم، فهجم الجند على جيش بن خمارويه، فقتلوه وقتلوا أمه وانتهبوا داره، وانتهبوا مصر وأحرقوها، واقعدوا هارون بن خمارويه مكان أخيه.
وفي رجب منها امر المعتضد بكرى دجيل والاستقصاء عليه، وقلع صخر في فوهته كان يمنع الماء، فجبى لذلك من ارباب الضياع والاقطاعات اربعه آلاف دينار، وكسر- فيما ذكر- وانفق عليه، وولى ذلك كاتب زيرك وخادم من خدم المعتضد.

ذكر الفداء بين المسلمين والروم

وفي شعبان منها، كان الفداء بين المسلمين والروم على يدي احمد بن طغان، وذكر ان الكتاب الوارد بذلك

(١) فتوح البلدان البلاذري ص/٢٣٦

من طرسوس كان فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم:

اعلمك ان احمد بن طغان نادى في الناس يحضرون الفداء يوم الخميس لاربع خلون من شعبان سنه ثلاث وثمانين ومائتين، وانه قد خرج الى لامس- وهو معسكر المسلمين- يوم الجمعه لخمس خلون من شعبان، وامر الناس بالخروج معه في هذا اليوم، فصلى الجمعه، وركب من مسجد الجامع ومعه را غب ومواليه، وخرج معه وجوه البلد والموالي والقواد **والمطوعة** باحسن زي، فلم يزل الناس خارجين الى لامس الى يوم الاثنين لثمان خلون من شعبان، فجرى الفداء بين الفريقين اثنى عشر يوما، وكانت جمله من فودى به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة واربعه انفس، واطلق المسلمون يوم الثلاثاء لسبع بقين من شعبان سميون رسول ملك الروم، واطلق الروم فيه يحيى بن عبد الباقى رسول المسلمين المتوجه في الفداء، وانصرف الأمير ومن معه.

وخرج- فيما ذكر- احمد بن طغان بعد انصرافه من هذا الفداء في هذا الشهر في البحر، او خلف دميانه على عمله على طرسوس، ثم وجه بعده يوسف ابن الباغمردى على طرسوس ولم يرجع هو إليها

. ذكر امر المعتضد مع عمر بن عبد العزيز بن ابى دلف وأخيه بكر

وفي يوم الجمعه لعشر خلون من شهر رمضان من هذه السنه قرئ كتاب." (١)

"أشرفوا على الهلكة، فاجتمعت جماعه من تجار بغداد في هذا اليوم، فمضوا الى يوسف بن يعقوب، فاقرءوه كتبهم، وسألوه المضى الى الوزير ليخبره خبر اهل دمشق، فوعدهم ذلك.

ولسبع بقين من جمادى الاولى احضر دار السلطان ابو خازم ويوسف وابنه محمد، واحضر صاحب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث، فقوطع على مال فارس، ثم عقد المكتفي لطاهر على اعمال فارس، وخلع على صاحبه، وحملت اليه خلع مع العقد.

وفي جمادى الاولى هرب من مدينه السلام القائد المستأمن المعروف بابى سعيد الخوارزمي، وأخذ نحو طريق الموصل، فكتب الى عبد الله المعروف بغلام نون، وكان يتقلد المعاون بتكريت والاعمال المتصلة بها الى حد سامرا والى الموصل في معارضته واخذه، فزعموا ان عبد الله عارضه، فاختدعه ابو سعيد حتى اجتمعا جميعا على غير حرب، ففتك به ابو سعيد فقتله، ومضى ابو سعيد نحو شهرزور، فاجتمع هو وابن ابى الربيع الكردى، وصاهره، و ا جتمعا على عصيان السلطان ثم ان أبا سعيد قتل بعد ذلك، وتفرق من كان

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٦/١٠

اجتمع اليه.

ولعشر خلون من جمادى الآخرة، شخص ابو العشائر الى عمله بطرسوس، وخرج معه جماعه من المطوعة للغزو، ومعه هدايا من المكتفي الى ملك الروم.

ولعشر بقين من جمادى الآخرة خرج المكتفي بعد العصر عامدا سامرا، مريدا البناء بها للانتقال إليها، فدخلها يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الآخرة، ثم انصرف الى مضارب قد ضربت له بالجوسق، فدعا القاسم بن عبيد الله والقوام بالبناء، فقدروا له البناء وما يحتاج اليه من المال للنفقة عليه، فكثروا عليه في ذلك، وطولوا مده الفراغ مما اراد بناءه، وجعل القاسم يصرفه عن رايه في ذلك، ويعظم امر النفقة في ذلك وقدر مبلغ المال." (١)

"سليمان والخلع عليه حتى نزل مضربه بباب الشماسيه، وعسكر هنالك، وعسكر معه جماعه القواد الذين اخرجوا وبرزوا، وكان خروجهم ذلك قاصدين لدمشق ومصر لقبض الاعمال من هارون بن خمارويه، لما تبين للسلطان من ضعفه وضعف من معه وذهاب رجاله بقتل من قتل منهم القرمطى.

ثم رحل لست خلون من رجب محمد بن سليمان من باب الشماسيه ومن ضم اليه من الرجال، وهم زهاء عشره آلاف رجل، وامر بالجد في المسير.

ولثلاث بقين من رجب قرئ في الجامعين بمدينه السلام كتاب ورد من اسماعيل بن احمد من خراسان، يذكر فيه ان الترك قصدوا المسلمين في جيش عظيم وخلق كثير، وانه كان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية، ولا يكون ذلك الا للرؤساء منهم، فوجه اليه برجل من قواده في جيش ضمه اليه، ونودى في الناس بالنفير، فخرج من المطوعة ناس كثير، ومضى صاحب العسكر نحو الترك بمن معه، فوافاهم المسلمون وهم غارون، فكبسوهم مع الصبح، فقتل منهم خلق كثير، وانهزم الباقون، واستبيح عسكرهم، وانصرف المسلمون الى موضعهم سالمين غانمين.

وفي شعبان منها ورد الخبر ان صاحب الروم وجه عشره صلبان معها مائه الف رجل الى الثغور، وان جماعه منهم قصدت نحو الحدث، فأغاروا وسبوا من قدروا عليه من المسلمين، واحرقوا.

وفي شهر رمضان منها ورد كتاب من القاسم بن سيما من الرحبه على السلطان.

يذكر فيه ان الاعراب الذين استأمنوا الى السلطان واليه من بنى العليص ومواليهم ممن كان مع القرمطى نكثوا وغدروا، وانهم عزموا على ان يكبسوا الرحبه في يوم الفطر، عند اشتغال الناس بصلاة العيد، فيقتلوا من

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٩٨/١٠

يلحقون، وان يحرقوا وينهبوا، واني اوقعت عليهم الحيله حتى قتلت منهم واسرت خمسين ومائه نفس، سوى من غرق منهم في الفرات، واني قادم بالأسرى وفيهم جماعه من رؤسائهم وبرءوس من قتل منهم.

وفي آخر شهر رمضان من هذه السنه ورد كتاب من ابى معدان من الرقة- فيما." (١)

"فاخرج المقتدر كم قميصه ليمسح الدم عن وجهه، فضربه الآخر ضربه ثالثه، فتلقاها المقتدر بيده اليسرى، فقطعت ابهامه وانقلبت ابهامه وانقلبت الابهام الى ذراعه، وسقط الى الارض، واجتمعت عليه جماعه رجاله فاحتزوا راسه، وحمل الى مؤنس وذلك يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شوال سنه عشرين وثلاثمائة، وكان الذى حمله سراج البكتمرى.

فلما نظر اليه مؤنس اشتد جزعه، وغمه وناله عليه امر عظيم.

وقيل: ان الذى قتل المقتدر نقيط غلام مؤنس، وان جثته بقيت مجرده، فطرح بعض المطوعة على سوءته خرقه ثم أخذها رجل من العجم، والقى عليها حشيشا، الى ان حملت الجثة الى مؤنس، فاضاف إليها الراس وسلمه الى ابن ابى الشوارب القاضى ليتولى امره، فقيل انه دفن مع ابيه، وقيل انه دفن في رقه الشماسيه، وقيل أيضا انه طرح في دجلة، ولم تزل الرعية يصلون في مصرعه ويدعون على قاتله وبنى في الموضع مسجد وحظيرة كبيره، وكان عمر المقتدر يوم قتل ثمانية وثلاثين سنه وشهر وسته ايام وكانت ولايته الخلافه أربعا وعشرين سنه واحد عشر شهرا.

وولد أبا العباس الراضي محمدا والعباس أبا احمد، وهارون أبا عبد الله، وعبد الواحد أبا على وابراهيم أبا إسحاق المتقى، والفضل أبا القاسم المطيع، وعليا أبا الحسن، وإسحاق أبا يعقوب وعبد الملك أبا محمد وعبد الصمد ولم يذكر الفرغاني جميعهم وانما ذكر سته منهم.

وبقي مؤنس في مضاربه بباب الشماسيه، ولم يدخل بغداد حتى اقام القاهر للخلافة.

واستامن اليه القواد المنهزمون عن المقتدر، فامنهم وانقطع الطلب عن جميعهم وسكن الناس، وهدنهم واظهر الأسف، لما دار في امر المقتدر وجمع القواد للمشورة في الخليفة بعده، ودار الرأي بينهم في ذلك. وامر مؤنس باحضار بلال بواب دار ابن طاهر التي كان فيها اولاد الخلفاء، وساله عمن فيها من اولاد الخلفاء، فذكر جماعه فيهم محمد القاهر، فمال هواهم اليه- وكان مؤنس قد كرهه ونهاهم عنه- فقالوا: هو كهل، ولا أم له، ونرجو ان تستقيم أمورنا معه، فاطاعهم فيه، وأجابهم اليه واحضروه على ما سيقع بعد هذا

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١١٦/١٠

ذكره.

قال: وحدثني ابو الفهم ذكى ان رشيقا الأيسر وكان الذى اقبل بالقاهر." (١)

"الرسول يصلى فلما راى ابنه يتأمل التوقيعات، قطع صلاته وقال: هذه توقيعاتى صحيحه، الوزير يرى رايه فيمضى ما آثر منها، ويعرض على ما أحب منها والتفت الى ابنه حين خرج الرسول فقال: اردت ان نتبغض الى الناس فتكون السبب في رد ما تضمنته، ويتنزه على بن عيسى من ذلك، فلم لا نتحبب بالاعتراف بها، فان أمضاها حمدنا وان ردها عذرنا.

وقصد القواد على بن عيسى، بإسقاطه الزيادات التي زادها ابن الفرات، ووقعوا فيه وثلبوه.

وفي هذه السنه، خلع على الأمير ابى العباس بن المقتدر- وهو الذى ولى الخلافه ولقب بالراضى- واستخلف له مؤنس.

وفيها انفذ على بن احمد الراسبى الحسين بن منصور الحلاج وقد قبض عليه بالسوس، فشهر على جمل ببغداد، وصلب وهو حي وظهر عنه بانه ادعى انه الله.

ومات الراسبى بعد قليل، فاخذ السلطان من ماله الف الف دينار.

وفيها ورد الخبر بان اسماعيل بن احمد صاحب خراسان قتله غلمانه على شاطئ نهر بلخ، وقام ابنه ابو الحسن نصر مقامه وانفذ اليه الخليفة عهده.

وفيها ورد الخبر بان خادما صقلابيا لأبي سعيد الجنابى قتله وخرج، فلم يزل يستدعى قائدا قائدا ويقتله، حتى قتل جماعه، ففطن به النساء فصحن بالأمر، فقام ابو طاهر سليمان بن الحسن مقام ابيه.

واتى القرامطة في هذه السنه البصره في ثلاثين فارسا، والناس في صلاه الجمعه، فقتلوا الموكلين بالباب ومن خرج اليهم من المطوعة وبلغ الخبر امير البصره محمد بن إسحاق بن بنداحيق فغلق الأبواب." (٢)

"اى اقتلوها، فجلست الام، فقال له ابو طاهر واخوته: أنت كذاب وقتلوه.

وكان له سبعه من الوزراء اكبرهم ابن سنبر.

وكان لأبي طاهر اخوان، ابو القاسم سعيد بن الحسن، وابو العباس الفضل ابن الحسن، وكان امرهم واحدا، فكانوا إذا أرادوا حالا خرجوا الى الصحراء، واتفقوا على ما يعملون، فإذا انصرفوا تمموا ما عولوا عليه، وكان لهم أخ متشاغل باللذات، لا يدخل معهم في أمورهم.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٥٢/١١

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٠٤/١١

وفي هذه السنه توفى ابو عبد الله البريدى، بحمى حاده، مكثت به سبعه ايام، وكان بين قتله لأخيه وبين موته ثمانية اشهر.

وانتصب ابو الحسين مكان أخيه، فاستطال على اصحابه، فمضى يانس الى ابى القاسم ابن مولات، وأخذ منه ثلاثمائة الف دينار، ففرقها في الديلم حتى عقدوا له الرئاسة، وكبسوا أبا الحسين بمسماران، فخرج من تحت ليلته، وتنكر ومضى الى الجعفرية، ومضى الى الهجرى فقبله، واقام عنده شهرا، وسار معه أخو ابى طاهر ولم يتمكنوا من دخول البلد، فسفروا بين ابى الحسين وبين عمه في الصلح، وسألوه ان يؤمنه، فاختار الإصعاد الى بغداد، وكان من حاله ما ياتى ذكره.

واجتمع لشكرستان الديلمى، ويانس، على الإيقاع بابى القاسم، فلما خرج يانس من عند القائد اتبعه بزوبين في الليل، فسلم منه وصار الى خراب فآواه.

وكان ابو القاسم معولا على الهرب، حين بلغه ما هما به، واستتر لشكرستان حين علم سلامه يانس.

وعولج يانس حتى برئ، وصادره ابو القاسم على مائه الف دينار، وتلقاه الى عمان، فلما صار في الحديدى قتله غلمان ابى القاسم، وتمكن ابو القاسم من الرئاسة.

وخرج في هذه السنه، عسكر الروسيه الى اذربيجان، وفتحوا برذعه، وملكوها وسبوا أهلها.

فجمع المرزبان بن محمد عسكره، واتته **المطوعة**، حتى صار في مائتي الف رجل، فلم يقاومهم، وكان أميرهم يركب حمارا." (١)

"ودنوا من مدينتهم، وكانوا منها ثمانية عشر فرسخا، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب، وخلوهم والرساتيق، فسقط في أيدي المسلمين، وظنوا أن قد هلكوا، فبعث ابن أبي بكرة إلى شريح بن هانئ: أني مصالح القوم على أن أعطيهم مالا، ويخلوا بيني وبين الخروج، فأرسل اليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم، فلقيه شريح فقال: إنك لا تصالح على شيء إلا حسبه السلطان عليكم في أعطياتكم، قال: لو منعنا العطاء ما حيينا كان أهون علينا من هلاكنا، قال شريح: والله لقد بلغت سنا، وقد هلكت لداتي، ما تأتي علي ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضي حتى أموت، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان، ولئن فاتتني اليوم ما أخالني مدركها حتى أموت، وقال: يا أهل الإسلام، تعاونوا على عدوكم، فقال له ابن أبي بكرة: إنك شيخ قد خرفت، فقال شريح: إنما حسبك أن يقال: بستان ابن أبي بكرة وحمام ابن أبي بكرة، يا أهل الإسلام، من أراد منكم الشهادة فإلي فاتبعه ناس من **المتطوعة** غير كثير، وفرسان الناس وأهل الحفاظ،

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١١/٣٤٥

فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا، فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول:
أصبحت ذا بث أقاسي الكبرا قد عشت بين المشركين أعصرا ثمت أدركت النبي المنذرا وبعده صديقه وعمرا ويوم مهران ويوم تسترا والجمع في صفينهم والنهرا وباجميرات مع المشقرا هيهات ما أطول هذا عمرا فقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه، ونجا من نجا، فخرجوا من بلاد رتبيل حتى خرجوا منها، فاستقبلهم من خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة، فإذا أكل أحدهم وشبع مات، فلما رأى ذلك الناس حذروا يطعمونهم، ثم جعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا، حتى استمرءوا وبلغ ذلك الحجاج، فأخذه ما تقدم وما تأخر، وبلغ ذلك منه كل مبلغ، وكتب إلى عبد الملك:
أما بعد، فإن جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم." (١)
"ثم دخلت

سنة تسع وخمسين ومائة
(ذكر ما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك غزوة العباس بن محمد الصائفة فيها حتى بلغ أنقرة، وكان على مقدمة العباس الحسن الوصيف في الموالي، وكان المهدي ضم إليه جماعة من قواد أهل خراسان وغيرهم وخرج المهدي فعسكر بالبردان وأقام فيه حتى أنفذ العباس بن محمد، ومن قطع عليه البعث معه، ولم يجعل للعباس على الحسن الوصيف ولاية في عزل ولا غيره، ففتح في غزاته هذه مدينة للروم ومطمورة معها، وانصرفوا سالمين لم يصب من المسلمين أحد.
وهلك في هذه السنة حميد بن قحطبة، وهو عامل المهدي على خراسان، فولى المهدي مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد.
وفيها ولي حمزة بن مالك سجستان، وولي جبرئيل بن يحيى سمرقند.
وفيها بنى المهدي مسجد الرصافة.
وفيها بنى حائطها، وحفر خندقها.
وفيها عزل المهدي عبد الصمد بن على عن المدينة، مدينه الرسول ص عن موجدة، واستعمل عليها مكانه محمد بن عبد الله الكثيري ثم عزله، واستعمل عليها مكانه عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجمحي.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣٢٣/٦

وفيها وجه المهدي عبد الملك بن شهاب المسمعي في البحر إلى بلاد الهند، وفرض معه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد، وأشخصهم معه، وأشخص معه من **المطوعة** الذين كانوا يلزمون المرابطات ألفا وخمسمائة رجل، ووجه معه قائدا من أبناء أهل الشام يقال له ابن الحباب المذحجي في سبعمائة من أهل الشام، وخرج معه من مطوعة أهل البصرة بأموالهم ألف رجل، فيهم." (١)

"- فيما ذكر- الربيع بن صبيح، ومن الأسواريين والسبابجة أربعة آلاف رجل، فولى عبد الملك بن شهاب المنذر بن محمد الجارودي الألف الرجل **المطوعة** من أهل البصرة، وولى ابنه غسان بن عبد الملك الألفي الرجل الذين من فرض البصره، وولى عبد الواحد بن عبد الملك الالف والخمسمائة الرجل من مطوعة المرابطات، وأفرد يزيد بن الحباب في أصحابه فخرجوا، وكان المهدي وجه لتجهيزهم حتى شخصوا أبا القاسم محرز بن إبراهيم، فمضوا لوجههم، حتى أتوا مدينة باربد من بلاد الهند في سنة ستين ومائة.

وفيها توفي معبد بن الخليل بالسند، وهو عامل المهدي عليها، فاستعمل مكانه روح بن حاتم بمشورة أبي عبيد الله وزيره.

وفيها أمر المهدي بإطلاق من كان في سجن المنصور، إلا من كان قبله تباعة من دم أو قتل، ومن كان معروفا بالسعي في الأرض بالفساد، أو من كان لأحد قبله مظلمة أو حق، فأطلقوا، فكان ممن أطلق من المطبق يعقوب بن داود مولى بني سليم، وكان معه في ذلك الحبس محبوسا الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وفيها حول المهدي الحسن بن إبراهيم من المطبق الذي كان فيه محبوسا إلى نصير الوصيف فحبسه عنده.

ذكر الخبر عن سبب تحويل المهدي الحسن بن إبراهيم من المطبق إلى نصير

ذكر أن السبب في ذلك، كان أن المهدي لما أمر بإطلاق أهل السجون.

على ما ذكرت، وكان يعقوب بن داود محبوسا مع الحسن بن إبراهيم في موضع واحد، فأطلق يعقوب بن داود، ولم يطلق الحسن بن إبراهيم، ساء ظنه، وخاف على نفسه، فالتمس مخرجا لنفسه وخلاصا، فدس إلى بعض ثقاته،." (٢)

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١١٦/٨

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١١٧/٨

"الوالي حيث يرى، وعلي من مدينة السلام المشي حافيا إلى بيت الله العتيق الذي بمكة نذرا واجبا ثلاثين سنة، لا كفارة لي ولا مخرج منه، إلا الوفاء به.

والله على الوفاء بذلك راع كفيل شهيد، وكفى بالله شهيدا* وشهيد على عيسى ابن موسى باقراره بما في هذا الشرط أربعمائة وثلاثون من بني هاشم ومن الموالي والصحابة من قريش والوزراء والكتاب والقضاة.

وكتب في صفر سنة ستين ومائة وختم عيسى بن موسى.

فقال بعض الشعراء:

كره الموت أبو موسى وقد ... كان في الموت نجاء وكرم

خلع الملك وأضحى ملبسا ... ثوب لوم ما ترى منه القدم

وفي سنة ستين ومائة وافى عبد الملك بن شهاب المسمعي مدينة باربد بمن توجه معه من **المطوعة** وغيرهم، فناهضوها بعد قدومهم بيوم، وأقاموا عليها يومين، فنصبوا المنجنيق وناهضوها بجميع الآلة، وتحاشد الناس، وحض بعضهم بعضا بالقرآن والتذكير، ففتحها الله عليهم عنوة، ودخلت خيلهم من كل ناحية، حتى ألجئوهم إلى بدهم، فأشعلوا فيها النيران والنفط، فاحترق منهم من احترق، وجاهد بعضهم المسلمين، فقتلهم الله أجمعين، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا، وأفاءها الله عليهم وهاج البحر فلم يقدروا على ركوبه والانصراف، فأقاموا إلى أن يطيب، فأصابهم في أفواههم داء يقال له حمام قر، فمات نحو من ألف رجل، منهم الربيع بن صبيح ثم انصرفوا لما أمكنهم الانصراف حتى بلغوا ساحلا من فارس، يقال له بحر حمران، فعصفت عليهم فيه الريح ليلا، فكسرت عامة مراكبهم، فغرق منهم بعض ونجا بعض، وقدموا معهم بسبي من سبيهم- فيهم بنت ملك باربد- على محمد بن سليمان، وهو يومئذ والي البصرة.

وفيها صير أبان بن صدقة كاتبا لهارون بن المهدي ووزيرا له.

وفيها عزل أبو عون عن خراسان عن سخطة، وولي مكانه معاذ بن مسلم." (١)

"ثم دخلت

سنة اثنتين وستين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٢٨/٨

خبر مقتل عبد السلام الخارجي

فمن ذلك ما كان من مقتل عبد السلام الخارجي بقنسرين.

ذكر الخبر عن مقتله:

ذكر أن عبد السلام بن هاشم اليشكري هذا خرج بالجزيرة، وكثر بها أتباعه، واشتدت شوكته، فلقيه من قواد المهدي عدة، منهم عيسى بن موسى القائد، فقتله في عدة ممن معه، وهزم جماعة من القواد، فوجه إليه المهدي الجنود، فنكب غير واحد من القواد، منهم شبيب بن واج المروروذي، ثم ندب إلى شبيب ألف فارس، أعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة، وألحقهم بشبيب فوافوه، فخرج شبيب في أثر عبد السلام، فهرب منهم حتى أتى قنسرين، فلحقه بها فقتله.

وفيها وضع المهدي دواوين الأزمة، وولى عليها عمر بن بزيع مولاه، فولى عمر بن بزيع النعمان بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق.

وفيها أمر المهدي أن يجرى على المجذمين وأهل السجون في جميع الآفاق.

وفيها ولي ثمامة بن الوليد العبسي الصائفة، فلم يتم ذلك.

وفيها خرجت الروم إلى الحدث، فهدموا سورها.

وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثلاثين ألف مرتزق سوى **المطوعة**، فبلغ حمة أذرولية، فأكثر التخريب والتحريق في بلاد الروم من غير أن يفتح حصنا، ويلقى جمعا، وسمته الروم التنين وقيل: إنه إنما أتى." (١)

"كتاب الهدنة إلى ثلاث سنين، وسلمت الأسارى وكان الذي أفاء الله على هارون إلى أن أذعنت الروم بالجزية خمسة آلاف رأس وستمائه وثلاثة وأربعين رأسا، وقتل من الروم في الوقائع أربعة وخمسون ألفا، وقتل من الأسارى صبرا ألفان وتسعون أسيرا ومما أفاء الله عليه من الدواب الذلل بأدواتها عشرون ألف دابة، وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس وكانت المرتزقة سوى **المطوعة** وأهل الأسواق مائة ألف، وبيع البرذون بدرهم، والبغل بأقل من عشرة دراهم، والدرع بأقل من درهم وعشرين سيفا بدرهم، فقال مروان بن أبي حفصة في ذلك:

أطفت بقسطنطينة الروم مسندا ... إليها القنا حتى اكتسى الذل سورها

وما رمتها حتى أتتك ملوكها ... بجزيتها، والحرب تغلي قدورها

وفيها عزل خلف بن عبد الله عن الري، وولاها عيسى مولى جعفر.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٤٢/٨

وحج بالناس في هذه السنة صالح بن أبي جعفر المنصور.
وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم عمالها في السنة الماضية، غير أن العامل على أحداث البصرة والصلاة بأهلها كان روح بن حاتم، وعلى كور دجلة والبحرين وعمان وكسكر وكور الأهواز وفارس وكرمان كان المعلى مولى أمير المؤمنين المهدي، وعلى السند الليث مولى المهدي.." (١)

"فمال الناس إلى سباع بن مسعدة، فرأسوه عليهم، فوثب على رافع فقيده، فوثبوا على سباع، فقيدوه ورأسوا رافعا وبايعوه، وطابقه من وراء النهر، ووافاه عيسى بن علي، فلقيه رافع فهزمه، فأخذ علي بن عيسى في فرض الرجال والتأهب للحرب.
وفي هذه السنة غزا الرشيد الصائفة، واستخلف ابنه عبد الله المأمون بالرقة وفوض إليه الأمور، وكتب إلى الآفاق بالسمع له والطاعة، ودفع إليه خاتم المنصور يتيمن به، وهو خاتم الخاصة، نقشه: الله ثقتي آمنت به.
وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون.
وفيها خرجت الروم إلى عين زربة وكنيسة السوداء، فأغارت وأسرت، فاستنقذ أهل المصيصة ما كان في ايديهم

فتح الرشيد هرقله

وفيها فتح الرشيد هرقلة، وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم، وكان دخلها- فيما قيل- في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق، سوى الأتباع وسوى **المطوعة** وسوى من لا ديوان له، وأناخ عبد الله بن مالك على ذي الكلاع ووجه داود بن عيسى بن موسى سائحا في أرض الروم في سبعين ألفا، وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودبسة، وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقوبية- وكان فتح الرشيد هرقلة في شوال- وأخربها وسبى أهلها بعد مقام ثلاثين يوما عليها، وولى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام إلى مصر، فبلغ حميد قبرس، فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفا، فأقدمهم الرافقة، فتولى بيعهم أبو البختري القاضي، فبلغ أسقف قبرس ألفي دينار.
وكان شخوص هارون إلى بلاد الروم لعشر بقين من رجب، واتخذ." (٢)

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٥٣/٨

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣٢٠/٨

"ذكر خبر خروج **المطوعة** للنكير على الفساق

وفي هذه السنة تجردت **المطوعة** للنكير على الفساق ببغداد، ورئيسهم خالد الدريوش وسهل بن سلامة الأنصاري أبو حاتم من أهل خراسان.

ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله فعلت **المطوعة** ما ذكرت:

كان السبب في ذلك أن فساق الحربية والشطار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس أذى شديدا، وأظهروا الفسق وقطع الطريق وأخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق، فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل، فيأخذون ابنه، فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع، وكانوا يسألون الرجل أن يقرضهم أو يصلهم فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى، فيكاثرون أهلها، ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغير ذلك، لا سلطان يمنعهم، ولا يقدر على ذلك منهم، لأن السلطان كان يعتز بهم، وكانوا بطانته، فلا يقدر أن يمنعهم من فسق يركبونه، وكانوا يجبون المارة في الطرق وفي السفن وعلى الظهر ويخفرون البساتين، ويقطعون الطرق علانية، ولا أحد يعدو عليهم، وكان الناس منهم في بلاء عظيم، ثم كان آخر أمرهم أنهم خرجوا إلى قطربل، فانتهبوها علانية، وأخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك، وأدخلوها بغداد، وجعلوا يبيعونها علانية، وجاء أهلها فاستعدوا السلطان عليهم، فلم يمكنه اعداؤهم عليهم، ولم يرد عليهم شيئا مما كان أخذ منهم، وذلك آخر شعبان.

فلما رأى الناس ذلك وما قد أخذ منهم، وما بيع من متاع الناس في أسواقهم، وما قد أظهروا من الفساد في الأرض والظلم والبغي وقطع الطريق، وأن السلطان لا يغير عليهم، قام صلحاء كل ربض وكل درب، فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنما في الدرب الفاسق والفاسقان إلى العشرة، وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم، فلو اجتمعتم حتى يكون أمركم واحدا، لقمعتم هؤلاء." (١)

"ثم دخلت

سنة إحدى وعشرين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك الوقعة التي كانت بين بابك وبغا الكبير من ناحيه هشتاد سر، فهزم بغا واستبيح عسكره.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٨/٥٥١

ذكر الخبر عن وقعه الافشين مع بابك في هذه السنه

وفيها واقع الأفشين بابك وهزمه.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وكيف كان السبب فيها:

ذكر أن بغا الكبير قدم بالمال الذي قد مضى ذكره، وأن المعتصم وجهه معه إلى الأفشين عطاء للجند الذي كان معه ولنفقات الأفشين، على الأفشين، وبالرجال الذين توجهوا معه إليه، فأعطى الأفشين أصحابه، وتجهز بعد النيروز، ووجه بغا في عسكر ليدور حول هشتاد سر، وينزل في خندق محمد بن حميد ويحفره ويحكمه وينزله فتوجه بغا إلى خندق محمد بن حميد، وصار إليه، ورحل الأفشين من برزند، ورحل أبو سعيد من خش يريد بابك، فتوافوا بموضع يقال له دروذ، فاحتفر الأفشين بها خندقا، وبنى حوله سورا، ونزل هو وأبو سعيد في الخندق مع من كان صار إليه من **المطوعة**، فكان بينه وبين البذ ستة أميال ثم إن بغا تجهز، وحمل معه الزاد من غير أن يكون الأفشين كتب إليه ولا أمره بذلك، فدار حول هشتاد سر حتى دخل إلى قرية البذ، فنزل في وسطها، وأقام بها يوما واحدا، ثم وجه الف رجل في علافه له، فخرج عسكر من عساكر بابك، فاستباح العلافة، وقتل جميع من قاتله منهم، وأسر من قدر عليه، وأخذ بعض الأسرى، فأرسل." (١)

"وارتفعت الضجة، وكان مع أبي دلف في كردوس قوم من **المطوعة** من أهل البصرة وغيرهم، فلما نظروا إلى جعفر يحارب، انحدر أولئك **المطوعة** بغير أمر الأفشين، وعبروا إلى ذلك جانب الوادي، حتى صاروا إلى جانب البذ، فتعلقوا به، وأثروا فيه آثارا، وكادوا يصعدونه فيدخلون البذ، ووجه جعفر إلى الأفشين: ان امدنى بخمسمائة راجل من الناشبة، فإني أرجو أن أدخل البذ إن شاء الله، ولست أرى في وجهي كثير أحد إلا هذا الكردوس الذي تراه أنت فقط- يعني كردوس آذين- فبعث إليه الأفشين أن قد أفسدت علي أمري، فتخلص قليلا قليلا، وخلص أصحابك وانصرف وارتفعت الضجة من **المطوعة** حين تعلقوا بالبذ، وظن الكمناء الذين أخرجهم بابك أنها حرب قد اشتبكت، فنعروا ووثبوا من تحت عسكر بخاراخذاه، ووثب كمين آخر من وراء الركوة التي كان الأفشين يقعد عليها، فتحركت الخرمية، والناس وقوف على رءوسهم لم يزل منهم أحد، فقال الأفشين: الحمد لله الذي بين لنا مواضع هؤلاء.

ثم انصرف جعفر وأصحابه **والمطوعة**، فجاء جعفر إلى الأفشين، فقال له: إنما وجهني سيدي أمير المؤمنين للحرب التي ترى، ولم يوجهني للقعود هاهنا، وقد قطعت بي في موضع حاجتي ما كان يكفيني الا خمسمائة

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، أبو جعفر ٢٣/٩

راجل حتى أدخل البذ أو جوف داره، لأني قد رأيت من بين يدي فقال له الأفشين: لا تنظر إلى ما بين يديك، ولكن انظر إلى ما خلفك وما قد وثبوا ببخار اخذاه وأصحابه فقال الفضل بن كاوس لجعفر الخياط: لو كان الأمر إليك ما كنت تقدر أن تصعد إلى هذا الموضع الذي أنت عليه واقف، حتى تقول: كنت وكنت فقال له جعفر: هذه الحرب، وها أنا واقف لمن جاء فقال له الفضل: لولا مجلس الأمير لعرفتك نفسك الساعة، فصاح بهما الأفشين، فأمسكا، وأمر أبا دلف أن يرد **المطوعة** عن السور، فقال أبو دلف للمطوعة: انصرفوا فجاء رجل منهم ومعه صخرة، فقال: أتردنا." (١)

"وهذا الحجر أخذته من السور! فقال له: الساعة، إذا انصرفت تدري من على طريقك جالس- يعني العسكر الذي وثب على بخاراخذاه من وراء الناس.

ثم قال الأفشين لأبي سعيد في وجه جعفر: أحسن الله جزاءك عن نفسك وعن أمير المؤمنين، فإني ما علمتك عالما بأمر هذه العساكر وسياستها، ليس كل من حف رأسه يقول: إن الوقوف في الموضع الذي يحتاج إليه خير.

من المحاربة في الموضع الذي لا يحتاج إليه، لو وثب هؤلاء الذين تحتك- وأشار إلى الكمين الذي تحت الجبل- كيف كنت ترى هؤلاء **المطوعة** الذين هم في القمص؟ أي شيء كان يكون حالهم، ومن كان يجمعهم؟ الحمد لله الذي سلمهم، فقف هاهنا فلا تبرح حتى لا يبقى هاهنا أحد وانصرف الأفشين، وكان من سنته إذا بدا بالانصراف ينحدر علم الكراديس وفرسانه ورجالته، والكردوس الآخر واقف بينه وبينه قدر رمية سهم، لا يدنو من العقبة، ولا من المضيق، حتى يرى أنه قد عبر كل من في الكردوس الذي بين يديه وخلا به الطريق، ثم يدنو بعد ذلك فينحدر في الكردوس الآخر بفرسانه ورجالته، ولا يزال كذلك، وقد عرف كل كردوس من خلف من ينصرف، فلم يكن يتقدم أحد منهم بين يدي صاحبه، ولا يتأخر هكذا، حتى إذا نفذت الكراديس كلها ولم يبق أحد غير بخاراخذاه، انحدر بخاراخذاه وخلى العقبة.

فانصرف ذلك اليوم على هذه الهيئة، وكان أبو سعيد آخر من انصرف، وكلما مر العسكر بموضع بخاراخذاه، ونظروا إلى الموضع الذي كان فيه الكمين، علموا ما كان وطيء لهم، وتفرق أولئك الأعلاج الذين أرادوا أخذ الموضع الذي كان بخاراخذاه يحفظه، ورجعوا إلى مواضعهم، فأقام الأفشين في خندقه بروذ الروذ أياما، فشكا إليه **المطوعة** الضيق في العلوفة والأزواد والنفقات، فقال لهم: من صبر منكم فليصبر، ومن لم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام، معي جند أمير المؤمنين، ومن هو في أرزاقه يقيمون معي في الحر والبرد،

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٩/٣٧

ولست ابرح من هاهنا حتى يسقط الثلج فانصرف **المطوعة** وهم يقولون: لو ترك الأفشين جعفرا وتركنا لأخذنا البذ، هذا لا يشتهي." (١)

"إلا المماطلة، فبلغه ذلك وما كثر **المطوعة** فيه، ويتناولونه بألسنتهم وأنه لا يحب المناجزة، وإنما يريد التطويل، حتى قال بعضهم إنه راى في المنام، ان رسول الله ص قال له: قل للأفشين: إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت في أمره وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة، فتحدث الناس بذلك في العسكر علانية، كأنه مستور، فبعث الأفشين إلى رؤساء **المطوعة**، فأحضرهم وقال لهم: أحب أن تروني هذا الرجل، فإن الناس يرون في المنام أبوابا، فأتوه بالرجل في جماعة من الناس، فسلم عليه، فقربه وأدناه، وقال له: قص علي رؤياك، لا تحتشم ولا تستحي، فإنما تؤدي قال: رأيت كذا ورأيت كذا، فقال: الله يعلم كل شيء قبل كل أحد، وما أريد بهذا الخلق إن الله تبارك وتعالى لو أراد أن يأمر الجبال أن ترجم أحدا لرجم الكافر، وكفانا مؤنته، كيف يرجمني حتى أكفيه مؤنة الكافر كان يرجمه، ولا يحتاج أن أقاتله أنا، وأنا أعلم أن الله عز وجل لا يخفى عليه خافية، فهو مطلع على قلبي، وما أريد بكم يا مساكين! فقال رجل من **المطوعة** من اهل الدين:

يايها الأمير، لا تحرمنا شهادة إن كانت قد حضرت، وإنما قصدنا وطلبنا ثواب الله ووجهه، فدعنا وحدنا حتى نتقدم بعد أن يكون بإذنك، فلعل الله أن يفتح علينا فقال الأفشين: إني أرى نياتكم حاضرة، وأحسب هذا الأمر يريده الله، وهو خير إن شاء الله، وقد نشطتم ونشط الناس، والله أعلم ما كان هذا رأيي، وقد حدث الساعة لما سمعت من كلامكم، وأرجو أن يكون أراد هذا الأمر وهو خير، اعزموا على بركة الله أي يوم أحببتم حتى نناهضهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله! فخرج القوم مستبشرين فبشروا أصحابهم، فمن كان أراد أن ينصرف أقام، ومن كان في القرب وقد خرج مسيرة أيام فسمع بذلك رجع، ووعد الناس ليوم، وأمر الجند والفرسان والرجالة وجميع الناس بالأهبة، وأظهر أنه يريد الحرب لا محالة وخرج الأفشين وحمل المال والزاد، ولم يبق في العسكر بغل إلا وضع عليه محمل للجرحى، وأخرج معه المتطببين، وحمل الكعك والسويق وغير ذلك، وجميع ما يحتاج اليه، وزحف." (٢)

"الناس حتى صعد إلى البذ، وخلف بخاراخذاه في موضعه الذي كان يخلفه عليه على العقبة، ثم طرح النطع ووضع له الكرسي، وجلس عليه كما كان يفعل، وقال لأبي دلف: قل للمطوعة: أي ناحية هي أسهل

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣٨/٩

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣٩/٩

عليكم، فاقتصروا عليها وقال لجعفر: العسكر كله بين يديك، والناشبة والنفاطون، فإن أردت رجالا دفعتهم إليك، فخذ حاجتك وما تريد، واعزم على بركة الله، فاذن من أي موضع تريد قال: أريد أن أقصد الموضع الذي كنت عليه، قال:

امض إليه ودعا أبا سعيد، فقال له: قف بين يدي، أنت وجميع أصحابك، ولا يبرحن منكم أحد ودعا أحمد بن الخليل فقال له: قف أنت وأصحابك هاهنا، ودع جعفرا يعبر وجميع من معه من الرجال، فإن أراد رجالا أو فرسانا أمددناه، ووجهنا بهم إليه، ووجه أبا دلف وأصحابه من **المطوعة**، فانحدروا إلى الوادي، وصعدوا إلى حائط البذ من الموضع الذي كانوا صعدوا عليه تلك المرة، وعلقوا بالحائط على حسب ما كانوا فعلوا ذلك اليوم، وحمل جعفر حملة حتى ضرب باب البذ، على حسب ما كان فعل تلك المرة الأولى، ووقف على الباب، وواقفه الكفرة ساعة صالحة، فوجه الأفشين برجل معه بدرة دنانير، وقال له: اذهب إلى أصحاب جعفر، فقل: من تقدم، فاحث له ملء كفك، ودفع بدرة أخرى إلى رجل من أصحابه، وقال له:

اذهب الى **المطوعة** ومعك هذا المال واطواق واسوره، وقل لأبي دلف: كل من رأيته محسنا من **المطوعة** وغيرهم فأعطه ونادى صاحب الشراب، فقال له: اذهب فتوسط الحرب معهم حتى أراك بعيني معك السويق والماء، لئلا يعطش القوم فيحتاجوا إلى الرجوع، وكذلك فعل بأصحاب جعفر في الماء والسويق، ودعا صاحب الكلغرية، فقال له: من رأيته في وسط الحرب من **المطوعة** في يده فأس فله عندي خمسون درهما، ودفع إليه بدرة دراهم، وفعل مثل ذلك بأصحاب جعفر، ووجه إليهم الكلغرية بأيديهم الفئوس، ووجه إلى جعفر بصندوق فيه أطواق وأسورة، فقال له: ادفع إلى من اردت من." (١)

"أصحابك هذا سوى ما لهم عندي، وما تضمن لهم علي من الزيادة في أرزاقهم والكتاب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم فاشتبكت الحرب على الباب طويلا، ثم فتح الخرمية لباب، وخرجوا على أصحاب جعفر، فنحوهم عن الباب، وشدوا على **المطوعة** من الناحية الأخرى، فأخذوا منهم علمين طرحوهم عن السور، وجرحوهم بالصخر حتى أثروا فيهم، فرقوا عن الحرب، ووقفوا، وصاح جعفر بأصحابه، فبدر منهم نحو من مائة رجل، فبركوا خلف تراسهم التي كانت معهم، وواقفوهم متحاجزين، لا هؤلاء يقدمون على هؤلاء، ولا هؤلاء يقدمون على هؤلاء، فلم يزالوا كذلك حتى صلى الناس الظهر، وكان الأفشين قد حمل عرادات، فنصب عرادة منها مما يلي جعفرا على الباب، وعرادة أخرى من طرف الوادي من ناحية **المطوعة**،

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٩/٤٠

فأما العرادة التي من ناحية جعفر، فدافع عنها جعفر حتى صارت العرادة فيما بينهم وبين الخرمية ساعة طويلة، ثم تخلصها أصحاب جعفر بعد جهد، فقلعوها وردوها إلى العسكر، فلم يزل الناس متواقفين متحاجزين، يختلف بينهم النشاب والحجارة أولئك على سورهم والباب، وهؤلاء قعود تحت أتراسهم، ثم تناجزوا بعد ذلك، فلما نظر الأفشين إلى ذلك كره أن يطمع العدو في الناس، فوجه الرجالة الذين كان أعدهم قبله، حتى وقفوا في موضع **المطوعة**، وبعث إلى جعفر بكردوس فيه رجالة، فقال جعفر: لست اوتى من قله الرجاله معي رجال فرة ولكني لست أرى للحرب موضعا يتقدمون، انما هاهنا موضع مجال رجل أو رجلين قد وقفوا عليه، وانقطعت الحرب، فبعث إليه: انصرف على بركة الله، فانصرف جعفر، وبعث الأفشين بالبغال التي كان جاء بها معه، عليها المحامل، فجعلت فيها الجرحى ومن كان به وهن من الحجارة ولا يقدر على المشي، وأمر الناس بالانصراف، فانصرفوا إلى خندقهم بروذ الروذ، وأيس الناس من الفتح في تلك السنة، وانصرف اكثر **المطوعة** سنه ٢٢٢ ثم أن الأفشين تجهز بعد جمعتين، فلما كان في جوف الليل، بعث الرجالة الناشبة، وهم مقدار ألف رجل، فدفع إلى كل واحد منهم شكوة." (١)

"قال: فلما كان يوم عاشوراء، لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائتين، اجتمع المسلمون ومن معهم من العلوج وقائدان من قواد الروم، يقال لأحدهما انقاس وللآخر لمسنوس، والمسلمون **والمطوعة** في أربعة آلاف بين فارس وراجل، فاجتمعوا بموضع يقال له اللمس، فذكر عن محمد بن أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي أن كتاب أبيه أتاه، أن من فودي به من المسلمين ومن كان معهم من أهل ذمتهم اربعه آلاف وستمائه انسان، منهم صبيان ونساء ستمائه، ومنهم من اهل الذمة اقل من خمسمائة والباقون رجال من جميع الآفاق.

وذكر أبو قحطبة- وكان رسول خاقان الخادم إلى ملك الروم لينظركم عدد الأسرى، ويعلم صحة ما عزم عليه ميخائيل ملك الروم- أن عدد المسلمين قبل الفداء كان ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة وصبي، ممن كان بالقسطنطينية وغيرها، إلا من أحضره الروم ومحمد بن عبد الله الطرسوسي- وكان عندهم- فأوفده أحمد بن سعيد بن سلم وخاقان مع نفر من وجوه الأسرى على الواثق، فحملهم الواثق على فرس فرس، وأعطى لكل رجل منهم ألف درهم.

وذكر محمد هذا أنه كان أسيرا في أيدي الروم ثلاثين سنة، وأنه كان أسر في غزاة رامية كان في العلافة فأسر، وكان فيمن فودي به في هذا الفداء، وقال: فودي بنا في يوم عاشوراء على نهر يقال له اللامس، على

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٩/٤١

سلوقية قريبا من البحر، وأن عدتهم كانت أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفسا، النساء وازواجهن وصبيانهن ثمانمائه وأهل ذمة المسلمين مائة أو أكثر، فوقع الفداء كل نفس عن نفس صغيرا أو كبيرا، فاستفرغ خاقان جميع من كان في بلد الروم من المسلمين ممن علم موضعه.

قال: فلما جمعوا للفداء، وقف المسلمون من جانب النهر الشرقي والروم من الجانب الغربي- وهو مخاضه- فكان هؤلاء يرسلون من هاهنا رجلا وهؤلاء." (١)

"جميع من كان يعمل في المعادن وقوم كثير من **المتطوعة**، فكانت عدة من معه نحوا من عشرين ألف إنسان، بين فارس وراجل، ووجه إلى القلزم، فحمل في البحر سبعة مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير، وأمر قوما من أصحابه أن يلججوا بها في البحر حتى يوافوه في ساحل البحر من أرض البجة، فلم يزل محمد بن عبد الله القمي يسير في أرض البجة حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب، وصار إلى حصونهم وقلاعهم، وخرج إليه ملكهم- واسمه علي بابا واسم ابنه لعيس- في جيش كثير وعدد أضعاف من كان مع القمي من الناس، وكانت البجة على إبلهم ومعهم الحراب وإبلهم فرة تشبه بالمهاري في النجابة، فجعلوا يلتقون أياما متوالية، فيتناوشون ولا يصحون المحاربة، وجعل ملك البجة يتطارد للقمي لكي تطول الأيام طمعا في نفاد الزاد والعلوفة التي معهم، فلا يكون لهم قوة، ويموتون هزلا، فيأخذهم البجة بالأيدي.

فلما توهم عظيم البجة أن الأزواد قد نفدت، أقبلت السبع المراكب التي حملها القمي حتى خرجت إلى ساحل من سواحل البحر في موضع يعرف بصنجة، فوجه القمي إلى هنالك جماعة من أصحابه يحمون المراكب من البجة، وفرق ما كان فيها على اصحابه، فاتسعوا في الزاد والعلوفة، فلما رأى ذلك علي بابا رئيس البجة قصد لمحاربتهم، وجمع لهم، والتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا، وكانت الإبل التي يحاربون عليها إبلا زعرة، تكثر الفزع والرعب من كل شيء، فلما رأى ذلك القمي جمع أجراس الإبل والخيل التي كانت في عسكره كلها، فجعلها في أعناق الخيل، ثم حمل على البجة، فنفرت إبلهم لأصوات الأجراس، واشتد رعبها، فحملتهم على الجبال والأودية، فمزقتهم كل ممزق، واتبعهم القمي بأصحابه، فأخذهم قتلا وأسرا حتى أدركه الليل، وذلك في أول سنة احدى واربعين، ثم رجع إلى معسكره ولم يقدر على إحصاء القتلى لكثرتهم، فلما

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٤٣/٩

أصبح القمي وجدهم قد جمعوا جمعا من الرجالة، ثم صاروا إلى موضع أمنوا فيه طلب القمي، فوافاهم القمي في." (١)

"ثم دخلت

سنة اثنتين وأربعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر احداث الزلازل بالبلاد

فمما كان فيها من ذلك الزلازل الهائلة التي كانت بقومس ورساتيقها في شعبان، فتهدمت فيها الدور، ومات من الناس بها مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشر كثير، ذكر أنه بلغت عدتهم خمسة وأربعين ألفا وستة وتسعين نفسا، وكان عظم ذلك بالدامغان وذكر أنه كان بفارس وخراسان والشام في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة، وكان باليمن أيضا مثل ذلك مع خسف بها.

ذكر خروج الروم من ناحيه شمشاط

وفيها خرجت الروم من ناحية شمشاط بعد خروج علي بن يحيى الأرمني من الصائفة حتى قاربوا آمد، ثم خرجوا من الثغور الجزرية، فانتهبوا عدة قرى، وأسروا نحوا من عشرة آلاف إنسان، وكان دخولهم من ناحية أبريق، قرية قربياس، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم، فخرج قربياس وعمر بن عبد الله الأقطع وقوم من المتطوعة في أثرهم، فلم يلحقوا منهم أحدا، فكتب إلى علي بن يحيى أن يسير إلى بلادهم شاتيا.

وفيها قتل المتوكل عطاردا- رجلا كان نصرانيا فأسلم- فمكث مسلما." (٢)

"وعن عدة من كان معه، فقال: إن الزينبي قد أعد لك الخول والمطوعة والبلالية والسعدية، وهم خلق كثير، وهو على لقائك بهم ببيان، فقال له: اخفض صوتك، لئلا يرتاع الغلمان بخبرك وسأله عن الذي يقود هذا الجيش، فقال: قد ندب لذلك المعروف بأبي منصور، وهو أحد موالي الهاشميين: قال له: أفرأيت جمعهم؟ قال: نعم، وقد أعدوا الشرط لكتف من ظفروا به من السودان، فأمره بالانصراف إلى الموضع الذي يكون فيه مقامه، فانصرف سيران إلى علي بن أبان ومحمد بن سلم ويحيى بن محمد، فجعل يحدثهم إلى

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٩/٢٠٥

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٩/٢٠٧

أن أسفر الصبح، ثم سار صاحب الزنج إلى أن أشرف عليهم فلما انتهى إلى مؤخر ترسى وبرسونا وسندادان بيان، عرض له قوم يريدون قتاله، فأمر علي بن أبان فأتاهم فهزمهم، وكان معهم مائة أسود، فظفر بهم قال ريحان: فسمعته يقول لأصحابه: من أمارات تمام أمركم ما ترون من إتيان هؤلاء القوم بعبيدهم فيسلمونهم إليكم، فيزيد الله في عددكم.

ثم سار حتى صار إلى بيان.

قال ريحان: فوجهني وجماعة من أصحابه إلى الحجر لطلب الكاروان وعسكرهم في طرف النخل في الجانب الغربي من بيان، فوجهنا إلى الموضع الذي امرنا بالمصير اليه، فالفينا هناك ألفا وتسعمائة سفينة، ومعها قوم من **المطوعة** قد احتبسوها، فلما رأونا خلوا عن السفن، وعبروا سلبان عرايا ماضين نحو جوبك وسقنا السفن حتى وافيناه بها، فلما أتيناه بها أمر فبسط له على نشز من الأرض وقعد، وكان في السفن قوم حجاج أرادوا سلوك طريق البصرة، فناظرهم بقية يومه إلى وقت غروب الشمس، فجعلوا يصدقونه في جميع قوله، وقالوا: لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك، فردهم إلى سفنهم، فلما أصبحوا أخرجهم، فأحلفهم ألا يخبروا أحدا بعدة أصحابه، وأن يقللوا أمره عند من سألهم عنه وعرضوا عليه بساطا كان معهم، فأبدله ببساط كان معه، واستحلفهم أنه لا مال." (١)

"محمد بن سلم حتى توسط أهل البصرة، وجعل يكلمهم، ورأوا منه غرة فانطووا عليه، فقتلوه قال الفضل بن عدي: عبر محمد بن سلم إلى أهل البصرة ليعظهم وهم مجتمعون في أرض تعرف بالفضل بن ميمون، فكان أول من بدر إليه وضربه بالسيف فتح غلام أبي شيث، وأتاه ابن التومني السعدي، فاحتز رأسه، فرجع سليمان ويحيى إليه، فأخبراه الخبر، فأمرهما بطي ذلك عن الناس حتى يكون هو الذي يقوله لهم، فلما صلى العصر نعى محمد بن سلم لأصحابه، وعرف خبره من لم يكن عرفه، فقال لهم: إنكم تقتلون به في غد عشرة آلاف من أهل البصرة ووجه زريقا وغلاما له يقال له سقلبتويا، وأمرهما بمنع الناس من العبور، وذلك في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين قال محمد بن الحسن: فحدثني محمد بن سمعان الكاتب، قال: لما كان في يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة جمع له أهل البصرة، وحشدوا له لما رأوا من ظهورهم عليه في يوم الأحد، وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحماد الساجي- وكان من غزاة البحر- في الشذا، وله علم بركوبها والحرب فيها، فجمع **المطوعة** ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومن خف معه من حزبي البلالية

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٢٥/٩

والسعدية، ومن أحب النظر من غير هذه الأصناف من الهاشميين والقرشيين وسائر أصناف الناس، فشحن ثلاثة مراكب من الشذا من الرماة، وجعلوا يزدحمون في الشذا حرصا على حضور ذلك المشهد، ومضى جمهور الناس رجالة، منهم من معه السلاح، ومنهم نظارة لا سلاح معهم، فدخلت الشذا والسفن النهر المعروف بأم حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم في المد ومرت الرجالة والنظارة على شاطئ النهر، قد سدوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفا وكثرة، وكان صاحب الزنج مقيما بموضعه من النهر المعروف بشيطان قال محمد بن الحسن: فأخبرنا صاحب الزنج أنه لما أحس بمصير الجمع إليه، وأتته طلائعه بذلك وجه زريقا وأبا ،الليث الأصبهاني في جماعه." (١)

"من عسكره، فلما صرف ابن أتامش وجعل موضعه جعلان، وجه سليمان من قبله رجلا من البحرانيين يقال له ثعلب بن حفص، فأوقع به، وأخذ منه خيلا ورجلا، ووجه قائد الزنج من قبله رجلا من أهل جبى يقال له احمد ابن مهدي في سميريات، فيها رماة من أصحابه، فأنفذه إلى نهر المرأة، فجعل الجبائي يوقع بالقرى التي بنواحي المذار- فيما ذكر- فيعيث فيها، ويعود إلى نهر المرأة فيقيم به.

فكتب هذا الجبائي إلى قائد الزنج يخبر بأن البطيحة خالية من رجال السلطان، لانصراف مسرور وعساكره عند ورود يعقوب بن الليث واسطا فأمر قائد الزنج سليمان بن جامع وجماعة من قواده بالمصير إلى الحوانيت، وأمر رجلا من الباهليين يقال له عمير بن عمار، كان عالما بطرق البطيحة ومسالكها، أن يسير مع الجبائي حتى يستقر بالحوانيت.

فذكر محمد بن الحسن أن محمد بن عثمان العباداني قال: لما عزم صاحب الزنج على توجيه الجيوش إلى ناحية البطيءة ودستميسان أمر سليمان بن جامع أن يعسكر **بالمطوعة** وسليمان بن موسى أن يعسكر على فوهة النهر المعروف باليهودي، ففعلا ذلك، وأقاما إلى أن أتاهما إذنه، فنهضا، فكان مسير سليمان بن موسى إلى القرية المعروفة بالقادسية، ومسير سليمان بن جامع إلى الحوانيت والجبائي في السميريات أمام جيش سليمان بن جامع، ووافى أبا التركي دجلة في ثلاثين شذاة، فانحدر يريد عسكر قائد الزنج، فمر بالقرية التي كانت داخلة في سلم الخبيث فنال منها، وأحرق، فكتب الخبيث إلى سليمان بن موسى في منعه الرجوع، وأخذ عليه سليمان الطريق، فأقام شهرا يقاتل حتى تخلص فصار إلى البطيحة.

وذكر محمد بن عثمان أن جباشا الخادم زعم أن أبا التركي لم يكن صار إلى دجلة في هذا الوقت، وأن

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٣٥/٩

المقيم كان هناك نصير المعروف بأبي حمزة.

وذكر أن سليمان بن جامع لما فصل متوجها إلى الحوانيت، انتهى إلى موضع." (١)

"بالرحيل إلى الموضع الذي اختار من نهر جطى، وتقدم في قود الدواب بعد أن أصلحت لها الطرق، وعقدت القناطر على الأنهار، وغدا في يوم الثلاثاء لخمس بقين من رجب في جميع عساكره حتى نزل نهر جطى، فأقام به إلى يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وستين ومائتين، ولم يحارب في شيء من هذه الأيام، وركب في هذا اليوم في الخيل والرجالة، ومعه جميع الفرسان، وجعل الرجالة **والمطوعة** في السفن والسميريات، على كل رجل منهم لأمته وزيه، وسار حتى وافى الفرات، ووازى عسكر الفاسق وأبو أحمد من أصحابه وأتباعه في زهاء خمسين ألف رجل أو يزيدون، والفاسق يومئذ في زهاء ثلاثمائة ألف إنسان، كلهم يقاتل أو يدافع، فمن ضارب بسيف، وطاعن برمح، ورام بقوس، وقاذف بمقلاع، ورام بعراده او منجنيق، واضعفهم امر الرماة بالحجارة عن أيديهم وهم النظارة المكثرون السواد، والمعتنون بالنعير والصياح، والنساء يشركنهم في ذلك.

فأقام أبو أحمد في هذا اليوم بإزاء عسكر الفاسق إلى أن أضحى، وأمر فنودي أن الأمان مبسوط للناس، أسودهم وأحمرهم إلا الخبيث، وأمر بسهام فعلقت فيها رقاع مكتوب فيها من الأمان مثل الذي نودي به، ووعد الناس فيها الإحسان، ورمى بها إلى عسكر الخبيث، فمالت إليه قلوب أصحاب المارق بالرهبة والطمع فيما وعدهم من إحسانه وعفوه، فأتاه في ذلك اليوم جمع كثير يحملهم الشذا إليه، فوصلهم وحباهم ثم انصرف إلى معسكره بنهر جطى، ولم يكن في هذا اليوم حرب.

وقدم عليه قائدان من مواليه، أحدهما بكتمر والآخر جعفر بن بغلاغز، في جمع من أصحابهما فكان ورودهما زائدا في قوة من مع أبي أحمد.

ورحل أبو أحمد عن نهر جطى إلى معسكر قد كان تقدم في إصلاحه، وعقد القناطر على أنهاره، وقطع النهر ليوسعه بفرات البصرة بإزاء مدينة الفاسق، فكان نزوله هذا المعسكر في يوم الأحد للنصف من شعبان سنة سبع وستين." (٢)

"وكان فيمن رغب في الأمان من جلة قواد الفاجر ريحان بن صالح المغربي، وكانت له رياسة وقيادة، وكان يتولى حجبة ابن الخبيث المعروف بأنكلاي، فكتب ريحان يطلب الأمان لنفسه ولجماعة من أصحابه،

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك ، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٥٢١/٩

(٢) تاريخ ال طبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٥٨٤/٩

فأجيب إلى ذلك، وأنفذ إليه عدد كثير من الشذا والسميريات والمعابر مع زيرك القائد صاحب مقدمة أبي العباس، فسلك النهر المعروف باليهودي، حتى وافى الموضع المعروف **بالمطوعة**، فألفى به ريحان ومن معه من أصحابه، وقد كان الموعد تقدم في موافاة ذلك الموضع زيرك ريحان ومن معه، فوافى بهم دار الموفق، فأمر لريحان بخلع، وحمل على عدة من أفراس بآلتها، وأجيز بجائزة سنية، وخلع على أصحابه، وأجيزوا على أقدارهم، وضم إلى أبي العباس، وأمر بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم إلى إزاء دار الخبيث، فوقفوا هنالك في الشذا، فعرفوا خروج ريحان وأصحابه في الأمان، وما صاروا إليه من الإحسان، فاستأمن في ساعتهم تلك من اصحاب ريحان الذين كانوا تخلفوا وغيرهم جماعة، فألحقوا في البر والإحسان بأصحابهم، وكان خروج ريحان بعد الوقعة التي كانت يوم الأربعاء في يوم الأحد لليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وستين ومائتين.

وفي هذه السنة أقبل أحمد بن عبد الله الخجستاني يريد العراق بزعمه، حتى صار إلى سمنان، وتحصن منه أهل الري وحصنوا مدينتهم، ثم انصرف من سمنان راجعا إلى خراسان.

وفيها انصرف خلق كثير من طريق مكة في البدأة لشدة الحر، ومضى خلق كثير، فمات ممن مضى خلق كثير من شدة الحر، وكثير منهم من العطش، وذلك كله في البدأة، وأوقعت فزارة فيها بالتجار، فأخذوا- فيما ذكر- منهم سبعمائة حمل بز.

وفيها اجتمع بالموسم عامل لأحمد بن طولون في خيله وعامل لعمرو بن الليث في خيله، فنازع كل واحد منهما صاحبه في ركز علمه على يمين المنبر في مسجد إبراهيم خليل الرحمن، وادعى كل واحد منهما أن الولاية." (١)

"إلى الموفق، فأمر أبا العباس بمعارضته في الشذا من النهر المعروف باليهودي، ورجا أن يسبقه إلى المعترض فيقطعه عن الطريق المؤدي إلى مأمنه.

فوافى أبو العباس الموضع المعروف **بالمطوعة**، وقد سبق بهبوذ، فولج النهر المعروف بالسعيدي، وهو نهر يؤدي إلى نهر أبي الخصيب وبصر أبو العباس بشذوات بهبوذ، وطمع في إدراكها، فجد في طلبها، فأدركها ونشبت الحرب، فقتل أبو العباس من أصحاب بهبوذ جمعا، وأسر جمعا، واستأمن إليه فريق منهم، وتلقى بهبوذ من أشياعه خلق كثير، فعاونوه ودافعوا عنه دفعا شديدا، وقد كان الماء جزر، فجرت شذواته في الطين في المواضع التي نضب الماء عنها من تلك الأنهار والمعترضات، فأفلت بهبوذ والباقون من أصحابه بجريعة

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل و ا لملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٥٩٩/٩

الذقن.
وأقام الموفق على حصار الخبيث ومن معه، وسد المسالك التي كانت المير تأتيهم منها، وكثر المستأمنون منهم، فأمر الموفق لهم بالخلع والجوائز، وحملوا على الخيل الجياد بسروجها ولجمها وآلتها، وأجريت لهم الأرزاق، وانتهى الخبر إلى الموفق بعد ذلك أن الضر والبؤس قد أحوج جماعة من أصحاب الخبيث إلى التفرق في القرى لطلب القوت من السمك والتمر، فأمر ابنه أبا العباس بالمصير إلى تلك القرى والنواحي والإسراع إليها في الشذا والسميريات، وما خف من الزواريق وأن يستصحب جلد أصحابه وشجعانهم وأبطالهم ليحول بين هؤلاء الرجال والرجوع إلى مدينة صاحب الزنج، فتوجه أبو العباس لذلك، وعلم الخبيث بمسير أبي العباس له، فأمر بهبوذ أن يسير في أصحابه في المعترضات والأنهار الغامضة ليخفي خبره، الى ان يوافى القندل وابراسان ونواحيها، فنهض بهبوذ لما أمره به الخبيث من ذلك فاعترضت له في طريقه سميرية من سميريات أبي العباس، فيها غلمان من غلمانه الناشبة في جماعة الزنج، فقصد بهبوذ لهذه السميرية طامعا فيها، فحاربه أهلها." (١)
"ثم دخلت

سنة سبعين ومائتين
(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة) ففي المحرم منها كانت وقعة بين أبي أحمد وصاحب الزنج اضعفت اركان صاحب الزنج.

ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج واسر من معه
وفي صفر منها قتل الفاجر، وأسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني واستريح من أسباب الفاسق.
ذكر الخبر عن هاتين الوقعتين:
قد ذكرنا قبل أمر السكر الذي كان الخبيث أحدثه، وما كان من أمر أبي أحمد وأصحابه في ذلك ذكر أن أبا أحمد لم يزل ملحا على الحرب على ذلك السكر حتى تهيأ له فيه ما أحب، وسهل المدخل للشذا في نهر أبي الخصيب في المد والجزر، وسهل لأبي أحمد في موضعه الذي كان مقيما فيه كل ما أراده من رخص الأسعار وتتابع المير وحمل الأموال إليه من البلدان ورغبة الناس في جهاد الخبيث ومن معه من

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦١٠/٩

أشياعه، فكان ممن صار إليه من المطوعة أحمد بن دينار عامل إيذج ونواحيها من كور الأهواز في جمع كثير من الفرسان والرجالة، فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قتل الخبيث ثم قدم بعده من أهل البحرين- فيما ذكر- خلق كثير، زهاء ألفي رجل، يقودهم رجل من عبد القيس، فجلس لهم أبو أحمد، ودخل إليه رئيسهم ووجوههم، فأمر أن يخلع عليهم، واعترض رجالهم أجمعين وأمر بإقامة الأنزال لهم، وورد بعدهم زهاء ألف رجل من كور فارس، يرأسهم شيخ من المطوعة يكنى أبا سلمة، فجلس لهم الموفق، فوصل إليه هذا الشيخ ووجوه." (١)

"أصحابه، فأمر لهم بالخلع، وأقر لهم الأنزال، ثم تتابعت المطوعة من البلدان، فلما تيسر له ما أراد من السكر الذي ذكرنا، عزم على لقاء الخبيث، فأمر بإعداد السفن والمعابر وإصلاح آلة الحرب في الماء وعلى الظهر، واختار من يثق ببأسه ونجدته في الحرب فارسا وراجلا، لضيق المواضع التي كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والأنهار بها، فكانت عدة من تخير من الفرسان زهاء ألفي فارس، ومن الرجالة خمسين ألفا أو يزيدون، سوى من عبر من المطوعة وأهل العسكر، ممن لا ديوان له، وخلف بالموفقية من لم يتسع السفن بحمله جما كثيرا أكثرهم من الفرسان.

وتقدم الموفق إلى أبي العباس في القصد للموضع الذي كان صار إليه في يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين من الجانب الشرقي بإزاء دار المهلبي في أصحابه وغلمانه ومن ضمهم إليه من الخيل والرجالة والشذا وأمر صاعد بن مخلد بالخروج على النهر المعروف بأبي شاكر في الجانب الشرقي أيضا، ونظم القواد من مواليه وغلمانه من فوهة نهر أبي الخصيب إلى نهر الغربي وكان فيمن خرج من حد دار الكرنبائي إلى نهر أبي شاكر راشد ولؤلؤ، موليا الموفق، في جمع من الفرسان والرجالة زهاء عشرين ألفا، يتلو بعضهم بعضا، ومن نهر أبي شاكر إلى النهر المعروف بجوى كور جماعة من قواد الموالي والغلمان، ثم من نهر جوى كور إلى نهر الغربي مثل ذلك وأمر شبلا أن يقصد في أصحابه ومن ضم إليه إلى نهر الغربي، فيأتي منه مؤازيا لظهر دار المهلبي، فيخرج من ورائها عند اشتباك الحرب، وأمر الناس أن يزحفوا بجميعهم إلى الفاسق، لا يتقدم بعضهم بعضا، وجعل لهم أمارة الزحف، تحريك علم أسود أمر بنصبه على دار الكرنبائي بفوهة نهر أبي الخصيب في موضع منها مشيد عال، وأن ينفخ لهم ببوق بعيد الصوت،

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦٥٤/٩

وكان عبوره يوم الاثنين لثلاث ليال بقين من المحرم سنة سبعين ومائتين، فجعل بعض من كان على النهر المعروف بجوى كور يزحف قبل ظهور العلامة، حتى قرب." (١)

"وقال ابن الفقيه أيضا: «وحدثني أحمد بن جعفر، حدثني أبو حفص عمر بن مدرك قال: كنت عند أبي إسحاق الطالقاني يوما بمرو على الرزيق في المسجد الجامع، فقال أبو إسحاق: كنا يوما عند ابن المبارك.....» (١٦٠ ب) .

أما أبو حفص عمر بن مدرك، فهو- كما في تاريخ بغداد- «القاص الرازي ويقال البلخي. وأراه بلخيا سكن الري وقدم بغداد وحدث بها ... مات سنة ٢٧٠ هـ» «١» .

وفي الخبر: إبراهيم بن إسحاق بن عيسى أبو إسحاق الطالقاني المتوفى عام ٢١٥ هـ «٢» .

وفيه: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي (١١٨- ١٨١ هـ) أحد الأئمة المعروفين «٣» والغزاة المطوعة كما كان شاعرا.

تميم بن بحر المطوعي

لو لم تقع مخطوطة المكتبة الرضوية الكاملة، ما عرفنا باسم تميم المطوعي هذا الذي قام برحلة إلى آسيا على بريد أنفذه إليه خاقان التغزغزي. وفي أخباره من المعلومات كل ما هو مهم وخطير. حيث نجد هذا السؤال الموجه إليه من ابن الفقيه الذي ورد بصيغة «وسألناه عن طريق كيماك من طراز، فذكر أن الطريق ... » الذي عرفنا منه أن ابن الفقيه التقى به. ثم إن خبر تميم قد نقله ياقوت باختصار دون أن يعزوه لأحد. فقد افتتح كلامه في مادة تركستان وأورد." (٢)

"خبر تميم فيها بصورة مختصرة عما هو عليه في أصل كتاب البلدان. وحين وصل إلى خبر (حجر المطر) الذي لدى الترك، ذكر اسم ابن الفقيه ونقل عنه الخبر الذي رواه عيسى بن محمد المروزي. فأوهم ياقوت قارئه أن خبر تميم منقول عن مصدر آخر. بينما الحقيقة غير ذلك وهو موجود لدى ابن الفقيه الذي التقى به وسأله تفصيلات عن رحلته تلك. ومهما يكن فليس لدينا أي معلومات عن تميم بن بحر المطوعي سوى كونه مطوعا وهم طائفة من المتطوعين الذين كانوا يرابطون في ثغور البلاد الإسلامية لدفع هجمات الدول والقبائل التي كانت تجتاح بين الحين والآخر حدود البلاد الإسلامية كالروم والأتراك- قبل إسلامهم- . ويعرف المطوعة هؤلاء أخبارا ووقائع مهمة عن البلاد غير الإسلامية حيث كان بعضهم يسافر إليها،

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٩/٦٥٥

(٢) البلدان لابن الفقيه ابن الفقيه ص/٢٦

وأشهر أولئك، إبراهيم بن شماس الذي كان يذهب بين الحين والآخر إلى بلاد الغزية لشراء الأسرى وكان يلتقي بملكهم جبغويه «١» .

أبو عبد الله الحسين بن أستاذويه

قال ابن الفقيه: «وحدثني أبو عبد الله الحسين بن أستاذويه، حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن، حدثنا هشام بن لهراسب السائب الكلبي ... »

(١٧٠ أ) .

لم نجد لابن أستاذويه ذكرا في كتب التراجم، اللهم إلا أن يكون أبا عبد الله الحسين بن شاذويه الذي ترجم له النجاشي فقال: «الحسين بن شاذويه أبو عبد الله الصفار وكان صحافا فيقال الصحاف ... » «٢» وقال: الرجالي ابن الغضائري إنه قمي زعم القميون أنه كان غاليا «٣» . وأما شيخه أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن.

فنحتمله أنه الفنديني الرازي الذي يروي عن أحمد بن سيار المروزي «٤»." (١)

"حجر أبيض، أعلى الصورة. صورة إنسان، وأسفلها صورة عقرب، فإذا لدغ العقرب إنسانا فأخذ طينا، ووضعه على تلك الصورة، ثم أدافه بالماء وشربه سكن وجعه وبرئ من ساعته، ويقال: إن تلك الصورة طلسم للعقرب خاصة، وكان فتح حمص قبل دمشق في أول ليلة من رجب سنة أربع عشرة.

وبدمشق لبنان وهو الجبل الذي يكون عليه العباد والأبدال، وعليه من كل الثمر والفواكه، وفيه عيون كثيرة عذبة، وهو متصل ببلاد الروم، وعند باب دمشق جيرون، وهي من بناء سليمان بن داود، وهي سقيفة مستطيلة على عمد، وحولها مدينة تطيف بجيرون، قال أبو عبيدة: الجيرون عمود عليه صومعة، وهو من البناء المذكور، ومن البناء المذكور الأبلق الفرد والورد أيضا، قصر بناه سليمان بن داود.

قالوا: وأول من ابتنى حصن المصيصة في الإسلام عبد الملك بن مروان على يد ابنه عبد الله، ثم بنى عمر بن عبد العزيز بها مسجدا من ناحية كفربيا، واتخذ فيها صهريجا وكان اسمه عليه مكتوبا، ثم إن المسجد خرب في خلافة المعتصم، وهو يدعى مسجد الحصن، وشحنوها بالرجال، وبنى المنصور فيها مسجدا جامعا في موضع هيكل كان بها، وجعله مثل مسجد عمر ثلاث مرات، ثم زاد فيه المأمون أيام ولاية عبد الله بن طاهر المغرب، وفرض فيها المنصور لألف رجل، وزاد فيها المهدي ألفي رجل، ولم يعطهم شيئا لأنها قد كانت شحنت بالجند **والمطوعة**.

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفقيه ص/٢٧

وقال أبو النعمان الأنطاكي: كان الطريق فيما بين أنطاكية والمصيصة مسبعة، يعرض للناس فيها الأسد، فلما كان أيام الوليد بن عبد الملك شكي ذلك إليه، فوجه أربعة آلاف جاموس وجاموسة فنفع الله جل وعز بها.

قال الواقدي: ولما غزا الحسن بن قحطبة الطائي بلاد الروم سنة ١٦٣ في أهل خراسان والموصل والشام ومطوعة العراق والحجاز خرج مما يلي طرسوس، فأخبر المهدي ما في بنائها وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة من عظيم الغناء عن الإسلام والكبت للعدو، وكان خرج في مرج طرسوس، فركب إلى مدينتها، وهي." (١)

"وهى خصبة جدا. وأما القرنين فإنها مدينة صغيرة لها قرى ورساتيق، وهى على مرحلة من سجستان عن يسار الذاهب إلى بست، على فرسخين من سروزن، منها الصفارون الذين تغلبوا على فارس وكرمان وخراسان وسجستان، وكانوا أربعة أخوة- يعقوب وعمرو وطاهر وعلى بنو الليث، فأما طاهر فإنه قتل بباب بست، وأما يعقوب فإنه مات بجنديسابور بعد رجوعه من بغداد وقبره هناك، وأما عمرو بن الليث فإنه قتل ببغداد وقبره هناك، وأما على بن الليث فكان استأمن إلى رافع بجرجان، ومات بدهستان وقبره هناك، ويعقوب كان أكبرهم «١» وكان غلاما لبعض الصفارين، وأما عمرو فإنه كان مكاريا، وبلغنى أنه كان فى بعض أيامه بناء، وكان على بن الليث أصغرهم سنا، وكان السبب فى خروجهم وارتفاع أمرهم أن خالا لهم يسمى كثير بن رقاق، كان قد تجمع إليه جمع فى وجوه الخوارج، فحوصر فى قلعة تسمى قفيل، وتخلص هؤلاء ووقعوا إلى أرض بست، وكان بتلك الناحية رجل عنده جمع كثير، يظهرون الحسبة فى الغزو وقتال الخوارج يسمى درهم بن نصر، فصار هؤلاء الأخوة فى جملة أصحابه فقصدوا سجستان، والوالى بها إبراهيم بن الحسين من قبل الطاهرية وكان فى ضعف، فنزل على باب المدينة، وكان درهم بن نصر هذا يظهر أنه من **المطوعة**، وأنه قاصد لقتال الشراة محتسبا، فاستمال العامة حتى مالوا إليه، ودخل المدينة وخرج منها واليها إلى بعض النواحى فتمكنوا من البلد، وقاتلوا الشراة، وكان للشراة رئيس يعرف بعمار بن ياسر، فانتدب لقتاله يعقوب، فقاتله وقتل عمارا، وكان لا يحزبهم أمر شديد إلا انتدب له يعقوب، فكان يرتفع ذلك الأمر له على ما يحبه، فاستمال أصحاب درهم بن نصر إليه «٢» حتى قلدوه الرياسة، وصار الأمر له، وكان درهم بن نصر بعد ذلك من جملة أصحابه، وما زال محسنا إلى درهم بن نصر حتى استأذنه فى الحج، وأقام ببغداد مدة ثم رجع رسولا من أمير المؤمنين إليهم فقتله. واستفحل أمرهم بعد ذلك حتى استولوا على سجستان «٣» وما يتصل بها من أطراف السند والهند، ومهدوا تلك الثغور، وأسلم على يدى يعقوب

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفقيه ص/١٦٢

خلق منهم، ثم استولى بعد ذلك على كرمان وفارس وخوزستان وبعض العراق وعلى خراسان «٣» .
وأما الطاق فإنها مدينة على مرحلة من زرنج، تكون على ظهر الجائى من سجستان إلى خراسان، وهى مدينة صغيرة ولها رستاق «٤» ، وبها أعناب كثيرة يتسع بها أهل سجستان وخواش هى من قرنين على مرحلة عن يسار الذاهب إلى بست، وبينها وبين الطريق نحو نصف فرسخ، وهى أكبر من قرنين، وبها نخيل وأشجار، وبها وبالقرنين مياه جارية وقنى، وأما فره فإنها مدينة أكبر من هذه المدن، ولها رستاق يشتمل على نحو من ستين قرية، وبها نخيل وفواكه وزروع، وعليها نهر فره وأبنيتها «٥» طين، وهى فى أرض سهلة. وجزه متصلة." (١)

"ابن الليث فكان استامن الى رافع بجرجان ومات بدهستان وقبره هناك، ويعقوب كان اكبرهم وكان غلاما لبعض الصفارين واما عمرو فانه كان مكاريا وبلغنى انه كان فى بعض ايامه بناء وكان على بن الليث اصغرهم سنا، وكان السبب فى خروجهم وارتفاع امرهم ان خالا لهم يسمى كثير بن رقاق كان قد تجمع اليه جمع فى وجوه الخوارج فحوصر فى قلعة تسمى قفيل وتخلص هؤلاء ووقعوا الى ارض بست وكان بتلك الناحية رجل عنده جمع كثير يظهرون الحسبة فى الغزو وقتال الخوارج يسمى درهم بن نصر فصار هؤلاء الاخوة فى جملة اصحابه فقصدوا سجستان والوالى بها ابراهيم ابن الحسين من قبل الطاهرية وكان فى ضعف فنزل على باب المدينة وكان درهم بن نصر هذا يظهر انه من المطوعة وانه قاصد لقتال الشراة محتسبا فاستمال العامة حتى مالوا اليه ودخل المدينة وخرج منها واليها الى بعض النواحى فتمكنوا من البلد وقاتلوا الشراة وكان للشراة رئيس." (٢)

"وعظمت نكبتهم وعجز السلطان عن مقاومتهم ولم يكن عندهم لمن أبى عليهم إلا القتل ثم وثبوا على قباذ فخلعوه وحبسوه وملكوا أخاه جاماسب وفسدت معايش الناس واختلطت أنسابهم فكان المولود لا يعرف أباه والضعيف لا يمتنع منه القوي ثم خرج ز [ر] مهر ابن سوخرا في من [١] تبعه من الغواة والمطوعة وقتلوا من المزدكية ناسا كثيرا ورد الملك إلى قباذ فتبرأ منهم ويقال أنه كان بايعهم وفي أيامه ولد عبد المطلب وحمل إلى مكة وكان جاءه الحارث بن عمرو المعصوب بن حجر آكل المرار ودخل في دين المزدكية فملكه على العرب كلها فلما صار الأمر إلى انوشروان رد الملك إلى المنذر بن امرئ القيس وكان ملك قباذ اثنتين وأربعين سنة وفي أيامه غلبت الروم والحبشة على اليمن ثم ملك كسرى انوشروان بن قباذ

(١) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – مصر الإصطخري النص/١٤٢
(٢) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – ليدن الإصطخري ليدن/٢٤٦

وكان ملكه سبعا وأربعين سنة وسبعة أشهر فقتل ثمانين ألفا من المزدكية في يوم واحد وجمع الناس على الدين وأتم بباب الأبواب السور وغزا الروم ففتح إنطاكية وبنى بالمدائن مدينة على صورة إنطاكية وسماها الرومية وصاهر خاقان ملك الترك حتى عاونه على

---

[١] . فيمن Ms.." (١)

"أكثر من مائة ألف وتحصن سعيد بن حميد في مدينة الطراز [١] وأقام أبو مسلم في معسكره بسمرقند واستمد العمال وحشر **المطوعة** إلى سعيد بن حميد فواقعهم دفعات وقتل منهم خمسة وأربعين ألفا وأسر خمسة وعشرين ألفا وانهزم الباقون فاستولى المسلمون على عسكرهم وانصرف إلى بخارا وبسط يده على ملوك ما وراء النهر ودهاقينها فضرب أعناقهم وسبى ذراريهم واستصفى أموالهم وعبر النهر من السبى غير مرة بخمسين ألفا خمسين ألفا وهم أبو مسلم بغزو الصين وهيأ أهبة لذلك فشغله عنه إظهار زياد بن صالح كتابا من أبي العباس بولايته على خراسان من غير أن كان لذلك أصل فعمل أبو مسلم في ذلك حتى قتل زيادا وبعث برأسه إلى أبي العباس وكتب إليه يستأذنه في الحج واختار من جلة رجله خمسة آلاف فقدمهم أمامه وخرج [F 214 r؟] واستخلف على خراسان أبا داود فلما انتهى إلى الري تلقاه كتاب أبي العباس بتخليف من معه من الجنود بالري وأن تقدم عليه في خمسمائة رجل فكتب إليه إني قد وترت الناس ولا آمن على نفسي ألا أكون في كنف قوي فكتب إليه أن اقبل في ألف

---

[١] . الطرارا Ms.." (٢)

"إلى عبيد من ثقيف وكتب بذلك إلى المدن والأمصار ووسع المسجد الحرام ومسجد المدينة وفرق في حجه بمكة والمدينة ثلاثين ألف ألف درهم سوى ما حمل إليه من مال مصر واليمن وحمل إليه محمد بن سليمان الثلج من أرض الموصل ولم يحمله أحد قبله وأمر بنزع المقاصير عن المساجد وتقصير المنابر إلى الحد الذي كان عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع دور المرضى وأجرى على العميان والمجذمين والضعفى وأغزى الصائفة ابنة هارون بن المهدي في مائة ألف من المسترقة [١] سوى **المطوعة** والأتباع وأهل الأسواق والغزاة فقتلوا من الروم خمسة وأربعين ألفا وأصابوا من المال ما بيع البرذون بدرهم

---

(١) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١٦٨/٣

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ٧٥/٦

والدرع بدرهم وعشرون سيفا وألزموهم الجزية كل سنة سبعين ألف دينار وفيه يقول ابن أبى حفصة [طويل]
أطفت بقسطنطينة [٢] الروم مسندا ... إليها القفا حتى اكتسى الذل سورها
وما رمتها حتى تفيك ملوكها ... بجزيتها والعرب تغلي ةدورها
وكثير من الناس يرون ذلك الفتح الذي وعد الله به وفي

---

[١] . المسترزقةMS.

[٢] . قسطنطينية MS.." (١)

"فى ضعف [١١٧ ب] فنزل على باب المدينة وكان درهم بن نصر يظهر أنه من **المطوعة** وأنه قصد قتال الشراة محتسبا فاستمال العامة فأطاعته ودخل المدينة وخرج منها [واليها] «٣» الى بعض النواحى ولم يزل حتى تمكن من البلد وقاتلوه الشراة وكان لهم رئيس يعرف بعمار بن ياسر فانتدب لقتاله يعقوب [بن] «٥» الليث فقاتله وقتل عمار وكان لا يحزبهم أمر شديد إلا انتدب له يعقوب فكان يرتفع ذلك الأمر له على ما يحبه واستمال أصحاب درهم بن نصر حتى قلدوه الرياسة وصار الأمر له وكان درهم بن نصر بعد ذلك فى جملة يعقوب وأصحابه ولم يزل محسنا الى درهم بن نصر حتى استأذنه فى الحج فأذن له فحج وأقام ببغداذ مدة وعاد الى عمرو رسولا من أمير المؤمنين فقتله يعقوب واستفحل أمره وأمر إخوته بعد ذلك حتى استولوا على فارس وكرمان وخراسان وبعض العراق وخوزستان، (١١) ومدينة الطاق على مرحلة من زرنج وتكون على ظهر الجائى من سجستان الى خراسان وهى مدينة صغيرة ولها رستاق وبها كروم وأعناب كثيرة يتسع بها أهل سجستان، ومدينة خواش من قرنين على مرحلة عن يسار الذاهب الى بست وبينها وبين الطريق نحو نصف فرسخ وهى أكبر من قرنين «١٧» وبها نخيل وأشجار ولها وللقرنين «٢٠» مياه جارية وقنى من تحت الأرض كثيرة، وفره «١٨» مدينة أكبر من هذه المدن ولها رستاق يشتمل على نحو ستين قرية وبها نخيل وفواكه وزروع وعليها نهر فره وأبنيتها طين وهى أرض سهلة، وجزه متصلة بعمل فره عن يمين الذاهب من سجستان الى خراسان على نحو مرحلة وهى ناحية مائية صغيرة نحو القرنين ولها قرى ورساتيق وهى خصبة وماؤهم من قنى لهم وأبنيتهم أيضا من طين، وسروان مدينة صغيرة نحو القرنين إلا أنها أعمر وأكثر [أهلا] «٢٣» وبها." (٢)

---

(١) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ٩٦/٦

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ٤٢٠/٢

"كيزكانان سورة قصدار وللمنصورة ديبل زندرايج كدر مايل تنبلى [١] نيرون قالرى انرى بلرى المسواهى البهراج بانية منجابرى الرور سوبارة كيناس صيمور لزبيد معقر كدرة مهجم مور عطنة الشرجة غلافقة مخا الحردة الجريب [٢] اللسعة شرمة العشيرة رنقة الخصوف الساعد الجردة الحمضة، وناحية عثر مدنها بيش الجريب [٣] حلى السرين ولصنعاء صعدة نجران جرش العرف ٥ جبلان الجند ذمار نسفان يحصب السحول [٤] المذيخرة خولان ولمكة منى أمج الجحفة الفرع جبلة مهايع حاذة الطائف بلدة [٥] ، وناحية يثرب لها بدر الجار ينبع العشيرة الحوراء المروة سقيا يزيد خيبر، وناحية قرح قصبتها وادي القرى ومدنها الحجر العونيد بدا يعقوب ضبة النبك ولصحار نزوة السر ضنك حفيت دبا سلوت جلفار سمد لسيا ملح، وناحية مهرة [؟] مدنها ١٠ الشحر....... [٦] ، وناحية الأحقاف مدينتها حضرموت وناحية سبا وناحية اليمامة وللاحساء الزرقاء سابون أوال العقير وللبصرة الأبلة نهر الدير مطارا [٧] مذار نهر زبان بدران بيان نهر الأمير نهر القديم عبادان ابو الخصيب نهر دبا **المطوعة** القندل المفتح الجعفرية وللكوفة حمام عمر الجامعين سورا النيل القادسية عين التمر ولبغداد بردان النهروان ١٥ كارة الدسكرة طراستان هارونية جلولا باجسرى باقبة بوهرز كلواذى [٨] درزيجان المدائن أسبانبر [٩] كيل [؟] سيب دير العاقول النعمانية جبل عبرتا بابل قصر هبيرة عبدس بهروى [١٠] ولواسط فم الصلح نهر سابس درمكان باذبين قراقبة سيادة السكر قرقوب الطيب [١١] لهبان البسامية اودسة، وناحية البطائح مدينتها الصليق ولها جامدة [١٢] هرار الحدادية الزبيدية ولحلوان خانقين زبوجان [١٣] ٢٠ المرج شلاشان الجامد الحر السيروان بندنيجان [١٤] ولسامراء الكرخ عكبرا الدور

---

[١] . تبتلى B [؟]

pungendumvidetur. [٢] الجرنب B [؟]

B. [٣] الحريب

[٤] . السجول B

[٥] . حدهorruptumvidetur

[6 Lacuna.]

[٧] . مدائن etdeinde مكارا B

[٨] . كلاواد B

[٩] . اسباتينB؟

tractumexنهر أبا [١٠]- Fort.con.

[١١] . قرقوت الطيبB

.fortel [١٢] هرار.Pro حامدة B. (Tab.III ,1835 ,5) هزاردر

[١٣] . رتوحانB؟

[١٤] . ولسامرى.Deinde بنديجان B؟." (١)

"وقد جعلناه [١] ست كوز وناحية وكانت الكور في القديم غير هذه الا حلوان ولكنا ابدا نجري الأمر على ما عليه الناس [٢] وادخلنا الكور القديمة والقصبات في الأجناد واسم هذه الكور والقصبات واحد فاولها من قبل ديار العرب الكوفة ثم البصرة ثم واسط ثم بغداد [٣] ثم حلوان ثم سامرا فاما ٥ الكوفة فمن مدنها حمام ابن عمر [٤] الجامعين سورا [٥] النيل القادسية [٦] عين التمر واما البصرة فمن مدنها الأبلة شق عثمان [٧] زبان بدران بيان نهر الملك دبا نهر الأمير ابو الخصيب [٨] سليمانان عبادان المطوعة والقندل [٩] المفتح الجعفرية واما واسط فمن مدنها فم الصلح در مكان [١٠] قراقبة سيادة باذبين [١١] السكر الطيب قرقوب قرية الرمل نهر تيري [١٢] لهبان بسامية [١٣] ١٠ اودسة [١٤] واما بغداد فمن مدنها النهروان بردان كارة [١٥] الدسكرة طراستان [١٦]

---

[١] . جعلنا العراقC

[٢] فان قيل لم Apud.Com uh:ncinmarg.legitur المؤلف قد ترك بعض البلاد من هذا الإقليم مثل الحلة الجواب لم تكن في.nditorHillaefuit زمانه عمرت وانما عمرت بعده عمرها مزيد بن زبيد (vid.Karabacek -MazjadI -daulaCadakaal .Saifad ,p.78) Mazjaditen (sic zurGeschichteder ,)

[3 .tinterdumquoqueC سامرى.MoxB بغداذ Csemper

(4 i.e.Omar reveralegitur) ,15 utsuprap.53 جماح عمر.differrevidetura عمرو.l Chabeth. (BeladhorI 281 paen.) ibnSa dibnabIWaqqac.

[٥] . سواB

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٥٣

[٦] . الجامعين trepetitoinsuper عين التمر.Deindeom.المقاسيهB

[٧] . نهر ربان ١٣ بن.Suprap.53 زبانCom.DeindeC؟

[٨] بن نهر ابى الخصيب exstat.Pro نهر دبا supra دباutpro, .3 af, Beladh.362

[9 etsupra] والفندله ،B et vidQuoquep.371 القندل.363 BeladhorI القندل ؛Jaqut الفنداه ،C العندل؟

. (الفتح Supra الفتحTabarIIndie.DeindeB

[10. Vocales] حرمكانequenSupraB.tisinBsupra

. [11] فاذ ،upraBS [؟] باذنبرBetC

C. [١٢] لهبار (utsupr 1) .s لهيارom.DeindeB

C، [١٣] السامية ،supra يساميه ،B ,Ibnal -AthIrIX بسامى ١٧ بن ١٩٥٨ بن ،Tab.III بسامتى ١١ بن ٥٧٤ بن.JaqutII بسامنه. بشامنى ١٢٨

[١٤] . ودسنهBh.l; CSicBsupraet.

CetBsupra، [١٥] كلدهutrecepi.B

ietsichabetIbnal -AthIr، [١٦] طرستان B." (١)

"وخير لام كبيرة بها جامع حسن في الأسواق وبشبشان كبيرة وللجامع باب يشرع الى الميدان وأشتيقان [١] صغيرة الجامع [٢] في الأسواق وأوزكند [٣] على بابها نهر يخاض ليس له جسر يحيط بربضها حائط ومدينتها عامرة فيها الأسواق والجامع والقهندز والماء يدخل [٤] الى الجميع ولها اربعة أبواب ولا اعلم في مدن هذه الكورة [٥] قهندزا غيره وأوش كثيرة الأنهار لها [٦] فضائل وهي رحبة منعمة جامعها وسط الأسواق قريبة [٧] من الجبل كثيرة الخير واسعة المياه وبها رباط عظيم يقصده المطوعة من كل جانب وقبا هي ارحب وأوسع وأطيب وانزه واعجب من القصبة وقد كان يجب في القياس ان تكون هي القصبة لكن لما كان التعارف عندنا مقدما على القياس عدلنا عنه لذلك [٨] وهي مدينة وسطها ميدان وجامعها [٩] في الأسواق وقد قالت الحكماء فرغانة قبا، وما سواها حشيش وما،، وبرنك [١٠] صغيرة جامعها ظاهر البلد تلقاء [١١] سمرقند ومرغينان صغيرة أيضا وجامعها ناء عن الأسواق على بابه نهر ورشتان كبيرة للجامع باب في الأسواق وآخر في الميدان ووانكث مثلها [١٢] وبكند [١٣] نهر يجرى

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/١١٤

وسط الأسواق وعد علي لهذه الكورة أربعون مدينة [١٤] خجندة مدينة نزيهة ليس بهذا الجانب أطيب منها وسطها نهر جار [١٥] والجبل متصل بها [١٦] وهي راس الحد وقد مدحها العقلاء ونعتها الشعراء [١٧] أسبيجاب قصبة خطيرة لها ربض ومدينة عامرة بها التيمات وسوق الكرابيس والجامع بأربعة أبواب على كل باب رباط [١٨] باب نوجكت باب فرخان [١٩]

---

[١] . واشبيقانC

[٢] . والجامعC

[٣] . اوزجندMarg.B

[٤] . ويدخل الماءC

[٥] . قهندز.DeindeB الناحيةC

[٦] . كبيرة من الأمهات ولهاC

[٧] . وقريبةC

[٨] . ولكن تركنا للتعارفC

[٩] . وجامعC

[١٠] . وبرند C، وبربكB

[١١] . نحوC

[١٢] . (وريسان- الجامع- وانكثC) HaecinBdesunt

[١٣] . لهاCmaleaddit

(.nde Cadditcopu dendaet, lam omi [14] ttendaأربعين .iusdifferuntcodd.Com. (B

[١٥] . يقابله المنازلCadd.

[١٦] . نزهة حسنةCadd.

[١٧] . وفيها اختلافCadd.

[١٨] باب.DeindeBom.من أبواب المدينة.) Cadd.نوحكت (C نوجكت

[١٩] . فرجان et فرخان ؛inBoptiointer فرخار C." (١)

"آذربيجان فإنها كورة اختطها [١] اذرباذ بن بيوراسف بن الأسود بن سام بن نوح عم قصبتها وهي مصر الإقليم أردبيل [٢] بها جبل مساحته مائة وأربعون فرسخا كله قرى ومزارع يقال ان به سبعين [٣] لسانا كثرة خيرات أردبيل [٤] منه أكثر [٥] بيوتهم تحت الأرض [٦] ومن مدنها رسبة [٧] تبريز جابروان خونج الميانج السراة بروى [٨] ورثان موقان ميمذ [٩] برزند فان زعم زاعم ان بدليس من إقليم أقور واستدل بأنها [١٠] كانت في ولايات [١١] بنى حمدان أجيب [١٢] بانه لما ادعاها أهل الإقليمين [١٣] جعلناها من هذا لانا وجدنا لها نظيرا في الاسم وهي تفليس واما الولايات فليست حجة في هذا الباب الا ترى ان سيف الدولة كانت له قنسرين والرقة ولم يقل أحد [١٤] ان الرقة من الشام برذعة قصبة كبيرة مربعة، في سهلة [١٥] لها حصن وسعه [١٦] ،، أسواقها قد ظللت مجتمعه، على ظهر السوق [١٧] مسجد الجامع هي بغداد هذا الإقليم دورهم بهية من آجر وجص طيبة حسنة كثيرة الفواكه بعض أساطين الجامع بجص وآجر وبعض بخشب ولها نهر يتخللها ونهر الكر منها على فرسخين الأنهار متقاربة منها نفيسة غير ان اطرافها قد خربت وقد خفت من أهلها وتشعث حصنها [١٨] تفليس حصينة بقرب الجبال يخرقها نهر الكر وهي

---

[١] . (بن الأسود.؟ etom بيوراست (C؟ اذرباد بن بردموداسف.DeindeB [؟] أنشأهاC

[٢] . أردبيل وهو مصر الإقليمC

[٣] . سبعونBetC

[٤] . هذا المصرC

[5] .Bom]

[٦] . أسرابC

[7] .eprovinciaeiacet]

[٨] . نوى ٦ بن383 Infra

[٩] . ميمند) C، ميمند (aut سمند، supra بيمدB [؟]

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٢٧٢

[١٠] . انهاc

[١١] . ولايتc

[١٢] . أجيبهc؟

[١٣] . الإقليمc

[Com. [14

[١٥] . وطاءc

[١٦] . أسواق et واسعةc

[١٧] . بظهرهاc

[١٨] للجمعة،، بأساطين قد جصصت c مرتفعة، وبعضها من خشب ملتمعه،، ولها نهر خلال كل قارعة، يجرى الى وجوه أربعة،، كثيرة الأخيار **والمطوءة**، والفواكه الجيدة الموسعة،، هي بغداذ الرحاب فأجمعه، دور بهية ورحب ودعه،، ورخص دائم ولا بها مبتدعه، والكر منها على بريد موضعه،، فهي بين نهرين والبحيرة الملمعة، فيا لها من بلد ظريفة نظيفة منوعه،، لولا عيب ان أردت فاسمعه، قد خربت اطرافها كبيلعه،، وخف أهلها والسلطان مبلعه، مجهولة نائية (ناتئه (cod.بعيدة متضعه (قنصعه (cod.ب ob وقليل فقههم لحنبل." (١)

"وخمسة وثلاثين ألف مرتزق سوى الأتباع وسوى **المطوعة** ومن لا ديوان له. ووجه داود بن عيسى بن موسى سائحا فى أرض الروم فى سبعين ألفا، وأخرب هارون الرشيد هرقلة وسبى أهلها بعد مقام ثلاثين يوما عليها، وولى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام [٥٩٢] إلى مصر فبلغ حميد قبرس، فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفا فأقدمهم الرافقة فتولى بيعهم أبو البختري [١] القاضي، فبلغ أسقف قبرس ألفي دينار، وبعث نقفور إلى الرشيد بالخراج والجزية عن رأسه وولى عهده وبطارقته وأهل بلده خمسين ألف دينار، منها عن رأسه أربعة دنانير، وعن رأس ابنه دينارين، وعن الباقين على حسب مراتبهم.

كتاب نقفور لهارون فى جارية من سبى هرقلة

وكتب نقفور مع بطريق من بطارقته فى جارية من سبى هرقلة كتابا نسخته:

- «لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم، سلام عليك، أما بعد، أيها الملك، إن لى إليك حاجة لا تضرك فى دينك ولا دنياك، هينة يسيرة أن تهب لابني جارية من بنات أهل هرقلة قد كنت

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣٧٥

خطبتها على ابني، فإن رأيت أن تسعفنى بحاجتي فعلت، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.» واستهداه طيبا وسرادقا من سرادقاته.

فأمر الرشيد بطلب الجارية فأحضرت وزينت وأجلست على فراش فى

---

[١] . كذا فى الأصل وآ والطبري (١١: ٧٠٩) : ابو البختري. وفى مط: البختري.." (١)

"نكير **المطوعة** على الفساق ببغداد

وفى هذه السنة تجردت **المطوعة** للنكير على الفساق ببغداد ورئيسهم خالد الدريوش [١] وسهل بن سلامة الأنصارى من أهل خراسان.

ذكر السبب الذي فعلت **المطوعة** له ذلك

كان فساق الحربية والشطار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس أذى شديدا وأظهروا الفسق وقطع الطريق وأخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق.

فكانوا يأتون الرجل فيأخذون ابنه فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يسألون الرجل أن يقرضهم أو يصلهم، فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى فيكابرون أهلها ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغيره لا سلطان [١٤٨] يمنعهم، ولا يقدر على ذلك منهم، لأن السلطان كان يعتز بهم فكان لا يقدر أن يمنعهم من فسق يركبونه، وكانوا يجبون المارة فى الطرق والسفن، ويخفرون البساتين، وكان الناس منهم فى بلاء عظيم. وخرجوا يوما إلى قطربل [٢] ، فانتهبوه ا علانية وأخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك، فأدخلوها بغداد وجعلوا يبيعونها علانية.

فلما رأى الناس ذلك وظهور البغي والفسق والنهب، وأن السلطان لا يغيره، مشى بعضهم إلى بعض وقام صلحاء كل ربض ودرب، فمشى بينهم أماثلهم وقالوا:

---

[١] . انظر الطبري (١١: ١٠٠٨) .

[٢] . قطربل: قرية بين بغداد والمرزفة، وإليها ينسب الطسوج الذي هي فيه، فيقال: طسوج قطربل. (مراصد الإطلاع)." (٢)

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٣/٥٥٧

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٤/١٢٨

"من أصحابه عدة ومن أصحاب بابك عدة من الفرسان مع فرسان ليس بينهم رجالة، فرجع الأفشين حتى طرح الكرسى له على النطع فى موضعه الذي كان يجلس فيه وهو يتلظى [١] على جعفر ويقول:

– «قد أفسد تعبئتي وما أريد.» وكان مع أبى دلف فى كردوسه قوم من **المطوعة** من البصرة وغيرها. فلما ارتفعت الضجة ونظروا إلى جعفر يحارب [٢٢٥] انحدر أولئك **المطوعة** بغير أمر الأفشين وعبروا إلى الجانب الآخر من الوادي حتى صاروا إلى حائط البذ فتعلقوا به وأثروا فيه آثارا، وكادوا يصعدونه فيدخلون البذ.

ووجه جعفر إلى الأفشين أن:

– «أمدنى بخمسمائة راجل من الناشبة، فإنى أدخل البذ إن شاء الله، فقد عرفت القوم وعلمت مأتاهم.»

فبعث إليه الأفشين:

– «قد أفسدت على أمرى كله، فتخلص قليلا وخلص أصحابك وانصرف.» وارتفعت الضجة من جهة **المطوعة** حتى تعلقوا بالبذ وظن الكمناء من أصحاب بابك أنها الحرب قد اشتبكت، فنعروا ووثبوا من تحت عسكر بخاراخذاه، ووثب آخرون وراء الركوة التي كان الأفشين عليها يقعد، فتحركت الخرمية والناس وقوف على رؤوسهم لم يزل منهم أحد. فقال الأفشين:

– «الحمد لله الذي بين لنا مواضع هؤلاء.» ثم انصرف جعفر وأصحابه **والمطوعة**، فجاء جعفر فقال للأفشين:

---

[١] . ما فى آبغير إعجام.." (١)

"– «إنما وجهنى أمير المؤمنين للحرب التي ترى لا للقعود هاهنا، وأراك تقعد بى فى أوقات حاجاتي. قد كان يكفيني خمسمائة رجل حتى أدخل البذ [١] أو جوف داره لأنى قد رأيت من بين [٢٢٦] يدى.»

فقال الأفشين:

– «لا تنظر إلى من بين يديك ولكن انظر إلى من خلفك وما قد وثبوا ببخاراخذاه وأصحابه.» فذهب جعفر يتكلم، فقال له الفضل بن كاوس:

– «لو كان الأمر إليك ما كنت تصعد إلى هذا الموضع الذي أنت عليه واقف حتى تقول كنت [٢] .»

قال له جعفر:

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ١٩٩/٤

- «هذه الحرب وها أنا [٣] واقف لمن جاء.» فقال له الفضل:

- «لولا مجلس الأمير لعرفتك نفسك الساعة.» فصاح بهما الأفشين فأمسكا وأمر أبا دلف أن يرد **المطوعة** عن السور.

فقال أبو دلف للمطوعة:

- «انصرفوا.» فجاء رجل منهم ومعه صخرة فقال:

- «أتردنا وهذا الحجر من السور أخذته؟ ولو أخذ معى كل واحد مثله لأزلنا السور عن موضعه.» فقال له:

---

[١] . فى آ: «النداة جوف داره» بدل «البذ» ، أو جوف داره.

[٢] . كنت: كذا فى الأصل وآ ومط. فى الطبري (١١: ١٢٠٧) : كنت وكنت.

[٣] . كذا فى آومط: أنا والضبط فى الأصل والطبري (١١: ١٢٠٧) هانا (بحذف الهمزة للتخفيف) .."
(١)

"- «إذا انصرفت الساعة تدرى على من طريقك» - يعنى العسكر الذي وثب على بخاراخذاه من ورائه.

ثم قال الأفشين لأبى سعيد فى وجه جعفر:

- «أحسن الله جزاءك عن نفسك وعن أمير المؤمنين. ليس كل من خف رأسه فيقول، يفي بما يقول. [١] إن الوقوف فى الموضع الذي نحتاج إليه خير من المحاربة فى الموضع الذي لا نحتاج إليه. لو وثب هؤلاء الذين تحتك- وأشار إلى الكمين- كنت تدرى هؤلاء **المطوعة** الذين هم فى القمص [٢٢٧] أى شيء كان يكون حالهم، فالحمد لله الذي سلمهم، قف ها هنا فلا تبرح حتى لا يبقى هاهنا أحد.» وانصرف الأفشين وكان من سنته أن ينصرف على تعبئة كردوس بعد كردوس ويكون آخرهم. وأقام الأفشين فى خندقه بروذ الروذ أياما. فشكا إليه **المطوعة** الضيق فى العلوفة والزاد، فقال لهم:

- «من صبر فليصبر ومن لم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام، فإن معى من جند أمير المؤمنين ومن هو فى أرزاقه من يقيم معى فى الحر والبرد، ولست أبرح من هاهنا حتى يسقط الثلج.» فانصرف **المطوعة** وهم يقولون:

- «لو ترك الأفشين جعفرا وتركنا لأخذنا البذ، ولكنه يشتهى المماطلة.»

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٤/٢٠٠

أفشين والرؤيا التي رءاها بعض **المطوعة**

فبلغه ذلك وما أكثر فيه **المطوعة** وتناولوه بألسنتهم حتى قال بعضهم:

---

[١] . فيقول، يفي بما يقول: كذا فى الأصل، وهو التصحيح. فى مط: فيقول: ولا يفي بما يقول. فى آ: يقول، بقي بما يقول. والعبارة فى الطبري (١١: ١٢٠٨) : «ليس كل من خف رأسه يقول: إن الوقوف ... ». " (١)

"- «رأيت فى المنام رسول الله صلى الله عليه فقال لى: قل للأفشين إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت فى أمره، وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة.» فتحدث الناس بذلك فى العسكر حتى صار جل حديثهم به علانية كأنه مستور.

فبعث الأفشين إلى رؤساء **المطوعة** فأحضرهم وقال لهم:

- «أحب أن تروني هذا الرجل.» فأتوه به، فانحشر [٢٢٨] معه الناس فقربه وأدناه ثم قال:

- «قص على رؤياك ولا تحتشم. فإنك إنما تؤدى.» قال: «رأيت كذا وكذا.» فقال: «الله يعلم بنيتى وما أريده للمسلمين وبهؤلاء الخلق، وإن الله عز وجل لو أراد أن يأمر الجبال برجم أحد لرجم الكافر وكفانا مؤونته، فكيف يرجمنى حتى أكفيه مؤونته، كان يرجمه ولا يحتاج أن أقاتله، وأنا أعلم أن الله مطلع على قلبي وما أريد بكم يا مساكين.» فقال رجل من **المطوعة** من الوجوه:

- «أيها الأمير، لا تحرمنا شهادة إن حضرت [١] ، فإنما قصدنا ثواب الله ووجهه، ولو أردنا الحياة لقعدنا فى منازلنا، فدعنا وحدنا حتى نتقدم بعد أن يكون بأذنك، فلعل الله أن يفتح علينا.» فقال الأفشين:

- «أرى نياتكم حاضرة، وأحسب هذا الأمر يريده الله، وقد نشطتم ونشط أصحابى وقد حدث لى الساعة رأى فى ذلك وهو خير إن شاء الله، اعزموا

---

[١] . كذا فى الأصل. ما فى الطبري (١١: ١٢١٠) : إن كانت قد حضرت.." (٢)

"على بركة الله أى يوم شئتم حتى نناهضه، لا حول ولا قوة إلا بالله.» فخرج القوم مستبشرين، فمن كان أراد الانصراف أقام ومن كان خرج ثم سمع بذلك رجع.

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢٠١/٤

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢٠٢/٤

ووعد الناس ليوم، وتقدم إلى الناس بأخذ الأهبة ثم خرج [٢٢٩] وأخرج المحامل على البغال لمن لعله يجرح، وأخرج المتطببين، وزحف الناس، حتى صعد إلى المكان الذي كان يجلس فيه وطرح له النطع ووضع عليه الكرسى كما كان يفعل وقال لأبى دلف:

- «قل لأصحابك أى ناحية هي أسهل عليهم فليقتصروا عليها.» وقال لجعفر:

- «العسكر كله بين يديك والناشبة والنفاطون أمامك، فخذ حاجتك واعزم على بركة الله، ادن من أى موضع شئت.» قال: «أريد أن أقصد الموضع الذي كنت عليه.» قال: «امض.» ثم دعا أبا سعيد فقال له:

- «قف بين يدى أنت وجميع أصحابك ولا يبرحن منكم أحد.» ودعا أحمد بن الخليل فقال له:

- «قف أنت أيضا وجميع أصحابك ها هنا ودعوا جعفرا يعبر ومن معه من الرجال، فإن أراد رجالا وفرسانا أمددناه.»

توجه أبى دلف نحو حائط البذ

فتوجه أبو دلف مع **المطوعة** نحو حائط البذ وعلقوا بالحائط على حسب ما كانوا فعلوا ذلك اليوم وحمل جعفر حملة حتى ضرب باب البذ كما فعل تلك الدفعة ووقف على الباب وواقفه الخرمية ساعة، فوجه الأفشين برجل." (١)

"معه بدرة دنانير وقال:

- «قل لأصحاب جعفر: من تقدم حثوت له ملء كفى.» ودفع بدرة [٢٣٠] أخرى دنانير إلى آخر، وقال:

- «اذهب إلى موضع **المطوعة** وقل مثل ذلك.» وبعث بأطواق وأسورة مع البدرتين، واشتبكت الحرب، ثم فتح الخرمية الباب وخرجوا على أصحاب جعفر فنحوهم عن الباب وشدوا على **المطوعة** من الناحية الأخرى فرموهم عن السور، وأخذوا علمين لهم وشدخوهم بالصخر حتى أثروا فيهم ورقوا عن الحرب. وصاح جعفر بأصحابه فبدر منهم نحو مائة رجل فبركوا [١] خلف تراسهم التي كانت معهم وواقفوهم متحاجزين لا هؤلاء يقدمون ولا هؤلاء، حتى صلى الناس الظهر يختلف بينهم النشاب والحجارة.

فلما نظر الأفشين إلى ذلك كره أن يطمع العدو فى الناس، فوجه إلى جعفر بكردوس فقال جعفر:

- «لست أوتى من قلة الرجال، معى رجال ولكن لست أرى للحرب موضعا وقد انقطعت الحرب.» فبعث إليه:

- «انصرف على بركة الله.» فانصرف جعفر وتقدم الأفشين بحمل الجرحى ومن به وهن من الحجارة فى

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢٠٣/٤

المحامل التي على البغال وأمر الناس بالانصراف فانصرفوا إلى خندقهم بروذ الروذ ويئس الناس من الفتح فى تلك السنة وانصرف [٢٣١] أكثر المطوعة.

---

[١] . فبركوا: كذا فى الأصل والطبري (١١: ١٢١٣) . فى آ: مائة راجل فنزلوا.." (١)

"وركبوا أعلامهم وانحدروا على أصحاب آذين وحمل جعفر الخياط وأصحابه حتى صعدوا إليهم ثم حملوا حملة منكرة، قلبوه [١] وأصحابه فى الوادي.

وكان آذين قد هيأ فوق الجبل عجلا عليها صخرة. فلما حمل الناس دفع العجل على الناس، فأفرج الناس عنها حتى تدحرجت ثم حمل الناس من كل وجه.

بابك يريد الأمان

فلما نظر الناس إلى ذلك كبروا ونظر بابك إلى أصحابه قد أحدق بهم، فخرج من طرف البذ من باب يلي الأفشين يكون بين هذا الباب وبين التل الذي عليه الأفشين قدر ميل، فأقبل بابك يسأل عن الأفشين فقال لهم المطوعة وأصحاب أبى دلف:

- «من هذا؟» فقالوا: «بابك، يريد الأفشين.» فأرسل أبو دلف إلى الأفشين يعلمه ذلك. فأرسل الأفشين رجلا يعرف بابك. فنظر إليه، ثم عاد إليه فقال:

- «نعم هو بابك.» فركب إليه الأفشين، فدنا منه حيث يسمع كلامه وكلام أصحابه، والحرب مشتبكة [٢٣٣] فى ناحية آذين، فقال له:

- «أريد الأمان من أمير المؤمنين.» فقال له الأفشين:

- «قد عرضت عليك هذا وهو لك مبذول متى شئت.»

---

[١] . قلبوه: كذا فى مط والطبري (١١: ١٢١٦) . ما فى آمهمل.." (٢)

"محاربة البجة وكتب إلى عنبسة بن إسحاق الضبى العامل على حرب مصر بإعطائه جميع ما يحتاج إليه من الجند والشاكرية بمصر. فأزاح عنبسة علته فى ذلك، وخرج إليه من جميع ما اقترحه عليه، وانضم إليه جميع من كان يعمل فى المعادن وقوم كثير من المطوعة، وكانت عدة من معه نحوا من عشرين ألف

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢٠٤/٤

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢٠٦/٤

إنسان بين فارس وراجل، ووجه إلى القلزم فحمل فى البحر سبعة مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير، وأمر قوما من سبعة مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير، وأمر قوما من أصحابه أن يلجحوا بها فى البحر حتى يوافوه فى سواحل البحر [٣٣٧] من أرض البجة.

ولم يزل محمد بن عبد الله القمى يسير فى أرض البجة حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها وصار إلى حصونهم وقلاعهم، وخرج إليه ملكهم واسمه: على بابا، وله إبن يسمى بغسى [١] فى جيش كثير وعدد أضعاف من كان مع القمى وكانت البجة على إبلهم ومعهم الحراب وإبلهم فره تشبه المهارى فى النجابة.

فجعلوا يلتقون أياما متوالية فيتناوشون ولا يصححون القتال.

وجعل ملك البجة يتطارد للقمى ويطول الأيام طمعا فى نفاد الأزواد والعلوفة التي معهم فلا يكون لهم قوة، فتأخذهم البجة بالأيدى. فلما توهم عظيم البجة أن الأزواد قد نفدت أقبلت المراكب السبعة التي حملها القمى حتى خرجت إلى ساحل من سواحل البحر فى موضع يعرف بصنجة فوجه القمى إلى ما هناك من أصحابه يحمون المراكب من البجة وفرق ما كان فيها على أصحابه فاتسعوا فى الزاد والعلوفة.

فلما رأى ذلك على بابا رئيس البجة قصد لمحاربتهم وجمع لهم. فالتقوا

---

[١] . كذا فى الأصل: بغسى. فى تد (٥٥٠) : بغشى. وفى الطبري (١١: ١٤٣١) : لعيس.." (١)

"أبو هلال على دابة عربى [١] وحالت ظلمة الليل بينهم. فلما أصبح أمر بتتبعهم ففعلوا وجاءوا بأسرى ورؤوس، فقتل الأسرى كلهم.

وكانت له وقعة أخرى بعد هذه الوقعة شبيهة بهذه ظفر فيها بأصحاب السلطان وكانت له وقعات عظام تركنا ذكرها لأننا لم نجد فيها غير إقدام الزنج بجهلهم وطمعهم وسوء ثبات [٢] الجند لهم وأنهم تهيبوهم فكانوا كالجزارين يقعون فى الغنم فيقتلون كيف شاءوا ومثل هذه الحروب لا يستفاد منها تجربة، فلذلك أعرضت عن ذكرها إلى أن أضعف أهل البصرة فلم يبق فيهم من يخرج إليه وقتل أصحاب السلطان فتهيبه الناس.

أشد يوم لقيه صاحب الزنج

فحكى صاحب الزنج أنه لم يلق يوما أشد من يوم الشذاة وهو يوم استشد له أهل البصرة فلم يبق فيها سعدى ولا بلالى ولا أحد من أصحاب السلطان ولا غيرهم إلا جمعوا له. وكان هناك رجل يعرف بحماد

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٣٠٣/٤

الساجى وكان من غزاة البحر فى الشذوات وله علم بالحروب فيها، فجمع فى شذاءاته المطوعة ورماة الأهداف ولم يبق بالبصرة من يحمل [٤٥٧] السلاح إلا خرج. إما فى الشذاءات وإما على الظهر، وانضم إليه النظارة ومن لا سلاح معه ولم يشكوا فى اصطلام صاحب الزنج وأصحابه، فدخلت الشذاءات والسفن التي معها النهر المعروف بأم حبيب، ومرت الرجالة والنظارة على شاطئ النهر وقد سدوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفا وكثرة. فقال بعد ذلك صاحب الزنج:

«إني لما رأيت ذلك الجمع عانيت أمرا هائلا وراعني ذلك وملأ صدري

---

[١] . فى الطبري (١٢: ١٧٦٦) : عرى.

[٢] . كذا فى مط: ثبات.." (١)

"ورود الخبر بهروب وصيف

وفيها ورد الخبر على المعتضد بأن وصيفا خادم ابن أبى الساج هرب من برذعة [١] ومضى إلى ملطية مراغما لمحمد بن أبى الساج فى أصحابه. وكتب إلى المعتضد يسأله أن يوليه الثغور ليقوم بها فكتب المعتضد إليه: يأمره أن يصير إليه، فتباطأ، وكان رسله بحضرة المعتضد.

فذكر أن المعتضد أمر بتقرير الرسل ليخبروه عن السبب الذي من أجله فارق وصيف صاحبه ابن أبى الساج وقصد الثغور فأقروا بالضرب.

وذكروا أنه فارقه على مواطأة بينه وبين صاحبه على أنه إذا استقر فى موضعه الذي هو به لحق به صاحبه فصارا جميعا الى مصر وتغلبا عليها، وشاع ذلك فى الناس وتحدثوا به.

وفيها ولى حامد بن العباس أعمال فارس الخراج والضياع، وكانت فى يد العباس بن عمرو الغنوي.

خروج العباس بن عمرو الغنوي

وفيها خرج العباس بن عمرو الغنوي [١٢] عن البصرة بمن ضم إليه من الجند مع من خف معه من مطوعة البصرة نحو أبى سعيد الجنابى، فلقيتهم طلائع أبى سعيد، فخلف العباس سواده وسار نحوهم، فلقى أبا سعيد وأصحابه مساء، فتناوشوا ثم حجز الليل بينهم، فانصرف كل فريق منهم إلى موضعهم.

فلما كان الليل انصرف من كان مع العباس من الأعراب والمطوعة وأصبح

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٤/٤٠٥

[١] . فى مط: بردعة (بالدال المهملة) .." (١)

"فخرج إليهم الموكلون بالباب فوجدوا فارسين قد نزل أحدهما عند الميل، فنظر إليه البوابون جالسا متكئا قد وضع إحدى رجليه على الأخرى والآخر بإزائهم فصاحوا به، وبدر إليه رجل من الخول، فطعنه القرمطى وقتله وتراجعوا، فبكى أخوه فقالوا له:

– «ارجع فجر برجله وخذه لعنكما الله.» قالوا: «ومن أنتما؟» قالوا: «نحن المؤمنون.» ثم تنحى فحبا حتى أخذ أخاه ودخلوا فأغلقوا الباب، وركب ابن كنداجيق بمن معه من الجيش حتى صار إلى الموضع فنظر الديذبان عند صهاريج الحجاج إليهم فقالوا:

– «إنهم نحو ثلاثين فارسا.» فخرج إليهم عطارد ابن شهاب العنبري وخواصه وغلمان من شحنة البصرة والمطوعة، فقتل أكثرهم ولم ينج منهم إلا من هرب قبل المعاينة، وسلبوهم ولم يتركوا عليهم شيئا إلا السراويلات بغير تكك ثم ضربوهم ضربات قبيحة ورجع ابن كنداجيق وغلق الباب وجنة الليل.

فلما أصبح لم ير منهم أحدا، فكتب إلى ابن الفرات- وكان هو الوزير فى الوقت- يستنجده، فأمده بمحمد بن عبد الله الفارقي فى جيش كثيف وقائد من الرجال يعرف بقورويه، وجعفر الزرنجى فى نفر من الرجالة معونة لابن كنداجيق.

على بن عيسى الوزير والقرامطة

فلما تقلد أبو الحسن [١٠١] على بن عيسى الوزارة شاوره المقتدر فى أمر القرامطة فأشار بمكاتبة أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى، فتقدم إليه." (٢)

"وقصدوا برذعة وملكوها وسبوا أهلها. [١٠٠]

شرح أخبار الروسية وما آل إليه أمرهم

هؤلاء أمة عظيمة لهم خلق عظام ولهم بأس شديد لا يعرفون الهزيمة ولا يولى الرجل منهم حتى يقتل أو يقتل. ومن عادة الواحد منهم أن يحمل آلة السلاح ويعلق على نفسه أكثر آلات الصناع من الفاس والمنشار والمطرقة وما أشبهها ويقاتل بالحربة والترس ويتقلد السيف ويعلق عليه عمودا وآلة كالدشنى ويقاتلون رجالة لا سيما هؤلاء الواردين.

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٥/١١

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٥/٨٨

وذلك انهم ركبوا البحر الذي يلي بلادهم وقطعوه الى نهر عظيم يعرف بالكر [١] يحمل من جبال آذربيجان وأرمينية ويصب الى البحر وهو نهر برذعة الذي يشبهونه بدجلة. فلما وصلوا إلى الكر توجه إليهم صاحب المرزبان [٢] وخليفته على برذعة وكان معه ثلاثمائة رجل من الديلم ونحو من عددهم صعاليك وأكراد واستنفر العامة فخرج معه من **المطوعة** نحو خمسة آلاف رجل لجهاد هؤلاء وكانوا مغترين لا يعرفون شدتهم وحسبوا أنهم يجرون مجرى الأرمن والروم.

فلما صافوهم الحرب لم تكن إلا ساعة حتى حملت الروسية حملة منكرة فهزموا العسكر وولت **المطوعة** بأسرهم وسائر العسكر إلا الديلم. فإنهم ثبتوا ساعة فقتلوا كلهم [١٠١] إلا من كان بينهم فارسا، واتبعوا الفل الى البلد فهرب كل من كان له مركوب بجملة من الجند والرعية وتركوا البلد فنزلته الروسية وملكوه.

---

[١] . نهر الكر أو نهر الروس يمر على تفليس وينصب بعضه فى بحر الخزر.

[٢] . وفى التكملة هو «المرزبان بن محمد» يعنى ابن محمد بن مسافر (من حواشي مد) .." (١)

"النساء والصبيان ففجروا بهن وبهم واستعبدوهم.

فلما عظمت المصيبة وتسامع المسلمون فى البلدان بخبرهم تنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد عسكره واستنفر الناس وأتاه **المطوعة** من كل ناحية فسار فى ثلاثين ألف رجل فلم يقاوم الروسية مع إجماع هذه العدة ولا أمكنه أن يؤثر فيهم أثرا فكان يغاديهم القتال ويراوحه وينقلب عنهم مفلولا واتصلت الحرب بينهم على هذه الصورة أياما كثيرة فكانت الدبرة أبدا على المسلمين.

فلما أعيا المسلمين أمرهم ورأى المرزبان الصورة التجأ الى الحيلة والمكيدة واتفق له أن الروسية لما حصلوا بالمراغة تبسطوا فى الفاكهة وهناك أنواع كثيرة منها فمرضوا ووقع فيهم الوباء لأن بلادهم شديدة البرد ولا ينبت فيها شجر وإنما يحمل إليهم الشيء اليسير من البلاد الشاسعة عنهم.

فلما تمحق [١] عددهم وفكر المرزبان فى الحيلة وقع له أن يكمن لهم ليلا وواطأ عسكره [١٠٤] ان يبادروا الحرب فإذا حمل عليهم القوم انهزم هو وانهزموا معه وأطمعهم بذلك فى العسكر والمسلمين فإذا تجاوزوا موضع الكمين عطف المرزبان ورجاله عليهم وصاحوا بالكمين بشعار اتفقوا عليه فإذا حصل الروسية فى الوسط تمكنوا منهم.

فلما أصبحوا على هذه المكيدة تقدم المرزبان وأصحابه وبرز الروسية وأميرهم راكب حمار وخرج رجاله

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٦/٩٤

واصطفوا للحرب فجروا على عادتهم وانهزم المرزبان والمسلمون واتبعهم الروسية حتى تجاوزوا موضع الكمين واستمر الناس على هزيمتهم.

فحكى المرزبان بعد ذلك أنه لما رأى الناس كذلك وصاح بهم واجتهد بهم

---

[١] . كذا فى الأصل وهو المثبت فى مد: فلما تمحق. وفى مط: فلا تمحو. وهو تصحيف.." (١)

"أن يراجعوا الحرب فلم يفعلوا لما تمكن فى قلوبهم من هيبتهم علم أنه ان استمر الناس على هزيمتهم عاد القوم فلم يخف عليهم موضع الكمين فيكون ذلك هلاكهم. قال:

- «فرجعت وحدي مع من تبعني من أخى وخاصتى وغلماني ووضعت فى نفسي الشهادة فحينئذ استحيا أكثر الديلم فرجعوا وكررنا عليهم ونادينا «الكمين» فخرجوا من ورائهم فصدقناهم الحرب وقتلنا منهم سبعمائة نفس فيهم أميرهم وحصل الباقون فى الحصن الذي كانوا فيه من البلد وقد كانوا نقلوا اليه غلات كثيرة [١٠٥] وميرا عظيمة وحصلوا فيه السبي والأموال.» فبينما المرزبان فى منازلتهم وهو لا يقدر لهم على حيلة سوى المصابرة إذ ورد عليه الخبر بدخول أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان آذربيجان وانتهائه الى سلماس واجتماعه مع جعفر بن شكويه الكردي [١] فى جماهير الهداياني [٢] واضطر الى أن خلف على حرب الروسية أحد قواده فى خمسمائة من الديلم وألف وخمسمائة فارس من الأكراد وألفين من المطوعة وسار إلى أوران ولقى أبا عبد الله فاقتتلا قتالا خفيفا وسقطت ثلجة عظيمة واضطرب أصحاب أبى عبد الله لأن معظمهم أعراب وساروا عنه فسار بسيرهم إلى بعض المدن الحصينة فلقيه فى طريقه كتاب من ابن عمه ناصر الدولة يعلمه فيه وفاة توزون بمدينة السلام واستئمان رجاله إليه وأنه قد عمل على الانحدار معهم إلى بغداد ومحاربة معز الدولة لأنه كان دخلها فاستولى عليها بعد إصعاد توزون عنها ويأمره بالتخلية عن أعمال آذربيجان والانكفاء إليه ففعل.

---

[١] . وفى مط: جعفر به سكويه الكرزى.

[٢] . وفى الأصل (الهديانية) والصواب فيما بعد وهم صنف من الأكراد.." (٢)

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٩٧/٦

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٩٨/٦

"على تدبير أمر مونس هذا وجمع كلمة أهل البلد ومن كان فيه من **المطوعة** وحملة السلاح على الثبات والمدافعة. فكاتبه أبو الوفاء ودعاه إلى الطاعة وبذل له الرغائب فأبى إلا العناد. وكان يصعد إلى برج من أبراج السور فينادى العسكر ويسمى القواد [١] وصاحب العسكر ومن يلي أمرهم ويشتمهم ويبالغ فى ذكرهم بالقبيح ويتجاوز ذلك إلى مالا يحسن ذكره فعدل أبو الوفاء عنه إلى مكاتبة شيخ من ميافارقين كان وجهها [٢] ومطاعا فيها يقال له: أبو الحسين أحمد بن عبيد الله.

ذكر الحيلة التي تمت لأبى الوفاء فى فتح ميافارقين

وجد أبو الوفاء لأبي الحسين أحمد بن عبيد الله خارج البلد غلاما كان مقيما فى ضيعة له فراسله به ورفق بالغلام ووصله ثم جعله وليجة إلى صاحبه ولم يزل به حتى استجاب للطاعة فأخذ العهد والميثاق على أهل البلد سرا، فنمى خبره إلى القاضي الذي ذكرناه فسعى فى الفتك به وكاد يتم له ذلك لولا أن أهل البلد حاموا عليه ومنعوا منه ولم يزل أمره يقوى وأهل البلد يجتمعون إليه وقد ملوا الحصار والضيق حتى استظهر بهم.

فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من جمادى الأولى سنة ثمان وستين وثلاثمائة ثاروا مشغبين [٤٩٢] على أصحاب أبى تغلب فالتجأ مونس ومن معه إلى منازلهم وقبض أحمد بن عبيد الله على القاضي ابن أبى إدريس وعلى جميع من كان فى حصن ميافارقين من أصحاب بختيار وحاشيته وفيهم غلام أهوج معروف بالتهور والجهل كان قد داخل بختيار على طريق

---

[١] . فى مط: القود.

[٢] . كذا فى الأصل: وجهها. وفى مط: وجها. والمثبت فى مد: وجيها.." (١)

"١٠٥٧ وهذه المنارة من دخلها تلف «١» فيها إلا أن يكون عالما بها لكثرة بيوتها وحجراتها وطبقاتها «٢» . وذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولم المنارة فتلفوا «٣» فيها، وفيها طرق تؤول إلى مهاو إلى سرطان الزجاج «٤» ومخاريق إلى البحر، فتهوروا «٥» بدوابهم وفقد منهم عدد كبير.

١٠٥٨ وفيها مسجد في هذا الوقت يرابط فيه **المطوعة**. وكان حول المنارة مغاوص «٦» تستخرج منها أنواع جوهر يتخذ منه فصوص الخواتم منها الاسباذجشم والكركهن والباقلمون «٧» ، وهذا الباقلمون «٨»

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٦/٤٣٨

، حجر يتلون في المنظر ألوانا مختلفة كتلون ريش الطاووس «٩» الهندية، فإنها تتلون ألوانا لا تحصى ولا تشبه بلون «١٠» من الألوان لما يترادف من تموج الألوان في ريشها.

ولتلك الطواويس شأن عجيب وخلق عظيم، وما خرج منها من أرض الهند صغر جسمه وكدر لونه كما يفعل ما نقل منها «١١» من النارنج والأترج «١٢» ، فإنها تصغر وتعدم تلك الأرواح «١٣» العطرية لعدم ذلك الهواء والتربة. فمن الناس من رأى أن الإسكندر غرق هذه الأنواع من الجواهر حول المنارة لكي لا تخلو من الناس لأن من شأن الجواهر أن تكون مطلوبة على الأعصار «١٤» .

وقيل إنها كانت آلات شراب الإسكندر، فلما مات كسرتها أمة ورمت بها في تلك المواضع.." (١)

"وفيها ورد الخبر بان اسماعيل بن احمد صاحب خراسان قتله غلمانه على شاطىء نهر بلخ وقام ابنه ابو الحسن نصر (١) مقامه وانفذ اليه الخليفة عهده

وفيها ورد الخبر با خادما صقلابيا لابي سعيد الجنانبي (٢) قتله وخرج فلم يزل يستدعي قائدا قائدا ويقتله حتى قتل جماعة (٣) ففطن به النساء فصحن بالامر فقام ابو طاهر سليمان بن الحسن مقام ابيه

واتى القرامطه في هذه السنة البصرة (٤) في ثلاثين فارسا والناس في صلاة الجمعة فقتلوا الموكلين بالباب ومن خرج اليهم من المطوعة وبلغ الخبر امير البصرة محمد بن اسحاق بن يندايحق (٥) فغلق الابواب (٦)

سنة اثنين وثلاثمائة

ورد فيها كتاب ابي الحسن نصر بن احمد صاحب خراسان بانه واقع عمه اسحاق واسره

وفي هذه السنة خرج مونس الى مصر وضم اليه علي بن عيسى اخاه عبد الرحمن وقلده كتابته وذلك عند سماعهم قرب الخارج بالقيروان وواقعه مونس فانهزم من بين يديه

وهذا الخارج ذكر الصولي عن اصحاب النسب انه عبيد الله بن عبد الله بن سالم من اهل عسكر مكرم وجده سالم قتله المهدي رضوان الله عليه على الزندقة

وانفذ ابا عبد الله الصوفي الى المغرب فارى الناس زهدا وعبادة وطرد زيادة الله ابن عبد الله ابن الاغلب واتاه عبيد الله فقال الى هذا ادعوكم

فلما ظهر عبيد الله شرب الخمر تبرا الصوفي منه فدس عليه عبيد الله من قتله وملك بلاد المغرب فهزمه مونس وتصدق المقتدر بالله عند هزيمته باموال كثيرة." (٢)

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٦٣٤

(٢) تكملة تاريخ الطبري المقدسي، محمد بن عبد الملك ص/١٤

"وكان لابي طاهر اخوان (١) ابو القسم سعيد بن الحسن وابو العباس الفضل بن الحسن وكان امرهم واحدا فكانوا اذا ارادوا حالا خرجوا الى الصحراء واتفقوا على (٢) ما يعملون فاذا انصرفوا تمموا ما عولوا عليه وكان لهم اخ (٣) متشاغلا باللذات لايدخل معهم في امورهم

وفي هذه السنة توفي ابو عبد الله البريدي (٤) بحمى حادة مكثت به سبعة ايام وكان بين قتله لاخيه وبين مؤته ثمانية اشهر

وانتصب ابو الحسين مكان اخيه فاستطال على اصحابه فمضى يانس الى ابي القسم ابن مولات (٥) واخذ منه ثلاثمائة الف دينار ففرقها في الديلم حتى عقدوا له الرئاسة وكبسوا أبا الحسين بمسماران فخرج من تحت ليلته وتنكر ومضى الى الجعفرية ومضى الى الهجري فقبله واقام عنده شهرا وسار معه اخو (٦) ابي طاهر ولم يتمكنوا (١٧٦٩١) من دخول البلد فسفروا بين ابي الحسين وبين عمه في الصلح وسالوه ان يؤمنه فاختار الاصعاد الى بغداد وكان من حالة ما ياتي ذكره

واجتمع لشكرستان (٧) الديلمي ويانس على الايقاع بابي القسم فلما خرج يانس من عند القائد اتبعه بزوبين (٨) في الليل فسلم منه وصار الى خراب فاواه وكان ابو القسم معولا على الهرب حين بلغه ما هما به واستتر لشكرستان حين علم سلامة يانس

وعولج يانس حتى برئ وصادره ابو القسم على مائة الف دينار وتلقاه الى عمان فلما صار في الحديدي قتله غلمان ابي القسم وتمكن ابو القسم من الرئاسة

وخرج في هذه السنة عسكر الروسية الى اذربيجان وفتحوا برذعة وملكوها وسبوا اهلها

فجمع المرزبان بن محمد (٩) عسكره واتته المطوعة حتى صار في مائتي الف رجل فلم يقاومهم وكان اميرهم يركب حمارا." (١)

"الحاكمي وحمل العلاقة وأصحابه إلى مصر فسلخ حيا وصلب بظاهر المنظر بعد أن حشي جلده تبنا وقتل أصحابه. وولي أبو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة ابن حمدان صور وأقام بها وسار جيش بن الصمصامة على مقدمته بدر بن ربيعة لقصد المفرج بن دغفل بن الجراح وطلبه فهرب بين يديه حتى لحق بجبلي طيء وتبعه حتى كاد يأخذه ثم رماه ابن جراح بنفسه وعجائز نسائه وعاذ منه بالصفح وطلب الأمان فأمنه وشرط عليه ما التزمه وعفا عنه جيش وكف عنه واستحلفه على ما قرره معه وعاد إلى الرملة ورتب فيها واليا من قبله وانكفأ إلى دمشق طالبا لعسكر الروم النازل على أفامية. فلما وصل إلى دمشق استقبله أشرافها

---

(١) تكملة تاريخ الطبري المقدسي، محمد بن عبد الملك ص/١٤٠

ورؤساء أحداثها مذعنين له بالطاعة فأقبل على رؤساء الأحداث وأظهر لهم الجميل ونادى في البلد برفع الكلف واعتماد العدل والانصاف واباحة دم كل مغربي يتعرض لفساد فاجتمع إليه الرعية يشكرونه ويدعون له وسألوه دخول البلد والنزول فيه بينهم فأعلمهم إنه قاصد

الجهاد في الروم وأقام ثلاثة أيام وخلع على رؤساء الأحداث وحملهم ووصلهم ونزل حمص. ووصل إليه أبو الحسن عبد الواحد بن حيدرة في جند طرابلس **والمتطوعة** من عامتها وتوجه إلى الدوقس عظيم الروم النازل على حصن أفامية فصارت أهله قد اشتد بهم الحصار وبلغ منهم عدم الأقوات وانتهى أمرهم إلى أكل الجيف والكلاب وابتاع واحد واحدا بخمسة عشرين درهما. فنزل بإزاء الروم وبينه وبينهم النهر المعروف بالمقلوب والتقى الفريقان وتنازعا الحرب والمسلمون في عشرة ألف رجل ومعهم ألف فارس من بني كلاب فحمل الروم على القلب وفيه بدر العطار والديلم والسواد فكسروه ووضعوا السيف في من كان فيه وانهزمت الميسرة وفيها ميسور الصقلبي والي طرابلس ولحقتها الميمنة وفيها جيش بن محمد بن الصمصامة المقدم ووحيد الهلالي وركب الروم المسلمين وقتلوا منهم ألفي رجل واستولوا على سوادهم وسلاحهم وكراعهم ومال بنو كلاب على أكثر من ذلك فانتهبوه وثبت بشارة الأخشيدي في خمسمائة غلام وشاهد أهل أفامية من المسلمين ما نزل بالناس فأيقنوا بالهلاك والعطب وابتهلوا إلى الله الكريم اللطيف بعباده وسألوا الرحمة والنصر. وكان ملك الروم قد وقف على رايته بين يديه ولدان له وعشرة نفر من غلمانه ليشاهد ظفر عسكره وأخذه ما يأخذه من الغنائم فقصده كردي يعرف بأبي الحجر أحمد بن الضحاك السليل على فرس جواد وعليه كذا غند وخوذة وبيده اليمنى خشت وباليسرى العنان وخشت آخر فظنه الدوقس مستأمنا له ومستجيرا به فلم يحفل به ولا تحرز منه فلما دنا منه حمل عليه والدوقس متحصن بلأمته فرفع يده ليتقي ما يرميه به فرماه بالزوبين الذي في يمناه رمية أصابت خللا في الدرع فوصل إلى جسده وتمكن منه في أضلاعه فسقط إلى الأرض ميتا وصاح الناس إن عدو الله قد قتل فانهزمت الروم وتراجع المسلمون وعادت العرب ونزل من كان في الحصن فأعانوهم واستولى المسلمون على الروم فقتلوهم وأسروهم وكانت الوقعة في مرج أفيح يطيف به جبل يعرف بالمضيق لا يسلكه إلا رجل في أثر رجل ومن جانبه بحيرة أفامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة وتصرم النهار وقد احتز من رؤوس القتلى عشرة ألف راس وبات المسلمون مبيت المنصورين الغانمين المسرورين بما منحهم الله إياهم من الكفاية ووهب لهم من الظفر. ووافى العرب من غد بما نهبوه من دواب المسلمين عند الهزيمة ومنهم من رد ومنهم من باع بالثمن البخس لأن جيش بن الصمصامة المقدم نادى في معسكره بألا يبتاع أحمد من العرب الا ما عرفه وكان مأخوذا منه فلم يجد الا

ما أخذه أصحابه. وحصل ولدا الدوقس في أسر بعض المسلمين فابتاعهما جيش بن الصمصامة المقدم منه بستة ألف دينار وأخذهما إليه وأقام على حصن أفامية أسبوعا وحمل إلى مصر عشرة ألف راس وألفي رجل من الأسرى إلى باب أنطاكية ونهب الرساتيق وأحرق القرى وانصرف منكفيا إلى دمشق. وقد عظمت هيبته فاستقبله أشرافها ورؤساؤها وأحداثها مهنئين وداعين له فتلقاهم بالشماسية وزادهم من الكرامة وخلع عليهم وعلى وجوه الأحداث وحملهم على الخيل والبغال ووهب لهم الجواري والغلمان وعسكر بظاهر البلد وخاطبوه في الدخول والجواز في الأسواق وقد كانوا زينوها اظهارا للسرور به والتقرب إليه فلم يفعل وقال: معي عسكر وإن دخلت دخلوا معي ولم أمن أن يمدوا أيديهم إلى ما يثقل به الوطأة منهم. والتمس أن يخلوا له قرية على باب دمشق تعرف ببيت لهيا ليكون نزوله بها فأجابوه إلى ذلكلجهاد في الروم وأقام ثلاثة أيام وخلع على رؤساء الأحداث وحملهم ووصلهم ونزل حمص. ووصل إليه أبو الحسن عبد الواحد بن حيدرة في جند طرابلس **والمتطوعة** من عامتها وتوجه إلى الدوقس عظيم الروم النازل على حصن أفامية فصارت أهله قد اشتد بهم الحصار وبلغ منهم عدم الأقوات وانتهى أمرهم إلى أكل الجيف والكلاب وابتاع واحد واحدا بخمسة عشرين درهما. فنزل بإزاء الروم وبينه وبينهم النهر المعروف بالمقلوب والتقى الفريقان وتنازعا الحرب والمسلمون في عشرة ألف رجل ومعهم ألف فارس من بني كلاب فحمل الروم على القلب وفيه بدر العطار والديلم والسواد فكسروه ووضعوا السيف في." (١)

"ووصل الأفضل في العساكر المصرية وقد فات الأمر فانضاف إليه عساكر الساحل ونزل بظاهر عسقلان في رابع عشر سهر رمضان منتظرا لوصول الاسطول في البحر والعرب فنهض عسكر الافرنج إليه وهجموا عليه في خلق عظيم فانهزم العسكر المصري إلى ناحية عسقلان ودخل الأفضل إليها وتمكنت سيوف الافرنج من المسلمين فأتى القتل على الراجل **والمطوعة** وأهل البلد وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس ونهب العسكر وتوجه الأفضل في خواصه إلى مصر وضايقوا عسقلان إلى أن قرروا عليها بعده الافرنج عشرين ألف دينار تحمل إليهم وشرعوا في جبايتها من أهل البلد فاتفق حدوث الخلف بين المقدمين فرحلوا ولم يقبضوا من المال شيئا وحكي أن الذين قتلوا في هذه الوقعة من أهل عسقلان من شهودها وتنائها وتجارها وأحداثها سوى أجنادها ألفان وسبعمائة نفس

سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

---

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٨٤

في صفر منها ورد الخبر بوصول السلطان بركيارق إلى بغداد بعد أن جرى بينه وبين أخيه السلطان محمد تبر خلف وحرب واستظهر فيها عليه وغلبه على مدينة أصفهان وحصل بها. وتوجه الملك شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة من دمشق في عسكره إلى ديار بكر لتسلمها من المستولي عليها ووصل إلى الرحبة في البرية ووصل إلى ديار بكر وتسلم ميافارقين ورتب فيها من يحفظها ويذب عنها. وفي رجب منها خرج بيمند ملك الافرنج صاحب أنطاكية إلى حصن أفامية ونزل عليه وأقام أياما وأتلف زرعه ووصل الخبر بوصول الدنشمند." (١)

"وفي هذه السنة وردت الأخبار بظهور قوم كافر نزل على من صادفوه في الأعمال ووصلوا إلى جيحون فأفسدوا تلك الأعمال وأعاثوا فيها واتصل الخبر بالسلطان المعظم أبي الحرث سنجر بن ملك شاه سلطان خراسان فانهض إليهم أميرا كبيرا من مقدمي عساكر خراسان في عدد دثر من الأتراك فظفر بهم وكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا عائدين خاسرين مفلولين وفي ثامن من ذي القعدة من السنة ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة إلى القبلة وأقام إلى آخر ذي الحجة ثم غاب. وفيها كاتب السلطان غياث الدنيا والدين الأمير سكمان القطبي صاحب أرمينية وميافارقين وشرف الدين مودود صاحب الموصل يأمرهما بالمسير في العساكر إلى جهاد الافرنج وحماية بلاد الموصل فجمعا واحتشدا ونهضا ونزلا بجزيرة بني نمير إلى أن تكامل وصول ولاة الأطراف إليهما وخلق كثير من **المتطوعة** ووصل إليهما أيضا الأمير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في خلق كثير من التركمان واجتمع المسلمون في عدد لا يقوم بلقائه جميع الافرنج. واتفقت الآراء على افتتاح الجهاد بقصد الرها ومضايقتها إلى أن يسهل الله افتتاحها بحكم حصانتها ومنعتها. فرحلوا بأسرهم ونزلوا عليها في العشر الثاني من شوال وأحاطوا بها من جهاتها كالنطاق ومنعوا الداخل والخارج بالمسير إليها وكان القوت بها قليلا فأشرف من بها على الهلاك وغلا بها السعر وطالت مدة الحصر لها والتضييق عليها. وحين عرف الافرنج صورة هذه الحال شرعوا في الجمع والاحتشاد والتأهب للذب عنها والاستعداد واتفقت الكلمة بينهم على." (٢)

"ووصل إليه الأمير أحمديل في عسكر كثيف الجمع وكذلك تلاه الأمير قطب الدين سكمان القطبي من بلاد أرمينية وديار بكر فاجتمعوا في أرض حران وكتب إليهم سلطان بن علي بن منقذ صاحب شيزر يعلمهم نزول طنكري صاحب أنطاكية أرض شيزر وشروعه في بناء تل ابن معشر في مقابلة شيزر وحمل

---

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٢٢٣

(٢) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٢٧٠

الغلال إليه ويستصرخهم ويبعثهم على الوصول إلى جهته. فحين عرفوا ذاك رحلوا إلى الشام وقطعوا الفرات في النصف من المحرم سنة ٥٠٥ ونزلوا على تل باشر في التاسع عشر من المحرم وأقاموا عليه منتظرين وصول الأمير برسق بن برسق صاحب همذان وكان قد أمر من السلطان بالتقدم عليهم فوصل إليهم في بعض عسكره وبه مرض من علة النقرس وسكمان القطبي أيضا مريض والآراء بينما مختلفة وقاتل **المطوعة** والسوقة هذا الحصن ونقبوه فأنفذ جوسلين صاحب تل باشر إلى الأمير أحمديل الكردي يلاطفه بمال وهدية ويبذل له الكون معه والميل إليه وكان أكثر العسكر مع أحمديل وسأله الرحيل عن الحصن وينزل إليه فأجابه إلى ذلك على كراهية من باقي الأمراء واشتد مرض سكمان القطبي وعزم أحمديل على العود طمعا منه في أن السلطان يقطعه بلاد سكمان وكان قد عقد بينهما وصلة وصهر فعادوا عن تل باشر إلى حلب ونزلوا عليها وعاثوا في أعمالها وفعلوا أقبح من فعل الافرنج في الفساد وتوقعوا خروج الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب إليهم أو خدمه ينفذها لهم فلم يلتفت إلى أحد منهم وأغلق أبواب حلب وأخذ رهاين أهلها إلى القلعة ورتب الجند وأحداث الباطنية والطائعين لحفظ الأسوار ومنع الحلبيين من الصعود إلى السور وأطلق الحرامية في أخذ من يظفرون به من أطراف العسكر.." (١)

"والاستيلاء على أموالهما وذخائرهما للأسباب التي نقم بها عليهما والمنكرات التي اتصلت به عنهما وفيا اتصلت الأخبار من ناحية بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بالاحتشاد والتأهب والاستعداد لقصد ناحية حوران من عمل دمشق للعيث فيها والافساد وشرع في شن الغارات على الجهات القريبة من دمشق والمضايقة لها وقطع الطرقات على الواردين إليها. فعند المعرفة بذاك والتحقق له شرع ظهير الدين أتابك في الاستعداد للقائه والاجتماع على جهاده وكاتب أمراء التركمان ومقدميهم وأعيانهم باعلامهم صورة الحال ويستنجد بهم عليهم ويبذل لهم الاحسان والانعام وبرز في عسكره وقد ورد عليه خبر قربهم من طبرية قاصدين أعمال البلد من مرج الصفر وشرخوب وخيم به وكاتب ولاة الأطراف بامداده بالرجالة واتفق وصول التركمان في ألفي فارس أولى بأس شديد ورغبة في الجهاد ومسابقة إلى الكفاح والجلاد فاجتمع إليه خلق كثير. وكان ا لافرنج حين عرفوا نزول أتابك والعسكر بمرج الصفر رحلوا إليه وخيموا بازائه ووقعت العين على العين وتطاردت طلائع الفريقين. فلما كان يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي الحجة من السنة اجتمع للقضاء المقضي والحكم النافذ من أحداث دمشق والشباب الأغرار ورجال الغوطة والمرج والأطراف وأحداث الباطنية المعروفين بالشهامة والبسالة من حمص وغيرها والعقبة وقصر حجاج والشاغور خلق كثير رجالة

---

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٢٧٩

وخيالة بالسلاح التام والناهض مع **المتطوعة** المتدينين وشرعوا بالمصير للحاق المصاف قبل اللقاء وقد شاع الخبر بقوة عسكر." (١)

"واجماعهم مع من كان بها من الافرنج ويقال إنهم بعد ما فني منهم بالقتل والمرض والجوع تقدير مائة ألف عنان وقصدوا بيت المقدس وقضوا مفروض حجهم وعاد بعد ذلك من عاد إلى بلادهم في البحر. وقد هلك منهم بالموت والمرض الخلق العظيم وهلك من ملوكهم من هلك وبقي المان أكبر ملوكهم ومن هو دونه واختلفت الآراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الاسلامية والأعمال الشامية إلى أن استقرت الحال بينهم على منازلة مدينة دمشق وحدثتهم نفوسهم الخبيثة بملكتها وتبايعوا ضياعها وجهاتها. وتواصلت الأخبار بذلك وشرع متولي أمرها الأمير معين الدين أنر في التأهب والاستعداد لحربهم ورفع شرهم وتحصين ما يخشى من الجهات وترتيب الرجال في المسالك والمنافذ وقطع مجاري الميرة إلى منازلهم وطم الآبار وعفى المناهل وصرفوا أعنتهم إلى ناحية دمشق في حشدهم وحدهم وحديدهم في الخلق الكثير على ما يقال تقدير الخمسين ألف من الخيل والرجل ومعهم من السواد والجمال والأبقار ما كثروا به العدد الكثير ودنوا من البلد وقصدوا المنزل المعروف بمنازل العساكر فصادفوا الماء معدوما فيه مقطوعا عنه فقصدوا ناحية المزة فخيموا عليها لقربها من الماء وزحفوا إليه بخيلهم ورجلهم. ووقف المسلمون بإزائهم في يوم السبت السادس من شهر ربيع الأول سنة ٤٣ ونشبت الحرب بين الفريقين واجتمع عليهم من الأجناد والأتراك القتال وأحداث البلد **والمطوعة** والغزاة الجم الغفير واشتجر القتل بينهم واستظهر الكفار على المسلمين بكثرة الأعداد والعدد وغلبوا على الماء وانتشروا في البساتين وخيموا فيها وقربوا من البلد وحصلوا منه بمكان لم يتمكن أحد من العساكر قديما ولا حديثا منه.." (٢)

"وتبع هذا الفتح المبين ورود البشرى الثانية من أسد الدين باجتماع العدد الكثير إليه من شجعان التركمان وإنه قد ظفر من المشركين بسرية وافرة ظهرت من معاقلهم من ناحية الشمال فانهزمت وتخطف التركمان منهم من ظفروا به ووصل أسد الدين إلى بعلبك في العسكر من مقدمي التركمان وأبطالهم للجهاد في أعداء الله المشركين وهم في العدد الكثير والجم الغفير واجتمع بالملك العادل نور الدين في يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة وتقررت الحال على قصد بلاد المشركين لتدويخها وإقامة فرض الغزو والجهاد لمن بها والابتداء بالنزول على بانياس والمضايقة لها والجهاد في افتتاحها والله يسهل

---

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٣٣٩

(٢) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٤٦٣

ذلك بلطفه ويعجله بمعونته

ووصل نور الدين إلى البلد المحروس في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر ربيع الأول لتقرير الأمر في إخراج آلات الحرب وتجهيزها إلى العسكر بحيث يقيم أياما يسيرة ويتوجه في الحال إلى ناحية العساكر المجتمعة من التركمان والعرب للجهاد في الكفرة الأضداد والله يسهل أسباب الادالة منهم ويعجل البوار والهلاك لهم إن شاء الله تعالى. وفي وقت وصوله شرع في انجاز ما وصل لأجله وأمر بتجهيز ما يحتاج إليه من المناجيق والسلاح إلى العسكر المنصور بالنداء في البلد المحروس في الغزاة والمجاهدين والأحداث **المتطوعة** من فتيان البلد والغرباء بالتأهب والاستعداد لمجاهدة الافرنج أولي الشرك والالحاد وبادر بالمسير في الحال إلى عسكره المنصور مغذا غير متلوم ولا متربث في يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الأول وتبعه بين الأحداث **والمتطوعة** والفقهاء والصوفية والمتدينين العدد الكثير الدثر المباهي في الوفور والكثرة فالله تعالى يقرن آراءه وعزماته بالنصر المشرق المنار والظفر باخراب المردة الكفار ويعجل لهم أسباب الهلاك والبوار بحيث لا تبقى لهم باقية ولا يرى لهم رائحة ولا غادية وما ذلك على الله تعالى القادر القاهر بعزيز." (١)

"السلمي [١] وأبو محمد جعفر بن أحمد بن عمر الغازي النيسابورى، يعرف بجعفرك، سمع أبا الأزهر وأحمد بن يوسف السلمي ومحمد بن يزيد والنضر بن سلمة بن عروة، روى عنه أبو سعيد بن أبى بكر بن أبى عثمان وشيخنا أبو نصر أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الغازي [٢] ، الحافظ، أصبهاني، جليل القدر، كثير المعرفة، رحل إلى العراق والحجاز وخراسان، وسمع الكثير، سمعت منه بأصبهان وأخوه أبو الفتح خالد بن عمر الغازي، روى عن أبى عمرو بن أبى عبد الله بن مندة، سمعت منه أيضا بأصبهان وأبو بكر محمد بن عبد الله بن حماد [٣] العدل الغازي، من أهل نيسابور، سمع أحمد بن سلمة وأبا عبد الله البوشنجي وأبا بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وذكره في التاريخ وقال: أبو بكر الغازي جار الجامع، وكان من **المطوعة** وأولاد **المطوعة** ومن الصالحين وبقية من مشايخ الغزاة، وتوفى في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فغسله أبو عمرو ابن مطر، ودفن في مقبرة سليمان بن مطر. [٤]

---

[١] روى عنه أبو بكر بن أبى الحسين- الإكمال.

---

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٥٢١

[٢] وقعت ترجمته وترجمة أخيه في م نهاية الرسم.

[٣] في م «حمشاد» فحرره.

[٤] وأحمد بن محمد بن الحسن بن قريش الماهياني الغازي، أبو نصر المروزي، سكن نيسابور ومات بها، سمع محمد بن عبد الكريم الذهلي والحسن بن معاذ والفضل بن عبد الجبار وأحمد بن سيار وأقرانهم، روى عنه أبو أحمد بن إسحاق وأبو الحسين الحافظان- الإكمال.." (١)

"ابن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف الشافعي المطلبي رحمه الله [١] ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى بنى المطلب ما أعطى بنى هاشم، وحرمهم ما حرم بنى هاشم من الصدقة، فقال بنو عبد شمس، وبنو نوفل في ذلك، فقال: نحن وبنو المطلب ما فارقنا [٢] في جاهلية ولا إسلام ومنهم محمد ابن طلحة بن يزيد بن ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي، يروى عن عبيد الله الخولاني وعكرمة، روى عنه محمد بن إسحاق ابن يسار.

٣٨٣٧- المطوعي

بضم الميم وتشديد الطاء المهملة وفتحها وكسر الواو وفي آخرها العين المهملة، هذه النسبة إلى **المطوعة**، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو والجهاد، ورابطوا في الثغور، وتطوعوا بالغزو فقصدوا الغزو [٣] في بلاد الكفر لا إذا وجب عليهم وحضر إلى بلدهم، والمشهور بهذه النسبة أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل بن يزداذ [٤] المطوعي المروزي، [٥] من أهل مرو [٥] ، يروى عن أبى داود السنجي وأبى الموجه محمد بن عمرو الفزاري ومحمود بن آدم المروزي، روى عنه [٥] أبو الحسن [٥] الدار قطنى

---

[١] راجع ٨/ ٢٠.

[٢] م: «تفارقنا» .

[٣] في م «العدو» ، وفي اللباب «وقصدوا جهاد العدو- إلخ» .

[٤] من م واللباب، وفي الأصل «يزيد» .

[٥- ٥] ليس في م.." (٢)

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ١٠/٥

(٢) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ١٢/٣١٧

"الخثعمي، وطبقتهم، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وأبو عثمان إسماعيل ابن عبد الرحمن الصابوني وأبو عثمان سعيد بن محمد [١] وجماعة آخرهم [ابو سعد-[٢]] محمد بن عبد الرحمن الكنجروذي، ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ في تاريخ نيسابور، وقال: حسينك التميمي، كان يحكى الإمام أبا بكر بن خزيمة في وضوئه وصلاته فاني ما رأيت من الأغنياء أحسن طهارة وصلاة منه، ولقد صحبته قريبا من ثلاثين سنة في الحضر والسفر وفي الحر والبرد [٣] وما رأيته ترك صلاة الليل، وكان يقرأ كل ليلة سبعا من القرآن ولا يفوته ذلك، وكانت صدقاته دائمة في السر والعلانية فيعيش بمعروفه جماعة من أهل العلم والستر، ولما وقع الاستنفار لطرسوس دخلت عليه وهو يبكى ويقول: قد دخل الطاغي ثغر المسلمين طرسوس وليس في الخزانة ذهب ولا فضة، ثم باع ضيعتين نفيستين من أجل ضياعه بخمسين ألف درهم وأخرج عشرة من الغزاة المطوعة الأجلاد بدلا عن نفسه، وما أعلم أنه خلا رباط فراوة قط عن بديل له بها فارس شهم للنيابة عن نفسه. ولد أبو أحمد [٤] التميمي سنة ثمان وثمانين ومائتين، وتوفى صبيحة يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وسبعين وثلاثمائة،

---

[١] في م وس «سعيد بن عثمان لبحرى» كذا والصواب ان شاء الله «سعيد بن عثمان البحيري» انظر التعليق على الإكمال ١/ ٤٦٥.

[٢] من ك، وانظر رسم (الكنجروذي) .

[٣] مثله في تاريخ بغداد وهو المناسب للحال ووقع في م وس «البحر والبر» .

[٤] يعنى حسينك كما لا يخفى ووقع في ك «أبو محمد» خطأ.." (١)

"وفي آخرها الصاد، هذه النسبة إلى خاوص، وهي بليدة فوق سمرقند، منها أبو بكر محمد بن أبى بكر بن عبد الرحمن الخاوصى الخطيب، حدث بسمرقند، يروى عن أبى الحسن على بن سعيد المطهري، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي.

باب الخاء والباء

١٣٠٧- الخباز

بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة المشددة وفي آخرها الزاى، هذه النسبة إلى الخبز وخبزه وبيعه، واشتهر بها جماعة كثيرة، منهم أبو إسحاق إبراهيم [بن-[١]] محمد بن عبد الله بن يزداذ المذكر المطوعي الخباز

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٨١/٣

الرازي من أهل الري [أما أبوه أبو بكر بن يزداذ الخباز فمن أهل الري-[٢]] ، سكن بخارا، وحدث بها، وسمع منه جماعة. وأبو إسحاق سمع عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازي ومحمد بن قارن ومحمد بن إبراهيم بن ناصح الدامغاني، وله رحلة إلى البلاد النائية، سمع منه الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وأبو سعد عبد الرحمن بن محمد الأستراباذي وأبو عبد الله محمد بن أحمد [بن محمد-[٣]] الغنجار الحافظ البخاري وذكره الحاكم أبو عبد الله في التاريخ وقال: أبو إسحاق الخباز، قدم علينا نيسابور في عسكر **المطوعة** الخارجين إلى طرسوس وأميرهم عبد الله بن الأشكم

---

[١] سقط من ك.

[٢] سقط من م وع.

[٣] من ك.." (١)

"الاستشعار ولما تعالى النار وعيل الاصطبار وزال القرار انقض الجدار فأبرت البشرى وتباشرت الأبرار وتسابق الناس إلى الثلمة واجتلوا لمع الرحمة من فرج الزحمة

وكان الفرنج قد جمعوا وراء ذلك الواقع حطبا وحموا به عن أنفسهم عطبا فلما وقع الجدار دخلت الرياح منها فعادت عليهم النار واحرقت البيوت الدانية منها في الجوانب وبلوا من كل صوب بالمصائب فاجتمعوا الى الجانب البعيد من النار وقد لفحهم وهج الاستشعار وصاحوا الأمان وأظهروا الإذعان وحنت حمت النيران من الهجوم عليهم والدخول إليهم وتسلق الخلق وتعلقوا فلقوا وفلقوا وأطلقوا أيديهم في القتل فقادوا وقيدوا وشدوا وشددوا

وجلس السلطان وأنا عنده وقد حمد الله تعالى وحده فمن احضر عنده من الأسارى استنطقه فمن كان مرتدا أو راميا بجرخ ضرب عنقه

وخلص من الأسر أكثر من مائة مسلم أحضروهم للعمارة وقطع الحجارة وأكثر من أسر قتله في الطريق الغزاة ال**مطوعة** والرعاع المجمعة وكان فتحا هنيا ومنحا سنيا

وما ظن لاحكام بنائه وتوثيق رفعه واعتلائه وتسفيح تله وتسطيح محله وتوعير سبله أنه يتأتى افتتاحه ويتصور اجتياحه وكان قد بذل في هدمه لليأس منه والسلو عنه مبلغ ستين ألف دينار فلم يذعنوا بالفرار وبلغ بالمبلغ مائة الف فثبتوا على الاصرار وقالوا ما أنفقنا فيه الأموال ونحن إليها مفتقرون وقد أخرج الداوية عليه جميع

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٣٣/٥

ما ملكوه وهم بقوتهم مستظهرون وظنوا أنهم به يحاصرون البلاد ويحصلون المراد ولو بقي الحصن لم يحصن البقاء ولدنا من البلاد البلاء ولأعضل بقرب الداوية الداء واعوز الدواء لكن الله نظر للإسلام ونصره وقمع الكفر وقهره ويسر لنا ما ظنناه عسيرا ولم يزل للمؤمنين نصيرا

ورأيت السلطان منتديا في حبى الحبور مستبشرا يتلألأ وجهه بنور السرور وعنده رسول القومص معافى وهو يشاهد أهل ملته ولا يجد لاستشعار همومه نقع." (١)

"ثم دخلت سنة إحدى ومائتين

فمن الحوادث فيها:

مراودة أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة، فأبى، فراودوه على الإمرة عليهم على أن يدعو للمأمون بالخلافة. وقالوا: لا نرضى/ بالمجوسي [١] ابن المجوسي يعنون الحسن بن سهل- فأجابهم المنصور لذلك [٢] .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا علي بن عمر الحافظ قال: أخبرنا عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا الحارث بن محمد قال: حدثنا محمد بن سعد قال: عسكر منصور بن المهدي في سنة إحدى ومائتين بكلواذي وسمي المرتضى، ودعي له على المنابر، وسلم عليه بالخلافة فأبى ذلك وقال: أنا خليفة أمير المؤمنين المأمون حتى يقدم أو يولي من يحب. وعزل سعد بن إبراهيم عن الجانب الشرقي، وولاه قتيبة بن زياد، وأقر محمد بن سماعة على قضاء الجانب الغربي.

وفي هذه السنة: تجردت **المطوعة** للإنكار على الفساق ببغداد، وكان رئيسهم خالد الدريوش، وسهل بن سلامة.

وكان السبب في ذلك: أن فساق الجند والشطار أذوا الناس أذى شديدا، وأظهروا الفسق وقطع الطريق، وأخذوا النساء والغلمان علانية من الطرق، وكانوا يجتمعون

---

[١] في الأصل: «لا نرضى المجوسي» .

[٢] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ٥٤٦.." (٢)

---

(١) البرق الشامي العماد الأصبهاني ٣/١٨٠

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٠/٩٢

"ثم دخلت سنة سبعين ومائتين

فمن الحوادث فيها:

وقعة كانت بين أبي أحمد وصاحب الزنج في المحرم، أضعفت أركان صاحب الزنج، واسمه بهبوذ وفي صفر قتل، وشرح القصة: أن أبا أحمد ألح على حربه، ورغب الناس في جهاد العدو، وصار معه جماعة من **المطوعة**، ورتب الناس وأمرهم أن يزحف جميعهم مرة واحدة، وعبر يوم الأثنين لثلاث بقين من المحرم سنة سبعين، فنصر ومنح أكتاف القوم، فولوا منهزمين، واتبعهم الناس يقتلون ويأسرون، فقتل ما لا يحصى وخربت [١] مدينة الخبيث بأسرها، واستنقذوا ما كان فيها من الأسارى من الرجال والنساء والصبيان، وهرب الخبيث وخواصه إلى موضع قد كان وطأه لنفسه ملجأ إذا غلب على مدينته، فتبعه الناس، فانهزم أصحابه، وغدا أبو أحمد يوم السبت لليلتين خلتا من صفر، فسار إلى الفاسق، وكان قد عاد إلى المدينة بعد انصراف الناس، فلقي الناس قواد الفاسق فأسروهم، وجاء البشير بقتل الفاسق، ثم جاء رجل معه رأس الفاسق، فسجد الناس شكرا لله تعالى، وأمر أحمد فرفع على قناة فارتفعت أصوات الناس بحمد الله تعالى وشكره، [٢] وأمر أبو أحمد أن يكتب إلى أمصار المسلمين بالنداء في أهل البصرة، والأبلة، وكور دجلة، والأهواز وكورها، وأهل واسط، وما حولها مما دخله/ الزنج بقتل الفاسق [٣] ، وان يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم.

---

[١] في ك: «وحويت» .

[٢] «فسجد الناس شكرا ... وأمر أبو أحمد» .

مكان النقط ساقط من ك.

[٣] في ك: «يقتل الناس» .." (١)

"٢٨٠٤- الحسين بن علي بن محمد بن يحيى أبو أحمد النيسابوري، ويقال له: حسينك [١] .

ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ورباه [أبو بكر] [٢] محمد بن إسحاق بن خزيمة، فسمع منه الحديث ومن غيره بنيسابور، وسمع ببغداد، والكوفة، روى عنه أبو بكر البرقاني/، وقال: كان ثقة جليلا وحجة، وأكثر أثار نيسابور منوطة بأهل بيته.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرني محمد بن علي [٣] المقرئ، عن

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٢/٢٢٨

محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري قال: كان حسينك تربية أبي بكر ابن خزيمة. وجاره الأدنى وفي حجره من حين ولد إلى [أن] [٤] توفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان ابن خزيمة إذا تخلف عن مجالس السلاطين بعث بالحسين نائبا عنه، وكان يقدمه على جميع أولاده، ويقرأ له وحده ما لا يقرأه لغيره، وكان يحكي أبا بكر في وضوئه وصلاته، فأني ما رأيت في الأغنياء أحسن طهارة ووضوءا منه [٥] وصلاة [منه] [٦] ولقد صحبته قريبا من ثلاثين سنة في الحضر والسفر وفي الحرو [في] [٧] البرد، فما رأيته ترك صلاة الليل، وكان يقرأ [في] [٨] كل ليلة سبعا من القرآن، ولا يفوته ذلك، وكانت صدقاته دائمة في السر والعلانية، ولما وقع الاستنفار لطرسوس، دخلت عليه وهو يبكي ويقول: قد دخل الطاغي ثغر المسلمين طرسوس، وليس في الخزانة ذهب ولا فضة، ثم باع ضيعتين نفيستين من أجل ضياعه بخمسين ألف درهم، واخرج عشرة من الغزاة المتطوعة الأجلاد بدلا من نفسه. وسمعته غير مرة يقول: اللهم إنك تعلم أني لا أدخر [٩] ما أدخره، ولا أقني من

---

[١] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١١/ ٣٠٤، وتاريخ بغداد ٨/ ٧٤) .

[٢] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٣] «بن ثابت، أخبرني محمد بن علي» سقطت من ص. وفي الأصل: «أحمد بن علي» .

[٤] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل. وبدلا منها في ص: «حين» .

[٥] «ووضوء منه» سقطت من ل، ص.

[٦] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٧] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٨] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٩] في ص، ل: «لأدخر» .." (١)

"ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة

فمن الحوادث فيها [١] :

أنه ورد إلى القادر بالله كتاب من يمين الدولة أبي القاسم محمود بن سبكتكين، يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند ووصل إليه من أموالهم وغنائمهم، فقال فيه: إن كتاب العبد وصل [٢] من مستقره بغزنة للنصف

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣١٢/١٤

من المحرم سنة عشر، والدين في أيام سيدنا ومولانا [الأمير] [٣] القادر بالله أمير المؤمنين مخصوص بمزيد الإظهار، والشرك مقهور بجميع الأطراف والأقطار، وانتدب العبد لتنفيذ أوامره العالية وتمهيد مراسمه السامية [٤] وتابع الوقائع على كفار السند والهند، فرتب بنواحي غزنة العبد محمدا مع خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وأنهض العبد مسعودا مع عشرة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل [٥] ، وشحن بلخ وطخرستان [٦] بأرسلان الحاجب مع اثني عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل، وضبط ولاية خوارزم بالتونتاش الحاجب مع عشرين ألف فارس وعشرين ألف راجل، وانتخب ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل لصحبة راية الإسلام وانضم إليه جماهير **المطوعة**.

---

[١] بياض في ت.

[٢] في ص، ل: «كتاب العبد صدر» .

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٤] في الأصل: «وتمهيد رسومه السامية» .

[٥] «وأنهض العبد ... وعشرة آلاف فارس» . العبارة ساقطة من ص.

[٦] في الأصل: «شحن بلخ وطبرستان» .." (١)

"دولتنا، وأول ما نأمركم به أن تكون كلمتكم واحدة، وبعد فقد جرى الأمر من عقد الأمر لأبي طاهر ثم نقضه ثم ساعدناكم عليه، وفيه قبح علينا وعليكم، ثم عقدتم لأبي كاليجار عقدا لا يحسن حله من غير روية ولبنى بويه في رقابنا عهود لا يجوز العدول عنها والوجه أن تدعونا [حتى] [١] نكاتب أبا كاليجار ونعرف ما عنده، ثم كوتب أنك إن لم تتدارك الأمر خرج عن اليد، ثم آل الأمر إن عادوا وسألوا التقدم بالخطبة لجلال الدولة أبي طاهر وأقيمت الخطبة له.

[كتابة الأمير يمين الدولة محمود إلى الخليفة كتابا يذكر فيه ما فتحه من بلاد الهند]

وكتب الأمير يمين الدولة محمود إلى الخليفة كتابا يذكر فيه ما فتحه من بلاد الهند وكسره الصنم المعروف بسومنات، وكان في كتابه أن أصناف الخلق افتتنوا بهذا الصنم، وربما اتفق برؤ عليل يقصده، وكانوا يأتونه من كل فج عميق ويتقربون إليه بالأموال الكثيرة حتى بلغت أوقاته عشرة آلاف قرية مشهورة في تلك البقاع، وامتلأت خزانته بالأموال، ورتب له ألف رجل للمواظبة على خدمته وثلاثمائة يحلقون حجيجه [٢] وثلاثمائة

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٣٣/١٥

[وخمسون] [٣] يرقصون ويغنون على باب الصنم، وقد كان العبد يتمنى قلع هذا الوثن فكان يتعرف الأحوال فتوصف له المفاوز/ إليه وقلة الماء واستيلاء الرمل على الطرق، فاستخار العبد الله عز وجل [٤] في الانتداب لهذا الواجب ومثل في فهمه أضعاف المسموع من المتاعب طلبا للثواب الجزيل.

[نهوض العبد في ثلاثين ألف فارس]

ونهض العبد في شعبان سنة ست عشرة في ثلاثين ألف فارس اختارهم سوى المطوعة ففرق العبد في المطوعة خمسين ألف دينار ليستعينوا على أخذ الأهبة، ثم مضى العبد في مفازة أصعب [٥] مما وصف، وقضى الله سبحانه الوصول إلى بلد الصنم، وأعان حتى ملك البلد، وقلع الوثن وأوقدت عليه النار [٦] حتى تقطع وقتل خمسون ألف من سكان البلد.

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٢] في ص: «يخدمون حجيجة» .

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٤] في ص، ل: «العبد الله تعالى» .

[٥] في الأصل: «مضى في مصائب أصعب» .

[٦] في الأصل: «أوقد عليه النار» .." (١)

"وعاد إلى بلده يقرر أنه [قد] [١] كسر شوكتهم، وأمن غائلتهم فاتبعوه وكبسوه واستنقذوا الغنائم والسبي من يده، قتلوا من الأكراد والمطوعة أكثر من عشرة آلاف، واستباحوا أموالهم.

وكان ملك الروم قد قصد حلب في ثلاثمائة ألف وكان معه أموال على سبعين جمازة، فأشرف على عسكره مائة فارس من العرب وألف راجل فظن [الروم] [٢] أنها كبسة، فلبس ملكهم خفا أسود حتى يخفي أمره، وأفلت وأخذوا من خاصته أربعمائة بغل محملة ثيابا ومالا، وقتلوا مقتله كثيرة من رجاله.

ولليلة بقيت من رمضان كان أول تشرين الأول وينقضي أيلول عن حر شديد زاد على حر تموز وحزيران زيادة كثيرة، وعصفت في اليوم السابع منه ريح سموم تلاها رعد ومطر جود.

وكان في هذه السنة: موتان ببغداد وجرف عظيم في السواد.

وفي سادس شوال: جرت منازعة بين أحد الأتراك النازلين بباب البصرة وبعض الهاشميين، فاجتمع الهاشميون

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨٢/١٥

إلى جامع المدينة ورفعوا المصاحف، واستنفروا الناس، / فاجتمع لهم الفقهاء والعدد الكثير من الكرخ وغيرها، وضجوا بالاستغفار من الأتراك وسبهم، فركب جماعة من الأتراك، فلما رأوهم قد رفعوا أوراق القرآن على القصب رفعوا بأزائهم قناة عليها صليب، وترامى الفريقان بالنشاب والآجر وقتل من [الآجر] [٣] قوم ثم أصلحت الحال.

وفي ليالي هذه الأيام: كثرت العملات والكبسات بالجانب، الشرقي من البرجمي ورجاله، وقصدوا درب علية ودرب الربع، ففتحوا فيها عدة خانيبارات ومخازن، وأخذوا منها شيئا كثيرا، وكبسوا عدة دور واستولوا على ما فيها.

وتجدد القتال بين القلائين والدقاقين، استمرت الفتنة ودخل من كان غائبا من

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.." (١)

"الأولى نزل السلطان محمد الرملة. وانزعج أهل بغداد وخافوا امتداد الفساد، فركب إياز حتى أشرف/ على عسكر محمد، فوقع في نفسه الصلح فاستدعى وزيره الصفي وأمره ٣٨/ أبالعبور إلى السلطان محمد، وأن يصالحه، وقال: إني لو ظفرت لم يسكن صدري على نفسي والصواب أن أغمد سيوف الإسلام المختلفة.

فعبر وزيره واجتمع بالوزير سعد الملك أبي المحاسن وحضرا بين يدي السلطان محمد فأدى الصفي رسالة صاحبه واعتذر عما جرى منه بسابق القدر، فوافق من السلطان قبولا، وعبر ابن جهير والموكب إلى محمد فلقوه وحضر الكيا الهراسي، فتولى أخذ اليمين المغلظة على السلطان محمد، وأمن الناس، وعمل إياز دعوة للسلطان محمد في دار سعد الدولة، فحضر السلطان وخدمه بغلمان أتراك بالخيول والأسلحة الظاهرة وبجواهر نفيسة منها الجبل البلخشي الذي كان لمؤيد الملك بن نظام الملك.

واتفق أن الأتراك مازحوا رجلا فالبسوه سلاحا وخفا وقميصه فوق ذلك ونالوه بأيديهم، فدنا من السلطان فسأل عنه، فأخبر أن تحت قميصه سلاحا فاستشعر ونهض من مكانه.

فلما كان يوم الخميس ثالث عشر جمادي الآخرة استدعى السلطان الأمراء سيف الدولة وإياز وغيرهما،

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٠٨/١٥

فحضروا فخرج إليهم الحاجب، وقال: السلطان يقول لكم بلغنا نزول الأمير أرسلان بن سليمان بديار بكر وينبغي أن يجتمع آراؤكم على من يتجهز لقتاله، فقال الجماعة: هذا أمر لا يصلح إلا للأمير إياز، فقال إياز: ينبغي أن اجتمع مع سيف الدولة ونتعاضد على ذلك، فخرج الحاجب، فقال: السلطان يقول لكما قوما فادخلا لتقع المشورة/ ها هنا، فدخلا إليه وقد رتب أقواما لقتل إياز، فلما دخل أياز بادره ٣٨/ ب أحدهم بضربة أبان بها رأسه، وأما سيف الدولة فغطى وجهه بكمه، وأما الوزير سعد الملك فأظهر أنه أخذته غشية، وأخرج إياز مقتولا في زلي [١] ورأسه مقطوع على صدره، فألقى بازاء دار السلطان، وركب عسكر إياز إلى داره فنهبوها، وجمع بين بدنه ورأسه قوم من **المطوعة**، وكفنوه في خرقة خام وحملوه إلى مقبرة الخيزران.

---

[١] «زلي» : كلمة فارسية معناها طنفسة.." (١)

"٢٠٩، ٢٣٦، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٧، ٣٢٩، (٩) ٢٧، ٤١، ٥٨، ٨٣، ٩٩، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٦٣، ١٩٤، ١٩٧، (١٠) ٧، ٢٧، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ٢٧٤، (١١) ١٥، ٢٠، ٢٩، ٦٨، ٧٣، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ١٥٢، ١٦٤، ٢١١، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٨٤، ٣٤٠، (١٢) ٢٠، ٢٣، ١٧٠، ١٩٢، ٢٠٧، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٦٠، ٤١٦، (١٣) ٥، ٢٣، ٣٣، ٥٩، ٦٢، ٧٧، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٢، ٢٩٤، ٣١١، ٣٢٨، (١٤) ٢٧، ٤١، ٥٠، ٥٥، ٥٩، ٨٠، ١١٣، ١١٤، ١٣٩، ١٤١، ١٨٩، ٢١٤، ٢٧٠، ٢٨٧، ٣١٢، ٣٥١، ٣٨٦، ٣٩١، (١٥) ٣٢، ٥٦، ٩١، ١٢٦، ١٦٢، ٢٠٦، ٢٥٦، (١٦) ٧٨، ١١٦، ١٢٥، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦، ١٨٢، ١٨٣، ٢٧٠، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣١٠، (١٧) ٣٨، ٤٧، ٥٥، ٦٣، ٨٤، ٩٩، ١٣١، ١٣٣، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٦٤، ٢٨٤، ٢٩٧، ٣٢٠، (١٨) ٧، ٣٩، ٤٩، ٦٣، ١٣٥، ١٨٧، ٢١٠، ٢٢٨.

مشايخ الأنصار: (٢) ٢٠٦.

مشايخ البغداديون: (١٥) ١٥٠.

المشبهة: (١٥) ١٢٦.

مشركو العرب: (٣) ٢٦٢.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٩١/١٧

"حتى أموت، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان، فأتتني اليوم، يا أهل الشام [١] ، تعاونوا على عدوكم. فقال له ابن أبي بكرة: إنك شيخ قد خرفت، فقال له شريح: إنما حسبك أن يقال: بستان ابن أبي بكرة، أو حمام ابن أبي بكرة، يا أهل الشام [٢] ، من أراد الشهادة فليأت، فتبعه ناس من المتطوعة، فقاتل

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٩/٢٨٧

حتى قتل في ناس من أصحابه ثم خرج المسلمون من تلك البلاد.
وفي هذه السنة قدم المهلب خراسان أميرا عليها، وانصرف أمية بن عبد الله.
وفيها: حج بالناس أبان بن عثمان، وكان أميرا على المدينة من قبل عبد الملك، وكان على العراق والمشرق كله الحجاج، وعلى خراسان المهلب من قبل الحجاج.
وقيل: إن المهلب كان على حربها، وابنه المغيرة كان على خراجها، وكان على قضاء الكوفة/ أبو بردة، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس.
ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر
٤٧٤- الحارث المتنبي الكذاب [٢] :
روى عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، قال: حدثنا محمد بن المبارك، قال:
حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن حسان، قال [٣] :
كان الحارث الكذاب من أهل دمشق، وكان مولى لأبي الجلاس، وكان له أب بالحولة، فعرض له إبليس، وكان متعبدا زاهدا لو لبس جبة من ذهب لرؤيت عليه زهادة، وكان إذا أخذ في التحميد لم يسمع السامعون بأحسن من كلامه. قال: فكتب إلى أبيه:
يا أبتاه، أعجل علي فإني قد رأيت شيئا أتخوف أن يكون من الشيطان. قال: فزاده أبوه

---

[١] في تاريخ الطبري: «يا أهل الشام» .
[٢] البداية والنهاية ٩/ ٣٠، ومعجم البلدان ٢/ ٣٢٣.
[٣] الخبر في المراجع السابقة، وجاء في البداية محرف.." (١)

"وشيعته وقواده وأنصاره من خلع عيسى وتصيير الأمر الذي كان عقد له في أعناق المسلمين لموسى ابن أمير المؤمنين لاختيارهم له ورضاهم به وأن عيسى قد خلع نفسه، وحللهم مما كان له من البيعة في أعناقهم، وأن ما كان له من ذلك فقد صار لموسى ابن أمير ١٠٧/ أالمؤمنين بعقد من أمير المؤمنين وأهل بيته/ وشيعته في ذلك، وأن موسى عامل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد [١] صلى الله عليه وسلم، بأحسن [٢] السيرة، وأعدلها، وقرأ على عيسى كتاب ذكر الخلع، فأقر بذلك وتتابع [٣] أهل بيت أمير المؤمنين والقواد يبايعون للمهدي ثم لموسى، ويمسحون على أيديهما، ثم نزل المهدي ووكل ببيعته من بقي

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٦/٢٠٤

من الخاصة والعامة خالد بن يزيد بن منصور، وكتب على عيسى بخلعه كتاب ليكون حجة عليه، وفيه: أنه قد نزل عما كان حقا له لموسى بن المهدي وأنه إن لم يف بذلك فكل زوجة هي عنده من يوم كتب هذا الكتاب أو يتزوجها طالق ثلاثا البتة إلى ثلاثين [٤] سنة، وكل مملوك له عنده اليوم أو يملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله، وكل مال له من نقد أو عرض أو أرض أو قليل أو كثير ويستفيده إلى ثلاثين سنة صدقة على المساكين، وعليه من مدينة السلام المشي حافيا إلى بيت الله العتيق نذرا واجبا ثلاثين سنة، وأشهد على نفسه بإقراره هذا مائة وثلاثين رجلا من بني هاشم والموالي والوزراء والقضاة، وكتب في صفر سنة ستين وختم عليه عيسى بن موسى [٥] .

[وفي هذه السنة] [٦] : وصل عبد الملك بن شهاب المسمعي في خلق كثير من **المطوعة** وغيرهم إلى بلد الكفار فنصبوا عليها المجانيق وفتحوها عنوة، وقتلوا أهلها واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا، وهاج البحر فلم يقدروا على ركوبه، وأقاموا إلى أن سكن فأصابهم [٧] في أفواههم داء فمات منهم نحو من ألف [٨] رجل،

---

[١] «محمد» ساقطة من ت.

[٢] في ت: «فأحسن السيرة» .

[٣] في ت: «وبايع» .

[٤] في ت: «أو يتزوجها ثلاثين طالق ثلاثا البتة» .

[٥] انظر الخبر في: تاريخ الطبري ٨/ ١٢٤- ١٢٨.

[٦] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٧] «إلى أن سكن فأصابهم» ساقطة من ت.

[٨] في ت: «نحو جماعة» .." (١)

"ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة

فمن الحوادث فيها:

مقتل عبد السلام الخارجي بقنسرين، وكان قد خرج بالجزيرة وكثر بها أتباعه، واشتدت شوكته، فلقيه من قواد المهدي عدة فهزمهم، إلى أن بعث المهدي إليه جنودا كثيرة، فهرب منهم إلى قنسرين فلحقوه فقتلوه

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٨/٢٣٦

بها [١] .

وفيها: وضع المهدي دواوين الأزمة، وولى عليها عمر بن بزيع مولاه، فولى عمر [ابن بزيع] [٢] النعمان بن عثمان زمام خراج العراق [٣] .

وفيها: أمر المهدي أن يجري على المجذمين وأهل السجون في جميع الآفاق [٤] .

وفيها: خرجت الروم إلى الحدث فهدموا سورها [٥] .

وفيها: غزا الحسن بن قحطبة الصائفة في ثمانين ألف مرتزق سوى/ **المطوعة**، فأكثر التخريب والتحريق في بلاد الروم من غير أن يلقى جمعا أو يفتح حصنا، ثم قفل

---

[١] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٤٢.

[٢] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وأضفناه من الطبري.

[٣] انظر: تاريخ الطبري 8/ 214.

[٤] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٤٢.

[٥] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٤٢.." (١)

"وسبعون أسيرا [صبرا] [١] ، وأفاء الله عليه من الدواب الذلل بأدواتها عشرين ألفا، وذبح من البقر والغنم مائة ألف، وكانت المرتزقة سوى **المطوعة** وأهل الأسواق مائة ألف [٢] .

وفيها: عزل خلف بن عبد الله عن الري ووليها عيسى مولى جعفر [٣] .

وفي هذه السنة: تزوج الرشيد زبيدة بنت جعفر بن المنصور وبنى بها، وسقط ببغداد ثلج قام في الأرض نحو ذراعين [٤] .

وفيها: حج بالناس صالح بن أبي جعفر المنصور، وكانت عمال الأمصار في هذه ١٢٥/ ب السنة/ عمالها في السنة الماضية، غير أن العامل على أحداث البصرة والصلاة بأهلها كان روح بن حاتم، وعلى كور دجلة، والبحرين، وعمان، وكسكر، وكور الأهواز، وفارس، وكرمان المعلى مولى أمير المؤمنين، وعلى السند الليث مولى المهدي أمير المؤمنين [٥] .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٨٩١- الياقوتة بنت المهدي

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٥٦/٨

توفيت فجزع عليها جزعا شديدا، فدخل عليه شبيب بن شيبة فأنشده يقول:

فحسبي بقاء الله من كل ميت ... وحسبي ثواب الله من كل هالك

إذا كان رب العرش عني راضيا ... فإن شفاء النفس فيما لك [٦]

فدعا بالطعام ثم أكل.

٨٩٢- داود بن نصير الطائي الكوفي [٧] .

سمع عبد الملك بن عمير، والأعمش، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرهم.

---

[١] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٢] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٥٢- ١٥٣.

[٣] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٥٣.

[٤] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٥٣.

[٥] انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٥٣.

[٦] هذا البيت ساقط من ت.

[٧] انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٧- ٣٥٥.." (١)

"الرشيد بالسهام والمجانيق والعرادات، ففتح الباب يوما رجل منهم وخرج في أكمل زي وسلاح، فنادى: هل من مبارز؟ قد طالت مرافقتكم إيانا، فليبرز [١] إلي منكم رجلان، ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين، فلم يجبه أحد، فدخل وأغلق الباب، وكان الرشيد نائما، فلم يعلم بخبره إلا بعد انتباهه، فغضب ولام خدمه إذ لم يعلموه/ فقيل له: إن الامتناع عنه سيغريه [٢] ويطغيه، وهو يخرج في غد فيطلب مثل ما طلب، فطالت على الرشيد ليلته انتظارا له، فإذا هو بالباب قد فتح، وخرج طالبا للبراز، فجعل يدعي أنه يثبت لعشرين، فقال الرشيد: من له؟ فابتدر جماعة من القواد كهزيمة وخزيمة، فعزم على إخراج المطوعة بعضهم، فضج المطوعة، فإذا بعشرين منهم، فقال قائلهم: يا أمير المؤمنين، قوادك مشهورون بالبأس، ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم يكبر ذلك، وإن قتله العلج كانت وصمة على العسكر قبيحة، ونحن عامة لا يرتفع لأحد منا صوت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلا من العامة فنخرجه إليه، فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعرفهم على يد رجل من العامة، ليس ممن يؤمن قتله، ولا

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٨/٢٧٨

يؤثر، وإن قتل الرجل كان شهيدا ولم يؤثر دما. فقال الرشيد: قد استصوبت رأيكم، فاختاروا رجلا منكم، فاختاروا [٣] رجلا يقال له: ابن الجزري، وكان معروفا بالبأس والنجدة، فقال له الرشيد: أتخرج؟ قال: نعم، واستعين بالله.

فقال: اعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا. فقال: يا أمير المؤمنين، أنا بفرسي أوثق، ورمحي بيدي أشد، ولكن قد قبلت السيف والترس فلبس سلاحه واستدناه الرشيد وودعه وأتبعه الدعاء، وخرج معه عشرون من المطوعة، فلما انقض [٤] في الوادي قال لهم العلج وهو يعدهم واحدا واحدا، / إنما الشرط عشرون وقد زدتم رجلا، ولكن لا بأس. فنادوه: ليس يخرج إليك إلا رجل واحد. فلما فصل منهم ابن الجزري تلقاه الرجل الرومي وقد أشرف أكثر [٥] الناس من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن، حتى

---

[١] في الأصل: «فليبزز» .

[٢] في الأصل: «سيغربه» .

[٣] في الأصل: «فاحتاروا» .

[٤] في الأصل: «انقص» .

[٥] في الأصل: «أكنر» .." (١)

"هـ

باب الهاء والألف وما يليهما

هاب:

قلعة عظيمة من العواصم.

الهاربية:

بلفظ اسم الفاعل من لفظ هرب يهرب:

مويهة لبني هاربة بن ذبيان، وقال بشر بن أبي خازم:

ولم تهلك لمرة إذ تولوا ... وساروا سير هاربة فغادوا

وذلك لحرب كانت بينهم فرحلوا من غطفان فنزلوا في بني ثعلبة بن سعد فعدادهم اليوم فيهم وهم قليل، قال

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨١/٩

هشام بن محمد الكلبي: لم أر هاربيا قط.

هاروت:
بلفظ هاروت الذي جاء ذكره في القرآن، وهو من الهرت وهو الشق: قرية بأسفل واسط، ينسب إليها أبو البقاء الهاروتي، روى عنه أبو محمد عبد الله بن موسى بن عبد الله الكرخي.

الهارونية:
مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام، استحدثها هارون الرشيد وعليها سوران وأبواب حديد ثم خربها الروم فأرسل سيف الدولة غلامه غرقويه فأعاد عمارتها، وهي اليوم من بلاد بني ليون الأرمني، قال أحمد ابن يحيى: لما كانت سنة ١٨٣ أمر الرشيد ببناء الهارونية بالثغر فبنيت وشحنت بالمقاتلة ومن نزع إليها من **المطوعة** ونسبت إليه، ويقال إنه بناها في خلافة أبيه المهدي وتمت في أيام ابنه، ثم استولى عليها العدو لسبع بقين من شوال سنة ٣٤٨ وسبي من أهلها ألف وخمسمائة مسلم ما بين امرأة ورجل وصبي. والهارونية أيضا: من قرى بغداد قرب شهرابان في طريق خراسان بها القنطرة العجيبة البناء لها ذكر تعرف بقنطرة الهارونية.

هارة:
موضع في قول ابن مقبل:
قريت الثريا بين بطحاء هارة ... ومنزوز قف حيث يلتقيان
وقيل: هارة أي هائرة، من قوله تعالى: جرف هار فانهار به، وقف: ما على طرف الأرض، ومنزوز: لا يحبس الماء.

الهاروني:
قصر قرب سامراء، ينسب إلى هارون الواثق بالله، وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل وبإزائه بالجانب الغربي المعشوق.." (١)

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥/٣٨٨

"الله عنه وشهرته تغني عن ذكره

المطوعي بضم الميم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو وفي آخرها عين مهملة هذه النسبة إلى **المطوعة** وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور وقصدوا جهاد العدو في بلادهم لا إذا قصد العدو بلاد الإسلام وهم جماعة منهم أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل بن يزداد المطوعي المروزي يروي عن أبي داود السنجي وأبي الموجه محمد بن عمرو وغيرهما روى عنه الدارقطني وأبو عمر بن حيويه الخزاز وابو علي الحافظ النيسابوري وغيرهم وتوفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وأحمد بن توبة الغازي المطوعي السلمي المروزي الزاهد فتح اسبيجاب في اربعين رجلا وبها أولادهم يعرفون بأولاد الأربعين يشار إليهم روى عن ابن المبارك وابن عيينة وغيرهما ومات ببيكند روى عنه اسحاق بن منصور وعبد الله بن أحمد شبوية وغيرهما المطهري بضم الميم وفتح الطاء وتشديد الهاء المفتوحة وفي آخرها راء هذه النسبة إلى قرية ورجل فأما القرية فهي مطهر من أعمال سارية مازندران والمشهور بالنسبة إليها ابو اسحاق إبراهيم بن محمد بن موسى ابن هارون بن الفضل بن هارون بن يزيد السروي المطهري الفقيه الشافعي تفقه ببلده على أبي محمد بن أبي يحيى وببغداد على أبي حامد الاسفراييني وصار مفتي بلده وإليه التدريس والقضاء وسمع أبا طاهر المخلص وأبا نصر الإسماعيل وغيرهما ومات في صفر سنة ثمان وخمسين وأربعمائة عن مائة سنة وأما الرجل فهو جد أبي الفضل محمد بن علي بن سعيد بن محمد ابن المطهري بن عبد العزيز بن محمد بن علي المطهر البخاري سمع أباه وأبا حفص عمر بن منصور بن خنب الحافظ وأبا بكر محمد بن علي بن حيدرة الجعفري وغيرهم ولأبي سعد السمعاني منه اجازة وتوفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة." (١)

"[ثم دخلت سنة تسع وسبعين]

- ٧٩

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر غزو عبيد الله بن أبي بكرة رتبيل

لما ولى الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة سجستان، وذلك سنة ثمان وسبعين، مكث سنة لم يغز، وكان رتبيل مصالحا، وكان يؤدي الخراج، وربما امتنع منه.

فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة يأمره بمناجزته، وأن لا يرجع حتى يستبيح بلاده، ويهدم قلاعه، ويقيد رجاله.

---

(١) اللباب في تهذيب الأنساب ابن الأثير، أبو الحسن ٢٢٦/٣

فسار عبيد الله في أهل البصرة وأهل الكوفة، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ، وكان من أصحاب علي، ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل، فأصاب من الغنائم ما شاء، وهدم حصونا، وغلب على أرض من أراضيهم، وأصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم أرضا بعد أرض، حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم، وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب، فسقط في أيدي المسلمين، فظنوا أن قد هلكوا، فصالحهم عبيد الله على سبعمائة ألف درهم يوصلها إلى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من أرضه، فلقيه شريح فقال له: إنكم لا تصالحون على شيء إلا حسبه السلطان من أعطياتكم، وقد بلغت من العمر طويلا، وقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان، وإن فاتتني اليوم الشهادة ما أدركها حتى أموت. ثم قال شريح: يا أهل الإسلام، تعاونوا على عدوكم. فقال له ابن أبي بكرة: إنك شيخ قد خرفت. فقال له شريح: إنما حسبك أن يقال بستان عبيد الله وحمام عبيد الله. يا أهل الإسلام من أراد منكم الشهادة فإلي. فاتبعه ناس من **المتطوعة** غير كثير، وفرسان الناس، وأهل الحفاظ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا، وجعل شريح يرتجز ويقول:." (١)

"من أهل الشام والعراق وخراسان، سوى الموالي **والمتطوعة**، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة، إنما هي جبال ومخارم وأبواب، يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد. فابتدأ بقهستان فحاصرها، وكان أهلها طائفة من الترك، وأقام عليها. وكان أهلها يخرجون ويقاتلون، فيهزمهم المسلمون في كل ذلك، فإذا هزموا دخلوا الحصن. فخرجوا ذات يوم وخرج إليهم الناس، فاقتتلوا قتالا شديدا، فحمل محمد بن أبي سبرة على تركي قد صد الناس عنه، فاختلفا ضربتين، فثبت سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة، وضربه ابن أبي سبرة فقتله، ورجع وسيفه يقطر دما، وسيف التركي في بيضته، فنظر الناس إلى أحسن منظر رأوه.

وخرج يزيد بعد ذلك يوما ينظر مكانا يدخل منه عليهم، وكان في أربعمائة من وجوه الناس وفرسانهم، فلم يشعروا حتى هجم عليهم الترك في نحو أربعة آلاف، فقاتلوهم ساعة، وقاتل يزيد قتالا شديدا، فسلموا وانصرفوا، وكانوا قد عطشوا، فانتهوا إلى الماء فشربوا، ورجع عنهم العدو.

ثم إن يزيد ألح عليهم في القتال، وقطع عنهم المواد حتى ضعفوا وعجزوا. فأرسل صول، دهقان قهستان، إلى يزيد يطلب منه أن يصالحه ويؤمنه على نفسه وأهله وماله، ليدفع إليه المدينة بما فيها، فصالحه ووفى له، ودخل المدينة، فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز والسبي ما لا يحصى، وقتل أربعة عشر ألف تركي صبرا، وكتب إلى سليمان بن عبد الملك بذلك. ثم خرج حتى أتى جرجان.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٧٨/٣

وكان أهل جرجان قد صالحهم سعيد بن العاص، وكانوا يجبون أحيانا مائة ألف، وأحيانا مائتي ألف، وأحيانا ثلاثمائة ألف، وربما أعطوا ذلك وربما منعوه، ثم امتنعوا وكفروا، فلم يعطوا خراجا، ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا ذلك الطريق، فلم يكن يسلك طريق خراسان أحد إلا على فارس وكرمان. وأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان. وبقي أمر جرجان كذلك حتى ولي يزيد وأتاهم، فاستقبلوه بالصلح، وزادوه وهابوه، فأجابهم إلى ذلك وصالحهم.

فلما فتح قهستان وجرجان طمع في طبرستان أن يفتحها، فعزم على أن يسير إليها، فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكري على الساسان وقهستان، وخلف معه أربعة آلاف، ثم أقبل إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان، فاستعمل على أيذوسا راشد بن عمرو، وجعله في أربعة آلاف، ودخل بلاد طبرستان، فأرسل إليه الإصبهبذ صاحبها يسأله الصلح وأن يخرج من طبرستان، فأبى يزيد، ورجا أن يفتتحها، ووجه أخاه أبا عيينة من." (١)

"[ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة]

- ١١٤

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

ذكر ولاية مروان بن محمد إرمينية وأذربيجان

في هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان وهو ابن عمه، على الجزيرة وأذربيجان وإرمينية.

وكان سبب ذلك أنه كان في عسكر مسلمة بإرمينية حين غزا الخزر، فلما عاد مسلمة سار مروان إلى هشام، فلم يشعر به حتى دخل عليه، فسأله عن سبب قدومه فقال: ضقت ذرعا بما أذكره، ولم أر من يحمله غيري! قال: وما هو: قال مروان: قد كان من دخول الخزر إلى بلاد الإسلام وقتل الجراح وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين، ثم رأى أمير المؤمنين أن يوجه أخاه مسلمة بن عبد الملك إليهم، فوالله ما وطئ من بلادهم إلا أدناها، ثم إنه لما رأى كثرة جمعه أعجبه ذلك، فكتب إلى الخزر يؤذنهم بالحرب، وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر، فاستعد القوم وحشدوا، فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية. وكان قصاراه السلامة، وقد أردت أن تأذن لي في غزوة أذهب بها عنا العار، وأنتقم من العدو. قال: قد أذنت لك. قال: وتمدني بمائة وعشرين ألف مقاتل؟ قال: قد فعلت. قال: وتكتم هذا الأمر عن كل واحد؟ قال: قد فعلت،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤/٨٨

وقد استعملتك على إرمينية. فودعه وسار إلى إرمينية واليا عليها، وسير هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة، فاجتمع عنده من الجنود **والمتطوعة** مائة وعشرون ألفا، فأظهر أنه يريد غزو اللان وقصد بلادهم، وأرسل إلى ملك الخزر يطلب منه المهادنة، فأجابه إلى ذلك وأرسل إليه من يقرر الصلح، فأمسك الرسول عنده إلى أن فرغ من جهازه وما يريد، ثم أغلظ لهم القول وآذنهم بالحرب، وسير الرسول إلى صاحبه بذلك، ووكل به من يسيره على طريق فيه بعد، وسار هو في أقرب الطرق، فما وصل الرسول إلى صاحبه إلا ومروان قد وافاهم، فأعلم صاحبه الخبر وأخبره بما جمع له مروان وحشد واستعد. فاستشار." (١)

"(الرحبة بضم الراء قرية عند الكوفة، وصبح: بضم الصاد المهملة، وكسر الباء الموحدة) .

ذكر فتح مدينة باربد

كان المهدي قد سير، سنة تسع وخمسين ومائة، جيشا في البحر، وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعي إلى بلاد الهند في جمع كثير من الجند **والمتطوعة**، وفيهم الربيع بن صبيح، فساروا حتى نزلوا على باربد، فلما نازلوها حصروها من نواحيها.

وحرض الناس بعضهم بعضا على الجهاد، وضايقوا أهلها، ففتحها الله عليهم هذه السنة عنوة واحتمى أهلها بالبد الذي لهم، فأحرقه المسلمون عليهم، فاحترق بعضهم، وقتل الباقون، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا، وأفاءها الله عليهم.

فهاج عليهم البحر، فأقاموا إلى أن يطيب، فأصابهم مرض في أفواههم، فمات منهم نحو من ألف رجل فيهم الربيع بن صبيح، ثم رجعوا.

فلما بلغوا ساحلا من فارس يقال له بحر حمران عصفت بهم الريح ليلا، فانكسر عامة مراكبهم، فغرق البعض، ونجا البعض.

قيل: وفيها جعل أبان بن صدقة كاتبا لهارون الرشيد ووزيرا له.

وفيها عزل أبو عون عن خراسان عن سخطة، واستعمل عليها معاذ بن مسلم.

وفيها غزا ثمامة بن [الوليد] العبسي الصائفة، وغزا الغمر بن العباس الخثعمي بحر الشام.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤/ ٢١٣

ذكر رد نسب آل أبي بكرة وآل زياد

وفي هذه السنة أمر المهدي برد نسب آل أبي بكرة من ثقيف إلى ولاء." (١)

"[ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة]

١٦٢ -

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة

ذكر قتل عبد السلام الخارجي وفي هذه السنة قتل عبد السلام بن هاشم اليشكري بقنسرين، وكان قد خرج بالجزيرة، فاشتدت شوكته، وكثر أتباعه، فلقيه عدة من قواد المهدي فيهم: عيسى بن موسى، القائد، فقتله في عدة ممن معه.

وهزم جماعة من القواد فيهم شبيب بن واج المروروذي، فندب المهدي إلى شبيب ألف فارس، وأعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة، فوافوا شبيبا فخرج بهم في طلب عبد السلام، فهرب منه، فأدركه بقنسرين، فقاتله، فقتل بها.

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة وضع المهدي دواوين الأزمة، وولى عليها عمرو بن مربع مولاه، وأجرى المهدي على المجذمين وأهل السجون [الأرزاق] في جميع الآفاق.

وفيها خرجت الروم إلى الحدث، فهدموا سورها، وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألف مرتزق سوى المتطوعة، فبلغ حمة." (٢)

"سنة سبع وثمانين ومائة، من غدر نقفور، وكان فتحها في شوال، وكان حصرها ثلاثين يوما، وسبى أهلها، وكان قد دخل البلاد في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة، سوى الأتباع والمتطوعة، ومن لا ديوان له.

وأناخ عبد الله بن مالك على ذي الكلاع.

ووجه داود بن عيسى بن موسى سائرا في أرض الروم في سبعين ألفا يخرب وينهب، ففتح الله عليه.

وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودبسة.

وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقونية.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥/٢١٨

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثـيـر، أبو الحسن ٥/٢٢٩

واستعمل حميد بن معيوف على سواحل الشام ومصر، فبلغ قبرس، فهدم وأحرق وسبى من أهلها سبعة عشر ألفا فأقدمهم الرافقة، فبيعوا بها، وبلغ فداء." (١)

"أتاه الخبر عن أهل قرطبة أنهم أعلنوا العصيان له، فرجع مبادرا، فوصل إلى قرطبة في ثلاثة أيام، وكشف عن الذين أثاروا الفتنة، فصلبهم منكسين، وضرب أعناق جماعة، فارتدع الباقون بذلك، واشتدت كراهيتهم له.

ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون ومرة يعصون إلى سنة اثنتين وتسعين، فضعف أمر أصبغ ؛ لأن الحكم تابع إرسال الجيوش إليه، واستمال جماعة من أعيان أهل ماردة وثقاته من أصحابه، فمالوا إليه، وفارقوا أصبغ، حتى أخوه، فتحير أصبغ، وضعفت نفسه، فأرسل يطلب الأمان فأمنه الحكم، ففارق ماردة، وحضر عند الحكم، وأقام عنده بقرطبة.

ذكر غزو الفرنج بالأندلس

في هذه السنة تجهز لذريق ملك الفرنج بالأندلس، وجمع جموعه ليسير إلى مدينة طرطوشة ليحصرها، فبلغ ذلك الحكم، فجمع العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن، فاجتمعوا في جيش عظيم، وتبعهم كثير من **المتطوعة**، فساروا، فلقوا الفرنج في أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد المسلمين شيئا، فاقتتلوا، وبذل كل من الطائفتين جهده، واستنفد وسعه، فأنزل الله – تعالى نصره على المسلمين، فانهزم الكفار، وكثر القتل فيهم والأسر، ونهبت أموالهم وأثقالهم، وعاد المسلمون ظافرين غانمين.

ذكر عصيان حزم على الحكم

في هذه السنة خالف حزم بن وهب بناحية باجة، ووافقه غيره، وقصدوا لشبونة، وكان الحكم يسمي حزما في كتبه – النبطي، فلما سمع الحكم خبره سير إليه ابنه هشاما في جمع كثير، فأذله ومن معه، وقطع الأشجار وضيق عليهم، حتى أذعنوا لطلب الأمان، فأمنه.

ذكر عزل علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاية هرثمة

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥/٣٧١

وفيها عزل الرشيد علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من قتل ابنه عيسى، فلما قتل جزع عليه أبوه، فخرج عن بلخ إلى مرو مخافة عليها أن." (١)

"بالمجوسي ابن المجوسي الحسن بن سهل.

وقيل: إن عيسى لما ساعده أهل بغداذ على حرب الحسن بن سهل علم الحسن أنه لا طاقة له به، فبعث إليه، وبذل المصاهرة ومائة ألف دينار، والأمان له ولأهل بيته، ولأهل بغداذ، وولاية أي النواحي أحب، فطلب كتاب المأمون بخطه، وكتب عيسى إلى أهل بغداذ: إني مشغول بالحرب عن جباية الخراج، فولوا رجلا من بني هاشم. فولوا منصور بن المهدي، وقال: أنا خليفة أمير المؤمنين المأمون حتى يقدم، أو يولي من أحب. فرضي به الناس.

وعسكر منصور بكلواذى، وبعث غسان بن (عباد بن أبي) الفرج إلى ناحية الكوفة، فنزل بقصر ابن هبيرة، فلم يشعر غسان إلا وقد أحاط به حميد الطوسي، فأخذه أسيرا، وقتل من أصحابه، وذلك لأربع خلون من رجب.

وسير منصور بن المهدي محمد بن يقطين في عسكر إلى حميد، فسار حتى أتى كوثى، فلم يشعر بشيء حتى هجم عليه حميد، وكان بالنيل، فقاتله قتالا شديدا، وانهزم ابن يقطين، وقتل من أصحابه، وأسر، وغرق بشر كثير، ونهب حميد ما حول كوثى من القرى، ورجع حميد إلى النيل، وابن يقطين أقام بنهر صرصر.

وأحصى عيسى بن محمد بن أبي خالد من في عسكره، وكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا بين فارس وراجل، فأعطى الفارس أربعين درهما، والراجل عشرين درهما.

ذكر أمر المتطوعة بالمعروف

وفي هذه السنة تجردت المتطوعة للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وكان سبب ذلك أن فساق بغداذ والشطار آذوا الناس أذى شديدا، وأظهروا الفسق، وقطعوا الطريق، وأخذوا النساء والصبيان علانية، وكانوا يأخذون ولد الرجل وأهله، فلا." (٢)

"[ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين]

- ٢١٤

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥/٣٧٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥/٤٨٢

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين

ذكر قتل محمد الطوسي

فيها قتل محمد بن حميد الطوسي، قتله بابك الخرمي، وسبب ذلك أنه لما فرغ من أمر المتغلبين على طريقه إلى بابك سار نحوه وقد جمع العساكر والآلات والميرة، فاجتمع معه عالم كثير من **المتطوعة** من سائر الأمصار، فسلك المضايق إلى بابك، وكان كلما جاوز مضيقا أو عقبة ترك عليه من يحفظه من أصحابه إلى أن نزل بهشتادسر، وحفر خندقا، وشاور في دخول بلد بابك، فأشاروا عليه بدخوله من وجه ذكروه له، فقبل رأيهم، وعبى أصحابه، وجعل على القلب محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي، المعروف بأبي سعيد، وعلى الميمنة السعدي بن أصرم، وعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليقطيني، ووقف محمد بن حميد خلفهم في جماعة ينظر إليهم، ويأمرهم بسد خلل إن رآه، فكان بابك يشرف عليهم من الجبل، وقد كمن لهم من الرجال تحت كل صخرة.

فلما تقدم أصحاب محمد، وصعدوا في الجبل مقدار ثلاثة فراسخ، خرج عليهم الكمناء، وانحدر بابك إليهم فيمن معه، وانهزم الناس، فأمرهم أبو سعيد ومحمد بن حميد بالصبر، فلم يفعلوا، ومروا على وجوههم، والقتل يأخذهم، وصبر محمد بن حميد مكانه، وفر من كان معه غير رجل واحد، وسارا يطلبان الخلاص، فرأى جماعة وقتالا، فقصدهم، فرأى (الخرمية يقاتلون طائفة من أصحابه، فحين رآه الخرمية قصدوه لما رأوا من حسن) هيئته، فقاتلهم وقاتلوه، وضربوا فرسه بمزراق، فسقط إلى الأرض،." (١)

"وكان الأفشين يجلس على تل مشرف ينظر إلى قصر بابك، والناس كراديس، فمن كان معه من هذا الجانب من الوادي نزل عن دابته، ومن كان من ذلك الجانب مع أبي سعيد وجعفر وأحمد بن الخليل لم ينزل لقربه من العدو، وكان بابك وأصحابه يشربون الخمر، ويضربون بالسرنائي، فإذا صلى الأفشين الظهر رجع إلى خندقه بروذ الروذ، فكان يرجع أولا أقربهم إلى العدو، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، فكان آخر من يرجع بخاراخذاه لأنه كان أبعدهم عن العدو، فإذا رجعوا صاح بهم الخرمية.

فلما كان في بعض الأيام ضجرت الخرمية من المطاولة، وانصرف الأفشين كعادته، وعادت الكراديس التي بذلك الجانب من الوادي، ولم يبق إلا جعفر الخياط، ففتح الخرمية باب البذ، وخرج منهم جماعة على أصحاب جعفر، وارتفعت الصيحة في العسكر، فتقدم جعفر بنفسه، فرد أولئك الخرمية إلى باب البذ، ووقعت الصيحة في العسكر، فرجع الأفشين فرأى جعفرا وأصحابه يقاتلون، وخرج من الفريقين جماعة،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥/٥٦٠

وجلس الأفشين في مكانه، وهو يتلظى على جعفر، ويقول: أفسد علي تعبيتي.

وارتفعت الصيحة، فكان مع أبي دلف قوم من **المتطوعة**، فعبروا إلى جعفر بغير أمر الأفشين، وتعلقوا بالبذ، وأثروا فيه أثرا، وكادوا يصعدونه، فيدخلون البذ، ووجه جعفر إلى الأفشين أن أمدني بخمس مائة راجل من الناشبة، فإني أرجو أن أدخل البذ إن شاء الله تعالى، فبعث إليه الأفشين: إنك أفسدت علي أمري، فتخلص قليلا قليلا، وخلص أصحابك وانصرف، وارتفعت الصيحة من **المتطوعة**، حتى تعلقوا بالبذ، وظن الكمناء الذين لبابك أن الحرب قد اشتبكت، فوثب بعضهم من تحت بخاراخذاه ووثب بعضهم من ناحية أخرى، فتحركت الكمناء من الخرمية، والناس على رؤوسهم، فلم يزل منهم أحد، فقال الأفشين: الحمد لله الذي بين مواضع هؤلاء.

ورجع جعفر وأصحابه **والمتطوعة**، فجاء جعفر إلى الأفشين، فأنكر عليه حيث لم يمده، وجرى بينهما نفرة شديدة، وجاء رجل من **المتطوعة**، ومعه صخرة، فقال للأفشين: أتردنا وهذا الحجر أخذته من السور؟ فقال: إذا انصرفت عرفت من على." (١)

"طريقك، يعني الكمين الذي عند بخاراخذاه. وقال لجعفر: لو ثار هذا الكمين الذي تحتك كيف كنت ترى هؤلاء **المتطوعة**؟ !

ثم رجع هو وأصحابه على عادتهم، فلما رأى هؤلاء الكمين الذي عند بخاراخذاه علموا ما كان وراءهم، فإن بخاراخذاه لو تحرك نحو القتال، لملكوا ذلك الموضع، وهلك المسلمون عن آخرهم، فأقام الأفشين بخندقه أياما، فشكا **المتطوعة** إليه ضيق العلوفة، والزاد، والنفقة، فقال: من صبر فليصبر، ومن لم [يصبر] فالطريق واسع فلينصرف، وفي جند أمير المؤمنين كفاية، فانصرف **المتطوعة** يقولون: لو ترك الأفشين جعفرا وتركنا لأخذنا البذ، لكنه يشتهي المطاولة، فبلغه ذلك وما تتناوله **المتطوعة** بألسنتهم حتى قال بعضهم: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، قال لي: قل للأفشين (إن أنت حاربت هذا وجددت في أمره، وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة، فتحدث الناس بذلك، فبلغ الأفشين) ، فأحضره، وسأله عن المنام، فقصه عليه، فقال: الله يعلم نيتي وما أريد بهذا الخلق، وإن الله لو أمر الجبال برجم أحد لرجم هذا الكافر فكفانا مؤونته. فقال رجل من **المتطوعة**: أيها الأمير لا تحرمنا شهادة إن كانت حضرت، وإنما قصدنا ثواب الله ووجهه، فدعنا وحدنا حتى نتقدم بعد أن يكون بإذنك لعل الله أن يفتح علينا.

فقال الأفشين: إني أرى نياتكم حاضرة، وأحسب هذا الأمر يريده الله تعالى، وهو خير إن شاء الله، وقد

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٢٧

نشطتم ونشط الناس، وما كان هذا رأيي وقد حدث الساعة لما سمعت من كلامكم، اعزموا على بركة الله أي يوم أردتم حتى نناهضه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فخرجوا مستبشرين، فتأخر من أراد الانصراف، ووعد الأفشين الناس ليوم ذكره لهم، وأمر الناس بالتجهز وحمل المال والزاد والماء، وجعل المحامل على البغال تحمل الجرحى، وزحف بالناس ذلك اليوم وجعل بخاراخذاه بمكانه على العقبة، وجلس الأفشين بالمكان الذي كان يجلس فيه، وقال لأبي دلف: قل للمتطوعة أي ناحية أسهل عليكم فاقتصروا عليها.

فقال لجعفر: العسكر كله بين يديك والنشابة والنفاطون، فإن أردت فخذ منهم ما تريد واعزم على بركة الله، وتقدم من أي موضع تريد.." (١)

"فسار إلى الموضع الذي كان به ذلك اليوم، وقال لأبي سعيد: قف عندي أنت وأصحابك، وقال لجعفر: قف أنت هاهنا، لمكان عينه له، فإن أراد جعفر رجالا أو فرسانا أمددناه.

وتقدم جعفر **والمتطوعة**، فقاتلوا وتعلقوا بسور البذ، وضرب جعفر باب البذ ووقف عنده يقاتل عليه، ووجه الأفشين إليه وإلى **المتطوعة** بالأموال لتفرق فيهم ويعطى من تقدم، وأمدهم بالفعلة معهم الفؤوس، وبعث إليهم بالمياه لئلا يعطشوا وبالكعك والسويق، فاشتبكت الحرب على الباب طويلا، ففتحت الخرمية الباب، وخرجوا على أصحاب جعفر، فنحوهم عن الباب، وشدوا على **المتطوعة** من الناحية الأخرى، فطرحوهم عن السور، ورموهم بالصخر، وأثروا فيهم، وضعفوا عن الحرب، وأخذ جعفر من أصحابه نحو مائة رجل، فوقفوا خلف ترسهم متحاجزين لا يقدم أحد على الآخر، فلم يزالوا كذلك حتى صليت الظهر فتحاجزوا.

وبعث الأفشين الرجالة الذين كانوا عنده نحو **المتطوعة**، وبعث إلى جعفر بعضهم، خوفا أن يطمع العدو، فقال جعفر: لست أوتى من قلة، ولكني لا أرى للحرب موضعا يتقدمون فيه، فأمره بالانصراف فانصرف. وحمل الأفشين الجرحى ومن به وهن من الحجارة، فحملوا في المحامل على البغال وانصرفوا عنهم، وأيس الناس من الفتح تلك السنة، وانصرف أكثر **المطوعة**.

ثم إن الأفشين تجهز بعد جمعتين، فلما كان جوف الليل بعث الرجالة الناشبة، وهم ألف رجل، وأعطى كل واحد منهم شكوة وكعكا، وأعطاهم أعلاما غير مركبة وبعث معهم أدلاء، فساروا في جبال منكرة صعبة في غير طريق، حتى صاروا خلف التل الذي يقف آذين عليه، وهو جبل شاهق، وأمرهم أن لا يعلم بهم أحد، حتى إذا رأوا أعلام الأفشين وصلوا الغداة ورأوا الوقعة ركبوا تلك الأعلام في الرماح وضربوا الطبول وانحدروا

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٢٨

من فوق الجبل، ورموا بالنشاب والصخر على الخرمية، وإن هم لم يروا الأعلام لم يتحركوا حتى يأتيهم خبره. ففعلوا ذلك فوصلوا إلى رأس الجبل عند السحر، فلما كان في بعض الليل وجه الأفشين إلى الجند، وأمرهم بالتجهز للحرب.

فلما كان بعض الليل وجه بشيرا التركي وقوادا من الفراغنة كانوا معه، فأمرهم أن يسيروا حتى يصيروا تحت التل الذي عليه آذين، وكان يعلم أن بابك يكمن تحت." (١)

"وفي سنة سبع وأربعين ومائتين سار العباس إلى سرقوسة، فغنم وسار إلى غيران قرقنة، فاعتل ذلك اليوم، ومات بعد ثلاثة أيام، ثالث جمادى الآخرة، فدفن هناك، فنبشه الروم، وأحرقوه، وكانت ولايته إحدى عشرة سنة، وأدام الجهاد شتاء وصيفا، وغزا أرض قلورية، وانكبرده وأسكنها المسلمين.

ذكر ابتداء أمر يعقوب بن الليث

وفيها تغلب إنسان من أهل بست، اسمه صالح بن النضر الكناني، على سجستان، ومعه يعقوب بن الليث، فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر أمير خراسان واستنقذها من يده.

ثم ظهر بها إنسان اسمه درهم بن الحسين، من **المتطوعة**، فتغلب عليها، وكان غير ضابط لعسكره، وكان يعقوب بن الليث هو قائد عسكره، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه، وعجزه، اجتمعوا على يعقوب بن الليث، وملكوه أمرهم، لما رأوا من تدبيره، وحسن سياسته، وقيامه بأمورهم، فلما تبين ذلك لدرهم لم ينازعه في الأمر، وسلمه إليه، واعتزل عنه، فاستبد يعقوب بالأمر، وضبط البلاد، وقويت شوكته وقصدته العساكر من كل ناحية، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ولي عبيد الله بن إسحاق بن إبراهيم بغداد ومعاون السواد.

وفيها قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان في ربيع الأول، فولي الجزية، والشرطة، وخلافة المتوكل ببغداذ، وأعمال السواد وأقام بها.

وفيها عزل أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد عن المظالم، وولاها محمد بن." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٩/٦

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٣٨/٦

"وفيها جعل المتوكل كل كورة شمشاط عشرية، وكانت خراجية.

ذكر غارات البجاة بمصر

وفيها أغارت البجاة على أرض مصر، وكانت قبل ذلك لا تغزو بلاد الإسلام لهدنة قديمة، وقد ذكرناها فيما مضى، وفي بلادهم معادن يقاسمون المسلمين عليها، ويؤدون إلى عمال مصر نحو الخمس.

فلما كانت أيام المتوكل امتنعت عن أداء ذلك، فكتب صاحب البريد بمصر بخبرهم، وأنهم قتلوا عدة من المسلمين ممن يعمل في المعادن، فهرب المسلمون منها خوفا على أنفسهم، فأنكر المتوكل ذلك، فشاور في أمرهم، فذكر له أنهم أهل بادية، أصحاب إبل وماشية، وأن الوصول إلى بلادهم صعب لأنها مفاوز، وبين أرض الإسلام وبينها مسيرة شهر في أرض قفر وجبال وعرة، وأن كل من يدخلها من الجيوش يحتاج أن يتزود لمدة يتوهم أنه يقيمها إلى أن يخرج إلى بلاد الإسلام، فإن جاوز تلك المدة هلك، وأخذتهم البجاة باليد، وأن أرضهم لا ترد على سلطان شيئا.

فأمسك المتوكل عنهم، فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف أهل الصعيد على أنفسهم منهم، فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمي محاربتهم، وولاه معونة تلك الكور، وهي قفط، والأقصر، وأسنا وأرمنت، وأسوان، وأمره بمحاربة البجاة، وكتب إلى عنبسة بن إسحاق الضبي عامل حرب مصر بإزاحة علته، وإعطائه من الجند ما يحتاج إليه، ففعل ذلك.

وسار محمد إلى أرض البجاة وتبعه ممن يعمل في المعادن والمتطوعة عالم كثير، فبلغت عدتهم نحوا من عشرين ألفا بين فارس وراجل، ووجه إلى القلزم، فحمل في البحر سبعة مراكب موقورة بالدقيق، والزيت، والتمر، والشعير، والسويق، وأمر أصحابه أن يوافوه بها في ساحل البحر مما يلي بلاد البجاة، وسار حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب، وسار إلى حصونهم وقلاعهم، وخرج إليه ملكهم، واسمه علي بابا، في جيش كثير أضعاف من مع القمي، فكانت البجاة على الإبل، وهي إبل فرة تشبه المهاري، فتحاربوا أياما ولم يصدقهم علي بابا القتال لتطول الأيام، وتفنى أزواد المسلمين وعلوفاتهم، فيأخذهم بغير حرب، فأقبلت تلك المراكب التي فيها الأقوات في البحر." (١)

"آلاف، وكان دخولهم من ناحية إبريق قرية قريياس ثم رجعوا، فخرج قريياس وعمر بن عبد الله الأقطع، وقوم من المتطوعة في آثارهم، فلم يلحقوهم، فكتب المتوكل إلى علي بن يحيى الأرمني أن يسير إلى بلادهم شاتيا.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٥١/٦

وفيها قتل المتوكل رجلا عطارا، وكان نصرانيا فأسلم، فمكث مسلما سنين كثيرة، ثم ارتد، واستتب فأبى الرجوع إلى الإسلام، فقتل وأحرق.

وفيها سير محمد بن عبد الرحمن بالأندلس جيشا إلى بلد المشركين، فدخلوا إلى برشلونة، وحارب قلاعها وجازها إلى ما وراء أعمالها، فغنموا كثيرا، وافتتحوا حصنا من أعمال برشلونة يسمى طراجة، وهو من آخر حصون برشلونة) .

[الوفيات]

(وفيها مات أبو العباس محمد بن الأغلب أمير إفريقية عاشر المحرم، كان عمره ستا وثلاثين سنة، وولي بعده ابنه أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب، وقد ذكرنا ذلك سنة ست وعشرين ومائتين) .

وفيها مات أبو حسان الزيادي قاضي الشرقية.." (١)

"موسى بالنار فألقيت فيه، فالتهب من تحت أقدامهم، فجعلت تحرقهم، فانهزموا فتبعهم موسى، ودخل قزوين.

وفيها (في ذي الحجة) لقي مساور الخارجي عسكرا للخليفة (مقدمهم حطرمس) بناحية جلولاء، فهزمه مساور.

وفيها سار جيش المسلمين من الأندلس إلى بلاد المشركين، فافتتحوا حصون جرنيق، وحاصروا فوثب وغلب على أكثر أسوارها.

ذكر ابتداء دولة يعقوب الصفار وملكه هراة وبوشنج

وكان يعقوب بن الليث وأخوه عمرو يعملان الصفر بسجستان، ويظهران الزهد والتقشف. وكان في أيامهما رجل من أهل سجستان يظهر التطوع بقتال الخوارج، يقال له: صالح المطوعي، فصحبه يعقوب، وقاتل معه، فحظي عنده، فجعله صالح مقام الخليفة عنه، ثم هلك صالح، وقام مقامه إنسان آخر اسمه درهم، فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح قبله.

ثم إن صاحب خراسان احتال لدرهم لما عظم شأنه وكثر أتباعه، حتى ظفر به وحمله إلى بغداد، فحبسه بها، ثم أطلق، وخدم الخليفة ببغداذ.

وعظم أمر يعقوب بعد أخذ درهم، وصار متوليا أمر **المتطوعة** مكان درهم، وقام بمحاربة الشراة، (فظفر

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٥٦/٦

بهم) ، وأكثر القتل فيهم، حتى كاد يفنيهم، وخرب قراهم، وأطاعه أصحابه بمكره، وحسن حاله ورأيه طاعة لم يطيعوها أحدا كان من قبله، واشتدت شوكته، فغلب على سجستان، وأظهر التمسك بطاعة الخليفة، وكاتبه، وصدر عن أمره، وأظهر أنه هو أمره بقتال الشراة، وملك سجستان وضبط الطرق وحفظها، وأمر بالمعروف ونهى عن." (١)

"وأصحابه، وتبعهم السودان، فقتلوا من أصحاب أبي هلال أكثر من ألف وخمسمائة رجل، وأخذوا منهم أسرى فأمر بقتلهم.

ثم إنه أتاه من أخبره أن الزينبي قد أعد له الخيول، **والمتطوعة**، والبلالية، والسعدية، وهم خلق كثير، وقد أعدوا الحبال ليكتف من يأخذونه من السودان، والمقدم عليهم أبو منصور، وأخذ موالي الهاشميين، فأرسل علي بن أبان في مائة أسود ليأتيه بخبرهم، فلقي طائفة منهم، فهزمهم، وصار من معهم من العبيد إلى علي بن أبان.

وأرسل طائفة أخرى من أصحابه، فأتوا إلى موضع فيه ألف وتسعمائة سفينة، ومعها من يحفها، فلما رأوا الزنج هربوا عنها، فأخذ الزنج السفن وأتوا بها إلى صاحبهم، فلما أتوه قعد على نشز من الأرض.

وكان في السفن قوم حجاج أرادوا أن يسلكوا طريق البصرة، فناظرهم، فصدقوه على قوله، وقالوا له: لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك، فأطلقهم، وأرسل طليعة تأتيه بخبر ذلك العسكر، فأتاه خبرهم أنهم قد أتوه في خلق كثير، فأمر محمد بن سالم، وعلي بن أبان أن يقعدا لهم بالنخل، وقعد هو على جبل مشرف، فلم يلبث أن طلعت الأعلام والرجال، فأمر الزنج فكبروا، وحملوا عليهم، وحملت الخيول، فتراجع الزنج حتى بلغوا الجبل الذي هو عليه، ثم حملوا، فثبتوا لهم، وقتل من الزنج فتح الحجام، وصدق الزنج الحملة، فأخذوهم بين أيديهم، وخرج محمد بن سالم، وعلي بن أبان، وحملوا عليهم فقتلوا منهم، وانهزم الناس، وذهبوا كل مذهب، وتبعهم السودان إلى نهر بيان، فوقعوا في الوحل، فقتلهم السودان، وغرق كثير منهم.

وأتى الخبر إلى الزنوج بأن لهم كمينا، فساروا إليه، فإذا الكمين في (أكثر من) ألف من المغاربة، فقاتلهم قتالا شديدا، ثم حمل السودان عليهم، فقتلوهم أجمعين وأخذوا سلاحهم.

ثم وجه أصحابه فرأوا مائتي سفينة فيها دقيق فأخذوه، ومتاعا فنهبوه، ونهب المعلى بن أيوب ثم سار، فرأى مسلحة الزينبي فقاتلوه، فقاتلهم، فقتلهم أجمعين،." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٤٧/٦

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٦٨/٦

"فلما كان يوم الاثنين لأربع خلون من ذي القعدة جمع أهل البصرة وحشدوا لما رأوا من ظهورهم عليه، وانتدب لذلك رجل يعرف بحمار الساجي، وكان من غزاة البحر، وله علم في ركوب السفن، فجمع **المتطوعة**، ورماة الأهداف، وأهل المسجد الجامع، ومن خف معه من البلالية والسعدية، ومن أحب النظر من غيرهم، وشحن ثلاثة مراكب، وشذوات مقابلة، (وجعلوا يزدحمون) ، ومضى جمهور الناس رجالة، منهم من معه سلاح، ومنه نظارة، فدخلت المراكب في المد، والرجالة على شاطئ النهر.

فلما علم صاحب الزنج بذلك وجه طائفة من أصحابه مع زريق الأصبهاني، في شرقي النهر، كمينا، وطائفة مع شبل، وحسين الحمامي، في غربيه كمينا، وأمر علي بن أبان أن يلقى أهل البصرة، وأن يستتر هو ومن معه بتراسهم، ولا يقاتل حتى تظهر أصحابه، وتقدم إلى الكمينين، إذ جاوزهم أهل البصرة أن يخرجوا، ويصيحوا بالناس، وبقي هو في نفر يسير من أصحابه، وقد هاله ما رأى من كثرة الجمع، فسار أصحابه إليهم، وظهر الكمينان من جانبي النهر ومن وراء السفن، والرجالة، فضربوا من ولى من الرجالة والنظارة، فغرقت طائفة، وقتلت طائفة، وهرب الباقون إلى الشط، فأدركهم السيف، فمن ثبت قتل، ومن ألقى نفسه في الماء غرق، فهلك أكثر ذلك الجمع، فلم ينج إلا الشريد، وكثر المفقودون من أهل البصرة، وعلا العويل من نسائهم، وهذا يوم البيداء الذي أعظمه الناس.

وكان فيمن قتل جماعة من بني هاشم وغيرهم في خلق كثير لا يحصى، وجمعت للخبيث الرءوس، فأتاه جماعة من أولياء المقتولين، فأعطاهم ما عرفوا، وجمع الرءوس التي لم تطلب، وجعلها في خزينة، فأطلقها فوافت البصرة، فجاء الناس وأخذوا كل ما عرفوه منها، وقوي بعد هذا اليوم، وتمكن الرعب في قلوب أهل البصرة منه، وأمسكوا عن حربه.." (١)

"ثم وجه أبو طلحة جيشا إلى جرجان، وبها ثابت بن الحسن بن زيد، ومعه الديلم، وكان على جيش أبي طلحة إسحاق الشاري، فحاربوا الديلم بجرجان، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأجلوهم عنها، وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين.

ثم عصى إسحاق على أبي طلحة، فسار إليه أبو طلحة، واشتغل في طريقه باللهو والصيد، فكبسه إسحاق وقتل أصحابه، وانهزم أبو طلحة إلى نيسابور، فاستضعفه أهلها، فأخرجوه منها، فنزل على فرسخ عنها، وجمع جمعا وحاربهم، ثم افتعل كتابا عن أهل نيسابور إلى إسحاق، يستقدمونه إليهم، ويعدونه المساعدة على أبي طلحة، فاغتر إسحاق بذلك، وكتب أبو طلحة عن إسحاق كتابا إلى أهل نيسابور يعدهم أنه

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٢٧٠

يساعدهم على أبي طلحة، ويأمرهم بحفظ الدروب، وترك مقاربة البلد إلى أن يوافيهم، فاغتروا بذلك، وظنوه كتابه، ففعلوا ما أمرهم.

وسار إسحاق مجدا، فلما قارب نيسابور لقيه أبو طلحة، فغافصه، فطعنه أبو طلحة، فألقاه عن فرسه في بئر هناك، فلم يعلم له خبر، وانهزم أصحابه، ودخل بعضهم إلى نيسابور، وضيق عليهم أبو طلحة، فكاتبوا الخجستاني، واستقدموه من هراة، فأتاهم في يومين وليلتين، وورد عليهم ليلا، ففتحوا له الأبواب، ودخلها وسار عنها أبو طلحة إلى الحسن بن زيد، فأمده بجنود، فعاد إلى نيسابور، فلم يظفر بشيء، فسار إلى بلخ، وحصر أبا داود الناهجوزي، واجتمع معه خلق كثير، وذلك سنة خمس، (وقيل ست) وستين ومائتين.

وسار الخجستاني إلى محاربة الحسن بن زيد لمساعدته أبا طلحة، فاستعان الحسن بأهل جرجان، فأعانوه، فحاربهم الخجستاني فهزمهم، وأغار عليهم، وجباهم أربعة آلاف ألف درهم، وذلك في رمضان سنة خمس وستين [ومائتين] .

واتفق أن يعقوب بن الليث توفي سنة خمس وستين [ومائتين] أيضا، وولي مكانه أخوه عمرو، فعاد إلى سجستان وقصد هراة، فعاد الخجستاني من جرجان إلى نيسابور، ووافاه عمرو بن الليث، فاقتتلا، وانهزم عمرو ورجع إلى هراة، وأقام أحمد بنيسابور.

وكان كيكان، وهو يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي، وجماعة من **المتطوعة**." (١)

"[ممن] حاربهم، ثم أمرهم الموفق بالرجوع ففعلوا، استأمن إلى الموفق مقاتلة في سميريتين، فأمنهم، فخلع على من فيهما من المقاتلة والملاحين على أقدارهم ووصلهم وأمر بإدنائهم إلى موضع يراهم فيه نظراؤهم، وكان ذلك من أنجع المكايد، فلما رآهم الباقون رغبوا في الأمان، وتنافسوا فيه، وابتدروا إليه، فصار إلى الموفق عدد كثير ذلك اليوم من أصحاب السميريات، فعمهم بالخلع والصلات.

فلما رأى صاحب الزنج ذلك أمر برد أصحابه إلى السميريات إلى نهر أبي الخصيب، ووكل بفوهة النهر من يمنعهم من الخروج، وأمر بهبود، وهو من شر قواده، أن يخرج في الشذوات، فخرج وبرز إليه أبو العباس في شذواته، وقاتله، واشتدت الحرب، فانهزم بهبود إلى فناء قصر الخبيث، وأصابته طعنتان، وجرح بالسهام، وأوهنت أعضاؤه بالحجارة، فأولجوه نهر أبي الخصيب وقد أشفى على الموت، فقتل ممن كان معه قائد ذو بأس يقال له عميرة، وظفر أبو العباس بشذاة فقتل أهلها، ورجع هو ومن معه سالمين، فاستأمن إلى أبي العباس أهل شذاة منهم، فأمنهم، وأحسن إليهم، وخلع عليهم.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٤٠/٦

ورجع الموفق ومن معه إلى عسكره بالنهر المبارك، استأمن إليه عند منصرفه خلق كثير، فأمنهم، وخلع عليهم، ووصلهم، وأثبت أسماءهم مع أبي العباس، وأقام عسكره يومين، ثم نقل عسكره لست بقين من رجب إلى نهر جطى فنزله، وأقام به إلى منتصف شعبان لم يقاتل.

ثم ركب منتصف شعبان في الخيل والرجال وأعد الشذا والسميريات، وكان من معه من الجند والمتطوعة زهاء خمسين ألفا، وكان من مع الخبيث أكثر من ثلاثمائة ألف إنسان، كلهم ممن يقاتل بسيف، أو رمح، أو قوس، أو مقلاع، أو منجنيق، وأضعفهم رماة الحجارة من أيديهم، وهم النظارة، والنساء تشركهم في ذلك، فأقام أبو أحمد ذلك اليوم، ونودي بالأمان للناس كافة إلا الخبيث، وكتب الأمان في رقاع، ورماها في السهام، ووعد فيها الإحسان، فمالت قلوب أصحاب الخبيث، واستأمن ذلك اليوم خلق كثير، فخلع عليهم ووصلهم، ولم يكن ذلك اليوم حرب.

ثم رحل من نهر جطى من الغد، فعسكر قرب مدينة الخبيث، ورتب قواده." (١)

"وأصبح وجه الملك جذلان ضاحكا

يضيء لنا منه الذي كان يظلم ... فدونك فاشدد عقد ما حويته

فإنك دون الناس فيه المحكم

وفيها نودي بمدينة السلام أن لا يقعد على الطريق ولا في المسجد الجامع قاض، ولا منجم، ولا زاجر، وحلف الوراقون أن لا يبيعوا كتب الكلام والجدل، والفلسفة.

وفيها قبض على جراد كاتب أبي الصقر إسماعيل بن بلبل.

وفيها انصرف أبو طلحة منصور بن مسلم من شهرزور، وكانت له، فقبض عليه.

ذكر الحرب بين الخوارج، وأهل الموصل، والأعراب

في هذه السنة اجتمعت الخوارج، ومقدمهم هارون، ومعهم متطوعة أهل الموصل، وغيرهم، وحمدان بن حمدون التغلبي، على قتال بني شيبان.

وسبب ذلك أن جمعا كثيرا من بني شيبان عبروا الزاب، وقصدوا نينوى من أعمال الموصل، للإغارة عليها وعلى البلد، فاجتمع هارون الشاري، وحمدان بن حمدون، وكثير من المتطوعة المواصلة، وأعيان أهلها، على قتالهم ودفعهم.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٨٣/٦

وكان بنو شيبان نزلوا على باعشيقا، ومعهم هارون بن سليمان مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني صاحب ديار بكر، وكان قد أنفذه محمد بن إسحاق بن كنداج واليا على الموصل، فلم يمكنه أهلها من المقام عندهم، فطردوه، فقصد بني شيبان (معاونا على الخوارج، وأهل الموصل) ، فالتقوا، وتصافوا، واقتتلوا، فانهزمت بنو شيبان، وتبعهم حمدان، والخوارج، وملكوا بيوتهم، واشتغلوا بالنهب.

وكان الزاب (لما عبره بنو شيبان [زائدا] ، فلما انهزموا) علموا أن لا ملجأ ولا." (١)

"فأتته العيون فأخبروه أن وصيفا يريد عين زربة، فسأل أهل المعرفة بذلك الطريق، وسألهم عن أقرب الطرق إلى لقاء وصيف، فأخذوه وساروا به نحوه، وقدم جمعا من عسكره بين يديه، فلقوا وصيفا فقاتلوه، وأخذوه أسيرا، فأحضروه عند المعتضد فحبسه، وأمر فنودي في أصحاب وصيف بالأمان، وأمر العسكر برد ما نهبوه منهم، ففعلوا ذلك.

وكانت الوقعة لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة ؛ فلما فرغ منه رحل إلى المصيصة، وأحضر رؤساء طرسوس فقبض عليهم لأنهم كاتبوا وصيفا، وأمر بإحراق مراكب طرسوس التي كانوا يغزون فيها، وجميع آلاتها، وكان من جملتها نحو من خمسين مركبا قديمة، قد أنفق عليها من الأموال ما لا يحصى، ولا يمكن عمل مثلها، فأضر ذلك بالمسلمين، وفت في أعضادهم، و [قوي] أمر الروم أن يغزو في البحر، وكان إحراقها بإشارة دميانة غلام يازمان لشيء كان في نفسه على أهل طرسوس، واستعمل على أهل الثغور الحسن بن علي كورة.

وسار المعتضد إلى أنطاكية وحلب وغيرهما، وعاد إلى بغداذ.

(وفيها توفيت ابنة خمارويه زوج المعتضد) .

ذكر أمر القرامطة، وانهزام العباس الغنوي منهم

في هذه السنة، في ربيع الآخر، عظم أمر القرامطة بالبحرين، وأغاروا على نواحي هجر، وقرب بعضهم من نواحي البصرة، فكتب أحمد الواثقي يسأل المدد، فسير إليه سميريات فيها ثلاثمائة رجل، وأمر المعتضد باختيار رجل ينفذه إلى البصرة، وعزل العباس بن عمرو الغنوي عن بلاد فارس، وأقطعه اليمامة والبحرين، وأمره بمحاربة القرامطة وضم إليه زهاء ألفي رجل، فسار إلى البصرة، واجتمع إليه جمع كثير من **المتطوعة**

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٦٨/٦

والجند، والخدم.

ثم سار منها إلى أبي سعيد الجنابي، فلقوه مساء، وتناوشوا القتال، وحجز بينهم." (١)

"ذكر عدة حوادث

وفيها جاءت أخبار أن حوى وما يليها جاءها سيل فغرق نحو من ثلاثين فرسخا، وغرق خلق كثير، وغرقت المواشي والغلات، وخربت القرى، وأخرج من الغرقى ألف ومائتا نفس، سوى من لم يلحق منهم.

وفيها خلع المكتفي على محمد بن سليمان كاتب الجيش، وعلى جماعة من القواد وأمرهم بالمسير إلى الشام، ومصر لأخذ الأعمال من هارون بن خمارويه، لما ظهر من عجزه، وذهاب رجاله بقتل القرمطي، فسار عن بغداذ في رجب وهو في عشرة آلاف رجل، وجد في السير.

وفيها خرجت الترك في خلق كثير لا يحصون إلى وراء النهر، وكان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية، ولا يكون إلا للرؤساء منهم، فوجه إليهم إسماعيل بن أحمد جيشا كثيرا، وتبعهم من المتطوعة خلق كثير، فساروا نحو الترك، فوصلوا إليهم وهم غارون، فكبسهم المسلمون مع الصبح، فقتلوا منهم خلقا عظيما لا يحصون، وانهزم الباقون، استبيح عسكرهم، وعاد المسلمون سالمين غانمين.

وفيها خرج من الروم عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف إلى الثغور، فقصد جماعة منهم إلى الحدث، فأغاروا، وسبوا، وأحرقوا.

وفيها سار المعروف بغلام زرافة من طرسوس نحو بلاد الروم، ففتح مدينة." (٢)

"وفيها كاتب ابن الديراني وغيره من الأرمن، وهم بأطراف أرمينية الروم، (وحثوهم على قصد) بلاد الإسلام، ووعدهم النصرة، فسارت الروم في خلق كثير، فخربوا بزكرى وبلاد خلاط وما جاورها، وقتل من المسلمين خلق كثير، وأسروا كثيرا (منهم، فبلغ خبرهم مفلحا) غلام يوسف بن أبي الساج، وهو والي أذربيجان، فسار في عسكر كبير، وتبعه كثير من المتطوعة إلى أرمينية، فوصلها في رمضان، وقصد بلد ابن الديراني ومن وافقه لحربه، وقتل أهله، ونهب أموالهم، وتحصن ابن الديراني (بقلعة له) ، وبالغ الناس في كثرة القتلى من الأرمن، وحتى قيل إنهم كانوا مائة ألف قتيل، والله أعلم.

وسارت عساكر الروم إلى سميساط فحصروها، فاستصرخ أهلها بسعيد بن حمدان، وكان المقتدر قد ولاه الموصل وديار ربيعة، وشرط عليه غزو الروم، وأن يستنقذ ملطية منهم، وكان أهلها قد ضعفوا، فصالحوا

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٠٩/٦

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٤٠/٦

الروم، وسلموا مفاتيح البلد إليهم، فحكموا على المسلمين، (فلما جاء رسول أهل سميساط إلى سعيد بن حمدان تجهز وسار إليهم مسرعا، فوصل وقد كان الروم يفتحونها، فلما قاربهم هربوا منه، وسار منها إلى ملطية وبها جمع من الروم ومن عسكر مليح الأرمني ومعه بني بن نفيس، صاحب." (١)

"ذكر مراسلة المتقي توزون في العود

وفيها أرسل المتقي لله إلى توزون يطلب [منه] العود إلى بغداذ.

وسبب ذلك أنه رأى من بني حمدان تضجرا به وإيثار المفارقة، فاضطر إلى مراسلة توزون، فأرسل الحسن بن هارون وأبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي إليه في الصلح، فلقيهما توزون وابن شيرزاد بنهاية الرغبة فيه والحرص عليه، فاستوثقا من توزون وحلفاه للمتقي لله، وأحضر لليمين خلقا كثيرا من القضاة، والعدول، والعباسيين، والعلويين، وغيرهم من أصناف الناس، وحلف توزون للمتقي والوزير، وكتبوا خطوطهم بذلك، وكان من أمر المتقي لله ما نذكره سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

ذكر ملك الروس مدينة بردعة

في هذه السنة خرجت طائفة من الروسية في البحر إلى نواحي أذربيجان، وركبوا في البحر في نهر الكر، وهو نهر كبير، فانتهوا إلى بردعة، فخرج إليهم نائب المرزبان ببردعة في جمع من الديلم والمطوعة يزيدون على خمسة آلاف رجل، فلقوا الروس، فلم يكن إلا ساعة حتى انهزم المسلمون منهم، وقتل الديلم عن آخرهم، تبعهم الروس إلى البلد، فهرب من كان له مركوب وترك البلد، فنزله الروس ونادوا فيه بالأمان فأحسنوا السيرة.

وأقبلت العساكر الإسلامية من كل ناحية، فكانت الروس تقاتلهم، فلا يثبت المسلمون لهم، وكان عامة البلد يخرجون ويرجمون الروس بالحجارة، ويصيحون بهم،." (٢)

"ثم إنه سار إلى قصدار، وكان متوليها قد عصى عليه لصعوبة مسالكها، وحصانتها، وظن أن ذلك يمنعه، فسار إليه جريدة مجدا، فلم يشعر إلا والخيل معه، فأخذ من داره، ثم إنه من عليه ورده إلى ولايته، وقرر عليه مالا يحمله إليه كل سنة.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٧٦٤

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٢٨/٧

ذكر مسير الهند إلى بلاد الإسلام وما كان منهم مع سبكتكين

لما فرغ سبكتكين من بست وقصدار غزا الهند، فافتتح قلاعا حصينة على شواهق الجبال، وعاد سالما ظافرا.

ولما رأى جيبال ملك الهند ما دهاه، وأن بلاده تملك من أطرافها، أخذه ما قدم وحدث، فحشد وجمع واستكثر من الفيول، وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين، وقد باض الشيطان في رأسه وفرخ، فسار سبكتكين عن غزنة إليه ومعه عساكره (وخلق كثير من **المتطوعة**، فالتقوا واقتتلوا أياما كثيرة، وصبر الفريقان) .

(وكان بالقرب منهم) عقبة غورك، وفيها عين ماء لا تقبل نجسا ولا قذرا، وإذا ألقي بها شيء من ذلك اكفهرت السماء وهبت الرياح، وكثر الرعد والبرق والأمطار ولا تزال كذلك إلى أن تطهر من الذي ألقي فيها فأمر سبكتكين بإلقاء نجاسة في تلك العين، فجاء الغيم والرعد والبرق، وقامت القيامة على الهنود لأنهم رأوا ما لم يروا مثله، وتوالت عليهم الصواعق والأمطار، واشتد البرد، حتى هلكوا، وعميت عليهم المذاهب، واستسلموا لشدة ما عاينوه.

وأرسل ملك الهند إلى سبكتكين يطلب الصلح، وترددت الرسل فأجابهم إليه بعد امتناع من ولده محمود، على مال يؤديه، وبلاد يسلمها، وخمسين فيلا يحملها إليه، فاستقر ذلك، ورهن عنده جماعة من أهله (على تسليم البلاد) ، وسير معه سبكتكين من يتسلمها، فإن المال والفيلة كانت معجلة، فلما أبعد جيبال ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه.

فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر وسار نحو الهند، فأخرب كل ما مر عليه من بلادهم، وقصد لمغان، وهي من أحصن قلاعهم، فافتتحها عنوة وهدم بيوت." (١)

"[ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة]

- ٣٩٢

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

ذكر وقعة ليمين الدولة بالهند

في هذه السنة أوقع يمين الدولة محمود بن سبكتكين بجيبال ملك الهند وقعة عظيمة.

وسبب ذلك أنه لما اشتغل بأمر خراسان وملكها، وفرغ منها ومن قتال خلف بن أحمد، وخلا وجهه من ذلك، أحب أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين، فثنى عنانه نحو تلك البلاد،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٥٥/٧

فنزل على مدينة برشور، فأتاه عدو الله جيبال ملك الهند في عساكر كثيرة، فاختار يمين الدولة من عساكره والمطوعة خمسة عشر ألفا، وسار نحوه، فالتقوا في المحرم من هذه السنة، فاقتتلوا، وصبر الفريقان.

فلما انتصف النهار انهزم الهند، وقتل فيهم مقتلة عظيمة، وأسر جيبال ومعه جماعة كثيرة من أهله وعشيرته، وغنم المسلمون منهم أموالا جليلة، وجواهر نفيسة، وأخذ من عنق (عدو الله) جيبال قلادة من الجوهر العديم النظير قومت بمائتي ألف دينار، وأصيب أمثالها في أعناق مقدمي الأسرى، وغنموا خمسمائة ألف رأس من العبيد، وفتح من بلاد الهند بلادا كثيرة، فلما فرغ من غزواته أحب أن يطلق جيبال ليراه الهنود في شعار الذل، فأطلقه بمال، قرره عليه، فأدى المال.." (١)

"[ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة]

٤٠٥ -

ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة

ذكر غزوة تانيشر

قد ذكر ليمين الدولة أن بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحرب، وأن صاحبها غال في الكفر والطغيان، والعناد للمسلمين، فعزم على غزوه (في عقر داره، وأن يذيقه شربة من كأس قتاله) ، فسار في الجنود والعساكر والمتطوعة، فلقي في طريقه أودية بعيدة القعر، وعرة المسالك، وقفارا فسيحة الأقطار والأطراف، بعيدة الأكناف، والماء بها قليل، فلقوا شدة، وقاسوا مشقة إلى أن قطعوها.

فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهرا شديد الجرية، صعب المخاضة، وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه، يمنع من عبوره، ومعه عساكره وفيلته التي كان يدل بها. فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر، وإشغال الكافر بالقتال ليتمكن باقي العسكر من العبور، ففعلوا ذلك، وقاتلوا الهنود، وشغلوهم عن حفظ النهر، حتى عبر سائر العسكر في المخاضات، وقاتلوهم من جميع جهاتهم إلى آخر النهار، فانهزم الهند، وظفر المسلمون، وغنموا ما معهم من أموال وفيلة، وعادوا إلى غزنة موفرين ظافرين.." (٢)

"واتصل الخبر بيمين الدولة، فتقدم نحوهم في سائر جيوشه، فلحقهم وهم في الحرب، فثبت الخوارزمية إلى أن انتصف النهار، وأحسنوا القتال، ثم إنهم انهزموا، وركبهم أصحاب يمين الدولة يقتلون ويأسرون، ولم يسلم إلا القليل.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٢٤/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٩٥/٧

ثم إن البتكين ركب سفينة لينجو فيها، فجرى بينه وبين من معه منافرة، فقاموا عليه وأوثقوه، وردوا السفينة إلى ناحية يمين الدولة وسلموه إليه، فأخذه وسائر القواد المأسورين معه، وصلبهم عند قبر أبي العباس خوارزمشاه، وأخذ الباقين من الأسرى، فسيرهم إلى غزنة، فوجا بعد فوج، فلما اجتمعوا بها أفرج عنهم، وأجرى لهم الأرزاق، وسيرهم إلى أطراف بلاده من أرض الهند يحمونها من الأعداء، ويحفظونها من أهل الفساد، وأخذ خوارزم واستناب بها حاجبه التونتاش.

ذكر غزوة قشمير وقنوج وغيرهما

في هذه السنة غزا يمين الدولة بلاد الهند، بعد فراغه من خوارزم، فسار منها إلى غزنة (ومنها إلى الهند) ع ازما على غزو قشمير، إذ كان قد استولى على بلاد الهند ما بينه وبين قشمير، وأتاه من **المتطوعة** نحو عشرين ألف مقاتل من ما وراء النهر، وغيره من البلاد، وسار إليها من غزنة ثلاثة أشهر سيرا دائما، وعبر نهر سيحون، وجيلوم، وهما نهران عميقان شديدا الجرية، فوطئ أرض الهند، وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الإتاوة.

فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها وأسلم على يده، وسار بين يديه إلى مقصده، فبلغ ماجون في العشرين من رجب، وفتح ما حولها من الولايات الفسيحة (والحصون المنيعة) ، حتى بلغ حصن هودب، وهو آخر ملوك الهند، فنظر هودب." (١)

"[ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة]

- ٤٠٨

ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة

ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان

في هذه السنة خرج الترك من الصين في عدد كثير يزيدون على ثلاثمائة ألف خركاة من أجناس الترك، منهم الخطائية الذين ملكوا ما وراء النهر، وسيرد خبر ملكهم إن شاء الله تعالى.

وكان سبب خروجهم أن طغان خان لما ملك تركستان مرض مرضا شديدا، وطال به المرض فطمعوا في البلاد لذلك، فساروا إليها وملكوا بعضها وغنموا وسبوا وبقي بينهم وبين بلاساغون ثمانية أيام فلما بلغه الخبر كان بها مريضا، فسأل الله تعالى أن يعافيه لينتقم من الكفرة، ويحمي البلاد منهم ثم يفعل به بعد

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦١٢/٧

ذلك ما أراد، فاستجاب الله له وشفاه، فجمع العساكر، وكتب إلى سائر بلاد الإسلام يستنفر الناس، فاجتمع إليه من **المتطوعة** مائة ألف وعشرون ألفا، فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا إلى بلادهم، فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر حتى أدركهم وهم آمنون لبعد المسافة، فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتي ألف رجل، وأسر نحو مائة ألف، وغنم من الدواب والخركاهات وغير ذلك من الأواني الذهبية والفضية ومعمول الصين ما لا عهد لأحد بمثله، وعاد إلى بلاساغون، فلما بلغها، عاوده مرضه فمات منه.." (١)

"وتقديم الوفود إليه، وثلاثمائة رجل يحلقون رءوس زواره ولحاهم، وثلاثمائة رجل وخمسمائة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم، ولكل واحد من هؤلاء شيء معلوم كل يوم.

وكان يمين الدولة كلما فتح من الهند فتحا، وكسر صنما يقول الهنود: إن هذه الأصنام قد سخط عليها سومنات، ولو أنه راض عنها لأهلك من تقصدها بسوء، فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه وإهلاكه ظنا منه أن الهنود إذا فقدوه، ورأوا كذب ادعائهم الباطل، دخلوا في الإسلام فاستخار الله تعالى وسار عن غزنة عاشر شعبان من هذه السنة، في ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى **المتطوعة**، وسلك سبيل الملتان، فوصلها منتصف شهر رمضان.

وفي طريقه إلى الهند برية قفر، لا ساكن فيها، ولا ماء، ولا ميرة. فتجهز هو وعسكره على قدرها، ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة، وقصد أنهلوارة، فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال، وعندها آبار قد غوروها ليتعذر عليه حصرها، فيسر الله تعالى فتحها عند قربه منها بالرعب الذي قذفه في قلوبهم، وتسلمها، وقتل سكانها وأهلك أوثانها، وامتاروا منها الماء وما يحتاجون إليه.

وسار إلى أنهلوارة فوصلها مستهل ذي القعدة، فرأى صاحبها المدعو بهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن في الهرب، وقصد حصنا له يحتمي به فاستولى يمين الدولة على المدينة، وسار إلى سومنات، فلقي في طريقه عدة حصون فيها كثير من الأوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات، على ما سول لهم الشيطان، فقاتل من بها، وفتحها وخربها، وكسر أصنامها، وسار إلى سومنات في مفازة قفرة قليلة الماء، فلقي فيها عشرين ألف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك، فأرسل إليهم السرايا، فقاتلوهم." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦٤٢/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦٨٥/٧

"ليردوه، فلم يرجع، فتبعوه، وخاف من بقي بعضهم من بعض أن لا يناصحوهم، ويسلموهم عند الحرب، فتفرقوا، واستأمن بعضهم إلى ذي السعادات، وقد كان خائفا منهم، فجاءه ما لم يقدره من الظفر، ونادى من بقي بالبصرة بشعار أبي كاليجار، فدخلها عسكره، وأرادوا نهبها، فمنعهم ذو السعادات.

ذكر غزو فضلون الكردي الخزر وما كان منه

كان فضلون الكردي هذا بيده قطعة من أذربيجان قد استولى عليها، وملكها.، فاتفق أنه غزا الخزر، هذه السنة، فقتل منهم، وسبى، وغنم شيئا كثيرا، فلما عاد إلى بلده أبطأ في سيره وأمل الاستظهار في أمره، ظنا منه أنه قد دوخهم وشغلهم بما عمله بهم، فاتبعوه مجدين، وكبسوه، وقتلوا من أصحابه **والمطوعة** الذين معه أكثر من عشرة آلاف قتيل، واستردوا الغنائم التي أخذت منهم، وغنموا أموال العساكر الإسلامية وعادوا.

ذكر البيعة لولي العهد

في هذه السنة مرض القادر بالله، وأرجف بموته، فجلس جلوسا عاما وأذن للخاصة والعامة فوصلوا إليه، فلما اجتمعوا قام الصاحب أبو الغنائم فقال: خدم مولانا أمير المؤمنين داعون له بإطالة البقاء، وشاكرون لما بلغهم من نظره لهم وللمسلمين باختيار الأمير أبي جعفر لولاية العهد.
فقال الخليفة للناس: قد أذنا في العهد له، وكان أراد أن يبايع له قبل ذلك، فثناه عنه أبو الحسن بن حاجب النعمان. فلما عهد إليه ألقيت الستارة. وقعد أبو جعفر على السرير الذي كان قائما عليه، وخدمه الحاضرون وهنأوه. وتقدم أبو الحسن بن حاجب النعمان فقبل يده وهنأه، فقال: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾ [الأحزاب: ٢٥] يعرض له بإفساده رأي الخليفة فيه، فأكب على تقبيل قدمه. وتعفير خده بين يديه والاعتذار. فقبل عذره ودعي له على المنابر يوم الجمعة." (١)

"فاجتمع دبيس وأبو المغرا عناز بن المغرا، وبنو أسد وخفاجة، وأعانه أبو كامل منصور بن قراد، وساروا جريدة لإعادة دبيس إلى بلده وأعماله، وتركوا حللهم بين خصا وحربى.
فلما ساروا لقيهم ثابت عند جرجرايا، وكانت بينهم حرب قتل فيها جماعة من الفريقين، ثم تراسلوا واصطلحوا ليعود دبيس إلى أعماله، ويقطع أخاه ثابتا إقطاعا، وتحالفوا على ذلك، وسار البساسيري نجدة لثابت، فلما

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٧/٧٤٠

وصل إلى النعمانية سمع بصلحهم، فعاد إلى بغداذ.

ذكر ملك الروم قلعة بركوي

هذه قلعة متاخمة للأرمن في يد أبي الهيجاء بن ربيب الدولة، ابن أخت وهسوذان بن مملان، فتنافر هو وخاله، فأرسل خاله إلى الروم فأطمعهم فيها، فسير الملك إليها جمعا كثيرا فملكوها، فبلغ الخبر إلى الخليفة فأرسل إلى أبي الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة، فاصطلحا، ولم يتمكنا من استعادتها، واجتمع إليهما خلق كثير من **المتطوعة**، فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة استوزر جلال الدولة عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم، (وهي الوزارة الخامسة، وكان قبله في الوزارة ابن ماكولا، ففارقها وسار إلى عكبرا، فرده جلال الدولة إلى الوزارة، وعزل أبا سعد. فبقي أياما، ثم فارقها إلى أوانا.

وفيها استخلف البساسيري، في حماية الجانب الغربي ببغداذ لأن العيارين اشتد." (١)

"فلما عاد مسعود من الهند وأجلى الغز وهزمهم سار إلى جرجان فاستولى عليها وملكها، وسار إلى آمل طبرستان، وقد فارقها أصحابها، واجتمعوا بالغياض والأشجار الملتفة، الضيقة المدخل، الوعرة المسلك، فسار إليهم واقتحمها عليهم فهزمهم وأسر منهم وقتل، ثم راسله دارا وأبو كاليجار وطلبوا منه العفو وتقرير البلاد عليهم، فأجابهم إلى ذلك، وحملوا من الأموال ما كان عليهم، وعاد إلى خراسان.

ذكر مسير ابن وثاب والروم إلى بلد ابن مروان

فيها جمع ابن وثاب النميري جمعا كثيرا من العرب وغيرهم، واستنجد من بالرها من الروم، فسار معه منهم جيش كثيف، وقصد بلد نصر الدولة بن مروان، ونهب وأخرب. فجمع ابن مروان جموعه وعساكره واستمد قرواشا وغيره، وأتته الجنود من كل ناحية، فلما رأى ابن وثاب ذلك وأنه لا يتم له غرض عاد عن بلاده.

وأرسل ابن مروان إلى ملك الروم يعاتبه على نقض الهدنة، وفسخ الصلح الذي كان بينهم، وراسل أصحاب الأطراف يستنجدهم للغزاة، فكثر جمعه من الجند **والمتطوعة**، وعزم على قصد الرها ومحاصرتها، فوردت

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٧٦٤/٧

رسل ملك الروم يعتذر، ويحلف أنه لم يعلم بما كان، وأرسل إلى عسكره الذين بالرها والمقدم عليهم ينكر ذلك، وأهدى إلى نصر الدولة هدية سنية، فترك ما كان عازما عليه من الغزو، وفرق العساكر المجتمعة عنده.

ذكر عدة حوادث

فيها خرج أبو سعد، وزير جلال الدولة، إلى أبي الشوك مفارقا للوزارة، ووزر بعده أبو القاسم، وكثرت (مطالبات الجند) ، فهرب، فأخرج وحمل إلى دار المملكة." (١)

"عساكره أيضا، وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير، وقصده **المتطوعة** من سائر بلاد الأندلس.

ووصلت الأخبار إلى الأذفونش، فجمع فرسانه وسار من طليطلة، وكتب إلى أمير المسلمين كتابا كتبه له بعض أدباء المسلمين، يغلظ له القول، ويصف ما عنده من القوة والعدد والعدد، وبالغ الكاتب في الكتاب.

فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه، وكان كاتبا مفلقا، فكتب فأجاد، فلما قرأه على أمير المسلمين قال: هذا كتاب طويل، أحضر كتاب الأذفونش واكتب في ظهره الذي يكون سترا له.

فلما عاد الكتاب إلى الأذفونش ارتاع لذلك، وعلم أنه بلي برجل له عزم وحزم، فازداد استعدادا، فرأى في منامه كأنه راكب فيل، وبين يديه طبل صغير، وهو ينقر فيه، فقص رؤياه على القسيسين، فلم يعرفوا تأويلها فأحضر رجلا مسلما، عالما بتعبير الرؤيا، فقصها عليه، فاستعفاه من تعبيرها، فلم يعفه، فقال: تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز، وهو قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ [الفيل: ١] ، وقوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور - فذلك يومئذ يوم عسير - على الكافرين غير يسير﴾ [المدثر: ٨ - ١٠] ، ويقتضي هلاك هذا الجيش الذي تجمعه.

فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فأعجبته، فأحضر ذلك المعبر، وقال له: بهذا الجيش ألقى إله محمد، صاحب كتابكم، فانصرف المعبر، وقال لبعض المسلمين: هذا الملك هالك وكل من معه، وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، " «ثلاث مهلكات» " الحديث، وفيه: " «وإعجاب المرء بنفسه» ".

وسار أمير المسلمين، والمعتمد بن عباد، حتى أتوا أرضا يقال لها الزلاقة، من بلد بطليوس، وأتى الأذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا، فقيل لأمير." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٧/٧٧٠

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٨/٣٠٨

"وفيها عزل السلطان سنجر وزيره المجير أبا الفتح الطغرائي، وسبب ذلك أن الأمير بزغش، وهو أصفهسلار العسكر السنجري، ألقي إليه ملطف فيه: لا يتم لك أمر مع هذا السلطان، ووقع إلى سنجر، لا يتم لك أمر مع الأمير بزغش، مع كثرة جموعه، فجمع بزغش أصحاب العمائم، وعرض عليهم الملطفين، فاتفقوا على كاتب الطغرائي، وظهرت عليه فقتل، وقبض سنجر على الطغرائي، وأراد قتله، فمنعه بزغش، وقال له: حق خدمة، فأبعده إلى غزنة، وفيها جمع بزغش كثيرا من عساكر خراسان، وأتاه كثير من **المتطوعة**، وسار إلى قتال الإسماعيلية، فقصد طبس، وهي لهم، فخربها وما جاورها من القلاع والقرى، وأكثر فيهم القتل، والنهب، والسبي، وفعل بهم الأفعال العظيمة، ثم إن أصحاب سنجر أشاروا بأن يؤمنوا، ويشرط عليهم أنهم لا يبنون حصنا، ولا يشترون سلاحا، ولا يدعون أحدا إلى عقائدهم، فسخط كثير من الناس هذا الأمان، وهذا الصلح، ونقموه على سنجر، ثم إن بزغش، بعد عودته من هذه الغزاة، توفي، وكانت خاتمة أمره الجهاد، رحمه الله.

[الوفيات] وفي هذه السنة توفي أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين بن زكرياء الطريثيثي، وكان صوفيا محدثا مشهورا.

وفي رجب توفي القاضي أبو الحسين أحمد بن محمد الثقفي، قاضي الكوفة، ومولده في ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وهو من ولد عروة بن مسعود، ومن تلاميذ القاضي الدامغاني، وولي القضاء بعده ابنه أبو البركات.." (١)

"وكان من الاتفاق الرديء أن إياز تقدم إلى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته، ليعرضهم على السلطان، فدخل عليهم رجل من أبهر يتطايب معهم، ويضحكون منه، مع كونه يتصوف، فقالوا له: لا بد من أن نلبسك درعا ونعرضك، فألبسوه الدرع تحت قميصه، وتناولوه بأيديهم، وهو يسألهم أن يكفوا عنه، فلم يفعلوا، فلشدة ما فعلوا به هرب منهم، ودخل بين خواص السلطان معتصما بهم، فرآه السلطان مذعورا، وعليه لباس عظيم، فاستراب به، فقال لغلام له بالتركية ليلمسه من غير أن يعلم أحد، ففعل، فرأى الدرع تحت قميصه، فأعلم السلطان بذلك، فاستشعر، وقال: إذا كان صاحب العمائم قد لبسوا السلاح، فكيف الأجناد! وقوي استشعاره لكونه في داره، وفي قبضته، فنهض وفارق الدار وعاد إلى داره.

فلما كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الأمير صدقة، وإياز، وجكرمش، وغيرهم من الأمراء، فلما حضروا أرسل إليهم: إنه بلغنا أن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش قصد ديار بكر ليتملكها، وسير منها

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٨/٥٠٠

إلى الجزيرة، وينبغي أن تجتمع آراؤهم على من يسير إليه ليمنعه ويقاتله، فقال: الجماعة: ليس لهذا غير الأمير إياز، فقال إياز: ينبغي أن نجتمع أنا وسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الأمر، والدفع لهذا القاصد، فقيل ذلك للسلطان، فأعاد الجواب يستدعي إياز، وصدقة، والوزير سعد الملك ليحرر الأمر في حضرته، فنهضوا ليدخلوا إليه.

وكان قد أعد جماعة من خواصه ليقتلوا إياز إذا دخل إليه، فلما دخلوا ضرب أحدهم رأسه فأبانه. فأما صدقة فغطى وجهه بكمه، وأما الوزير فإنه غشي عليه، ولف إياز في مسح وألقي على الطريق عند دار المملكة، وركب عسكر إياز، فنهبوا ما قدروا عليه من داره، فأرسل السلطان من حماها من النهب، وتفرق أصحابه من يومهم، وكان زوال تلك النعمة العظيمة، والدولة الكبيرة، في لحظة، بسبب هزل ومزاح. فلما كان من الغد كفنه قوم من **المتطوعة**، ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر أبي حنيفة، رحمه الله.

وكان عمره قد جاوز أربعين سنة، وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه، ثم صار بعد موته في جملة أمير آخر، فاتخذه ولدا، وكان غزير المروة، شجاعا، حسن الرأي في الحرب.." (١)

"ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام

في هذه السنة، في شعبان، كانت وقعة بين طنكري الفرنجي، صاحب أنطاكية، وبين الملك رضوان، صاحب حلب، انهزم فيها رضوان.

وسببها أن طنكري حصر حصن أرتاح، وبه نائب الملك رضوان، فضيق الفرنج على المسلمين، فأرسل النائب بالحصن إلى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذي أضعف نفسه ويطلب النجدة، فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة، وسبعة آلاف من الرجالة، منهم ثلاثة آلاف من **المتطوعة**، فساروا حتى وصلوا إلى قنسرين، وبينهم وبين الفرنج قليل، فلما رأى طنكري كثرة المسلمين أرسل إلى رضوان يطلب الصلح، فأراد أن يجيب، فمنعه أصبهبذ صباوة، وكان قد قصده، وصار معه بعد قتل إياز، فامتنع من الصلح، واصطفوا للحرب، فانهزمت الفرنج من غير قتال، ثم قالوا: نعود ونحمل عليهم حملة واحدة، فإن كانت لنا، وإلا انهزمنا، فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا، وانهزموا، وقتل منهم وأسر كثير.

وأما الرجالة فإنهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا، فاشتغلوا بالنهب، فقتلهم الفرنج، ولم ينج إلا الشريد فأخذ أسيرا، وهرب من في أرتاح إلى حلب، وملكه الفرنج، لعنهم الله تعالى، وهرب أصبهبذ صباوة إلى طغتكين أتابك بدمشق، فصار معه، ومن أصحابه.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٨/٥٠٨

ذكر حرب الفرنج والمصريين

في ذي الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء.

وسببها أن الأفضل، وزير صاحب مصر، كان قد سير ولده شرف المعالي في." (١)

"ذكر الحرب بين جاولي والفرنج

وفي هذه السنة، في صفر، كان المصاف بين جاولي سقاوو وبين طنكري الفرنجي، صاحب أنطاكية.

وسبب ذلك أن الملك رضوان كتب إلى طنكري، صاحب أنطاكية، يعرفه ما هو جاولي عليه من الغدر، والمكر، والخداع، ويحذره منه، ويعلمه أنه على قصد حلب، وأنه إن ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام، وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه.

فأجابه طنكري إلى منعه وبرز من أنطاكية، فأرسل إليه رضوان ستمائة فارس، فلما سمع جاولي الخبر أرسل إلى القمص، صاحب الرها، يستدعيه إلى مساعدته، وأطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة، فسار إلى جاولي فلحق به، وهو على منبج، فوصل الخبر إليه، وهو على هذه الحال، بأن الموصل قد استولى عليها السلطان، وملكوا خزائنه وأمواله، فاشتد ذلك عليه، وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكي بن آقسنقر، وبكتاش النهاوندي، وبقي جاولي في ألف فارس، وانضم إليه خلق من **المطوعة**، فنزل بتل باشر.

وقاربهم طنكري، وهو في ألف وخمسمائة فارس من الفرنج، وستمائة من أصحاب الملك رضوان، سوى الرجالة، فجعل جاولي في ميمنته الأمير أقسيان، والأمير ألتونتاش الأبري، وغيرهما، وفي الميسرة الأمير بدران بن صدقة، وأصبهبذ صباوة، وسنقر دراز، وفي القلب القمص بغدوين، وجوسلين الفرنجيين، ووقعت الحرب، فحمل أصحاب أنطاكية على القمص، صاحب الرها، واشتد القتال، فأزاح طنكري القلب عن موضعه، وحملت ميسرة جاولي على رجالة صاحب أنطاكية، فقتلت منهم خلقا كثيرا، ولم يبق غير هزيمة صاحب أنطاكية، فحينئذ عمد أصحاب جاولي إلى جنائب القمص، وجوسلين، وغيرهما من الفرنج، فركبوها وانهزموا، فمضى جاولي وراءهم ليردهم، فلم يرجعوا، وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أخذت الموصل منه، فلما رأى أنهم لا يعودون معه أهمته نفسه، وخاف من المقام، فانهزم، وانهزم باقي عسكره.." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥١٢/٨

(٢) الكامل في التاريخ ابن ال أ ثير، أبو الحسن ٥٦٩/٨

"الأعمال التي بيده كخراسان وغزنة، وما وراء النهر وغيرها من الولايات، بأن يخطب للسلطان محمود بعده، وكتب إلى بغداذ مثل ذلك وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد سوى الري، وقصد بأخذها أن تكون له في هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه بالخروج.

ذكر غزاة إيلغازي بلاد الفرنج

في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم إلى نواحي حلب، فملكوا بزاعة وغيرها، وخربوا بلد حلب ونازلوها، ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا، وخافهم أهلها خوفا شديدا، ولو مكنوا من القتال لم يبق بها أحد، لكنهم منعوا من ذلك، وصانع الفرنج أهل حلب على أن يقاسموهم على أملاكهم التي بباب حلب. فأرسل أهل البلد إلى بغداذ يستغيثون، ويطلبون النجدة، فلم يغاثوا.

وكان الأمير إيلغازي، صاحب حلب، ببلد ماردين يجمع العساكر **والمتطوعة** للغزاة، فاجتمع عليه نحو عشرين ألفا، وكان معه أسامة بن المبارك بن شبل الكلابي، والأمير طغان أرسلان بن المكر، صاحب بدليس وأرزن، وسار بهم إلى الشام، عازما على قتال الفرنج.

فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم، وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل، ساروا فنزلوا قريبا من الأثارب، بموضع يقال له تل عفرين، بين جبال ليس لها طريق إلا من ثلاث جهات، وفي هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش.

وظن الفرنج أن أحدا لا يسلك إليهم لضيق الطريق، فأخلدوا إلى المطاولة وكانت عادة لهم، إذا رأوا قوة من المسلمين، وراسلوا إيلغازي يقولون له: لا تتعب نفسك بالمسير إلينا، فنحن واصلون إليك، فأعلم أصحابه بما قالوه، واستشارهم فيما يفعل، فأشاروا بالركوب من وقته، وقصدهم ففعل ذلك، وسار إليهم، ودخل الناس من الطرق الثلاثة، ولم تعتقد الفرنج أن أحدا يقدم عليهم، لصعوبة المسلك إليهم، فلم." (١)

"ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة

في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين إلى دكالة، فاجتمع إليه قبائلها، وصاروا يغيرون على أعمال مراكش، وعبد المؤمن لا يلتفت إليهم، فلما كثر ذلك منهم سار إليهم سنة أربع وأربعين وخمسمائة، فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم إلى ساحل البحر في مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس، وكانوا موصوفين بالشجاعة.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦٤٢/٨

وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر، وكان الموضع الذي فيه دكالة كثير الحجر والحزونة، فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن إذا سلكه، فمن الاتفاق الحسن له أنه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء، فانحل عليهم ما قدروه، وفارقوا ذلك الموضع، فأخذهم السيف، فدخلوا البحر، فقتل أكثرهم، وغنمت إبلهم وأغنامهم وأموالهم، وسبيت نساؤهم وذراريهم، فبيعت الجارية الحسناء بدارهم يسيرة، وعاد عبد المؤمن إلى مراكش مظفرا منصورا، وثبت ملكه، وخافه الناس في جميع المغرب، وأذعنوا له بالطاعة.

ذكر حصر مدينة كتندة

في هذه السنة، يعني سنة أربع عشرة وخمسمائة، خرج ملك من ملوك الفرنج بالأندلس، يقال له ابن ردمير، فسار حتى انتهى كتندة، وهي بالقرب من مرسية، في شرق الأندلس، فحصرها، وضيق على أهلها، وكان أمير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة، ومعه جيش كثير من المسلمين والأجناد **المتطوعة**، فسيرهم إلى ابن ردمير، فالتقوا واقتتلوا أشد القتال، وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة، وكثر القتل في المسلمين، وكان فيمن قتل أبو عبد الله بن الفراء، قاضي المرية، وكان من العلماء العاملين، والزهاد في الدنيا العادلين في القضاء.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كسر بلك بن أرتق عفراس الرومي، وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد اندكان! وأسر عفراس وكثير من عسكره.." (١)

"ممن معه، فعزم على العود إلى الشام، فأرسل إليه الحافظ الأمير ابن مصال فرده، وحبسه عنده في القصر، وجمع بينه وبين عياله، فأقام في القصر إلى سنة ثلاث وأربعين [وخمسمائة] ، فنقب الحبس وخرج منه، وقد أعدت له خيل، فهرب عليها، وعبر النيل إلى الجيزة فحشد وجمع المغاربة وغيرهم، وعاد إلى القاهرة، فقاتل المصريين عند جامع ابن طولون وهزمهم، ودخل القاهرة فنزل عند جامع الأقمر، فأرسل إلى الحافظ يطلب منه مالا ليفرقه على عادتهم، فإنهم كانوا إذا وزروا وزيرا أرسلوا إليه عشرين ألف دينار ليفرقها، فأرسل إليه الحافظ عشرين ألف دينار فقسمها، وكثر عليه الناس، وطلب زيادة، فأرسل إليه عشرين ألف

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦٦٦/٨

دينار أخرى ففرقها، فتفرق الناس عنه، وخفوا عنده، فإذا الصوت قد وقع، وخرج إليه جمع كثير من السودان وضعهم الحافظ عليه، فحملوا على غلمانه فقاتلوهم، فقام يركب، فقدم إليه بعض أصحابه فرسا ليركبه، فلما أراد ركوبه ضرب الرجل رأسه بالسيف فقتله، وحمل رأسه إلى الحافظ، فأرسله إلى زوجته، فوضع في حجرها، فألقته، وقالت:

هكذا يكون الرجال، ولم يستوزر الحافظ بعده أحدا، وباشر الأمور بنفسه إلى أن مات.

ذكر فتح المسلمين حصن وادي ابن الأحمر من الفرنج

وفي هذه السنة في رجب سار عسكر دمشق مع مقدمهم الأمير بزاوش إلى طرابلس الشام فاجتمع معه من الغزاة المتطوعة والتركمان أيضا خلق كثير، فلما سمع القمص صاحبها بقربهم من ولايته سار إليهم في جموعه وحشوده، فقاتلهم، وانهزم الفرنج، وعادوا إلى طرابلس على صورة سيئة قد قتل كثير من فرسانهم وشجعانهم، فنهب المسلمون من أعمالهم الكثير، وحصروا حصن وادي ابن الأحمر فملكوه." (١)

"أهلها، ونصب المجانيق والعرادات، فصبر أهلها خوفا على أنفسهم من المؤيد، وكان معه جلال الدين المؤيد الموفقي الفقيه الشافعي، فبينما هو راكب إذ وصل إليه حجر منجنيق فقتله خامس جمادى الآخرة من السنة، وتعدى الحجر منه إلى شيخ من شيوخ بيهق، فقتله، فعظمت المصيبة بقتل جلال الدين على أهل العلم، خصوصا أهل السنة والجماعة، وكان في عنفوان شبابه رحمه الله لما قتل.

ودام الحصار إلى شعبان سنة سبع وخمسين وخمسمائة، فنزل خواجكي صاحبها بعدما كثر القتل، ودام الحصر، وكان لهذه القلعة ثلاثة رؤساء هم أرباب النهي والأمر، وهم الذين حفظوها وقاتلوا عنها، أحدهم خواجكي هذا، والثاني داعي بن محمد ابن أخي حرب العلوي، والثالث الحسين بن أبي طالب العلوي الفارسي، فنزلوا كلهم أيضا إلى المؤيد أي أبه، فيمن معهم من أشياعهم وأتباعهم. فأما خواجكي فإنه أثبت عليه أنه قتل زوجته ظلما وعدوانا وأخذ مالها، فقتل بها وملك المؤيد شارستان، وصفت له، فنهبها عسكره إلا أنهم لم يقتلوا امرأة ولا سبوها.

ذكر ملك الكرج مدينة آني

في هذه السنة، في شعبان، اجتمعت الكرج مع ملكهم، وساروا إلى مدينة آني من بلاد أران، وملكوها،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٨٤/٩

وقتلوا فيها خلقا كثيرا، فانتدب لهم شاه أرمن بن إبراهيم بن سكمان صاحب خلاط، وجمع العساكر، واجتمع معه من **المتطوعة** خلق كثير، وسار إليهم، فلقوه، وقاتلوه، فانهزم المسلمون، وقتل أكثرهم، وأسر كثير منهم، وعاد شاه أرمن مهزوما لم يرجع معه غير أربع مائة فارس من عسكره.

ذكر ولاية عيسى مكة حرسها الله تعالى

كان أمير مكة، هذه السنة، قاسم بن فليتة بن قاسم بن أبي هاشم العلوي الحسني، فلما سمع بقرب الحجاج من مكة صادر المجاورين وأعيان أهل مكة، وأخذ كثيرا من أموالهم، وهرب من مكة خوفا من أمير الحاج أرغش.

وكان قد حج هذه السنة زين الدين علي بن بكتكين، صاحب جيش الموصل." (١)

"ذكر عود صلاح الدين إلى عسكره ودخوله إلى الفرنج

لما أتت صلاح الدين البشارة بهزيمة الاسبتارية والداوية، وقتل من قتل منهم، وأسر من أسر، عاد عن الكرك إلى العسكر الذي مع ولده الملك الأفضل، وقد تلاحقت سائر الأمداد والعساكر، واجتمع بهم، وساروا جميعا.

وعرض العسكر، فبلغت عدتهم اثني عشر ألف فارس ممن له الأقطاع والجامكية، سوى **المتطوعة**، فعبأ عسكره قلبا وجناحين، وميمنة وميسرة وجالسية وساقة، وعرف كل منهم موضعه وموقفه، وأمره بملازمته. وسار على تعبئة، فنزل بالأقحوانة بقرب طبرية، وكان القمص قد انتمى إلى صلاح الدين، كما ذكرنا، وكتبه متصلة إليه يعده النصرة، ويمنيه المعاضدة، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا.

فلما رأى الفرنج اجتماع العساكر الإسلامية، وتصميم العزم على قصد بلادهم، أرسلوا إلى القمص البطرك والقسوس والرهبان، وكثيرا من الفرسان، فأنكروا عليه انتماءه إلى صلاح الدين، وقالوا له: لا شك أنك أسلمت، وإلا لم تصبر على ما فعل المسلمون أمس بالفرنج، يقتلون الداوية والاسبتارية، ويأسرونهم، ويجتازون بهم عليك، وأنت لا تنكر ذلك ولا تمنع عنه.

ووافقهم على ذلك من عنده من عسكر طبرية وطرابلس، وتهدده البطرك أنه يحرمه، ويفسخ نكاح زوجته، إلى غير ذلك من التهديد.

فلما رأى القمص شدة الأمر عليه خاف، فاعتذر وتنصل وتاب، فقبلوا عذره، وغفروا زلته، وطلبوا منه الموافقة

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٩/٢٨٨

على المسلمين، والمؤازرة على حفظ بلادهم، فأجابهم إلى المصالحة والانضمام إليهم، والاجتماع معهم. وسار معهم إلى ملك الفرنج، واجتمعت كلمتهم بعد فرقتهم، ولم تغن عنهم من الله شيئا، وجمعوا فارسهم وراجلهم، ثم ساروا من عكا إلى صفورية، وهم يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى، قد ملئت قلوبهم رعبا.

ذكر فتح صلاح الدين طبرية

لما اجتمع الفرنج وساروا إلى صفورية، جمع صلاح الدين أمراءه ووزراءه." (١)

"وجماعته وحملوا على من يليهم، وكان المقدم من المسلمين، في تلك الناحية، تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين، فلما رأى حملة الفرنج حملة مكروب، علم أنه لا سبيل إلى الوقوف في وجوههم. فأمر أصحابه أن يفتحوا لهم طريقا يخرجون منه، ففعلوا فخرج القمص وأصحابه ثم التأم الصف.

وكان بعض المتطوعة من المسلمين قد ألقى في تلك الأرض نارا، وكان الحشيش كثيرا فاحترق، وكانت الريح على الفرنج فحملت حر النار والدخان إليهم، فاجتمع عليهم العطش، وحر الزمان، وحر النار، والدخان، وحر القتال.

فلما انهزم القمص سقط في أيديهم وكادوا يستسلمون، ثم علموا أنهم لا ينجيهم من الموت إلا الإقدام عليه، فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون [بها] المسلمين، على كثرتهم، عن مواقفهم لولا لطف الله بهم. إلا أن الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون إلا وقد قتل منهم، فوهنوا لذلك وهنا عظيما، فأحاط بهم المسلمون إحاطة الدائرة بقطرها، فارتفع من بقي من الفرنج إلى تل بناحية حطين، وأرادوا أن ينصبوا خيامهم، ويحموا نفوسهم به، فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات، ومنعوهم عما أرادوا، ولم يتمكنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم.

وأخذ المسلمون صليبهم الأعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت، ويذكرون أن فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح - عليه السلام - بزعمهم، فكان أخذه عندهم من أعظم المصائب عليهم، وأيقنوا بعده بالقتل والهلاك.

هذا والقتل والأسر يعملان في فرسانهم ورجالتهم، فبقي الملك على التل في مقدار مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين والشجعان المذكورين.

فحكي لي عن الملك الأفضل - ولد صلاح الدين - قال: كنت إلى جانب أبي في ذلك المصاف، وهو

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٠/٢٢

أول مصاف شاهدته، فلما صار ملك الفرنج على التل في تلك الجماعة حملوا حملة منكرة على من بإزائهم من المسلمين حتى ألحقوهم بوالدي.

قال: فنظرت إليه، وقد علته كآبة، واربد لونه، وأمسك بلحيته، وتقدم، وهو يصيح: كذب الشيطان، قال: فعاد المسلمون على الفرنج، فرجعوا إلى التل، فلما رأيت الفرنج قد عادوا، والمسلمون يتبعونهم، صحت من فرحي: هزمناهم! فعاد الفرنج فحملوا حملة ثانية مثل الأولى حتى ألحقوا المسلمين بوالدي، وفعل مثل ما فعل أولا.

وعطف المسلمون عليهم فألحقوهم بالتل، فصحت أنا أيضا: هزمناهم! فالتفت والدي إلي وقال: اسكت! ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة، قال: فهو يقول." (١)

"في شجعان أصحابه، سوى من جعله على الشقيف، فوصل إليهم وقد فات الأمر.

وذلك أن الفرنج قد فارقوا صور وساروا عنها لمقصدهم، فلقيهم اليزك على مضيق هناك، وقاتلوهم ومنعوهم، وجرى لهم معهم حرب شديدة يشيب لها الوليد، وأسروا من الفرنج جماعة، وقتلوا جماعة منهم سبعة رجال من فرسانهم المشهورين وجرحوا جماعة.

وقتل من المسلمين أيضا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من أشجع الناس، فحمل وحده على صف الفرنج، فاختلط بهم، وضربهم بسيفه يمينا وشمالا، فتكاثروا عليه فقتلوه، رحمه الله، ثم إن الفرنج عجزوا عن الوصول إلى صيدا فعادوا إلى مكانهم.

ذكر وقعة ثانية للغزاة المتطوعة

لما وصل صلاح الدين إلى اليزك وقد فاتته تلك الوقعة أقام عندهم في خيمة صغيرة، ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم، ويأخذ بثأر من قتلوه من المسلمين.

فركب في بعض الأيام في عدة يسيرة على أن ينظر إلى مخيم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى ما يشاهده، وظن من هناك من غزاة العجم والعرب المتطوعة أنه على قصد المصاف والحرب، فساروا مجدين وأوغلوا في أرض العدو مبعدين، وفارقوا الحزم، وخلفوا السلطان وراء ظهورهم، وقاربوا الفرنج.

فأرسل صلاح الدين عدة من الأمراء يردونهم ويحمونهم إلى أن يخرجوا، فلم يسمعوا ولم يقبلوا.

وكان الفرنج قد اعتقدوا أن وراءهم كمينا، فلم يقدموا عليهم، فأرسلوا من ينظر في حقيقة الأمر، فأتاهم الخبر

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٠/٢٥

أنهم منقطعون عن المسلمين، وليس وراءهم من يخاف، فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوهم فلم يلبثوا أن أناموهم، وقتل معهم جماعة من المعروفين وشق على صلاح الدين والمسلمين ما جرى عليهم وكان ذلك بتفريطهم في حق أنفسهم، رحمهم الله ورضي عنهم.

وكانت هذه الوقعة تاسع جمادى الأولى فلما رأى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل إليهم في عسكره، فحملوا على الفرنج فألقوهم إلى الجسر وقد أخذوا طريقهم، فألقوا أنفسهم في الماء، فغرق منهم نحو مائة دارع سوى من قتل.

وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم، فتسامع الناس فقصدوه من كل ناحية واجتمع معه خلق." (١)

"عنها من الرعب والخوف، فملكها وجعل فيها واليا وجندا يحفظونها وعاد إلى مدينة إشبيلية.

وأما ألفنش فإنه لما انهزم حلق رأسه، ونكس صليبه، وركب حمارا، وأقسم أن لا يركب فرسا ولا بغلا حتى تنصر النصرانية، فجمع جموعا عظيمة، وبلغ الخبر بذلك إلى يعقوب، فأرسل إلى بلاد المغرب مراكش وغيرها يستنفر الناس من غير إكراه، فأتاه من **المتطوعة** والمرتزقين جمع عظيم، فالتقوا في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة، وغنم المسلمون ما معهم من الأموال والسلاح والدواب وغيرها، وتوجه إلى مدينة طليطلة فحصرها، وقاتلها قتالا شديدا، وقطع أشجارها، وشن الغارة على ما حولها من البلاد، وفتح فيها عدة حصون، فقتل رجالها، وسبى حريمها، وخرب دورها، وهدم أسوارها، فضعفت النصرانية حينئذ، وعظم أمر الإسلام بالأندلس، وعاد يعقوب إلى إشبيلية فأقام بها.

فلما دخلت سنة ثلاث وتسعين [وخمسمائة] ، سار عنها إلى بلاد الفرنج [وفعل فيها مثل فعله الأول والثاني، فضاقت الأرض على الفرنج] ، وذلوا واجتمع ملوكهم، وأرسلوا يطلبون الصلح، فأجابهم إليه بعد أن كان عازما على الامتناع، مريدا لملازمة الجهاد إلى أن يفرغ منهم، فأتاه خبر علي بن إسحاق الملثم الميورقي أنه فعل بإفريقية ما نذكره من الأفاعيل الشنيعة، فترك عزمه، وصالحهم مدة خمس سنين، وعاد إلى مراكش آخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.." (٢)

"الدين، فلما وصل الخطا إلى جيحون، وسار خوارزم شاه إلى طوس، عازما على قصد هراة ومحاصرتها، وعبر الخطا النهر، ووصلوا إلى بلاد الغور مثل: كرزبان وسرقان وغيرهما، وقتلوا وأسروا ونهبوا وسبوا كثيرا لا يحصى، فاستغاث الناس بغياث الدين، فلم يكن عنده من العساكر ما يلقاهم بها، فراسل

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦٧/١٠

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٣٥/١٠

الخطا بهاء الدين سام ملك باميان يأمرونه بالإفراج عن بلخ، أو أنه يحمل ما كان من قبله يحمله من المال، فلم يجبهم إلى ذلك.

وعظمت المصيبة على المسلمين بما فعله الخطا، فانتدب الأمير محمد بن جربك الغوري، وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين، وكان شجاعا، وكاتب الحسين بن خرميل، وكان بقلعة كرزبان. واجتمع معهما الأمير حروش الغوري، وساروا بعساكرهم إلى الخطا، فبيتوهم، وكبسوهم ليلا، ومن عادة الخطا أنهم لا يخرجون من خيامهم ليلا، ولا يفارقونها، فأتاهم هؤلاء الغورية وقاتلوهم، وأكثروا القتل في الخطا، وانهزم من سلم منهم من القتل، وأين ينهزمون والعسكر الغوري خلفهم، وجيحون بين أيديهم! وظن الخطا أن غياث الدين قد قصدهم في عساكره، فلما أصبحوا وعرفوا من قاتلهم وعلموا أن غياث الدين بمكانه، قويت قلوبهم، وثبتوا [واقتتلوا] عامة نهارهم، فقتل من الفريقين خلق عظيم، ولحقت **المتطوعة** بالغوريين، وأتاهم مدد من غياث الدين وهم في الحرب، فثبت المسلمون، وعظمت نكايتهم في الكفار.

وحمل الأمير حروش على قلب الخطا، وكان شيخا كبيرا، فأصابه جراحة توفي منها، ثم إن محمود بن جربك وابن خرميل حملا في أصحابهما، وتنادوا: لا يرم أحد بقوس، ولا يطعن برمح، وأخذوا اللتوت، وحملوا على الخطا فهزموهم وألحقوهم بجيحون، فمن صبر قتل، ومن ألقى نفسه في الماء غرق.

ووصل الخبر إلى ملك الخطا، فعظم عليه، وأرسل إلى خوارزم شاه يقول له: أنت قتلت رجالي، وأريد عن كل قتيل عشرة آلاف دينار، وكان القتلى اثني عشر ألفا." (١)

"وأنفذ إليه من رده إلى خوارزم، وألزموه بالحضور عنده، فأرسل حينئذ خوارزم شاه إلى غياث الدين يعرفه حاله مع الخطا، ويشكو إليه ويستعطفه غير مرة، فأعاد الجواب يأمره بطاعة الخليفة، وإعادة ما أخذه الخطا من بلاد الإسلام، فلم ينفصل بينهما حال.

ذكر ملك خوارزم شاه مدينة بخارى

لما ورد رسول ملك الخطا على خوارزم شاه بما ذكرناه، أعاد الجواب: إن عسكرك إنما قصد انتزاع بلخ، ولم يأتوا إلى نصرتي، ولا اجتمعت بهم، ولا أمرتهم بالعبور، وإن كنت فعلت ذلك، فأنا مقيم بالمال المطلوب مني، ولكن حيث عجزتم أنتم عن الغورية عدتم علي بهذا القول وهذا المطلب، وأما أنا فقد أصلحت الغورية، ودخلت في طاعتهم، ولا طاعة لكم عندي.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٠/١٥٤

فعاد الرسول بالجواب، فجهز ملك الخطا جيشا عظيما وسيره إلى خوارزم فحصروها، فكان خوارزم شاه يخرج إليهم كل ليلة، ويقتل منهم خلقا، وأتاه من **المتطوعة** خلق كثير، فلم يزل هذا فعله بهم حتى أتى على أكثرهم، فدخل الباقون إلى بلادهم، ورحل خوارزم شاه في آثارهم، وقصد بخارى فنازلها وحصرها، وامتنع أهلها منه، وقاتلوه مع الخطا، حتى أنهم أخذوا كلبا أعورا وألبسوه قباء وقلنسوة، وقالوا: هذا خوارزم شاه، لأنه كان أعور، وطافوا به على السور، ثم ألقوه في منجنيق [إلى] العسكر، وقالوا: هذا سلطانكم. وكان الخوارزميون يسبونهم ويقولون: يا أجناد الكفار، أنتم قد ارتددتم عن الإسلام، فلم يزل هذا دأبهم حتى ملك خوارزم شاه البلد، بعد أيام يسيرة، عنوة وعفا عن أهله، وأحسن إليهم، وفرق فيهم مالا كثيرا، وأقام به مدة وعاد إلى خوارزم.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في ذي الحجة، توفي أبو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة، كاتب." (١)

"فبلغ الخبر إلى ابن ليون، فجد، فوافاه وهو مخف من العسكر فقاتله، واشتد القتال بينهم. فأرسل ميمون إلى الظاهر يعلمه، وكان بعيدا عنه، فطالت الحرب بينهم، وحمى ميمون نفسه وأثقاله على قلة من المسلمين وكثرة من الأرمن، فانهزم المسلمون، ونال العدو منهم، فقتل وأسر، وكذلك أيضا فعل المسلمون بالأرمن من كثرة القتل.

وظفر الأرمن بأثقال المسلمين فغنموها وساروا بها، فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذخائر (إلى دربساك) ، فلم يشعروا بالحال، فلم يرعهم إلا العدو قد خالطهم ووضع السيف فيهم، فاقتتلوا أشد قتال، ثم انهزم المسلمون أيضا، وعاد الأرمن إلى بلادهم بما غنموا واعتصموا بجبالهم وحصونهم.

ذكر نهب الكرج أرمينية

في هذه السنة قصدت الكرج في جموعها ولاية خلاط من أرمينية، ونهبوا وقتلوا، وأسروا وسبوا أهلها كثيرا وجاسوا خلال الديار آمنين، ولم يخرج إليهم من خلاط من يمنعهم، فبقوا متصرفين في النهب والسبي، والبلاد شاغرة لا مانع لها، لأن صاحبها صبي، والمدبر لدولته ليست له تلك الطاعة على الجند.

فلما اشتد البلاء على الناس تذامروا، وحرض بعضهم بعضا، واجتمعت العساكر الإسلامية التي بتلك الولاية

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٠/١٥٥

جميعها، وانضاف إليهم من المتطوعة كثير، فساروا جميعهم نحو الكرج وهم خائفون، فرأى بعض الصوفية الأخيار الشيخ محمدا البستي، وهو من الصالحين، وكان قد مات، فقال له الصوفي: أراك هاهنا؟ فقال: جئت لمساعدة المسلمين على عدوهم. فاستيقظ فرحا بمحل البستي من الإسلام." (١)

"إربل، إلى بدر الدين، صاحب الموصل، يطلب منه نجدة من العساكر، فسير إليه جمعا صالحا من عسكره، وأراد أن يمضي إلى طرف بلاده من جهة التتر، ويحفظ المضايق لئلا يجوزها أحد، فإنها جميعها جبال وعرة ومضايق لا يقدر أن يجوزها إلا الفارس بعد الفارس، ويمنعهم من الجواز إليه.

ووصلت كتب الخليفة ورسله إلى الموصل وإلى مظفر الدين يأمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر، فإنهم ربما عدلوا عن جبال إربل، لصعوبتها، إلى هذه الناحية، ويطرقون العراق، فسار مظفر الدين من إربل في صفر، وسار إليهم جمع من عسكر الموصل، وتبعهم من المتطوعة كثير.

وأرسل الخليفة أيضا إلى الملك الأشرف يأمره بالحضور بنفسه في عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم، فاتفق أن الملك المعظم ابن الملك العادل وصل من دمشق إلى أخيه الأشرف وهو بحران يستنجده على الفرنج الذين بمصر، وطلب منه أن يحضر بنفسه ليسيروا كلهم إلى مصر ليستنقذوا دمياط من الفرنج، فاعتذر إلى الخليفة بأخيه، وقوة الفرنج، وإن لم يتداركها، وإلا خرجت هي وغيرها، وشرع يتجهز للمسير إلى الشام ليدخل مصر. وكان ما ذكرناه من استنقاذ دمياط.

فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا سير الخليفة إليهم مملوكه قشتمر، وهو أكبر أمير بالعراق، ومعه غيره من الأمراء، في نحو ثماني مائة فارس، فاجتمعوا هناك ليتصل بهم باقي عسكر الخليفة، وكان المقدم على الجميع مظفر الدين، فلما رأى قلة العسكر لم يقدم على قصد التتر.

وحكى مظفر الدين قال: لما أرسل إلي الخليفة في معنى قصد التتر قلت له: إن العدو قوي، وليس لي من العسكر ما ألقاه به، فإن اجتمع معي عشرة آلاف فارس استنقذت ما أخذ من البلاد فأمرني بالمسير، ووعدني بوصول العسكر، فلما سرت لم يحضر عندي غير عدد لم يبلغوا ثماني مائة طواشي، فأقمت، وما رأيت المخاطرة بنفسي وبالمسلمين.

ولما سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقرى ظنا منهم أن العسكر." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٣٦/١٠

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٤٩/١٠

"وخلص من الأسر أكثر من مائة مسلم أحضروهم للعمارة وقطع الحجارة. وأكثر من أسر قتله الغزاة المطوعة والرعاع المجمعة فكان فتحا هنيا ومنحا سنيا وما ظن لتوثيق بنائه وتوغير سبله يتأتى افتتاحه أو يتصور اجتياحه وكان قد بذل في هدنة لهم ليأمن الناس منهم مبلغ ستين ألاف دينار فلم يذعنوا بالقرار وبلغ المبلغ مائة ألف دينار فثبتوا على الإصرار.

وقال: ورأيت السلطان مستبشرا يتلألأ وجهه بنور السرور وعنده رسول القومص معافى وهو يشاهد بلية أهل ملته، وكان الحر شديدا لا يطاق ودم الشرك مباحا يراق، وقد وقد القيظ وأن وقد الغيظ وسير من أبقاه الأسار إلى دمشق فأقام السلطان في مخيم والأموات قد جافت والأحياء قد عافت وقال: ولا أبرح حتى أهدم الموضع من أساسه وأعيد الرجاء في أعادته إلى بأسه فقسمناه أذرعا على البأس حتى (١٩٩ب) هدوه إلى الأساس وعاد المشهد اليعقوبي مزورا ورأى الابتهاج بزيارته منشورا. ودخلت الحصن فشاهدت العجب ورأيت فارسا قد ألقى على النار حصانه وهو راكبه فانظر إلى هذه الحمية والأنفس الأبية. وأقام السلطان في ذلك المنزل الكريه حتى فرغ من التخريب ورحلنا يوم الأربعاء وعند الوصول إلى دمشق مرضنا من وبال ذلك الوباء ونتن ذلك الهواء وانتقل إلى جوار الرحمة أكثر من عشرة من الأمراء ومن الله غلة بعد الأشقاء بالشفاء.

قال: وهنأ الشعراء السلطان بفتح هذا الحصن فمما بقي على ذكرى من ذلك ما أنشدنيه الفتى أحمد بن نفاذه:

هلاك الفرنج أتى عاجلا ... وقد آن تكسير صلبانها

ولو لم يكن قد دنا حتفها ... لما عمرت بيت أحزانها

ولأبي الحسن علي بن محمد الساعاتي الخرساني من أهل دمشق قصيدة أولها:

بجدك أعطاف القنا تتعطف ... وطرف الأعادي دون مجدك يطرف

وقفت على حصن المخاض وأنه ... لوقف حق لا يوازيه موقف

أيسكن أوطان النبيين عصبة ... تمين لدى أيمانها وهي تحلف

نصحتكم والنصح في الدين واجب ... ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

ولأبي الفتح سعادة الضرير الحمصي من قصيدة:

وقدت إلى الأعداء جيشا عرمرما ... إذا أبرقت فيه الصوارم أرعدا

خميسا كسوت الجو ثوبا ممسكا ... به وكسوت الأرض ثوبا موردا

لها ما يريك الشمس ثاير نقعه ... يقلب مطرفها من الطرف أرمدا

ترى الليث فيه بالحباب مؤبطا ... نزا البدر فيه بالشهاب مقلدا

طما بالمحاصير الصواهل بحره ... الخضم وبالبيض المباتير أزبدا

وأبدى من الخرصان لمعا مفضضا ... يعود يوشك الطعن لمعا معسجدا

فلم تبق للطغيان شملا مجمعا ... ولم تبق للأيمان شملا مبددا

وللأمير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان العراقي من أهل الحلة المزيدية في السلطان أيضا من كلمة:

وأوردت بيض الهند ماء رقابهم ... وأصدرتها تختال في حلل حمر

جلوت بها صمصامة الدين بعد ما ... علا متنها من بغيم صدء القسر

هي للفتكة الغراء لا زلت قايما ... بأمثالها للدين في السر والجهر

فأصبح في أقصى خرسان ذكرها ... وفي كل قلب منه جيش من الذعر

قال: وفي هذه السنة كان طهر الملك العزيز أبي الفتح عثمان ولد السلطان وسمعته يقول مولد عثمان بمصر ثامن جمادى الأولى من سنة سبع وستين وخمسمائة. وكان أحب أولاده إليه وأعزهم وأثناهم لأعطاف سروره به وأهزهم وهو ريحان شمه وفينان ضمه ورأس ماله وأساس أقباله. وكانت فراسته فيه من علم الغيب الذي أطلعه الله عليه فهو الذي من بعده نظم سلكه وضم ملكه وجمع شمله وأبقى أفضاله وفضله ولزم إحسانه وعدله. ولما وصل من مصر إلى الشام في سني سبعين برح به اشتياقه وأزعجه فراقه فاستقدمه إليه فطلع قمره وينع ثمره وثاب أنسه وبلغت المنى نفسه وقال: وأنشدت أسلطان تهنية بقدومه كلمة منها:

(٢٠٠أ) يا أسد تحمي عرين العلي ... هنيت جمع الشمل بالشبل

ياطيب الثمر بلغت المنى ... تمليا بالطاهر النجل

يحكيك أقداما وبأسا فما ... أشبه هذا الفرع بالأصل

ملك قضى الله له أنه ... على ملوك الأرض يستغنى

شمله المجموع آمالنا ... بنجمها مجموعة الشمل." (١)

"قال: هذه النوبة المباركة كانت للفتح القسي مقدمة ومن عجايبه أن فارسهم ما دام فرسه سالما لم يدم لمصرعه فإنه من لبسه الزردى من فرقه إلى قدمه كأنه قطعة حديد ودراك الضرب والرمي إليه غير مشيد لكن فرسه إذا هلك فرض وملك فلم يغنم من خيلهم (٢٣٢أ) ودوابهم وكانت الوفا فرس سالم وغنمنا ما لا

---

(١) مختصر سنا البرق الشامي البنداري ص/٧٣

يحصر من بيض مكنون وزعف موضون وبلد وحصون وابتدلنا منهم بهذا الفتح كله إقليم مصون وذلك سوى ما استفتح من مال مخزون واستخرج من كنز مدفون ولما صح الكسر وقضى الأمر وسكن البحر وتمكن النصر ضرب للسلطان في تلك الحومة دهليز السراديق وتوافت إليه فرسان الحقايق ونزل السلطان وصلى للشكر وسجد وجدد الاستبشار بما وجد وأحضر عنده من الاسارى الملك والابرنس وأجلس الملك بجنبه ليزايله الوحشة ويحل له وهيهات الإنس وألفاه يلهث للعطش وينظر مبهوتا نظر المتوحش فأمر له بماء مثلوج فشربه ثم ناول الملك الابرنس القدح فاستشفه ثم حضر الترجمان حتى يعرف جواب ما يخاطبه به السلطان وما زال يقرعه بغدر وبغيه ويذكره بجله وغيه ثم ركب وخلاهما ولم ينزل حتى شاهده ضرب سرادقه وبطست نمارقه وركزت أعلامه وبيارقه ثم نزل وأمر بإحضار الابرنس فقام إليه بالسيف فحل عاتقه وحفظ مع الله في نذر دمه مواثقه وكان عنده جادم ثم فجر برجله بعد أن أخذ رأسه وهد أساسه فلما شاهده الملك يسحب بقدمه ويشحب في دمه طار عقله وثار خلبه واستحضره السلطان فخانت رجله فجاه مرتعبا مرتعشا وظن أنه كرفيقه هالك فقربه وسكنه وأدناه وأمنه وقال: ذاك بصنعه لعهده ضيعه وإصراره على غدره صرعه وأجلسه وآنسه وهيهات يبتعش من الله أتعسه أو يسعد من الكفر أنحسه ثم جمع الأسارى العروفين وسلمهم إلي وغلى قلعة دمشق الناصح وسلمهم إلى أصحابه وأمرهم أن يأخذوا خط الصفى القابض في دمشق بوصولهم ويحناط عليهم في أغلالهم وكبولهم فتفرق العسكر بمن ضمته أيدي السبى على أهل الأحد وسار الناس منهم بالمدد. وعبرت بحطين فرأيتها موضع الاعتبار وشاهدت ما فعل أهل الإقبال بأهل الإدبار وعاينت أعيانهم خبرا من الأخبار ورأيت الرعوس طايرة والنفوس بايرة والجسوم رمتها السوافي والرسوم درستها العوافي ولما أبصرت خدودهم ملصقة بالتراب وقد قطعوا أرابا تلوت قول الله تعالى (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) ولما أصبح السلطان يوم الأحد خيم على طبرية وأرسل القومصية وأخرجها من حصنها بالأمان ووفى لها ولبنيها الفرسان شروط الإيمان فخرجت بمالها وعيالها ورجالها وأقلها وولى طبرية صارم الدين قايماز النجمي فعادت بعادته الجميلة آهلة بأهل اليمن والإيمان معتدلة المحاسن بالعدل والإحسان وسكنت مساكنها وعمرت أماكنها وقبضت مخازنها عرضت دفانيها وعاد الإسلام الغريب منها إلى وطنه والدين الحافل منها إلى مأمنه وأصبح السلطان يوم الإثنين السابع والعشرين من الشهر مغتبط بما شهره الله له من سيف النصر فرأى أنفاذ مقدم الداوية مع الملك وأخيه وجماعة الأكابر إلى دمشق كما سبق ذكره ثم نفذ في الأسارى الداوية والاسبتارية خاصة أمره وقال: لا نفع في ابقائهما وهما جنسان نجسان فلا بد من أبادتهما وأردائهما فما جرت عادتهما بالمفاداة ولا يقلعان من المفاداة فتقدم باحضار كل أسير داوى

واسبتارى ليمض فيه حكم السيف ثم علم أن كل من عنده أسير لا يسمح به فجعل لكل من يأتيه بأسير منهما من الدنانير الحمر خمسون فأتوه في الحال بمائين وأمر بإعطابهم وضرب رقابهم وكان بحضرته جماعة من **المطوعة** المتورعة والمتصوفة ومن تمت بالزهد والمعرفة قد اعتقلوا إلى ضرب الأعناق ووقف كل منهم حاسرا عن ساعد ومشمرا عن ساق فمنهم من أمضى عقبه وأمضى ضربه ومنم ما كبا زنده ونبا جده والسلطان جالس وماله عن انفاذ حكم الله فيهم حابس ووجهه باشر ووجه الكفر عابس فشاهدته الضحوك القتال والمختال المغتال وكان الأسارى قد سبق هم إلى البلاد الناس ولم يقع على عددهم القياس فكتب إلى الصفى بن القابض نايبه بدمشق أن يعجل لطلب الداوية والاسبتارية السبق ويضرب عنق من يجده منهم فامثل الأمر في أزهاقهم (٢٣٢ب) وضرب أعناقهم فما قتل إلا من عرض عليه الإسلام فأبى أن يسلم ورأى لشدته في كفره أن ينقاد للقتل ولا يستسلم وما أسلم إلا آحاد حسن إسلامهم وتأكد بالدين غرامهم.

ذكر السبب في نذر السلطان دم ابرنس الكرك." (١)

"قال: ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء والتوحيد ظاهر على التثليث والطيب قد امتاز عن الخبيث ونزلنا بأرض لوبية عشية وأصبح سايرا إلى عكا (فساء صباح المنذرين) ولما أشرفنا عليها بفتحها فما كان فيها من يحميها وما صدقنا كيف نمتلكها ونحويها وظهر أهلها على الأسوار لإظهار الممانعة وخفقان ألويتها يشعر بقلوبها الخافقة وأرواح جلدهم الزاهقة ووقفنا نتأمل طلولها ونأمل حصولها وخيم السلطان بقربها وراء التل ولبث عساكرها في الحزن والسهل وبتنا تلك الليلة وقد هزتنا الأطراب كأنما دار علينا الشراب والسلطان جالس ونحن عنده وهو يحصي جنده ويقدح معهم في اقتباس الآراء زنده ومنا من يستسح رفده ومنا من يستنجر وعده ويواصله بالدعاء ويشافهه بالهناء إلى أن نادانا ابن ذكا فلبينا ونادينا العسكر فعبيناه ووقفنا بإزاء البلد صفوفا وأطلنا على أطلاله وقوفا فخرجوا إلينا رجالا ونساء وأكثروا ضراعة ودعاء وبذلوا الأذعان وطلبوا الأمان فأعطيناهم الأمان على الأنفس من المال والأنفس وخيرناهم بين المقام والترحيل والسكن في وطنهم والتحول فشرع معظمهم لشدة الخوف في التنقل وأرخينا لهم طول التمهل وفتحوا يوم الجمعة في مستهل جمادى الأولى بابها ودخلنا لإقامة الجمعة وزادوا في الدخول عدة من **المتطوعة** وجماعة من الطمعة وأخياف من الأتباع لا تخاف من التبعة فما منهم إلا من ركن على دار رمحه

---

(١) مختصر سنا البرق الشامي البنداري ص/١٤٢

وأسام فيها سرحه فحطوا على دور أخلاها أربابها وأموال خلاها أصحابها (٢٣٣أ) وجينا إلى كنيستهم العظمى وحضر الأجل الفاضل فرتب بها المنبر والقبلة وهي أول جمعة أقيمت بالساحل وكان الخطيب والأمام فيها عبد اللطيف بن الشيخ أبي النجيب ولما رآه السلطان أتقى وأزكى ولاه مناصب الشريعة في عكا فتولى القضاء والوقف والحسبة والخطبة وفوض عكا وضياعها ومعاقلها وقلاعها إلى ولده الأكبر الملك الأفضل نور الدين علي وجعل للفقيه ضياء الدين عيسى بن محمد الهكارى كل ما كان للداوية من معيشة وأقطاع ودور ورباع فتصرف فيها وحصل على حواصلها وعلق بكراميها وعقايلها ووقع في مراعيها المربعة نوابه وأثرى بثراه وثروتها أحابه وولجوا المخازن واستخرجوا الدفاين وكذلك ماليك الملك الأفضل وولاته ونوابه نشبوا المخازن وفتشوا المزاكن واستباحوا الخزون والمدفون والمحروس والمصون ومن جملة ذلك أنهم احتاطوا بغير علمي على دار باسمي فباعوا منها متاعا بسبعمائة دنار فإنها كانت من أنفس العقار وإنما وصفت هذا لعلم ما غنموه وما التهبوا على حيازته والتهموه، وتصرف الملك تقي الدين في دار السكر فاقتفى قنودها واستوعب موجودها وقد أشرت إلى هذا المعنى في كتاب الموسم بالفتح القدسي وقرئ على السلطان منه ليلة ونحن بالقدس سنة ثمان وثمانين وسمع ولو ذخرت تلك الذخاير وجمع لبيت المال المجموع الوافر لكان عدة ليم الشدايد وعدة لنجح المقاصد فقال السلطان: هذه رفيعة على ثلاثة اثنان منهما في جوار الرحمة والآخر باق في مقر العصمة يعني بالاثنين الفقيه عيسى وتقي الدين وبالآخر الباقي ولده نور الدين ولعمري هو كما ذكره لكن الملك الأفضل نور الدين ما حصل له بخاصة بل لذوي اختصاصه بالحالة التي شاهدتها.

عاد الحديث وأقام السلطان بخيمة على عكا أياما وأعلى بالمنى أعلام وكان يوم فتح حطين قد كتب إلى أخيه الملك العادل سيف الدين بما من الله به على الإسلام والمسلمين من الظفر والتأييد والتمكين فوصل بعسكره ورعيله ومعشره وجاء كتابه مبشرا بوصوله ومذكرا بسؤله وأنه فتح في طريقه بمن صحبه من فريقه الحصن المعروف بمجدل يافا وأنه حاز منه الغنايم والسبايا وأنه مجد في طي السهول والحزون وفتح ما يستقبله من الحصون فسطر جوابه وشكر صوابه وأنه يقيم في ذلك الجانب جامعا للكتايب ليجتمع به الواصلون من مصر الآملون معه النصر. وتوجه عدة من الأمراء إلى الناصرة وقيسارية والبلاد المجاورة لعكا وطبرية وأبوا بالغنيمة والسبى خير أوب وجاءونا بكل مليحة مليحة متعبة مريحة مقبلات أوايب طويلات

الذوايب ثقيلات الروافد خفيفات المعاطف فكم أجد الله لنا من نعمى هنيئة وأمددنا من حبى سنية فما إلا من أنفض وغضب وفي كل يوم فتح عتيد وتأييد يتبعه تأييد.." (١)

"والإصلاح بين المعتمد على الله وبين رجل كان تغلب على مرسية يقال له: ابن رشيق –قد تقدم ذكره في أخبار ابن عمار– فأصلح بينهما يوسف أمير المسلمين، على أن يخرج له ابن رشيق عن مرسية، ويعوضه المعتمد عن ذلك مالا جعله له، ويوليه في جهة إشبيلية ولاية؛ فأجابه ابن رشيق إلى ذلك؛ وتسلم المعتمد مرسية وأعمالها.

ولقي يوسف أمير المسلمين ملوك الأندلس الذين كان عليهم طريقه، كصاحب غرناطة، والمعتصم بن صمادح١ صاحب المرية، وابن عبد العزيز أبو بكر صاحب بلنسية.

وقعة الزلاقة

ثم إن يوسف المذكور استعرض جنده على حصن الرقة؛ فرأى منهم ما يسره، فقال للمعتمد على الله: هلم ما جئنا له من الجهاد وقصد العدو؛ وجعل يظهر التأفف من الإقامة بجزيرة الأندلس، ويتشوق إلى مراكش، ويصغر قدر الأندلس، ويقول في أكثر أوقاته: كان أمر هذه الجزيرة عندنا عظيما قبل أن نراها، فلما رأيناها وقعت دون الوصف! ، وهو في ذلك كله يسر حسوا في ارتغاء٢! فخرج المعتمد بين يديه قاصدا مدينة طليطلة، واجتمع للمعتمد أيضا جيش ضخم من أقطار الأندلس.

وانتدب الناس للجهاد من سائر الجهات، وأمد ملوك الجزيرة يوسف والمعتمد بما قدروا عليه من خيل ورجال وسلاح، فتكامل عدد المسلمين من **المتطوعة** والمرتزقة٣ زهاء عشرين ألفا، والتقوا هم والعدو بأول بلاد الروم.

وكان الأدفنش –لعنه الله– قد استنفر الصغير والكبير، ولم يدع في أقاصي مملكته من يقدر على النهوض إلا استنهضه، وجاء يجر الشوك والشجر؛ وإنما كان مقصوده الأعظم قطع تشوف البرابرة عن جزيرة الأندلس، والتهيب عليهم. فأما ملوك الأندلس فلم يكن منهم أحد إلا يؤدي إليه الإتاوة٤، وهم كانوا أحقر في عينه، وأقل من أن يحتفل لهم!.

١- هو محمد بن معن بن محمد بن صمادح التجيبي الأندلسي، الملقب ب"المعتصم بالله، الواثق بفضل الله". توفي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م. "الأعلام، الزركلي: ٧/١٠٦".

---

(١) مختصر سنا البرق الشامي البنداري ص/١٤٤

٢- "يسر حسوا في ارتغاء": مثل يضرب لمن يريك أنه يعينك، وإنما يجر النفع إلى نفسه. وقال أبو زيد والأصمعي: أصله الرجل يؤتى باللبن؛ فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة، ولا يريد غيرها، فيشربها، وهو في ذلك ينال من اللبن. ومنه قال الكميت الأسدي:

فإني قد رأيت لكم صدودا ... وتحساء بعلة مرتغينا

"مجمع الأمثال، الميداني: ٢/٤١٧".

٣- المرتزقة: الذين ينخرطون في الجيش أو القتال طمعا بالغنيمة، أو لقاء مبلغ من المال يأخذونه.

٤- الإتاوة: الجزية، أو الخراج.." (١)

"وأكل الفرنج بأنطاكية الميتات والدواب، فخرجوا من أنطاكية يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر رجب.

فأشار وثاب بن محمود أن يمنعوا من الخروج، وأشار بعض الأمراء أن لا يمكنوا من الخروج بأجمعهم ويقتلوا أولا فأولا، فلم يعرج المسلمون على شيء من: ذلك لأنهم أيقنوا بالظفر بالفرنج، وخرجوا بأجمعهم في خلق عظيم، وعاث التركمان في العسكر فانهزم، وتوهم الفرنج أن ذلك مكيدة

فتوقفوا عن تبعهم، فكان ذلك سببا لسلامة من أراد الله سلامته، ولم يبق غير كربوقا ومعه أكثر عسكره، فأحرق سرادقه وخيامه وانهزم نحو حلب.

وقتل من **المطوعة** والغلمان والسوقة خلق كثير، ولم يقتل مذكور، ونهب من المسلمين من الآلات والخيام والكراع والغلات ما لا يحصى، ومن انقطع من العسكر نهبه الأرمن وعاد الفرنج إلى قلعة أنطاكية، وبها أحمد بن مروان، فراسله الفرنج وأمنوه، ومن كان معه، وسلمها إليهم يوم الأحد الثاني من شعبان من السنة، وأنزلوه في دار بأنطاكية، وأطلقوا أصحابه وسيروا معهم من يوصلهم إلى أعمال حلب، فخرج الأرمن فأخذوا بعضهم وقتلوا بعضهم، ولم يسلم منهم إلا القليل.

ولما وصل كربوقا إلى حلب خرج إليه الملك رضوان، وحمل له خياما وغيرها، ورحل عنها وعاد عسكر دمشق إليها وتفرقت العساكر.

وبعد أيام من هذه الوقعة خرج جماعة من الفرنج في شعبان، وزحفوا مع أهل تلمنس وجميع نصارى بلد المعرة على المعرة وقاتلوها، فوصلت قطعة من عسكر حلب إليهم، فالتقوا بين تل منس والمعرة، فانهزم الفرنج وبقي الرجالة منهم، فقتل منهم زائدا عن ألف رجل، وحملت رؤوسهم إلى معرة النعمان.

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي ص/٩٩

وفي هذه السنة وهي سنة إحدى وتسعين في جمادى الأولى عزل الملك رضوان وزيره أبا النجم هبة الله بن محمد بن بديع، وولى وزارته أبا الفضل هبة بن." (١)

"ولم تزل أخبارهم تتواصل بهلاكهم وفناء أعدادهم إلى أواخر سنة اثنتين وأربعين بحيث سكنت النفوس بعض السكون

ودخلت سنة ثلاث وأربعين

وتواترت الأخبار بوصول مراكب الفرنج وحصولهم على سواحل الثغور الساحلية صور وعكا واجتماعهم مع من بها من الفرنج

ويقال إنهم بعد ما فني منهم بالقتل والمرض والجوع وصل تقدير من مئة ألف وقصدوا البيت المقدس فقضوا حجهم وعاد من عاد منهم إلى بلادهم في البحر وقد هلك منهم بالموت والمرض الخلق العظيم وهلك من ملوكهم من هلك وبقي الألمان أكبر ملوكهم ومن هو دونه

واختلفت الآراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الإسلامية إلى أن استقرت الحال على منازلتهم دمشق وبلغ ذلك معين الدين فاستعد لحربهم فجاؤوا في تقدير خمسين ألفا ودنوا من البلد وقصدوا المنزله المعروفة بنزول العساكر فيها فصادفوا الماء مقطوعا فقصدوا ناحية المزة فخيموا عليها لقربها من الماء وزحفوا إلى البلد بخيلهم ورجلهم ووقف المسلمون بازائهم في يوم السبت سادس ربيع الأول ونشبت الحرب بين الفريقين واجتمع عليهم من الأعمال والأجناد والأتراك والفتاك وأحداث البلد **والمطوعة** والغزاة الجم." (٢)

"قال وتبع هذا الفتح ورود البشرى الثانية من أسد الدين باجتماع العدد الكثير إليه من شجعان التركمان وأنه قد ظفر من المشركين بسريه وافرة ظهرت في معاقلهم من ناحية الشمال فانهزمت وتخطف التركمان منهم من ظفروا به

قال ووصل أسد الدين إلى بعلبك في العسكر من مقدمي التركمان وأبطالهم للجهاد وهم في العدد الكثير والجم الغفير واجتمعوا بنور الدين وتقررت الحال على قصد بلاد المشركين لتدويخها والابتداء بالنزول على بانياس وقدم نور الدين دمشق في إخراج آلات الحرب وتجهيزها إلى العسكر بحيث يقيم أياما يسيرة ويتوجه وأمر بالنداء بدمشق في الغزاة والمجاهدين فتبعه من الأحداث **والمطوعة** والفقهاء والصوفية والمتدينين خلق

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/٢٤١

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ١/١٨٥

كثير وخرج يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الأول

وفي سابع ربيع الآخر عقيب نزول نور الدين على بانياس ومضايقته لها بالمنجنيقات والحرب سقط بدمشق الطائر من العسكر المنصور بظاهر بانياس يتضمن كتابه الإعلام بورود المبشر من معسكر أسد الدين بناحية هونين في التركمان والعرب بأن الفرنج خذلهم الله تعالى أنهضوا سرية من أعيان مقدميهم وأبطالهم تزيد على مئة فارس سوى أتباعهم لكبس المذكورين ظنا منهم بأنهم في قل ولم يعلموا انهم في ألوف فلما دنوا منهم وثبوا إليهم كالليوث إلى فرائسها فأطبقوا عليهم بالقتل والأسر." (١)

"بذلك فاحتاج السلطان صبيحة يوم الاثنين إلى إطفاء النيران ليتم نقبه وقال من جاء بقربة ماء فله دينار

قال العماد فرأيت الناس للقرب حاملين ولأوعية الماء ناقلين حتى أغرقوا تلك النقوب فخمدت فعاد نقابوها وقد بردت فخرقوه وعمقوه وفتحوه وفتقوه وشقوا حجره وفلقوه ثم حشوه وعلقوه واستظهروا فيه يومي الثلاثاء والأربعاء ثم أحرقوه

واشتد الحرص عليه لأن الخبر أتاهم بأن الفرنج قد اجتمعوا بطبرية في جمع كثير فلما أصبح يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الأول وتعالى النهار انقض الجدار وتباشرت الأبرار

وكان الفرنج قد جمعوا وراء ذلك الواقع حطبا فلما وقع الجدار دخلت الرياح فردت النار عليهم وأحرقت بيوتهم وطائفة منهم فاجتمعوا إلى الجانب البعيد من النار وطلبوا الأمان

فلما خمدت النيران دخل الناس وقتلوا وأسروا وغنموا مئة ألف قطعة من الحديد من جميع أنواع الأسلحة وشيئا كثيرا من الأقوات وغيره، وجيء بالأسارى إلى السلطان فمن كان مرتدا أو راميا ضربت عنقه وأكثر من أسر قتله في الطريق الغزاة المطوعة وكان عدة الأسارى نحو سبع مئة وخلص من الأسر أكثر من مئة مسلم وسير باقي الأسارى إلى دمشق

وأقام السلطان بمنزلته حتى هدوا الحصن إلى الأساس وطم جب ماء معين كانوا حفروه في وسطه ورمى فيه القتلى

وكان عند السلطان رسول القومص معافى وهو يشاهد بلية أهل ملته

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٣٤١/١

وقد كان السلطان بذل لهم في هدمه ستين ألف دينار فلم يفعلوا فزادهم حتى بلغ مئة ألف فأبوا وكان مدة المقام على الحصن في أيام فتحه وبعدها أربعة عشر يوما." (١)

"فلما أصبح يوم الاثنين بعد الفتح بيومين طلب الأسارى من الداوية والاستبارية وقال أنا أطهر الأرض من هذه الجنسين النجسين فما جرت عادتهما بالمفاداة ولا يقلعان عن المعاداة ولا يخدمان في الأسر وهما أخبث أهل الكفر

فتقدم بإحضار كل أسير داوي واسبتاري ليمضي فيه حكم السيف ورأى البقيا عليهم عين الحيف ثم علم أن كل من عنده أسير لا يسمح به وأنه يضن بعطبه فجعل لكل من يأتيه بأسير منهما من الدنانير الحمر خمسين فأتوه في الحال بمئين فأمر بإعطابهم وضرب رقابهم ومحو حسابهم وكان بحضرته جماعة من **المتطوعة** المتورعة والمتصونة المتصوفة والمتعممة المتصرفة ومن يمت بالزهد والمعرفة فسأل كل واحد في قتل واحد وسل سيفه وحسر عن ساعد والسلطان جالس ووجهه باشر والكفر عابس والعساكر صفوف والأمراء في السماطين وقوف فمنهم من فرى وبرى وشكر ومنهم من أبى ونبا وعذر ومنهم من يضحك منه وينوب سواه عنه وشاهدت هناك الضحوك القتال ورأيت منه القوال الفعال فكم وعد أنجزه وحمد أحرزه وأجر استدامه بدم أجراه وبر أعنق إليه بعنق براه

وسير ملك الفرنج وأخاه وهنفري وصاحب جبيل ومقدم الداوية وجميع أكابرهم المأسورين إلى دمشق ليودعوا السجون وتستبدل حركاتهم السكون وتفرقت العساكر بما حوت أيديهم من السبي وسبق بهم إلى البلاد الناس ولم يقع على عددهم القياس فكتب إلى الصفي بن القابض نائبه بدمشق أن يضرب عنق من يجد من الداوية والاسبتارية فامتثل الأمر في إزهاقهم وضرب أعناقهم فما قتل إلا من عرض عليه الإسلام." (٢)

"والمركيس يمدهم من صور بالمدد والعدد ثم جاء الخبر أنهم على قصد صيدا للحصر وقد جسروا على عبور الجسر ووقعت عليهم اليزكية فردوهم ووقع في الأسر من سباعهم سبعة فحملوا إلى سجن دمشق ثم ذكر قتلهم للغزاة **المطوعة** على الجسر

وقال لم يصب الكفار من المسلمين مذ أصيبوا غير هذه الكره وأذاقونا بعد أن حلا لنا جنى الفتوحات مرارة هذه المرة فأيقظنا الله من رقدة الغرة وأخذ الناس حذرهم وقالوا بهذا وعد الله حيث قال ﴿فيقتلون ويقتلون﴾

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٣/٣٧

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٣/٢٩٠

وعباده هم الذين يتبعون أمره ويمتثلون ثم ذكر وقعة الكمين
قال وكان مع المسلمين أربعة من أمراء العرب فحملوا كما وصاهم السلطان على عزم الطراد ليقصدوا الكمين وسلكوا أسفل الوادي وإنما الطريق أعلاه ولا خبرة لهم بتلك الأرض فعرف الفرنج أنهم ضائعون فطاردوهم وردوهم إلى المضيق وأنفت العرب من الهزيمة فاستشهدوا
قال وكان معهم مملوك للسلطان يقال له أيبك الساقي فاعتزل إلى صخرة واحتمى بها ونكب كنانته ورماهم بنشابها وهم لا." (١)

"كبير، يقال إنه يقابل البيت المقدس، وعلى بيعة قمامة بالبيت المقدس صليب مثله، قيل إن صانعهما واحد، وبنى بيعة في وسط البلد على اسم بطرس وبولس، وهي باقية إلى زماننا في المحلة المعروفة بزقاق اليهود، فيها جرن من رخام أسود فيه منطقة الزجاج، فيها دم يوشع بن نون، عليه السلام، وهو شفاء من كل داء، وإذا طلي به البرص أزاله، قيل: ان مروثا جاء به من رومية الكبرى، أعطاه إياه قسطنطين عند عوده.

هرقلة

مدينة عظيمة بالروم، كرسي ملك القياصرة، بناها هرقل أحد القياصرة. غزاها الرشيد سنة إحدى وتسعين ومائة. نزل عليها يحاصرها، فإذا رجل خرج من أهلها شاكي السلاح ونادى: يا معشر العرب، ليخرج منكم العشرة والعشرون مبارزة! فلم يخرج إليه أحد لأنهم انتظروا إذن الرشيد، وكان الرشيد نائما، فعاد الرومي إلى حصنه، فلما أخبر الرشيد بذلك تأسف ولام خدمه على تركهم إيقاظه.
فلما كان الغد خرج الفارس وأعاد القول فقال الرشيد: من له؟ فابتدر جلة القواد، وكان عند الرشيد مخلد بن الحسين وإبراهيم الفزاري، قالا: يا أمير المؤمنين إن قوادك مشهورون بالبأس والنجدة، ومن قتل منهم هذا العلج لم يكن فعلا كبيرا، وإن قتله العلج كانت وصمة على العسكر كبيرة، فإن رأى الأمير أن يأذن لنا حتى نختار له رجلا فعل. فاستصوب الرشيد ذلك، فأشاروا إلى رجل يعرف بابن الجزري، وكان من **المتطوعة**، معروف بالتجارب مشهور في الثغور بالنجدة، فقال له الرشيد: أتخرج إليه؟ فقال: نعم، وأستعين بالله عليه. فأدناه الرشيد وودعه واتبه وخرج معه عشرون من **المتطوعة**. فقال لهم العلج وهو يعدهم واحدا واحدا: كان

---

(١)<عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/٧٦

الشرط عشرين وقد ازددتم رجلا، ولكن لا بأس! فنادوه: ليس يخرج إليك إلا واحد. فلما فصل منهم ابن الجزري." (١)

"ولما تساقينا سجال حروبنا ... سقيتهم سما من الموت نافعا

وهل زدت أن وقيتهم صاع قرضهم ... فوافوا منايا قدرت ومصارعا

فهاك بلادي إنني قد تركتها ... مهادا ولم أترك عليها منازعا

وفي سنة ١٩٠، خرج الأمير الحكم غازيا إلى ماردة. فلما وصلها، احتلها وحاصرها (وكان بها أضبغ بن عبد الله بن وانسوس ثائرا) وإذا بالخبر وصله أن سواد أهل قرطبة أعلنوا بالنفاق، وتداعوا إلى صاحب السوق بالسلاح؛ وكتب المخلفون إلى الحكم بما حدث بعده وبما ظهر من ضمائر السفلة؛ فصدر قافلا، وطوى المراحل، وقطع الطريق في ثلاثة أيام، ودخل القصر. فهدأ الناس، وسكنت الأحوال، وصار الناس في هدوء وسكون من سنة ١٩٠ إلى سنة ٢٠٢، والتزموا الدعة اثني عشر سنة.

وترددت الغزوات سبعة أعوام إلى ماردة، وبها أصبغ بن عبد الله ثائرا متمنعا. وكان سبب ثورته أن عدوا لأصبغ طالبه عند الحكم وأغراه عليه. ثم مشى إلى أصبغ بمثل ذلك، وروعه منه؛ فتوقع العقوبة والسطوة به. فكان ذلك سبب دخوله ماردة وقيامه بها. وتكررت الغارات عليه سبعة أعوام؛ فافتتحت في العام السابع بمحاولة انجلت عن طلب الأمان لأصبغ فأمن، وخرج من ماردة، وصار في مصف الحكم؛ فسكن قرطبة؛ ثم فسح له في الاختلاف إلى ضياعه بماردة حتى التاث أمرها، واضطربت حالها.

وفي سنة ١٩٢، خرج رذريق صاحب إفرنجة إلى جهة طرطوشة؛ فأغزى الحكم ابنه عبد الرحمن في جيش كثيف، وكتب إلى عمروس وعبدون عاملي الثغر بالغزو معه بجميع أهل الثغر. فتقدم عبد الرحمن بالجنود، وتوافت عليه الحشود، وحفت به **المطوعة**. فألفوا الطاغية خارجا إلى بلاد المسلمين. ودارت." (٢)

"بالعدد الكاملة والمقاتلة فأرسوا قدام السور وحضر من الرجالة والغزاة **المطوعة** والعربان من سائر النواحي خلق لا يحصون وشرع العربان في الإغارة على الفرنج وحصن الفرنج أسوار دمياط وشحنوها بالمقاتلة وفي كل وقت يحضر المسلمون جماعة سرى من الفرنج واتفقت وفاة الملك الصالح في حدود منتصف شعبان سنة سبع وأربعين، فلما تحقق الفرنج موته رحلوا بجملتهم من دمياط وشوانيهم تحاذيهم في البحر ونزلوا على فارس كور ثم تقدموا منها مرحلة، وذلك يوم الخميس لخمس بقين من شعبان، ولما كان

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٥٦٦

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ٧٢/٢

يوم الثلاثاء مستهل شهر رمضان وقع بين المسلمين والفرنج وقعة استشهد فيها جماعة من الجند وغيرهم، وفي يوم الأحد عشر شهر رمضان وصلت الفرنج طرف جزيرة دمياط وهي المنزلة التي نزلوها في أيام الملك الكامل وانتصر المسلمون عليهم فيها والمسلمون قبالة الفرنج وبينهم النيل وخندق الفرنج على أنفسهم وأداروا عليهم سورا وستروه بالستائر ونصبوا المجانيق يرمون بها المسلمين وأرست شوانيهم بإزائهم في النيل وشواني المسلمين بإزاء المنصورة ونشب القتال بين الفريقين برا وبحرا، وكل يوم يقتل من الفرنج ويؤسر جماعة وفي يوم الأربعاء لسبع مضين من شوال أخذ المسلمون من الفرنج شينيا فيه مائتا رجل وكند كبير، وفي يوم الخميس منتصف شوال ركبت الفرنج والمسلمون ودخل المسلمون إلى برهم واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من الفرنج أربعون فأرسا، وفي يوم الخميس لثمان بقين من شوال أحرق." (١)

"فأمر باستيصال أموالهم في سائر بلاده وحبسهم فاستصرخ أهل جنوة بريدا فرنس وأمدوه بالأموال فجمع وحشد وقصد تونس في أربعمائة ألف رجل منها ستة وعشرون ألف فارس ومعه من الملوك صاحب نابرة وابن الفنش وزوجة صاحب صقلية وعدة مراكبهم أربعمائة مركب فأمر صاحب تونس إلى أن يخلي لهم الساحل ولا يقاتلهم أحد فنزلوا في البر في ثامن عشر ذي الحجة سنة ثمان وبعث صاحب تونس إلى قبائل العرب الذين في بلاده وجمع مشايخهم وكبراء دولته من الأجناد والكتاب ليشاورهم فكل أشار برأي ورأت الجماعة الأندلسيون أن يفسح لهم في البر فإن المكان الذي نزلوا به لا يتسع لقتال فنزلت زوجة صاحب صقلية في البرج الذي على طرف المرسي وأخرج صاحب تونس العدد وفرقها في الجند **والمطوعة** فحملوا من غير أمره وكان معهم جماعة من الفرنج في طاعتهم فأشاروا على من معها أن تنزل من البرج إلى البحر ويلحقوها بالمراكب لئلا تؤخذ ففعلوا ففهم الأندلسيون كلامهم فلما فاتهم مقصودهم منها عادوا إلى البلد وحكموا في نسائهم وأولادهم السيف ونهبوا أموالهم وأمر صاحب تونس الرعية بعدم القتال فأشتد طمع الفرنج وقصدوا المعلقة وقتلوا من أهلها سبعين رجلا وأخذوا منبرها وبعثوا به إلى بلادهم.
وذلك في ثاني عشر ذي الحجة سنة ثمان ثم بعثوا إلى صاحب تونس يطلبونه لمبارزتهم فقال ليس فيكم ملك متوج حتى أخرج." (٢)

"والبغض لأئمة الهدي، والحب لشجرة اللعنة بني أمية، ولولا ذلك ما فارقت بغداد.
وفي هذه السنة مات محمد بن الحسن الشيباني الفقيه صاحب أبي حنيفة، وكان والده الحسن من أهل

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٢٠٨

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٤٥٥

قرية حرستا، من غوطة دمشق، فسار إلى العراق وأقام بواسط، فولد ولده محمد بن الحسن المذكور، ونشأ بالكوفة، ثم صحب أبا حنيفة وتفقه على أبي يوسف، وصنف عدة كتب مثل: الجامع الكبير، والجامع الصغير، في فقه أبي حنيفة وغير ذلك.

ثم دخلت سنة تسعين ومائة في هذه السنة سار الرشيد في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة سوى من لا ديوان له من الأتباع **والمتطوعة**، حتى نزل على هرقلة وحصرها ثلاثين يوما، ثم فتحها في شوال من هذه السنة، وسبى أهلها، وبث عساكره في بلاد الروم، ففتحوا الصفصاف وملقونية وخربوا ونهبوا وبعث تقفور بالجزية عن رعيته وعن رأسه أيضا، ورأس ولده، وبطارقته، وفي هذه السنة نقض أهل قبرس العهد. فغزاهم معتوق بن يحيى، وكان عاملا على سواحل مصر والشام، فسبى أهل قبرس، وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون، وكان مجوسيا، وفيها توفي أسد بن عمر، وابن عامر الكوفي صاحب أبي حنيفة، وفيها توفي يحيى بن خالد بن برمك محبوسا بالرقة، في المجرم وعمره سبعون سنة.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة.

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة فيها سار الرشيد من الرقة إلى خراسان فنزل بغداد، ورحل عنها إلى النهروان، لخمس خلون من شعبان، واستخلف على بغداد ابنه الأمين.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة. فيها مات الفضل بن يحيى بن خالد ابن برمك في الحبس بالرقة، في المحرم، وعمره خمس وأربعون سنة، وكان من محاسن الدنيا؛ لم ير في العالم مثله.

موت الرشيد

في هذه السنة أعني سنة ثلاث وتسعين ومائة، مات الرشيد لثلاث خلون من جمادى الآخرة، وكان به مرض من حين ابتدأ بسفره، فاشتدت علته بجرجان، في صفر، فسار إلى طوس فمات بها في التاريخ المذكور، وكان قد سير ابنه المأمون إلى مرو، وحفر الرشيد قبره في موضع الدار التي كان فيها، وأنزل فيه قوما ختموا فيه القرآن، وهو في محفة على شفير القبر، وكان يقول في تلك الحالة واسوءتاه من رسول الله، ولما دنت منه الوفاة غشي عليه ثم أفاق، فرأى المفضل بن الربيع على رأسه فقال: يا فضل

أحين دنا ما كنت أخشى دنوه ... رمتني عيون الناس من كل جانب

فأصبحت مرحوما وكنت محسدا ... فصبرا على مكروه مر العواقب

سأبكي على الوصل الذي كان بيننا ... وأندب أيام السرور الذواهب

ثم مات، وصلى عليه ابنه صالح، وحضر وفاته الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح وسرور وحسين، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما، وكان عمره." (١)

"اليشكري إلى حلب، فلحقه بها شبيب فقتله [١] .

[إجراء الأموال على المجذومين]

وفيها أجرى المهدي على المجذومين وأهل السجون بممالكه ما يكفيهم [٢] .

[وصول الروم إلى الحدث]

وفيها وصلت الروم إلى الحدث فهدموا سورها.

[غزوة الحسن بن قحطبة في الروم]

فغزا الناس غزوة لم يسمع بمثلها، سار الحسن بن قحطبة في ثمانين ألف مقاتل سوى **المطوعة**، فأغار على ممالك الروم وخرب وأحرق، ولم يلق بأسا [٣] .

[غزوة قاليقلا]

وغزا يزيد السلمي من ناحية باب قاليقلا، وافتتح ثلاثة حصون، وقدم بالسبي [٤] .

---

[١] تاريخ الطبري ٨/ ١٤٢ وفيه أنه قتل في قنسرين، وكذلك في الكامل لابن الأثير ٦/ ٥٧، والبداية والنهاية ١٠/ ١٣٥، ونهاية الأرب ٢٢/ ١١٤.

[٢] تاريخ الطبري ٨/ ١٤٢، الكامل في التاريخ ٦/ ٥٧، البداية والنهاية ١٠/ ١٣٥، نهاية الأرب ٢٢/ ١١٤، البدء والتاريخ ٦/ ٩٦.

[٣] تاريخ خليفة ٤٣٧، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٠٢، تاريخ الطبري ٨/ ١٤٣، المعرفة والتاريخ ١/ ١٥٠، فتوح البلدان ٢٢٦، الخراج وصناعة الكتابة ٣١٠، الكامل في التاريخ ٦/ ٥٨، البداية والنهاية ١٠/ ١٣٥، دول الإسلام ١/ ١١٠.

[٤] تاريخ الطبري ٨/ ١٤٣، الكامل في التاريخ ٦/ ٥٨، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢١٣.." (٢)

"مائة ألف فارس وخمسة وثلاثين ألفا سوى **المطوعة** [١] .

وجال في أرض الكفر الأمير داود بن عيسى بن موسى [٢] في سبعين ألفا [٣] .

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ١٨/٢

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١١/١٠

[فتح حصن الصقالبة]

وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة [٤] .

وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقونية [٥] .

وكان فتح هرقلة في شوال، فأخربها وسبى أهلها، وكان الحصار ثلاثين يوما [٦] .

[غزوة حميد بن معيوف إلى قبرس]

وولي إمرة سواحل الشام إلى مصر حميد بن معيوف، فسار في البحر

---

[١] تاريخ خليفة ٤٥٩، الأخبار الطوال ٣٩١، المعارف ٣٨٢، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٢٨ و ٤٣١، تاريخ الطبري ٨/ ٣٢٠- ٣٢٢، العيون والحدائق ٣/ ٣١٢، تاريخ حلب ٢٣٦، الكامل في التاريخ ٦/ ١٩٦، تاريخ الزمان ١٧، نهاية الأرب ٢٢/ ١٥١، مختصر التاريخ لابن الكازروني ١٢٧، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨، مرآة الجنان ١/ ٤٢٤، تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٠٩، البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٣، وأعاد ذكر الخبر في حوادث ١٩١ هـ.

(١٠/ ٢٠٦) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٢٦، البيان المغرب ١/ ٩٤، مآثر الإنافة ١/ ١٩٦، النجوم الزاهرة ٢/ ١٣٣، تاريخ الخلفاء ٢٨٩، وانظر رواية مطولة في الأغاني ١٨/ ٢٣٩- ٢٤٢.

[٢] في الأصل «داود بن موسى بن عيسى» والتصحيح من المصادر التالية.

[٣] تاريخ الطبري ٨/ ٣٢٠، الكامل في التاريخ ٦/ ١٩٦، نهاية الأرب ٢٢/ ١٥١، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٢٦، النجوم الزاهرة ٢/ ١٣٣، تاريخ الخلفاء ٢٨٩.

[٤] تاريخ الطبري ٨/ ٣٢٠، الكامل في التاريخ ٦/ ١٩٦، نهاية الأرب ٢٢/ ١٥١، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٢٦، النجوم الزاهرة ١٣٣.

[٥] هكذا في الأصل، والكامل في التاريخ ٦/ ١٩٦، أما في: نهاية الأرب ٢٢/ ١٥٢ «ملوقية» ، وتاريخ الطبري ٨/ ٣٢٠ «ملقوبية» ، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٢٦ «قونية» ، وتاريخ الخلفاء ٢٨٩ كما هنا.

[٦] الطبري ٨/ ٣٢٠.." (١)

"عن المنكر، فبايعه خلق من **المطوعة**، وقمعوا كثير من أهل الفساد، ثم آل أمرهم إلى الخروج والقتال.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٢/٤٣

وأما المسيب هذا فإنه قتل. ولي ذبحه أبو زنبيل، وحمل رأسه على رمح، وذلك في ربيع الآخر سنة إحدى ومائتين.

٣٦٧- مصعب بن ماهان المروزي [١] .

روى عن: سفيان الثوري.

وعنه: زهير بن عباد الرواسي، وعبدة بن سليمان المروزي، وإبراهيم بن شماس السمرقندي، وآخرون.

قال أحمد بن أبي الحواري: كان أميا لا يكتب [٢] .

قال أبو توبة الحلبي: أشار علي عيسى بن يونس بالكتابة عن مصعب بن ماهان، وكان مصعب يلحن [٣] .

وقال أحمد بن حنبل: كان رجلا صالحا، وحديثه مضارب، فيه شيء من الخطأ [٤] .

وقال أبو حاتم [٥] ، شيخ [٦] .

---

[١] انظر عن (مصعب بن ماهان) في:

المعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ١٧٢، والضعفاء الكبير للعقيلي ٤/ ١٩٨ رقم ١٧٧٦، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ٣٠٨، ٣٠٩ رقم ١٤٢٧، والثقات لابن حبان ٩/ ١٧٥، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٦/ ٢٣٦٠، وتاريخ جرجان للسهمي ٢٢٩، والسابق واللاحق للخطيب ١٠٩، وتهذيب الكمال للمزي (المصور) ٣/ ١٣٣٣، والمغني في الضعفاء ٢/ ٦٦١ رقم ٦١٦٧، وميزان الاعتدال ٤/ ١٢١ رقم ٨٥٦٨، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٦٤ رقم ٣١٠، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٥٢ رقم ١١٥٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٧٨.

[٢] الجرح والتعديل ٨/ ٣٠٨.

[٣] الجرح والتعديل ٨/ ٣٠٨.

[٤] الضعفاء الكبير للعقيلي ٤/ ١٩٨، الجرح والتعديل ٨/ ٣٠٨.

[٥] الجرح والتعديل ٨/ ٣٠٩.

[٦] وقال ابن عدي: «حدث عن الثوري وغيره بأسانيد ومتون لا تعرف ولا يرويها غيره» . (الكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ٢٣٦٠) .

وقد ذكره الفسوي في المتوفين سنة ١٨١ هـ. (المعرفة والتاريخ ١/ ١٧٢) وإذا صح هذا فيجب أن تحول هذه الترجمة إلى الطبقة الثامنة عشرة.." (١)

"أكثر الليل، وكان أمرا مزعجا لم يعهد مثله [١] .

[غارة الروم على عين زربة]

وفيها أغارت الروم على من بعين زربة [٢] .

[غارة البجاة في مصر]

وأغارت البجاة على ناحية من مصر، فسار إليهم القمي، وتبعه خلق من **المطوعة** من الصعيد، فكان في عشرين ألفا بين فارس وراجل. وحمل إليه في بحر القلزم عدة مراكب، فيها أقوات، ولججوا بها في البحر حتى يلاقوا بها ساحل البجاة. وحشد له ملك البجاة عساكر يقاتلون على الإبل بالحراب، فتناوشوا أياما من غير مصاف، وقصد البجاة ذلك ليفنى زاد المسلمين. ثم التقوا، فحملوا على البجاة، فنفرت إبلهم من الأجراس، ونفرت في الجبال، والأودية، ومزقت جمعهم. فأسر وقتل خلق منهم، وساق وراءهم، فهرب الملك وأخذ تاجه وخزائنه.

ثم أرسل الملك يطلب الأمان وهو يؤدي الخراج. وسار معهم إلى باب المتوكل في سبعين من خواصه، واستناب ولده، وكان يعبد الأصنام [٣] .

---

[١] انظر ہذا الخبر في:

تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٩١، وتاريخ الطبري ٩/ ٢٠١، والبدء والتاريخ للمقدسي ٦/ ١٢١، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٥٧، والكامل في التاريخ ٧/ ٨٠، ونهاية الأرب ٢/ ٢٨٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٢٤، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٤، وتاريخ الخلفاء ٣٤٨، وشذرات الذهب ٢/ ٩٦.

[٢] انظر هذا الخبر في:

تاريخ الطبري ٩/ ٢٠١، والكامل في التاريخ ٧/ ٨٠، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٢٤.

[٣] انظر عن غارة البجاة في:

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٤/٣٨٧

تاريخ الطبري ٩/ ٢٠٣- ٢٠٦، وتجارب الأمم ٦/ ٥٤٨- ٥٥١، والكامل في التاريخ ٧/ ٧٧- ٧٩، ونهاية الأرب ٢٢/ ٢٨٨، ٢٨٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٢٤، ٣٢٥.." (١)

"وعنه: الحسين المحاملي، ومحمد بن مخلد.

ولعله بقي إلى بعد الخمسين [١] .

٤- أحمد بن إدريس [٢] .

أبو حميد الجلاب.

بغدادي، روى عن: هشيم.

وعنه: الحسين المحاملي، وغيره.

٥- أحمد بن إسحاق بن الحصين [٣]- خ. - أبو إسحاق السلمي البخاري المعروف بالسرماري، وسرماريا من قرى بخارى.

سمع: يعلى بن عبيد، وعثمان بن عمر بن فارس، وطبقتهما.

وعنه: خ.، وإسحاق ابنه، وإدريس بن عبدك، وطائفة.

وكان ثقة زاهدا مجاهدا فارسا مشهورا، يضرب بشجاعته المثل.

قال إبراهيم بن عفان البزاز: كنا عند أبي عبد الله البخاري، فجرى ذكر أبي إسحاق السرماري فقال: ما نعلم في الإسلام مثله.

فخرجت من عنده، فإذا أجد رئيس **المطوعة**، فأخبرته، فغضب ودخل على البخاري فسأله، فقال: ما كذا قلت. ولكن ما بلغنا أنه كان في الإسلام ولا في الجاهلية مثله.

---

[١] وقال الدار الدارقطني: لا بأس به.

وقال الخطيب: قرأت بخط أبي الحسن الدار الدارقطني، وحدثنيه أحمد بن محمد العتيقي عنه، قال: أحمد بن إبراهيم البوشنجي أبو الفضل، بغدادي ليس بقوي يعتبر به. (تاريخ بغداد ٤/ ٨، ٩) .

[٢] انظر عن (أحمد بن إدريس) في:

تاريخ بغداد ٤/ ٣٨، ٣٩، رقم ١٦٤٥.

[٣] انظر عن (أحمد بن إسحاق بن الحصين) في:

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٦/١٨

الثقات لابن حبان ٨/ ١٢، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ٢٥، ٢٦ رقم ١، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/ ٨ رقم ١٠، والأنساب لابن السمعاني ٧/ ٧٣، ٧٤، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٣٨، ٣٩ رقم ٦، واللباب لابن الأثير ٢/ ١٤، وتهذيب الكمال للمزي ١/ ٢٦١- ٢٦٣ رقم ٧، والوافي بالوفيات ٦/ ٢٤١ رقم ٢٧١٨، وتهذيب التهذيب ١/ ١٣، ١٤ رقم ٨، وتقريب التهذيب ١/ ١٠ رقم ٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣.." (١)

"١٨٠- يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس [١] .

الشهيد أبو زكريا الذهلي النيسابوري. شيخ نيسابور بعد والده ومفتيها، ورأس **المطوعة**.

من القراء.

سمع: يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وجماعة ببلده، وإبراهيم بن موسى بالري، وأبا الوليد الطيالسي، وسلمان بن حرب، وعلي بن عثمان اللاحقي، ومسدد بالبصرة.

وأحمد بن حنبل، وعلي بن الجعد، وطائفة ببغداد، وإسماعيل بن أبي أويس، وسعيد بن منصور، وجماعة بالحجاز.

روى عنه: أبوه، والحسين بن محمد القباني، وإبراهيم بن أبي طالب، وابن خزيمة، ومحمد بن صالح بن هانئ، ومحمد بن يعقوب بن الأصرم، وآخرون.

وكان لقبه: حيكان.

قال الحاكم: حيكان الشهيد إمام نيسابور في الفتوى والرئاسة، وابن أميرها، ورأس **المطوعة** بخراسان. كان يسكن بدار أبيه ولكل منهما فيه صومعة وآثار لعبادتهما [٢] .

وكان أحمد بن عبد الله الخجستاني قد ورد نيسابور ويحيى رئيس بها والقراء يصدرون عن رأيه.

وكانت الظاهرية قد رفعت من شأنه وصيرته مطاعا، ولم يحسن أحمد الصحبة معه، وقصد الوضع منه. ومع هذا فكان أحمد مجتهدا في التمكن من

---

[١] انظر عن (يحيى بن محمد بن يحيى) في:

الجرح والتعديل ٩/ ١٨٦ رقم ٧٧٤، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢١٧- ٢١٩ رقم ٧٥٠٨، والكامل في التاريخ ٧/ ٣٠٠، ٣٠١، والمنتظم ٥/ ٦٢ رقم ١٤٣، وتهذيب الكمال (المصور) ٣/ ١٥١٦، ١٥١٧، وسير

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٨/٣٣

أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٥- ٢٩٤ رقم ١٠٥، والكاشف ٣/ ٢٣٤ رقم ٦٣٥٥، والعبر ٢/ ٣٦، وميزان الاعتدال ٤/ ٤٠٧ رقم ٩٦٢٤، والبداية والنهاية ١١/ ٤٢، ومرآة الجنان ٢/ ١٨٠، وتهذيب التهذيب ١١/ ٢٧٦- ٢٧٨ رقم ٥٥٠، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٥٧ رقم ١٧٠، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤٣، وخلاصة التذهيب ٤٢٨، وشذرات الذهب ٢/ ١٥٢. وهو الذي يقال له: «حيكان» أو «كيكان» .

[٢] تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠٧، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٤٣.." (١)

"ثم إن أمير خراسان ظفر بدرهم، وبعث به إلى بغداد، فحبسوه ثم أطلقوه، فخدم السلطان، ثم إنه تنسك ولزم الحج، وأقام ببيته.

قال ابن الأثير [١] : تغلب صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب، فاستنقذها منه طاهر بن عبد الله بن طاهر. ثم ظهر بها درهم المطوعي فغلب عليها، وصار يعقوب قائد عسكره.

ورأى أصحاب درهم عجزه وضعفه، فملكوا عليهم يعقوب لما رأوا من حسن سياسته. فلم ينازعه درهم. واستبد يعقوب بالإمرة، وقويت شوكته.

قال علي بن محمد: لما دخل درهم بغداد ولي يعقوب أمر **المطوعة**، وحارب الخوارج الشراة حتى أفناهم، وأطاعه جنده طاعة لم يطيعوها أحدا.

واشتهرت صولته، وغلب على سجستان، وهراة، وبوشنج، ثم حضه أهل سجستان على حرب الترك الذين بأطراف خراسان مع رتبيل لشدة ضررهم، فغزاهم وظفر برتبيل فقتله، وقتل ثلاثة من ملوك الترك، ثم رد إلى سجستان وقد حمل رءوسهم مع رءوس ألوف منهم، فرهبته الملوك الذين حوله، ملك المولتان، وملك الرخج، وملك الطبسين، وملوك السند [٢] .

وكان على وجهه ضربة منكرة من بعض قتال الشراة، سقط منها نصف وجهه، وخاطه ثم عوفي [٣] .

وقد أرسل إلى المعتز بالله هدية عظيمة، من جملتها مسجد فضة يسع خمسة عشر نفسا يصلون فيه [٤] . وكان يحمل على عدة جمال، ويفكك ثم يركب.

ثم إنه حارب عسكر فارس سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل منهم ألوفا. فكتب إليه وجوه أهل فارس: إن كنت تريد الديانة والتطوع وقتل الخوارج فما ينبغي لك أن تتسرع في الدماء [٥] . واعتدوا للحصار، ونازلهم ووقع القتال،

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٩٨/٢٠

[١] في الكامل في التاريخ ٧/ ١٨٤، ١٨٥، واقتبسه ابن خلكان في وفيات الأعيان ٦/ ٤٠٣.

[٢] وفيات الأعيان ٦/ ٤٠٣، ٤٠٤.

[٣] وفيات الأعيان ٦/ ٤٠٥.

[٤] وفيات الأعيان ٦/ ٤٠٥.

[٥] وفيات الأعيان ٦/ ٤٠٧.." (١)

"٦٦٥- عثمان بن القاسم بن أبي نصر معروف بن حبيب التميمي [١] .

والد أبي محمد العفيف.

كان أمير الغزاة المطوعة من أهل دمشق.

سمع: محمد بن المعافى الصيداوي.

وعنه: ابنه عبد الرحمن.

٦٦٦- علي بن محمد الزويني بادويه [٢] .

حدث ببغداد هذا العام، عن: محمد بن أيوب بن الضريس، ويوسف بن عاصم.

روى عنه: ابن رزقويه، وعثمان بن دوست، وعلي بن داود الرزاز.

وثقه الخطيب [٣] .

٦٦٧- علي بن محمد بن الزبير [٤] .

أبو الحسن القرشي الكوفي.

حدث ببغداد عن: الحسن ومحمد ابني علي بن عفان، وإبراهيم بن أبي العنبس، ومحمد بن الحسين الحنيني، وإبراهيم القصار.

وعنه: أبو الحسن بن رزقويه، وأبو نصر بن حسنون، وأحمد بن كثير

[()] وقال الخطيب: سألت أبا يعلى محمد بن الحسين السراج المقرئ عن أبي القاسم الأزدي فقال: ضعيف.

[١] انظر عن (عثمان بن القاسم) في:

تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٢٧/ ٢٢٩، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٣/

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٠/٢٠٤

٢٨٠ رقم ١٠٠٤.

[٢] انظر عن (علي بن أحمد) في:

التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٣٣٣، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٢٢ رقم ٦١٣٨.

[٣] في تاريخه.

وأورده السلمي في (تاريخ الصوفية) ، وحدث في الجامع بقزوين سنة أربعين وثلاثمائة.

[٤] انظر عن (علي بن محمد) في:

الفهرست لابن النديم ٧٩، ٢٠٢، ورجال الطوسي ٤٨٠ رقم ٢٢، وتاريخ بغداد ١٢/ ٨٠ رقم ٦٤٨٩، والمنتظم ٦/ ٣٩١ رقم ٦٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٦، ٥٦٨ رقم ٣٤٠، والإعلام بوفيات الأعلام ١٤٨، وشذرات الذهب ٢/ ٣٧٩، ومجمع الرجال للقهپائي ٤/ ٢١٧، وأعلام طبقات الشيعة ٢٠٢، ٢٠٣، وأعيان الشيعة (الطبعة الجديدة) ٨/ ٣٣١.." (١)

"أبو بكر البهرامي [١] الدينوري المطوعي [٢] .

توفي بالأندلس غريبا.

وقد حدث بها عن: أبي خليفة، وجعفر الفريابي.

وعنه: خلف بن هانئ، وأهل قرطبة.

ومن آخر من حدث عنه أبو الفضل التاهرتي، وأبو عمر بن الجسور، وأدخل إلى الأندلس جملة من تصانيف محمد بن جرير، رواها عنه وخدمه مدة.

وكان ضعيف الخط ليس بالمتقن، وعنده مناكير، وإنما طلب العلم علي كبر السن [٣] .

٦٩٢- أحمد بن كردوس بن مسعود التنيسي [٤] .

أبو جعفر.

سمع: بكر بن سهل الدمياطي.

٦٩٣- أحمد بن محمد بن جعفر بن ثوابة [٥] .

[()] ٤٥٣، وميزان الاعتدال ١/ ١٢٨ رقم ٥١٧، ولسان الميزان ١/ ٢٤٦ رقم ٧٦٩.

[١] لم ترد هذه النسبة في كتب الأنساب، والمشتبهات.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٥/٤٠٢

[٢] المطوعي: بضم الميم، وتشديد الطاء المهملة وفتحها وكسر الواو، وفي آخرها العين المهملة، هذه النسبة إلى **المطوعة**، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو والجهاد ورابطوا في الثغور وتطوعوا بالغزو (الأنساب ١١/ ٢٧٠) .

[٣] قال ابن حجر: قال الحافظ أبو القاسم الدمشقي عنده مناكير وما كان يكتب حديثه. وهذا لم يقله ابن عساكر من قبله، إنما قاله نقلا من كتاب ابن الفرضي. فقال: أحمد بن الفضل بن العباس الهمداني الدينوري الخفاف يكنى أبا بكر، قدم الأندلس سنة إحدى وأربعين وثلاث مائة، وكان يكتب كتابا ضعيفا، ولزم محمد بن جرير وخدمه وتحقق به وسمع منه، قال: وقد سمع من أبي داود، وأبي خليفة، والفريابي، وغيرهم. قال: وكان عنده مناكير، وقد تسهل الناس فيه وسمعوا منه كثيرا. وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى: لقد كان بمصر يلعب به الأحداث ويسرقون كتبه، وما كان ممن يكتب عنه ... وقال أبو عمرو الداني في طبقات القراء: كان أبو سعيد بن الأعرابي فيما بلغني يضعفه ويتهم. (لسان الميزان ١/ ٢٤٦) .

[٤] التنيسي: بكسر التاء المنقوطة باثنتين من فوق وكسر النون المشددة والياء المنقوطة باثنتين من تحتها والسين غير المعجمة، بلدة من بلاد ديار مصر في وسط البحر والماء بها محيط، وهي كور من الخليج، وسميت بتنيس بن حام بن نوح، وهي من كور الريف. (الأنساب ٣/ ٩٦) .

[٥] انظر عن (أحمد بن محمد بن جعفر) في:

تكملة تاريخ الطبراني للهمذاني ١٧٨، ١٧٩ وفيه: «أبو عبد الله ابن ثوابة» ، ونشوار المحاضرة للتنوخي ٤/ ٢٠، ٤١ و ٨/ ٤٣، والفرج بعد الشدة ٢/ ٥١، وأخبار الحمقى والمغفلين لابن." (١)

"البصري، فيما انتقاه على أبي الشافعي خاصة، وعمل فيه رسالة.

وقد كان أبو محمد الحسن السبيعي يقول: هو كذاب، وقال: مولده سنة ثمانين ومائتين. قال: وحدث بشيء يسير، وكانت كتبه ردية.

الفضل بن محمد بن العباس أبو العباس الهروي الواعظ الصالح.

سمع: عثمان بن سعيد الدارمي، وعاش زمانا ولم يحدث لاختلاف عقله.

فنك الخادم [١] مولى الأستاذ كافور ملك مصر.

خرج من مصر بعد موت مولاه في هذه السنة [٢] إلى الرملة، فبعثه الحسن بن عبد الله بن طغج أمير الرملة أميرا على دمشق فدخلها وأقام بها، فلما اتصل به أن الروم- لعنهم الله- أخذوا حمص يوم عيد الأضحى

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٥/٤١٣

نادى في البلد النفير إلى ثنية العقاب [٣] ، فخرج الجيش والمطوعة وغيرهم وانتشروا إلى دومة [٤] وحرستا [٥] ، وأنتهز هو الفرصة، في خلو البلد فرحل بثقله نحو عقبة دمر [٦] ، وسار بعسكره وخواصه، وطلب نحو الساحل، فطمع الناس فيه ونهبوا بعض أثقاله وقتلوا من تأخر من رجاله، وذلك في آخر السنة.

كافور الأستاذ أبو المسك الأخشيدي أمير مصر والشام.

قيل توفي فيها، وقيل في الماضية كما ذكرناه، والله أعلم. ثم رأيت في تاريخ علي بن محمد الشمشاطي وفاته في سنة سبع في ثامن عشر جمادى الأولى.

---

[١] أمراء دمشق في الإسلام- ص ٦٦ رقم ٢٠٨، وانظر تاريخ الأنطاكي (بتحقيقنا) .

[٢] وفي أمراء دمشق «سنة تسع وخمسين وثلاثمائة» .

[٣] ثنية العقاب: بالضم، وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق، يطؤها القاصد من دمشق إلى حمص. (معجم البلدان ٢/ ٨٥) .

[٤] دومة: بالضم: من قرى غوطة دمشق، غير دومة الجندل. (معجم البلدان ٢/ ٤٨٦) .

[٥] حرستا: بالتحريك، وسكون السين، وتاء فوقها نقطتان: قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص. (معجم البلدان ٢/ ٢٤١) .

[٦] عقبة دمر: مشرفة على غوطة دمشق في طريق بعلبك. (معجم البلدان ٢/ ٤٦٣) .." (١)

"أدت إلى التنازع، وأفضت إلى القتال بينهما، فالتقيا في شوال من السنة، فقتل عز الدولة في المعركة، وحمل رأسه إلى يدي عضد الدولة، فوضع المنديل على وجهه وبكى، وتملك بعده، واستقل بالممالك.

وعاش عز الدولة ستا وثلاثين سنة.

وقد مر من أخباره في الحوادث.

تامش بن تكين، أبو منصور المعتمدي. حدث بمصر.

حسن بن وليد [١] ، أبو بكر القرطبي الفقيه النحوي، المعروف بابن العريف.

كان بارعا في النحو، خرج إلى مصر في أواخر عمره، ورأس فيها، وكانت له حلقة بجامعها، وبها توفي.

دارم بن أحمد بن السري بن صقر، أبو معن الرفاء المصري.

يروي عن ابن زبان.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٦/١٦٦

عبد الرحمن بن محمد بن جعفر [٢] ، أبو محمد الهاشمي الجرجاني ثم النيسابوري الغازي المرابط.
سمع أبا العباس السراج، وابن خزيمة.
وعنه الحاكم. وكان من **المطوعة**.
عبد الله بن علي بن حسن [٣] ، أبو محمد القومسي [٤] الفقيه، قاضي جرجان.
روى عن أبيه، والبغوي، وابن صاعد، وتفقه على أبي إسحاق المروزي.

---

[١] تاريخ علماء الأندلس ١/ ١١٢ رقم ٣٤٩، بغية الوعاة ١/ ٥٢٧ رقم ١٠٩٢.
[٢] تاريخ جرجان ٢٥٩ رقم ٤٢٠.
[٣] تاريخ جرجان ٢٧٤ رقم ٤٥٦.
[٤] القومسي: بضم القاف وسكون الواو وفي آخرها سين مهملة. نسبة إلى قومس، يقال لها بالفارسية كومش. وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع في ذيل جبل طبرستان. (اللباب ٢/ ٦٤، معجم البلدان ٤/ ٤١٤) .." (١)

"من الصحابة؟ فذكرت له حديث عمر في العمالة [١] ، فعرف لي ذلك، وصارت لي به عنده منزلة.
الحسن بن سعيد بن جعفر [٢] ، أبو العباس العباداني [٣] المطوعي [٤] المقرئ المعمر نزيل إصطخر، في آخر عمره.
سمع من: الحسن بن المثنى، وأبا خليفة، وأبا مسلم الكجي، وأبا عبد الرحمن النسائي، وإدريس بن عبد الكريم الحذاء، وجعفر بن محمد الفريابي، وجماعة.
قال أبو نعيم: قدم أصبهان سنة خمس وخمسين، وكان رأسا في القرآن وحفظه، [في حديثه] [٥] وروايته، لين.
وقال أبو بكر بن مردويه: وهو ضعيف.
قلت: قرأ لنافع على أبي بكر محمد بن عبد الرحيم الأصبهاني، وأبي محمد الملطي، وقرأ لأبي عمر، ومحمد بن بدر بن محمد الباهلي صاحب الدوري، والحسين بن علي الأزرق الجمال. قرأ عليه برواية قالون، وقرأ

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٧٢/٢٦

[١] في الأصل «المعاملة» والتصويب من (تاريخ بغداد وتذكرة الحفاظ) . والحديث في مسند أحمد ١/ ١٧، وصحيح البخاري ١٣/ ٣٢- ١٣، والنسائي ٥/ ١٠٤، ١٠٥ ويرويه الصحابي: السائب بن يزيد، عن حويطب بن عبد العزى، عن عبد الله بن السعدي، عن عمر.

[٢] ذكر أخبار أصبهان ١/ ٢٧١، تهذيب ابن عساكر ٤/ ١٧٦، ميزان الاعتدال ١/ ٤٩٢، العبر ٢/ ٣٥٩، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٥٠، غاية النهاية ١/ ٢١٣، الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٩ رقم ٢٤، لسان الميزان ٢/ ٢١٠ رقم ٩٣٢، شذرات الذهب ٣/ ٧٥، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤١، معرفة القراء الكبار ١/ ٢٥٦ رقم ٥٤، النشر في القراءات العشر ١/ ١١٤، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٦٠ رقم ١٨٢، موسوعة علماء المسلمين ٢/ ١٠٢، ١٠٣ رقم ٤١٧.

[٣] العباداني: بفتح العين والباء الموحدة المشددة وسكون الألف وفتح الدال المهملة، نسبة إلى عبادان، بليدة بنواحي البصرة في البحر. (اللباب ٢/ ٣٠٩) .

[٤] المطوعي: بضم الميم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو وفي آخرها عين مهملة، نسبة إلى **المطوعة**، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو والمرابطة بالثغور وقصدوا جهاد العدو في بلادهم. (اللباب ٣/ ٢٢٦) .

[٥] ما بين الحاصرتين سقط من الأصل، استدركناه من (أخبار أصبهان وتذكرة الحفاظ) .." (١)

"رجب سنة ثلاث وسبعين، وتوفي بتاهرت [١] في ذلك العام.

وكان مولده في حدود الثمانمائة.

محمد بن أحمد بن جعفر، أبو بكر الأزدي المؤدب الهروي.

توفي بها.

سمع من ابن خزيمة، وطبقته.

وعنه: الحاكم. وكان مجاهدا متعبدا خيرا.

محمد بن أحمد بن إبراهيم البلخي، أبو عبد الله.

ولد بمكة، وقرأ على: محمد بن هارون صاحب اليزني، وسمع العقيلي، والديبلي.

قرأ عليه: عبد الباقي بن الحسن، وكان حيا في هذا العام.

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، من ذرية أبي حفص البخاري الكبير، أبو عبد الله رئيس **المطوعة** ببخاري.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٦/٤٩٧

سمع: أباه، وجماعة، ومات ببخاري في ربيع الأول.

استملى عليه الحاكم.

محمد بن أحمد [٢] ، أبو عبد الله الإلبيري بن التراس الزاهد.

روى عن محمد بن فطيس، وغيره.

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن [٣] بن معاوية، أبو عبد الله القرشي القرطبي اللغوي المعروف بالمصنوع، تلميذ أبي علي القالي.

سمع: من علي بن ق ا سم بن أصبغ وجماعة.

وكان موصوفا بالضبط وحسن النقل.

---

[١] تاهرت: بفتح الهاء وسكون الراء، وتاء فوقها نقطتان. اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحداهما تاهرت القديمة، وللأخرى تاهرت المحدثة. (معجم البلدان ٢/ ٧) .

[٢] تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٥ رقم ١٣٤١.

[٣] تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٥ رقم ١٣٤٢.." (١)

"وعنه: أبو العلاء الواسطي، وعبد العزيز الأزجي.

عمر بن محمد بن علي [١] بن يحيى بن حفص بن الزيات البغدادي الناقد.

سمع: إبراهيم بن شريك، والفريابي، وعبد الله بن ناجية، وعمر بن أبي غيلان، وعمر بن محمد الكاغدي، وطائفة سواهم.

وعنه: أبو بكر البرقاني، والحسن بن محمد الخلال، وأحمد بن محمد العتيقي، وعلي بن المحسن التنوخي، وأبو محمد الجوهري، وخلق كثير.

قال ابن أبي الفوارس [٢] : كان ثقة متقنا جمع أبوابا وشيوخا. توفي في جمادى الآخرة. ومولده في سنة ست وثمانين ومائتين.

وقال الخطيب [٣] : سألت البرقاني عنه، فقلت: أكان ثقة؟ فقال أي والله مصنفا.

محمد بن أحمد بن محمد بن خلقان الرئيس، أبو عبد الله بن أبي حفص بن [٤] إسحاق الفقيه، رئيس **المطوعة** بخراسان.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٦/٥٤٧

سمع: أباه، وعبد الله بن محمد بن يعقوب البخاري، وطائفة، وأملى وهو شاب.

قال الحاكم: كان من أحسن الناس وجها، نثر يوم الإملاء من أنواع النثارات حتى تحير الناس.

محمد بن أحمد بن عبد الله السكري، أبو أحمد النيسابوري المكي

---

[١] تاريخ بغداد ١٢/ ٢١٦ رقم ٥٩٢٧، المنتظم ٧/ ١٣٠ رقم ١٨٨، العبر ٢/ ٣٧٠، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٨٣، رقم ٩١٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٨، شذرات الذهب ٣/ ٨٥، معجم المؤلفين ٧/ ٣١٤، تاريخ التراث العربي ١/ ٣٣٠ رقم ٢٣٦، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٣، ٤٢٤ رقم ٢٣٢، طبقات الحفاظ ٣٩٠.

[٢] تاريخ بغداد ١١/ ٢٦١.

[٣] تاريخ بغداد ١١/ ٢٦١.

[٤] في الأصل «عن» .." (١)

"سنة تسع وأربعمائة

[تكفير القائل بخلق القرآن]

في المحرم قرئ بدار الخلافة كتاب بمذاهب السنة، وفيه: من قال:

«القرآن مخلوق» فهو كافر حلال الدم [١] ، إلى غير ذلك من أصول السنة.

[زيادة ماء البحر]

وفيها زاد ماء البحر إلى أن وصل إلى الأبلة، ودخل البصرة [٢] .

[عود سلطان الدولة إلى بغداد]

وفيها رد سلطان الدولة إلى بغداد [٣] .

[فتح مهرة وختوج بالهند]

وفيها غزا السلطان محمود الهند، وافتتح مدينتي مهرة وختوج [٤] . وكان فتحا عزيزا. وبين ذلك وبين غزنة مسيرة ثلاثة أشهر.

قال أبو النصر في تاريخه: عدل السلطان بعد أخذ خوارزم إلى بست ثم إلى غزنة، فأتفق أن حشد إليه من أدني ما وراء النهر زهاء عشرين ألفا من المطوعة. فحرك من السلطان محمود نفيرهم، ورد من نفوس المسلمين

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٦/٥٧٩

[١] تاريخ حلب للعظيمي ٣٢٤، المنتظم ٧/ ٢٨٩، البداية والنهاية ١٢/ ٧، شذرات الذهب ٤/ ١٨٨.

[٢] المنتظم ٧/ ٢٨٩. البداية والنهاية ١٢/ ٧.

[٣] المنتظم ٧/ ٢٩٠، نهاية الأرب ٢٦/ ٢٤٦.

[٤] وفي الكامل في التاريخ ٩/ ٣٠٨ «قنوج» ، وفي نسخة أخرى منه: «فتوج» ، وستأتي «فتوح» في بقية الخبر، وهي: «قنوج» في: المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٤٥، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٢٧.." (١)

"سنة عشر وأربعمائة

[كتاب يمين الدولة محمود بفتوحاته في الهند]

ورد من يمين الدولة محمود كتاب بما افتتحه من الهند، وبما وصل إليه من أموالهم وغنائمهم، فيه: إن كتاب العبد صدر من غزنة لنصف المحرم سنة عشر، والدين مخصوص بمزيد الإظهار، والشرك مقهور بجميع الأطراف والأقطار. وانتدب العبد لتنفيذ الأوامر وتابع الوقائع على كفار السند والهند. فرتب بنواحي غزنة العبد محمدا مع خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل.

وانهض العبد مسعودا مع عشرة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل، وشحن بلخ وطخارستان بأرسلان الحاجب، مع اثني عشر ألف فارس، وعشرة آلاف راجل.

وضبط ولاية خوارزم بالتونتاش الحاجب مع عشرين ألف فارس وعشرين ألف راجل.

وانتخب ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل لصحبة راية الإسلام.

وانضم إليه جماهير المطوعة.

وخرج العبد من غزنة في جمادى الأولى سنة تسع بقلب منشرح لطلب السعادة، ونفس مشتاقة إلى درك الشهادة، ففتح قلاعا وحصونا، وأسلم زهاء عشرين ألفا من عباد الوثن، وسلموا قدر ألف ألف من الورق، ووقع الاحتواء على ثلاثين فيلا. وبلغ عدد الهالكين منهم خمسين ألفا.

ووافي العبد مدينة لهم عاين فيها زهاء ألف قصر مشيد، وألف بيت للأصنام، ومبلغ ما في الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال. وقلع من الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم.

ولهم صنم معظم يؤرخون مدته بجهالتهم بثلاثمائة ألف عام. وقد بنوا." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٩/٢٨

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٣/٢٨

"وسمرقند وأزال الدولة السامانية، وتوطد ملكه. وكان قصد بلخ ليأخذها، فعجز عن حرب ابن سبكتكين، ووقع بينه وبين أخيه. فلما مات في هذه السنة استولى أخوه طغان على ما وراء النهر، واتسعت ممالكه. فقصده ملك الصين في مائة ألف خركاه، فجمع طغان وحشد، وتزلزل المسلمون، واشتد الخطب، ونفر للجهاد خلق من **المطوعة** حتى اجتمع لطغان نحو من مائة ألف مقاتل، وكثر الابتهال والتضرع إلى الله تعالى، والتقى الجمعان، والتطم البحران، وصبر الفريقان، ودامت الحرب أياما على ملاحم لم يدر من فتق العروق، وضرب الحلوق، واصطدام الخيول، أصوت أنواء، أم صب دماء، ولمع بروق، أو وقع سيوف، وظلمة ليل، أم نقع خيل. فيا لها ملحمة من ملاحم الإسلام لم يعهد مثلها في هذه الأعوام، وفي كل ذلك يتولى الله بنصره، حتى وثق المؤمنون بالتأييد، وتلاقوا ليوم على فيصل الحرب. وثبتوا، ولذ لهم الموت، حتى قال أبو النصر محمد بن عبد الجبار في تاريخه: فغادروا من جماهير الكفار قريبا من مائة ألف عنان صرعى على وجه البسيطة، عن نفوس موقوذة، ورءوس منبوذة، وأيد عن السواعد مجزوزة، بدعوة جفلاء للسباع والطيور. وأفاء الله على المسلمين مائة ألف غلام كالبدور، وجواري كالحور، وخيل ملأت الفضاء، وضاقت بها الغبراء. فعم السرور، وزينت المدائن والثغور.

ولم ينشب طغان بعد أن رجع من هذه الوقعة الميمونة أن توفاه الله سعيدا شهيدا، وتملك بعده أخوه، فزوج السلطان محمود ابنه بكريمة هذا الملك، وعمل عرسه عليها وزينت بلخ.

- حرف الباء-

٩٧- بهاء الدولة [١] .

---

[١] انظر عن (بهاء الدولة) في:

ذيل تجارب الأمم للروذراوري ١٥٣، والمنتظم ٧/ ٢٦٤، وذيل تاريخ دمشق ٣١، والكامل في التاريخ ٩/ ٤١، ٤٥- ٤٨، ٥٠، ٦١- ٦٦، ٦٩، ٧٥- ٨٥، ٩١- ٩٧، ١٠٠- ١٠٥، ١١٢- ١١٥، ١٢٣- ١٢٨، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٤٣، ١٥٠، ١٥١، ١٦٠، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٨، ١٨١- ١٨٤، ١٨٩، ١٩٣- ١٩٦ وانظر فهرس الأعلام ١٣/ ٦٠، والإنباء في تاريخ الخلفاء ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، والفخري ٢٩١، ومختصر التاريخ لابن." (١)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٨/٧٧

"واحدة. وقد وقع عقد لأبي كاليجار لا يحسن حلة، ولبني بويه في رقابنا عهود لا نعدل عنها. فدعونا حتى نكاتب أبا كاليجار ونعرف ما عنده.

وكتب إليه إنك إن لم تدارك الأمر خرج عن اليد.

ثم أل الأمر إلى أن عاودوا وسألوا إقامة الأمر لجلال الدولة أبي الطاهر، فأعيدت الخطبة له [١] .

[كتاب سبكتكين إلى الخليفة عن الصنم بالهند]

وكتب محمود بن سبكتكين إلى الخليفة كتابا فيه ما فتحه من بلاد الهند وكسره الصنم المشهور بسومنات. وإن أصناف الهند افتتنوا بهذا الصنم، وكانوا يأتونه من كل فج عميق، فيتقربون إليه بالأموال. ورتب له ألف رجل للخدمة وثلاثمائة يحلقون رءوس حجيجه، وثلاثمائة يغنون على باب الصنم.

ولقد كان العبد يتمنى قلع هذا الصنم، ويتعرف الأحوال، فتوصف له المفاوز إليه وقلة الماء وكثرة الرمال. فاستخار العبد الله في الانتداب لهذا الواجب طلبا للأجر، ونهض في شعبان سنة ست عشرة في ثلاثين ألف فارس سوى المطوعة، ففرق في المطوعة خمسين ألف دينار معونة. وقضى الله بالوصول إلى بلد الصنم، وأعان حتى ملك البلد، وقلع الوثن، وأوقدت عليه النار حتى تقطع. وقتل خمسون ألفا من أهل البلد [٢] .

[الأمر بضرب الطبل في أوقات الصلوات]

وفي رمضان قدم السلطان جلال الدولة بعد أن خرج القادر بالله لتلقيه، واجتمعا في دجلة [٣] . ثم نزل في دار السلطنة، وأمر أن يضرب له الطبل في

---

[١] المنتظم ٨/ ٢٩، الكامل في التاريخ ٩/ ٣٦١، نهاية الأرب ٢٦/ ٢٥١، ٢٥٢.

والخبر باختصار شديد في:

تاريخ حلب للعظيمي ٣٢٨، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨٠، والعبر ٣/ ١٢٦، ودول الإسلام ١/ ٢٤٩، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٣٨، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢.

[٢] المنتظم ٨/ ٢٩، ٣٠، الكامل في التاريخ ٩/ ٣٤٤، ٣٤٥ (حوادث سنة ٤١٦ هـ.) ، نهاية الأرب ٢٦، ٦٣، ٦٤ (حوادث سنة ٤١٦ هـ.) ، العبر ٣/ ١٢٦، ١٢٧، دول الإسلام ١/ ٨٢4، ٢٤٩، البداية

والنهاية ١٢/ ٢٢، ٢٣، والجوهر الثمين ١٩٠.

[٣] حتى هنا في: مآثر الإنافة ١/ ٣٢١.." (١)

"[غزو الخزر]

وجاء الخبر أن مطلوب [١] الكردي غزا الخزر فقتل وسبي وغنم وعاد، فاتبعوه وكسروه واستنقذوا الغنائم والسبي، وقتلوا من الأكراد **والمطوعة** أكثر من عشرة آلاف، واستباحوا أموالهم [٢] .

[انهزام ملك الروم عند حلب]

وكان ملك الروم، لعنه الله، قد قصد حلب في ثلاثمائة ألف [٣] ، ومعه أموال على سبعين جمازة [٤] ، فأشرف على عسكره مائة فارس من العرب، وألف راجل، فظن أنها كبسة، فلبس ملكهم خفا أسود [٥] حتى يخفي، فهرب. وأخذوا من خاصة أربعمائة بغل [٦] بأحمالها، وقتلوا من جيشه مقتلة عظيمة [٧] .

[الفتنة بين الهاشميين والأتراك]

وفي شوال اجتمع الهاشميون إلى جامع المنصور، ورفعوا المصاحف واستنفروا الناس، فاجتمع لهم الفقهاء، وخلق من الكرخ وغيرها، وضجوا بالاستعفاء من الأتراك، فلما رأوهم قد رفعوا أوراق القرآن على القصب رفعوا

---

[١] هكذا في الأصل والعبر ٣/ ١٤٠، أما في: المنتظم: «فضلون» .

[٢] المنتظم ٨/ ٤٩، ٥٠، (الطبعة الجديدة) ١٥/ ٢٠٧، ٢٠٨، العبر ٣/ ١٤٠، دول الإسلام ١/ ٢٥٠، البداية والنهاية ١٢/ ٢٧، ٢٨.

[٣] هكذا في جميع المصادر، أما في (البداية والنهاية ١٢/ ٢٨) أقبل في مائة ألف!

[٤] الجمازة: الإبل.

[٥] كان من عادة ملوك الروم أن يلبسوا خفا أحمر في أرجلهم، ولا يلبسه غيره عندهم. (زبدة الحلب ١/ ٢٤٢) .

[٦] في (البداية والنهاية ١٢/ ٢٨) «أربعمائة فحل محجل» .

[٧] راجع خبر انهزام ملك الروم في:

تاريخ حلب للعظيمي ٣٢٩، والمنتظم لابن الجوزي ٨/ ٥٠، وتاريخ الزمان لابن العبري ٨٣، والكامل في

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٨/٢٦١

التاريخ ٩/ ٤٠٤، ٤٠٥، وزبدة الحلب لابن العديم ١/ ٢٣٨- ٢٤٣، والعبر ٣/ ٤٠، ودول الإسلام ١/ ٢٥٠، ٢٥١، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٨، ومرآة الجنان لليافعي ٣/ ٣٧، واتعاظ الحنفا للمقريزي ٢/ ١٧٩، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٤.

وهو بالتفصيل المسهب في: تاريخ الأنطاكي (بتحقيقنا) ص ٤١٣- ٤١٧، وانظر أيضا: تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٤١، حيث ينقل عن تاريخ ابن المهذب المعري (حوادث سنة ٤٢٦ هـ) .." (١)

"ومراكش، فبادر وعدى بجيوشه، واجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية، وتهيأ عسكرها وعسكر قرطبة، وأقبلت المطوعة من النواحي [١] .

وسار جيش الإسلام حتى أتوا الزلاقة. ومن عمل بطليوس، وأقبلت الفرنج، وتراءى الجمعان. فوقع الأدفونش على ابن عباد قبل أن يتواصل جيش ابن تاشفين، فثبت ابن عباد وأبلى بلاء حسنا، وأشرف المسلمون على الهزيمة، فجاء ابن تاشفين عرضا، فوقع على خيام الفرنج، فنهبها وقتل من بها، فلم تتمالك النصارى لما رأت ذلك أن انهزمت، فركب ابن عباد أقفيتهم، ولقيهم ابن تاشفين من بين أيديهم، ووضع فيهم السيف، فلم ينج منهم إلا القليل.

ونجا الأدفونش في طائفة. وجمع المسلمون من رءوس الفرنج كوما كبيرا، وأذنوا عليه، ثم أحرقوها لما جيفت [٢] .

وكانت الوقعة يوم الجمعة في أوائل رمضان [٣] وأصاب المعتمد بن عباد جراحات سليمة في وجهه. وكان العدو خمسين ألفا، فيقال: لم يصل منهم إلى بلادهم ثلاثمائة نفس. وهذه ملحمة لم يعهد مثلها. وحاز المسلمون غنيمة عظيمة [٤]

استيلاء ابن تاشفين على غرناطة

وطابت الأندلس للملثمين فعمل ابن تاشفين على أخذها، فشرع أولا، وقد سار في خدمة ملك غرناطة، فقبض عليه وأخذ بلده، واستولى على قصره بما حوى، فيقال إن في جملة ما أخذ أربعمائة حبة جوهر، فقومت كل واحدة بمائة دينار [٥]

---

[١] وفيات الأعيان ٥/ ٢٨، ٢٩.

[٢] تاريخ حلب للعظيمي (زعرور) ٣٥٣ (سويم) ٢٠، الكامل في التاريخ ١٠/ ١٥٤، ذيل تاريخ دمشق

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٦/٢٩

١١٨ (حوادث سنة ٤٧٨ هـ.) ، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٨، العبر ٣/ ٢٩٣، دول الإسلام ٢/ ٩، مرآة الجنان ٣/ ١٣١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣، شذرات الذهب ٣/ ٣٦٢.

[٣] ويقول ابن خلكان: «والصحيح أن هذه الوقعة كانت في منتصف رجب من السنة المذكورة» .

(وفيات الأعيان ٥/ ٢٩) ، ومثله في: الحلة السيراء ٢/ ٥٥ و ١٠١.

[٤] الكامل في التاريخ ١٠/ ١٥١- ١٥٤.

[٥] الكامل في التاريخ ١٠/ ١٥٤، ١٥٥، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٨، تاريخ ابن الوردي." (١)

"٤١- الحسين بن علي بن أبي شريك الحاسب [١] .

كان آية في الهندسة والحساب، ولم يكن بذاك.

سمع: عبد الودود بن عبد المتكبر.

روى عنه: أبو القاسم هبة الله الحاسب

- حرف العين-

٤٢- عبد الله بن أحمد بن عبيد الله بن عثمان [٢] .

أبو محمد بن أبي الخير البغدادي السكري. صاحب الزاهد عبد الصمد.

كان أمينا مطبوعا، صحيح الأصول.

سمع: أبا أحمد الفرضي، ومحمد بن بكران الرازي.

روى عنه: أبو نصر الغازي بإصبهان، ويحيى بن الطراح، وإسماعيل بن السمرقندي.

وكان يعرف بابن **المطوعة** [٣] .

٤٣- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف [٤] .

أبو المطرف المعافري، الفقيه البلنسي.

قاضي بلنسية.

روى عن: خلف بن هانئ الطرطوشي [٥] .

روى عنه: أبو بحر سفيان بن العاص الأسدي، وأبو الليث السمرقندي.

وسمع خلف من أحمد بن الفضل الدينوري [٦] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٢/٣٠

[١] لم أجد مصدر ترجمته.

[٢] انظر عن (عبد الله بن أحمد السكري) في: المنتظم ٨/ ٣٢٤ رقم ٤٠٥ (١٦/ ٢٠٧ رقم ٣٤٩٩)
.

[٣] وكان مولده في سنة ٣٩٥ هـ.

[٤] انظر عن (عبد الرحمن بن عبد الله) في: الصلة لابن بشكوال ٢/ ٣٤٠ رقم ٧٢٧.

[٥] في الأصل: «الطرسوسي» ، وهو وهم.

[٦] قال ابن بشكوال: وقد نيف على الثمانين، ومولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. قرأت مولده ووفاته بخط النميري.." (١)

"وعاش تسعا وخمسين سنة [١] .

- حرف الجيم-

٩- جعفر بن حيدر [٢] .

أبو المعالي العلوي الهروي الزاهد.

أحد الكبار، بنى بهراة الخانقاه.

وكان له مريدون وأصحاب أشعريون.

سمع: عبد الغافر الفارسي [٣] ، وجماعة.

- حرف الحاء-

١٠- حجاج بن قاسم [٤] .

أبو محمد المأموني السبتي الفقيه.

سمع من: أبيه، وبمكة من: أبي ذر عبد الهروي، وأبي بكر المطوعي [٥] .

وسكن المرية، وصار رئيس علمائها. وبعد ذلك انتقل إلى سبتة.

وحدث «بصحيح البخاري» .

سمع منه: قاضي القضاة أبو محمد بن منصور، وأبو علي بن طريف، وأبو القاسم بن العجوز.

وكان أبوه قاسم بن محمد الرعيني ممن لقي ابن أبي زيد. توفي سنة ثمان وأربعين. (ث) : يعني أباه.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٧٠/٣٢

[١] قال ابن السمعاني: كتب الحديث بسمرقند، وجلس فيها للعامة كثيرا، وخطب على منبر سمرقند، وكانت ولادته في شعبان سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

[٢] انظر عن (جعفر بن حيدر) في: المنتخب من السياق ١٧٦ رقم ٤٦٣ وفيه اسمه: «جعفر بن حيدر بن محمد بن حمزة بن جعفر بن كفل بن جعفر الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب» .

[٣] سمع منه «صحيح مسلم» ، وسمع مشايخ الوقت كابن مسرور، وشيخ الإسلام، والكنجروذي.

[٤] انظر عن (حجاج بن قاسم) في: الصلة لابن بشكوال ١/ ١٥٢، وبغية الملتمس ٢٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٧، ٨ رقم ٤ وص ٥٢٥ رقم ٤.

[٥] المطوعي: بضم الميم وتشديد الطاء المهملة وفتحها، والواو مشددة مكسورة، والعين المهملة، نسبة إلى **المطوعة**، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور. (اللباب ٣/ ٢٢٦) .." (١)

"[وفاة أرتاش أخي دقاق]

وقيل: بل لما مات دقاق أحضر طغتكين [١] أرتاش أخا دقاق من بعلبك، وكان أخوه حبسه بقلعتها، فلما قدم سلطنه طغتكين، فبقي في الملك ثلاثة أشهر، ثم هرب سرا لأمر توهمه من طغتكين. فذهب إلى بغدوين [٢] الذي ملك القدس مستنصرا به، فلم يحصل منه على أمل، فتوجه إلى العراق على الرحبة فهلك في طريقه [٣] .

[حصن صنجيل ومهاجمة ابن عمار له]

وأما صنجيل- لعنه الله- فطال مقامه على طرابلس، حتى أنه بنى [٤] على ميل منها حصنا صغيرا [٥] ، وشحنه بالرجال والسلاح. فخرج صاحب طرابلس ابن عمار في ذي الحجة، فهجم أهل الحصن وملكه، وقتل كل من فيه، وهدم بعضه، ودخل البلد بالغنائم منصورا. وكان بطلا، شجاعا، مهيبا، برز إلى الإفرنج مرات، وينصر عليهم، وبذل وسعه في الجهاد [٦] .

[تخريب المقدم بزغش حصون الإسماعيلية]

وفيها جمع بزغش [٧] مقدم جيش سنجر عسكرا كثيرا وخلقا من **المطوعة**،

---

[١] في نهاية الأرب ٢٧/ ٧٤ «طغرتكين» .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥٢/٣٣

[٢] في الأصل: «بردوين» ، والمثبت عن الكامل ١٠/ ٣٧٦ ونهاية الأرب ٢٧/ ٧٤. ويقصد ببلدوين: بلدوين الأول وهو ملك مملكة بيت المقدس الصليبي (١١٠٠- ١١١٨ م) .

[٣] في الكامل ١٠/ ٣٧٦: «فملكها بكتاش وعاد عنها» ، وفي نهاية الأرب ٢٧/ ٧٥ «بلتاش» ، ومثله في: المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢١٧.

[٤] في الأصل: «بنا» .

[٥] الألكسياد لأنا كومينا ١٦٩، تاريخ الرهاوي ٤٦٠.

[٦] ذيل تاريخ دمشق ١٤٦، مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (المخطوط) - ج ١٢ ق ٣/ ورقة ٢٦٤، والمطبوع ج ٨ ق ١/ ٩، الكامل في التاريخ ١٠/ ٤١٢، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٠، دول الإسلام ٢/ ١٨، الإعلام والتبيين بخروج الفرنج الملاعين، للحريري (مخطوط) ورقة ١٦ (المطبوع) ١٥، معجم الألقاب لابن الفوطي ج ٤ ق ٣/ ٢٦٥، النجوم الزاهرة ٥/ ١٧٨، و ١٨٨.

[٧] في الأصل: «برغش» بالراء.." (١)

"العمائم قد لبسوا السلاح، فكيف الأجناد؟ وتحيل لكونه في داره، فنهض وخرج [١] .

فلما كان بعد أربعة أيام استدعى إياز وجكرمش صاحب الموصل وجماعة وقال: بلغنا أن الملك قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش قصد ديار بكر ليأخذها، فانظروا من ينتدب له.

فقالوا: ما له إلا الأمير إياز.

فطلب إيازا إلى بين يديه لذلك، وأعد جماعة ليفتكوا به إذا دخل، فضربه واحد أبان رأسه، فغطى صدقة وجهه بكمه. وأما الوزير فغشي عليه. ولف إياز في مسح، وألقي على الطريق. فركب أجناده وشغبوا، ثم تفرقوا. وهذا أمر عدة المزاح، نسأل الله السلامة. ثم أخذه قوم من **المطوعة**، وكفنوه ودفنوه [٢] .

وعاش نحو الأربعين سنة.

وكان من مماليك السلطان ملك شاه. وكان شجاعا غزير [٣] المروءة، ذا خبرة بالحروب.

ثم قتلوا وزيره بعد شهرين [٤] .

[هلاك صنجيل]

وفيها هلك الطاغية صنجيل [٥] الذي حاصر طرابلس في هذه المدة، وبنى [٦] بقربها قلعة [7] وكان من شياطين الإفرنج ورءوسهم. ووصل إلى الشام

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٤/٦١

[١] نهاية الأرب ٢٦/ ٣٥٩، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥، ١٦.

[٢] المنتظم ٩/ ١٤٢، ١٤٣ (١٧/ ٩٠، ٩١) ، ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٤٧، الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٨٧- ٣٨٩، تاريخ الزمان لابن العبري ١٢٧، ١٢٨، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٥٩، ٣٦٠، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢١٨، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩٣ و ٥/ ٣٥، مآثر الإنافة ٢/ ١٤.

[٣] في الأصل: «عزيز» ، والمثبت عن الكامل، ونهاية الأرب، والمختصر.

[٤] الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٨٩، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٩٠، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢١٨، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٥.

[٥] هو: «ريموند دي سان جيل التولوزي» .

[٦] في الأصل: «وبنا» .

[٧] ينفرد المؤلف- رحمه الله- بقوله: «قلعة» ، وفي بقية المصادر «حصن» . وقد بدأ ببنائه في سنة."
(١)

"[ثورة الناس ببغداد]

وسار طائفة من الشام إلى بغداد يستنفرون الناس، واجتمع عليهم خلق من الفقهاء والمطوعة، واستغاثوا وكسروا منبر جامع السلطان، فوعدهم السلطان بالجهاد. ثم كثروا وفعلوا أبلغ من ذلك بكثير من جامع القصر، وكثر الضجيج، وبطلت الجمعة، فأخذ السلطان في أهبة الجهاد [١] .

[وزارة الميبذي]

وفيها عزل وزير السلطان محمد نظام الملك [بن] أحمد بن نظام الملك ووزر الخطير محمد بن حسين الميبذي [٢] .

[زواج الخليفة ببنت السلطان]

وفي رمضان دخل الخليفة ببنت السلطان ملك شاه، وزينت بغداد وعملت القباب، وكان وقتا مشهودا [٣]
.

[الريح السوداء بمصر]

وفيها هبت بمصر ريح سوداء مظلمة أخذت بالأنفاس، حتى لا يبصر الرجل يده، ونزل على الناس رمل،

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٤/٦٥

وأيقنوا بالهلاك. ثم تجلي قليلا وعاد إلى الصفرة. وكان ذلك من العصر إلى بعد المغرب [٤] .

---

[١] المنتظم ٩/ ١٦٥ (١٧/ ١٢٠) ، الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٨٢، ٤٨٣، تاريخ الزمان ١٣٣، زبدة الحلب ٢/ ١٥٨، بغية الطلب (قسم السلاجقة) ١٤٦، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٤، دول الإسلام ٢/ ٣٣، العبر ٤/ ٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٢، الإعلام والتبيين ٢٠.

[٢] الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٨٣، زبدة التواريخ ١٧٣، تاريخ دولة آل سلجوق ٩٩.

[٣] المنتظم ٩/ ١٦٥، ١٦٦ (١٧/ ١٢٠) ، الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٨٣، ٤٨٤، زبدة التواريخ ١٧١، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٤، دول الإسلام ٢/ ٣٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٢، النجوم.

الزاهرة ٥/ ٢٠٠.

[٤] الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٨٤، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٥، أخبار الدول المنقطعة ٩٠ وفيه: «وكانت مدة هذه الشدة منذ صلاة العصر إلى صلاة المغرب في سنة أربع وخمسين» . وهذا وهم. والصحيح: «أربع وخمسمائة» ، الدرة المضية ٤٧٤، ٤٧٥، اتعاظ الحنفا ٣/ ٤٧، تاريخ الخلفاء ٤٢٩، ٤٣٠.." (١)

"وحدث.

توفي في ربيع الآخر. ويعرف بابن **المطوعة**.

روى عنه: ذاكر بن كامل، وعبيد الله بن محمد الشاوي القارئ.

٦٨- أحمد بن محمد [١] .

أبو العباس الجذامي، المرسي، الزنقي. وزنقا: بزاي، ونون، وقاف، قرية من عمل مرسية.

أخذ عن: أبي علي بن سكرة.

وأخذ علم الأصول والكلام عن أبي بكر بن سابق الصقلي. وبرع في ذلك صنف، وبعد صيته.

روى عنه: أبو جعفر بن الباذش، وأبو عبد الله بن عبد الرحيم [٢] .

مات بعد الثلاثين تقريبا.

٦٩- إبراهيم بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن حمدان [٣] .

أبو تمام الصيمري [٤] ، رئيس بروجرد.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٥/٢١

ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة [٥] ، وسمع بها.

---

[١] انظر عن (أحمد بن محمد) في: بغية الملتمس للضبي ١٦٥، ١٦٦ رقم ٣٥٦.

[٢] قال الضبي: متقدم في علم الكلام، له فيه مسائل، قرأ عليه بعضها أبو عبد الله بن عبد الرحيم، وأنشده من شعره، وأجاز جميع ما رواه عن مشيخته.

[٣] انظر عن (إبراهيم بن أحمد) في: المنتظم ١٠/ ٧٤ رقم ٨٨ (١٧/ ٣٢٩، ٣٣٠ رقم ٤٠٣٤) ، والأنساب ٨/ ٣١٩.

[٤] الصيمري: بفتح الصاد المهملة، وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، وفتح الميم، وفي آخرها الراء. هذه النسبة إلى موضعين، أحدهما منسوب إلى نهر من أنهار البصرة يقال له «الصيمر» عليه عدة قرى. والثاني: فبلدة بين ديار الجبل وخوزستان.

قال ابن السمعاني: سألت ابنه عن هذا النسب، فقال: صيمرة وكودشت قريتان بخوزستان، وأصلنا منها.

[٥] في المنتظم بطبعتيه: ولد سنة أربعين وأربعمائة. والمثبت يتفق مع (الأنساب) .." (١)

"[فتح عسقلان]

وقال ابن الأثير [١] : سار السلطان عن بيروت نحو عسقلان، واجتمع بأخيه العادل سيف الدين، ونازلوها في سادس جمادى الآخرة، وزحفوا عليها مرة بعد أخرى، وأخذت بالأمان في سلخ الشهر وسار أهلها إلى بيت المقدس.

وتسلم البلد لثلاث بقين من رجب. وأنقذه الله من النصارى الأنجاس بعد إحدى وتسعين سنة.

[الصلاة في المسجد الأقصى]

فلما كان يوم الجمعة رابع شعبان أقيمت الجمعة بالمسجد الأقصى، وخطب للناس قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي [٢] خطبة موثقة بليغة.

وابتدأ السلطان في إصلاح المسجد الأقصى والصخرة، ومحو آثار الفرنج وشعارهم. وتنافس الملوك معه في عمل المآثر الحسنة والآثار الجميلة، فرزقنا الله شكر هذه النعم، ورحم الله صلاح الدين وأسكنه الجنة.

[وقعة حطين يصفها العماد]

وللعماد الكاتب يصف وقعة حطين: «حتى إذا أسفر الصباح خرج إلى (...) [٣] تحرق نيران الفصال

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٦/٢٧٠

أهل النار، ورنت القسي، وغنت الأوتار، واليوم ذاك، والحرب شاك، وسقط عليهم فيض، وماء الغيظ منهم غيض، وقد وقد الحر، واستشرى الشر، ووقع الكر والفر، والجو محرق، والجوى مقلق، وأصبح الجيش على تعبية، والنصر على تلبية.

قال: وبرح بالفرنج العطش، وأبت عثرتها تنتعش، فرمى بعض **المطوعة**

---

[١] في الكامل في التاريخ ١١/ ٥٤٥.

[٢] هو محمد بن علي بن محمد قاضي دمشق والخطيب والإمام. توفي سنة ٥٩٨ هـ. (وفيات الأعيان ٤/ ٢٢٩ رقم ٥٩٤) وستأتي ترجمته في الجزء التالي من هذا الكتاب إن شاء الله.

[٣] في الأصل بياض.." (١)

"[منازلة دنيسر]

وفيها توجه ناصر الدين الأرتقي صاحب ماردين إلى خلاط بمكاتبة أهلها، فجاء الملك الأشرف موسى فنازل دنيسر، فرجع ناصر الدين إلى ماردين بعد أن خسر مائة ألف دينار، ولم ينل شيئا [١] .

[تسليم ترمذ للخطأ]

وفيها سلم خوارزم شاه محمد إلى الخطا ترمذ، فتألم الناس من ذلك، ثم بان أنه إنما فعل ذلك مكيدة ليتمكن بذلك من ملك خراسان، لأنه لما ملك خراسان قصد بلاد الخطا وأخذها واستباحها وبدع [٢] .

[حرب الكرج وعسكر خلاط]

وفيها قصدت الكرج أعمال خلاط فقتلوا وأسروا وبدعوا، فلم يخرج إليهم عسكر خلاط، لأن صاحبها صبي، فلما اشتد البلاء على المسلمين تناخوا، وحرض بعضهم بعضا، وتجمعت العساكر **والمطوعة**، وعملوا مصافا مع الكرج، وأمسكوا على الكرج مضيق الوادي، فقتلوا فيهم قتلا ذريعا، وبعد ذلك تزوج صاحب أذربيجان أبو بكر ابن البهلوان بابنة ملك الكرج، لأن الكرج تابعت الغارات على بلاده، فهادنهم [٣] .

[()] ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٥٢٦، ومفرج الكروب ٣/ ١٧٠، وزبدة الحلب ٣/ ١٥٥- ١٥٨ (حوادث ٦٠١ و ٦٠٢ هـ.) ، والبداية والنهاية ١٢/ ٤٣.

[١] انظر خبر (دنيسر) في: ذيل الروضتين ٥٣، ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٥٢٦، والمختار من تاريخ ابن

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤١/٢٩

الجزري ٨٩، ٩٠، والجامع المختصر ٩/ ٢٠٦، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٧٨، ٣٧٩، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨٩ وأورده ابن الأثير مفصلا في حوادث سنة ٦٠٣ هـ. من:
الكامل في التاريخ ٢٥٣١٢- ٢٥٥ وانظر: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام للدكتور عماد الدين خليل- ص ١٦٨، ١٦٩ (طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠ هـ. / ١٩٨٠ م.) .
[٢] انظر خبر (ترمذ) في: الكامل في التاريخ ١٢/ ٢٣١ والعسجد المسبوك ٢/ ٣٠٣، ٣٠٤، والمختار من تاريخ ابن الجزري ٩٠.
[٣] انظر خبر (خلاط) في: الكامل في التاريخ ١٢/ ٢٤٠، والجامع المختصر ٩/ ١٧٧، ودول." (١)

"وكان قد تسلطن الملك المعز أيبك الصالحي فقال: «ما أرى الغدر» . وأمر به فركب في البحر الرومي في شيني [١] .

وذكر حسام الدين أنه سأله عن عدة العسكر الذين قدم بهم فقال: كان معي تسعة آلاف وخمسمائة فارس [٢] ، ومائة ألف وثلاثون ألف طقشي، سوى الغلمان والسوقية والبحارة [٣] .

وقال سعد الدين في «تاريخه» : اتفقوا على أن يسلم الإفرنسيس دمياط، وأن يعطي هو والكنود ثمانمائة ألف دينار عوضا عما كان بدمياط من الحواصل، ويطلقوا أسرى المسلمين. فحلفوا على هذا، وركب العسكر ثاني صفر، وسقنا وقفنا حول دمياط إلى قريب الظهر، ودخل الناس إليها ونهبوا وقتلوا من بقي من الفرنج، فضربهم الأمراء وأخرجوهم، وقوموا الحواصل التي بقيت بها بأربعمائة ألف دينار، وأخذوا من الإفرنسيس أربعمائة ألف دينار، وأطلقوه العصر هو وجماعة، فانحدروا في شيني إلى البطس، وأنفذ رسولا إلى الأمراء يقول: ما رأيت أقل عقل ولا دين منكم. أما قلة الدين فقتلتم سلطانكم، وأما قلة العقل فكون مثلي ملك البحر وقع في أيديكم بعتموه بأربعمائة ألف دينار، ولو طلبتم مملكتي دفعتها لكم حتى أخلص [٤] .

[كتاب المعظم بالفتح]

وجاء إلى دمشق كتاب الملك المعظم فيه. «ولما كان يوم أول السنة فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان **والمطوعة** واجتمع خلائق، فلما رأى العدو ذلك طلب الصلح على ما كان أيام الكامل فأبينا،

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٠/٤٣

[١] العبر ٥/ ١٩٧، مرآة الجنان ٤/ ١١٨، عيون التواريخ ٢٠/ ٤٠.

[٢] في: دول الإسلام ٢/ ١٥٥ «تسعة آلاف فارس» دون ذكر للخمسمائة.

[٣] انظر: أخبار الأيوبيين ١٦٠، والخبر منقول عن: المختار من تاريخ ابن الجزري ٢٢٢، ٢٢٣.

[٤] دول الإسلام ٢/ ١٥٥.." (١)

"وريد بلسانهم الملك.

وشحنت دمياط بالذخائر، وأحكمت الشواني. ونزل فخر الدين ابن الشيخ بالعساكر فنزل على جيزة دمياط، فأقبلت مراكب الفرنج فأرسلت بإزاء المسلمين في صفر. ثم شرعوا من الغد في النزول إلى البر الذي فيه المسلمون.

وضربت خيمة حمراء لريد افرنس، وناوشهم المسلمون القتال، فقتل يومئذ الأمير نجم الدين ابن شيخ الإسلام، والأمير الوزيري [١] ، فترحل فخر الدين ابن الشيخ بالناس، وقطع بهم الجسر إلى البر الشرقي الذي فيه دمياط، وتقهقر إلى أشمون طناح، ووقع الخذلان على أهل دمياط، فخرجوا منها طول الليل على وجوههم حتى لم يبق بها أحد. وكان هذا من قبيح رأي فخر الدين فإن دمياط كانت في نوبة سنة خمس عشرة وستمائة أقل ذخائر وعددا، وما قدر عليها الفرنج إلى بعد سنة، وإنما هرب أهلها لما رأوا هرب العساكر وعلموا مرض السلطان.

فلما أصبحت الفرنج تملكوها صفوا بما حوت من العدد والأسلحة والذخائر والغلال والمجانيق، وهذه مصيبة لم يجر مثلها. فلما وصلت العساكر وأهل دمياط إلى السلطان، حنق على الكنانيين الشجعان الذين كانوا بها، وأمر بهم فشنقوا جميعا [٢] ، ثم رحل بالجيش وسار إلى المنصورة، فنزل بها في المنزلة التي كان أبوه نزلها، وبها قصر بناه الكامل. ووقع النفير العام في المسلمين، فاجتمع بالمنصورة أمم لا يحصون من **المطوعة** والحربان والحرافشة، وشرعوا في الإغارة على الفرنج ومناوشتهم وتخطفهم، واستمر ذلك أشهرا، والسلطان يتزايد مرضه، والأطباء قد أيأسته لاستحكام مرض السل به.

وأما الكرك فإن صاحبها سافر إلى بغداد، فاختلف أولاده، وسار أحدهم إلى الملك الصالح، فسلم إليه الكرك، ففرح بها السلطان مع ما هو فيه من

---

[١] هو صارم الدين أزبك الوزيري، (نهاية الأرب ٢٩/ ٣٣٤) .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥٣/٤٧

[٢] وكانوا نيفا وخمسين أميرا. (نهاية الأرب ٢٩/ ٣٣٥) وفي سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٩١ «وشنق من مقاتليها ستين» .." (١)

"المدينة، فخرج إليهم عسكر المدينة ومعهم خلق من **المطوعة**، فساروا فرأوا التتار، فلما تحققوا كثرتهم كروا راجعين. وأمر نائب حلب أن لا يخرج بعد ذلك أحد [١] ، وكتب يستحث الملك الناصر في الكشف عنهم. فلما كان من الغد رحل التتار عن منزلتهم ونازلوا حلب، واجتمع عسكر البلد بالبواشير وإلى ميدان الحصا، وأخذوا في إجالة الرأي، فأشار عليهم نائب السلطنة أن لا يخرجوا، فلم يوافقه العسكر، وخرجوا ومعهم العوام والشطار، واجتمعوا بجبل بانقوسا، ووصل جمع التتار إلى ذيل الجبل، فحمل عليهم جماعة من العسكر فانهزم التتار مكيدة، فتبعوهم ساعة، ثم كثرت التتار عليهم، فهربوا إلى أصحابهم، ثم انهزم الجميع لما رأوا التتار مقبلين، فركبت التتار ظهورهم يقتلون فيهم. وقتل يومئذ الأمير علم الدين زريق العزيزي ونازلت التتار البلد في ذلك اليوم، ثم رحلوا عنها طالبين إعزاز، فتسلموها بالأمان [٢] .

وخرجت السنة والناس في أمر عظيم من الخوف والجلاء والحيرة [٣] .

---

[١] النجوم الزاهرة ٧/ ٧٥.

[٢] المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٩٩، ٢٠٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠٢، عيون التواريخ ٢٠/ ٢١٥، تاريخ مختصر الدول ٢٧٩، ٢٨٠، أخبار الأيوبيين ١٧١، الدرة الزكية ٤٤، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٣/ ٥٦١، مآثر الإنافة ٢/ ١٠٣، ١٠٤، السلوك ج ١ ق ٢/ ٤١٩، عقد الجمان (١) ٢١٨، النجوم الزاهرة ٧/ ٧٦، تاريخ ابن سباط ١/ ٣٨١، ٣٨٢، تاريخ الأزمنة ٢٣٩، شذرات الذهب ٥/ ٢٨٧، ٢٨٨، تاريخ الزمان ٣١٥، ٣١٦، الجوهر الثمين ٢/ ٦٠، التحفة الملوكية ٤٣.

[٣] نزهة المالك والمملوك، ورقة ١٠٢، ١٠٣، أخبار الأيوبيين ١٧١.." (٢)

"وعلم الدين الدواداري، والمنصور صاحب حماة في أمرائه، فكان رأس الميمنة، ويليه البيسري، ثم طيبرس الوزيري، وعز الدين الأفرم، ونائب دمشق لاجين المذكور في عسكر دمشق.

وكان رأس الميسرة سنقر الأشقر المذكور، ثم الأيدمري، ثم بكتاش أمير سلاح. وكان في طرف الميمنة العرب، وفي طرف الميسرة التركمان.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٥٦/٤٧

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٧/٤٨

وشاليش القلب طرنطاي.

وكانت المغل خمسين ألفا، والمجمعة ثلاثين ألفا.

قلت: وكان الملتقى يوم الخميس، كما ذكرنا، طلوع الشمس. وكان عدد التتار على ما قيل مائة ألف أو يزيدون. وكان المسلمون على النصف من ذلك أو أقل.

وكانت ملحمة عظيمة، واستظهر التتار في أول الأمر، واضطربت ميمنة المسلمين، ثم حملت التتار على الميسرة فكسروها، وهزموها مع طرف القلب. وثبت السلطان بمن معه من أبطال الإسلام، وكان القتال يعمل من ضحوة إلى المغيب. وساق طلب من التتار وراء الميسرة إلى بحيرة حمص، وقتلوا خلقا من **المطوعة** والغلمان، وأشرف الإسلام على خطه صعبة. ثم إن الكبار مثل البيسري، وسنقر الأشقر، وعلاء الدين طيبرس، وأيتمش [١] السعدي، وبكتاش أمير سلاح، وطرنطيه [٢] ، ولاجين، وسنجر الدواداري لما رأوا ثبات السلطان حملوا على التتار عدة حملات، ثم كان الفتح، ونزل النصر وجرح مقدم التتار منكوتمر بن هولاكو، وجاءهم الأمير عيسى بن مهنا عرضا، فتمت هزيمتهم، واشتغلوا بما دهمهم من جرح مقدمهم. وركب المسلمون أقفيتهم، وقتلوا منهم مقتلة هائلة، وساقوا وراءهم حتى بقي السلطان في نفر قليل من الخاصكية، ونائبة طرنطاي قدامه بالسناجق. وردت

---

[١] ويقال «أيتامش» .

[٢] ويقال: «طرنطاي» .." (١)

"سنة تسعين وستمائة

[سلطان مصر ووزيره ونائبة]

دخلت وسلطان الإسلام الملك الأشرف، وقد فوض الوزارة إلى الصاحب شمس الدين ابن السلعوس وهو في الحج، ثم وصلته الأخبار فأسرع المجيء على الهجن [١] ، ونائب المملكة بدر الدين بيدرا [٢] .

فتح عكا

ولما استقر السلطان في الملك اهتم بإتمام ما شرع فيه والده من قصد عكا. فسار بالجيوش من مصر في ثالث ربيع الأول، ونزل عليها في رابع ربيع الآخر، وهو خامس نيسان، وجاءت إليه جيوش الشام بأسرها، وأمم لا يحصيهم إلا الله تعالى، من **المطوعة** والمتفرجة والسوقية، فكانوا في قدر الجند مرات.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥٠/٥٨

ونصب عليها خمسة عشر منجنيقا إفرنجيا، منها ما يرمي بقنطار بالدمشقي، ومن المجانيق القرابغا وغيرها. وشرعوا في النقوب، واجتهدوا

---

[١] التحفة الملوكية ١٢٥ د وزبدة الفكرة ٩/ ورقة ١٦٨ أ، ب، والمختصر في أخبار البشر ٤/ ٢٤، ونهاية الأرب ٣١/ ١٨٧- ١٩١، وتاريخ حوادث الزمان ١/ ٤١، وعيون التواريخ ٢٣/ ٦٩، وعقد الجمان (٣) ٥٢- ٥٤، والدرة الزكية ٣٠٦، تاريخ ابن سباط ١/ ٤٩٤، ٤٩٥، دول الإسلام ٢/ ١٨٩، مرآة الجنان ٤/ ٢٠٩، منتخب الزمان ٢/ ٣٦٧، عيون التواريخ ٢٣/ ٤٧، السلوك ج ١ ق ٣/ ٧٦٠، ٧٦١، تاريخ ابن الفرات ٨/ ١٠٦.

[٢] تاريخ ابن سباط ١/ ٤٩٤، المختصر في أخبار البشر ٤/ ٢٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٥، الدرة الزكية ٣٠٦، تذكرة النبيه ١/ ١٣٦، زبدة الفكرة ٩/ ورقة ١٦٧ ب. التحفة الملوكية ١٢٥، دول الإسلام ٢/ ١٨٩، مرآة الجنان ٤/ ٢٠٩، منتخب الزمان ٢/ ٣٦٧، الجوهر الثمين ٢/ ١٠٦.." (١)

"روى عن الشيخ الفقيه محمد، وأجاز لنا. وكان صالحا، صواما، قواما، كثير التلاوة والملازمة لمسجد الحنابلة ببعلبك، من خيار عباد الله.

وكان من أصحاب الفقيه محمد. صحبه الشيخ إبراهيم الصياح، وحكى عنه.

توفي في سابع عشر رجب، وله نيف، وسبعون سنة.

٧٩٤- عبد الرحيم بن أبي القاسم بن علي بن مكي بن ورخز.

الشيخ عز الدين، أبو أحمد البغدادي، الحنبلي.

سمع: ابن اللتي، وابن القبيطي، وعبد الله بن علي بن ثابت ابن النعال، وغيرهم.

مولده تقريبا سنة عشر وستمائة. وأجاز لنا.

مات في سادس ربيع الأول.

٧٩٥- عبد الرحيم بن يعقوب [١] بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن قرناص.

الشيخ شهاب الدين الحموي.

ولد بحماة سنة سبع وعشرين كابن جماعة المذكور.

وسمع من: صفية القرشية، وغيرها بحماة.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥١/٤٤

ومن: يوسف بن خليل بدمشق، ومن: ابن مسلمة بدمشق.

وطلب بنفسه وكتب أجزاء.

سمع منه: علم الدين بالمدينة النبوية.

وتوفي في هذه السنة ببلده.

٧٩٦- عبد الغني بن قائد [٢] .

المكبر للأئمة **المطوعة** بالجامع.

---

[١] انظر عن (عبد الرحيم بن يعقوب) في: المقتفي ٢/ ورقة ٤٧ ب، ٤٨ أ.

[٢] انظر عن (عبد الغني بن قائد) في: المقتفي ٢/ ورقة ٤٤ ب.." (١)

"من **المطوعة** من البصرة، فدخلوها، فخرج الحجاج إلى طف البصرة [١] .

قال ابن عون: فرأيت ابن الأشعث متربعا على المنبر يتوعد الذين تخلفوا عنه توعدا شد [٢] ان.

قال غيره: فبايعه على حرب الحجاج وعلى خلع عبد الملك جميع أهل البصرة من القراء والعلماء، ثم خندق ابن الأشعث على البصرة وحصنها [٣] .

وفيها غزا موسى بن نصير كعادته بالمغرب، فقتل وسبى في أهل طبنة [٤] وفيها أصابت الصاعقة صخرة بيت المقدس.

وفيها قتل بحير بن ورقاء الصريمي وكان من كبار القواد بخراسان، قاتله ابن خازم وظفر به فقتله، ثم قتل بكير بن وساج [٥] ، فحمل عليه رهط بكير فقتلوه بعد ذلك [٦]

---

[١] انظر: الكامل في التاريخ ٤/ ٤٦٥، وتاريخ خليفة ٢٨١.

[٢] تاريخ خليفة ٢٨١.

[٣] الكامل في التاريخ ٤/ ٤٦٥.

[٤] تاريخ خليفة ٢٨١ وطبنة: بضم أوله ثم السكون. بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الذاب. (معجم البلدان ٤/ ٢١) .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٨١/٥٢

[٥] يرد في المصادر «وساج» بالسين المهملة، و «وشاج» بالشين والجيم المعجمتين.

[٦] انظر: تاريخ الطبري ٦/ ٣٣١، والكامل في التاريخ ٤/ ٤٥٧، ونهاية الأرب ٢١/ ٢٢٩.." (١)

"عليه واليا، فإن قبلوا فاعزلا عنهم [١] الحجاج، ومحمد أخي مكانه، وإن أبوا فالحجاج أميركم كلكم وولي القتال، قال: فقدموا على الحجاج، فاشتد عليه ذلك، وشق عليه العزل، فراسلوا أهل العراق، فجمع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الناس وخطبهم، وأشار عليهم بالمصالحة، فوثب الناس من كل جانب وقالوا: إن الله قد أهلكهم، وأصبحوا في الأزل [٢] والضنك والمجاعة والقلة فلا نقبل.

وأعادوا خلع عبد الملك ثانية، وتعبئوا للقتال، فكان على ميمنة ابن الأشعث حجاج بن جارية الخثعمي، وعلى ميسرته الأبرد بن قرة التميمي، وعلى الخيل عبد الرحمن بن العباس الهاشمي، وعلى الرجالة محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعلى المجنبة [٣] عبد الله بن رزام الحارثي، وعلى **المطوعة** والصلحاء [٤] جبلة بن زحر الجعفي.

وكان على ميمنة الحجاج عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي، وعلى الخيالة سفيان بن الأبرد الكلبي، فاقتتلوا أياما، وأهل العراق تأتيهم الأمداد والخيمات من البصرة، وجيش الحجاج في ضيق وغلاء سعر [٥] .

فيقال إن يوم دير الجماجم كان في ربيع الأول، ولا شك أن نوبة دير الجماجم كانت أياما، بل أشهرا، اقتتلوا هناك مائة يوم، فلعلها كانت في آخر سنة اثنتين، وأوائل سنة ثلاث.

فعن أبي الزبير الهمداني قال: كنت في خيل جبلة بن زحر، وكان على القراء، فحمل علينا عسكر الحجاج مرة بعد أخرى، فنادانا عبد الرحمن بن أبي ليلى: يا معشر القراء، ليس الفرار بأحد من الناس بأقبح منكم، وبقي

---

[١] في طبعة القدسي ٣/ ٢٢٨ «عنهما» ، والتصويب من تاريخ الطبري.

[٢] الأزل الشدة والضيق، على ما في النهاية، والقاموس المحيط.

[٣] في تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٩ «وعلى مجففته» .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٦/٦

[٤] في تاريخ الطبري «وجعل على القراء» .

[٥] تاريخ الطبري ٦/ ٣٤٦- ٣٥٠.." (١)

"سنة تسع وخمسين ومائة

مات فيها أصبغ بن زيد الواسطي، وحميد بن قحطبة الأمير، وعبد العزيز ابن أبي رواد بمكة، وعكرمة بن عمار اليمامي، وعمار بن رزيق الضبي، ومالك ابن مغول قيل في أولها، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، ويونس بن أبي إسحاق السبيعي، وأبو بكر الهذلي واسمه سلمى.

وفيها غزا الصائفة العباس أخو المنصور، فوصل إلى أنقرة بأرض الروم.

وافتتح مدينة.

وهلك نائب خراسان ابن قحطبة، فولي بعده ابنه عبد الله، وقيل: وليها أبو عون عبد الملك بن يزيد.

وولي حمزة بن مالك سجستان.

وولي جبريل بن يحيى سمرقند وتلك الناحية.

وتوجه عبد الملك بن شهاب المسمعي في البحر لغزو الهند، وفرض معه الألفين، وخرج معه خلق من **المطوعة**، فمضوا حتى وافوا مدينة باربد من الهند، في سنة ستين ومائة.

واستعمل المهدي على السند روح بن حاتم، بإشارة وزيره أبي عبيد الله.." (٢)

"وفيها حرب بن شداد اليشكري البصري. روى عن شهر بن حوشب، والحسن، ويحيى بن أبي كثير.

وفيها سعيد بن أبي أيوب المصري، وقد نيف على الستين. روى عن أبي زهرة بن معبد وجماعة.

وفيها أو في حدودها، ورقاء بن عمر اليشكري الكوفي بالمدائن. روى عن عبيد الله بن أبي يزيد ومنصور وطبقتهما. قال أبو داود الطيالسي: قال لي شعبة: عليك بورقاء، فإنك لن تلقى مثله حتى ترجع.

وقال أحمد: كان ثقة صاحب سنة.

وفيها أو في حدودها هشام بن سعد المدني يتيم زيد بن أسلم. روى عن نافع وطائفة.

وفيها، أو في حدودها، داود بن قيس المدني الفراء الدباغ. روى عن المقبري وطبقته.

وأبو جعفر الرازي عيسى بن ماهان. روى عن عطاء بن أبي رباح، الربيع بن أنس الخراساني. وكان زميل المهدي إلى مكة.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٠/٦

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٦٧/٩

سنة اثنتين وستين ومئة

١٦٢- فيها احتفل لغزو الروم وسار لحربهم الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفا سوى المطوعة فأغار وحرق وسبى ولم يلق بأسا." (١)

"قال أبو زرعة: كتبت عنه مئة ألف حديث. وهو أتقن من أبي بكر بن أبي شيبة، وأصح حديثا.

سنة إحدى وثلاثين ومئتين

فيها ورد كتاب الواثق على أمير البصرة بامتحان الأئمة والمؤدبين بخلق القرآن. وكان قد تبع أباه في امتحان الناس.

وفيها قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد. كان من أولاد أمراء الدولة. فنشأ في علم وصلاح، وكتب عن مالك وجماعة. وحمل عن هشيم مصنفاته. وما كان يحدث. وكان يزري على نفسه. قتله الواثق بيده لامتناعه من القول بخلق القرآن، ولكونه أغلظ للواثق في الخطاب، وقال له: يا صبي. وكان رأسا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقام معه خلق من المطوعة واستفحل أمرهم فخافته الدولة من فتق يتم بذلك.

وفيها توفي إبراهيم بن محمد بن عرعرة الشامي البصري. أبو إسحاق الحافظ. ببغداد، في رمضان. سمع جعفر بن سليمان الضبعي، وعبد الوهاب الثقفي، وطائفة.

قال عثمان بن خرزاد: ما رأيت أحفظ من أربعة فذكر منهم إبراهيم هذا.

وفيها أمية بن بسطام، أبو بكر العيشي البصري. أحد الأثبات. روى عن ابن عمه يزيد بن زريع وطبقته.." (٢)

"وفيها عباس الترقفي ببغداد، أحد الثقات العباد، سمع محمد بن يوسف الفريابي وطبقته.

وفيها عبد العزيز بن منيب أبو الدرداء المروزي الحافظ. رحل وطوف. وحدث عن مكي بن إبراهيم وطبقته.

وفيها محمد بن عزيز الأيلي بأيلة. روى عن سلامة بن روح وغيره.

وفيها يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي الحافظ، شيخ النيسابور بعد أبيه، ويقال له حيكان. رحل وسمع بن سليمان بن حرب وطبقته. وكان أمير المتطوعة المجاهدين، ولما غلب أحمد بن عبد الله الخجستاني على نيسابور، وكان ظلوما غشوما، فخرج منها هاربا. فخافت النيسابوريون كرته، فاجتمعوا على باب حيكان، وعرضوا في عشرة آلاف مقاتل ورد إليهم أحمد، فانهزموا واختفى حيكان. وصحب قافلة،

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ١/١٨٢

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ١/٣٢١

ولبس عباءة فعرف وأتي به إلى أحمد، فقتله. وفيها يونس بن حبيب أبو بشر العجلي مولاهم الأصبهاني. روى مسند الطيالسي عنه، وكان ثقة ذا صلاح وجلالة.

سنة ثمان وستين ومئتين

فيها غزا الثغور الشامية خلف التركي الطولي، فقتل من الروم بضعة عشر ألفا، وغنموا غنيمة هائلة، حتى بلغ السهم أربعين دينارا.." (١)

"أبو سعيد الإدريسي، وعاش ستا وثمانين سنة.

وفيها الدراج، أبو عمر وعثمان بن عمر بن خفيف البغدادي المقرئ، روى عن ابن المجدر وطائفة. قال البرقاني: كان بدلا من الأبدال.

وفيها محمد بن الحارث بن أسد المحاسبي القيرواني، أبو عبد الله الحافظ، نزيل قرطبة، صنف كتاب الاختلاف والافتراق في مذهب مالك، وكتاب الفتيا، وكتاب تاريخ الأندلس، وكتاب تاريخ أفريقية، وكتاب النسب.

سنة اثنتين وستين وثلاثمئة

فيها أخذت الروم نصيبين واستباحوها، وتوصل من نجا إلى بغداد، وقام معهم **المطوعة**، واستنفروا الناس، ومنعوا من الخطبة، وحاولوا الهجوم على المطيع، وصاحوا عليه بأنه عاجز مضيع لأمر المسلمين، فسار العسكر من جهة الملك م، عز الدولة بختيار، فالتقوا الروم، فنصروا عليهم، وأسروا جماعة من البطارقة، ففرح المسلمون.

وفي رمضان، قتل ببغداد رجل من أعوان الوالي، فبعث الوزير الشرازي - قبحه الله - من طرح الن ار، من النحاسين إلى السماكين فاحترق ببغداد حريق لم يسمع بمثله، واحترق فيه جماعة كثيرة في البيوت، فأحصي ذلك، فكان ثلاثمئة وسبعة عشر دكانا، وثلاثمائة وعشرين دارا، وثلاثة وثلاثين مسجدا فاستغاث رجل: أيها الوزير: أريتنا قدرتك، ونرجو من." (٢)

"الأزدي المصري، صاحب التصانيف، في سابع صفر، وله سبع وسبعون سنة.

روى عن عثمان بن محمد السمرقندي، وإسماعيل بن الجراب، وطبقتهما. ورحل إل الشام، فسمع من الميانجي وطبقته. وكان الدراقطني يفخم أمره، ويرفع ذكره، ويقول: كأنه شعلة نار.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٣٨٤/١

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ١١٢/٢

وقال منصور الطوسي: خرجنا نودع الدارقطني بمصر فبكينا، فقال: تبكون وعندكم عبد الغني وفيه الخلف.

وقال البرقاني: ما رأيت بعد الدارقطني، أحفظ من عبد الغني.

والقاسم بن أبي المنذر الخطيب، أبو طلحة القزويني. راوي سنن ابن ماجة، عن أبي الحسن القطان، عنه. توفي في هذا العام، أو في الذي بعده.

سنة عشرة وأربعمئة

فيها افتتح ابن سبكتكين الهند، وقهر عباد البد، وأسلم نحو من عشرين ألفا، وقتل من الكفار نحو خمسين ألفا، وهدم مدينة الأصنام.

وبلغ الخمس من الرقيق فقط ثلاثة وخمسين ألفا، واستولى على عدة قلاع وحصون، ومما حصل من الورق، عشرون ألف ألف درهم، إلى أمثال ذلك.

وكان جيشه ثلاثين ألف فارس، سوى الرجالة **والمطوعة**.

وفيها توفي أحمد بن موسى بن مردويه، أبو بكر الحافظ الأصبهاني، صاحب التفسير والتاريخ والتصنيف، لست بقين." (١)

"إمام الجامع، ونائب الحكم، ومحدث البلد. روى عن خيثمة، وعلي بن أبي العقب. وجماعة. قال الكتاني: كان ثقة مأنونا، توفي في صفر.

سنة ثماني عشرة وأربعمئة

فيها اجتمعت الحاشية ببغداد، وصمموا على الخليفة، حتى عزل أبا كاليجار، وأعيدت الخطبة لجلال الدولة أبي طاهر.

وفيها ورد كتاب الملك محمود بن سبكتكين، بما فتحه من بلاد الهند، وكسره صنم سومنات، وأنهم فتنوا به، وكانوا يأتون إليه من كل فج عميق، يقربون له القرابين، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية، وامتلأت خزانة الصنم بالأموال، وله ألف نفس يخدمونه، وثلاثمئة يحلقون رؤوس حجابه. وثلاثمئة رجل وخمسمئة امرأة يغنون، فاستخار العبد الله في الانتداب له، ونهض في شعبان سنة ست عشرة وأربعمئة، في ثلاثين ألف فارس، سوى **المطوعة**، ووصلنا بلد الصنم، وملكنا البلد، وأوقدت النيران على الصنم، حتى تقطع، وقتلنا خمسين ألفا من أهل البلد.

وفيها قدم جلال الدولة ببغداد، وتلقاه الخليفة، ونزل بدار السلطنة. ولم يسر من بغداد ركب.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/٢١٧

وفيها توفي أبو إسحاق الاسفراييني، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الأصولي المتكلم الشافعي، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف. روى عن دعلج وطبقته، وأملى مجالس، وكان شيخ خراسان في زمانه. توفي يوم عاشوراء، وقد نيف على الثمانين.." (١)

"مصر "، وكتاب " أنواع الجماع " في أربع مجلدات. وعاش أربعا وخمسين سنة.

سنة إحدى وعشرين وأربعمئة

فيها أقيم مأتم عاشوراء، بالنوح والحداد، فثارت العامة، ووقع القتال بين الفريقين، حتى قتل جماعة، وأخربت عدة دكاكين.

وفيها قدم الملك جلال الدولة، إلى الأهواز، فنهبتها الأتراك، وبدعوا، وأحرقت عدة أماكن، وذهبت أموال لا توصف، فيقال: زاد الذي أخذ منها، على خمسة آلاف ألف دينار.

وفيها غزا مطلوب الكردي بلاد الخزر، فقتل وسبى وغنم، فثارت الخزر وكسروه، واستنقذوا الغنيمة، وقتلوا من العسكر **والمطوعة** فوق العشرة آلاف، وكانت الروم قد أقبلت في ثلاثمائة ألف، على قصد الشام، فأشرف على معسكرهم، سرية من العرب، نحو مائة فارس، وألف راجل، فظن ملكهم أنها كبسة، فتخفى ولبس خفا أسود وهرب، فوقعت الخبطة فيهم، واستحكمت الهزيمة، فطمع أولئك العرب فيهم، ووضعوا السيف، حتى قتلوا مقتلة عظيمة، وغنموا خزائن الملك، واستغنوا بها.

وأما بغداد، فكاد يستولي عليها الخراب، لضعف الهيبة، وتتابع السنين الخداعة، فاجتمع الهاشميون في شوال، بجامع المنصور، ورفعوا المصاحف، واستنفروا الناس، فاجتمع إليهم الفقهاء، وخلق من الإمامية والرافضة، وضجوا بأن يعفوا من الترك، فعمدت الترك – قبحهم الله – ورفعوا صليبا على رمح، وترامى الفريقان بالنشاب والآجر، وقتل طائفة، ثم تحاجزوا، وكثرت العملات والكبسات من البرجمي ورجاله، وأخذ المخازن الكبار." (٢)

"وعلي بن منير بن أحمد الخلال، أبو الحسن المصري الشاهد، في ذي القعدة، روى عن أبي الطار الذهلي، وأبي أحمد بن الناصح.

والنذير الواعظ، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد الشيرازي. روى عن إسماعيل بن حاجب الكشاني، وجماعة، ووعظ ببغداد، فازدحموا عليه، وشغفوا به، ورزق قبولا لم يرزقه أحد، وصار يظهر الزهد، ثم إنه

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/٢٣٤

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/٢٤٢

تنعم وقبل الصلات، من الأقطار، واستجمع له جيش من **المطوعة**، فعسكر بظاهر بغداد، وضرب له الطبل، وسار بهم إلى الموصل، واستفحل أمره، فصار إلى أذربيجان، وضاهى أمير تلك الناحية، ثم خمد سوقه، وتراجع عامة أصحابه، ثم مات.

ومحمد بن عبد الله بن عابد، أبو عبد الله المعافري، حدث قرطبة.

روى عن أبي عبد الله بن مفرج وطبقته، ورحل، فسمع من أبي محمد بن أبي زيد، وأبي بكر بن المهندس، وطائفة. وكان ثقة عالما جيد المشاركة في الفضائ، توفي في جمادى الأولى، عن بضع وثمانين سنة، وهو آخر من حدث عن الأصيلي.

سنة أربعين وأربعمئة

فيها مات السلطان أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة البويهي الديلمي، مات بطريق كرمان، فصدوه في يوم ثلاث مرات، وكان معه نحو أربعة آلاف من الترك والديلم، فنهبت خزائنه وحريمه وجواريه، وطلبوا شيراز، فلسطنوا ابنه الملك الرحيم أبا نصر، وكان مدة سلطنة." (١)

"ومسلم، الملك شرف الدولة، أبو المكارم بن الملك أبي المعالي، قريش بن بدران بن مقلد العقيلي، صاحب الجزيرة وحلب، وكان رافضيا، اتسعت ممالكه، ودانت له العرب، وطمع في الاستيلاء على بغداد، عند موت طغرلبك، وكان شجاعا فاتكا مهيبا، داهية ماكرا، التقى هو والملك سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب الروم على باب أنطاكية، فقتل في المصاف.

سنة تسع وسبعين وأربعمئة

فيها التقي تتش - وسليمان بن قتلمش، فقتل سليمان، وسارتتش، فنازل حلب، وخافه أخوه تتش فهرب.

وفيها وقعة الزلاقة، وذلك أن الإذقونش، جمع الجيوش، فاجتمع المعتمد، ويوسف بن تاشفين،،أمير المسلمين، **والمطوعة**، فأتوا الزلاقة، من عمل بطليوس، فالتقى الجمعان، فوقعت الهزيمة على الملاعين، وكانت ملحمة عظيمة، في أول جمعة من رمضان، وجرح المعتمد عدة جراحات سليمة، وطابت الأندلس للملثمين، فعمل أميرهم ابن تاشفين على تملكها.

وفيها لما افتتح ملكشاه حلب والجزيرة، قدم بغداد، وهو أول قدومه إليها، ثم خرج وتصيد، وعمل منارة القرون، من كثرة وحش صاد، ثم رد إلى أصبهان، وزوج أخته زليخا، محمد بن مسلم بن قريش العقيلي، وأقطعه الرحبة، وحران، والرقة، وسروج.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/٢٧٥

وفيها أعيدت الخطبة العباسية بالحرمين وقطعت خطبة العبيديين.

وفيها توفي أبو سعد النيسابوري، شيخ الشيوخ ببغداد، أحمد بن محمد ابن دوست، وكان كثير الحرمة في الدولة، له رباط مشهور ومريدون، وكان." (١)

"وفيها توفي أبو بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمار ببغداد. روى عن الحرفي وابن شاذان. ضعفه شجاع الذهلي. وتوفي في صفر عن اثنتين وتسعين سنة.

وأبو الفتيان عمر بن عبد الكريم الدهستاني الرؤاسي الحافظ. طوف خراسان والعراق والشام ومصر، وكتب مالا يوصف، وروى عن أبي عثمان الصابوني وطبقته. توفي بسرخس.

وأبو سعد المطرز محمد بن محمد بن محمد الإصبهاني في شوال، عن نيف وتسعين سنة.. سمع الحسين الحسين بن إبراهيم الجمال، وأبا علي غلام محسن، وابن عبد كويه. وهو أكبر شيخ للحافظ أبو موسى المديني، سمع منه حضورا.

سنة أربع وخمس مئة

فيها اخذت الفرنج بيروت بالسيف، ثم أخذوا صيدا بالمان.

وأخذ صاحب أنطاكية حصن الأثارب وحصن ذردنا. وعظم المصاب، وتوجه خلق من **المطوعة** يستصرخون الدولة ببغداد على الجهاد، واستغاثوا، وكسروا منبر جامع السلطان، وكثر الضجيج. فشرع السلطان في أهبة الغزو.

وفيها توفي إسماعيل بن أبي الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي ثم النيسابوري أبو عبد الله. روى عن أبي حسان المزكي، وعبد الرحمن بن." (٢)

"وفخر الدين بن الدهان محمد بن علي بن شعيب البغدادي الفرضي الحاسب الأديب النحوي الشاعر.

جال في الجزيرة والشام ومصر وصنف الفرائض على شكل المنبر.

فكان أول من اخترع ذلك.

وألف تاريخا وألف كتاب غريب الحديث في مجلدات.

وصنف في النجوم والزيج.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/٣٤٠

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/٣٨٥

وكان أحد الأذكياء.

مات فجأة بالحلة.

وممن كان في هذا العصر: أبو مدين الأندلسي الزاهد العارف شيخ أهل المغرب شعيب بن الحسين.

سكن تلمسان.

وكان من أهل العمل وله اجتهاد منقطع القرين في العبادة والنسك.

بعيد الصيت.

وأبو الكرم علي بن عبد الكريم بن أبي العلاء العباسي الهمذاني العطار مسند همذان.

حدث سنة خمس وثمانين عن أبي غالب العدل وفيد الشعراني.

وجاكير الزاهد القدوة أحدشيوخ العراق واسمه محمد بن رستم الكردي الحنبلي.

له أصحاب وأتباع وأحوال وكرامات.

سنة إحدى وتسعين وخمس مائة

فيها كانت وقعة الزلاقة بالأندلس

بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين الفنش المتغلب على أكثر جزيرة الأندلس.

فدخل يعقوب وعدي من زقاق سبتة في مائة ألف وأما المطوعة فقل ما شئت.

وأقبل الفنش في مائتي ألف وأربعين ألفا.

فانتصر الإسلام وانهزم الكلب في عدد يسير وقتل من الفرنج كما أرخ أبو شامة وغيره مائة ألف وستة وأربعون ألفا وأسر ثلاثون ألفا وغنم المسلمون غنيمة لم يسمع بمثلها حتى أبيع السيف بنصف درهم." (١)

"أزيد من ستين الفا، ولم يقتل من عرف من عسكر المسلمين سوى ثلاثة عشر نفسا. إن في ذلك لآية.

فلله الحمد على هذا النصر المبين. واشتهرت هذه الكائنة وصحت لدينا، ونقلها جماعة، منهم: رفيقنا المحدث أبو عبد الله بن ربيع، وكان هناك على بيع الغنيمة فقال: لما بلغ العدو حال السلطان الغالب بالله أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن الأحمر، وأنه محصن لبلاده استنفروا من جميع بلادهم، ودخل دونبترة صاحب قشتالة إلى الباب بطليطلة فأذن له وقوى عزمه ليستأصل ما بقي بالأندلس للمسلمين. فاستنجد ابن الأحمر بصاحب فاس المريني، فلم يتحرك ولجأ الخلق إلى الله، واستغاثوا به، فأقبل الكفر في جيش

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٣/١٠٣

ناهيك أنه اشتمل على خمسة وعشرين سلطانا، وأتوا غرناطة، ونزلوا على نهر شنيل ممتدين، فعزم السلطان ابن الأحمر على أمير جيوشه الصالح المجاهد أبي سعيد عثمان بن أبي العلا أن يبرز إليهم بالعسكر في نصف ربيع الآخر، وذلك يوم عيد العنصرة للعدو، وخرج من رجالة غرناطة نحو خمسة آلاف من **المطوعة**، فعزم عليهم أبو سعيد أن يرجعوا حياطة لهم، وأن يكون طريق الخيل لهم مصاحبا لكونه أمنع، وأوصاهم أن يثبتوا بمكان عينه لهم، وترجل أبو سعيد وبكى وسجد، فضج الخلق بالدعاء وحرك الفرسان الحرب، فاستشهد أمير رندة، فجاشت لمصرعه نفوس الأبطال، وحمى القتال، ووجه أبو سعيد إلى الرجالة أن يسرعوا إلى خيام العدو، فبادروا، ونزل الخذلان على عباد الصليب، وعمل فيهم السيف أكثر النهار، وحاز المسلمون غنيمة لم نسمع بمثلها، وقتلت ملوكهم الكل، وأقل ما قيل أن عدد القتلى خمسون ألفا، ومنهم طاغيتهم الأكبر دونبترة. فصبر وعلق على باب غرناطة، ورتب للأسارى ولمن يحرسهم كل يوم خمسة آلاف درهم. وقيل كان عدة فرسان المسلمين ألفين وخمسمائة. وقيل أقل من ذلك. وذلت النصارى والتمسوا عقد هدنة. وعندي هذه الغزوة المباركة مطولة مفصلة صحيحة.." (١)

"ولملوكهم زي جميل على قدر دخل بلادهم، فإنه ليس بالكثير لضيق بلادهم، ولأنها لا مكس بها ولا مؤذي فيها، لهم أمراء الطبلخانات [١] ويركب الملك بالرقبة «١» السلطانية، والحجاب والسلاح داريه [٢] والجمدارية [٣] ، والجنائب المجرورة، ويركب الأمير ووراءه صاحب أربعة وخمسة «٢» وأكثر، ولباسهم أقبية إسلامية ضيقة الأكمام وتخافيف صغار، ويشدون المناطق والبنود [٤] ، وخيلهم براذين جياد مشكورة، وسروج منها المحلى بالفضة، وزيهم كلهم قريب من الزي العسكري الخوارزمي، ويتخذ بظواهر قصور [٥] ملوكهم ميادين خضرا يعمل في أوساطها قصورا صغارا من الخشب، فيها جلوسهم للخدم والمظالم.

وجميع جنود هؤلاء الملوك الأربعة نحو عشرين ألف (فارس ما بين ميدونه [٦] ومطوعه [٧] ممن يضمهم الجموع والحشود من الفارس والراجل) «٣» ، وهؤلاء الملوك الأربعة لا يزال بينهم الخلق «٤» حتى إذا قصدهم عدو (خارجي

---

[١] الطبلخانات جمع مفرده طبل خانه، بيت الطبل والمقصود بها هنا الأمراء الذين يدقون لهم الطبل.

[٢] السلاح داريه جمع مفرده سلاح دار وتعني حملة السلاح.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٤/٥٣

[٣] الجمدارية جمع مفرده جمدار وهو من اللفظ الفارسي جامة دار أي حملة الملابس (فرهنج رازي ١٩١) .

[٤] البنود جمع مفرده بند وتعني العلم الكبير.

[٥] وردت بالمخطوط قصورهم.

[٦] ميدانه أي المسجلين في الديوانه، والديوان وهو الدفتر يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء المعجم الوسيط ١/٣١٦) .

[٧] مطوعة هم **المتطوعة** الذين يتطوعون للجهاد ونحوه، يقال: لهم مطوعة بتخفيف الطاء (المعجم الوسيط ٢/٥٩١) ويأتي اللفظ باسم غازيان واحدات (انظر: تركستان ١٣٤٧) .." (١)

"في بلاد الروم، فافتتح ماجده ولقيه خيول بقطياقوس القوامسة فبارزه يزيد بن مزيد، فأرجل يزيد ثم سقط بقطيا، فضربه يزيد حتى أثخنه، وانهزمت الروم، وغلب يزيد على عسكره، وسار هارون الرشيد بمن معه في مائة ألف ألف دينار وثلاثة وسبعين ألف ألف وأربعمائة وخمسين دينارا ومن الورق مائة ألف ألف وإحدى وعشرين ألف ألف وأربعة عشر ألف وثمانمائة درهم، وسار هارون الرشيد حتى قطع خليج القسطنطينية، وصاحب الروم يومئذ عسطه امرأة النون وذلك أن ابنها كان صغيرا، قد هلك أبوه وهو في حجرها، فجرت بينها وبين الرشيد السفراء في طلب الصلح والموادعة، وإعطاء الفدية فقبل ذلك منها هارون الرشيد، وشرط عليها الوفاء بما أعطت، وأن تقيم له الأدلاء والأسواق في طريقه، وذلك أنه دخل مدخلا ضيقا تخوفا على المسلمين.

قال أبو جعفر الطبري [١] : وسار هارون في خمسة وتسعين ألف وسبعمائة وثلاثة وسبعين رجلا من المرتزقة سوى **المطوعة** ثم ذكر مثل هذا، وقال: إنه جرت بينها وبين هارون الرسل والسفراء في طلب الصلح فشرط عليها الوفاء وأن تقيم له الأولاد والأسواق في طريقه فأجابته، والذي وقع عليه الصلح بينه وبينها سبعون ألف دينار تؤديها في نيسان [٢] الأول (المخطوط ص ١٩٤) في كل سنة، مثله في حزيران [٣] ، وقيل ذلك منها، وأقامت الأسواق في منصرفه، ووجهت معه رسلا إلى المهدي بما بعثت له وربما بذلت على أن تؤدي ما يتيسر من الذهب والفضة والعرض، وكتبوا كتاب الهدنة إلى ثلاث سنين، وكان الذي أفاء الله على هارون إلى أن أذعنت الروم بالجزية خمسة آلاف رأس وستمائة وثلاثة وأربعون رأس، وقتل من الروم في الوقائع أربعة وخمسون ألف وقتل في الأساري صبرا ألفان وتسعون

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٢٣٥

[١] الطبري: محمد بن جرير من الفقهاء والمؤرخين الكبار في القرن الثالث والرابع الهجريين له جامع البيان في تفسير القرآن وله تاريخ الرسل والملوك مات سنة ٣١٠ هـ.
[٢] أبريل.
[٣] يونيو.." (١)

"جعفر، ومضى إلى الرقة تحرزا من أتباع الأمويين مع شدة حبه لبغداد، فقال شاعر:

(ما انحنا حتى ارتحلنا فما نفرق ... بين المناخ والارتحال)

(ساءلونا عن حالنا إذا قدمنا ... فقرنا وداعهم بالسؤال)

وفيها: مات محمد بن الحسن الشبياني صاحب أبي حنيفة أبوه من حرستا من الغوطة، ولمحمد عدة كتب كالجامع الكبير والجامع الصغير وغيرهما.

قلت: طلب الشافعي منه كتبا فتأخرت عنه، فكتب إليه:

(قل للذي لم ترعين ... من رآه مثله)

(ومن كان من رآه ... قد رأى من قبله)

(العلم ينهى أهله ... أن يمنعوه أهله)

(لعله يبذله ... لأهله لعله)

فأنفذ الكتب إليه، كذا قال الشيخ أبو إسحاق في الطبقات، والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسعين ومائة: فيها سار الرشيد في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا سوى **المتطوعة** والأتباع، وحاصر هرقلة ثلاثين يوما وفتحها في شوال وسبى أهلها، وبث العساكر في الروم ففتحوا الصفصاف وملقونية وخربوا ونهبوا فبعث تقفور بالجزية عن رعيته وعن رأسه ورأس ولده وبطارقته.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٠٦/٣

وفيها: نقض أهل قبرس العهد، فغزاهم معتوق بني يحيى عامل سواحل مصر والشام فسباهم.
وفيها: أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون وكان مجوسيا، وتوفي أسيد بن عمرو بن عامر الكوفي صاحب أبي حنيفة ويحيى بن خالد بن برمك محبوسا بالرقة في المحرم، وعمره سبعون.
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة وسنة اثنتين وتسعين ومائة: فيها سار الرشيد إلى خراسان من الرقة فنزل بغداد، ورحل عنها إلى النهروان لخمس خلون من شعبان واستخلف على بغداد ابنه الأمين.
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة: فيها مات الفضل بن يحيى في حبس الرقة في المحرم، وعمره خمس وأربعون، وكان من محاسن الدنيا.
وفيها: مات الرشيد لثلاث خلون من جمادى الآخرة، كان من بدو سفره مريضا فاشتد مرضه بجرجان وسار إلى طوس فمات بها، وأنزل في قبره قوما ختموا فيه القرآن وهو في محفة على شفير القبر ويقول: واسوأتا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وغشي عليه، ثم أفاق فقال للفضل بن الربيع يا فضل:
(أحين دنا ما كنت أخشى دنوه ... رمتني عيون الناس من كل جانب)." (١)
"وفي السنة المذكورة توفي الإمام الحبر الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدي وصاحب الطبقات والتواريخ.
وفيها توفي الحافظ محدث بغداد أبو الحسن علي بن الجعد الهاشمي مولاهم، روى عن شعبة وابن أبي ذيب والكبار، وقيل: مكث سنين يصوم يوما ويفطر يوما.

إحدى وثلاثين ومائتين
فيها ورد كتاب الواثق على أمير البصرة يأمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وكان قد تبع أباه في امتحان الناس.
وفيها قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد، من أولاده أمراء الدولة، نشأ في علم وصلاح، وكتب عن مالك وجماعة، وحمل عن هشيم مصنفاته، قتله الواثق بيده لإمتناعه عن القول بخلق القرآن لكونه أغلظ للواثق في الخطاب، وقال له: يا صبي، وكان رأسا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقام معه خلق من **المطوعة**، واستفحل أمره، فخافت الدولة من فتن تحصل بذلك.
وروي أنه صلبه، فاسود وجهه، فتغيرت قلوب من راه بهذا الوصف، ثم ابيض وجهه بعد ذلك، فراه بعضهم

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ١/٢٠٠

في النوم، فسأله عن ذلك فقال: لما صلبت رأيت النبي صلى الله عليه، وآله وسلم قد أعرض عني بوجهه، فاسود وجهي من ذلك، فسألته صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، أي سبب إعراضه عني فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنما أعرضت حياء منك إذا كان قتلك على يد واحد من أهل بيتي، فعندها زال ذلك السواد الذي رأيتم عني، وهذا معنى ما قيل في ذلك والله أعلم.

وفيها توفي الإمام العلامة أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي الفقيه صاحب الشافعي، مات في السجن والقيد ببغداد، ممتحنا بخلق القرآن، وكان عابدا دائم الذكر كبير القدر. قال الشافعي: ليس في أصحابي أعلم من البويطي، حمل من مصر في أيام الواثق فني زمن الفتنة، فامتنع من القول بخلق القرآن، فحبس حتى مات، وكان صالحا متنسكا، رحمة الله عليه.

قال الربيع بن سليمان: رأيت البويطي على بغلة، وفي عنقه غل، وفي رجليه قيد، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوية وزنها أربعون رطلا.

وقال الشيخ أبو إسحاق في طبقات الفقهاء: وكان أبو يعقوب البويطى إذا سمع." (١)

"ست وستين ومائتين

فيها توفي الحافظ أحد أذكياء المحدثين أبو إسحاق إبراهيم بن أرومة الأصفهاني.

وفيها توفي محمد بن شجاع فقيه العراق، وشيخ الحنفية. تفقه بالحسن بن زياد اللؤلؤي، وصنف واشتغل، وتوفي ساجدا في صلاة العصر، وله نحو من تسعين سنة، رحمة الله عليه.

سبع وستين ومائتين

فيها برز قائد الزنج في ثلاثمائة ألف فارس وراجل، والمسلمون في خمسين ألفا، وفصل النهر بين الجيشين، فلم يقع بينهم واقعة. وكان قبل ذلك قد هزم الموفق الزنج وقائدهم العلوي غائب عنهم فلما جاءته الأخبار بهزيمة جنوده إختلف إلى الكنيف مرارا وتقطعت كبده.

وفيها توفي يحيى بن محمد بن عبد الله الذهلي الحافظ شيخ نيسابور بعد أبيه، وكان أمير **المطوعة** المجاهدين.

وفيها توفي الحافظ أبو بشر إسماعيل بن عبد الله العبدي الأصفهاني.

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٧٦/٢

ثمان وستين ومائتين

فيها توفي الحافظ أبو الحسن أحمد بن سيار المروزي، مصنف تاريخ مرو، وكان يشبه في عصره بابن المبارك علما وزهدا، وكان صاحب وجه في مذهب الشافعي، أوجب الأذان للجمعة، والحافظ عيسى بن أحمد العسقلاني.

وفيها توفي الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري مفتي الديار المصرية، تفقه بالشافعي وأشهب، وروى عن ابن وهب وغيره من أصحاب الإمام مالك، فلما قدم الإمام الشافعي مصر، صحبه وتفقه عليه، وحمل في المحنة إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد الإيادي في بغداد، فلم يجب إلى ما طلب منه، فرد إلى مصر، وانتهت إليه الرئاسة بها. روى عنه أبو عبد الرحمن النسائي في سننه. وقال المزني: قال الشافعي: رددت لو أن لي ولدا مثله وعلي ألف دينار لا أجد لها قضاء.

وحكى عن محمد المذكور قال: كنت أتردد إلى الشافعي، فاجتمع قوم من أصحابنا." (١)

"سنة تسع وأربعمائة

فيها توفي الحافظ الكبير النسابة عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري، صاحب التصانيف النافعة، منها كتاب المؤتلف والمختلف. كان الدارقطني يفخمه ويقول: كأنه شعلة نار. وقال منصور الطرسوسي: خرجنا نودع الدارقطني بمصر، فبكينا، فقال: تبكون وعندكم عبد الغني؟ وقال البرقاني: ما رأيت بعد الدارقطني أحفظ من عبد الغني رحمه الله. وفيها توفي ابن الصلت محمد بن أحمد الأهوازي. وفيها توفي الشيخ الكبير عبد الله بن يوسف، نزيل نيسابور، من كبار الصوفية وثقات المحدثين.

سنة عشر وأربع مائة

فيها افتتح السلطان محمود بن ناصر الدولة الهند، وأسلم نحو من عشرين ألفا، وقتل من الكفار نحو خمسين ألفا، وهدم مدينة الأصنام، وبلغ عدد الخمس من الرقيق ثلاثة وخمسين ألفا، واستولى على عدة قلاع وحصون، وكان جيشه ثلاثين ألف فارس سوى الرجالة والمطوعة، ولم يزل يفتح في بلاد الهند إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية، وطهرها من أرجاس الشرك، وبنى مساجد وجوامع. وتفصيل حاله في الحروب والفتح يطول شرحه. ولما فتح بلاد الهند كتب كتابا إلى بغداد يذكر فيه ما فتح الله عل يديه من بلاد الهند، وأنه كسر الضم المشهور بسومنات، وذكر في كتابه أن هذا الصنم عند الهنود يحيي ويميت،

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ١٣٤/٢

ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويبرىء من العلل، وربما كان يتفق لشقوتهم برء عليل بقصده، ويوافقه طيب الهواء، وكثرة الحركة، ويزيدون به افتنانا ويقصدونه من أقاصي البلاد رجالا وركبانا، ومن لم يصادف منهم انتعاشا أجنح بالذنب وقال: إنه لم يخلص له الطاعة، فلم يستحق منه الإجابة. ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ وتشبيهها فيمن شاء، وأن مد البحر وجزره عبادة له على قدر طاعته، وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجونه من كل صقع بعيد، ويأتونه من كل فج عميق، يتحفونه بكل مال نفيس، ولم يبق في بلاد الهند والسند على تباعد أقطارها وتفاوت أديانها ملك ولا سوقة إلا." (١)

"فنشر علمه يقوم مقام كل نسب، ويغني عن كل سبب مكتسب. قلت: ومن المشهور المذكور في بعض التواريخ وغيرها أن والده الشيخ أبا محمد كان في أول أمره ينسخ بالأجرة، فاجتمع له من كسب يده شيء اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح، ولم يزل يطعمها من كسب يده أيضا إلى أن حبلت بإمام الحرمين وهو مستمر على تربيتها بمكتسب الحلال فلما وضعته، أوصاها أن لا تمكن أحدا من إرضاعه، فاتفق أنه دخل عليها يوما وهي متألمة، والصغير يبكي، وقد أخذته امرأة من جيرانهم، وشاغلته بثديها فرضع منها قليلا فلما رآه شق عليه، وأخذه إليه، ونكس رأسه، ومسح على بطنه، وأدخل إصبعه في فيه، ولم يزل يفعل ذلك حتى قاء جميع ما شربه، وهو يقول: يسهل علي أن يموت، ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه. ويحكى عن إمام الحرمين أنه كان يلحقه في بعض الأحيان فترة في مجلس المناظرة، فيقول: هذا من بقايا تلك الرضاعة، ومولده في ثاني عشر المحرم، سنة تسع عشرة وأربع مائة، ولما مرض حمل إلى قرية من أعمال نيسابور، موصوفة باعتدال الهواء وخفة الماء، فمات بها، ونقل إلى نيسابور، ودفن في داره، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين كما تقدم ودفن بجنب أبيه، وصلي عليه ولده أبو القاسم، وأكثر الشعراء المراثي، ومما رثي به:

قلوب العالمين على المعالي ... وأيام الورى شبه الليالي

أيثمر غصن أهل الفضل يوما ... وقد مات الإمام أبو المعالي؟

سنة تسع وسبعين واربع مائة

فيها نزل تتش حلب، ثم أخذها. وساق السلطان ملك شاه من أصبهان فقدم حلب، وخافه أخوه تتش،

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ١٨/٣

فهرب. وفيها وقعة الزلاقة، وذلك أن ملك الإفرنج جمع الجيوش، فاجتمع المعتمد يوسف بن تاشقين أمير المسلمين **والمطوعة**، فأتوا الزلاقة من عمل بطليو، فالتقى الجمعان، فوقعت الهزيمة على أعداء الله تعالى، وكانت ملحمة عظيمة في أول جمعة من رمضان، وجرح المعتمد عدة جراحات شديدة، وطابت الأندلس، فعمل الأمير ابن تاشقين." (١)

"الحماسة وشرح ديوان المتنبي وشرح المعلقات السبع، وله تهذيب غريب الحديث وتهذيب إصلاح المنطق ومقدمات حسنة في النحو، وكتاب الكافي في علم العروض والقوافي، وشرح سقط الزند للمعري، وله الملخص في إعراب القرآن في أربع مجلدات، ودرس الأدب في حنش نظامية بغداد، ودخل مصر، فقرأ عليه ابن بابشاذ شيئا من اللغة. وفيها توفي محمد بن عبد الكريم بن حشيش البغدادي رحمه الله تعالى.

سنة ثلاث وخمس مائة

في ذي الحجة منها أخذت الفرنج طرابلس بعد حصار سبع سنين، وكان المدد يأتيها من مصر في البحر. وفيها أخذوا بانياس. وفيها أخذ صاحب أنطاكية طرطوس وحصن الأكراد. وفيها توفي أبو بكر أحمد بن المظفر بن سوسن رحمه الله. وفيها توفي الحافظ أبو الفتيان عمر بن عبد الكريم الرواسي، طوف خراسان والعراق والشام ومصر، وكتب عن الصابوني وطبقته.

وفيها توفي أبو سعد المطرز بن محمد الأصبهاني في نيف وتسعين سنة، سمع الحسين ابن ابراهيم وأبا علي غلام محسن وغيرهما، وهو أكبر شيخ للحافظ أبي موسى المديني، سمع منه حضورا.

سنة أربع وخمس مائة

فيها أخذت الفرنج بيروت بالسيف، ثم أخذوا صيدا بالأمان، وأخذ صاحب أنطاكية بعض الحصون، وعظم المصاب، وتوجه خلق كثير من **المطوعة** يستصرخون الدولة ببغداد على الجهاد، واستغاثوا، وكسروا منبر جامع السلطان، وكثر الضجيج، فشرع السلطان في أهبة الغزو.." (٢)

"بعجل أحمر أغر، صفته كذا، يولد وقت كذا من يوم كذا، وهو نذر لي، ويذبحه الفقراء يوم كذا، ويأكله فلان وفلان، ثم أشار إلى الأخرى وقال: هذه حامل بأنثى، ومن صفتها كذا تولد وقت كذا، وهي

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٩٩/٣

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ١٣٢/٣

نذر لي، ويذبحها فلان رجل من الفقراء يوم كذا، ويأكلها فلان وفلان، ولكلب أحمر فيها رزق. قال: فوالله لقد جرت الحال على ما وصف، ولم يخل منها بشيء، ودخل كلب أحمر إلى الزاوية، واختطف قطعة من لحم الأنثى وذهب بها. ومن كلامه – رضي الله تعالى عنه – إذا قدحت نار التعظيم مع نور الهيبة في زناد السر تولد منها شعاع المشاهدة، فمن شاهد الحق عز وجل في سره سقط الكون من قلبه. وأصله من الأكراد، سكن صحراء من صحارى العراق بالقرب من قنطرة الرصاص على يوم من سامرا، ولم يزل مستوطنا بها إلى أن مات بها، وقبره بها ظاهر يزار يؤمه من البعد الزوار، قد عمر الناس عنده قرية، رغبة في مجاورته والتماسا منهم لبركته.

سنة احدى وتسعين وخمس مائة

فيها كانت وقعة الزلاقة بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين ملك الفرنج، فدخل يعقوب وغدا من زقاق سبتة في مائة ألف غير المطوعة، وأقبل الكافر عدو الله في مائتي ألف وأربعين ألفا فانتصر بحمد الله الإسلام، وانهزم الكلب في عدد يسير، وقتل من الفرنج على ما أرخ أبو شامة وغيره مائة ألف وستة وأربعون ألفا، وأسر ثلاثون ألفا، وغنم المسلمون غنيمة لم يسمع بمثلها، حتى بيع السيف بنصف درهم، والحصان بخمسة دراهم، والحمار بدرهم، وذلك في تاسع شعبان من السنة المذكورة. وفيها سار الملك العزيز ولد صلاح الدين من مصر، فنزل بحوران لياخذ دمشق من أخيه الأفضل، فاتخذ الأفضل عمه العادل، فرجع العزيز، وتبعاه، فدخل القاضي الفاضل في الصلح بينهم، وأقام العادل بمصر. وفيها توفي الحافظ القدوة الإمام أحد العلماء الأعلام أبو محمد عبد الله الأندلسي الزاهد: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله المرسي، سمع فأكثر على أبي الحسن بن مغيث وابن العربي والكبار، وتفنن في العلوم، وبرع في الحديث، وطال عمره، وشاع ذكره، وكان قد سكن سبتة فاستدعاه السلطان إلى مراكش ليسمع.." (١)

"ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى– وقيل ابن شبرمة– فادعى عليه عنده فأنكر اليهودي فشهد عليه أبو دلامة وابنه، فلم يستطع القاضي أن يرد شهادتهما وخاف من طلب التزكية فأعطى الطبيب المدعي المال من عنده وأطلق اليهودي. وجمع القاضي بين المصالح. توفي أبو دلامة في هذه السنة، وقيل إنه أدرك خلافة الرشيد سنة سبعين فالله أعلم.

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٣٥٧/٣

ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة

فيها خرج عبد السلام بن هاشم اليشكري بأرض قنسرين واتبعه خلق كثير، وقويت شوكته فقاتله جماعة من الأمراء فلم يقدروا عليه، وجهز إليه المهدي جيوشا وأنفق فيهم أموالا فهزمهم مرات ثم آل الأمر به أن قتل بعد ذلك. وفيها غزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفا من المرتزقة سوى **المتطوعة**، فدمر الروم وحرق بلدانا كثيرة، وخرب أماكن وأسر خلقا من الذراري. وكذلك غزا يزيد بن أبي أسيد السلمي بلاد الروم من باب قاليقلا فغنم وسلم وسبى خلقا كثيرا.

وفيه ا خرجت طائفة بجرجان فلبسوا الحمرة مع رجل يقال له عبد القهار، فغزاه عمرو بن العلاء من طبرستان فقهر عبد القهار وقتله وأصحابه. وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والآفاق على المجذمين والمحبوسين، وهذه مثوبة عظيمة ومكرمة جسيمة. وفيها حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن المنصور.

وفيها توفي من الأعيان:

إبراهيم بن أدهم

أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد. كانت له همة عالية في ذلك رحمه الله. فهو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن عامر بن إسحاق التميمي، ويقال له العجلي، أصله من بلخ ثم سكن الشام ودخل دمشق، وروى الحديث عن أبيه والأعمش ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة وأبي إسحاق السبيعي وخلق. وحدث عنه خلق منهم بقية والثوري وأبو إسحاق الفزاري ومحمد بن حميد. وحكى عنه الأوزاعي. وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجزري عن إبراهيم بن أدهم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة. ق ا ل: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي جالسا فقلت:

يا رسول الله إنك تصلي جالسا فما أصابك؟ قال: الجوع يا أبا هريرة. قال: فبكيت فقال: لا تبك فإن شدة يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا» . ومن طريق بقية عن إبراهيم بن أدهم حدثني أبو إسحاق الهمداني عن عمارة بن غزية عن أبي هريرة. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الفتنة تجيء فتنسف العباد نسفا، وينجو العالم منها بعلمه» . قال النسائي: إبراهيم بن أدهم ثقة مأمون أحد الزهاد. وذكر أبو نعيم وغيره أنه كان ابن ملك من ملوك خراسان، وكان قد حبب إليه الصيد، قال: فخرجت مرة فأثرت ثعلبا فهتف بى هاتف." (١)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٣٥/١٠

"الإسلام ووعدهم النصر منه والاعانة، فدخلوا في جحافل عظيمة كثيرة جدا، وانضاف إليهم الأرمني فركب إليهم مفلح غلام يوسف بن أبي الساج وهو يومئذ نائب أذربيجان واتبعه خلق كثير من **المتطوعة**، فقصد أولا بلاد ابن الديراني فقتل من الأرمن نحوا من مائة ألف، وأسر خلقا كثيرا، وغنم أموالا جزيلة، وتحصن ابن الديراني في قلعة له هناك، وكاتب الروم فوصلوا إلى شميشاط فحاصروها، فبعث أهلها يستصرخون سعيد بن حمدان نائب الموصل، فسار إليهم مسرعا، فوجد الروم قد كادوا يفتحونها، فلما علموا بقدومه رحلوا عنها واجتازوا بملطية فنهبوها، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم ومعهم ابن نفيس المتنصر، وقد كان من أهل بغداد. وركب ابن حمدان في آثار القوم فدخل بلادهم فقتل خلقا كثيرا منهم وأسر وغنم أشياء كثيرة. قال ابن الأثير: وفي شوال من هذه السنة جاء سيل عظيم إلى تكريت ارتفع في أسواقها أربعة عشر شبرا، وغرق بسببه أربعمائة دار، وخلق لا يعلمهم إلا الله، حتى كان المسلمون والنصارى يدفنون جميعا، لا يعرف هذا من هذا. قال: وفيها هاجت بالموصل ريح محمرة ثم اسودت حتى كان الإنسان لا يبصر صاحبه نهارا، وظن الناس أنها القيامة ثم انجلى ذلك بمطر أرسله الله عليهم.

وفيها توفي من الأعيان

الحسين بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأنطاكي قاضي ثغور الشام، يعرف بابن الصابوني، وكان ثقة نبيلا قدم بغداد وحدث بها.

علي بن الحسين بن حرب بن عيسى أبو عبيد بن حربويه

تولى القضاء بمصر مدة طويلة جدا، وكان ثقة عالما من خيار القضاة وأعدلهم، تفقه على مذهب أبي ثور، وقد ذكرناه في طبقات الشافعية، وقد استعفى عن القضاء فعزل عنه في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، ورجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات في هذه السنة، في صفر منها، وصلى عليه أبو سعيد الإصطخري، ودفن بداره. قال الدار قطنى: حدث عنه أبو عبد الرحمن النسائي في الصحيح، ولعله مات قبله بعشرين سنة. وذكر من جلالته وفضله رحمه الله.

محمد بن الفضل بن العباس أبو عبد الله البلخي الزاهد. حكي عنه أنه مكث أربعين سنة لم يخط فيها خطوة في هوى نفسه، ولا نظر في شيء فاستحسنه حياء من الله عز وجل، وأنه مكث ثلاثين سنة لم يمل على ملكيه قبيحا.

محمد بن سعد أبو الحسين الوراق

صاحب أبي عثمان النيسابوري، وكان فقيها يتكلم على المعاملات. ومن جيد كلامه قوله: من غض بصره

عن محرم أورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهتدي بها سامعوه، ومن غض نفسه عن شبهة نور الله قلبه نورا يهتدي به إلى طرق مرضاة الله.." (١)

"وأخذ عنه إمام الحرمين، وفيما قاله نظر. لأن سن إمام الحرمين لا يحتمل ذلك، فان القفال هذا مات في هذه السنة وله تسعون سنة، ودفن بسجستان، وإمام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة كما سيأتي، وإنما قيل له القفال لأنه كان أولا يعمل الأقفال، ولم يشتغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة، رحمه الله تعالى

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة

في ربيع الأول منها وقع برد أهلك شيئا كثيرا من الزروع والثمار، وقتل خلقا كثيرا من الدواب. قال ابن الجوزي: وقد قيل إنه كان في برده كل بردة رطلان وأكثر، وفي واسط بلغت البردة أرطالا، وفي بغداد بلغت قدر البيض. وفي ربيع الآخر سألت الاسفهلارية الغلمان الخليفة أن يعزل عنهم أبا كاليجار، لتهاونه بأمرهم، وفساده وفساد الأمور في أيامه، ويولي عليهم جلال الدولة، الذي كانوا قد عزلوه عنهم، فماطلهم الخليفة في ذلك وكتب إلى أبي كاليجار أن يتدارك أمره، وأن يسرع الأوبة إلى بغداد، قبل أن يفوت الأمر، وألح أولئك على الخليفة في تولية جلال الدولة، وأقاموا له الخطبة ببغداد، وتفاقم الحال، وفسد النظام. وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضا، وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بسومنات، وقد كانوا يفدون إليه من كل فج عميق، كما يفد الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم، وينفقون عنده النفقات والأموال الكثيرة، التي لا توصف ولا تعد، وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية، ومدينة مشهورة، وقد امتلأت خزائنه أموالا، وعنده ألف رجل يخدمونه، وثلاثمائة رجل يحلقون رءوس حجيجه، وثلاثمائة رجل يغنون ويرقصون على بابه، لما يضرب على بابه الطبول والبوقات، وكان عنده من المجاورين ألوف يأكلون من أوقافه، وقد كان البعيد من الهنود يتمنى لو بلغ هذا الصنم، وكان يعوقه طول المفاوز وكثرة الموانع والآفات، ثم استخار الله السلطان محمود لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده، وكثرة الهنود في طريقه، والمفاوز المهلكة، والأرض الخطرة، في تجشم ذلك في جيشه، وأن يقطع تلك الأهوال إليه، فندب جيشه لذلك فانتدب معه ثلاثون ألفا من المقاتلة، ممن اختارهم لذلك، سوى **المتطوعة**، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن، ونزلوا بساحة عباده، فإذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة، قال: فما كان بأسرع من أن ملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفا وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار. وقد

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٦٧/١١

ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالا جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم، فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم، فقال: حتى أستخير الله عز وجل، فلما أصبح قال: إني فكرت في الأمر الذي ذكر فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم؟ أحب إلي من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا، ثم عزم فكسره رحمه الله، فوجد عليه وفيه من الجواهر واللآلي والذهب والجواهر." (١)

"تعرض الرسائل بعد ابن بابشاذ، وكان كثير الاطلاع عالما بهذا الشأن، مطرحا للتكليف في كلامه، لا يلتفت ولا يعرج على الإعراب فيه إذا خاطب الناس، وله التصانيف المفيدة، توفى وقد جاوز الثمانين بثلاث سنين رحمه الله تعالى، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

فيها كانت وقعة حطين التي كانت أمارة وتقدمة وإشارة لفتح بيت المقدس، واستنقاذه من أيدي الكفرة. قال ابن الأثير: كان أول يوم منها يوم السبت، وكان يوم النيروز، وذلك أول سنة الفرس، واتفق أن ذلك كان أول سنة الروم، وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس برج الحمل، وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضا، وهذا شيء يبعد وقوع مثله، وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه، فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى فخيم على قصر أبي سلام، ينتظر قدوم الحجاج، وفيهم أخته ست الشام وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين، ليسلموا من معرة برنس الكرك، فلما جاز الحجيج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار، ورعى الزرع وأكلوا الثمار، وجاءت العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلمت ورجعت، فبشر بمقدمات الفتح والنصر، وجاء السلطان بجحافله فالتفت عليه جميع العساكر، فرتب الجيوش وسار قاصدا بلاد الساحل، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفا غير **المتطوعة**، فتسامعت الفرنج بقدومه فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم، وصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر، وجاءوا بحدهم وحديدهم واستصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت، وضلال الناسوت، في خلق لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، يقال كانوا خمسين ألفا وقيل ثلاثا وستين ألفا، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك فقال له لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم،

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٢/١٢

وسترى غب ما أقول لك، فتقدموا نحو المسلمين وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك، وتحصنت منه القلعة فلم يعبأ بها، وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة، حتى صاروا في عطش عظيم، فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها حطين، التي يقال إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام، وجاء العدو المخذول، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان، وأسفر وجه الايمان واغبر وأفتم وأظلم وجه الكفر والطغيان، ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان، وذلك عشية يوم." (١)

"الناس في دفع الأعداء عنهم، لأنه إذا دهم العدو البلاد، وجب على الناس كافة دفعهم بأموالهم وأنفسهم.

ولاية الملك المظفر قطز

وفيها قبض الأمير سيف الدين قطز على ابن أستاذه نور الدين علي الملقب بالمنصور، وذلك في غيبة أكثر الأمراء من مماليك أبيه وغيرهم في الصيد، فلما مسكه سيره مع أمه وابنيه وإخوته إلى بلاد الأشكري، وتسلطن هو وسمى نفسه بالملك المظفر، وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين، فان الله جعل على يديه كسر التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. وبان عذره الذي اعتذر به إلى الفقهاء والقضاة وإلى ابن العديم، فإنه قال لا بد للناس من سلطان قاهر يقاتل عن المسلمين عدوهم، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة.

وفيها برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى وطاء، برز في جحافل كثيرة من الجيش **والمتطوعة** والأعراب وغيرهم، ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول ارفض ذلك الجمع، ولم يسر لا هو ولا هم، ف إنا لله وإنا إليه راجعون. ٢: ١٥٦

وفيها توفى من الأعيان.

واقف الصدرية صدر الدين أسعد بن المنجاة بن بركات بن مؤمل

التنوخي المغربي ثم الدمشقي الحنبلي أحد المعدلين، ذوي الأموال، والمروءات والصدقات الدارة البارة، وقف مدرسة للحنابلة، وقبره بها إلى جانب تربة القاضي المصري في رأس درب الريحان من ناحية الجامع الأموي، وقد ولى نظر الجامع مدة، واستجد أشياء كثيرة منها سوق النحاسين قبلي الجامع، ونقل الصاغة

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣٢٠/١٢

إلى مكانها الآن، وقد كانت قبل ذلك في الصاغة العتيقة، وجدد الدكاكين التي بين أعمدة الزيارة، وثمر الجامع أموالا جزيلة، وكانت له صدقات كثيرة، وذكر عنه أنه كان يعرف صنعة الكيميا وأنه صح معه عمل الفضة، وعندي أن هذا لا يصح ولا يصح عنه والله أعلم.

الشيخ يوسف الاقميني

كان يعرف بالأقميني لأنه كان يسكن قمين حمام نور الدين الشهيد، وكان يلبس ثيابا طوالا تحف على الأرض، ويبول في ثيابه، ورأسه مكشوفة، ويزعمون أن له أحوالا وكشوفا كثيرة، وكان كثير من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته، وذلك لأنهم لا يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح، ولا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، كالرهبان وغيرهم، وكالدجال وابن صياد وغيرهم، فان الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الانسى، ولا سيما من يكون مجنونا أو غير نقى الثياب من النجاسة، فلا بد من اختبار صاحب الحال بالكتاب والسنة، فمن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله فهو رجل صالح سواء كاشف أو لم يكاشف، ومن لم يوافق فليس." (١)

"الخونده غازية خاتون

بنت الملك المنصور قلاوون، زوجة الملك السعيد.

الحكيم الرئيس

علاء الدين بن أبي الحزم بن نفيس، شرح القانون لابن سينا وصنف الموجز وغيره من الفوائد وكان يكتب من حفظه، وكان اشتغاله على ابن الدخواري، وتوفي بمصر في ذي القعدة.

الشيخ بدر الدين

عبد الله بن الشيخ جمال الدين بن مالك النحوي، شارح الألفية التي عملها أبوه، وهو من أحسن الشروح وأكثرها فوائد، وكان لطيفا ظريفا فاضلا، توفي في يوم الأحد الثامن من المحرم، ودفن من الغد بباب الصغير. والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة

فيها كان فتح مدينة طرابلس: وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيوش المنصورة المصرية صحبته إلى دمشق، فدخلها في الثالث عشر من صفر، ثم سار بهم وبجيش دمشق وصحبته خلق كثير من **المتطوعة**، منهم القاضي نجم الدين الحنبلي، قاضي الحنابلة، وخلق من المقادسة وغيرهم، فنازل طرابلس يوم الجمعة

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢١٦/١٣

مستهل ربيع الأول، وحاصرها بالمجانيق حصارا شديدا، وضيقوا على أهلها تضيقا عظيما، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقا، فلما كان يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة فتحت طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوة، وشمل القتل والأسر جميع من فيها، وغرق كثير من أهل الميناء وسبيت النساء والأطفال، وأخذت الذخائر والحواصل، وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ، وقد كانت قبل ذلك في أيدي المسلمين من زمان معاوية، فقد فتحها سفيان بن نجيب لمعاوية، فأسكنها معاوية اليهود، ثم كان عبد الملك بن مروان جدد عمارتها وحصنها وأسكنها المسلمين، وصارت آمنة عامرة مطمئنة، وبها ثمار الشام ومصر، فإن بها الجوز والموز والثلج والقصب، والمياه جارية فيها تصعد إلى أماكن عالية، وقد كانت قبل ذلك ثلاث مدن متقاربة، ثم صارت بلدا واحدا، ثم حولت من موضعها كما سيأتي الآن. ولما وصلت البشارة إلى دمشق دقت البشائر وزينت البلاد وفرح الناس فرحا شديدا ولله الحمد والمنة. ثم أمر السلطان الملك المنصور قلاوون أن تهدم البلد بما فيها من العمائر والدور والأسوار الحصينة التي كانت عليها، وأن يبنى على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن، ففعل ذلك، فهي هذه البلدة التي يقال لها طرابلس، ثم عاد إلى دمشق مؤيدا منصورا مسرورا محبورا، فدخلها يوم النصف من جمادى الآخرة، ولكنه فوض الأمور والكلام في الأموال فيها إلى إلى علم الدين." (١)

"هم المذكورون في التي قبلها، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول، وصاحب مكة نجم الدين أبو نمي محمد بن إدريس بن على بن قتادة الحسيني، وصاحب المدينة عز الدين جماز بن شيحة الحسيني، وصاحب الروم غياث الدين كنجسرو، وهو ابن ركن الدين قلج أرسلان السلجوقي، وصاحب حماة تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمد، وسلطان بلاد العراق وخراسان وتلك النواحي أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولى بن جنكزخان.

وكان أول هذه السنة يوم الخميس وفيه تصدق عن الملك المنصور بأموال كثيرة جدا من الذهب والفضة، وأنزل السلطان إلى تربته في ليلة الجمعة فدفن بها تحت القبة، ونزل في قبره بدر الدين بيدرا، وعلم الدين الشجاعي، وفرقت صدقات كثيرة حينئذ، ولما قدم الصاحب شمس الدين بن السلعوس من الحجاز خلع عليه للوزارة، وكتب تقليده بها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر كاتب الإنشاء بيده، وركب الوزير في أبهة الوزارة إلى داره، وحكم. ولما كان يوم الجمعة قبض على شمس الدين سنقر الأشقر وسيف الدين بن

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣١٣/١٣

جرمك الناصري، وأفرج عن الأمير زين الدين كتبغا وكان قد قبض عليه مع طرقطاى، ورد عليه إقطاعه، وأعيد التقي توبة إلى وزارة دمشق مرة أخرى.

وفيها أثبت ابن الخوى محضرا يتضمن أن يكون تدريس الناصرية للقاضي الشافعي وانتزعها من زين الدين الفارقي.

ذكر فتح عكا وبقية السواحل

وفيها جاء البريد إلى دمشق في مستهل ربيع الأول لتجهيز آلات الحصار لعكا، ونودي في دمشق الغزاة في سبيل الله إلى عكا، وقد كان أهل عكا في هذا الحين عدوا على من عندهم من تجار المسلمين فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأبرزت المناجيق إلى ناحية الجسورة، وخرجت العامة والمتطوعة يجرون في العجل حتى الفقهاء والمدرسين والصلحاء، وتولى ساقها الأمير علم الدين الدويدارى، وخرجت العساكر بين يدي نائب الشام، وخرج هو في آخرهم، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر وخرج الناس من كل صوب، واتصل بهم عسكر طرابلس، وركب الأشرف من الديار المصرية بعساكره قاصدا عكا، فتوافت الجيوش هنالك، فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر ونصبت عليها المناجيق من كل ناحية يمكن نصبها عليها، واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاربتها والتضييق على أهلها، واجتمع الناس بالجوامع لقراءة صحيح البخاري، فقرأه الشيخ شرف الدين الفزاري، فحضر القضاة والفضلاء والأعيان. وفي أثناء محاصرة عكا وقع تخبيط من نائب الشام حسام الدين لاجين، فتوهم أن السلطان يريد مسكه، وكان قد أخبره بذلك الأمير الذي يقال له أبو خرص، فركب هاربا فرده علم الدين الدويدارى بالمساء به وجاء به إلى السلطان فطيب قلبه وخلع عليه ثم." (١)

"ثم ترك المناصب وحج وجاور بمكة، ثم قدم دمشق فأقام بها دون السنة ومات، توفى يوم الجمعة ثامن وعشرين ذي الحجة، وصلي عليه بعد الجمعة بالجامع، ودفن بتربتهم بسفح قاسيون، وعمل عزاؤه بالصاحبية.

ياقوت بن عبد الله

أبو الدر المستعصمي الكاتب، لقبه جمال الدين، وأصله رومي، كان فاضلا مليح الخط مشهورا بذلك، كتب ختما حسانا، وكتب الناس عليه ببغداد، وتوفي بها في هذه السنة، وله شعر رائق، فمنه ما أورده البرزالي في تاريخه عنه:

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣٢٠/١٣

تجدد الشمس شوقي كلما طلعت ... إلى محياك يا سمعي ويا بصري

وأسهر الليل في أنس بلا ونس ... إذ طيب ذكراك في ظلماته يسري

وكل يوم مضى لا أراك به ... فلست محتسبا ماضيه من عمري

ليلي نهار إذا ما درت في خلدي ... لأن ذكرك نور القلب والبصر

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة

وفيها كانت وقعة قازان، وذلك أن هذه السنة استهلت والخليفة والسلطان هما المذكوران في التي قبلها، ونائب مصر سلار، ونائب الشام آقوش الأفرم، وسائر الحكام هم المذكورون في التي قبلها، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام، وقد خاف الناس من ذلك خوفا شديدا، وجفل الناس من بلاد حلب وحماة، وبلغ كرى الخيل من حماة إلى دمشق نحو المائتي درهم، فلما كان يوم الثلاثاء ثاني المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من مصر قاصدا الشام، فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان إلى دمشق في مطر شديد ووحل كثير، ومع هذا فرج الناس لتلقيه، وكان قد أقام بغزة قريبا من شهرين، وذلك لما بلغه قدوم التتار إلى الشام، فتهيأ لذلك وجاء فدخل دمشق فنزل بالطارمة، وزينت له البلد، وكثرت له الأدعية وكان وقتا شديدا، وحالا صعبا، وامتلأ البلد من الجافلين النازحين عن بلادهم، وجلس الأعسر وزير الدولة وطالب العمال واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش، وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول ولم يتخلف أحد من الجيوش، وخرج معهم خلق كثير من **المتطوعة**، وأخذ الناس في الدعاء والقنوت في الصلوات بالجامع وغيره، وتضرعوا واستغاثوا وابتهلوا إلى الله بالأدعية.

وقعة قازان

لما وصل السلطان إلى وادي الخزندار عند وادي سلمية، فالتقى التتر هناك يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول فالتقوا معهم فكسروا المسلمين وولى السلطان هاربا ف إنا لله وإنا إليه راجعون ٢: ١٥٦، وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم ومن العوام خلق كثير، وفقد في المعركة قاضى قضاة." (١)

"ولبس أقبجاشد الدواوين في باب الوزير شمس الدين سنقر الأعسر، وباشر الأمير عز الدين أيبك الدويدار النجيبي ولاية البر، بعد ما جعل من أمراء الطبلخانة، ودرس الشيخ كمال الدين بن الزملكاني بأم الصالح عوضا عن جلال الدين القزويني يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان، وفي هذا اليوم ولي قضاء

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٦/١٤

الحنفية شمس الدين بن الصفي الحريري عوضا عن حسام الدين الرومي، فقد يوم المعركة في ثاني رمضان، ورفعت الستائر عن القلعة في ثالث رمضان. وفي مستهل رمضان جلس الأمير سيف الدين سلار بدار العدل في الميدان الأخضر وعنده القضاة والأمراء يوم السبت، وفي السبت الآخر خلع على عز الدين القلانسي خلعة سنية وجعل ولده عماد الدين شاهدا في الخزانة. وفي هذا اليوم رجع سلار بالعساكر إلى مصر وانصرفت العساكر الشامية إلى مواضعها وبلدانها. وفي يوم الاثنين عاشر رمضان درس علي بن الصفي بن أبي القاسم البصراوي الحنفي بالمدينة المقدمية.

وفي شوال فيها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتتر ويؤذي المسلمين، وشنق منهم طائفة وسمر آخرون وكحل بعضهم وقطعت ألسن وجرت أمور كثيرة. وفي منتصف شوال درس بالدولعية قاضي القضاة جمال الدين الزرعي نائب الحكم عوضا عن جمال الدين بن الباجريقي، وفي يوم الجمعة العشرين منه ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان، وخرج الشيخ تقى الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من **المتطوعة** والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا حين اجتازوا ببلادهم، وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيرا منهم، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقى الدين بن تيمية فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، و التزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال، وأقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله. وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذي القعدة وتلقاه الناس بالشموع إلى طريق بعلبك وسط النهار. وفي يوم الأربعاء سادس عشره نودي في البلد أن يعلق الناس الأسلحة بالدكاكين، وأن يتعلم الناس الرمي فعملت الآماجات في أماكن كثيرة من البلد، وعلقت الأسلحة بالأسواق، ورسم قاضي القضاة بعمل الآماجات في المدارس، وأن يتعلم الفقهاء الرمي ويستعدوا لقتال العدو إن حضر، وبالله المستعان.

وفي الحادي والعشرين من ذي القعدة استعرض نائب السلطنة أهل الأسواق بين يديه وجعل على كل سوق مقدما وحوله أهل سوقه، وفي الخميس رابع عشرينه عرضت الأشراف مع نقيبهم نظام." (١)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٤/١٢

"حتى يبلغ المدينة، فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها ووهنت قوتها، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع، فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد، ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة، فمتى ما فتحت فإن باقي ما دونها من البلاد والحصون بيدك، فقال سليمان:

هذا هو الرأي، ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البر مائة وعشرين ألفا، وفي البحر مائة وعشرين ألفا من المقاتلة، وأخرج لهم الأعطية، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة، وأعلمهم بغزو القسطنطينية والاقامة إلى أن يفتحوها، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمر عليهم أخاه مسلمة، ثم قال: سيروا على بركة الله، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف. ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق، فاجتمع إليه الناس أيضا من المتطوعة المحتسبين أجورهم على الله، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومي المرعشي، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة، قالوا: فابعث إلينا إليون نشاوره، فأرسله إليهم، فقالوا له: رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا، فرجع إلى مسلمة:

فقال: قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تتنحى عنهم، فقال مسلمة: إني أخشى غدرك، فحلف له أنه يدفع إليه مفاتيحها وما فيها، فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار، وغدر إليون بالمسلمين قبحه الله.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من بعده، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك، فعدل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب، وتربص بأخيه الدوائر، فمات أيوب في حياة أبيه، فبايع سليمان إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده، ونعم ما فعل. وفيها فتحت مدينة الصقالبة. قال الواقدي:

وقد أغارت البرجان على جيش مسلمة وهو في قلة من الناس في هذه السنة. فبعث إليه سليمان جيشا فتماثل البرجان حتى هزمهم الله عز وجل. وفيها غزا يزيد بن المهلب قهستان من أرض الصين فحاصرها وقاتل عندها قتالا شديدا، ولم يزل حتى تسلمها، وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبرا، وأخذ منها من الأموال والأثاث والأمتعة ما لا يحد ولا يوصف كثرة وقيمة وحسنا، ثم سار منها إلى جرجان فاستجاش صاحبها بالديلم، فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد بن المهلب وقاتلوه، فحمل محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي- وكان فارسا شجاعا باهرا- على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله، ولقد بارز ابن أبي سبرة هذا

يوما بعض فرسان الترك، فضربه التركي بالسيف على البيضة فنشب فيها، وضربه ابن أبي سبرة فقتله، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دما وسيف التركي ناشب في." (١)

"سيروا على بركة الله، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف. ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق فاجتمع إليه الناس أيضا من **المطوعة** المحتسبين أجورهم على الله، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومي المرعشي، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصروها إلى أن برح بهم، وعرض أهلها الجزية على مسلمة، فأبى إلا أن يفتحها عنوة، قالوا: فابعث إلينا إليون نشاوره. فأرسله إليهم، فقالوا له: رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا. فرجع إلى مسلمة، فقال له: قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها ما لم تنح عنهم. فقال مسلمة: إني أخشى غدرك، فحلف له أن يدفع إليه مفاتيحها وما فيها، فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار. وغدر إليون بالمسلمين، قبحه الله.

قال ابن جرير وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أن يكون الخليفة من بعده، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك بن مروان، فعدل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب، وتربص بأخيه الدوائر فمات أيوب في حياة أبيه، فبايع سليمان لابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده، ولنعم ما فعل. وفيها فتحت مدينة الصقالبة. قال." (٢)

"[ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة]

[الأحداث التي وقعت فيها]

فيها خرج عبد السلام بن هاشم اليشكري بأرض قنسرين، واتبعه خلق كثير، وقويت شوكته، فقاتله خلق من الأمراء، وجهز إليه المهدي جيوشا، وأنفق فيهم أموالا جزيلة، وهزم الخارجي الجيوش مرات، ثم إنه قتل بعد ذلك.

وفيها غزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفا من المرتزقة سوى **المطوعة**، فقهر الروم، وحرق بلدانا كثيرة وخربها، وأسر خلقا من الذراري.

وكذلك غزا يزيد بن أبي أسيد السلمي بلاد الروم من باب قاليقلا، فغنم وسلم وسبى خلقا كثيرا.

وفيها خرجت طائفة بجرجان، فلبسوا الحمرة؛ ولهذا يقال لهم: المحمرة. مع رجل يقال له: عبد القهار.

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٧٥/٩

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٣٣/١٢

فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان، فقهر عبد القهار، فقتله وأصحابه.

وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والآفاق على المجذمين." (١)

"وفيها وقعت وحشة بين الخليفة ومؤنس الخادم، بسبب أن الخليفة ولى الحسبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت، وكان أميرا على الشرطة أيضا، فقال مؤنس: إن الحسبة لا يتولاها إلا القضاة والعدول، وهذا لا يصلح لها، ولم يزل بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة أيضا، وانصلح الحال بينهما، ثم تجددت الوحشة بينهما في ذي الحجة من هذه السنة، وما زالت تتزايد حتى آل الحال إلى قتل المقتدر بالله، كما سنذكره.

وفي هذه السنة أوقع ثمل متولي طرسوس بالروم وقعة عظيمة جدا، قتل منهم خلقا كثيرا، وأسر نحوا من ثلاثة آلاف، وغنم من الذهب والفضة والديباج شيئا كثيرا جدا، ثم أوقع بهم مرة ثانية كذلك. وكتب ابن الديراني الأرمني إلى الروم يحضهم على الدخول إلى بلاد الإسلام، ووعدهم منه النصر والإعانة، فدخلوا في جحافل كثيرة جدا، وانضاف إليهم الأرمن، فركب إليهم مفلح، غلام يوسف بن أبي الساج، وهو يومئذ نائب أذربيجان واتبعه خلق كثير من **المطوعة**، فقصد أولا بلاد ابن الديراني، فقتل من الأرمن نحوا من مائة ألف، وأسر خلقا كثيرا، وغنم أموالا جزيلة جدا، وتحصن ابن الديراني بقلعة له هنالك، وجاءت الروم، فوصلوا إلى سميساط فحاصروها، فبعث أهلها يستصرخون بسعيد بن حمدان نائب الموصل فسار إليهم مسرعا، فوجد الروم قد كادوا يفتحونها، فلما علموا بقدومه أجلوا عنها واجتازوا بملطية فنهبوها، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم، ومعهم ابن نفيس المتنصر، وقد كان من أهل بغداد قبل ذلك كما ذكرناه قبل. وركب ابن حمدان في آثار الروم، فدخل." (٢)

"وعنده ألف رجل يخدمونه، وثلاثمائة يحلقون حجيجه، وثلاثمائة وخمسون يغنون ويرقصون على باب الصنم، وقد كان العبد – يعني الملك محمود بن سبكتكين – يتمنى قلع هذا الصنم، وكان يعوقه عنه طول المفاوز وكثرة الموانع، ثم استخار الله تعالى وتجشم بجيشه تلك الأهوال إليه في ثلاثين ألفا ممن اختارهم سوى **المطوعة**، فسلم الله تعالى حتى انتهينا إلى بلد هذا الوثن، فملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفا، وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار.

وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا أموالا جزيلة للملك محمود بن سبكتكين ليترك لهم هذا الصنم الأعظم،

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤٩٣/١٣

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٣/١٥

فأشار من أشار من الأمراء بقبول تلك الأموال الجزيلة، فقال: حتى أستخير الله تعالى. فلما أصبح قال: إني فكرت في الأمر فرأيت إذا نوديت يوم القيامة، فيقال: أين محمود الذي كسر الصنم؟ أحب إلي من أن يقال: أين محمود الذي ترك الصنم؟ ثم عزم فكسره، فوجد عليه وفيه من الذهب واللآلئ والجواهر النفيسة ما ينيف على ما بذلوه بأضعاف مضاعفة، مع ما ادخر الله تعالى له من الأجر الجزيل في الآخرة والثناء الجميل في الأولى، فرحمه الله وأكرم مثواه.

وفي يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة إلى بغداد فتلقاه الخليفة في دجلة في الطيار، ومعه الأكابر والأعيان، فلما واجه جلال الدولة قبل الأرض دفعات، ثم سار إلى دار الملك، وعاد الخليفة إلى داره، وأمر جلال الدولة أن يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الثلاث، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة وصمصامها وشرفها وبهائها، وكان الخليفة يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الخمس، فأراد جلال الدولة ذلك، فقيل: لا يحسن مساواة الخليفة. ثم صمم على ذلك في أوقات الصلوات الخمس.." (١)

"المشرقية، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج، فقتلت وغنمت وسلمت وكسرت وأسرت، ورجعت فبشرت بمقدمات الفتح والنصر، وجاء السلطان في جحافله والتفت عليه جميع العساكر البادي منهم والحاضر، فرتب الجيوش والأطلاب، وسار قاصدا بلاد الساحل، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفا غير المطوعة، فتسامعت الفرنج بمقدمه، فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم، ودخل معهم قومص أطرابلس الغادر وإبرنس الكرك الفاجر، وجاءوا بقضهم وقضيضهم وأهل أوجهم وحضيضهم، واستصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت، وضلال الناسوت واللاهوت، في خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، يقال: كانوا خمسين ألفا. وقيل: ثلاثا وستين ألفا. وقد خوفهم صاحب طرابلس بأس المسلمين، فاعترض عليه الإبرنس أرناط صاحب الكرك فقال له: لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم، والنار لا تخاف من كثرة الحطب. فقال القومص لهم: ما أنا إلا منكم، وسترون غب ما أقول لكم. فتقدموا وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك، وتحصنت عنه القلعة فلم يشتغل بها، وحاز البحيرة في حوزته، ومنع الكفرة أن يصلوا منها إلى غرفة، أو يروا للماء ريا، وأقبلوا في عطش لا يعلمه إلا." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦١٦/١٥

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٨٠/١٦

"لاجين، وهو الذي افتتحها ؛ وكان جملة ما افتتحه في هذه المدة القريبة قريبا من خمسين بلدا كل بلدة لها مقاتلة وقلعة ومنعة، فلله الحمد.

وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن شيئا كثيرا، وسبوا شيئا كثيرا لا يحد ولا يوصف، واستبشر الإسلام وأهله شرقا وغربا بهذا النصر العظيم والفتوحات الهائلة. وترك السلطان جيوشه ترتع في هذه الفتوحات والغنائم الكثيرة مدة شهور ؛ ليستريحوا ويجمعوا أنفسهم وخيولهم ليتأهبوا لفتح بيت المقدس الشريف، وطار في الناس أن السلطان عزم على فتح بيت المقدس فقصده العلماء والصالحون والمتطوعة من كل فج عميق، وجاء أخوه العادل بعد وقعة حطين وفتح عكا ففتح بنفسه حصونا كثيرة أيضا، فاجتمع من عباد الله ومن الجيوش المتطوعة خلق كثير وجم غفير، فعند ذلك قصد السلطان بيت المقدس بمن معه، كما سيأتي بيانه.

وقد امتدح الشعراء الملك صلاح الدين بسبب وقعة حطين فقالوا وأكثروا، وأطابوا وأطنبوا، وكتب إليه القاضي الفاضل من دمشق - وكان مقيما بها لمرض ناله -: ليهن المولى أن الله قد أقام به الدين القيم، وأنه كما قيل: أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. وأنه قد أسبغ عليه النعمتين ؛ الباطنة والظاهرة، وأورثه الملكين ؛ ملك الدنيا وملك الآخرة، كتب المملوك الخدمة، والرءوس إلى الآن لم ترفع من سجودها، والدموع لم تمسح من خدودها، وكلما فكر المملوك أن البيع تعود وهي مساجد، والمكان الذي كان يقال فيه: إن الله ثالث ثلاثة، يقال اليوم فيه: إنه الواحد. جدد لله شكرا تارة يفيض من لسانه." (١)

"الجيش والمطوعة والأعراب وغيرهم، ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول، ارفض ذلك الجمع، ولم يصبر لا هو ولا هم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

[من توفي فيها من الأعيان]

وفيها توفي من الأعيان:

واقف الصدرية الرئيس صدر الدين أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا بن بركات بن مؤمل التنوخي المعري ثم الدمشقي الحنبلي، أحد المعدلين ذوي الأموال والمروءات والصدقات الدارة البارة، وقف مدرسة للحنابلة، وقبره بها إلى جانب تربة القاضي المصري في رأس درب الريحان من ناحية الجامع الأموي، وقد ولي نظر الجامع مدة، وقد استجد أشياء كثيرة، منها سوق النحاسين قبلي الجامع، ونقل الصاغة إلى مكانها الآن،

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٦/٥٨٤

وقد كانت قبل ذلك حيث يقال لها: الصاغة العتيقة. وجدد الدكاكين التي بين أعمدة الزيادة، وثمر للجامع أموالا جزيلة، وكانت له صدقات كثيرة، وذكر عنه أنه." (١)

"[ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة]

[الأحداث الواقعة فيها]

فيها كان فتح مدينة طرابلس، وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيوش المنصورة المصرية في صحبته إلى دمشق فدخلها في الثالث عشر من صفر، ثم صار بهم وبجيش دمشق وصحبته خلق كثير من **المطوعة**؛ منهم القاضي نجم الدين الحنبلي قاضي الحنابلة، وخلق من المقادسة وغيرهم، فنازل طرابلس يوم الجمعة مستهل ربيع الأول، وحاصرها بالمجانيق حصارا شديدا، وضيقوا على أهلها تضييقا عظيما، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقا، فلما كان يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر فتحت طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوة، وشمل القتل والأسر جميع من فيها، وغرق كثير من أهل الميناء ونهبت الأموال، وسبيت النساء والأطفال، وأخذت الذخائر والحواصل، وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ، كان الملك صنجيل الفرنج حاصرها سبع سنين حتى ظفر بها كما ذكرنا، وقد كانت قبل ذلك في أيدي." (٢)

"لعكا، ونودي في دمشق: الغزاة في سبيل الله إلى عكا. وقد كان أهل عكا في هذا الحين عدوا على من عندهم من تجار المسلمين، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأبرزت المجانيق إلى ناحية الجسورة، وخرجت العامة **والمطوعة** يجرون في العجل، حتى الفقهاء والمدرسون والصلحاء، وتولى سياقتها الأمير علم الدين الدواداري، وخرجت العساكر بين يدي نائب الشام، وخرج هو في آخرهم، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر، وخرج الناس من كل صوب، واتصل بهم عسكر طرابلس، وركب الأشرف من الديار المصرية بعساكره قاصدا عكا، فتوافت الجيوش هنالك، فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر، ونصبت عليها المجانيق من كل ناحية يمكن نصبها عليها، واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاربتها والتضييق على أهلها، واجتمع الناس بالجامع لقراءة " صحيح البخاري "، فقرأه الشيخ شرف الدين الفزاري، وحضر القضاة والفضلاء والأعيان، وفي أثناء محاصرة عكا وقع تخبيط من نائب الشام حسام الدين لاجين، فتوهم أن السلطان يريد مسكه، وكان قد أخبره بذلك الأمير الذي يقال له: أبو خرص. فركب هاربا فرده علم الدين الدواداري

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٨٩/١٧

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦١٦/١٧

بالمسابه، وجاء به إلى السلطان، فطيب قلبه وخلع عليه، ثم أمسكه بعد ثلاثة أيام، وبعثه إلى قلعة صفد، واحتاط على حواصله، ورسم على أستداره بدر الدين بكداش، وجرى ما لا يليق وقوعه هنالك، إذ الوقت وقت عسر وضيق وحصار، وصمم السلطان على الحصار، فرتب الكوسات ثلاثمائة حمل، ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر." (١)

"[ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة]

[الأحداث الواقعة فيها]

وفيها كانت وقعة قازان، وذلك أن هذه السنة استهلت والخليفة الحاكم العباسي، وسلطان البلاد الشامية والمصرية وما يتبعها من الممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون، ونائب مصر سلار، وبالشام جمال الدين آقوش الأفرم، والقضاة بالديار المصرية والبلاد الشامية هم المذكورون في التي قبلها، وقد تواترت الأخبار بقصد التتر إلى بلاد الشام، وقد خاف الناس من ذلك خوفا شديدا، وجفل الناس من بلاد حلب وحماة، وبلغ كراء الجمل من حماة إلى دمشق نحو المائتي درهم، فلما كان يوم الثلاثاء ثاني المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من الديار المصرية قاصدا الشام، فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان إلى دمشق، وقد أقام بغزة قريبا من شهرين، وذلك لما بلغه قدوم التتر إلى الشام تهيأ لذلك، وجاء فدخل دمشق في اليوم الذي ذكرنا في مطر شديد ووحل كثير، ومع هذا خرج الناس لتلقيه والدعاء له، فنزل بالطارمة، وزينت له البلد وكثرت له الأدعية، وكان وقتا شديدا وحالا صعبا، وامتلأ البلد من الجافلين النازحين عن بلادهم، وجلس الأعسر وزير الدولة، وطالب العمال، واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش، وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول، ولم يتخلف أحد من الجيوش، وخرج معهم خلق كثير من **المطوعة**، وأخذ الناس في الدعاء والقنوت في الصلوات بالجامع وغيره، وتضرعوا واستغاثوا وابتهلوا إلى الله بالأدعية.." (٢)

"وفي شوال منها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتتر ويؤذي المسلمين، فشنق منهم طائفة، وسمر آخرون، وكحل بعضهم، وقطعت ألسن، وجرت أمور كثيرة.

وفي منتصف شوال درس بالدولعية قاضي القضاة جمال الدين الزرعي نائب الحكم عوضا عن جمال الدين بن الباجربقي.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٣٣/١٧

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٧١٧/١٧

وفي يوم السبت العشرين من شوال ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان، وخرج الشيخ تقي الدين ابن تيمية ومعه خلق كثير من **المطوعة** والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد دينهم وعقائدهم، وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا؛ حين اجتازوا ببلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم، وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيرا منهم، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فاستتابهم، وبين لكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال، وأقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله. وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذي القعدة، وتلقاه الناس بالشموع إلى طريق بعلبك وسط النهار.

وفي يوم الأربعاء سادس عشره نودي بالبلد أن يعلق الناس الأسلحة بالدكاكين، وأن يتعلم الناس الرمي، فعملت الآماجات في أماكن كثيرة من." (١)

"فأحرق، ثم انشمر إليون في السفن وأخذ ما أمكنه من أمتعة الجيس في الليل، وأصبح وهو في البلد محاربا للمسلمين، وأظهر العداوة الأكيدة، وتحصن واجتمعت عليه الروم، وضاق الحال على المسلمين حتى أكلوا كل شئ إلا التراب، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن عبد العزيز، فكروا راجعين إلى الشام، وقد جهدوا جهدا شديدا، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجدا بالقسطنطينية (١) شديد البناء محكما، رحب الفناء شاهقا في السماء (٢) .

وقال الواقدي: لما ولي سليمان بن عبد الملك أراد الإقامة ببيت المقدس، ثم يرسل العساكر إلى القسطنطينية، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والرساتيق والحصون، حتى يبلغ المدينة، فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها ووهنت قوتها، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع، فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد، ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة، فمتى ما فتحت فإن باقي ما دونها من البلاد والحصون بيدك، فقال سليمان: هذا هو الرأي، ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البرمائة وعشرين ألفا، وفي البحر مائة وعشرين ألفا من المقاتلة، وأخرج لهم الأعطية، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة، وأعلمهم بغزو القسطنطينية والإقامة إلى أن يفتحوها، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمر عليهم أخاه مسلمة، ثم قال:

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٧٣٠/١٧

سيروا على بركة الله، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف.

ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق، فاجتمع إليه الناس أيضا من **المتطوعة** المحتسبين أجورهم على الله، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومي المرعشي، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة، قالوا: فابعث إلينا إليون نشاوره، فأرسله إليهم، فقالوا له: رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملك علينا، فرجع إلى مسلمة: فقال: قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تتنحى عنهم، فقال مسلمة: إني أخشى غدرك، فحلف له أن يدفع إليه مفاتيحها وما فيها، فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار.

وغدر إليون بالمسلمين قبحه الله.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من بعده، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك، فعدل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب، وتربص بأخيه الدوائر، فمات أيوب في حياة أبيه، فبايع سليمان إلى ابن عمه عمر بن

---

(١) كان مسلمة قد بنى مدنية القهر حذاء مدينة القسطنطينية وبها بنى مسجدا عظيما.

(٢) انظر الكامل ج ٥ / ٢٩ والطبري ٨ / ١١٨ والعيون والحدائق ص ٢٥ والتنبيه والاشراف ص ١٦٥ ورواية لابن الاعثم مطولة مختلفة ٧ / ٢٩٨ وما بعدها.

(*). " (١)

"المال من عنده وأطلق اليهودي.

وجمع القاضي بين المصالح.

توفي أبو دلامة في هذه السنة، وقيل إنه أدرك خلافة الرشيد سنة سبعين فالله أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة فيها خرج عبد السلام بن هاشم اليشكري بأرض قنسرين واتبعه خلق كثير، وقويت شوكته فقاتله جماعة من الأمراء فلم يقدروا عليه، وجهز إليه المهدي جيوشا وأنفق فيهم أموالا فهزمهم مرات ثم آل الأمر به أن قتل بعد ذلك.

وفيها غزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفا (١) من المرتزقة سوى **المتطوعة**، فدمر الروم وحرق

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٩٨/٩

بلدانا كثيرة، وخرب أماكن وأسر خلقا من الذراري.
وكذلك غزا يزيد بن أبي أسيد (٢) السلمي بلاد الروم من باب قاليقلا فغنم وسلم وسبى خلقا كثيرا.
وفيها خرجت طائفة بجرجان فلبسوا الحمرة مع رجل يقال له عبد القهار، فغزاه عمرو بن العلاء من طبرستان فقهر عبد القهار وقتله وأصحابه.
وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والآفاق على المجذمين والمحبوسين، وهذه مثوبة عظيمة ومكرمة جسيمة.
وفيها حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن المنصور.
وفيها توفي من الأعيان: إبراهيم بن أدهم أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد.
كانت له همة عالية في ذلك رحمه الله.
فهو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد (٣) بن عامر بن إسحاق التميمي، ويقال له العجلي، أصله من بلخ ثم سكن الشام ودخل دمشق، وروى الحديث عن أبيه والأعمش ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة وأبي إسحاق السبيعي وخلق (٤) .
وحدث عنه خلق منهم بقية والثوري وأبو إسحاق الفزاري ومحمد بن حميد.
وحكى عنه الأوزاعي.
وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجزري عن إبراهيم بن أدهم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة.
قال: " دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي جالسا فقلت: يا رسول الله إنك تصلي جالسا فما أصابك؟ قال: الجوع يا أبا هريرة.
قال: فبكيت فقال: لا تبك فإن شدة يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا ".
ومن طريق بقية عن إبراهيم بن أدهم حدثني أبو إسحاق الهمداني، عن عمارة بن غزية، عن أبي هريرة.
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) في الطبري ٩ / ٣٤٢: ثلاثين.
(٢) في الطبري، وابن الاثير ٦ / ٥٨: يزيد بن أسيد.
(٣) في وفيات الاعيان ١ / ٣١ وفوات الوفيات ١ / ١٣: يزيد بن جابر أبو اسحاق (انظر صفة الصفوة

٤ / ١٥٢) .

(٤) زيد في الوفيات: أبو حازم وقتادة ومالك بن دينار (انظر صفة الصفوة ٤ / ١٥٨) .

(*)." (١)

"خوفا من القرامطة ففرح المسلمون بذلك وزينت بغداد يومئذ وضربت الخيام والقباب لمؤنس الخادم، وقد بلغ مؤنسا في أثناء الطريق أن القرامطة أمامه، فعدل بالناس عن الجادة، وأخذ بهم في شعاب وأودية أياما، فشاهد الناس في تلك الأماكن عجائب، ورأوا غرائب وعظاما في غاية الضخامة، وشاهدوا ناسا قد مسخوا حجارة.

ورأى بعضهم امرأة واقفة على تنور تخبز فيه قد مسخت حجرا، والتنور قد صار حجرا.

وحمل مؤنس من ذلك شيئا كثيرا إلى الخليفة ليصدق ما يخبر به من ذلك.

ذكر ذلك ابن الجوزي في منتظمه.

فيقال إنهم من قوم عاد أو من قوم شعيب أو من ثمود فالله أعلم.

وفيها عزل المقتدر وزيره سليمان بن الحسن بعد سنة وشهرين وتسعة أيام، واستوزر مكانه أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني، ثم عزله بعد شهرين وثلاثة أيام، واستوزر الحسين بن القاسم ثم عزله أيضا.

وفيها وقعت وحشة بين الخليفة ومؤنس، بسبب أن الخليفة ولى الحسبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت، وكان أميرا على الشرطة، فقال مؤنس: إن الحسبة لا يتولاها إلا القضاة والعدول وهذا لا يصلح لها.

ولم يزل بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة أيضا، وانصلح، الحال بينهما.

ثم تجددت الوحشة بينهما في ذي الحجة من هذه السنة، وما زالت تتزايد حتى آل الحال إلى قتل المقتدر بالله كما سنذكره.

وفيها أوقع ثمل متولي طرسوس بالروم وقعة عظيمة، قتل منهم خلقا كثيرا وأسر نحوا من ثلاثة آلاف، وغنم من الذهب والفضة والديباج شيئا كثيرا جدا، ثم أوقع بهم مرة ثانية كذلك.

وكتب ابن الديراني الأرمني إلى الروم يحثهم على الدخول إلى بلاد الإسلام ووعدهم النصر منه والإعانة، فدخلوا في جحافل عظيمة كثيرة جدا، وانضاف إليهم الأرمني فركب إليهم مفلح غلام يوسف بن أبي الساج وهو يومئذ نائب أذربيجان واتبعه خلق كثير من **المتطوعة**، فقصد أولا بلاد ابن الديراني فقتل من الأرمن نحوا من مائة ألف، وأسر خلقا كثيرا، وغنم أموالا جزيلة، وتحصن ابن الديراني في قلعة له هناك، وكاتب

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٠/١٤٤

الروم فوصلوا إلى شميشاط (١)

فحاصورها، فبعث أهلها يستصرخون سعيد بن حمدان نائب الموصل، فسار إليهم مسرعا، فوجد الروم قد كادوا يفتحونها، فلما علموا بقدومه رحلوا عنها واجتازوا بملطية فنهبوها، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم، ومعهم ابن نفيس المنتصر، وقد كان من أهل بغداد.

وركب ابن حمدان في آثار القوم فدخل بلادهم فقتل خلقا كثيرا منهم وأسر وغنم أشياء كثيرة.

قال ابن الأثير: وفي شوال من هذه السنة جاء سيل عظيم إلى تكريت ارتفع في أسواقها أربعة عشر شبرا، وغرق بسببه أربعمائة دار، وخلق لا يعلمهم إلا الله، حتى كان المسلمون والنصارى يدفنون جميعا، لايعرف هذا من هذا.

قال: وفيها هاجت بالموصل ريح محمرة ثم اسودت حتى كان الإنسان لا يبصر صاحبه نهارا، وظن الناس أنها القيامة ثم انجلى ذلك بمطر أرسله الله عليهم.

---

(١) الكامل ٨ / ٢٣٤: سميساط (*) .." (١)

"الدواب.

قال ابن الجوزي: وقد قيل إنه كان في برده كل بردة رطلان وأكثر، وفي واسط بلغت البردة أرطالا، وفي بغداد بلغت قدر البيض.

وفي ربيع الآخر سألت الاسفهلارية الغلمان الخليفة أن يعزل عنهم أبا كاليجار، لتهاونه بأمرهم، وفساده وفساد الأمور في أيامه، ويولي عليهم جلال الدولة، الذي كانوا قد عزلوه عنهم، فماطلهم الخليفة في ذلك وكتب إلى أبي كاليجار أن يتدارك أمره، وأن يسرع الأوبة إلى بغداد، قبل أن يفوت الأمر.

وألح أولئك على الخليفة في تولية جلال الدولة، وأقاموا له الخطبة ببغداد، وتفاقم الحال، وفسد النظام.

وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضا، وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بسومنات، وقد كانوا يفدون إليه من كل فج عميق، كما يفد الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم، وينفقون عنده النفقات والأموال الكثيرة، التي لا توصف ولا تعد، وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية، ومدينة مشهورة، وقد امتلأت خزائنه أموالا، وعنده ألف رجل يخدمونه، وثلثمائة رجل يحلقون رؤوس حجيجه، وثلثمائة رجل يغنون ويرقصون على بابه، لما يضرب على بابه الطبول والبوقات، وكان عنده

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٨٩/١١

من المجاورين ألوف يأكلون من أوقافه، وقد كان البعيد من الهنود يتمنى لو بلغ هذا الصنم، وكان يعوقه طول المفاوز وكثرة الموانع والآفات، ثم استخار الله السلطان محمود لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده، وكثرة الهنود في طريقه، والمفاوز المهلكة، والأرض الخطرة، في تجشم ذلك في جيشه، وأن يقطع تلك الأهوال إليه، فندب جيشه لذلك فانتدب معه ثلاثون ألفا من المقاتلة، ممن اختارهم لذلك، سوى **المتطوعة**، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن، ونزلوا بساحة عباده، فإذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة، قال: فما كان بأسرع من أن ملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفا وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار.

وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالا جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم، فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم، فقال: حتى أستخير الله عزوجل، فلما أصبح قال: إني فكرت في الأمر الذي ذكر فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم؟ أحب إلي من أن يقال

الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا، ثم عزم فكسره رحمه الله، فوجد عليه وفيه من الجواهر واللآلئ والذهب والجواهر النفيسة ما ينيف على ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة، ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل الذي مثقال دانق منه خير من الدنيا وما فيها، مع ما حصل له من الثناء الجميل الدنيوي، فرحمه الله وأكرم مثواه.

وفي يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة إلى بغداد فتلقاه الخليفة في دجلة في طيارة، ومعه الأكابر والأمراء، فلما واجه جلال الدولة الخليفة قبل الأرض دفعات، ثم سار إلى دار الملك، وعاد الخليفة إلى داره، وأمر جلال الدولة أن يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الثلاث، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة، وصمصامها وشرفها وبهائها، وكان الخليفة يضرب له الطبل في أوقات الخمس، فأراد جلال الدولة ذلك فقيل له يحمل هذه المساواة خليفة في ذلك، ثم صمم على ذلك في أوقات الخمس.

قال ابن الجوزي: وفيها وقع برد شديد." (١)

"أيدي الكفرة.

قال ابن الأثير: كان أول يوم منها يوم السبت، وكان يوم النيروز، وذلك أول سنة الفرس، واتفق أن ذلك كان أول سنة الروم، وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس برج الحمل، وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضا، وهذا شئ يبعد وقوع مثله، وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه، فسار إلى رأس

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٢/٢٨

الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى فخيم على قصر أبي سلام، ينتظر قدوم الحجاج، وفيهم أخته ست الشام وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين (١) ، ليسلموا من معرة برنس الكرك، فلما جاز الحجيج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار، ورعى الزرع وأكلوا الثمار، وجاءت العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلمت ورجعت، فبشر بمقدمات الفتح والنصر، وجاء السلطان بجحافله فالتفت عليه جميع العساكر، فرتب الجيوش وسار قاصدا بلا الساحل، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفا غير **المتطوعة**، فتسامعت الفرنج بقدومه فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم، وصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر، وجاؤوا بحدهم وحديدهم واستصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت، وضلال الناسوت، في خلق لا يعلم عدتهم إلا الله عزوجل، يقال كانوا خمسين ألفا وقيل ثلاثا وستين ألفا، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك فقال له لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم، وسترى غب ما أقول لك، فتقدموا نحو المسلمين وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك، وتحصنت منه القلعة فلم يعبأ بها، وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة، حتى صاروا من عطش عظيم، فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها حطين، التي يقال إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام، وجاء العدو المخذول، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان، وأسفر وجه

الإيمان واغبر وأقتم وأظلم وجه الكفر والطغيان، ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان، وذلك عشية يوم الجمعة، فبات الناس على مصافهم وأصبح صباح يوم السبت الذي كان يوما عسيرا على أهل الأحد وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوي بهم العطش، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيما، وكان ذلك عليهم مشؤوما، فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط، فرموه فتأجج نارا تحت سنابك خيولهم، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال، وتبارز الشجعان، ثم أمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة فحملوا وكان النصر من الله عزوجل، فمنحهم الله أكتافهم فقتل منهم

---

(١) في الكامل وابن خلدون: لاجين.

(*)." (١)

"بلاد الجزيرة وغيرها، وقد جاز أشموط (١) بن هولاكو خان الفرات وقرب من حلب، فعند ذلك عقدوا مجلسا بين يدي المنصور بن المعز التركماني (٢) ، وحضر قاضي مصر بدر الدين السنجاري (٣) ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام، وتفاوضوا الكلام فيما يتعلق بأخذ شئ من أموال العامة لمساعدة الجند، وكانت العمدة على ما يقوله ابن عبد السلام، وكان حاصل كلامه أنه قال: إذا لم يبق في بيت المال شئ ثم أنفقتم أموال الحوائض المذهبة وغيرها من الفضة والزينة، وتساويتم أنتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب بحيث لم يبق للجندي سوى فرسه التي يركبها، ساغ للحاكم حينئذ أخذ شئ من أموال الناس في دفع الأعداء عنهم، لأنه إذا دهم العدو البلاد، وجب على الناس كافة دفعهم بأموالهم وأنفسهم (٤) .

ولاية الملك المظفر قطز وفيها قبض الأمير سيف الدين قطز على ابن أستاذه نور الدين علي الملقب بالمنصور، وذلك في غيبة أكثر ال أمراء من مماليك أبيه وغيرهم في الصيد، فلما مسكه سيره مع أمه وابنيه وإخوته إلى بلاد الأشكري، وتسلطن هو وسمى نفسه بالملك المظفر (٥) ، وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين، فإن الله جعل على يديه كسر التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وبان عذره الذي اعتذر به إلى الفقهاء والقضاة وإلى ابن العديم، فإنه قال: لا بد للناس من سلطان قاهر يقاتل عن المسلمين عدوهم، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة.

وفيها برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى وطاء، برز في جحافل كثيرة من الجيش **والمتطوعة** والأعراب وغيرهم، ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول ارفض ذلك الجمع، ولم يسر لا هو ولا هم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها توفي من الأعيان:

واقف الصدرية صدر الدين أسعد بن المنجاة بن بركات بن مؤمل (٦) التنوخي المغربي ثم الدمشقي الحنبلي أحد المعدلين، ذوي الأموال، والمروءات والصدقات

---

(١) في تاريخ أبي الفداء ٣ / ١٩٩: سموط.

(٢) وكان الاجتماع برعاية الاتابكي قطز وأخذ رأي الامراء ومشايخ العلم (بدائع الزهور) .

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٩٢/١٢

(٣) في بدائع الزهور ١ / ١ / ٣٠١: السخاوي.

(٤) انظر تفاصيل ما حصل في المجلس من مشاورات في بدائع الزهور ١ / ١ / ٣٠١ - ٣٠٢.

(٥) كان ذلك يوم السبت سابع عشر ذي القعدة سنة ٦٥٧، وفي تاريخ أبي الفداء: في أوائل ذي الحجة.

(٦) في الوافي بالوفيات ٩ / ٤٤: أسعد المذكور توفي سنة ٦٠٦ هـ.

وهو جد صدر الدين المتوفي هذه السنة وهو أسعد بن عثمان بن أسعد - الذي ذكره المؤلف أنه توفي هذه السنة.

ولعل ايراده هنا سهو من الناسخ - وأسعد بن = (*)." (١)

"جعبر، ثم أقام بالقاهرة، وكان يعظ الناس وكان الناس ينتفعون بكلامه كثيرا.

توفي بالقاهرة يوم السبت الرابع والعشرين من المحرم، ودفن في تربته بالحسينية، وله نظم حسن، وكان من الصلحاء المشهورين رحمه الله.

الشيخ الصالح يس بن عبد الله المقري الحجام، شيخ الشيوخ محيي الدين النواوي، وقد حج عشرين حجة، وكانت له أحوال وكرامات.

الخونده غازية خاتون بنت الملك المنصور قلاوون، زوجة الملك السعيد.

الحكيم الرئيس علاء الدين [علي] (١) بن أبي الحزم (٢) بن نفيس، شرح القانون لابن سينا وصنف الموجز وغيره من الفوائد وكان يكتب من حفظه، وكان اشتغاله على ابن الدخواري، وتوفي بمصر في ذي القعدة.

الشيخ بدر الدين عبد الله بن الشيخ جمال الدين بن مالك النحوي، شارح الألفية التي عملها أبوه، وهو من أحسن الشروح وأكثرها فوائد، وكان لطيفا ظريفا فاضلا، توفي في يوم الأحد الثامن من المحرم، ودفن من الغد بب١ب الصغير.

والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة فيها كان فتح مدينة طرابلس: وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيوش المنصورة المصرية صحبته إلى دمشق، فدخلها في الثالث عشر من صفر، ثم سار بهم وبجيش دمشق وصحبته خلق كثير من **المتطوعة**، منهم القاضي نجم الدين الحنبلي، قاضي الحنابلة، وخلق من المقادسة

---

(١) من السلوك ١ / ٧٤٦ وتذكرة النبيه ١ / ١١٥.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٣/٢٥٠

(٢) في تذكرة ابن حبيب: الحرم (بالراء) .

(*)." (١)

"استهلت هذه السنة والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس العباسي، وسلطان البلاد الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون، ونائبه بمصر وأعمالها بدر الدين بيدرا، ووزيره ابن السلعوس الصاحب شمس الدين، ونائبه بالشام حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول، وصاحب مكة نجم الدين أبو نمي محمد بن إدريس بن علي بن قتادة الحسيني، وصاحب المدينة عز الدين جماز بن شيحة الحسيني، وصاحب الروم غياث الدين كيخسرو، وهو ابن ركن الدين قلج أرسلان السلجوقي، وصاحب حماة تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمد، وسلطان بلاد العراق وخراسان وتلك النواحي أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولى بن جنيكزخان.

وكان أول هذه السنة يوم الخميس وفيه تصدق عن الملك المنصور بأموال كثيرة جدا من الذهب والفضة، وأنزل السلطان إلى تربته في ليلة الجمعة فدفن بها تحت القبة، ونزل في قبره بدر الدين بيدرا، وعلم الدين الشجاعي، وفرقت صدقات كثيرة حينئذ، ولما قدم الصاحب شمس الدين بن السلعوس من الحجاز خلع عليه للوزارة، وكتب تقليده بها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر كاتب الإنشا بيده، وركب الوزير في أبهة الوزارة إلى داره، وحكم.

ولما كان يوم الجمعة (١) قبض على شمس الدين سنقر الأشقر وسيف الدين بن جرمك الناصري، وأفرج عن الأمير زين الدين كتبغا وكان قد قبض عليه مع طرقطاي (٢) ، ورد عليه إقطاعه، وأعيد التقي توبة إلى وزارة دمشق مرة أخرى.

وفيها أثبت ابن الخوي محضرا يتضمن أن يكون تدريس الناصرية للقاضي الشافعي وانتزعها من زين الدين الفارقي.

فتح عكا وبقية السواحل وفيها جاء البريد إلى دمشق في مستهل ربيع الأول لتجهيز آلات الحصار لعكا، ونودي في دمشق الغزاة في سبيل الله إلى عكا، وقد كان أهل عكا في هذا الحين عدوا على من عندهم من تجار المسلمين فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأبرزت المناجيق إلى ناحية الجسورة، وخرجت العامة **والمتطوعة** يجرون في العجل حتى الفقهاء والمدرسين والصلحاء، وتولى ساقها الأمير علم الدين الدويداري،

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٦٨/١٣

وخرجت العساكر بين يدي نائب الشام، وخرج هو في آخرهم، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر وخرج الناس من كل صوب، واتصل بهم عسكر طرابلس، وركب الاشرف من

---

(١) في السلوك ١ / ٧٦٢: سابع صفر.

(٢) طرنطاي، انظر ما سبق.

(*)." (١)

"مشهورا بذلك كتب ختما حسانا، وكتب الناس عليه ببغداد، وتوفي بها في هذه السنة، وله شعر رائق، فمنه ما أورده البرزالي في تاريخه عنه: تجدد الشمس شوقي كلما طلعت * إلى محياك يا سمعي ويا بصري (١) وأسهر الليل في أنس بلا ونس * إذ طيب ذكراك في ظلماته يسري (٢) وكل يوم مضى لا أراك به * فلست محتسبا ماضيه من عمري ليلي نهار إذا ما درت في خلدي * لأن ذكرك نور القلب والبصر ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة وفيها كانت وقعة قازان (٣) ، وذلك أن هذه السنة استهلت والخليفة والسلطان هما المذكوران في التي قبلها، ونائب مصر سلار، ونائب الشام آقوش الأفرم، وسائر الحكام هم المذكورون في التي قبلها، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام، وقد خاف الناس من ذلك خوفا شديدا، وجفل الناس من بلاد حلب وحماه، وبلغ كري الخيل من حماة إلى دمشق نحو المائتي درهم، فلما كان يوم الثلاثاء ثاني المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من مصر قاصدا
الشام، فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان إلى دمشق في مطر شديد ووحل كثير، ومع هذا خرج الناس لتلقيه، وكان قد أقام بغزة قريبا من شهرين، وذلك لما بلغه قدوم التتار إلى الشام، فتهيأ لذلك وجاء فدخل دمشق فنزل بالطارمة، وزينت له والبلد، وكثرت له الأدعية وكان وقتا شديدا، وحالا صعبا، وامتلأ البلد من الجافين النازحين عن بلادهم، وجلس الأعسر وزير الدولة وطالب العمال واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول ولم يتخلف أحد من الجيوش، وخرج معهم خلق كثير من **المتطوعة**، وأخذ الناس في الدعاء والقنوت في الصلوات بالجامع وغيره، وتضرعوا واستغاثوا وابتهلوا إلى الله بالأدعية.
وقعة قازان لما وصل السلطان إلى وادي الخزندار عند وادي سلمية، فالتقى التتر هناك يوم الاربعاء

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٣/٣٧٧

(1) عجزه في عقد الجمان (وفيات سنة ٦٩٨ هـ) : إلى محياك يا شمسي ويا قمري.
(٢) في تذكرة النبيه ١ / ٢١٩: واسهر الليل ذا أنس بوحشته * إذ طيب ذكرك في ظلمائه سمري وفي درة الاسلاك لابن حبيب ص ١٤٥: وأسمر الليل ... * في أنفاسه سمري (٣) كذا بالاصل ومختصر أبي الفداء، وفي السلوك ١ / ٨٨٢ وتذكرة النبيه ١ / ٢٢٠: غازان.
(*)." (١)

"القضاء إمام الدين توفي بمصر، وفي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء تكامل دخول العساكر صحبة نائب مصر سيف الدين سلار، وفي خدمته الملك العادل كتبغا، وسيف الدين الطراخي في تجمل باهر، ونزلوا في المرج، وكان السلطان قد خرج عازما على المجئ فوصل إلى الصالحية ثم عاد إلى مصر.
وفي يوم الخميس النصف من شعبان أعيد القاضي بدر الدين بن جماعة إلى قضاء القضاة بدمشق مع الخطابة بعد إمام الدين، ولبس معه في هذا اليوم أمين الدين العجمي خلعة الحسبة، وفي يوم سابع عشرة لبس خلعة نظر الدواوين تاج الدين الشيرازي عوضا عن فخر الدين بن الشيرجي، ولبس أقبجاشد الدواوين في باب الوزير شمس الدين سنقر الأعسر، وباشر الأمير عز الدين أيبك الدويدار النجيبي ولاية البر، بعد ما جعل من أمراء الطبلخانة، ودرس الشيخ كمال
الدين بن الزملكاني بأم الصالح عوضا عن جلال الدين القزويني يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان، وفي هذا اليوم ولي قضاء الحنفية شمس الدين بن الصفي الحريري عوضا عن حسام الدين الرومي، فقد يوم المعركة في ثاني رمضان، ورفعت الستائر عن القلعة في ثالث رمضان.
وفي مستهل رمضان جلس الأمير سيف الدين سلار بدار العدل في الميدان الأخضر وعنده القضاة والأمراء يوم السبت، وفي السبت الآخر خلع على عز الدين القلانسي خلعة سنية وجعل ولده عماد الدين شاهدا في الخزانة.
وفي هذا اليوم رجع سلار بالعساكر إلى مصر وانصرفت العساكر الشامية إلى مواضعها وبلدانها.
وفي يوم الاثنين عاشر رمضان درس علي بن الصفي بن أبي القاسم البصراوي الحنفي بالمدينة المقدمية.
وفي شوال فيها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتتر ويؤذي المسلمين، وشنق منهم طائفة وسمر آخرون وكحل بعضهم وقطعت ألسن وجرت أمور كثيرة.
وفي منتصف شوال درس بالدولعية قاضي القضاة جمال الدين الزرعي نائب الحكم عوضا عن جمال الدين

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٤/٨

بن الباجريقي، وفي يوم الجمعة العشرين منه ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان، وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من **المتطوعة** والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا حين اجتازوا ببلادهم، وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيرا منهم، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال، وأقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يديدون دين الحق، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر." (١)

"هشام ردت كنائس الملكية من أيدي اليعاقبة، وولي عليهم بطرك قريبا من مائة سنة، وكانت رياسة البطرك فيها لليعاقبة وكانوا يبعثون الأساقفة للنواحي، ثم صارت النوبة من ورائهم للحبشة يعاقبة.

ثم ملك بالقسطنطينية رجل من غير بيت الملك اسمه جرجس، فبقي أيام السفاح والمنصور وأمره مضطرب، ثم مات وملك بعده قسطنطين بن لاون وبنى المدن وأسكنها أهل أرمينية وغيرها. ثم مات قسطنطين بن لاون وملك ابنه لاون، ثم هلك لاون وملك بعده نقفور.

وفي سنة سبع وثمانين ومائة غزا الرشيد هرقلة ودوخ جهاتها، وصالحه نقفور ملك الروم على الجزية فرجع إلى الرقة وأقام شاتيا وقد كلب البرد، وأمن نقفور من رجوعهم فانتقض، فعاد إلى الرشيد وأناخ عليه حتى قرر الموادعة والجزية عليه ورجع.

ودخلت عساكر الصائفة بعدها من درب الصفصاق فدوخوا أرض الروم، وجمع نقفور ولقيهم فكانت عليه هزيمة شنعاء قتل فيها أربعون ألفا ونجا نقفور جريحا. وفي سنة تسعين ومائة دخل الرشيد بالصائفة إلى بلاد الروم في مائة وخمسة وثلاثين ألفا سوى **المطوعة**، وبث السرايا في الجهات، وأناخ على هرقلة ففتحها، وبلغ سبيها ستة عشر ألفا، وبعث نقفور بالجزية فقبل وشرط عليهم أن لا يعمر هرقلة.

وهلك نقفور في خلافة الأمين وولي ابنه أستبران قيصر، وغزا المأمون سنة خمس عشرة ومائتين إلى بلاد الروم ففتح حصونا عدة ورجع إلى دمشق. ثم بلغه أن ملك الروم غزا طرسوس والمصيصة وقتل منها نحوا من ألف وستمائة رجل، فرجع وأناخ على أنطواغوا حتى فتحها صلحا، وبعث المعتصم ففتح ثلاثين من

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٤/١٤

حصون الروم، وبعث يحيى بن أكثم بالعساكر فدوخ أرضهم، ورجع المأمون إلى دمشق. ثم دخل بلاد الروم وأناخ على مدينة لؤلؤة مائة يوم وجهز إليها العساكر مع عجيف مولاه، ورجع ملك الروم فنازل عجيفا، فأمده المأمون بالعسكر فرحل عنه ملك الروم وافتتح لؤلؤة صلحا. ثم سار المأمون إلى بلاد الروم ففتح سلعوس والبروة وبعث ابنه العباس بالعساكر فدوخ أرضهم وبنى مدينة الطولية ميلاد في ميل وجعل لها أربعة أبواب. ثم دخل غازيا بلاد الروم ومات في غزاته سنة ثمان عشرة ومائتين. وفي أيامه غلب قسطنطين على مملكة الروم وطرد ابن نقفور عنها، وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين فتح المعتصم عمورية وقصتها معروفة في أخباره. أهـ كلام ابن العميد. وأغفلنا من." (١)

"فتح جرجان وطبرستان

كان يزيد بن المهلب يريد فتحهما لما أنهما كانتا للكفار، وتوسطتا بين فارس وخراسان ولم يصبهما الفتح. وكان يقول وهو في جوار سليمان بالشام إذا قصت عليه أخبار قتيبة وما يفعله بخراسان وما وراء النهر، ما فعلت جرجان التي قطعت الطريق وأفسدت يوسس ونيسابور وليست هذه الفتوح بشيء والشأن في جرجان. فلما ولاه سليمان خراسان سار إليها في مائة ألف من أهل العراق والشام وخراسان سوى الموالي **والمتطوعة**، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة إنما هي جبال ومخارم يقوم الرجل على باب منها فيمنعه فابتدأ بقهستان فحاصرها وبها طائفة من الترك فكانوا يخرجون فيقاتلون وينهزمون في كل يوم ويدخلون حصنهم ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه دهقان يستأذن [١] يسأل في الصلح ويسلم المدينة وما فيها فصالحه وأخذ ما فيها من الأموال والكنوز والسبي ما لا يحصى، وقتل أربعة عشر ألفا من الترك، وكتب إلى سليمان بذلك. ثم سار إلى جرجان وكان سعيد بن العاصي قد صالحهم على الجزية مائة ألف في السنة فكانوا أحيانا يجبون مائة وأحيانا مائتين وأحيانا ثلاثمائة، وربما أعطوا ذلك وربما منعوا، ثم كفروا ولم يعطوا خراجا، ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا الطريق إلى خراسان على [٢] فكان الناس يسلكون على فارس وسلماس. ثم فتح قتيبة طريق قومس وبقي أمر جرجان حتى جاء يزيد فصالحوه. ولما فتح يزيد قهستان وجرجان طمع في طبرستان فاستعمل عبد الله بن معمر اليشكري على ساسان وقهستان، وخلف معه أربعة آلاف فارس، وسار إلى أدنى جرجان من جهة طبرستان ونزل بآمد. ونسا [٣] راشد بن عمر في أربعة آلاف. ودخل بلاد طبرستان فسأل صاحبها الأصبهبذ في الصلح، وأن يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها، ووجه أخاه عيينة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه، وإذا اجتمعا فعيينة على الناس واستجاش

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢/٢٧٢

الأصبهبذ أهل جيلان والديلم والتقوا فانهزم

[١] وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٠: «فأرسل صول، دهقان مهستان، الى يزيد يطلب منه ان يصالحه ويؤمنه على نفسه واهله وماله ليدفع اليه المدينة بما فيها، فصالحه ووفى له» .

[٢] بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٠: «ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا ذلك الطريق، فلم يكن يسلك طريق خراسان أحد إلا على فارس» .

[٣] وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٠: واستعمل على ايذوسا راشد بن عمرو." (١)

"بالنهوض إليهم وأنزل خزيمة بن خازم بنصيبين ردءا لهم. وقيل إن سبب خروجهم أن سعيد بن مسلم قتل الهجيم السلمي [١] فدخل ابنه إلى الخزر مستجيشا بهم على سعيد، ودخلوا أرمينية وهرب سعيد والخزر ورجعوا [٢] . وفي سنة سبع وثمانين غزا بالصائفة القاسم بن الرشيد وجعله قربانا لله وولاه العواصم، فأناخ على قرة وضيق عليها وبعث عليها ابن جعفر بن الأشعث فحاصر حصن سنان حتى جهد أهله وفادى الروم بثلاثمائة وعشرين أسيرا من المسلمين على أن يرحل عنهم، فأجابهم وتم بينهم الصلح ورحل عنهم، وكان ملك الروم يومئذ ابن زيني وقد تقدم ذكره فخلعه الروم وملكوا يقفور [٣] وكان على ديوان خراجهم ومات [٤] زيني بعد خمسة أشهر. ولما ملك يقفور كتب إلى الرشيد بما استفزه فسار إلى بلاد الروم وغازيا، ونزل هرقل وأثخن في بلادهم حتى سأل يقفور الصلح، ثم نقض العهد وكان البرد شديد الكلب وظن يقفور أن ذلك يمنعه من الرجوع، فلم يمنعه ورجع حتى أثخن في بلاده ثم خرج من أرضهم. وغزا بالصائفة سنة ثمان وثمانين إبراهيم بن جبريل ودخل من درب الصفصاف فخرج إليه يقفور ملك الروم وانهزم وقتل من عسكره نحوا من أربعين ألفا. وفي هذه السنة رابط القاسم بن الرشيد أبق [٥] وفي سنة تسع وثمانين كتب الرشيد وهو بالري كتب الأمان لشروين أبي قارن، ونداهرمز [٦] جدمازيار، مرزبان خستان صاحب الديلم [٧] . وبعث بالكتب مع حسين الخادم إلى طبرستان فقدم خستان ونداهرمز فأكرمهما الرشيد وأحسن إليهما وضمن ونداهرمز وشروين صاحبي طبرستان وذكرا كيف توجه الهادي لهما وحاصرهما. وفي سنة ست وثمانين كان فداء بين المسلمين حتى لم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودي. وفي سنة تسعين سار الرشيد إلى بلاد الروم بسبب ما قدمناه من غدر يقفور في مائة وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة، سوى الأتباع والمتطوعة ومن ليس له ذكر في الديوان، واستخلف المأمون

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣/٩١

[1] المنجم السلمي: ابن الأثير ج ٦ ص ١٦٣.

[٢] المعنى غير واضح تماما وفي الكامل ج ٦ ص ١٦٣: «فانهزم سعيد، وأقاموا نحو سبعين يوما، فوجه الرشيد خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد، فأصلحا ما أفسد سعيد، وأخرجا الخزر وسدا الثلمة» .

[٣] نقفور: ابن الأثير ج ٦ ص ١٨٥.

[٤] الأصح ماتت ريني وهي أم الملك قسطنطين كما مر معنا.

[٥] أوق: مر ذكرها سابقا.

[٦] لوندا هرمز: ابن الأثير ج ٦ ص ١٩١.

[٧] وأمانا لمرزبان بن جستان صاحب الديلم: المرجع السابق.." (١)

"أمر المطوعة

ولما كثر الهرج ببغداد وامتدت أيدي الدعاوي [١] باذاية الناس في أموالهم وأفشى المناكير فيهم وتعذر ذلك، فخرجوا إلى القرى فانتهبوها. «واستعدى الناس أهل الأمر فلم يغدوا عليهم فتمشى الصلحاء من عمل ريظ وكل بينهم ورأوا أنهم في كل درب قليلون بالنسبة إلى خيارهم فاعتزموا على مدافعتهم واشتد خالد المدريوش من أهل، بغداد فدعا جيرانه وأهل محلته إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن يغيروا على السلطان. فشد على من كان عندهم من أدعار وحبسهم ورفعهم إلى السلطان وتعدى ذلك إلى غير محلته. ثم قام بعده سهل بن سلامة الأنصاري من الحريشية من أهل خراسان ويكنى أبا حاتم فدعا إلى مثل ذلك وإلى العمل بالكتاب والسنة وعلق في عنقه مصحفا وعبر على العامة وعلى أهل الدولة فبايعوه على ذلك وعلى قتال من خالف» . [٢] وبلغ خبرهما إلى منصور بن المهدي وعيسى بن محمد بن أبي خالد فنكروا ذرك لأن أكثر الدعار كانوا يشايعونهم على أمرهم، فدخلوا بغداد بعد أن عقد عليه الصلح مع الحسن بن سهل على الأمان له ولأهل بغداد، وانتظروا كتاب المأمون ورضي أهل البلد بذلك، فسهل عليهم أمر المدريوش وسهل.

---

[١] وفي الكامل ج ٦ ص ٣٢٤: وفي هذه السنة (٢٠١) تجردت المتطوعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان سبب ذلك ان فساق بغداد والشطار آذوا الناس أذى شديدا، وأظهروا الفسق، وقطعوا الطريق

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٨٣/٣

وأخذوا النساء والصبيان علانية ... »

[٢] العبارات بين القوسين مبهمة والأسماء محورة، وفي الكامل ج ٦ ص ٣٢٥: فلما رأى الناس ذلك قام صلحاء كل ربض ودرب، ومشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنما في الدرب الفاسق والفاسقان إلى العشرة، وأنتم أكثر منهم، فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفساق، ولعجزوا عن الذي يفعلونه، فقام رجل يقال له خالد الدريوش، فدعا جيرانه وأهل محلته، على ان يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفأجابوه إلى ذلك، فشد على من يليه من الفساق وحبسهم، ورفعهم إلى السلطان إلا أنه كان لا يرى ان يغير على السلطان شيئا. ثم قام بعده رجل من الحربية يقال له سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان ويكنى أبا حاتم، فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل بالكتاب والسنة، وعلق مصحفا في عنقه، وأمر أهل محلته ونهاهم، فقبلوا منه، ودعا الناس جميعا، الشريف والوضيع من بني هاشم وغيرهم، فأتاه خلق عظيم فبايعوه على ذلك، وعلى القتال معه لمن خالفه، وطاف ببغداد وأسواقها، وكان قيام سهل لأربع خلون من رمضان، وقيام الدريوش قبله بيومين أو ثلاثة» .." (١)

"وآخرين ترجع العسكر الذي عقبه المضيق حتى ضجرت الخرمية من المطاولة، وانصرف بعض الأيام وتأخر جعفر فخرج الخرمية من البذ على أصحابه فردهم جعفر على أعقابهم، وارتفع الصياح ورجع الأفشين وقد نشبت الحرب. وكان مع أبي دلف من أصحاب جعفر قوم من **المطوعة** فضيقوا على أصحاب بابك وكانوا يصدعون البذ، وبعث جعفر إلى الأفشين يستمده خمسمائة راجل من الناشبة فأتى له وأمره بالتحيل في الانصراف، وتعلق أولئك **المطوعة** بالبذ وارتفع الصياح وخرج الكمناء من تحت العقبة، وتبين الأفشين أماكنهم واطلع على خدعتهم. وانصرف جعفر إلى الأفشين وعاتبه فاعتذر إليه يستأمن الكمين وأراه مكانه، فانصرف عن عتابه وعلم أن الرأي معه. وشكا **المطوعة** ضيق العلوفة والزاد فأذن لهم في الانصراف وتناولوه بألسنتهم، ثم طلبوه في المناهضة فأذن لهم وواعدهم ليوم معلوم، وجهز وحمل المال والزاد والماء والمحامل لجرجان، وتقدم إلى مكانه بالأمس وجهز العسكر على العقبة على عادته، وأمر جعفرا بالتقدم **بالمطوعة** وأن يأتوا من أسهل الوجوه وأطلق يده بمن يريده من الناشبة والنفاطين، وتقدم جعفر إلى مكانه بالأمس **والمتطوعة** معه، فقاتلوا وتعلقوا بسور البذ حتى ضرب جمعهم ما به وجاء الفعلة بالفئوس وطيف عليهم بالمياه والأزودة ثم جاء الخرمية من الباب وكسروا على **المطوعة** وطرحوهم على السور ورموهم بالحجارة فنالت منهم وضعفوا عن الحرب، ثم تحاجزوا آخر يومهم وأمرهم الافشين بالانصراف وداخلهم اليأس من

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣٠٩/٣

الفتح تلك السنة، وانصرف أكثر **المطوعة**. ثم عاود الأفشين الحرب بعد أسبوعين وبعث من جوف الليل ألفا من الناشبة إلى الجبل الذي وراء البذ حتى يعاينوا الأفشين من هذه الناحية فيرمون على الخرمية. وبعث عسكرا آخر كمينا تحت ذلك الجبل الذي وراء البذ، وركب هو من الغداة إلى المكان الذي يقف فيه على عادته. وتقدم جعفر الخياط والقواد حتى صاروا جميعا حول ذلك الجبل، فوثب كمين بابك من أسفل الجبل بالعسكر الذي جاء إليه لما فضحهم الصبح، وانحدر الناشبة من الجبل وقد ركبوا الأعلام على رماحهم، وقصدوا جميعا أدين قائد بابك في جفلة، فانحدر إلى الوادي، فحمل عليه جماعة من أصحاب القواد فرمى عليهم الصخور من الجبل وتحدرت إليهم ولما رأى ذلك بابك استأمن للأفشين على أن يحمل عياله من البذ، وبينما هم في ذلك إذ جاء الخبر إلى الأفشين بدخول البذ، وأن الناس صعدوا بالأعلام فوق قصور بابك حتى دخل واديا هنالك." (١)

"انتقاض أهل حمص [١]

وفي سنة سبع وثلاثين وثب أهل حمص بعاملهم أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافعي بسبب أنه قتل بعض رؤسائهم فأخرجوه وقتلوا من أصحابه، فولى مكانه محمد بن عبدويه الأنباري فأساء إليهم وعسف فيهم فوثبوا به، وأمره المتوكل بجند من دمشق والرملة فظفر بهم وقتل منهم جماعة، وأخرج النصارى منها وهدم كنائسهم وأدخل منها بيعة في الجامع كانت تجاوره.

اغارة البجاة على مصر

كانت الهدنة بين أهل مصر والبجاة من لدن الفتح، وكان في بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس إلى أهل مصر، فامتنعوا أيام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين بالمعادن، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المتوكل فشاور الناس في غزوهم فأخبروه أنهم أهل إبل وشاء وأن بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر ولا بد فيها من الزاد، إن فنيت الأزواد هلك العسكر فأمسك عنهم. وخاف أهل الصغد [٢] من شرهم، فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمي على أسوان وقفط والأقصر وأستا وأرمنت، وأمره بحرب البجاة. وكتب إلى عنبسة بن إسحاق الضبي عامل مصر بتجهيز العساكر معه وأزاحه عليهم فسار في عشرين ألفا من الجند **والمتطوعة**، وحملت المراكب من القلزم بالدقيق والتمر والأدم إلى سواحل بلاد البجاة وانتهى إلى حصونهم وقلاعهم. وزحف إليه ملكهم واسمه علي بابا في أضعاف عساكرهم على المهاري [٣] ، وطاولهم علي بابا رجاء أن تفنى أزوادهم فجاءت المراكب وفرقها القمي في أصحابه، فناجزهم البجاة الحرب

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣/٣٢٥

وكانت إبلهم نفورة، فأمر القمي جنده باتخاذ الأجراس بخيلهم. ثم حملوا عليهم فانهزموا وأثخن فيهم قتلا وأسرا حتى استأمنوا على أداء الخراج لما سلف ولما يأتي وأن يرد إلى مملكته، وسار مع القمي إلى المتوكل واستخلف ابنه، فخلع القمي عليه وعلى أصحابه، وكسا أرجلهم الجلال

---

[١] ذكر ابن الأثير هذه الحادثة في حوادث سنة ٢٤٠ وسنة ٢٤١.

[٢] مقتضى السياق: أهل الصعيد كما في الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٧٨.

[٣] المهاري: إبل فره.." (١)

"المديحة وولاهم طريق ما بين مصر ومكة، وولى عليهم سعدا الإتياخي [١] الخادم فولى سعد محمد القمي فرجع معهم واستقامت ناحيتهم.

الصوائف

وفي سنة ثمان وثلاثين ورد على دمياط اسطول الروم في مائة مركب [٢] فكبسوها وكانت المسلحة الذين بها قد ذهبوا إلى مصر باستدعاء صاحب المعونة عنبسة بن إسحاق الضبي فانتهزوا الفرصة في مغيبهم وانتهبوا دمياط وأحرقوا الجامع بها وأوقروا سفنهم سبيا ومتاعا، وذهبوا إلى تنيس ففعلوا فيها مثل ذلك وأقطعوا. وغزا بالصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الأرميني [٣] صاحب الصوائف. وفي سنة إحدى وأربعين كان الفداء بين الروم وبين المسلمين وكانت تدورة ملكة الروم قد حملت أسرى المسلمين على التنصر فتنصر الكثير منهم. ثم طلبت المفاداة فيمن بقي فبعث المتوكل سيفا [٤] الخادم بالفداء ومعه قاضي بغداد جعفر بن عبد الواحد واستخلف على القضاء ابن أبي الشوارب وكان الفداء على نهر اللامس ثم أغارت الروم بعد ذلك على روبة [٥] فأسروا من كان هنالك من الزط وسبوا نساءهم وأولادهم ولما رجع علي بن يحيى الأرميني من الصائفة خرجت الروم في ناحية سميساط فانتهوا إلى آمد واكتسحوا نواحي الثغور والخزرية [٦] نهبا وأسروا نحوا من عشرة آلاف ورجعوا واتبعهم قرشاس [٧] وعمر بن عبد الأقطع وقم من المتطوعة فلم يدركوهم وأمر المتوكل علي بن يحيى أن يدخل بالثانية في تلك السنة ففعل. وفي سنة أربع وأربعين جاء المتوكل من بغداد إلى دمشق وقد اجتمع نزولها ونقل الكرسي إليها فأقام بها شهرين، ثم استوبأها ورجع بعد أن بعث بغا الكبير في العساكر للصائفة فدخل بلاد الروم فدوخها واكتسحها من سائر النواحي ورجع. وفي سنة خمس وأربعين أغارت الروم على

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣٤٦/٣

[١] الإيتاخي: ابن الأثير ج ٧ ص ٧٩.

[٢] ثلاثمائة مركب: ابن الأثير ج ٧ ص ٦٨.

[٣] علي بن يحيى الأرمني: ابن الأثير ج ٧ ص ٧٠.

[٤] شنيفا الخادم: ابن الأثير ج ٧ ص ٧٧.

[٥] عين زربة: ابن الأثير ج ٧ ص ٨٠.

[٦] وفي الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٨١: «خرجت الروم من ناحية سميساط بعد خروج علي بن يحيى الارمني من الصائفة، حتى قاربوا آمد، وخرجوا من الثغور والجزرية ... » وكذلك في الطبري ج ١١ ص ٥٥.

[٧] قريباس: ابن الأثير ج ٧ ص ٨١، قريباس: الطري ج ١١ ص ٥٥.." (١)

"بخبره [١] ، فأمر بقتله وحمل إليه رأسه ونصب بسامرا وأحرقت المغاربة شلوه وكان قصد دار صالح بن وصيف ليثبوا على المعتز.

ابتداء دولة الصفار

كان يعقوب بن الليث عمر [٢] : الصفر بسجستان وكان صالح بن النضر الكناني من أهل البيت قد ظهر بتلك الناحية وقام يقاتل الخوارج وسمى أصحابه المتطوعة حتى قيل له صالح المطوعي وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث هذا وغلبوا على سجستان، ثم أخرجهم عنها طاهر بن عبد الله أمير خراسان. وهلك صالح إثر ذلك وقام بأمر المتطوعة درهم بن الحسن فكثر أتباعه. وكان يعقوب بن الليث شهما وكان درهم مضعفا، واحتال صاحب خراسان حتى ظفر به وحبس ببغداد، فاجتمعت المتطوعة على يعقوب بن الليث، وقام بقتال السراة وأتيح له الظفر عليهم وأثخن فيهم وخرب قراهم، وكانت له شرية في أصحابه لم تكن لأحد قبله، فحسنت طاعتهم له وعظم أمره وملك سجستان مظهرا طاعة الخليفة وك ا تبه وقلده حرب السراة، فأحسن الغناء فيه وتجاوزه إلى سائر أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم سار من سجستان إلى نواحي خراسان وعليها يومئذ محمد بن عبد الله بن طاهر، وعلى هراة من قبله محمد بن أوس الأنباري، فجمع لمحاربة يعقوب وسار إليهم في التعبية، فاقتتلوا وانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة وبوشنج، وعظم أمره وهابه صاحب خراسان وغيرها من الأطراف. وكان المعتز قد كتب له بولاية

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣٤٧/٣

سجستان، فكتب له الآن بولاية كرمان، وكان على فارس علي بن الحسين بن شبل، وأبطأ عامل الخراج واعتذر، فكتب له المعتز بولاية كرمان يريد إعداء كل منهما بصاحبه لأن طاعتهما مهوضة [٣] فأرسل علي

---

[١] يبدو من سياق المعنى ان جملة سقطت أثناء النسخ وفي الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ١٨٧: «فسار بغا الى الجسر في الثلث الأول من الليل، فبعث الموكلون بالجسر ينظرون من هو، فصاح بالغلام فرجع، وخرج بغا في البستان الخاقاني، فلحقه عدة من الموكلين فوقف لهم بغا وقال: انا بغا، اما ان تذهبوا معي إلى صالح بن وصيف واما ان تصيروا معي حتى أحسن إليكم. فتوكل به بعضهم وأرسلوا إلى المعتز بالخبر ... »

[٢] بياضان في الأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ١٨٤: «وكان يعقوب بن الليث وأخوه عمر ويعملان الصغر بسجستان.

[٣] إذا كانت من فعل «هاض» فينبغي ان تكون «مهيضة» اي مكسورة.." (١)

"ودعا الغلمان من الزنوج ووعدهم بالعتق فاجتمع له منهم خلق وخطبهم ووعدهم بالملك ورغبهم في الإحسان وحلف لهم وكتب لهم في خرقة إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية. واتخذها راية وجاءه موالي الزنوج في عبيدهم فأمر كل عبد أن يضرب مولاه وحبسهم ثم أطلقهم، ولم يزل هذا رأيه والزنوج في متابعته والدخول في أمره وهو يخطبهم في كل وقت ويرغبهم. ثم عبر دجيلا إلى نهر ميمون، فأخرج عند الحميري وملكه وسار إلى الأيلة وبها ابن أبي عون فخرج إليه في أربعة آلاف فهزمهم ونال منهم. ثم سار إلى القادسية فنهبها وكثر سلاحهم، وخرج جماعة من أهل البصرة لقتاله، فبعث إليهم يحيى بن محمد في خمسمائة رجل فهزمهم وأخذ سلاحهم. ثم طائفة أخرى كذلك وأخرى، وخرج قائدان من البصرة فهزمهما وقتل منهما، وكانت معهما سفن ألقتها الريح إلى الشط فغنموا ما فيها وقتلوا وكثر عيثه وفساده. وجاء أبو هلال من قواد الأتراك في أربعة آلاف مقاتل فلقيه على نهر الريان فهزمه الزنج واستلحموا أكثر أصحابه، ثم خرج أبو منصور أحد موالي الهاشميين في عسكر عظيم من **المطوعة** والبلالية والسعدية فسرح للقائهم علي بن أبان فلقي طائفة منهم فهزمهم، ثم أرسل طائفة أخرى إلى مرفأ السفن وفيه نحو من ألفي سفينة فهرب عنها أهلها ونهبوها، ثم جاءت عساكر أبي منصور وقعد الزنوج لهم بين النخل وعليهم علي بن أبان، ومحمد بن مسلم، فهزموا العسكر وقتلوا منهم وأخذوا سلاحهم. ثم سار فنهب القرى حتى امتلأت أيديهم بالنهب.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣/٣٦٧

ثم سار يريد البصرة ولقيته عساكرها فهزمهم الزنج وأثخنوا فيهم. ثم سار من الغد نحو البصرة وخرج إليه أهلها واحتشدوا وزحفوا إليه برا وبحرا فلقيهم بالسد وانهزموا هزيمة شنعاء كثر فيها القتل. ووهن أهل البصرة وكتبوا إلى الخليفة فبعث إليهم جعلان التركي مددا وولى على الأبلة أبا الأحوص الباهلي وأمه بجند من الأتراك، وقد بث صاحب الزنج أصحابه يمينا وشمالا للغارة والنهب. ولما وصل جعلان إلى البصرة، نزل على فرسخ منهم وخندق عليه، وأقام ستة أشهر يسرح لحربهم الزيني مع بني هاشم ومرجف. ثم بيته الزنج فقتلوا جماعة من أصحابه، وتحول عن مكانه ثم انصرف عن حربهم وظفر صاحب الزنج بعده من المراكب غنم فيها أموالا عظيمة، وقتل أهلها وألح بالغارات على الأبلة إلى أن دخلها عنوة آخر رجب سنة ست وخمسين، وقتل عاملها أبا الأخوص عبيد الله ابن حميد الطوسي وخلقا من أهلها واستباحها وأحرقها وبلغ ذلك أهل عبادان." (١)

"كيغلغ الغزو وبلغ سكند [١] وافتتحها، وسار إلى الليس فبلغ خمسين ألف رأس.

وقتل من الروم خلقا ثم استأمن البطريق المتولي الثغور من جهة الروم إلى المكتفي، وخرج بمائتي أسير من المسلمين. وكان ملك الروم قد شعر بأمره وبعث من يقبض عليه، فقتل الأسرى المسلمون من جاء للقبض عليه وغنموا عسكرهم. واجتمع الروم على محاربة البطريق انذوقس [٢] وزحف المسلمون لخلاصه وخلاص من معه من الأسرى، فبلغوا قونية وخربوها وانصرف الروم، ومر المسلمون في طريقهم بحصن أندوس فخرج معهم بأهله وسار إلى بغداد. وفي سنة إحدى وتسعين خرج الترك إلى ما وراء النهر في خلق لا يحصون، فبعث إليهم إسماعيل عسكرا عظيما من الجند والمطوعة فكبسوهم واستباحوهم. وفي سنة ثلاث وتسعين افتتح إسماعيل مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم.

الولايات بالنواحي

قد ذكرنا ولايات خاقان المفلحي على الري، ثم إسماعيل بن أحمد بن سامان بعده، وولاية عيسى النوشري على مصر بعد انتزاعها من بني طولون، وولاية أبي العشائر أحمد بن نصر على طرسوس وعزل مظفر بن حاج عنها سنة تسعين، ثم عزل أبي العشائر وولاية رستم بن برد، وسنة اثنتين وتسعين. وانتزاع الليث بن علي بن الليث بلاد فارس من يد طاهر بن محمد سنة ثلاث وتسعين بعد أن كان المكتفي عقد له عليها سنة تسعين، وولاية أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل سنة ثلاث وتسعين.

وفي هذه السنة ثار داعية القرامطة باليمن إلى صنعاء فملكها واستباحها وتغلب على كثير من مدن اليمن

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣/٣٧٨

وبعث المكتفي المظفر بن الحاج في شوال من هذه السنة إلى عمله باليمن فأقام به وفي سنة إحدى وتسعين توفي الوزير أبو القاسم بن عبيد الله واستوزر مكانه العباس بن الحسن.

وفاة المكتفي وبيعة المقتدر

ثم توفي المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد في شهر جمادى سنة خمس وتسعين لست سنين ونصف من ولايته، ودفن بدار محمد بن طاهر من بغداد بعد أن عهد

---

[١] هي مدينة بيكند وفي الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٥٥٢ شكند.

[٢] اندرونقس: ابن الأثير ج ٧ ص ٥٥٢.." (١)

"الزيداني وغيره من الأرمن في نواحي أرمينية وحثوا الروم على قصد بلاد الإسلام، فساروا وخربوا نواحي خلاط وقتلوا وأسروا فسار إليهم مفلح غلام يوسف بن أبي الساج من أذربيجان في جموع من الجند **والمتطوعة**، فأثخن في بلاد الروم حتى يقال إن القتلى بلغوا مائة ألف، وخرب بلاد ابن الزيداني ومن وافقه، وقتل ونهب. ثم جاءت الروم إلى سميساط فحصروها وأمدهم سعيد بن حمدان، وكان المقتدر ولاه الموصل وديار ربيعة على أن يسترجع ملطية من الروم. فلما جاء رسول أهل سميساط إليهم فأجفل الروم عنها فسار إلى ملطية وبها عساكر الروم ومليح الأرمني صاحب الثغور الرومية، وبني بن قيس صاحب المقتدر الذي تنصر. فلما أحسوا بإقبال سعيد هربوا وتركوها خشية أن يثب بهم أهلها وملكها سعيد فاستخلف عليها وعاد إلى الموصل.

الولايات على النواحي أيام المقتدر

كان بأصبهان عبد الله بن إبراهيم المسمعي عاملا عليها، خالف الأول ولاية المقتدر وجمع من الأكراد عشرة آلاف، وأمر المقتدر بدرا الحمامي عامل أصبهان بالمسير إليه.

فسار إليه في خمسة آلاف من الجند وأرسل من يخوفه عاقبة المعصية، فراجع الطاعة وسار إلى بغداد واستخلف على أصبهان. وكان على اليمن المظفر بن هاج. ففتح ما كان غلب عليه الحرثي باليمن وأخذ الحلتمي من أصحابه. وكان على الموصل أبو الهيجاء بن حمدان، وسار أخوه الحسين بن حمدان وأوقع بأعراب كلب وطيئ، وأسر سنة أربع وتسعين. ثم سار إلى الأكراد المتغلبين على نواحي الموصل سنة خمس وتسعين فاستباحهم وهربوا إلى رءوس الجبال. وخرج بالحاج في سنة أربع وتسعين وصيف بن سوارتكين

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤٤٦/٣

فحصره أعراب طيئ بالقتال وأوقعهم فهزمهم، ومضى إلى وجهه. ثم أوقع بهم هنالك الحسن بن موسى فأثخن فيهم. وكان على فارس سنة ست وتسعين اليشكري [١] غلام عمرو بن الليث، فلما تغلب وكان على الثغور الشامية أحمد بن كيغلغ في سنة سبع وتسعين ملك الليث فارس من يد اليشكري، ثم جاءه مؤنس فغلبه وأسره ورجع اليشكري إلى عمله كما مر في خبره.

وفي سنة ست وتسعين وصل ناسر موسى بن سامان وقلد ديار ربيعة وقد مر ذكره.

---

[١] سبكرى: ابن الأثير ج ٨ ص ٥٦.." (١)

"الصوائف أيام المتقي

خرج الروم سنة ثلاثين أيام المتقي وانتهوا إلى قرب حلب فعاثوا في البلاد وبلغ سبيهم خمسة آلاف. وفيها دخل ثمل من ناحية طرسوس فعاث في بلاد الروم، وامتلأت أيدي عسكره من الغنائم، وأسر عدة من بطارقتهم. وفي سنة إحدى وثلاثين بعث ملك الروم إلى المتقي يطلب منه منديلا في بيعة الرها زعموا أن المسيح مسح به وجهه، فارتسمت فيه صورته، وأنه يطلق فيه عددا كثيرا من أسرى المسلمين، واختلف الفقهاء والقضاة في إسعافه بذلك، وفيه غضاضة أو منعه ويبقى المسلمون بحال الأسر. فأشار عليه علي ابن عيسى بإسعافه لخلاص المسلمين، فأمر المتقي بتسليمه إليهم. وبعث إلى ملك الروم من يقوم بتسليم الأسرى. وفي سنة اثنتين وثلاثين خرجت طوارق من الروس [١] في البحر إلى نواحي أذربيجان، ودخلوا في نهر اللكز إلى بردعة. وبها نائب المرزبان ابن محمد بن مسافر ملك الديلم بأذربيجان، فخرج في جموع الديلم **والمطوعة** فقتلوهم، وقاتلوهم فهزموهم الروس وملكوا البلد، وجاءت العساكر الإسلامية من كل ناحية لقتالهم فامتنعوا بها، ورماهم بعض العامة بالحجارة فأخرجوهم من البلد وقاتلوا من بقي، وغنموا أموالهم واستبدوا بأولادهم ونساءهم. واستنفر المرزبان الناس وزحف إليهم في ثلاثين ألفا، فقاتلوهم فامتنعوا عليه فأكمن لهم بعض الأيام فهزمهم وقتل أميرهم، ونجا الباقون إلى حصن البلد، وحاصرهم المرزبان وصابرهم. ثم جاءه الخبر بأن أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان بلغ سلماس موجها إلى أذربيجان بعثه إليها ابن عمه ناصر الدولة ليتملكها، فجهز عسكرا لحصار الروس في بردعة، وسار إلى قتال ابن حمدان. فارتحل ابن حمدان راجعا إلى ابن عمه باستدعائه بالانحدار إلى بغداد. لما مات تورون وأقام العسكر على حصار الروس ببردعة، حتى هربوا من البلد وحملوا ما قدروا عليه، وطهر الله البلد منهم. وفيها ملك الروم رأس عين

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤٨١/٣

واستباحوها ثلاثا وقاتلهم الأعراب ففارقوها.

---

[١] الروس وهم المسمون الآن بالموسقو وهم عدد كثير (أهـ) من خط الشيخ العطار.." (١)

"السلطان أبي الحسن، فتشاوروا في أمره وغدروا به يوم رحيله عن الجبل إلى غرناطة، فتقاصفوه بالرماح، وقدموا أخاه أبا الحجاج يوسف، فقام بالأمر وشمر عن ساعده في الأخذ بثأر أخيه، فنكب بني العلى وغربهم إلى تونس، وقدم على الغزاة مكان أبي ثابت بن عثمان قرثية من بني رحو بن عبد الله بن عبد الحق، وهو يحيى بن عمر بن رحو، فقام بأمرهم وطال أمر رياسته. واستدعى السلطان أبو الحجاج السلطان أبا الحسن صاحب المغرب فأجاز ابنه عند ما تم له الفتح بتلمسان، وعقد له على عساكر جمة من زناتة **والمطوعة** فغزاهم، وغنم وقفل راجعا. وتلاحقت به جموع النصارى وبيتوه على حدود أرضهم، فاستشهد كثير من الغزاة، وأجاز السلطان أبو الحسن سنة إحدى وأربعين بكافة أهل المغرب من زناتة ومغراوة والمرتزقة **والمتطوعة** فنازل طريف، وزحف إليه الطاغية فلقيه بظاهرها فانكشف المسلمون، واستشهد الكثير منهم، وهلك فيها نساء السلطان وحريمه وفسطاطه من معسكره، وكان يوم ابتلاء وتمحيص. وتغلب الطاغية أثرها على القلعة ثغر غرناطة، ونازل الجزيرة الخضراء وأخذها صلحا سنة ثلاث وأربعين، ولم يزل أبو الحجاج في سلطانه إلى أن هلك يوم الفطر سنة خمس وخمسين، طعنه في سجوده من صلاة العيد وغد من صفاعفة البلد كان مجتمعا. وتولى ابنه واستبد عليه مولاهم رضوان حاجب أبيه وعمه فقام بأمره وغلبه عليه وحجبه. وكان إسماعيل أخوه ببعض قصور الحمراء قلعة الملك، وكانت له ذمة وصهر من محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن محمد ابن الرئيس أبي سعيد، بما كان أبوه أنكحه شقيقة إسماعيل هذا. وكان أبو يحيى هذا يدعى بالرئيس وجده محمد هذا هو الذي قدمنا أن عثمان بن أبي العلى دعاه من مكان اعتقاله للملك فداخل محمد هذا الرئيس بعض الزعالقة من الغوغاء، وبيت حصن الحمراء، وتسوره وولج على الحاجب رضوان في داره فقتله، وأخرج صهره إسماعيل ونصبه للملك ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة ستين وسبعمائة.

وكان السلطان محمد هذا المخلوع بروضة خارج الحمراء، فلحق بوادي آش وأجاز منها إلى العدوة، ونزل على ملك المغرب السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن فرعى له ذمته، وأحمد نزوله وارتاب شيخ

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥١٨/٣

الغزاة يحيى بن عمرو بالدولة ففر إلى دار الحرب ولحق منها بالمغرب ونزل على السلطان أبي سالم فأحمد نزوله، وولي مكانه على الغزاة بغرناطة من جهة إدريس بن عثمان بن أبي العلى. وقام الرئيس بأمر." (١)

"الدولة وملك البلد، واستولى على أموال بني مروان وذخائرهم، وبعثها إلى السلطان ملك شاه مع ابنه زعيم الرؤساء، فوصل أصفهان في شوال سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وسار فخر الدولة وكوهرايين إلى بغداد، وكان قد بعث عسكرا لحصار جزيرة ابن عمر، فحصروها، وثار بها أهل بيت من أعيانها يعرفون ببني رهان، وفتحوا بابا صغيرا للبلد كان منفذا للرجالة، وأدخلوا العسكر منه، وملكوه بدعوة السلطان ملك شاه. وانقرضت دولة بني مروان ولحق منصور بن نظام الدين نصر بن نصير الدولة بالجزيرة، وأقام في إيالة الغز. ثم قبض عليه جكرمش وحبسه بدار يهودي فمات بها سنة تسع وثمانين وأربعمائة والبقاء لله وحده.

(الخبر عن دولة بني الصفار ملوك سجستان المتغلبين على خراسان ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم)

كان أهل هذه الدولة قوما اجتمعوا بنواحي سجستان، ونصبوا لقتال الخوارج الشراة بتلك الناحية عند ما اضطربت الدولة ببغداد لقتل المتوكل، وسموا أنفسهم **المتطوعة**، وكان اجتماعهم على صالح بن نصر الكناني، ويقال له صالح المتطوعي وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث الصفار وغلبوا على سجستان وملكوها. ثم سار إليهم طاهر بن عبد الله أمير خراسان وغلبهم عليها وأخرجهم منها. ثم هلك صالح أثر ذلك، وقام بأمره في **المتطوعة** درهم بن الحسن فكثر أتباعه. وكان يعقوب بن الليث قائده، وكان درهم مضعفا فتحيل صاحب خراسان عليه حتى ظفر به، وبعثه إلى بغداد فحبس بها، واجتمع **المتطوعة** على يعقوب بن الليث قائده، وكان درهم يكاتب المعتز يسأله ولايتها، وأن يقلده حرب الخوارج فكتب له بذلك، وأحسن الغناء في حرب الشراة، وتجاوزه إلى سائر أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم سار من سجستان إلى خراسان سنة ثلاث وخمسين ومائتين وعلى الأنبار ابن أوس فجمع لمحاربة يعقوب. وسار إليهم في التعبية، فاقتتلوا وانهزم ابن أوس، وملك يعقوب هراة وبوشنج، وعظم أمره، وهابه صاحب خراسان وغيرها من الأطراف.." (٢)

"بولاية الري، وسار إليها فخرج محمد بن هارون عنها إلى قزوين وزنجان وعاد إلى طبرستان، واستعمل إسماعيل بولاية الذين على جرجان فارس الكبير [١] وألزمه بإحضار محمد بن هارون. فكاتبه فارس، وضمن له إصلاح حاله، فقبل قوله وانصرف عن حسان الديلمي إلى بخارى في شعبان سنة تسعين ومائتين.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤/ ٢٢٣

(٢) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤/ ٤١٨

ثم قبض في طريقه وأدخل إلى بخارى مقيدا، فحبس بها ومات لشهرين.

(وفاة إسماعيل بن أحمد وولاية ابنه أحمد)

ثم توفي إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر في منتصف سنة خمس وتسعين ومائتين، وكان يلقب بعد موته بالماضي، وولي بعده أبو نصر أحمد، وبعث إليه المكتفي بالولاية، وعقد له لواءه بيده، وكان إسماعيل عادلا حسن السيرة حليما.

وخرجت الترك في أيامه سنة احدى وتسعين ومائتين الى ما وراء النهر في عدد لا يحصى، يقال كان معهم سبعمائة قبة، وهي لا تكون إلا للرؤساء، فاستنفر لهم إسماعيل الناس، وخرج من الجند و ا لمتطوعة خلق كثير. وخرجوا إلى الترك وهم غارون فكبسوهم مصبحين، وقتلوا منهم ما لا يحصى وانهزم الباقون. واستبيح عسكرهم.

ولما مات ولي ابنه أبو نصر أحمد واستوثق أمره ببخارى بعث عن عمه إسحاق بن أحمد من سمرقند فقبض عليه وحبسه. ثم عبر إلى خراسان ونزل نيسابور، وكان فارس الكبير [٢] مولى أبيه عاملا على جرجان. وكان ظهر له أن أباه عزله عن جرجان بفارس [٢] هذا، وكان فارس قد ولي الري وطبرستان، وبعث إلى إسماعيل ابن أحمد بثمانين حملا من المال [٣] ، فلما سمع بوفاة إسماعيل استردها من الطريق.

وحقد له أبو نصر ذلك كله، فخافه فارس. فلما نزل أبو نصر نيسابور كتب فارس إلى المكتفي يستأذنه في المسير إليه، وسار في أربعة آلاف فارس، وأتبعه أبو نصر فلم

---

[١] هكذا بالأصل والعبارة غير واضحة وفي الكامل ج ٧ ص ٥٢٧: «فاستعمل إسماعيل بن أحمد على جرجان بارس الكبير، وألزمه بإحضار محمد بن هارون قسرا» .

[٢] هو بارس الكبير.

[٣] هذه الأموال من خراج الري وطبرستان وجرجان. جمعها بارس وأرسلها الى إسماعيل، ولما بلغ وفاته استرد المال ...." (١)

"إليهم السلطان في العساكر حتى أناخ عليهم وبيتوا محمد بن إبراهيم الطائي، وكان في مقدمة السلطان فقاتلهم إلى أن وصل السلطان فهزمهم، وأثخن فيهم بالقتل والأسر، وركب التكين السفن ناجيا فغدره الملاحون وجاءوا به إلى السلطان فقتله في جماعة من القواد الذين قتلوا مأمونا على قبره. وبعث

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤/٤٣٨

بالباقين الى غزنة، فأخرجوا في البعوث إلى الهند وأنزلوا هنالك في حامية الثغور وأجريت لهم الأرزاق، واستخلف على خوارزم الحاجب الترنتاش ورجع إلى بلاده.

(فتح قشمير [١] وقنوج)

ولما فرغ السلطان من أمر خوارزم، وانضافت إلى مملكته، عدل إلى بست، وأصلح أحوالها ورجع إلى غزنة. ثم اعتزم على غزو الهند سنة تسع وأربعمائة، وكان قد دوخ بلادها كلها، ولم يبق عليه إلا قشمير ومن دونها الفيافي والمصاعب، فاستنفر الناس من جميع الجهات من المرتزقة **والمتطوعة**. وسار تسعين مرحلة وعبر نهر جيحون وحيلم وخيالا [٢] ، هو وامر ؤه. وبث عساكره في أودية لا يعبر عن شدة جريها وبعد أعماقها، وانتهى إلى قشمير. وكانت ملوك الهند في تلك الممالك تبعث إليه بالخدمة والطاعة، وجاءه صاحب درب قشمير وهو جنكي بن شاهي وشهي فأقر بالطاعة، وضمن دلالة الطريق، وسار أمام العسكر إلى حصن مأمون لعشرين من رجب، وهو خلال ذلك يفتتح القلاع إلى أن دخل في ولاية هردت، أحد ملوك الهند فجاء طائعا مسلما. ثم سار السلطان إلى قلعة كلنجد من أعيان ملوكهم، فبرز للقائه، وانهزم، واعترضهم أنهار عميقة سقطوا فيها وهلكوا قتلا وغرقا، يقال: هلك منهم خمسون ألفا. وغنم السلطان منهم مائة فيل وخمسة إلى غير ذلك مما جل عن الوصف ثم عطف إلى سقط التقيذ [٣] وهو بيت مبني بالصخور الصم يشرع منها

---

[١] هي كشمير.

[٢] وفي الكامل لابن الأثير: وعبر نهر سيحون وجيلوم وهما نهران عميقان شديدا الجرية فوطئ أرض الهند، وأثاه رسل ملوكها بالطاعة.

[٣] وفي الكامل: ثم سار نحو بيت متعبد لهم- وهو من مهرة الهند وهو من أحصن الأبنية على نهر ولهم به من الأصنام كثير، منها خمسة أصنام من الذهب الأحمر مرصعة بالجواهر.." (١)

"البحر بحيث تلتقفه أمواجه والصنم مبنى في بيته على ستة وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص، وهو من حجر طوله خمسة أذرع، منها ذراعان غائصان في البناء وليس له صورة مشخصة. والبيت مظلم يضيء بقناديل الجوهر الفائق، وعنده سلسلة ذهب بجرس وزنها مائة من تحرك بأدوار معلومة من الليل فيقوم عباد البرهميين لعبادتهم بصوت الجرس. وعنده خزانة فيها عدد كثير من الأصنام ذهبا وفضة،

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤/٤٨٩

عليها ستور معلقة بالجوهر منسوجة بالذهب، تزيد قيمتها على عشرين ألف ألف دينار. وكانوا يحجون إلى هذا الصنم ليلة خسوف القمر فتجتمع إليه عوالم لا تحصى.

وتزعم الهنود أن الأرواح بعد المفارقة تجتمع إليه فيبثها فيمن شاء بناء على التناسخ، والمد والجزر عندهم هو عبادة البحر. وكانوا يقربون إليه كل نفيس، وذخائرهم كلها عنده ويعطون سدنته الأموال الجليلة. وكان له أوقاف تزيد على عشرة آلاف ضيعة.

وكان نهرهم المسمى كنك الذي يزعمون أن مصبه في الجنة، ويلقون فيه عظام الموتى من كبرائهم، وبينه وبين سومنات مائتا فرسخ. وكان يحمل من مائه كل يوم لغسل هذا الصنم، وكان يقوم عند الصنم من عباد البرهميين ألف رجل في كل يوم للعبادة، وثلاثمائة لحلق رءوس الزوار ولحاهم، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون، ولهم على ذلك الجرايات الوافرة، وكان كلما فتح محمود بن سبكتكين من الهند فتحا أو كسر صنما، يقول أهل الهند: إن سومنات ساخط عليهم، ولو كان راضيا عنهم لأهلك محمودا دونه. فاعتزم محمود بن سبكتكين إلى غزوة، وتكذيب دعاويهم في شأنه، فسار من غزنة في شعبان سنة ست عشرة وأربعمائة في ثلاثين ألف فارس سوى **المتطوعة**، وقطع القفر إلى الملتان وتزود له من القوت والماء قدر الكفاية، وزيادة عشرين ألف حمل. وخرج من المفازة إلى حصون مشحونة بالرجال قد غوروا آبارهم مخافة الحصار، فقذف الله الرعب في قلوبهم، وفتحها وقتل سكانها وكسر أصنامها، واستقى منها الماء. وسار إلى أنهلوارن وأجفل عنها صاحبها بهيم، وسار إلى بعض حصونه، وملك السلطان المدينة، ومر إلى سومنات ووجد في طريقه حصونا كثيرة فيها أصنام وضعوها كالنقباء والخدمة لسومنات، ففتحها وخربها وكسر الأصنام. ثم سار في قفر معطش، واجتمع من سكانه عشرون ألفا لدفاعه، فقاتلهم سراياه، وغنموا أموالهم، وانتهوا إلى دبلواه على مرحلتين من سومنات، فاستولى عليها وقتل رجالها. ووصل الى سومنات منتصف ذي القعدة، فوجد أهلها مختفين في." (١)

"الرحبة فأشار على جاولي بقصد الشام لخلوها عن العساكر والتجنب عن العراق وطريق السلطان فقبل إشارته وأحصر على الرحبة ثم وفد عليه صريح سالم بن مالك صاحب قلعة جعفر يستغيث به من بني نمير وكان حيوش البصري قد نزل على ابن سالم بالرقة وملكها وسار إليه رضوان من حلب فصالحه بنو نمير بالمال ورجع عليهم فاستنجد سالم الآن جاولي فجاء وحاصر بني نمير بالرقة سبعين يوما فأعطوه مالا وخيلا ورحل عنهم واعتذر لسالم ثم وصل جاولي الى الأمير حسين بن أتابك قطلغ تكين كان أبوه أتابك

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤/٤٩٢

السلطان محمد بكنجة فقتلته وتقدم ولده هذا عند السلطان وبعثه مع ابن عمار ليصلح أمر جاولي وتسير العساكر كلها الى الجهاد مع ابن عمار فأجاب جاولي لذلك وقال لحسين سر إلى الموصل ورحل العساكر عنها وأنا أعطيك ولدي رهينة وتكون الجباية لوال من قبل السلطان فجاء حسين إلى العساكر قبل أن يفتحوها فكلهم أجاب إلا الأمير مودود فإنه امتنع من الرحيل إلا بإذن من السلطان وأقام محاصرا لها حتى افتتحها وعاد ابن قطلغ إلى السلطان فأحسن الاعتذار عن جاولي وسار جاولي إلى بالس فملكها من أصحاب رضوان بن تتش وقتل جماعة من أهلها فيهم القاضي محمد بن عبد العزيز بن الياس وكان فقيها صالحا ثم سار رضوان بن دقاق لحرب جاولي واستمد شكري صاحب انطاكية فأمده بنفسه وبعث جاولي إلى القمص بالرها يستمده وترك له مال المفاداة فباء إليه بنفسه ولحقه بمنبج وجاء الخبر إلى جاولي باستيلاء مودود وعساكر السلطان على الموصل وعلى خزائنه فاضطرب أمره وانفض عنه كثير من أصحابه منهم زنكي بن آق سنقر وبكتاش وبقي معه أصبهبذ صباوو وبدران بن صدقة وابن جكرمش وانضم إليه كثير من المتطوعة ونزل تل ناشر وأتى عسكر رضوان وشكري وكاد أن يهزمهم لولا أن أصحابه ساروا عنه وسار في أتباعهم فأبوا عليه فمضى منهزما وقصد أصبهبذ الشام وبدران بن صدقة قلعة جعفر وابن جكرمش جزيرة ابن عمر وقتل من المسلمين خلق ونهب صاحب انطاكية سوادهم وهرب القمص وجوسكر إلى تل ناشر وكان المنهزمون من المسلمين يمرون بهم فيكرمونهم ويجيزونهم إلى بلادهم ولحق جاولي بالرحبة فلقي بها سرايا مودود صاحب الموصل وخفي عنهم فارتاب في أمره ولم ير الخير له من قصد السلطان محمد ثقة بما ألقى إليه حسين بن قطلغ تكين في شأنه فأوغر في السير ولحق بالسلطان قريبا من أصبهان ونزل حسين بن قطلغ فدخل به إلى السلطان فأكرمه وطلب منه بكتاش ابن عمه تتش واعتقله بأصبهان.." (١)

"الحرب بين المسلمين والكرج

كان الكرج قد ملكوا مدينة انى من بلاد أران في شعبان سنة ست وخمسين واستباحوها قتلا وأسرا وجمع لهم شاه ارمن بن إبراهيم بن سكمان صاحب خلاط جموعا من الجند والمتطوعة وسار اليهم فقاتلوه وهزموه وأسر كثير من المسلمين ثم جمع الكرج في شعبان سنة سبع وخمسين ثلاثين ألف مقاتل وملكوا دوس من أذربيجان والجبل وأصبهان فسار اليهم ايلدكز وسار معه شاه ارمن بن إبراهيم بن سكمان صاحب خلاط وآقسنقر صاحب مراغة في خمسين ألفا ودخلوا بلاد الكرج في صفر سنة ثمان وخمسين فاستباحوها وأسروا الرجال وسبوا النساء والولدان وأسلم بعض أمراء الكرج ودخل مع المسلمين وكمن بهم في بعض

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥/٤٨

الشعاب حتى زحف الكرج وقاتلوا المسلمين شهرا أو نحوه ثم خرج الكمين من ورائهم فانهزموا واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وعادوا ظافرين.

ملك المؤيد اعمال قومس والخطبة للسلطان ارسلان بخراسان

ثم سار المؤيد الى ابه صاحب نيسابور الى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان وولى بسطام مولاه تنكز فجرى بينه وبين شاه مازندان اختلاف أدى الى الحرب واقتتلوا في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ولما ملك المؤيد قومس بعث اليه السلطان ارسلان بن طغرل بالخلع والاولية لما كان بين المؤيد وايلدكز من المودة وأذن له في ولاية ما يفتحه من خراسان ويخطب له فيها فخطب له في أعمال قومس وطوس وسائر أعمال نيسابور ويخطب لنفسه بعد ارسلان وكانت الخطب في جرجان ودهستان لخوارزم شاه ارسلان بن اتسز وبعده للأمير ايتاق والخطبة في مرو وبلخ وسرخس وهي بيد الغز وهراة وهي بيد الأمير اتيكين وهو مسالم للغز للسلطان سنجر يقولون اللهم اغفر للسلطان السعيد سنجر وبعده لأمير تلك المدينة والله تعالى ولي التوفيق.

اجلاء القارغلية من وراء النهر

كان خان خاقان الصيني ولي على سمرقند وبخارى الخان جغرا بن حسين تكين وهو من بيت." (١)

"الحامية فبادر اليها سنة تسع وملكها عنوة وقاتل وأسر وغنم وعاد الى دمشق ولم تزل رميلة بين المسلمين الى أن حاصرها الافرنج سنة عشرين وخمسمائة وملكوها والله أعلم.

وفاة ملك الافرنج وأخبارهم بعده مع المسلمين

ثم توفى بقدوين ملك الافرنج بالقدس آخر سنة احدى عشرة وخمسمائة وكان قد زحف الى ديار بكر طامعا في ملكها فانتهى الى تنيس وشج في الليل فانتقض عليه جرحه وعاد الى القدس فمات وعاد القمص صاحب الرها الذي كان أسره جكرمش وأطلقه جاولي وكان حاضرا عنده لزيارة قمامة وكان أتابك طغركين قد سار لقتال الافرنج ونزل اليرموك فبعث اليه قمص في المهادنة فاشترط طغركين ترك المناصفة من جبل عردة الى الغور فلم يقبل القمص فسار طغركين الى طبرية ونهب نواحيها وسار منها الى عسقلان ولقي سبعة آلاف من عساكر مصر قد جاءوا في أثر بقدوين عند ما ارتحل عن ديار بكر فاعلموا أن صاحبهم تقدم اليهم بالوقوف عند أمر طغركين فشكر لهم ذلك وعاد الى دمشق وأتاه الخبر بأن الافرنج قصدوا أذرعات ونهبوها بعد ان ملكوا حصنا من أعماله فأرسل اليهم تاج الملك بوري في أثرهم فحاصرهم في جبل هناك

---

(١) تاريخ ابن خلدو ن ابن خلدون ٩٤/٥

حتى يئسوا من أنفسهم وصدقوا الحملة عليهم فهزموهم وأفحشوا في القتل وعاد الفل الى دمشق وسار طغركين الى حلب يستنجد أبا الغازي فوعده بالمسير معه ثم جاء الخبر بأن الافرنج قصدوا أعمال دمشق فنهبوا حوران واكتسحوها فرجع طغركين الى دمشق وأبو الغازي الى ماردين الى حشد العساكر وقصدوا الاجتماع على حرب الافرنج ثم سار الافرنج سنة ثلاثة عشر الى نواحي حلب فملكوا مراغة ونازلوا المدينة فصانعهم أهلها بمقاسمتهم أملاكهم وزحف أبو الغازي من ماردين في عشرين ألفا من العساكر والمتطوعة ومعه أسامة بن مالك بن شيرز الكاني والأمير طغان ارسلان بن افتكين ابن جناح صاحب ارزن وسار الافرنج الى صنبيل عرمس [١] قرب الاثارب فنزلوا به في موضع منقطع المسالك وعزموا على المطاولة فناجزهم أبو الغازي وسار اليهم ودخل عليهم في مجتمعهم وقاتلوه أشد القتال فلم يقاوموه وفتك فيهم فتكة شنعاء وقتل فيهم سرحان صاحب انطاكية وأسر سبعون من زعمائهم وذلك منتصف ربيع من السنة ثم اجتمع فل [٢] الأفرنج

---

[١] كذا بالأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٥٥٤: فنزلوا قريبا من الأثارب بموضع يقال له تل يمغرين بين جبال ليس.

[٢] فل: جمعها افلال وفلول: منهزم ومنهزمون.." (١)

"استبدوا بجزيرتهم عند ما دخل العرب الهلاليون إفريقية ومزقوا ملك صنهاجة بها وقارن ذلك استفحال ملك الإفرنج برومة وما اليها من البلاد الشمالية وتطاولوا إلى ملك بلاد المسلمين فسار ملكهم بردويل فيمن معه من زعمائهم وأقماصهم إلى الشام فملكوا مدنه وحصونه كما ذكرناه آنفا وكان من ملوكهم القمص رجار بن نيغر بن خميرة وكان كرسيه مدينة ميلكوا مقابل جزيرة صقلية ولما ضعف أمر المسلمين بها وانقرضت دولة بني أبي الحسين الكلبي منها سما رجار هذا إلى ملكها وأغراه المتغلبون بها على بعض نواحيها فأجاز إليها عساكره في الأسطول في سبيل التضريب بينهم ثم ملكها من أيديهم معقلا معقلا إلى أن كان آخرها فتخاطر إبنة وما زرعة من يد عبد الله بن الجواس أحد الثوار بها فملكها من يده صلحا سنة أربع وستين وأربعمائة وانقطعت كلمة الإسلام بها ثم مات رجار سنة أربع وتسعين فولي ابنه رجار مكانه وطالت أيامه واستفحل ملكه وذلك عند ما هبت ريح الإفرنج بالشام وجاسوا خلالها وصاروا يتغلبون على ما يقدرون عليه من بلاد المسلمين وكان رجار يتعاهد سواحل إفريقية بالغزو فبعث سنة ثلاث وخمسين أسطول صقلية إلى

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٢٦/٥

جزيرة جربة وقد تقلص عنها ظل الدولة الصنهاجية فأحاطوا بها واشتد القتال ثم اقتحموا الجزيرة عليهم عنوة وغنموا وسبوا واستأمن الباقون وأقرهم الإفرنج في جزيرتهم على جزية وملكوا عليهم أمرهم والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده.

فتح صاحب دمشق بعض حصون الإفرنج

ثم بعث شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق عساكره مع الأمير خزواش سنة إحدى وثلاثين إلى طرابلس الشام ومعه جمع كثير من التركمان **والمتطوعة** وسار إليه القمص صاحب طرابلس فقاتلوه وهزموه وأثخنوا في عساكره وأحجزه بطرابلس وعاثوا في أعماله وفتحوا حصن وادي ابن الأحمر من حصونه عنوة واستباحوه واستلحموا من فيه من الإفرنج ثم سار الإفرنج سنة خمس وثلاثين الى عسقلان [١] وأغاروا في نواحيها وخرج إليهم عسكر مصر الذين بها فهزموا الإفرنج وظفروا بهم وعادوا منهزمين وكفى الله شرهم بمنه وكرمه.

---

[١] عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام. وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدث بها خلق كثير. ولم تزل عامرة إلى أن استولى عليها الإفرنج. (معجم البلدان) .." (١)

"استيلاء أبي الغازي على حلب

كان رضوان بن تتش صاحب حلب لما توفي سنة سبع وخمسمائة قام بأمر دولته لؤلؤ الخادم ونصب ابنه البارسلان في ملكه ثم استوحش منه ونصب مكانه أخاه سلطان شاه واستبد عليه ثم سار لؤلؤ الخادم الى قلعة جعفر سنة احدى عشرة [١] بينه وبين مالك ابن سالم بن مالك بن بدران فغدر به مماليك الأتراك وقتلوه عند خرت برت واستولوا على خزائنه واعترضهم أهل حلب واستنقذوا منهم ما أخذوه وولى شمس الخواص أتابك مكان لؤلؤ ثم عزل لشهر وولى أبو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزل وصودر واضطربت الدولة وخشي أهل حلب على بلدهم من الافرنج فاستدعوا أبا الغازي بن ارتق من ماردين وسلموا له البلد وانقرض ملك آل رضوان بن تتش منها فلم يملكها بعد واحد منهم ولما ملكها لم يجد فيها مالا فصادر جماعة من الخدم وصانع الافرنج بما لهم ثم سار الى ماردين بنية العود الى حمايتها واستخلف عليها ابنه حسام الدين تمرتاش.

واقعة أبي الغازي مع الافرنج

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥/٢٣١

ولما استولى أبو الغازي على حلب وسار عنها طمع فيها الافرنج وساروا اليها فملكوا مراغة وغيرها من أعمالها وحاصروها فلم يكن لأهلها بد من مدافعتهم بقتال أو بمال فقاسموهم أملاكهم التي بضاحيتها في سبيل المصانعة وبعثوا الى بغداد يستغيثون فلم يغاثوا وجمع أبو الغازي من العساكر **والمتطوعة** نحوا من عشرين ألفا وسار بهم الى الشام سنة ثلاث عشرة ومعه أسامة بن مبارك بن منقذ الكناني وطغان ارسلان بن اسكين بن جناح صاحب ارزن الروم ونزل الافرنج قريبا من حصون الاماري في ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ونزلوا في تل عفرين حيث كان مقتل مسلم بن قريش وتحصنوا بالجبال من كل جهة الا ثلاث مسارب فقصدهم أبو الغازي ودخل عليهم من تلك المسارب وهم غارون فركبوا وصدقوا الحملة فلقوا عساكر المسلمين متتابعة فولوا منهزمين وأخذهم السيف من كل جهة فلم يفلت الا القليل وأسر من زعمائهم سبعون فاداهم أهل حلب بثلاثمائة ألف دينار وقتل سرجان صاحب انطاكية ونجافلهم من المعركة فاجتمع جماعة من الافرنج وعاودوا اللقاء

---

[١] كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١١ ص ١٠٩: سار منها الى قلعة جعبر ليجتمع بالأمير سالم بن مالك العقيلي صاحبها.." (١)

"أبو سعيد بن خربندا

ولما هلك خربندا خلف ابنه أبا سعيد طفلا صغيرا ابن ثلاث عشرة سنة فاستصغره جوبان وأرسل إلى أزبك ملك الشمال بصراي يستدعيه لملك العراقين فحذره نائبة قطلقتمر من ذلك وبايع جوبان لأبي سعيد بن خربندا على صغره وبدأ أمره بقتل أبي الطيب رشيد الدولة فضل الله بن يحيى الهمذاني المتهم بقتل أبيه فقتله وكان مقدما في العلوم وسريا في الغاية وله تاريخ جمع فيه أخبار التتر وأنسابهم وقبائلهم وكتبه مشجرا كما في كتابنا هذا وكان جوبان يومئذ بخراسان يقاتل عليها سيول بن براق بن سنتف بن ماسان بن جفطاي صاحب خوارزم أغراه أزبك صاحب الشمال بخراسان وأمده بعساكره وكان جوبان موافقا له فلما هلك خربندا طمع سيول في الاستيلاء على خراسان وكاتب أمراء المغل بدولة أبي سعيد رغبهم فأطمعوه فسار جوبان إلى الأردن ومعناه بلغتهم العسكر والمخيم وانتهى إلى أبي سعيد خبر أمرائه فقتل منهم أربعين ورجع جوبان إلى خراسان سنة ثمان عشرة وقد استولى سيول عليها وعلى طائفة من عراق العجم وبعث إليه أزبك صاحب الشمال نائبة قطلقتمر مددا في العساكر فلقيهم جوبان وكانت بينهم حروب وانتزع جوبان ما ملكه

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٥٢/٥

سيول من بلاد خراسان وصالحه على ما بقي ورجع ثم سار أزبك ملك الشمال إلى مراغة فأغار عليها وغنم ورجع وأتبعه جوبان في العساكر فلم يدركه وهلك سيول سنة عشرين وارتجع أبو سعيد ما كان بيده من خراسان وكان أزبك صاحب الشمال ينقم على أبي سعيد استبداد جوبان عليه وتحكمه في بني جنكزخان ويحرض أهل النواحي على جوبان ويتوقع له المهالك وأوصل الملوك في النواحي للمظاهرة على جوبان وسلطانه أبي سعيد حتى لقد صاهر صاحب مصر على مثل ذلك ولم يتم الصلح لأبي سعيد معه كما مر في أخبارهم وجهز أزبك العساكر سنة عشرين لحرب جوبان فحاصرهم المدني بنهر كوزل الذي في حدود ملكهم فرجعوا ثم جهز جيشا آخر مع قطلقتمر نائبة وكان جوبان نائب أبي سعيد قد ولى على بلاد الروم ابنه دمرداش فزحف سنة إحدى وعشرين إلى بلاد سيس وافتتح منها قلاعا ثلاثا وخربها وبعث إلى الملك الناصر يطلب المظاهرة في جهاد الأرمن بسيس فبعث السلطان عساكره سنة اثنتين وعشرين ومعهم من **المتطوعة** عدد وحاصروا سيس ثم انعقد الصلح سنة ثلاث وعشرين بعدها بين الملك الناصر وبين أبي سعيد واستقامت الأحوال وحج أكابر المغل من قرابة أبي سعيد ملك التتر بالعراقين واتصلت المهاداة بينهما وسار نائبة جوبان سنة خمس وعشرين الى خراسان في." (١)

"على بجاية، وقصد يحيى بن غانية قسنطينة فزحف إليه السيد أبو الحسن من بجاية فهزمه ودخل قسنطينة ودخل ابن غانية إلى بسكرة فقطع نخلها وافتتحها عنوة. ثم حاصر قسنطينة فامتنعت عليه فارتحل إلى بجاية وحاصرها، وكثر عيثه بإفريقية إلى أن كان من خبره ما يذكر إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

(اخباره في الجهاد)

لما بلغه تغلب العدو على قاعدة شلب، وأنه أوقع بعسكر إشبيلية، وترددت سراياهم على نواحيها، واقتحم [١] كثيرا من حصونها، وخاطبه السيد أبو يوسف بن أبي حفص صاحب اشبيلية بذلك. استنفر الناس للجهاد وخرج سنة ست وثمانين وخمسمائة إلى قصر مصمودة فأراح به. ثم أجاز إلى طريف وأغذ السير منها إلى شلب، ووافته بها حشود الأندلس فتركهم لحصارها. وزحف إلى حصن طرش فافتتحه ورجع إلى إشبيلية. ثم رجع إلى منازلة شلب سنة سبع وثمانين فافتتحه.

وقدم عليه ابن وزير بعد أن كان افتتح في طريقه إليه حصونا أخرى. ثم قفل إلى حضرته بعد استكماله غزانة. وكتب بعهده لابنه الناصر.

وقدم عليه سنة ثمان وثمانين وخمسمائة السيد أبو زيد صاحب إفريقية، ومعه مشيخة العرب من هلال

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥/٦٢٠

وسليم فتلقاهم مبرة وتكريما، وانقلب وفدهم إلى بلادهم. ثم بلغه سنة تسعين وخمسمائة استفحال ابن غانية بإفريقية وكثرة العيث والفساد بها، فاعتزم على النهوض إليها، ووصل إلى مكناسة فبلغه من أمر الأندلس ما أهمه فصرف وجهه إليها، ووصل قرطبة سنة إحدى وتسعين وخمسمائة فأراح بها ثلاثا وإمداد الحشود تتلاحق به من كل ناحية. ثم ارتحل للقاء العدو ونزل بالأرك من نواحي بطليوس، وزحف إليه العدو من النصارى وأمراؤهم يومئذ ثلاثة: ابن أذفونش وابن الرند والبيوح [٢] . وكان اللقاء يوم كذا سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وأبو محمد بن أبي حفص يومئذ على **المطوعة**، وأخوه أبو يحيى على العساكر والموحدين، فكانت

---

[١] وفي نسخة أخرى: وافتتح.

[٢] وفي نسخة أخرى: الرنك ولببوج.." (١)

"وكل أصحابك أودعتهم ... بسوء تدبيرك بطن الضريح

سبعون ألفا لا يرى منهم ... إلا قتيل أو أسير جريح

ألهمك الله إلى مثلها ... لعل عيسى منكم يستريح

إن كان باباكم بذا راضيا ... فرب غش قد أتى من نصيح [١]

فاتخذوه كاهنا إنه ... أنصح من شق لكم أو سطيح

وقل لهم إن أزمعوا عودة ... لأخذ ثار أو لشغل قبيح

دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشي صبيح

يعني بدار ابن لقمان موضع اعتقاله بالإسكندرية والطواشي في عرف أهل مصر هو الخصي. فلما استكمل إنشاده لم يزد ذلك الطاغية إلا عتوا واستكبارا، واعتذر عن نقض العهد في غزو تونس بما يسمع عنهم من المخالفات، عذرا دافعهم به، وصرف الرسل من سائر الآفاق ليومه. فوصل رسل السلطان منذرين بشأنهم وجمع الطاغية حشده وركب أساطيله إلى تونس آخر ذي القعدة سنة ثمان وستين وستمائة فاجتمعوا بسردانية وقيل بصقلية. ثم وأعدهم بمرسى تونس وأقلعوا ونادى السلطان في الناس بالنذير بالعدو والاستعداد له، والنفير إلى أقرب المدائن، وبعث الشواني لاستطلاع الخبر واستفهم أياما [٢] .

ثم توالت الأساطيل بمرسى قرطاجنة وتفاوض السلطان مع أهل الشورى من الأندلس والموحدين في تخليتهم

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣٢٩/٦

وشأنهم من النزول بالساحل أو صدهم عنه، فأشار بعضهم بصدهم حتى تنفد ذخيرتهم من الزاد والماء فيضطرون إلى الإقلاع. وقال آخرون إذا أقلعوا من مرسى الحضرة ذات الحامية والعدد صبحوا بعض الثغور سواها فملكوه واستباحوه، واستصعبت مغالبتهم عليه فوافق السلطان على هذا وخلوا وشأنهم من النزول فنزلوا بساحل قرطاجنة بعد أن ملئت سواحل رودس بالمرابطة بجند الأندلس **والمطوعة** زهاء أربعة آلاف فارس لنظر محمد بن الحسين رئيس الدولة.

ولما نزل النصارى بالساحل وكانوا زهاء ستة آلاف فارس، وثلاثين ألفا من الرجالة فيما حدثني أبي عن أبيه رحمهما الله قال: وكانت أساطيلهم ثلاثمائة بين كبار وصغار،

---

[١] وفي النسخة التونسية: إن يكن البابا بذا راضيا فرب عسر قد أتى من نصيح.

[٢] وفي نسخة أخرى: واستبهم أياما. وفي النسخة التونسية عبارة زائدة وهي: «ثم كان عينه فراره» وهذا المثل يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه.." (١)

"وكانوا سبعة يعاسيب كان فيهم الفرنسيس وإخوة جرون [١] صاحب صقلية وصاحب الجزر، والعلجة زوج الطاغية تسمى الرينة، وصاحب البر الكبير، وتسميهم العامة من أهل الأخبار ملوكا ويعنون أنهم متباينون ظاهروا على غزو تونس وليس كذلك.

وإنما كان واحدا وهو طاغية الفرنجة وإخوته وبطارقته، عد كل واحد منهم ملكا لفضل قوته وشدة بأسه، فأنزلوا عساكرهم في المدينة القديمة من قرطاجنة. وكانت ماثلة الجدران اضطرم المعسكر بداخلها، ووصلوا ما فصله الخراب من أسوارها بألواح الخشب ونضدوا شرفاتها وأداروا على السور خندقا بعيد المهوى وتحصنوا. وندم السلطان على إضاعة الحزم في تخريبها أو دفاعهم عن نزلها. وأقام ملك الفرنجة وقومه متمرسين بتونس ستة أشهر والمدد يأتيه في أساطيله من البحر من صقلية والعدوة بالرجل والأصلحة والأقوات. وسلك بعض المسلمين طريقا في البحيرة واتبعهم العرب فأصابوا غرة في العدو فظفروا وغنموا وشعروا بمكانهم، فكلفوا بحراسة البحيرة وبعثوا فيها الشواني بالرماة ومنعوا الطريق إليهم، وبعث السلطان في ممالكه حاشدا فوافته الأمداد من كل ناحية، ووصل أبو هلال صاحب بجاية وجاءت جموع العرب وسدويكش وولهاصة وهوارة حتى أمده ملوك المغرب من زناتة، وسرح إليه محمد بن عبد القوى عسكر بني توجين لنظر ابنه زيان وأخرج السلطان أبنيته [٢] وعقد لسبعة من الموحدين على سائر الجند من المرتزقة **والمطوعة**

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤٢٧/٦

وهم: إسماعيل بن أبي كلداسن وعيسى بن داود ويحيى بن أبي بكر ويحيى بن صالح وأبو هلال عياد صاحب بجاية ومحمد بن عبو، وأمرهم كلهم راجع ليحيى بن صالح ويحيى بن أبي بكر منهم.

واجتمع من المسلمين عدد لا يحصى، وخرج الصلحاء والفقهاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بأنفسهم والتزم السلطان القعود بإيوائه مع بطانته وأهل اختصاصه وهم:

الشيخ أبو سعيد المعروف بالعود، وابن أبي الحسين، وقاضيه أبو القاسم بن البراء، وأخو العيش. واتصلت الحرب والتقوا في منتصف محرم سنة تسع بالمنصف، فزحف يومئذ يحيى بن صالح وجرون فمات من الفريقين خلق، وهجموا على المعسكر بعد العشاء وتدامر المسلمون عنده، ثم غلبوا عليه بعد أن قتل من النصارى زهاء

---

[١] وفي النسخة الباريسية: جرول.

[٢] لا معنى لهذه الجملة وربما تكون: وخرج السلطان من أبنيته، أو أخرج السلطان من في.." (١)

"مغاضبا حتى نزل غبولة، وألطف الحيلة في تملك رباط الفتح وسلا ليعتدها ذريعة لما أسر في نفسه، فتمت له الحيلة، وركب عاملها ابن يعلو البحر فارا إلى أزمور.

وخلف أمواله وحرمه فتملك يعقوب بن عبد الله البلد وجاهر بالخلع، وصرف إلى منازعة عمه السلطان أبي يوسف وجوه العزم، وداخل تجار الحرب في الامداد بالسلاح. فتماروا في ذلك وكثر سفر المترددين بينهم، حتى كثروا أهلها وأسملوا فيها غرة عيد الفطر من سنة ثمان وخمسين وستمائة عند شغل الناس بعيدهم. وثاروا بسلا، وسبوا الحرم وانتهبوا الأموال، وضبطوا البلد وامتنع يعقوب بن عبد الله برباط الفتح، وطار الصريخ إلى السلطان أبي يوسف، وكان بتازى مستشرفا لأحوال يغمراسن، فنادى في قومه، وطار بأجنحة الخيول ووصلها ليوم وليلة، وتلاحقت به أمداد المسلمين من أهل الديوان **والمطوعة**. ونازلها أربع عشرة ليلة، ثم اقتحمها عليهم عنوة، وأثخن فيهم بالقتل. ثم رم بالبناء ما كان متثلما بسورها الغربي حيث أمكنت منه الفرصة في البلد وتناول البناء فيه بيده والله لا يضيع عمل عامل.

وخشي يعقوب بن عبد الله بادرة السلطان، فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه السلطان وثقفه. ثم نهض إلى بلاد تامسنا وأنفى، فملكها وضبطها ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة، فامتنع به وسرح السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلي بن زيان لمنازلته. وسار إلى لقاء يغمراسن لقاء المهادنة،

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٦/٤٢٨

فلقيه بجوحرمان [١] وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب، ورجع السلطان إلى المغرب فخرج عليه أبناء أخيه أولاد إدريس. ولحقوا بقصر كتامة. شايعوا يعقوب ابن عمهم عبد الله على رأيه. واجتمعوا إلى أكبرهم محمد بن إدريس فيمن إليهم من العشير والصنائع، فنهض إليهم واعتصموا بجبال غمارة، ثم استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر ابن إدريس سنة ستين وستمائة على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من **المطوعة** من بني مرين، وأغزاهم إلى العدوة لجهاد العدو وحملهم، وفرض لهم. وشفع بها عمله في واقعة سلا وهو أول جيش أجاز من بني مرين، فكان لهم في الجهاد والمرابطة مقامات محمودة وذكر خالد تقبل سلفهم فيها خلفهم من بعدهم حسبما نذكره.

وأقام يعقوب بن عبد الله خارجا بالنواحي مثقلا في الجهات إلى أن قتله طلحة بن على

---

[١] وفي نسخة ثانية: فلقيه بوادي محرمان.." (١)

"بساحة شريس، فخام حاميتها عن اللقاء وانحجروا في البلد، وقفل عنها إلى الجزيرة وقد امتلأت أيديهم من الأموال وحقائبهم من السبي وركائبهم من الكراع والسلاح.

ورأى أهل الأندلس قد ثاروا بعام العقاب حتى جاءت بعدها الطاعة الكبرى على أهل الكفر، واتصل الخبر بأمير المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه، وخشي على ثغور بلاده من عادية يغمراسن في الفتنة، فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادعة. ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم موصله وموصل قومه. وبادر إلى الإجابة والألفة، وأوفد مشيخة بني عبد الواد على السلطان لعقد السلم. وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الإسلام، وعظم موقع هذا السلم من أمير المسلمين لما كان في نفسه من الصاغية إلى الجهاد، وإيثاره مبرورات الأعمال. وبث الصدقات يشكر الله على ما منحه من التفرغ لذلك. ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع، ودعا المسلمين إلى الجهاد. وخاطب في ذلك كافة أهل المغرب من زناتة والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل البرابرة وأهل المغرب من المرتزقة **والمطوعة**. وأهاب بهم وشرع في إجازة البحر، فأجازه من فرضة طنجة لصفر من سنة أربع وسبعين وستمائة واحتل بساحة طريف.

وكان لما استصرخه السلطان ابن الأحمر وأوفد عليه مشايخ الأندلس اشترط عليه النزول عن بعض الثغور

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٣٦/٧

بساحل الفرضة لاحتلال عساكره، فتجافى له عن رندة وطريف. ولما احتل بطنجة بادر إليه ابن هشام الثائر بالجزيرة الخضراء، وأجاز البحر إليه. ولقيه بظاهر طنجة فأدى له طاعته وأمكنه من قياد بلده. وكان الرئيس أبو محمد بن أشقيلولة وأخوه أبو إسحاق صهر السلطان ابن الأحمر تبعا له في أمره ومؤازرا له على شأنه كله. وأبوهما أبو الحسن هو الذي تولى كبر الثورة على ابن هود ومداخلة أهل إشبيلية في الفتك بابن الباجي. فلما استوت قدمه في ملكه وغلب الثوار على أمره فسد ما بينهما بعد أن كان ولى أبا محمد على مقاله وأبا إسحاق على وادي آش [١] ، فامتنع أبو محمد بن أشقيلولة بمالقة واستأثر بها وبغربيتها دونه. ومع ذلك فكانوا على

---

[١] أش: بالفتح والشين مخففة، وربما مدت همزته: مدينة الأشات بالأندلس من كورة البيرة وتعرف بوادي أش، والغالب على شجرها الشاهبلوط، وتنحدر إليها أنهار من جبال الثلج، بينها وبين غرناطة أربعون ميلا، وهي بين غرناطة وبجانة (معجم البلدان) .." (١)

"بالعسكر إلى بلاد السوس لغزو العرب، وكف عاديتهم، ومحو آثار الخوارج المنتزين على الدولة، فأجفلوا أمامه، واتبع آثارهم إلى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس، فهلك أكثر العرب في تلك القفار مسغبة وعطشا، وقفل لما بلغه من اعتلال أمير المؤمنين، ووصل إلى مراكش وقد أبل، وقد اعتزم على الجهاد والغزو وشكر الله، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن إجازة السلطان أبي يوسف الرابعة ومحاصرة شريش وما تخلل ذلك من الغزوات

لما اعتزم أمير المسلمين على الإجازة واعترض جنوده وحاشيته، وأزاح عللهم، وبعث في قبائل المغرب بالنفير، ونهض من مراكش في جمادى الآخرة لثلاث وثمانين وستمائة واحتل رباط الفتح منتصف شعبان فقضى به صومه ونسكه، ثم ارتحل إلى قصر مصمودة وشرع في إجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمطوعة خاتم سنته. ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع وثمانين وستمائة بعدها واحتل بظاهرها [١] . ثم سار منها إلى الخضراء وأراح أياما. ثم خرج غازيا حتى انتهى إلى وادلك [٢] ، وسرح الخيول في بلاد العدو وبسائطها يحرق وينسف. فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش [٣] ، فنزل بساحتها وأناخ عليها، وبث السرايا والغارات في جميع نواحيها، وبعث المسالح التي كانت بالثغور، فتوافت لديه. ولحقه حافده عمر بن أبي مالك بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب فرسانا ورجالا،

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٥٤/٧

ووافته حصة العزفي من سبتة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة من الرجل. وأوعز إلى ولي عهده الأمير أبي يعقوب باستنفار من بقي بالعدوة من المسلمين الى الجهاد، وعقد لحافده الآخر منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من الغزاة. وأعطاه الراية

---

[١] وفي نسخة ثانية: واحتل بطريق.

[٢] وفي نسخة ثانية: وادي لك وفي نفح الطيب ج ١ ص ٢٤٩ وادي لكة.

[٣] شريش: قال الحجاري: ان مدينة شريش بنت إشبيلية- تقع الى الجنوب الشرقي من بطليوس وتشتهر اليوم بالنبيذ الجيد- وواديها ابن واديها. وهي مدينة جليلة ضخمة الأسواق، لأهلها همم، وظرف في اللباس وإظهار الرفاهية وتخلق بالآداب. ولا تكاد ترى فيها إلا عاشقا ومعشوقا. تشتهر بالمجنبات وهي نوع من القطائف يضاف إليها الجبن في عجينها (نفح الطيب ج ١ ص ١٨٤) .." (١)

"وسرحه لغزو إشبيلية لآخر صفر من سنته، فغنموا ومروا بقرمونة [١] في منصرفهم.

فاستباحوها وأثخنوا بالقتل والأسر ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم. وبعث وزيره محمد بن عطو [٢] ومحمد بن عمران بن عبلة عيونا، فوافوا حصن القناطر وروطة، واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور، فعقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان لثالثة من ربيع وأعطاه الراية، وسرحه إلى بسائط وادلك، فرجعوا من الغنائم بما ملأ العساكر بعد أن أثخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار، وأبادوا عمرانها. ثم سرح ثامن ربيع عسكرا للإغارة على حصن أركش، ووافوه على غرة فاكتسحوا أموالهم. ثم عقد تاسع ربيع لابنه أبي معروف على ألف من الفرسان. وسرحه لغزو إشبيلية فساروا حتى توقف عليها.

وانحجزت منه حاميتها، فخرب عمرانها وحرق زروعها وقطع شجرها. وامتلأت أيدي عسكره سبيا وأموالا، ورجع إلى معسكر السلطان مملوء الحقائب. ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع لغزو حصن كان بالقرب من معسكره، وسرح الرجل من الناشبة والفعلة بالآلات. وأمده بالرجل من المصامدة. وغزاة سبتة فاقتحموه عنوة على أهله، وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية، وأرغموا خده بالتراب.

ولسبع عشرة من الشهر ركب السلطان إلى حصن سقوط قريبا من معسكره، فخربه وحرقه بالنار، واستباحة. وقتل المقاتلة وسبى أهله. ولعشرين من شهره وصل ولي عهده، الأمير أبو يعقوب من العدوة بنفير أهل

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٧٣/٧

المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة، وعساكر موفورة، وركب أمير المسلمين للقائهم وبرور مقدمهم. واعترض العساكر الموافية يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة، وثمانية آلاف من برابرة المغرب متطوعون كلهم بالجهاد، فعقد السلطان له على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجل والفين من الناشبة وسرحه لغزو إشبيلية والإثخان في نواحيها، فعبى كتائبه ونهض لوجهه. وبث الغارات بين يديه، فأثخنوا وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكتسحوا الأموال. وعاج على الشرق والغابة من بسيط إشبيلية فنسف قراها واقتحم من حصونها عدة، وقفل إلى معسكر أمير المسلمين

---

[١] قرمونة: مدينة الى الشمال الشرقي من إشبيلية على بعد ٣٥ كلم وكانت كورة واسعة تضم عدة مدن وحصون.

[٢] وفي نسخة ثانية: محمد بن عتو.." (١)

"في ستة عشر من أساطيل إفريقية، كان من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية. وتوافت أساطيل المغربين بمرسى سبتة تناهز المائة. وعقد السلطان عليها لمحمد بن علي العزفي الذي كان صاحب سبتة يوم فتحها، وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق. وقد اكتمل عديدهم وعدتهم، فاستلأموا وتظاهروا في السلاح.

وزحفوا إلى أسطول النصارى وتواقفوا مليا. ثم قربوا الأساطيل بعضها إلى بعض وقرنوها للمصاف، فلم يمض إلا كلا ولا [١] حتى هبت ريح النصر، وأظفر الله المسلمين بعدوهم، وخالطوهم في أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف، وطعنا بالرماح، وألقوا أشلاءهم في اليم وقتلوا قائدهم الملند واستاقوا أساطيلهم مجنوبة إلى مرسى سبتة، فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رءوسهم في جوانب البلد.

ونظمت أصفاد الأسرى بدار الإنشاء. وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة، وأنشدت الشعراء بين يديه، وكان يوما من أعز الأيام، والمنة لله.

(الخبر عن واقعة طريف وتمحيص المسلمين)

لما ظفر المسلمون بأسطول النصارى وخضدوا شوكتهم عن ممانعة الجواز، شرع السلطان في إجازة العساكر الغزاة من المطوعة والمرتزقة، وانتظمت الأساطيل سلسلة واحدة من العدوة إلى العدوة. ولما استكمل إجازة العساكر أجاز هو في أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين وسبعمائة ونزل بساحة طريف وأناخ

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٧/٢٧٤

بعساكره عليها، واضطرب معسكره بفنائها، وبدأ بمنازلتها. ووافاه سلطان الأندلس أبو الحجاج ابن السلطان أبي الوليد بعسكر الأندلس من غزاة زناتة وحامية الثغور ورجل البدو، فعسكروا حذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا، وأنزلوا بهم أنواع القتال، ونصبوا عليها الآلات. وجهز الطاغية أسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر، وطال ثواؤهم [٢] بمكانهم من حصار البلد، ففنيت أزودتهم وافتقدوا العلوفات، فوهن الظهر واختلت أحوال المعسكر. واحتشد الطاغية أمم النصرانية

---

[١] وفي نسخة ثانية: ولم يكن إلا كلا ولا.

[٢] بمعنى مقامهم.." (١)

"ومروا هاربين إلى القاهرة، فأخذ منهم قطاع الطريق، ما عليهم من الثياب، وتركوهم عرايا، فشنعت القالة على الأمير فخر الدين من كل أحد، وعد جميع ما نزل بالمسلمين من البلاء بسبب هزيمته، فإن دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والأزواد العظيمة والأسلحة وغيرها، خوفا أن يصيبها في هذه المدة ما أصابها في أيام الكامل، فإنه ما أتى عليها ذاك إلا من قلة الأقوات بها، ومع ذلك امتنعت من الفرنج أكثر من سنة، حتى فني أهلها كما تقدم، ولكن الله يفعل ما يريد.

ولما أصبح الفرنج يوم الأحد لسبع بقين من صفر قصدوا دمياط فإذا أبواب المدينة مفتحة، ولا أحد يدفع عنها، فظنوا أن ذلك مكيدة، وتمهلوا حتى ظهر لهم خلوها فدخلوا إليها من غير مانع ولا مدافع، واستولوا على ما بها من الأسلحة العظيمة، وآلات الحرب، والأقوات الخارجة عن الحد في الكثرة والأموال والأمتعة صفوا بغير كلفة، فأصيب الإسلام والمسلمون ببلاء، ولا لطف الله لمحي اسم الإسلام ورسمه بالكلية، وانزعج الناس في القاهرة ومصر انزعاجا عظيما، لما نزل بالمسلمين مع شدة مرض السلطان، وعدم حركته، وأما السلطان فإنه اشتد حنقه على الأمير فخر الدين، وقال: أما قدرت أنت والعساكر أن تقفوا ساعة بين يدي الفرنج؟ وأقام عليه القيامة، لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والإغضاء، وغضب على الكنانيين الذين كانوا بدمياط ووبخهم، فقالوا: ما نعمل إذا كانت عساكر السلطان بأجمعهم وأمراؤه هربوا وأخربوا الزردخاناه، كيف لا نهرب نحن؟ فأمر بشنقهم لكونهم خرجوا من دمياط بغير إذن، وكانت عدة من شنق من الأمراء الكنانية زيادة على خمسين أميرا في ساعة واحدة، ومن جملتهم أمير جسيم، له ابن جميل يسأل أن يشنق قبل ابنه، فأمر السلطان أن يشنق ابنه قبله، فشنق الابن ثم الأب، ويقال: إن شنق هؤلاء كان

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣٤٦/٧

بفتوى الفقهاء، فخاف جماعة من الأمراء، وهموا بالقيام على السلطان.

فأشار عليهم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بأن السلطان على خطة، فإن مات فقد كفيتم أمره، وإلا فهو بين أيديكم وأخذ السلطان في إصلاح سور المنصورة، وانتقل إليها لخمس بقين من صفر، وجعل الستائر على السور، وقدمت الشواني إلى تجاه المنصورة، وفيها العدد الكاملة وشرع العسكر في تجديد الأبنية هناك، وقدم من العربان، وأهل النواحي ومن **المطوعة** خلق لا يحصى عددهم، وأخذوا في الإغارة على الفرنج، فملأ الفرنج أسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والآلات، فلما كان أول ربيع الأول قدم إلى القاهرة من أسرى الفرنج الذين تخطفهم العربان، ستة وثلاثون منهم: فارسان، وفي خامس ربيع الآخر، ورد منهم تسعة وثلاثون، وفي سابعه ورد اثنان وعشرون أسيرا، وفي سادس عشره ورد خمسة وأربعون أسيرا منهم: ثلاثة خيالة، وفي ثامن عشر جمادى الأولى ورد خمسون أسيرا.

هذا ومرض السلطان يتزايد، وقواه تتناقص حتى آيس الأطباء منه، وفي ثالث عشر." (١)

"الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال، وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان **والمطوعة**، وخلقا لا يعلمهم إلا الله جاءوا من كل فج عميق، ومكان سحيق، فلما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم، وبين الملك الكامل فأبينا، ولما كانت ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم، وقصدوا دمياط هاربين، فسرنا في آثارهم طالبين، وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل، وقد حل بهم الخزي والويل، فلما أصبحنا يوم الأربعاء، قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه في اللجج، وأما الأسرى فحدث عن الحر، ولا حرج، والتجأ الفرنسيس إلى المينة، وطلب الأمان، فأمناه، وأخذناه وأكرمناه، وسلمناه دمياط بعون الله تعالى، وقوته وجلاله وعظمته، وبعث مع الكتاب غفارة الملك فرنسيس، فلبسها الأمير جمال الدين بن يغمور، وهي: اشكر لاطا أحمر بفرو سنجاب، فقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

إن غفارة الفرنسيس جاءت ... فهي حقا لسيد الأمراء

كبياض القرطاس لونا ولكن ... صبغتها سيوفنا بالدماء

وقال آخر:

أسيد أملاك الزمان بأسرهم ... تنجزت من نصر الإله وعوده

فلا زال مولانا يبيح حمى العدى ... ويلبس أثواب الملوك عبيده

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤٠٦/١

وأخذ الملك المعظم، يهدد زوجة أبيه، شجرة الدر، ويطالبها بمال أبيه، فخافته وكاتبت مماليك الملك الصالح، تحرضهم عليه، وكان المعظم لما وصل إليه الفارس، أقطاي إلى حصن كيفا، وعده أن يعطيه إمرة، فلم يف له بها، وأعرض مع ذلك عن مماليك أبيه، واطرح أمراءه، وصرف الأمير حسام الدين بن أبي علي، عن نيابة السلطنة، وأحضره إلى العسكر، ولم يعبأ به وأبعد غلمان أبيه، واختص بمن وصل معه من المشرق، وجعلهم في الوظائف السلطانية، فجعل الطواشي مسرورا خادمه إستادارا، وعمل صبيحا، وكان عبدا حبشيا فحلا خازنداره، وأمر أن تكون له عصا من ذهب، وأعطاه مالا جزيلا، وإقطاعات جليلة، وكان إذا سكر جمع الشمع، وضرب رؤوسها بالسيف، حتى تنقطع، ويقول هكذا أفعل بالبحرية، فإنه كان فيه هرج وخفة، واحتجب على العكوف بملاذه، فنفرت منه النفوس، وبقي كذلك إلى يوم الاثنين، تاسع عشري المحرم، وقد جلس على السماط، فتقدم إليه أحد المماليك البحرية، وضربه بسيف قطع أصابع يديه، ففر إلى البرج، فاقتحموا عليه، وسيوفهم مصلتة، فصعد أعلى البرج الخشب، فرموه بالنشاب، وأطلقوا الناس في البرج، فألقى نفسه ومر إلى البحر، وهو يقول: ما أريد ملككهم دعوني أرجع إلى الحصن يا مسلمين؟ ما فيكم من يصطنعني ويجيرني؟ وسائر العساكر بالسيوف واقفة، فلم يجبه أحد والنشاب يأخذه من كل ناحية، وأدركوه، فقطع بالسيوف ومات حريقا غريقا قتيلا." (١)

"برمة جماعة من المسالمة فشهد عليهم بالزندقة، فضرب القاضي المالكي رقاب ستة أنفس، وسر المسلمون بذلك، وقد قرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيري وأجازنيه أن ابن خير حكم بضرب رقابهم بحضور القضاة فضربت في المجلس وكان سودون النائب حاضرا بين القصرين، قال: ثم قام بعض المالكية وادعى أنه خالف مذهبه وبالغ في التشنيع يعني ابن جلال الدميري وجرى على ابن خير ما لا خير فيه، ثم إنه استفتى أهل العلم الموجودين في ذلك الوقت فأفتوا بتصويب فعله وانتصر على خصمه.

وفي جمادى الآخرة نازل الفرنج بيروت في عشرين مركبا، فراسلوا نائب الشام فتقاعد عنهم واعتل باحتياجه إلى مرسوم السلطان، فقام إينال اليوسفي فنادى الغزاة في سبيل الله، فنفر معه جماعة فحال بين الفرنج وبين البحر وقتل بعضهم، ونزل إليه بقية الفرنج فكسرهم وقبض من مراكبهم ستة عشر مركبا، فسر المسلمون بذلك سرورا عظيما، ولما بلغ السلطان قبل ذلك تحرك الفرنج جهز عدة أمراء لحفظ الثغور من الفرنج كرشيد ودمياط وغيرهما، فلما توجهوا إلى بيروت وكسروا بها حصلت الطمأنينة منهم، وممن توجه من **المطوعة** القاضي المالكي ومعه المغاربة والشيخ شمس الدين القونوي ومعه خلائق من **المطوعة**، ثم جمع

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٤١١

القاضي الشافعي جمعا من الفقهاء وتوجه، وكان الفرنج قد دخلوا صيداء فوجدوا المسلمين قد نذروا بهم فأحرزوا أموالهم وأولادهم بقرية خلف الجبل، فوجد الفرنج بعض أمتعتهم فنهبوها وأخذوا ما وجدوا من زيت وصابون وأحرقوا السوق وقصدوا بيروت فتداركهم المسلمون، ثم وصل النائب وانكسر الفرنج بحمد الله تعالى، ثم عاد الفرنج إلى مباهلة بيروت فطرقوها في شعبان، فتيقظ لهم أهلهم فحاربوهم وراموهم، ونزل طائفة من الفرنج فوجدوا بالساحل خمسة عشر نفسا فقتلوهم، ثم قتل من الفرنج جماعة، فوصل النائب من دمشق بعد انقضاء الوقعة ورجوع الفرنج بغيظهم لم ينالوا خيرا.." (١)

"محمد بن أبي المكارم محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي ثم المكي المالكي، سمع على الزين بن علي الأسواني والجمال المطري، وأجاز له ابن الرضى وزينب بنت الكمال ويحيى بن المصري وآخرون، وكان صالحا له عناية بالعلم ومعرفة بالأدب، وله نظم كثير، وقد حدث بمكة.

محمد بن محمد المليحي تاج الدين يعرف بصائم الدهر، ولي نظر الأحباس والجوالي والحسبة، وخطب بمدرسة السلطان حسن، مات في صفر، وكان ساكنا قليل الكلام جميل السيرة.

محمد بن مقبل التركي، تفقه في صباه وأحب مذهب الظاهرية فتظاهر به، وكان يحف شاربه ويرفع يديه في كل خفض ورفع، وكتب بخطه كثيرا جدا.

محمد بن موسى بن رقطاي الناصري ناصر الدين، أحد أمراء العشراوات، كان أبوه نائب السلطنة، وكان الولد نجيبا سريا جميل الصورة ضخما خيرا، يحب سماع الحديث ويحضر عنده المشايخ في داره فتجتمع الطلبة عنده ويحسن إلى الشيخ عند ختم الكتاب وللق ا ريء سمعنا بمنزله على بعض شيوخنا، ومات في ذي القعدة منها.

مراد بن اورخان بن أردن علي بن عثمان بن سلمان بن عثمان التركماني صاحب الروم يقال إن أصلهم من عرب الحجاز وكان أول من نبه منهم سلمان فكان يغزو ومعه نفر من **المطوعة** وكان شجاعا بطلا فاشتهر بذلك وكثر أتباعه ثم مات، فقام ابنه عثمان مقامه، وفتح برسا واستوطنها في حدود الثلاثين ثم مات، فقام ابنه عثمان مقامه، وفتح برسا واستوطنها في حدود الثلاثين ثم قام ابنه أردن على مقامه فأربى على أبيه في الجهاد، وقرب العلماء والصلحاء وعمر الخوانك والزوايا ثم مات، فقام ابنه أورخان مكانه." (٢)

---

(١) إنب ا ء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢٧٤/١

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٤٨٤/١

"وفيها زاد فساد مماليك السلطان وأضروا بالمسلمين جدا واستلبوا النساء من الحمامات والصبيان من الطرقات للفساد بهم.

وفيها وصل الذين جردوا إلى الإسكندرية بسبب الفرنج سالمين.

وفيها نازل الفرنج طرابلس فأقاموا عليها ثلاثة أيام فبلغ ذلك نائب الشام فنهض إليهم مسرعا فانهزموا وأوقع بهم وكان ذلك مبدأ سعادته ثم توجه الفرنج إلى بيروت وكانوا في نحو من أربعين مركبا فواقعهم دمرداش ومن معه من الجند والمطوعة وقتل بعض الناس من الفريقين وجرح الكثير وكان نائب الشام ببعلبك فجاءه الخبر فتوجه من وقته وأرسل إلى العسكر يستنجده ومضى على طريق صعبة مشقة إلى أن وصل إلى طرابلس في المحرم، ثم توجه من فوره إلى بيروت فوجده قد نهبوا ما فيها وأحرقوها وكان أهلها قد هربوا إلى الجبال إلا المقاتلة منهم فوقع بين الفريقين مقتلة عظيمة فأمر النائب بإحراق قتلى الفرنج ثم توجه إلى صيدا ومعه العساكر فوصل إليها وقد أخذ الفرنج من البهار الذي للكيتلان شيئا كثيرا فوصل النائب بالعسكر فوجدهم في القتال مع أهل صيدا ولم يتقدمه أحد بل كان معه عشرة أنفس لا غير فحمل على الفرنج فكسرهم وفروا إلى مراكبهم وفروا راجعين إلى ناحية بيروت ثم نزلوا لأخذ الماء فمانعهم بعض أصحاب النائب فغلبوه على الماء وأخذوا حاجتهم وتوجهوا إلى جهة طرابلس ثم مروا عنها إلى الماعوضة فركز النائب طائفة بصيدا وطائفة ببيروت وتوجه إلى دمشق وكانت مدة غيبته دون نصف شهر، ولما رجع لاقاه الناس فلام القضاة على تأخرهم عن الغزاة فأجابه الحنفي بجواب أغضبه فأهانه واستهزأ به.." (١)

"ثم في سادس عشر جمادى الآخرة قدم صلاح الدين بن ناظر الخاص إلى الإسكندرية لتحصيل ما بها من المال فبينا هو في الخمس وبين يديه أعيان البلد إذ أسر شخص أن الفرنج الذين وصلوا في ثمانية مراكب قد عزموا أن يهجموا عليه ويأسروه، فلم يكذب الخبر وقام مسرعا فتسارع الناس فسقط فانكسرت رجله، وحمل إلى داره ثم أركب إلى النيل ثم ركب إلى أن وصل القاهرة منزعجا وهجم الفرنج عقب صنعه ذلك، فكاثرهم أهل البلد حتى أغلقوا باب البحر، فعاثوا فيمن هو خارج الباب من المسلمين فقتلوا منهم عشرين رجلا وأسروا جماعة تزيد عن السبعين وأخذوا ما ظفروا به وصعدوا مراكبهم، ثم حاصروا البلد فتراموا بالسهام جميع الليل، فأخذ كثير من المسلمين في الفرار من الإسكندرية وقام الصياح على فقد من أسر أو قتل، فاتفق قدوم مركب من المغاربة ببضاعة فمال الفرنج عليهم فقاتلوهم، فدافعوا عن أنفسهم حتى أخذوا عنوة وضربوا أعناقهم وأهل الإسكندرية يرونهم من فوق الأسوار ما فيهم منعة، ووصل ابن ناظر الخاص بعد

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢/٢٥٨

أن خرج أبوه لما سمع الخبر وخرج صحبته جماعة من الجند، ثم سار الشيخ أبو هريرة بن النقاش في أناس من **المطوعة** على نية الجهاد في سبيل الله فقدموا الإسكندرية فوجدوا الفرنج قد أخذوا ما أخذوا وساروا مقلعين في مراكبهم. وفات ما فات.

وفيه نفى كزل العجمي إلى غزة ثم إلى صفد فسجن بالقلعة، واستمر إلى أن أطلق في أيام الظاهر ططر في سنة أربع وعشرين.

وفيها أحدث الوالي وهو خرز على النصارى واليهود برسم المماليك في المحمل في رجب المصادرة لهم على خمر كثير فتجوهوا في بعضه ببعض أهل الدولة فحقد." (١)

"وغنموا منهم، وكان غالب العسكر مع ذلك مقيما في المراكب خشية أن يكيدهم الفرنج بأن يملكوا عليهم البحر، ثم بلغهم أن صاحب قبرس تجهز لهم في جمع كثير، فتوجهوا في المراكب إلى جهة طرابلس، فرمتهم الريح إلى الطينة مقابل دمياط وكاتبوا السلطان بذلك، فأذن لهم في دخول دمياط فدخلوها في شوال، ثم أذن لهم في دخول القاهرة فدخلوها ومعهم عدة من السبى نحو الألف رأس، فتسلم السلطان جميع الغنيمة وفرق في الجيش مالا من عنده، وشاع الخبر أن صاحب قبرس كاتب نائب الشام في طلب الصلح، وكان ما سيأتي ذكره.

ذكر غزاة قبرس الأولى

سنة ثمان وعشرين وثمانمائة.

تقدم في حوادث سنة سبع ما وقع من الوقعة بين المسلمين وبين الفرنج في ساحل اللمسون المتصل بجزيرة قبرس، فلما رجعوا بالغنيمة والأسرى أمر الأشرف بتجهيز الأغربة والإستكثار منها، فجد في ذلك وأرسل إلى طرابلس والإسكندرية ودمياط وبيروت، وأمر بتركيز الجند في السواحل حفظا لها من عادية الفرنج، فاتفق أن جابوش صاحب قبرس جهز غرابا وسلورة وشحنهما بالرجال والعدد، وأمرهم بتتبع السواحل ونهب ما استطاعوا وإفساد ما قدروا عليه، فلم يبلغوا من ذلك غرضا لحفظها بالجند، فاتفق أنهم احتاجوا إلى الماء فانتهوا إلى مكان يقال نهر الكلب، فلما رآهم الحرس كمنوا لهم، فلما لم يروا أحدا دخلت السلورة النهر وهو ضيق فخرج عليهم الكمين فأحرقوها وأسروا من فيها ورجع من في الغراب إلى قبرس، ولما تكاملت العمارة جهز الأشرف الجند، وتوجه صحبتهم من **المطوعة** عدد كثير، وركب إلى الساحل فعرض الجميع

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٩٤/٣

وسافروا إلى دمياط، وكان جابوش – صاحب قبرس – جهز أميرا يقال له باله في تسعة أغربة، فوقف على فوهة دمياط يمنع أغربة المسلمين من الدخول في البحر الملح فوقف هناك، فصادف مجئ العمارة من الإسكندرية فقصدوهم فانهزموا منهم بغير قتال، وسافر الجميع من فم دمياط إلى طرابلس فانضم إليهم المراكب المجهزة منها ومن بيروت، واجتمع." (١)

"فيها من الأمراء والجند **والمطوعة** ومن العشير والزعر عدد كثير، ثم راسل كبيرهم وهو جرباش الكريمي جابوش في الدخول في الطاعة فامتنع، فسافروا إلى جهته فوصلوا إلى الماغوصة، فطلع الخيالة وأكثر المشاة وضربوا خيامهم بالبر، فحضر رسول صاحب الماغوصة ومعه ضيافة وقال إنه في الطاعة، فأعطوه أمانا وركبوا في الحال فداسوا من قدروا عليه وأوسعوهم تخريبا وتحريقا، وكان ذلك في رمضان، وأوقع الله الرعب في قلوب الذين كفروا حتى كان الثلاثة من المسلمين يدخلون الضيعة وفيها ما بين المائة والخمسين فلا يمتنع عليهم أحد، ثم صادفهم أخو جابوش في ألف فارس وثلاث آلاف رجال غير الكمناء، ثم إنه قذف في قلبه الرعب فرجع بمن معه، ولما تمت لهم في الماغوصة أربعة أيام وقد أوسعوها نهبا وأسرا قصدوا الملاحة وأحرقوا ما مروا عليه إلى مكان يقال له رأس العجوز، فوجدوا هناك أميرا فأسروا من معه وقتلوه، ثم صادفوا تسعة أغربة وقرقورة مشحونة مقاتلة فلا قاهم المسلمون، فانكسر للنصارى زورق وفر من فيه إلى البر فأسرهم المسلمون، وكان من تدبير صاحب قبرس أنه أرسل أخاه في الجبال فأرسل المقاتلة في البحر، فرجع أخوه بغير قتال وهزم الله أهل البحر، ووصلوا إلى الملاحة وضربوا خيامهم بها، وشنوا الغارة في الضياع، وقتلوا الذي كان أميرا على الملاحة، ويقال إنه كان شديدا على أسرى المسلمين، وكان يقال له: عين الغزال، وكان جابوش أمده بأربعة أحمال زرد خاناة على عجل، فأحاط بها المسلمون ثم جمعوا الغنائم والأسرى ورجعوا إلى المراكب إلى أن وصلوا إلى اللمسون، فحاصروا الحصن الذي هناك فأخذوه عنوة وملؤا أيديهم من الغنائم والأسرى وأحرقوا الحصن، وكان ذلك في يوم الخميس مستهل شوال،." (٢)

"به أن ينفي عز الدين البساطي المالكي وناصر الدين الشنشي الحنفي وولده إلى قوصن ثم بلغني أنه شفع فيه ولم يتم ذلك للبساطي واستمر الشنش. وأمر السلطان القضاة الأربعة – أن لا يحبس أحد من نوابهم أحدا إلا بعد مراجعة مستنيبه، وكسر سد الأميرية وغيرها في هذا اليوم، فنقص البحر نحو نصف ذراع بعد أن، كان نودي عليه يوم الجمعة بإكمال العشرين ذراعا، ثم زاد إلى سلخ تسعة أصابع، وانتهت الزيادة

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣٤٦/٣

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣٤٧/٣

يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الآخر إلى أحد عشر إصبعا من أحد وعشرين ذراعا، والحق أنه لم يكمل العشرين وأن الافتراء من أمين البحر.

وفيه وقع بين **المطوعة** في البحر من أهل دمياط وبين الفرنج وقعة بساحل صيدا، قتل فيها كبيرهم المجاهد عبد الرحمن، وأسر المسلمون بعد أن قتل منهم جماعة، وأخذت لهم ثلاثة مراكب، وأسف المسلمون على ذلك أسفا شديدا.

وفي أواخر شهر ربيع الأول وردت مطالعة نائب الشام يشكو فيها من القاضيين الشافعي والحنفي، فأمر السلطان بعزلهما معا، فعزل القاضي بهاء الدين - ابن حجي من كتاب السر بدمشق ومن قضاء الشافعية، واستقر في قضاء الشافعية شمس الدين الوناي، وقرر في يوم الخميس سابع شهر ربيع الآخر، وفي كتابة السر شهاب الدين العجلوني الذي كان يوقع عند الأمير الدويدار الكبير، وكان عين لها زين الدين بن السفاح بل قيل له البس الوظيفتين معا، ثم استقر في نظر الجيش فقط، وصرف جمال الدين الكركي. وأمر السلطان بنقل بهاء الدين من دمشق إلى القدس فسكنها بطالا، ثم تكلم له في تدريس الصلاحية فرسم له بها، وصرف الشيخ عز الدين القدسي وتوجه القاصد بذلك إلى دمشق، ثم بطل ذلك وكتب إلى ابن حجي بالقدوم إلى القاهرة واستمر القدسي في وظيفته فقدم ابن حجي في رجب ثم خلع عليه بنظر الجيش وسافر في أول رمضان، وصرف زين الدين بن السفاح وأعيد إلى نظر الجيش بحلب، واستقر في قضاء الحنفية بدمشق بعض المصريين." (١)

"سنة سبع وأربعين وثمانمائة

شهر الله - المحرم، أوله الأربعاء بالرؤية في اليوم التاسع منه استقر سراج الدين عمر بن موسى الحمصي في قضاء الشافعية بطرابلس، وأضيف إليه نظر الجيش بعد أن أقام بالقاهرة ثمانية اشهر وأزيد يسعى في قضاء الشافعية بدمشق، فحضر الونائي قاضيها في الثالث والعشرين من ذي الحجة، فحصل للحمصي ياس من قضاء دمشق فسعى في طرابلس إلى أن خلع عليه.

وفي يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الأول عمل المولد السلطاني، وكان مختصرا في كل أحواله بحيث أن عدد القراء انحط من ثلاثين إلى عشرة وكذلك الوعاظ، وفرغ بين العشائين، وتوجه الناس إلى منازلهم سالمين من عبث المماليك.

وفي يوم الاثنين سابع عشر شهر - ربيع الأول توجه العسكر المجهز لقتال الفرنج برودس، ومقدمهم تمرباي

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٤/١٣٨

راس نوبة الكبير وإينال العلائي الدوادار الكبير، ومعهم ألف وخمسمائة مقاتل، ومعهم جمع كثير من **المطوعة**، فتوجهوا إلى دمياط ليجتمع بها المراكب التي جهزت من الشامات وغيرها.

وفي هذا العشر من هذا الشهر توقف النيل بعد إن كانت الزيادة في العشر الأول ظاهرة، ونودي في يوم منه بثلاثين إصبعا – والله المستعان فيما كان – فكانت مدة التوقف.. وفي ليلة الخميس.. وفي من شهر ربيع الآخر توجهت مراكب – العساكر إلى دمياط." (١)

"فصل فيما وقع من الحوادث في

السنة الثامنة والأربعين بعد الستمائة

استهلت هذه السنة، والخليفة هو: المستعصم بالله.

وسلطان الديار المصرية: الملك المعظم تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين، ولكنه ما أقام في السلطنة إلا يسيرا، وقتل على ما نذكره عن قريب إن شاء الله تعالى.

وبقية أصحاب البلاد وملوك الأطراف على حالهم، غير صاحب اليمن، فإنه قتل أيضا في هذه السنة على ما نذكره إن شاء الله.

ذكر كسر الفرنج وأخذ ريد افرنس أسيرا

قد ذكرنا في السنة الماضية من القتال مع الفرنج، وكانوا قد ضعفوا لأجل انقطاع المدد والميرة عنهم من دمياط، فإن المسلمين قطعوا الطريق الواصل إليهم من دمياط، فلم يبق لهم صبر على المقام، فرحلوا ليلة الأربعاء لثلاث مضين من المحرم من هذه السنة متوجهين إلى دمياط، وركبت المسلمون أكتفاهم، ولما أسفر صباح يوم الأربعاء خالطهم المسلمون، وبذلوا فيهم السيف، ولم يسلم منهم إلا قليل، وبلغت عدة الموتى من الفرنج ثلاثين ألفا، وإنحاز ريد افرنس ومن معه من الملوك والأمراء إلى تل هناك.

قال المؤيد: إلى بلد هناك، فطلبوا الأمان، فآمنهم الطواشى محسن الصالحى، ثم احتيط عليهم وأحضروا إلى المنصورة.

قال أبو شامة: وأسر ريد افرنس وأخوه، وجماعة من خواصه كانوا اختفوا في منية عبد الله من ناحية شرمساح، فأخذوا برقابهم، وقيدوا ريدافرنس، وجعل في الدار التي كان ينزلها كاتب الإنشاء فخر الدين بن لقمان، ووكل به الطواشى صبيح المعظمى.

وقال بيبرس: وكان للبحرية النجمية في هذه الوقعة الحظ الأوفى، والقدح المعلى.

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٤/٢٠٨

وفي المرآة: وفي أول ليلة من سنة ثمان واربعين وستمائة كان المصاف بين الفرنج والمسلمين على المنصورة، بعد وصول الملك المعظم توران شاه إلى المخيم، ومسك الأفرنسيس وهو ريدافرنس، وقتل من الفرنج مائة ألف، ووصل كتاب المعظم توران شاه، يعنى إلى دمشق، إلى نائبها جمال الدين ابن يغمور: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، وما النصر إلا من عند الله، ويومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله،) ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (، وأما بنعمة ربك فحدث، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها؛ نبشر المجلس السامي الجمالى، بل نبشر الإسلام كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين، فإنه كان قد استفحل أمره، واستحكم شره، ويئس العباد من الأهل والأولاد، فنودوا: ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله الآية ولما كان يوم الأربعاء مستهل السنة المباركة تمم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن، وبذلنا الأموال، وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان، **والمطوعة**، واجتمع خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله تعالى، وجاؤوا من كل فج عميق، ومن كل مكان بعيد سحيق،) ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع عليه الإتفاق بينهم وبين الملك الكامل رحمه الله، فأبينا،) ولما كان في الليل (، تركوا خيامهم، وأثقالهم، وأموالهم، وقصدوا دمياط هاربين،) فرسنا في آثارهم طالبين (، وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل، وقد حل بهم الخزى والويل: فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا، غير من ألقى نفسه في اللجج، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج، والتجأ الفرنسيس إلى المنية، وطلب الأمان فآمناه، وأخذناه، وأكرمناه، وتسلمنا دمياك بعون الله ولطفه.

وقال أبو شامة: وفي يوم الأربعاء سادس عشر المحرم وصل إلى دمشق غفارة ملك افرنسيس المأسور، أرسلها السلطان المعظم إلى نائبه بدمشق الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، فلبسها، فرأيتها عليه، وهيى أشكرلاط أحمر، تحته فرو سنجاب، فيها بكلة ذهب، فنظم صاحبنا الفاضل الزاهد نجم الدين بن إسرائيل مقطعات ثلاثيا إرتجالا، كل قطعة بيتين في مدح السلطان، والأمير. أحديها:

إن غفارة الفرنس التي ... جاءت حباء لسيد الأمراء

كبياض القرطاس في اللون لكن ... صبغتها سيوفنا بالدماء

والثانية: مخاطبة للأمير

يا واحد العصر الذي لم يزل ... يحوز في نيل المعالى المدا

لا زلت في عز وفى رفعة ... تلبس أسلاب ملوك العدا

والثالثة: كتبها الأمير مقدمة كتاب إلى السلطان:." (١)

"وصاحب دمشق وحلب وغيرهما: السلطان الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز بن الملك الظاهر بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، والحرب قائمة بينه وبين المصريين، ولكنه رجع عن ذلك لكثرة الأراجيف بقصد التتار الديار الشامية، حتى أن هلاون أرسل إلى الناصر المذكور يستدعيه إليه، فأرسل الناصر ولده العزيز، وهو صغير، ومعه هدايا كثيرة وتحف سنية، فلم يحتفل به هلاون، وغضب على إبنه؛ إذ لم يقدم إليه أبوه، وقال: أنا الذي أسير إلى بلاده بنفسى، فانزعج الناصر لذلك، وبعث بحريمه وأهله إلى الكرك، ليحضهم بها، وخاف أهل دمشق خوفا شديدا حين بلغهم أن التتار قد قطعوا الفرات، وصار منهم جماعة كثرة إلى الديار المصرية في زمن الشتاء، ومات كثير منهم، ونهب آخرون.

وأقبل هلاون بجنوده يقصد نحو الشام، ونازل حران وملكها، واستولى على البلاد الجزرية، وأرسل ولده شموط بن هلاون إلى الشام، فوصل إلى ظاهر حلب في العشر الأخير من ذي الحجة من هذه السنة، وكان الحاكم في حلب يومئذ الملك المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين نائبا عن ابن ابن أخيه الملك النصار، فخرج في عسكر حلب لقتالهم، ولم يكن من الرأى خروجه، وأكمن لهم التتار في باب إلى المعروف بباب الله، وتقاتلوا عند بانقوسا، فاندفع التتار قدامهم حتى خرجوا عن البلد، ثم عادوا عليهم، وهرب المسلمون طالبين المدينة، والتتار يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد، واختنق جماعة من المنهزمين في أبواب البلد، ثم رحل التتار إلى عزاز فتسلموها بالأمان.

وكان الملك الناصر قد أرسل قبل ذلك القاضى الوزير كمال الدين عمر بن أبي جرادة المعروف بابن العديم إلى الديار المصرية رسولا يستنجد المصريين على قتال التتار، فإنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام، وأنهم قد استولوا على حران وبلاد الجزيرة وغيرها في هذه السنة، وقد جاز شموط بن هلاون الفرات واقترب من مدينة حلب.

فعقد لذلك مجلس بالديار المصرية بين يدى الملك المنصور بن الملك المعز أيبك التركمانى، وحضر قاضى القضاة بالديار المصرية بدر الدين السنجارى، وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وأفاضوا الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال الناس لمساعدة الجند، وكانت العمدة على ما يقوله ابن عبد السلام، فكان حاصل كلامه أنه قال: إذا لم يبق في بيت المال شيء، وأنفقتم الحوائص الذهب وغيرها من

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/١

الزينة، وتساويتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب، ولم يبقى للجندى سوى فرسه التي يركبها، ساغ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء، إلا أنه إذا دهم العدو وجب على الناس كافة أن يدفعوهم بأموالهم وأنفسهم.

ثم أن الملك الناصر برز إلى وطاة برزة في جحافل كثيرة من الجيش **والمطوعة** والأعراب وغيرهم، ولما سمعوا ما فعل شموط بن هلاون على حلب، وعلموا ضعفهم عن مقاومة المغول انقض ذلك الجمع، ولم يصبر لاهو ولا هم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ذكر سلطنة سيف الدين قطز

النائب بالديار المصرية ولما عقد المصريون المجلس، حين قدم إليهم رسول الملك الناصر صاحب دمشق، وهو كمال الدين بن العديم المذكور، قالوا: لا بد من سلطان قاهر يقاتل التتار، وهذا صبى صغير لا يعرف تدبير المملكة، يعنى السلطان الملك المنصور ابن الملك المعز، وكان كذلك فإنه كان يركب الحمير الغرة، ويلعب بالحمام مع الخدام.

واجتمع الأمراء الكبار وأعيان العساكر على أنه لا غنى للمسلمين من ملك يقوم بدفعه، وينتدب لمنعه، ويذب عن حوزة الدين، وذلك لما تحققوا قصد هلاون الديار الشامية، وامتداده إلى ممالك الإسلام، واتفقوا على إقامة الأمير سيف الدين قطز المعزى سلطانا لأنه كبير البيت، ونائب الملك، وزعيم الجيش، وهو معروف بالشجاعة والفروسية، ورضى به الأمراء الكبار فأجلسوه على سرير الملك، ولقبوه الملك المظفر.

وكان الأمير علم الدين العتمى، وسيف الدين بهادر، وهما من كبار المعزية غائبين في رمى البندق حين تسلطن المظفر، ولما حضرا قبض عليهما واعتقلا.

وكان جلوس الملك المظفر على تخت السلطنة في الرابع من ذي الحجة من هذه السنة بقلعة الجبل.

وكان ذلك كله بحضرة كمال الدين بن العديم، فأعاد قطز الجواب إلى الملك الناصر يوسف بأنه سينجده ولا يقعد عن نصرته، ورجع ابن العديم إلى دمشق بذلك.." (١)

"وفي هذه السنة رسم السلطان للعساكر بالتجهيز، وعزم على التبريز، وخرج من قلعته في المحرم من هذه السنة، وسار إلى الشام على عزم غزو طرابلس وأخذها وذلك أن أهلها نقضوا قواعد الصلح، وكدروا موارد الهدنة، بما ارتكبوا من الفساد، وسوء الاعتماد، والتطرق إلى الطرقات، والتعرض إلى المسلمين في معظم الأوقات، فعزم على حصارها، وصمم على دمارها، وكتب إلى النواب بالممالك الشامية والحصون

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٥٤

الساحلية بتجهيز الجيوش إليها، وإنقاذ المجانيق وآلات الحصار والنزول عليها.

ذكر فتح طرابلس

توجه السلطان إليها، ونزل عليها، وجاءت الأمداد من جميع البلاد، وجدوا في الحصار.

وقال ابن كثير: نزل السلطان على طرابلس وصحبته خلق كثير من **المتطوعة**، منهم القاضى الحنابلة نجم الدين بن الشيخ، وخلق من المقادسة وغبرهم، فنازلها يوم الجمعة مستهل ربيع الأول وحاصرها بالمجانيق حصارا شديدا، وضايقها مضايقة عظيمة ونصب عليها تسعة عشر منجنيقا، فلما كان يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة فتحت طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوة، وشمل القتل والأسر جميع من فيها، وغرق كثير منهم في الميناء، ونهبت الأموال، وسببت النساء والأطفال، وأخذت الذخائر والحواصل، وقد كانت طرابلس في أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ، وقد كان الملك صنجيل حاصرها سبع سنين حتى ظفر بها كما ذكرنا، وكانت قبل ذلك بأيدي المسلمين من زمن معاوية رضى الله عنه، فإنه فتحها في زمن معاوية سيفان بن نجيب فأمسكها معاوية اليهود، ثم لما كان عبد الملك بن مروان جدد عمارتها وحصنها وسكنها المسلمون، حينئذ وصارت مطمئنة، وبها ثمار الشام ومصر، فإنه يجتمع فيها الجوز والموز والبلح والقصب، وقد كانت قبل ذلك كله ثلاث مدن متقاربة، ثم صارت بلدا واحدا، ثم حولت من موضعها، فإن السلطان أمر بهدم هذه البلدة بما فيها من العمائر والآدر والأسوا ر وأن تبنى على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن ةففعل ذلك، فهى هذه التى هي الآن، جعلها الله دار أمان.

وفي تاريخ النويرى: مدة لبث الفرنج عليها من يوم استولوا عليها نحو مائة سنة وخمس وثمانون سنة وشهورا، وكان فتحها عنوة يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر، وهرب أهلها إلى الميناء، فنجا أولهم في المراكب، وقتل غالب رجالها، وسببت ذراريهم، وغنم منها المسلمون غنيمة عظيمة، وكان في البحر قريبا من طرابلس جزيرة، وفيها كنيسة تسمى كنيسة سنطماس بينها وبين طرابلس الميناء، فلما أخذ طرابلس هرب إلى الجزيرة المذكوره عالم عظيم من الإفرنج رجال ونساء، فاقتحم العسكر الإسلامى البحر وعبروا خيولهم سباحة إلى الجزيرة المذكورة، وقتلوا جميع من بها من الرجال، وغنموا ما بها من النساء والصغار والأموال، وصار الناس لا يستطيعون الصعود إليها من نتن جيف القتلى ثم عاد السلطان إلى دمشق، وأعطى صاحب حماة الدستور، فعاد إلى بلده، ودخل السلطان دمشق يوم النصف من جمادى الآخرة.

ثم سافر السلطان في ثاني شعبان بجيشه إلى الديار المصرية، فدخلها في آخر شعبان من هذه السنة.

وفي تاريخ بيبرس: وانهزمت طائفة من الفرنج وأهل طرابلس إلى جزيرة قريبة من الميناء لم يكن يتوصل إليها

إلا بالقوارب وصغار المراكب، فالتجأوا إليها وظنوا أنهم يحتمون بها، ونقلوا معهم ما عز عليهم من قماشهم وأثاثهم، فاقتضعت سعادة السلطان وشقوقهم أن، انطرد البحر عنهم، وظهرت العساكر المخائص إليهم، فبادروا إليها ما بين راجل وفارس، وأوقفوا بمن كان فيها من شيخ وشاب، وبكر وعانس، وركب أقوام منهم مركبا في البحر لينجوا بأنفسهم، فطردتهم الريح إلى الساحل، وتعذر عليهم الخروج في العاجل، وكانت هناك الخيول الإسلامية مع الدشارية، فخرج إليهم الغلمان والشاكردية والوشافية وأمير آخورية ووقعوا فيهم ونهبوا وأسروا من وجدوا منهم، فكان الخذلان لهم في البر والبحر، ولم يستشهد في هذه الغزاة إلا الأمير عز الدين مغان أمير شكار، والأمير ركن الدين منكورس الفارقاني، ثم أمر السلطان بتخريب المدينة بكمالها، وبنيت بالقرب منها مدينة أخرى وسميت طرابلس المستجدة، وسكنها كثير من المسلمين، واستقر بها نائب السلطنة، وطائفة من العسكر، ولما فرغ السلطان من أمرها رحل عائدا إلى الديار المصرية.." (١)

"وكان السلطان المنصور قد جرد جماعة من الأمراء ليقيموا بجينين، وقدم عليهم أميرا يسمى سنقر يعرف بالمساح، وأمره أن يركب كل يوم بالعسكر إلى مقابل حصن عكا، ويحفظوا الساحل والتجار خشية من أهل عكا، فإنهم كانوا قد نقضوا الهدنة بينهم وبين السلطان، وتعرضوا للسفارة من التجار وغيرهم، وكان يجرى بينه وبين أهل عكا كل وقت حروب ووقائع، وهو ينتصر عليهم، فوشى به الواشي إلى الأشرف بأنه كان منتميا إلى طرنطاى، وكان الأمير بدر الدين بكتوت العلائي مجردا على حمص، قد كان المنصور جرده مع جماعة من الأمراء، فأرسل إليه الأشرف أن يحضر ويجعل طريقه على جينين، ويحتال على قبض المساح، ويسيره إلى سجن صفد، ثم يحضر إلى مصر وصحبته الأمراء، وكان العلائي هذا له خدمة سابقة مع الأشرف في حياة والده، فلما وصل إليه الخبر ركب بمن معه إلى أن وصل دمشق، ثم خرج منها إلى أن وصل إلى جينين وسمع به المساح، فركب إلى لقائه مع الأمراء الذين معه وتلقوه، ولما نزلوا قدم طعام فأكلوا، وخرجت الأمراء وبقى المساح، فأخرج إليه العلائي مرسوم الأشرف وقرأه عليه، وتقدمت مماليكه وأخذوا سيفه، وأركبه من وقته على خيل البريد وصحبته أميران، فأوصلاه إلى سجن صفد، ثم رحل العلائي بمن معه إلى أن وصل إلى مصر، فحضر بين يدي الأشرف وأكرمه وغير إقطاعه، وكان ذلك في أوائل صفر.

وفي سابع صفر قبض الأشرف على الأمير سنقر الأشقر، وسيف الدين برمك الناصري، وأفرج عن الأمير زين الدين كتبغا، وكان قد مسك مع طرنطاى، كما ذكرناه، ورد عليه إقطاعه، ثم شرعوا في الخروج إلى جهة

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٢٠٥

عكا.

قال ابن كثير: جاء البريد إلى دمشق في مستهل ربيع الأول لتجهيز الآلات بسبب حصار عكا، ونودي بدمشق الغزاة في سبيل الله إلى عكا، وبرزت المجانيق إلى ناحية الجسورة، وخرجت العامة **والمطوعة** يجرون العجل، حتى الفقهاء والمدرسون والصلحاء، فتولى سياقها علم الدين سنجر الدواداري، وخرجت العساكر المنصورة بين يدي نائب الشام، وخرج في إثرهم النائب حسام الدين لاجين السلحدار، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر بن الملك المنصور، وصحبته مجانيق وزردخاناه، ووصل نائب طرابلس الطباخي، وصحبته عسكر طرابلس، وتوجه الجميع إلى حصن عكا.

ذكر خروج الأشرف

خرج الأشرف من مصر في الرابع من ربيع الآخر بعساكره قاصدا عكا، فوافى الجيش هناك، فنازلوها يوم الخميس التاسع عشر من ربيع الآخر.

وفي تاريخ ابن كثير: فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر، فهذا يدل على أن خروجه كان في ربيع الأول، والله أعلم.

وذكر في نزهة الناظر: أن السلطان الأشرف رسم قبل خروجه أن ينقل والده المنصور إلى تربته في القبة التي أنشأها بين القصرين، فجرجت سائر الأمراء ونائب السلطنة والشجاعي والوزير صلاة العشاء الآخرة ومشى الجميع قدام تابوته إلى جامع الأزهر، وحضر القضاة والمشايخ والفقراء، وتقدم قاضي القضاة تقي الدين وصلى عليه، ثم ذهبوا به إلى المدرسة، وكانت ليلة عظيمة.

وبعد أيام خرج الدهليز والعسكر في مستهل ربيع الأول، ولما استقر، رسم للوزير والنائب بأن يدخلا المدينة ويعملا ختمة لوالده فركبا ليلة الجمعة وعملا ختمة هائلة، وعملا أطعمة عظيمة، وتصدقا على الفقراء والمساكين بصدقات كثيرة.." (١)

"ثم خرج السلطان بجيش من دمشق يوم الأحد السابع عشر من ربيع الأول من هذه السنة، ولم يتخلف أحد من الجيوش، وخرج خلق كثير من **المطوعة**. ولما وصلوا إلى حمص ضربوا الدهليز بها، وشرعوا يرسلون إلى العرب ويخبروهم بمجيء العدو. وشرعت الناس يتلقطون نصرة العدو على المسلمين، واشتهر ذلك بينهم، فوقع الجفل والخوف فيهم حتى أن المقدم الذي كان مضافيه خمسين نفسا أو أربعين يفتقدهم إذا كثروا قدر عشرين أو خمسة وعشرين، فصار رجال الحلقة يقول بعضهم لبعض: يا فلان من أش تنفع

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٢١٩

هذا وقت الغيبة خل البرجية الذين يأكلون مصر يقاتلون العدو.
ثم تواترت الأخبار بأن التتار وصلوا إلى وادي الخزندار عند سلمية، فسارت العساكر إليهم ليهجموا عليهم، وقطعوا ثلاث مراحل في مرحلة واحدة، فلما أشرفوا على مجمع المروج ركب التتار وطلبوا، وكان قازان فيهم وصحبته الأمراء المتوجهون إليه وهم: سيف الدين قبجق، وسيف الدين بكتمر السلاح دار، وفارس الدين ألبكى الظاهري، وسيف الدين عزاز الصالحي.
ولما أشرفوا على طلائع العدو نادت الحجاب والنقباء بين العسكر بأن يرموا رماحهم ويعتمدوا على الضرب بالسيوف، وكان هذا من سوء التدبير وعلامة الخذلان، فرمى جميع العسكر ما بأيديهم من الرماح إلى الأرض فحصل للخيل ضرر كثير منها لمصادمة حوافرها على أسنة الرماح وهي مطروحة على الأرض، وكان كل سنان منها يساوي مائة درهم إلى خمسين درهما، فنظروا إلى التتار وقد ملأوا الأرض.
ثم شرعت الأمراء والحجاب في ترتيب الجيش، ورتبوا في رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنى وأخاه فضلا، ومعهما آل مرا وآل على وآل كلب وجميع العربان، ونائب حلب ونائب حماة بعساكرهما، وفي الميسرة بدر الدين بكتاش الفخري، والأمير جمال الدين قتال السبع، والأمير علم الدين الدواداري، وطغربل الإيغاني، والحاج كرت نائب طرابلس، وطلب الأمير حسام الدين لاجين الأستادار وفيه الأمراء الطبخانات من بقية الظاهرية ومضافوها، وفي القلب جمهور العسكر وفيهم سيق الدين سلار، وركن الدين بيبرس، وسيف الدين برلغي ومضافوه وسيف الدين قطلوبك الحاجب ومضافوه، والأمير عز الدين أيبك الخزندار ومضافوه، وجعلوا الجناحين المماليك السلطانية، ورتبوا أن يكون الأمير حسام الدين لاجين الأستادار صحبة السلطان يحفظه، وجعلوه في موضع بعيد عن الملاقاة خشية عليه، ورسموا للأمير علم الدين أن يكون سنجق السلطان منعزلا عنه كي لا يعرف أنه تحت الأعلام فيقصد، ورتبوا جماعة من الزراقين نحوا من خمسمائة مملوك في مقدمة الجيش.
وفي ذلك الوقت حصل للأمير بيبرس إسهال مفرط وحرارة عظيمة حتى ما بقى يمكنه الركوب على الفرس ولا الثبات على ظهره، فأركبوه المحفة، وأبعدوه عن الملاقاة.
وأخذ الأمير سلار الحجاب ومعهم الفقهاء، وداروا على العسكر جميعهم، وهم يتلون الآيات المناسبة للجهاد، ويحرضون للجهاد وتوطين النفس على الملاقاة حتى غشى الناس البكاء والتوجع.
وأما قازان فإنه طلب مقدمى التوامين وأمرهم أن أحدا منهم إذا رأى جيش المسلمين لا يحمل عليه ولا يتحرك من مكانه إلى حين يرى غريمه يدخل عليه، وأراد بذلك تضعيف خيل المسلمين وكسر همة الفرسان،

وأن يمكن رماته من رمي السهام، لأن ذلك أثبت لهم وأسكن، وكذلك كان، فإنه لما وقعت الصدمة، وتحركت العساكر، وأوقد الزراقون نفطهم، واعتقد المسلمون - على ما عهدوه من اللقاء في المصاف - أنه ساعة يحمل الجيش يحمل أيضا جيش العدو، فتقع الصدمة من الطائفتين، ويعطي الله النصر لمن يشاء.

ولما حملت العساكر وخرجت الخيول بقوة بأسها، وحدة شوطها، حتى قربوا من وجه العدو، لم يتحرك منهم أحد، ولا انزعج جيشهم، فلما شاهدوا ذلك منهم قل عزمهم، وانطفأ النفط الذي كان مع الزراقين في مقدم الجيش، لأنهم كانوا أوقدوه من بعد على أنهم يتقدمون لهم، فبينما تقدم عسكر المسلمين إليهم مع بعد المسافة وثبات العدو وعدم حركتهم فرغ البارود، وبردت الهمة، بعيد ذلك حملت التتار حملة صادقة حتى اختلطوا بالمسلمين، وأصابت سهامهم خيلا كثيرا منهم، ورموا فرسانها.." (١)

"السنة الثانية من ولاية الملك الناصر فرج بن برقوق الثانية على مصر، وهى سنة ٨٠٩ هـ ١٦٤

السنة الثالثة من ولاية الملك الناصر فرج بن برقوق الثانية على مصر، وهى سنة ٨١٠ هـ ١٦٧

السنة الرابعة من ولاية الملك الناصر فرج بن برقوق الثانية على مصر، وهى سنة ٨١١ هـ ١٧١

السنة الخامسة من ولاية الملك الناصر فرج بن برقوق الثانية على مصر، وهى سنة ٨١٢ هـ ١٧٥

السنة السادسة من ولاية الملك الناصر فرج بن برقوق الثانية على مصر، وهى سنة ٨١٣ هـ ١٧٨

السنة السابعة من ولاية الملك الناصر فرج بن برقوق الثانية على مصر، وهى سنة ٨١٤ هـ ١٨٣

ذكر سلطنة الخليفة المستعين بالله العباس على مصر- نسب الخليفة- كيف تمت سلطنته- تولية الأمير نوروز نيابة الشام- تولية الأمير شيخ أتابكية العساكر بالديار المصرية ١٨٩

الأمير شيخ المحمودى يعمل للاستقلال بالسلطة- السلطان يفوض إليه ما وراء سرير الخلافة ٢٠٣

خلع الخليفة المستعين بالله العباس من السلطنة وتولية الأمير شيخ المحمودى السلطنة مكانه وتلقبه بالملك المؤيد ٢٠٦

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، المقدمةج ١٤، ص: ١

[الجزء الرابع عشر]

تراثنا النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى الجزء الرابع عشر تحقيق الدكتور جمال محمد محرز الأستاذ فهيم محمد شلتوت الناشر الهيئة

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٣٥٠

المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١ هـ- ١٩٧١ م
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، المقدمةج ١٤، ص: ٢
بسم الله الرحمن الرحيم
تقديم
هذا هو الجزء الرابع عشر من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى.
وهذا الجزء يؤرخ للحقبة التى حكم فيها السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى وابنه السلطان الملك المظفر أحمد، ثم السلطان الملك الظاهر ططر وابنه السلطان الملك الصالح محمد بن ططر، ثم السلطان الملك الأشرف برسباى.
وإذا كان الجزء الثالث عشر قد أرخ للعالم العربى والأطراف الدائرة فى فلكه فى فترة غمرتها أحداث لم تشهد مصر وما والاها مثلها من قبل، كغزو تيمور لنك لسوريا سنة (٨٠٢- ٨٠٣ هـ) ، والصراع المحتدم بين السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق وكبار أمراء دولته، ذلك الصراع الذي انتهى بمقتل كثير من أمراء الدولة ثم مقتل السلطان نفسه، إلى الجدب العظيم الذي أصيبت به البلاد نتيجة لقصور فيضان النيل، إلى انتشار الطاعون فى البلاد، وانعكاس أثر ذلك كله على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية.
إذا كان هذا هو موضوع الجزء الثالث عشر فإن الجزء الرابع عشر يؤرخ لفترة من الاستقرار النسبى سادت البلاد العربية فانتعشت أحوالها وتفرغ بعض السلاطين إلى إقرار الأمور فى الأطراف، فجال المؤيد شيخ المحمودى فى بلاد الشام وما جاورها من بلاد الروم، وأدب عصاة التركمان، ومهد قلاع الثغور الإسلامية، وأكد ولاءها للدولة.
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، المقدمةج ١٤، ص: ٣
كذلك أرسل ابنه المقام الصارمى إبراهيم على رأس حملة مهدت الأمور فى القلاع الرومية، وقضى على العصاة من التركمان، ونشر هيبة الدولة فى الأقطار المجاورة.
كذلك فعل السلطان ططر- على قصر فترة حكمه- وأيضا فعل السلطان برسباى.
وخلفت هذه الفترة كثيرا من الآثار الشامخة التى تدل على استتباب أمور الدولة وتفرغ السلطان وكبار رجاله إلى التعمير والتشييد؛ من ذلك مسجد ومدرسة السلطان الملك المؤيد داخل باب زويلة الذي يقول المؤلف عنه: لم يبن فى الإسلام أكثر زخرفة منه بعد الجامع الأموى بدمشق، وكذلك مدرسة ومسجد الأشرف

برسباى، وغيرهما من الآثار الشامخة التى أخنى عليها الدهر. مثل قبة البحرة بقلعة الجبل، وبيمارستان المؤيد شيخ، ومنظرة «الخمس وجوه» ومسجد جزيرة الروضة.

ولولا خروج بعض الأمراء من حكام البلاد الشامية والحلبية عن الطاعة، واضطرار السلطان لقتالهم، ولولا الطاعون العظيم الذي انتشر فى البلاد العربية وغيرها من الأقطار الإفريقية والأقطار الأوربية (سنة ٨٣٣ هـ) والذي لم يشهد العالم مثله فى تلك الحقب، ولولا ما اتسم به عهد برسباى من تذمر المماليك السلطانية أو المماليك الأجلاب كما يطلق عليهم، وخروجهم عن الطاعة فى كل قليل وكثير، واعتدائهم على كبار رجال الدولة لكانت الفترة التى يؤرخ لها هذا الجزء من كتاب النجوم الزاهرة من أحسن الفترات التى مرت بالدولة الإسلامية.

وتتميز هذه الفترة بالانتصارات المتتابعة للدولة على الفرنج الذين دأبوا على مهاجمة الثغور الإسلامية، والاستيلاء على مراكب المسلمين وقوافل تجارتهم البحرية مما اضطر الملك الأشرف برسباى أن يعد الحملة تلو الحملة لتأديب قراصنة الفرنج، ثم يعد حملة كبيرة تشترك فيها الجيوش النظامية **والمطوعة** من المجاهدين إلى قبرس سنة ٨٢٩ هـ فتنتصر انتصارا ساحقا على جيوش قبرس وجيوش الفرنج المساندة لها، وتعود بالغنائم والأسرى ومن بينهم ملك قبرس نفسه.

وقد أفرد المؤلف فصلا لغزوة قبرس حكى فيه أخبارها، وكيف تم انتصار الجيوش

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، المقدمةج ١٤، ص: ٤

الإسلامية فيها وكيف أسر الملك، ثم عودة الجيوش واستقبال الشعب العربى فى القاهرة لها، ومراسيم الدولة فى هذا الاستقبال، وحال ملك قبرس فى حضرة السلطان، وما انتهى إليه أمر الملك من الإفراج عنه ودخوله فى طاعة الدولة وتقرير خراج سنوى يدفع للسلطان.

ولقد كانت هذه الغزوة بمثابة فرض سلطة الدولة الإسلامية على جزر البحر المتوسط، ولذلك نرى ملك رودس يسارع فيطلب الأمان من السلطان ويطلب إعفاء بلاده من الغزو، ويتعهد بالقيام بكل ما يطلب منه.

وتترك هذه الانتصارات أثرها المرير بين أعداء الدولة الإسلامية، ليس لدى الفرنج وحدهم كما تعودنا ولكن لدى الحطى ملك الحبشة أيضا، مما يجعله يمهد لمؤامرة على الدولة الإسلامية فيرسل رسوله إلى ملوك الفرنج يستشيرهم ويؤلبهم على الدولة، ويرسم معهم خطة مهاجمتها من الشمال ومن الجنوب برا وبحرا، ولكن يقظة الدولة توقع برأس العمالة الذي يتمتع بنسبته للدولة الإسلامية، وتقدمه للمحاكمة ثم تعدمه جزاء غدره وخيانته «١» .

ويؤرخ هذا الجزء أيضا للأحداث التى وقعت فى اليمن سنة ٨٣٢ هـ، وكذلك للأحداث التى وقعت فى المشرق (شمالى العراقين) والتى انتصرت فيها الحملة المصرية الشامية واستولت على الرها وغيرها من البلاد. كذلك يؤرخ للحروب التى وقعت بين شاه رخ بن تيمور لنك، وبين إسكندر ابن قرايلك والتى انتهت بهزيمة إسكندر وفناء جيوشه وتشتته فى البلاد.

ومؤرخنا فى هذا الجزء يصف عن مشاهدة ويتحدث عن خبرة حديث القريب من الأحداث اللصيق بها؛ فهو مثلا يتحـدث عن موقف طريف له فى طفولته مع السلطان الملك المؤيد شيخ فيقول «٢» :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، المقدمةج ١٤، ص: ٥

دخلت إليه مرة- وأنا فى الخامسة- فعلمنى- قبل دخولى إليه- بعض من كان معى أن أطلب منه خبزا، فلما جلست عنده وكلمنى سألته فى ذلك، فغمز من كان واقفا بين يديه- وأنا لا أدرى- فأتاه برغيف كبير من الخبز السلطانى، فأخذه بيده وناولنيه وقال: خذ هذا خبز كبير مليح، فأخذته من يده وألقيته إلى الأرض، وقلت:

أعط هذا للفقراء، أنا ما أريد إلا خبزا بفلاحين يأتوننى بالغنم والأوز والدجاج. فضحك حتى كاد أن يغشى عليه، وأعجبه منى ذلك إلى الغاية، وأمر لى بثلاثمائة دينار ووعدنى بما طلبته وزيادة.

وعلاقة مؤرخنا بسلاطين الدولة فى هذه الحقبة واتصاله بهم ومعيشته فى بلاطهم- حتى عد فى بعض الأوقات من ندمائهم- أتاحت له أن يطلع على كثير من الأمور وأن يعيش بعضهما وأن يسجلها فى تاريخه هذا وفى غيره، وأن يكون حديثه عنها وثيقة تاريخية لها قيمتها فى تحليل أحداث هذه الحقبة وتقويمها.

وتناوله لبعض آراء مؤرخى عصره، ومناقشته لهم، تبين إلى أى مدى كانت أحكامه صادقة وآراؤه سليمة.

فهو حين يناقش مؤرخ العصر الشيخ تقي الدين المقريزى حول رأيه فى الملك المؤيد شيخ وتقويمه له، يقول «١» : وكان يمكننى الرد على جميع ما قاله بحق غير أننى لست مندوبا إلى ذلك، فلهذا أضربت عن تسويد الورق وتضييع الزمان، والذي أعرفه أنا من حاله أنه كان سلطانا جليلا مهابا شجاعا عاقلا نقادا ... الخ.

وحين يناقشه أيضا فى ترجمته للسلطان الملك الظاهر ططر يقول «٢» : هذا القول لا يقوله إلا من ليس له خبرة بقواعد السلاطين، ولا يعرف ما الملوك عليه بالكلية، ولولا أن المقريزى ذكر هذه المقالة فى عدة كتب من مصنفاته ما كنت أتعرض إلى جواب ذلك؛ فإن هذا شىء لا يشك فيه أحد، ولم يختلف فيه اثنان غيـر أنى أعذره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، المقدمةج ١٤، ص: ٦
فيما نقل، فإنه كان بمعزل عن الدولة، وينقل أخبار الأتراك عن الآحاد، فكان يقع له من هذا وأشباهه أوهام كثيرة نبهته على كثير منها فأصلحها معتمدا على قولى، وها هى مصلوحة بخطه فى مظنات الأتراك وأسمائهم ووقائعهم.

وهو يناقش حافظ العصر شهاب الدين بن حجر فى نسبة السلطان الملك الأشرف برسباى بالدقماقى فيقول «١» : وسبب سياقنا لهذه الحكاية أن قاضى القضاة شهاب الدين ابن حجر- رحمه الله- نسبه أنه عتيق دقماق، وليس الأمر على ما نقله، وهو معذور فيما نقله لبعده عن معرفة اللغة التركية ومداخلة الأتراك، وقد اشتهر أيضا بالدقماقى فطن أنه عتيق دقماق، ولم يعلم نسبته بالدقماقى كما أن نسبة الوالد- رحمه الله بالبشبغاوى والمؤيد بالمحمودى ونوروز بالحافظى..... وقد وقفت على هذه المقالة فى حياته على خطه ولم أعلم أن الخط خطه فإنه كان (أى ابن حجر) رحمه الله يكتب ألوانا، وكتبت على حاشية الكتاب وبينت خطأه، وأنا أظن أن الخط خط ابن قاضى شهبة، وعاد الكتاب إلى أن وقع فى يد قاضى القضاة المذكور، فنظر إلى خطى وعرفه واعترف بأنه وهم فى ذلك ... قلت: وعلى كل حال إن هذا الوهم هو أقرب للعقل من مقالة المقريزى فى الملك الظاهر ططر «إن الملك الناصر فرجا أعتقه بعد سنة ثمان فى سلطنته الثانية» . وأيضا أحسن مما قاله المقريزى فى حق الملك الأشرف برسباى هذا بعد وفاته فى تاريخه «السلوك» فى وفيات سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ... الخ..

ومن هنا تجىء أهمية هذا الجزء وما يليه، ويأخذ مكانه الصحيح بين الكتب التى أرخت لهذه الحقبة.

هذا وقد تم تحقيق هذا الجزء على نسق الأجزاء السابقة منه والتى اضطلع بتحقيقها القسم الأدبى بدار الكتب، ورجع فى تحقيق الأحداث وتراجم الأعلام إلى المصادر
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، المقدمةج ١٤، ص: ٧
المعتمدة والمطروقة فى هذا الميدان، وقوبل الجزء على مصورة مخطوطة «أيا صوفيا» المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٣٤٣ تاريخ، وكذلك على طبعة كاليفورنيا التى حققها المستشرق وليم پوپر، وتركت لغة المؤلف وما فيها من تعبيرات عامية على حالها لتعطى صورة عن لغة العصر.

وإنا لنرجو أن نكون قد وفقنا، وأن يكون الجهد الذي بذلناه موضع القبول.

والله ولى التوفيق.

٢٠ من شوال سنة ١٣٩١ ٧ من ديسمبر سنة ١٩٧١ المحققان

د جمال محمد محرز. فهيم محمد شلتوت." (١)

"الحديث ليفهمه كل أحد من مبتدئ أو منته، وأيضا كلما كثر الجمع عظم الأجر والثواب، وأما الصياح فلم تبرح مجالس العلم فيها البحوث والمشاحنة، ولو وقع منهم ما عسى أن يقع فهم فى أجر وثواب، وليس للاعتراض هنا محل بالجملة- انتهى.

ثم فى يوم الأحد رابع شهر رمضان أخرج السلطان الأمير أرغون شاه النوروزى، والأمير ناصر الدين محمد بن بولى من القاهرة إلى دمشق بطالين، وقد تقدم أن كليهما قد ولى الأستادارية بالديار المصرية.

وفى هذه الأيام ندب السلطان جماعة من المماليك السلطانية للغزاة.

ولما كان يوم الجمعة تاسع شهر رمضان سار غرابان من ساحل بولاق ظاهر القاهرة فى بحر النيل بعد أن أشحنا بالمقاتلة والأسلحة، وكان فيهما من المماليك السلطانية ثمانون نفرا غير **المطوعة**، ورسم السلطان لهم أن يسيروا فى البحر إلى طرابلس، ويأخذوا أيضا من سواحل الشام عدة أغربة أخر فيها المقاتلة، ويسيروا فى البحر المالح لعلهم يجدون من يتجرم فى البحر من الفرنج، وهذه أول غزاة «١» جهزها السلطان الملك الأشرف برسباى رحمه الله «٢» .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع شوال أمر السلطان بحفر صهريج «٣» بوسط صحن جامع الأزهر، فابتدءوا فيه من هذا اليوم وحفروا بوسط «٤» صحن الجامع المذكور فوجدوا فيه آثار فسقية قديمة وبها عدة أموات، ثم شرعوا فى بنائها حتى كملت وعمر فوقها مقعد لطيف على صفة السبيل، وانتفع أهل الجامع به، ودام سنين إلى أن أمر السلطان الملك الظاهر [جقمق] «٥» بهدمه، فهدم وردم.

ثم فى يوم السبت تاسع عشرين شوال المذكور حضر الأمراء الخدمة السلطانية." (٢)

"وكان من خبرهم أنهم لما خرجوا من ثغر دمياط تبعهم خلائق من **المطوعة** فى سلورة «١» وساروا إلى طرابلس وسار معهم أيضا غرابان، وتوجهوا الجميع إلى الماغوصة «٢» فأضافهم متملكها وأكرمهم، فلم يتعرضوا لبلاده، ومضوا عنه إلى بلد يقال لها اللمسون «٣» من جزيرة قبرص فوجدوا أهلها قد استعدوا لقتالهم وأخرجوا أهاليهم وعيالهم، وخرجوا فى سبعين فارسا تقريبا وثلاثين راجلا، فقاتلهم المسلمون حتى هزموهم، وقتلوا منهم فارسا واحدا وعدة رجال، وغرقوا بعض أغربة وأحرقوا بعضها، ونهبوا ما وجدوه من

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٩٠/١٣

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٦٨/١٤

ظروف السمن والعسل وغير ذلك، وأسروا ثلاثة وعشرين رجلا، وأخذوا قطع جوخ كثيرة، فسر الناس بعودهم وسلامتهم وتشوق كل أحد للجهاد- انتهى.

ثم فى ثامن عشرين ذى الحجة خلع السلطان على الشيخ سعد الدين سعد ابن قاضى القضاة شيخ الإسلام شمس الدين محمد الديرى الحنفى باستقراره فى مشيخة صوفية الجامع المؤيدى ومدرس الحنفيةِ به بعد موت أبيه بالقدس.

[ما وقع من الحوادث سنة ٨٢٨]

ثم فى تاسع عشرين المحرم من سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ركب السلطان مخفا من قلعة الجبل، ونزل إلى جامعه بخط العنبريين وكشف عمائره، ثم ركب وسار إلى جامع الأزهر لرؤية الصهريج الذي عمره، ثم تقدم وزار الشيخ خليفة والشيخ سعيدا وهما من المغاربة لهما بالجامع الأزهر مدة سنين وشهرا بالخير والصلاح، ثم خرج من الجامع إلى." (١)

"قلت: وكان قصد الأشرف برسباى بركوب الملك الصالح [محمد] «١» هذا مع ولده انبساط الصالح- كونه كان كالمحجور عليه بقلعة الجبل- وتنزهه، لا كما زعم بعض الناس أنه يريد بذلك مشيه فى خدمة ولده وازدراءه، كل ذلك وخاطر السلطان مشغول بأمر جانى بك الصوفى، والفحص عنه مستمر؛ غير أن السلطان يتشاغل بشيء بعد شيء، وهو الآن مشغول الفكرة فى أمر المجاهدين لا يبرح يترقب أخبارهم إلى أن كان يوم الخميس تاسع شوال ورد عليه الخبر من طرابلس بنصرة المسلمين على الفرنج، فدقت البشائر [لذلك] «٢» بقلعة الجبل وغيرها، وجمع القضاة وأعيان الديار المصرية بالجامع الأشرفى بخط العنبريين وقرىء عليهم الكتاب الوارد من طرابلس بنصرة المسلمين، فضج الناس وأعلنوا بالتكبير والتهليل، ونودى بزينة القاهرة ومصر، ثم قرىء الكتاب المذكور من الغد بجامع عمرو بن العاص بمصر، وبينما الناس مستبشرون فى غاية ما يكون من السرور والفرح بنصر الله قدم الخبر فى يوم الاثنين ثالث عشر شوال [المذكور] «٣» بوصول الغزاة المذكورين إلى الطينة، فقلق السلطان من ذلك وتنغص فرح الناس وكثر الكلام فى أمر عودهم.

وكان من خبرهم: أنهم لما توجهوا من ساحل بولاق إلى دمياط ساروا منه فى البحر المالح إلى مدينة طرابلس فطلعوا إليها، فانضم عليهم بها خلائق من المماليك والعساكر الشامية وجماعة كبيرة من **المطوعة** إلى أن رحلوا عن طرابلس فى بضع وأربعين مركبا، وساروا إلى جهة الماغوصة، فنزلوا عليها بأجمعهم وخيموا فى

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٧٠/١٤

برها الغربى، وقد أظهر متملك الماغوصة طاعة السلطان وعرفهم تهيؤ صاحب قبرس واستعداده لقتالهم وحربهم، فاستعدوا وأخذوا حذرهم وباتوا بمخيمهم على الماغوصة، وهى ليلة الأحد العشرين من شهر رمضان، وأصبحوا يوم الاثنين شنوا الغارات على ما بغربى قبرس من الضياع،." (١)

"وهى القسطنطينية بهدية وشفع فى أهل قبرس أن لا يغزوا، فلم يلتفت السلطان إلى شفاعته، وأخذ فيما هو فيه من تجهيز العساكر.

ثم فى يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة من سنة تسع وعشرين المذكورة قدم من عساكر البلاد الشامية عدة كبيرة من الأمراء والمماليك والعشير وطائفة كبيرة من **المطوعة** ليسيروا إلى الجهاد، فأنزلوا بالميدان الكبير.

وفيه خلع السلطان على قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن على بن العز قاضى قضاة الحنابلة بدمشق زمن المؤيد شيخ باستقراره قاضى قضاة الحنابلة بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادى بحكم صرفه عنها، وكان عزل قاضى القضاة محب الدين لسوء سيرة أخيه وابنه.

ثم فى ثالث عشرين جمادى الآخرة جلس السلطان بالحوش من قلعة الجبل لعرض المجاهدين، وأنفق فيهم مالا كبيرا، فكان يوما من أجل الأيام وأحسنها، لما وقع فيه من بذل السلطان الأموال على من تعين للجهاد، وعلى عدم التفات المجاهدين لأخذ المال، بل كان الشخص إذا وقف فى مجلس السلطان ينظر رءوس النوب تتهارب من المماليك السلطانية الذين يريدون أخذ الدستور «١» من السلطان للتوجه إلى الجهاد، والسلطان يأمرهم بعدم السفر، ويعتذر أنه لم تبق مراكب تحملهم، وهم يتساعون فى ذلك مرة بعد أخرى، وربما تكرر وقوف بعضهم الأربع مرات والخمسة، وأيضا من عظم ازدحام الناس على كتاب المماليك ليكتبوهم فى جملة المجاهدين فى المراكب المعينة، حتى إنه سافر فى هذه الغزوة عدة من أعيان الفقهاء، ولما أن صار السلطان لا ينعم لأحد بالتوجه بعد أن استكفت العساكر سافر جماعة من غير دستور، وأعجب من هذا أنه كان الرجل ينظر فى وجه المسافر للجهاد يعرفه قبل أن يسأله لما بوجهه من السرور والبشر الظاهر بفرحه للسفر، وبعكس ذلك فيمن لم يعين للجهاد، هذا مع كثرة من تعين للسفر من المماليك السلطانية وغيرهم، وما أرى هذا إلا أن الله." (٢)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٧٨/١٤

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٨٧/١٤

"صاحب قبرس، وقتل من قتل من المسلمين، ولما ترادفت عساكر الإسلام ركبوا أقفية الفرنج ووضعوا فيهم السيف، وأكثروا من القتل والأسر، وانهزم من بقى من الفرنج إلى مدينة قبرس الأفقسية، ثم وجد المسلمون مع الفرنج طائفة من التركمان المسلمين قد أمد الفرنج بهم على بك بن قرمان- عليه من الله ما يستحقه- فقتل المسلمون كثيرا منهم.

واجتمع عساكر البر والبحر من المسلمين فى الملاحة يوم الاثنين ثانى شهر رمضان، وتسلم الأمير تغرى بردى المحمودى صاحب قبرس، كل ذلك والمسلمون يقتلون ويأسرون وينبهون حتى امتلأت أيديهم وتغلبوا عن حمل الغنائم.

وأما القتلى من الفرنج فلا تحصر ويستحى من ذكرها كثرة؛ حدثنى بعض مماليك الوالد ممن باشر الواقعة من أولها إلى آخرها وجماعة كبيرة من الأصحاب الثقات قالوا: كان موضع الوقعة أزيد من ألفى قتيل من قتلى الفرنج، هذا فى الموضع الذي كان فيه القتال، وأما الذي قتل من الفرنج بالضياع والأماكن وبطريق قبرس فلا حد له ولا حساب، فإنه استمر القتل فيهم أياما، واستمروا على الملاحة إلى يوم الخميس خامس شهر رمضان فساروا منها يريدون الأفقسية مدينة قبرس.

ولما ساروا وافاهم الخبر- بعد أن تقدم منهم جماعة كبيرة من **المطوعة** والمماليك السلطانية إلى مدينة قبرس- بأن أربعة عشر مركبا من مراكب الفرنج مشحونة بالسلاح والمقاتلة أتت [المراكب] «١» لقتال المسلمين، منها سبعة أغربة، وسبعة مربعة القلاع، فلاقاهم الأمير إينال الجكمى أمير مجلس، والأمير قرامراد خجا الشعبانى، والأمير طوغان السيفى تغرى بردى أحد مقدمى دمشق، والأمير جانى بك رأس نوبة السيفى يلبغا الناصرى المعروف بالثور بعساكرهم وبمن انضاف إليهم من **المطوعة** وغيرهم؛ وهؤلاء الأمراء الذين كانوا مقدمى العساكر فى البحر بالمراكب، واقتتلوا مع الفرنج المذكورين أشد قتال حتى هزموهم وأخذوا منهم مركبا مربعا من مراكب." (١)

"الفرنج بعد أن قتلوا منهم عدة كبيرة تقارب ما ذكرنا ممن قتل بمكان الوقعة الأولى، وولت الفرنج الأدبار.

واستمر الذي توجه من الغزاة إلى الأفقسية من المماليك السلطانية وغيرهم يقتلون فى طريقهم ويأسرون إلى أن وصلوا إلى المدينة ودخلوا قصر الملك ونهبوه.

ثم عادوا ولم يحرقوا بمدينة قبرس إلا مواضع يسيرة، ولم يدخل المدينة أحد من أعيان العسكر، وغالب

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٤/ ٢٩٤

الذي دخلها من المماليك السلطانية والمطوعة، وكان دخولهم وإقامتهم بها وعودهم منها فى يومين وليلة واحدة.

ثم أقام جميع الغزاة بالملاحة وأراحوا بها أبدانهم سبعة أيام، وهم يقيمون فيها شعائر الإسلام من الأذان والصلاة والتسبيح- ولله الحمد على هذه المنة بهذا الفتح العظيم الذي لم يقع مثله فى الإسلام من يوم غزاهم معاوية بن أبى سفيان، رضى الله عنه فى سنة نيف وعشرين من الهجرة.

ثم ركبت الغزاة المراكب عائدين إلى جهة الديار المصرية، ومعهم ال أسرى والغنائم، ومن جملتها متملك قبرس فى يوم الخميس ثانى عشر رمضان بعد أن بعث أهل الماغوصة يطلبون الأمان- هذا ما كان من أمرهم-[انتهى] «١» .

وجزيرة قبرس تسمى باللغة الرومية شبرا، والبحر يحيط بها مائتى ميل، والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعا، والإصبع ست شعيرات مضموم بعضها إلى بعض، والفرسخ بهذا الميل ثلاثة أميال والبريد بهذا الفرسخ أربعة فراسخ، وجزيرة قبرس من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة، وسلطانها يقال له أرادا شبرا: أى سلطان الجزيرة، وقبرس مدينة بالجزيرة تسمى الأفقسية، ومسيرة جزيرة قبرس سبعة أيام، وبالجزيرة المذكورة اثنا عشر ألف قرية كبارا وصغارا، وبمدنها وقراها من الكنائس والديارات والقلالى والصوامع كثير، وبها البساتين المشتملة على الفواكه المختلفة، وبها." (١)

"يذهب العقل؛ وهو أنهم قدموا أولا الفرسان من الغزاة أمام الجميع، ومن خلف الفرسان طوائف الرجالة من المطوعة وعشران البلاد الشامية وعربان البلاد وزعر القاهرة، ومن خلف هؤلاء الجميع الغنائم محمولة على رءوس الحمالين، وعلى ظهور الجمال والخيول والبغال والحمير، والتى كانت على الرءوس فيها تاج الملك وأعلامه منكسة وخيله تقاد من وراء الغنائم، ثم من بعدهم الأسرى من رجال الفرنج، ثم من بعدهم السبى من النساء والصغار وهم أزيد من ألف أسير تقريبا سوى ما ذهب فى البلاد والقرى مع المطوعة وغيرهم من غير إذن مقدم العساكر، وهو أيضا يقارب ما ذكر، ومن وراء الأسرى جينوس ملك قبرس وهو راكب على بغل بقيد حديد، وأركب معه اثنان من خواصه، وعن يمينه الأمير إينال الجكمى أمير مجلس، وأمامه قرا مراد خجا الشعبانى أحد مقدمى الألوف أيضا، وعن يساره الأمير تغرى بردى المحمودى رأس نوبة النوب، وأمامه الأمير حسين المدعو تغرى برمش أحد مقدمى الألوف أيضا، وأمامهم أمراء الطبلخانات والعشرات على مراتبهم، وأمراء البلاد الشامية.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٩٥/١٤

وساروا على هذه الصفة حتى طلعوا إلى القلعة فأنزل جينوس عن البغل وكشف رأسه عند باب المدرج، وقد احتاطه الحجاب وأمراء جاندار، وقد صفت العساكر الإسلامية من باب المدرج إلى داخل الحوش السلطانى.

فلما دخل جينوس من باب المدرج قبل الأرض، ثم قام ومشى ومعه الأمراء من الغزاة والحجاب ورءوس النوب وهو يرسف فى قيوده على مهل لكثرة الزحام.

هذا وقد جلس الملك الأشرف بالمقعد الذي على باب البحرة المقابل لباب الحوش السلطانى فى موكب عظيم من الأمراء والخاصكية، وعنده الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة، وهو جالس فوق الأمراء، ورسل خوندكار مراد بن عثمان متملك بلاد الروم، ورسل صاحب تونس من بلاد المغرب، ورسول الأمير عذرا أمير العرب بالبلاد الشامية، وقد طال جلوس الجميع عند السلطان إلى قريب الظهر، والسلطان يرسل إلى الغزاة رسولا بعد رسول باستعجالهم حتى اجتازوا بتلك الأماكن المذكورة؛ فإنها." (١)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٠٠/١٤

م المباشرون:

٨: ٢٠ -٤١: ١٣ -٧٤: ١٥ -٩٢: ١٣ -١٧٦: ٨ -٢٦٧: ٥، ١٣ -٣٢٦: ١٦

مشايخ الخوانق:

٧٨: ١٠

مشايخ الزوايا:

٧٨: ٨

مشايخ العلم:

٨٢: ١٦ -٩١: ٨ -٩٩: ١٣ -٢٦٧: ٢، ١٠

المطوعة:." (١)

"مستوفى ديوان المفرد:

١٧٤: ٥

المسودة (العباسيون) :

٣: ١٦

المشاعلى:

٣١٠: ١٦

مشايخ الخوانق:

٧٨: ١٠

مشايخ الزوايا:

٧٨: ٨

مشايخ العلم:

٨٢: ١٦ -٩١: ٨ -٩٩: ١٣ -٢٦٧:

٢، ١٠

المشد:

٣١: ١٣، ٢٤ -١٩٢: ٤ -٢٠٢: ٥ -٢٢٥: ١٢

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٤٢١/١٤

٣٩: ٩

معلم الرماحة:

٨٦: ١٤، ٢٤

المغانى (المغنيات) :

٦٠: ١٣

المغص (مرض) :

٩٦: ٢٢

المفترجات:

٤٣: ١٤

المقارع:

٣٥: ٧- ٨١: ١٩، ٢٤- ٢٨٦: ٩- ٣٢١:

١٣- ٣٥٤: ١

المقدم:

١٥٠: ١٥- ٢٧٦: ١٩

مقدم ألف:

٠٧: ١١، ١٢، ٢١

مقدم التركمان:

٦٣: ١." (١)

"السلطان يجهز الغزاة إلى قبرس وينفق فيهم نفقة السفر وينادى بالجهاد لمن أراد، ويشاهد الأساطيل المسافرة بساحل بولاق ٢٧٥

السلطان يفرج عن زميله الأمير طرباى من سجن الإسكندرية ٢٧٧

المقام الناصرى محمد بن السلطان ينزل لتخليق المقياس وفتح السد إيذانا بوفاء النيل ٢٧٧

خبر الغزاة المتوجهين إلى قبرس وانتصاراتهم ثم عودهم بالغنائم والأسرى ٢٧٨

الشريف حسن بن عجلان أمير مكة يدخل فى طاعة السلطان ويحضر إلى القاهرة صحبة ربك المحمل

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٤٨٩/١٤

المصرى فيكرمه السلطان بما يليق به ٢٨٢
السلطان يمنع التعامل بالذهب المشخص الذي يقال له الإفرنتى. ويقصر التعامل على الدنانير الأشرفية ٢٨٣
قصة الحملة المتوجهة إلى بلاد اليمن وعودتها ٢٨٤
المماليك السلطانية يفتشون حى الجودرية بحثا عن جانى بك الصوفى ويجلون أهله عنه ٢٨٦
صاحب استنبول يتوسط لدى السلطان فى عدم غزو قبرس والسلطان لا يقبل وساطته ٢٨٦
تجمع العساكر الشامية والعشير **والمطوعة** فى الميدان الكبير بالقاهرة استعدادا لغزو قبرس. السلطان يستعرض المجاهدين. خروج الأساطيل مشحونة بالمجاهدين من القاهرة فى ثانى رمضان سنة ٨٢٩ هـ ٢٨٧
ذكر غزوة قبرس وما حدث فيها من انتصارات وعودة المجاهدين بعد أسر ملك قبرس. استقبال السلطان وأهل القاهرة لهم. حال الملك جينوس ملك قبرس فى حضرة السلطان ٢٩٢
السلطان يفرج عن ملك قبرس من سجنه بالقلعة ويسمح له بالتجول حيث يشاء. ٣٠٦." (١)

"والسيفى يونس الأمير آخور، وسافروا «١» من ساحل بولاق فى يوم الاثنين تاسع شهر ربيع الأول، وكان جملة ما انحدر من ساحل بولاق، خمسة عشر غرابا فيها المماليك السلطانية **والمطوعة**. وسبب هذه التجريدة كثرة عيث الفرنج «٢» [فى البحر] «٣» ، وأخذها مراكب التجار، وهذه أول بعثه بعثها الملك الظاهر من الغزاة.
ثم فى يوم السبت سادس عشرين شهر ربيع الآخر، قدم [١٢٣] إلى القاهرة رسل القان معين الدين شاه رخ بن تيمور لنك، ملك الشرق، وقد زينت القاهرة لقدومهم، وخرج المقام الناصرى محمد بن السلطان إلى لقائهم، واجتمع الناس لرؤيتهم، فكان لدخولهم «٤» يوم مشهود «٥» لم يعهد بمثله، لقدوم رسل فى الدول المتقدمة؛ وأنزلوا بدار أعدت لهم، إلى يوم الاثنين ثامن عشرينه، فتوجهوا «٦» من الدار المذكورة «٧» إلى القلعة، بعد أن شقوا القاهرة، وهى مزينة بأحسن زينة، والشموع «٨» وغيرها تشعل، وقد اجتمع عالم عظيم لرؤيتهم، وأوقفت العساكر من تحت القلعة إلى باب القصر، فى وقت الخدمة من باكر النهار المذكور. فلما مثل الرسل بين يدى السلطان، قرئ كتاب شاه رخ، فكان يتضمن السلام والتهنئة بجلوس

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٤/٥١٤

السلطان على تخت الملك، ثم قدمت هديته وهى: مائة فص فيروز «٩» ، وإحدى وثمانون قطعة من حرير، وعدة." (١)

"يشبك بن أزدمر الزردكاش، بالمحمل إلى بركة الحاج [دفعة واحدة، وكانت العادة أن أمير حاج المحمل يبرز من القاهرة إلى الريدانية ثم يتوجه فى ثانيه إلى بركة الحاج] «١» ؛ وأمير حاج الركب الأول، الأمير يونس السيفى آقباى، أحد أمراء العشرات المعروف بالبواب.

ثم فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال، أمسك السلطان الأمير جانبك المحمودى المؤيدى؛ أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وحبسه بالبرج من قلعة الجبل، وكان السلطان قصد مسكه قبل ذلك، فخشى عاقبة خجداشيته، فلما زاد جانبك المذكور عن الحد فى التكلم فى الدولة ومداخلة «٢» السلطان فى جميع أموره، بعدم دربة وقلة لباقة «٣» ، مع حدة وطيش وخفة وسوء خلق، أمسكه فى هذا اليوم، وقصد بذلك حركة تظهر من خجداشيته المؤيدية، فلم يتحرك ساكن، بل خاف أكثرهم، وحسن حاله مع السلطان، وانكف أكثرهم عن مداخلة السلطان؛ وأنعم السلطان بإمرته على خجداشه خير بك الأشقر المؤيدى أحد الدوادارية الصغار؛ ولم يكن خير بك المذكور ممن ترشح للإمرة؛ ومن يومئذ عظم أمر السلطان فى ملكه؛ وهابته الناس وانقطع عن مداخلته جماعة كبيرة، ثم حمل جانبك المذكور إلى سجن الإسكندرية فسجن به.

[ما وقع من الحوادث سنة ٨٤٦]

هذا والسلطان فى اهتمام تجريدة لغزو رودس، وعين عدة كبيرة من المماليك السلطانية والأمراء، ومقدم الجميع اثنان من مقدمى الألوف: الأمير إينال العلائى الناصرى، المعزول عن نيابة صفد، والأمير تمرباى رأس نوبة النوب. وسافروا الجميع من ساحل بولاق، فى محرم سنة ست وأربعين، ومعهم عدة كبيرة من المطوعة، بأبهج زى، من العدد والسلاح، وكان لسفرهم بساحل بولاق يوم." (٢)

"ثم فى يوم السبت سادس عشر [شهر] «١» ربيع الأول [المذكور] «٢» ، نفى السلطان سودون السودونى الحاجب إلى قوص، وأنعم بإقطاعه على الأمير ألطنبغا المعلم الظاهرى برقوق، زيادة على ما بيده. ثم فى يوم السبت المذكور، خرجت الغزاة من القاهرة، فنزلت فى المراكب من ساحل بولاق، وقصدوا الإسكندرية ودمياط، ليركبوا من هناك البحر المالح، والجميع قصدهم غزو رودس. وكانوا جمعا موفورا، ما

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٤٢/١٥

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٥١/١٥

بين أمراء وخاصكية ومماليك سلطانية ومطوعة، وكان مقدم الجميع فى هذه السنة أيضا الأمير إينال العلائى الدوادار الكبير «٣» ، كما كان فى السنة الخالية، وكان معه من الأمراء الطبلخانات، الأمير يلخجا من مامش الساقى الناصرى الرأس نوبة الثانى، ومن العشرات جماعة كبيرة، منهم، تغرى برمش الزردكاش، وتغرى برمش الفقيه نائب القلعة، وهو مستمر على وظيفته؛ ورسم السلطان للأمير يونس العلائى الناصرى أحد أمراء العشرات أن يسكن بباب المدرج، إلى أن يعود تغرى برمش المذكور من الجهاد، وسودون الإينالى المؤيدى قرافاس رأس نوبة، وتمربغا الظاهرى جقمق، ونوكار الناصرى، وتمراز النوروزى «٤» رأس نوبة المعروف بتعريص «٥» ، ويشبك الفقيه المؤيدى.

وفيها تأمر بعد [١٣٠] عوده بعد موت تمراز النوروزى، من جرح أصابه وجماعة أخر من أعيان الخاصكية، كل «٦» منهم مقدم على غراب أو زورق، ومعه عدة من المماليك السلطانية وغيرهم، وكانت المماليك السلطانية فى هذه الغزوة تزيد عدتهم على ألف مملوك، هذا خارج عمن سافر من **المطوعة**، وأضاف إليهم السلطان أيضا جماعة كبيرة من أمراء البلاد الشامية، كما فعل [الملك] «٧» الأشرف فى غزوة قبرس المقدم." (١)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٦٠/١٥

"الفرنجى خلعة نخ «١» بقاقم، ونزل جميع الغزاة في خدمتهم إلى بحر النيل، وسافر هؤلاء الأمراء الثلاثة إلى دمياط من يومهم، وبقى من عداهم يسافرون أرسالا في كل يوم، إلى يوم الثلاثاء القابل؛ لكثرة عدة العساكر.

وأما مقدار عدد من سافر في هذه الغزوة من الأمراء والجند فعدة كبيرة.

فأولهم أمراء الألوف الثلاثة المقدم ذكرهم.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦٢٣/١٥

ثم من أمراء الطبلخانات ثلاثة أيضا، وهم: الأمير بردبك البجمقدار الظاهرى ثانى رأس نوبة، وجانبك من أمير الخازندار الأشرفى، ويشبك من سلمان شاه الفقيه المؤيدى رأس نوبة.

ومن أمراء العشرات جماعة، وهم: جكم الأشرفى خال الملك العزيز يوسف، ودقماق اليشبكى، وكسباى الششمانى المؤيدى، وطوخ الأبوبكري المؤيدى رأس نوبة، وقانم نعجة الأشرفى رأس نوبة، وسنقر قرق شبق الأشرفى الزردكاش المقدم ذكره، وقراجا الأعرج الطويل أحد مماليك السلطان القديمة.

وأما المماليك السلطانية فعدتهم تزيد على خمسمائة نفر تخمينا.

وهذا خلا **المطوعة** وغيرهم من الخدم والمراكبية وأنواعهم.

وفي يوم الخميس تاسع عشر شوال خرج أمير حاج المحمل بالمحمل، وهو الأمير تمرباى من حمزة الناصرى المعروف بططر أحد أمراء العشرات، وأمير الركب الأول تنم الحسينى الأشرفى رأس نوبة.

وفي يوم الجمعة سابع عشرينه أمسك السلطان زين الدين الأستادار، وجنزره «٢» وحبسه بالبحرة من الحوش السلطانى، وندب الصاحب شمس الدين منصور [بن الصفى] «٣» لمحاسبته فقامت المماليك الأجلاب على منصور حمية لزين الدين، فراج أمر زين الدين." (١)

"حاجب الحجاب، والأمير جانبك قلقسيز الأشرفى، واثنا عشر أميرا آخر، هم: بردبك التاجى، وقانصوه المحمدى، وقانصوه الساقى، ويشبك الأشقر، ثم خيربك من حديد، وقلطباى، وكلهم أشرفية برسبائية، ثم تنم الفقيه المؤيدى، ثم يشبك القرمى وتمرباى السلاح دار، وقانصوه، وهؤلاء الثلاثة ظاهرية جقمقية، ثم من السيفية مغلباى الجقمقى، وتنبك السيفى جانبك النور، ونحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية وهذا خلاف **المطوعة** والخدم، وأرباب الصنائع وغيرهم.

وفيه ظهر الأمير زين الدين، وطلع إلى السلطان، ولبس كاملية، واستقر أستادارا على عادته، بعد عزل منصور والترسيم عليه.

وفي يوم الاثنين خامس عشره أدير المحمل «١» على العادة.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره استقر الأمير جكم الأشرفى خال الملك العزيز في نيابة غزة، بعد ما شغرت مدة طويلة.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرين رجب استقر بدر الدين حسين بن الصواف قاضى الحنفية بالديار المصرية، عوضا عن قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة بحكم عزله.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٥١/١٦

وفيه جهز السلطان تجريدة إلى البحيرة عليها أميران من أمراء الألوف، وهما جانبك الناصرى المرتد، وقانى بك المحمودى المؤيدى، وجماعة أخر من أمراء الطبلخانات والعشرات.

وفيه ثارت مماليك السلطان الأجلاب عليه، ومنعوا أرباب الدولة والأمراء وغيرهم من الطلوع إلى القلعة للخدمة السلطانية، وضربوا الأمير جوهرا مقدم المماليك، وهجموا على سودون القصروى نائب القلعة، ثم بطلت الفتنة، لأمر حكيناه في «الحوادث» .." (١)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٧٦/١٦

المقدم:- ٩٤: ٢- ١١٣: ٥- ١٥٣: ٤- مقدم ألف:- ٧٤: ١٤، ١٦- ٧٥: ١٦- ١٢٦: ١١، ١٣- ٢٥٨: ٧- ٢٩٤: ١٠

مقدم البريدية:- ٧٥: ٦

مقدم العساكر:- ١٠٥: ٨، ١٦- ١٠٩: ٧، ١١- ١١١: ٤- ١٥٠- ١٧، ٢١- ٢٥٦: ١- ٢٦٨: ١٤- ٣٦٢: ٦

مقدم المماليك:- ١٠١: ٧- ٢٧٦: ١٩- ٣٢٠: ٩- ٣٢١: ٣

مقدم المماليك السلطانية:- ٢٠: ١٠- ٨٨: ٧- ١١٧: ١٢- ١٢٦: ٥- ١٨٥: ٤- ٢٩٢: ٥- ٣١٢: ١

مقدم المماليك السلطانية بمكة:- ٢٠٠: ١٤

المقدمون:- ٤٠: ٦- ١١١: ٨- ٢٨٤: ٨- ٢٩٦: ٥- ٣٠٢: ١٢- ٣٨٢: ٢

مقدمو الألوف:- ٧: ٧- ٣٨: ١٨- ٣٩: ١١- ٨٣: ١٤، ١٥- ٧٤: ٥- ٨٩: ٣- ٩٨: ١٥- ١٠٥: ١٩- ١١٢." (١)

"منهم ألف درهم معونة فوافوا شبيبا، فخرج بهم في طلب عبد السلام المذكور فهرب منه فأدركه بقنسرين وقتله.

*** [ما وقع من الحوادث سنة ١٦٢]

السنة التي حكم فيها واضح مولى المنصور على مصر ثم من بعده منصور ابن يزيد الحميري الرعيني وهي سنة اثنتين وستين ومائة- فيها وضع الخليفة المهدي دواوين الأزمة وولى عليها عمرو «١» بن مربع، ولم يكن لبني أمية ذلك. (ومعنى دواوين الأزمة: أن يكون لكل ديوان زمام وهو رجل يضبطه، وقد كان قبل ذلك الدواوين مختلطة) . وفيها وصلت الروم إلى الحدث «٢» فهدموا سورها فغزا الناس غزوة لم يسمع بمثلها، وكان مقدم الغزاة الحسن بن قحطبة سار إليهم في ثمانين ألف مقاتل سوى **المطوعة**؛ فأغار على ممالك الروم وأحرق وأخرب ولم يلق بأسا. وفيها ولي اليمن عبد الله بن سليمان. وفيها ظهرت المحمرة «٣» بجرجان ورأسهم عبد القهار فغلبوا على جرجان وقتلوا وأفسدوا؛ فسار لحربهم من طبرستان عمر بن العلاء فقتل عبد القهار ورءوس أصحابه وتشتت باقي أصحابه. وفيها كان مقتل عبد السلام بن هاشم

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٦/٥٢٤

اليشكري الذي خرج بحلب وبالجزيرة، وكثرت جموعه وهزم الجيوش التي حاربته حتى انتدب لحربه شبيب بن واج في ألف فارس من الأبطال وأعطوا ألف ألف." (١)

"بسمرقند مدة، ثم هرب من الحبس فلحق بعلي بن عيسى ببلخ، فأراد ضرب عنقه فشفع فيه عيسى بن علي بن عيسى، وأمره بالانصراف إلى سمرقند، فرجع إليها ووثب بعامل علي بن عيسى عليها وقتله واستولى على سمرقند واستفحل أمره حتى خرجت إليه العساكر وأخذته وقتل بعد أمور. ولما عاد عبد الله صاحب الترجمة إلى الرشيد سأله في إمرة مصر ثانيا فأبى واستمر عند الرشيد الى أن مات.

*** [ما وقع من الحوادث سنة ١٩٠]

السنة التي حكم فيها عبد الله بن محمد العباسي على مصر وهي سنة تسعين ومائة- فيها افتتح الرشيد مدينة هرقلة «١» وبث جيوشه بأرض الروم وكان في مائة ألف فارس وخمسة وثلاثين ألفا سوى **المطوعة**، وجال الأمير داود بن موسى بن عيسى العباسي في أرض الكفر وكان في سبعين ألفا؛ وكان فتح هرقلة في شوال، وأخربها وسبى أهلها، وكان الحصار ثلاثين يوما. وفيها افتتح شراحيل بن معن بن زائدة الشيباني حصن الصقالبة بالمغرب. وفيها أسلم الفضل بن سهل المجوسى على يد المأمون ابن الرشيد. وفيها بعث نقفور ملك الروم إلى الرشيد بالخراج «٢» والجزية. وفيها نقضت أهل قبرس [العهد] ، فغزاهم ابن يحيى وقتل وسبى. وفيها افتتح يزيد بن مخلد الصفصاف «٣» وملقونية «٤» . وفيها توفي يحيى بن خالد بن برمك في حبس الرشيد، ويحيى هذا هو والد جعفر البرمكي- وقد تقدم ذكر جعفر وقتله في محله من هذا الكتاب-.

وفيها توفي سعدون المجنون، كان صاحب محبة وحال، صام ستين عاما حتى خف." (٢)

"وفيها توفى شافع بن صالح بن حاتم أبو محمد الفقيه الحنبلى «١» . كان إماما عالما، تفقه على أبى يعلى، ومات فى صفر ودفن بباب حرب، وكان صالحا زاهدا ثقة.

وفيها توفى محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ أبو الحسن الملقب بغرس النعمة صاحب التاريخ المسمى ب «عيون التواريخ» ذيله على تاريخ أبيه، وأبوه ذيله على تاريخ ثابت بن سنان، وثابت ذيل على تاريخ محمد بن جرير الطبرى. وكان تاريخ الطبرى انتهى إلى سنة اثنتين أو ثلاث وثلثمائة. وتاريخ ثابت انتهى إلى سنة ستين وثلثمائة. وتاريخ هلال انتهى إلى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة. وتاريخ غرس

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٤٢/٢

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٣٣/٢

النعمة هذا انتهى إلى سنة تسع وسبعين وأربعمائة. وكان غرس النعمة هذا فاضلا أديبا مترسلا، وله صدقة ومعروف، محترما عند الخلفاء والملوك والوزراء.

وجد أبيه إبراهيم الصابئ هو صاحب «الرسائل» فى أيام عضد الدولة بن بويه.

وقد تقدم ذكره فى محله من هذا الكتاب.

وفيها توفى أمير الملثمين «٢» بمراكش وغيرها من بلاد المغرب الأمير أبو بكر بن عمر. أصله من ولد تاشفين. كان أميرا جليلا يجاهدا فى سبيل الله تعالى. ركب فى بعض غزواته فى خمسمائة ألف مقاتل من رجال الديوان **والمطوعة**. وكان يخطب فى بلاده للدولة العباسية، وكان يصلى بالناس الصلوات الخمس، ويقيم الحدود، ويلبس الصوف، وينصف المظلوم، ويعدل فى الرعية، وكان بين رعيته كواحد منهم. رحمه الله تعالى.." (١)

"بين أهلها، فملكت الفرنج البلد بعد المغرب بعد أن قتل من الفريقين خلق كثير، ثم أعطوهم الأمان. فلما ملكوها غدروا بهم وفعلوا تلك الأفعال القبيحة وأقاموا عليها، إلى أن رحلوا عنها فى آخر شهر رجب إلى القدس. وانجفل الناس بين أيديهم، فجاءوا إلى الرملة فأخذوها عند إدراك الغلة، ثم انتهوا إلى القدس. وذكر فى أمر القدس نحوا مما قلناه، غير أنه زاد فقال: ولما بلغهم (يعنى الفرنج) خروج الأفضل من مصر جدوا فى القتال ونزلوا من السور وقتلوا خلقا كثيرا، وجمعوا اليهود فى الكنيسة وأحرقوها عليهم، وهدموا المشاهد وقبر الخليل- عليه السلام- وتسلموا محراب داود بالأمان. ووصل الأفضل بالعساكر وقد فات الأمر، فنزل عسقلان فى يوم رابع عشر شهر رمضان ينتظر الأسطول فى البحر والعرب؛ فنهض إليه مقدم الفرنج فى خلق عظيم، فانهزم العسكر المصرى إلى ناحية عسقلان؛ ودخل الأفضل عسقلان، ولعبت سيوف الفرنج فى العسكر والرجال **والمطوعة** وأهل البلد، وكانوا زهاء عن عشرة آلاف نفس، ومضى الأفضل. وقرر الفرنج على أهل البلد عشرين ألف دينار تحمل إليهم، وشرعوا فى جبايتها من أهل البلد؛ فاختلف المقدمون فرحلوا ولم يقبضوا من المال شيئا. ثم قال: وحكى أنه قتل من أهل عسقلان من شهودها وتجارها وأحداثها سوى أجنادها ألفان وسبعمائة نفس.

ولما تمت هذه الحادثة خرج المستنفرون من دمشق مع قاضيها زين الدين أبى سعد الهروى، فوصلوا بغداد

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٢٦/٥

وحضروا فى الديوان وقطعوا شعورهم واستغاثوا وبكوا، وقام القاضى فى الديوان وأورد كلاما أبكى الحاضرين، وندب من الديوان من يمضى إلى العسكر السلطانى ويعرفهم بهذه المصيبة؛ فوقع التقاعد لأمر يريده." (١)

"وفيها توفى القدوة الصالح الواعظ أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمذانى الواعظ المفسر، كان إماما فاضلا، وله لسان حلو فى الوعظ، وللناس فيه محبة وعليه القبول.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا واثنتا عشرة إصبعا.

*** [ما وقع من الحوادث سنة ٥٣٦]

السنة الثانية عشرة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر وهى سنة ست وثلاثين وخمسمائة.

فيها توفى شيخ الإسلام الحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة «١» ، إمام الحنفية ببخارى وصدر الإسلام. كان علامة عصره، وكانت له الحرمة العظيمة، والنعمة الجليلة، والتصانيف المشهورة؛ وكان الملوك يصدرون عن رأيه. ولما عزم سنجر شاه ابن ملكشاه على لقاء الخطا «٢» ، أخرجه معه، وفى صحبته من الفقهاء والخطباء والوعاظ والمطوعة ما يزيد على عشرة آلاف نفر، فقتلوا فى المصاف عن آخرهم، وأسر الحسام هذا وأعيان الفقهاء. فلما فرغ المصاف أحضرهم ملك الخطا وقال:

ما الذي دعاكم إلى قتال من لم يقاتلكم والإضرار بمن لم يضركم؟ وضرب أعناق الجميع. وانهزم سنجرشاه فى ست أنفس، وأسرت زوجته وأولاده وأمه وهتك حريمه، وقتل عامة أمرائه. قال صاحب مرآة الزمان: وقتل مع سنجرشاه اثنا عشر ألف." (٢)

"بلسانهم: الملك، فشحنت دمياط بالذخائر وأحكمت الشوانى، ونزل فخر الدين ابن الشيخ بالعساكر على جزيرة دمياط، فأقبلت مراكب الفرنج فأرست فى البحر بازاء المسلمين فى صفر من الستة، ثم شرعوا من الغد فى النزول إلى البر الذي فيه المسلمون وضربت خيمة حمراء لريدا فرنس وناوشهم [المسلمون «١»] القتال، فقتل يومئذ الأمير نجم الدين ابن شيخ الإسلام، والأمير الوزيرى- رحمهما الله تعالى- فترحل فخر الدين ابن الشيخ بالناس، وقطع بهم الجسر إلى البر الشرقى الذي فيه دمياط، وتقهقر إلى أشمون طناح، ووقع الخذلان على أهل دمياط، فخرجوا منها طول الليل على وجوههم حتى لم يبق بها أحد؛ وكان هذا من قبيح رأى فخر الدين، فإن دمياط كانت فى نوبة سنة خمس عشرة وستمائة أقل ذخائر وعددا، وما قدر عليها الفرنج إلا بعد سنة، وإنما هرب أهلها لما رأوا هرب العسكر وضعف السلطان؛ فلما أصبحت

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٥٠/٥

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٦٨/٥

الفرنج ملكوها صفوا بما حوت من العدد والأسلحة والذخائر والغلال والمجانيق، وهذه مصيبة لم يجر مثلها! فلما وصلت العساكر وأهل دمياط إلى السلطان حنق على الشجعان الذين كانوا بها، [وأمر «٢» بهم] فشنقوا جميعا ثم رحل بالجيش، وسار إلى المنصورة فنزل بها فى المنزلة التى كان أبوه نزلها، وبها قصر بناه أبوه الكامل، ووقع النفير العام فى المسلمين، فاجتمع بالمنصورة أمم لا يحصون من **المطوعة** والعربان؛ وشرعوا فى الإغارة على الفرنج ومناوشتهم وتخطفهم، واستمر ذلك أشهرا، والسلطان يتزايد والأطباء قد آيسته لاستحكام المرض به.

وأما صاحب الكرك (يعنى الملك الناصر داود) فإنه سافر إلى بغداد فاختلف أولاده، فسار أحدهم إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب وسلم إليه الكرك، ففرح [بها] مع ما فيه من الأمراض، وزينت بلاده وبعث إليها بالطواشى بدر الدين الصوابى." (١)

"وقال أبو المظفر فى تاريخه مرآة الزمان: «وفى أول ليلة منها (يعنى سنة ثمان وأربعين) كان المصاف بين الفرنج والمسلمين على المنصورة بعد وصول المعظم توران شاه إلى المخيم، ومسك الفرنسيس وقتل من الفرنج مائة [ألف «١»] ، ووصل كتاب المعظم توران شاه إلى جمال الدين بن يغمور (يعنى إلى نائب الشام) يقول: «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. وما النصر إلا من عند الله. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وأما بنعمة ربك فحدث. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها. نبشر المجلس السامى الجمالى، بل نبشر الإسلام كافة بما من الله به على المسلمين، من الظفر بعدو الدين، فإنه كان قد استفحل أمره واستحكم شره؛ ويئس العباد من البلاد، [والأهل «٢»] والأولاد؛ فنودوا: ولا تيأسوا من روح الله

الآية. ولما كان يوم الأربعاء «٣» مستهل السنة المباركة تمم الله على الإسلام بركتها؛ فتحنا الخزائن، وبذلنا الأموال، وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان **والمطوعة** واجتمع خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى، فجاءوا من كل فج عميق، ومن كل مكان بعيد سحيق؛ ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع عليه الاتفاق بينهم وبين الملك العادل أبى بكر فأبينا. ولما كان فى الليل تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين، فسرنا فى آثارهم طالبين؛ وما زال السيف يعمل فيهم عامة الليل، ويدخل فيهم الخزى والويل. فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه فى اللجج. وأما الأسرى فحدث عن

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦/٣٣٠

البحر ولا حرج؛ والتجأ الفرنسيس إلى المنية «٤» وطلب الأمان فأمناه، وأخذناه وأكرمناه؛ وتسلمنا دمياط بعونه وقوته، وجلاله وعظمته» .." (١)

"وكان الناصر لما تحقق بحركة التتار رحل إلى برزة شمالى دمشق، ونزل بها بعساكره واجتمع إليه أمم عظيمة من العرب والعجم والتركمان والأتراك **والمطوعة**؛ فلم يعجب الناصر حاله لما رأى من تخاذل عسكره، وعلم انه إذا لاقى التتار لم يثبت عسكره لهم لكثرتهم ولقوتهم، فإن هولاكو فى خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى من المغل والكرج والعجم وغيرهم، ولم يكن من حين قدومهم على بلاد المسلمين من سنة ست عشرة وستمائة إلى هذه السنة يلقاهم عسكر إلا فلوه سوى وقائع كانت بينهم وبين جلال الدين «١» بن خوارزم شاه، انتصف جلال الدين فى بعضها، ثم كبسوه على باب آمد وبددوا جمعه، وأعقب ذلك موت جلال الدين بالقرب من ميافارقين.

وأما أمر هلاكو فإنه فى جمادى الأولى من هذه السنة نزل حران واستولى عليها وملك بلاد الجزيرة، ثم سير ولده أشموط «٢» بن هولاكو إلى الشام وأمره بقطع الفرات وأخذ البلاد الشامية، وسيره فى جمع كثيف من التتار فوصل أشموط إلى نهر الجوز «٣» وتل باشر «٤» ، ووصل الخبر إلى حلب من البيرة «٥» بذلك. وكان نائب السلطان صلاح الدين يوسف بحلب ابنه الملك المعظم توران شاه، فجفل الناس بين يدى." (٢)

"والمعرة الملك المظفر تقى الدين محمود ابن الملك المنصور محمد الأيوبى. والذين هم تحت طاعته من الملوك صاحب مكة المشرفة الشريف نجم الدين أبو نمى محمد بن إدريس «١» بن على بن قتادة الحسنى، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس «٢» الدين يوسف ابن عمر، فهؤلاء الذين أرسل إليهم بالخلع والتقاليد. انتهى.

ولما رسخت قدم الملك الأشرف هذا فى الملك أخذ وأعطى وأمر ونهى؛ وفرق الأموال وقبض على جماعة من حواشي والده، وصادرهم على ما يأتى ذكره.

ولما استهلت سنة تسعين وستمائة أخذ الملك الأشرف فى تجهيزه «٣» إلى السفر للبلاد الشامية، وإتمام ما كان قصده والده من حصار عكا، وأرسل إلى البلاد الشامية وجمع العساكر وعمل آلات الحصار، وجمع الصناع إلى أن تم أمره، خرج بعساكره من الديار المصرية فى ثالث شهر ربيع الأول من سنة تسعين المذكورة،

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٦٧/٦

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٧٤/٧

وسار حتى نازل عكا فى يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر، ويوافقه خامس نيسان «٤» ، فاجتمع عنده على عكا من الأمم ما لا يحصى كثرة. وكان **المطوعة** أكثر من الجند ومن فى الخدمة. ونصب عليها المجانيق «٥» الكبار الفرنجية خمسة عشر منجنيقا، منها ما يرمى بقنطار دمشقى وأكبر، ومنها دونه. وأما المجانيق الشيطانية." (١)

"ومن أقاليمها صقلب، وهي أطيب بقاع الأرض، يرفع في أرضه عند توسط الرباح للحبة مائة، وعند كماله اللحبة مائتان. ولشنترين جزائر في البحر مسكونة، وكانت جباية شنترين ألفين وتسعمائة دينار، وأحوازها متصلة بأحواز باجة.

وكان يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب اجتاز عليها في حركته الأندلسية بعسكره، وهو أربعون ألفا من أنجاد العرب الفرسان ومن الموحدين والجنود **والمطوعة** وفرسان الأندلس، واجتازها ما ينيف على مائة ألف فارس، وبرز أسطوله على الأشبونة، وحاصرها عشرين يوما، ونزل على أعظم قواعد ابن الرنق عدو المغرب، وكان مؤذيا للمسلمين من قاعدته، وهي شنترين هذه، فبرز إليها في أمم لا تحصى، وهناك عرض له المرض الذي توفى فيه، أقام الرحل به على مطية مضطجعا على فراشه، وضعفه يتزايد، إلى أن تفقد في بعض أميال فوجد ميتا، وذلك في سنة ٥٨٠ فتقدم بالأمر ولده يعقوب المنصورز فقفل بالناس إلى إشبيلية. فبويع بها ورجع إلى مراكش.

شنتمرية

مدينة في الأندلس من مدن أكشونبة.

وهي أول الحصون التي تعد لبنبلونة، وهي أتقن حصون بنبلونة بنيانا، وأعلاها سموكا، مبتناه على نهر أرغون، على مسافة ثلاثة أميال منه.

وبناحية شنتمرية أعجوبة عاينها كل من دخل على تلك الناحية من المسلمين، وذلك عين ينفجر بماء كثير، ينظر الناس ذلك عيانا، فإذا قربوا منها، ووقفوا عليها انقطع جريانها، فلا تنبض بقطرة، فإذا تباعد الناس عنها عادت إلى حالها، وهذا." (٢)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٥/٨

(٢) صفة جزيرة الأندلس الحميري، ابن عبد المنعم ص/١١٤

"الهندية والمتاع الصيني وغيره، وهي على نهر صغير، ومنها إلى صنعاء مائة ميل واثنان وثلاثون ميلا.

زبطرة (١) :

من الثغور الجزرية، بينها وبين ملطية أربعة فراسخ وزبطرة حصن منيع كثير الأهل قديم رومي، فتحه حبيب بن مسلمة الفهري وكان قائما إلى أن أخربته الروم أيام الوليد بن يزيد، فبني بناء غير محكم فهدمته الروم في فتنة مروان، فأعاده المنصور فهدمته الروم فبناه الرشيد وشحنه، فطرقته الروم في خلافة المأمون وأغاروا على سرح أهله فأمر المأمون بمرمته وتحصينه.

ثم خرجت الروم (٢) إلى زبطرة أيام المعتصم بالله عليهم توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره، ومعه ملوك برجان والبرغز والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم، فنزلوا على زبطرة وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وفتحها بالسيف، وقتل الصغير والكبير، وسبى وأغار على ملطية، فضج الناس في الأمصار واستغاثوا في المساجد والديار، ودخل إبراهيم بن المهدي على المعتصم فأنشده قصيدة طويلة منها:

يا غيرة الله قد عاينت فانتقمي ... تلك النساء وما منهن يرتكب

هب الرجال على إجرامها قتلت ... ما بال أطفالها بالذبح تنتهب ويقال إن المعتصم بلغه أن روميا لطم أسيرة في زبطرة فصاحت: وامعتصماه، فأحفظه ذلك وأغضبه، فخرج من فوره نافرا عليه دراعة من الصوف بيضاء قد تعمم بعمة الغزاة، فعسكر غربي دجلة، ونودي في الأمصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين، فسالت العساكر **والمطوعة** من سائر بلاد الإسلام، فمن مكثر يقول: سار في خمسمائة ألف، ومقلل يقول: سار في مائتي ألف، ولقي الأفشين أحد قواده ملك الروم فهزمه وقتل أكثر بطارقته ووجوه أصحابه، وفتح المعتصم حصونا، ونزل على عمورية ففتحها الله على يديه، وخرج إليه لاوي (٣) البطريق منها وأسلمها إليه،

وأسر منها البطريق الكبير باطس (٤) ، وقتل فيها ثلاثين ألفا، وأقام المعتصم عليها أربعة أيام يهدم ويحرق.

وفي وصف هذه الحال يقول أبو تمام حبيب بن أوس الطائي قصيدته المشهورة التي أولها:

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب يقول فيها:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... منك المنى حفلا معسولة الشنب

ألفيت جد بني الإسلام في صعد ... والمشركين وجد الشرك في صبب يقول فيها للمعتصم:

لبيت صوتا زبطريا هرقت له ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب يعني صوت التي صاحت: وامعتصماه، ثم أمر المعتصم ببناء زبطرة وشحنها، فرامها العدو بعد ذلك فلم يقدر عليها.

زحالة (٥) :

في البلاد الإفريقية وبناحية الأربس، بها وصل الخبر بمقتل عبد العزيز بن إبراهيم وأصحابه إلى أحمد بن مرزوق وهو في الجنود الإفريقية متوجه إليه، فاختلت محلة عبد العزيز وفسد أمره وقتل، وسيق رأسه إلى أحمد بن مرزوق، وظهر صنع الله تعالى في البغاة، وبسط هذا مذكور في افرن.

الزرادة (٦) :

مدينة بناحية اليمن، كان أبو سعيد الجنابي، وهو من جزيرة جنابا، من جملة من قام بدعوة القرامطة، وكان يبيع الطعام بالزرادة، وكان بها أيضا رجل يعرف بإبراهيم الصائغ وكان

---

(١) (Sozopetra) قارن بياقوت (زبطرة) ، والتنبيه والأشراف: ١٦٩، وتقويم البلدان: ٢٣٤، والكرخي: ٤٧.

(٢) مروج الذهب ٧: ١٣٣.

(٣) ص ع: الدي.

(٤) ع: باطيش؛ ص: باطيس.

(٥) انظر مادة أفرن؛ ولم أجد ((زحالة)) في المصادر المتيسرة.

(٦) ينقل المؤلف عن البكري (مخ) ٦٨ وهو المصدر الوحيد الذي ورد عنده اسم هذا الموضع (الزرادة) – فيما أعلم –، ولا أدري هل التبست هنا ب؟ ((الزارة)) إحدى مدن البحرين أو لا، على أن البكري نفسه ورد الأسم لديه في صورة ((الواردة)) ؛ وذكر الاسم في الترجمانة: ٤٩٢. وقارن بالطبري ٣: ٢١٢٤ وأخبار القرامطة: ١١٣.." (١)

"ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه فوصفه بالعقل وقال: انتهت خيله إلى الشماسية.

قال: وكان فرات جلولاء في يد المعتصم، وهو أمير، فكتبت إليه عنه: لعبد الله مهدي أمير المؤمنين من أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين يسأله الكف عن ضياعه ويبذل له عليها شيئا من المال، ووجه بالكتاب معي، فصرت إليه وهو بجلواباذ عليه دراعة وسيف وعمامة هارونية، فقلت له: قد أتيتك بكتاب ما أتاك مثله، أعني مخاطبة أبي إسحاق إياه بالخلافة، قال: فدعا بكتب كثيرة من الهاشميين وغيرهم يخاطبونه بالخلافة، قال: فكتب لي بما أردت وأعطاني خاتمه فختمت به الكتاب، فكان أول خاتم باطل وقع في

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٢٨٥

يدي ثم ردفه خاتم إبراهيم بن المهدي.
قال: ومرت بنا امرأة نصرانية فقال لي مهدي: هذه أمي وليس يحل لي أن أكرهها على الإسلام.
قال: وذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسوء، فقال: هل لكم فيما هو خير من هذا كله؟ نكله إلى الله عز وجل.
وقال يحيى بن أكثم: كنت أساير المأمون فوق باب الشماسية وهو على بغل، فخرج من زرع كان بالقرب من الطريق رجل معه قصة، فنفر البغل ورمى بالمأمون، فقال المأمون: والله لأقتلنك، فلما استوى على بغلته قال له الرجل: يا أمير المؤمنين لأن تلقى الله حانثا خير لك من أن تلقاه قاتلا، قال: صدقت والله، وقضى حاجته ووقع في قصته ما أراد.
وقال أحمد بن أبي دواد: كنت أعيب الغناء وأطعن على أهله، فخرج المعتصم يوما إلى الشماسية في حراقة يشرب ووجه في طلبي فصرت إليه، فلما قربت منه سمعت غناء حيرني وشغلني عن كل شيء، فسقط سوطي من يدي، فالتفت إلى غلامي أطلب منه سوطه فقال لي: قد والله سقط مني، قلت له: فأي شيء كان سبب سقوطه؟ قال: صوت سمعته شغلني عن كل شيء فسقط سوطي من يدي، فإذا قصته قصتي، قال: وكنت أنكر أمر الطرب على الغناء وما يستفز به الناس منه ويغلب على عقولهم، وأناظر المعتصم فيه، فلما دخلت عليه يومئذ أخبرته بالخبر، فضحك وقال: هذا عمي كان يغني:
إن هذا الطويل من آل حفص ... نشر المجد بعد ما كان ماتا فإن كنت تبت مما كنت تناظرنا عليه في ذم الغناء سألته أن يعيده، ففعلت وفعل، وبلغ الطرب مني أكثر مما كان يبلغني عن غيري فأنكره، ورجعت عن رأيي فيه منذ ذلك اليوم.
شنترين (١) :
بالأندلس مدينة معدودة في كور باجة، وهي مدينة على جبل عال كثير العلو جدا، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها، وبأسفلها ربض على طول النهر، وشرب أهلها من العيون ومن ماء النهر، ولها بساتين كثيرة وفواكه ومباقل، وبينها وبين بطليوس أربع مراحل.
وهي من أكرم الأرضين (٢) ، ونهرها يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر فيزدرع أهلها على ثراه عند انقطاع الزريعة في البلاد وذهاب أوانها فلا يقصر عن نمائه الطيب ولا يتأخر إناه وإدراكه.
ومن أقاليمها صقلب (٣) ، وهي أطيب بقاع الأرض يرفع في أرضه عند توسط الرياع للحبة مائة، وعند كماله للحبة مائتان. ولشنترين جزائر في البحر مسكونة. وكانت جباية شنترين ألفين وتسعمائة دينار،

وأحوازها متصلة بأحواز باجة.

وكان يوسف بن عبد المؤمن (٤) ملك المغرب اجتاز عليها في حركته الأندلسية بعسكره وهو أربعون ألفا من أنجاد العرب الفرسان، ومن الموحدين والجنود والمطوعة وفرسان الأندلس وأجنادها ما ينيف على مائة ألف فارس، وبرز أسطوله على الأشبونة وحاصرها عشرين يوما ونزل على أعظم قواعد ابن الرنق عدو المغرب، وكان مؤذيا للمسلمين من قاعدته (٥) ، وهي شنترين هذه، فبرز عليها في أمم لا تحصى، وهناك عرض له المرض الذي توفي فيه، أقام يرحل به على مطية مضطجعا على فراشه وضعفه يتزايد إلى أن تفقد في بعض أميال فوجد ميتا، وذلك في سنة ثمانين وخمسمائة، فتقدم

---

(١) بروفنسال: ١١٣، والترجمة: ١٣٩ (Santrem) ، وقارن بآثار البلاد: ٥٤٢.

(٢) من هنا عن الإدريسي (د) : ١٨٦.

(٣) انظر ياقوت (صقلب) .

(٤) انظر تفصيل غزوة أبي يعقوب هذه إلى الأندلس في البيان المغرب ٣: ١٢٨ وما بعدها (تطوان) وخاصة الصفحة ١٣٣ - ١٣٤ في حصار شنترين.

(٥) سقطت من ص ع.." (١)

"إذا جار الأمير وحاجباه ... وقاضي الأرض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء وكان على قنسرين (١) سور حصين فهدم في أيام قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بأمر يزيد بن معاوية، وفيها الآن آثار من سورها، ولها حصن منيع وبها أسواق وفعلة وهي على نهر قويق، وهو نهر حلب يصل في جريته إلى قنسرين ثم يغوص في الأجمة، وقيل بين قنسرين وحلب عشرون ميلا.

قنوج (٢) :

أفخر بلاد الهند اسما وشأنا، وأعظمها صيتا وأقدمها بنيانا، وكان واليها بأجيال أكبر شياطين الكفر جاها ومقدارا وأتمهم قوة، وكان سلفه ملوك الهند من مستقرهم إلى منتهى الثغور، وكان ولاة قشمير لهم بمنزلة الحجاب، وكانوا قد أقروا لهم بالسمع والطاعة أذعنوا للانقياد والمتابعة، وكان بين آخر ثغور هذا الجانب وبين قنوج ممالك الهند متصلة الحدود بالحدود، تقطعها قوافل التجار في مدة سنة كاملة إذا واظبوا على

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٤٦

السير، وكان ولاة كفارها لهم أمر نافذ وذكر سائر وناحية عظيمة وقلاع حصينة وعدة كاملة وقوة وافرة، وهم يعتقدون أن الأصنام آلهتهم ولا يتفكرون في خلق السموات والأرض.

وقصدها غازيا لها محمود بن سبكتكين سلطان خراسان من مستقره بغزنة سنة عشر وأربعمائة، في خلافة الإمام القادر بالله أمير المؤمنين، وفي رسالته يخاطب القادر بالله بذلك: استخار العبد في النهوض إلى عرصة مقره وعقر داره، ابتداء بتحصين الممالك المعقودة بإقباله، فوثب (٣) بنواحي غزنة العبد محمدا مع خمسة عشر ألف راجل وعشرة آلاف فارس من أولي الإخلاص في الوفاء وخواص الأولياء الموثوق بغنائهم، وأنهض العبد مسعودا مع عشرة آلاف راجل وعشرة آلاف فارس من أولي الإخلاص في الوفاء والامحاض في الولاء إلى ملتان لتنظيفها من بقايا الباطنية، وتقرير أمورها على الطريقة السوية، وشحن بلخ وطخارستان بأرسلان مع اثني عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل من الأنجاد والشجعان، وضبط ولاة خوارزم بالترشاش الحاجب مع عشرين ألف فارس وعشرين ألف راجل المختارين للجلاد والطعان، بعدما هذب أحوال الأطراف والقلاع، وسد ثغورها بالأمناء والأنجاد عند المصاع، غير ساكن إلى حضورهم ولا واثق بقوة جمهورهم، بل اعتمد كتاب الله تعالى واتكل عليه في رعاية ما استرعي من الممالك والأمم، وانتخب ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل لصحبة راية الإسلام، كلهم طلاب الشهادة، وتحت ظلل الحمام، وانضمت إليهم جماهير **المطوعة** من النواحي المفترقة، وانتظمت أحوالهم بإطلاق ما يسر الله عز وجل من الصلة والنفقة.

القندهار (٤) :

مدينة بالهند كبيرة النظر كثيرة الخلق، وهم قوم يمتازون بلحاهم من غيرهم، فإنهم يتركون لحاهم تطول حتى تصل إلى ركبهم ودونها، وهي عراض كثيرة الشعر، ووجوههم مدورة، والمثل يضرب بكبر لحاهم وطولها، وزيهم زي الأتراك، وعندهم حنطة وأرز وحبوب وأغنام وأبقار، وهم يأكلون الأغنام الميتة ولا يأكلون البقر الميتة، وهم يحاربون ملك كابل وكابل من مدن الهند المجاورة لبلاد طخارستان.

قال بعضهم: مدحت ملك القندهار والطاق فأعطاني ستين ألف درهم طاطرية، كل درهم مثقال (٥) :

---

(١) عن نزهة المشتاق: ١٩٦.

(٢) ذكر المسعودي (المروج ١: ٣٧٤) ملك القنوج وقال إن مسافة مملكته من عشرين ومائة فرسخ سندية، الفرسخ ثمانية أميال، وذكر أن له أربعة جيوش كل جيش سبعمائة ألف لمحاربة من حوله، وهو

قليل الفيلة ورسمه لحربه ألفا قبل حربية؛ وتحدث الإدريسي (ق) : ٦٧، ٦٩ عن المدينة والملك، وخالف المسعودي فقال إنه كثير الفيلة وليس في ملوك الهند البرية ملك عنده من الفيلة ما عنده منها؛ وقال صاحب حدود العالم: ٨٩ ((قنوج مدينة كبيرة وهي مدينة القنوج الملك ومعظم ملوك الهند في طاعته، ويقال إن لديه ١٥٠ ألف قرش و ٨٠٠ فيل معدة للحرب؛ وكانت مدينة قنوج في أيام ابن بطوطة (الرحلة: ٥٣٩) مدينة كبيرة حسنة العمارة حصينة رخيصة كثيرة السكر، وعليها سور عظيم، ويذهب مينورسكي إلى أسرة Gujara - Parihara وأن إمبراطورية هذه الأسرة كانت تضم كل شمال الهند (ما عدا السند) وأجزاء غربية من البنجاب وقشمير ونيبال وأسام وأجزاء من البنغال والولايات الوسطى وأوريسا (حدود العالم: ٢٣٨ – ٢٣٩، ٢٤٦) وانظر تقويم البلدان: ٣٦٠، وقد وردت اللفظة عند البيروني (تحقيق ما للهند: ١٦) : كنوج.

(٣) لعلها: ((فرتب)) .

(٤) يعتمد المؤلف على الإدريسي (ق) : ٧١ (OG: 195) ، وقارن بما في تقويم البلدان: ٣٥٦، وحدود العالم: ٨٨، ورحلة ابن بطوطة: ٣٩٢، ٥٥٢، وقندهار (Ghandahar) تقع على الزاوية الشرقية من خليج كمبي (Cambay) (انظر حدود العالم: ٢٤٥) .

(٥) وردت ألفاظ في هذه الأبيات لم أوفق لوجه الصواب فيها.." (١)

"فنزل على هرقلة هذه، وكان معه أهل الثغور، وفيهم شيخا الثغور الشامية: مخلد بن الحسين وأبو إسحاق الفزاري صاحب كتاب السير، فخلا الرشيد بمخلد بن الحسين فقال: أيش تقول في نزولنا على هذا الحصن؟ فقال: هذا أول حصن لقيته من حصون الروم، وهو في نهاية المنعة والقوة، فإن نزلت عليه وسهل فتحه لم يتعذر عليك فتح حصن بعده، فأمره بالانصراف ودعا بأبي إسحاق الفزاري فقال له مثل ما قال لمخلد، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا حصن بنته الروم في نحر الدروب، وجعلته لها ثغرا من الثغور، وليس بالآهل، فإن فتحته لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم، وإن تعذر فتحه كان ذلك نقصا في التدبير، والرأي عندي أن يسير أمير المؤمنين إلى مدينة عظيمة من مدن الروم، فإذا فتحت عمت غنائمها المسلمين، وإن تعذر ذلك قام العذر، فقال الرشيد: القول قول مخلد، ونزل على هرقلة ونصب حواليها الحرب سبعة عشر يوما فأصيب خلق من المسلمين، وفنيت الأزودة والعلوفات، وضاق صدر الرشيد من ذلك، فأحضر أبا إسحاق الفزاري فقال: يا إبراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين، فما الرأي الآن عندك؟ قال: يا أمير المؤمنين، قد أشفقت من هذا وقدمت القول فيه، ورأيت أن يكون الحرب والجد من المسلمين على

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٧٤

غير هذا الحصن، والآن فلا سبيل إلى الرحيل عنه من بعد المباشرة، فيكون ذلك نقصا في الملك ووهنا على الدين، وإطماعا لغيره من الحصون في الامتناع على المسلمين والمصابرة لهم، ولكن يا أمير المؤمنين تأمر بالنداء في الجيش: أن أمير المؤمنين مقيم على هذا الحصن حتى يفتحه الله على المسلمين، وتأمر بقطع الحجارة وجمع الخشب وبناء مدينة بإزاء هذا الحصن إلى أن يفتحه الله تعالى، ولا يكون هذا الخبر ينمي إلى من في الحصن (١) إلا على المقام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الحرب خدعة "، وهذه حرب حيلة لا حرب سيف.

فأمر الرشيد بالنداء من ساعته، فحملت الحجارة وقطع الشجر، وأخذ الناس في البناء، فلما رأى أهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون في الليل ويدلون أنفسهم في الحبال (٢) إلى أن أسلموها وتركوها وهي الآن خراب تعرف بهرقلة.

وقال سهل (٣) الترجمان: كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة ففتحها، فرأيت فيها حجرا مكتوبا عليه باليونانية، فجعلت أترجمه والرشيد ينظر إلي وأنا لا أعلم، وكانت ترجمته: بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم غافص الفرصة عند إمكانها، وكل الأمور إلى وليها، ولا يحملنك إفراط السرور على المآثم، ولا تحمل نفسك هم يوم لم يأت فإنه إن يكن من أجلك يأت الله فيه برزقك، ولا تكن من المغرورين من جمع المال، فكم قد رأينا جامعا لبعل حليلته ومقترا على نفسه توفيرا لخزانة غيره، وكان تاريخ الكتاب في ذلك اليوم زائدا على ألفي سنة.

وباب هرقلة (٤) مطل على واد وخندق يطيف بها. وذكر جماعة من أهل الثغور أن أهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة والنار والسهام، فتح الباب فاستشرف المسلمون لذلك، فإذا رجل من أهلها كأجمل الرجال قد خرج في أكمل السلاح فنادى: يا معشر العرب قد طالت مواقفتكم إيانا، فليخرج إلي منكم الرجل والعشرة إلى العشرين مبارزة، فلم يخرج إليه من الناس أحد ينتظرون إذن الرشيد، وكان الرشيد نائما، فعاد الرومي إلى حصنه، فلما هب الرشيد أخبر بذلك، فتأسف ولام خدمه على تركهم إيقاظه، فقيل يا أمير المؤمنين: إن امتناع الناس منه اليوم سيطمعه ويطغيه، وأحر به أن يخرج في غد فيعود لمثل قوله، فطالت على الرشيد ليلته، وأصبح كالمنتظر له، إذ فتح الباب فإذا بالفارس قد خرج وعاد إلى كلامه، فقال الرشيد: من له؟ فابتدره جلة القواد فعزم على إخراج بعضهم، فضج أهل الثغور والمطوعة بباب المضرب، فأذن لبعضهم، وفي مجلسه مخلد بن الحسين وإبراهيم الفزاري، فدخلوا فقالوا: يا أمير المؤمنين، قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحرب، ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم

يكبر ذلك، وإن قتله العلج كانت وصمة على العسكر وثلمة لا تسد، ونحن عامة لا يرتفع لأحد منا صوت (٥) ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يختار منا رجلا يخرجه إليه فعل، فاستصوب الرشيد رأيهم، قال مخلد وإبراهيم: صدقوا يا أمير المؤمنين، فأوموا إلى رجل منهم يعرف بابن الجزري مشهور في الثغور معروف بالنجدة، فقال له الرشيد: تخرج؟

---

(١) المروج: الجيش.

(٢) المروج: بالحبال.

(٣) المروج: شبل.

(٤) النقل مستمر عن المروج.

(٥) المروج: صيت.." (١)

"قال: نعم وأستعين بالله عليه، فقال: أعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا فقال: يا أمير المؤمنين أنا بقوسي أوثق، ورمحي في يدي أسد (١) ، ولكن قد قبلت السيف والترس، فلبس السلاح، واستدناه الرشيد فودعه وأتبعه الدعاء، وخرج معه عشرون من **المطوعة**.

فلما انقض (٢) في الوادي قال لهم العلج وهو يعدهم واحدا واحدا: إنما كان في الشرط عشرون وقد ازددتم رجلا، ولكن لا بأس، فنادوه: ليس يخرج إليك منا إلا رجل واحد، فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله العلج وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم، فقال له الرومي: أتصدقني عما أسألك عنه؟ قال: نعم، قال: أنت ابن الجزري بالله؟ قال: اللهم نعم، ثم أخذا في شأنهما، فاطعنا حتى طال الأمر بينهما، وكاد الفرسان يقومان تحتهما، وليس منهما واحد خدش صاحبه، ثم رميا برمحيهما، هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه، وانتضيا سيفيهما وقد اشتد الحر عليهما وتبلد جواداهما فجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يظن أنه بالغ فيها، فيتقيها الرومي، وكانت درقته حديدا، فيسمع بذلك صوت منكر، ويضربه الرومي فينغرز سيفه (٣) لأن ترس ابن الجزري كان درقة ثبتية، وكان العلج يخاف أن يعض السيف (٤) فيعطب، فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزري، فدخلت الرشيد والمسلمين كآبة لم يصبهم مثلها، وفرح المشركون، وإنما كانت حيلة من ابن الجزري، فاتبعه العلج وعلا عليه، فلما تمكن منه ابن الجزري رماه بوهق، فاختطفه من سرجه، ثم عطف عليه، فما وصل إلى الأرض حتى فارقه رأسه، فكبر المسلمون

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٩٣

وانكسر المشركون وبادروا الباب ليغلقوه.

واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد أن يجعلوا في حجارة المنجنيق النار، فليس عند القوم دفع بعد هذا، وعاجلهم المسلمون إلى الباب فدخلوها بالسيف، وقيل إنهم بادروا بالأمان، وافتتاحها عنوة أشهر من قول من قال فتحت صلحا، قال الشاعر في ذلك (٥) :

هوت هرقلة لما أن رأت عجبا ... حوائما (٦) ترتمي بالنفط والنار

كأن نيرانها في جنب قلعتهم ... معلقات (٧) على أرسان قصار وصبت الأموال على ابن الجزري وقود وخلع عليه، فلم يقبل شيئا من ذلك، وسأل أن يعفى ويترك على ما هو عليه، وفي ذلك يقول أبو العتاهية:

ألا نادت هرقلة بالخراب ... من الملك الموفق للصواب

غدا هارون يوعد بالمنايا ... ويبرق بالمذكرة القضاب

ورايات يحل النصر فيها ... تمر كأنها مر السحاب

أمير المؤمنين ظفرت فاسلم ... وابشر بالغنيمة والإياب

هرقلية (٨) :

بلد قديم قريب من المهدية على طريقها من تونس.

هراة (٩) :

بلد في خراسان بقرب بوشنج، وهي مدينة عامرة لها ربض محيط بها من جوانبها، وداخلها مياه، والنهر جار على باب المدينة وعليه قنطرة، وعلى سائر أبوابها مياه جارية وبساتين، إلا أن الباب الذي عليه القنطرة لا ترى بعد عبورك لها جرية ماء ولا اخضرار نبات وماء هراة (١٠) يخرج من قرب مخرج ماء مرو، ويجري في

---

(١) المروج: أشد.

(٢) ص ع: انغمص.

(٣) زيادة من المروج.

(٤) ص ع: السيوف.

(٥) نسبه المسعودي إلى أبي نواس.

(٦) ص ع والمسعودي: جواثما.

(٧) المروج: كمشعلات؛ والرواية المشهورة ((مصبغات)) .

(٨) انظر الإدريسي (د) : ١٢٥، والبكري: ٨٤ (هرقلة) .

(٩) انظر الكرخي: ١٤٩، وابن حوقل: ٣٦٦، واليعقوبي: ٢٨٠، والمقدسي: ٣٠٦.

(١٠) وياقوت: (هراة) ، وآثار البلاد: ٤٨١.." [١]

"المصيصي: بكسر الميم والمهملة المشددة إلى المصيصة مدينة على ساحل البحر.

باب الميم والضاد

المضري: بالضم وفتح المعجمة وراء إلى مضر بن نزار.

المطاعي: إلى مطاع جد.

المطاميري: بالفتح وكسر الميم الثانية وراء إلى المطامير ضيعة بحلوان.

المطبخي: بفتح أوله والباء الموحدة إلى المطبخ المعروف.

المطرز: إلى تطريز الثياب.

المطرفي: بالضم والفتح وكسر الراء المشددة وفاء إلى مطرف جد.

المطرفي: بالكسر والسكون وفتح الراء وفاء إلى مطرف لقب عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهم.

المطردودي: إلى مطرود فخذ من سليم.

المطري: بفتحتين إلى مطر جد وبطن من ذهل بن شيبان قلت: وإلى المطرية بلد بمصر انتهى.

المطلبي: بالضم وتشديد الطاء المفتوحة وكسر اللام وموحدة إلى المطلب بن عبد مناف.

المطوعي: بالضم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو ومهملة إلى **المطوعة** وهم الذين أرصدوا أنفسهم للجهاد.

المطهري: بالضم وفتح الطاء والهاء المشددة إلى مطهر قرية من عمل مازندارن وجد.

المطيبي: بوزنه إلى المطيب جد.

المطيري: بالفتح والكسر إلى المطيرة قرية بنواحي سر من رأى.

باب الميم والظاء

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٩٤

المظالمي: الذي ترفع إليه الظلامات فيرفعها.

المظهري: بالضم وفتح المعجمة والهاء المشددة إلى مظهر جد.

باب الميم والعين

المعاذي: بالضم آخره معجمة إلى معاذ جد.

المعاركي: بالضم وكسر الراء إلى معارك جد.

المعاز: إلى رعاية المعزى.

المعافري: بالفتح وكسر الفاء وراء إلى المعافر بطن من قحطان.." (١)

"سنة اثنتين وستين ومائة

فيها أمر المهدي أن يجرى على المجذومين وأهل السجون في سائر الآفاق.

وفيها احتفل لغزو الروم، وسار لحربهم الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفا سوى المطوعة [١] فأغار، وحرق، وسبى، ولم يلق بأسا.

وفيها ظهرت المحمرة [٢] ، ورأسهم عبد القهار، واستولوا على جرجان وقتلوا خلائق، فقصده عمر بن العلاء من طبرستان، فقتل عبد القهار وخلق من أصحابه.

وفيها توفي السيد الجليل، والزاهد النبيل، أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم البلخي الزاهد بالشام. روى عن منصور، ومالك بن دينار، وطائفة.

قال في «العبر» [٣] : وثقه النسائي، وغيره. وكان أحد السادات. انتهى.

---

[١] المطوعة: هم الذين كانوا يتطوعون بالجهاد. انظر «مختار الصحاح» ص (٤٠٠) .

[٢] قال الزبيدي في «تاج العروس» (حمر) : والمحمرة، على صيغة اسم الفاعل مشددة: فرقة من الخرمية، وهم يخالفون المبيضة والمسودة، واحدهم محمر. وفي» التهذيب» ويقال للذين يحمرون راياتهم خلاف زي المسودة من بني هاشم: المحمرة، كما للحرورية المبيضة، لأن راياتهم في الحروب كانت بيضاء.

[٣] (١/ ٢٣٨) .." (٢)

---

(١) لب اللباب في تحريرالأنساب السيوطي ص/٢٤٧

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢/٢٨٢

"سنة إحدى وثلاثين ومائتين

فيها ورد كتاب الواثق على أمير البصرة يأمره بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وكان قد تبع أباه في امتحان الناس.

وفيها قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد، كان من أولاد الأمراء فنشأ في علم وصلاح، وكتب عن مالك وجماعة، وحمل عن هشيم مصنفاته وما كان يحدث. و [كان] يزري على نفسه، قتله الواثق بيده لامتناعه من القول بخلق القرآن، ولكونه أغلظ للواثق في الخطاب، وقال له: يا صبي.

وكان رأسا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقام معه خلق من **المطوعة** واستفحل أمرهم، فخافت الدولة من فتق يتم بذلك.

قال ابن الأهدل: روي أنه صلب فاسود وجهه، فتغيرت قلوب الناس، ثم ابيض سريعا فرؤي في النوم فقال: لما صلبت رأيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأعرض عني بوجهه فاسود وجهي غضبا، فسألته- صلى الله عليه وسلم- عن سبب إعراضه، فقال: «حياء منك، إذ قتلك واحد من أهل بيتي» فابيض وجهي [١] . انتهى.

وفيها إبراهيم بن محمد بن عرعرة الشامي البصري، أبو إسحاق الحافظ، ببغداد، في رمضان. سمع جعفر بن سليمان الضبعي.

---

[١] ذكره اليافعي في «مرآة الجنان» (٢/ ١٠١) وقال في آخره: هذا معنى ما قيل في ذلك والله أعلم، ولم أره في غيره من المصادر.." (١)

"وفيها عباس الترقفي [١] ببغداد أحد الثقات العباد. سمع محمد بن يوسف الفريابي [٢] وطبقته [٣] .

وفيها عبد العزيز [بن] منيب، أبو الدرداء، المروزي، الحافظ، رحل وطوف وحدث عن مكي بن إبراهيم وطبقته.

وفيها محمد بن عزيز الأيلي بأيلة. روى عن سلامة بن روح وغيره.

قال في «المغني» [٤] : قال النسائي: صويلح. وقال أبو أحمد الحاكم: فيه نظر. انتهى.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٤٠/٣

ويحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الله [٥] الذهلي الحافظ، شيخ نيسابور. بعد أبيه، ويقال له: حيكان. رحل وسمع من سليمان بن حرب وطبقته، وكان أمير **المطوعة** المجاهدين، ولما غلب أحمد الخجستاني [٦] على نيسابور، وكان ظلوما غشوما، فخرج منها هاربا، فخافت النيسابوريون كرته فاجتمعوا على باب حيكان وعرضوا في عشرة آلاف مقاتل، فرد إليهم أحمد، فانهزموا واختفى حيكان، وصحب قافلة، ولبس عباءة فعرف، وأتي به إلى أحمد فقتله.

---

[١] في الأصل، والمطبوع: «البرقفي» وهو خطأ، والتصحيح من «العبر» للذهبي. قلت: كذا ضبطها السمعاني في «الأنساب» (٣/ ٤٠) ، وابن حجر في «تقريب التهذيب» ص (٢٩٣) بفتح التاء، وضبطها ابن الأثير في «اللباب» (١/ ٢١٢) بضم التاء.

[٢] في الأصل، والمطبوع: «عبد العزيز منيب» وهو خطأ، والتصحيح من «العبر» للذهبي.

[٣] تقدمت هذه الترجمة في المطبوع على ترجمة «عبد العزيز بن منيب» وما جاء في الأصل موافق لما في «العبر» .

[٤] (٢/ ٦١٤) .

[٥] في الأصل، والمطبوع: «أبو عبد الله» وهو خطأ، والتصحيح من «العبر» للذهبي (٢/ ٤٢) ، وانظر «تاريخ الطبري» (٩/ ٥٥٧) .

[٦] في الأصل، والمطبوع إلى «الحجستاني» والتصحيح من «العبر» للذهبي.." (١)

"سنة اثنتين وستين وثلاثمائة

فيها كما قال في «الشذور» قتل رجل من أصحاب المعونة في الكرخ، فبعث أبو الفضل الشيرازي، صاحب معز الدولة، من طرح النار في النحاسين إلى السماكين، فاحترقت سبعة عشر ألف وثلاثمائة وعشرين دارا، أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألف دينار، ودخل في الجملة ثلاثة وثلاثون مسجدا، وهلك خلق كثير من الناس في الدور والحمامات. انتهى.

وفيها كما قال في «العبر» [١] أخذت الروم نصيبين، واستباحوها، وتوصل من نجا إلى بغداد، وقام معهم **المطوعة**، واستنفروا الناس، ومنعوا من الخطبة، وحاولوا الهجوم على المطيع، وصاحوا عليه بأنه عاجز مضيع [٢] لأمر الإسلام، فسار العسكر من جهة الملك عز الدولة بختيار، فالتقوا الروم، فنصروا عليهم، وأسروا

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢٨٨/٣

جماعة من البطارقة، ففرح المسلمون.

وفي رمضان، قدم المعز أبو تميم العبيدي [٣] مصر، ومعه توابيت آبائه، ونزل بالقصر بداخل القاهرة المعزية، التي بناها مولاه جوهر، لما افتتح الإقليم، وقويت شوكة الرفض شرقا وغربا، وخفيت السنن، وظهرت البدع، نسأل الله تعالى العافية.

---

[١] (٢/ ٣٣١) .

[٢] تحرفت في الأصل إلى «مطيع» وأثبت ما في المطبوع وهو الصواب.

[٣] تحرفت في الأصل والمطبوع إلى «العبدي» والتصحيح من «العبر» .." (١)

"سنة عشر وأربعمائة

فيها كما قال في «الشذور» ورد إلى القادر كتاب من عين الدولة محمود بن سبكتكين يذكر ما افتتحه من بلاد الهند، فيه: إني فتحت قلاعا وحصونا، وأسلم زهاء عشرين ألفا من عباد الأوثان، وسلموا قدر ألف ألف درهم من الورق [١] وبلغ عدد الهالكين منهم خمسين ألفا، ووافى العبد مدينة لهم، عاين فيها زهاء ألف قصر مشيد وألف بيت الأصنام، ومبلغ ما في الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال وثلاثمائة مثقال، وقلع من الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم، فحصل منهم عشرون ألف ألف درهم، وأفرد خمس الرقيق، فبلغ ثلاثة وخمسين ألفا، واستعرض ثلاثمائة وستة وخمسين فيلا. انتهى.

وقال الذهبي [٢] : وكان جيشه ثلاثين ألف فارس، سوى الرجالة **والمطوعة**.

وقال ابن الأهدل: فتح ما لم يبلغه أحد في الإسلام، وبنى فيها- أي الهند- مساجد، وكسر الصنم المشهور «بسر منات» وهو عند كفرة الهند يحيي ويميت، ويقصدونه لأنواع العلل، ومن لم يشف منهم الحتج بالذنب

---

[١] الورق: الدراهم المضروبة. انظر «مختار الصحاح» (ورق) .

[٢] انظر «العبر» (٣/ ١٠٤) ، وانظر الخبر بطوله في «غربال الزمان» ص (٣٤٤- ٣٤٥) .." (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٣٢٦/٤

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٥٦/٥

"سنة ثماني عشرة وأربعمائة

قال في «الشذور» : جاء فيها برد وزن البردة رطلان وأكثر.

وفيها اجتمعت الحاشية ببغداد، وصمموا على الخليفة، حتى عزل أبا كاليجار، وأعدت الخطبة لجلال الدولة أبي طاهر.

وفيها ورد كتاب الملك محمود بن سبكتكين بما فتحه من بلاد الهند، وكسره صنم سومنات، وأنهم فتنوا به، وكانوا يأتونه من كل فج عميق، ويقربون له القرابين، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية، وامتلأت خزانة الصنم بالأموال، وله ألف نفس يخدمونه، وثلاثمائة يحلقون [رؤوس] [١] حجاجه [ولحاهم] [١] ، وثلاثمائة [رجل وخمسمائة امرأة] [١] يغنون [ويرقصون عند بابه] [١] ، فاستخار العبد [٢] [الله] في الانتداب له، ونهض في شعبان، سنة ست عشرة وأربعمائة في ثلاثين ألف فارس، سوى **المطوعة**، ووصلنا إلى بلد الصنم وملكنا الصنم والبلد، وأوقدت النيران على الصنم، حتى تقطع، وقتلنا خمسين ألفا من أهل البلد، وتقدم طرف من ذلك في سنة عشر [٣] .

وفيها توفي أبو إسحاق الإسفراييني، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن

---

[١] ما بين حاصرتين زيادة من «وفيات الأعيان» (٥/ ١٧٨، ١٧٩) .

[٢] يعني الملك محمود بن سبكتكين.

[٣] انظر ص (٥٦- ٥٧) من هذا المجلد.." (١)

"فسارع إليه الخلق من الأقطار، واستجمع له جيش من **المطوعة**، فعسكر بظاهر بغداد، وضرب له الطبل، وسار بهم إلى الموصل، واستفحل أمره، فصار إلى أذربيجان، وضاهى أمير تلك الناحية، ثم خمد سوقه، وتراجع عامة أصحابه، ثم مات. قاله في «العبر» [١] .

وفيها محمد بن عبد الله بن عابد، أبو عبد الله المعافري، محدث قرطبة. روى عن أبي عبد الله بن مفرج [٢] وطبقته، ورحل، فسمع من أبي محمد بن أبي زيد، وأبي بكر بن المهندس، وطائفة، وكان ثقة عالما جيد المشاركة في الفضائل. توفي في جمادى الأولى، عن بضع وثمانين سنة، وهو آخر من حدث عن الأصيلي.

وفيها محمد بن حامد المعروف بابن جبار [٣] الحنبلي، وكان ينزل بإسكاف، وله قدم في أنواع العلوم،

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٩٠/٥

والآداب، والفقه، وكان يشار إليه بالصلاح والزهد.

وفيها هبة الله بن محمد بن أحمد أبو الغنائم بن البغدادي، أنفذه والده أبو طاهر إلى أبي يعلى، فدرس عليه، وأنجب، وأفتى، وناظر، وجلس بعد موت أبيه في حلقته.

---

[١] (٣/ ١٩١- ١٩٢) .

[٢] تصحف في «آ» و «ط» إلى «مفرح» والتصحيح من «العبر» وانظر «الصلة» لابن بشكوال (٢/ ٥٣٠) و «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٦١٥) .

[٣] في «آ» و «ط» : «ابن خيار» والتصحيح من «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢/ ١٨٩) و «المنهج الأحمد» (٢/ ١٢٣) طبعة عالم الكتب.." (١)

"سنة إحدى وتسعين وخمسمائة

فيها كانت وقعة الزلاقة بالأندلس [بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين ألفنش [١] المتغلب على أكثر جزيرة الأندلس] [٢] فدخل يعقوب وعدي من زقاق سبته في مائة ألف وأما **المطوعة** فقل ما شئت، وأقبل ألفنش [١] في مائتي ألف وأربعين ألفا، فانتصر الإسلام وانهزم الكلب في عدد يسير، وقتل من الفرنج كما أرخ أبو شامة [٣] وغيره مائة ألف وستة وأربعون ألفا، وأسر ثلاثون ألفا، وغنم المسلمون غنيمة لم يسمع بمثلها، حتى أبيع السيف بنصف درهم، والحصان بخمسة دراهم، والحمار بدرهم، وذلك في شعبان.

وفيها توفي أبو الحسن إسماعيل بن أبي سعد بن علي بن إبراهيم بن محمد الأصبهاني المحدث، ويعرف بطاهريته [٤] الحنبلي. سمع الكثير، وحصل الأصول، وحدث ببغداد، قدمها حاجا عن فاطمة الجوزدانية، وفاطمة

---

[١] في «آ» و «ط» : «الفيش» وما أثبته من «العبر» (٤/ ٢٧٥) و «دول الإسلام» 2/ ١٠٢) و «النجوم الزاهرة» (٦/ ١٣٧) والضبط عنهما.

[٢] ما بين حاصرتين سقط من «آ» .

[٣] انظر «ذيل الروضتين» ص (٧- ٨) .

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٧٩/٥

[٤] في «آ» و «ط» : «ويعرف بطاهرنية» والتصحيح من «التكملة لوفيات النقلة» (١/ ٢١٩) و «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٨٣) .." (١)

"وفيه وصل حجاج المغاربة إلى مصر من طريق البر وأخبروا أنهم حجوا وقضوا مناسكهم وأن مسعود الوهابي وصل إلى مكة بجيش كثيف وحج مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار وأحضر مصطفى جاويش أمير الركب المصري وقال له: ما هذه العويدات والطبول التي معكم يعني بالعويدات المحمل فقال: هو اشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عادتهم فقال: لا تأت بذلك بعد هذا العام وأن اتيت به احرقته وأنه هدم القباب وقبة ادم وقباب ينبع والمدينة وابطل شرب التنباك والنارجيلة من الأسواق وبين الصفا والمروة وكذلك البدع.

وفي وفي تلك الليلة أرسل الباشا وطلب السيد عمر في وقت العشاء الاخيرة والزمه بتحصيل ألف كيس لنفقة العسكر وأن يوزعها بمعرفته.

وفي يوم الإثنين رابعه دخلت طوائف العسكر الواصلين من الجهة القبلية إلى المدينة وطلبوا سكنى البيوت كعادتهم ولم يرجعوا إلى الدور التي كانو ساكنين بها واخربوها.

وفي يـوم الثلاثاء وردت مكاتبة من رشيد وعليها امضاء السيد حسن كريت يخبر فيها بأن الإنكليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله ويضربون على البلد بالمدافع والقنابر وقد تهدم الكثير من الدور والأبنية ومات كثير من الناس وقد ارسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الإغاثة والنجدة فلم تسعفونا بإرسال شيء وما عفرنا لأي شيء هذا الحال وما هذا الإهمال فالله الله في الإسعاف فقد ضاق الخناق وبلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه وملازمة المرابطة والسهر على المتاريس ونحو ذلك من الكلام وهي خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ ومؤرخة في ثاني شهر صفر.

وفي وفي ذلك اليوم اهتم الباشا وعزم على السفر بنفسه إلى بولاق وركب صحبته حسن باشا وعابدين بك وعمر بك فسافروا في تلك الليلة.

وفي وفي يوم الأربعاء سافر أيضا حجوبك وخرج معه بعض **المتطوعة** من الأتراك وغيرهم تهيئوا واتفقوا مع المسافرين معهم وامدهم الكثير من." (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٥٠٠/٦

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١٨٩/٣

"الأمر لأن من الثابت عندهم صداقة الإنكليز مع العثماني من قديم الزمان وأن المراسيم التي وردت بالتحذير والتحفظ من الموسكوب ولم يذكر الانكليز فاتفق الحال بأن يرسلوا لهم جوابا بالحقيقة صحبة مصطفى أفندي كتخدا القاضي ويصحب معه المراسيم التي وردت في شأن ذلك وفيها ذكر الإنكليز ومنابذتهم للدولة فسافر الكتخدا المذكور في صبحها إليهم وكانوا حضروا إلى ناحية المنية وأما ياسين بك فانه اذعن للصلح على أن يعطيه الباشا أربعمائة كيس بعد ترداد المراسلات بينه وبين الباشا ثم أنه عدى إلى ناحية شرق اطفيح وفرض عليهم الأموال الجسيمة وكان أهل تلك البلاد اجتمعوا بصول والبرنبل بمتاعهم وأموالهم ومواشيهم فنزل عليهم وطلب منهم الأموال فعصوا عليه فأوقد فيهم النيران وحرق جرونهم ونهبهم.

وفي عصر يوم الثلاثاء حضر جماعة من العرب وصحبتهم ثلاثة انفار من البرية وأحضروهم إلى مصر فمثلوا بين يدي الباشا وكلمهم ثم أمر بطلوعهم إلى القلعة وفيهم شخص كبير يقال: إنه من قباطينهم.

وفي يوم الخميس رابع عشرة عملوا ديوانا ببيت القاضي اجتمع فيه الدفتردار والمشايخ والوجاقلية هكذا وردت مرسوما تقدم حضوره قبل وصول الإنكليز إلى الإسكندرية مضمونه ضبط تعلقات الإنكليز ومالهم من المال والودائع والشركات مع التجار بمصر والثغور.

وفي ذلك اليوم حضر شخصان من السعاة وأخبرا بالنصر على الإنكليز وهزيمتهم وذلك أنه اجتمع الجم الكثير من أهالي بلاد البحيرة وغيرها وأهالي رشيد ومن معهم من المتطوعة والعساكر وأهل دمنهور وصادف وصول كتخدا بك وإسمعيل كاشف الطوبجي إلى تلك الناحية فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة وأسروا من الإنكليز طائفة وقطعوا منهم عدة رؤوس فخلع الباشا على الساعيين جوختين وفي أثر ذلك وصل أيضا شخصان من الأتراك بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر وبالغا في الأخبار وأن الأنكليز انجلوا عن متاريس رشيد وأبي منصور والحماد ولم تزل المقاتلون من أهل القرى." (١)

"فامتلأت المساجد والرحاب بالمطوعة وتواصوا بهم خيرا هذا مساق صاحب الروض المعطار وقال ابن الأثير لما رجع المعتمد ابن عباد إلى إشبيلية وترك قرطبة بدون مدافع وسمع مشايخها بما جرى من قتل ابن عباد لليهودي ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الأندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها إلا القليل وإن استمرت الأحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت وساروا إلى القاضي أبي بكر عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة وإعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١٩٢/٣

عليك قال ما هو قالوا نكتب إلى عرب إفريقية ونشترط لهم إذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله وقال أخاف إذا وصلوا إلينا أن يخربوا بلادنا كما فعلوا بإفريقية ويتركوا الفرنج ويبدؤوا بنا والمرابطون أصلح منهم واقرب إلينا قالوا له فكاتب يوسف بن تاشفين وراغب إليه في العبور إلينا أو يرسل بعض قواده

وبينما هم يتفاوضون إذ قدم عليهم ابن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد أنت رسولي إليه في ذلك فامتنع القاضي وإنما أراد أن يبرىء نفسه من تهمة تلحقه فألح عليه المعتمد فعبر القاضي البحر إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش وكان أمير المسلمين يومئذ بمدينة سبتة ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس وأرسل إلى مراكش في طلب من بقي من عساكره فأقبلت إليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد ابن عباد بإشبيلية

وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كبير وقصده **المطوعة** من سائر بلاد الأندلس ووصلت الأخبار إلى الأذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب إلى أمير." (١)

"كثيرة فهم تميم بالفرار فلم يجد له سبيلا ثم صمم قواد لمتونة على مناجزة العدو وصمدوا إليه فكانت بينهم حرب عظيمة بعد العهد بمثلها فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين وقتل ولد الفنش وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا ونيف ودخل المسلمون أفليج بالسيف عنوة واستشهد في هذه الوقعة جماعة من المسلمين رحمهم الله واتصل الخبر بالفنش فاغتم لقتل ولده وأخذ بلده وهلاك جنده فمرض ومات أسفا لعشرين يوما من الوقعة وكتب تميم بن يوسف إلى أمير المسلمين بالفتح

واعلم أنه يقال في ملوك الجلالقة الذين نسميهم اليوم الإصبنيول الأذفونش ويقال الفنش فقال ابن خلكان الأذفونش بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو بعدها نون ثم شين معجمة هو اسم لأكبر ملوك الإفرنج وهو صاحب طليطلة وقال ابن خلدون بنو أذفونش هم ولد أذفونش بن بطرة أول ملوك الجلالقة اه وأما قولهم الفنش فهو اسم علم لبعض ملوكهم وليس لقبا لجميعهم

وكان محمد بن الحاج رحمه الله مدة مقامه ببلنسية قد ضيق على النصارى تضييقا فاحشا بالغارات والنهب فخرج في غزاة له ذات مرة فأخذ على طريق البرية فغنم وسبى وكان معه جماعة من قواد لمتونة فبعث بالمغنم

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢/٤٠

على الطريق الكبير وأخذ هو على برية تقرب من بلاد المسلمين وكان أكثر الناس مع المغنم وكان طريق البرية الذي أخذ عليه محمد بن الحاج لا يسلك إلا على سرب واحد لصعوبته وشدة وعورته فلما توسطه محمد بن الحاج وأخذته الأوعار والمضايق من بين يديه ومن خلفه وجد النصارى قد كمنوا له في جهة من تلك الجهات فقاتلهم قتال من أيقن بالموت واغتنم الشهادة إذ لم يجد منفذا يخلص منه فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من **المتطوعة** وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة في نفر يسير بحيلة أعملها." (١)

"فجاز معه خلق كثير من المرابطين **والمتطوعة** من العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر فوصل بجيوشه إلى قرطبة ونزل خارجها وأتته وفود الأندلس للسلام عليه فسألهم عن أحوال بلادهم وثغورهم بلدا بلدا فعرفوه بما كان

وعزل القاضي أبا الوليد بن رشد عن قضاء قرطبة وولى مكانه أبا القاسم بن حمدين ويقال إنما عزل ابن رشد لأنه استعفاه وكان قد اشتغل بتأليف البيان والتحصيل

ثم سار أمير المسلمين حتى نزل على مدينة شنتمرية ففتحها عنوة وسار في بلاد الفرنج يقتل ويسبي ويقطع الثمار ويخرب القرى والديار حتى دوخ بلاد غرب الأندلس وفر أمامه الفرنج وتحصنوا بالمعاقل المنيعة

وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة عاد أمير المسلمين إلى بلاد العدوة بعد أن ولى أخاه تميم بن يوسف على جميع بلاد الأندلس فلم يزل عليها إلى أن توفي سنة عشرين وخمسمائة

ولاية الأمير تاشفين بن علي بن يوسف على بلاد الأندلس وأخباره في الجهاد

لما توفي الأمير تميم بن يوسف في التاريخ المتقدم ولى أمير المسلمين على بلاد الأندلس ابنه تاشفين بن علي بن يوسف ما عدا الجزائر الشرقية فإنه قد عقد عليها لمحمد بن علي المسوفي المعروف بابن غانية فعبر الأمير تاشفين البحر إلى الأندلس في خمسة آلاف من الجند وبعث إلى أجناد البلاد فأتوه فخرج بهم غازيا طليطلة ففتح بعض حصونها بالسيف وانتسف ما حولها

وفي السنة المذكورة أعني سنة عشرين وخمسمائة هزم الأمير تاشفين." (٢)

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢/٦٤

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢/٦٨

"قبائل العرب والبربر وزناتة أزيد من ثلاثمائة ألف فارس ومن جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل فضاقت بهم الأرض وانتشرت المحلات والعساكر في أرض سلا من عين غبولة إلى عين خميس إلى حلق المعمورة

فلما استوفيت لديه الحشود وتكاملت لديه الجنود والوفود كان المعنى الذي أشار الله القائل

(إذ تم أمر بدا نقصه ... ترقب زوالا إذا قيل تم)

فابتدأ بعبد المؤمن مرضه الذي توفي منه وتمادى به ألمه فخاف أن يفجأه الحمام فأمر بعزل ولده محمد عن ولاية العهد وإسقاط اسمه من الخطبة لما ظهر له من العجز عن القيام بأمر الخلافة

وكان ذلك يوم الجمعة الثاني من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكتب بذلك إلى جميع طاعته وتمادى به مرضه واشتد ألمه فتوفي ليلة الجمعة الثامن من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وقيل غير ذلك وحمل إلى تينملل فدفن بها إلى جنب قبر الإمام المهدي رحمه الله فسبحان من لا يبيد ملكه ولا ينقضي عزه

ونقل ابن خلكان في كيفية عزل ولي العهد وجها آخر قال ناقلا من خط العماد بن جبريل أن عبد المؤمن كان في حياته عهد إلى أكبر أولاده وهو محمد وبايعه الناس بعد تحليف الجند له وكتب ببيعته إلى البلاد فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الأمر لأنه كان على أمور لا يصلح معها للمملكة من إدمان شرب الخمر واختلاف الرأي وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال إنه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام واضطرب أمره." (١)

"وفي سنة خمس وستين بعدها وجه يوسف بن عبد المؤمن أخاه السيد أبا حفص إلى الأندلس برسم الجهاد فعبر البحر من قصر المجاز إلى طريف في عشرين ألفا من الموحدين والمتطوعة فدخلوا بلاد العدو وبعث السيد أبو حفص أخاه السيد أبا سعيد إلى بطليوس فعقد الصلح مع الطاغية ابن أذفونش وهو يومئذ أعظم ملوك فرنج الجزيرة وانصرف ونهضوا جميعا إلى مرسية ومعهم إبراهيم بن همشك كان من قواد ابن مردنيش فنزع عنه إلى الموحدين فحاصروا ابن مردنيش الثائر بمرسية وأعمالها واستولوا على أكثر بلاده واتصل الخبر بالخليفة بمراكش وقد خف إلى الجهاد

وفي سنة ست وستين أمر أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ببناء قنطرة تانسيفت وكان الشروع في بنائها يوم الأحد ثالث صفر من السنة المذكورة

الجواز الأول لأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن إلى الأندلس بقصد الجهاد

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢/١٤٤

لما اتصل بأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ما اتفق لشقيقه السيد أبي حفص من الاستيلاء على غالب بلاد ابن مردنيش وظهور المسلمين على عدوهم بها وكان بعض ملوك الفرنج بها لم يزالوا يشغبون على المسلمين بالغارات على أطراف بلادهم تاقت نفسه إلى العبور إلى بلاد الأندلس بقصد إصلاح حالها وجهاد العدو بها وقد توافدت لديه وهو بمراكش جموع العرب من إفريقية صحبة السيد أبي زكريا صاحب بجاية والسيد أبي عمران صاحب تلمسان

وكان يوم قدومهم عليه يوما مشهودا فاعترضهم وسائر عساكرهم." (١)

"وهم صاغرون) ثم كتب الجواب ما ترى لا ما تسمع فهو أول من تكلم به فأرسله مثلا وأنشد متمثلا (ولا كتب إلا المشرفية والقنى ... ولا رسل إلا الخميس العرمرم)

ثم أمر بالإستنفار واستدعاء الجيوش من الأمصار وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبتة يريد الأندلس

وقال ابن أبي زرع خرج أمير المؤمنين يعقوب المنصور من حضرة مراكش يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة يولي السير ويطوي المناهل ولا يلوي على فارس ولا راجل والجيوش تتابع في أثره من سائر الأقطار فلما انتهى إلى قصر المجاز أخذ في إجازة الجيوش الواردة عليه لا يفرغ من طائفة إلا وقد لحقت بها أخرى فأجاز أولا قبائل العرب ثم زناتة ثم المصامدة ثم غمارة ثم **المتطوعة** من قبائل المغرب ثم الأغزاز والرماة ثم الموحدون ثم العبيد ثم أجاز أمير المؤمنين في أثرهم في موكب عظيم من أشياخ الموحدين وأهل النجدة والزعامة ومعه فقهاء المغرب وصلحاؤه واستقر بالجزيرة الخضراء بعد صلاة الجمعة الموفي عشرين من رجب من السنة المذكورة فأقام بها يوما واحدا

ثم نهض إلى العدو قبل أن تخمد قرائح المجاهدين وتضعيف نياتهم فسار حتى بقي بينه وبين حصن الأرك الذي كان العدو نازلا بإزائه نحو مرحلتين فنزل هنالك وذلك يوم الخميس ثالث شعبان من السنة فجمع الناس ذلك اليوم وفاوضهم ووعظهم ثم اختص أهل الأندلس بمزيد المشورة وقال لهم إن جميع من استشرته وإن كانوا أولي بأس ومعرفة بالحرب لكنهم لا يعرفون من قتال الفرنج ما تعرفونه أنتم لتمرسكم بهم وتمرسهم

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١٤٩/٢

بكم فأحالوه في الرأي على القائد أبي عبد الله بن صناديد فعول المنصور رحمه الله في ذلك على رأيه." (١)

"وقال ابن الخطيب في رقم الحلل إن أمير المؤمنين المنصور رحمه الله عرض جيشه وأخذ في تقريب القرب الى الله تعالى بين يدي جهاده فسرح السجون وأدر الأرزاق وعين الصدقات ورحل فنزل الأرك وقد خيمت بأحوازه محلات العدو يضيق عنها المتسع وقام المنصور بعد أن اجتمع الناس فتحلل من المسلمين وقال أيها الناس اغفروا لي فيما عسى أن يكون صدر مني فبكي الناس وقالوا منكم يطلب الرضى والغفران وخطب الخطباء بين يديه محرضين ومذكرين فنشط الناس وطابت النفوس ومن الغد صدع المنصور بالنداء وأمر بأخذ السلاح والبروز إلى اللقاء فكانت التعبئة تحت الغلس

وحكى ابن أبي زرع أن المنصور بات تلك الليلة عاكفا بمصلاه على الركوع والسجود وإنه أغفى إغفاءه فرأى ملكا نزل من السماء في صورة بشر وبيده راية خضراء وبشره بالفتح وأنشده في ذلك أبياتا بقيت على ذكر المنصور إلى أن استيقظ وقص رؤياه على وجوه الجند فازداد الناس طمأنينة وبصيرة

فلما كان يوم السبت خامس شعبان جلس المنصور في قبته الحمراء المعدة للجهاد ثم دعا بكبير وزرائه الشيخ أبي يحيى بن أبي حفص وقدمه على ذلك الجيش وعقد له رايته وقدمه بين يديه فرفرفت على رأسه الرايات وقرعت بين يديه الطبول وسار في قبيل هنتاتة وبين يديه القائد ابن صناديد في جيش الأندلس ثم عقد المنصور لجرمون بن رياح على قبائل العرب ولمنديل بن عبد الرحمن المغراوي على قبائل مغراوة ولمحيو بن أبي بكر بن حمامة المريني جد الملوك المرينيين على قبائل بني مرين ولجابر بن يوسف العبد الوادي على قبائل بني عبد الواد ولعباس بن عطية التوجيني على قبائل بني توجين ولتلجين بن علي على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ولمحمد بن منغفاد على قبائل غمارة وعقد للفقيه الصالح أبي خزر يخلف بن خزر الأوربي على **المتطوعة**." (٢)

"وقال ابن خلدون إن الذي كان على **المتطوعة** يومئذ هو الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص والكل إلى نظر الشيخ أبي يحيى بن أبي حفص وبقي المنصور رحمه الله في جيش الموحدين والعبيد وأمر الشيخ أبا يحيى بالرحيل والتقدم أمامه إلى جهة العدو

وكان المنصور قد ضفر مع ابن صناديد من الرأي أن يبقى هو متأخرا في الموحدين والعبيد والجشم على

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢/١٨٧

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢/١٨٨

مسافة يخفى بها عن أعين العدو ويقدم الشيخ أبا يحيى ببعض الرايات والطبول في هيئة السلطان فيلقى العدو فإن كانت للمسلمين فهو المطلوب وإن كانت عليهم كان المنصور ردأ لهم ثم يستأنف القتال مع العدو وقد انفل حده ولانت شوكته

فسار الشيخ أبو يحيى على هذا الترتيب وابن صناديد أمامه في فرسان الأندلس وحماتها فكان الشيخ أبو يحيى إذا أقلع بجيشه عن موضع صباحا خلفه المنصور فيه بجيشه مساء حتى أشرف الشيخ أبو يحيى على جموع الفرنج وهي يومئذ إلى جنب حصن الأرك ويقال ،لأركو بزيادة الواو في آخرة قد ضربت أخبيتها على ربوة عالية ذات مهاو وأحجار كبار قد ملأت السهل والوعر ونزل الشيخ أبو يحيى بجيشه في البسيط ضحوة يوم الأربعاء التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وعند ابن خلكان أن ذلك كان يوم الخميس قال واقتفى المنصور في ذلك طريقة أبيه وجده فإنهم أكثر ما كانوا يصافون يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر فعبأ الشيخ أبو يحيى عساكره تعبئة الحرب وعقد الرايات لأمراء القبائل وأوقف كل قبيلة في مركزها الذي عين لها فجعل عسكر الأندلس في الميمنة وجعل زناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في المسيرة وجعل المتطوعة والأغزاز والرماة في المقدمة وبقي هو في القلب في قبيلة هنتاتة

ولما أخذ الناس مراكزهم من حومة القتال خرج جرمون بن رياح يمشي في صفوف المسلمين ويحضهم على الثبات والصبر وبينما الناس." (١)

"على ذلك إذ انفصلت من جيوش العدو كتيبة عظيمة من نحو عشرة آلاف فارس كلهم مدجج في الحديد وكانت هذه الكتيبة هي شوكة ذلك الجيش وحده كان الفنش لعنه الله قد انتخبهم وصلت أقسته عليهم صلاة النصر ورشوهم بماء المعمودية وتحالفوا عند الصلبان أن لا يبرحوا حتى يقتلوا المسلمين أو يهلكوا دونهم فلما برزت هذه الكتيبة نادى منادي الشيخ أبي يحيى معشر المسلمين اثبتوا في مصافكم وأخلصوا لله تعالى ينتكم وأذكروا الله عز وجل في قلوبكم وبرز عامر الزعيم من أمراء العرب فحض الناس على الصبر وثبتهم وحملت كتيبة العدو حتى اندقت رماح المسلمين في صدور خيلها أو كادت ثم تقهقرت قليلا ثم عاودت الحملة فكانت كالأولى ثم تهيأت للحملة الثالثة فدفعت حتى خالطت صفوف المسلمين وخلص البعض منها إلى الشيخ أبي يحيى يطنونه المنصور فاستشهد رحمه الله بعد ما أحسن البلاء وقاتل قتالا شديدا واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاتة والمتطوعة وغيرهم وسمي بنو الشيخ أبي يحيى ببني الشهيد وعرفوا به من يومئذ وأظلم الجو بالغبار واختلطت الرجال بالرجال وانفرد كل قرن بقرنه وأقبلت

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١٨٩/٢

العرب **والمتطوعة** فأحاطوا بالكتيبة التي دفعت إلى الشيخ أبي يحيى وزحفت زناتة والمصامدة وغمارة إلى الربوة التي فيها الفنش وجموعه وكانت على ما قيل تنيف على ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل فتوغل المسلمون في تلك الأوعار إليهم وخالطوهم بها واشتد القتال واستحر القتل في الكتيبة التي دفعت أولا وانقضت عليهم العرب **والمتطوعة** وهنتاتة فطحنوهم طحنا وانكسرت شوكة الفنش بهلاكهم إذ كان اعتماده ومعوله عليهم

وأسرعت خيل من العرب إلى أمير المؤمنين المنصور فأعلموه بأن الله تعالى قد فل شوكة العدو وأشرف على الإنهزام فعندها أمر المنصور بالرايات فرفعت وبالطبول فقرعت ورفع المسلمون أصواتهم بالتكبير وتسابقوا لقتال العدو وخفقت البنود وزحف أمير المؤمنين نحو المعركة." (١)

"بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والحمار بدرهم وقسم المنصور الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع كذا في نفح الطيب

وفي كامل ابن الأثير أن يعقوب المنصور رحمه الله نادى في عسكره من غنم شيئا فهو له سوى السلاح وأحصى ما حمل إليه منه فكان زيادة على سبعين ألف لبس واستشهد من المسلمين نحو عشرين ألفا

ثم تقدم المنصور بجيوشه إلى بلاد الفرنج وأخذ يخرب المدن والقرى ويفتح الحصون والمعاقل ويقتل ويسبي ويأسر حتى وصل إلى جبل سليمان ثم ثنى عنانة راجعا وقد امتلأت أيدي المسلمين من الغنائم ولم يعارضه من الفرنج معارض حتى وصل الى إشبيلية فاستقر بها

وأما الفنش فإنه لما انهزم وصل إلى طليطلة في أسوأ حال فحلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وركب حمارا وأقسم أن لا يركب فرسا ولا بغلا ولا ينام على فراش ولا يقرب النساء حتى تنصر النصرانية فجمع جموعا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى المنصور فبعث الى بلاد المغرب مراكش وغيرها يستنفر الناس من غير إكراه فأتاه من **المتطوعة** والمرتزقة جمع عظيم ثم نهض إلى الفنش فالتقوا في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الأموال والسلاح والدواب وغيرها

ثم تقدم المنصور إلى مدينة طليطلة فحاصرها وقاتلها قتالا شديدا وقطع أشجارها وشن الغارات على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدة حصون مثل قلعة رباح ووادي الحجارة ومجريط وجبل سليمان وأفليج وكثير من أحواز طليطلة

ثم ارتحل عن طليطلة إلى مدينة طلمنكة فدخلها عنوة بالسيف فقتل المقاتلة وسبا النساء والذرية وغنم

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١٩٠/٢

أموالها وهدم أسوارها وأضرم النيران في جوانبها وتركها قاعا صفصفا
وثنى عنانه إلى إشبيلية فدخلها غرة صفر سنة ثلاث وتسعين." (١)

"غزوة العقاب التي محص الله فيها المسلمين

ثم اتصلت الأخبار بالناصر وهو بمراكش أن الفنش لعنه الله قد استطال على ثغور المسلمين بالأندلس وأنه يغير على قراها وينهب الأموال ويسبي النساء والذرية فأهمه ذلك وأقلقه وكتب إلى الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص صاحب إفريقية يستشيره في الغزو فأبى عليه فخالفه وأخذ في الحركة للجهاد
وكان الناصر معجبا برأيه مستبدا بأموره ففرق الأموال على القواد والأجناد وكتب إلى جميع بلاد إفريقية والمغرب وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكفار فأجابه خلق كثير وألزم كل قبيلة من قبائل العرب بحصة من الخيل والرجل تخرج للجهاد فتقدمت عليه الجيوش من سائر الأقطار وتسارع الناس إليه خفافا وثقالا من البوادي والأمصار
فلما تكاملت لديه الحشود وتوافت بحضرته الجنود خرج من مراكش في تاسع عشر شعبان سنة سبع وستمائة فانتهى إلى قصر المجاز فأقام به وشرع في إجازة الجيوش من أوائل شوال إلى أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة فتلقاه هنالك قواد الأندلس وفقهاؤها ورؤساؤها وأقام بطريف ثلاثا ثم نهض إلى إشبيلية في أمم لا تحصى وجيوش لا تستقصى قد ملأت السهل والوعر
حكى بعض الثقات من مؤرخي المغرب أنه اجتمع مع الناصر في هذه الغزوة من أهل المغرب والأندلس ستمائة ألف مقاتل وكان الناصر رحمه الله قد أعجبه ما رأى من كثرة جنوده وأيقن بالظفر فقسم الناس على خمس فرق فجعل العرب فرقة وزناتة وصنهاجة والمصامدة وغمارة وسائر أصناف قبائل المغرب فرقة وجعل **المتطوعة** فرقة وجعل جند الأندلس فرقة والموحدين فرقة وأمر كل فرقة أن تنزل ناحية واهتزت جميع بلاد." (٢)

"جامع ما قال أمر بقتله هو وصهره قطعا بالرماح رحمهما الله
فحقدت جيوش الأندلس على ابن جامع وفسدت نياتهم على الناصر وأحس ابن جامع بذلك فأمر بإحضار قوادهم فحضروا بين يديه فقال اعتزلوا جيش الموحدين فلا حاجة لنا بكم كما قال الله تعالى ﴿لو خرجوا

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١٩٢/٢
(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢٢٠/٢

فيكم ما زادوكم إلا خبالا﴾ وسننظر بعد هذا في أمر كل فاجر

ولما علم الناصر بحال الفنش وما هو عليه من القوة وكثرة الجموع واستيلائه على قلعة رياح التي هي أمنع ثغور المسلمين شق ذلك عليه وامتنع من الطعام والشراب حتى مرض من شدة الوجد ثم شدد في قتال سلبطرة وبذل الأموال الجليلة حتى فتحها صلحا وذلك في أواخر ذي الحجة من سنة ثمان وستمائة ثم زحف الفنش إلى الناصر ونهض الناصر إليه فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحصن العقبان فضرب المصاف وضرب للناصر قبته الحمراء المعدة للقتال على رأس ربوة وقعد أمامها على درقته وفرسه قائم بإزائه ودارت العبيد بالقبة من كل ناحية ومعهم السلاح التام ووقفت الساقات والبنود والطبول أمام العبيد مع الوزير ابن جامع وأقبلت جموع الفرنج على مصافها كأنها الجراد المنشر فتقدمت إليهم المتطوعة وحملوا عليهم أجمعون وكانوا مائة وستين ألفا فغابوا في صفوفهم وانطبقت عليهم الفرنج فاقتتلوا قتالا شديدا فاستشهد المتطوعة عن آخرهم هذا وعساكر الموحدين والعرب والأندلس ينظرون إليهم لم يحرك إليهم منهم أحد ولما فرغ الفرنج من المتطوعة حملوا بأجمعهم على عساكر الموحدين والعرب حملة منكرة فلما انتشب القتال بين الفريقين فرقت قواد الأندلس وجيوشها لما كانوا قد حقدوه على ابن جامع في قتل ابن قادس أولا وتهديدهم وطرده لهم ثانيا فجروا الهزيمة على المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله وتبعهم قبائل البربر والموحدون العرب وركبتهم الفرنج بالسيف وكشفوهم عن الناصر حتى انتهوا إلى الدائرة التي دارت عليه من العبيد." (١)

"دخلها أوائل شعبان من السنة المذكورة لاستشراف أحوال يغمراسن بن زيان فوصل إليه الخبر في اليوم الرابع من شوال المذكور فنهض السلطان يعقوب من فوره بعد أن صلى العصر بتازا من ذلك اليوم فأسرى ليلته تلك في نحو الخمسين فارسا ومن الغد صلى العصر بظاهر سلا فكان قطعه مسافة ما بينهما في يوم وليلة وهذا أمر خارق للعادة بلا شك أظهره الله على يد هذا السلطان لصدق عزمه وحسن نيته وإلا فالمسافة ما بين تازا وسلاست مراحل أو أكثر ثم تلاحقت به جيوش المسلمين من القبائل المتطوعة من جميع آفاق المغرب فحاصر النصارى بها وضيق عليهم ووالى القتال عليهم بالليل والنهار حتى اقتحمها عليهم عنوة لأربع عشرة ليلة من حصارها وأثخن فيهم بالقتل ونجا من نجا منهم إلى سفنهم فنشروا قلوعهم وذهبوا يلتفتون وراءهم ثم شرع السلطان يعقوب رحمه الله في بناء السور الغربي من سلا الذي يقابل الوادي منها فإنها كان لا سور لها من تلك الجهة من أيام عبد المؤمن بن علي فإنه كان قد هدم أسوار قواعد

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢/٢٢٣

المغرب مثل فاس وسبتة وسلا حسبما قدمنا الخبر عنه في دولته ومن هذه التلمة كان دخول النصارى الى سلا فشرع السلطان يعقوب رحمه الله في بنائه فبناه من أول دار الصناعة قبلة إلى البحر جوفا وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ويناول الحجر بيده ابتغاء ثواب الله وتواضعا وسعيا في صلاح المسلمين حتى تم السور المذكور على أحصن وجه وأكمله

ودار الصناعة المذكورة في هذا الخبر هي الدار التي كانت تصنع بها الأساطيل البحرية والمراكب الجهادية يجلب إليها العود من غابة المعمورة فتصنع هنالك ثم ترسل في الوادي وكان ذلك من الأمر المهم في دولة الموحدين حسبما سلف قال في الجذوة دار الصناعة بسلا بناها المعلم أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل إشبيلية وكان من العارفين بالحيل الهندسية ومن أهل المهارة في نقل الأجرام ورفع الأثقال بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية اه

وأما يعقوب بن عبد الله الثائر فإنه خشي بادرة السلطان يعقوب بن." (١)

"عبد الحق فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض إلى بلاد تأمسنا فاستولى عليها وملك مدينة آنفى وهي المسماة الآن بالدار البيضاء فضبطها ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلي بن زيان لمنازلته وسار هو إلى لقاء يغمراسن فلقيه وعقد معه المهادنة وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب ورجع السلطان إلى المغرب فخرج عليه بنو أخيه إدريس على ما نذكره

خروج بني إدريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

قد تقدم لنا أن الأمير عبد الحق المريني كان له تسعة من الولد أكبرهم إدريس وقتل مع والده في حرب رياح وكان لإدريس هذا عدة أولاد بقوا في كفالة أعمامهم ولما أفضى الأمر إلى السلطان يعقوب وكان أولاد إدريس قد ملكوا أمر أنفسهم واشتدت شكيمتهم فنفسوا عليه ما أتاه الله من الملك ورأوا أنهم أحق به منه لأن أباهم هو الأكبر من ولد عبد الحق كما مر فخرجوا على عمهم يعقوب ولحقوا بقصر كتامة وتابعوا ابن عمهم يعقوب بن عبد الله على رأية واجتمعوا الى كبيرهم محمد بن ادريس بن عبد الحق وانضم اليه من كان على رأيهم من عشيرتهم ومواليهم واعتصموا بجبال غمارة فنهض إليهم السلطان يعقوب وتلطف بهم حتى استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن إدريس منهم سنة ستين وستمائة على عسكر من ثلاثة آلاف

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢٢/٣

فارس أو يزيدون من **المتطوعة** من بني مرين وأغزاهم الأندلس لجهاد العدو بها وحملهم وفرض لهم في العطاء وشفع بهذه الفعلة الحسنة عمله في واقعة سلا وهو أول جيش عبر البحر إلى الأندلس من بني مرين فكان لهم في الجهاد والمرابطة مواقف مذكورة ومقامات محمودة تبع الخلف فيها السلف ودام ذلك فيهم برهة من الدهر وقاموا عن أهل المغرب والأندلس بهذا الواجب العظيم رحمهم الله وجزاهم عن المسلمين خيرا." (١)

"زيان وأعطاه الراية واستدعى من العزفي صاحب سبتة السفن لإجازتهم فوافاه بقصر المجاز منه عشرون أسطولا فأجاز العسكر المذكور ونزل بطريف في السادس عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة فأراح الأمير أبو زيان بطريف ثلاثا ثم دخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبسائطها وامتلأت أيديهم من المغانم وأثخنوا بالقتل والأسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة شريش فخام حاميتها عن اللقاء وتحصنوا بالأسوار وقفل الأمير أبو زيان الجزيرة الخضراء وقد أمتلأت أيدي عسكره من الأموال وحقائبهم من السبي وركائبهم من السلاح والأثاث ورأى أهل الأندلس أن قد ثأروا بعام العقاب بعد أن لم تنصر لهم راية من ذلك اليوم إلى الآن والله غالب على أمره

الجواز الأول للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد

ثم اتصل الخبر بالسلطان يعقوب رحمه الله أن العدو قد أخذ في الاستعداد وعزم على الخروج إلى بلاد المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه وخشي على ثغور بلاده من عادية يغمراسن صاحب تلمسان فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم موصله وموصل قومه وبادر إلى الإجابة والألفة وأوفد مشيخة بني عبد الواد على السلطان يعقوب لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسني الهدية وجمع الله كلمة الإسلام وعظم موقع هذا السلم من السلطان يعقوب لما كان في نفسه من الميل الى الجهاد وإيثار مبرورات الأعمال فبث الصدقات شكرا لله تعالى على ما منحه من التفرغ لذلك ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع ودعا المسلمين إلى جهاد عدوهم وخاطب في ذلك سائر أهل المغرب من

---

(١) الاستقصا لأخبار دو ل المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢٣/٣

زناتة والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأروبة ومكناسة وجميع قبائل البربر من المرتزقة **والمتطوعة** وأهاب بهم وشرع في عبور البحر فأجازهم من فرضة قصر المجاز في صفر." (١)

"بطنجة ثلاثا ثم نهض إلى فاس فدخلها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسك عيده ارتحل إلى مراكش لتمهيدها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحي سلا حظا فأقام برباط الفتح شهرين اثنين وتوفيت في هذه المدة الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوي وهي أم الأمير يوسف وكانت وفاتها برباط الفتح فدفنت بشالة ثم نهض السلطان يعقوب إلى مراكش فدخلها فاتح ثلاث وثمانين وستمائة وبلغه مهلك الطاغية هراندة بن أذفونش واجتماع النصرانية على ابنه سانجة الخارج عليه فحركت همته إلى الجهاد ثم سرح ابنه الأمير يوسف ولي عهده بالعسكر إلى بلاد السوس لغزو العرب الذين بها وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المنتزين على الدولة فأجفلوا أمامه واتبع آثارهم إلى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر العرب في تلك القفار جوعا وعطشا وقفل راجعا لما بلغه من اعتلال والده السلطان يعقوب فوصل إلى مراكش وقد أبل من مرضه وعزم على الجهاد شكرا لله تعالى على نعمة العافية وفي هذه السنة وصل ماء عين غبولة إلى قصبة رباط الفتح بأمر السلطان يعقوب وكان ذلك على يد المعلم المهندس أبي الحسن علي بن الحاج والله تعالى أعلم

الجواز الرابع للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد

لما اعتزم السلطان يعقوب على العبور إلى الأندلس عرض جنوده وحاشيته وأزاح عللهم وبعث في قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراكش في جمادى الآخرة لثلاث وثمانين وستمائة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان فقضى به صومه ونسكه ثم ارتحل إلى قصر المجاز وشرع في إجازة العساكر والحشود من المرتزقة **والمتطوعة** خاتم سنته ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع وثمانين بعدها واحتل بظاهر طريف ثم سار إلى الجزيرة الخضراء فأراح بها أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى إلى وادي لك وسرح الخيول في بلاد العدو وبسائطه يحرق وينسف فلما خرب بلاد النصرانية." (٢)

"من معسكره كان أهله يقطعون الطريق على من خرج من المحله مفردا أو في قلة وسرح معه الرجل من الناشبة والفعلة بآلات من المساحي والفؤوس وأمده بالرجل من المصامدة وغزاة سبتة فاقتحموه عنوة

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٣٩/٣

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٥٨/٣

على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية وألصقوا خده بالتراب ونسفوا آثاره نسفا ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان إلى حصن مرتقوط قريبا من معسكره فخربه وحرقه بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى الأهل ولعشرين من شهره المذكور وصل ولي عهده الأمير يوسف من العدوة المغربية بنفير أهل المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب السلطان للقائهم وبرور مقدمهم وعرض العساكر القادمة معه يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف من برابرة المغرب كلهم متطوع بالجهاد فعقد السلطان لولي العهد على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من **المتطوعة** وثلاثة عشر ألفا من الرجل وألفين من الناشبة وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الأول المذكور وسرحه لغزو إشبيلية والإثخان في نواحيها فعبأ كتائبه ونهض لوجهه وبث الغارات بين يديه فأثخنوا وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكتسحوا الأموال وعاج ولي العهد على الشرف والغابة من بسيط إشبيلية فنسف قراها واقتحم بعض حصونها وقفل إلى معسكر السلطان وهو بمكانه من حصار شريش وفي يوم الاثنين السادس من ربيع الثاني قدم أبو زيان منديل ابن السلطان يعقوب من المغرب في جيش كثيف فيهم خمسمائة فارس من عرب بني جابر أهل تادلا مع كبيرهم يوسف بن قيطون وفيهم من **المتطوعة** والناشبة عدد كثير فعقد له السلطان غداة وصوله وأمده بعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادي الكبير فأغار على قرمونة وطمعت حاميتها في المدافعة فبرزوا له وصدقهم القتال فانكشفوا حتى أدخلوهم البلد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار واقتحموه عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة إشبيلية فأغار واقتحم برجا." (١)

"ثم إن السلطان المولى يزيد رحمه الله زحف إلى سبتة واستنفر الناس لجهادها والمرابطة عليها واستصحب معه آلة الحرب من المدافع والمهاريس ونصب عليها سبعة أشبارات كان جلها لفنانشة سلا وأهرعت إليه **المتطوعة** من حاضر وباد ونسلوا إليه من كل حدب وواد وأقام على حصارها مدة ثم أفرج عنها وسار إلى ناحية مراكش لأمر اقتضى ذلك فلما وصل إلى مدينة آنفا بدا له من الرجوع فرجع ونزل عليها واستأنف الجد وأرهف الحد وأرسل إلى قبائل الحوز يستنفرهم للجهاد والمرابطة فتقاعدوا عنه بعد أن أشرف على فتحها وكان ما نذكره

انتقاض أهل الحوز على السلطان المولى يزيد ابن محمد وبيعتهم لأخيه المولى هشام رحمهما الله

لما قدمت قبائل الحوز على السلطان المولى يزيد بمكناسة ظهر لهم منه بعض التجافي عنهم وأنزلهم في

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٦٠/٣

العطاء دون البربر والودايا وغيرهم فساءت ظنونهم به وانفسدت قلوبهم عليه ولما رجعوا إلى بلادهم تمشت رجالاتهم بعضها إلى بعض وخب الرحامنة في ذلك ووضعوا واتفقت كلمتهم مع أهل مراكش وعبدة وسائر قبائل الحوز فقدموا المولى هشام بن محمد للقيام بأمرهم وآتوه بيعتهم وطاعتهم ولما اتصل خبر ذلك بالمولى يزيد وهو محاصر لسبتة أقلع عنها وسار إلى الحوز فشرد قبائله ووصل إلى مراكش فدخلها عنوة يقال إن دخوله إليها كان من الباب المعروف بباب يغلى فاستباحها وقتل وسمل وكان الحادث بها عظيما ثم استجاش عليه المولى هشام قبائل دكالة وعبدة وقصده بمراكش فبرز إليه المولى يزيد ولما التقى الجمعان بموضع يقال له تازكورت انهزم جمع المولى هشام وتبعهم المولى يزيد فأصيب برصاصة في خده فرجع إلى مراكش يعالج جرحه فكان في ذلك حتفه رحمه الله وذلك أواخر جمادى الثانية سنة ست ومائتين وألف." (١)

"وتخوفوا معرته في مالهم وأولادهم لأنهم كانوا قد أحسوا بشدة شوكته فوعدهم السلطان رحمه الله بأن يمدهم ويحامي عنهم ولا يدخر عنهم شيئا من العدد والعدد حتى يعذر فيهم وفي غيرهم ثم إن العدو ارتحل من الفنيدق بعد نحو عشرة أيام وتقدم نحو تطاوين وكان الناس قبل هذا لا يدرون أين هو قاصد ولما ارتحل من الفنيدق عرفوا أنه قاصد تطاوين فنزل بموضع يقال له النيكرو فأقام هنالك نحو ثمانية أيام والقتال على حاله المتقدم غير أن العدو كان في مادة قوية من البر والبحر يصل إليه من سبتة وغيرها كل ما يحتاج إليه من طعام وعلف وأرز وشعير وبقسماط وغير ذلك حتى أنه كان إذا ارتحل ترك من ذلك فضلة كثيرة يتعيش فيها ضعفاء أهل تلك الناحية وكان ذلك مكيدة مقصودة عنده يظهر بها القوة والرفاهية وكان شذاذ المتطوعة من أهل البادية يهجمون على معسكره بالليل ويجلبون منه البغال والنيران ويصبحون بها في تطاوين وغيرها وكان ضعفاء العقول من العامة يستحسنون ذلك وينشطون له ويرون أنهم قد صنعوا شيئا مع أن ذلك لا عبرة به في جنب ما كان يستولي عليه العدو من الأرض ويتقدم به في نحر المسلمين وهم يتأخرون والحاصل أن المسلمين لم يكونوا يقاتلونه على ترتيب مخصوص وهيئة منضبطة إنما كانوا يقاتلونه وهم متفرقون أيدي سبا فإذا حان المساء تفرقوا إلى محالهم في غير وقت معلوم وعلى غير تعبية فكان قتالهم على هذا الوجه لا يجدي شيئا وكان العدو يقاتل بالصف وعلى ترتيب محكم وكانت عنايته بما يستولي عليه من الأرض ويرى تقدمه إلى أمام وتأخر المسلمين بين يديه إلى خلف هزيمة عليهم

وقد ذكر ابن خلدون في فصل الحروب قتال أهل المغرب الذي هو المطاردة بالكر والفر وعابه فقال وصفة

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٨٢/٣

الحروب الواقعة بين أهل الخليفة منذ أول وجودهم على نوعين نوع بالزحف صفوفا ونوع بالكر والفر أما الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب أجيالهم وأما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب وقتال الزحف أوثق وأشد." (١)

"خلفه وتقدم حتى كان بوادي أبي صفيحة فلما شعر به الناس من أهل المداشر والمتطوعة تسابقوا إليه من كل جانب ووافق ذلك اليوم قدوم عرب الحياينة جاؤوا في حرد كبير وحنق شديد فقويت قلوب الناس بهم واشتد أزرهم وتقدموا إلى العدو فأنشبوا معه الحرب بأبي صفيحة قبل أن يصل إلى محلة المسلمين وكثروه فأوقعوا به وقعة أنست ما قبلها فقتلوا منه ما خرج عن الحصر وأما الجرحى فقل ما شئت وكست قتلاه الأرض ولما أعياه الدفن جعل يجمع الجماعة من الثمانية إلى العشرة ويهيل عليها التراب ومع ذلك بقي منه عدد كبير بلا دفن حتى أنتن موضع المعركة من شدة نتن الجيف ونال المسلمون من عدوهم في هذا اليوم ما لم ينالوا قبله مثله ولا ما يقاربه وكان الذكر فيه لعرب الحياينة ثم للمتطوعة غيرهم وأما محلة المولى العباس فكانت بعيدة عن المعركة بمسافة كبيرة

وقد ذكر منويل خبر هذا اليوم فأقر بأنه أهرق منهم دم كثير وخسروا فيه عددا كبيرا من نفوس العسكر والخيل ولما بلغ المولى العباس أن العدو قد برز من تطاوين وأن المسلمين يقاتلونه الآن في أبي صفيحة قلب رأيه واستأنف النظر في عاقبة أمره ورأى أن المسلمين وإن نالوا من العدو في هذه المرة وأبلغوا في نكايته لكن الثمرة ضعيفة من جهة أن نكايتنا له إنما هي في القتل والجرح ونكايته في أخذ الأرض والاستيلاء عليها كما قلنا غير مرة فجنح رحمه الله إلى الصلح واختاره على الحرب حتى تدور للمسلمين سعود إن شاء الله

أخبرني صاحبنا القائد الأجل أبو عبد الله محمد بن إدريس بن حمان الجراري حفظه الله قال لما طالت الحرب بين المسلمين والنصارى على تطاوين استدعاني السلطان وسيدي محمد بن عبد الرحمن رحمه الله وأعطاني ستين ألف مثقال أذهب بها إلى جيش المسلمين المرابط على تطاوين بقصد المؤنة والصائر وقال لي مع ذلك إذا وصلت إلى محلة المسلمين فانظر." (٢)

"بعدوهم وخالطوهم في أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم في اليم وقتلوا قائدهم الملند واستاقوا أساطيلهم مجنوبة إلى مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٨٧/٣

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٩٩/٣

رؤوسهم في جوانب البلد ونظمت أصفاد الأسرى بدار الإنشاء وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشد الشعراء بين يديه وكان ذلك يوم السبت سادس شوال سنة أربعين وسبعمائة فكان من أعز أيام الإسلام ثم شرع السلطان أبو الحسن في إجازة العساكر من **المتطوعة** والمرتزقة وانتظمت الأساطيل سلسلة واحدة من العدوة إلى العدوة ولما تكاملت العساكر بالعبور وكانت نحو ستين ألفا أجازهو في أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين وسبعمائة ونزل بساحة طريف وأناخ عليها ثالث محرم من السنة بعدها وشرع في منازلتها ووافاه سلطان الأندلس أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الأحمر في عسكر الأندلس من غزاة بني مرين وحامية الثغور ورجالة البدو فعسكروا حذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بها أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات وجهز الطاغية أسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر وطال مقام المسلمين بمكانهم حول طريف ففنيت أزوادهم وقلت العلوفات فوهن الظهر واختلت أحوالهم ثم احتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب أشبونة وغرب الأندلس وزحفوا إلى المسلمين لستة أشهر من نزولهم على طريف ولما قرب الطاغية من معسكر المسلمين سرب إلى طريف جيشا من النصارى أكمنه بها إلى وقت الحاجة إليه فدخلوها ليلا على حين غفلة من العسس الذين أرصدوا لهم وأحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا وقد نجا أكثرهم فلبسوا على السلطان أنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته ثم زحف الطاغية من الغد في جموعه إلى المسلمين وعبأ السلطان مواكبه صفوفا وتزاحفوا ولما نشبت الحرب برز الجيش الكمين من البلد وهو الذي." (١)

"ثم كتب السلطان أبو مروان للطاغية ثانية وذلك بعد ما وصل إلى القصر إني رحلت إليك ست عشرة مرحلة أما ترحل إلى واحدة فرحل الطاغية من موضع يقال له تاهدارت ونزل على وادي المخازن بمقربة من قصر كتامة وكان ذلك من السلطان أبي مروان مكيدة ثم إن الطاغية تقدم بجيوشه وعبر جسر الوادي ونزل من هذه العدوة فأمر السلطان بالقنطرة أن تهدم ووجه إليها كتيبة من الخيل فهدموها وكان الوادي لا مشرع له سوى القنطرة ثم زحف السلطان أبو مروان إلى العدو بجيوش المسلمين وخيل الله المسومة وانضاف إليه من **المتطوعة** كل من رغب في الأجر وطمع في الشهادة وأقبل الناس سراعا من الآفاق وابتدروا حضور هذا المشهد الجليل فكان ممن حضره من الأعيان الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي وغيره

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١٣٦/٣

قال في المرآة كان الشيخ أبو المحاسن في ذلك اليوم في أحد الجناحين وأظنه الميسرة من عسكر المسلمين في مقابلة النصارى دمرهم الله قال فوقع في ذلك الجناح انكسار تزحزح به المسلمون عن مصافهم وحملت عليهم النصارى دمرهم الله فثبت الشيخ وثبت من كان معه إلى أن منح الله المسلمين النصر وركبوا أكتاف العدو يقتلون ويأسرون والشيخ لم يتزلزل ولم يلتفت منذ توجه إلى قتالهم حتى فتح الله عليهم اه

ولما التقت الفئتان وزحف الناس بعضهم إلى بعض وحمى الوطيس واسود الجو بنقع الجياد ودخان المدافع وقامت الحرب على ساق توفي السلطان أبو مروان رحمه الله عند الصدمة الأولى وكان مريضا يقاد به في محفة فكان من قضاء الله السابق ولطفه السابغ أنه لم يطلع على وفاته أحد إلا حاجبه مولاه رضوان العلج فإنه كتم موته وصار يختلف إلى الأجناد ويقول السلطان يأمر فلانا أن يذهب إلى موضع كذا وفلانا أن يلزم الراية وفلانا يتقدم وفلانا يتأخر

وقال شارح الزهرة لما توفي السلطان أبو مروان لم يظهر الذي كان سائس المحفة موته فصار يقدم دواب المحفة نحو العدو ويقول للجند السلطان يأمركم بالتقدم إليهم وعلم أيضا بموته أخوه وخليفته أبو." (١)

"والأعضاء المنتخبة لهذا المجلس ستة ثلاثة مسلمون ونصرانيان ويهودي. ويتناوب التراداد على المجلس رئيس كل طائفة من الطوائف المسيحية، والغالب أن يكون مطران الطائفة وهو من جملة الأعضاء الطبيعية. ولهذا المجلس جمعية لمحاكمة المأمورين الصغار الذين يكون تعيينهم دون إرادة سنية أي غير مقرون بأمر سلطاني. وتسمى هذه الجمعية الهيئة الاتهامية رئيسها القاضي والمدعي العام فيها أحد أعضاء المجلس المنتخبة ولها من أعضائه أيضا عضوان مسلم ونصراني ولها مستنطق وكاتب ضبط.

وهذا إحصاء في بيان عدد المواد التي قام بها هذا المجلس سنة ١٣١٨ رومية ١٣٢١ هجرية:

عدد المواد ٢٣٧٥ الأوراق المحولة إلى مجلس الإدارة

٢١٥٣ الأوراق الصادرة من المجلس تحت قرار ٨٤٦ المضابط المحررة من المجلس إلى الدوائر العليا وغيرها

٥ الإعلامات المحررة من دائرة محاكمات المجلس

٣٠ المضابط المحررة في دخول العساكر المتطوعة ٥٤٠٩

م حاسبة الولاية

وظيفة هذه الدائرة ضبط الدخل والخرج ورئيسها الدفتردار. ولها مميز دون الدفتر دار وكاتب واردات ومعاون

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٥/٨٠

له وكاتب المعاملة الجارية ومقيد واردات اللواء ورفيق له وكاتب يومية ورفيقان ومقيد نفقات ومعاونان له ومسجل قيودات ومقيد نفقات اللواء ومعاون له ومقيد نفقات المركز. ومعاونان. وكاتب حساب العدلية وكاتب المصالح الجارية ومعاونان ومقيد أوراق ومعاونان وصاحب دفتر ورفيق له وأمين صندوق. وهاك الميزانية المالية المتعلقة بهذه الدائرة وتعرف بالبودجة «١» وهي ميزانية سنة خمس وثلاثمائة وألف رومية «٢» :." (١)

"وقال بعضهم في هذه الحادثة أيضا:

يا مصطفى إن القلوب منغصه ... لبنيك في الشهباء حلت منقصه

في جامع الأطروش سال نجيعهم ... فغدت به أرجاؤه متقمصه

أدرك فجسم الدين أنهكه الضنى ... وكوى بني السادات ابن الحمصه

أقبل وقل للحربلي: الحرب لي ... فأذق إلهي ذي العصابة مخمصه

أبدت إلى الأشراف شر خيانة ... وغدت إلى داعي الضلالة مخلصه

عهدت إليهم بالأمان وأصبحت ... أعلامها بيد الخداع منكصه

يا سينها في النازعات أحله ال ... مولى وعمهم العذاب وخصصه

أدماء أعداء الإله ثمينة ... ودماء أبناء الرسول مرخصه؟

فلأنت أولى بالجميع، وهذه ... شكواهم رفعت إليك ملخصه

سفر المتطوعة من حلب إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها:

في غرة جمادى الأولى سنة ١٢١٤ سافر سبعة آلاف فارس من يكجرية حلب مع أحد زعمائهم أحمد آغا حمصة، وكان معهم اللواء الكبير، وتوجهوا إلى مصر لإخراج طائفة الفرنسيس منها. وفي غرة جمادى الأولى سنة ١٢١٥ سافر إبراهيم باشا قطاراغاسي- من عظماء رجال الدولة الحلبيين- إلى مصر لمحاربة الطائفة المذكورة، وخرج معه متطوعا نقيب الأشراف محمد قدسي أفندي، ومعه من الأشراف نحو أربعة آلاف رجل.

ثم في شهر ربيع الأول سنة ١٢١٦ زينت حلب سبعة أيام لرجوع مصر ليد الدولة العثمانية. وفي جمادى الثانية منها عاد إلى حلب قدسي أفندي ومعه الأشراف فزينت لقدومهم أيضا. وفي ذي القعدة منها- المصادف الليلة الخامسة عشرة من آذار- حدث بحلب زلزلة أخربت عدة أماكن من جملتها ست حجرات

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ١/ ٢٦٣

من خان اللبن. وفي الخامس والعشرين ذي الحجة منها المصادف اليوم السادس عشر من نيسان وصل إلى حلب إبراهيم باشا قطاراغاسي قافلا من مصر، وبعد برهة ولي حلب. وغلط في السالنامة إذ جعل ولايته حلب في سنة ١٢١٤ وفيها عمرت منارة جامع العدلية، وكانت هدمتها عاصفة خرجت في هذه السنة وهدمت معها عدة أبنية.." (١)

"سنة ١٣٣٨ هـ

انسحاب الجيش الإنكليزي من دمشق وحلب:

في شهر ربيع الأول منها انسحب الجيش الإنكليزي من دمشق وحلب، وأصبح أمر الأمن منوطا بالحامية الوطنية المتطوعة؛ إلى أن يتقرر مصير البلاد في مؤتمر الصلح.

كان الأمن مدة احتلال الجيش البريطاني مادا رواقه في حلب وسائر ملحقاتها، وكانت حركة الاقتصاد في نجاح عظيم لم يسبق له نظير.

مظاهرة:

يوم الخميس ٤ ربيع الأول منها قام طلاب المدارس في حلب على اختلاف طبقاتهم- ومعهم جمهور من الناس- بمظاهرة وطنية احتجاجا على الاتفاق الأخير الذي يرمي إلى تجزئة البلاد، فطافوا في الشوارع ورفعوا الأعلام العربية وقصدوا دار الحكومة، فاستقبلهم الحاكم العسكري وشكر عواطفهم الوطنية، وخطب أحدهم فقال: إننا جميعا متطوعون نضحي أموالنا وأرواحنا في سبيل حريتنا واستقلالنا، وليحي الأمير فيصل.

ثم في يوم السبت ٦ منه قاموا بمظاهرة أخرى نظير المظاهرة الأولى.

بلاغ مندوب حكومتي إنكلترا وفرنسا:

وفي هذا الشهر ورد من الحاكم العسكري في دمشق إلى الحاكم العسكري بحلب كتاب خلاصته: إننا تبلغنا رسميا من المندوبين المومأ إليهما أن الجنود الفرنسية ستحل محل الجنود البريطانية في شتورة ورياق وبعلبك، حسب القرار العسكري الأخير، احتلالا عسكريا على أن تبقى هذه المناطق مرتبطة من الوجهة الإدارية بالحكومة العربية.

وعلى أثر هذا الخبر انتدب اللواء نوري باشا السعيد إلى مقابلة القائد الفرنسي العام." (٢)

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٢٤٥

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٥٧١

"الموضوع الصفحة نفي نقيب الأشراف محمد أفندي طه زاده. وفيه ذكر فتنة بين الإنكشارية والدالاتية ٢٣٧

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٦٢٢

"إشبيلية، وحشد أبو عثمان وعبد الله بن خالد حوله جموعا كبيرة من الأموية وأهل الشام. وعاد يوسف والصميل إلى قرطبة ليدبروا الأمر معا، وأشار الصميل على يوسف بمصانعة عبد الرحمن وملاطفته وإغرائه بمصاهرته، فأرسل إليه يوسف وهو ما يزال بطرش وفدا يعرض عليه أن يزوجه ابنته، ويقطعه كورة إلبيرة (غرناطة) أو كورة ريه أو يقطعه ما بينهما، وبعث إليه هدية وشيئا من المال، وكتابا طويلا يرغبه فيه بمحالفته. وينقل إلينا منه صاحب البيان المغرب هذه الفقرة: " أما بعد فقد انتهى إلينا نزولك بساحل المنكب، وتأبش من تأبش إليك، ونزع نحوك من السراق وأهل الختر والغدر، ونقض الأيمان المؤكدة التي كذبوا الله فيها وكذبونا، وبه جل وعلا نستعين عليهم. ولقد كانوا معنا في ذرى كنف ورفاهية عيش، حتى غمضوا ذلك، واستبدلوا بالأمن خوفا، وجنحوا إلى النقض، والله من ورائهم محيط. فإن كنت تريد المال وسعة الجناب. فأنا أولى بك ممن لجأت إليه، أكنفك وأصل رحمك، وأنزلك معي إن أردت أو بحيث تريد، ثم لك عهد الله وذمته بي، ألا أغدرك ولا أمكن منك ابن عمي صاحب إفريقية ولا غيره ... ". ولكن عبد الرحمن لم يخدع بوعود يوسف وعهده، فأبى عرضه ورد رسله، وكان يسمو بأطماعه إلى أبعد من ذلك وأرفع، وكان سلطان الأندلس كلها مطمح آماله (١). وكان قد آنس عندئذ ذيوع دعوته وقوة أنصاره، فسار في صحبه من طرش إلى ريه، فبايعه عاملها عيسى بن مساور، ثم إلى شذونة فبايعه عاملها علقمة بن غياث اللخمي، ثم إلى إشبيليه، فبايعه كبيرها أبو الصباح بن يحيى اليحصبي زعيم اليمنية، وانضم إليه أثناء تجواله كثير من الأنصار والجند، واجتمع له في إشبيلية زهاء ثلاثة آلاف فارس، وذاعت دعوته في غربي الأندلس كله، وأقبلت إليه المتطوعة من كل صوب، من المضرية واليمنية وأهل الشام. ولما رأى أنه يستطيع البدء بمناجزة يوسف سار في قواته صوب قرطبة، وكان ذلك في فاتحة ذى الحجة سنة ١٣٨ هـ (أوائل سنة ٧٥٦ م). وفي ذلك الحين كان يوسف والصميل قد حشدا جموعهما، ومعظمها من الفهرية والقيسية، وكان جند يوسف قد وهن، وتفرق معظمه خلال الفتن والغزوات المتوالية، وجاءت دعوة عبد الرحمن الأموي فزادته تفرقا وضعفا.

---

(١) البيان المغرب ج ٢ ص ٤٧؛ وأخبار مجموعة ص ٧٩ و٨٠.." (١)

"كان يرحب بعقد السلم والمهادنة معهم. وهذا الأمان الذي يقال إن عبد الرحمن أصدره لجيرانه نصارى قشتالة يؤيد هذه السياسة وهذا نصه:

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١٥٣/١

" بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب أمان الملك العظيم عبد الرحمن، للبطارقة والرهبان والأعيان والنصارى والأندلسيين أهل قشتالة، ومن تبعهم من سائر البلدان. كتاب أمان وسلام، وشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب وعشرة آلاف رطل من الفضة، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل، ومثلها من البغال، مع ألف درع وألف بيضة ومثلها من الرماح، في كل عام إلى خمس سنين، كتب بمدينة قرطبة ثلاث صفر عام اثنين وأربعين ومائة (٧٥٩ م) " (١).

وكان عبد الرحمن الداخل يتمتع بمواهب إدارية باهرة، فاستطاع خلال الاضطراب الشامل أن يوطد دعائم الحكم والإدارة، وأن يقمع كثيرا من ضروب الفساد والبغي، وأن يؤيد هيبة القانون والنظام. ولما توطد سلطانه وخب ا ضرام الثورة نوعا، استطاعت الأندلس أن تتمتع في ظل حكومته بأمن وطمأنينه ورخاء لم تعرفها منذ بعيد، ولو لم يشغل عبد الرحمن طوال عهده بقمع الثورة والفتن الداخلية، لاستطاع كأسلافه الفاتحين الأوائل، أن يبعث الأندلس خلقا جديدا، وأن يجعل منها حديقة يانعة. على أنه ذلل الصعب ومهد الطريق لعقبه، واستطاع أن يضع دعائم تلك المملكة، التي غدت على يد بنيه أعجوبة العصور الوسطى. وينوه ابن حيان مؤرخ الأندلس بمقدرة الداخل وكفاياته الإدارية فيقول إنه " دون الدواوين، ورفع الأواوين، وفرض الأعطية، وعقد الألوية، وجند الأجناد، ورفع العماد، وأوثق الأوتاد، فأقام للملك آلته، وأخذ للسلطان عدته " (٢).

وعنى عبد الرحمن بالجيش عناية خاصة، فحشد **المتطوعة** والمرتزقة من كل صوب، وبلغت قواته مائة ألف مقاتل (٣)، هذا عدا حرسه الخاص الذي أنشأه

---

(١) أورد ابن الخطيب في كتاب الإحاطة (مخطوط الإسكوريال) نص هذا الكتاب ونقله عنه الغزيري في فهرسه. راجع Casiri: Bibliotheca Arabico - Hispana Escurialenses.Vol.II.p. 104.
بيد أننا نرتاب على الأقل في صحة الأرقام التي وردت به لضخامتها بالنسبة لموارد النصارى في هذا العصر.
(٢) نقله نفح الطيب ج ١ ص ١٥٥.
(٣) نفح الطيب ج ٢ ص ٧٤.." (١)

"يومئذ، وقد كانت هذه الأرقام، تفرض على النواحي، ويؤخذون بها غير منتقصين لها، إلا لعذر قاهر أو لجدب بين. ومن ذلك كورة إلبيرة (غرناطة) ألفان وتسعمائة، وجيان ألفان ومئتان، وقبرة ألف وثمانمائة،

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١٩٩/١

وباغة تسعمائة، وتاكرنا ميتان وتسعة وستون، والجزيرة مايتان وتسعون، وإستجة ألف ومايتان، وقرمونة مائة وخمسة وثمانون، وشذونة ستة آلاف وسبعمائة وتسعون، وريه ألفان وستمائة وسبعة، وشريش ثلاثمائة واثنان وأربعون، وفحص البلوط اربعمائة، ومورور ألف وأربعمائة وثلاثة، وتدمير مايتان ... أما قرطبة العاصمة فكانت تترك لاجتهادها وهمتها، ويحشد أبناؤها بطريق التطوع خلافا لأهل النواحي الأخرى. وكانت هذه الفرق تسمى بفرق الفرسان المستنفرين ويجرى "استنفارهم" أوقات الصوائف، أو كلما بدرت من العدو حركة اعتداء على أهل الثغور.

فاذا ذكرنا أن هذه الأرقام تتعلق بنواحي الأندلس فقط، وإذا ذكرنا بعد ذلك حشود المشاة المستنفرة **والمتطوعة**، استطعنا أن نقدر ضخامة الجيوش التي كانت الدولة الأندلسية تستطيع تعبئتها يومئذ (١).

وأما الأسطول فقد عمل محمد، على إنشائه، لحماية الشواطىء الغربية ولغزو مملكة جليقية من ناحية البحر. وفي سنة ٨٦٦ م (٢٥٢ هـ) سارت السفن الأندلسية بالفعل إلى شواطىء جليقية بقيادة أمير البحر عبد الحميد بن مغيث، ووصلت إلى مصب نهر منهو. ولكنه لم يوفق إلى تحقيق بغيته، إذ عصفت الرياح بالسفن فتفرقت وغرق معظمها في المياه الغربية (٢).

وعنى محمد كذلك بتحصين أطراف الثغور، وأقام عدة من المحلات والقلاع الدفاعية، المنيعة فابتنى حصن شنت إشتيبن لحماية مدينة سالم، وابتنى حصن طلمنكة وحصن مجريط بمنطقة وادي الحجارة، للدفاع عن طليطلة، وكان شديد الإستخبار عن الثغور، والبحث في مصالحها.

وبالرغم مما كان يقتضيه الجهاد المتواصل من النفقات الضخمة، فقد كان الأمير محمد يبذل وسعه لتخفيف الضرائب عن كاهل شعبه، وقد رفع عن أهل قرطبة ضريبة " الحشود "، واكتفى بدعوتهم إلى التطوع والجهاد في سبيل الله،

---

(١) مخطوط القرويين لوحة ٢٥٤ ب. وراجع البيان المغرب ج ٢ ص ١١١.

(٢) البيان المغرب ج ٢ ص ١٠٦، و Aschbach: Geschichte der Omajaden in Spanien ; B.I.s. 203.." (١)

"وكانت هذه المنطقة التي غزاها النصارى وهي منطقة ماردة، من المناطق الثائرة. ولكن عبد الرحمن كان أبعد نظرا من أن يغضى عن عدوان يقع في صميم الأراضي الإسلامية. هذا إلى أنه رأى أن يأسر قلوب

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣١١/١

الثوار، بإنجادهم والانتقام لهم، وأن يرد عدوان النصارى بمثله. ففي فاتحة سنة ٣٠٤ هـ (٩١٦ م) سير عبد الرحمن وزيره وقائده أحمد بن محمد بن أبي عبدة في جيش قوي، غازيا إلى أراضي مملكة ليون، فالتقى بالنصارى وهزمهم في عدة وقائع محلية، وعاث في أراضيهم وسبى وغنم غنائم كثيرة (١). وفي العام التالي أراد أردونيو الثاني الانتقام لهزائمه، فعاث في منطقة طلبيرة (٢)، وأحرق مدنها وانتسف ضياعها، فضج المسلمون لهذا البلاء، وتضرعوا إلى مليكهم أن ينقذهم من هذا العدوان الصارخ.

فسير عبد الرحمن قائده أحمد بن أبي عبدة ثانية إلى أرض النصارى في جيش ضخم من المدونين، والمتطوعة، وانضم إليه حين دخوله إلى الثغر (الحدود) خلق كثير، واخترق المسلمون أراضي قشتالة، وزحفوا إلى قلعة شنت إشتيبن الواقعة على نهر التاجه، وكانت تسمى أيضا قلعة قاشترو مورش (٣)، وهي من أمنع قلاع النصارى على الحدود، وضربوا حولها الحصار الصارم، ثم نازلوها بشدة، وكادت تسقط في أيديهم، لولا أن هرع إلى إنجادها أردونيو في جموع ضخمة من النصارى؛ وكان الجيش الإسلامي بالرغم من تفوقه في الكثرة مختل النظام، مفكك العرى، يتألف سواده من البربر والمرتزقة الذين لا يعتمد على ولائهم وشجاعتهم، وكانوا يحرصون على غنائمهم أكثر من حرصهم على مقاتلة العدو، فلما انقض أردونيو بقواته على المسلمين، تسللت منهم وحدات كثيرة، وارتدت أمام المهاجمين، ودب الهرج إلى صفوف المسلمين. ولكن قائدهم الشجاع أحمد بن أبي عبدة فضل الموت على الارتداد، فصمد في مكانه في نفر من أشجع ضباطه وجنده، فقتلوا جميعا، وهلك معهم عدة من أكابر الفقهاء والمجاهدين. وكانت هزيمة مروعة. وكان ذلك في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٣٠٥ هـ (٤ سبتمبر سنة ٩١٧ م). وتقول

(١) البيان المغرب ج ٢ ص ١٧٦.

(٢) وهي بالإسبانية Talavera، وهي تقع على نهر التاجه غربي طليطلة.

(٣) San Esteban أو Castro Moros." (١)

"السلطان (الخليفة) والمسلمين فيها محنة عظيمة، وقتل وأسر فيها خلق كثير.

واستولى العدو على محلة السلطان وسرادقه وآلاته السلطانية، وفيها مصحفه الخاص ودرعه الأثير لديه. وشملت الهزيمة سائر الكافة، فلم ينج من نجا منها إلا على متون الدواب. وأصاب القتل والأسر بالأخص أهل البلاد والمطوعة. أما الجند فقد نجا معظمهم، وفشا القتل فيمن سواهم من المستنفرين والحشودة.

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١/٣٩٤

ويقول لنا ابن حيان، إنه كان بين ضحايا المعركة جده أبو سعد مروان بن حيان بن محمد بن حيان. ومن الحقائق المؤلمة التي ينقلها إلينا ابن حيان، أنه قد بدا في هذا اليوم، من قوم من وجوه الجند " النفاق لأضغان احتملوها على السلطان فقبعوا للصفوف، وسارعوا في الهرب، وجروا على المسلمين الهزيمة وأوبقوهم. وكان أسبقهم إلى ذلك وأكشفهم لما في نفسه الخاين " ابن فرتون بن محمد الطويل " وقد بعث الناصر خلفه برسول استطاع القبض عليه، فثقف وحمل إلى قرطبة، وهنالك صلب على باب السدة يوم وصول الناصر من غزاته، وألحق به نفر من أشكاله ممن عملوا عمله، ولحقهم وزره.

ويصف لنا عيسى بن أحمد، طريق العودة الذي سلكه الناصر بجيشه عقب الموقعة، فيقول إن الناصر، قصد أولا إلى مدينة الفرج (وادي الحجارة)، ثم غادرها في يوم الخميس الحادي عشر من ذى العقدة، وسار إلى جربيرة، ومنها إلى شبطران، ومنها إلى محارس، ومنها إلى مدينة طليطلة، فلبث بها أربعة أيام، ورحل منها يوم الخميس إلى فج سراج، ومنها إلى ملقون، ثم احتل بالبركة، ومنها إلى منزل رند، ثم إلى قنالش على وادي أربيشر، ومنها إلى طير برتيطة، ومنها إلى قليانة، فأرملاط، ومنها إلى منية نصر على باب قرطبة بعدوة النهر بالربض. وهنالك قضى الليل. تم سار إلى قصر قرطبة في الغد، وقد نفذ أمره بصلب فرتون بن محمد الطويل، على باب السدة الأكبر من أبواب القصر.

هذا، وقد نقل إلينا ابن حيان ںص الكتاب الذي صدر باسم الناصر عن الموقعة، وهو من إنشاء الوزير الكاتب عيسى بن فطيس. وهو كتاب طويل، يحاول فيه كاتبه أن يصف أدوار الموقعة، وروعة القتال الذي نشب بين المسلمين والنصارى؛ ويستخلص منه أن المعركة بدأت في صالح المسلمين، وأنهم استطاعوا في البداية أن يردوا النصارى، وأن يفضوا جموعهم، حتى سقط محمد بن هاشم التجيبي." (١)

"لدين الله حسدته ما هيأ الله من الصنع، ولم تناصحه في الحرب حق النصح، فجالت ثانية للأعنة، واختل مصاف القتال ". ثم يقول لنا إن الناصر، قرر أن يبطش بأولئك الخونة المتهاونين، فأمر قبيل وصوله إلى قرطبة، أن تقام المصالب على ضفة نهرها، وما كاد يصل إلى قرطبة، حتى قبض على نحو ثلاثمائة من الفرسان، فصلبهم وأمر بالنداء عليهم: " هذا جزاء من غش الإسلام، وكاد أهله، وأخل بمصاف الجهاد " (١). بيد أن موقعة الخندق كانت خاتمة أعمال الناصر الحربية فلم يغز من بعدها بنفسه.

وفي ذلك يقول ابن حيان: " إنه قد اشتدت على الناصر نكبته في غزوته هذه، فاتهم سعده، واعتكر بكره، حتى خاف على نفسه، فأشير عليه بعكس همه. فالتفت إلى البنيان يعالج به همه وأساه، فأنشأ مدينة

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤١٦/١

الزهراء، وأقصر من ذلك الوقت عن الغزو بنفسه، ووكل إلى حزمة قواده وشجعانهم، يجردهم بالصوائف كل عام ". ومن جهة أخرى فقد رأى عبد الرحمن أن يتبع نحو أمراء الثغر الأعلى سياسة جديدة. وذلك أنه، وفقا لقول ابن حيان قد " اقتصر في تقليد شئون الثغر الأعلى الممانعة للدروب على أكابر ساكنيها وراثها عن الأجداد والآباء صلابة البأس، آل تجيب، وآل ذى النون، وآل زروال، وآل غزوان، وآل الطويل، وآل رزين، وأسبابهم المؤمرين قديما بثغورهم، الذابين عن حريمهم، فضم بلادهم بينهم حصصا، وجدد لهم ولأعقابهم بعدهم على أقسامهم منها كل عام، ثم لا يغبنهم بالصلات إذا وفدوا وطلبوا، وبالهدايا إن بعدوا "، وقد ترتب على ذلك أن كان هؤلاء الزعماء يقومون بدفاع النصارى، وكان الناصر يزودهم كل عام بالعدد والسلاح، والمستنفرة والمطوعة إلى الثغر تعضيدا لجهودهم (٢).

واستأمن أمية بن إسحاق بعد ذلك عبد الرحمن، فلم ير بأسا من تأمينه والعفو عنه. وكانت سياسة عبد الرحمن ترمي دائما إلى اصطناع خصومه الأقوياء بالعفو والإغضاء. وسعى عبد الرحمن حسبما تقدم إلى افتداء محمد بن هاشم، فأفرج عنه النصارى بعد أن لبث في سجون ليون زهاء ثلاثة أعوام، وغمره الناصر بعطفه

---

(١) أعمال الأعلام ص ٣٧.

(٢) ابن حيان في السفر الخامس لوحة ١٦٨ ب.." (١)

"المنصور أن يعتمد على البربر بالأخص، لما كانوا يتصفون به من البداوة والشجاعة، فاستقدمهم من العدوة، ورغبهم بوفرة البذل والعطاء (١). وكذلك استخدم المرتزقة من النصارى الإسبان، ومنحهم الأجور والجرايات السخية؛ وكان يجمع في جيشه الكثير منهم، ومعظمهم من المستعربين، وكان يحرص على رضائهم بتوسيع النفقة عليهم، معاملتهم بالمساواة والرفق (٢). واستطاع المنصور بما وضعه للجيش من أنظمة محكمة، وما أفاض عليه من وافر النفقة والعدد، أن ينشىء للأندلس قوة عسكرية عظيمة، لم تعرفها في أية عهد آخر. وكانت هذه القوة فضلا عن كونها دعامة سلطانه وحكمه، دعامة الأندلس وأداتها للدفاع والغزو.

ونستطيع أن نقدر أهمية الجيش الأندلسي وكفايته أيام المنصور، متى ذكرنا أن المنصور لبث زهاء ربع قرن، يقود قواته إلى الغزو المستمر، في أراضي الممالك النصرانية، كل ربيع وكل صيف، وأنه في نفس الوقت

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤٢١/١

كان يبعث الحملات العسكرية العظيمة إلى المغرب، لتخوض سلسلة من الحروب الطاحنة. وقد بلغ من كثرة قوى الجيش النظامية وكفايتها، أن أصدر المنصور في سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) أمره بإعفاء الناس من إجبارهم على الغزو، اكتفاء بعدد الجيش المرابط، وقرأ الخطباء ذلك المرسوم على الناس، إثر قراءة كتب الفتح، وعرفوا فيه " بأن من تطوع خيرا، فهو خير، ومن خف إليه، فمبرور ومأجور، ومن تثاقل فمعذور " (٣).

وقد أورد لنا ابن الخطيب (عن التيجاني) بعض الإحصاءات الهامة عن جيش المنصور، فذكر لنا أن الجيش المرابط (الثابت) بلغ في عهده من الفرسان اثنى عشر ألف ومائة فارس من سائر الطبقات، جميعهم مرتزقون في الديوان، يصرف لهم السلاح والنفقة والعلوفة. وكان عدد الحرس الخاص ستمائة فارس غير الأتباع. وانتهى عدد الرجالة في الجيش المرابط إلى ستة وعشرين ألف راجل.

وكان عدد الجيش المرابط يتضاعف وقت الصوائف بما ينضم إليه من صفوف المتطوعة. وقد بلغ عدد الفرسان في بعض الصوائف ستة وأربعين ألفا، وكان عدد المشاة يتضاعف كذلك، وقد يبلغ المائة ألف أو تزيد.

---

(١) البيان المغرب ج ٢ ص ٢٩٩ و٣١٥ و٣١٦.

(٢) Simonet: Historia de los Mozarabes de Espana (Madrid 1897) p. 630.

(٣) أعمال الأعلام ص ٦٨.." (١)

"من الناحية الأخرى خلة قاتمة، هي شغفه بمعاقرة الشراب وانهماكه في لذاته (١).

افتتح عبد الملك المنصور عهده، بإجراء كان له في نفوس الناس أطيب وقع؛ وذلك أنه أسقط سدس الجباية عن سائر الناس، في سائر بلاد الأندلس. فكان لذلك أثره في التخفيف عن الناس، والرفق بهم، وبث شعور الرضى والاستبشار بالعهد الجديد.

وحذا عبد الملك حذو أبيه المنصور نحو المغرب، في تأييد زناتة ومغراوة، والإبقاء على ولائهم. وكان المنصور حينما توفي زيري بن عطية زعيم مغراوة، في سنة ٣٩١ هـ، قد أقر ولده المعز حاكما على المغرب حسبما قدمنا. فلما تولى عبد الملك الحجابة، أعلن المعز طاعته له، ودعى له على منابر المغرب، فكتب إليه عبد الملك بعهده، على سائر ما يملكه من أقطار المغرب (سنة ٣٩٣ هـ) على أن يؤدي إلى حكومة

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥٧٠/١

قرطبة، مقادير معينة من المال والخيل والدرق. واستمر المعز على الوفاء بعهوده، أيام عبد الملك وأخيه عبد الرحمن من بعده (٢).

واعتزم عبد الملك أن يسير على سنن أبيه في متابعة غزو الممالك النصرانية، وألا يترك لها فرصة لتذوق السلم والدعة. وكان الملوك النصارى قد تنفسوا الصعداء عند وفاة المنصور، واعتقدوا أن الظروف قد تتغير، وأن أخطار الغزوات الإسلامية قد تخبو، ولكن سرعان ما تبدد هذا الأمل. ذلك أنه لم تمض أشهر قلائل على تولية عبد الملك، حتى اتخذ الأهبة لغزوته الأولى، واستعد لها استعدادا خاصا، ووفدت على قرطبة طوائف كبيرة، من الزعماء والمتطوعة من العدوة، للاشتراك فيها، وأجزل لهم عبد الملك الصلات والأرزاق، ووزع فيهم ما كان مخزونا من السلاح.

وخرج عبد الملك بالجيش من مدينة الزاهرة، في شعبان سنة ٣٩٣ هـ (يونيه ١٠٠٣ م). وتصف لنا الرواية مشهد خروجه فتقول لنا إنه " خرج على الناس شاكي السلاح، في درع جديد سابغة، وعلى رأسه بيضة جديدة مثمنة الشكل مذهبة، شديدة الشعاع، وقد اصطفت القواد والموالي والغلمان الخاصة، في أحسن تعبئة، فساروا أمامه، وقد تكنفه الوزراء الغازون معه " (٣). وسار عبد الملك

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٣.

(٢) نفح الطيب ج ٢ ص ١٩٨، والاستقصاء ج ١ ص ٩٥.

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٥.." (١)

"المظفر سيف الدولة أبى مروان عبد الملك بن المنصور ". فكان بذلك أول من اجتمع له لقبان ملوكيان من حكام الأندلس (١). وكان صدور هذا المرسوم حادثا مشهودا، أطلق عبد الملك على أثره الصلات والكسى، وكثرت تهاني الشعراء ومدائحهم.

والظاهر أن عبد الملك لم يجن من هذا النصر ما كان يؤمل من إرغام أمير قشتالة على التزام السلم والهدوء، وأن سانشو غرسية بالعكس استمر في عدوانه.

ومن ثم فإنه لم يمض سوى قليل، حتى تأهب عبد الملك لاستئناف الغزو، فخرج من قرطبة في أوائل شهر صفر سنة ٣٩٨ هـ (أكتوبر ١٠٠٧ م) واخترق قشتالة الوسطى، حتى ضفاف نهر دويرة، وقصد إلى حصن شنت مرتين المنيع، الواقع على مقربة من غربي قلونية على الضفة اليمنى من النهر، فحاول النصارى في

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٦٠٩/١

البداية أن يردوا المسلمين في ظاهر الحصن، ولكن المسلمين صدوهم بعنف، فالتجأوا إلى الحصن، وحاولوا الدفاع من وراء الأسوار، فهاجم المسلمون الحصن بشدة وثلموا أسواره بالمجانيق والنار، واضطر النصارى إلى التسليم، فأمر عبد الملك بقتل الجند وسبي النساء والذرية، وإصلاح ما تهدم من الحصن، وقفل راجعا إلى قرطبة فوصلها في أوائل شهر ربيع الآخر.

وفي شوال من نفس العام (صيف ١٠٠٨ م)، خرج عبد الملك بالجيش، وكانت غزوته السابعة والأخيرة، وتعرف "بغزاة العلة". ذلك أنه ما كاد يصل إلى مدينة سالم حتى اشتد به المرض، فاستقر بها حينا يرقب البرء. وفي أثناء ذلك دب الخلل إلى الجيش، وتفرق عنه أكثر **المتطوعة**، وأخفق مشروع الغزو، واضطر عبد الملك أن يعود أدراجه إلى قرطبة، عليلا ضعيفا، وذلك في منتصف المحرم سنة ٣٩٩ هـ. ومع ذلك فما كاد عبد الملك يشعر بقليل من التحسن، حتى عقد العزم على التأهب لاستئناف الغزو، وخرج بالفعل من قرطبة في منتصف شهر صفر، ولكن أصابته عندئذ نكسة شديدة، صحبتها نوبة سعال عنيف، فحمل إلى قصر الزاهرة في محفة، ومن حوله خاصة غلمانه، وتوفي على الأثر، وكان أخوه عبد الرحمن حاضرا مع أكابر رجال الدولة، وقيل إنه توفي مسموما من شربة دست له بتحريض أخيه عبد الرحمن. وكانت وفاته في ١٦ صفر سنة ٣٩٩ هـ

---

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥ – ١٧؛ وأعمال الأعلام ص ٨٨ و٨٩.." (١)

"بعد، عند انهيار الدولة، برياسة طائفة من المدن والولايات، وكان من هؤلاء أمراء الطوائف، مثل مجاهد العامري صاحب دانية، وخيران العامري صاحب ألمرية.

وظهرت في الدولة العامرية بدعة أخرى، هي إسناد منصب الحجابة إلى الأطفال.

فقد استصدر عبد الملك بن المنصور من الخليفة المحجور هشام المؤيد، مرسوما بتعيين ولده الطفل محمد في منصب الحجابة، ولقب بذي الوزارتين، وعين عبد الرحمن المنصور ولده الطفل عبد العزيز في منصب الحجابة، وأسبغ عليه لقب سيف الدولة. وكانت هذه المهازل وأمثالها دليلا على تصدع ذلك الصرح الإداري المحكم الذي شاده الأمراء والخلفاء من بني أمية، خلال قرنين من الجهود المتوالية. وفي أيام الخليفة المستظهر العابرة (رمضان – ذو القعدة ٤١٤ هـ) استحدث بالوزارة عدة خطط جديدة مثل: خطة خدمة المدينتين الزهراء والزاهرة، وخدمة كتابة التعقب والمحاسبة، وخدمة الحشم، وخدمة مواريث

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٦١٥/١

الخاصة، وخدمة الطراز، وخدمة المعالي، وخدمة الأسلحة، وخدمة الخزانة، وخدمة الوثائق، ورفع كتب المظالم، وخدمة خزانة الطب والحكمة، وخدمة أحكام السوق، وهي خطط يصفها ابن حيان بأنها عبث وزخرف من التسطير وضع على غير حاصل، ومراتب نصبت لغير طائل.

- ٣ -

الجيش، نظامه وتكوينه

كان أول جيش إسلامي عبر إلى شبه الجزيرة لفتح الأندلس، مكونا من العرب والبربر، وكان قائد الجيش الفاتح، طارق بن زياد، فيما يرجح بربريا من قبيلة نفزة. وقد لعب البربر منذ البداية في تكوين قوى الأندلس الغازية والدفاعية أعظم دور، وكان تدفقهم من الضفة الأخرى من البحر - من المغرب - على شبه الجزيرة أسرع وأغزر من تدفق **المتطوعة** العرب، وكانوا يؤلفون الكثرة في جيش الغزو. ولما نظم عبد الرحمن الغافقي جيشه الضخم لغزو بلاد الفرنج، كان البربر من عناصره المختارة الغالبة، وكانت القيادة دائما بيد الضباط العرب، وكان الخلاف الذي اضطرم منذ بداية الفتح بين العرب والبربر، يعمل عمله المقوض بين صفوف الجيش، وقد بدأ تكوين الجيوش الغازية الضخمة، منذ عهد السمح بن مالك الخولاني والي الأندلس، وكان أعظم هذه." (١)

"الجيوش، الجيش الضخم الذي حشده عبد الرحمن الغافقي لغزو مملكة الفرنج. وبالرغم من أن البربر كان لهم في إنجاح معظم الغزوات الشمالية أثر فعال، فإنهم كانوا أيضا في بعض الأحيان عنصرا خطرا على سلامة الجيش، لما كان يسودهم في بعض الأحيان من البغض وعدم التعاون لقادتهم العرب. وكان أسطع مثل لذلك الخلاف المدمر، ما حدث في موقعة بلاط الشهداء (١١٤ هـ - ٧٣٢ م) من تخاذل البربر وتخلفهم عن القتال أمام الفرنج، وإرغامهم هيئة الجيش على الانسحاب بعد مقتل قائده البطل عبد الرحمن الغافقي. ولما قامت ثورة البربر في المغرب، وهزم العرب في منطقة طنجة، وعبرت فلول الجيش المنهزم وهم من الشاميين بقيادة بلج بن بشر القشيري إلى الأندلس، وذلك بدعوة الوالي ابن قطن، ليستعين بهم على مغالبة البربر في الأندلس، رجحت كفة العناصر العربية في الجيش مدى حين. ولكن جيش الأندلس ما لبث أن انقسم إلى قسمين، معسكر الشاميين وهم أنصار بلج، ومعسكر العرب والبربر المحليين. ولبثت الحرب الأهلية تضطرم حينا، حتى قام يوسف بن عبد الرحمن الفهري فاستقر في ولاية الأندلس، وقام بإصلاح الجيش وتنظيمه، ليعود كما كان جيشا أندلسيا، يضطلع بالغزو ورد هجمات نصارى الشمال.

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٦٨٦/١

وعنى عبد الرحمن الداخل بتنظيم الجيش أشد عناية، وحشد له **المتطوعة** والمرتزقة من سائر الطوائف. وبلغت قواته يومئذ نحو مائة ألف مقاتل. وهذا عدا الحرس الخاص، الذي يتكون من الموالي والبربر والرقيق، وقد بلغت قواته نحو أربعين ألفا. ووضع عبد الرحمن الداخل أيضا نواة الأسطول الأندلسي بما أنشأ من قواعد لبناء السفن في بعض الثغور النهرية والبحرية. ولكن بداية قيام الأسطول الأندلسي الفعلية ترجع إلى ما بعد ذلك بنحو نصف قرن، حينما فاجأ النورمانيون الأندلس بغزو الثغور الغربية، ثم بغزو إشبيلية، والفتك بأهلها.

وكان ذلك في سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٣ م) في عهد عبد الرحمن بن الحكم، فعندئذ أدركت الحكومة الأندلسية وجوب العناية بأمر الأسطول والتحصينات البحرية وبدىء بإنشاء السفن الحربية. وكانت أكبر دور الصناعة لإنشاء السفن في مياه الوادي الكبير تجاه إشبيلية. ومن ذلك الحين يقوم الأسطول الأندلسي بدوره في شئون." (١)

"الغزو والدفاع، وقد بلغت وحداته في عهد عبد الرحمن الناصر زهاء مائتي سفينة.

ومما تجدر ملاحظته أن الجيش الأندلسي، فد تلقى خلال عهد الفتنة الكبرى التي شملت سائر نواحي الأندلس، ولاسيما المنطقة الجنوبية، واستمرت تضطرم زهاء ستين عاما، منذ عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) كثيرا من الدربة والتجارب المريرة في معاركه المستمرة مع جيوش الثوار، وأضحى في أواخر هذه الحقبة في عهد عبد الرحمن الناصر، من حيث العدد والكفاية قوة لها خطرها. وقد بذل الناصر جهودا عظيمة لإصلاح الجيش وتقويته، ومده بالأسلحة والعتاد الوفير. وعنى في الوقت نفسه بأمر الأسطول، فأنشأ له وحدات جديدة، وجعل مركزه الرئيسي ثغر ألمرية، وأنشأ بها أعظم دار للصناعة، وبلغ الأسطول الأندلسي في عهد الناصر، حسبما تقدم، زهاء مائتي سفينة مختلفة الأنواع والأحجام، وهذا عدا أسطول آخر خصص لشئون المغرب البحرية، وكان الأسطول الأندلسي يومئذ من أقوى الأساطيل، وكان يسيطر على مياه إسبانيا الشرقية والجنوبية.

وفي عهد المنصور بن أبي عامر، بلغ الجيش الأندلسي المرابط ذروة القوة والضخامة، وقد رأى المنصور أن يعتمد بالأخص في تكوين الجيش على حشود البربر، فاستقدمهم من العدوة، وبذل لهم الأعطية السخية، وكذلك حشد في جيشه كثيرا من المرتزقة النصارى، ومعظمهم من المستعربين رعايا الحكومة الأندلسية، واستطاع المنصور، بما بذله من جهود عنيفة متوالية، ومن أموال وفيرة، أن ينشىء للأندلس قوة عسكرية

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١/ ٦٨٧

هائلة لم تعرفها الأندلس في أى عصر سابق، أو لاحق. وقد نقلت إلينا الرواية بعض أرقام عن الجيش الأندلسي المرابط في عهد المنصور، من ذلك أن الفرسان بلغ عددهم إثنتي عشر ألف ومائة فارس من سائر الطبقات، تصرف لهم النفقة والسلاح والعلافة، وبلغ عدد الرجالة (المشاة) في الجيش المرابط ستة وعشرين ألف مقاتل. وكان عدد الجيش المرابط، يتضاعف وقت الصوائف مرارا بما ينضم إليه من صفوف **المتطوعة**، وقد بلغ عدد الفرسان في بعض الصوائف، ستة وأربعين ألفا، وكان عدد المشاة يتضاعف أيضا، وقد يعدو المائة ألف أو تزيد.." (١)

"إلى الأعماق، واهتز لها أمراء الأندلس قاطبة، وفي مقدمتهم المقتدر بن هود،

وهو الذي شهدها عن كثب، ولحقه من جرائها أكبر وزر، واتجه إليه أشد

اللوم لتقصيره في إنجاد المدينة المنكوبة والدفاع عنها، وهي من أخص قواعد ثغره. واستنفر الناس للجهاد، واجتمع من مختلف بلاد الأندلس عدد جم من **المتطوعة** والرماة، ساروا إلى الثغر جهادا في سبيل الله، وبعث المعتضد بن عباد نجدة من خمسمائة فارس، وسار المقتدر بن هود في قواته، وقوات الأمداد المختلفة إلى بربشتر، وذلك في جمادى الأولى سنة ٤٥٧ هـ (ربيع سنة ١٠٦٥ م) وضربوا حولها الحصار، وامتنع النصارى داخل المدينة، لما رأوه من كثرة جموع المسلمين، وعالج المسلمون نقب أسوارها المنيعة العالية تحت حماية الرماة، ونجحوا في إحداث ثغرة كبيرة فيها، ثم اقتحموا المدينة بشدة، فغادرها النصارى من الناحية الأخرى، وحملوا على محلة المسلمين، ونشبت بين الفريقين معركة شديدة مزق فيها النصارى وهلك معظمهم، وأسر من كان بالمدينة من أهلهم وأبنائهم، وتقدر الرواية من قتل منهم بنحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل، في حين أنه لم يقتل من المسلمين وفقا لتقديرها سوى خمسين رجلا وهي مبالغة واضحة، بيد أنه لم يكن ثمة شك على ضوء الظروف المتقدمة في أن خسائر النصارى كانت فادحة، وأن خسائر المسلمين كانت يسيرة، وقيل فوق ذلك إنه حمل من سبايا النصارى إلى سرقسطة نحو خمسة آلاف، كما حمل إليها ألف فرس وعدة وسلاح وأموال كثيرة. وكان استرداد بربشتر في الثامن من جمادى الأولى سنة ٤٥٧ هـ، بعد أن احتلها النصارى تسعة أشهر (١). وبذلك جبر الصدع، ورفعت المعرة، وأثلجت صدور المسلمين. وعلى أثر هذا الفتح الجليل اتخذ بطله ابن هود لقبه المقتدر بالله (٢).

* * *

وشغل المقتدر بن هود في الوقت نفسه بسلسلة من الوقائع التي اضطرمت بينه وبين جيرانه النصارى. وكانت

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٦٨٨/١

مملكة سرقسطة لوقوعها بين الممالك الإسبانية النصرانية الثلاث، أراجون ونافار وقشتالة، هدفا مستمرا لأطماع الملوك

---

(١) راجع الروض المعطار ص ٤١.

(٢) الذخيرة القسم الثالث المخطوط لوحة ٣٦ ب و ٣٧ أ. والبيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٧ و ٢٢٨.."

(١)

"وتنفس مخنق المستعين بن هود صاحب سرقسطة، وبعث ألفونسو إلى سانشو راميرز ملك أراجون يستدعيه لإنجاده، وكان يومئذ قائما بحصار طرطوشة، وبعث كذلك إلى أمراء ما وراء البرنيه، وحشد كل ما استطاع حشده من قوات جليقية وأشتوريش وبسكونية (نافار)، واستدعى قائده ألبار هانيس بقواته من بلنسية، وتقاطر إليه سيل من الفرسان **المتطوعة** من جنوبي فرنسا وإيطاليا.

واعتزم ألفونسو أن يلقي الأعداء في أرضهم حتى لا تخرب بلاده إذا وقعت به الهزيمة، وسار على رأس القوات النصرانية المتحدة إلى الجنوب للقاء المسلمين، وهو واثق من تفوق قواته في العدد والعدة، والكفاية الفنية، ولم تصله أنباء دقيقة عن حالة الجيش الإسلامي (١).

واستقرت الجيوش النصرانية، في مكان يبعد نحو ثلاثة أميال عن المعسكر الإسلامي، يفصل بينها وبين المسلمين فرع وادي يانة الممتد شمالا في اتجاه نهر " التاجه " والذي يسمى اليوم " جريرو ". وجعل ألفونسو على مقدمة جيشه، قائده ألبار هانيس، وكانت تتألف في معظمها من جنود أراجون، **والمتطوعة**.

وقد اختلفت الرواية في تقدير قوات المسلمين والنصارى. وتقدر بعض الروايات العربية جيش النصارى بثمانين ألف مقاتل، ويقدرها البعض الآخر بخمسين ألفا أو أربعين ألفا. وأما الجيش الإسلامي، فيقدره البعض بثمانية وأربعين ألفا، والبعض الآخر بعشرين ألفا، على أنه يبدو من الروايات المختلفة أن النصارى كانوا يفوقون المسلمين في العدد (٢). وكان الجيش الإسلامي، ينقسم حسبما قدمنا إلى وحدتين كبيرتين: قوات الأندلس، وتحتل المقدمة ويقودها المعتمد بن عباد، ويقود منها المتوكل بن الأفطس قوات الميمنة، ويشغل أهل شرقي الأندلس الميسرة، وأما القوات المرابطية، فكانت تحتل المؤخرة، وتنقسم إلى قسمين، يضم الأول فرسان البربر من سائر القبائل، ويتولى قيادته داود بن عائشة أبرع قواد البربر، ويتولى يوسف قيادة الجيش الإحتياطي المؤلف من نخبة أنجاده المرابطين من لمتونة وصنهاجة وغيرهما من القبائل

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢/٢٧٩

البربرية.

ولبث الجيشان الخصيمان، كل منهما تجاه الآخر لا يفصلهما سوى النهر،

---

(١) R.M.Pidal: La Espana del Cid, p. 331 & 332

(٢) راجع الحلل الموشية ص ٣٨، وابن الأثير ج ١٠ ص ٥٢، ونفح الطيب ج ٢ ص ٥٢٨، والمعجب للمراكشي ص ٧١.." (١)

"وإن تصرف ألفونسو ملك قشتالة عقب الموقعة، ليؤكد هذا المعنى الصليبي، الذي ينطوي عليه لقاء الزلاقة. فهو قد شعر بأن ذلك التحالف بين الإسلام في إفريقية والأندلس، يوشك أن يقضى على اسبانيا النصرانية، وأنه لابد أن يقابله حلف بين قوى النصرانية، ومن ثم فقد بعث برسله وكتبه إلى الملوك والأمراء النصارى فيما وراء البرنيه، يهيب بهم ويحذرهم من الخطر الداهم، وينذرهم بأنهم إذا لم يتداركوه بالعون، فإنه سوف يضطر إلى الصلح مع المسلمين، وسوف يتركهم أحرارا في عبور البرنيه. وقد ألفت صيحة ألفونسو صداها في فرنسا، وفي مختلف الإمارات الفرنجية التي حولها، وبادر أمير برجونية الدوق أودو، وهو صهر ألفونسو، إذ كانت عمته الملكة كونستانس، بحشد الأمداد، وشاركه في ذلك الكونت دي سان جيل أمير تولوشة. وهرع إلى التطوع فرسان من نورماندي وبواتو، ومن سائر أنحاء فرنسا. وسارت بالفعل قوى الأمداد صوب اسبانيا. ولكن ألفونسو حين علم بأن يوسف بن تاشفين قد عبر البحر في معظم قواته عائدا إلى المغرب، بعث إلى الأمراء الفرنج يشكرهم، وينبئهم برحيل المرابطين، وأنه لم تعد ثمة ضرورة لمقدمهم (١). واقتصرت الحرب الصليبية عندئذ على منطقة الثغر الأعلى، حيث كان بنو هود أمراء سرقسطة، يواجهون عدوان سانشو راميرز ملك أرجوان، ومحاولاته المتوالية للاستيلاء على تطيلة، ووشقة، وطرطوشة، وكانت طوائف المتطوعة من الفرنج تهرع إلى تلك الحملات الغازية، لتشترك فيها.

ويشعر المؤرخون المسلمون أنفسهم بخطورة موقعة الزلاقة، وصبغتها الصليبية، فيحيطون حوادثها بطائفة من الأساطير الدينية. من ذلك ما قصه علينا يوسف نفسه في رسالته لمناسبة عبوره البحر، من المغرب إلى الأندلس، وما دعا به ربه حينما ثارت العواصف في وجه سفنه، وما تلا ذلك من هدوء العواصف والموج، وذلك حسبما فصلناه فيما تقدم (٢). ومن ذلك أن ملك قشتالة حينما كان يتأهب لمحاربة المسلمين، توالت عليه الأحلام المرعبة، فرأى ذات يوم أنه يركب فيلا، قد تدلى بجانبه طبل يحدث صوتا مرعبا كلما

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢/٣٢٢

قرعه، وأن فقيها مسلما من أهل طليطلة، فسر له ذلك الحلم بأنه نذير بهزيمته الساحقة،

---

(١) R.M.Pidal: ibid ; p. 310

(٢) روض القرطاس ص ٩٢.." (١)

"- ٣ -

كان الاستيلاء على طليطلة بلا مراء أعظم أعمال ألفونسو السادس، بل كان أعظم عمل قام به ملك نصراني، مذ قامت المملكة الإسبانية النصرانية في شبه الجزيرة في أواخر القرن الثامن الميلادي.

وقد كان لسقوط طليطلة أعمق الآثار في ميزان القوى في شبه الجزيرة، وبه توج تفوق اسبانيا النصرانية السياسي والعسكري، واتخذ ملك قشتالة على أثره لقب الإمبراطور، ودخلت سياسة الإسترداد Reconquista في طور جديد يبدأ من الناحية الأخرى من نهر التاجه. بيد أنه كان من آثاره أيضا أن استيقظت اسبانيا المسلمة من سباتها، وأدرك ملوك الطوائف، حقيقة موقفهم، وعاقبة بغيهم واستهتارهم، وخطورة تنابذهم وتفرقهم، وشعروا بخطر الفناء يهدد مصايرهم جميعا، وجنحوا عندئذ إلى الاستعانة بإخوانهم فيما وراء البحر، وكان أن استجاب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى صريخهم، وعبر إلى شبه الجزيرة في جيوشه المرابطية. وفي ذلك الوقت بالذات كان ألفونسو، عقب استيلائه على طليطلة، قد سار إلى سرقسطة وحاصرها، ليرغم أميرها المستعين بن هود على دفع الجزية، فلما سمع بمقدم المرابطين، غادرها مسرعا إلى الأندلس ليلقى أعداءه الجدد. ثم كانت موقعة الزلاقة (رجب ٤٧٩ هـ - أكتوبر سنة ١٠٨٦ م) وإحراز الجيوش الإسلامية المتحدة لنصرها الباهر على الجيوش النصرانية المتحدة، وسحق قوات ألفونسو السادس، وانسحابه في فلوله القليلة مهيضا مغلوبا، وذلك كله حسبما فصلناه في مواضعه بإفاضة.

بيد أن يوسف اضطر عقب الموقعة أن يغادر الأندلس إلى المغرب لوفاة ولده وخلفه الأمير سير. وتنفس ألفونسو الصعداء حينا، وأخذ يجمع أشتات جيشه من جديد، ووفد عليه عندئذ سيل من **المتطوعة** النصارى النورمان والفرنسيين وغيرهم، شعورا منهم بطابع المعركة الصليبي، ولم يمض سوى قليل، حتى استرد ألفونسو ثقته بنفسه، وشعر أنه يستطيع لقاء أعدائه في الميدان من جديد، وكان ابن عباد وغيره من أمراء الطوائف

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢/٣٣١

قد انتعشوا عقب نصر الزلاقة، وأغار المعتمد بقواته على أراضي طليطلة، وانتزع منها عدة أماكن.
بيد أن أمراء الطوائف لبثوا مع ذلك على تنابذهم وتفرقهم، يتربص كل بأخيه،." (١)

"(سانشو) ابن ملك الروم، فسمع منها، فبعث ولده شانجه في جيوش كثيرة من زعماء الروم وأنجادهم " (١).

وزحف الجيش القشتالي بسرعة لإنجاد قلعة أقليش. وفي تلك الأثناء، في عصر يوم الخميس ١٥ شوال (٢٨ مايو) كانت الأنباء قد ترامت عن قرب مقدمه إلى العسكر المرابطي. وهنا تختلف الرواية في تصوير موقف الجيش المرابطي، وموقف قائده الأعلى الأمير أبى الطاهر تميم. ذلك أن صاحب روض القرطاس يقول لنا إن تميما حين علم باقتراب القشتاليين، أراد الارتداد والإحجام عن لقائهم، فنصحه محمد بن عائشة ومحمد بن فاطمة وغيرهما من قواد لمتونة بالبقاء وملاقاة العدو، وهونوا عليه الأمر، خصوصا وأن القادمين لا يزيد عددهم عن ثلاثة آلاف فارس. فنزل تميم عند النصح، فلما وافى القشتاليون عند مغيب الشمس، ورأى تميم وفرة حشودهم، أراد الفرار والإحجام عن لقائهم، ولكنه لم يجد سبيلا إلى ذلك، وصمم قواد لمتونة على لقاء العدو ومناجزته (٢). بيد أن تميما يصور لنا الموقف في رسالته التي يصف فيها الموقعة والتي سبقت الإشارة إليها تصويرا آخر. فيقول لنا إنه حين مقدم القشتاليين، استدنى إليه" القائدين المجربين، ذوي النصيحة والآراء الصحيحة، أبا عبد الله محمد بن عائشة، وأبا عبد الله محمد بن فاطمة وأنهم بعد المشاورة، اجتمعوا على كلمة الله متعاقدين، وخضعوا إلى حكمه مستسلمين " ثم يقول: " ونهضنا بجملتنا، من محلتنا والصبر يفرغ علينا لامه، والنصر يبلغ إلينا سلامه، وتوجهنا إلى الله نقتفي سبيله، ونبتغي دليله " فكان اللقاء، وكانت الموقعة.

ولم تقدم إلينا الروايات بيانات كافية عن عدد الجيشين المتحاربين. بيد أنه يستفاد من أقوالها عن الجيش المرابطي، الذي كان يتكون من حشود غرناطة وقرطبة وشرقي الأندلس ومن انضم إليه من **المتطوعة** المجاهدين خلال مسيره، أنه كان يضم عدة آلاف من الفرسان، إذ كانت حامية غرناطة تتكون من ألف فارس، ومثلها حامية قرطبة، وكانت الحامية المرابطية بشرقي الأندلس تتكون من أربعة آلاف فارس. أما الجيش القشتالي القادم للنجدة، فمن المرجح أنه كان متفوقا على المرابطين في الكثرة، يدل على ذلك إحجام تميم في البداية عن لقائه، وتوجسه

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣٩٨/٢

(١) روض القرطاس ص ١٠٤.

(٢) روض القرطاس ص ١٠٤.." (١)

"منه على ما تم من إحراق كتابه بقرطبة، ودعائه " أن يمزق الله ملكهم كما مزقوه، وأن يذهب دعوتهم كما أحرقوه ". بيد أننا سوف نرى فيما بعد، عند الكلام على نشأة ابن تومرت وظهوره، بطلان هذه القصة، وما يحيط بها من المتناقضات المنطقية والزمنية.

- ٥ -

ولم يمض قليل على استرداد المرابطين للجزائر الشرقية حتى عبر أمير المسلمين علي بن يوسف البحر إلى الأندلس للمرة الثالثة منذ جلوسه، وذلك في أواخر المحرم سنة ٥١١ هـ الموافق لشهر مايو سنة ١١١٧ م (١)، أعني في بداية الصيف، وهو الفصل المفضل للعبور والجهاد، على نحو ما وقع في الجواز الثاني. وفي روض القرطاس أن هذا العبور قد وقع سنة ٥١٣ هـ، بعد سقوط سرقسطة وقواعد الثغر الأعلى، وأنه هو الجواز الثاني لأمير المسلمين، وهو تحريف واضح في التاريخ والوصف. ولا تقدم إلينا الرواية الإسلامية عن هذا الجواز، وما اقترن به من الحوادث تفاصيل شافية، ويكتفي صاحب الحلل الموشية وابن الخطيب كلاهما، بالإشارة إليه في كلمات عابرة. ولكن صاحب روض القرطاس وابن عذارى يقدمان لنا عنه بعض التفاصيل. وفي الرواية الأولى، أن عليا جاز إلى الأندلس برسم الجهاد وإصلاح شئونها، وجازت معه جموع غفيرة من المرابطين **والمتطوعة** من العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر، وأنه سار في قواته صوب قرطبة وعسكر خارجها، فأتته الوفود للسلام عليه، ووقف منها على أحوال البلاد، وكان من تصرفاته عندئذ، أن عزل القاضي أبا الوليد بن رشد (الجد) عن قضاء قرطبة، وولى مكانه أبا القاسم ابن حمدين (٢). ولكن سوف نرى أن هذا التصرف قد وقع في مناسبة لاحقة. أما ابن عذارى فإنه يقول لنا، إن عليا قصد عند عبوره إلى مدينة إشبيلية، وهناك لحقت به العساكر العدوية والأندلسية، وقصدت إليه وفود العلماء والفقهاء والمجاهدين من قرطبة، وكذلك جموع **المتطوعة** من غرناطة. وأما ما يتعلق بغزوات علي في هذا الجواز، فتتخلص في أنه سار في قواته نحو أراضي البرتغال، وغزا قلمرية (ويسميها صاحب روض القرطاس سنبرية،

---

(١) الحلل الموشية ص ٦٢، وابن الخطيب في أعمال الأعلام ص ١٤٧، والبيان المغرب (الأوراق

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٦٣/٣

المخطوطة السالفة الذكر- هسبيرس ص ٧٩).

(٢) روض القرطاس ص ١٠٦.." (١)

"(٥١٣ هـ) (١). ثم عبر ألفونسو جبال سييرا مولينا التي تفصل بين أراجون وقشتالة، وزحف على قلعة أيوب وكانت من أمنع ما بقي من معاقل الثغر الأعلى، فاستولى عليها كذلك. وكانت أنباء هذه المحن المتوالية، التي نزلت بمسلمي الثغر الأعلى، وتوالى سقوط قواعده في أيدي النصارى، قد وصلت إلى أمير المسلمين علي بن يوسف، فاهتم لها، وكتب إلى أخيه الأمير أبى إسحق ابراهيم بن يوسف، والي إشبيلية منذ وفاة واليها السابق القائد محمد بن فاطمة في سنة ٥١١ هـ، بتجهيز الجيوش، والمبادرة إلى السير لقتال ملك أراجون (ابن رذمير)، ووضع حد لعدوانه، وكتب في نفس الوقت إلى القادة والرؤساء بالأندلس أن ينهضوا بقواتهم مع أخيه، وأن يكونوا تحت إمرته. فحشد إبراهيم قواته، ووافته قوات قرطبة بقيادة واليها ابن زيادة، وقوات غرناطة بقيادة واليها الأمير محمد بن تينغمر اللمتوني، وقوات مرسية بقيادة أبى يعقوب ينتان بن علي، وجماعة أخر من الرؤساء والقادة، وعدد كبير من **المتطوعة**. وسار الأمير إبراهيم في هذه القوات الجرارة صوب الشمال. وكان ألفونسو قد انتهى وفقا لبعض الروايات من افتتاح قلعة أيوب، وسار منها لافتتاح دروقة قرينتها في المنعة والأهمية، والواقعة في جنوبها. وفي رواية أخرى أنه لم يكن قد انتهى بعد من افتتاح قلعة أيوب، حينما اقتربت منه الجيوش المرابطية. وكان ألفونسو حينما علم بتحرك المرابطين وسيرهم إلى قشتالة قد استقدم سائر قواته، واجتمع له وفقا لأقوال الرواية الإسلامية زهاء اثنى عشر ألف فارس، غير المشاه والرماة وهم جموع غفيرة لا تحصى. ووقع اللقاء بين المسلمين والنصارى في ظاهر بلدة صغيرة تسمى كتندة أو قتندة على مقربة من دورقة، وذلك في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول - وعلى قول آخر ربيع الثاني - سنة ٥١٤ هـ (يونيه أو يوليه سنة ١١٢٠ م). ونشبت بين الفريقين معركة عنيفة، كانت الدائرة فيها على المسلمين، فهزموا هزيمة شديدة، أو " هزيمة منكرة " على قول ابن الأثير وكثر القتل فيهم، وسقط منهم في ميدان القتال، وفقا لأقوال الرواية الإسلامية نحو عشرين ألفا من **المتطوعة**، وتنوه الرواية الإسلامية بنوع خاص بمن استشهد في الموقعة من العلماء والفقهاء، وفي

---

(١) روض القرطاس ص ١٠٦، وكذلك M. Lafuente: ibid ; V. III. p. 238. ونقل المقري عن ابن اليسع أن تطيله وطرسونة قد سقطتا في أيدي النصارى في سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) وهذا مناقض

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣/٨٠

لما يذكره روض القرطاس وتؤيده الرواية النصرانية من أن سقوط طرسونة وغيرها من معاقل الثغر الأعلى كان في سنة ٥١٣ هـ (١١٢٠ م).." (١)

"في أواخر سنة ٥٥٧، من غزو نصارى مدينة شنترين بالبرتغال لمدينة باجة، واستباحتها، واحتلالها في ٢٢ شهر ذي الحجة هذا العام (أول ديسمبر ١١٦٢ م)، ومكثهم بها نحو أربعة أشهر، قبل أن يغادروها، بعد أن دمروا ربوعها، وخربوا أسوارها (١).

وأقام عبد المؤمن بمراكش فترة يسيرة، حتى أول عام ش ٥٥٨ هـ، وهو يتابع بعناية تلك الاستعدادات الضخمة للجهاد في الأندلس. ثم خرج من حاضرته ليزور قبر المهدي في تينملل، وكان الفصل شتاء، والبرد قارسا، والأمطار والثلوج تنهمر بشدة، حتى غمرت سائر السهول والربى، ومع ذلك فقد شق الخليفة طريقه إلى تينملل بعزم، وجاز المياه والثلوج الغامرة، ولم يبال بما أصابه من البلل، وتبعه أشياخ الموحدين بصعوبة، ثم أدى زيارته المأثورة لقبر المهدي، وعاد إلى حاضرته، ليستأنف الاستعداد للجهاد.

وفي اليوم الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٥٥٨ هـ (١٩ فبراير سنة ١١٦٣ م) خرج عبد المؤمن من مراكش، وسار إلى رباط الفتح، تتقدمه الجيوش الموحدية الجرارة، في تؤدة وهوادة، فلما وصل إلى رباط الفتح، كانت البقاع المجاورة فيما بين سلا والمعمورة، قد ضاقت بهذه الجيوش الضخمة التي يقدرها المؤرخ المعاصر بأكثر من مائة ألف فارس، ومائة ألف راجل (٢). وتقدرها بعض الروايات الأخرى بأكثر من ثلاثمائة ألف فارس، من الموحدين والمرتزقة العرب والبربر.

ومن المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل (٣)، وزعت عليهم جميعا الأعطية والصلات السخية. وما كاد الخليفة يستقر في محلته، حتى استدعى إليه سائر القادة والأشياخ من الموحدين والعرب، وأهل الرأي، وعقد مجلسا حربيا عاما، ليبحث خير الوسائل لتنفيذ الغزوة الأندلسية الكبرى وتوجيهها، سواء في البر أو البحر، وكان من بين الحاضرين أبو محمد سيدراي بن وزير، فشرح للخليفة أحوال الأندلس وما يحسن أن يعمله، واقترح ابن وزير ووافقه الأشياخ، أن تقسم الحملة الكبرى إلى أربعة جيوش، يسير أولها إلى البرتغال لمقاتلة ابن الرنك صاحب قلمرية (ألفونسو هنريكيز)، والثاني يسير إلى مملكة ليون، وملكها

---

(١) كتاب المن بالإمامة لوحة ١١٧.

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١٠٣/٣

(٢) ابن صاحب الصلاة في كتاب المن بالإمامة لوحة ٤١.

(٣) الاستقصاء ج ١ ص ١٥٨.." (١)

"من العرب عشرة آلاف فارس، وهذا غير **المتطوعة** والمجاهدين، فإذا ذكرنا أن الشيخ أبا حفص بن يحيى، كان قد تقدم الخليفة بجيش كبير إلى شبه الجزيرة في أوائل سنة ٥٦٤ هـ، وأن السيد أبا حفص أخا الخليفة، تلاه في جيش كبير آخر عبر إلى شبه الجزيرة في أوائل سنة ٥٦٦ هـ، وهو الجيش الذي اضطلع بمحاربة ابن مردنيش والقضاء على مملكة الشرق، أدركنا ضخامة الجيوش الموحدية التي أعدت للغزو بالأندلس.

ووصل الخليفة في قواته الجرارة إلى قصر مصمودة غربي ثغر سبتة (١)، وبدأ عبور الجند إلى شبه الجزيرة، عن طريق ثغر طريف، في مستهل رمضان من سنة ٥٦٦ هـ (٨ مايو سنة ١١٧١ م) واستمر عبورها أكثر من أسبوعين، وفي اليوم السابع والعشرين من رمضان عبر الخليفة في خاصته، واستقبله في طريف زعماء الأندلس وأكابرها من سائر القواعد، ثم تحرك إلى إشبيلية، ودخلها في يوم الجمعة الثاني عشر من شهر شوال (١٨ يونيه) واستقبله الأشياخ والناس استقبالا حافلا، فاستراح بها عشرة أيام، ثم سار إلى قرطبة في الثاني والعشرين من شوال، فوصل إليها في غرة ذي القعدة (٥ يوليه). ونزلت القوات الموحدية في داخل قرطبة وفي خارجها على ضفتي الوادي، مدة إقامة الخليفة بها، وقد استطالت إلى آخر ذي الحجة سنة ٥٦٦ هـ. وفي يوم عيد الأضحى، خرج الخليفة للصلاة وألقيت الخطبة المعتادة، واحتفل بالنحر، ثم استقبل الأشياخ الموحدين وأبناء الجماعة، وانصرف إلى دار الإمارة. وفي اليوم التالي جلس بالقصر، مجلس السلام والتهنئة، وأقبل أشياخ الموحدين وأبناء الجماعة، وطلبة الحضر، والفقهاء والقضاة والكتاب، وأهل الوفود، وأعيان قرطبة، أقبلوا جميعا للسلام، وأنشد الشعراء كالعادة مدائحهم وتهانيهم، وكان في مقدمتهم أبو بكر بن المنخل، وقد أنشد بين يدي الخليفة قصيدة طويلة أوردها لنا ابن صاحب الصلاة، ومما جاء فيها:

شرف الخلافة أن ملكت زمامها ... يحمي جوانبها فكنت حسامها

---

(١) قال الإدريسي في وصف قصر مصمودة " إنه يقع غرب سبتة على قيد ١٢ ميلا، وهو حصن كبير على ضفة البحر تنشأ به المراكب والحراريق التي يسافر فيها إلى بلاد الأندلس.

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣/٣٩٣

وهي على رأس المجاز الأقرب إلى ديار الأندلس " (وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ص ١٦٨).." [(١)]

"في طريقه على مدينة غرناطة، وترك بها أخاه السيد أبا سعيد واليا لها، ووصل

إلى إشبيلية في الثامن عشر من ربيع الأول سنة ٥٦٨ هـ (نوفمبر ١١٧٢ م). ومعه الإخوة وفي مقدمتهم السيد أبو حفص، وخاصته من أشياخ الموحدين وأكابر الدولة، فاستقبله أهل إشبيلية وعلى رأسهم الحافظ أبو بكر بن الجد، استقبالا حافلا، وقدم معه بنو مردنيش في الأهل والولد، وفقا لما أمر، وأنزلوا في قصر ابن عباد، والدور المتصلة به، واشترى لهم الخليفة ما لزم لسكناهم وسكنى أتباعهم من الدور، وعين منهم غانم بن مردنيش لرياسة جماعة من الجند الأندلسيين، وأصحاب أبيه وأهل الثغور والأجناد بإشبيلية، لتكون منهم قوة تضطلع بالغزو وحماية الأقطار من العدو وعيث البدو، ونظم هلالا والكبار من إخوته في جملة أشياخ الموحدين وأبناء الجماعة، يحضرون مجلسه العالي، ويشتركون في مباشرة الأمور، وإبداء الرأي تقريبا لهم وتشريفا وتأنيسا، وكان غانم يخرج في قواته مع الموحدين إلى غزو أراضي قشتالة، وقد ظهر فيما بعد بشجاعته وكفايته. وكان مثلا طيبا للغزاة من الأجناد والعرب.

...

والآن وقد انتهينا من استعراض مراحل هذه الغزوة الأندلسية الأولى للخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن واستوعبنا تفاصيلها، وفقا لرواية مؤرخها المرافق لها، والتي سجلها منذ بدايتها إلى نهايتها، يوما بعد يوم، نحاول أن نستخلص منها ما يمكن أن تدلي به من الحقائق والعبر.

وأول ما تكشف عنه حوادث هذه الغزوة التي لم يطل أمدها أكثر من شهرين ما تجلى تحت أسوار مدينة وبذة من عجز الجيوش الموحدية وتفككها. ويبدو هذا العجز في أسطع صوره متى ذكرنا أن الجيش الموحدي الذي تصدى لحصار وبذة، كان يضم على الأقل عشرين ألفا من الفرسان النظامية، منهم عشرة آلاف من الموحدين وعشرة آلاف من العرب، الذين عبروا مع الخليفة الموحدي إلى الأندلس حسبما أسلفنا في موضعه. وهذا غير المتطوعة وأجناد الأندلس، وهؤلاء يمكن تقديرهم أيضا بعدة آلاف. فكيف يعجز هذا الجيش الكبير عن اقتحام مدينة صغيرة غير ممتنعة مثل وبذة، خصوصا وقد كانت تضطلع بالدفاع

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤/٦٧

عنها حامية محلية صغيرة من القشتاليين؟ إن مثل هذا العجز المطبق يكشف أولا وقبل كل شيء عن عجز القيادة الموحدية، ذلك أنه لم تكن بين أولئك الإخوة والأشياخ." (١)

"حاضرة قشتالة (١)، وعلى أي حال فإن فرناندو ملك ليون، حينما علم بسير الجيوش الموحدية نحو بطليوس واقترابها بذلك من مواقعه، بادر برفع الحصار عن قاصرش، وعاد إلى حاضرته مدينة ردريجو، وأخذ يرقب سير الحوادث.

وفي يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الأول غادر الخليفة في قواته مدينة بطليوس، وسار نحو الشمال الغربي مخترقا الناحية اليسرى من وادي التاجه، ثم أمر الجند الموحدين أن يتقدموا صوب شنترين، فعبروا نهر التاجه بقيادة السيد أبي إسحاق والي إشبيلية، ثم تلاهم بقية الجند وعلى رأسهم الخليفة، ونزلت الجيوش الموحدية جميعها بالتل المرتفع المشرف على شنترين من ناحيتها الشرقية والجنوبية، وكان ذلك في يوم الأربعاء السادس عشر لربيع الأول سنة ٥٨٠ هـ (٢٧ يونيه سنة ١١٨٤ م) وفقا لقول الرواية الإسلامية المعاصرة (٢)، وتضع الرواية النصرانية مقدم الجيوش الموحدية إلى شنترين قبل ذلك بثلاثة أيام في اليوم الرابع والعشرين من يونيه وهو يوم القديس خوان (٣).

وتنوه معظم الروايات الإسلامية بضخامة هذا الجيش الموحدي، ووفرة حشوده (٤)، ويقدم إلينا بعضها عن عدده أرقاما مدهشة، فيقول لنا صاحب الروض المعطار إنه كان يضم أربعين ألفا من أنجاد العرب الفرسان، ومن الموحدين والجنود **والمطوعة** وفرسان الأندلس ما ينيف على مائة ألف فارس (٥)، وإذن فقد كان هذا الجيش الذي أعد لغزو البرتغال، وافتتاح شنترين أضخم من الجيش الذي سار من قبل عند جواز الخليفة الأول إلى الأندلس، إلى حصار وبذة، وتنوه الرواية النصرانية أيضا بضخامة الجيش الموحدي، وذلك بما تذكره من أرقام خسائره، حسبما نشير إليه فيما بعد.

وتقع مدينة شنترين، وقد أتيحت لنا زيارتها، في شمال شرقي أشبونة على

---

(١) H. Miranda: Ibid, cit. Chronicon Lusitanum p. 292

(٢) هذه هي رواية البيان المغرب، منقولة فيما يرجح عن ابن صاحب الصلاة، وكان مرافقا للحملة (البيان المغرب القسم الثالث ص ١٣٣) ويضع صاحب روض القرطاس مقدم الموحدين إلى شنترين في السابع من ربيع الأول (ص ١٤٠).

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٨٤/٤

(٣) راجع في ذلك H. Miranda: Ibid, p. 297 & 300

(٤) راجع ما ينقله البيان المغرب في القسم الثالث عن القاضي أبي الحجاج يوسف بن عمر (ص ١٣٥) وكذلك ابن خلكان في الوفيات ج ٢ ص ٣٩٤.

(٥) الروض المعطار – صفة جزيرة الأندلس في مقاله عن " شنترين " ص ١١٤.." [1]

"وعاد ملك قشتالة بعد حملته المظفرة إلى طليطلة.

– ١ –

كان لتلك الحوادث أعمق وقع في نفس الخليفة يعقوب المنصور، فما كاد يقف على أخبارها، حتى أخذ في التأهب للعبور إلى الأندلس، واستئناف الجهاد، واعتمد في هذه المرة على التطوع في جمع الحشود، حسبما ذكرنا من قبل، وعنى عناية خاصة بتوفير العتاد والسلاح والمؤن، ثم خرج في قواته من مراكش في الرابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ٥٨٥ هـ (٢٣ يناير سنة ١١٩٠ م)، وذلك بعد أن وجه كتبه إلى إشبيلية، وغيرها من قواعد الأندلس، بما اعتزمه من قدومه إلى شبه الجزيرة لنصرة أهلها على عدوهم، وما يرجوه من تيسير استقبال الجيوش الوافدة، وسار إلى رباط الفتح، فلما وصلها، أقام بها نحو الأربعين يوما، حتى وصلت باقي الحشود وقوات القبائل، واستكملت أهبة الجيش الغازي.

وفي أواخر شهر المحرم من سنة ٥٨٦ هـ (أوائل مارس سنة ١١٩٠ م) غادر المنصور رباط الفتح في قواته. وسار إلى قصر مصمودة (القصر الصغير) وجدد منه كتبه إلى إشبيلية متضمنة قرب وصوله. ولبث مقيما بالقصر، حتى كان بدء الجواز في الخامس عشر من ربيع الأول، ولما انتهى جواز الجند، عبر المنصور البحر في يوم الأحد الثالث والعشرين من ربيع الأول، ونزل بجزيرة طريف، وهنالك أقبلت وفود بعض البلاد للسلام عليه، وشكا البعض مما يقع من ظلم العمال، فأغضى المنصور عن مناقشة هذا الأمر في هذه الظروف الدقيقة. ثم تحرك من طريف في غرة جمادى الأولى، وسار شمالا صوب مدينة أركش، وهنالك ودع الوفود الملتفة حوله، وسار إلى قرطبة. وبعث إلى السيد يعقوب بن أبي حفص والي إشبيلية، بأن يتحرك منها بعساكره، وأن يجمع سائر الحشود، من العرب والبربر، من غرناطة وغيرها، ومن تأخر من صنهاجة وهسكورة، وسائر المتطوعة والمجاهدين. فصدع السيد يعقوب بالأمر، وحشد سائر القوات المتقدمة،

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١١٩/٤

وسار فيها قاصدا إلى شلب، وذلك في غرة جمادى الأولى (٦ يونيه) وعسكر في ظاهر المدينة. ولم يمض شهر على ذلك حتى وصلت سفن الأسطول الموحدي إلى مياه البرتغال الجنوبية." (١)

"الفصل الثالث موقعة الأرك

عزم المنصور على السير إلى إفريقية. مسيره إلى رباط الفتح. مقدم ولاة الأندلس وإبلاغهم بانقضاء الهدنة مع النصارى. غارات النصارى وعيثهم في أراضي الأندلس. تعديل المنصور لخطته وعزمه على العبور إلى الأندلس. رواية أخرى عن بواعث هذا التحول. إتمام الأهبة ومقدم سائر الحشود. مسير المنصور من مراكش إلى قصر المجاز. جواز الجيوش الموحدية ثم الخليفة إلى شبه الجزيرة.

مسيره إلى إشبيلية. إجراء التمييز واستكمال الأهبة. مسير الخليفة إلى قرطبة ثم خروجه إلى قشتالة. أهبة ألفونسو الثامن. مسيره نحو قلعة رباح. نزوله بقواته في ربوة الأرك. مسير الخليفة إلى لقائه ونزوله قرب الأرك. اشتباك الطلائع. رأى ابن صناديد في خطة القتال. تقسيم الجيش الموحدي وقواده. زحف الموحدين صوب الأرك. استعدادهم لخوض المعركة. ترتيب الجيوش الموحدية. تبادل الغفران والحث على الجهاد. وصف عيان لميدان معركة الأرك. بدء المعركة في ضحى التاسع من شعبان. نزول القشتاليين واندفاعهم نحو المعسكر الموحدي. هجوم القشتاليين على القلب. عنف القتال وروعته. مقتل القائد العام أبي يحيى. اندفاع جيوش الأندلس والمغرب والأغزاز نحو النصارى. اضطرار النصارى إلى الارتداد والفرار إلى الربوة. حملة العرب والمطوعة والأغزاز عليهم وحصدهم. زحف الخليفة في سائر قواته نحو النصارى. ارتياع النصارى وفرارهم. اقتحام الموحدين لحصن الأرك. وصف الرواية النصرانية لأدوار المعركة. ارتداد ملك قشتالة في فله نحو طليطلة. الاتفاق بين الفريقين على تسليم حصن الأرك. استنقاذ الأسرى المسلمين وتسريح حامية الحصن. نتائج المعركة. عدد الجيش القشتالي وخسائره. خسائر المسلمين. الغنائم والأسلاب. المقارنة بين موقعة الزلاقة وموقعة الأرك. عنصر الأسطورة في المعركتين. الخلاف بين الموقعتين من حيث الظروف والنتائج. أسباب نصر الموحدين. زحف الموحدين على قلعة رباح واقتحامها. وصف عيان لأطلال هذه القلعة. تقسيم المنصور للغنائم. عوده إلى إشبيلية. توجيه كتب الفتح. تهاني الشعراء. عناية المنصور بإصلاح الجامع وإتمام صومعته. قضاؤه الشتاء في إشبيلية. التمييز والاستعداد لاستئناف الغزو. مسير المنصور من إشبيلية إلى منطقة استرمادورة. افتتاح الموحدين لحصن منتانجش. استيلاؤهم على مدينة ترجالة، وسانتا كروث. اقتحامهم لمدينة بلاسنثيا وأسر حاميتها. مسيرهم إلى طلبيرة وتخريبهم لأحوازها.

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١٧٥/٤

احتجاب القشتاليين وإحجامهم عن لقاء الغزاة. اقتراب الموحدين من طليطلة وتخريبهم لبسائطها. رواية عن غزوهم لطليطلة. استنصار ملك ليون بالمنصور. إمداده بقوة من الموحدين. غزو الموحدين والليونيين لقشتالة وتخريبهم لأراضيها. عود المنصور إلى قرطبة ثم إلى إشبيلية. نتائج هذه الغزوة السلبية. عناية المنصور بأمر العمال والنظار. قيامه بتعيين بعض الولاة. استعداده للغزوة التالية. مسيره إلى قرطبة ونزوله بها.." (١)

"على أثر انقضاء الهدنة التي كانت معقودة بينه وبين الموحدين، غزا أراضي الأندلس، وتوغل في غاراته حتى الجزيرة الخضراء. وهناك وجه إلى الخليفة المنصور كتابا من إنشاء وزيره اليهودى ابن الفخار، يتحداه فيه بأسلوب يفيض غرورا ووقاحة، أن يأتي لقتاله، فإن جبن أو عجز، فليرسل إليه السفن ليجوز فيها إليه، ويقاتله في أعز مكان لديه، وأن المنصور غضب لذلك، واستنفر الناس للجهاد، وكانت حركته الثانية إلى الأندلس (١). على أنه يبدو من نص هذا الخطاب، ومن تحدثه عن " تواكل رؤساء الأندلس، وإخلادهم إلى الراحة " أنه يمكن بطريقة أرجح نسبته إلى ألفونسو السادس ملك قشتالة، وأنه كان موجها إلى يوسف بن تاشفين، وليس إلى الخليفة الموحدي.

وفي أوائل سنة ٥٩١ هـ (١١٩٤ م) كانت أهبات الحملة الموحدية، قد تقدمت تقدما كبيرا، واجتمعت الحشود من سائر بلاد المغرب والقبلة. وفي يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الأولى من السنة المذكورة، خرج الخليفة يعقوب المنصور من حضرة مراكش، والجيوش تتلاحق في أثره من سائر النواحي، وسار توا إلى قصر المجاز (القصر الصغير)، وهنالك عنى بتنظيم تموين الجيوش، ثم بدأ الجواز، فكان أول من جاز البحر قبائل العرب ثم قبائل زناتة، ثم المصامدة، فغمارة، فالجيوش **المطوعة**، ثم الموحدون، فالعبيد، ولما تم جواز الجيوش على هذا النحو واستقرت بأراضي الجزيرة الخضراء، عبر الخليفة المنصور البحر في جمع كبير من أشياخ الموحدين والزعماء والفقهاء، والعلماء، وكان عبوره إلى طريف (٢) في يوم الخميس عشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٩١ هـ (أول يونيه سنة ١١٩٥ م).

وأقام المنصور بطريف يوما واحدا، ثم استأنف سيره إلى إشبيلية، ولقيه في الطريق والي إشبيلية السيد يعقوب بن أبي حفص وجماعة من أعيانها، ثم تقدمه ليعد له أسباب النزول في الحضرة الأندلسية، ونزل الخليفة بقصر البحيرة خارج باب جهور، وهرع أهل الحاضرة للسلام عليه، وعهد الخليفة إلى أبي بكر

---

(١) راجع ابن الأثير ج ١٢ ص ٤٤، وابن خلكان في الوفيات ج ٢ ص ٤٢٥، وروض القرطاس ص

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١٩٦/٤

١٤٥، والنويري طبعة ريميرو في مجلة (Revista del Centro de ج ٨ ص ٢٧٣ Estudios Historicos T. VIII ano 1919 p. 218)

(٢) البيان المغرب القسم الثالث ص ١٩٢، وفي روض القرطاس أنه عبر إلى الجزيرة الخضراء (ص ١٤٦).." (١)

"" بالأرك ". وهي محلة صغيرة من أعمال قلعة رباح، تقع على مسافة أحد عشر كيلومترا في غربي مدينة " ثيوداد ريال " الحديثة (١)، وتقوم فوق ربوة عالية، تمتد سفوحها حتى نهر وادي يانه، وكانت عندئذ هي نقطة الحدود بين قشتالة وأراضي المسلمين، فإلى هذه المحلة اتجه ملك قشتالة بقواته، وعسكر بها معتزما أن يلقى الموحدين وألا يسمح لهم بعبور الحدود إلى داخل أراضيه.

وأما الخليفة المنصور فاستمر في سيره مخترقا قلعة رباح حتى وصل إلى مقربة من محلة الجيش القشتالي المعسكر في الأرك. ويقول لنا صاحب روض القرطاس إن الخليفة استمر في سيره حتى بقى بينه وبين الأرك مرحلتان قريبتان، وإنه نزل هنالك، وذلك في يوم الخميس الثالث من شعبان سنة ٥٩١ هـ (١٣ يوليه سنة ١١٩٤ م)، وما كاد الجيش الموحدي يستقر في محلته حتى ظهرت سرية من خيل القشتاليين خرجت لتستطلع أخبار المسلمين، فظفرت بها طائفة من الجند الموحدين وأبادتها قتلا. ومضت بضعة أيام أخرى قبل أن يقع الاشتباك بين الجيشين، ولم تكن ثمة سوى الطلائع من الجانبين، وكانت الخسارة تقع في معظم الأحيان على القشتاليين. وفي خلال ذلك كان الخليفة المنصور، يعقد المؤتمرات الحربية، ويجري مشاوراته مع أشياخ مختلف القبائل، ويروي لنا صاحب روض القرطاس أنه لما استشار قواد الأندلس أحالوه على كبيرهم أبي عبد الله ابن صناديد، وأن ابن صناديد أبدى رأيه للخليفة، بأنه يجب أن تبدأ المعركة باشتباك سائر حشود الأندلس وقبائل العرب، وسائر قبائل المغرب من زناتة والمصامدة وغيرهم وجند **المتطوعة**، وأن ينتظر الخليفة في المؤخرة ومعه جيوش الموحدين والعبيد والحشم في موضع مستور، فإن أسفرت المعركة عن انتصار المسلمين فبها، وإن أسفرت عن هزيمتهم، فعندئذ يبادر الخليفة في قواته إلى لقاء العدو، وليحمي ظهور المسلمين، ويكون العدو عندئذ قد خبت قواه، فيكون النصر للمسلمين، وأن الخليفة قد أعجب بهذا الرأي وقرر اتباعه (٢).

ويقدم إلينا صاحب روض القرطاس فوق ذلك تفاصيل هامة عن تقسيم الجيش

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤/١٩٨

(١) الأرك هي بالإسبانية Alarcos، وثيوداد ريال هي Ciudad Real ومعناها المدينة الملكية. وتقوم مكان الأرك اليوم محلة صغيرة تسمى Sta Maria de Alarcos في فحص قلعة رباح.

(٢) روض القرطاس ص ١٤٧.." (١)

"الموحدي وقواده في ذلك اللقاء الهام، فيقول لنا إن الخليفة جلس في يوم السبت الخامس من شعبان في قبته الحمراء واستدعى الشيخ أبا يحيى بن أبي محمد بن أبي حفص، وهو حفيد الزعيم عمر بن أبي حفص الهنتاني صاحب المهدي، وكان من أكبر وزرائه، فولاه قيادة الجيش العامة، وقدم ابن صناديد على عساكر الأندلس وحشودها، وجيرمور بن رياح على جميع قبائل العرب، ومنديل المغراوي على قبائل مغراوة، وعقد لمحيو بن أبي بكر بن حمامة على جميع قبائل بني مرين، ولجابر بن يوسف على قبائل عبد الواد، وعقد لعبد القوي التجيني على قبائل تجين، ولتجليدر على قبائل هسكورة وسائر المصامدة، ولمحمد بن منغفاد على قبائل غمارة. وعقد أخيرا للحاج أبي خزر يخلف الأوريني على سائر **المتطوعة**، وذلك على أن تكون هذه القيادات جميعها تحت القيادة العامة لأبي يحيي بن أبي حفص. واختص أمير المؤمنين من جانبه بكافة عسكر الموحدين والعبيد (١).

وكان الخليفة المنصور، قد قرر مع قادته أن تبدأ الجيوش الموحدية بالزحف على محلة النصارى. وتحركت الجيوش الموحدية بالفعل خلال السهل المنبسط أمام ربوة الأرك، حتى صارت على مقربة منها، ونزلت في السهل المنخفض الممتد أمامها، وهي تشرف عليه بمنعتها ووعورتها من عل، وكان ذلك في يوم الثلاثاء الثامن من شعبان (١٧ يوليه) فلما رأى النصارى اقتراب الموحدين خرجت جملة من قواتهم، وتقدمت قليلا من مراكز الجيش الموحدي، ولكن الموحدين لم يفعلوا شيئا للاشتباك مع العدو. ذلك أن الخليفة المنصور لم يشأ أن يخوض الموحدون المعركة في ذلك اليوم، بل قرر خوضها في اليوم التالي. فلما رأى النصارى المتقدمون جمود الموحدين، عادوا إلى محلتهم فوق ربوة الأرك وقد أثقلتهم أسلحتهم (٢).

وفي اليوم التالي. وهو يوم الأربعاء التاسع من شعبان سنة ٥٩١ هـ (١٨ يوليه سنة ١١٩٥ م) كانت الجيوش الموحدية كلها على قدم الأهبة، وقد " عبئت تعبئة حرب "، وعقدت الرايات لسائر القبائل والطوائف، وجعل القائد العام أبو يحيى عسكر الأندلس في الميمنة، وزناتة وسائر القبائل المغربية والعرب في

---

(١) روض القرطاس ص ١٤٨.

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤/٢٠٠

(٢) الرواية النصرانية اللاتينية Chronique Latine des Rois de Castille وقد أوردها الأستاذ هويثي في بحثه عن معركة الأرك Campana de Alarcos المنشور بمجلة المعهد المصري بمدريد Vol. II. p. 62-67، ثم في كتابه Grandes Batallas de la Reconquista, p. 152.." (١)

"الميسرة، وجعل **المتطوعة** والرماة والأغزاز في المقدمة، واحتل هو القلب مع قومه من قبيلة هنتانة. وبقى المنصور في خاصته، وفي جند الموحدين والعبيد في المؤخرة، على أهبة للتدخل في اللحظة الحاسمة (١).

ووقعت قبيل المعركة بقليل في المعسكر الموحدي، مناظر مؤثرة، حيث قام القائد العام الوزير أبو يحيى وصاح بصوت جهوري يقول للناس: إن أمير المؤمنين يطلب إليهم أن يغفروا له، فإن هذا موضع غفران، وأن يتغافروا فيما بينهم، وأن يطيبوا نفوسهم، وأن يخلصوا نياتهم لله، فبكى الناس، وصاحوا من جانبهم بطلب الغفران من الخليفة، وأنهم بيمن نيته وصدق طويته، يرجون الخير من الرحمن. ثم قام القاضي أبو علي بن حجاج، وألقى خطبة بليغة تفيض حماسة وبيانا، في الحث على الجهاد وفضله ومكانته وقدره عند الله، وكان لهذه الحركة آثارها في إنعاش النفوس وتنبيه الضمائر، وتنقية السرائر، وإذكاء العزائم (٢).

ويجدر بنا قبل أن نصف أدوار المعركة، أن نصف البقعة التاريخية، التي وقعت فيها، وقد أتيح لنا زيارتها ودراستها (٣).

إن ميدان معركة الأرك Alarcos، ما زال معروفا بمواقعه وحدوده، تعينه وتحدده، لا الرواية المتواترة فقط، ولكل تحدده كذلك آثار حصن الأرك الشهير، الذي عرفت باسمه المعركة، والذى تقوم اليوم مكانه، فوق نفس الربوة التي كان يحتلها، كنيسة، أو معبد يسمى "كنيسة القديسة مريم صاحبة الأرك" Sta Maria de Alarcos.

ويقع هذا المكان على قيد نحو ستة كيلومترات من غربي مدينة " ثيوداد ريال " الحديثة، وشمال غربي بلدة " بوبليتي " الصغيرة، وتفضي إليه طريق جبلية معبدة، تخترق في البداية بسيطا أخضر من الأرض، يفضي غير بعيد إلى مجموعة من الهضاب الصغيرة. وعلى نحو أربعة كيلومترات من هذه الهضاب، تقع ربوة الأرك Alarcos التي تقوم عليها اليوم، فوق أنقاض الحصن القديم كنيسة القديسة مريم، أو سيدة الأرك، وهذه الكنيسة أو المعبد، حسبما يسمى في تلك الناحية Ermita

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢٠٢/٤

(١) روض القرطاس ص ١٤٨ و ١٤٩، ونفح الطيب ج ٢ ص ٥٣٧.
(٢) البيان المغرب – القسم الثالث ص ١٩٤.
(٣) كان ذلك في اليوم الثالث والعشرين من أبريل سنة ١٩٦٣.." (١)

"والبحر الزاخر، أسرابا تتلو أسرابا وأمواجا تعقب أمواجا ". ويقدر صاحب روض القرطاس، من هبط في هذه الدفعة الأولى من القشتاليين بنحو سبعة آلاف أو ثمانية آلاف فارس "كلهم قد احتجب بالحديد والبيضات والزرد ". ثم يتتبع حركات هذه القوة النصرانية المهاجمة، فيقول إنها اندفعت حتى لطمت خيلها أطراف رماح المسلمين أو كادت، ثم تقهقرت قليلا، وعادت إلى الاقتراب من المسلمين، ثم ارتدت وتهيأت للهجوم الفعلي، وفي أثناء ذلك كان الشيخ أبو يحيى والقائد ابن صناديد، يحث كل منهما الجند على الثبات وإخلاص النيات والأعمال. وأخيرا تركز هجوم القشتاليين على قوات القلب التي يقودها القائد العام أبو يحيى، معتقدين أنه هو الجناح الذي يقوده الخليفة، وكان المنصور قد أمر بالفعل بأن ترفع الأعلام الخليفية على القلب، فقاتل أبو يحيى وجنوده أشد قتال، ولكن الصدمة كانت عنيفة، فقتل أبو يحيى، وقتل معه جماعة من من هنتانة، **والمطوعة** وغيرهم. وعندئذ تقدمت قبائل العرب **والمطوعة** والأغزاز والرماة، وأحاطوا بالنصارى من كل جانب، ودفع القائد ابن صناديد بجيوش الأندلس إلى المعركة وزحفت معه قبائل زناتة وسائر قبائل البربر، واندفعت الجيوش الموحدية بجملتها نحو محلة القشتاليين، واشتد القتال بين الفريقين، وسالت الدماء بغزارة، وكثر القتل في مقدمة القشتاليين، التي اضطلعت بالهجمة الأولى، واستمر القتال على هذا النحو بعنف وشدة، حتى اضطر القشتاليون إلى التقهقر والفرار نحو الربوة التي تحتلها محلتهم، وبدت بوادر الهزيمة على القشتاليين (١).

ولكن صاحب البيان المغرب، وهو فيما يرجح ينقل عن رواية ابن صاحب الصلاة وهي رواية معاصرة، يقدم إلينا عن المعركة صورة أخرى. فيقول لنا إن هجوم القشتاليين تركز أولا على ميسرة الجيوش الموحدية، وأنه أسفر عن تقهقر جماعة من **المطوعة** وأخلاط السوقة، فلما رأى المنصور ذلك، نهض بنفسه، وترك ساقته على حالها، وتقدم منفردا، وهو يحث الجند على الثبات والهجوم على العدو، فكان لحركته أعمق وقع في نفوس الجند، فاضطرمت هممهم وعزائمهم، واندفعت سائر الحشود والقبائل نحو القشتاليين بشدة، والتحم الجيشان، واشتد القتال، وكثر القتل في صفوف القشتاليين، واضطروا في النهاية إلى التقهقر والفرار.

ودامت المعركة من ضحى اليوم حتى غروب الشمس، وأسفرت عن قتل جموع

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢٠٣/٤

(١) روض القرطاس ص ١٤٩ – ١٥٠.." (١)

"عظيمة من النصارى، واستطاع ملك قشتالة أن يفر في نحو عشرين فارسا من أصحابه، فسار تحت جنح الليل صوب طليطلة لا يلوي على شيء، واعتصمت معظم فلول النصارى بحصن الأرك (١).

وتفصل لنا الرواية الإسلامية ما حدث بعد هزيمة القشتاليين في الجولة الأولى. ويبدو من أقوال صاحب روض القرطاس، أن ألفونسو الثامن ملك قشتالة، كان عندئذ معتصما مع باقي قواته بربوة الأرك، فلما ارتد القشتاليون، وفروا نحو الربوة يحاولون الاعتصام بها، حالت بينهم القوات الموحدية، فارتدوا ثانية نحو السهل، فحملت عليهم العرب والمطوعة وهنتانة والأغزاز والرماة، وحصدوهم حصدا، وأفنوهم حسبما تقول الرواية عن آخرهم. ولما علم أمير المؤمنين بما حدث، ضربت الطبول ونشرت الرايات، وفي مقدمتها اللواء الخليفي الأبيض، وزحف المنصور في القوات الموحدية نحو القشتاليين، تؤيده سائر الحشود والقبائل. وكان ملك قشتالة حينما رأى ما حل بقواته، وضرب الطبول، وعجيج الأبواق، قد اعتزم أن يلقى ضد الموحدين بما تبقى من قواته، ولكن القشتاليين حينما رأوا كثافة الجيوش الموحدية، وروعة هجومها واضطرامها عولوا على الفرار، فتلاحقت بهم فرسان الموحدين، تحصدهم قتلا وأسرا، وأحاط المسلمون بحصن الأرك، يظنون أن ألفونسو الثامن قد اعتصم به، ولكن تبين أنه قد لاذ بالفرار من أحد أبوابه الخلفية، فدخل المسلمون الحصن عنوة، وأضرموا النار في أبوابه، واحتووا على جميع ما فيه، وما في محلة النصارى، من الذخائر والأسلاب والسلاح والمتاع والدواب والنساء (٢).

وعلى أي حال، فإنه يبدو من أقوال الرواية الإسلامية، أن القشتاليين هم الذين بدأوا بالهجوم على الموحدين، وتؤيدها في ذلك الرواية النصرانية. وتقدم إلينا الرواية النصرانية عن المعركة، وصفا موجزا يختلف قليلا عما تقوله الرواية الإسلامية، وهو أنه لما رأى القشتاليون الموحدين، يتقدمون من محلتهم في الصباح الباكر من ذلك اليوم، حدثت ضجة في معسكر النصارى، وخرج القشتاليون في قليل من النظام وتقدموا، ثم اشتبكوا مع المسلمين، وفي الصدمة الأولى سقط عدة من أكابر النصارى، واشتد القتال بين الفريقين، وسالت الدماء بغزارة.

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢٠٦/٤

(١) البيان المغرب – القسم الثالث ص ١٩٤ و ١٩٥.

(٢) روض القرطاس ص ١٥٠.." (١)

"الفصل السادس موقعة العقاب

انشغال الموحدين بحوادث إفريقية عن شئون الأندلس. سكون الممالك النصرانية منذ الأرك. شعورها بسنوح الفرصة لاستئناف الغزو. انتهاء الهدنة بين قشتالة والموحدين. إغارة ألفونسو الثامن وفرسان قلعة رباح على أراضي الأندلس. إغارة ملك أراجون على أراضي بلنسية. اهتمام الناصر لتلك الحوادث. اعتزامه العبور للجهاد واستنفاره للقبائل. خروج الناصر في قواته إلى رباط الفتح. مسيره إلى قصر كتامة. صعوبة تموين الجيش. مؤاخذة العمال المقصرين. عبور الجيوش الموحدية إلى شبه الجزيرة. عبور الناصر ومسيره إلى إشبيلية. الاستعداد وحشد الجند في سائر الكور. خروج الناصر في الجيوش من إشبيلية إلى قرطبة. مسيره إلى قلعة شلبطرة. أحوال الممالك النصرانية عندئذ. الصلح والتهادن بينها. عدوان ملك قشتالة على الأندلس. اتخاذ قلعة شلبطرة قاعدة لهذا العدوان. غارات أراجون في الشرق. البابوية والصفة الصليبية لحروب النصارى ضد الأندلس. سعى البابا إنوصان لمعاونة ملك قشتالة. صدى مقدم الجيوش الموحدية. حصار الناصر لقلعة شلبطرة. عجز ألفونسو عن إنجادها وتسليمها بالأمان. رواية صاحب روض القرطاس عن الحصار. ما ينقض هذه الرواية. عود الناصر إلى إشبيلية. أهبة ملك قشتالة. معاونة البابا والأحبار النصارى. احتشاد جماعات الفرسان. مقدم **المتطوعة** الصليبيين من سائر الأنحاء. اجتماع جيوش قشتالة وأراجون ونافارا. الصوم والابتهال في رومة. أقوال الرواية الإسلامية عن هذه الأهبة. ما ورد في كتاب الخليفة. أهبة الناصر. مقدم الحشود الجديدة. خروج الجيوش النصرانية من طليطلة. خروج الناصر في جيوشه من إشبيلية. مسير النصارى إلى قلعة رباح ومهاجمتهم إياها. يأس حاكمها ابن قادس من النجدة وتسليمه بالأمان. ما أثاره هذا من خلاف بين القشتاليين وحلفائهم الأجانب. مغادرة معظم **المتطوعة** الأجانب للمعسكر النصراني. إشارة الرواية الإسلامية إلى ذلك. وصول الناصر إلى جيان. مقدم ابن قادس إليه. اتهامه وصهره بالخيانة وإعدامهما. سخط الأندلسيين لذلك. إصلاح ما حدث بالمعسكر النصراني. مسير سائر الجيوش النصرانية إلى الجنوب. صعودها إلى جبل الشارات ونزولها في ممر موراردال. مسير الجيوش الموحدية لملاقاة العدو. أقسام الجيش الموحدي وعدده. مبالغة الرواية الإسلامية في تقديره. عبور الموحدين لنهر الوادي الكبير. احتلالهم لممرات جبل الشارات. نزولهم في السهل المواجه لممر تولوسا. توقف الناصر للقاء

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢٠٨/٤

النصارى. وصف عيان لميدان الموقعة. حصن العقاب. الطريق الرومانى والنهر. بويرتودل مورادال. مائدة الملك. استيلاء النصارى على قلعة فيرال أو حصن العقاب. تعذر عبورهم لجبل الشارات من تلك الناحية. قصة الراعي والممر السهل. تحول الجيش النصراني واحتلاله لمرتفع " مائدة الملك ". وقوف الموحدين على تلك الحركة. تعبئة الجيوش الموحدية للقتال. المناوشات الأولى. ترتيب الجيش الموحدي لخوض المعركة. موقع قبة الخليفة وحرسه. تنظيم الجيش النصراني وقيادته. استعداد الفريقين للمعركة. بدء النصارى بالهجوم. هجوم طلائعهم على مقدمة الجيش الموحدي. هجوم جناحى النصارى على جناحى الموحدين. المعركة الهائلة. ارتداد **المتطوعة** المسلمين. ثبات الموحدين ورد جناحى النصارى." (١)

"من قبل، ولحق الجند والناس من جراء ذلك ضيق وشدة. ووقف الناصر على ذلك، فاستشاط غضبا، وأدرك ما هنالك مما يرتكب من ضروب الإهمال والاختلاس، فأمر بمؤاخذة سائر العمال المقصرين ومعاقبتهم، وطلب إلى الشيخ أبي محمد بن أبي علي بن مثنى صاحب الأعمال المخزية والأشغال العملية، بالقبض على عامل فاس، وهو عبد الحق بن أبي داود، فقبض عليه وعلى سائر نوابه من العمال المحليين، واستصفيت أموالهم. وكذلك أمر الناصر، حينما وصل إلى قصر كتامة بالقبض على عامل سبتة محمد بن يحيى المسوفى، لما بدا من إهماله وفساده، والقبض كذلك على سائر نوابه، وتوجيههم جميعا مصفدين إلى صاحب الأعمال بفاس (١).

وحشدت السفن من سائر الأنحاء، لعبور الجيوش الموحدية إلى شبه الجزيرة، واستمر عبورها بضعة أسابيع، واستمر الناصر مقيما بالقصر، حتى تم عبور ساقته وأثقاله وحاشيته وحرسه. وركب البحر في يوم الاثنين أول شهر ذي الحجة (١٥ مايو) ونزل بساحل طريف، وهنالك استقبله قواد الأندلس وفقهاؤهم، وأقام بطريف ثلاثة أيام، ثم سار في جيوشه الجرارة إلى إشبيلية، فوصلها يوم الاثنين منتصف ذي الحجة (آخر مايو) ونزل بقصور البحيرة الواقعة إزاء باب جهور، وتم استقرار الجيوش الموحدية بالحاضرة الأندلسية، وذلك في نهاية سنة ٦٠٧ هـ (منتصف يونيه سنة ١٢١١ م).

وما كاد الناصر يستقر بإشبيلية حتى أمر باستنفار الحشود الأندلسية، وصنع الآلات الحربية، واستدعاء الجند والغزاة، من سائر الكور، ووصولهم مع العمال والولاة، فلما تم تنفيذ هذه الأوامر، وتم حشد الجند، واستكمال الأمداد من سائر الجهات، وأصبحت الجيوش الموحدية في حالة تعبئة كاملة، شرع الناصر في الحركة، وخرج من إشبيلية في جيوشه من الموحدين والعرب وأهل الأندلس **والمطوعة** والأغزاز وغيرهم من

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢٨٢/٤

طوائف الجند، وسار جنوبي الوادي متجها نحو قرطبة، ثم سار منها إلى جيان وبياسة. وكان النصارى هم الذين حددوا بتصرفهم، الهدف الذي يقصد إليه الناصر بجيوشه، وهو قلعة شلبطرة (٢)

---

(١) البيان المغرب – القسم الثالث ص ٢٣٧، وروض القرطاس ص ١٥٥.

(٢) شلبطرة حسبما يرسمها صاحب الروض المعطار (ص ١٠٩) هي بالإسبانية Salvatierra ويرسمها صاحب روض القرطاس (ص ١٥٦) وابن خلدون (ج ٦ ص ٢٤٩) سربطرة أو شربطرة. ويرسمها المراكشي (المعجب ص ١٨٢) شلب ترة، ويقول إن معناها " الأرض البيضاء " ويتابعه في هذا الرسم النويرى (طبعة ريميرو ج ٨ ص ٢٧٩)." [١]

"بأهل ملته وحثهم على حماية دينهم، فاستجابوا، وانثالوا عليه من كل مكان ". ويقول لنا المراكشي وهو مؤرخ معاصر، إنه بعد رجوع أمير المؤمنين أبي عبد الله من هذا الفتح المتقدم الذكر (أعني فتح شلبطرة) إلى إشبيلية، استنفر الناس من أقاصى البلاد، فاجتمعت له جموع كثيفة (١). وإذن فمن الواضح أن غزوة شلبطرة كانت غزوة مستقلة، اقتصرت على فتح هذه القلعة المنيعة، وأن القوات الموحدية التي قامت بفتحها، لم تكن هي تلك الجيوش الجرارة التي عادت بعد ذلك بأشهر، لتلتقى مع الجيوش النصرانية في " مرتفعات " العقاب، وأن الموحدين والنصارى، قد انتفع كلاهما، بتلك الفترة لمضاعفة الأهبة والاستعداد.

ففي الوقت الذي حل فيه الناصر بإشبيلية، بعد عوده من غزوة شلبطرة، كان ملك قشتالة، يبذل أقصى جهوده في استكمال أهباته لمقاتلة الموحدين. ولم تكن هذه الأهبة تقتصر على قشتالة وحلفائها من ملوك اسبانيا النصر انية، ولكنها كانت تمتد بعيدا إلى ما وراء ذلك. وقد سبق أن أشرنا إلى مسعى ملك قشتالة لدى البابا، ليسبغ الصفة الصليبية على محاربته للمسلمين، وأن البابا قد استجاب إلى رغبته، وكتب إلى الأساقفة بدعوة النصارى في جنوبي فرنسا وغيرها إلى التطوع لمقاتلة المسلمين، وكان سقوط شلبطرة وهي مركز فرسان قلعة رباح في أيدي الموحدين على النحو المتقدم، نذيرا جديدا بتفاقم الخطر على مصاير اسبانيا النصرانية، وبتأكيد هذه الصفة الصليبية (٢). وكان المطران المؤرخ ردريك الطليطلى، وعدة من أكابر الأحبار عندئذ يجوبون جنوبي فرنسا لجمع المتطوعين. واستمرت هذه الجهود الصليبية تبذل خلال عام ١٢١١ م، وكانت الوفود المتطوعة تأتى تباعا إلى طليطلة، التي تقرر أن تكون مكانا لاجتماع الجيوش، والوفود المختلفة. وفي أوائل سنة ١٢١٢ م، عاد المطران ردريك ومعه جمهرة كبيرة من المتطوعة الفرنسيين،

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢٨٦/٤

ثم اجتمعت بعد ذلك وفود المدن الإسبانية، وفرسان الولايات القشتالية المختلفة، وفرسان الجمعيات الدينية، وهم فرسان قلعة رباح، وشنت ياقب، والأسبتارية، والداوية (فرسان المعبد)، واجتمع كذلك سائر القوامس والفرسان القشتاليين، وفي مقدمتهم رؤساء أسرة لارا وفرسانها، والكونت ديجو لوبيث، ولوبى دياث دي هارو، ومن معهم من الفرسان. وكان

---

(١) الروض المعطار ص ١٣٧، والمعجب ص ١٨٢.

(٢) La Orden de Calatrava ; p. 18." (١)

"أخيرا بالرغم من خصومته القديمة لقشتالة، ومهادنته للموحدين، أن يشترك في تلك الحملة الصليبية بقوة صغيرة من الفرسان، وذلك نزولا على نصح البابا وإلحاحه (١)، وهكذا استأنفت القوات النصرانية المتحدة سيرها إلى الجنوب نحو الأراضي الإسلامية، ومرت بشلبطرة دون أن تتعرض لها، حتى أشرفت طلائعها على مرتفعات جبال الشارات (سييرا مورينا)، ثم لحقت بها سائر القوات الأخرى، واحتلت البسيط العلوى المقفر المسمى ممر مورادال، وذلك في يوم ١٣ يوليه (العاشر من صفر سنة ٦٠٩ هـ).

وفي خلال ذلك كان الخليفة الناصر، قد تحرك في جيوشه الجرارة نحو الشمال لملاقاة العدو، وكانت الجيوش الموحدية، قد قسمت كالعادة إلى وحداتها العنصرية والقبلية، فكانت خمسة أقسام، يتكون القسم الأول من طوائف العرب، ويتكون القسم الثاني من القبائل المغربية مثل صنهاجة وزناتة والمصامدة وغمارة وغيرها، والقسم الثالث من الجنود ارمتطوعة، والقسم الرابع من جند الموحدين النظامية، والقسم الخامس من جنود الأندلس. أما عن عدد الجيوش الموحدية التي كان يقودها الناصر، فقد بولغ في شأنه مبالغة كبيرة. ويقول لنا صاحب روض القرطاس، إن الناصر قد خرج في جيوش لا تحصى وأمم كالجراد المنتشر، قد ملأت السهل والوعر، وضاق بهم المتسع والنجد والغور. ثم يقدم إلينا في موضع آخر أرقام الجيوش الموحدية مفصلة، فيقول إن عدد المتطوعة بلغ مائة وستين ألفا بين فارس وراجل، وبلغ عدد الرجال المحشودين ثلاثمائة ألف راجل، وبلغ عدد العبيد الذين يمشون بين يدي الخليفة بالحراب ويدورون حوله ثلاثون ألف عبد، ومن الرماة والأغزاز (الغز) عشرة آلاف. وذلك كله دون المرتزقة من الموحدين وزناتة والعرب وغيرهم. ومعنى ذلك أن الجيوش الموحدية بلغت مجتمعة نصف مليون مقاتل غير المرتزقة (٢). وفي رواية أخرى لا تقل مبالغة وإغراقا أن الجيوش الموحدية كانت تضم ستمائة ألف مقاتل (٣)، وهذا

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢٩٣/٤

تقدير لا يمكن أن يسيغه العقل، إذ كان من المستحيل ماديا أن يكفل تموين مثل هذا الجيش، وخصوصا في مثل هذه المنطقة الوعرة التي كان يخترقها الجيش الموحدي للقاء

---

(١) البيان المغرب – القسم الثالث ص ٢٤١.

(٢) روض القرطاس ص ١٥٥ و ١٥٩ و ١٦٠.

(٣) المقري في نفح الطيب ج ٢ ص ٥٣٨، ونقله السلاوي في الإستقصاء ج ١ ص ١٩١." (١)

"وغرسية روميرو لمعاينة هذا الطريق، ولما تحققا من صحة كل ما قاله الراعى، بادر الجيش النصراني في نفس اليوم – وهو يوم السبت ١٤ يوليه – بالسير إلى ذلك المرتفع الجديد، واحتلوا بسيطه – وهو البسيط الذي يطلق عليه اليوم اسم " مائدة الملك " Mesa del Rey وهو الذي وصفناه، وبينا موقعه فيما تقدم. وحصنوا ما حوله، وبقيت بقية الجيش النصراني مرابطة من ورائه، واعتبر هذا الراعى المرشد منقذا أرسله الله (١).

ولم يخف أمر هذه الحركة التي قام بها الجيش النصراني على الموحدين، وقد وقفوا في الحال على مكان عدوهم الجديد، وحاولت فرقة من الفرسان الموحدين عبثا أن تنتزع هذا المرتفع الجديد من أيدي النصارى. وصدرت أوامر الخليفة الناصر بتعبئة الجيوش الموحدية لخوض المعركة في الحال، ولكن الملوك النصارى آثروا الاعتصام مؤقتا بمركزهم المنيع، ولم يريدوا بالأخص أن يخوضوا المعركة في يوم أحد، واقتصر الأمر على بعض المناوشات البسيطة بين سريات الفرسان من الفريقين. بيد أنه لم يكن من الميسور على النصارى أن يؤخروا خوض المعركة لأكثر من يوم، أولا لقلة مؤنهم، وخوفهم أن تنضب بسرعة، وثانيا لكون الجيش الموحدي، لبث منذ يوم السبت في حالة تعبئة مستمرة للقتال، وقد يفاجئ الجيش النصراني بالهجوم. وكان الناصر على علم مستمر بأحوال الجيش النصراني، وكانت كل تقديراته تؤكد له تحقيق الظفر المنشود.

وليس لدينا في الرواية الإسلامية تفاصيل شافية، عن التنظيمات التي وضعت للجيوش الموحدية لخوض المعركة، بيد أنه يبدو مما ذكره لنا صاحب روض القرطاس، وكذلك ما يذكره لنا ردريك الطليطلى، وهو من شهود المعركة، أن الجيش الموحدي، قسم وفق الأوضاع الموحدية من خمس فرق، تتألف الفرقة الأمامية من القوات المتطوعة من مختلف الطوائف، وتتألف قوات القلب والقوات الاحتياطية من الجند الموحدين، وهم أغلبية الجند النظامية، وتتألف الميمنة من القوات الأندلسية، والميسرة من قوات البربر من مختلف

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤/٣٠٠

القبائل.

---

(١) وردت هذه التفاصيل وهذه القصة في معظم التواريخ النصرانية الإسبانية. ويراجع في ذلك Primera Cronica General (Ed. Pidal) Vol. II. p. 698 ونقلها الأستاذ هويثى في كتابه: Las Grandes Batallas de la Reconquista ; p. 250 -. ونقلها أيضا أشباخ في تاريخ المرابطين والموحدين (الترجمة العربية) ص ٣٦٥.." (١)

"الليل في الصلاة والدعاء، وتلقى البركة والغفران البابوى على يد الأساقفة ورجال الدين. ولم نجد في الرواية الإسلامية ما يشير إلى أنه وقع في الجيش الموحدي في تلك الليلة، شيء من تلك المناظر المؤثرة، التي وقعت به قبيل اضطرام معركة الأرك، من تبادل الاستغفار بين الخليفة والناس، ومن وعظ وبكاء وحث على الجهاد، فقد كان الخليفة الناصر حسبما تشير سائر الروايات، واثقا من النصر، واثقا من تفوقه العددي الهائل، ولم يكن ينتظر سوى بدء المعركة لإحراز النصر المنشود.

وبدأت المعركة في الصباح الباكر من يوم الاثنين الخامس من صفر، وكان كل من الجيشين على أهبة لخوضها، وقد رتبت صفوفه وفقا للأوضاع التي سبق وصفها. وبدأ النصارى بالهجوم، فهبطت طلائعهم مسرعة من المرتفع الذي تحتله الجيوش النصرانية في بسيط " مائدة الملك " Mesa del Rey إلى السهل الأسفل الذي يحتله الجيش الموحدي، والذى يشغل بسيطا شاسعا، يقع عند الطرف الغربي من بلدة " سانتا إيلينا "، ويستند من الخلف إلى سلسلة من المرتفعات المنخفضة، وانقضت على مقدمة الجيش الموحدي، فلقيتهم صفوف **المتطوعة** بقوة وثبات، واقتتل الفريقان بشدة حتى بدأ النصارى في التراجع، فأدركتهم الأمداد، وعادوا إلى الثبات تعززهم فرق الفرسان، التي صعب على **المتطوعة** الموحدين اختراقها، وهجم في نفس الوقت جناحا الجيش النصراني على جناحى الجيش الموحدي، واحتدمت بين الجيشين معركة هائلة عامة، وكانت طبول الساقة الموحدية، تهز الآفاق بدويها الرائع. ويستفاد من أقوال الروايتين الإسلامية والنصرانية، أن **المتطوعة** المسلمين بعد ثباتهم الأول، قد ارتدوا تحت ضغط النصارى الهائل، وكثر القتل فيهم، بل يقول لنا صاحب روض القرطاس، إنهم لبثوا يقاتلون حتى إستشهدوا عن آخرهم " وعساكر الموحدين والعرب وقواد الأندلس ينظرون إليهم لم يتحرك منهم أحد " (١). ولكن النصارى حين تقدموا بعد التغلب على فرق **المتطوعة** إلى قلب الجيش الموحدي، لقوا من الجند الموحدين أشد مقاومة،

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣٠٨/٤

وردوا على أعقابهم. ومن جهة أخرى، فإن قوات الميمنة والميسرة الموحدية استطاعت بعد قتال عنيف أن ترد جناحى الجيش النصراني، وأخذ النصارى حسبما تقول لنا الرواية النصرانية ذاتها، في الارتداد

(١) روض القرطاس ص ١٥٨.." (١)

"الفصل الثالث سقوط بلنسية وقواعد الشرق

أبو جميل زيان يوطد سلطانه في بلنسية. استيلاؤه على دانية. خروجه لغزو أراضي أراجون. مشروع ملك أراجون لافتتاح بلنسية. إعلانه الصفة الصليبية لهذا الفتح. بداية حرب بلنسية. استيلاء الأرجونيين على آرش. انضمام السيد أبي زيد لجيش الغزو الأرجونى. حصار ملك أراجون لبريانة وأخذها. استيلاؤه علي بنشكلة وعدة حصون أخرى. سقوط قسطلونة. سقوط مونكادة ومشروس. حصن أنيشة وأهميته. هدمه واحتلال الملك خايمى لموقعه. تأهب زيان لمدافعته. موقعة أنيشة. هزيمة المسلمين ومصرع كثير من علمائهم. مصرع أبي الربيع سليمان كبير علماء الأندلس. رثاء ابن الأبار له. تعجيل خايمى بالاستعداد لفتح بلنسية. اجتماع الكورتيس وحشد الجنود. مسيره في قواته صوب بلنسية. تسليم حصون بلنسية الأمامية. تضخم جيش الفتح. حشود الأحبار والمتطوعة. محاصرة خايمى لبلنسية. سوء الأحوال داخل المدينة. اعتزام المقاومة. استنجاد زيان بالقواعد القريبة. اتجاهه إلى الاستنصار بأمير إفريقية. إرساله كاتبه ابن الأبار سفيرا إليه. قصيدة ابن الأبار في صريخ الأندلس. اهتمام الأمير أبي زكريا. إرساله أسطولا لإنجاد بلنسية. عجز هذا الأسطول عن الاتصال بالمدينة المحصورة. تفريغه لشحنته في دانية. اشتداد محن الحصار على بلنسية. اضطرار زيان إلى المفاوضة في التسليم. لقاؤه للملك خايمى. ما كتبه ابن الأبار عن وصف اللقاء وشروط التسليم. ما تقوله الرواية النصرانية في ذلك. جلاء المسلمين عن بلنسية. خايمى الفاتح وأكابر الأحبار يدخلونها. خواطر عن سقوط بلنسية. سقوطها يذكى فجيعة الشعر والنثر. شيء من رثاء ابن الأبار. بعض ما قاله أبو المطرف بن عميرة. شيء من نظمه في ذلك. قصيدة أخرى موجهة إلى أمير إفريقية. مرسوم الخليفة الرشيد بالتصريح لأهل بلنسية وقواعد الشرق بالنزول في رباط الفتح. مسير الأمير زيان إلى جزيرة شقر ثم إلى دانية. نزوح ابن الأبار إلى تونس. اتجاه زيان إلى مرسية. أحوال مرسية بعد وفاة ابن هود. أبو بكر عزيز بن عبد الملك بن خطاب ينتزع رياستها. استدعاء بعض أهلها لزيان. قدومه إلى مرسية. قبضه على ابن خطاب وإعدامه. دعوته لأمير إفريقية. رسالته إلى الأمير في ذلك. استخدامه لابن عميرة في

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣١١/٤

منصب الكتابة. محاولة عقد السلم مع ملك قشتالة. خروج محمد ابن هود عليه. مغادرة زيان لمرسية والتجاؤه إلى لقنت. سقوطها في أيدي الأرجونيين ونزوحه إلى إفريقية. استيلاء الأرجونيين على دانية وشاطبة. نقضهم للهدنة مع أهل شاطبة وإجلاؤهم عنها. اتفاق محمد بن هود وأهل مرسية على التفاهم مع النصارى. إرسالهم سفيرا إلى ملك قشتالة يعرض الاعتراف بطاعته. قبول ملك قشتالة والتفاهم على التسليم. مسير ولى عهد قشتالة وتسلمه مرسية صلحا. احتلال النصارى لمرسية وبعض حصونها. احتفاظ لورقة ومولة وقرطاجنة باستقلالها. استمرار محمد ابن هود في حكم مرسية ومن بعده ولده أحمد. تعليل هذه الظاهرة. ثورات المدجنين في بلنسية واشتداد ساعد مملكة غرناطة. ثورة أبي بكر بن هود الواثق. انتزاعه لحكم مرسية. محاولته أن يخلع نير النصارى.." (١)

"إلى فتح بلنسية، وأنه لن يعود إلى المرور بطرويل أو عبور نهر طرطوشه (نهر إيبرو) قبل أن تسقط بلنسية في يده، وأنه تأكيدا لذلك سوف يصحب معه الملكة والأميرة ابنته (١). وفي شهر مارس سنة ١٢٣٨ م، خرج خايمى في قواته متجها إلى الجنوب صوب بلنسية، ووصلته أثناء مسيره رسائل من معظم الحصون الإسلامية القريبة من بلنسية تعلن الدخول في طاعته، وفي مقدمتها المنارة، ونوليس، وبطرنة، وبوليا، وأوشو، وغيرها. ولم تكن قوات ملك أراجون، عند مسيره، تعدو بضع مئات من فرسان الداوية والأسبتارية وقلعة رباح، والفرسان الملكيين، وبضع آلاف من الرجالة، ولكن هذا الجيش تضخم فيما بعد أمام بلنسية، بمن انضم إليه من أشراف وأحبار أراجون وقطلونية وأجنادهم العديدين، ومن حشود الحرس الوطنى ببرشلونة، وحشود المتطوعين الفرنسيين بقيادة مطران أربونة، وكانوا جماعة كبيرة من الفرسان، ونحو ألف من المشاة. وقد جاء معظم هذه القوات بطريق البحر، وانضمت كلها إلى الجيش الفاتح. وعول الملك خايمى على أخذ بلنسية بالحصار، فطوقها أولا بالقوات التي جاءت معه، وضرب محلته بين المدينة، وبين خليج جراو (الميناء). ولما انثالت الأمداد، وحشود المتطوعة على الجيش الأرجوني، شدد في إحكام الحصار حول المدينة، وقطع علائقها مع الخارج. وتقدر الرواية النصرانية عدد القوات التي اشتركت في حصار بلنسية بعشرة آلاف فارس، وستين ألف راجل. وكانت هذه القوات تمون بسهولة، عن طريق البحر من ثغور بنشكلة وبريانة وقسطلونة، وقد افتتحها الأرجونيون قبل ذلك بقليل.

وبدأ حصار بلنسية في الخامس من شهر رمضان سنة ٦٣٥ هـ (أبريل سنة ١٢٣٨ م) (٢) وشدد النصارى في التضييق على المدينة المحصورة، وبدأوا يضربونها بالآلات المخربة. وكانت بلنسية، مذ هزمت قواتها،

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤٣٧/٤

وسقط أبناؤها في موقعة أنيشة، قبل ذلك بأشهر قلائل، قد ساءت أحوالها، وانهارت قوي ﺷﻌﺒﻬﺎ المعنوية وأخذت تتوقع سوء المصير. بيد أنه لما ظهر النصارى تحت أسوارها، وبدت طلائع المعركة الأخيرة، اعتزم البلنسيون أن يدافعوا عن مدينتهم حتى آخر رمق. ولم يكن أميرهم أبو جميل زيان أقل عزما منهم في مدافعة النصارى، فوجه بعض

---

(١) M. Lafuente: ibid ; cit. Hist. del Rey don Jaime, T. IV. p. 85

(٢) ابن الأبار في التكملة (القاهرة) في الترجمة رقم ٣٠٣.." (١)

"ولما عين الرشيد ابن وانودين لولاية الغرب، عين معه في نفس الوقت أبا علي بن خلاص البلنسى لولاية سبتة، وعين للنظر على دار الصناعة أبا زكريا ابن مزاحم الكومي. وخرج ابن وانودين من مراكش في عسكر كبير، من الموحدين **والمطوعة** والعرب، وفوض له الرشيد النظر في أحوال البلاد، فسار أولا إلى بلاد غمارة، لينظر في شئونها، فثارت عليه بعض قبائلها، وكان عدد من هذه القبائل قد دخل في طاعة بني مرين. وكان الرشيد يعتمد على فطنة ابن وانودين، ولباقته في معالجته الأمور مع بني مرين بالكياسة والحسنى، وقد بعث معه بعض أحمال من الكسى الفاخرة برسم بني عبد الحق وأشياخ بني مرين، ولكن ابن وانودين ما كاد يصل إلى مقربة من أحيائهم، حتى بادرهم بالخصومة والعداء، وطالبهم برد الفارين إليهم من بني غمارة، فرفضوا، ووقع النزاع بين الفريقين، وانتهى إلى القتال بينهما، فأغار بنو مرين على محلة ابن وانودين، وقتلوا جملة كبيرة من أجناده، وعلم الرشيد بما حدث، فأمره بالاستقرار في تلك المنطقة، تحوطا لحركات بني مرين (١).

واستمر أمر بني مرين في تقدم، وأطاعتهم معظم القبائل في تلك المنطقة ومنها هوارة وتسولة ومكناسة، وصالحتهم بعض المدن على أموال معلومة، يؤدونها في كل عام، وكان منها فاس ومكناسة ورباط تازا وغيرها. وكان بنو مرين يرون، بعد أن ضعفت الدولة الموحدية، وعجز الخلفاء الموحدون عن ضبط البلاد، وخرجت معظم المدن والقبائل عن طاعتهم، وانتشرت الفوضى في معظم الأنحاء، أنهم غدوا أولى بالنظر في شئون الدين، وصون مصالح المسلمين وحمايتهم من العدوان والفوضى (٢).

وفي سنة ٦٣٧ هـ، وقيل في محرم سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) قتل أمير بني مرين أبو سعيد عثمان بن عبد الحق، اغتاله فتى من علوجه رباه صغيرا، ثم هرب هذا العلج إلى ابن وانودين. وقيل عندئذ أن ابن وانودين

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤٤٤/٤

هو الذي حرضه على ارتكاب جريمته (٣). فخلفه في رياسة بني مرين أخوه الأمير أبو معرف محمد ابن عبد الحق. فأطاعه بنو مرين، ولكن خالف عليه أبناء عمومته بنو حمامة، وعاد

---

(١) البيان المغرب ص ٣٥٠ و ٣٥١.

(٢) روض القرطاس ص ١٩٢.

(٣) البيان المغرب ص ٣٥١، وروض القرطاس ص ١٩٢، والذخيرة السنية ص ٦٢." (١)

"حد. وكان وقوع هذا الاعتداء المروع على ثغر سلا، في اليوم الثاني من شهر شوال سنة ٦٥٨ هـ (١٠ سبتمبر ١٢٦٠ م) (١).

وترامت هذه الأنباء المؤلمة، إلى السلطان أبي يوسف، وهو بفاس، فأهمته وأزعجته، فهرع في بعض قواته إلى سلا، وحاصر النصارى بها، واجتمعت من الأنحاء القريبة، طوائف كبيرة من **المتطوعة**، وقاتل النصارى من فوق الأسوار، وتبادل الفريقان الرمى بالنبال والأحجار، واستمر القتال على هذا النحو بضعة أيام، حتى اليوم الثالث عشر من شوال، وقتل عدد من النصارى، وأيقنوا أنهم لا يستطيعون الصمود، واضطروا أخيرا إلى مغادرة المدينة، ومعهم جملة كبيرة من أسرى المسلمين، وما نهبوه من المال والمتاع، واستقلوا سفنهم المرتبطة إلى الشاطىء، وأقلعوا بها على عجل، وذلك في اليوم الرابع عشر من شوال. وفي الحال استولى أبو يوسف على سلا ورباط الفتح، وأمر بإصلاح ما تهدم من سورها الغربي، وإصلاح جامعها ومساجدها، وكان يشترك مع كبراء قومه، في رفع الأحجار، ابتغاء الأجر.

وأما يعقوب بن عبد الله، فقد فر من القصبة، ولحق بحصن علودان من جبال غمارة، وامتنع به، فبعث أبو يوسف في أثره ولده الأمير أبا مالك، في قوة من الجند لمنازلته. وسار النصارى بسفنهم حذاء الشاطىء، دون أن يتزودوا، وهم يحاولون الحصول على الماء والطعام، والمسلمون يردونهم أينما حلوا، واستنقذ أهل العرائش منهم ثلاثة وخمسين أسيرا، نظير الماء، وانفصل بعض النصارى عن جماعتهم، وحصلوا على الأمان، والتحقوا بخدمة أبي يوسف، ودلت أنباء الطلائع المسلمة، على أن ملك قشتالة، كان قد جهز حشودا أخرى، لإنجاد رجاله، ومعاونتهم على الاحتفاظ بسلا، فلما علم بانسحابهم، قرر معاقبة قائدهم خوان غرسية، ولكن خوان استطاع الفرار مع نفر من صحبه، إلى مياه أشبونة، ولم يعد إلى قاعدته في قادس (٢). وأما أسرى سلا، الذين حملهم النصارى معهم، في سفنهم، فقد بالغت الرواية في تقدير عددهم. وقيل إن

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥١٢/٤

ما أنزل منهم في إشبيلية، بلغ نحو ثلاثة آلاف من الجنسين كبارا وصغارا، فافتدى أهل شريش المدجنون، منهم ثلاثمائة وثمانين،

---

(١) الذخيرة السنية ص ١٠٣، والبيان المغرب ص ٤٢٤.

(٢) البيان المغرب ص ٤٢٦ - ٤٢٨، وابن خلدون ج ٧ ص ١٧٨." (١)

"كبير من القرابة والصحب، واعتصموا بجبال غمارة، فبعث السلطان حملة، لقتالهم، ثم استنزلهم واسترضاهم، وعقد لأخيهم عامر بن إدريس، على جيش من نحو ثلاثة آلاف مقاتل، من بني مرين ومن المطوعة. وكانت رسائل ابن الأحمر صاحب غرناطة، تترى منذ حين على أبي يوسف، طلبا للعون والنصرة، والمشاركة في الجهاد في سبيل الله، فبعث أبو يوسف ذلك الجيش الصغير، إلى الجهاد بالأندلس، فعبروا إلى شبه الجزيرة، واستقبلهم ابن الأحمر بالضيافات والكرامات، وساروا أولا إلى مالقة، فاستقروا بها بقية سنة ستين. وفي العام التالي سنة ٦٦١ هـ، سار أولئك المجاهدون إلى أرض الفرنتيرة، وقصدوا إلى مدينة شريش، وكانت قد دعت بطاعة ابن الأحمر، ولكن النصارى احتلوها، فانتزعها المرينيون من أيدي النصارى واحتلوها، ولكن لمدى قصير فقط. بيد أن عبور هذه الكتائب المرينية القليلة، إلى شبه الجزيرة، كان فاتحة لهذا التعاون القوي المثمر، الذي انعقد بين بني الأحمر ملوك غرناطة، وبين بني مرين، ضد إسبانيا النصرانية، واستمر عصرا يشد من أزر مملكة غرناطة، ويمكنها من الصمود ضد أعدائها (١).

أما يعقوب بن عبد الله، فقد استمر على ثورته وعصيانه، معتصما بمختلف النواحي، إلى أن قتله قائد المرينيين طلحة بن علي، بناحية أرض عبولة، على مقربة من ثغر سلا، في سنة ٦٦٨ هـ، فلقى بذلك جزاءه وانتهى أمره (٢).

وكان من حوادث هذا العام أيضا - ٦٥٩ هـ - أن بعث ابن الأحمر صاحب غرناطة سفنه لغزو سبتة، لسوء تفاهم وقع بينه وبين صاحبها العزفى، فلقيتها سفن سبتة، بقيادة الرنداحى، وهزم أسطول الأندلس وقتل قائده ظافر، وسمى هذا العام بعام ظافر (٣).

- ٦ -

في خلال هذه الفترة المليئة بالحوادث، من تاريخ بني مرين، والتي انتزعوا فيها رقاعا وثغورا جديدة هامة، من أشلاء الدولة الموحدية، وأخذ نجمهم يتألق في قلب المغرب الأقصى، كان الخليفة الموحدي المرتضى

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥٤٩/٤

لأمر الله، عاكفا في

---

(١) الذخيرة السنية ص ١١٢، والبيان المغرب ص ٤٣٩، وابن خلدون ج ٧ ص ١٧٩.

(٢) ابن خلدون ج ٧ ص ١٧٩.

(٣) البيان المغرب ص ٤٣١." (١)

"وبين الموحدين، وكان عبور الناصر ردا على هذا التحدى السافر، وبدأ الناصر بالعمل على وقف هذا العدوان، فزحف أولا نحو منطقة جيان واستولى على قلعة شلبطرة، ثم عاد إلى إشبيلية وضاعف أهباته وحشوده، وخرج للمرة الثانية، من إشبيلية في المحرم سنة ٦٠٩ هـ (يونيه ١٢١٢ م). وكان ألفونسو الثامن، وحلفاؤه الملوك الإسبان، قد استكملوا أهباتهم عندئذ، ووفد لمؤازرتهم سيل من الأحبار والفرسان، **والمتطوعة** من وراء البرنيه، واتخذت الحرب الصليبية شكلها الحقيقي، والتقت الجيوش النصرانية المتحدة بالجيوش الموحدية في هضبة العقاب أسفل جبال الشارات (سيرا مورينا)، وكانت الموقعة المشئومة التي هزمت فيها الجيوش الموحدية شر هزيمة، ومزقت شر ممزق، وذلك في الخامس عشر من صفر سنة ٦٠٩ هـ (١٦ يوليه ١٢١٢ م)، وذلك كله حسبما فصلناه فيما تقدم تفصيلا شافيا.

وكانت نكبة العقاب، نذير انحلال الجبهة الدفاعية الموحدية للأندلس، ونذير انهيار الأندلس ذاتها، وقد عجل بهذا الانهيار، ما اضطرمت به الأندلس على أثر ذلك من ثورات جديدة، ومن تبدد قواها ومواردها الباقية، في حروب أهلية جديدة، ومنافسات على الزعامة، كان لها أسوأ الأثر في تفكك وحدتها، وفي تمهيد الطريق إلى سقوط قواعدها، واقتطاع أراضيها.

ولم يفت اسبانيا النصرانية، بعد أن خرجت من موقعة العقاب، مكللة بغار الظفر الساحق، أن تعمل لاجتناء الفرصة السانحة، وخرج ألفونسو الثامن في ربيع سنة ١٢١٣ م، لغزو أراضي الأندلس، من ناحية قلعة رباح، واستولى على بلدة الكرس، وحول مسجدها إلى كنيسة.

وبالرغم مما حدث هذا العام في قشتالة، من تلف الزروع ونفق الماشية، وانتشار القحط، وموت الكثيرين من الجوع والمرض، فإن ملك قشتالة لم يحجم عن استئناف الغزو، وفي تلك المرة اخترق جبال الشارات، وسار منحدرا نحو بياسة، وضرب حولها الحصار، ولكن المسلمين كانوا قد أحكموا تحصينها، وطال الحصار، والمدينة صامدة، وحل القحط في المعسكر النصراني، فاضطر ملك قشتالة إلى رفع الحصار،

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥٥١/٤

وعاد في قواته إلى طليطلة. ولم تمض بضعة أشهر حتى غادر العاصمة، وسار غربا بقصد لقاء ملك البرتغال ومفاوضته، ولكنه ما كاد يصل إلى بلدة جوتيرى مونيوس، حتى مرض وتفاقم مرضه." (١)

"نظرا لاقتراب الشتاء، وأن يعود أدراجه. وسار حلفاؤه القشتاليون غاضبين ولحقوا بملكهم، وهو على حصار أبدة، ولكن المدينة المسلمة لبثت صامدة، واضطر القشتاليون بدورهم إلى الانسحاب، والعودة إلى بلادهم (يناير سنة ١٢١٤ م).

وفي هذا العام – سنة ١٢١٤ م – توفي دون فرناندو ولد ألفونسو التاسع وولي عهده، وهو فتى في الثانية والعشرين من عمره. وكان لألفونسو ولدين آخرين من مطلقته الملكة برنجيلا، هما فرناندو وألفونسو، ولكنه لم يقرر بصفة حاسمة من يخلفه منهما على العرش. ولما توفي ملك قشتالة الصبي هنري الأول في يونيه سنة ١٢١٧، بادرت أخته الملكة برنجيلا باستدعاء ولدها فرناندو، وأعلنت في الحال نفسها ملكة لقشتالة، ثم تنازلت على الأثر عن العرش لولدها فرناندو، فأصبح هو ملكا لقشتالة. وهنا ثارت أطماع ألفونسو التاسع، ورأى وفقا لنصح بطانته، أن يعلن نفسه إمبراطورا لقشتالة وليون، وفي الحال دخل قشتالة بجيشه، ولكنه ما كاد يقترب من بلد الوليد، حتى علم بأن ولده فرناندو قد أعلن ملكا لقشتالة. وبعثت إليه الملكة برنجيلا بعض أكابر الأحبار يرجونه احترام الأمر الواقع، والمحافظة على سلام المملكة، ولكنه لم يصغ إليهم ومضى في سيره نحو برغش. وهنا استعدت الملكة وولدها، وأكابر فرسان قشتالة، لرده، فعندئذ ارتضى ألفونسو، أن يعود أدراجه، بعد أن عقد مع ابنه الهدنة لمدة عامين (نوفمبر ١٢١٧ م) وتلتها بعد ذلك معاهدة سلام دائم بين قشتالة وليون عقدت في أغسطس سنة ١٢١٨ م. ولما استقر السلام على هذا النحو بين قشتالة وليون، اتجه ألفونسو التاسع إلى العناية بفتوح " الإسترداد " في القطاع الذي خصص من أراضي الأندلس لغزوات ليون. وكانت حملات الغزو من أي الممالك الإسبانية، تتخذ عندئذ صفة الحرب الصليبية، ويشترك فيها بالأخص فرسان الجمعيات الدينية، **والمتطوعة** الأجانب. ففي أواخر سنة ١٢١٧ م، سار ألفونسو التاسع في حملة مختلطة من قوات ليون وقشتالة، وبعض فرسان الجماعات الدينية، وضرب الحصار حول مدينة قاصرش، ولكنه لم يلبث أن رفع الحصار بعد أسابيع قلائل، وكرر ملك ليون وحلفاؤه بعد ذلك حملاتهم لافتتاح هذه القاعدة الإسلامية المنيعة، وانتهى الأمر بسقوطها في أيديهم في صيف سنة ١٢٢٧ م.

وفي أواخر سنة ١٢٢٩ م، قام ملك ليون بغزوة جديدة في أراضي الأندلس، واستولى في هذه المرة على

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥٩١/٤

حصن منتانجش على مقربة من ماردة، ثم ضرب الحصار حول ماردة، وفي خلال ذلك وصل المتوكل بن هود في قواته لإنجاد." (١)

"لتجمع الجيوش الموحدية. مراكز التموين. طريق العبور إلى شبه الجزيرة. خطة المربع الموحدي ومنعتها. طوائف العرب بعد الحشود القبلية. عبد المؤمن يضع خطته لاستمالة العرب. مساعى ولده الخليفة أبي يعقوب في ذلك. العرب يؤلفون جناحا خاصا في الجيوش الموحدية. هدف السياسة الموحدية في حشد العرب. تقلبهم وعدم ولائهم. دورهم في الحرب الأهلية. القوات الأندلسية ودربتها وولاؤها. الخليفة قائد الجيش العام. المؤتمرات الحربية. ساقة الجيش وقبة الخليفة. الاستعانة بالمرتزقة النصارى. البنود والطبول. الإنعام والبركات. **المطوعة** ونظامهم. القوي البحرية. عناية الموحدين بإنشاء القطائع. أهمية الأسطول ودوره في حماية الشواطىء. مراسى الأسطول. إدارة شئون الجيش. ديوان العسكر. ديوان التمييز. التمييز وتطور غايته. الحج إلى تينملل. الثغرات في الجيش الموحدي. فوضى القيادة. اختلال التموين. تفوق الموحدين في فنون الحصار والآلات المدمرة. المدافع البدائية. تفوقهم في فن التحصينات. موقعة العقاب وانهيار الدفاع بالأندلس. انشغال الموحدين بالتنافس على الخلافة. توثب الممالك النصرانية. الحكومة الموحدية بالأندلس. ميلها إلى الطابع المدنى. أقسام الأندلس الإدارية. السادة والقرابة يتولون حكم الولايات. إشبيلية مركز الحكم الموحدي والحاكم العام. البلاط الموحدي بإشبيلية. حكومات الولايات المحلية. عناصر هذه الحكومات. استخدام السادة لكتاب الأندلس. إشبيلية مركز تجمع الجيوش المحلية الغازية. القوات الأندلسية. قيادتها ودورها في الدفاع والحراسة. مملكة الشرق. احتفاظها بالطابع الأندلسي. كونها أول مركز لقيام الحركات القومية. اللون الانتحارى لهذه الحركات. مصانعة زعمائها للنصارى واستمدادهم. حكومة إشبيلية بعد انهيار سلطان الموحدين. الاضطراب والفوضى في الأندلس.

الآن وقد انتهينا من استعراض تاريخ الدولة الموحدية، بالمغرب والأندلس، منذ قيامها على يد إمامها المهدي ابن تومرت، حتى انحلالها وسقوطها، على يد آخر خلفائها، أبي العلى إدريس الملقب بأبي دبوس، فيما يملأ نحو قرن ونصف قرن، نحاول في هذا الفصل، أن ندرس طبيعة النظم، التي سارت عليها الدولة الموحدية، في حكم تلك الإمبراطورية العظيمة، خلال هذا المدى الطويل من الزمان.

قامت الدولة الموحدية، حسبما رأينا، على أسس دينية محضة، وهي في ذلك قرينة الدولة المرابطية، التي قامت كذلك على أسس دينية. ولكن شتان بين الحالتين. ذلك أن الأساس الدينى، الذي قامت عليه الدولة

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤/٥٩٦

المرابطية، كان أساس العقيدة الدينية، والجهاد في سبيل نشرها. ولكن الدولة الموحدية، تمتاز باستنادها إلى أسس الإمامة الدينية، ونظرية المهدي المنتظر، وهي في ذلك تضارع الدولة العبيدية الفاطمية. بيد أنها بالرغم من اشتراكها مع الدولة الفاطمية في وحدة المصدر، وهو الدءوة الشيعية، تمتاز باستقلالها عن الحركة الشيعية المشرقية، وبصفتها المغربية المحلية.

وامتازت رياسة الدولة الموحدية، في البداية، بإمامة منشئها المهدي." (١)

"الدفاع الموحدية، وخلاصتها أن " تصنع دارة مربعة في بسيط المعركة، يجعل فيها من جهاتها الأربع، صف من الرجال بأيديهم القنا الطوال، والطوارق المانعة، ومن ورائهم أصحاب الدروق والحراب صفا ثانيا، ومن ورائهم أصحاب المخالى فيها الحجارة صفا ثالثا، ومن وراء هؤلاء الرماة صفا رابعا. وفي وسط المربعة، ترابط قوي الفرسان ". وكانت صفوف الفرسان تخصص لها أمكنة معينة، في جميع جوانب المربع، وتفتح لها مخارج سريعة تستطيع أن تنطلق منها، ثم تعود إلى أماكنها الداخلية، دون أن تخل بنظام الرجالة (المشاة). ويقوم بالهجوم الأول قوات المتطوعة المجاهدة، تؤيدها القوات الخفيفة، فإذا استطاع العدو أن يرد هؤلاء، وأن يتقدم حتى مواقف الجنود الموحدية النظامية، وقف حملة الحراب أمامه كالسد الحديدى الذي لا يخترق، واستقبله الرماة من حملة القسى والنبال بسيل من السهام والحجارة، فإذا استطاع العدو أن يخترق ا لصف الأول وهم حملة الحراب، استقبله حملة السيوف والدروع متأهبين لرده، وبادر الفرسان إلى معاونتهم من الأماكن الداخلية، فإذا استطاع العدو بعد كل ما تقدم، أن يتغلب على القلب والجناحين، فعندئذ يقوم الجيش الموحدي بالضربة الأخيرة، وتتقدم قوات الضلع الرابع من المربع، وهي الساقة أو الاحتياطى، المكون من صفوة الجند، ولاسيما الحرس الخاص، ويقودها الخليفة بنفسه، وكثيرا ما كانت هذه الصفوف الاحتياطية، تساعد على إحراز النصر بشجاعتها وخبرتها. وكانت هذه القوات تمتنع أحيانا داخل نطاق من السلاسل الحديدية، تبرز من خلالها الحراب الطويلة، فتثخن بذلك في العدو متى اجترأ على الدنو منها (١).

وكان التجمع القبلى حسبما أشرنا من قبل، هو الدعامة الأولى لحشد الجيوش الموحدية، وكانت معظم الحشود تجمع من القبائل الموحدية الرئيسية، التي يرتكز إليها هيكل الدولة الموحدية، والتي ذكرناها فيما تقدم، ومعظمها ينتمى إلى مصمودة. ولما اتسع نطاق الغزوات الموحدية في المغرب والأندلس، ولم تعد القبائل البربرية تكفى وحدها، لإمداد الجيوش الموحدية، بما تحتاج إليه من الحشود الضخمة، عمدت

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤/٦١٥

الخلافة الموحدية إلى التفكير في استمالة طوائف

---

(١) الحلل الموشية ص ٩٨، وتاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين لأشباخ ص ٤٤٨ و ٤٨٩. وراجع ص ٢٤٦ من القسم الأول من هذا الكتاب." (١)

"وكانت هذه الفرقة، وعددها نحو خمسمائة فارس، هي أساس القوة النصرانية أو جيش الروم بالجيش الموحدي. وقد لعب الجند النصارى في عهد المأمون، وولده الرشيد أدوارا حاسمة، في المعارك التي خاضتها الخلافة الموحدية يومئذ ضد خصومها، وقامت بمراكش تحت رعاية الفرقة النصرانية، جالية نصرانية كبيرة، وقد استعملت البنود والطبول بالجيش الموحدي منذ البداية، وكذلك بالأساطيل الموحدية، وكان لها فرق خاصة، ونظم معينة تجرى عليها، وكانت تستعمل عند الرحيل، وعند بدء المعركة، وعند كل إجراء عام يجب أن يقوم به الجند، وكان منها الطبل الكبير الذي يضرب للرحيل، وهو مستدير الشكل يبلغ دوره خمسة عشر ذراعا من خشب أخضر اللون، مذهب الحافة، وكان يضرب للرحيل ثلاث مرات، ويسمع على مسيرة نصف يوم، من مكان مرتفع في يوم لا ريح فيه (١). وكانت الرسائل تستعمل لإذاعة الأوامر والنواهى، والانتصارات. وعند النصر يقترن ذلك بالاحتفال والإطعام.

وكانت الإنعامات والبركات من أخص امتيازات الجيش الموحدي، ولاسيما في إبان ازدهار الدولة وقوتها، وكان ذلك يشتمل فضلا عن منح الأجور والأعطية للجند، على إقامة المآدب للطعام، وتوزيع الأسلحة والكسى، وكان كساء الفارس عبارة عن طقم كامل من عفارة وعمامة وكساء وقسطة وشقة. وهذا عدا مبالغ من النقود الذهبية تصل للقادة والأعيان أحيانا إلى مائة دينار لكل منهم (٢)، وكذلك لأشياخ العرب مائة دينار لكل منهم، وللفارس عشرون دينارا، وكان النظام القبلى، هو حسبما قدمنا، أساس حشد الجيوش الموحدية، فتقدم كل قبيلة ما يتعين عليها من الفرسان والرجالة، عند الاستنفار العام.

وكان نظام التطوع يقوم كذلك إلى جانب نظام الحشد الجبرى، فتحشد أعداد كبيرة من الجند على سبيل التطوع دون تكليف، ويسمى هؤلاء **بالمطوعة** (٣) وتعنى الخلافة الموحدية في نفس الوقت، وعند الاستعداد للجهاد، باستجلاب الخيل والعدد والأسلحة والرماح والبيضات والدروع والتروس وكذلك الكسى، وتوزيعها على الفرسان والجند وفق نظام معين.

ولم تغفل الخلافة الموحدية عن أهمية القوي البحرية، وخصوصا منذ

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤/٦٣٤

(١) الحلل الموشية ص ١١٥.

(٢) ابن صاحب الصلاة في المن بالإمامة ص ٧٤ أ.

(٣) البيان المغرب ص ١٧٤." (١)

"على أن ابن الأحمر لم يكن يعتزم المضى فى ذلك المسلك المؤلم المهين إلى النهاية، فقد كانت نفسه الوثابة تحدثه من وقت إلى آخر، بأن يحطم هذه الأغلال الشائنة التى صفدته بها محالفة النصارى، وكان كلما آنس ازدياد قوته ورسوخ سلطانه صلبت قناته وذكا عزمه، وكان يتجه ببصره إلى ما وراء البحر، إلى إخوانه فى الدين فى عدوة المغرب، وكان جريا على السياسة الأندلسية المأثورة يرى فى ملوك العدوة، عضدا له قيمته فى مغالبة النصارى، وكانت حوادث المغرب تتمخض فى ذلك الحين بالذات عن قيام دولة جديدة قوية هى دولة بنى مرين. ومع أن الكفاح بين دولة الموحدين المحتضرة وبين دولة بنى مرين الناشئة (١)، كان يحول دون إنجاد الأندلس بصورة فعالة، فإن كتائب المجاهدين من بنى مرين والمتطوعة من أهل المغرب، لم تلبث أن هرعت إلى غوث الأندلس. وعبر القائد أبو معرف محمد بن إدريس بن عبد الحق المرينى وأخوه الفارس عامر، البحر فى نحو ثلاثة آلاف مقاتل، جهزهم أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين. وكانت حوادث الأندلس المؤسية تحدث وقعها العميق فى المغرب، وكانت رسائل الأندلس تترى إلى أمراء المغرب وأكابرهم بالصريخ مما تكابده من عدوان النصارى واستطالتهم، والاستنصار بأهل العدوة إخوانهم فى الدين، وكان علماء المغرب وخطباؤه وشعراؤه يبثون دعوة الغوث والإنجاد، ومن ذلك قصيدة مؤثرة وضعها أبو الحكم مالك بن المرحل، وقرئت فى جامع القرويين بفاس فى يوم جمعة من أيام سنة ٦٦٢ هـ، وبكى الناس تأثرا لسماعها ومما جاء فيها:

استنصر الدين بكم فاستقدموا ... فإنكم إن تسلموه يسلم

لاذت بكم أندلس ناشرة ... برحم الدين ونعم الرحم

فاسترحمتكم فارحموها إنه ... لا يرحم الرحمن من لا يرحم

ما هى إلا قطعة من أرضكم ... وأهلها منكم وأنتم منهم (٢).

وكان لاهتمام المغرب بإنجاد الأندلس صداه. وكان ابن الأحمر قد بدأ فى الوقت نفسه يشعر بمقدرته على مواجهة النصارى والخروج على طاعتهم، وحماية مملكته الفتية من عدوانهم. ولما فاتحه النصارى

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٦٣٧/٤

بالعدوان وغزوا أراضيه فى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م)، استطاع بمعاونة قوات من **المتطوعة** والمجاهدين الذين

---

(١) سنعود إلى التحدث عن قيام دولة بنى مرين فى موضع آخر.

(٢) راجع الذخيرة السنية ص ١٠٨ – ١١٢ حيث يورد القصيدة بأكملها.." (١)

"حولها الحصار، وكان ابن هود يضع خططه يومئذ لغزو بلنسية وقد وصله عندئذ صريخ أميرها زيان حينما هاجمه خايمى ملك أراجون، فلم يشأ إنجاد المدينة المحصورة بالرغم من مسيره إليها، خصوصا وقد علم أن النصارى هاجموها بقوات كبيرة، فترك قرطبة لمصيرها، ودافع أهل قرطبة عن مدينتهم أعظم دفاع، واشتبكوا مع النصارى خارج المدينة وفى داخلها فى عدة معارك دموية شديدة، ولكن هذه البسالة لم تغن شيئا، وسقطت عاصمة الأندلس القديمة، ودخلها القشتاليون فى ٢٩ يونيه سنة ١٢٣٦ م (٢٣ شوال سنة ٦٣٣ هـ) ورفعوا الصليب فى الحال فوق مسجدها الجامع تنويها بظفر النصرانية، وكان سقوط قرطبة نذيرا بما انتهت إليه الأندلس من بالغ الضعف والفوضى.

ولما اشتدت الحرب الأهلية بين المسلمين فى شرقى الأندلس، بعث فرناندو الثالث ولده ألفونسو إلى مرسية، واستولى عليها صلحا فى سنة ١٢٤٣ م (٦٤٠ هـ). ثم التفت إلى إمارة غرناطة الناشئة التى أخذت تنمو ويشتد ساعدها فى ظل ابن الأحمر فانتزع منها حصن أرجونة وعدة حصون أخرى، ووصلت قواته إلى أحواز غرناطة، ثم أرسل جيشه لمحاصرة جيان فى العام التالى (سنة ١٢٤٥ م)، وشعر ابن الأحمر أنه عاجز عن صد هذا السيل الجارف، فاضطر إلى عقد الصلح والانضواء تحت حماية ملك قشتالة حسبما فصلنا من قبل، وبلغ فرناندو الثالث بذلك ذروة القوة والسلطان، وأضحت الأندلس الجنوبية كلها تحت حمايته ورهن مشيئته.

وأخذ فرناندو فى الوقت نفسه يتأهب لافتتاح إشبيلية أعظم قواعد الأندلس، وفى سنة ١٢٤٧ م (٦٤٤ هـ) بث قواته فى أحواز إشبيلية فاستولت على معظم الحصون القريبة منها، وسير فرناندو فى الوقت نفسه أسطولا فى مياه الوادى الكبير لكى يحول دون وصول الأمداد والمؤن إلى المدينة من ناحية البحر؛ وكان يتولى الدفاع عن إشبيلية نفر من الزعماء البواسل. وأبدى المسلمون إصرارا وجلدا فى الدفاع عن مدينتهم، ولكن النصارى أحكموا حصارها، واستمر الحصار طول الشتاء، ثم حشد فرناندو فى العام التالى حولها

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥/٤٧

قوات جديدة، وسارع إلى نجدته كثير من **المتطوعة** النصارى من أراجون والبرتغال ومنهم كثير من الأحبار والرهبان، واضطر ابن الأحمر صاحب غرناطة إلى معاونة حليفه وحاميه فرناندو ببعض قواته، وذلك كله حسبما فصلناه من قبل. وفى النهاية اضطرت الحاضرة." (١)

"وطالب بتسليم عثمان بن أبى العلاء لما كان منه فى حق بنى مرين، فأبى ابن الأحمر خشية العواقب؛ وزحف القشتاليون على غرناطة بجيش ضخم، يقوده الدون بيدرو (دون بطره) والدون خوان الوصيان على ألفونسو الحادى عشر ملك قشتالة، ومعهما عدة من الأمراء القشتاليين، وفرقة من **المتطوعة** الإنجليز بقيادة أمير إنجليزى، فبادر المسلمون إلى لقائهم فى هضبة إلبيرة على مقربة من غرناطة. وكان الجيش الغرناطى لا يجاوز ستة أو سبعة آلاف جندى منهم نحو ألف وخمسمائة فارس، ولكنهم صفوة المقاتلة المسلمين، وكان قائده شيخ الغزاة أبو سعيد عثمان بن أبى العلاء، جنديا جريئا وافر العزم والبسالة، فلم ترعه كثرة الجيش المهاجم، وعول فى الحال على لقائه فى معركة حاسمة. وفى ٢٠ من ربيع الثانى سنة ٧١٨ هـ (مايو سنة ١٣١٨ م) التقى فرسان الأندلس بطلائع النصارى وردوهم بخسارة فادحة. ثم زحف أبو سعيد فى نخبة من جنده، ونشبت بين الفريقين موقعة شديدة، كانت الدائرة فيها على القشتاليين، فمزقوا شر ممزق، وقتل منهم عدد جم، بينهم دون بيدرو ودون خوان، ورهط كبير من الأمراء والنبلاء والأحبار، وغرق منهم عند الفرار فى نهر شنيل عدة كبيرة، وأسر منهم بضعة آلاف، واستمر القتال والأسر فيهم ثلاثة أيام. وخرج أهل غرناطة فرحين مستبشرين، يجمعون الأسلاب والأسرى، وظفر المسلمون بغنائم عظيمة، منها مقادير كبيرة من الذهب والفضة. وكان على العموم نصرا مشهودا أعاد ذكرى الجهاد المجيد. وكان معظم الفضل فى إحرازه يرجع إلى الجند المغاربة وإلى شيوخهم بنى العلاء الذين تزعموا الجيوش الأندلسية، وتولوا قيادتها فى تلك الفترة حسبما أسلفنا. ويعلل ابن خلدون ظهور القادة والجند المغاربة فى ميدان الجهاد بقرب عهدهم بالتقشف والبداوة. ووضع المسلمون جثة الدون بيدرو فى تابوت من ذهب على سور الحمراء تنويها بالنصر، وتخليدا لذكرى الموقعة (١).

والواقع أن مملكة قشتالة كانت فى أوائل القرن الرابع عشر فى حالة سيئة، وقد نفدت مواردها من الرجال والأمول، بسبب الحروب والثورات المتواصلة، والمرض والقحط، وكان إسراف البلاط وبذخ الخلائل، واختلاس الموظفين، ومطالب رجال الدين، وجشع الأشراف، تستنفد الأموال العامة، وكانت

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥/٩٠

(١) راجع فى تفاصيل هذه الموقعة الشهيرة، ابن خلدون ج ٤ ص ١٧٢، وج ٧ ص ٢٥٠؛ والإحاطة ج ١ ص ٣٩٧؛ والمقرى فى نفح الطيب ج ١ ص ٢١٠.." (١)

"الإسلامية الممزقة، يحرمها من كثير من ضروب الإمداد والغوث التى كانت تأتيها من وراء البحر، وكان واضحا أن ملك قشتالة يرمى إلى قطع هذه الأمداد بكل الوسائل. ولم يكن باقيا بعد ضياع جبل طارق ومالقة، بيد المسلمين من الثغور سوى ألمرية والمنكب، وإليهما كانت تفد جموع **المتطوعة** والمجاهدين، بالرغم من بعدهما عن شواطىء العدوة، وكان لابد من الاستيلاء عليهما، قبل أن تقطع كل صلة للأندلس نهائيا بعدوة المغرب وشمال إفريقية. وقضى فرناندو قبل تنفيذ هذه الخطة زهاء عام، يعمل على تطهير منطقة مالقة، والاستيلاء على ما بقى من الحصون الشرقية والغربية، حتى استولى عليها جميعا ولم يبق منها بيد المسلمين شىء. وفى ربيع سنة ١٤٨٨ م (٨٩٣ هـ) زحف فرناندو على أطراف مملكة غرناطة الشرقية، وكانت لبعدها عن العاصمة، أقل استعدادا للدفاع، وانتهت هذه الحملة باستيلاء النصارى على بيرة، والبلشين وأشكر (١) وغيرها من القواعد الشمالية الشرقية، وذلك بالرغم من كون أهلها كانوا داخلين فى الصلح المعقود مع أبى عبد الله، وكان على ملك قشتالة لو أنه أوفى بعهوده، أن يتركهم حتى ينتهى أمد الصلح المذكور (٢). وقد عثرنا على نص العهد الذى أصدره الملكان الكاثوليكيان لأهل أشكر، وهو نموذج للعهود التى صدرت لباقى البلاد المفتوحة فى هذه المنطقة، وفيه يتعهد الملكان، بقبول أهل أشكر بين رعاياهما وتحت حمايتهما، وأن لا يؤخذ شىء من أمتعتهم أو يصيبهم أى مكروه، وألا يدفعوا من الضرائب إلا ما كانوا يؤدونه لملوكهم المسلمين، وألا يرغموا على محاربة إخوانهم مسلمى غرناطة، وأن يسمح لهم باستبقاء زعمائهم وفقهائهم، وعوائدهم وشريعتهم، وأنه يحق لهم الإقامة فى أى جزء من أراضى مملكة قشتالة، كما يحق لهم العبور إلى المغرب أحرارا ودون أى قيد، وأن يعامل السكان جميعا ذكورا أو إناثا، بالرفق والكرامة وألا يغصبهم أحد فى دورهم، أو يسىء إليهم أو يتلف شيئا من أمتعتهم أو محاصيلهم، وألا يعاشر نصرانى مسلمة، أو مسلم نصرانية، ومن فعل ذلك يعاقب بالموت وتصادر أملاكه، وأن يدفع الكراء العادل لمن يطلب منهم للعمل فى بناء حصن

---

(١) بيرة وبالإسبانية Vera تقع شمال شرقى ألمرية على مقربة من البحر المتوسط، والبلشان هما بلج أو " بلش الحسناء " Velez Rubio، و " بلش البيضاء " Velez Blanco، وهما تقعان شمالى شرقى

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥/١١٨

مدينة بسطة Baza، وأشكر هى بالإسبانية Huescar تقع شمال غربى البلشين.

(٢) Gaspar y Remiro: ibid ; p. 43." (١)

"تعد من بقايا الأعراب **المتطوعة** في جيش ابراهيم المصري حينما استولى على حلب في سنة ١٢٤٨ هـ، ١٨٣٢ م، وهؤلاء البقايا من عشائر مصرية مختلفة في الأصول والمنابت، يقيمون في شمالي سورية في قرى الجبول، حقلة، الجديدة، وتل سبعين بقضاء الباب، وفي قريتي أبي قلقل وخربة العشرة بقضاء منبج. وفي قريتي قرة موخ. ورسم الغزال التابعتين لناحية صرين بقضاء عين العرب وفي قربة الزيادة بقضاء جسر الشغور.

وفي قرية خان شيخون بقضاء المعرة.

ويبلغ عدد بيوتهم نحو ٤٠٠ بيت.

(عشائر الشام لوصفي زكريا ج ٢ ص esetatsduLevantp.100) (- busnomadesetsemi 198،200، (207

الهنادي:

قبيلة من السلالمة، او بني سلام، من ابي الليل، من سليم بن منصور من العدنانية نزلت القطر المصري من طرابلس في أواخر القرن الثاني عشر الهجري وتقطن الشرقية، والغربية، وغيرهما من الديار المصرية (رحلة مصر والسودان لمحمد مهدي ص ٤٨٤.

تاريخ جبل نابلس لاحسان النمر ج ١ ص ١٣٩.

قبائل العرب في مصر لأحمد لطفي السيد ج ١ ص ٢١، ٣١، ٣٣، ٣٤. تاريخ سينا لنعوم شقير ص ٧٢٤.

تاج العروس للزبيدي ج ٢ ص ٥٤٨.

الهنادي:

عشيرة من قبيلة عقار، من قبيلة السعادي التي تسكن الصحراء الغربية (تاريخ سينا لنعوم شقير ص ٧٢٦)

هنان بن شاور:

بطن من حجور ابن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد، من همدان، من القحطانية.

(الإكليل للهمداني ج ١٠ ص ١٠٢)

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥/٢٢٣

الهناندة:

عشيرة بناحية عبيد بمنطقة عجلون يقطنون في قرية ايدون، وكانوا في السابق يقطنون في خربتي سامتة وعفنة التابعتين لقرية عين جنا، ويقال: إنهم خرجوا من صفد.

(تاريخ شرقي الأردن وقبائلها لبيك ص ٢٩١)

الهناهنات:

فرقة من عشيرة العسيفات، من العقيلات، من بني عطية احدى قبائل بادية شرقي الأردن.

(تاريخ شرقي الأردن وقبائلها لبيك ص ٢٢٤)

هنب بن أفصى:

بطن من ربيعة ابن نزار، من العدنانية، وهم: بنو هنب ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن." (١)

"أحوال أمم كانوا يسمعون أخبارها من أفواه التجار والسياح والملاحين فإذا وصلت إليهم كان عنصر الخيال فيها الذي يميل إلى التفخيم والتجسيم قد انتهى من عمله وأدى واجبه، فصححت فتوحات الإسكندر هذه للهلال الخصيب ولمصر، بعض تلك الأوهام، وجاءت بعلماء من اليونان إلى هذه البلاد، ولا سيما مصر فأفادوا واستفادوا، وصارت "الإسكندرية" بصورة خاصة، وبعض مدن بلاد الشأم ملتقى الثقافات، الثقافات الشرقية والثقافات الغربية، ومركز الاتصال العقلي بين الغرب والشرق وبقيت الإسكندرية محافظة على مكانتها هذه حتى ظهور الإسلام.

وقد حملت فتوحات الإسكندر والحروب، التي وقعت بين الروم والفرس إلى الشرق الأدنى، دما جديدا هو دم الإغريق ومن دخل في خدمة الإسكندر واليونان والرومان من الجنود **والمتطوعة** والمرتزقة من سواحل البحر المتوسط الشمالية وما صاقبها من أصقاع أوروبية، لقد بنى الإسكندر الأكبر مدينة ChaRax على ملتقى نهر "كارون" بدجلة١. وأسكنها أتباعه وجنوده ومواطني المدينة الملكية. كما بنى مدنا أخرى، وقد كان من المحبين المولعين ببناء المدن، وبنى خلفاؤه مدنا جديدة في الشرق، وكذلك من أخذ تراثهم من اليونان والرومان٢. وحمل الفرس عددا من أسرى الروم، وأسكنوهم في ساحل الخليج وفي مواضع أخرى. وطبيعي أن تترك سكنى هؤلاء في الشرق أثرا ثقافيا في الأماكن التي أقاموا فيها وفي نفوس من جاورهم أدرك قيمته المؤرخون المعاصرون.

والمؤرخ "بلينيوس"، وهو أول من أشار إلى مدينة Charax، هذه المدينة التي أنشأها الإسكندر. في جملة

(١) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة عمر رضا كحالة ١٢٢٨/٣

المدن التي أنشأها في الشرق، ويظن أنها "المحمرة"٣ بنيت هذه المدينة -كما يقول: "بلينيوس"- في النهاية القصوى من الخليج العربي أي الخليج الذي يسمى اليوم باسم "خليج البصرة" أو "خليج فارس" كما يسميه "الكلاسيكيون" Sinus Persicus، عند خط ابتداء العربية السعيدة arapea ue daemon أي جزيرة العرب، ويقع نهر دجلة على يمينها. وقد دعيت "الإسكندرية" نسبة إلى الإسكندر. وقد خربت هذه المدينة مرارا من فيضان الأنهر وإغراقها لها، ثم بناها "انطيوخس الرابع".

---

١ Charax Spaslni.

٢ Pliny, Book, VI, 138, Vol., II. P.; 443; "H. Rackham"؛

٣ The Persian Gulf, P., 30, 49.." (١)

"الحاضر إلى أيام الجاهلية، فقد كان العرب قد توغلوا إلى هذه الديار قبل ظهور الإسلام، وأقاموا في الحواضر بظواهر المدن يتعيشون من اتصالهم بأهل تلك المدن.

ولم تكن الرابطة الدينية التي ربطت بين أكثر عرب بلاد الشام والبيزنطيين، هي العامل الوحيد الذي جعل أولئك العرب ينضمون إلى صفوف الروم في الدفاع عنهم وفي مقاومة جيوش المسلمين، بل كانت هنالك عوامل أخرى، مثل المنافع المادية التي كان يجنيها سادات الأعرب من البيزنطيين، حيث كانوا ينالون هدايا ورواتب منهم في مقابل حماية الحدود والمحافظة عليها من غارات الأعراب، وفي مقابل الغارات التي كان البيزنطيون يكلفونهم بها لغزو حدود العراق؛ لإزعاج أعدائهم الفرس وقت الحاجة والضرورة، ومثل التسهيلات التي كانوا ينالونها من البيزنطيين في الاتجار مع مدن الشام وفي معاملات البيع والشراء والرواتب السخية التي تدفع للأعراب إذا خدموا في صفوف العساكر **المتطوعة**، وهي رواتب سخية إذا قيست بالنسبة لحالة أهل البادية المنخفضة من الناحية المادية كثيرا بالنسبة إلى حالة سكان بلاد الشام.

وكان "الحيار": "حيار بني القعقاع" بلدا معروفا قبل الإسلام، وبه كان مقيل "المنذر بن ماء السماء" اللخمي، ملك الحيرة، فنزله "بنو القعقاع" من "عبس بن بغيض"١.

وكانت البلقاء في أيدي قبائل من العرب مثل لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلي، وهي قبائل يطلق عليها المؤرخون اسم "المستعربة"٢. وكانوا على النصرانية في الغالب؛ لذلك كان هواهم إلى جانب الروم، فكانوا معهم في غزوة "مؤتة" يقاتلون مع "هرقل" ضد المسلمين وعليهم "مالك بن رافلة"، وهو من "بلي" ثم أحد

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٢/٣

إراشة. وكان المسلمون إذ ذاك في "معان"، وهي من أعمال البلقاء يستعدون للروم٣، وكان صاحب هذه المدينة في أيام الرسول رجلا من "جذام"، هو "فروة بن عمرو الجذامي"، وكان عاملا للروم على من

---

١ البلاذري، فتوح "١٥١ وما بعدها".

٢ الطبري "٣/ ٣٧" "دار المعارف".

٣ ابن الأثير "٢/ ٩٧"، الطبري "٣/ ١٠٨"، "غزوة مؤتة"، البلدان "٨/ ٩٣" "معان".." (١)

"- ١ - (١)

سنة ٢٢٦: وفيها مات إسحاق بن عيسى الطباع بأذنه

- ٢ - (٢)

سنة ٢٨٢: وفي شعبان منها كان الفداء بين المسلمين والروم على يد أحمد ابن طغان (٣) وورد كتاب فيه: أعلمك أن أحمد بن طغان نادى في الناس بحضور الغداء نادي في الناس بحضور الغداء، وأنه صلى في الجامع وركب منه، ومعه راغب ومواليه ووجوه البلد والقواد والموالي **والمطوعة**، بأحسن زي وأكمل عدة، ووقع الفداء يوم الثلاثاء لتسع خلون منه، فأقاموا على ذلك اثني عشر يوما، فكان جملة من فدي به من المسلمين من رجل وإمرأة وصبي ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس، وأنصرف الفريقان، وخرج أحمد بن طغان وأستخلف على طرسوس دميانة ولم يعد إلى طرسوس. ولما كان في هذا الشهر - يعني في صفر سنة أربع وثمانين - وافى يوسف بن البغامردي يخلف بن طغان على طرسوس، فهوى به دميانه، فوثب براغب، فنصر راغب وقبض على دميانه، وابن البغامردي وابن اليتيم، فقيدهم وبعث بهم إلى بغداد، وكتب أهل طرسوس إلى هارون بن خمارويه: لا توجه إلين إلينا واليا من قبلك، فإن اتانا قاتلناه، فكف عنهم، وبعثوا إلى المعتضد ليولي عليهم واليا.

- ٣ - (٤)

سنة ٢٨٩: وفي آخر هذه السنة ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن يحيي

---

(١) بغية الطلب ٢: ٢٩٠ (من تاريخ القطربلي وابن أبي الأزهر) .

(٢) بغية الطلب ١: ١١٧ (من تاريخ القطربلي وابن أبي الأزهر)

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٧/٢٤٣

(٣) قائد من قواد خمارويه بن أحمد بن طولون ولي على طرسوس وعلى جميع الثغور الشامية سنة ٢٧٩ وعزل عنها محمد بن بن موسى الأعرج، وكان أحمد بن طغان حسن السيرة في تدبير الثغور مشكور السياسة وله غناء في الجهاد، وإليه ينسب المدي الطغائي الذي كان أهل طرسوس يتعارفونه.

(٤) بغية الطلب ١: ١٣٢ (من تاريخ القطربلي وابن أبي الأزهر) .." (١)

"كان معه مع غلام له يعرف بمكنون وأمره أن يتقدمه إلى طرسوس، ورحل هو مخفا إلى دمشق، فلقي أبا الجيش فأحسن أبو الجيش تلقيه وسر بنظره ووصله وأحسن إليه، وكان يكثر عنده ويحادثه، وكانت لراغب عارضة وبيان وحسن عبارة، وكان قد رأى الخلفاء، وعرف كثيرا من أخبارهم، فكان يصل مجلسه بشيء من أخبارهم وسيرهم، فأنس به خمارويه وكان يستريح إلى خدمته ومذاكرته، فلما رأى راغب ما يخصه به خمارويه من التكرمة والأنس به والاستدعاء إذا تأخر استحيى أن يذكر له الخروج إلى طرسوس، فلما طال مقامه بدمشق ظن مكنون غلامه أن أبا الجيش قد قبض عليه ومنعه من الخروج إلى الثغر، فأذاع ما ظنه عند المطوعة وشكاه إليهم، وأكثر هؤلاء المطوعة من أهل الجبل وخراسان معهم غلظ الأعجمية وسوء أدب الصوفية، فأحفظهم هذا القول وظنوه حقا، فقالوا: أتعمد إلى رجل قد خرج إلى سبيل الله محتسبا نفسه لله عز وجل وفي مقام مثله للثغر ق,ة للمسلمين وكبت لأعدائهم من الكافرين فتقبض عليه وتمنعه من ذلك جرأة على الله؟ واتفقوا وتجمعوا ومشى بعضهم إلى بعض وأقبلوا إلى واليهم ابن عم خمارويه فشغبوا عليه، فأدخلهم إليه ليسكن منهم [وليجيبهم إلى] ما يحبون، فنهضوا عليه وقالوا: لآ نزال أو يطلق [خمارويه] صاحبنا فإن قتله قتلناك به، وتسع سفلهم إلى داره فنهبت وهتكت حريمه ولحقه كل ما يكره، وجاءت الكتب إلى أبي الجيش بذلك، فأحضر راغبا وأقرأه الكتب وقال له: والله ما منعناك ولا عسرنا عليك الخروج، ولقد سررنا بقربك وما أوليت فما أوليناك إلا جميلا، وقد جنى علينا سوء ظن غلامك ما لم نجنه فإن شئت فارحل مصاحبا، وقل لأهل طرسوس: ياجهلة، ما يومنا فيكم بواحد، تتسرعون إلى ما نكره مرة بعد أخرى، ونغضي عنكم، ويحكم الله عز وجل، ولولا المحافظة على ثغر المسلمين وعز الإسلام لا خشية منكم، ولا من كثرتكم وإلى الله الشكوى، ولولا الخوف من غضبه عز وجل لحاربناكم على أفعالكم. فودعه راغب ورحل إلى طرسوس، فلما صح عند أهل طرسوس خبر راغب أطلقوا عن محمد بن موسى بن طولون، فلما أطلقوه قال: قبح الله بلدكم، ورحل عنهم فسكن بيت المقدس، وكان له دين وفيه خير كثير.." (٢)

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ إحسان عباس ٢٩/١

(٢) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ إحسان عباس ٢١٩/١

"والنشاط والنية من **المطوعة** المسجدية حتى إذا نزلوا أول منزل تبتل شيخ بل شيوخ من الصلحاء معروفون بحفظ من هناك من الغلمان المرموقين بالصباحة والوضاءة، فتنضاف طبقة طبقة إلى ذي معرفتهم وثقتهم وحصلوا تحت علمه ورايته، فلو هم أحدهم بالوضوء لصلاة لما أفرج عنه إلا برقيب ثقة أمين شيخ معروف يمضي معه لحاجته، حتى إذا فرغ منها عاد إلى جملته.

وقد رأينا في آخر أيام طرسوس رجلا يعرف برؤبة يجتمع إليه الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم يزيد عددهم على ألف صبي، كلهم بالسلاح الذي يمكن مثله حمل مثله وبمزاودهم، وقد عدوا فيها من صنوف أطعمة أمثالهم، يطوف جميعهم بمطرد يحمله رؤبة، يسيرون بسيره ويقفون بوقوفه، فلا يزال ذلك دأبهم حتى إذا عاد السلطان إلى مقر داره عند رجوعه من نفيره دخل أولئك الصبيان أمامه على مراتبهم، يصفهم قائدهم الأمثل فالأمثل، رماتهم عن قسي الرجل التي قد عملت على مقاديرهم ثم رماتهم عن القسي الفارسية، وربما كان فيه من أولاد اليمانية من يحمل القسي العربية بنبلها، فيدخلون فوجا فوجا صبيين صبيين، ثم من يحسن الثقاف فيثاقف قرينه ومثله وخدينه وشكله حتى يدخل كل صنف منهم في مرتبته، ثم يتلوهم رؤبة قائدهم بمطرده وعلامته، حتى إذا خرج [أحد] أولئك الصبيان من حد الطفولة واشتد عضده وقارب حد البلوغ أو بلغ أو تجاوز البلوغ قليلا انضاف إلى قائد من قواد الرجالة الذين ذكرت، وصحبه في نفيره وغزوه وارتاد لنفسه الرفاق بحسب ما يختار تربه وجاره وقرينه، فإذا ألتحى وخرج عن حد المرد دخل في جمهور الناس حاذقا بما يحتاج إليه ماهرا بصيرا بأمر جهاده وتدبيره أمره نافذا يقظا إن شاء الله.

[الاستصراخ لإنقاذ طرسوس]

٢٣ - (١)

وقرأت بخط أبي عمرو في كتابه: وجرى من اعتياد الروم طرسوس ما

---

(١) بغية الطلب: ٢٢٩ - ٢٣١.." [1]

"والتمويه على الهدف الرئيس١.

صناعة سفن جديدة في دور الصناعة بمصر لتدعيم الأسطول البحري٢.

جمعت أدوات الحرب من كل صنف للصيف والشتاء، وأدوات الحصار من مجانيق وغيرها، كما تزودوا بالنفط وغير ذلك ٣، بل لقد ساهمت معظم أقطار الخلافة الإسلامية فيما تحتاجه الحملة من عدة وعتاد

---

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ إحسان عباس ٢/٤٥٤

٤.

حشد جيش بري كبير من أهل الشام والموصل والجزيرة ٥، وخرج مع الجيش **المتطوعة** المحتسبون أجرهم على الله تعالى ٦، وجماعة من الفقهاء من الشام والعراق ٧، قال أكثر المؤرخين: إن عدة الجيش. بلغت ١٢٠ ألفا ٨.

---

١ طقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣٠.

٢ العدوي، الأمويون ص ١٦٠.

٣ العيون والحدائق ص ٢٤.

٤ العدوي، الأمويون ص ١٦٠، وعاقل، تاريخ خلافة بني أمية ص ٢٤٦.

٥ الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وابن كثير، البداية والنهاية ١٧٨/٩.

٦ البداية والنهاية ١٧٥/٩.

٧ العيون والحدائق ص ٢٥، وتاريخ دمشق ٩٢/٦٤، وانظر الأنباري، تاريخ الدولة العربية ص ٣٨٨.

٨ المسعودي، التنبيه والإشراف ص ١٦٥، والمقدسي، البدء والتاريخ ٤٣/٦، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٦٩، والذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وقال في دول الإسلام: "أزيد من مائة ألف" ص ٦٧، وفي سير أعلام النبلاء قال: "مائة ألف" ١٢٥/٥، ووردت رواية عند ابن كثير فيما رواه عن الواقدي فيها مبالغة كبيرة، قال: "جهز في البر مائة وعشرين ألفا وفي البحر مائة وعشرين ألفا من المقاتلة"، البداية والنهاية ١٧٥/٩، لكنه عاد في ص ١٧٨ من الجزء نفسه فقال: "وهم في نحو من مائة وعشرين ألفا". وحتى هذا العدد الأخير يبدو لي أنه مبالغ فيه؛ إذ يصعب تحرك مثل هذا الجيش الضخم وتموينه، وقطعه مسافات شاسعة ومسالك وعرة في عمق بلاد عدو متجه إلى حربه. وأقل ما ذكر عن عدد هذا الجيش هو ٨٠ ألفا، ابن أعثم، الفتوح ٣٠٩/٧، والعدوي، الأمويون ص ١٦٣، وعاشور، أوربا ١١٣/١.." (١)

"وأظهر عبد الملك المعتصم بالله وأخوه ابوالعباس والقادة العثمانيون عبقرية فذة في المعركة.

" لقد حنكت التجارب عبد الملك المعتصم بالله، فعزل عدوه عن اسطوله بالشاطئ بمكيدة عظيمة، وخطة مدروسة حكيمة، عندما استدرج سبستيان الى مكان حدده عبد الملك ميدانا للمعركة. وكان عزله عن

---

(١) الحملة الأخيرة على القسطنطينية في العصر الأموي سليمان السويكت ص/٤٣٦

أسطوله محكما عندما أمر عبد الملك بالقنطرة أن تهدم ووجه إليها كتيبة من الخيل بقيادة أخيه المنصور فهدمها" (١).

لقد جعل عبد الملك المدفعية في المقدمة، ثم صفوف للرماة المشاة، وجعل قيادته في القلب وعلى المجنبتين رماه فرسان والقوى الاسلامية **المتطوعة** وجعل مجموعة من الفرسان كقوة احتياطية لتنقض في الوقت المناسب وهي في غاية الراحة لمطاردة فلولا البرتغاليين، واستثمار النصر (٢).

كان صباح الاثنين ٣٠ جمادى الآخرة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م يوما مشهودا في تاريخ المغرب، ويوما خالدا في تاريخ الاسلام.

وقف السلطان عبد الملك المعتصم بالله خطيبا في جيشه، مذكرا بوعد الله للصادقين المجاهدين بالنصر (٣):

﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (الحج: آية ٤٠).

﴿وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ (الانفال: آية ١٠).

كما ذكر بوجب الثبات:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولهم الأدبار﴾ (الانفال: آية ١٥).

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاأثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (الأنفال: آية ٤٥).

وبضرورة الانتظام:

﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ (الصف: آية ٤).

وذكر أيضا حقيقة لا مراء فيها: إن انتصرت الصليبية اليوم، فلن تقوم للاسلام بعدها قائمة.

---

(١) انظر: وادي المخازن، ص٦٢.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٦٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص٦٢.." (١)

"كتاب المعظم توران شاه إلى جمال الدين يغمور نائب الشام بعد هزيمة الفرنج لدى المنصور سنة ٦٨٤ هـ: ١٢٥١ م:

جاء في هذا الكتاب: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ ١ ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ ٢. ﴿ويومئذ

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط علي محمد الصلابي ٢٦٤/١

يفرح المؤمنون، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ ٣. ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ ٤. ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ٥.

نبشر المجلس السامي الجمالي، بل نبشر الإسلام كافة، بما من الله به على المسلمين، من الظفر بعدو الدين، فإنه كان قد استفحل أمره، واستحكم شره، ويئس العباد من البلاد، والأهل والأولاد، فنودوا: ﴿لا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ ٦.

ولما كان يوم الأربعاء مستهل السنة المباركة، تم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال، وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان **والمطوعة**، واجتمع خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى، فجاءوا من كل فج عميق، ومن كل مكان بعيد سحيق.

ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع عليه الإتفاق بينهم وبين الملك العادل أبى بكرة، فأبينا، ولما كان في الليل تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم، وقصدوا دمياط

---

١ سورة فاطر آية ٣٤.

٢سورة الأنفال آية ١٠.

٣ سورة الروم آية ٥،٤.

٤سورة الضحى آية ١١.

٥سورة إبراهيم آية ٣٤.

٦سوره يوسف آية ٨٧.." (١)

"عبور المجاهدين:

عبرت الجيوش الإسلامية المجاز (مضيق جبل طارق) بقصد الجهاد سنة ٤٧٩ هـ١، من سبتة إلى الجزيرة الخضراء تباعا: فكان أولها قوة من الفرسان بقيادة داود بن عائشة، وآخرها موكب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، يوم الخميس منتصف ربيع الأول عام ٤٧٩ هـ/٣٠ حزيران ١٠٨٦ م ٢.

ويذكر أنه خلال العبور هبت ريح عاصف أثارت أمواجا عالية، فرفع الأمير يوسف يديه إلى السماء يدعو الله عز وجل:

"اللهم إن كنت تعلم أن في جوازنا هذا خيرا وصلاحا للمسلمين فسهل علينا جواز هذا البحر، وإن كان غير

---

(١) الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية محمد نغش ١٦٤/٥٩

ذلك فصعبه حتى لا أجوزه". واستجاب الله دعاءه، "فسهل له المركب، وقرب المطلب" ٣. وما كاد يطأ بقدميه أرض الأندلس حتى سجد لله شكرا. وتلقاه المعتمد بن عباد في وجوه من دولته، وقدم إليه الهدايا والتحف، وتسلم الأمير قلعة الجزيرة الخضراء باحتفال حضره القضاة والفرسان والمعتمد، كما تسلم عدة قلاع وحصون أخرى، قام بإصلاحها، وأعاد تحصينها، أتم تحصين، ونظمها حسب رأيه وإستراتيجيته الخاصة، ورتب لها حامية مختارة من جنده لتسهر عليها، وشحنها بمقادير عظيمة من الأقوات، والذخائر، والمؤن، لكي تغدو ملاذا أمينا، يلتجيء إليه، إذا منيت الحملة بالفشل ٤.

وفشا خبر عبور الأندلس فقوبل بالترحيب وانتعاش الآمال من قبل جميع المسلمين في الأندلس، وتحركت في نفوسهم روح الجهاد فتوافد إليه المتطوعة من كل مكان، كما جاءته الوفود مرحبة.

---

١ المؤنس ص ١٠٨.

٢ عنان- دول الطوائف ص٢١٩.

٣ دول الطوائف ص ٤٤٧،٣١٩ /الحجي ص٤٠٣ / التواتي ص٢٩١.

٤ دول الطوائف ص٣٢٠ /التواتي ص٢٩١.." (١)

""إنما جئت ناويا جهاد العدو، فحيثما كان العدو توجهت، هلم (إلى ما جئنا له من الجهاد) "١.

وأقام بظاهر أشبيلية ثمانية أيام، نظم فيها أموره، فتم التخلص من كل ما لا حاجة إليه في ساحة المعركة، وتمت دراسة الجو، والأوضاع والنفوس، وتم التئام جيوش المسلمين وأمراء الأندلس التي تقرر أن تشارك في المعركة المنتظرة، وكانت قد سرت في مسلمي الأندلس قبل ذلك وخلاله روح جديدة، ذكرتهم بأيام النصر التي سمعوا عنها الكثير، فشارك أمراء الطوائف بقواتهم، وأعدوا ما يمكن للمشاركة في البذل والتضحية. (ولم يبق من ملوك الطوائف إلا من بادر أو أعان أو خرج، أو أخرج) ٢. فانضم المعتمد بقواته، وبعض قوات بعثها ابن صمادح صاحب المرية الذي اعتذر عن عدم استطاعته الشخوص بنفسه بسبب العدو الملاصق له بحصن لييط، من عمل لورقه، واعتذر بكبر السن مع الضعف. وساهم عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة وأخوه تميم صاحب مالقة، وابن ذي النون، وانضم المتوكل بن الأفطس وكان أشدهم حماسا، وقصدته المتطوعة من سائر بلاد الأندلس ٣. وكان يوسف خلال هذه الأيام صائم النهار، وقائم الليل، في تهجد، وتلاوة لآيات كتاب الله الكريم، وقد أكثر من الصدقات، وأعمال البر، فتملك نفوس أهل

---

(١) الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس جميل عبد الله محمد المصري ص/١٨٥

الأندلس، وكسب قلوب جنده بالنصفة، وإيثار الحق، وإنشاء العدل. ووصله أثناء ذلك خبر موت ابنه أبي بكر، (فحيره حتى لهم بالانصراف عن وجهه. ثم آثر الجهاد، وانفذ مزدلي (أحد قادته المشاهير) إلى مراكش) ٤ للقيام بتنظيم الأمور هناك.

وقام يوسف بتنظيم الجيش للتحرك من ظاهر أشبيلية، فجعل القوات الأندلسية لوحدها في المقدمة بقيادة المعتمد بن عباد، لمعرفتها التامة بأرض الأندلس، في حين جعل الجيوش المرابطية في المؤخرة، ثم أمر بالتحرك إلى بطليوس، فتلقاهم المتوكل عمر بن محمد الأفطس بما يجب من الضيافات والأقوات وبذل المجهود ٥. فأقام الجيش هناك ثلاثة أيام للراحة في طرطوشة بالقرب من بطليوس ٦.

---

١ حسن إبراهيم- تاريخ الإسلام جـ٤ ص١٢١/ المعجب للمراكشي ص ١٣٢.

٢ نفح الطيب جـ٤ ص ٣٦٢.

٣ الكامل في التاريخ جـ٨ ص ١٤٢/ أشباخ- تاريخ الأندلس ص ٨٠/ وانظر ما كتبه عبد الله بن بلقين في كتابه التبيان- الحجي ص ٤٠٤.

٤ انظر: الحجي ص ٤٠٤، عن الحلة السيراء جـ٢ ص ١٠٠/ راجع دول الطوائف ص ٣١٩ و٤٤٧.

٥ نفح الطيب جـ٤ ص٣٦٤.

٦ انظر عن طرطوشة ياقوت جـ٤ ص ٣٠ وعن بطليوس: ياقوت جـ٤ ص ٤٤٧/ التواتي ص ٢٩٤.." (١)

"القوى الإسلامية والنصرانية المتواجهة:

بلغ عدد الجيش الإسلامي أكثر من عشرين ألفا، عدا **المتطوعة** الذين جاءوا من سائر بلاد الأندلس ١. وعددهم كبير.

وأما الجيش النصراني فالمقلل يقول: "المختارون أربعون ألف دارع، ولكل واحد أتباع، والنصارى يعجبون ممن يزعم ذلك ويرون أنهم أكثر من ذلك كله" ٢. والمكثر يقول: "إنه كان في ثمانين ألف فارس ومائتي ألف راجل" ٣.

والواقع أن عدد الجيشين الإسلامي والنصراني كبير. وتتفق جميع المصادر أن عدد جيش المسلمين كان أقل من جيش النصارى بكثير، وقد يصل إلى النصف ٤.

---

(١) الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس جميل عبد الله محمد المصري ص/١٨٦

١ حسن إبراهيم- تاريخ الإسلام جـ٤ ص ١٢١.
٢ نفح الطيب جـ٤ ص٣٦٣.
٣ المؤنس ص ١٠٨.
٤ الحجي ص ٤٠٥.." (١)

"على رأس قواته للمساعدة على فك حصار الحملة الصليبية الثانية عن دمشق: شاهد الدماشقة حرمته حتى تمنوه (١)، وراحوا يدعون له دعاء متواصلا (٢) وأخذ يخرج إليه خلال المراحل التالية من الحصار – عدد كبير من الطلاب والفقراء والضعفاء ولهذا دلالته، فهم الذين كانوا في الواقع أصدقاءه الحقيقيين كما سيتبين لنا: فما خاب قصده كما يقول ابن القلانسي (٣)، أما فلاحو المنطقة فكانت قلوبهم معه لأنه منع أصحابه من العبث في مزارعهم، وأعلن أنه جاء لكي يحمى كدحهم من تخريب الصليبيين (٤)، وفي عام ٥٤٧هـ عندما تقدم إلى دمشق لضمها إلى جبهة القتال الجاد المخلص ضد الصليبيين، واستنجد حاكمها مجير الدين بالعسكر والأحداث (٥)، للخروج إلى قتاله. لم يخرج إلا القليل، لما وقر في نفوسهم من استنجاد مجير الدين بالفرنج. وأقام نور الدين على دمشق من غير قتال ولا زحف خوفا على المسلمين (٦).

وقد عزز بذلك محبة الدمشقيين له فكانوا: يدعون ليلا نهارا أن يبذلهم الله سبحانه بالملك نور الدين (٧)، وأخذ نور الدين يكاتب أهل دمشق ويستميلهم: وكان الناس يميلون إليه لما هو عليه من العدل والديانة والإحسان فوعدوه

بالتسليم (٨). وقد دخل نور الدين دمشق عام ٥٤٩هـ في فتح أبيض لم ترق فيه دماء وما ذلك إلا – بتوفيق الله – ثم بمساعدة الجماهير التي كانت تنتظر دخوله منذ سنوات وسنوات: يقال أن امرأة كانت على السور فدلت حبلا فصعدوا إليه، وصار على السور جماعة ونصبوا السلالم وصعدت جماعة أخرى ونصبوا علما وصاحوا بشعار نور الدين (٩) وبعد أقل من ثلاث سنين، حينما أعلن في دمشق عن التطوع في حملة لقتال العدو خرج كل قادر على حمل السلاح من أهل دمشق وتبع نور الدين في حملته تلك: فتيان البلد من الأحداث والغرباء **والمتطوعة** والفقهاء والصوفية والمتدينين العدد

الكثير (١٠). وهناك رواية لابن الأثير، تناقله ا كثير من المؤرخين، تحمل دلالتها العميقة في هذا الموضوع طلب نور

---

(١) الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس جميل عبد الله محمد المصري ص/١٩١

(١) البداية والنهاية نقلا عن نور الدين محمود ص ٢٥.

(٢) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٣٠٨ – ٣٠٩ نور الدين محمود ص ٢٥.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٠ نور الدين محمود ص ٢٦.

(٤) زبدة حلب (٢/ ٣٠٤ – ٣٠٥) نور الدين محمود ص ٢٦.

(٥) نور الدين محمود الرجل والتجربة ص ٢٦.

(٦) مرآة الزمان (٨/ ٢٠٩ – ٢١٠) نور الدين محمود ص ٢٦.

(٧) البداية والنهاية نقلا عن نور الدين محمود ص ٢٦.

(٨) زبدة حلب (٢/ ٣٠٤ – ٣٠٥).

(٩) كتاب الروضتين نقلا عن نور الدين محمود ص ٢٦.

(١٠) نورالدين محمود الرجل والتجربة ص ٢٧.." (١)

"الصليبيون أن وجودهم أصبح مهددا، فتوجهوا بأنظارهم صوب مصر وهيأوا لذلك، فأدرك القائد نور الدين ذلك، فتدخل على هذه الجبهة بنظرة إستراتيجية وأرسل ثلاث حملات متواليات تمكنت من إحباط خططهم وإنهاء الوضع المتردي في مصر ومن ثم إسقاط الدولة الفاطمية وتوحيدها مع الشام – كما سيأتي بيانه بإن الله تعالى.

وكان ابن عساكر في هذه الفترة مواكبا لنور الدين ومحفزا له وداعيا للجهاد والتحرير، وكان يقول داعيا للوحدة: لم يمكن الله أهل فرقة على جماعة أبدا (١)، وخطط نور الدين لجوله فاصلة مع الصليبيين تستخدم فيها طاقات الشام والجزيرة ومصر، والمغرب، وبلاد إسلامية أخرى، وبات متيقنا بالنصر، وتسامع الناس أخبار ثقته بالنصر، فقد كان لنور الدين نجارا بحلب يعرف بالأختريني من ضيعة قريبة من حلب تعرف " بأخترين" اشتهر ببراعته ودقة صنعه التي لا تجارى فأمره " أن يصنع منبرا لبيت الله المقدس، ولبى الرجل ما ندب له، وبذل النجارون، الصناع في صناعته سنين وأبدعوا في تركيبه الإحكام والتزيين (٢)، واستطاع نور الدين من خلال وسائله وخططه وتواصله مع العلماء أن يقلب موازين الصراع لصلاحه، فالمعارك قبل نور الدين كانت تخوضها قوات محترفة تابعة للحكام المسلمين، ومنذ أيام نور الدين بدأ عنصر **المتطوعة** يكثر ويندفع في المعارك، وباتت مع الأيام أعداد **المتطوعة** أكبر من أعداد الجند المحترفة،

(١) عصر الدولة الزنكية علي محمد الصلابي ١٨٢/١

وكان ذلك كله، نتيجة تعبئة مشاعر الناس وتحريضهم على الجهاد، وندبهم إلى حمل السلاح وهو ما كان يتولاه الولاة والوعاظ، ويأتي ابن عساكر كبير علماء الشام ومحدثها الأول في مقدمة هؤلاء. وفي هذا المجال لابد من ملاحظة هامة وهي أن **المتطوعة** لم يقتصروا على سكان العراق وبلاد الشام، أو مصر بل تعداه إلى سكان المغرب والأندلس، فلقد كان المغاربة يأتون للجهاد والحج فيجاهدون ويحجون أو يحجون ويجاهدون، أو يجاهدون وتكتب لهم الشهادة، وكلنا يعلم أن أحد أهم أحياء دمشق هو حي (المغاربة) الذي يعود إنشاؤه إلى تلك المرحلة (٣)،

ولقد تحدث عن المغاربة والأندلسيين ومشاركتهم في الجهاد ضد الصليبيين والعلاقات الثقافية والفكرية بين المغرب والأندلس وبين بلاد الشام والتأثيرات الفكرية بين العلماء، عدد من مؤرخي تلك الفترة وما بعدهم منهم، ياقوت الحموي في

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٨.

(٢) كتاب الروضتين نقلا عن دوره في الجهاد ضد الصليبيين ص ٤٨.

(٣) ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين ص ٤٨ ..." (١)

"المسلمين كالسيل الجارف المندفع من عل (١).

وفي البيان المغرب في معرض الحديث عن القشتاليين، لما رأوا الجيش الاسلامي في سهل الأرك، وهم في المرتفع المشرف عليه: "فهبطوا من مراكزهم كالليل الدامس والبحر الزاخر، أسرابا تتلوها أسراب، وأفواجا تعقبها أفواج، ليس إلا الصهيل والضجيج والحديد على وقع العجيج، فدفعوا حتى انتهوا إلى الأعلام، فتوقفت كالجبال الراسيات، فمالوا على الميسرة فتزحزح قوم من **المطوعة** وأخلاط من السوقة والأحرجة، فصعد غبارها الى الجو، فقال "أبو يوسف، المنصور لخاصته ومن طاف به: جددوا نياتكم وأحضروا قلوبكم ثم تحرك وحده وترك ساقته على حالها، وسار منفردا من خاصته مقدما بشهامته ونجدته، ومر على الصفوف والقبائل، وألقى اليهم بنفسه كلاما وجيزا في الهجوم على عدوهم والنفوذ إليه، وعاد الى موضعه وساقته" (٢) لقد رد المسلمون هجمات القشتاليين مرتين، ولكن العرب والبربر استنفذوا جميع قواهم لرد هذا الهجوم الشرس، ولما عززت صفوف النصارى بقوى جديدة، هجموا للمرة الثانية، وضاعفوا جهودهم واقتحموا صفوف المسلمين وفرقوها، وقتلوا قسما منها، واضطر الباقون إلى التقهقر والتراجع، وأكرم الله

---

(١) عصر الدولة الزنكية علي محمد الصلابي ٣٥٨/١

الآف من المسلمين بالشهادة، منهم القائد العام أبو يحيى بن أبي حفص، الذي سقط شهيد وهو يقاتل بمنتهى الشجاعة والرجولة والعزة والبسالة، وظن النصارى أنهم أحرزوا النصر بعد أن حطموا قلب جيش الموحدين، ولكن الجناح الأيمن للمسلمين بقيادة القائد الأندلسي أبي عبد الله بن صناديد انقض على النصارى

---

(١) انظر: معركة الأرك ص٥٩.

(٢) انظر: البيان المغرب ص١٩٤/ ١٩٥.." (١)

"لقد تغيرت الأوضاع السياسية في الاندلس في ذلك الوقت واستطاع الاسبان النصارى أن يوحدوا جبهتهم الداخلية، وان يدعوا نصارى أوروبا لحرب صليبية باركها البابا أنوسنت الثالث، فحركت تلك الدعوة الحاقدة جموع النصارى في أوروبا وتوافدوا بجيوش جرارة من ألمانيا وفرنسا وأيطاليا لمناصرة الصليب في الأندلس (١).

وشرع النصارى الحاقدين في احراق الزروع والحقول، ونهب القرى وقتل السكان وسبي منهم جموعا كبيرة. وأمام هذه الاعتداءات الهمجية المتكررة على الاندلس، أعلن الناصر لدين الله الجهاد، فحشد قوات كبيرة وشرع في ارسالها من المغرب، وقسمها الى خمسة جيوش:

١ - الجيش الاول من قبائل البربر.

٢ - والثاني من الجنود المغاربة.

٣ - والثالث من الجنود الموحدية النظامية.

٤ - والرابع من **المتطوعة** من جميع أنحاء المملكة.

٥ - والخامس هو جند الاندلس.

وقدر جيش أبي عبد الله محمد الناصر بنصف مليون مجاهد وفي ٢٥ ذي القعدة سنة ٦٠٧هـ أوائل أيار (مايو) سنة ١٢١١م، جاز سلطان الموحدين بنفسه الى الاندلس، ونزل في جزيرة طريف، ثم سار بعد أيام الى أشبيلية وهناك كان الخطأ الفادح (٢).

---

(١) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/١٧٩

(١) انظر: موسوعة المغرب العربي (٣/ ٢٤٠).

(٢) انظر: معركة العقاب، شوقي أبوخليل ص٢٣.." (١)

"٢ - وتتألف الفرقة الثانية من فرسان قلعة رباح، وشنب ياقب، والاستبارية والداوية، وبعض جند الحدود القشتالية، ويقود هذه الفرقة الكونت "جونزالو نونيز دي لارا".

٣ - والفرق الثالثة وتتألف من جند وفرسان من قشتالة القديمة واشنترويش، وبسكونية، ويقودها الكونت "ردريك دياز كاميروس".

٤ - وتتألف الفرقة الرابعة من الجند الاحتياطي من طليطلة، وبعض قوات ليون، ويقودها الفونسو نفسه، فهو هنا يقلد تنظيمات المرابطين والموحدين، وكان يرافق القوات الاحتياطية فضلا عن المطران "ردريك الطليطلي" (١)، عدة اساقفة من قشتالة وليون مع جندهم.

وكان يقود الجناح الأيمن سانشو ملك نافارا، وفيه فرسان فرنسيون بقيادة آرنولد مطران أربونة، وجند جليقية والبرتغال وعلى رأسهم الأمير البرتغالي.

أما الجناح الأيسر، فكان ينقسم أيضا إلى أربع فرق، ويتألف كله من قوات أراغون، ما عدا بعض جند المشاة القشتاليين، ويقوده الملك بيدروا، ومن حوله الأحبار والأرغونيون.

أما جيش الموحدين، فقد قسمه أبو عبد الله محمد الناصر تجاه جيش النصارى في سهل "تولوزا" وفق الأوضاع الموحدية إلى خمس فرق.

كانت الفرقة الأمامية تتألف من **المتطوعة**، وهم الذين يتطوعون من تلقاء أنفسهم، وبدافع ذاتي محض للجهاد والموت في سبيل الله، ونشر الإسلام. وتقدرهم الرواية العربية بمائة وستين ألف مقاتل. واصطفت القوات الأندلسية في الميمنة، والقبائل البربرية في الميسرة، وأما القلب والقوات الاحتياطية

---

(١) انظر: تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين لأشباخ (٢/ ١١٧).." (٢)

"فكانت تتألف من صفوة الجيش، من الجند المغاربة والنظاميين، او بعبارة أخرى من الجند الموحدين. وضرب أبو عبد الله محمد الناصر قبته الضخمة الحمراء في وسط الصفوف، ربط أمامها جواده المسرج. وقعد في داخلها على درقته (١)، إيذانا باقتراب المعركة، ومن حوله حرسة من مشاة وفرسان.

---

(١) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٢٠٣

(٢) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٢١٠

وشهر الجند حرابهم في اتجاه معسكر النصارى الاسبان ومن معهم من قوات أوربية صليبية، فكانت سدا منيعا دون اختراقه الموت.

ولما تمت استعدادات المعركة، خرج سلطان الموحدين من قبته وهو يرتدي عباءة سوداء من مخلفات جده عبد المؤمن وقد رفع المصحف الشريف باحدى يديه، وشهر سيفه بالأخرى بينما كان قرع الطبول الضخمة يدوي بشدة في ساحة المعركة (٢) وسارع جند **المتطوعة** المسلمين للقتال وطلب الشهادة في سبيل الله وكان هجومهم عنيفا قويا ولكنهم لم يستطيعوا ان يخترقوا صفوف النصارى التي كانت مدعومة بجماعات الفرسان الدينية – الاستبارية والدواوية – فاستطاعوا أن يردوا جموع المسلمين، وان يمزقوها. واستشهد ألوف من المسلمين في سبيل الله والإسلام، ولكن القشتاليين حينما عمدوا إلى مطاردة **المتطوعة** المسلمين، وتقدموا بذلك ظافرين من قلب الجيش الإسلامي، حيث حشدت صفوة الجند، لقوا اشد مقاومة، وسرعان ما اضطروا إلى مغادرة مراكزهم الأمامية، وارتدوا فارين، فتابعهم الفرسان المسلمون في ارتدادهم وفرارهم. ولما رأى ملك قشتالة من الربى تطور المعركة على هذا النحو السيء،

---

(١) انظر: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين (٢/ ١١٨).

(٢) انظر: العقاب ص٤٢.." (١)

"في أوائل عهده غزا القشتاليون غرناطة وكان من ضمن القشتاليين جيش السلطان المخلوع، فهزموا المسلمين هزيمة شديدة في وادي فرتونة سنة ٧١٦هـ واستولى النصارى على بعض القواعد والحصون (١). وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة ألب ملوك النصارى على غرناطة، وجاءها (دون بطرة) في جيش لا يحصى كثرة، وكان وصيا على الملك الصبي ألفونسو الحادي عشر ملك قشتالة، ومعه خمسة وعشرون ملكا أو أميرا بغرض استئصال ما بقي من المسلمين بالأندلس، وكانت حملة قد باركها مرجعهم الكنسي "البابا" في طليطلة (٢) وكان من ضمن هذا الجيش فرقة من **المتطوعة** الإنجليز بقيادة أمير إنجليزي (٣).

كان عدد الجيش الإسلامي حوالي ستة آلاف، منهم ألف وخمس مئة فارس والباقي رجالة. لكنهم صفوة مختارة بقيادة شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء (٤)، وبعد أن يئس المسلمون من نصرة إخوانهم المغاربة، لجاوا إلى الله تعالى وأخلصوا نياتهم. فقضى الله تعالى بهزيمة أمم النصرانية التي احتقرت جيش غرناطة حينما رأت التفاوت الكبير بين الجيشين، وكان نصرا عزيزا، ويوما مشهودا. زاد عدد القتلى في هذه

---

(١) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٢١١

المعركة على خمسين ألفا، وبلغ جملة السبي فقط سبعة آلاف نفس، وهلك الأمراء النصارى جميعهم، واستمر البيع في الأسرى، والأسلاب والدواب ستة أشهر، وإنه لنصر ما كان يؤمل لولا لطف الله بعباده لما رأى صدق توجههم إليه (٥).

---

(١) انظر: ابن جزي ومنهاجه في التفسير لعلي الزبيري (١/ ٥٦).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) التاريخ الاندلسي ص٥٤١ - ٥٤٢.

(٤) المصدر السابق ص٥٤٢.

(٥) انظر: ابن جزي ومنهجه في التفسير (١/ ٥٧).." (١)

"استقبل فرديناند السفيرين، ولم يعبأ بوعيد السلطان الأشرف، ولم يغير خطته، ولكنه كتب إليه في أدب المجاملة: "أنهما - فرديناند وزوجه ايزبيلا - لايفرقان في المعاملة بين رعاياهما المسلمين والنصارى، ولكنهما لايستطيعان صبرا على ترك أرض الآباء والأجداد في يد الأجانب، وأن المسلمين إذا شاؤوا حياة في ظل حكمهما راضين مخلصين، فإنهم سوف يلقون منهما مايلقاه الرعايا الآخرون من الرعاية" (١).

وفشلت المحاولة الدبلوماسية، وتركت غرناطة تلاقي قضاءها المحتوم، ولم ينفذ السلطان تهديده، فلم يضطهد أحدا، لأن الإسلام لايجيز له ذلك. وأخذت المدن تتساقط تباعا بيد فرديناند، فسقطت المرية في عام ٨٩٥هـ/١٨٩٠م واستسلمت بشروط هي أنموذج لشروط سقوط باقي القواعد الإسلامية واهمها:

١ - أن يحتفظ المسلمون بدينهم وشريعتهم وأموالهم.

٢ - تخفف عنهم أعباء الضرائب.

٣ - ألا يولى عليهم يهودي.

٤ - ألا يدخل نصراني في "الجماعة الإسلامية"

٥ - وأن يختار الأولاد الذين يولدون من أمهات نصارى الدين الذي يريدون عند البلوغ .. وغيرها من الشروط إلا إن النصارى لايلتزمون بشيء من ذلك بل يسبون النساء ويسترقون الرجال ويغتصبون الأموال.

وسقطت الثغور التي كانت تصل غرناطة بالمغرب حيث كانت تفد بعض **المتطوعة**، وانقطعت الصلة نهائيا بعدوة المغرب والشمال الإفريقي (٢).

---

(١) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٢٦٠

(١) نهاية الاندلس وتاريخ المنتصرين ص٣٦٩.

(٢) انظر: مصرع غرناطة ص (٧٢،٧٣،٧٤،٧٥،٧٦،٧٧).." (١)

"لقد جعل عبد الملك المدفعية في المقدمة، ثم صفوف للرماة المشاة وجعل قيادته في القلب وعلى المجنبتين رماة فرسان والقوى الاسلامية **المتطوعة** وجعل مجموعة من الفرسان كقوة احتياطية لتنقض في الوقت المناسب وهي في غاية الراحة لمطاردة فلول البرتغاليين، واستثمار النصر (١).

كان صباح الاثنين ٣٠ جمادى الآخرة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م يوما مشهود في تاريخ المغرب، ويوما خالدا في تاريخ الاسلام. وقف السلطان عبد الملك المعتصم بالله خطيبا في جيشه، مذكرا بوعد الله للصادقين المجاهدين بالنصر (٢) ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (الحج، آية:٤٠).

﴿ومالنصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ (الانفال، آية:١٠).

كما ذكر بوجوب الثبات:

﴿ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار﴾ (الانفال، آية:١٥).

﴿ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (الانفال: آية:٤٥).

وبضرورة الانتظام:

﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ (الصف، آية:٤).

وذكر أيضا حقيقة لا مراء فيها: إن انتصرت الصليبية اليوم، فلن تقوم

(١) انظر: وادي المخازن ص.

(٢) المصدر السابق ص٦٢.." (٢)

"مراده، فاتجه بكليته إلى طلب ملذاته، وتلبية شهواته، وأحاط نفسه بمن هم على شاكلته من إخوان السوء وأدنياء القوم عمر بهم مجالسه١.

وضعف نظر شنجول عن رؤية أي شيء في الدولة يحتاج إلى إصلاح، ولذا فقد كان القرار الإصلاحي الأول الذي أصدره مفاجأة غير سارة لرجالات الدولة، فقد أمر الوزراء وأصحاب المناصب العليا بطرح

(١) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٢٧١

(٢) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٣٣٤

القلانس الطوال المرقشة الملونة، والتي تميزهم عن غيرهم، وأمرهم بلبس العمائم البربرية وتوعد بالعقوبة من يخالفه٢.

وعندما أعلن الجهاد، لمواصلة المسيرة العسكرية لأبيه وأخيه، لم يستجب له إلا المرتزقة ويسير من **المطوعة٣**، ثم ارتكب حماقة كبيرة عندما خرج بمن استجاب له في أشد أوقات السنة برودة٤، وسلك طريقا يدعى بالعريان٥، فاقتحم أرض جليقية٦، من قبل طليطلة، وهو

١- البيان المغرب ٣/٤٧-٤٨، أعمال الأعلام ٢/٩٤.

٢- البيان المغرب ٣/٤٨.

٣- المصدر السابق ٣/٣٩.

٤- نفسه 3/٦٦.

٥- ذكر ابن عذاري أن شنجول عندما سلك هذا الطريق، تفائل له قوم من الناس وقالوا: أعرى هذا الفتى. البيان المغرب ٣/٣٩.

٦- جليقية هي المنطقة الممتدة من نهر دويرة جنوبا حتى الساحل الشمالي لأسبانيا ومن ساحل البحر المحيط لها حتى منطقة قشتالة، انظر: البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٧١-٧٣، الروض المعطار ص١٦٩، ويعتبر الفونسو الأول بن بطره حاكم إمارة كانتبريا المؤسس الحقيقي لمملكة جليقية، وذلك حوالي النصف الأول من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) انظر: د. عبد الرحمن علي الحجي، اندلسيات، المجموعة الثانية، (بيروت، دار الإرشاد، ط الأولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ص٤٢. وأما اليوم فإن إقليم جليقية هو الركن الشمالي لأسبانيا وهو يضم أربع مديريات تحمل كل منها اسم عاصمتها، وهي في مجموعها ولايات بحرية، يعمل أهلها بالزراعة وتربية الماشية وصيد السمك وبناء السفن. انظر: رحلة الأندلس ص٣٦٢-٣٦٣.." (١)

"غالب بن عبد الرحمن "فكان خروجه فخما ظاهرا في عسكر لجب من طبقات الحشم الذين استجاز حملاتهم"١.

وإلى جانب هذه العناصر التي ذكرناها والتي تشكل في مجملها القوات النظامية في الجيش الأموي بالأندلس، وجد المتطوعه الذين يخرجون للجهاد في سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم طلبا لما عند الله

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ١/ ٧٤

تعالى وإعلاء لكلمته، فقد كان هؤلاء **المتطوعة** بمجرد أن يسمعوا نداء الأمير أو الخليفة للجهاد يسارعون بتلبية النداء بلاد تردد، وكانت العدوة المغربية مصدرا من مصادر **المتطوعة** الذين يرون في الأندلس "دار جهاد وموطن رباط٢".

وقد كان **المتطوعة** موضع ثناء أمراء وخلفاء بني أمية لسرعة استجابتهم وصالح بلائهم٣ ورغم أنه كان يسمح لهم بالعودة إلى ديارهم ومنازلهم بعد الغزو، إلا أن بعضهم يرفض العودة إلى أهله، مفضلا المرابطة في سبيل الله تعالى وحراسة الثغور على كل شيء، فأقاموا الربط٤ التي

١- المقتبس، تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي، ص ٢٢٨.

٢- جغرافية الأندلس وأوربا، ص١٣٠. وانظر ابن الزبير، صلة الصلة، (تحقيق: ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط ١٩٣٧م) . ترجمة رقم ٣٣٢.

٣- المقتبس، تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي، ص٢٢٦.

٤- عن الربط انظر: المالكي، رياض النفوس، (تحقيق: د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية ط الأولى ١٩٥١م) ج١ ص٢٥-٢٧ من مقدمة المحقق.." (١)

"الناس فيعطيه نصفها١، وأما من استشهد من جند الجيش الأموي فإن عطاؤه وأرزاقه تنتقل إلى ذريته٢.

وأما **المتطوعة** الذين لا ذكر لهم في الديوان، فهم بالإضافة إلى ما يغنمونه من المعارك فإن لهم صلات من الأمراء والخلفاء٣.

بقي أن نقول إن المنصور بن أبي عامر كان يدرك تماما أن الكثير من أبناء الشعب الأندلسي غير راض عن السياسة القهرية التي ينهجها، ولذا فقد كان يخشى من حركة تهب في وجهه أو عصيان يدبر ضده فيطيح به، وهو مدرك في الوقت نفسه أن الجيش له الكلمة الفاصلة في هذا الموضوع، لأجل ذلك عمل على إجراء تغييرات جذرية في تركيبة الجيش، فنسخ تنظيمه الداخلي الذي كان سائدا طيلة عهد أمراء وخلفاء بني أمية إلى عصر الخليفة هشام المؤيد٤،وذلك عندما جعل كل تشكيل من

١- أخبار مجموعة ص١١٩، والمكافأة على الشجاعة والاستبسال أول من أقرها الخليفة الراشد عمر بن

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٥٠١/٢

الخطاب رضي الله عنه، فقد كتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بأن يفرض لخارجة بن حذافة رضي الله عنه في شرف العطاء لشجاعته. انظر: البلاذري، فتوح البلدان، (بعناية: رضوان محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، ط الأولى ١٣٥٠هـ) ، ص٢٤٤.

٢- أخبار مجموعة، ص١٢٠. وهو في هذا متبع لفعل الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه، انظر: فتوح البلدان، ص ٤٤٧.

٣- البيان المغرب ٣/٤.

٤- كان الجيش الأموي قبل عهد المنصور يعتمد في أساسه على تجميع الفئات والقبائل من مختلف الرتب، كل صنف على حدة مع إيجاد عملية التآلف بين الجميع.." [1]

"خرج سنة ٢٧٨هـ (٨٩١م) لمواجهة ابن حفصون كان تعداد القوة التي رافقته أربعة عشر ألف رجل بمن فيهم جنده والحشم والموالي **والمطوعة** والمرتزقة١. بل إن قائده الشهير أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبد هـ كان يخوض معاركة بثلاثمائة فارس انتخبهم من خيرة المدونة٢.

وعلى العكس من عصر الأمير عبد الله نجد أن الجيش أصبح تعداده هائلا في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، إذ أدرك منذ وصوله للحكم معنى توفر قوة عسكرية ضاربة لدى حكومته، فعمل على إصلاح الجيش وحشد الجند، حتى أنه كان ينفق ثلث خزينة الدولة على جيشه٣، حتى أصبح لديه أفضل جيش في العالم٤ ولنا أن نتصور ضخامة الجيش الذي خاض معركة "الخندق" بعد أن حشر له الناس حشرا٥، وإذا كان عدد قتلى المسلمين في المعركة بلغ أربعين أو خمسين ألف ٦، فكم سيكون العدد الكلي للجيش إذن؟

١- المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص١٠٤. العرب في إسبانيا، ص٨٩.

٢- المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ١٢٩.

٣- البيان المغرب، ٢/٢٣١.

٤- مختصر تاريخ العرب، ص ٤٢٠.

٥- المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٣٣.

٦- العرب في إسبانيا، ص١٠٨. دولة الإسلام في الأندلس، ع١ق٢ ص ٤١٤.." [2]

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٢/٥٠٣

(٢) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٢/٥٠٦

"ونظرا لاهتمام المنصور بن أبي عامر بجلب المرتزقة من كافة الطوائف، فقد ازداد عدد الجيش في عهده، حتى أن عدد الفرسان في بعض صوائفه بلغ ستة وأربعين ألف فارس١.

وقد كان على أهل قرطبة وأقاليمها ضريبة تعرف بـ"ضريبة الحشود والبعوث" عليهم إخراجها كل سنة للصوائف الغازية للمالك النصرانية في الشمال، ويتولى الوزير صاحب المدينة مسئولية إخراج الناس لتلك البعوث، ولا يمكن أن يتخلف أحد قادر على حمل السلاح إلا إذا كان لديه عذر شرعي أو أغلق عليه داره، بعلم الوزير صاحب المدينة، شريطة ألا يغادر منزله إلا بعد عودة الجيش من الغزو٢، كما يتولى صاحب المدينة مسئولية حشد فتيان قرطبة القادرين على حمل السلاح، وذلك في المناسبات التي تقام فيها استعراضات عسكرية٣.

ولم تلغ ضريبة الحشود والبعوث عن أهل قرطبة إلا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي ترك الأمر عائدا لهمة أهلها، إلا في حالة تعرض البلاد لهجوم مفاجئ من أي جهة كانت، ثم أعيدت هذه الضريبة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر٤، وأصبح **المتطوعة** يشكلون قوة رئيسة في الجيش لديه، وقد كثرت أعدادهم في جيشه، حتى أن "جموعهم إذا

١- أعمال الأعلام، ٢/٩٩.

٢- المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص ٤٤-٤٥.

٣- المقتبس، تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي، ص٤٧-٤٨.

٤- المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص ٢٧١.." (١)

"توافت، وأعدادهم إذا تكاملت تضيق عنهم بلاد العدو ولا تسعهم غلاتها، ولا ترويهم مياهها١"، وقد توقف العمل بتلك الضريبة بعد معركة الخندق٢، ففي سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩م) اقتصر الخليفة عبد الرحمن الناصر

١- المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٤٩.

٢- وذلك لأن القتلى والأسرى في تلك المعركة كان جلهم من **المتطوعة** انظر: المقتبس، تحيقيق: شالميتا ص ٤٣٦. اهتم الأندلسيون بأمر التطوع، ووصل الأمر ببعضهم أن وضع أقوالا نسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم كلها تحض على الجهاد في الأندلس، كما أن المرابطة في الثغر إلى نيل الشهادة كانت اولى

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٢/٥٠٧

الحلول لدى الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى بوصفها كفارة للقاتل إذا أبى أهل القتيل القصاص أو الدية. انظر: بغية الملتمس، ص ١٤. النباهي، تاريخ قضاة الندلس، ص ٦٢. ومن هنا لا نستغرب كثرة **المتطوعة** الذين يخرجون للجهاد في سبيل الله تعالى. وقد ذكر ليفي بروفنسال eL.Prov ncal: Op. Cit. 3, P: 68 وتابعه هشام أبو رميلة في رسالته عن "نظم الحكم في الأندلس، ص٣٠٧" أن الحشاد الذين يتم تكليفهم من قبل حكومة قرطبة، لأجل حشد **المتطوعة** واستنفارهم، كانوا يلجأون إلى طرق ملتوية في الحشد، ولم يفسر بروفنسال ولا من تابعه تلك الطرق الملتوية. وأود أن أذكر هنا أنه إذا كانت كلمات الحشاد التي تعتمد على إثارة الناس من خلال تذكيرهم بعظيم الأجر والمثوبة لمن جاهد حتى تكون كلمة الله هي العليا وما ادخر للشهيد من ثواب، وكذلك إلهاب حماس المخاطبين بالأشعار والأقوال المؤثرة، إذا كان هذا هو التحايل فقول بروفنسال مردود عليه. وبمقابل جهود الحشاد في استنفار الناس للجهاد، نجد أن الرهبان مع ألفونس الثاني "٢٢٧هـ /٨٤٢م" ملك جليقية "وليون" قد اخترعوا "سنة ١٩٧هـ/٨١٣م" قصة القديس يعقوب وذلك لإثارة النصارى ودفعهم للاستماتة في القتال ضد المسلمين. انظر العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، ص ١١٩.." (١)

"على رأس قواته للمساعدة على فك حصار الحملة الصليبية الثانية عن دمشق: شاهد الدماشقة حرمته حتى تمنوه (١)، وراحوا يدعون له دعاء متواصلا (٢) وأخذ يخرج إليه خلال المراحل التالية من الحصار – عدد كبير من الطلاب والفقراء والضعفاء ولهذا دلالته، فهم الذين كانوا في الواقع أصدقاءه الحقيقيين كما سيتبين لنا: فما خاب قصده كما يقول ابن القلانسي (٣)، أما فلاحو المنطقة فكانت قلوبهم معه لأنه منع أصحابه من العبث في مزارعهم، وأعلن أنه جاء لكي يحمى كدحهم من تخريب الصليبيين (٤)، وفي عام ٥٤٧هـ عندما تقدم إلى دمشق لضمها إلى جبهة القتال الجاد المخلص ضد الصليبيين، واستنجد حاكمها مجير الدين بالعسكر والأحداث (٥)، للخروج إلى قتاله. لم يخرج إلا القليل، لما وقر في نفوسهم من استنجاد مجير الدين بالفرنج. وأقام نور الدين على دمشق من غير قتال ولا زحف خوفا على المسلمين (٦).

وقد عزز بذلك محبة الدمشقيين له فكانوا: يدعون ليلا نهارا أن يبذلهم الله سبحانه بالملك نور الدين (٧)، وأخذ نور الدين يكاتب أهل دمشق ويستميلهم: وكان الناس يميلون إليه لما هو عليه من العدل والديانة والإحسان فوعدوه

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٥٠٨/٢

بالتسليم (٨). وقد دخل نور الدين دمشق عام ٥٤٩هـ في فتح أبيض لم ترق فيه دماء وما ذلك إلا – بتوفيق الله – ثم بمساعدة الجماهير التي كانت تنتظر دخوله منذ سنوات وسنوات: يقال أن امرأة كانت على السور فدلت حبلا فصعدوا إليه، وصار على السور جماعة ونصبوا السلالم وصعدت جماعة أخرى ونصبوا علما وصاحوا بشعار نور الدين (٩) وبعد أقل من ثلاث سنين، حينما أعلن في دمشق عن التطوع في حملة لقتال العدو خرج كل قادر على حمل السلاح من أهل دمشق وتبع نور الدين في حملته تلك: فتيان البلد من الأحداث والغرباء **والمتطوعة** والفقهاء والصوفية والمتدينين العدد

الكثير (١٠). وهناك رواية لابن الأثير، تناقله ا كثير من المؤرخين، تحمل دلالتها العميقة في هذا الموضوع طلب نور

---

(١) البداية والنهاية نقلا عن نور الدين محمود ص ٢٥.

(٢) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٣٠٨ – ٣٠٩ نور الدين محمود ص ٢٥.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٠ نور الدين محمود ص ٢٦.

(٤) زبدة حلب (٢/ ٣٠٤ – ٣٠٥) نور الدين محمود ص ٢٦.

(٥) نور الدين محمود الرجل والتجربة ص ٢٦.

(٦) مرآة الزمان (٨/ ٢٠٩ – ٢١٠) نور الدين محمود ص ٢٦.

(٧) البداية والنهاية نقلا عن نور الدين محمود ص ٢٦.

(٨) زبدة حلب (٢/ ٣٠٤ – ٣٠٥).

(٩) كتاب الروضتين نقلا عن نور الدين محمود ص ٢٦.

(١٠) نورالدين محمود الرجل والتجربة ص ٢٧.." (١)

"الصليبيون أن وجودهم أصبح مهددا، فتوجهوا بأنظارهم صوب مصر وهيأوا لذلك، فأدرك القائد نور الدين ذلك، فتدخل على هذه الجبهة بنظرة إستراتيجية وأرسل ثلاث حملات متواليات تمكنت من إحباط خططهم وإنهاء الوضع المتردي في مصر ومن ثم إسقاط الدولة الفاطمية وتوحيدها مع الشام – كما سيأتي بيانه بإن الله تعالى.

وكان ابن عساكر في هذه الفترة مواكبا لنور الدين ومحفزا له وداعيا للجهاد والتحرير، وكان يقول داعيا

---

(١) القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره علي محمد الصلابي ١/٣٥

للوحدة: لم يمكن الله أهل فرقة على جماعة أبدا (١)، وخطط نور الدين لجوله فاصلة مع الصليبيين تستخدم فيها طاقات الشام والجزيرة ومصر، والمغرب، وبلاد إسلامية أخرى، وبات متيقنا بالنصر، وتسامع الناس أخبار ثقته بالنصر، فقد كان لنور الدين نجارا بحلب يعرف بالأخترينى من ضيعة قريبة من حلب تعرف " بأخترين" اشتهر ببراعته ودقة صنعه التي لا تجارى فأمره " أن يصنع منبرا لبيت الله المقدس، ولبى الرجل ما ندب له، وبذل النجارون، الصناع في صناعته سنين وأبدعوا في تركيبه الإحكام والتزيين (٢)، واستطاع نور الدين من خلال وسائله وخططه وتواصله مع العلماء أن يقلب موازين الصراع لصلاحه، فالمعارك قبل نور الدين كانت تخوضها قوات محترفة تابعة للحكام المسلمين، ومنذ أيام نور الدين بدأ عنصر **المتطوعة** يكثر ويندفع في المعارك، وباتت مع الأيام أعداد **المتطوعة** أكبر من أعداد الجند المحترفة، وكان ذلك كله، نتيجة تعبئة مشاعر الناس وتحريضهم على الجهاد، وندبهم إلى حمل السلاح وهو ما كان يتولاه الولاة والوعاظ، ويأتي ابن عساكر كبير علماء الشام ومحدثها الأول في مقدمة هؤلاء. وفي هذا المجال لابد من ملاحظة هامة وهي أن **المتطوعة** لم يقتصروا على سكان العراق وبلاد الشام، أو مصر بل تعداه إلى سكان المغرب والأندلس، فلقد كان المغاربة يأتون للجهاد والحج فيجاهدون ويحجون أو يحجون ويجاهدون، أو يجاهدون وتكتب لهم الشهادة، وكلنا يعلم أن أحد أهم أحياء دمشق هو حي (المغاربة) الذي يعود إنشاؤه إلى تلك المرحلة (٣)،

ولقد تحدث عن المغاربة والأندلسيين ومشاركتهم في الجهاد ضد الصليبيين والعلاقات الثقافية والفكرية بين المغرب والأندلس وبين بلاد الشام والتأثيرات الفكرية بين العلماء، عدد من مؤرخي تلك الفترة وما بعدهم منهم، ياقوت الحموي في

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٨.

(٢) كتاب الروضتين نقلا عن دوره في الجهاد ضد الصليبيين ص ٤٨.

(٣) ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين ص ٤٨ ..." (١)

"مجانيقهم، وما لبثت المدينة أن سقطت في أيديهم رابع صفر سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م، يقول ابن الأثير: ووضعوا السيف في أهلها، فقتل منهم ما يخرج عن الحد والإحصاء، ونهبوا كل ما صلح لهم وما لا يصلح لهم أحرقوه (١)، وكي يتأكد المغول من فناء جميع أهلها أمروا بعض الأسرى المسلمين أن ينادوا

---

(١) القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره علي محمد الصلابي ٢١١/١

في شوارعها بأن المغول قد رحلوا، فلما اطمأن من اختفى من أهلها في الدروب والآجام وخرجوا من مخابئهم قبض المغول عليهم وقتلوهم عن آخرهم (٢)،

لقد تعرض شرق الدولة الإسلامية لهذا الغزو المغولي، على هذه الصورة المروعة، ومع ذلك فإن خليفة بغداد الناصر لدين الله لم تبد منه أية محاولة لصده، كما لم يستمع إلى الرسل الذين قدموا إليه من البلاد التي نكبها المغول، وقد حمل موقف الخليفة السلبي من هذه البلاد، وعدم الإسهام في نجدتها بعض المؤرخين على اتهامه بالاتصال بالمغول، وتحريضهم على غزو الدولة الخوارزمية على أن الخليفة الناصر بدأ يشعر بخطر الزحف المغولي عندما رحل المغول عن مدينة مراغة، وقصدوا مدينة إربل، فأثار بعض أمراء المسلمين الخاضعين له، وقد عبر ابن الأثير عما انتاب أهل الموصل من الخوف حين شرع المغول في الزحف على مدينة أربل بقوله: ووصل الخبر إلينا بذلك بالموصل، فخفنا حتى إن بعض الناس هم بالجلاء خوفا من السيف (٣)، وانزعج الخليفة الناصر حين علم بزحف المغول على مدينة إربل، وكان يلي إمارتها حينئذ مظفر الدين كوكبري من قبل خليفة بغداد، فقد خشي الناصر أن يتجه قواد المغول إلى العراق العربي عن طريق دقوقا بدلا من إربل، بعد أن يكتشفوا وعورة مسالكها، وصعوبة الوصول إليها، لذا بعث برسل تحمل أوامره إلى كل من مظفر الدين كوكبري صاحب إربل، وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، والملك الأشرف موسى صاحب بلاد الجزيرة، يأمرهم بالتوجه إلى مدينة دقوقا في عسكرهم ليصدوا المغول إن هم عدلوا عن إربل إليها، توطئة لاقتحام العراق العربي، فسير بدر الدين بعض فرق جيشه إلى دقوقا، وغادر مظفر الدين إربل في صفر سنة ٦١٨هـ١٢٢١م مع عساكره وتبعهم جمع كثير من العساكر **المتطوعة** أما الملك الأشرف فاعتذر عن الحضور بنفسه في عسكره إلى دقوقا بوصول الملك المعظم عيسى بن الملك العادل

---

(١) مرآة الجنان لليافعي (٤/ ٣٧ - ٣٨)، عودة الروح صـ٢٠٨.

(٢) الدولة الخوارزمية صـ١٣٤ - ١٣٥ ..

(٣) عودة الروح صـ٢٠٩، الكامل (١٢/ ١٥٥ - ١٥٦).." (١)

"محمد بن يزيد بن مزيد الشيباني أشهر قادته إلى طرسوس مرابطا١. فكانت جهود الرشيد قد تركت جرحا عميقا في جسد الدولة البيزنطية، وكانت مرابطة طرسوس وأهلها شجى في حلوق الروم، فلم تستطع بيزنطة أن تفيق منها في سهولة ويسر، يدل على هذا أنها لم تحاول استغلال أوضاع الدولة العباسية أثناء

---

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار علي محمد الصلابي ص/١٢٤

الفتنة بين الأمين والمأمون٢ (١٩٣-١٩٤هـ) . فمكن طرسوس وبقية الثغور من أن تحتفظ بمركزها، بل أن تقوم بدور فعال في الجهاد بنفسها. وظهر إلى جانب المجاهدين من أهلها **المتطوعة** الذين كان لهم أثر محمود في الجهاد إجمالا، وخاصة في الثغور، وكانوا يجعلون في جناحي الجيش النظامي، فتكون وظيفتهم الإحاطة بجناحي العدو، دون أن يختلطوا بالجند النظامي المدرب، أو أن يوكل إليهم أن يغيروا على العدو، قبل نشوب الحرب لإزعاجه في قواعده، وعرقلة تجمعاته، وتخريب مدخراته، وقطع مواصلاته، كما قد يوكل إليهم مهمة مطاردة العدو عند تقهقره.

وقد ظهر دور **المتطوعة** في الثغور جليا إبان ضعف الدولة الإسلامية، الداخلي، وعدم قدرة الخلفاء على تسيير الجيوش أثناء الفتن الداخلية. وكانت أعمالهم كما عبر عنها الذهبي: تسر قلب المسلم٣.

واستتمت طرسوس أهميتها في عهد المأمون (١٩٨، ٢١٨هـ) . لما اعتلى "تيوفيل" العرش سأل المأمون الصلح عام ٢١٠ هـ، فلم يجب المأمون إذ كانت الدولة البيزنطية تقف إلى جانب البابكية في أذربيجان، فكتب المأمون إلى عمال الثغور ومنها طرسوس فساحوا في بلاد الروم، فأكثروا من القتل فدوخوها وظفروا ظفرا حسنا إلا أن يقظان بن عبد الأعلى السلمي أصيب٤. وفي عام ٢١٥ هـ أخذ المأمون ينفذ خطته في ضرب الدولة البيزنطية مستعيدا خطة الرشيد، فدخل طرسوس في جمادي الأولى في جحافل كثيرة، واتخذها قاعدة للهجوم على الروم، فدخل بلاد الروم وفتح حصن قرة، وخرشنة، وصملة، ثم رجع إلى دمشق٥، لمواجهة بعض المشكلات فعدا"تيوفيل" امبراطور الروم على جماعة من المسلمين في أرض طرسوس عام

---

١ ابن تغري- النجوم الزاهرة- ٢/ ١٣٦

٢ سير أعلام النبلاء ١٣/٤٠.

٣ العالم الإسلامي ص ١٦٥.

٤ فتوح البلدان ص ١٦٥/١٩٦.

٥ الكامل في التاريخ ٥/ ٢١٩، البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٩، المعارف ص ١٧١.." (١)

"ووصلت أخبار الكارثة إلى بغداد، فجمع أهل اليسار أموالا كثيرة من أهل بغداد، لتصرف إلى من ينهض إلى ثغور المسلمين لقتال العدو، عوضا عن من استشهد من المسلمين هناك. فأقبل الناس من نواحي الجبال، وأهواز، وفارس لغزو الروم، ذلك لأن الخليفة والجيش لم ينهضوا لقتال الروم١ فورد طرسوس عدد

---

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور جميل عبد الله محمد المصري ص/١١٢

من المجاهدين رابطوا فيها ومنهم أحمد بن طولون ومعه الخاقاني وكان خصيصا عنده، وردها عام ٢٥١ هـ٢ ورابط بها، وأدمن على الغزو والجهاد. فحصلت نقطة تحول تاريخي، إذ ظهر دور **المتطوعة** وأهالي الثغور بوضوح في التصدي للروم، وأصبحت طرسوس تظهر بقوة عظيمة، منها تخرج النجدات لأهالي الثغور، ولا يجرؤ الروم على مهاجمتها.

وانتعشت الخلافة في عهد المعتمد (٢٥٦- ٢٧٩ هـ) على يدي أخيه أبي أحمد الموفق، الذي واجه حركة الزنج بقوة وجرأة. وولي أحمد بن طولون مصر، وكان يؤثر أن يلي طرسوس ليغزو منها أميرا. فكتب إلى أبي أحمد الموفق يطلب ولايتها، فلم يجبه، واستعمل عليها محمد بن هرون التغلبي، فقتل قبل وصوله. فاستعمل عوضه محمد بن علي الأرمني، وأضيف إليه انطاكيا، فوثب به أهل طرسوس فقتلوه. فاستعمل عليها أرخوز بن يولغ بن طرخان التركي، فسار إليها، وكان غرا جاهلا فأساء السيرة، وأخذ عن أهل لؤلؤة أرزاقهم، وميرتهم، فضجوا من ذلك، وكتبوا إلى أهل طرسوس يشكونه ويقولون: "إن لم ترسلوا إلينا أرزاقنا وميرتنا، وإلا سلمنا القلعة إلى الروم ". فأعظم ذلك أهل طرسوس، وجمعوا من بينهم خمسة عشر ألف دينار، ليحملوها إليهم. فأخذها أرخوز، ليحملها إلى لؤلؤة، فأخذها لنفسه. فسلموا القلعة إلى الروم. فقامت على أهل طرسوس القيامة، لأنها كانت شجا في حلق الروم، فلم يكن يحرج الروم في بر أو بحر إلا ردوه وأنذروا به.

واتصل الخبر بالمعتمد، فقلد أحمد بن طولون طرسوس والثغور، واستعمل عليها من يقوم بغزو الروم ويحفظ ذلك الثغر عام ٢٦٣ هـ٣.

وقام عبد الله بن رشيد بن كاوس عام ٢٦٤ هـ في أربعة آلاف من أهل الثغور الشامية بدخول بلاد الروم، فلما عاد عن البدندون خرج عليه بطريق سلوقية، وبطريق قرة كوكب، وخرشنة، فأحدقوا بالمسلمين، وقتلوهم إلا خمسمائة فإنهم حملوا حملة رجل واحد، ونجوا على

---

١ البداية والنهاية ٣/١١.

٢ ابن تغري ٣/٥.

٣ الكامل في التاريخ ٦/ ١٥.." (١)

"وتوفي أبو أحمد الموفق في العام نفسه (٢٧٨ هـ) ، وكان له خادم من خواصه يقال له راغب، فاختار الجهاد، وسار إلى طرسوس، على عزم المقام بها. فلما وصل إلى الشام، سير ما معه من دواب،

---

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور جميل عبد الله محمد المصري ص/١١٦

وآلات، وخيام، وغير ذلك إلى طرسوس مع غلامه مكنون، وسار هو جريدة إلى خمارية ليزوره، ويعرفه عزمه. فلما لاقيه بدمشق أكرمه خمارويه وأحبه، وأسر به، واستحيا راغب أن يطلب منه المسير إلى طرسوس، فطال مقمه عنده: وظن أصحابه أن خمارويه قبض عليه، فأذاعوا ذلك، فاستعظمه أهل طرسوس، وقالوا: يعمد إلى رجل قصد الجهاد معه في سبيل الله فيقبض عليه؟ فثاروا على محمد بن موسى، وقبضوا عليه، ونهبوا داره، وقالوا: لا يزال في الحبس إلى أن يطلق ابن عمك راغبا.

وبلغ الخبر خمارويه، فأطلع راغبا عليه، وأذن له في المسير إلى طرسوس، فلما وصلها، أطلق أهلها أميرهم. فتركهم وسار عنهم إلى بيت المقدس فأقام بها وعاد العجيفي إلى ولايت١١٥ وأخذ راغب يلعب دورا في أحداث هذا الثغر الهام، وقام بدور في الجهاد.

وتوفي المعتمد عام ٢٧٩هـ، وولي الخلافة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩ هـ) حيث واصلت الخلافة العباسية انتعاشها على يديه، وتم الوفاق مع خمارويه حين تزوج المعتضد قطر الندى ابنة خمارويه عام ٢٧٩ من، فاشتد ساعد طرسوس، إذ أخذت الإمدادات ترد من الجانبين، فدخل أحمد بن أبا طرسوس للغزاة من قبل خمارويه عام ٢٨٠ هـ، ودخل بعده بدر الحمامي، فغزوا جميعا مع أحمد العجيفي أمير طرسوس، حتى بلغوا البلقسون (البوسفو) ٢ ودخل طغج بن جف طرسوس عام ٢٨١ هـ، لغزو الصائفة من قبل خمارويه، فبلغ طرابزون، وفتح بلودية (ملوريا) ٣.

وقام أحمد بن طغان بالفداء عام ٢٨٣ هـ على نهر اللامس، ومعه راغب ومواليه، ووجوه طرسوس، والمطوعة، والقواد بأحسن زي. وبعد الفداء انصرف الأمير ومن معه، وخر ج أحمد بن طغان إلى البحر وخلف دميانة على عمله في طرسوس. ثم وجه بـعد يوسف بن الباغمردي على طرسوس ولم يرجع هو إليها٤. وكان راغب قد ترك الدعاء لهرون بن خمارية ودعا لبدر مولى المعتضد، فأمد أحمد بن طوغان دميانة وقوي أمره وأنكر ما كان يفعله راغب، فوقعت الفتنة في طرسوس بين راغب ودميانة، وظفر راغب عام

---

١ ٦ ١/٧١، وانظر الطبري الذي ومنها بلمحة طرسوس عام ٢٧٩ هـ ١٦٣/٨ . ١٦٤
٢ الطبري٨/ ٦٧ ١، الكامل ٧٧/٦،

٣ الطبري٨/ ٦٩ ١، الكامل ٦/٧٨، ابن تغري ٣/ ٨٦.
٤ الطبري ٨/ ١٧٦.." (١)

"أمهر البحارة، وأشدهم بأسا، وأخذ يبني أسطولا جديدا، ويستعد للقيام بغزوات بحرية تعيد لطرسوس هيبتها. كما قام نزار بن محمد عامل الحسن بن علي كوره بغزو الصائفة عام ٢٨٨ هـ، وأسر عددا من الروم، أدخلهم طرسوس، ثم وجههم إلى بغداد١.

وتوفي المعتضد عام ٢٨٩ هـ، وبويع للمكتفي بالله ٢٨٩١-٢٩٥ هـ، وفي عهده اشتد أذى القرامطة، والأعراب، وامتد من هجر إلى الشام٢، فأثر ذلك على عملية الجهاد في طرسوس، واتجه أهلها إلى المكتفي بالشكوى من واليهم مظفر بن جناح، فعزله المكتفي عام ٢٩٠ هـ، وولى عليهم أبا العشائر أحمد بن نصر٣، الذي خرج مع جماعة من **المطوعة** للغزو، كما حمل الهدايا من المكتفي إلى ملك الروم٤.

وخرج المكتفي إلى الرقة عام ٢٩١ هـ، وأخذ يسرح الجيوش إلى القرمطي، جيشا بعد جيش، وورده هناك رسول من ملك الروم يسأله الفداء بمن في يده من المسلمين أسرى، ومعهما هدايا، وأسارى من المسلمين، بعث بهم إليه، فأجابه إلى طلبه. وقام أبو العشائر أمير طرسوس بالفداء٥.

ويظهر أن مهمة رسل الروم كانت للتجسس في الدرجة الأولى، فبعد عودتهم وإتمام عملية الفداء، نهض الروم في عشرة صلبان، مع كل صليب عشرة آلاف، وتوجهوا إلى الثغور، وأغاروا عليها، وخربوا، وقتلوا خلقا، وسبوا نساء وذرية من المسلمين٦.

وكان غلام زرافة قد أتم استعداداته البحرية، فهاجم بعسكر طرسوس بلاد الروم من الساحل، وفتح مدينة أنطاكية. وهي أتاليا أو انطاليا- من أعظم مدن الروم على ساحل البحر المتوسط، وخلص من أسارى المسلمين خمسة آلاف أسير، وأخذ للروم ستين مركبا، وغنم شيئا كثيرا، فبلغ نصيب كل واحد من الغزاة ألف دينار٧.

وعندما أغار "اندرونقس" الرومي على مرعش ونواحيها، نفر أهل المصيصة، وأهل

---

١ الطبري ٨/ ٢٠٦، الكامل في التاريخ ٦/ ٩٩.
٢ الطبري ٨/٢١٣-٢١٥، ابن تغري ٣/ ٢٩ ١- ١٣٠.
٣ الطبري ٨/١٦، البداية والنهاية ١١/ ٩٦.

---

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور جميل عبد الله محمد المصري ص/١١٩

٤ ١الطبري ٢١٧/٨.

٥ ١الطبري ٨/ ٢٢٥.

٦ الطبري ٢٣٢/٨، ابن تغري ١٢٣/٣، البداية ٨/١١، العبر ٤١٩/١، دول الإسلام ١٧٦/١، ابن العبرى ص ١٥٤.

٧ الطبري ٨/ ٢٣٣، ابن تغري ٣/ ١٣، الكامل ٦/ ١٠٩، البداية ١١/ ٩٨، العبر ١/ ٤١٩، التنبيه والإشراف ص ١٥٣، سير أعلام النبلاء ٤٨٣/١٣.." (١)

"وعاد ابن الزيات إلى طرسوس، وأخبر أهلها بما حدث. فخاطبه ابن بلوطة وكان يتعصب لسيف الدولة قائلا: "هذا أمر لا يقوم به إلا ملك، مثل الملك الذي قصدنا، فلو كفينا أمرك، صار إلى بلدنا من يحميه ". ولم يرد أحد عليه، ولا أنكر. فقام ابن الزيات مغيظا، وقد طوى يومين لم يطعم فيها طعاما ولا شرابا، وقال: "أنا أكفيكم نفسي، حتى يجيء ملك يقوم بالأمر لكم". واعتزل، وكتب وصية بما خلفه من مال المسلمين، وفرق دوابه على غلمانه، وأخيه، وأعطى لكل غلام نفقة، وتقدم إلى أخيه، وإلي أبي الحسن بن رشيق النسيمي، أن يطوفوا ليلتهم بالبلد، ودخل بيتا على نهر بردان، وقد أدركه الليل، وأغلقه عليه، وتهيأ للصلاة، وتطيب، وقام يصلي ليله، ويدعو، ويستغفر، ولما هدأت العيون، نزل إلى النهر، فرمى نفسه فيه، وعليه سلاحه، فغاص في الماء، ولم يقف أحد على ما فعله، إلى أن رأت امرأة عمامته على رأس الماء، فأنذرت بذلك، فغاصوا، فأخرجوه، وانقلبت طرسوس، ووجدوه على حاله لم يتغير منه شيء، ولا انفتح له جوف، ولا أثر السمك شيء منه، وكثر البكاء والعويل عليه، من الرجال والنساء، وصلي عليه، ودفن في مقابر المسلمي ١.

وجاء رسل المصيصة يدعون ابن الزيات إليهم فوجدوه قد مات. واجتمع أهل طرسوس على تعيين أبي الحسن بن رشيق النسيمي، فأقام الدعوة لسيف الدولة، واستمر في ولاية طرسوس والثغور الشامية إلى أن استسلمت طرسوس للروم٢.

وفي أثناء هذه الأحداث انشغل البويهيون بحرب الحمدانيين في الجزيرة الفراتية، وبالخارجين عليهم، وابتعد سيف الدولة إلى ميافارقين هربا من حلب التي تعرضت لهجمات الروم، واتهم كافور الإخشيدي بالتهاون في أمر الثغور٣. وأرسل أهل طرسوس الوفود إلى مصر، والعراق، وبقية بلدان العالم الإسلامي، يحملون الاستغاثة، وعاد اغلب الرسل دون الحصول على مساعدة تذكر من الجهات الرسمية. وتنادى الناس

---

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور جميل عبد الله محمد المصري ص/١٢١

للجهاد، ووصل **المطوعة** إلى طرسوس. ولكن الأمر زاد سوءا بانتشار الوباء والغلاء في طرسوس وبقية الثغور الشامية، حتى اضطر الناس إلى أكل دوابهم، وأكل الميتة٤ وراسل أهل بغراس الدمستق، وبذلوا له

---

١ هذا الوصف لصعب العيون والحدائق ج ٤ ق ٢/٢١٨-٢٢٣. وانظر تجارب الأمم ٢/١٩١، والكامل ٧/ ٢-٣.

٢ العيون والحدائق ص ٢٢٣.

٣ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ص ١٨٣.

٤ زبدة الحلب ١/ ١٤٢، تاريخ يحي بن سعيد ص ١٢١- ١٢٢، البداية والنهاية ١١/ ٢٥٥، الكامل في التاريخ ٧/١٣." (١)

"والواقع أن عهد الأفاقة الإسلامية بدأ بوضوح بظهور المجاهد عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية وفي عهد ابنه نور الدين محمود الشهيد، بلغ هذا العهد ذروته أيام صلاح الدين، لقد أعاد عهد صلاح الدين إلى الأذهان أيام التطوع والجهاد الأولى في صدر الإسلام، فلا غرابة إذا وجدنا جيش صلاح الدين يضم الكثير من المتطوعين في معركة، لاسيما في حطين وفتح بيت المقدس، والمعارك اللاحقة مما استرعى انتباه المؤرخين، فذكر ابن كثير أن السلطان حين عزم على فتح بيت المقدس، قصده العلماء والصالحون تطوعا (١).

وكان المتطوعون ينتمون إلى مختلف الفئات الاجتماعية من المسلمين، من أبناء القبائل والقرويين وأهل المدن، من الفقراء والأغنياء، لاسيما من الفقهاء والصوفية (٢). يقول: إن نور الدين محمود أمر بالنداء: في الغزاة والمجاهدين والأحداث **المتطوعة** من فتيان البلدان والغرباء بالتأهب والاستعداد لمجابهة الفرنج أولي الشرك والإلحاد (٣). وكان لفظ الأحداث يستخدم للدلالة على المتطوعين، ثم اختفى اللفظ لتحل محله كلمة المتطوعين، والكلمتان تدلان على أن أفراد تلك الجماعتين لم يكونوا قوة نظامية، بل كانوا من المتطوعين (٤) وفي المساجد كان الخطباء يحثون الناس على التطوع في الجيش الإسلامي فإذا ما نزل الخطباء من على منابرهم ردد المصلون الهتافات والدعوات، مقبلين زرافات ووحدانا، من جميع الجهات إلى معسكر الجيش وكان صلاح الدين يوكل إلى المتطوعين أحيانا أمر قتل الأسرى بأيديهم لاسيما من المرتدين، أو الرماة الصليبيين، كما حصل في بيت الأحزان ٥٧٥هـ/١١٧٩م (٥).

---

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور جميل عبد الله محمد المصري ص/١٣١

وإثر انتصار حطين طلب صلاح الدين من المتطوعة المتودعة والمتصوفة، أن يقتل كل واحد منهم أحد الأسرى المنتمين إلى الفرقتين الصليبيتين الداوية والاسبتارية (٦)، بل إن المتطوعة قاموا بعمل مجيد يوم حطين وأسهموا في إحراز النصر بسرعة على الصليبيين، حين اندفعوا ليضرموا النار في الحشيش اليابس المحيط بالصليبيين، فتأجج عليهم استعارها وتوهج نار الضرام (٧). وكانت الريح على الفرنج فحملت حر النار والدخان إليهم فاجتمع عليهم

---

(١) البداية والنهاية نقلا عن الجيش الأيوبي ص ١٥٨.

(٢) الجيش الأيوبي ص ١٦٠.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ص ٣٤٠ الجيش الأيوبي ص ١٦٠.

(٤) سنا البرق الشامي (١/ ٣٣٦) الجيش الأيوبي ص ١٦١.

(٥) الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ص ١٦١.

(٦) كتاب الروضتين نقلا عن الجيش الأيوبي ص ١٦٢.

(٧) الكامل في التاريخ نقلا عن الجيش الأيوبي ص ١٦٢.." (١)

"على الأعداء مدركين: أن من ورائهم الأردن، ومن بين أيديهم بلاد الروم، وأنهم لا ينجيهم إلا الله (١). وأمام ذلك الهجوم الإسلامي الرهيب، أدرك الصليبيون أن نهايتهم قد حانت، وأنه لا ينجيهم من صلاح الدين سوى الفرار أو الاستسلام، ولم يستطع النجاة سوى ريموند أمير طرابلس الذي رأى عجز الصليبيين عن مقاومة الجيش الإسلامي، فاتفق مع جماعة من أصحابه وحملوا على من يليهم من المسلمين، ففتح المسلمون لهم طريقا يخرجون منه، وبعد خروجهم التأم الصف مرة أخرى (٢). ويبدوا أن خروج ريموند تم بموافقة صلاح الدين، الذي أصدر أوامره إلى ابن أخيه تقي الدين عمر، مقدم تلك الناحية التي حمل عليها ريموند، وقصد صلاح الدين بذلك إدخال الضعف واليأس في نفوس الصليبيين عندما يعلمون بهروب ريموند وجموعه، كما لا يستبعد أن يكون ذلك الأمر قد تم باتفاق بين ريموند وصلاح الدين، بدليل أن بعض الصليبيين عندما تعرضوا لذلك الهجوم الشامل من المسلمين، القوا أسلحتهم، وجاءوا إلى معسكر المسلمين مستسلمين (٣)، ومما زاد الطين بلة، أنه في الوقت الذي تخلى فيه ريموند عن أبناء ملته، كان بعض المتطوعة المسلمين قد اشعلوا النيران في الأعشاب والأشواك اليابسة التي تكسو تلك المنطقة،

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٣٧٦

وكانت الريح تهب بإتجاه الصليبيين، فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار، والدخان، وحر القتال. الأمر الذي اضطر معه الصليبيون إلى التراجع إلى أعلى الجبل، وأرادوا أن ينصبوا خيامهم ويحموا نفوسهم به، فاشتد عليهم القتال من سائر الجهات، ومنعوا عما أرادوا ولم يتمكنوا من نصب خيمة واحدة سوى خيمة الملك (٤).

٢ – الحرب النفسية عند صلاح الدين: ويبدو أن صلاح الدين كان في تلك المعركة الحاسمة، يعمد إلى القضاء على الصليبيين وإدخال الوهن في تفوسهم بكل الوسائل، ولم يكن همه مقصورا على القتال المباشر فقط، بل كان يستخدم الحرب النفسية للتأثير على العدو، والدليل على ذلك أنه بعد أن حصر الصليبيين في أعلى جبل حطين، ركز اهتمامه على الاستيلاء على صليبهم الأعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت والذي يذكرون: أن فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم (٥)، لأنه كان يعلم أن الاستيلاء عليه بعد أعظم سلاح لتحطيمهم نفسيا

---

(١) النوادر السلطانية ص ١٨٦.
(٢) الكامل في التاريخ (١١/ ٥٣٥).
(٣) مفرج الكروب (٢/ ١٩) صلاح الدين والصليبيون ص ١٨٦.
(٤) الكامل في التاريخ (١١/ ٥٣٥،٥٣٦) صلاح الدين والصليبيون ص ١٨٧ ..
(٥) كتاب الروضتين (٢/ ٧٨).." [1]

"حديثنا عن الزنكيين ودورهم المجيد في دحر الصليبيين، كما أشرت إلى وزراء سلاطين السلاجقة وأهم أعمالهم.

وفي الفصل الثالث اهتممت بالمؤسسة العسكرية السلجوقية التي كانت القوة الضاربة للدولة، ففصلت في أسس الإدارة العسكرية السلجوقية، كالتنشئة العسكرية للأبناء، والجهاد في سبيل الله، والحرص على كسب ولاء الجيش وقادته، والخبرة والتجربة، والإخلاص والتضحية، والحيطة والحذر والمتابعة، والعلاقة بين الجند وقادتهم، والتدرج في الرتب العسكرية، والجمع بين الرأي والتدبير والقوة العسكرية، والاعتماد على أجناس مختلفة، وزيادة عدد أفراد الفرق العسكرية، والتقسيم العشري كأمراء المئين مقدمى الألوف، وأمراء العشرات،

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٥٠٣

والخمسات، والإقطاع العسكري، وخصائصه، وعوامل التوسع فيه وموقف العلماء منه، ونظام الرهائن، والإعداد المعنوي للجيش، كما تحدثت عن نظم الإدارة العسكرية كالمناصب القيادية، كالأمير الحاجب الكبير، وصفات قائد الجيش ورواتب الجند، والقائد العام وأمير الحرس، والمقدم والعميد والأتابك، وقاضي العسكر وديوان عرض الجيش، كتنظيم سجلات أسماء الجند، وعرض الجيش، وتحديد المهام الموكلة إلى الجند والإشراف على النواحي التموينية، والنواحي المالية، والإشراف على التسليح وعلى زي الجند، وثكناتهم، وعن أقسام الجيش السلجوقي من القوة النظامية، والقبائل التركمانية، وفرق الولايات وقوات المدن والمتطوعة والأوباش والطلائع وفرق إعداد المنازل التي سيمر بها الجيش، وعن عناصر الجيش من الأتراك والعرب، والأكراد والديلم والأرمن، وفرق الجيش، كالفرسان والنشابة والنفاطيين والمنجنيقيين، وعن التعليم والتدريب العسكري، وحجم الجيش السلجوقي ونظام العيون والجواسيس، والإسناد العسكري بالجند، والمهندسين، وحمل الأثقال والتموين والإسناد الطبي، وعن الخيل ودورها في القتال، وشعار السلاجقة وأعلامهم والموارد المالية لجيوشهم، وتحدثت عن الأسلحة الهجومية وأسلحة الوقاية والدفاع عن النفس، وأسلحة العرض والزينة، ونظام حماية المدن ووسائل الحصار، وصناعة الأسلحة

وخزائنها والخطط والفنون القتالية عند السلاجقة، كالقدرة على التحرك، مثل السرعة، واستخدام الكمائن، والتراجع الزائف، وخطة تطويق العدو، والمباغتة والمفاجأة والرمي بالسهام والالتحام مع العدو والاستنزاف وسياسة الأرض المحروقة والتأثير على جيش العدو، والسيطرة على الطرق وعلى موارد المياه، والتأمين العسكري والمهام الخاصة الطارئة والحربية، والحراسة ونظام التعبئة، وأفردت مبحثا عن أثر نظم السلاجقة في الدولة الزنكية، والأيوبية والمماليك، وقد تأثرت كذلك الدولة العثمانية بتلك النظم العسكرية، وقد." (١)

"مع أهل بيته إلى أن اتهم بالميل إليهم، وتبين له خطرهم وأشار عليه أعوانه أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافي أمرهم، فأذن السلطان في قتلهم في عام ٤٩٤هـ فأخذوا من خيامهم، وأخرجوا إلى ميدان عام فقتلوا فيه: ولم يفلت منهم إلا من لم يعرف (١)، ويذكر أبو الفرج بن الجوزي: أن القتلى بلغوا ثلاثمائة (٢) وسرعان ما تتبعهم أمراء الأقاليم فقد قتل «جاولي سقاوو» خلقا كثيرا منهم بمنطقة «خوزستان» يقارب الثلاثمائة (٣)، وأرسل بركيارق إلى الخليفة العباسي يشير عليه بتتبع الموجودين منهم في عاصمة الخلافة، فأمر بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك «ولم يتجاسر أحد أن يشفع في أحد لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب» (٤).

---

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي علي محمد الصلابي ص/٨

وطاردهم السلطان سنجر في نفس العام ٤٩٤هـ فقتلت عساكره منهم خلقا كثيرا، وحاصروا قلعة «طبس» وخربوا سورها وأوشكت على السقوط، فلجأ الباطنية إلى رشوة قائد العسكر الأمير «بزغش» واستنزلوه عما كان يريده منهم فرحل عنهم وتركهم فأعادوا عمارة ما انهدم من سورها وملأوها ذخائر من سلاح وأقوات وغير ذلك ثم عاودهم «بزغش» سنة ٤٩٧هـ ومعه كثير من **المتطوعة** إلى قلعة «طبس» مرة أخرى فخربها هي وما جاورها من القلاع والقرى، وأكثر فيهم القتل والنهب والسبي، ومع ذلك فإن أصحاب سنجر أشاروا عليه بأن يؤمنهم مقابل ألا يبنوا حصنا ولا يشتروا سلاحا، ولا يدعوا أحدا إلى مذهبهم (٥).

وقد أثار هذا الصلح سخط كثير من الناس على سنجر، بسبب ما وقع عليهم من أذى بأيدي هذه الفئة، ولعلمهم أيضا بأنهم لن يحترموا هذا الأمان ولا هذا الصلح، وهذا ما حدث بالفعل، ففي عام ٤٩٨هـ خرج جمع كبير منهم من قلعة «طريثيت» قرب مدينة بيهق وأغاروا على النواحي المجاورة لهم، وأكثروا من القتل ونهب الأموال، وسبي النساء «ولم يقفوا على الهدنة المتقدمة» (٦)، وكان عام ٤٩٨هـ هو نهاية المرحلة التي قاوم السلاجقة فيها نفوذ الباطنية مقاومة فيها الكثير من الحذر بسبب الخلاف الذي كان محتدما بين أفراد البيت السلجوقي، واستغلال الباطنية هذا الخلاف في التسلل إلى المراكز المهمة في بلاط السلاطين وليس أدل على وجود هذا النفوذ من موقف قائد سنجر عندما قبل رشوتهم في عام ٤٩٤هـ ورحل عنهم بعد أن أوشكت قلعتهم على السقوط، ثم عندما عقد معهم سنجر معاهدة الأمان في عام ٤٩٧هـ، بعد أن أنزل بهم عساكره خسائر فادحة، إن هذا التهاون معهم في

(١) الكامل في التاريخ، نقلا عن التاريخ السياسي والفكري، ص ١٣٨.

(٢) المنتظم (٩/ ١٢١).

(٣) الكامل في التاريخ، نقلا عن التاريخ السياسي والفكري، ص ١٣٨.

(٤) المنتظم (٩/ ١٢١).

(٥) الكامل في التاريخ، نقلا عن التاريخ السياسي والفكري، ص ١٣٨.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية (٣/ ٣٧٧) ، مادة إسماعيلية.." (١)

"وإن كانوا أقل عددا من تلك القوات التي يجلبها حكام الولايات (١).

٤ - قوات الأمراء: والمقصود بها تلك القوات التي تساعد الجيش السلجوقي في حروبه في حالة إعلان

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو ا لصليبي علي محمد الصلابي ص/١٤٤

الحرب، ويدخل في ذلك نوعان من الأمراء، الأول: الغلمان الذين تدرجوا في المناصب حتى أصبحوا أمراء، والثاني: الأمراء العرب الذين كان لقواتهم دور فاعل في الانتصارات التي حققها جيش السلاجقة، فقد كان للأمير العربي مسلم بن قريش أثر فاعل في القضاء على حركة قاورد ضد السلطان ملكشاه، فعندما التقى الجيشان قام بالهجوم بقواته على ميسرة قاورد فهزمها (٢)، كما كان اجتماع قوات العرب من بني كلاب إلى تتش بن ألب أرسلان عندما وصل إلى الشام سببا مهما من أسباب قوته (٣) إلا أن توثق العلاقة بينهم وبين سلاطين السلاجقة لم يستمر طويلا فقد قام السلطان مسعود بالقضاء على اثنى عشر أميرا كانوا قد وقعوا في أسره، منهم صدقة بن دبيس أمير العرب فأمر بقتلهم جميعا (٤)، مما يعطي إشارة إلى تحول سلاطين السلاجقة عن الاعتماد على هؤلاء الأمراء وقواتهم (٥).

٥ – قوات المدن والمتطوعة والأوباش: لم يكن الجيش السلجوقي يتكون من القوة النظامية والقبائل التركمانية وفرق الولايات وأصحاب الإقطاع وقوات الأمراء فقط، بل يوجد عدا هذه الأقسام جحافل كثيرة من القوات التي تنضم إلى الجيش من المدن القريبة من ميدان الحرب والتي تختلف أعدادها باختلاف هذه المناطق، فكانت تسمى بأسماء المدن والأقاليم التي جاءت منها، فتذكر في بعض المصادر عبارة عساكر العراق وغيرها (٦)، ويضم الجيش السلجوقي كذلك المتطوعة الذين يلتحقون بالجيش لفترة محددة، أو دائمة لتأدية فريضة الجهاد (٧)، ويعرفهم الماوردي بأنهم الخارجون عن ديوان الجيش من أهل البادية وسكان المدن ممن انضموا للجيش حين النفرة للحرب (٨)، وهناك طوائف ذكرت في المصادر باسم أوباش ورغم إضافتها للجيش لم يكن لها تأثير يذكر في نتيجة الحرب مثل القوى الرئيسية في الجيش السلجوقي (٩)، وهذا لا يقلل من الجهود البارزة لهاتين الطائفتين في

---

(١) النظم الحربية، ص ١٥٧.

(٢) أخبار الدولة السلجوقية، ص ١٥٨.

(٣) ذيل تاريخ دمشق، نقلا عن النظم الحربية، ص ١٥٨.

(٤) أخبار الدولة السلجوقية، ص ١١٠.

(٥) النظم الحربية عند السلاجقة، ص ١٥٨.

(٦) الكامل في التاريخ، نقلا عن النظم الحربية عند السلاجقة، ص ١٥٩.

(٧) الحرب عند العرب، ص ٣٣٠.

(٨) الأحكام السلطانية، ص ١٥٩.

(٩) النظم الحربية عند السلاجقة، ص ١٦٠.." (١)

"الجيش واستفادته منهما؛ فقد كان لإخلاص **المتطوعة** واستماتتهم في القتال طلبا للشهادة دور فاعل في إثارة حماس الجند للقتال (١)، وعلى سبيل المثال، كيف استفاد الجيش السلجوقي في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان من جهود الأوباش في أعمال الردم للخندق حول مدينة ترمذ، فنجح الجيش بعد ذلك في فتح المدينة وقلعتها (٢).

٦ - الطلائع: كانت الطلائع تسير متقدمة أثناء تحرك الجيش وتتبعها المقدمة على مسافة كافية، وكان عمل الطلائع ينحصر باستطلاع الإقليم واحتلال النقاط المهمة فيه ولم يكن واجبها خوض المعركة بل اكتشاف مكان العدو وقوته، فإذا اصطدمت بقوة صغيرة من العدو فغالبا ما تكون قوات استطلاع مماثلة (٣)، ويذكر البيهقي أن السلاجقة جعلوا في طلائع جيشهم المحاربين الممتازين (٤)، إيمانا منهم بأهميتها ودورها الحيوي في تحقيق سلامة الجيش وتأمين سيره، يضاف إلى ذلك الدقة الكاملة في اختيار قيادة هذه الطلائع، فقد كانوا يشترطون في قائدها أن يكون رجلا مذكورا ثقة ناصحا عاقلا مدبرا جسورا شديد الحذر (٥).

٧ - الجاويشية: مفردها جاويش، وهو لفظ تركي مهمته القيام بالنداء في الجيش (٦). وكان في الجيش فئة من الضباط برتبة جاويش كانوا يؤدون وظيفتهم ضباطا للجند، كل حسب درجته في الجيش، وكانوا بصفة عامة يعملون على تحقيق الانضباط في الجيش إلى جانب عملهم ضباطا، وكانوا يتقدمون موكب السلطان يفسحون له الطريق (٧)، ومراقبة الطريق أثناء سير الجيش إضافة إلى المراسلة وإيصال البريد، فكان لرجال الدولة السلجوقية جاويشية أيضا ذكرت خدماتهم في سرعة إيصال البريد، فأطلق عليهم لفظ بيكان أي الذي يمشي بسرعة، وظلت وظيفة الجاويش حتى عند العثمانيين بمسمى جاويش الديوان السلطاني (٨).

٨ - فرق المنزل: هناك تشكيلات يطلق عليها تشكيلات المنزل يكون عملها الاهتمام بإعداد المنازل التي سيمر بها الجيش على الطريق، فتقوم بإعداد ما يلزمه من مأكل ومشرب (٩)، وكان لعمل هذه الفرق أثر واضح في اختيار المواقع المناسبة لنزول الجيش

---

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي علي محمد الصلابي ص/٢٤٣

(١) النظم الحربية عند السلاجقة،، ص ١٦٠.

(٢) النظم الحربية عند السلاجقة، ص ١٦٠، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٦٠، ٦١.

(٣) فن الحرب (٣/ ٤٤٢) ، النظم الحربية عند السلاجقة، ص ١٦٠.

(٤) تاريخ البيهقي، ص ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٣٣، ٦٨٧.

(٥) مختصر سياسة الحروب، ص ٤٨، النظم الحربية، ص ١٦٠.

(٦) النوادر لابن شداد، ص ٦٢.

(٧) الدر المنتخب، لابن الشحنة، ص٢٥٨، النظم الحربية، ص ١٦٢.

(٨) النظم الحربية عند السلاجقة، ص ١٦٢.

(٩) النظم الحربية عند السلاجقة، ص ١٦٣.." (١)

"وتائبون لله، فمن أي شيء تخافون؟ إن من يموت منكم سيكون أسعد ممن عاش، لأنه سيغادر هذه الحياة الفانية إلى ملكوت الخلود، أما من سيعيش فسوف ينتصر على أعدائه، وسيغتني من غنائمهم، فلتتشجعوا فإن القادر المقتدر سيرسل لكم كتائب من السماء لتنتقم من أعدائكم، وسوف ترون هذه الكتائب بأعينكم، فلا تخشوا الأصوات الرهيبة التي سوف تحدثها حولكم، إنها جاءت لنجدتنا بعدما أحدق بنا الخطر، انظروا إلى أعدائكم وهم يتطلعون إليكم في رعب من يسوع المسيح، وليكن القادر على كل شيء معنا (١)، ويضيف صاحب كتاب أعمال الفرنجة أن الأساقفة والقسس والكهنة والرهبان قد ارتدوا حللهم المقدسة وخرجوا حاملين الصلبان ممجدين الرب، ومبتهلين إليه أن ينقذهم من كل شر، بينما اعتلى آخرون الباب رافعين الصليب في أيديهم، ورسموا عليهم علامة الصليب وباركوهم، ولما تجهزوا وتدرعوا بالصليب خرجوا للقتال (٢).

ونتيجة لهذا اادور الحماسي الذي قام به رجال الدين المسيحي في تشجيع الصليبين بأنطاكية ازداد الصليبيون ثقة في أنفسهم (٣).

- جهود ياغي سيان والي أنطاكية للدفاع عن المدينة: كان والي أنطاكية «ياغي سيان» من التركمان، ويتمتع بدرجة عالية من الكفاية، إلا أن الخلافات والحروب التي كانت بين الأخوين دقاق ورضوان ابني تتش بالشام، وانحياز ياغي سيان إلى هذا مرة وذاك مرة أخرى حرمه من مساعدة أمير حلب، عندما داهمه الغزاة، وقد حاول ياغي سيان آنذاك الحصول على مساعدة جيرانه المسلمين: دقاق ملك دمشق، وجناح الدولة

---

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي علي محمد الصلابي ص/٢٤٤

أمير حمص، وكربوقا أتابك الموصل، إلا أن التمزق السياسي، والمطامع الشخصية حالت دون تقديم المساعدات المرجوة، كما أنه طلب النجدة من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي في فارس ولكن دون جدوى إلا أن ياغي سيان كان قد أعد عدته لحصار فشحن القلاع بالجند والمقاتلين، واختزن المؤن الكافية، وقد استمر الحصار مدة تسعة أشهر، حتى كاد شبح المجاعة يهدد الفرنجة، ولم تكفهم المعونة المتقطعة التي كانت تأتيهم من قبرص والغرب، حتى صار بعض الجند يفرون من المعركة (٤) ، وتجمعت قرب «شيزر» نجدة إسلامية لإنقاذ أنطاكية كان على رأسها: دقاق ملك دمشق، وأمير حمص جناح بن ملاعب، ودارت معركة بينهم وبين الفرنجة، وتفوق فيها المسلمون، وقتلوا من الصليبيين جماعة كبيرة عند ضفاف نهر العاصي (٥). وكان ممن ساهم بالدفاع عن المدينة جماعة من المسلمين يعرفون باسم **المطوعة**،

---

(١) دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى، ص ٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٣.

(٤) الحركة الصليبية (١/ ١٥٠ - ١٥٣) ، الجهاد والتجديد، ص ٩٨.

(٥) الجهاد والتجديد، ص ٩٨.." (١)

"الخلافات الداخلية، بدل أن يصرفوا طاقاتهم لصد خطر الأعداء. فنرى عبد الرحمن بن علقمة عامل أربونة أقصى ثغور الأندلس يشارك بجيشه ضد جيش بلج القشيري والتقى الجيشان في موقع (أقوة بر طوره) من إقليم ولبه، واستطاع عبد الرحمن بن علقمة من إصابة بلج مما أدى إلى موته في اليوم التالي، ولكن خسر عبد الرحمن العدد الكبير من جيشه (١٧٤)، فخسرت بذلك قاعدة أربونة خيرة المجاهدين (١٧٥). رجع والي أربونة إلى قاعدته في عهد الوالي أبي الخطار، إلا أن عامل أربونة تمرد مرة ثانية على الوالي يوسف الفهري (١٢٩ - ١٣٨ هـ) مما أدى إلى مقتله، ففقدت قاعدة أربونة واليها الشجاع، وأصبحت عرضة لهجمات القوات الفرنسية التي استرجعتها عام ١٤١ هـ (١٧٦).

أما الجيش في عصر الإمارة ١٣٨ - ٣١٦ هـ، فبدأ الأمير الأول الداخل بإنشاء جيش يعتمد عليه في تثبيت حكمه وحشد له **المتطوعة** والمرتزقة من سائر الطوائف، وبلغت قواته نحو مائة ألف مقاتل، هذا عدا الحرس الخاص الذي يتكون من الموالي والبربر والرقيق الصقالبة، وقد بلغت قواته نحو أربعين ألف

---

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي علي محمد الصلابي ص/٤٦٩

(١٧٧). وبدأ الداخل ينظر بعين الريبة إلى الجند العربي فأسقط ألويتهم بعد أن قامت ضده ثورات عربية أشهرها التي قادها العلاء بن مغيث (١٧٨). واعتمد الداخل بالدرجة الأولى على البربر بناء على مشورة أحد أقربائه، وأحسن استقبال من وفد إليه من بربر العدوة الذين انخرطوا في جيش الداخل.

فكانوا يده الحديدية التي يضرب بها أعداءه (١٧٩)، كما استعان بعنصر الصقالبة الذين كانوا يشترون بالمال ويدربون على أعمال الفروسية والقتال وعلى الطاعة العمياء للدولة والإخلاص لها (١٨٠).

---

(١٧٤) ينظر، ابن عبد الحكم، فتوح، ص ١٠٠ - مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٤١ - ٤٤ - ابن عذاري، البيان، ج ٢، ص ٣٣.

(١٧٥) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٨٧.

(١٧٦) ينظر، ابن عذاري، البيان، ج ٢، ص ٣٨ - المقري، نفح، ج ٣، ص ٢٦ - السامرائي، الثغر الأعلى، ص ١٤٩.

(١٧٧) ينظر، المقري، نفح، ج ٣، ص ٣٧، ج ٤، ص ٣٦ - عنان، دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٠٠.

(١٧٨) الحميري، الروض، ص ٣٦.

(١٧٩) ابن سعيد، المغرب، ج ١، ص ٦٠ - إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٢١.

(١٨٠) دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، ج ١، ص ٢٣٥ - إبراهيم الدوري، عصر عبد الرحمن الداخل، ص ٢٥٠.." (١)

"من قبل ينتظمون في صف واحد. وإذا كان الخليفة الناصر قد بدأ بسحق القبائل العربية وإضعاف قوتها، فإن الحاجب المنصور كمل المهمة نهائيا (٢٠١).

كما أنه عمل على تصفية الصقالبة، وخصومه الآخرين، ولما توفي عام ٣٩٢ هـ كان عدد الفرسان المرتزقة عنده، والذين حارب بهم عشرة آلاف وخمسمائة، وفرسان الثغور مقارب من هذا العدد أيضا (٢٠٢).

واشتهر الحاجب المنصور بغزواته المتكررة إلى الشمال الإسباني، وزودتنا الروايات بالكثير من أسماء هذه الغزوات التي اعتمد فيها على قوة جيشه المرتزق، والتي لم يهزم في أحدها (٢٠٣).

وكان عدد الجيش المرابط يتضاعف وقت الصوائف بما ينضم إليه من صفوف **المتطوعة**، وقد بلغ عدد الفرسان في بعض الصوائف ستة وأربعين ألفا، وكان عدد المشاة يتضاعف كذلك، وقد يبلغ المائة ألف أو

---

(١) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس مجموعة من المؤلفين ص/٣٩٠

يزيد. وكان المنصور يقتني الخيول لاستخدامها في الجهاد، ومطايا الركوب، ودواب الأحمال، وقد بلغت وحدها أربعة آلاف جمل خصصت لحمل الأمتعة والأثقال. وأما عن عدة الحرب، فقد كان المنصور يحتفظ بكميات عظيمة من الخيام والسهام والدروع، وعدد من المجانيق وغيرها من آلات الحصار (٢٠٤). ومما يؤثر عن علاقة المنصور بجيشه، أنه كان لقوة ذاكرته، يعرف كثيرا من جنده بالإسم، أو يعرف على الأقل كثيرا مما امتاز منهم خلال المعارك بالشجاعة، ويدعوهم إلى مائدته باستمرار عقب كل انتصار (٢٠٥).

خلال فترة الفتنة ٣٩٩ – ٤٢٢ هـ، وقع الصراع بين جند الأندلس الذين انقسموا إلى فريقين متصارعين، الأندلسيون في جانب، والبربر في جانب آخر. وقد لحق البربر خلال هذه الفترة أذى كبير، إلا أنهم استعادوا قواتهم ودخلوا قرطبة وسيطروا عليها عام ٤٠٣ هـ. وهناك ظاهرة أخرى في هذه الفترة هي استعانة بعض خلفاء هذه الفترة بالجند المرتزقة من نصارى الشمال الإسباني، الذين لعبوا دورا كبيرا في أحداث هذه الفترة (٢٠٦).

____

(٢٠١) عنان، دولة الإسلام، ج ٢، ص ٥٣١.

(٢٠٢) ابن عذاري، البيان، ج ٢، ص ٢٨٦، ص ٣٠١.

(٢٠٣) العذري، نصوص عن الأندلس؛ ص ٧٤ وما بعدها.

(٢٠٤) ابن الخطيب، أعمال، ص ٩٩، ص ١٠١ – ١٠٢ – عنان، دولة الإسلام، ج ٢، ص ٥٧١.

(٢٠٥) عنان، دولة الإسلام، ج ٢، ص ٥٧٢.

(٢٠٦) السامرائي، علاقات، ص ٣٤ وما بعدها.." (١)

"معركة إقليش عام ٥٠١ هـ التي انتصر فيها الجيش المرابطي ضد مملكة ليون الإسبانية (٢١٥).

وعندما تقوم القوات المرابطية بواجب الجهاد في سبيل الله في الأندلس ينضم إليها صفوف **المتطوعة** من العلماء ومن عامة الناس، وكان لهؤلاء **المتطوعة** دور كبير في بعض المعارك (٢١٦).

كانت قيادة الجيش المرابطي في الأندلس تعهد إلى خيرة قادة المرابطين، والذين كان معظمهم من أفراد البيت المرابطي، وقد اشتهروا في معارك الجهاد الأندلسية، واستشهد بعضهم. وفي الوقت نفسه يقوم أمير المسلمين المرابطي أو ولي عهده بتفقد القطعات المرابطية في الأندلس ويصلح من أحوالها، وأحيانا يقودها

____

(١) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس مجموعة من المؤلفين ص/٣٩٥

بنفسه في بعض معارك الجهاد. ونظرا لكل هذه الأمور فقد فقدت دولة المرابطين خيرة رجالها الشجعان في بلد الأندلس أثناء قيامها بواجب الجهاد، وهذا من جملة الأسباب التي أدت إلى ضعف أمر هذه الدولة مبكرا (٢١٧).

وبعد سقوط دولة المرابطين، وقيام دولة الموحدين، أصبحت الأندلس ولاية موحدية، وورث الموحدون مهمة مجاهدة الممالك الإسبانية ببلد الأندلس. ولذا نرى أن دولة الموحدين تعتمد على قبائل مصمودة أولا في إعداد الجيش، ومن ثم استعانت بقبائل بني هلال ثانيا والتي استخدموها في معارك الجهاد بالأندلس (٢١٨). وكذلك كانت القوات الأندلسية تؤلف بالجيش الموحدي بالأندلس جناحا هاما، وتشترك في سائر الغزوات التي قادتها الجيوش الموحدية ضد الممالك الإسبانية، وكانت هذه القوات الأندلسية تشتهر بشجاعتها وتفانيها في معارك الجهاد في سبيل الله من أجل الدفاع عن بلدها الأندلس، وكانت تقاتل في طليعة الجيوش الموحدية لخبرتها في قتال الإسبان، وكثيرا ما تكون سببا في إحراز النصر، ونرى كذلك أن القادة الموحدين يستمعون باستمرار إلى مشورة القادة الأندلسيين العسكرية (٢١٩).

واستعان الموحدون بفرق عسكرية من المرتزقة الإسبان، وكان من أشهر قادتها

---

(٢١٥) ابن القطان، نظم الجمان، ص ٩ – ١٠ – مؤنس، " الثغر الأعلى "، ص ١٢٩.

(٢١٦) السامرائي، علاقات، ص ٢٨٠.

(٢١٧) ينظر، السامرائي، علاقات، ص ٢٥٠ وما بعدها.

(٢١٨) عنان، عصر الموحدين، ص ٦٣٥.

(٢١٩) عنان، عصر الموحدين، ص ٦٣٦.." [1]

"علي بن الربرتير (٢٢٠).

وكان الخلفاء الموحدون يعبرون باستمرار إلى الأندلس لتفقد أحوالها العسكرية، وقد بنوا قواعد عسكرية جديدة فيها مثل مدينة الفتح في منطقة جبل طارق، وقاد بعضهم الحملات الجهادية أو عهد بقيادتها إلى أحد أولاده، وكان أفراد البيت الموحدي هم قادة الجيش الموحدي المرابط في الأندلس. فقد رأينا قيادة الخليفة المنصور الموحدي لمعركة الأرك عام ٥٩١ هـ الذي انتصر فيها على مملكة قشتالة (٢٢١). واشترك الخليفة الموحدي الناصر في معركة العقاب عام ٦٠٩ هـ ضد مملكة قشتالة، فاندحر المسلمون فيها كما

---

(١) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس مجموعة من المؤلفين ص/٣٩٨

هو معروف (٢٢٢).

ولم تصمد مملكة غرناطة هذه الفترة الطويلة أمام هجمات الإسبان، لو لم يكن لها جيش منظم قوي أولا، تسانده جموع **المتطوعة** في سبيل الله التي ترى أن بقاءها مقتصر على حملها للسلاح ثانيا. وقوة هذا الجيش النصري تعتمد على: جودة التحصينات النصرية في مملكة غرناطة التي تتألف من الأبراج والحصون والقلاع وبخاصة أبراج الطلائع وهي أبراج للمراقبة (٢٢٣).

كان السلطان النصري قائدا للجيش أو يعهد بقيادته إلى أفراد الأسرة الحاكمة، أو أشهر رجالات الدولة، وقد عني السلاطين بهذا الجيش الذي يتوقف عليه بقاء المملكة، وأنشأوا له ديوانا يرعى مصالحه (٢٢٤). وبجانب الجيش النصري توجد مشيخة الغزاة: وتتألف من المجاهدين المغاربة الذين أرسلتهم الدولة المرينية إلى مملكة غرناطة لمساعدتها في حروب الجهاد، ولها رئيس من بني مرين يسمى بشيخ الغزاة، وكان لهذه المشيخة دور مشرف في معارك الجهاد بالأندلس (٢٢٥)، ومع هذا زجوا أنفسهم في الخلافات الداخلية مع سلاطين بني الأحمر (٢٢٦). وفي أواخر العصر النصري وبعد اشتداد الضغط الإسباني على مملكة

---

(٢٢٠) ابن القطان، نظم الجمان، ص ٩٦ – ابن الآبار، الحلة، ج ٢، ص ١٩٣.

(٢٢١) ينظر، الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٤٩٠ - أبو رميلة، علاقات، ص ٢٣٦ وما بعدها.

(٢٢٢) أبو رميلة، علاقات، ص ٢٥٥ وما بعدها.

(٢٢٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١١٥، ص ١٢٥.

(٢٢٤) فرحات، غرناطة، ص ٨٧.

(٢٢٥) ينظر، ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٧٧١ – ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٢، ص ١٦، ص ٣٨ – المقري، نفح، ج ٤، ص ٣٨٥ – عنان، نهاية الأندلس، ص ١٠٧.

(٢٢٦) ينظر، ابن الخطيب، اللمحة البدرية، حيث يذكر شيخ الغزاة عند كلامه عن سلاطين غرناطة.." (١)

"الزيارة البركة والتشجيع (٢٥١). واعتمدت الجيوش الموحدية خطة المربع في التعبئة العسكرية وخلاصتها: تصنع دارة مربعة في بسيط المعركة، يقف من جهاتها الأربع صف من الرجال بأيديهم القنا الطوال، ومن ورائهم أصحاب الدروق والحراب صفا ثانيا، ومن ورائهم أصحاب المخالي المملوءة بالحجارة

---

(١) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس مجموعة من المؤلفين ص/٣٩٩

صفا ثالثا، ومن وراء هؤلاء الرماة رابعا. وفي وسط المربعة ترابط قوى الفرسان. وكانت صفوف الفرسان تخصص لها أمكنة معينة في جميع جوانب المربع، وتفتح لها مخاريج سريعة تستطيع أن تنطلق منها ثم تعود إلى أماكنها الداخلية دون أن تخل بنظام المشاة.

وعند المعركة يقوم بالهجوم الأول قوات **المتطوعة** المجاهدة، تؤازرها القوات الخفيفة، فإذا استطاع العدو أن يرد هؤلاء، وأن يتقدم حتى مواقف الجنود النظامية، وقف حملة الحراب أمامه كالسد الحديدي الذي لا يخترق، واستقبله الرماة من حملة القسي والنبال بسيل من الحجارة والسهام. وإذا استطاع العدو أن يخترق الصف الأول وهم حملة الحراب استقبله حملة السيوف والدروع، ويبادر الفرسان إلى معاونتهم. وإذا استطاع العدو بعد كل ما تقدم، أن يتغلب على القلب والجناحين، فعندئذ يقوم الجيش الموحدي بالضربة الأخيرة، وتتقدم قوات الضلع الرابع من المربع وهي الاحتياطي المكون من صفوة الجند ولا سيما الحرس الخاص ويقودها الخليفة بنفسه، وهذه القوة الاحتياطية (الساقة) كثيرا ما تحرز النصر للقوات الموحدية، وكانت هذه القوة كثيرا ما تمتنع داخل نطاق من السلاسل الحديدية، تبرز من خلالها الحراب الطويلة، فتتصدى للعدو في حالة الاقتراب منها (٢٥٢). وعندما يعبئ الخليفة الموحدي جيشه للقتال تنصب له قبة حمراء يرفع فوقها العلم الموحدي الأبيض، وتحاط بالسلاسل الحديدية الضخمة، وعادة تضرب هذه القبة في مؤخرة الجيش، ويحف بها الحرس الخاص الذين يحملون الرماح الطويلة. وكان الخليفة الموحدي متى ما رأى قواته خلال المعركة في حاجة إلى العون يقود الساقة (المؤخرة) بنفسه ويشد أزر قواته، ويعاونها بذلك على إحراز النصر.

وقد تقع الكارثة فيهلك الخليفة كما حدث لأبي يعقوب يوسف في نكبة شنترين، أو يلجأ إلى الفرار، كما حدث للناصر في موقعة العقاب (٢٥٣).

واستعملت الطبول في الجيش الموحدي، وكانت تضرب عند الرحيل وعند بدء

---

(٢٥١) ينظر، عنان، عصر الموحدين، ص ٦٣٨.

(٢٥٢) ينظر، أشباخ، تاريخ الأندلس، ص ٤٤٨، عنان، عصر الموحدين، ص ٦٣٤.

(٢٥٣) عنان، عصر الموحدين، ص ٦٣٦ - ينظر، روض القرطاس، ص ٢٣٩.." [1]

---

(١) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس مجموعة من المؤلفين ص/٤٠٤

"المعركة (٢٥٤). واعتمد الجيش الموحدي على نظام التطوع أيضا، وتسمى جموعهم **بالمطوعة** (٢٥٥).

وأهم ما تمتاز به الجيوش الموحدية تفوقها في فن الحصار، ومقدرتها على اقتحام المدن المنيعة، ورأينا لهم أمثلة بارزة في حوادث حصار وهران والمهدية بالمغرب، وحصار طرش وحصن القصر (قصر أبي دانس) وشلب بالأندلس. ومما يلفت النظر أن الموحدين لم يقتصروا على استعمال الآلات القديمة في الحصار، بل استعملوا آلات جديدة قاذفة، تقذف الحجارة والكرات الحديدية الملتهبة. فنراهم في حصار لبلة بالأندلس استخدموا آلات تقذف الحديد والحجارة على القوات الإسبانية، وكان يصحبها دوي كالرعد (٢٥٦).

وفي مملكة غرناطة، يتألف الجيش النصري من أقسام أو مجاميع. وكل مجموعة تتألف من خمسة آلاف محارب لها أمير، ولها راية كبيرة تميزها، والمجموعة تقسم إلى خمس وحدات، وكل وحدة تتألف من ألف محارب لها قائد، ولها علم أصغر حجما من الراية. ثم إن كل وحدة تقسم بدورها إلى خمس فرق، وقوام كل فرقة مئتا محارب يقودها نقيب يحمل لواء الفرقة. والفرقة تقسم إلى خمسة أقسام صغيرة، كل قسم يتألف من أربعين رجلا، وعلى رأس كل قسم عريف يحمل بندا مميزا. والقسم يتفرع إلى مجموعات أو زمر تتألف من ثمانية جنود يرأسها نظير، ويربط في رأس رمحه قطعة قماش تسمى العقدة، والتحرك العسكري لهذه الأقسام يجري وفق أوامر تصل من الأعلى إلى الأدنى (٢٥٧).

ويلتحق بالجيش مجموعة الأدلاء الذين كانوا في الغالب من سكان المناطق الحدودية ذوي الخبرة بمسالك البلاد. كما كان سلاطين غرناطة يبثون العيون داخل الممالك الإسبانية لمعرفة أخبارها وبخاصة العسكرية؛ ويمنحون عيونهم هؤلاء المكافآت ويعفونهم من الضرائب لأنهم في الغالب ما يكونون من التجار اليهود والإسبان (٢٥٨).

وقد زودتنا بعض الروايات بملابس وأسلحة الجيش النصري وفرسان مشيخة الغزاة (٥٩2).

---

(٤5٢) الحلل الموشية، ص ١١٥.

(٢٥٥) عنان، عصر الموحدين، ص ٦٣٧.

(٢٥٦) عنان، عصر الموحدين، ص ٤٩٣، ص ٦٤٠.

(٢٥٧) فرحات، غرناطة، ص ٩١ – ٩٢.

(٢٥٨) أيضا، ص ٩١.

(٢٥٩) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٣ – المقري، نفح؛ ج ١، ص ٢٢٣.." [١]

"وكأنه – والله تعالى أعلم – أشبه لأمرين: الأول: غنجار أقعد بأهل بلده.

الثاني: لكثرة قائليه، وتفرد من قال: يوم السبت.

قال الغنجار: كان عبد الله بن طاهر مشتاق إلى السرماري، فكلموه في المضي إليه فلم يجب، فلما أكثروا عليه مضى إلى سابور، فدخل الحاجب وأعلم صاحب خراسان به فأدخله، فلما نظر ابن طاهر إليه مد يديه كلتيهما، ووسع بين رجليه وهو على السرير فعانقه بيديه ورجليه وجعل يبكي، فأطال المقام، قال: أوصني، فأوصاه بكلام.

قال أبو نصر الليث بن نصر بن الحسن: اجتمعنا في الجامع بغداد، فذكرنا قوله صلى الله عليه وسلم: (إن على رأس كل مائة سنة يبعث الله تعالى لهذه الأمة من يصلح لها أمرها ويكون علما).

فبدأت بأبي حفص أحمد بن حفص ثم ثنيت بمحمد بن إسماعيل ثم ثلثت بالسرماري لأنه وحده كسر جند العدو، فقالوا: نعم.

قال محمد بن إسماعيل البخاري – وجرى ذكره –: ما نعلم في الإسلام مثله. قال: فبلغ ذلك أحيد بن رواحة رئيس المطوعة، فقال للبخاري: إن هؤلاء العجم يحكون عنك ويريدون كلاما ليس هو من قولك، قال: وما هو؟ قال: قلت عن أحمد ما تعلم في الإسلام مثله، فقال: ما هكذا قلت، ولكن ما بلغنا إنه كان في الإسلام ولا في الجاهلية مثله.

وقال ابنه أبو صفوان: دخلت على أبي يوما وهو في البستان يأكل وحده فرأيت على مائدته عصفورا يأكل معه وحواليه طيور، فلما رآني العصفور طار، فقال أبي: هذا العصفور فر منك وكان ينفرد معي. قال غنجار: ولما مات بلغ كراء الدابة من المدينة إلى قريته سرماري عشرة دراهم." [٢]

"«الاكتفاء بتنقيح كتاب الضعفاء» أن هذا الكلام غير جيد، وتبعه على ذلك أبو عمرو ابن الصلاح، وقال: أبو زكير رجل صالح، غير أنه لم يبلغ مبلغ من يحتمل تفرده.

وقال الساجي: صدوق يهم، وفي حديثه لين.

ولما ذكر له العقيلي حديثه: "كلوا البلح بالتمر" قال: لا يعرف إلا به.

---

(١) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس مجموعة من المؤلفين ص/٤٠٥

(٢) إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مغلطاي ١٩/١

وقال الدارقطني: تفرد به أبو زكير. وقال ابن حبان لا أصل له.

وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» [ق٢٥٠/أ]: لعله يكون الزلل فيه من الراوي عنه، فإنه ضعيف.

٥١٩٤ - يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس الذهلي، أبو زكريا النيسابوري، ولقبه حيكان.

قال أبو عبد الله الحاكم في «تاريخ نيسابور»: إمام أهل نيسابور في الفتوى والرياسة، وابن إمامها، وأمير المطوعة بخراسان بلا مدافعة. سمع بنيسابور: يحيى بن يحيى، وأحمد بن عمرو الجرشي. وبالري: إبراهيم بن موسى الفراء، ومحمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي. وببغداد: علي بن الجعد الجوهري، والحكم بن موسى القنطري، وإبراهيم بن زياد سبلان، والقواريري. وبالبصرة: الربيع بن يحيى، ومحمد بن كثير العبدي رحمه الله تعالى، وعبيد الله بن معاذ. وبالكوفة: أحمد بن عبد الله بن يونس، وأحمد بن يحيى بن المنذر: وسعيد بن عمرو الأشعثي، وعبد الله بن الحكم، وسعيد بن منصور، وإبراهيم بن محمد الشافعي، ومحرز بن سلمة، وعلي بن المديني، وأبا الربيع الزهراني، ووالده محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن معاوية النيسابوري، وأحمد بن عمر بن واصل [-] الليثي، وعيسى بن إبراهيم التركي.." (١)

"قال ابن السمعاني: شيخ صالح من بيت الحديث والعلم، من الطراز الأول، جاور بمكة سنين، وسمع منه والدي بمكة، وجرت أموره على سداد واستقامة إلى آخر عمره، وكان كثير السماع، سمعه والدي (١)، كتبت عنه. توفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة (٢).

٥٦٩٨ - عبد الله بن أحمد بن عبيد الله، أبو محمد السكري، ابن المطوعة.

سمع ابن الفرضي، وابن بشران، وغيرهما.

وروى عنه: ابن البرداني، وأبو القاسم بن السمرقندي، وغيرهما.

قال ابن البرداني: كان رجلا صالحا.

وقال شجاع بن فارس: كان شيخا صالحا، جميل الأمر، صحيح السماع، جيد الأصول، سمعنا منه.

وقال ابن خيرون: سمعت منه وكان صدوقا، توفي سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة (٣).

---

(١) إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مغلطاي ٣٦١/١٢

٥٦٩٩ – عبد الله بن أحمد بن عثمان، أبو محمد بن الفشاري (٤) الطليطلي.

قال ابن مطاهر: روى عنه جماعة من علماء بلده، وكان دينا تقيا، ثقة في روايته، ورعا، قليل التصنع، وكان الغالب عليه الرأي، وكان شاعرا مشاورا في الأحكام.

---

(١) كتب الناسخ عليها: كذا.

(٢) ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام»: (١١/ ٥٩٥).

(٣) ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام»: (١٠/ ٣٤١).

(٤) في مطبوعة الصلة: القشاري.." [١]

" وقال الطيالسى كان لا يحدث صاحب بدعة

وفيها حرب (٥٧ ب) بن شداد اليشكرى البصرى روى عن شهر بن حوشب والحسن ويحيى بن أبي كثير

وفيها سعيد بن أبي ايوب المصرى وقد نيف على الستين روى عن أبي زهرة بن معبد وجماعة

وفيها أو في حدودها ورقاء بن عمر اليشكرى البصرى روى عن شهر بن حوشب والحسن ويحيى بن أبي كثير

وفيها سعيد بن أبي أيوب المصرى وقد نيف على الستين روى عن أبي زهرة بن معبد وجماعة

وفيها أو في حدودها ورقاء بن عمر اليشكرى الكوفى بالمدائن روى عن عبيد الله بن أبي يزيد ومنصور وطبقتهما قال ابو داود الطيالسى قال لي شعبة عليك بورقاء فإنك لن تلقى مثله حتى ترجع

وقال أحمد كان ثقة صاحب سنة

وفيها أو في حدودها هشام بن سعد المدنى يتيم زيد ابن أسلم روى عن نافع وطائفة

وفيها أو في حدودها داود بن قيس المدنى الفراء الدباغ روى عن المقبرى وطبقته

وأبو جعفر الرازي عيسى بن ماهان روى عن عطاء ابن أبي رباح والربيع بن أنس الخراساني وكان زميل المهدى إلى مكة سنة اثنتين وستين ومئة

١٦٢ – فيها احتفل لغزو الروم لحربهم الحسن ابن قحطبة في ثمانين ألفا سوى المطوعة فأغار وحرق وسبى ولم يلق بأسا

---

(١) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ابن قطلوبغا ٤٧٢/٥

وفيها ظهرت المحمرة ورأسهم عبد القهار واستولوا على جرجان وقتلوا خلائق فقصده عمر بن العلاء من طبرستان فقتل عبد القاهر وخلق من أصحابه

وفيها إبراهيم بن أدهم البلخى الزاهد بالشام روى عن منصور ومالك بن دينار وطائفة ووثقه النسائي وغيره وكان أحد السادات

وفيها وقيل سنة ستين داود بن نصير الطائي الكوفي الزاهد وكان أحد من برع في الفقه ثم اعتزل روى عن عبد الله الملك بن عمير وجماعة وكان عديم النظير زهدا وصلاحا

وفيها (٥٧ ب) قاضى العراق أبو بكر بن عبد الله ابن محمد بن أبي سبرة القرشي العامري المدني أخذ عن

". (١)

" سنة اثنتين وستين ومئة

١٦٢ - فيها احتفل لغزو الروم لحربهم الحسن ابن قحطبة في ثمانين ألفا سوى المطوعة فأغار وحرق وسبى ولم يلق بأسا

وفيها ظهرت المحمرة ورأسهم عبد القهار واستولوا على جرجان وقتلوا خلائق فقصده عمر بن العلاء من طبرستان فقتل عبد القاهر وخلق من أصحابه

وفيها إبراهيم بن أدهم البلخى الزاهد بالشام روى عن منصور ومالك بن دينار وطائفة ووثقه النسائي وغيره وكان أحد السادات

وفيها وقيل سنة ستين داود بن نصير الطائي الكوفي الزاهد وكان أحد من برع في الفقه ثم اعتزل روى عن عبد الملك بن عمير وجماعة وكان عديم النظير زهدا وصلاحا

وفيها (٥٧ ب) قاضى العراق أبو بكر بن عبد الله ابن محمد بن أبي سبرة القرشي العامري المدني أخذ عن

". (٢)

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٢٣٧/١

(٢) العبر في خبر من غبر، ٢٣٨/١

" سنة إحدى وثلاثين ومئتين ٢٣١ - فيها ورد كتاب الواثق على أمير البصرة بامتحان الأئمة والمؤدبين بخلق القرآن وكان قد تبع أباه في امتحان الناس

وفيها قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد كان من أولاد أمراء الدولة فنشأ في علم وصلاح وكتب عن مالك وجماعة وحمل عن هشيم مصنفاته وما كان يحدث وكان يزري على نفسه قتله الواثق بيده لامتناعه من القول بخلق القرآن ولكونه أغلظ للواثق في الخطاب وقال له ياصبي وكان رأسا في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقام معه خلق من **المطوعة** واستفحل أمرهم فخافته الدولة من فتق يتم بذلك

وفيها توفى إبراهيم بن محمد بن عرعرة الشامي البصري أبو إسحاق الحافظ ببغداد في رمضان سمع جعفر بن سليمان الضبعي وعبد الوهاب الثقفي وطائفة قال عثمان بن خرزاد ما رأيت أحفظ من أربعة فذكر منهم إبراهيم هذا

---

(١) ".

"

وفيها عباس الترقفي ببغداد أحد الثقات العباد سمع محمد بن يوسف الفريابي وطبقته

وفيها عبد العزيز ابن منيب أبو الدرداء المروزي الحافظ رحل وطوف وحدث عن مكي بن إبراهيم وطبقته

وفيها محمد ابن عزيز الأيلي بأيلة روى عن سلامة بن روح وغيره

وفيها يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي الحافظ شيخ نيسابور بعد أبيه ويقال له حيكان رحل وسمع من سليمان بن حرب وطبقته وكان أمير **المتطوعة** المجاهدين ولما غلب أحمد بن عبد الله الخجستاني على نيسابور وكان ظلوما غشوما فخرج منها هاربا فخافت النيسابوريون كرته فاجتمعوا على باب حيكان وعرضوا في عشرة آلاف مقاتل ورد إليهم

---

(٢) ".

---

(١) العبر في خبر من غبر، ١/٤٠٨

(٢) العبر في خبر من غبر، ٢/٤٢

" أبو عبد الله الحافظ نزيل قرطبة صنف كتاب الاختلاف والافتراق في مذهب مالك وكتاب الفتيا وكتاب تاريخ الأندلس وكتاب تاريخ أفريقية وكتاب النسب

سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ٣٦٢ فيها أخذت الروم نصيبين واستباحوها وتوصل من نجا إلى بغداد وقام معهم **المطوعة** واستنفروا الناس ومنعوا من الخطبة وحاولوا الهجوم على المطيع وصاحوا عليه بأنه عاجز مضيع لأمر المسلمين فسار العسكر من جهة الملك عز الدولة بختيار فالتقوا الروم فنصروا عليهم وأسروا جماعة من البطارقة ففرح المسلمون

وفي رمضان قتل ببغداد رجل من أعوان الوالي فبعث الوزير الشيرازي قبحه الله من طرح النار من النحاسين إلى السماكين فأحترق ببغداد حريق لم يسمع بمثله واحترق فيه جماعة كثيرة في البيوت فأحصي ذلك (١٦٢ ب) فكان ثلاثمائة وسبعة عشر

". (١)

" نحو خمسين ألفا وهدم مدينة الأصنام وبلغ الخمس من الرقيق فقط ثلاثة وخمسين ألفا واستولى على عدة قلاع وحصون ومما حصل من الورق عشرون ألف ألف درهم إلى أمثال ذلك وكان جيشه ثلاثين ألف فارس سوى الرجالة **والمطوعة**

وفيها توفي أحمد بن موسى بن مردويه أبو بكر الحافظ الأصبهاني صاحب التفسير والتاريخ والتصنيف لست بقين من رمضان وقد قارب التسعين سمع بأصبهان والعراق وروى عن أبي سهل بن زياد القطان وطبقته

وعبد الرحمن بن عمر بن نصر أبو القاسم الشيباني الدمشقي المؤدب في رجب روى عن خيثمة وطبقته واتهموه في لقى أبي إسحاق بن أبي ثابت ويذكر عنه الاعتزال

وابن بالويه المزكي أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد بن بالويه النيسابوري آخر من روى عن محمد بن الحسين القطان وكان ثقة نبيلا وجيها توفي فجأة في شعبان وكان يملي في داره

وابن بابك الشاعر المشهور واسمه عبد الصمد بن

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٣٣١/٢

". (١)

" فتحه من بلاد الهند وكسره صنم سومنات وأنهم فتنوا به وكانوا يأتون إليه من كل فج عميق يقربون له القرابين حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية وامتلأت خزانة الصنم بالأموال وله ألف نفس يخدمونه وثلاثمئة يحلقون [رءوس] حجاجه وثلاثمئة [رجل وخمسمئة امرأة] يغنون فاستخار العبد الله في الانتداب له ونهض في شعبان سنة ست عشرة وأربعمئة في ثلاثين ألف فارس سوى **المطوعة** ووصلنا بلد الصنم وملكنا البلد وأوقدت النيران على الصنم حتى تقطع وقتلنا خمسين ألفا من أهل البلد

وفيها قدم جلال الدولة بغداد وتلقاه الخليفة ونزل بدار السلطنة ولم يسر من بغداد ركب

". (٢)

" الأتراك وبدعوا وأحرقت عدة أماكن وذهبت أموال لا توصف فيقال زاد الذي أخذ منها على خمسة آلاف ألف دينار

وفيها غزا مطلوب الكردي بلاد الخزر فقتل وسبى وغنم فثارت الخزر وكسروه واستنقذوا الغنيمة وقتلوا من العسكر **والمطوعة** فوق العشرة آلاف وكانت الروم قد أقبلت في ثلاثمائة ألف على قصد الشام فأشرف على معسكرهم سرية (٢٠٢ ب) من العرب نحو مائة فارس وألف راجل فظن ملكهم أنها كبسة فتخفى ولبس خفا أسود وهرب فوقعت الخبطة فيهم واستحكمت الهزيمة فطمع أولئك العرب فيهم ووضعوا السيف حتى قتلوا مقتلة عظيمة وغنموا خزائن الملك واستغنوا

بها وأما بغداد فكاد يستولي عليها الخراب لضعف الهيبة وتتابع السنين الخداعة فاجتمع الهاشميون في شوال بجامع المنصور ورفعوا المصاحف واستتنق

". (٣)

" ورزق قبولا لم يرزقه أحد ٢١٣ ب وصار يظهر الزهد ثم إنه تنعم وقبل الصلات فأقبلت عليه الدنيا وكثر مريدوه ثم إنه حض على الجهاد فتسارع إليه الخلق من الأقطار واستجمع له جيش من **المطوعة**

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٣/١٠٤

(٢) العبر في خبر من غبر، ٣/١٢٩

(٣) العبر في خبر من غبر، ٣/١٤٢

فعسكر بظاهر بغداد وضرب له الطبل وسار بهم إلى الموصل واستفحل أمره فصار إلى أذربيجان وضاهى أمير تلك الناحية ثم خمد سوقه وتراجع عامة أصحابه ثم مات

ومحمد بن عبد الله بن عابد أبو عبد الله المعافري محدث قرطبة روى عن أبي عبد الله بن مفرج وطبقته ورحل فسمع من أبي محمد بن أبي زيد وأبي بكر بن المهندس وطائفة وكان ثقة عالما جيد المشاركة في الفضائل توفي في جمادى الأولى عن بضع وثمانين سنة وهو آخر من حدث عن الأصيلي

". (١)

" سنة تسع وسبعين وأربعمئة

٤٧٩ فيها التقى تتش وسليمان بن قتلمش فقتل سليمان وسار تتش فنازل حلب ثم أخذها وساق السلطان ملكشاه من أصبهان فقدم حلب وخافه أخوه تتش فهرب

وفيها وقعة الزلاقة وذلك أن الإذفونش جمع الجيوش فاجتمع المعتمد ويوسف بن تاشفين أمير المسلمين والمطوعة فأتوا الزلاقة من عمل بطليوس فالتقى الجمعان فوقعت الهزيمة على الملاعين وكانت ملحمة عظيمة في أول جمعة من رمضان وجرح المعتمد عدة جراحات سليمة وطابت الأندلس للملثمين فعمل أميرهم ابن تاشفين على تملكها

ولما افتتح ملكشاه حلب والجزيرة قدم بغداد وهو أول قدومه إليها ثم خرج وتصيد وعمل منارة القرون من كثرة وحش صاد ثم رد إلى أصبهان وزوج أخته زليخا محمد بن مسلم بن قريش العقيلي وأقطعه

". (٢)

" ومصر وكتب مالا يوصف وروى عن أبي عثمان الصابوني وطبقته توفي بسرخس

وأبو سعد المطرز محمد بن محمد بن محمد الإصبهاني في شوال عن نيف وتسعين سنة سمع الحسين بن إبراهيم الجمال وأبا على غلام محسن وابن عبد كويه وهو أكبر شيخ للحافظ ابو موسى المديني سمع منه حضورا سنة أربع وخمس مئة

٥٠٤ فيها أخذت الفرنج بيروت بالسيف ثم أخذوا صيدا بالأمان

---

(١) العبر في خبر من غبر، ١٩٢/٣

(٢) العبر في خبر من غبر، ٢٩٥/٣

وأخذ صاحب أنطاكية حصن الأثارب وحصن ذرذنا وعظم المصاب وتوجه خلق من **المطوعة** يستصرخون الدولة ببغداد على الجهاد واستغاثوا وكسروا منبر جامع السلطان وكثر الضجيج فشرع في أهبة الغزو

وفيها توفي إسماعيل بن أبي الحسن عبد الغافر

---

(١) ".

" سبتة في مئة ألف وأما **المطوعة** فقل ما شئت وأقبل الفنش في مائتي ألف وأربعين ألفا فانتصر الإسلام وانهزم الكلب في عدد يسير وقتل من الفرنج كما أرخ أبو شامة وغيره مئة ألف وستة واربعون ألفا وأسر ثلاثون ألفا وغنم المسلمون غنيمة لم يسمع بمثلها حتى أبيع السيف بنصف درهم والحصان بخمسة دراهم والحمار بدرهم وذلك في تاسع شعبان فهاؤلاء جاهدوا

وأما آل أيوب فسار الملك العزيز ولد صلاح الدين من مصر فنزل بحوران ليأخذ دمشق من أخيه الأفضل فنجد الأفضل عمه العادل فرد العزيز وتبعاه فدخل القاضي الفاضل في الصلح وأقام العادل بمصر فعمل نيابة السلطنة ورد الأفضل

وفيها توفي ذاكر بن كامل الخفاف البغدادي أخو المبارك سمعه أخوه من أبي علي الباقرجي وأبي علي بن المهدي وأبي سعد بن الطيوري والكبار وكان صالحا خيرا صواما توفي في رجب

وأبو الحسن شجاع بن محمد بن سيدهم المدلجي المصري الفقيه النحوي قرأ القرآءات على ابن الحطئة

---

(٢) ".

"بالبشر والطي للنشر إلى أن استقر به الأشرف قايتباي في مشيخة الدرس المجاور للشافعي والنظر عليه عقب موت التقي الحصني بعد سعي جل الجماعة فيه بدون مسألة منه وألبسه لذلك جندة خضراء وتوجه إلى المقام ومعه القضاة الأربعة ما عدا الحنفي لتوعكه وقاضي الشام القطب الخيضري ومن شاء الله وبعض الأمراء. ثم رجع إلى منزله وباشر الدرس والتكلم على أوقافه واجتهد في عمارتها واستخلص منه ما

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٧/٤

(٢) العبر في خبر من غبر، ٢٧٦/٤

كان منفصلا عنه من مدة بعد خطوب وحروب في استخلاصها يطول شرحها ثم أضاف إليه بعد ذلك نظر القرافة بأسرها إلى غير ذلك مما يؤذن بمزيد خصوصيته عنده ولذا كثر توسل الناس به إليه وإلى غيره من أمرائه فمن دونهم في كثير من المآرب وانفرد عن غيره من **المتطوعة** بالمزيد من ذلك. ودخل في وصايا ونحوها والسلطان في غضون ذلك يلهج بالتحدث بولايته القضاء مع علمه بعدم قبوله عن الظاهر خشقدم بعد تصميمه عليه لذلك إلى أن أذعن بعد مجيء الزمام وناظر الخاص ونائب كاتب السر وناظر الدولة وغيرهم إليه وطلبه له فطلع معهم وما وجد بدا من القبول وذلك وقت الزوال من يوم الثلاثاء ثالث رجب سنة ست وثمانين وقد صرف الولولي الأسيوطي في أول يوم منه حين التهنئة ورجع ومن شاء الله معه من الأمراء والقضاة والمباشرين والنواب والطلبة إلى الصالحية على العادة ثم إلى منزله فباشر بعفة ونزاهة واستقر في أمانة الحكم بأحد فضلاء جماعته الجمال الصاني الأزهري وفي النقابة بأحد الفضلاء أيضا العلاء المحلي الحنفي أحد جماعة قاضي المحلة أوحد الدين العجيمي مع تدبير الشهاب الأبشيهي لهما ومراجعتهما له، وامتنع من ولاية أبي الفتح السوهاي مع توسله عنده بكل طريق واجتهد في عمارة الأوقاف لاستيلاء الخراب على أكثرها ولم يظهر أثر ذلك إلا لمباشريها وجباتها لكون الناصح له في العمارة وغيرها عديم والمكافح في الدفع عنه غير مستقيم واستمر القطع لجل مستحقيها إلى أن أمسك السلطان الأمين والنقيب وغيرهما من جماعته ورسم عليهم ولم يلتفت لمن يعذله عن ذلك مع قلتهم بل عدمهم وصرفه في أثناء ذلك عن نظر القرافتين ويقال كانت ولايته على المستحقين نقمه وجهالته في تصرفاته على المستحقين المسلمين غمه بحيث عادت محبة الناس فيه عداوة وزادت الرغبة إلى الله بزواله عقب الصلاة والتلاوة واشتد بغضه فيه ولم يعتد بغالب ما يبديه وصرح بتمقته مرة بعد أخرى وطرح جانبه سرا وجهرا ولو التفت لجهة المستحقين لانكب عنه بيقين، ولكن حب الدنيا رأس كل خطيئة وعلى كل حال فهو نهاية العنقود وحامل الراية التي إلى الخير فيما نرجو تعود ولم تزل الأكابر تمتحن والصابر عليها يرتقي لكل أمر حسن رفع الله به وعنه كل مكروه ودفع عنه من يخفضه بفوه وختم له بخير. والطي للنشر إلى أن استقر به الأشرف قايتباي في مشيخة الدرس المجاور للشافعي والنظر عليه عقب موت التقي الحصني بعد سعي جل الجماعة فيه بدون مسألة منه وألبسه لذلك جندة خضراء وتوجه إلى المقام ومعه القضاة الأربعة ما عدا الحنفي لتوعكه وقاضي الشام القطب الخيضري ومن شاء الله وبعض الأمراء. ثم رجع إلى منزله وباشر الدرس والتكلم على أوقافه واجتهد في عمارتها واستخلص منه ما كان منفصلا عنه من مدة بعد خطوب وحروب في استخلاصها يطول شرحها ثم أضاف إليه بعد ذلك نظر القرافة بأسرها إلى غير ذلك مما يؤذن بمزيد

خصوصيته عنده ولذا كثر توسل الناس به إليه وإلى غيره من أمرائه فمن دونهم في كثير من المآرب وانفرد عن غيره من المتطوعة بالمزيد من ذلك. ودخل في وصايا ونحوها والسلطان في غضون ذلك يلهج بالتحدث بولايته القضاء مع علمه بعدم قبوله عن الظاهر خشقدم بعد تصميمه عليه لذلك إلى أن أذعن بعد مجيء الزمام وناظر الخاص ونائب كاتب السر وناظر الدولة وغيرهم إليه وطلبه له فطلع معهم وما وجد بدا من القبول وذلك وقت الزوال من يوم الثلاثاء ثالث رجب سنة ست وثمانين وقد صرف الولولي الأسيوطي في أول يوم منه حين التهنئة ورجع ومن شاء الله معه من الأمراء والقضاة والمباشرين والنواب والطلبة إلى الصالحية على العادة ثم إلى منزله فباشر بعفة ونزاهة واستقر في أمانة الحكم بأحد فضلاء جماعته الجمال الصاني الأزهري وفي النقابة بأحد الفضلاء أيضا العلاء المحلي الحنفي أحد جماعة قاضي المحلة أوحد الدين العجيمي مع تدبير الشهاب الأبشيهي لهما ومراجعتهما له، وامتنع من ولاية أبي الفتح السوهاي مع توسله عنده بكل طريق واجتهد في عمارة الأوقاف لاستيلاء الخراب على أكثرها ولم يظهر أثر ذلك إلا لمباشريها وجباتها لكون الناصح له في العمارة وغيرها عديم والمكافح في الدفع عنه غير مستقيم واستمر القطع لجل مستحقيها إلى أن أمسك السلطان الأمين والنقيب وغيرهما من جماعته ورسم عليهم ولم يلتفت لمن يعذله عن ذلك مع قلتهم بل عدمهم وصرفه في أثناء ذلك عن نظر القرافتين ويقال كانت ولايته على المستحقين نقمه وجهالته في تصرفاته على المستحقين المسلمين غمه بحيث عادت محبة الناس فيه عداوة وزادت الرغبة إلى الله بزواله عقب الصلاة والتلاوة واشتد بغضه فيه ولم يعتد بغالب ما يبديه وصرح بتمقته مرة بعد أخرى وطرح جانبه سرا وجهرا ولو التفت لجهة المستحقين لانكب عنه بيقين، ولكن حب الدنيا رأس كل خطيئة وعلى كل حال فهو نهاية العنقود وحامل الراية التي إلى الخير فيما نرجو تعود ولم تزل الأكابر تمتحن والصابر عليها يرتقي لكل أمر حسن رفع الله به وعنه كل مكروه ودفع عنه من يخفضه بفوه وختم له بخير.." (١)

"قرأت بخط أبي عمرو القاضي في كتابه قال: يركب المتولي لعمل الحسبة أي وقت وقع النفير من ليل أو نهار، ورجالته بين يديه ينادون بأعلى أصواتهم أجمع، صوتا واحدا، يقولون: النفير يا أصحاب الخيل والرجاله، النفير حملكم الله إلى باب الجهاد؛ وإن أراد إلى باب قلميه أو إلى باب الصاف أو إلى أي باب اتفق، وتغلق سائر أبواب المدينة، وتحصل مفاتيحها عند صاحب الشرطة، فلا تزال مغلقة حتى يعود السلطان من النفير، ويستقر في داره ثم تفتح الأبواب المغلقة كلها.

---

(١) الضوء اللامع، ١٣٢/٢

ويطوف المحتسب ورجالته الشوارع الجداد كلها، فإن كان ذلك نهارا إنضاف إلى رجالته عدد كثير من الصبيان، وساعدوهم على النداء بالنفير، وربما احتاجوا إلى حشد الناس لشدة الأمر وصعوبة الحال، فأمر أهل الأسواق بالنفير وحضهم على المسير في أثر الأمير أين أخذ وكيف سار، ويكون مركز صاحب الشرطة إذا وقع النفير مع رجالته الموسومين به عند الباب الأول الذي يلي المدينة الذي يخرج منه الناس إلى النفير، وكذلك المحتسب، إلا أن المحتسب يتردد في الأسواق إذا طال أمر النفير، وتأخر خبره، ويبعث على اللحوق بمن سار مع الأمير وبمن توجه إلى النفير، فلا يزال الأمر على هذا حتى يعود السلطان إلى دار الإمارة.

ويخرج إلى النفير قواد الرجالة، معروفون متى عقد السلطان لقائد من الفرسان فبعثه للقاء من ورد من ذلك الوجه أضاف إليه قائدا من قواد الرجالة، وأتبعه من أجلاد الرجالة أهل القوة والنشاط والنية من **المطوعة** المسجدية، حتى إذا نزلوا أول منزل، تبتل شيخ، بل شيوخ من الصلحاء معروفون بحفظ من هناك من الغلمان المرموقين بالصباحة والوضاءة، فتنضاف طبقة طبقة إلى ذي معرفتهم وثقتهم وحصلوا تحت علمه ورايته، فلو هم أحدهم بالوضوء لصلاة لما أفرج عنه إلا برقيب ثقة أمين شيخ معروف، يمضي معه لحاجته، حتى إذا فرغ منها عاد إلى جملته.

وقد رأينا في آخر أيام طرسوس رجلا يعرف برؤبة يجتمع إليه الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم، يزيد عددهم على ألف صبي كلهم بالسلاح الذي يمكن مثله حمل مثله، وبمزاودهم وقد أعدوا فيها من صنوف أطعمة أمثالهم يطوف جميعهم بمطرد يحمله رؤبة، يسيرون بسيره ويقفون بوقوفه، فلا يزال ذلك دأبهم حتى إذا عاد السلطان إلى مقر داره عند رجوعه من نفيره، دخل أولئك الصبيان أمامه على مراتبهم، يصفهم قائدهم الأمثل فالأمثل، رماتهم عن قسي الرجل التي قد عملت على مقاديرهم، ثم رماتهم عن القسي الفارسية، وربما كان فيه من أولاد اليمانية من يحمل القسي العربية بنبلها، فيدخلون فوجا فوجا صبيين صبيين، ثم من يحسن الثقاف، فيثاقف قرينه ومثله وخدينه وشكله حتى يدخل كل صنف منهم في مرتبته، ثم يتلوهم رؤبة قائدهم بمطرده وعلامته، حتى إذا خرج أحد أولئك الصبيان من حد الطفولة، واشتد عضده، وقارب حد البلوغ، أو بلغ، أو تجاوز البلوغ قليلا، إنضاف إلى قائد من قواد الرجالة الذين ذكرت، وصحبه في نفيره وغزوه، وارتاد لنفسه الرفاق بحسب ما يختار تربه وجاره وقرينه، فإذا التحى، وخرج عن حد المرد دخل في جمهور الناس، حاذقا بما يحتاج إليه، ماهرا بصيرا بأمر جهاده وتدبير أمره، نافذا يقظا إن شاء الله.

وقع إلي قصيدة الأعلام، وهي أرجوزه نظمها أبو عمرو القاسم بن أبي داود الطرسوسي يذكر فيها رحلته من

طرسوس، ويتشوقها، ويصف أوضاع المجاهدين فيها، وقد شرحنا في ترجمته من كتابنا هذا صورة القصيدة، قال فيها في وصف طرسوس:

يذكر قومي عنهم إرتحالي ... وترك داري جانبا ومالي

تركي سجستان من المعالي ... مالي ودار للغواة مالي

لبئس ما بدلتها مرارا ... زرنج من طرسوس لا مختارا

طرسوس أرض الفضل والجهاد ... ومنتهى الرغبة للعباد

تيك بلادي وبها تلادي ... وما لفي ومعدن الرشاد

سكانها أهل البلاء والجلد ... غلامهم لدى الحروب كالأسد

وكهلهم في المعضلات معتمد ... وشيخهم لكل خير مستند

أهل فضيلات وأهل سنة ... للعائفين والغريب جنة

حب النبي فيهم ما إنه ... هداهم الله طريق الجنة." (١)

"وما وطىء هذا الحصن منذ ملكه المسلمون وشيدوه إمرأة، ولا أطلق لأحد أن يدخل بغلام أمرد، إلى أن أخرج عنها المسلمون، وإنما يختار لها أهل القوة والبأس، ومن يعاني أعمال السلاح المختلفة كالثقاف بالسيف والرمح، والرمي عن القسي الفارسية، وقسي الرجل، من أبناء أربعين وما زاد وما نقص، فإذا حضر الغزو فقد رسم الجوزانيون يوما في ساقة عسكر المسلمين، ويوما في مقدمته بأحسن الزي، وأجمل الأحوال، وأكمل العدة، شامة في الناس.

ذكر تل جبير

وهو من عوادل الثغور الشامية على ما ذكره أحمد بن الطيب السرخسي في كتابه، وقال: ومن طرسوس إلى تل جبير اثنا عشر ميلا.

وقرأت في كتاب البلدان تأليف أحمد بن يحيى البلاذري فيما نقله عن أشياخ الثغر قالوا: وتل جبير نسب إلى رجل من فرس أنطاكية، كانت له عنده وقعة، وهو من طرسوس على أقل من عشرة أميال.

ذكر حصن أولاس

ويقال له حصن الزهاد، وهو على ساحل البحر، ومنه أبو الحارث فيض بن الخضر بن أحمد التميمي الأولاسي، أحد الأولياء المشهورين، وسنذكر ترجمته في بابها إن شاء الله تعالى.

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤٦/١

وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في كتاب صورة الأرض والمدن وما تشتمل عليه: وأولاس حصن على ساحل البحر، بها قوم متعبدون، وهو آخر ما على بحر الروم من العمارة للمسلمين.

ذكر الهارونية

قال أبو زيد البلخي في كتابه: والهارونية غربي جبل اللكام في بعض شعابه وهي حصن صغير، بناها هرون الرشيد، فنسبت إليه.

وقال أحمد بن الطيب في المسالك والممالك: ومن عوادل الثغور الشامية الهارونية، كنيسة السوداء، تل جبير.

وذكر أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب في كتاب البلدان قال: وللثغور الشامية مدينة عين زربه، والهارونية، والكنيسة المحترقه.

قال: وبنى الهارونيه الرشيد في أيام المهدي، وهو ولي عهد.

قال البلاذري، ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة أمر - يعني الرشيد - ببناء الهارونية فبنيت وشحنت أيضا بالمقاتله ومن نزع إليها من **المطوعة**، ونسبت إليه، ويقال أنه بناها في خلافة المهدي رحمة الله عليه، ثم أتمت في خلافته.

ذكر الإسكندرونة

وهو حصن بنته أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور أم الأمين، وجدد بناءه أحمد بن أبي دؤاد، وهو على ساحل البحر.

قال ابن واضح الكاتب: تهبط من جبل اللكام إلى مدينة على ساحل البحر الأخضر يقال لها الإسكندرونه، بناها ابن أبي دؤاد الإيادي في خلافة الواثق.

وقال أبو زيد البلخي: والإسكندرونه حصن على ساحل البحر للروم، وهي صغير بها نخيل.

وقال أبو عمرو القاسم بن أبي داود الطرسوسي في مزدوجته.

والإسكندرون حصن أم جعفر ... وردت يوم الجمعة المطهر

كم من شهيد عندهم في المقبر ... ومن خبايا من طبيات الثمر

وفسره بأن قال: بنته أم جعفر يعني زبيدة.

قال البلاذري في كتاب البلدان: وكانت الإسكندرونه له - يعني لمسلمة بن عبد الملك - ثم صارت لرجاء مولى المهدي إقطاعا يورثه منصور وإبراهيم ابنا المهدي، ثم صارت لإبراهيم بن سعيد الجوهري، ثم لأحمد

بن أبي دؤاد الإيادي ابتياعا، ثم انتقل ملكها إلى المتوكل على الله.
ذكر بياس
وهي مدينة على البحر خرج منها جماعة من الرواة، وبينها وبين الإسكندرونة عشرة أميال، وبينها وبين فندق حسين خمسة عشر ميلا، وهذا الفندق في مرج يقال له مرج حسين منسوب إلى حسين بن سليم الأنطاكي، كانت له به وقعة مع العدو، وسنذكره إن شاء الله.
وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي: وبياس مدينة صغيرة على شاطىء بحر الروم ذات نخيل وزروع خصبة.
ذكر أياس
قد ذكرنا أن الشيخ الجرهمي ذكر لمعاوية أن ياوان بن يافث ولد أياس، فعرف المكان الذي حله باسمه.
قلت: وأياس، مدينة إلى جانب بياس على شاطىء بحر الروم، من الثغور الشامية، هي الآن في يد الأرمن أيضا.
ذكر التينات
وهو حصن على شاطىء البحر بين بياس والمصيصة، أقام به أبو ا لخير التيناتي، فنسب إليه.
قال أبو زيد البلخي: والتينات حصن على شاطىء البحر أيضا، فيه يجمع خشب الصنوبر الذي ينقل إلى الشامات، وإلى مصر، وإلى الثغور.
ذكر المثقب
وهو حصن على ساحل بحر الروم.." (١)

"أنبأنا تاج الأمناء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن كتابة، قال: أخبرنا علي بن الحسن بن هبة الله قال: أنبأنا أبو طاهر بن الحنائي قال: أخبرنا أبو علي الأهوازي المقرىء قال: حدثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي المقرىء بمكة قال: حدثنا أبو القاسم عمر بن المؤمل قال: حدثنا أحمد بن طاهر الدمشقي قال: حدثنا عبد الله بن خبيق قال: سألت يوسف بن أسباط: هل مع حذيفة المرعشي علم؟ فقال: معه العلم الأكبر، خوف الله عز وجل.
أحمد بن طاهر الأسدي:
المعروف بابن الموصول الحلبي، وهو جد جد الوزير أبي الفضل هبة الله بن عبد القاهر بن أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن طاهر، وزير الملك رضوان ابن تتش.

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٥٤/١

قرأت بخط بعض الحلبيين في جزء يتضمن مدائح الوزير أبي الفضل بن الموصول، وأظنه بخط سني الدولة أبي العلاء المحسن بن الحسين كاتب الحضرة وذكر في نسب الوزير أبي الفضل: جد جده أحمد بن طاهر الأسدي المذكور.

وذكر أنه كان من الشهود المميزين بحلب، وكان فيه من قوة النفس، وعظم المحل أجمل صفه، ومن الدين والزهد، ما لم يكن مثله في سواه من أهل زمانه، فلما اتصل خبره بالحاكم الفاطمي المستولي على مصر، وما هو عليه من الدين والأدب والعلم، والسؤدد الثاقب والفهم، حمله الشوق إليه على إيثار مشاهدته، فأنفذ رسولا قاصدا يستدعيه إليه ويسومه الوفادة عليه، وأصحبه من المال والدواب ما يستعين به على طريقه، رغبة منه في رؤيته، والتبرك بمؤانسته فلما مثل بين يديه مال بجملته إليه، وتقدم بأن يخلع عليه، وأمر بانزاله، واجمال ضيافته، فلما كان بعد ثلاث أمر بإحضاره، فلما حضر أكرم مثواه وقربه وأدناه، وأمره بمواصلة حضرته، وتقدم إلى الحجاب برقع حجبته، فأقام عنده المدة الطويلة كل يوم يمضي تتضاعف حظوته، وتتزايد من قلبه مكانته.

وفي بعض الأيام وهو بين يديه أراد الحاكم من شدة محبته له، وإعجابه به أن يبالغ في كرامته ونباهة قدره فقال له: أدخل يدك يا أحمد حك ظهري، ففعل ما رسم له، وداخل يده من كمه وحك الموضع الذي أشار إليه من ظهره، فلما أخرج يده قال له الحاكم: يا أحمد ما أردت بذلك إلا إكرامك، حتى تقول وضعت يدي على ظهر أمير المؤمنين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأزيدك كرامة وتشريفا، وخلع عليه طيلسانا كان عليه، وقلده سيفا فاخرا كان يتقلد به يوم ركوبه في الأعياد، وأعطاه دواة كانت تحضر بين يديه للتوقيعات، وذلك كله عند ولده بتوارثه أب عن جد، ولم يزل مقيما عند الحاكم إلى حين وفاته في أرفع رتبة وألطف منزلة.

فهذا ما نقلته من الجزء المشار إليه في مدائح الوزير أبي الفضل بن الموصول.

وقيل أن أحمد بن الموصول أقام عند الحاكم بمصر إلى أن توفي في سنة تسعين وثلاثمائة.

من أفراد حرف الطاء في آباء الأحمدين

أحمد بن طغان:

قائد مذكور من قواد خمارويه بن أحمد بن طولون وولي على طرسوس وعلى جميع الثغور الشامية في سنة تسع وسبعين ومائتين، سيره واليا عليها خمارويه ابن أحمد بن طولون، وعزل عنها محمد بن موسى الأعرج، ودخلها ابن طغان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من شعبان من السنة، ذكر ذلك ابن أبي الأزهر والقطربلي

في تاريخهما الذي إجتمعا على تأليفه وقالا في تاريخهما المذكور: في سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وفي شعبان، كان الفداء بين المسلمين والروم على يد أحمد بن طغان، وورد كتاب فيه: أعلمك أن أحمد بن طغان نادى في الناس بحضور الفداء، وأنه خرج إلى اللامش معسكرا بالمسلمين يوم الجمعة لخمس خلون من شعبان وأنه صلى في الجامع وركب منه، ومعه راغب ومواليه، ووجوه البلد والقواد، والموالي، **والمطوعة** بأحسن زي وأكمل عدة، ووقع الفداء يوم الثلاثاء لتسع خلون منه، فأقاموا على ذلك إثني عشر يوما، فكان جملة من فودي به من المسلمين من رجل وامرأة وصبي: ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس، وانصرف الفريقان، وخرج أحمد بن طغان، واستخلف على طرسوس دميانة، ولم يعد إلى طرسوس.." (١)

"وذكره أبو عبد الله الحاكم في تاريخ نيسابور بما أخبرنا به أبو بكر عبد الله ابن عمر بن علي الخضر القرشي، وعبد الرحمن بن عمر الغزال في كتابيهما قالا: أخبرنا أبو الخير القزويني قال: أخبرنا زاهر بن طاهر الشحامي قال: أخبرنا أبو بكر البيهقي والحيري، وأبو عثمان الصابوني والبحيري فيما أذنوا لنا فيه قالوا: أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ قال: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الحسين، أبو نصر بن أبي محمد بن أبي العباس الماسرجسي، ابن ابنه الحسن بن عيسى بن ماسرجس، وكان من **المطوعة** الكثيري الجهاد.

سمع جده أبا العباس، وأباه، وعمه أبا أحمد، وأبا أحمد والد الحسين، وغيرهم من أهل بيته، وسمع أبا بكر محمد بن اسحق، وأبا العباس السراج وأقرانهما.

توفي أبو نصر الماسرجسي في متوجهه إلى طرسوس وخرجت له الفوائد عند خروجه إلى طرسوس سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، وفيها توفي بالشام.

أحمد بن عبد الله بن أحمد المرعشي أبو الحسن:

حدث عن أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، روى عنه القاضي أبو بكر محمد بن يوسف بن الفضل الجرجاني.

أخبرنا أبو بكر القاسم بن أبي سعد بن أبي حفص الصفار في كتابه إلينا من نيسابور قال: أخبرنا جدي أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار، وأخته عائشة قالا: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن عبد الله بن عمير بن خلف الشيرازي قال: أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن يوسف بن الفضل الجرجاني - قدم علينا رسولا - قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد المرعشي قال: حدثنا أبو القاسم عبد الله

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١/٢٥٢

بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا طالوت بن عبد الله الجحدري قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرني عن شهد الله بماذا شهد ربنا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لما خلق الله اللوح وسماه محفوطا جعل دفيته من ياقوتة حمراء، ثم خلق الله القلم من لؤلؤة رطبة، مشقوق شفته، يستمد من غير من يستمد وأقام بإزاء عرشه، وأراد منهم الإقرار، فقال لهم: من أنا؟ فقالوا: أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، فأمر الله القلم اكتب شهد الله أنه لا إله إلا هو، ثم خلق الله الملائكة بعلمه لا يعلم عددهم إلا الله، وأراد منهم الإقرار، فقال لهم: من أنا؟ فقالوا: أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، فأمر الله القلم: اكتب والملائكة فكتب القلم والملائكة ثم وقف، وخلق الله آدم عليه السلام وسماه أبا البشر وخلق ذريته على مثال الذر وأقامهم بإزاء عرشه، وأراد منهم الإقرار فقال لهم: من أنا؟ فقالوا: أنت الله لذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك فأمر الله القلم: اكتب وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

أحمد بن عبد الله بن إسحاق

أبو الحسن وقيل أبو الحسين الخرقي، كان له اختصاص بالمتقي لله قبل أن يلي الخلافة فلما وليها خلع عليه، وولاه قضاء مصر والشامات جميعها والحرمين، ومر في الشارع والجيش معه، وكان المتقي يشاركة في الرأي ويقبل مشورته، وسيره في رسائل عدة منها أنه كان قدم مع المتقي إلى الرقة حين قدمها وقد جرى له ما جرى مع توزون، فسيره المتقي رسولا إلى حلب إلى الإخشيذ أبي بكر محمد ابن طغج، فقدم عليه حلب يسأله أن يسير إليه ليجتمع معه بالرقة ويجدد العهد به، ويستعين به على نصرته ويقتبس من رأيه، ولما وصل أبو الحسن إلى حلب تلقاه الإخشيذ وأكرمه وأظهر السرور، والمتعة بقرب المتقي، وسار الإخشيذ إلى المتقي إلى الرقة، فأكرمه وكناه، وخاطبه بأبي بكر، وسنذكر ذلك في ترجمة الإخشيذ إن شاء الله تعالى.

أنبأنا أبو روح عبد المعز الهروي عن زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو القاسم البندار عن أبي أحمد المعرىء قال: أخبرنا أبو بكر الصولي إجازة قال في حوادث سنة ثلاثين وثلاثمائة: وصرف القضاة عن الجانبين ببغداد، وتقلد القضاء بهما أبو الحسين أحمد بن اسحق الخرقي لأربع بقين من شهر ربيع الآخر، وخلع عليه في يوم خميس ونزل في جامع الرصافة، وقرأ عهده.." (١)

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٢٧٢/١

"أنبأنا أبو القاسم بن الحرستاني قال: أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة قال: حدثنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني قال: حدثنا أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله قال: حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر ابن هشام الكندي قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن نصر بأنطاكية، قال: حدثنا سليم بن منصور بن عمار: قال: حدثنا أبي قال: حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير مزيد بن عبد الله البرتي عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون لأصحابي من بعدي زلة يغفرها الله عز وجل بسابقتهم معي، يعمل بها قوم من بعدهم يكبهم الله عز وجل في النار على مناخرهم.

أحمد بن نصر النيسابوري: سمع بأنطاكية عبد الله بن السري الأنطاكي.

أحمد بن نصر، أبو العشائر: ...، ولاه المكتفي ثغر طرسوس وما يليه من الثغور الشامية في سنة تسعين ومائتين.

وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في حوادث سنة تسعين ومائتين قال: ولإحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلع على أبي العشائر أحمد بن نصر، وولي طرسوس، وعزل عنها مظفر بن جاخ لشكاية أهل الثغور إياه.

قال: ولعشر خلون من جمادى الآخرة شخص أبو العشائر إلى عمله بطرسوس وخرج معه جماعة من المطوعة للغزو، ومعه هدايا من المكتفي إلى ملك الروم.

قال: وفي المحرم منها - يعني سنة اثنتين وتسعين ومائتين - أغار أندرونقس الرومي على مرعش ونواحيها، فنفر أهل المصيصة وأهل طرسوس، فأصيب أبو الرجال بن أبي بكار مع جماعة من المسلمين.

قال: وفيها كان الفداء بن المسلمين والروم، وكان عهد الفداء والهدنة من أبي العشائر والقاضي ابن مكرم، فلما كان من أمر أندرونقس ما كان من غارته على أهل مرعش وقتله أبا الرجال وغيره، عزل أبو العشائر، وولي رستم، فكان الفداء علي يديه.

أحمد بن النضر بن بحر السكري: أبو جعفر العسكري، من عسكر مكرم دخل الشام والعواصم والثغور، وسمع بحلب أبا محمد عبد الرحمن بن عبيد الله بن أحمد بن أخي الإمام الحلبي الأسدي، وبمنبج بن سلام المنبجي، وبالمصيصة أبا خيثمة مصعب بن سعيد المصيصي، وأحمد بن النعمان الفراء المصيصي، ومحمد بن آدم المصيصي، وأبا جعفر المغازلي المصيصي، وعبد الرحمن بن محمد بن سلام الطرسوسي، وبطرسوس حمزة بن سعيد المروزي، وأبا موسى بن يونس الطرسوسي، وبأنطاكية محمد بن عبد الرحمن بن

سهم الأنطاكي، وحدث عنهم سعيد بن حفص النفيلي وهشام بن عمار، ويحيى بن رجاء بن أبي عبيدة الحراني الحصني، والعباس بن الوليد بن صبح الخلال، ومحمد بن مصفى الحمصي، وحامد بن يحيى البلخي.

روى عنه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وعبد الله بن إسحق المدائني، وأبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، وعبد الباقي بن قانع القاضي، واسماعيل بن علي الخطبي، ومحمد علي بن سهل الإمام، وأبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي، وأبو علي الحسن بن هشام بن عمرو البلدي.

أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن الحسين بن هلالة الأندلسي قال: أخبرنا أسعد بن أبي سعيد الأصبهاني قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانية قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريذة قال: أخبرنا أبو القاسم سليمان ابن أيوب الطبراني قال: حدثنا أحمد بن النضر بن بحر العسكري قال حدثنا أبو خيثمة مصعب بن سعيد المصيصي قال: حدثنا عيسى بن يونس بن عوف الأعرابي عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على حي من بني النجار فإذا جوار يضربن بالدف ويقلن:

نحن فتيات من بني النجار ... فحبذا محمد من جار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله يعلم أن قلبي يحبكم.

قال الطبراني: لم يروه عن عوف إلا عيسى بن يونس، تفرد به مصعب بن سعيد.

أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل قال: أخبرنا أبو الحسن ابن قبيس قال: قال لنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب: أحمد بن النضر ابن بحر، أبو جعفر السكري، من أهل عسكر مكرم، قدم بغداد وحدث بها عن: سعيد بن حفص النفيلي، ومصعب بن سعيد المصيصي، ويحيى بن رجاء بن أبي عبيدة الحراني، وعبد الرحمن بن عبيد الله الحلبي، وحامد بن يحيى البلخي، ومحمد بن مصفى الحمصي.." (١)

"وقال الحاكم: سمعت أبا بكر محمد بن داوود بن سليمان يقول: كنا عند الحسن بن سفيان ببالوز، دخل عليه أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة، وأبو عمر أحمد بن محمد الحيري، وأبو بكر أحمد بن علي الرازي الحافظ في جماعة أصحاب أبي بكر **المطوعة**، وهم متوجهون إلى فراوة، فقال له أبو بكر بن علي: قد كتبت للأستاذ أبي بكر محمد بن اسحق هذا الطبق من حديثك، فقال: هات واقرأ فأخذ يقرأ،

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١/٤٠٢

فلما قرأ أحاديث أدخل إسنادا منها في إسناد، فرده الحسن إلى الصواب فلما كان بعد ساعة أدخل أيضا إسنادا في إسناد فرده إلى الصواب، فلما كان في الثالثة قال له الحسن: ما هذا لا تفعل فقد احتملتك مرتين، وهذه الثالثة وأنا ابن تسعين سنة فاتق الله في المشاريخ فربما استجيبت فيك دعوة، فقال له أبو بكر محمد ابن اسحق: مه لا يؤذي الشيخ، قال أبو بكر بن علي: إنما أردت أن يعلم الأستاذ أن أبا العباس يعرف حديثه.

أنبأنا أبو روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل عن زاهر بن طاهر عن أبي بكر أحمد بن الحسين قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا علي الحسين ابن علي الحافظ يقول: سمعت الحسن بن سفيان يقول: أنا فاتني يحيى ابن يحيى بالوالدة لم تدعني أخرج إليه، فعوضني الله بأبي خالد الفراء وكان أسند من يحيى بن يحيى.

قال: وأخبرنا أبو عبد الله قال: سمعت أبا بكر محمد بن جعفر البستي يقول: سمعت الحسن بن سفيان يقول: لولا اشتغالي بحيان بن موسى، وسماع مصنفات ابن المبارك منه لجئتكم بأبي الوليد وسليمان بن حرب.

أخبرنا أبو نصر القاضي في كتاب قال: أخبرنا الحافظ أبو القاسم قال: أخبرنا أبو سعيد هبة الله بن القاسم بن عطاء المهراني – إجازة فيما أرى – قال أخبرنا أبو نعيم المعقلي قال: حدثني الفقيه أبو نصر أحمد بن جعفر الأسفرائيني بها أقالك حدثنا الفقيه أبو الحسن الصفار قال: كنا عند الشيخ الإمام الزاهد الحسن بن سفيان النسوي وقد اجتمع لدينه طائفة من أهل الفضل، ارتحلوا إليه من أطباق الأرض والبلاد البعيدة مختلفين إلى مجلسه لاقتباس العلم، وكتبة الحديث، فخرج يوما إلى مجلسه الذي كان يملي فيه الحديث فقال: اسمعوا ما أقول لكم قبل أن نشرع في الإملاء، قد علمنا أنكم طائفة من أبناء النعم وأهل الفضل هجرتم أوطانكم وفارقتم ديراكم وأصحابكم في طلب العلم واستفادة الحديث، فلا يخطرن ببالكم أنكم قضيتم بهذا التجشم للعلم حقا، أو أديتم بما تحملتم من الكلف والمشاق من فروضه فرضا فإني أحدثكم ببعض ما تحملته في طب العلم من المشقة والجهد وما كشف الله سبحانه وتعالى عني وعن أصحابي ببركة العلم وصفوة العقيدة من الضيق والضنك.." (١)

"ثم طلب أهل مرسية وشرق الأندلس من مير المسلمين أبي الحسقن علي بن يوف بن تاشفين أن يقلده قضاءهم فقلده ذلك في ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة فامتنع منه وخرج الى المرية فارا

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤٢٠/٢

بنفسه، وترددت اليه كتب أمير المسلمن ورسله، وألزم إشخاصه الى مسية، وشدد في الأمر فنهض إليها على كره متقلدا قضاءها وقضاء قضاة الشرق بها، فلزم هذا العمل محمود السيرة قائخما بالحق الى أن عزل عن القضاء نفسه، واختفى ووردت كتب السلطان برجوعه الى القضاء وهو يأبى، وبقيت الحال هكذا شهرا، وكتب الطلاب والرحالون كتابا يشكون فيه الى أمير المسلمين حالهم ونفاذ نفقاتهم وانقطاع آمالهم فسعى له قاضي الجماعة عند أمير المسلمين وبين له وجه عذره الى أن أسعف رغبته، وظهر للناس.

ولما وجه أمير المسلمين الجيوش الى الثغر مع أخيه ابراهيم سنة أربع عشرة، خرج فيمن خرج من **المطوعة**، فلما جرت على المسلمين الهزيمة المشهوة بـqتندة كان فيمن فقد فختم له بالشهادة، وكانت هذه الوقعة بقتندة من ثغر سرقسطة يوم الخميس لست بقين لربيع الاول من السنة المذكورة.

قال القاضي عياض: ولقد حدثني الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بم جعفر أنه قال له: خذ الصحيح فاذكر أي متن شئت منه أذكر لك سنده، أو أي سند أذكر لك متنه.

الحسين بن محمد بن مودود:

ابن حماد بن داوود بن علي بن عبد الله السلمي مولاهم أبو عروبة الحراني الحافظ ولي قضاء حران وسافر في طلب العلم الى الشام والثغور والحجاز والعراق وفي عبوره من حران الى الشام اجتاز بحلب أو ببعض نواحيها.

حد عن فضاله بن الفضل الكندي، وأبي رفاعة عبد الله بن محمد، والمغيرة ابن عبدج الرحمن الحراني، وعلي بن سعيد بن شهريار، وعبد الوهاب ابن الضحاك العرضي وعمرو بن هشام الحراني، والمسيب بن واضح السلمي، وليمان بن سلمة، ومحمد بن المفى الحمصي، وسلمة بن وأبي كريب، ومحمد ابن يحيى ابن كثير، ومحمد بن المثنى، ومحمد بن بشار، وعمرو بن عثمان، وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، وجميل بن الحسين، ومحمد بن عوف الحمصي، وأبي الخطاب زياد بن يحيى الحساني وعبد الرحمن بن عمرو البجلي، وعمرو بن عثمان، ومحمد بن زياد بن عبد الله بن عيسى، وأبي داوود سليمان بن سيف الحراني، وعلي بن منصور العطار، وأحمد بن بزيع الآدمي، وابراهيم بن سعيد الجوهري، وعباد بن يعقوب، ومخد بن مالك وغيرهم.

روى عنه الحافظ: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجني،وأبوا بكر: محمد بن ابراهيم المقرئ، وأحمد بن محمد بن اسحاق السني.

أخبرنا بو هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي قال: أخبرنا أبو طاهر محمد ابن محمد بن عبد الله

السنجي قال: أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن حمد الدوني قال: أخبرنا أبونصر الكسار قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن اسحاق السني الحافظ قال: أخبرني أبو عروبة قال: حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري قال: حدثنا شبابة بن سوار عن أبي بكر الهذلي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعر الجاهلية إلا قصيدة أمي بن أبي الصلت في أهل بدر وقصيدة الأعشى في ذكر عامر وعلقمة.

أخبرنا بو الفرج بن القبيطي في كتابه قال: أخبرنا أبو الحسن بن الآبنوسي قال: أخبرنا أبو القاسم الاسماعيلي قال: أخبرنا أبو القاسبم السهمي قال: أخبرنا أبو أحمد بن عدي قال: الحسين بن محمد بن مودود أبو عروبة الحراني كان عارفا بالحديث والرجال، وكان مع ذلك مفتي أهل حان، أشفاني حين سألته عن قوم من رواتهم وذكرت ذك في ذكر أساميهم.

اتحسين بن محمد بن موسى:

أبو علي بن أبي جعفر البطناني الحلبي، وقيل فيه الحسن، والصحيح الحسين، وقد ذكرناه فيمن اسمه الحسن، وقد ذكره أبو بكر محمد بن الحسين السبيعي في معجم شيوخه فيمن اسمه الحسين، وهو حلبي وينسب الى بطنان قرية من قرى حلب، بينها وبين منبج وإليها يضاف وادي بطنان، وهو وادي بزاعا، وهي الى جانب بزاعا و تعرف ببطنان حبيب.

حدث بحلب عن عبد الله بن أبي بكر العتكي، وأحمد بن محمد بن أبي عقبة الأنصاري، وأبي الوليد الطيالسي، ويحيى بن عبد الحميد الحماني، واسماعيل بن عبد الله بن زرارة العبدري قاضي دمشق.." (١)

"وذكر أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق فما قرأته في سيرة أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون قال: وفي هذه السنة في صفر منها - يعني سنة ثمان وسبعين ومائتين - مات أبو أحمد الموفق وعقد العهد لابنه أبي العباس، وكان للموفق غلام خادم من جلة غلمانه يعرف براغب، فلما مات مولاه أحزنه موته، فأحب أن يسكن طرسوس، فاستأذن في ذلك، فأذن له، فخرج قاصدا يريد الثغر، وكان خمارويه يومئذ بدمشق فلما بلغ راغب إلى حلب وهم بالدخول إلى طرسوس قيل له: طرسوس من عمل أبي الجيش، وهو بالقرب منك، فلو صرت إليه زائرا وقضيت حقه، وعرفته ما عزمت عليه من المقام بالثغر ما ضرك ذلك، وكان أجل لمحلك وأقوى لك على ما تريده، فبعث بثقله وجميع ما كان معه مع غلام له يعرف بمكنون وأمره أن يتقدمه إلى طرسوس، ورحل هو مخفا إلى دمشق، فلقي أبا الجيش فأحسن أبو الجيش تلقيه وسر

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١٠٨/٣

بنظره ووصله وأحسن إليه وكان يكثر عنده ويحادثه، وكانت لراغب عارضه وبيان وحسن عبارة وكان قد رأى الخلفاء وعرف كثيرا من أخبارهم، فكان يصل مجلسه بشي من أخبارهم وسيرهم، فأنس به خمارويه، وكان يستريح إلى حديثه ومذاكرته، فلما رأى راغب ما يخصه به خمارويه من التكرمة والأنس به والاستدعاء إذا تأخر استحيا أن يذكر له الخروج إلى طرسوس، فلما طال مقامه بدمشق ظن مكنون غلامه أن أبا الجيش قد قبض عليه ومنعه من الخروج إلى الثغر، فأذاع ما ظنه عند المطوعة وشكاه إليهم، وأكثر هؤلاء المطوعة من أهل الجبل وخراسان، معهم غلظ الأعجمية وسوء أدب الصوفية فأحفظهم هذا القول وظنوه حقا، فقالوا: تعمد إلى رجل قد خرج إلى سبيل الله محتسبا نفسه لله عز وجل. وفي مقام مثله في الثغر قوة للمسلمين وكتب لأعدائهم من الكافرين، فتقبض عليه وتمنعه من ذلك جرأة على الله فتلففوا وتجمعوا ومشى بعضهم إلى بعض وأقبلوا إلى واليهم وهو ابن عم خمارويه، فشغبوا عليه، فأدخلهم إليه ليسكن منهم ويعدهم بما يحبون، فقبضوا عليه وقالوا: لا تزال في إعتقالنا أو يطلق صاحبك صاحبنا، فإن قتله قتلناك به، وتسرع سفلهم إلى داره فنبهت وهتكت حريمه ولحقه كل ما يكره، وجاءت الكتب إلى أبي الجيش بذلك فأحضر راغبا وأقرأه الكتب: وقال له: والله ما منعناك ولا حظرنا عليك الخروج ولقد سررنا بقربك وما أوليت وأوليناك إلا جميلا، وقد جنى علينا سوء ظن غلامك ما لم نجنه فإذا شئت فارحل مصاحبا، وقل لأهل طرسوس: يا جهلة ما يومنا فيكم بواحد تتسرعون إلى ما نكره مرة بعد أخرى ونغضي عنكم، ويحلم الله عز وجل، ولولا المحافظة على ثغر المسلمين وعز الإسلام لا خشية منكم ولا من كثرتكم، وإلى الله الشكوى، ولولا الخوف من غضبه عز وجل لجازيناكم على أفعالكم، فودعه راغب وحل إلى طرسوس، فلما صح عند أهل طرسوس خبر راغب أطلقوا عند محمد بن موسى بن طولون، فلما أطلق قال: أصلح الله بلدكم، ورحل عنهم فسكن بيت المقدس، وكان له دين وفيه خير كثير.

وقرأت في سيرة الأخشيد: تأليف أبي محمد بن زولاق قال: وحدثني أحمد ابن عبيد الله عن أبيه قال: قال: طغج كنت بدمشق أخلف أبا الجيش فجاءني كتابه يأمرني بالمسير إلى طرسوس، وأقبض على راغب وأقتله فسرت إلى طرسوس، وكان شتاء عظيما فما أمكن أحد أن يتلقاني، فلقيني راغب وحده في غلمانه، وكان له مائتا غلام قد أشجو العدو، فأنزلني وخدمني وقضى حقي فأمسكت عنه وحضرت معه غزاة أشجى فيها العدو فقال لي جماعة من أهل طرسوس: بالله إلا صنت هذا الرجل وأحسنت إليه، ففعلت وآثرت رضا الله عز وجل فانصرفت إلى دمشق وكتب إلى أبي الجيش أعتذر وذكرت أشياء منعتني من القبض على راغب.

قال طغج: فما شعرت وأنا بدمشق حتى وافى أبو الجيش فلقيته وخدمته وجلست معه ليلة الشرب فلما تمكن منه الشراب قال لي: يا طغج شعرت بأنه ما جاء بي إلى دمشق سواك، فاضطربت فلما رآني قد تغرت اقلب الحديث، وانصرفت وأنا خائف منه وعلمت أنه يقتلني كما قتل صافي غلام أبيه بدمشق لأنه سار إليه من مصر وقتله فقتل أبو الجيش تلك الليلة وكفاني الله أمره لأني عملت مع راغب لله فكفيت.." (١)

" الفضل وعبدان بن عثمان وطبقتهم بخراسان والعراق والحجاز ذكره بن أبي حاتم مختصرا حدث عنه بن أبي حاتم والحسن بن محمد بن حليم وعلي بن محمد الحبيبي وبكر بن محمد الدخمسيني وأبو بكر بن أبي نصر وخلق من المراوزة توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين بمرو أخبرنا احمد بن هبة الله انا القاسم بن عبد الله انا جدي عمرو بن احمد انا أبو بكر بن خلف انا أبو عبد الله الحاكم نا أبو بكر بن أبي نصر المروزي نا أبو الموجه نا سعيد بن هبير نا وهيب عن صالح بن حيان عن محمد بن كعب القرظي عن بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا سألتم الله فاسألوه ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها وامسحوا بها وجوهكم أخرجه الحاكم في مستدركه وصالح واه قال البخاري فيه نظر

٦٤٤ – حيكان المحدث الحافظ الشهيد أبو زكريا يحيى بن الحافظ الكبير محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري امام نيسابور ومفتيها بعد أبيه وامير المطوعة وكان له بيت يتعبد فيه سمع يحيى بن يحيى وسليمان بن حرب وأحمد بن يونس ومسددا وعلي بن الجعد وإسماعيل بن أبي أويس وطبقتهم حدث ." (٢)

"أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن أبي ليلى الأنصاري أبو القاسم أصله من غرناطة وسكن مرسية واستقضى بشلب وله سماع من أبي علي ويروى من شيوخه عن أبي الوليد الباجي وأبي العباس العذري وأبي عبد الله بن فرج حدث عنه ابنه أبو بكر عبد الرحمن ابن أحمد وأبو الوليد ابن الدباغ وأبو مروان بن الصيقل وأبو القاسم ابن بشكوال وغيرهم وتوفي سنة ٥١٤ وفي هذه السنة فقد أبو علي في وقيعة كتندة وتقال بالقاف وهي في حيز دروقة عمل سرقسطة واختلف أصحابه فيها فجعلها أبو جعفر بن الباذش بعد العصر من يوم الأربعاء السابع عشر من ربيع الآخر وتابعه أبو عبد الله بن عبد الرحيم وذكر أبو الفضل بن عياض في برنامجه أن أبا علي خرج إلى الغزو سنة ١٤ مع الأمير إبراهيم ابن يوسف بن تاشفين اللمتوني

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤٥٧/٣

(٢) تذكرة الحفاظ، ٦١٦/٢

هو وقرينه في الفضل أبو عبد الله بن الفراء وحضرا يوم قتندة المشهور بالثغر الأعلى يوم الخميس لست بقين من ربيع الآخر من السنة وحقت على المسلمين الهزيمة وكانا في من فقد رحمهما الله وقال أبو القاسم بن بشكوال في الصلة استشهد القاضي أبو علي رحمه الله في وقعة كتندة بثغر الأندلس يوم الخميس ووافق عياضا إلا في الشهر فإنه قال من ربيع الأول وهو الأصح وقال أبو عمرو الخضر بن عبد الرحمن توفي في الكاينة على المسلمين بكتندة عشر يوم الخميس الثامن عشر من شهر ربيع الأول فتابع ابن بشكوال على الشهر وقرأت بخط أبي عبد الله بن مدرك الغساني المالقي استشهد الفقيه أبو علي رحمه الله في وقعة كتندة يوم الخميس التاسع عشر من ربيع الأول وذكر السنة قال وكانت على المسلمين جبرهم الله قتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألفا ولم يقتل فيها من العسكر يعني الجند أحد وحكى غيرهم أن العسكر انصرف مفلولا إلى بلنسية في الموفى عشرين من ربيع الأول أيضا وأن القاضي أبا بكر بن العربي حضرها قال وسيل فخلصه منها عن حاله فقال حال من ترك الخبا والعبا ولم يذكرعياض في المعجم وفاة أبي علي فلزم الإتيان بها والتبيان لسببها حدثنا القاضي أبو الخطاب أحمد بن محمد القيسي الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك نا القاضي أبو القاسم أحمد بن إبراهيم بن أبي ليلى قال قرى على القاضي أبي علي حسين بن محمد وأنا أسمع في شعبان سنة ٥٠٨ بمرسية قال ابن عبد الملك وإجازة لنا أبو علي قال أنا الشيخ أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن فهد العلاف نا العلاف نا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس أملا أنا أبو عمرو بن حمدان نا الحسن ابن سفين نا أبو بكر بن أبي شيبة نا حسين بن علي عن زايدة. عن ميسرة عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن قرى ضيفه قالوا يا رسول الله وما قرى الضيف قال ثلاث فما فوقهن صدقة ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهدا مرا فليتكلم بخيرا وليسكت استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن اعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل اعوج استوصوا بالنساء هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن أبي كريب وموسى بن حزام وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة كلهم عن حسين الجعفي وبالإسناد إلى ابن أبي الفوارس قال أنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد الهروي أنا أبو بكر محمد بن جعفر الخرايطي أنا أبو جعفر ابن بنت أبي سعيد التغلبي الدمشقي قال سمعت عبيد بن صرد أخا ضرار بن صرد يقول سمعت رجلا من ولد الربيع بن خثيم يقول كتب الربيع بن خثيم إلى أخ له أما بعد فزم جهازك وأفرغ من زادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الناس أوصياءك ولا تجعل الدنيا من أكبر همك فإنه لا عوض من تقوى الله ولا

خلف من الله.

أحمد بن محمد بن سعود أبو جعفر من أهل مرسية صحب أبا علي طويلا وأكثر عنه قديما عليه الموطأ والصحيحين وجامع الترمذي ومسند البزار وسنن الدارقطني وغير ذلك وأجاز له ما تضمنته فهرسته وكان قد كتبها عنه ومنها وقفت على هذه الأسمعة وله رواية عن أبي الحسن بن الدوش أخذ عنه بشاطبة ولا أعلمه حدث.

أحمد بن عبد العزيز بن عبد المولى أبو جعفر لقي أبا علي بالمرية وروى عنه ووقفت على السماع منه مؤرخا بشعبان سنة ٥١٤.." (١)

"هو منصور بن يزيد بن منصور بن عبد الله بن شهر بن يزيد الزنجاني الحميري الرعيني أمير مصر وهو ابن خال المهدي ؛ ولاه المهدي إمرة مصر بعد عزل واضح عنها في سنة اثنتين وستين ومائة على الصلاة، فقدم مصر يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين وستين ومائة المذكورة، وسكن المعسكر على عادة أمراء مصر، وجعل على شرطته هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج مدة يسيرة، ثم عزله وولى عبد الأعلى بن سعيد الجيشاني، ثم عزله أيضا وولى عبد الأعلى بن سعيد الجيشاني ثم عزله أيضا و ولى عسامة بن عمرو " المعافري " ؛ وكل ذلك في مدة يسيرة فإن ولاية منصور المذكور لم تطل على إمرة مصر وعزل عنها في النصف من ذي القعدة من سنة اثنتين وستين ومائة المذكورة بيحيى بن داود؛ فكانت مدة ولاية منصور بن يزيد هذا على مصر شهرين وثلاثة أيام، ولم أقف على وفاته بعد ذلك غير أنه ذكر في واقعة عبد السلام الخارجي أنه حضرها بقنسرين. وأمر عبد السلام بن هاشم اليشكري المذكور " أنه "كان قد خرج بالجزيرة واشتدت شوكته وكثر أتباعه فلقي عدة من قواد المهدي فيهم عيسى بن موسى القائد فقتله بعد أمور في عدة ممن معه وهزم جماعة من القواد فيهم شبيب بن واج المرورزدي، فندب المهدي إلى شبيب ألف فارس وأعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة فوافوا شبيبا، فخرج بهم في طلب عبد السلام المذكور فهرب منه فأدركه بقنسرين وقتله.

السنة التي حكم فيها واضح

مولى المنصور على مصر، ثم من بعده منصور ابن يزيد الحميري الرعيني وهي سنة اثنتين وستين ومائة.

فيها وضع الخليفة المهدي دواوين الأزمة وولى عليها عمرو بن مربع، ولم يكن لبني أمية ذلك. ومعنى دواوين الأزمة: أن يكون لكل ديوان زمام وهو رجل يضبطه، وقد كان قبل ذلك الدواوين مختلطة.

---

(١) المعجم، ص/٢

وفيها وصلت الروم إلى " الحدث " فهدموا سورها، فغزا الناس غزوة لم نسمع بمثلها، وكان مقدم الغزاة الحسن بن قحطبة؛ سار إليهم في ثمانين ألف مقاتل سوى **المطوعة**؛ فأغار على ممالك الروم وأحرق وأخرب ولم يلق بأسا. وفيها ولي اليمن عبد الله بن سليمان.

وفيها ظهرت المحفرة بجرجان ورأسهم عبد القهار فغلبوا على جرجان وقتلوا وأفسدوا؛ فسار لحربهم من طبرستان عمر بن العلاء فقتل عبد القهار ورؤوس أصحابه وتشتت باقي أصحابه.

وفيها كان مقتل عبد السلام بن هاشم اليشكري الذي خرج بحلب وبالجزيرة، وكثرت جموعه وهزم الجيوش التي حاربته حتى انتدب لحربه شبيب بن واج في ألف فارس من الأبطال وأعطوا ألف ألف درهم، ففر منهم اليشكري إلى حلب فلحقه بها شبيب وقتله.

وفيها توفي أبو عتبة عباد بن عباد الخواص. كان من أهل المحبة وعنه أخذ مشايخ الطريقة، كان يمشي في الأسواق ويصيح: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه! وكان صاحب أحوال وكرامات رحمه الله.

وفيها توفي محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس العباسي الهاشمي؛ كان صاحب فضل ومروءة وكان بمنزلة عظيمة عند الخليفة أبي جعفر المنصور، وكان المنصور يعجب به ويحادثه، وكان لبيبا لسنا فصيحا.

وذكر الذهبي وفاة جماعة أخر ممن تقدم ذكرهم وغيرهم على اختلاف يرد في وفاتهم، قال: وفيها توفي إبراهيم بن أدهم الزاهد، وإبراهيم بن نشيط المصري في قول، وخالد بن أبي بكر العمري المدني، وداود بن نصير الطائي، وزهير بن محمد التميمي المروزي، وإسرائيل بن يونس بخلف، وعبد الله بن محمد بن أبي يحيى المدني سحبل، ويزيد بن إبراهيم التستري بخلف، ويعقوب بن محمد بن طحلاء المدني، وأبو بكر بن أبي سبرة القاضي، وأبو الأشهب العطاردي واسمه جعفر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاثة أذرع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا.

ولاية يحيى بن داود

على مصر هو يحيى بن داود الشهير بابن ممدود الأمير أبو صالح الخرسي من أهل خراسان.." (١)

"وفيها توفي محمد بن الحسن الفقيه ابن فرقد الشيباني مولاهم الكوفي الفقيه العلامة شيخ الإسلام وأحد العلماء الأعلام مفتي العراقين أب وعبد الله، قيل: إن أصله من حرستا من غوطة دمشق، ومولده بواسط ونشأ بالكوفة وتفقه بأبي يوسف ثم بأبي حنيفة وسمع مسعرا ومالك بن مغول والأوزاعي ومالك بن

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٥٢/١

أنس؛ وأخذ عنه الشافعي وأبو عبيد وهشام بن عبيد الله وعلي بن مسلم الطوسي وخلق سواهم؛ وكان إماما فقيها محدثا مجتهدا ذكيا، انتهت إليه رياسة العلم في زمانه بعد موت أبي يوسف. قال أبو عبيد: ما رأيت أعلم بكتاب الله منه. وقال الشافعي: لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقلت لفصاحته، وقد حملت عنه وقر بختي كتبا. وقال إبراهيم الحربي: قلت لأحمد بن حنبل: من أين لك هذه المسائل الدقاق؛ قال: من كتب محمد بن الحسن. وعن الشافعي قال: ما ناظرت أحدا إلا تغير وجهه ما خلا محمد بن الحسن. وقال أحمد بن محمد بن أبي رجاء: سمعت أبي يقول: رأيت محمد بن الحسن في النوم فقلت: إلام صرت. قال: غفر لي؛ قلت: بم؛ قال: قيل لي: لم نجعل هذا العلم فيك إلا ونحن نغفر لك.

قلت: وقد تقدم في ترجمة الكسائي أنهما ماتا في صحبة الرشيد بقرية رنبويه من الري، فقال الرشيد: دفنت الفقه والعربية بالري.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربعة أذرع وأربعة عشر إصبعا. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا واصبعان.

ولاية عبد الله بن محمد

على مصر هو عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، الأمير أبو محمد الهاشمي العباسي المعروف بابن زينب ؛ ولاه الرشيد إمرة مصر على الصلاة بعد عزل أحمد بن إسماعيل سنة تسع وثمانين ومائة. ولما ولي مصر أرسل يستخلف على صلاة مصر لهيعة بن موسى الحضرمي، فصلى لهيعة المذكور بالناس إلى أن قدم عبد الله بن محمد المذكور إلى مصر في يوم السبت للنصف من شوال سنة تسع وثمانين ومائة المذكورة؛ وسكن العسكر على عادة أمراء بني العباس، ثم جعل على شرطته أحمد بن موسى العذري مدة، ثم عزله وولى محمد بن عسامة " بن عمر " . ولم تطل مدة عبد الله المذكور على إمرة مصر وعزل بالحسين بن جميل لإحدى عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة. وخرج عبد الله من مصر واستخلف على صلاتها هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج؛ فكانت مدة ولاية عبد الله هذا على مصر ثمانية أشهر وتسعة عشر يوما. وتوجه إلى الرشيد فأقره الرشيد من جملة قواده وأرسله على جماعة نجدة لعلي بن عيسى لقتال رافع بن الليث بن نصر بن سيار، وكان رافع ظهر بما وراء النهر مخالفا للرشيد بسمرقند. وكان سبب خروج رافع أن يحيى بن الأشعث تزوج ابنة لعمه أبي النعمان وكانت ذات يسار ولسان، ثم تركها يحيى بن الأشعث بسمرقند وأقام ببغداد واتخذ السراري، فلما طال ذلك عليها أرادت التخلص منه، وبلغ رافع خبرها فطمع فيها وفي مالها، فدس إليها من قال لها: لا سبيل

إلى الخلاص من زوجها إلا أن تشهد عليها قوما أنها أشركت بالله، ثم تتوب، فينفسخ نكاحها وتحل للأزواج، ففعلت ذلك فتزوجها رافع. فبلغ الخبر يحيى بن الأشعث فشكا إلى الرشيد، فكتب الرشيد إلى علي بن عيسى يأمره أن يفرق بينهما وأن يعاقب رافعا ويجلده الحد ويقيده ويطوف به في سمرقند على حمار " حتى يكون عظة لغيره " ففعل به ذلك ولم يحده؛ " وطلقها رافع " ، وحبس رافع بسمرقند مدة، ثم هرب من الحبس فلحق بعلي بن عيسى ببلخ، فأراد ضرب عنقه فشفع فيه عيسى بن علي بن عيسى، وأمره بالانصراف إلى سمرقند، فرجع إليها ووثب بعامل علي بن عيسى عليها وقتله واستولى على سمرقند واستفحل أمره حتى خرجت إليه العساكر وأخذته وقتل بعد أمور. ولما عاد عبد الله صاحب الترجمة إلى الرشيد سأله في إمرة مصر ثانيا فأبى واستمر عند الرشيد إلى أن مات.

السنة التي ح كم فيها عبد الله

بن محمد العباسي على مصر وهي سنة تسعين ومائة.

فيها افتتح الرشيد مدينة هرقلة وبث جيوشه بأرض الروم وكان في مائة ألف فارس وخمسة وثلاثين ألفا سوى **المطوعة**، وجال الأمير داود بن موسى بن عيسى العباسي في أرض الكفر وكان في سبعين ألفا؛ وكان فتح هرقلة في شوال، وأخربها وسبى أهلها، وكان الحصار ثلاثين يوما.

وفيها افتتح شراحيل بن معن بن زائدة الشيباني حصن الصقالبة بالمغرب.." (١)

"وفيها توفي أمير الملثمين بمراكش وغيرها من بلاد المغرب الأمير أبو بكر بن عمر. أصله من ولد تاشفين. كان أميرا جليلا مجاهدا في سبيل الله تعالى. ركب في بعض غزواته في خمسمائة ألف مقاتل من رجال الديوان **والمطوعة**؛ وكان يخطب في بلاده للدولة العباسية، وكان يصفي بالناس الصلوات الخمس، ويقيم الحدود، ويلبس الصوف، وينصف المظلوم، ويعدل في الرعية، وكان بين رعيته كواحد منهم. رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وخمس أصابع وكان الوفاء في آخر أيام النسيء.

وكان مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع. ونقص في رابع بابة.

السنة الرابعة والخمسون من خلافة المستنصر

وهي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

فيها توفي أحمد بن محمد بن الحسن بن الخضر، الحافظ أبو طاهر الجواليقي والد أبي منصور موهوب.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١/١٨٦

كان شيخا صالحا متعبدا، من أهل البيولات القديمة ببغداد؛ وكان جده صاحب دنيا و اسعة. ومات هو فجأة في شهر رجب.
وفيها توفي عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن مت بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن مت، الحافظ شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي. هو من ولد أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. سمع الكثير وروى عنه جماعة. وكان إماما حافظا بارعا في اللغة، إمام وقته. قال المؤتمن: وكان يدخل على الأمراء والجبابرة فما كان يبالي بهم. ومات في ذي الحجة وقد جاوز أربعا وثمانين سنة.
وفيها توفي محمد بن أحمد بن الحسن بن ماجة، أبو بكر الأبهري الأصبهاني، الإمام العالم المشهور. مات بأصبهان عن خمس وتسعين سنة، وقد انتهت إليه ورياسة العلم بها. وفيها توفي عثمان بن محمد بن عبيد الله أبو عمرو المحمي مات في صفر وكان إماما عالما مفتنا.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وأربع أصابع. فهلكت الزروع والغلات والمخازن من كثرة الماء.
السنة الخامسة والخمسون من خلافة المستنصر
وهي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة.
فيها جهز بدر الجمالي أمير الجيوش عسكرا من مصر مع نصير الدولة الجيوشي، فنزل على صور وبها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل، فسلمها إليه لما لم يكن له به طاقة. وفتح نصير الدولة صيداء وعكا. وكان لتتش بهذه البلاد ذخائر وأموال، فأخذها نصير الدولة المذكور، ثم نزل على بعلبك، وجاءه ابن ملاعب وخطب للمستنصر صاحب الترجمة أعني أنه دخل تحت طاعة المصريين. وبعث تتش إلى آق سنقر وبوزان وقال لهما: هذه البلاد كان لي فيها ذخائر وقد أخذت، وطلب منهما النجدة، فبعثا له عسكرا.
وفيها توفي طاهر بن بركات بن إبراهيم، الحافظ أبو الفضل القرشي الخشوعي. كان عظيم الشأن، من أكابر شيوخ دمشق. قال ابن عساكر: سألت ولده إبراهيم بن طاهر: لم سميتم الخشوعيين؟ فقال: لأن جدنا الأعلى كان يؤم الناس فمات بالمحراب. انتهى. وكانت وفاة طاهر هذا بظاهر دمشق. وكان ثقة صدوقا عالما.
وفيها توفي عاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم، أبو الحسين.
كان ظريفا أديبا شاعرا فصيحا حافظا للشعر.
وفيها توفي علي بن أبي يعلى بن زيد، الشيخ أبو القاسم الدبوسي من أهل دبوسية، وهي بلدة بين بخارى

وسمرقند. كان إماما عالما. أقدمه الوزير نظام الملك إلى بغداد للتدريس في مدرسته النظامية. وكان عارفا بالفقه والجدل والمناظرة. ومات ببغداد في شعبان.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن صاعد، رئيس نيسابور وعالمها وقاضيها، أبو نصر النيسابوري الحنفي. كان إمام وقته ووحيد دهره علما وزهدا وفضلا ورياسة وعفة. انتهت إليه رياسة السادة الحنفية في زمانه.

وفيها توفي الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد السرخسي الشجاعي البلخي الفقيه العالم المشهور. كان إماما عالما فاضلا سمع الحديث الكثير وتفقه وبرع في فنون.

وفيها توفي إبراهيم بن سعيد، الحافظ أبو إسحاق النعماني مولاهم الحبال.

كان إماما فاضلا حافظا؛ سمع الكثير ورحل البلاد وحدث وسمع منه خلائق، ثم سكن مصر، وبها كانت وفاته، ومات وله تسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وثماني عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وتسع أصابع.

السنة السادسة والخمسون من خلافة المستنصر." (١)

"وقال ابن القلانسي: إن أخذ المعرة كان في هذه السنة أيضا، لأنه كان قبل أخذ بيت المقدس. قال: وزحف الفرنج في محرم هذه السنة إلى سور المعرة من الناحية الشرقية والشمالية، وأسندوا البرج إلى سورها، فكان أعلى منه. ولم يزل الحرب عليها إلى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من المحرم، وصعدوا السور، وانكشف أهل البلد بعد أن ترددت إليهم رسل الفرنج، وأعطوهم الأمان على نفوسهم وأموالهم وألا يدخلوا إليهم، بل يبعثوا إليهم شحنة فمنع من ذلك الخلف بين أهلها، فملكت الفرنج البلد بعد المغرب بعد أن قتل من الفريقين خلق كثير، ثم أعطوهم الأمان. فلما ملكوها غدروا بهم وفعلوا تلك الأفعال القبيحة وأقاموا عليها، إلى أن رحلوا عنها في آخر شهر رجب إلى القدس. وانجفل الناس بين أيديهم، فجاءوا إلى الرملة فأخذوها عند إدراك الغلة، ثم انتهوا إلى القدس. وذكر في أمر القدس نحوا مما قلناه، غير أنه زاد فقال: ولما بلغهم يعني الفرنج خروج الأفضل من مصر جدوا في القتال ونزلوا من السور وقتلوا خلقا كثيرا، وجمعوا اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم، وهدموا المشاهد وقبر الخليل – عليه السلام – وتسلموا محراب داود بالأمان. ووصل الأفضل بالعساكر وقد فات الأمر، فنزل عسقلان في يوم رابع عشر شهر رمضان ينتظر الأسطول في البحر والعرب؛ فنهض إليه مقدم الفرنج في خلق عظيم، فانهزم العسكر المصري إلى ناحية

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢/٢٤

عسقلان؛ ودخل الأفضل عسقلان، ولعبت سيوف الفرنج في العسكر والرجال **والمطوعة** وأهل البلد، وكانوا زهاء عن عشرة آلاف نفس، ومضى الأفضل. وقرر الفرنج على أهل البلد عشرين ألف دينار تحمل إليهم، وشرعوا في جبايتها من أهل البلد؛ فاختلف المقدمون فرحلوا ولم يقبضوا من المال شيئا. ثم قال: وحكي أنه قتل من أهل عسقلان من شهودها وتجارها وأحداثها سوى أجنادها ألفان وسبعمائة نفس.

ولما تمت هذه الحادثة خرج المستنفرون من دمشق مع قاضيها زين الدين أبي سعد الهروي، فوصلوا بغداد وحضروا في الديوان وقطعوا شعورهم واستغاثوا وبكوا، وقام القاضي في الديوان وأورد كلاما أبكى الحاضرين؛ وندب من الديوان من يمضي إلى العسكر السلطاني ويعرفهم بهذه المصيبة؛ فوقع التقاعد لأمر يريده الله.

فقال القاضي الهروي – وقيل: هي لأبي المظفر الأبيوردي – القصيدة التي أولها: الطويل.

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرضة للمراجم

ومنها:

وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم

وإخوانكم بالشام يضحي مقيلهم ... ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

ومنها:

وكاد لهن المستجن بطيبة ... ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم

أرى أمتي لا يسرعون إلى العدا ... رماحهم والدين واهي الدعائم

ومنها:

وليتهم إذ لم يذودوا حميمة ... عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

وإذ زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى ... فهلا أتوه ركبة في الغنائم

وقال آخر: الوافر

أحل الكفر بالإسلام ضيما ... يطول عليه للدين النحيب

فحق ضائع وحمى مباح ... وسيف قاطع ودم صبيب

وكم من مسلم أمسى سليبا ... ومسلمة لها حرم سليب

وكم من مسجد جعلوه ديرا ... على محرابه نصب الصليب

دم الخنزير فيه لهم خلوق ... وتحريق المصاطف فيه طيب

أمور لو تأملهن طفل ... لطفل في عوارضه المشيب

أتسبى المسلمات بكل ثغر ... وعيش المسلمين إذا يطيب

أما لله والإسلام حق ... يدافع عنه شبان وشيب

فقل لذوي البصائر حيث كانوا ... أجيبوا الله ويحكم أجيبوا." (١)

"وفيها توفي الشيخ الإمام الفقيه المحدث أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري السرقسطي، مات بمكة في المحرم.

وفيها توفي القدوة الصالح الواعظ أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمذاني الواعظ المفسر. كان إماما فاضلا، وله لسان حلو في الوعظ، وللناس فيه محبة وعليه القبول.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا واثنتا عشرة إصبعا.

السنة الثانية عشرة من خلافة الحافظ عبد المجيد

وهي سنة ست وثلاثين وخمسمائة.

فيها توفي شيخ الإسلام الحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة، إمام الحنفية ببخارى وصدر الإسلام. كان علامة عصره، وكانت له الحرمة العظيمة، والنعمة الجليلة، والتصانيف المشهورة؛ وكان الملوك يصدرون عن رأيه. ولما عزم سنجر شاه بن ملكشاه على لقاء الخطا، أخرجه معه، وفي صحبته من الفقهاء والخطباء والوعاظ والمطوعة ما يزيد على عشرة آلاف نفر، فقتلوا في المصاف عن آخرهم، وأسر الحسام هذا وأعيان الفقهاء. فلما فرغ المصاف أحضرهم ملك الخطا وقال: ما الذي دعاكم إلى قتال من لم يقاتلكم والإضرار بمن لم يضركم؛ وضرب أعناق الجميع. وانهزم سنجر شاه في ست أنفس، وأسرت زوجته وأولاده وأمه وهتك حريمه، وقتل عامة أمرائه. قال صاحب مرآة الزمان: وقتل مع سنجر شاه اثنا عشر ألف صاحب عمامة كلهم رؤساء، وكان يوما عظيما لم ير مثله في جاهلية ولا إسلام، وكانت قتلة ابن مازة المذكور في صفر.

وفيها توفي الشيخ الإمام أبو سعد أحمد بن محمد بن الشيخ علي بن محمود الزوزني الصوفي. كان إماما عالما فاضلا رأسا في علم التصوف. مات ببغداد في شعبان.

وفيها توفي الشيخ العارف بالله أبو العباس أحمد ابن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي المالكي العالم الصوفي. كان ممن جمع بين علمي الشريعة والحقيقة.

وفيها توفي الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي، مات ببغداد في ذي القعدة. وكان حافظا مفتنا؛ سمع الكثير وسافر البلاد وكتب وحصل وحدث؛ روى عنه غير واحد.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٢/٢

وفيها توفي شرف الإسلام عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي الفقيه الحنبلي الواعظ. كان رأسا في الوعظ مشاركا في فنون كثيرة. ومات بدمشق.

وفيها توفي الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي المازري المالكي الحافظ المحدث المشهور؛ مات في شهر ربيع الأول وله ثلاث وثمانون سنة. وكان إماما حافظا متقنا عارفا بعلوم الحديث؛ وسمع الكثير وسافر البلاد وكتب الكثير.

وفيها توفي إمام جامع دمشق أبو محمد هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن طاوس. كان رجلا فقيها صالحا ورعا حسن القراءة؛ أم سنين بجامع دمشق، ومات بها.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو سعد أحمد بن محمد ابن الشيخ علي بن محمود الزوزني الصوفي ببغداد في شعبان. وأبو العباس أحمد بن محمد بن موسى ابن عطاء الله بن العريف الصنهاجي الأندلسي العارف. والحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي ببغداد في ذي القعدة. والفقيه أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري البيهقي في شعبان. وأبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال، وقد تغير. وشرف الإسلام عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي الحنبلي الواعظ بدمشق. وأبو حفص عمر بن العزيز بن مازة شيخ الحنفية بما وراء النهر، قتل صبرا في صفر. وأبو عبد الله محمد بن علي المازري المالكي الحافظ في شهر ربيع الأول، وله ثلاث وثمانون سنة. وأبو الكرم نصر الله بن محمد بن محمد بن مخلد بن الجلخت بواسط في ذي الحجة. وإمام جامع دمشق أبو محمد هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن طاوس. وأبو محمد يحيى بن علي بن الطراح المديني في رمضان.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا.

السنة الثالثة عشرة من خلافة الحافظ

وهي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.." (١)

"وتواترت الأخبار بأن ريدا فرنس مقدم الأفرنسيسية قد خرج من بلاده في جموع عظيمة وشتى بجزيرة قبرص؛ وكان من أعظم ملوك الفرنج وأشدهم بأسا - وريدا بلسانهم: الملك - فشحنت دمياط بالذخائر وأحكمت الشواني، ونزل فخر الدين ابن الشيخ بالعساكر على جزيرة دمياط، فأقبلت مراكب الفرنج فأرست

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٧٣/٢

في البحر بإزاء المسلمين في صفر من السنة. ثم شرعوا من الغد في النزول إلى البر الذي فيه المسلمون وضربت خيمة حمراء لريدا فرنس وناوشهم المسلمون القتال، فقتل يومئذ الأمير نجم الدين ابن شيخ الإسلام، والأمير الوزيري – رحمهما الله تعالى – فترحل فخر الدين ابن الشيخ بالناس، وقطع بهم الجسر إلى البر الشرقي الذي فيه دمياط، وتقهقر إلى أشمون طناح، ووقع الخذلان على أهل دمياط، فخرجوا منها طول الليل على وجوههم حتى لم يبق بها أحد؛ وكان هذا من قبيح رأي فخر الدين؛ فإن دمياط كانت في نوبة سنة خمس عشرة وستمائة أقل ذخائر وعددا، وما قدر عليها الفرنج إلا بعد سنة، وإنما هرب أهلها لما رأوا هرب العسكر وضعف السلطان؛ فلما أصبحت الفرنج ملكوها صفوا بما حوت من العدد والأسلحة والذخائر والغلال والمجانيق، وهذه مصيبة لم يجر مثلها! فلما وصلت العساكر وأهل دمياط إلى السلطان حنق على الشجعان الذين كانوا بها، وأمر بهم فشنقوا جميعا ثم رحل بالجيش، وسار إلى المنصورة فنزل بها في المنزلة التي كان أبوه نزلها، وبها قصر بناه أبوه الكامل. ووقع النفير العام في المسلمين، فاجتمع بالمنصورة أمم لا يحصون من **المطوعة** والعربان؛ وشرعوا في الإغارة على الفرنج ومناوشتهم وتخطفهم، واستمر ذلك أشهرا، والسلطان يتزايد مرضه والأطباء قد آيسته لاستحكام المرض به.

وأما صاحب الكرك يعني الملك الناصر داود فإنه سافر إلى بغداد فاختلف أولاده، فسار أحدهم إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب وسلم إليه الكرك، ففرح بها مع ما فيه من الأمراض، وزينت بلاده وبعث إليها بالطواشي بدر الدين الصوابي نائبا. وقدم عليه أولاد الناصر داود، فبالغ الملك الصالح في إكرامهم وأقطعهم أخبازا جليلة. ولم يزل يتزايد به المرض إلى أن مات، وأخفي موته على ما سيأتي ذكره. إن شاء الله تعالى.

قال ابن واصل في سيرة الملك نجم الدين أيوب هذا: وكان مهيبا عزيز النفس عفيفا طاهر اللسان والذيل، لا يرى الهزل ولا العبث، شديد الوقار كثير الصمت، اشترى من المماليك الترك ما لم يشتره أحد من أهل بيته حتى صاروا معظم عسكره، ورجحهم على الأكراد وأمرهم، واشترى وهو بمصر خلقا منهم، وجعلهم بطانته والمحيطين بدهليزه، وسماهم " البحرية " . حكى لي حسام الدين بن أبي علي: أن هؤلاء المماليك مع فرط جبروتهم وسطوتهم كانوا أبلغ من يعظم هيبته؛ كان إذا خرج وشاهدوا صورته يرعدون خوفا منه، وأنه لم يقع منه في حال غضبه كلمة قبيحة قط، أكثر ما يقول إذا شتم: يا متخلف؛ وكان كثير الباه بجواريه فقط، ولم يكن عنده في آخر وقت غير زوجتين: إحداهما شجرة الدر، والأخرى بنت العالمة، تزوجها بعد مملوكه الجوكندار وكان إذا سمع الغناء لا يتزعزع ولا يتحرك، وكذلك الحاضرون يلتزمون حالته كأنما على رؤوسهم الطيرة وكأن لا يستقل أحدا من أرباب دولته بأمر بل يراجعون القصص مع الخدام، فيوقع عليها بما

يعتمده كتاب الإنشاء؛ وكان يحب أهل الفضل والدين، وما كان له ميل لمطالعة الكتب؛ وكان كثير العزلة والانفراد، وله نهمة باللعب بالصوالجة، وفي إنشاء الأبنية العظيمة الفاخرة. انتهى كلام ابن واصل.

وقال غيره: وكان ملكا مهيبا جبارا ذا سطوة وجلالة؛ وكان فصيحا حسن المحاورة عفيفا عن الفواحش، أمر مماليكه الترك؛ وجرى بينه وبين عمه الملك الصالح أمور وحروب إلى أن أخذ نقابة دمشق عام ثلاثة وأربعين، وذهب إسماعيل إلى بعلبك، ثم أخذت من إسماعيل بعلبك، وتعثر والتجأ إلى ابن أخته الناصر صاحب حلب. ولما خرج الملك الصالح هذا من مصر إلى الشام خاف من بقاء أخيه الملك العادل فقتله سرا ولم يتمتع بعده؛ ووقعت الأكلة في فخذه بدمشق. ونزل الأفرنس ملك الفرنج بجيوشه على دمياط فأخذها، فسار إليه الملك الصالح في محفة حتى نزل المنصورة عليلا، ثم عرض له إسهال إلى أن مات في ليلة النصف من شعبان بالمنصورة، وأخفي موته حتى أحضروا ولده الملك المعظم توران شاه من حصن كيفا وملكوه.." (١)

"وقال أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان: " وفي أول ليلة منها يعني سنة ثمان وأربعين كان المصاف بين الفرنج والمسلمين على المنصورة بعد وصول المعظم توران شاه إلى المخيم، ومسك الفرنسيس وقتل من الفرنج مائة ألف، ووصل كتاب المعظم توران شاه إلى جمال الدين بن يغمور يعني إلى نائب الشام يقول: " الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. وما النصر إلا من عند الله. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وأما بنعمة ربك فحدث. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها. نبشر المجلس السامي الجمالي، بل نبشر الإسلام كافة بما من الله به على المسلمين، من الظفر بعدو الدين، فإنه كان قد استفحل أمره واستحكم شره؛ ويئس العباد من البلاد، والأهل والأولادة فنودوا: " ولا تيأسوا من روح الله " الآية. ولما كان يوم الأربعاء مستهل السنة المباركة، تمم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن، وبذلنا الأموال، وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان والمطوعة واجتمع خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى، فجاؤوا من كل فج عميق، ومن كل مكان بعيد سحيق؛ ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع عليه الاتفاق بينهم وبين الملك العادل أبي بكر فأبينا. ولما كان في الليل تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين، فسرنا في آثارهم طالبين؛ وما زال السيف يعمل فيهم عامة الليل، ويدخل فيهم الخزي والويل. فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه في اللجج. وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج؛ والتجأ الفرنسيس إلى المنية وطلب الأمان فأمناه، وأخذناه وأكرمناه؛ وتسلمنا دمياط بعونه وقوته،

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٢٧/٢

وجلاله وعظمته " .
وأرسل الملك المعظم مع الكتاب إلى ابن يغمور المذكور بغفارة الفرنسيس فلبسها ابن يغمور في دست مملكته بدمشق، وكانت سقراط أحمر بفرو سنجاب. فكتب ابن يغمور في الجواب إلى السلطان الملك المعظم المذكور بيتين لابن إسرائيل، وهما :

أسيد أملاك الزمان بأسرهم ... تنجزت من نصر الإله وعوده

فلا زال مولانا يبيح حمى العدا ... ويلبس أسلاب الملوك عبيده

انتهى كلام أبي المظفر بعد أن ساق كلاما طويلا من هذا النموذج بنحو ما حكيناه.
وقال غيره: وبمي الفرنسيس في الاعتقال إلى أن قتل الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب يعني صاحب الترجمة، فدخل حسام الدين بن أبي علي نائب السلطان، في قضيته، على أن يسلم للمسلمين دمياط ويحمل خمسمائة ألف دينار. فأركبوه بغلة وساقت معه الجيوش إلى دمياط، فما وصلوا إلا والمسلمون على أعلاها بالتكبير والتهليل، والفرنج الذين كانوا بها قد هربوا إلى المراكب وأخلوها، فخاف الفرنسيس واصفر لونه. فقال الأمير حسام الدين بن أبي علي للملك المعز: هذه دمياط قد حصلت لنا، وهذا الرجل في أسرنا وهو عظيم النصرانية، وقد اطلع على عوراتنا، والمصلحة ألا نطلقه؛ وكان قد تسلطن أيبك التركماني الصالحي أو صار حاكما عن المحلكة شجرة الدر، فقال أيبك وغيره من المماليك الصالحية: ما نرى الغمر! وكانت المصلحة ما قاله حسام الدين. فقووا عليه وأطلقوه طمعا في المال! فركب في البحر الرومي في شيني. وذكر حسام الدين أنه سأل الفرنسيس عن عدة العسكر الذي كان معه لما قدم لأخذ دمياط؛ فقال: كان معي تسعة آلاف وخمسمائة فارس، ومائة ألف وثلاثون ألف طبسي سوى الغلمان والسوقة والبخارة. انتهى.." (١)

"السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي، الثالث من ملوك الترك بالديار المصرية. وقطز بضم القاف والطاء المهملة وسكون الزاي، وهو لفظ مغلي. تسلطن بعد خلع ابن أستاذه الملك المنصور علي ابن الملك المعز أيبك في يوم السبت سابع عشر ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة، وذلك بعد أن عظمت الأراجيف بتحرك التتار نحو البلاد الشامية وقطعهم الفرات وهجمهم بالغارات على البلاد الحلبية، وكان وصل إليه بسبب ذلك الصاحب كمال الدين عمر بن العديم رسولا من الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام يطلب منه النجدة على قتال التتار، فأنزله قطز

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢/٢٤٠

بالكبش وجمع القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه في أمر التتار وأن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم، فحضروا في دار السلطنة بقلعة الجبل، وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام والقاضي بدر الدين السنجاري قاضي الديار المصرية وغيرهما من العلماء. وجلس الملك المنصور علي في دست السلطنة، وأفاضوا في الحديث، فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبد السلام، وخلاصة ما قال: إنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم، بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء، وتبيعوا مالكم من الحوائص المذهبة والآلات النفيسة، ويقتصر كل الجند على مركوبه وسلاحه ولتساووا هم والعامة. وأما أخذ الأموال من العامة مع بقايا في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا. وانفض المجلس على ذلك، ولم يتكلم السلطان بكلمة في المجلس لعدم معرفته بالأمور ولصغر سنه، فلهج الناس بخلع المنصور وسلطنة قطز حتى يقوم بهذا الأمر المهم. واتفق ذلك بعد أيام، وقبض قطز هذا على الملك المنصور علي، واحتج لكمال الدين ابن العديم وغيره بأنه صبي لا يحسن تدبير الملك، وفي مثل هذا الوقت الصعب لابد أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه الناس وينتصب للجهاد. وكان الأميران: علم الدين سنجر الغتمي المعظمي، وسيف الدين بهادر حين جرى هذا الأمر غائبين في الصيد، فاغتنم قطز لغيبتهما الفرصة، فلما حضرا قبض عليهما واعتقلهما، وتسلطن. وركب بشعار الملك، وجلس على كرسي السلطنة وتم أمره. ولما وقع ذلك تقدم قطز إلى برهان الدين الخضر أن يتوجه في جواب رسالة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام صحبة الصاحب كمال الدين ابن العديم، ويعد الملك الناصر بالنجمة وإنفاذ العساكر إليه، فتوجها ووصلا إلى دمشق وأديا الرسالة . ولم يزل البرهان بدمشق إلى أن رحل الملك الناصر من دمشق إلى جهة الديار المصرية جافلا من التتار.

وكان الناصر لما تحقق بحركة التتار رحل إلى برزة شمالي دمشق، ونزل بها بعساكره واجتمع إليه أمم عظيمة من العرب والعجم والتركمان والأتراك **والمطوعة**، فلم يعجب الناصر حاله لما رأى من تخاذل عسكره، وعلم أنه إذا لاقى التتار لم يثبت عسكره لهم لكثرتهما ولقوتهم، فإن هولاكو في خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى عن المغل والكرج والعجم وغيرهم، ولم يكن من حين قدومهم على بلاد المسلمين من سنة ست عشرة وستمائة إلى هذه السنة يلقاهم عسكر إلا فلوه سوى وقائع كانت بينهم وبين جلال الدين بن خوارزم شاه، انتصف جلال الدين في بعضها، ثم كبسوه على باب آمد وبددوا جمعه، وأعقب ذلك موت جلال الدين بالقرب من ميافارقين.

وأما أمر هولاكو فإنه في جمادى الأولى من هذه السنة نزل حران واستولى عليها وملك بلاد الجزيرة، ثم سير ولده أشموط بن هولاكو إلى الشام وأمره بقطع الفرات وأخذ البلاد الشامية، وسيره في جمع كثيف من التتار فوصل أشموط إلى نهر الجوز وتل باشر، ووصل الخبر إلى حلب من البيرة بذلك. وكان نائب السلطان صلاح الدين يوسف بحلب ابنه الملك المعظم توران شاه، فجفل الناس بين يدي التتار إلى جهة دمشق وعظم الخطب، واجتمع الناس من كل فج عند الملك الناصر بدمشق، واحترز الملك المعظم توران شاه ابن الملك الناصر بحلب غاية الاحتراز، وكذلك جميع نواب البلاد الحلبية، وصارت حلب في غاية الحصانة بأسوارها المحكمة البناء وكثرة الآلات. فلما كان العشر الأخير من ذي الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة قصد التتار حلب ونزلوا على قرية يقال لها سلمية وامتدوا إلى حيلان والحادي، وسيروا جماعة من عسكرهم أشرفوا على المدينة.." (١)

"هو السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي جلس على تخت الملك يوم وفاة أبيه في يوم الأحد سابع ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة. وكان والده قلاوون قد سلطنه في حياته بعد موت أخيه الملك الصالح علي بن قلاوون في سنة سبع وثمانين وستمائة، والمعتد به جلوسه الآن على تخت الملك بعد موت أبيه. وجدد له الأمراء والجند الحلف في يوم الاثنين ثامن في القعدة المذكور. وطلب من القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر تقليده، فأخرجه إليه مكتوبا بغير علامة الملك المنصور، وكان ابن عبد الظاهر قد قدمه إليه ليعلم عليه فلم يرض، وتقدم طلب الأشرف وتكرر، وابن عبد الظاهر يقدمه إلى الملك المنصور، والمنصور يمتنع إلى أن قال له: " يا فتح الدين، أنا ما أولي خليلا على المسلمين! " ومعنى ذلك أن الملك المنصور قلاوون كان قد ندم على توليته السلطنة من بعده. فلما رأى الأشرف التقليد بلا علامة، قال: " لا فتح الدين، السلطان امتنع أن يعطيني، وقد أعطاني الله! " ورمى التقليد من يده وتم أمره ورتب أمور الديار المصرية، وكتب بسلطنته إلى الأقطار، وأرسل الخلع إلى النواب بالبلاد الشامية.

وهو السلطان الثامن من ملوك الترك وأولاهم.

ثم خلع على أرباب وظائفه بمصر والذين خلع عليهم من الأعيان: الأمير بدر الدين بيدرا المنصوري نائب السلطنة بالديار المصرية ووزيره ومدبر مملكته شمس الدين محمد بن السلعوس الدمشقي، وهو في الحجاز الشريف؛ وعلى بقية أرباب وظائفه على العادة والنواب بالبلاد الشامية يوم ذاك فكان نائبه بدمشق وما

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٦٩/٢

أضيف إليها من الشام الأمير حسام الدين لاجين المنصوري؛ ونائب السلطنة بالممالك الحلبية وما أضيف إليها الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري؛ ونائب الفتوحات الساحلية والأعمال الطرابلسية والقلاع الإسماعيلية الأمير سيف الدين بلبان السلحدار المعروف بالطباخي ونائبه بالكرك والشوبك وما أضيف إلى ذلك الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري، صاحب التاريخ المعروف " بتاريخ بيبرس الدوادار " ؛ وصاحب حماة والمعرة الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور محمد الأيوبي. والذين هم تحت طاعته من الملوك صاحب مكة المشرفة الشريف نجم الدين أبو نمي محمد بن إدريس بن علي بن قتادة الحسني، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر، فهؤلاء الذين أرسل إليهم بالخلع والتقليد. انتهى.

ولما رسخت قدم الملك الأشرف هذا في الملك أخذ وأعطى وأمر ونهى، وفرق الأموال وقبض على جماعة من حواشي والده، وصادرهم على ما يأتي ذكره. ولما استهلت سنة تسعين وستمائة أخذ الملك الأشرف في التجهز للسفر للبلاد الشامية، وإتمام ما كان قصده والده من حصار عكا، وأرسل إلى البلاد الشامية وجمع العساكر وعمل آلات الحصار، وجمع الصناع إلى أن تم أمره خرج بعساكره من الديار المصرية في ثالث شهر ربيع الأول من سنة تسعين المذكورة، وسار حتى نازل عكا في يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر، ويوافقه خامس نيسان، فاجتمع عنده على عكا من الأمم ما لا يحصى كثرة. وكان **المطوعة** أكثر من الجند ومن في الخدمة. ونصب عليها المجانيق الكبار الفرنجية خمسة عشر منجنيقا، منها ما يرمي بقنطار دمشقي وأكبر، ومنها دونه. وأما المجانيق الشيطانية وغيرها فكثيرة، ونقب عدة نقوب وأنجد أهل عكا صاحب قبرس بنفسه، وفي ليلة قدومه عليهم أشعلوا نيرانا عظيمة لم ير مثلها فرحا به، وأقام عندهم قريب ثلاثة أيام، ثم عاد عندما شاهد انحلال أمرهم وعظم ما دهمهم ولم يزل الحصار عليها والجد في أمر قتالها إلى أن انحلت عزائم من بها وضعف أمرهم واختلفت كلمتهم. هذا والحصار عمال في كل يوم، واستشهد عليها جماعة من المسلمين.." (١)

"ولما كان يوم الجمعة تاسع شهر رمضان سار غرابان من ساحل بولاق ظاهر القاهرة في بحر النيل، بعد أن أشحنا بالمقاتلة والأسلحة، وكان فيهما من المماليك السلطانية ثمانون نفرا غير **المطوعة**، ورسم السلطان لهم أن يسيروا في البحر إلى طرابلس، ويأخذوا أيضا من سواحل الشام عدة أغربة أخر فيها المقاتلة، ويسيروا في البحر المالح لعلهم يجدون من يتجرم في البحر من الفر،ج، وهذه أول غزوة جهزها السلطان

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٧٢/٢

الملك الأشرف برسباي رحمه الله.

ثم في يوم الثلاثاء رابع شوال أمر السلطان بحفر صهريج بوسط صحن جامع الأزهر، فابتدأوا فيه من هذا اليوم وحفروا بوسط صحن الجامع المذكور فوجدوا فيه آثار فسقية قديمة وبها عدة أموات، ثم شرعوا في بنائها حتى كملت وعمر فوقها مقعد لطيف على صفة السبيل، وانتفع أهل الجامع به، ودام سنين إلى أن أمر السلطان الملك الظاهر جقمق بهدمه، فهدم وردم.

ثم في يوم السبت تاسع عشرين شوال المذكور حضر الأمراء الخدمة السلطانية على العادة، ونزلوا إلى دورهم، فاستدعى السلطان بعد نزولهم الأمير بيبغا المظفري أتابك العساكر إلى القلعة، فلما صار إليها قبض عليه وقيد وحمل، إلى الإسكندرية من يومه.

ثم في يوم الخميس رابع ذي القعدة خلع السلطان على الأمير قجق العيساوي أمير سلاح باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن بيبغا المظفري بحكم القبض عليه، وخلع على إينال النوروزي أمير مجلس باستقراره أمير سلاح عوضا عن قجق المذكور، وأنعم السلطان بإقطاع بيبغا المذكور على الأمير إينال الجكمي أحد الأمراء البطالين بالقدس وكتب بإحضاره، وعلى الأمير حسين بن أحمد المدعو تغري برمش البهنسي التركماني نائب قلعة الجبل نصفين بالسوية بعد أن أخرج منه بلدة القليوبية.

ثم في يوم الاثنين ثامن ذي القعدة خلع السلطان على قاضي القضاة شمس الدين محمد الهروي المعزول عن وظيفة كتابة السر قبل تاريخه باستقراره قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية، عوضا عن قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر بحكم عزله، وهذه ولاية القاضي الهروي الثانية للقضاء.

وقدم الأمير إينال الجكمي من القدس في يوم الاثنين خامس عشرة، وخلع السلطان عليه باستقراره أمير مجلس عوضا عن إينال النوروزي.

وفي هذه الأيام أنعم السلطان على الأمير تنبك من بردبك الظاهري، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، بإمرة طبلخاناه عوضا عن تغري برمش البهنسي، واستقر أيضا عوضه في نيابة قلعة الجبل. وتنبك المذكور هو أتابك العساكر بديار مصر في زماننا هذا.

ثم في يوم السبت العشرين من ذي القعدة وصلت الغزاة المقدم ذكرهم بالغنائم والأسرى.

وكان من خبرهم أنهم لما خرجوا من ثغر دمياط تبعهم خلائق من المطوعة في سلورة وساروا إلى طرابلس وسار معهم أيضا غرابان، وتوجهوا الجميع إلى الماغوصة فأضافهم متملكها وأكرمهم، فلم يتعرضوا لبلاده ومضوا عنه إلى بلد يقال لها اللمسون من جزيرة قبرص فوجدوا أهلها قد استعدوا لقتالهم وأخرجوا أهاليهم

وعيالهم، وخرجوا في سبعين فارسا تقريبا وثلاثين راجلا، فقاتلهم مسلمون حتى هزموهم، وقتلوا منهم فارسا واحدا وعدة رجال، وغرقوا بعض أغربة وأحرقوا بعضها، ونهبوا ما وجدوه من ظروف السمن والعسل وغير ذلك، وأسروا ثلاثة وعشرين رجلا، وأخذوا قطع جوخ كثيرة، فسر الناس بعودهم وسلامتهم وتشوق كل أحد للجهاد. انتهى.

ثم في ثامن عشرين ذي الحجة خلع السلطان على الشيخ سعد الدين سعد ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين محمد الديري الحنفي باستقراره في مشيخة صوفية الجامع المؤيدي ومدرس الحنفية به بعد موت أبيه بالقدس.

ثم في تاسع عشرين المحرم من سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ركب السلطان مخفا من قلعة الجبل، ونزل إلى جامعه بخط العنبريين وكشف عمائره. ثم ركب وسار إلى جامع الأزهر لرؤية الصهريج الذي عمره. ثم تقدم وزار الشيخ خليفة والشيخ سعيدا، وهما من المغاربة لهما بالجامع الأزهر مدة سنين وشهرا بالخير والصلاح. ثم خرج من الجامع إلى دار الشيخ محمد بن سلطان، وهو أيضا أحد من يظن فيه الخير والصلاح، فزاره أيضا وعاد إلى القلعة.." (١)

"قلت: وكان قصد الأشرف برسباي بركوب الملك الصالح محمد هذا مع ولده انبساط الصالح، كونه كان كالمحجور عليه بقلعة الجبل، وتنزهه، لا كما زعم بعض الناس أنه يريد بذلك مشيه في خدمة ولده وازدراءه. كل ذلك وخاطر السلطان مشغول بأمر جاني بك الصوفي، والفحص عنه مستمر، غير أن السلطان يتشاغل بشيء بعد شيء، وهو الآن مشغول الفكرة في أمر المجاهدين، لايبرح يترقب أخبارهم إلى أن كان يوم الخميس تاسع شوال ورد عليه الخبر من طرابلس بنصرة المسلمين على الفرنج، فدقت البشائر لذلك بقلعة الجبل وغيرها، وجمع القضاة وأعيان الديار المصرية بالجامع الأشرفي بخط العنبريين وقرىء عليهم الكتاب الوارد من طرابلس بنصرة المسلمين، فضج الناس وأعلنوا بالتكبير والتهليل، ونودي بزينة القاهرة ومصر. ثم قرئ الكتاب المذكور من الغد بجامع عمرو بن العاص بمصر. وبينما الناس مستبشرون في غاية ما يكون من السرور والفرح بنصر الله قدم الخبر في يوم الاثنين ثالث عشر شوال المذكور بوصول الغزاة المذكورين إلى الطينة فقلق السلطان من ذلك وتنغص فرح الناس وكثر الكلام في أمر عودهم.

وكان من خبرهم: أنهم لما توجهوا من ساحل بولاق إلى دمياط ساروا منه في البحر المالح إلى مدينة طرابلس فطلعوا إليها، فانضم عليهم بها خلائق من المماليك والعساكر الشامية وجماعة كبيرة من **المطوعة** إلى أن

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١١٣/٤

رحلوا عن طرابلس في بضع وأربعين مركبا، وساروا إلى جهة الماغوصة، فنزلوا عليها بأجمعهم ،وخيموا في برها الغربي، وقد أظهر متملك الماغوصة طاعة السلطان وعرفهم تهيؤ صاحب قبرس واستعداده، لقتالهم وحربهم، فاستعدوا وأخذوا حذرهم وباتوا بمخيمهم على الماغوصة، وهي ليلة الأحد العشرين من شهر رمضان. وأصبحوا يوم الاثنين شنوا الغارات على ما بغربي قبرس من الضياع، ونهبوا وأسروا وقتلوا وأحرقوا وعادوا بغنائم كثيرة، وأقاموا على الماغوصة ثلاثة أيام يفعلون ما تقدم ذكره من النهب والأسر وغيره.

ثم ساروا ليله الاربعاء يريدون الملاحة، وتركوا في البر أربعمائة من الرجالة يسيرون بالقرب منهم إلى أن وصلوا إليها ونهبوها وأسروا وأحرقوا يضا. ثم ركبوا البحر جميعا وأصبحوا باكر النهار فوافاهم الفرنج في عشرة أغربة وقرقورة كبيرة، فلم يثبتوا للمسلمين وانهزموا من غير حرب، واستمر المسلمون بساحل الملاحة وقد أرست مراكبهم عليها.

وبينما هم فيما هم فيه كرت أغربة الفرنج راجعة إليهم، وكان قصد الفرنج بعودهم أن يخرج المسلمون إليهم فيقاتلوهم في وسط البحر. فلما أرست المسلمون على ساحل الملاحة، كرت الفرنج عليهم فبرزت إليهم المسلمون وقاتلوهم قتالا شديدا إلى أن هزمهم الله تعالى، وعادوا بالخزي، وبات المسلمون ليلة الجمعة خامس عشرين شهر رمضان. فلما كان بكرة نهار الجمعة أقبل عسكر قبرس وعليهم أخو الملك، ومشى على المسلمين، فقاتله مقدار نصف العسكر الإسلامي أشد قتال حتى كسروهم، وانهزم أخو الملك بمن كان معه من العساكر بعد أن كان المسلمون أشرفوا على الهلاك، ولله الحمد والمنة، وقتل المسلمون من الفرنج مقتلة عظيمة. ثم أمر الأمير جرباش بإخراج الخيول إلى البر، فأخرجوا الخيول من المراكب إلى البر في ليلة السبت، وتجهزوا للمسير ليغيروا على نواحي قبرس من الغد.." (١)

"وورد عليه، في يوم السبت سابع عشرين جمادى الأولى، رسول صاحب إستانبول، وهي القسطنطينية، بهدية وشفع في أهل قبرس أن لا يغزوا، فلم يلتفت السلطان إلى شفاعته، وأخذ فيما هو فيه من تجهيز العساكر.

ثم في يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة من سنة تسع وعشرين المذكورة قدم من عساكر البلاد الشامية عدة كبيرة من الأمراء والمماليك والعشير وطائفة كبيرة من **المطوعة** ليسيروا إلى الجهاد، فأنزلوا بالميدان الكبير.

وفيه خلع السلطان على قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن علي بن العز قاضي قضاة الحنابلة بدمشق

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١١٧/٤

زمن المؤيد شيخ باستقراره قاضي قضاة الحنابلة بديار مصر، عوضا عن قاضي القضاة محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي بحكم صرفه عنها. وكان عزل قاضي القضاة محب الدين لسوء سيرة أخيه وابنه.
ثم في ثالث عشرين جمادى الآخرة جلس السلطان بالحوش من قلعة الجبل لعرض المجاهدين، وأنفق فيهم مالا كبيرا، فكان يوما من أجل الأيام وأحسنها، لما وقع فيه من بذل السطان الأموال على من تعين للجهاد، وعلى عدم التفات المجاهدين لأخذ المال، بل كان الشخص إذا وقف في مجلس السلطان ينظر رؤوس النوب تتهارب من المماليك السلطانية الذين يريدون أخذ الدستور من السلطان للتوجه إلى الجهاد، والسلطان يأمرهم بعدم السفر، ويعتذر أنه لم تبق مراكب تحملهم، وهم يتساعون في ذلك مرة بعد أخرى، وربما تكرر وقوف بعضهم الأربع مرات والخمسة، وأيضا من عظم ازدحام الناس على كتاب المماليك ليكتبوهم في جملة المجاهدين في المراكب المعينة، حتى إنه سافر في هذه الغزوة عدة من أعيان الفقهاء. ولما أن صار السلطان لا ينعم لأحد بالتوجه، بعد أن استكفت العساكر، سافر جماعة من غير دستور، وأعجب من هذا أنه كان الرجل ينظر في وجه المسافر للجهاد يعرفه قبل أن يسأله، لما بوجهه من السرور والبشر الظاهر بفرحه للسفر، وبعكس ذلك فيمن لم يعين للجهاد، هذا مع كثرة من تعين للسفر من المماليك السلطانية وغيرهم. وما أرى هذا إلا أن الله تعالى قد شرح صدورهم للجهاد وحببهم في الغزو وقتال العدو، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، ولم أنظر ذلك في غزوة من الغزوات قبلها ولا بعدها. انتهى.
ثم في يوم الخميس أول شهر رجب أدير المحمل بالقاهرة ومصر على العادة في كل سنة، وعجل عن وقته لسفر المجاهدين للغزاة.
ثم في يوم الجمعة ثاني شهر رجب من سنة تسع وعشرين المذكورة خرجت المجاهدون من القاهرة، وسافروا من ساحل بولاق إلى جهة الإسكندرية ودمياط، ومقدمو العساكر جماعة كبيرة من أمراء الألوف وأمراء الطبلخانات وأمراء العشرات وأعيان الخاصكية، وجماعة كبيرة من أعيان أمراء دمشق وغيرها، فالذي كان من مقدمي الألوف: الأمير إينال الجكمي أمير مجلس، وهو مقدم العساكر في المراكب بالبحر، ومعه الأمير قرامراد خجا الشعباني أمير جاندار وأحد مقدمي الألوف، وعدة من الأمراء والمماليك السلطانية وغيرهم، والذي كان مقدم العساكر في البر الأمير تغري بردي المحمودي الناصري رأس نوبة النوب، ومعه الأمير حسين بن أحمد المدعو تغري برمش نائب القلعة، كان، وهو يوم ذاك أحد مقدمي الألوف، فهؤلاء الأربعة من أمراء الألوف. والذي كان من أمراء الطبلخانات الأمير قانصوه النوروزي، والأمير يشبك السودوني المشد الذي صار أتابك في دولة الملك الظاهر جقمق، والأمير إينال العلائي ثالث رأس نوبة، أعني عن

السلطان الملك الأشرف إينال سلطان زماننا، وأمير آخر لا يحضرني الأن اسمه. والذي توجه من أمراء العشرات فعدة كبيرة. والذي كان من أمراء دمشق: الأمير طوغان السيفي تغري بردي أحد مقدمي الألوف بدمشق، وهو دوادار الوالد رحمه الله ومملوكه، وجماعة كبيرة أخر دونه في الرتبة من أمراء دمشق وخرجت الأمراء في هذا اليوم، وتبعهم المجاهدون في السفر في النيل أرسالا حتى كان آخرهم سفرا في يوم السبت حادي عشر شهر رجب المذكور.." (١)

"واجتمع عساكر البر والبحر من المسلمين في الملاحة يوم الاثنين ثاني شهر رمضان، وتسلم الأمير تغري بردي المحمودي صاحب قبرس، كل ذلك والمسلمون يقتلون ويأسرون وينبهون حتى امتلأت أيديهم وتغلبوا عن حمل الغنائم.

وأما القتلى من الفرنج فلا تحصر ويستحى من ذكرها كثرة. حدثني بعض مماليك الوالد ممن باشر الواقعة من أولها إلى آخرها، وجماعة كبيرة من الأصحاب الثقات قالوا: كان موضع الواقعة أزيد من الفي قتيل من قتلى الفرنج، هذا الموضع الذي كان فيه القتال، وأما الذي قتل من الفرنج بالضياع والأماكن وبطريق قبرس فلا حد له ولا حساب، فإنه استمر القتل فيهم أياما. واستمروا الملاحة إلى يوم الخميس خامس شهر رمضان، فساروا منها يريدون الأفقسية مدينة قبرس.

ولما ساروا وافاهم الخبر، بعد أن تقدم منهم جماعة كبيرة من **المطوعة** والمماليك السلطانية إلى مدينة قبرس، بأن أربعة عشر مركبا من مراكب الفرنج مشحونة بالسلاح والمقاتلة أتت المراكب لقتال المسلمين، منها سبعة أغربة وسبعة مربعة القلاع، فلاقاهم الأمير إينال الجكمي أمير مجلس، والأمير قرامرادخجا الشعباني، والأمير طوغان السيفي تغري بردي أحد مقدمي دمشق والأمير جاني بك رأس نوبة السيفي يلبغا الناصري المعروف بالثور وبمن انضاف إليهم من **المطوعة** وغيرهم، وهؤلاء الأمراء الذين كانوا مقدمي العساكر في البحر بالمراكب، واقتتلوا مع الفرنج المذكورين أشد قتال حتى هزموهم وأخذوا منهم مركبا مربعا من مراكب الفرنج، بعد أن قتلوا منهم عدة كبيرة تقارب ما ذكرنا ممن قتل بمكان الوقعة الأولى، وولت الفرنج الأدبار.

واستمر الذي توجه من الغزاة إلى الأفقسية من المماليك السلطانية وغيرهم يقتلون في طريقهم ويأسرون إلى أن وصلوا إلى المدينة ودخلوا قصر الملك ونهبوه.

ثم عادوا ولم يحرقوا بمدينة قبرس إلا مواضع يسيرة، ولم يدخل المدينة أحد من أعيان العسكر، وغالب

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢١/٤

الذي دخلها من المماليك السلطانية **والمطوعة**، وكان دخولهم وإقامتهم بها وعودهم منها في يومين وليلة واحدة.

ثم أقام جميع الغزاة بالملاحة وأراحوا بها أبدانهم سبعة أيام، وهم يقيمون فيها شعائر الإسلام من الأذان والصلاة والتسبيح، ولله الحمد على هذه المنة بهذا الفتح العظيم الذي لم يقع مثله في الإسلام من يوم غزاهم معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، في سنة نيف وعشرين من الهجرة.

ثم ركبت الغزاة المراكب عائدين إلى جهة الديار المصرية، ومعهم الأسرى والغنائم، ومن جملتها متملك قبرس، في يوم الخميس ثاني عشر رمضان، بعد أن بعث أهل الماغوصة يطلبون الأمان. هذا ما كان من أمرهم. انتهى.

وجزيرة قبرس تسمى باللغة الرومية شبرا، والبحر يحيط بها مائتي ميل، والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعا، والإصبع ست شعيرات مضموم بعضها إلى بعض، والفرسخ بهذا الميل ثلاثة أميال، والبريد بهذا الفرسخ أربعة فراسخ. وجزيرة قبرس من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة، وسلطانها يقال له أراد شبرا: أي سلطان الجزيرة، وقبرس مدينة بالجزيرة تسمى الأفقسية.

ومسيرة جزيرة قبرس سبعة أيام. وبالجزيرة المذكورة اثنا عشر ألف قرية كبارا وصغارا، وبمدنها وقراها من الكنائس والديارات والقلالي والصوامع كثير. وبها البساتين المشتملة على الفواكه المختلفة، وبها الرياحين العطرة كالخزام والياسمين والورد والسوسن والنرجس والريحان والنسرين والأقحوان وشقائق النعمان وغير ذلك. وبمدن الجزيرة المذكورة الأسواق والخانات والحمامات والمباني العظيمة. انتهى.." (١)

"ولما كان يوم عيد الفطر ابتدأ دخول الغزاة إلى ساحل بولاق أرسالا كما خرجوا منها. ووافق في هذه الأيام وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فتضاعف مسرات الناس من كل جهة. واستمر دخولهم في كل يوم إلى ساحل بولاق إلى أن تكامل في يوم الأحد سابع شوال، ونزلوا بالميدان الكبير بالقرب من موردة الجبس. وأصبحوا من الغد في يوم الاثنين ثامن شوال، وهو يوم فطر السلطان فإنه كان يصوم الستة أيام من شوال، طلعوا إلى القلعة على كيفية ما يذكر، وهم جميع الأمراء والأعيان من المجاهدين والأسرى، والغنائم بين أيديهم، ومتملك قبرس الملك جينوس بن جاك أمامهم وهو منكس الأعلام، وقد اجتمع لرؤيتهم خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى، حتى أتت أهل القرى والبلدان من الأرياف للفرجة. وركبت الأمراء من الميدان ومعهم غالب الغزاة، وساروا من أرض اللوق حتى خرجوا من المقس ودخلوا من باب القنطرة، وشقوا القاهرة

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢٤/٤

إلى باب زويلة، وتوجهوا من الصليبة من تحت الخانقاه الشيخونية من سويقة منعم إلى الرميلة، والخلق في طول هذه المواضع تزدحم بحيث إن الرجل لا يسمع كلام رفيقه من كثرة زغاريد النساء، التي صفت على حوانيت القاهرة بالشوارع من غير أن يندبهم أحد لذلك، والإعلان بالتكبير والتهليل، ومن عظم التهاني. هذا مع تخليق الزعفران والزينة المخترعة بسائر شوارع القاهرة حتى في الأزقة. وفي الجملة كان هذا اليوم من الأيام التي لم نرها قبلها ولا سمعنا بمثلها. وساروا على هذه الصفة إلى أن طلعوا إلى القلعة من باب المدرج، وهم مع ذلك في ترتيب في مشيهم يذهب العقل وهو أنهم قدموا أولا الفرسان من الغزاة أمام الجميع، ومن خلف الفرسان طوائف الرجالة من **المطوعة** وعشران البلاد الشامية وعربان البلاد وزعر القاهرة، ومن خلف هؤلاء الجميع الغنائم محمولة على رؤوس الحمالين، وعلى ظهور الجمال والخيول والبغال والحمير، والتي كانت على الرؤوس فيها تاج الملك وأعلامه منكسة وخيله تقاد من وراء الغنائم، ثم من بعدهم الأسرى من رجال الفرنج، ثم من بعدهم السبي من النساء والصغار، وهم أزيد من ألف أسير تقريبا سوى ما ذهب في البلاد والقرى مع **المطوعة** وغيرهم من غير إذن مقدم العساكر، وهو أيضا يقارب ما ذكر، ومن وراء الأسرى جينوس ملك قبرس وهو راكب على بغل بقيد حديد، وأركب معه اثنان من خواصه، وعن يمينه الأمير إينال الجكمي أمير مجلس، وأمامه قرا مراد خجا الشعباني أحد مقدمي الألوف أيضا، وعن يسار، الأمير تغري بردي المحمودي رأس نوبة النوب، وأمامه الأمير حسين المدعو تغري برمش المحمودي رأس نوبة ترب، وأمامه الأمير حسين المدعو تغري برمش أحد مقدمي الآلوف أيضا، وأمامهم أمراء الطبلخانات والعشرات على مراتبهم، وأمراء البلاد الشامية. وساروا على هذه الصفة حتى طلعوا إلى القلعة، فأنزل جينوس عن البغل وكشف رأسه عند باب المدرج. وقد احتاطه الحجاب وأمراء جاندار، وقد صفت العساكر الإسلامية من باب المدرج إلى داخل الحوش السلطاني.

فلما دخل جينوس من باب المدرج قبل الأرض، ثم قام ومشى ومعه الأمراء من الغزاة والحجاب ورؤوس النوب وهو يرسف في قيوده على مهل لكثرة الزحام.." (١)

"ثم في يوم الأربعاء سابع ذي الحجة، نودي بمنع المعاملة بالدراهم الأشرفية من الفضة، وأن تكون المعاملة بالدراهم الظاهرية الجقمقية، وهدد من خالف ذلك فاضطرب الناس لتوقف أحوالهم. فنودي في آخر النهار بأن الفضة الأشرفية تدفع للصيارف بسعرها، وهو كل درهم بعشرين درهما من الفلوس، وأن تكون الدراهم الظاهرية كل درهم بأربعة وعشرين درهما، وجعلت عددا لا وزنا. فمنها ما هو نصف درهم

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢٦/٤

عنه اثنا عشر درهما، ومنها ما هو ربع درهم فيصرف بستة دراهم، على أن كل دينار من الأشرفية بمائتين وخمسة وثمانين درهما من الفلوس.

ثم في يوم الثلاثاء، خلع السلطان على غرس الدين خليل بن أحمد بن علي السخاوي، أحد حواشي السلطان أيام إمرته، باستقراره في نظر القدس والخليل والسخاوي هذا أصله من عوام القدس السوقة، وقدم القاهرة، وخدم بعض التجار وترقى، وركب الحمار، ثم ركب بعد مدة طويلة بغلة بنصف رحل على عادة العوام ورأيته أنا على تلك الهيئة، ثم انتهى إلى خدمة السلطان، وهو يوم ذاك أحد مقدمي الألوف، واختص به، حتى تحدث في إقطاعه، ودام في خدمته إلى أن تسلطن وعظم أمره عند من هو دونه، إلى أن ولي في هذا اليوم نظر القدس والخليل.

ثم في يوم الخميس ثامن المحرم من سنة أربع وأربعين، خلع السلطان على الأمير قيز طوغان العلائي، أحد أمراء العشرات وأمير آخور ثاني، باستقراره أستادارا عوضا عن محمد بن أبي الفرج، بحكم عزله والقبض عليه وحبسه بالقلعة إلى يوم الأحد حادي عشره، فتسلمه الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ.

ثم في يوم السبت رابع عشرين المحرم، خلع السلطان على زين الدين يحيى الأشقر قريب ابن أبي الفرج، باستقراره في نظر ديوان المفرد عوضا عن عبد العظيم بن صدقة، بحكم مسكه، ونقل ابن أبي الفرج من تسليم الوزير، وسلم هو وعبد العظيم للأمير قيز طوغان الأستادار، فأغرى زين الدين قيز طوغان بابن أبي الفرج وعبد العظيم، حتى أخذ ابن أبي الفرج وعاقبه وأفحش في عقوبته في الملأ من الناس، من غير احتشام ولا تجمل، بل طرحه على الأرض وضربه ضربا مبرحا، ووقع له معه أمور، إلى أن أطلق وأعيد إلى نقابة الجيش بعد أن نفي، ثم أعيد، ومن يومئذ ظهر اسم زين الدين وعرف في الدولة، وكان هذا مبدأ ترقيه حسبما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي هذه الأيام وقع الاهتمام بتجهيز تجريدة في البحر لغزو الفرنج، وكتب السلطان عدة من المماليك السلطانية، وعليهم الأمير تغري برمش الزردكاش، والسيفي يونس الأمير آخور، وسافروا من ساحل بولاق في يوم الاثنين تاسع شهر ربيع الأول. وكان جملة ما انحدر من ساحل بولاق خمسة عشر غرابا فيها المماليك السلطانية والمطوعة. وسبب هذه التجريدة كثرة عيث الفرنج في البحر، وأخذها مراكب التجار، وهذه أول بعثة بعثها الملك الظاهر من الغزاة.

ثم في يوم السبت سادس عشرين شهر ربيع الآخر، قدم إلى القاهرة رسل القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك، ملك الشرق، وقد زينت القاهرة لقدومهم، وخرج المقام الناصري محمد ابن السلطان إلى لقائهم،

واجتمع الناس لرؤيتهم، فكان لدخولهم يوم مشهود لم يعهد بمثله لقدوم رسل في الدول المتقدمة؛ وأنزلوا بدار أعدت لهم، إلى يوم الاثنين ثامن عشرينه، فتوجهوا من الدار المذكورة إلى القلعة، بعد أن شقوا القاهرة، وهي مزينة بأحسن زينة، والشموع وغيرها تشعل، وقد اجتمع عالم عظيم لرؤيتهم، وأوقفت العساكر من تحت القلعة إلى باب القصر في وقت الخدمة من باكر النهار المذكور. فلما مثل الرسل بين يدي السلطان، قرىء كتاب شاه رخ، فكان يتضمن السلام والتهنئة بجلوس السلطان على تخت الملك؛ ثم قدمت هديته وهي: مائة فص فيروز، وإحدى وثمانون قطعة من حرير، وعدة ثياب وفرو ومسك وثلاثون بختيا من الجمال وغير ذلك، مما يبلغ قيمته خمسة آلاف دينار. وأعيد الرسل إلى منازلهم، وأجري عليهم الرواتب الهائلة في كل يوم. ثم قلعت الزينة في يوم الثلاثاء سلخه. وكان الناس تفننوا في زينة القاهرة، ونصبوا بها القلاع، وفي ظنهم أنها تتمادى أياما، فانقضى أمرها بسرعة.

ثم في يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى ورد الخبر على السلطان بنصرة الغزاة المجردين إلى قتال الفرنج.." (١)

"ثم في يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال، أمسك السلطان الأمير جانبك المحمودي المؤيدي، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وحبسه بالبرج من قلعة الجبل. وكان السلطان قصد مسكه قبل ذلك، فخشي عاقبة خجداشيته، فلما زاد جانبك المذكور عن الحد في التكلم في الدولة ومداخلة السلطان في جميع أموره، بعدم دربة وقلة لباقة، مع حدة وطيش وخفة وسوء خلق، أمسكه في هذا اليوم، وقصد بذلك حركة ظهر من خجداشيته المؤيدية، فلم يتحرك ساكن، بل خاف أكثرهم، وحسن حاله مع السلطان، وانكف أكثرهم عن مداخلة السلطان؛ وأنعم السلطان بإمرته على خجداشه خير بك الأشقر المؤيدي أحد الدوادارية الصغار؛ ولم يكن خيربك المذكور ممن ترشح للإمرة. ومن يومئذ عظم أمر السلطان في ملكه، وهابته الناس، وانقطع عن مداخلته جماعة كبيرة، ثم حمل جانبك المذكور إلى سجن الإسكندرية فسجن به.

هذا والسلطان في اهتمام تجريدة لغزو رودس، وعين عدة كبيرة من المماليك السلطانية والأمراء، ومقدم الجميع اثنان من مقدمي الألوف: الأمير إينال العلائي الناصري، المعزول عن نيابة صفد، والأمير تمرباي رأس نوبة النوب. وسافروا الجميع من ساحل بولاق، في محرم سنة ست وأربعين، ومعهم عدة كبيرة من **المطوعة**، بأبهج زي من العلا والسلاح؛ وكان لسفرهم بساحل بولاق يوم مشهود، إلا أنهم عادوا في أثناء السفر، ولم ينالوا من رودس غرضا، بعد أن أخربوا قشتيل حسبما يأتي ذكره في الغزوة الثالثة الكبرى.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٧٢/٤

وبعد سفرهم وقع حادثة شنعة؛ وهي أنه لما كان يوم الاثنين سادس عشر صفر، وثب جماعة كبيرة من مماليك السلطان الأجلاب، من مشترواته الذين بالأطباق من القلعة، وطلعوا إلى أسطحة أطباقهم، ومنعوا الأمراء وغيرهم من الأعيان من طلوع الخدمة، وأفحشوا في ذلك إلى أن خرجوا عن الحد، ونزلوا إلى الرحبة عند باب النحاس، وكسروا باب الزردخاناه السلطانية، وضربوا جماعة من أهل الزردخاناه، وأخذوا منها سلاحا كثيرا، ووقع منهم أمور قبيحة في حق أستاذهم الملك الظاهر، ولهجوا بخلعه من الفلك. وهم السلطان لقتالهم، ثم فتر عزمه عن ذلك شفقة عليهم، لا خوفا منهم. ثم سكنت الفتنة بعد أمور وقعت بين السلطان وبينهم.

ثم في يوم الخميس عاشر شهر ربيع الأول، قدم الأمير مازي الظاهري برقوق نائب الكرك، وطلع إلى القلعة، وخلع عليه باستمراره.

ثم في يوم الاثنين حادي عشرين شهر ربيع الأول المذكور، خلع السلطان على مملوكه قراجا الظاهري الخازندار، باستقراره خازندارا كبيرا، عوضا عن الأمير قانبك الأبو بكري الأشرفي الساقي، بحكم مرضه بداء الأسد ، نسأل الله العفو والعافية.

وفيه أيضا استقر ابن الحاضري قاضي قضاة الحنفية بحلب بعد عزل محب الدين محمد بن الشحنة، لسوء سيرته.

ثم في يوم الأحد ثاني عشر شهر ربيع الآخر، قدم الأمير سودون المحمدي من مكة المشرفة إلى القاهرة، وهو مجرح في مواضع من بدنه، من قتال كان بين الشريف علي صاحب مكة وبين أخيه بركات، انتصر فيه الشريف علي، وانهزم بركات إلى القبر.

ثم في يوم الأحد سادس عشرين شهر ربيع الآخر المذكور، أمسك السلطان الزيني عبد الرحمن بن الكويز، وعزله عن الأستادارية. ثم أصبح من الغد خلع على زين الدين يحيى ناظر الديوان المفرد باستقراره أستادارا، عوضا عن ابن الكويز المذكور.." (١)

"ثم في يوم الاثنين ثاني ذي الحجة، وصل الأمير جلبان نائب الشام إلى القاهرة، ونزل السلطان إلى ملاقاته بمطعم الطيور بالريدانية خارج القاهرة، وخلع عليه خلعة الاستمرار على نيابة دمشق، وهذه قدمته الثانية في الدولة الظاهرية. ثم قدم جلبان المذكور تقدمته إلى السلطان من الغد في يوم الثلاثاء، وكانت تشتمل على عدة حمالين كثيرة، منها سمور خمسة أبدان، ووشق بدنان، وقاقم خمسة أبدان، وسنجاب

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٧٦/٤

خمسون بدنا، وقرضيات خمسون قرضية، ومخمل ملون خاص أربعون ثوبا، ومخمل أحمر وأخضر وأزرق حلبي خمسون ثوبا، وصوف ملون مائة ثوب، وثياب بعلبكي خمسمائة ثوب، وثياب بطائن خمسمائة أيضا، وقسي حلقة ثلاثمائة قوس، منها خمسون خاصا، وطبول بازات مذهبة عشرة، وسيوف خمسون سيفا، وخيول مائتا رأس، منها واحد بسرج ذهب وكنبوش زركش، وبغال ثلاثة أقطار، وجمال أربعة أقطار، وعشرون ألف دينار على ما قيل.

وفي أواخر هذه السنة ظهر الطاعون بمصر، وفشا في أول المحرم سنة ثمان وأربعين وثمانمائة، وقد أخذ السلطان في تجهيز تجريدة عظيمة لغزو رودس، وأخذ الطاعون يتزايد في كل يوم، حتى عظم في صفر، وزاد عدة من يموت فيه على خمسمائة إنسان.

ثم في يوم الثلاثاء حادي عشرين صفر، نفى السلطان كسباي الششماني المؤيدي، أحد الدوادارية الصغار، وعد ذلك من الأشياء التي وضعها الملك الظاهر في محلها؛ وقد استوعبنا أمر كسباي هذا والتعريف بأحواله في غير هذا المحل.

ثم في شهر ربيع الأول أخذ الطاعون يتناقص من القاهرة ويتزايد بضواحيها.

ثم في يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الأول المذكور، نفى السلطان سودون السودوني الحاجب إلى قوص، وأنعم بإقطاعه على الأمير ألطنبغا المعلم الظاهري برقوق، زيادة على ما بيده.

ثم في يوم السبت المذكور، خرجت الغزاة من القاهرة، فنزلت في المراكب من ساحل بولاق؛ وقصدوا الإسكندرية ودمياط، ليركبوا من هناك البحر المالح، والجميع قصدهم غزو رودس. وكانوا جمعا موفورا، ما بين أمراء وخاصكية ومماليك سلطانية ومطوعة. وكان مقدم الجميع في هذه السنة أيضا الأمير إينال العلائي الدوادار الكبير، كما كان في السنة الخالية. وكان معه من الأمراء الطبلخانات؛ الأمير يلخجا من مامش الساقي الناصري الرأس نوبة الثاني، ومن العشرات جماعة كبيرة، منهم: تغري برمش الزردكاش، وتغري برمش الفقيه نائب القلعة. وهو مستمر على وظيفته – ورسم السلطان للأمير يونس العلائي الناصري أحد أمراء العشرات أن يسكن بباب المدرج، إلى أن يعود تغري برمش المذكور من الجهاد – وسودون الإينالي المؤيدي قراقاس رأس نوبة، وتمربغا الظاهري جقمق، ونوكار الناصري، وتمراز النوروزي رأس نوبة المعروف بتعريص، ويشبك الفقيه المؤيدي؛ وفيها تأمر بعد عوده – بعد موت تمراز النوروزي من جرح أصابه – وجماعة أخر من أعيان الخاصكية، كل منهم مقدم على غراب أو زورق، ومعه علة من المماليك السلطانية وغيرهم. وكانت المماليك السلطانية في هذه الغزوة تزيد عدتهم على ألف مملوك، هذا خارج عمن سافر من

المطوعة. وأضاف إليهم السلطان أيضا جماعة كبيرة من أمراء البلاد الشامية، كما فعل الملك الأشرف في غزوة قبرس المقدم ذكرها. ورسم لهم السلطان أن يتوجه الجميع إلى طرابلس، ليضاف إليهم العسكر الشامي، ويسير الجميع عسكرا واحدا، ففعلوا ذلك، وسافر الجميع من ثغر دمياط وثغر الإسكندرية، في يوم الخميس حادي عشر شهر ربيع الآخر؛ وكان لخروجهم من ساحل بولاق يوم عظيم، لم ير مثله إلا نادرا.." (١)

"وخلع أيضا على جاكم الفرنجي خلعة نخ بقاقم، ونزل جميع الغزاة في خدمتهم إلى بحر النيل، وسافر هؤلاء الأمراء الثلاثة إلى دمياط من يومهم، وبقي من عداهم يسافرون أرسإلا في كل يوم، إلى يوم الثلاثاء القابل، لكثرة عدة العساكر. وأما مقدار عدد من سافر في هذه الغزوة من الأمراء والجند فعدة كبيرة. فأولهم أمراء الألوف الثلاثة المقدم ذكرهم. ثم من أمراء الطبلخانات ثلاثة أيضا، وهم: الأمير بردبك البجمقدار الظاهري ثاني رأس نوبة، وجانبك من أمير الخازندار الأشرفي، ويشبك من سلمان شاه الفقيه المؤيدي رأس نوبة. ومن أمراء العشرات جماعة، وهم: جكم الأشرفي خال الملك العزيز يوسف، ودقماق اليشبكي، وكسباي الششماني المؤيدي، وطوخ إلابو بكري المؤيدي رأس نوبة، وقانم نعجة الأشرفي رأس نوبة، وسنقر قرق شبق الأشرفي الزردكاش المقدم ذكره، وقراجا الأعرج الطويل أحد مماليك السلطان القديمة. وأما المماليك الىسلطانية فعدتهم تزيد على خمسمائة نفر تخيمنا. وهذا خلا المطوعة وغيرهم من الخدم والمراكبية وأنواعهم. وفي يوم الخميس تاسع عشر شوال خرج أمير حاج المحمل بالمحمل، وهو الأمير تمرباي من حمزة الناصري المعروف بططر أحد أمراء العشرات، وأمير الركب الأول تنم الحسيني الأشرفي رأس نوبة. وفي يوم الجمعة سابع عشرينه أمسك السلطان زين الدين الأستادار، وجنزره وحبسه بالبحرة من الحوش السلطاني، وندب الصاحب شمس الدين منصور بن الصلي لمحاسبته، فقأمت المماليك الأجلاب على منصور حمية لزين الدين، فراج أمر زين الدين لذلك، لعلم الناس أن السلطان مسلوب إلاختيار مع مماليكة الأجلاب. واستمر زين الدين بالبحرة إلى يوم الأحد، فأخرجه السلطان واستقر به أستادارا على عادته، ولبس خلعة الأستادارية من الغد في يوم الاثنين أول ذي القعدة. ثم في يوم الأربعاء ثالث ذي القعدة وصل إلاميل خشقدم أمير سلاح من الوجه الىقبلي بمن معه من المماليك السلطانية. وفي يوم الأربعاء سابع عشره قتل ابن غريب البدوي. وفي يوم الاثنين هرب زين الدين الأستادار واختفى بحيث إنه لم يعرف له مكان، واستقر الصاحب شمس الدين في الأستادارية عوضه. ثم استهلت سنة خمس وستين وثمانمائة. فكان أول المحرم الخميس. ثم في يوم السبت ثالثه وصل الأمير جانبك الظاهري أحد مقدمي الألوف من

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٧٩/٤

بندر جدة إلى الديار المصرية، بعد أن حج وحضر الموسم بمكة، وبات بتربة الملك الأشرف إينال بالصحراء، وطلع إلى القلعة من الغد في يوم الأحد، وخلع السلطان عليه ونزل إلى داره في موكب عظيم. وفى يوم الخميس ثاني عشرين المحرم وصل أمير الركب الأول الأمير تنم الحسيني الأشرفي، وخلع عليه السلطان، وأصبح في يوم الجمعة وصل أمير حاج المحمل تمرباي ططر بالمحمل، وخلع السلطان عليه أيضا. وفي يوم الجمعة سلخ المحرم وصل إلى القاهرة جماعة من الغزاة وأخبروا أن العساكر الإسلامية بأجمعها خرجوا من جزيرة قبرس في يوم الجمعة ثالث عشرين المحرم وساروا على ظهر البحر الملح يريدون السواحل الإسلامية، فهبت ريح عظيمة شتتت شملهم، وتوجهوا إلى عدة جهات بغير إرادة. وكانت مركب هؤلاء وصلت إلى ساحل الطينة، وأخبروا أيضا بموت الأمير سودون قراقاش حاجب الحجاب. ثم وصل من الغد بردبك غرب الأشرفي الخاصكي، وأخبر بنحو ،ما أخبر به هؤلاء المماليك، وأعلم السلطان أيضا أن الأمير يونس الدوادار ترك." (١)

"وجميع نواب البلاد الشامية مقيمون بحلب مخافة هجوم جانم عليها، والسلطان ملازم الفراش. فلما كان أول المحرم دقت البشائر لعافية السلطان ثلاثة أيام. وفي يوم الخميس سادس المحرم خلع السلطان على الأطباء وعلى السقاة وعلى من له عادة. ثم في يوم الأربعاء تاسع عشره وصل أمير الركب الأول الناصري محمد ابن الأتابك جرباش، ودخل أمير حاج المحمل الأمير بردبك من الغد. ومن غريب الاتفاق أني سألت الناصري محمد ابن الأتابك جرباش: " متى بلغكم مرض السلطان؟ " فقال: " في المدينة الشريفة " ، فحسبنا الأيام، فكان يوم سمعوا فيه خبر مرضه قبل أن يمرض بيوم أو يومين. وفي يوم الخميس حادي عشر صفر استقر علي بن الأهناسي في وظيفتي الوزر والخاص، ولبس في هذا اليوم وظيفة الخاص عوضا عن القاضي شرف الدين موسى الأنصاري، والوزر عوضا عن شرف الدين يحيى بن صنيعة. وفي يوم الثلاثاء أول شهر ربيع الأول استقر القاضي علم الدين بن جلود كاتب المماليك السلطانية. وفي يوم الأحد ثالث عشره عمل السلطان المولد النبوي بالحوش من الجبل، على العادة من كل سنة، وأصبح من الغد عمل مولدا آخر لزوجته خوند الأحمدية. ثم في يوم السبت سادس عشرينه، استقر الزيني قاسم الكاشف أستادارا، بعد أن اختفى الأمير زين الدين الأستادار. ثم في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الآخر ورد الخبر من جانبك التاجي نائب حلب أن جانم نائب الشام قتل بمدينة الرها، وقد اختلف في قتله على أقاويل ذكرناها في " الحوادث " . وفي يوم الاثنين ثالث جمادى الأولى استقر بلاط دوادار الحاج إينال في نيابة صفد

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤١٨/٤

دفعة واحدة من غير تدريج ببذل المال عوضا عن خيربك القصروي، وتوجه خيربك على إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق عوضا عن يشبك آس قلق المؤيدي، بحكم استقرار يشبك المذكور في نيابة غزة بعد موت شاد بك الصارمي، ثم تغير ذلك بعد أيام، لامتناع يشبك من نيابة غزة، واستمر يشبك على إمرته بدمشق، فصار خيربك بطالا بالشام. ثم رسم السلطان أن يستقر شاد بك الجلباني في نيابة غزة بعشرة آلاف دينار، وإن امتنع شاد بك من نيابة غزة حمل الى قلعة دمشق، ويؤخذ منه العشرة آلاف دينار. وفيه استقر أزدمر الإبراهيمي مسفر بلاط نائب صفد، واستقر سودون البردبكي الفقيه المؤيدي مسفرا لمن يستقر في نيابة غزة. ثم في يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة استقر الصاحب شمس الدين منصور أستادارا عوضا عن قاسم الكاشف. وفي يوم السبت رابع عشره رسم السلطان بعزل إينال الأشقر عن نيابة ملطية بالأمير يشبك البجاسي أتابك حلب، واستقر إينال الأشقر أتابك حلب عوضه. وفي سلخ هذا الشهر سافرت خوند الأحمدية زوجة السلطان إلى زيارة الشيخ أحمد البدوي. وفي يوم الاثنين أول شهر رجب سافرت الغزاة في بحر النيل إلى ثغر دمياط، ليتوجهوا من الثغر إلى جزيرة قبرس، وكان على هذه الغزاة الأمير بردبك الظاهري حاجب الحجاب، والأمير جانبك قلقسيز الأشرفي، واثنا عشر أميرا آخر، هم: بردبك التاجي، وقانصوه المحمدي، وقانصوه الساقي، ويشبك الأشقر، ثم خيربك من حديد، وقلطباي، وكلهم أشرفية برسبائية، ثم تنم الفقيه المؤيدي، ثم يشبك القرمي، وتمرباي السلاح دار، وقانصوه، وهؤلاء الثلاثة ظاهرية جقمقية، ثم من السيفية مغلباي الجقمقي، وتنبك السيفي جانبك النور، ونحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية وهذا خلاف المطوعة والخدم، وأرباب الصنائع وغيرهم. وفيه ظهر الأمير زين الدين، وطلع إلى السلطان، ولبس كاملية، واستقر وفي يوم الاثنين خامس عشره أدير المحمل على العادة. وفي يوم الثلاثاء سادس عشره استقر الأمير جكم الأشرفي خال الملك العزيز." (١)

"روى عن أبيه وعن سفيان بن عيينة ولوط ابن مخنف،وروى عنه أبو حاتم السجساتي وأبو الفضل الرياشي وإسحاق بن محمد النخعي،وقدم بغداد وحدث بها،وكان مشتهرا بالشراب،وكان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين.ومن تصانيفه:كتاب الخيل كتاب أشعار الأعاريب وأشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن وكتاب الذبيح وكتاب الأخلاق وغير ذلك.ومن شعره القصيدة التي منها:

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرضن عني بالخدود النواضر

وكن متى أبصرنني أو سمعن بي ... سعين فرقعن الكوى بالمحاجر

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٧٩/٤

توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين وقال:أول شعر قلته:

بنفسي شيء لست أعرف قدره ... على أنه ما كان فهو شديد

تمر به الأيام تسحب ذيلها ... فتبلى ولا تبليه وهو جديد

القائم بأمر الله الفاطمي محمد بن عبيد الله ويدعى محمد نزارا ابن المهدي القائم بالمغرب،بايع لمحمد والده المذكور بولاية العهد بإفريقية وما معها وكانت الكتب تكتب باسمه والمظلة تحمل على راسه،وجهزه أبوه إلى مصر مرتين ليأخذها:الأولى في ذي الحجة سنة إحدى وثلاث مائة فوصل إلى الإسكندرية وملكها وملك الفيوم وصار في يده أكثر خراج مصر وضيق على أهلها،والمرة الثانية وصل إلى الإسكندرية في سنة سبع وثلاث مائة في عسكر عظيم فخرج عامل الإمام المقتدر عنها فدخلها ثم خرج إلى الجيزة في خلق عظيم،ووردت الأخبار إلى بغداد فجهز مؤنس الخادم بالرجال والأموال،فلما وصل إلى مصر كان القائم قد ملك الجيزة والأشمونين وأكثر بلاد الصعيد فتلاقيا وجرى بينهما حروب عظيمة ووقع في عسكر القائم الوباء والغلاء فمات الناس والخيل فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم.

وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد الخارجي وكانت **المطوعة** قد تبعته وقاسى منهم شدائد.فأحسن السيرة بنو عبيد في الناس وهذبوا وطووا ما يرومونه من إظهار مذهبهم الخبيث وساسوا ملكهم وقنعوا بإظهار الرفض والتشيع.وكانت ولادة القائم بمدينة سلمية بالشام سنة ثمانين وقيل سنة اثنتين وقيل سنة سبع وسبعين ومائتين،واستصحبه والده معه إلى المغرب على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.وتوفي القائم المذكور بالمهدية سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة وأبو يزيد الخارجي محاصر له،فقام بالأمر ولده المنصور إسماعيل وكتم خبر موته خوفا من الخارجي وكان على سوسة وأكثر العطايا والصلات ولم يتسم بالخليفة وكتبه تنفذ من الأمير إسماعيل ولي عهد المسلمين.

الوزير البلعمي محمد بن عبيد الله بن محمد بن رجاء الوزير أبو الفضل البلعمي، بالباء الموحدة واللام الساكنة والعين المهملة المفتوحة وبعدها ميم، أوحد عصره في العقل والرأي، له كتاب تلقيح البلاغة وكتاب المقالات وغير ذلك، وهو وزير صاحب ما وراء النهر، توفي سنة تسع وعشرين وثلاث مائة.

الوزير أبو علي الخاقاني محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو علي الوزير كان أكبر ولد أبيه،أحضره المعتمد بعد وفاة أبيه وقلده مكانه وأراد أن يخلع عليه فأمر أن يؤخر ذلك فلم يضطلع بالأمر فترك أسبوعا وعزل بالحسن بن مخلد.ووزر للمقتدر وصدرت منه أشياء مضحكة وعزل بعلي بن عيسى وقبض عليه،على أنه صدرت منه واحدة حسنة:يقال أنه لما عزل أكثر الناس التزوير عليه وعرضت تواقيع كثيرة على أبي

الحسن علي بن عيسى فأنكرها وجهزها إليه وقال له:عرفني الصحيح في هذه حتى أمضيه وأبطل الزور منها،فحضر الرسول وهو يصلي فأخذ ابنه أبو القاسم يميز الباطل من الصحيح منها فأومأ إليه أبوه أن يتوقف،فلما فرغ من صلاته أخذها وتصفحها وخلطها وقال:كل هذه التوقيعات صحيحة وأنا أمرت بها فما رأيت إبطاله فأبطله،ولما انصرف الرسول قال لابنه:أردت أن تبغضنا إلى الناس بلا معنى ويكون الوزير قد التقط الشوك على أيدينا نحن قد صرفنا فلم لا نحبب إلى الناس بإمضاء كل ما زوروه فإن أمضاه كان الحمد لنا والضرر عليه وإن أبطله كان الحمد لنا والذم له.توفي وقد تغير ذهنه في سنة اثنتي عشرة وثلاث مائة.

ابن البلدي محمد بن عبيد الله البلدي،قال الثعالبي في التتمة:هو أشعر من أبيه.وكان قد حلف أن لا يشرب حولا فبرت يمينه في غرة شوال فقال:

برت على هجر الكؤوس يميني ... شهر الصيام فما امتطين يميني." (١)

"محا الله نونات الحواجب لم تزل ... قسيا لها دعج النواظر أسهم

وأطفأ نيران الخدود فقل لمن ... رأى قبلها نارا يقبلها الفم

منها في المديح :

بنور الهدى قد صح معنى خطابه ... وكل بعيد من سنا النور مظلم

رقيق المعاني جل إيجاز لفظه ... عن الوصف حتى عنه سحبان يفحم

يجود ويخشى أن يلام كأنه ... إذا جاد من خوف الملامة مجرم

وما حرم الدنيا ولكن قدره ... من الملك في الدنيا أجل وأعظم

ابن سكرة الصدفي المغربي أبو علي

الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون، أبو علي الصدفي المعروف بابن سكرة، من أهل سرقسطة. قرأ بها القرآن على الحسن بن محمد بن مبشر المعروف بابن الإمام، صاحب أبي عمر والداني. وسمع من عبد الله بن محمد بن إسماعيل ابن محمد بن فورتش، وأبي الوليد الباجي، ومحمد بن عبد الله بن محمد ابن الصراف إمام الجامع بها. وجال في الأندلس، وسمع ببلنسية وبالمرية وبالمهدية. ودخل مصر والإسكندرية، وسمع بهما وبتنيس وحج. وسمع بمكة وبالبصرة وبواسط. ودخل بغداد وأقام بها خمس سنين. وعلق عن أبي بكر الشاشي الشافعي تعليقته الكبرى في الخلاف. وتفقه عليه، وسمع الكثير من خلق كثير ببغداد وحصل الكتب والفوائد. ودخل الشام وسمع بها. وعاد إلى المغرب، فأقام بها. وأخذ الناس عنه علما كثيرا.

---

(١) الوافي بالوفيات، ٤٥٢/١

وحدث ببغداد بحديث واحد. وبعد صيته بالغرب. ثم إن أهل مرسية وشرق الأندلس طلبوا من أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين أن يقلده قضاءهم، فقلده، فامتنع وفر بنفسه إلى المرية، فترددت كتب ابن تاشفين وألزم إشخاصه إلى مرسية. وشدد عليه، فتقلد ذلك مكرها. ولم يزل محمود السيرة. إلى أن عزل نفسه واختفى. فكتب ابن تاشفين برده إلى القضاء. ثم شفع فيه قاضي الجماعة، فأجابه إلى الإعفاء. ولما وجه ابن تاشفين الجيوش إلى الثغر مع أخيه الأمير إبراهيم سنة أربع عشرة وخمس مائة، خرج فيمن خرج مع **المطوعة**. فلما جرت الهزيمة على المسلمين بقتندة، كان في من ختم له بالشهادة سنة أربع عشرة وخمس مائة. قال القاضي عياض: ولقد حدثني الفقيه أبو إسحق إبراهيم بن جعفر أنه قال له:خذ الصحيح فاذكر أي متن شئت منه، أذكر لك سنده أو أي سند شئت، أذكر لك متنه.

ابن الفقاعي الحنبلي

الحسين بن محمد بن موسى أبو عبد الله الفقيه الحنبلي، المعروف بان الفقاعي. تفقه على أبي عبد الله حامد وزوجته بابنته، وكان من أعيان الفقهاء. صاحب فتوى ونظر، وكانت له حلقة بجامع المدينة، وله تصانيف في الأصول والفروع. وروى عنه أبو بكر الخطيب، وأبو علي ابن البناء في مشيخته، وتوفي سنة أربع وعشرين وأربع مائة.

الحافظ أبو عروبة الحراني

الحسين بن محمد بن مودود، أبو عروبة الحراني السلمي الحافظ. أحد أئمة هذا الشأن. كان ثقة، نبيلا. رحل الناس إليه إلى حران. قال ابن عدي: كان عارفا بالحديث والرجال. وتوفي سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة.

الراغب

الحسين بن محمد أبو القاسم الراغب الأصبهاني، أحد أعلام العلم ومشاهير الفضل، متحقق بغير فن من العلم. وله تصانيف تدل على تحقيقه، وسعة دائرته في العلوم وتمكنه منها.

عز الدين ابن النيار

الحسين بن محمد بن الحسين بن علوان المولى الكبير عز الدين أخو شيخ الشيوخ صدر الدين بن النيار بفتح النون وتشديد الياء آخر الحروف وبعد الألف راء كان وكيل أولاد المستعصم، وكان يدري الجبر والمقابلة. ولما شاهد القتل، فدى نفسه بعشرة آلاف دينار، فأطلق وتوفي بعد شهر، سنة ست وخمسين

وست مائة. وسيأتي ذكر أخيه صدر الدين علي بن محمد بن الحسين في حرف العين في مكانه.
أبو سعيد الزعفراني." (١)

"رباح اللخمي جد موسى بن علي بن رباح الصحابي. روي عنه في فتح مصر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ستفتح بعدي مصر ويساق إليها أقل الناس أعمارا. رواه مطهر بن الهيثم عن موسى بن علي بن رباح.

الربداء

بنت عمرو البلوية

الربداء بنت عمرو بن عمارة بن عطية البلوية.

كان أبو الربداء ياسر عبدا لها. فمر به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما لمولاته وفيها له شاتان فاستسقاه فحلب له شاتيه. ثم راح وقد حفلتا فذكر ذلك لمولاته. فقالت: أنت حر. فتكنى بأبي الربداء.

الربضي القرطبي: اسمه أحمد بن عبد الرحمن.

الربضي صاحب الأندلس: الحكم بن هشام.

ربعي

ابن حراش الكوفي ربعي بن حراش بن جحش الغطفاني العبسي الكوفي. حدث عن عمرو وعلي وحذيفة وغيرهم. وروى عنه الشعبي ومنصور وعبد الملك بن عمير وغيرهم. وقدم الشأم وشهد خطبة عمر بالجابية كما قيل.

وقال ابن سعد: وكان ثقة له أحاديث صالحة. قال ابن المديني: بنو حراش ثلاثة: ربعي وربيع ومسعود ولم يرو عن مسعود شيء إلا كلامه بعد الموت، كذا قال.

وقال غيره: إن الذي تكلم بعد الموت هو ربيع. كذا قال ابن ماكولا.

قال أحمد العجلي: تابعي ثقة من خيار التابعين. ويقال إنه لم يكذب قط وكان ابناه عاصيين زمن الحجاج. فأرسل إليه يقول: أين ابناك؟ قال: هما في البيت. قال: قد عفوت عنهما لصدقك. وتوفي سنة إحدى ومائة وكان آلى أن لا يفتر ضاحكا حتى يعلم أين مصيره أفي الجنة هو أم في النار. فأخبر غاسله أنه لم يزل متبسما على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا منه.

وقيل إن ذلك أخوه ربيع. وروى له الجماعة.

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٨٦/٤

ابن رافع الصحابي

ربعي بن رافع بن زيد بن حارثة الصحابي حليف لبني عمرو بن عوف. شهد بدرا. وقيل ربعي ابن أبي رافع.

الربعي النحوي: علي بن عيسى.

ابن الربيب المغربي: الحسن بن محمد.

الربيب الوزير: الحسين بن محمد.

ربيع

الأمير الحارثي

ربيع بن زياد بن الربيع الحارثي الأمير زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

توفي في حدود الستين للهجرة وله صحبة. استخلفه أبو موسى سنة سبع عشرة على قتال مناذر فافتتحها عنوة وقتل وسبى.

وقتل بها يومئذ أخوه المهاجر بن زياد. ولما صار الأمر إلى معاوية وعزل عبد الرحمن بن سمرة عن سجستان ولاها الربيع بن زياد الحارثي.

فأظهره الله على الترك وبقي أميرا على سجستان إلى أن مات المغيرة بن شعبة أميرا على الكوفة.

فولى معاوية زيادا الكوفة مع البصرة جمع له العراقين. فعزل زياد الربيع بن زياد عن سجستان وولاها عبيد الله بن أبي بكرة، وبعث الربيع بن زياد إلى خراسان فغزا بلخ. وقال زياد: ما قرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثي، ما كتب قط إلا في احتياز منفعة أو دفع مضرة ولا كان في موكب قط فتقدم عنان دابته عنان دابتي ولا مست ركبته ركبتي.

روى عن الربيع بن زياد مطرف بن الشخير وحفصة بنت سيرين.

وروى عن أبي بن كعب وعن كعب الأحبار. قال ابن عبد البر: ولا أعرف له حديثا مسندا.

الثوري الكوفي

الربيع بن خثيم الثوري الكوفي، من سادة التابعين. وروى له الجماعة سوى أبي داود. وتوفي في حدود السبعين للهجرة وقيل في حدود التسعين.

وقال الشيخ شمس الدين أيضا: أرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم وسمع ابن مسعود وأبا أيوب وعمرو بن ميمون. وقال: توفي في حدود المائة.

البكري الحنفي

الربيع بن أنس البكري الحنفي. روى له الأربعة. وتوفي في سنة سبع وثلاثين ومائة.

ابن صبيح

الربيع بن صبيح. روى له الترمذي وابن ماجة. توفي سنة ستين ومائة. وروى الربيع عن الحسن وعطاء بن أبي رباح وثابت ويزيد الرقاشي. وروى عنه وكيع وعبد الرحمن بن مهدي وأبو الوليد الطيالسي وعلي بن الجعد. وقال أحمد: لا بأس به. وقال النسائي: ضعيف.

وقال شعبة: هو عندي من سادات المسلمين. وغزا في **المطوعة** أرض الهند. وقال القاضي أبو محمد الرامهرمزي: أول من صنف وبوب فيما أعلم الربيع بن صبيح بالبصرة، ثم سعيد بن أبي عروبة بها، وخالد بن جميل الذي يقال له العبد ومعمر باليمن، وابن جريج بمكة، وسفيان الثوري بالكوفة، وحماد بن سلمة بالبصرة، ثم صنف سفيان بن عيينة والوليد بن مسلم وابن المبارك وجرير بن عبد الحميد وهشيم.

المقرئ العابد المروزي." (١)

"وقيل فيه: قند - بالقاف - والصحيح الفاء، ويضرب به المثل في الإبطاء: كانت عائشة أرسلته ليجيئها بنار، فخرج لذلك، فلقي عيرا خارجة إلى مصر فخرج معهم، فلما كان بعد سنة رجع، فأخذ نارا ودخل على عائشة وهو يعدو، فسقط وقد قرب منها فقال: تعست العجلة؛ وقال شاعر:

ما رأينا لعبيد مثلا ... إذ بعثناه يجيء بالمشمله

غير فند بعثوه قابسا ... فثوى عاما وسب العجله

وقال الحريري في بعض مقاماته: إبطاء فند، وصلود زند.

الأمير فيال المنصوري

كان بالقاهرة أمير عشرة، يسكن بالحسينية، وينوب الأستاذ دارية، ويصحب بن معضاد ويتكلم بشيء من كلامه، ثم نقل إلى طرابلس مشدا وأميرا، وبقي بها مدة، ثم تنقل إلى دمشق مشدا بامرة، ونكب..ثم نقل إلى حلب، ثم إنه قطع خبزه، وقدم دمشق، وكان له نية في التوجه إلى مصر، فتوفي في داره بدرب تليد بدمشق في شهر جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مائة.

الألقاب

ابن فنجله المقرئ: الحسن بن أحمد.

ابن أبي الفنون النحوي: اسم نصر بن أبي نصر، محمد بن المظفر، في حرف النون إن شاء الله تعالى.

---

(١) الوافي بالوفيات، ٤/٤٤٣

ابن أبي فنن: اسم أحمد بن صالح.

فنون الطبيب

فنون الطبيب: كان مختصا بخدمة بختيار، وكان مخدومه يكرمه.

اتفق أن بختيار عرض له رمد فقال: أريد أن تبرئني في يوم واحد، فقال: إذا شئت أن تبرأ في يوم واحد فمر الغلمان أن يأتمروني كونك في هذا اليوم، ففعل ذلك، فطلب إجانة ملأى عسلا وغمس يدي بختيار فيها، ثم جعل يداوي عينيه بالأشياف الأبيض، وجعل بختيار ينادي الغلمان فلا يجيبه أحد، ولم يزل يكحله إلى آخر النهار فبرئ.

الخادم الإخشيدي أمير دمشق

فنك الخادم، مولى كافور الإخشيدي: خرج من مصر بعد موت مولاه إلى الرملة، فبعثه الحسن بن عبد الله بن طغج أمير الرملة أميرا إلى دمشق، فدخلها وأقام بها، فلما اتصل به أن الروم أخذوا حمص يوم الأضحى نادى في الناس: النفير إلى ثنية العقاب، فخرج الجيش **والمطوعة** وغيرهم، فلما خلا البلد انتهز الفرصة ورحل بثقله نحو عقبة دمر، وسار بخواصه وطلب نحو الساحل فنهبوه وطمعوا فيه وقتلوا من تأخر من رجاله، وتوفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة.

الألقاب

ابن فوران الشافعي الإمام: اسمه عبد الرحمن بن محمد.

ابن الفهاد الشافعي: اسمه محمد بن إبراهيم.

الفوركي: أحمد بن محمد بن الحسن.

الفوزي: خطاب بن عثمان.

ابن الفوطي: المؤرخ كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد.

فويك الصحابي فويك - بالواو والياء والكاف: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئا، فسأله ما أصابه، قال: كنت أمرت جملا لي، فوقف على بيض حية فأصيب بصري، فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر، فرؤي وهو ابن ثمانين سنة يدخل الخيط في الإبرة وإن عينيه لمبيضتان.

الألقاب

ابن الفويره: بدر الدين محمد بن عبد الرحمن.

ابن الفويرة: زكي الدين عبد الرحمن بن محمد.
ابن الفويه شمس الدين الاسكندراني: اسمه محمد بن أحمد.
أبو القاسم الهروي
فياض بن علي، الشيخ. أبو القاسم الهروي أثنى عليه صاحب الدمية وقال: كتبي إلي:
يا سابقا في كل فن ... نفسي تقيك وقل مني
ديوان شعرك منيتي ... إن قيل: أسرف في التمني
فأجب إليه بلا توا ... ن منك فيه ولا تأن
قال: فأجبته عنها من أبيات:
ما نطفة من حب مزن ... قد بيتوها جوف شن
وسلافة من قلب دن ... بخروه بقلب دن
وتصافح بعد القلى ... تصالح غب التجني
إلا كشعر صديقي ال ... فياض فاشد به وغن
الأمير عز الدين ابن مهنا
فياض بن مهنا بن عيسى، الأمير عز الدين، من أكابر أمراء بني مهنا.." (١)

" وفيها أمر السلطان جمال الدين المحتسب أن يتحدث في الأوقاف الحكمية فتحدث فيها فشق ذلك على القاضي الشافعي فتحدث مع أحد الدين فراجع له السلطان فقال : أنا ما وليت جمال الدين وعزلت الشافعي وغنما أمرته أن يتحدث معه في عمارة ما تهدم ثم شافه السلطان القاضي بذلك وقال له : أنت الناظر وهذا ينوب عنك في ذلك فسأله المحتسب أن يكون الأمير قديد معه في العمارة وبالغ من بيده شيء من الأوقاف في إصلاحه خوفا من الغهانة وفي ذلك يقول شهاب الدين بن العطار :

يا من أكلتم من جني أوقافنا ... لحما طريا فاصبروا لقديد

وفيه عمل أهل برمة وهم نصارى عرسا بالمغاني والملاهي على عادتهم فقام المؤذن يسبح على العادة فأنزلوا فبلغ ذلك الخطيب فانتصر للمؤذن وساعده الإمام فأهانهما أهل البلد فتوجهوا إلى القاهرة وشكوا الأمر للنائب فأرسلهم إلى صاحب برمة وهو جركس الخليلي فضرب الثلاثة وحبسهم فبلغ ذلك السلطان من جهة ناصر الدين بن الميلق الواعظ فتغيظ على الخليلي وأمره بإطلاقهم وإنصافهم من غرمائهم فأحضر

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٩١/٧

من برمة جماعة من المسالمة فشهد عليهم بالزندقة فضرب القاضي المالكي رقاب ستة أنفس وسر المسلمون بذلك وقد قرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيري وأجازنيه أن ابن خير حكم بضرب رقابهم بحضور القضاة فضربت في المجلس وكان سودون النائب حاضرا بين القصرين قال : ثم قام بعض المالكية وادعى أنه خالف مذهبه وبالغ في التشنيع يعني ابن جلال الدميري وجرى على ابن خير ما لا خير فيه ثم إنه استفتى أهل العلم الموجودين قي ذلك الوقت فأفتوا بتصويب فعله وانتصر على خصمه

وفي جمادى الآخرة نازل الفرنج بيروت في عشرين مركبا فراسلوا نائب الشام فتقاعد عنهم واعتل باحتياجه إلى مرسوم السلطان فقام إينال اليوسفي فنادى الغزاة في سبيل الله فنفر معه جماعة فحال بين الفرنج وبين البحر وقتل بعضهم ونزل إليه بقية الفرنج فكسرهم وقبض من مراكبهم ستة عشر مركبا فسر المسلمون بذلك سرورا عظيما ولما بلغ السلطان قبل ذلك تحرك الفرنج جهز عدة أمراء لحفظ الثغور من الفرنج كرشيد ودمياط وغيرهما فلما توجهوا إلى بيروت وكسروا بها حصلت الطمأنينة منهم وممن توجه من **المطوعة** القاضي المالكي ومعه المغاربة والشيخ شمس الدين القونوي ومعه خلائق من **المطوعة** ثم جمع القاضي الشافعي جمعا من الفقهاء وتوجه وكان الفرنج قد دخلوا صيداء فوجدوا المسلمين قد نذروا بهم فأحرزوا أموالهم وأولادهم بقرية خلف الجبل فوجد الفرنج بعض أمتعتهم فنهبوها وأخذوا ما وجدوا من زيت وصابون وأحرقوا السوق وقصدوا بيروت فتداركهم المسلمون ثم وصل النائب وانكسر الفرنج بحمد الله تعالى ثم عاد الفرنج إلى مباهلة بيروت فطرقوها في شعبان فتيقظ لهم أهلهم فحاربوهم وراموهم ونزل طائفة من الفرنج فوجدوا بالساحل خمسة عشر نفسا فقتلوهم ثم قتل من الفرنج جماعة فوصل النائب من دمشق بعد انقضاء الوقعة ورجوع الفرنج بغيظهم لم ينالوا خيرا

وفيها ابتدأ الأمير أيتمش بإنشاء مدرسته التي بالقرب من القلعة

وفي صفر عزل القاضي الحنفي بدمشق نوابه بسبب بدر الدين القدسي ثم أعاد واحدا منهم وهو تقي الدين الكفري فشاع الخبر أن النائب تعصب للكفري وكاتب فيه ليلى القضاء استقلالا ثم وصل الخبر بذلك واستقر في ربيع الأول ." (١)

" مراد بن اورخان بن أردن علي بن عثمان بن سلمان بن عثمان التركماني صاحب الروم يقال إن أصلهم من عرب الحجاز وكان أول من نبه منهم سلمان فكان يغزو ومعه نفر من **المطوعة** وكان شجاعا بطلا فاشتهر بذلك وكثر أتباعه ثم مات فقام ابنه عثمان مقامه وفتح برسا واستوطنها في حدود الثلاثين ثم

---

(١) انباء الغمر، ص/١٠٢

مات فقام ابنه عثمان مقامه وفتح برسا واستوطنها في حدود الثلاثين ثم قام ابنه أردن على مقامه فأربى على أبيه في الجهاد وقرب العلماء والصلحاء وعمر الخوانك والزوايا ثم مات فقام ابنه أورخان مكانه ثم مات فقام ابنه مراد فركب البحر ونازل ما وراء خليج القسطنطينة وأذلهم حتى بذلوا له الجزية ونشر العدل في بلاده ولم يزل مجاهدا في الكفرة حتى اتسعت مملكته ومات في حرب وقعت بينه وبين الكفار وعهد لابنه أبي يزيد وكانت مدة مملكته عشرين سنة

يحيى بن محمد بن علي الكناني العسقلاني أمين الدين الحنبلي عم شيخنا عبد الله ابن علاء الدين سمع الميدومي وغيره وحدث ورأيته ولم يتفق لي أن أسمع منه

يوسف بن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن إسماعيل أبو الحجاج ابن الأحمر صاحب غرناطة وليها في سنة ٢٠٠٠

أبو الفرج القبطي موفق الدين ولي نظر الخاص وأضيف إليه نظر الجيش فباشرهما أحسن مباشرة ثم ولى الوزارة فلم يحمد فيها وكان يسكن مصر

سنة سبع وتسعين وسبعمائة

استهلت السنة والغلاء موجود وبلغ سعر القمح إلى سبعين ثم انحط في ربيع الآخر إلى ستة وستين درهما وفي المحرم توجه غلمان أحمد بن أويس وحريمه إلى بغداد وفي السابع منه دخل السلطان إلى دمشق فأقام بها عشرة أيام بعد أن قبض على عدة من الأمراء بحلب وهرب آل مهنا في البرية وشكا بعض العامة من القاضي الشافعي شهاب الدين الباعوني فعزله السلطان وقرر علاء الدين ابن أبي البقاء ودخل الحاج في الثالث والعشرين من المحرم وأميرهم قديد ودخل حريم السلطان في خامس صفر وفيهن عدة من بنات الأمراء والناس بعضهم أبكار وبعضهن ثيبات ليختار السلطان منهن من يتزوج بها وكان خروجه من دمشق في سابع عشر المحرم وزار القدس في طريقه وتصدق به وبالخليل بمال كثير ودخل غزة في ثالث عشرين المحرم فأقام بها إلى ثالث صفر ودخل جمال الدين الاستادار ورخص السعر بعد دخوله قليلا ثم رجع بسبب الرمايات وتزايد الظلم من المب، شرين ووقع بعض وباء ودخل السلطان القاهرة وزار والده في مدرسته خامس عشر صفر ثم جاء النيل الجديد وبلغ في آخر السنة إلى عشرين ذراعا وبعض ذراع ومع ذلك فلالأسعار في ازدياد إلى أن بلغ القمح ثمانين درهما كل أردب والحمص والشعير بخمسين والفول أربعة وخمسين والتبن كل حمل بعشرة وفي استقر فارس في الحجونية عوضا عن بتخاص لاستقراره في نيابة الكرك وفيه استعفى سودون النائب من النيابة لمرض تغير منه حاله لكبره فأعفي وأعطي خبره لبعض الأمراء

ورتب له رواتب وأقام في داره وفيه أمر علاء الدين الوالي طبلخاناه ورتب حاجبا واستقر أخوه محمد نائبا عنه في الولاية وفيه أمر شيخ المحمودي الذي صار بعد ذلك سلطانا أربعين وأمر نوروز تقدمة ألف وعمل السلطان المولد في ليلة الجمعة ثامن شهر ربيع الأول

وفيها بدأ الظاهر بشرب الشراب التمربغاوي وصفته أن يعمل لكل رطل زبيب أربعون رطل ماء ويدفن في زبل الخيل إلى أن يشتد ولم يكن الظاهر قبل ذلك يتظاهر بشرب المسكر ." (١)

" وفيها نازل الفرنج طرابلس فأقاموا عليها ثلاثة أيام فبلغ ذلك نائب الشام فنهض إليهم مسرعا فانهزموا وأوقع بهم وكان ذلك مبدأ سعادته ثم توجه الفرنج إلى بيروت وكانوا في نحو من أربعين مركبا فواقعهم دمرداش ومن معه من الجند والمطوعة وقتل بعض الناس من الفريقين وجرح الكثير وكان نائب الشام ببعلبك فجاءه الخبر فتوجه من وقته وأرسل إلى العسكر يستنجده ومضى على طريق صعبة مشقة إلى أن وصل إلى طرابلس في المحرم ثم توجه من فوره إلى بيروت فوجده قد نهبوا ما فيها وأحرقوها وكان أهلها قد هربوا إلى الجبال إلا المقاتلة منهم فوقع بين الفريقين مقتلة عظيمة فأمر النائب بإحراق قتلى الفرنج ثم توجه إلى صيدا ومعه العساكر فوصل إليها وقد أخذ الفرنج من البهار الذي للكيتلان شيئا كثيرا فوصل النائب بالعسكر فوجدهم في القتال مع أهل صيدا ولم يتقدمه أحد بل كان معه عشرة أنفس لا غير فحمل على الفرنج فكسرهم وفروا إلى مراكبهم وفروا راجعين إلى ناحية بيروت ثم نزلوا لأخذ الماء فمانعهم بعض أصحاب النائب فغلبوه على الماء وأخذوا حاجتهم وتوجهوا إلى جهة طرابلس ثم مروا عنها إلى الماعوضة فركز النائب طائفة بصيدا وطائفة ببيروت وتوجه إلى دمشق وكانت مدة غيبته دون نصف شهر ولما رجع لاقاه الناس فلام القضاة على تأخرهم عن الغزاة فأجابه الحنفي بجواب أغضبه فأهانه واستهزأ به

وفيها في ليلة الرابع عشر من المحرم توقف النيل بمصر مدة أيام فاتفق خسوف القمر بتمامه وهو في برج الدلو بحيث لم يبق من ضوئه شيء أصلا فاستشعر الناس عدم الزيادة فأمر الخطباء أن يستسقوا في الخطب ففعلوا فزاد في الجمعة التي تليها واطمأن الناس بعد أن اضطربوا ثم توقف فمضت مسرى من شهور القبط ولم يوف ثم نزل إصبعين في أيام النسيم ثم إصبعين فبادروا في أول يوم من توت وهو في العشرين من صفر وخلقوا المقياس وكسروا السد بغير وفاء ثم لم يزد بعد ذلك سوى نصف ذراع ثم انهبط دفعة واحدة فلم يصبح في الخلجان ماء وشرق غالب البلاد وذعر الناس بسبب ذلك وذلك في صفر وخرج القاضي جلال الدين ماشيا إلى الجامع الأزهر بعد الظهر فاستمر فيه إلى العصر في الدعاء والتضرع والقراءة

---

(١) انباء الغمر، ص/١٨٤

وانضم إليه جمع كبير على ذلك فبلغ ذلك القضاة وشيوخ الخوانق فاستمروا إلى قريب المغرب وذلك في تاسع صفر ثم توجه إلى الآثار يوم ،لسبت ثالث عشر صفر فوضعها على رأسه وهو واقف في المحراب يتضرع ويبكي ويدعو ثم رجع

وفي أول ربيع الأول وقع الغلاء في القمح واشتد الأمر وشرق غالب البلاد وقدر الله تعالى أن الذي وقع في الري من البلاد زكت الأرض بالزرع حتى جاء الفدان الواحد من الشعير في الفيوم إحدى وسبعين إردبا بكيل الناحية يكون بالكيل المصري مائة إردب وجاء الفدان في غير الفيوم بثلاثين إردبا إلى عشرة وثمانية وخرج الناس إلى الصحراء يستسقون بعد صيام ثلاثة أيام فخطب فيهم الحافظ زين الدين العراقي أوائل ربيع الآخر ثم رجعوا فتزايد السعر في القمح وجميع الغلال إلا أن المأكولات كثيرة جدا والبيع والشراء ماش الحال وأعيد البجاسي في هذه الحالة إلى الحسبة

وفي ربيع الأول منها استقر شمس الدين البيري أخو جمال الدين يوسف الأستادار في قضاء الشافعية بحلب وهي أول نيابة أخيه جمال الدين بالقاهرة وذلك أنه كان عمل أستادارية سودون طاز ثم أستادارية سودون الحمزاوي ثم عمل أستادارية بيبرس ابن عم السلطان في سنة خمس وثمانمائة فظهرت حسن مباشرته وأهل للوظائف الكبار وعين للوزارة فامتنع وأصر على ذلك وصارت له كلمة نافذة وأحبه الناس

وفي جمادى الآخرة حدث بالقاهرة سعال عقب هبوب ريح جنوبية شديدة البرد كثيرة الرطوبة وفشا السعال ثم الحمى وجاء الشتاء شديدا أزيد من العادة ففشا الموت في أهل المسكنة وكان يموت بالجوع والبرد في كل يوم فوق الألف وقام أهل المروءة بتكفين من يموت منهم مثل سودون المارداني وسعد الدين ابن غراب خارجا عما يكفن من المارستان ووقف الطرحي فيقال كان عدة من تكفل ابن غراب بمواراته إلى سلخ شوال اثني عشر ألف نفس وسبعمائة نفس ." (١)

" وفي هذا الشهر أمر السلطان الخطباء إذا وصلوا إلى الدعاء له في الخطبة أن يهبطوا من المنبر درجة أدبا ليكون ذكر – اسم الله ورسوله في مكان أعلى من المكان الذي يذكر فيه السلطان فصنع كاتبه ذلك في الجامع الأزهر وابن النقاش ذلك في جامع ابن طولون وبلغ ذلك القاضي جلال الدين فما أعجبه كونه لم يبدأ بذلك فلم يفعل ذلك في جامع القلعة فأرسل السلطان يسأله عن ذلك فقال : لم يثبت هذا في السنة فسكت عنه وترك فعل ذلك بعد ذلك وكان مقصد السلطان في ذلك جميلا

---

(١) انباء الغمر، ص/٢٩٠

وفي ذي القعدة أخذ نائب طرابلس قلعة الجواي وهي من قلاع الإسماعيلية عنوة وخربها حتى صارت أرضا

وفي أخر ربيع الآخر ابتدأ النيل في الزيادة ثم توقف ونقص أربعة عشر إصبعا فأرسل السلطان طائفة من القراء إلى المقياس فأقاموا فيها أياما يقرؤن القرآن وتطبخ لهم الأطعمة وأمر سودون صوفي حاجب الحجاب أن يركب إلى شاطئ النيل ويحرق ما يجده هناك من الأخصاص التي توضع للفساد ويظهر الفسقة فيها المناكر من الزنى وشرب الخمر واللواط متجاهرين بذلك غير محتشمين منه فأوقع بهم فنهب بعضهم بعضا فقدر الله بعد ذلك بوفاء النيل وزاد بعد الوفاء - زيادة بالغة إلى أن انتهت إلى عشرين ذراعا سواء وثبت إلى وقت انحطاطه ثباتا حسنا

وفي ثاني عشري ربيع الآخر دخل مينا الإسكندرية مركب من الفرنج ببضاعة فثار بينهم وبين بعض العتالين شر آل إلى القتال فأخذ الفرنج مركبا فيها عدة من المسلمين فبعث إليهم النائب غريمهم العتال فردوا ما أخذوه من المسلمين وانتقموا من العتال ثم وثبوا على مركب وصلت للمغاربة فأخذوها بما فيها فما نجا منها غير خمسة عشر رجلا سبحوا في الماء

ثم في سادس عشر جمادى الآخرة قدم صلاح الدين بن ناظر الخاص إلى الإسكندرية لتحصيل ما بها من المال فبينا هو في الخمس وبين يديه أعيان البلد إذ أسر شخص أن الفرنج الذين وصلوا في ثمانية مراكب قد عزموا أن يهجموا عليه ويأسروه فلم يكذب الخبر وقام مسرعا فتسارع الناس فسقط فانكسرت رجله وحمل إلى داره ثم أركب إلى النيل ثم ركب إلى أن وصل القاهرة منزعجا وهجم الفرنج عقب صنعه ذلك فكاثرهم أهل البلد حتى أغلقوا باب البحر فعاثوا فيمن هو خارج الباب من المسلمين فقتلوا منهم عشرين رجلا وأسروا جماعة تزيد عن السبعين وأخذوا ما ظفروا به وصعدوا مراكبهم ثم حاصروا البلد فتراموا بالسهام جميع الليل فأخذ كثير من المسلمين في الفرار من الإسكندرية وقام الصياح على فقد من أسر أو قتل فاتفق قدوم مركب من المغاربة ببضاعة فمال الفرنج عليهم فقاتلوهم فدافعوا عن أنفسهم حتى أخذوا عنوة وضربوا أعناقهم وأهل ال إسكندرية يرونهم من فوق الأسوار ما فيهم منعة ووصل ابن ناظر الخاص بعد أن خرج أبوه لما سمع الخبر وخرج صحبته جماعة من الجند ثم سار الشيخ أبو هريرة بن النقاش في أناس من المطوعة على نية الجهاد في سبيل الله فقدموا الإسكندرية فوجدوا الفرنج قد أخذوا ما أخذوا وساروا مقلعين في مراكبهم . وفات ما فات

وفيه نفى كزل العجمي إلى غزة ثم إلى صفد فسجن بالقلعة واستمر إلى أن أطلق في أيام الظاهر ططر في سنة أربع وعشرين

وفيها أحدث الوالي وهو خرز على النصارى واليهود برسم المماليك في المحمل في رجب المصادرة لهم على خمر كثير فتجوهوا في بعضه ببعض أهل الدولة فحقد ذلك عليهم ثم استأذن السلطان وركب وكبس سويقة صفية خارج القاهرة والكوم خارج مصر فأراق عدة جرار من الخمر وكتب على أكابرهم إشهادات بأمور اقترحها عليهم حتى كف عنهم

وفي ربيع الآخر نقل جانبك الصوفي من سجنه بالقاهرة بالقلعة إلى الإسكندرية

وفيه نزل العرب المعروفون بلبيد على ريف البحيرة في خمسمائة فارس سوى المشاة فأوقعوا بأهلها

وفيه قبض على ابن بشارة وهو محمد بن سيف بن عمر بن محمد ابن بشارة وكان قد زاد إفساده في طريق الشام وقطع الطريق فحمل إلى دمشق ." (١)

" تقدم في حوادث سنة سبع ما وقع من الوقعة بين المسلمين وبين الفرنج في ساحل اللمسون المتصل بجزيرة قبرس فلما رجعوا بالغنيمة والأسرى أمر الأشرف بتجهيز الأغربة والإستكثار منها فجد في ذلك وأرسل إلى طرابلس والإسكندرية ودمياط وبيروت وأمر بتركيز الجند في السواحل حفظا لها من عادية الفرنج فاتفق أن جابوش صاحب قبرس جهز غرابا وسلورة وشحنهما بالرجال والعدد وأمرهم بتتبع السواحل ونهب ما استطاعوا وإفساد ما قدروا عليه فلم يبلغوا من ذلك غرضا لحفظها بالجند فاتفق أنهم احتاجوا إلى الماء فانتهوا إلى مكان يقال نهر الكلب فلما رآهم الحرس كمنوا لهم فلما لم يروا أحدا دخلت السلورة النهر وهو ضيق فخرج عليهم الكمين فأحرقوها وأسروا من فيها ورجع من في الغراب إلى قبرس ولما تكاملت العمارة جهز الأشرف الجند وتوجه صحبتهم من **المطوعة** عدد كثير وركب إلى الساحل فعرض الجميع وسافروا إلى دمياط وكان جابوش - صاحب قبرس - جهز أميرا يقال له باله في تسعة أغربة فوقف على فوهة دمياط يمنع أغربة المسلمين من الدخول في البحر الملح فوقف هناك فصادف مجيء العمارة من الإسكندرية فقصدوهم فانهزموا منهم بغير قتال وسافر الجميع من فم دمياط إلى طرابلس فانضم إليهم المراكب المجهزة منها ومن بيروت واجتمع فيها من الأمراء والجند **والمطوعة** ومن العشير والزعر عدد كثير ثم راسل كبيرهم وهو جرباش الكريمي جابوش في الدخول في الطاعة فامتنع فسافروا إلى جهته فوصلوا إلى الماغوصة فطلع الخيالة وأكثر المشاة وضربوا خيامهم بالبر فحضر رسول صاحب الماغوصة ومعه ضيافة وقال إنه في الطاعة

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٣٦

فأعطوه أمانا وركبوا في الحال فداسوا من قدروا عليه وأوسعوهم تخريبا وتحريقا وكان ذلك في رمضان وأوقع الله الرعب في قلوب الذين كفروا حتى كان الثلاثة من المسلمين يدخلون الضيعة وفيها ما بين المائة والخمسين فلا يمتنع عليهم أحد ثم صادفهم أخو جابوش في ألف فارس وثلاث آلاف رجال غير الكمناء ثم إنه قذف في قلبه الرعب فرجع بمن معه ولما تمت لهم في الماغوصة أربعة أيام وقد أوسعوها نهبا وأسرا قصدوا الملاحة وأحرقوا ما مروا عليه إلى مكان يقال له رأس العجوز فوجدوا هناك أميرا فأسروا من معه وقتلوه ثم صادفوا تسعة أغربة وقرقورة مشحونة مقاتلة فلا قاهم المسلمون فانكسر للنصارى زورق وفر من فيه إلى البر فأسرهم المسلمون وكان من تدبير صاحب قبرس أنه أرسل أخاه في الجبال فأرسل المقاتلة في البحر فرجع أخوه بغير قتال وهزم الله أهل البحر ووصلوا إلى الملاحة وضربوا خيامهم بها وشنوا الغارة في الضياع وقتلوا الذي كان أميرا على الملاحة ويقال إنه كان شديدا على أسرى المسلمين وكان يقال له : عين الغزال وكان جابوش أمده بأربعة أحمال زرد خاناة على عجل فأحاط بها المسلمون ثم جمعوا الغنائم والأسرى ورجعوا إلى المراكب إلى أن وصلوا إلى اللمسون فحاصروا الحصن الذي هناك فأخذوه عنوة وملؤا أيديهم من الغنائم والأسرى وأحرقوا الحصن وكان ذلك في يوم الخميس مستهل شوال وجهز الأمير جرباش مبشرا بالفتح ويقال إن عدة من قتل في مدة نصف شهر من الفرنج خمسة آلاف ولم يقتل من المسلمين في هذه الغزاة إلا ثلاثة عشر نفسا وكان طلوعهم إلى القلعة بالأسرى والغنائم يوما مشهودا وكان في بقية شوال منها

وفي رجب قدم مقبل الحسني الذي كان أمير الينبع بخديعة من صديقه فحر الدين التوريزي التاجر فلم يزل به حتى قدم معه إلى القاهرة بعد أن توثق له بالأمان فأمر السلطان بحبسه غير مضيق عليه

وفي السابع والعشرين من شعبان زلزلت الأرض بمصر والقاهرة قدر درجتين وكان أمرا مهولا إلا أنه لم يقع بها هدم شئ من الأماكن إلا اليسير فنسأل الله العفو والعافية

وفي سابع عشرى ذي القعدة نودي على الفلوس بأن يكون كل رطل منها بإثني عشر درهما وكانت قد قلت جدا بحيث صار الشخص يشتري من الدرهم الفضة رغيفا فلا يجد الخباز ما يكمل به حقه من الفلوس وكان السبب في ذلك أنه اجتمع عند السلطان منها مقدار كثير فشاع بين الناس أنه ينادي عليها بزيادة في سعرها فأمسك أكثر الناس عن إخراجها ممن عنده شئ منها رجاء الربح فعزت بسبب ذلك فلما نودي سكنت نفوسهم وأخرجوها فكثرت في الأيدي ." (١)

---

(١) انباء الغمر، ص/٥٣٢

" وفي يوم الخميس ثامن عشر صفر كسر الخليج الحاكمي على العادة ونودي على النيل بالوفاء ستة عشر ذراعا وزيادة إصبعين ثم نودي عليه في صبيحة الجمعة بعشرة فصار على ستة عشر ذراعا ونصف ذراع وكان في مثل هذا اليوم من العام الماضي على ثلاثة عشر ذراعا وربع – وانحل سعر الغلال بعد أن كان ارتفع – ولله الحمد وزاد الماء في ثلاثة أيام متوالية بعد يوم الوفاء اثنين وثلاثين إصبعا وهو شيء لم يعهد قبل هذه السنة ثم زاد سبعة في اليوم الثالث من يوم الوفاء وستة في اليوم الرابع – فبلغت زيادته عن العام الماضي أربعة أذرع وتسعة أصابع وما سمع قط أن النيل في العاشر من مسري تكمل ثمانية عشر ذراعا ينقص إصبعا واحدا واستمرت المناداة بالزيادة إلى يوم الخميس الثاني من شهر ربيع الآخر فزاد أصابع من العشرين فاستراب أكثر الناس بذلك لأن الذين اعتادوا معرفة ذلك ممن له دار تطل على النيل لم يصل الماء عنده - إلى علامة العشرين فتوجه جماعته فشاهدوا المقياس فظهر لهم كذب القياس ثم اقتضى الرأي عدم التوسع في ذلك لئلا يضطرب العامة إذا تبين أن الزيادة دون ما ذكر فلا يؤمن أن يحدث من ذلك غلاء في السعر واستشعر القياس بذلك فصار ينادي كل يوم بإصبع مع أن الزيادة مستمرة بأكثر من ذلك وكان آخر يوم من مسري يوم الأحد ثاني عشر ربيع الأول انتهى إلى تسعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا

وفي ليلة السبت حادي عشر ربيع الأول حول الملك العزيز من القلعة إلى ساحل بولاق فأنزل في الحراقة الصغرى ومعه من يتوكل به إلى الإسكندرية فسجن بها على عادة من تقدمه كولد الملك الناصر فرج ثم ولد الملك المؤيد وعمل المولد السلطاني في يوم الأحد الثاني عشر منه وكان حافلا وفرع وقت العشاء سواء وخرج الناس والاسواق مفتحة والليلة مقمرة جدا – ولله الحمد . ونودي بالسفر إلى مكة في الرجبية . وعين عدة من المماليك للإقامة بمكة والمدينة أما مكة فلحفظ البضائع الواردة من الهند من عبيد مكة وسفهائها وأما المدينة فلقمع الرافضة الذين تسلطوا على أهل السنة بها

وفي هذا الشهر قبض على سراج الدين عمر بن موسى – الحمصي الذي كان قاضي طرابلس ثم دمشق وكان قد تسحب من دمشق بكلام بلغه عن السلطان من جهة انتمائه إلى أينال الجكمي فأقام بقرية من طرابلس فبلغ ذلك النائب فمسكه وأرسل وقيده بقيد ثقيل وسجنه وكاتب فيه فشفع فيه بعض الأمراء بالقاهرة فأذن في إطلاقه وتوجه القاصد بذلك وكان سفر الرجبية من القاهرة في . . وأميرهم وممن سافر معهم . . وكان أول توت أول السنة الشمسية يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الأول ابتدأ السلطان في الحكم بين الناس بالإسطبل على العادة ونودي بذلك فكان أول شيء أمر به أن ينفي عز الدين البساطي المالكي وناصر الدين الشنشي الحنفي وولده إلى قوصن ثم بلغني أنه شفع فيه ولم يتم ذلك للبساطي

واستمر الشنش . وأمر السلطان القضاة الأربعة – أن لا يحبس أحد من نوابهم أحدا إلا بعد مراجعة مستنيبه وكسر سد الأميرية وغيرها في هذا اليوم فنقص البحر نحو نصف ذراع بعد أن كان نودي عليه يوم الجمعة بإكمال العشرين ذراعا ثم زاد إلى سلخ تسعة أصابع وانتهت الزيادة يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الآخر إلى أحد عشر إصبعا من أحد وعشرين ذراعا والحق أنه لم يكمل العشرين وأن الافتراء من أمين البحر

وفيه وقع بين **المطوعة** في البحر من أهل دمياط وبين الفرنج وقعة بساحل صيدا قتل فيها كبيرهم المجاهد عبد الرحمن وأسر المسلمون بعد أن قتل منهم جماعة وأخذت لهم ثلاثة مراكب وأسف المسلمون على ذلك أسفا شديدا ." (١)

" محمد بن محمد بن محمد بدر الدين ين زين بن شمس الدين الدميري المالكي كان جده ناظر المارستان وولي الحسبة وكذا والده واستمر هو في مشارفته وكان مشكور السيرة كثير الحياء والتودد للناس مات في رمضان وكثر الثناء عليه ولم يبلغ الخمسين

محمد بن محمد بن بدير زوج أخت الذي قبله بدر الدين العباسي المعروف بالعجمي وكان رفيق الذي قبله بالمارستان مشكور السيرة أيضا محببا إلى الناس وكثر التأسف عليهما مات في شوال

سنة سبع وأربعين وثمانمائة

شهر الله – المحرم أوله الأربعاء بالرؤية في اليوم التاسع منه استقر سراج الدين عمر بن موسى الحمصي في قضاء الشافعية بطرابلس وأضيف إليه نظر الجيش بعد أن أقام بالقاهرة ثمانية اشهر وأزيد يسعى في قضاء الشافعية بدمشق فحضر الونائي قاضيها في الثالث والعشرين من ذي الحجة فحصل للحمصي ياس من قضاء دمشق فسعى في طرابلس إلى أن خلع عليه

وفي يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الأول عمل المولد السلطاني وكان مختصرا في كل أحواله بحيث أن عدد القراء انحط من ثلاثين إلى عشرة وكذلك الوعاظ وفرغ بين العشائين وتوجه الناس إلى منازلهم سالمين من عبث المماليك

وفي يوم الاثنين سابع عشر شهر – ربيع الأول توجه العسكر المجهز لقتال الفرنج برودس ومقدمهم تمرباي راس نوبة الكبير وإينال العلائي الدوادار الكبير ومعهم ألف وخمسمائة مقاتل ومعهم جمع كثير من **المطوعة** فتوجهوا إلى دمياط ليجتمع بها المراكب التي جهزت من الشامات وغيرها

---

(١) انباء الغمر، ص/٦٦٨

وفي هذا العشر من هذا الشهر توقف النيل بعد إن كانت الزيادة في العشر الأول ظاهرة ونودي في يوم منه بثلاثين إصبعا – والله المستعان فيما كان – فكانت مدة التوقف . . وفي ليلة الخميس . . وفي من شهر ربيع الآخر توجهت مراكب – العساكر إلى دمياط للغزو وكان ركوبهم في البحر في . . وساروا وقذفهم الريح إلى أن اجتمعوا في طرابلس . . وتوجهوا منها في . . فلما كان في السابع من جمادى الآخرة فتحوا بلدا في جزيرة في وسط البحر تسمى القشتيل – بفتح القاف وسكون المعجمة وكسر المثناة من فوق وسكون المثناة من تحت بعدها لام

وقد شرح لي صاحبنا العلامة إبراهيم بن عمر بن الحسن البقاعي الوقعة وأثبتها في هذا التعليق بخطه منذ توجهوا من دمياط إلى أن توجهوا إلى جهة الديار المصرية ليكون قصتها متوالية وهذا اوان سفر الجيش المنصور من داخل فم البحر الملح كان يوم الأحد رابع عشر شهر ربيع الآخر قاصدا اللمسون من جزيرة قبرس – جعلها الله دار إسلام إلى يوم الدين !

آمين ." (١)

"و لما قلد الشيخ أبو علي قضاء مرسية، وعزم عليه في توليه، ولم يوسعه عذرا في استعفائه مقدمه لذلك ومووليه؛ خرج منها إلى المرية، فأقام بها، سنة خمس وبعض سنة وخمس مائة. وفي سنة ست قبل قضاءها على كره، إلى أن استعفى آخر سنة سبع، في قصة يطول إيرادها. ولطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه فيها، فلما كانت وقعة كتندة، ويقال قتندة بالقاف، من خيز دورقة، من عمل سرقسطة، من الثغر الأعلى، وذلك سنة أربع عشرة وخمس مائة وكان الشيخ أبو هلي ممن حضرها هو وقرينه في الفضل أبو عبد الله بن الفرج، خرجا مع الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين غازيين، فكانا فيمن فقد فيها واختلف فيها أصحابه، فجعلها أبو جعفر بن الباذش بعد العصر، من يوم الأربعاء السابع عشر من ربيع الآخر، من السنة المذكورة، وتابعه أبو عبد الله بن عبد الرحيم؛ وجعلها القاضي أبو الفضل عياض بن موسى يوم الخميس، لست بقين منه. وقال أبو القاسم بن بشكوال: استشهد القاضي أبو علي في وقعة قتندة، بثغر الأندلس، يوم الخميس ووافق عياضا إلا في الشهر، فانه قال من ربيع الأول. قال ابن الأبار: وهو الأصح. وقال أبو عمرو والخضر بن عبد الرحمن: توفي في الكائنة على المسلمين بكتندة، عشي يوم الخميس، الثامن عشر من شهر ربيع الأول، فتابع ابن بشكوال على الشهر. قال أبو عبد الله بن الأبار: وقرأت بخط أبي عبد الله بن مدرك بن الغساني المالقي: استشهد الفقيه أبو علي رحمه الله تعالى في وقعة كتندة، يوم الخميس، التاسع من ربيع

---

(١) انباء الغمر، ص/٦٩٧

الأول، وذكر السنة. قال: وكنت على المسلمين، جبرهم الله تعالى قتل فيها من **المطوعة** نحو عشرين ألفا، ولم يقتل فيها من العسكر يعني الجند أحد، وحكي غيرهم أن العسكر انصرف مفلولا إلى بلنسية، في الموفى عشرين من ربيع الأول أيضا ، وأن القاضي أبا بكر بن العربي حضرها. قال: وسئل مخلصه منها عن حاله، فقال، حال من ترك الخبا والعبا. قال أبي بشكوال: وكان القاضي أبو علي يومئذ من ابناء الستين، وقد ذكره ابن بشكوال، وقال: وهو ممن كتب إلينا بإجازة ما رواه، ولم ألقه. وذكره ابن الأبار في معجم أصحابه، وقد ألف ابن الأبار هذا المعجم في أصحاب القاضي أبي علي ، كما ألف القاضي أبو الفضل عياض بن موسى نعجم شيوخه، رحمة الله عليهم أجمعين.

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى:

أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهلالي، يعرف بابن بقوى، ويقال ابن بقوة، من أهل غرناطة، وسكن المرية وسمع من شيوخ المرية، مثل طاهر ابن هشام الأزدي، وأبي محمد حجاج بن علي بن محمد الرعيني، المعروف بابن المأموني، وأبي القاسم خلف بن أحمد الجراوي، وأبي العباس أحمد بن عمر العذري، وغيرهم؛ ومن الطارئين عليها، مثل القاضي أبي الوليد الباجي، وأبي عبد الله محمد بن سعدون القروي. وكان جروجه من المرية بعد سنة اثنتين وتسعين وأربع مائة، وسكن غرناطة مدة، وولي الأحكام بعدة جهات من كورة ألبيرة. وكان من حفظ الحديث المعتنين بالتنقير عن معانيه، واستخراج الفقه منه، مع التقدم في حفظ مسائل الرأي، والبصر بعقد الوثائق، والتقدم في معرفة أصول الدين. روى عنه جماعة. وولد في صفر سنة أربع وأربعين وأربع مائة، وتوفي بغرناطة في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وخمس مائة؛ ذكره ابن بشكوال.

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله :

القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن سعيد بن عبد الله بن شبرين، بشين معجمة مكسورة، وباء موحدة ساكنة، وراء مكسورة، بعدها ياء، آخر الحروف، وآخره نون، الجذامي، من أهل مرجيق: حصن من حصون شلب، بينها أربعون ميلا من الغرب.

أخذ عن القاضي أبي الوليد الباجي كثيرا من مروياته وتآليفه، وصحبه واختص به، وكان من أهل العلم ، والمعرفة والفهم، عالما بالأصول والفروع، واستقصى بإشبيلية، وحمدت سيرته، ولم يزل يتولى القضاء بها، إلى أن توفي ليلة الأربعاء لثلاث خلون من رجب الفرد، سنة ثلاث وخمس مائة.." (١)

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/٢٨٧

"منية ومتكان من النساء في النسب والثروة والمروة، وأكثر آثار نيسابور منوطة بأبي منينة.
وكان حسينك تربية أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وجاره الادنى وفي حجره من حين ولد إلى أن توفي الامام أبو بكر، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان الامام إذا تخلف عن مجالس السلاطين بعث بالحسين نائبا عنه، وكان يقدمه على جميع أولاده ويقرأ له وحده ما لا يقرؤه لغيره، سمع بنيسابور أبا بكر بن خزيمة وأبا العباس السراج، وببغداد عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثقفي وأبا القاسم عبد الله بن محمد البغوي، وبالكوفة عبد الله بن زيدان البجلي ومحمد بن الحسين الخثعمي، وطبقتهم، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وأبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني وأبو عثمان سعيد بن محمد (١) وجماعة آخرهم أبو سعد محمد بن عبد الرحمن الكنجروذي، ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ في تاريخ نيسابور، وقال: حسينك التميمي، كان يحكي الامام أبا بكر بن خزيمة في وضوئه وصلاته فإني ما رأيت من الاغنياء أحسن طهارة وصلاة منه، ولقد صحبته قريبا من ثلاثين سنة في الحضر والسفر وفي الحر والبر (٢) وما رأيته ترك صلاة الليل، وكان يقرأ كل ليلة سبعا من القرآن ولا يفوته ذلك، وكانت صدقاته دائمة في السر والعلانية فيعيش بمعروفه جماعة من أهل العلم والستر، ولما وقع الاستنفار لطرسوس دخلت عليه وهو يبكي ويقول: قد دخل الطاغي ثغر المسلمين طرسوس وليس في الخزانة ذهب ولا فضة، ثم باع ضيعتين نفيستين من أجل ضياعه بخمسين ألف درهم وأخرج عشرة من الغزاة **المطوعة** الا جلاد بدلا عن نفسه، وما أعلم أنه خلا رباط فراوة قط عن بديل له بها فارس شهم للنيابة عن نفسه.
ولد أبو أحمد التميمي
سنة ثمان وثمانين ومائتين، وتوفي صبيحة يوم الاحد الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، وأوصي أن يغسله أبو الحسن الفقيه الحاتمي ويصلي عليه أبو أحمد الحافظ وأن يلحد له لحدا وينصب عليه اللبن نصبا، وأن لا يبني فوق قبره.
وأبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسن بن بندار بن المثني التميمي الاستراباذي العنبري من أهل إستراباذ، قيل هو كذاب يروى عن أبيه، وأبوه أبو الحسن من الكذابين أيضا، له رحلة إلى الشام والعراق والحجاز، ويروي عن شيوخ كثيرة مثل أبي عبد الله محمد بن إسحاق الرملي وابن كرمون الانطاكي، روى عنه ابنه أبو سعد وأبو حاجب محمد بن إسماعيل بن كثير الاستراباذي وهو آخر من روى عنه فيما أظن، قال أبو محمد عبد العزيز بن محمد النخشبي:

---

(١) في م وس " سعيد بن عثمان البحري " كذا والصواب إن شاء الله " سعيد بن عثمان البحيري " أنظر التعليق على الاكمال ١ / ٤٦٥.

(٢) مثله في تاريخ بغداد وهو المناسب للحال ووقع في م وس " البحر والبر ".

(*)." (١)

"باب الخاء والباء الخباز: بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة المشددة وفي آخرها الزاي، هذه النسبة إلى الخبز وخبزه وبيعه، واشتهر بها جماعة كثيرة منهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن يزداذ المذكر المطوعي الخباز الرازي من أهل الري أما أبوه أبو بكر بن يزداذ الخباز فمن أهل الري، سكن بخارا، وحدث بها، وسمع منه جماعة.

وأبو إسحاق سمع عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ومحمد بن قارن ومحمد بن إبراهيم بن ناصح الدامغاني، وله رحلة إلى البلاد النائية، سمع منه الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وأبو سعد عبد الرحمن بن محمد الاستر اباذي وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الغنجار الحافظ البخاري.

وذكره الحاكم أبو عبد الله في التاريخ وقال: أبو إسحاق الخباز، قدم علينا نيسابور في عسكر **المطوعة** الخارجين إلى طرسوس، وأميرهم عبد الله بن الاشكم الخوارزمي، وكان أبو إسحاق فقيهم وواعظهم فانتخبت عليه وكتبت عنه بنيسابور وهو شاب (١).

الخباشي: بضم الخاء المعجمة (والباء الموحدة بعدها الالف وفي آخرها الشين المعجمة) (٢)، هذه النسبة إلى خباشة وقد قيل بالسين المهملة وهو شريك بن خباشة الخباشي، روى عنه إبراهيم بن أبي عبلة.

الخباط: بفتح الخاء المعجمة وتشديد الباء المنقوطة بواحدة وفي آخرها الطاء المهملة، هذه النسبة إلى بيع الخبط وهو ما يخبط من الشجر من الاوراق، وهذه من عادات العرب فإنهم يضربون بعصيهم أغصان أشجار السدر حتى يتساقط منها الورق فيلفونها جمالهم، وكنت كثيرا ما أسمع الاعراب ينادون في البادية إذا نزلت الحجيج: يا شاري الخبط، والمشهور بهذه النسبة عيسى بن أبي عيسى الخباط من أهل الكوفة يروي عن الشعبي ونافع.

قرأت في كتاب المضافات لابي كامل البصيري: سمعت أبا الحسن علي بن أبي نعيم الجرجاني الزاهد يقول: سمعت أبا سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي الاديب يقول

---

(١) الأنساب للسمعاني، ١/٤٨٠

(١) (الخبازي) استدركه الباب قال " بفتح الخاء وتشديد الباء الموحدة وبعد الالف زاي، هذه النسبة إلى الخبز عمله أو بيعه عرف بها جماعة، منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن الخبازي المقري النيسابوري، روى عن أبي الهيثم الكشميهني وغيره، روى عنه زاهر الشحامي وغيره، توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة ".
(٢) من اللباب ونحوه في نسخ أخرى.
(*)." (١)

"الحلال والحرام.

الغازي: بفتح الغين المعجمة وكسر الزاي، هذه النسبة إلى الغزو والجهاد مع الكفار.

والمشهور (بهذه النسبة) أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن شعيب الطبري الغازي من أهل طبرستان (١) يروي عن عمرو بن علي، روى عنه الحاكم أبو أحمد الحافظ وأبو سعيد الخليل بن أحمد السجزي، وأبو عمرو بن حمدان، وأبوه إبراهيم.

حدث عن قبيصة بن عقبة، روى عنه ابنه.

وقد ذكرته في الغزاء.

وإلياس بن محمد بن إلياس التجيبي الغازي.

وأحمد بن توبة الغازي المطوعي من الزهاد وسنذكره في (الميم) المطوعي.

وأبو الحسين أحمد بن محمد بن يحيى النيسابوري الغازي سمع محمد بن يحيى الذهلي وعبد الرحمن بن بشر بن الحكم وأحمد بن يوسف وأقرانهم، حدث عنه علي بن عيسى وأبو سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان.

وأبو حامد أحمد بن محمد الرفاء (الغازي) النيسابوري سمع الذهلي ومحمد بن زيد السلمي.

وأبو محمد جعفر بن أحمد بن عمر الغازي النيسابوري يعرف بجعفرك سمع أبا الازهر وأحمد بن يوسف السلمي ومحمد بن يزيد والنضر بن سلمة بن عروة، روى عنه أبو سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان.

وأبو بكر محمد بن عبد الله بن حمشاذ (العدل) الغازي من أهل نيسابور سمع أحمد بن سلمة وأبا عبد الله

البوشنجي وأبا بكر أحمد بن إبراهيم الاسماعيلي، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وذكره في التاريخ

---

(١) الأنساب للسمعاني، ٣١٦/٢

وقال: أبو بكر الغازي جار الجامع وكان من المطوعة (٢) وأولاد المطوعة ومن الصالحين وبقية مشايخ القراءة وتوفي في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فغسله أبو عمرو بن مطر، ودفن في مقبرة سليمان بن مطر.

وأبو الليث محمد بن عبد الوهاب بن الغاز الامام الغازي الصيداوي (٣) من ولد هشام بن الغاز من أهل صيدا يروي عن يحيى بن عبد الرحمن.

روى عنه أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الغساني في معجم شيوخه.

وشيخنا أبو نصر أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الغازي (الحافظ أصبهاني جليل القدر [

هامش...(١) طبرستان: بلاد واسعة تقع جنوب بحر الخزر، وهي اليوم إحدى مدن إيران.

وانظر معجم البلدان وبلدان الخلافة الشرقية، ٤٠٩.

(٢) المطوعة: جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور وقصدوا جهاد العدو في بلاده إذا قصد العدو بلاد الاسلام وانظر الانساب ٨٣٤، واللباب ٣ / ٢٦٦، ولب اللباب ٢٤٧.

(٣) في ك: " الصيداني " وهو أحد الوجهين الجائزين في النسبة إلى صيدا.

أو أن الصيداني نسبة إلى صيدا والصيداوي نسبة إلى صيد.

وهو عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وانظر الانساب ٨ / ١٢١ ١١٦ واللباب ٢ / ٢٥٣]٠٠" (١)

"العين (المهملة)، هذه النسبة إلى المطوعة، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو والجهاد ورابطوا في الثغور وتطوعوا بالغزو فقصدوا الغزو في بلاد الكفر لا إذا وجب عليهم وحضر إلى بلادهم، والمشهور بهذه النسبة: أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل بن يزيد المطوعي المروزي، (من اهل مرو) ويروي عن أبي داود السنجي وأبي الموجه محمد بن عمرو الفزاري ومحمود بن آدم المروزي.

روى عنه أبو الحسن الدار قطني وأبو عمر بن حيويه الخزاز وأبو علي الحافظ النيسابوري وأبو إسحاق المزكي وغيرهم.

وتوفي سنة تسع وعشرين وثلاث مئة.

وأحمد بن توبة الغازي المطوعي السلمي الزاهد، من أهل مرو أيضا، وهو أحد الزهاد ويروي عن ابن المبارك إلا أنه لم يتهدف للحديث، وكان يقال إنه مستجاب الدعوة فتح استيجاب في أربعين رجلا وبها أولادهم

---

(١) الأنساب للسمعاني، ٢٧٥/٤

يعرفون بأولاد الاربعين يشار إليهم.
وقال غنجار صاحب تاريخ بخارى: سكن بيكند (١)، ومات بها يروي عن ابن المبارك وإبراهيم بن المغيرة وابن عيينة وحرملة بن عبد العزيز بن سبرة.
روى عنه إسحاق بن منصور وعبد الله بن أحمد بن شبويه ويحيى بن المثنى.
ذكره ابن ماكولا.
وأبو بكر محمد بن خالد بن الحسن بن خالد المطوعي البخاري المعروف ابن أبي الهيثم، من مشايخ بخارى، وأولاد المشايخ، وكان حسن الحديث، سمع ببخارى مسيح بن محمد وأبا عبد الرحمن بن أبي الليث، وبمرو عبد الله بن محمود السعدي، وبنيسابور أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وأبا العباس الثقفي السراج، وبالري أبا العباس الجمال، وببغداد أبا بكر بن الباغندي وطبقتهم.
حدث ببلاده وبخراسان.
سمع منه الحاكم أبو عبد الله (محمد بن عبد الله) الحافظ، وقال: قدم علينا نيسابور حاجا سنة تسع وأربعين وكتبنا عنه، ثم انتقيت عليه ببخارى سنين، وجاءنا نعيه سنة اثنتين وستين وثلاث مئة.
وأبو جعفر بن أبي تمام أحمد بن القاسم بن الهياج بن سليمان المطوعي السمرقندي: يروي عن عبد الله بن حماد الآملي ومحمد بن عيسى بن يزيد الطرسوسي وغيرهما.
حدث ببخارى في سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة.
المطهري: بضم الميم، وفتح الطاء المهملة، وفتح الهاء المشددة، وفي آخرها

---

(١) بيكند: بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى (معجم البلدان).
[*]." (١)

"عندما انتقلت الخلافة إلى بني أمية أصبحت دمشق مقر الخلافة ومركز القيادة العليا للإدارة العسكرية، فكان الخليفة بها هو الذي يقرر السياسة الحربية كما كان مسئولا عن الحرب والسلم فكان التنظيم الإداري العام للجيش أمرا من الأمور المركزية التي يشرف الخليفة مباشرة عليها(١)، وذلك بالرغم من وجود عمال الولايات والأقاليم الذين كان لهم مطلق السلطات والتي منها قيادة الجيوش بأنفسهم أو تعيين القادة المناسبين من قبلهم ووضع الخطط لهم وإمدادهم وتموينهم ومن أمثلة هؤلاء زياد بن أبيه وابنه

---

(١) الأنساب للسمعاني، ٣٢٧/٥

عبيد الله(٢)، فمن مركزية القيادة لإدارة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في تعيين القادة أنه كتب إلى واليه بالبصرة زياد بن أبيه يأمره أن يوجه إلى خراسان رجلا يقوم بأمرها فولى زياد الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه، وكتب له عهده على خراسان وولاه حربها، وخراجها وسار إليها بمن يريد الجهاد في سبيل الله، من **المتطوعة** من أهل البصرة، إضافة إلى الجند النظامي أصحاب الديوان، فوضع لهم الأرزاق، وأعطاهم وقواهم وسار لما أمر به(٣). ومن مركزية القيادة العليا في إدارة معاوية العسكرية تسيير الجيوش والإمدادات العسكرية لها، فنرى القائد، علقمة بن يزيد الغطيفي كتب إليه قائلا: إنك خلفتني بالإسكندرية وليس معي إلا اثنا عشر ألفا ما يكاد بعضنا يرى بعض من القلة فكتب إليه الخليفة معاوية: إني قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة الآف من أهل المدينة، وأمرت معن بن يزيد السلمي أن يكون بالرملة في أربعة الآف مسكين بأعنة خيولهم متى يبلغهم عنك فزع يعبروا إليك(٤).

سابعا: الألوية والرايات:

---

(١) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/٣١٤) .

(٢) المصدر نفسه (١/٣١٤) .

(٣) الفتوح لابن أعثم (٢/٣١٨) .

(٤) فتوح مصر ص١٩٢، الخطط للمقريزي (١/٢٦٨) .." (١)

"٣ . سجستان: ولى الخليفة عبد الملك: أمية بن عبد الملك بن خالد بن أسيد بن أبي العيص فوجه هذا ابنه عبد الله فصالحه رتبيل القائم على ثلاثمائة ألف درهم، ولما بلغ الخليفة ذلك عزله، ثم ولى الحجاج عام ٧٨هـ عبيد الله بن أبي بكرة فلبث سنة بلا غزو، وفي السنة التالية تحرك لمناجزة رتبيل الذي كان مصالحا، ولكنه يؤدي الخراج حينا ويمنع حينا آخر، فقام عبيد الله بن أبي بكرة عام ٧٩هـ، ومضى إليه غازيا حتى دخل بلاده، فأصاب منها الغنائم وهدم الحصون وغلب على أرض من أرضيهم وهرب أتباع رتبيل من الترك أمام جحافل المسلمين، حتى اقتربوا من عاصمتهم كابل، فأخذ الترك على المسلمين الشعاب والمسالك، فسقط في أيديهم المسلمين حتى شعر الجنود المسلمين بالضيق والهلاك، مما دفع عبيد الله بن أبي بكرة إلى مصالحة رتبيل ليمكن المسلمين الخروج من أرض الترك سالمين(١)، وكان بين المقاتلين أحد الزهاد ممن يعشق الجهاد، ويعرف باسم شريح بن هانيء، فقام شريح ودعا الجنود إلى الاستمرار في

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح و التجديد، ١١٢/٢

القتال لطلب الشهادة ومما جاء في دعوته: يا أهل الإسلام، من أراد منكم الشهادة فإلي: فاتبعه أناس من **المتطوعة** وفرسان الناس، وأهل الحفاظ فقاتلوا الترك حتى أصيبوا إلا قليلا، وعادوا من بلاد رتبيل فاستقبلهم الناس بالأطعمة، فكان أحدهم إذا أكل وشبع مات، وبذلك لم تحقق هذه الغزوة أهدافها العسكرية مما دفع الحجاج إلى استئذان الخليفة عبد الملك بإرسال جيش جديد(٢)، يعيد للدولة هيبتها ومكانتها(٣)، فأعد الحجاج في عام ٨٠هـ جيشا قويا من أهل الكوفة بلغ عدد عسكره أربعين ألفا، عشرون ألفا من الكوفة ومثلهم من البصرة وتشجيعا للجنود ورفعا لروحهم المعنوية أعطاهم أعطياتهم مسبقة، وأنفق فيها الأموال، وأنجدهم بالخيل والسلاح، حتى سمي هذا الجيش ((جيش الطواويس)) فقد

(١) تاريخ الطبري (٢١٩/٧) .

(٢) المصدر نفسه (٢٢٣/٧) .

(٣) المصدر نفسه (٢٢٤/٧) تجديد الدولة الأموية صـ١٦٩ .." [١]

"المنصور سيف الدين قلاون الصالحي المذكور في ترجمة القاضي مجلي في أوائل هذا الحرف، فاحسن السلطان إليهما، وجعل الملك خضرا وأخاه سلامش أميرين، وأقطعهما الإقطاعات الجيدة، وأسكنهما بقلعة الجبل المنصور، واستمر الأمر على ذلك، وهما مختلطان به في جملة من أهله ملازمان للركوب مع ولديه السلطان الملك الصالح علاء الدين والملك الأشرف صلاح الدين خليل.

" ولم يزل الأمر كذلك إلى شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة، فجرى من الأمر ما اقتضى الحال معه القبض على الأميرين نجم الدين خضر وبدر الدين سلامش المذكورين واعتقالهما بقلعة الجبل المنصورة وأما الملك الصالح بن الملك المنصور المذكور، فإنه كان ولي عهد أبيه، وكان حازما شديد الرأي. وتوفي في حياة والده في شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة، ثم إن والده جعل ولاية العهد إلى ولده الملك الأشرف المذكور، وقلده الملك في شهر شوال سنة سبع وثمانين المذكورة وهو من الملوك المشهورين بعلو الهمة والسعادة والحزم.

وتوفي الملك المنصور قلاون في يوم السبت من شهر ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة في دهليزه بمسجد التين. وكان قد خرج على نية الغزاة إلى عكا، فعرض له مرض، فقضى به نحبه وعادت العساكر إلى مستقرها.

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد، ١٦٦/٣

واستقل ولده السلطان الملك الأشرف بالمملكة يجمع المعاقل والبلاد، ولم ير في الملوك أكثر سعادة منه، ولا أعلى همة ولا أكرم نفسا ولا أكثر وفاء لمن خدمه ولاذ به.

وفي أيام الملك المنصور فتحت طرابلس الشام يوم الثلاثاء تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة، وكان نازلها بنفسه وعساكره، وفتحها قهرا بالسيف، واستولى القتل والأسر والنهب على أهلها، وملك ما جاورها من قلعة جبيل والبترون وغير ذلك، ثم إن الملك الأشرف المذكور بعد استقلاله بالملك بمدة يسيرة خرج بنفسه وجمع عساكره وتوجه إلى عكا، فنازلها في يوم، وكان خروجه من مصر في يوم، واجتمع على عكا جميع الناس: الجند **والمتطوعة** وغيرهم وسائر البلاد، ويسر الله فتحها في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى سنة تسعين وستمائة، في مثل الساعة من اليوم من الشهر الذي أخذت فيه من السلمين، إلا أن الشهر كان الأولى، وأخذت من المسلمين في أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب في الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة، وأن." (١)

"٨٢٨ - (١)

يعقوب الصفار

أبو يوسف يعقوب بن الليث الصفار الخارجي؛ وقد أكثر أهل التاريخ من ذكر هذا الرجل وذكر أخيه عمرو وما ملكا من البلاد وقتلا من العباد، وما جرى للخلفاء معهما من الوقائع، وقد اخترت من ذلك ما أودعته في هذه الأوراق فأقول:

قال أبو عبد الله بن محمد الأزهر الأخباري: حدثني علي بن محمد، وكان عالما بأمور يعقوب بن الليث الصفار ومحاربته، وأول أمره أنه وأخاه عمرا كانا صفارين في حداثتهما، وكانا يظهران الزهد، وأن رجلا من أهل سجستان كان مشهورا بالتطوع (٢) في قتال الخوارج، يقال له صالح بن النضر الكناني المطوعي (٣) من أهل بست، فصحباه وحظيا به، فقتلت الخوارج الذين يقال لهم الشراة أخا يعقوب المذكور، وأقام صالح المذكور يعقوب المذكور مقام الخليفة، ثم هلك صالح فتولى مكانه درهم بن الحسين (٤) من **المطوعة** أيضا، فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح. ثم إن صاحب خراسان احتال لدرهم حتى ظفر به، فحمل إلى بغداد فحبس بها ثم أطلق وخدم السلطان، ثم لزم بيته يظهر النسك والحج والاقتصاد، حتى غلظ أمر يعقوب.

وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير في

---

(١) وفيات الأعيان، ٨٨/٥

(١) هذه الترجمة لم ترد في القسم الموجود من المسودة ولم ترد في النسخ س بر من. ووردت في ر بعد ترجمة يعقوب بن داود، وهي كاملة في ق ع. ومنها في المختار مقتطفات؛ وأخبار يعقوب الصفار في الكتب التاريخية أمثال الطبري وابن الأثير والمسعودي وابن خلدون والنجوم الزاهرة ٣: ٤٠ ومرآة الجنان ٢: ١٨٠ وصورة الأرض: ٣٥٣.

(٢) زاد في ع: والزهد.

(٣) ع: المتطوعي، وكذلك ترد " **المتطوعة** " أيضا في النسخ، وأحيانا " **المطوعة** " في ر.

(٤) وردت " الحسن " في ابن الأثير والنسخة ر ومواضع من ق ع.." [1]

"تاريخه (١) في سنة سبع وثلاثين ومائتين ابتداء أمر يعقوب المذكور، فقال: في هذه السنة تغلب إنسان من أهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب بن الليث، فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، أمير خراسان، واستنقذها منه، ثم ظهر بها إنسان اسمه درهم بن الحسين من **المطوعة** فغلب عليها، وكان غير ضابط لأمور عسكره، وكان يعقوب بن الليث قائد عسكره، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث، وملكوه أمرهم، لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمرهم، فلما تبين ذلك له لم ينازعه في الأمر وسلمه إليه، واعتزل عنه، فاستبد يعقوب بالمر وضبط البلاد وقويت شوكته، وقصدته العساكر من كل ناحية، فصار من أمره ما سنذكره.

رجعنا إلى تمام ما ذكره علي بن محمد بن أحمد (٢) :

قال: فلما دخل درهم بن الحسين بغداد تولى يعقوب أمر **المطوعة**، وحارب الخوارج الشراة فرزق الظفر بهم حتى أفناهم وأخرب ضياعهم، وأطاعه أصحابه بمكره ودهائه طاعة لم يطيعوها أحدا كان قبله. ثم اشتدت شوكته وزادت صولته (٣) ، فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها. وكان الترك بتخوم سجستان وملكهم رتبيل، ويسمى هذا القبيل من الترك الدراري، فحرضه أهل سجستان على قتالهم، وأعلموه أنهم أضر من الشراة الخوارج وأوجب محاربة، فغزا الترك فقتل رتبيل ملكهم، وقتل ثلاثة من ملوكهم بعد رتبيل، ويسمى كل ملك لهم رتبيل، وانصرف يعقوب إلى سجستان، وقد حمل رؤوسهم مع رؤوس ألوف منهم، فرهبته الملوك الذين حوله، منهم ملك المولتان وملك

---

(١) وفيات الأعيان، ٦/٤٠٢

(١) ابن الأثير ٧: ٦٤.

(٢) ابن أحمد: سقطت من ق.

(٣) ع ق: ثم اشتدت صوله." [١]

"وقالت كسرى بكسر الكاف وهذا خطأ، إنما هو كسرى، والدليل على ذلك أنا وإياكم لا نختلف في النسب إلى كسرى، يقال كسروي بفتح الكاف، وليس هذا مما يغير بالنسب لبعده منها، ألاترى أنك لو نسبت إلى معزى لقلت معزوي، وإلى درهم قلت درهمي ولا يقال معزوي ولا درهمي، وقلت: وعدت الرجل خيرا وشرا، فإذا لم تذكر الشر قلت أوعدته بكذا، نقضا لما أصلت، لأنك قلت بكذا، وقولك بكذا كناية عن الشر، والصواب أن تقول إذا لم تذكر الشر قلت أوعدته، وقلت: وهم **المطوعة**، وإنما هم **المطوعة**، بتشديد الطاء كما قال الله تعالى: " يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات " فقال ما قلت إلا **المطوعة**، فقلت: هكذا قرأته عليك، وقرأه غيري وأنا حاضر أسمع مرارا. وقلت هو لرشدة وزنية، كما هو لغية، والباب فيها واحد، لأنه إنما يريد المرة الواحدة، ومصادر الثلاثي إذا أردت المرة الواحدة لم تختلف، تقول ضربته ضربة، وجلست جلسة وركبت ركبة، لا اختلاف في ذلك بين أحد من النحويين، وإنما تكسر من ذلك ما كان هيئة حال، فتصفها بالحسن والقبح وغيرهما، فتقول: هو حسن الجلسة والسيرة والركبة، وليس هذا من ذلك. وقلت: أسنمة للبلدة، ورواه الأصمعي بضم الهمزة أسنمة، فقال: ما روى ابن الأعرابي وأصحابنا إلا أسنمة، فقلت قد علمت أنت أن الأصمعي أضبط لما يحكى، وأوثق فيما يروى، وقلت: إذا عز أخوك فهن، والكلام فهن، وهو من هان يهين إذا لان، ومنه قيل هين لين، لأن هن من هان يهون من الهوان، والعرب لا تأمر بذلك، ولا معنى لهذا الكلام يصح لو قالته العرب، ومعنى عز ليس من العزة التي هي المنعة والقدرة، وإنما هو من قولك عز الشيء إذا اشتد، ومعنى الكلام: إذا صعب أخوك واشتد فذل من الذل له، ولا معنى للذل ههنا، كما تقول إذا صعب أخوك فلن له، قال فما قرئ عليه كتاب الفصيح بعد ذلك علمي، ثم بلغني أنه سئم ذلك، فأنكر كتاب الفصيح أن يكون له.

قال المؤلف: وهذه المآخذ التي أخذها الزجاج على ثعلب لم يسلم إليه العلماء باللغة فيها، وقد ألفوا تآليف في الانتصار لثعلب يضيق هذا المختصر عن ذكرها.

وحدث الزجاج قال: أنشدنا أبو العباس المبرد:

في انقباض وحشمة فإذا ... رأيت أهل الوفاء والكرم

---

(١) وفيات الأعيان، ٦/٤٠٣

أرسلت نفسي على سجيتها ... وجئت ما جئت غير محتشم

قال عبيد الله الفقير: وهذان البيتان يرويان لمحمد بن كناسة، وقد رواهما آخرون لأبي نواس، قال الزجاج: فقلت له: أليس يقول الأصمعي الحشمة الغضب؟ والحشمة الاستحياء، لأن الغضب والاستحياء جميعا نقصان في النفس، وانحطاط عن الكمال، فلذلك كان مخرجهما واحدا، قال: فقلت له: أليس الحياء محمودا، والغضب مذموما؟؟ وقد روي أن الحياء شعبة من الإيمان، وقد قيل: إذا لم تستح فافعل ما تشاء، فقال: الحياء محمود في الدين، وفي اجتناب المحارم، وفي الإفضال، وأما في ترك الحقوق، والنكوص عن الخصوم عند الحجاج، فهو نقصان في النفس.

قال أبو العباس: وسمعت المازني يقول: معنى قولهم إذا لم تستح فاصنع ما شئت أي إذا صنعت ما لا تستحي من مثله فاصنع ما شئت، وليس على ما يذهب إليه العوام، وهذا تأويل حسن.." (١)

"وكان المتطوعون ينتمون إلى مختلف الفئات الاجتماعية من المسلمين، من أبناء القبائل والقرويين وأهل المدن، من الفقراء والأغنياء، لاسيما من الفقهاء والصوفية (١) . يقول : إن نور الدين محمود أمر بالنداء : في الغزاة والمجاهدين والأحداث المتطوعة من فتيان البلدان والغرباء بالتأهب والاستعداد لمجابهة الفرنج أولي الشرك والإلحاد (٢) . وكان لفظ الأحداث يستخدم للدلالة على المتطوعين، ثم اختفى اللفظ لتحل محله كلمة المتطوعين، والكلمتان تدلان على أن أفراد تلك الجماعتين لم يكونوا قوة نظامية، بل كانوا من المتطوعين (٣) وفي المساجد كان الخطباء يحثون الناس على التطوع في الجيش الإسلامي فإذا ما نزل الخطباء من على منابرهم ردد المصلون الهتافات والدعوات، مقبلين زرافات ووحدانا، من جميع الجهات إلى معسكر الجيش وكان صلاح الدين يوكل إلى المتطوعين أحيانا أمر قتل الأسرى بأيديهم لاسيما من المرتدين، أو الرماة الصليبيين، كما حصل في بيت الأحزان ٥٧٥هـ/١١٧٩م (٤).

---

(١) الجيش الأيوبي ص ١٦٠.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ص ٣٤٠ الجيش الأيوبي ص ١٦٠.

(٣) سنا البرق الشامي (٣٣٦/١) الجيش الأيوبي ص ١٦١.

(٤) الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ص ١٦١.." (٢)

---

(١) معجم الأدباء، ١٦/١

(٢) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ٤٩/٢

"وإثر انتصار حطين طلب صلاح الدين من **المتطوعة** المتودعة والمتصوفة، أن يقتل كل واحد منهم أحد الأسرى المنتمين إلى الفرقتين الصليبيتين الداوية والاسبتارية (١) ، بل إن **المتطوعة** قاموا بعمل مجيد يوم حطين وأسهموا في إحراز النصر بسرعة على الصليبيين، حين اندفعوا ليضرموا النار في الحشيش اليابس المحيط بالصليبيين، فتأجج عليهم استعارها وتوهج نار الضرام (٢) . وكانت الريح على الفرنج فحملت حر النار والدخان إليهم فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان، وحر القتال على حد تعبير ابن الأثير (٣) ؟

سابعا: الفرق الملحقة بالجيش:

---

(١) كتاب الروضتين نقلا عن الجيش الأيوبي ص ١٦٢.

(٢) الكامل في التاريخ نقلا عن الجيش الأيوبي ص ١٦٢.

(٣) الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ص ١٦٣.." (١)

"١- بداية الهجوم الإسلامي: وبدأ الهجوم الإسلامي على الصليبيين فاستمات المسلمون في القتال وشددوا هجماتهم على الأعداء مدركين: أن من ورائهم الأردن، ومن بين أيديهم بلاد الروم، وأنهم لا ينجيهم إلا الله (١) . وأمام ذلك الهجوم الإسلامي الرهيب، أدرك الصليبيون أن نهايتهم قد حانت، وأنه لا ينجيهم من صلاح الدين سوى الفرار أو الاستسلام، ولم يستطع النجاة سوى ريموند أمير طرابلس الذي رأى عجز الصليبيين عن مقاومة الجيش الإسلامي، فاتفق مع جماعة من أصحابه وحملوا على من يليهم من المسلمين، ففتح المسلمون لهم طريقا يخرجون منه، وبعد خروجهم التأم الصف مرة أخرى (٢) . ويبدوا أن خروج ريموند تم بموافقة صلاح الدين، الذي أصدر أوامره إلى ابن أخيه تقي الدين عمر، مقدم تلك الناحية التي حمل عليها ريموند، وقصد صلاح الدين بذلك إدخال الضعف واليأس في نفوس الصليبيين عندما يعلمون بهروب ريموند وجموعه. كما لا يستبعد أن يكون ذلك الأمر قد تم باتفاق بين ريموند وصلاح الدين، بدليل أن بعض الصليبيين عندما تعرضوا لذلك الهجوم الشامل من المسلمين، القوا أسلحتهم، وجاءوا إلى معسكر المسلمين مستسلمين (٣)، ومما زاد الطين بلة، أنه في الوقت الذي تخلى فيه ريموند عن أبناء ملته، كان بعض **المتطوعة** المسلمين قد اشعلوا النيران في الأعشاب والأشواك اليابسة التي تكسو تلك المنطقة، وكانت الريح تهب بإتجاه الصليبيين، فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار، والدخان، وحر

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ٢/٥٠.

القتال. الأمر الذي اضطر معه الصليبيون إلى التراجع إلى أعلى الجبل، وأرادوا أن ينصبوا خيامهم ويحموا نفوسهم به، فاشتد عليهم القتال من سائر الجهات، ومنعوا عما أرادوا ولم يتمكنوا من نصب خيمة واحدة سوى خيمة الملك (٤) .

(١) النوادر السلطانية ص ١٨٦.

(٢) الكامل في التاريخ (٥٣٥/١١).

(٣) مفرج الكروب (١٩/٢) صلاح الدين والصليبيون ص ١٨٦.

(٤) الكامل في التاريخ (٥٣٥،٥٣٦/١١) صلاح الدين والصليبيون ص ١٨٧.." (١)

"٣٥٥ (وليس يخلو امرؤ من حاسد إضم * لولا التنافس في الدنيا لما اضما) (والغبن في العلم أشجى محنة علمت * وأبرح الناس شجوا عالم هضما) انتهى كلام ابن هشام وقال شارحه الشمني ويقال إن هذه الواقعة كانت سبب علة سيبويه التي مات بها انتهى حتى أن الناس لا تعرف غيره وربما تشير إليه أبيات حازم المتقدمة والله أعلم سنة اثنتين وستين ومائة فيها أمر المهدي أن يجري على المجذمين وأهل السجون في سائر الآفاق وفيها احتفل لغزو الروم وسار لحربهم الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفا سوى المطوعة فأغار وحرق وسبى ولم يلق بأسا وفيها ظهرت المحمرة ورأسهم عبد القهار واستولوا على جرجان وقتلوا خلائق فقصده عمر بن العلاء من طبرستان فقتل عبد القهار وخلق من أصحابه وفيها توفي السيد الجليل والزاهد النبيل أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم البلخي الزاهد بالشام روى تعن منصور ومالك بن دينار وطائفة قال في العبر وثقه النسائي وغيره وكان أحد السادات انتهى قلت في كلام العبر ما يشعر بأن هناك من لم يوثقه ولهذا تعجب اليافعي من نقل الذهبي لتوثيقه عن واحد وغيره مع ظهور فضله وكراماته واجتهاده عند الخاص والعام حتى يقال إنه بلغ رتبة الاجتهاد فقيل له لم لم تتكلم في العلوم وتنفع الناس فقال كلما هممت بشيء من ذلك يمنعني أمور منها إذا قال الله تعالى يوم القيامة (^ وامتازوا اليوم أيها المجرمون) مع من أكون في كلام يطول وكان أول انقطاعه إلى الله تعالى بعد أن كان أحد الملوك أنه سمع هاتفا من قربوس سرجه وروى أنه قعد تحت رمانة وسعه ومحمد بن المبارك الصوري فصليا تحتها فخاطبته الرمانة بأن يأكل منها شيئا فأخذ رمانتين فأكل واحدة وناول صاحبه الأخرى وكانت قصيرة حامضة." (٢)

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ٢٣٠/٢

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد، ٢٤٨/١

"٧٠ عن المنكر فقام معه خلق من **المطوعة** واستفحل أمرهم فخافت الدولة من فتق يتم بذلك قال ابن الأهدل روى أنه صلب فاسود وجهه فتغيرت قلوب الناس ثم ابيض سريعا فرؤى في النوم فقال لما صلبت رأيت رسول الله فأعرض عني بوجهه فاسود وجهي غضبا مسألته عن سبب أعراضه فقال حياء منك إذ قتلك واحد من أهل بيتي فابيض وجهي انتهى وفيها إبراهيم بن محمد بن عرعرة الشامي البصري أبو اسحق الحافظ ببغداد في رمضان سمع جعفر بن سليمان الضبعي وعبد الوهاب الثقفي وطائفة قال عثمان ابن خرزاذ ما رأيت أحفظ من أربعة فذكر منهم إبراهيم هذا وفيها أمية بن بسطام أبو بكر العيشي البصري أحد الإثبات روى عن ابن عمه يزيد بن زريع وطبقته وفيها عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعي البصري أحد الأئمة روى عن عمه جويرية بن أسماء وجماعة قال أحمد الدرقي لم أر بالبصرة أحفظ منه وذكر لعلى ابن المديني فعظمه وقال ابن ناصر الدين كنيته أبو عبد الرحمن وهو حجة ثقة وفيها كامل بن طلحة وله ست وثمانون سنة روى عن مبارك بن فضالة وجماعة قال أبو حاتم لا بأس به وقال في المغني قال أبو داود رميت بكتبه وقال أحمد ما أعلم أحدا يدفعه بحجة وقال ابن معين ليس بشيء وقال أبو حاتم وغيره لا بأس به وقال الدارقطني ثقة انتهى وفيها ابن الأعرابي صاحب اللغة وهو أبو عبد الله محمد بن زياد توفي بسامرا وله ثمانون سنة وكان إليه المنتهى في معرفة لسان العرب قال ابن الأهدل هو مولى بني العباس أخذ عنه أبي معاوية الضرير والكسائي وأخذ عنه الحربي وثعلب وابن السكيت واستدرك على من قبله وله بضعة عشر مصنفا منها كتاب النوادر." (١)

"١٥٣ إسماعيل القاضي تفقه على أحمد بن محمد المعذل وحدث عن القعنبي وصنف التصانيف وكان بصيرا بمذهب مالك وفيها عباس البرقفي ببغداد أحد الثقات العباد سمع محمد بن يوسف الفريابي وطبقته وفيها عبد العزيز منيب أبو الدرداء المروزي الحافظ رحل وطوف وحدث عن مكي بن إبراهيم وطبقته وفيها محمد بن عزيز الأيلي بأيلة روى عن سلامة بن روح ويغره قال في المغني قال النسائي صويلح وقال أبو أحمد الحاكم فيه نظر انتهى ويحي بن محمد بن يحيى أبو عبد الله الذهلي الحافظ شيخ نيسابور بعد أبيه ويقال له حيكان رحل وسمع من سليمان بن حرب وطبقته وكان أمير **المطوعة** المجاهدين ولما غلب أحمد الحجستاني على نيسابور وكان طلوما غشوما فخرج منها هاربا فخافت النيسابوريون كرته فاجتمعوا على باب حيكان وعرضوا في عشرة آلاف مقاتل فرد إليهم أحد فانهزموا واختفى حيكان وصحب قافلة ولبس عباءه فعرف وأتى به إلى أحمد فقتله قال ابن ناصر الدين هو ثقة وفيها يونس بن حبيب أبو بشر

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٦٩/٢

العجلي مولاهم الأصبهاني راوى مسند الطيالسي كان ثقة ذا صلاح وجلالة سنة ثمان وستين ومائتين فيها غزا نائب الثغور الشامية خلف التركي الطولوني فقتل من الروم ببضعة عشر ألفا وغنموا غنيمة هائلة حتى بلغ السهم أربعين دينارا وفيها كان المسلمون يحاصرون الخبيث مقدم الزنج فيم دينته المساماة بالمختارة." (١)

"٣٩ سنة إحدى وستين وثلاثمائة قال في الشذور فيها انقض في صفر كوكب عظيم له دوي كدوي الرعد وفيها مات الأسيوطي أبو علي الحسن بن الخضر في ربيع الأول روى عن النسائي والمنجنيقي والأسيوطي بضم أوله والتحتية نسبة إلى أسيوط ويقال سيوط بلد بصعيد مصر قال الجلال السيوطي في لباب الأنساب قلت فيها خمسة أوجه ضم الهمزة وكسرها وإسقاطها وتثليث السين المهملة انتهى وفيها الخيام خلف بن محمد بن إسماعيل أبو صالح البخاري محدث ما وراء النهر روى عن صالح جزرة وطبقته ولم يرحل ولينه أبو سعد الإدريسي وعاش ستا وثمانين سنة وفيها الدراج أبو عمر وعثمان بن عمر بن خفيف البغدادي المقرئ روى عن ابن المجدر وطائفة قال البرقاني كان بدلا من الإبدال وفيها محمد بن أسد الخشني بالضم والفتح نسبة إلى خشن قرية بإفريقية القيرواني أبو عبد الله الحافظ نزيل قرطبة صنف كتاب الاختلاف والافتراق في مذهب مالك وكتاب الفتيا وكتاب تاريخ الأندلس وكتاب تاريخ إفريقية وكتاب النسب سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فيها كما قال في الشذور قتل رجل من أصحاب المعونة في الكرخ فبعث أبو الفضل الشيرازي صاحب معز الدولة من طرح النار في النحاسين إلى السماكين فاحترقت سبعة عشر ألف وثلثمائة وعشرين دارا أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألف دينار ودخل في الجملة ثلاثة وثلاثون مسجدا وهلك خلق كثير من الناس في الدور والحمامات انتهى وفيها كما قال في العبر أخذت الروم نصيبين واستباحوها وتوصل من نجا إلى بغداد وقام معهم **المطوعة** واستنفروا الناس ومنعوا من الخطبة وحاولوا الهجوم." (٢)

"١٨٩ الأنطاكي مودة أكيدة واجتماع في دار الكتب ومذاكرات فلما قتلهما الحاكم صاحب مصر استتر بسبب ذلك الحافظ عبد الغني خوفا أن يلحق بهما لاتهامه بمعاشرتهما وأقام مستخفيا مدة حتى حصل له الأمن فظهر وقال أبو الحسن علي بن بقا كاتب الحافظ عبد الغني سمعت الحافظ عبد الغني يقول رجلان جليلان لزمهما لقبان قبيحان معاوية بن عبد الكريم الضال لم يكن ضالا وإنما ضل في طريق مكة وعبد الله بن محمد الضعيف كان ضعيفا في جسمه لا في حديثه انتهى ملخصا وفيها القسم بن أبي

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ١٥٢/٢

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣٩/٣

المنذر الخطيب أبو طلحة القزويني راوي سنن ابن ماجه عن أبي الحسن القطان عنه توفي في هذا العام أو في الذي بعده سنة عشر وأربعمائة فيها كما قال في الشذور ورد إلى القادر كتاب من عين الدولة محمود بن سبكتكين يذكر ما افتتحه من بلاد الهند فيه أني فتحت قلاعا وحصونا وأسلم زهاء عشرين ألفا من عباد الأوثان وسلموا قدر ألف ألف درهم من الورق وبلغ عدد الهالكين منهم خمسين ألفا ووافى العبد مدينة لهم عاين فيها زهاء ألف قصر مشيد وألف بيت للأصنام ومبلغ ما في الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال وثلثمائة مثقال وقلع من الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم فحصل منهم عشرون ألف ألف درهم وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثة وخمسين ألفا واستعرض ثلثمائة وستة وخمسين فيلا انتهى وقال الذهبي وكان جيشه ثلاثين ألف فارس سوى الرجالة **والمطوعة** وقال ابن الأهدل فتح ما لم يبلغه أحد في الإسلام وبنى فيها أي الهند مساجد وكسر الضنم المشهور بسر منات وهو عند كفرة الهند يحيي ويميت ويقصدونه لأنواع العلل ومن لم يشف منهم احتج بالذنب وعدم الإخلاص ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت." (١)

"٢٠٩ وفيها أبو حفص العكبري عملا بن احمد بن عثمان البزار روى عن محمد ابن يحيى الطائي وجماعة وعاش سبعا وتسعين سنة ووثقه الخطيب وفيها اوب نصر بن الجندي محمد بن أحمد بن هرون الغساني الدمشقي إمام الجامع ونائب الحكم ومحدث البلد روى عن خيثمة وعلى بن أبي العقب وجماعة قال الكتاني كان ثقة مأمونا توفي في صفر سنة ثمان عشرة وأربعمائة قال في الشذور جاءً فيها برد وزن البردة رطلان وأكثر وفيها اجتمعت الحاشية ببغداد وصمموا على الخليفةحتى عزل أبا كاليجار وأعيدت الخطبة لجلال الدولة أبي طاهر وفيها ورد كتاب الملك محمود بن سبكتكين بما فتحه من بلاد الهند وكسره صنم سومنات وانهم فتنوا به وكانوا يأتونه من كل فج عميق ويقربون له القرابين حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية وامتلأت خزانة الصنم بالأموال وله ألف نفس يخدمونه وثلثمائة يلحقون حجاجه وثلثمائة يغنون فاستخار العبد في الانتداب له ونهض في شعبان سنة ست عشرة وأربعمائة في ثلاثين ألف فارس سوى **المطوعة** ووصلنا إلى لبد الصم وملكنا الصنم والبلد وأوقدت النيران على الصنم حتى تقطع وقتلنا خمسين ألفا من أهل البلد وتقدم طرف من ذلك في سنة عشر وفيها توفي أبو اسحق الإسفرائيني إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الأصولي المتكلم الشافعي أحد الأعلام وصاحب التصانيف روى عن دعج وطبقته وأملى مجالس وكان شيخ خراسان في زمانه توفي يوم عاشوراء وقد نيف على الثمانين وهو شيخ

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ١٨٨/٣

خراسان يقال انه بلغ رتبة الاجتهاد وله المصنفات الكثيرة منها الجامع في أصول الدين خمس مجلدات وتعليقة في أصول الفقه." (١)

"٣٠٦ يوم من سامرا ومات بها فبنى إلى جانبه قرية بنيت للتبرك به انتهى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة فيها كانت وقعة الزلاقة بالأندلس بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين الفيش المتغلب على أكثر جزيرة الأندلس فدخل يعقوب وعدي من زاقاق سبتة في مائة ألف وأما **المطوعة** فقل ما شئت وأقبل الفيش في مائتي ألف وأربعين آلفا فانتصر الإسلام وانهزم الكلب في عدد يسير وقتل من الفرنج كما أرخ أبو شامة وغيره مائة ألف وستة وأربعون آلفا وأسر ثلاثون آلفا وغنم المسلمون غنيمة لم يسمع بمثلها حتى أبيع السيف بنصف درهم والحصان بخمسة دراهم والحمار بدرهم وذلك في شعبانخ وفيها توفي أبو الحسن اسمعيل بن أبي سعد بن علي بن إبراهيم بن محمد الاصبهاني المحدث ويعرف بطاهرنيه الحنبلي سمع الكثير وحصل الأصول وحدث ببغداد قدمها حاجا عن فاطمة الجوزدانية وفاطمة بنت محمد ابن أحمد بن البغدادي وسمع منه أبو الفتوح بن الحصري وغيره وكان شيخا صالحا صدوقا توفي في صفر وفيها ذاكر بن كامل الخفاف البغدادي أخو المبارك سمعه أخوه من أبي علي الباقرحي وأبي علي بن المهد وأبي سعيد بن الطيوري والكبار وكان صالحا خيرا صواما توفي في رجب وفيها أبو الحسن شجاع بن محمد بن سيدهم المدلجي المصري المقرئ الفقيه المالكي النحوي قرأ القراءات على ابن الخطية وسمع من جماعة." (٢)

"

(وليس يخلو امرؤ من حاسد إضم ** لولا التنافس في الدنيا لما اضما)

(والغبن في العلم أشجى محنة علمت ** وأبرح الناس شجوا عالم هضما)

انتهى كلام ابن هشام وقال شارحه الشمني ويقال إن هذه الواقعة كانت سبب علة سيبويه التي مات بها انتهى حتى أن الناس لا تعرف غيره وربما تشير إليه أبيات حازم المتقدمة والله أعلم سنة اثنتين وستين ومائة

فيها أمر المهدي أن يجري على المجذمين وأهل السجون في سائر الآفاق

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣/٢٠٨

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٤/٣٥٣

وفيها احتفل لغزو الروم وسار لحربهم الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفا سوى **المطوعة** فأغار وحرق وسبى ولم يلق بأسا

وفيها ظهرت المحمرة ورأسهم عبد القهار واستولوا على جرجان وقتلوا خلائق فقصده عمر بن العلاء من طبرستان فقتل عبد القهار وخلق من أصحابه

وفيها توفي السيد الجليل والزاهد النبيل أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم البلخي الزاهد بالشام روى عن منصور ومالك بن دينار وطائفة قال في العبر وثقه النسائي وغيره وكان أحد السادات انتهى قلت في كلام العبر ما يشعر بأن هناك من لم يوثقه ولهذا تعجب اليافعي من نقل الذهبي لتوثيقه عن واحد وغيره مع ظهور فضله وكراماته واجتهاده عند الخاص والعام حتى يقال إنه بلغ رتبة الاجتهاد فقيل له لم لم تتكلم في العلوم وتنفع الناس فقال كلما هممت بشيء من ذلك يمنعني أمور منها إذا قال الله تعالى يوم القيامة ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ مع من أكون في كلام يطول وكان أول انقطاعه إلى الله تعالى بعد أن كان أحد الملوك أنه سمع هاتفا من قربوس سرجه وروى أنه قعد تحت رمانة وسعه محمد بن المبارك الصوري فصليا تحتها فخاطبته الرمانة بأن يأكل منها شيئا فأخذ رمانتين فأكل واحدة وناول صاحبه الأخرى وكانت قصيرة حامضة

(١) ".

" عن المنكر فقام معه خلق من **المطوعة** واستفحل أمرهم فخافت الدولة من فتق يتم بذلك قال ابن الأهدل روى أنه صلب فاسود وجهه فتغيرت قلوب الناس ثم ابيض سريعا فرؤى في النوم فقال لما صلبت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عني بوجهه فاسود وجهي غضبا مسألته صلى الله عليه وسلم عن سبب أعراضه فقال حياء منك إذ قتلك واحد من أهل بيتي فابيض وجهي انتهى

وفيها إبراهيم بن محمد بن عرعرة الشامي البصري أبو اسحق الحافظ ببغداد في رمضان سمع جعفر بن سليمان الضبعي وعبد الوهاب الثقفي وطائفة قال عثمان ابن خرزاذ ما رأيت أحفظ من أربعة فذكر منهم إبراهيم هذا

وفيها أمية بن بسطام أبو بكر العيشي البصري أحد الإثبات روى عن ابن عمه يزيد بن زريع وطبقته

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ١/٣٥٥

وفيها عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعي البصري أحد الأئمة روى عن عمه جويرية بن أسماء وجماعة قال أحمد الدورقي لم أر بالبصرة أحفظ منه وذكر لعلى ابن المديني فعظمه وقال ابن ناصر الدين كنيته أبو عبد الرحمن وهو حجة ثقة

وفيها كامل بن طلحة وله ست وثمانون سنة روى عن مبارك بن فضالة وجماعة قال أبو حاتم لا بأس به وقال في المغني قال أبو داود رميت بكتبه وقال أحمد ما أعلم أحدا يدفعه بحجة وقال ابن معين ليس بشيء وقال أبو حاتم وغيره لا بأس به وقال الدارقطني ثقة انتهى

وفيها ابن الأعرابي صاحب اللغة وهو أبو عبد الله محمد بن زياد توفي بسامرا وله ثمانون سنة وكان إليه المنتهى في معرفة لسان العرب قال ابن الأهدل هو مولى بني العباس أخذ عنه أبي معاوية الضرير والكسائي وأخذ عنه الحربي وثعلب وابن السكيت واستدرك على من قبله وله بضعة عشر مصنفا منها كتاب النوادر

". (١)

" إسماعيل القاضي تفقه على أحمد بن محمد المعذل وحدث عن القعنبي وصنف التصانيف وكان بصيرا بمذهب مالك

وفيها عباس البرقفي ببغداد أحد الثقات العباد سمع محمد بن يوسف الفريابي وطبقته

وفيها عبد العزيز منيب أبو الدرداء المروزي الحافظ رحل وطوف وحدث عن مكي بن إبراهيم وطبقته

وفيها محمد بن عزيز الأيلي بأيلة روى عن سلامة بن روح وغيره قال في المغني قال النسائي صويلح وقال أبو أحمد الحاكم فيه نظر انتهى

ويحيى بن محمد بن يحيى أبو عبد الله الذهلي الحافظ شيخ نيسابور بعد أبيه ويقال له حيكان رحل وسمع من سليمان بن حرب وطبقته وكان أمير **المطوعة** المجاهدين ولما غلب أحمد الحجستاني على نيسابور وكان طلوما غشوما فخرج منها هاربا فخافت النيسابوريون كرته فاجتمعوا على باب حيكان وعرضوا في عشرة آلاف مقاتل فرد إليهم أحد فانهزموا واختفى حيكان وصحب قافلة ولبس عباءه فعرف وأتى به إلى أحمد فقتله قال ابن ناصر الدين هو ثقة

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٧٠/٢

وفيها يونس بن حبيب أبو بشر العجلي مولاهم الأصبهاني راوى مسند الطيالسي كان ثقة ذا صلاح وجلالة سنة ثمان وستين ومائتين

فيها غزا نائب الثغور الشامية خلف التركي الطولوني فقتل من الروم بضعة عشر ألفا وغنموا غنيمة هائلة حتى بلغ السهم أربعين دينارا

وفيها كان المسلمون يحاصرون الخبيث مقدم الزنج في مدينته المسماة بالمختارة

." (١)

" سنة إحدى وستين وثلاثمائة

قال في الشذور فيها انقض في صفر كوكب عظيم له دوي كدوي الرعد

وفيها مات الأسيوطي أبو علي الحسن بن الخضر في ربيع الأول روى عن النسائي والمنجنيقي والأسيوطي بضم أوله والتحتية نسبة إلى أسيوط ويقال سيوط بلد بصعيد مصر قال الجلال السيوطي في لباب الأنساب قلت فيها خمسة أوجه ضم الهمزة وكسرها وإسقاطها وتثليث السين المهملة انتهى

وفيها الخيام خلف بن محمد بن إسماعيل أبو صالح البخاري محدث ما وراء النهر روى عن صالح جزرة وطبقته ولم يرحل ولينه أبو سعد الإدريسي وعاش ستا وثمانين سنة

وفيها الدراج أبو عمر وعثمان بن عمر بن خفيف البغدادي المقرئ روى عن ابن المجدر وطائفة قال البرقاني كان بدلا من الإبدال

وفيها محمد بن أسد الخشني بالضم والفتح نسبة إلى خشن قرية بإفريقية القيرواني أبو عبد الله الحافظ نزيل قرطبة صنف كتاب الاختلاف والافتراق في مذهب مالك وكتاب الفتيا وكتاب تاريخ الأندلس وكتاب تاريخ إفريقية وكتاب النسب سنة اثنتين وستين وثلاثمائة

فيها كما قال في الشذور قتل رجل من أصحاب المعونة في الكرخ فبعث أبو الفضل الشيرازي صاحب معز الدولة من طرح النار في النحاسين إلى السماكين فاحترقت سبعة عشر ألف وثلثمائة وعشرين دارا أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألف دينار ودخل في الجملة ثلاثة وثلاثون مسجدا وهلك خلق كثير من الناس في الدور والحمامات انتهى

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ١٥٣/٢

وفيها كما قال في العبر أخذت الروم نصيبين واستباحوها وتوصل من نجا إلى بغداد وقام معهم **المطوعة** واستنفروا الناس ومنعوا من الخطبة وحاولوا الهجوم

". (١)

"

الأنطاكي مودة أكيدة واجتماع في دار الكتب ومذاكرات فلما قتلهما الحاكم صاحب مصر استتر بسبب ذلك الحافظ عبد الغني خوفا أن يلحق بهما لاتهامه بمعاشرتهما وأقام مستخفيا مدة حتى حصل له الأمن فظهر وقال أبو الحسن علي بن بقا كاتب الحافظ عبد الغني سمعت الحافظ عبد الغني يقول رجلان جليلان لزمهما لقبان قبيحان معاوية بن عبد الكريم الضال لم يكن ضالا وإنما ضل في طريق مكة وعبد الله بن محمد الضعيف كان ضعيفا في جسمه لا في حديثه انتهى ملخصا

وفيها القسم بن أبي المنذر الخطيب أبو طلحة القزويني راوي سنن ابن ماجه عن أبي الحسن القطان عنه توفي في هذا العام أو في الذي بعده سنة عشر وأربعمائة

فيها كما قال في الشذور ورد إلى القادر كتاب من عين الدولة محمود بن سبكتكين يذكر ما افتتحه من بلاد الهند فيه أني فتحت قلاعا وحصونا وأسلم زهاء عشرين ألفا من عباد الأوثان وسلموا قدر ألف ألف درهم من الورق وبلغ عدد الهالكين منهم خمسين ألفا ووافى العبد مدينة لهم عاين فيها زهاء ألف قصر مشيد وألف بيت للأصنام ومبلغ ما في الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال وثلثمائة مثقال وقلع من الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم فحصل منهم عشرون ألف ألف درهم وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثة وخمسين ألفا واستعرض ثلثمائة وستة وخمسين فيلا

انتهى

وقال الذهبي وكان جيشه ثلاثين ألف فارس سوى الرجالة **والمطوعة** وقال ابن الأهدل فتح ما لم يبلغه أحد في الإسلام وبنى فيها أي الهند مساجد وكسر الصنم المشهور بسر منات وهو عند كفرة الهند يحيي ويميت ويقصدونه لأنواع العلل ومن لم يشف منهم احتج بالذنب وعدم الإخلاص ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٣/٣٩

." (١)

"

وفيها أبو حفص العكبري عمر بن احمد بن عثمان البزاز روى عن محمد ابن يحيى الطائي وجماعة وعاش سبعا وتسعين سنة ووثقه الخطيب

وفيها ابو نصر بن الجندي محمد بن أحمد بن هرون الغساني الدمشقي إمام الجامع ونائب الحكم ومحدث البلد روى عن خيثمة وعلى بن أبي العقب وجماعة قال الكتاني كان ثقة مأمونا توفي في صفر سنة ثمان عشرة وأربعمائة

قال في الشذور جاء فيها برد وزن البردة رطلان وأكثر

وفيها اجتمعت الحاشية ببغداد وصمموا على الخليفة حتى عزل أبا كاليجار وأعيدت الخطبة لجلال الدولة أبي طاهر

وفيها ورد كتاب الملك محمود بن سبكتكين بما فتحه من بلاد الهند وكسره صنم سومنات وانهم فتنوا به وكانوا يأتونه من كل فج عميق ويقربون له القرابين حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية وامتلأت خزانة الصنم بالأموال وله ألف نفس يخدمونه وثلثمائة يلحقون حجاجه وثلثمائة يغنون فاستخار العبد في الانتداب له ونهض في شعبان سنة ست عشرة وأربعمائة في ثلاثين ألف فارس سوى **المطوعة** ووصلنا إلى بلد الصنم وملكنا الصنم والبلد وأوقدت النيران على الصنم حتى تقطع وقتلنا خمسين ألفا من أهل البلد وتقدم طرف من ذلك في سنة عشر

وفيها توفي أبو اسحق الإسفرائيني إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الأصولي المتكلم الشافعي أحد الأعلام وصاحب التصانيف روى عن دعلج وطبقته وأملى مجالس وكان شيخ خراسان في زمانه توفي يوم عاشوراء وقد نيف على الثمانين وهو شيخ خراسان يقال انه بلغ رتبة الاجتهاد وله المصنفات الكثيرة منها الجامع في أصول الدين خمس مجلدات وتعليقة في أصول الفقه

." (٢)

"

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ١٨٩/٣

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٢٠٩/٣

قبولا لم يرزقه أحد وصار يظهر الزهد ثم انه تنعم قبل الصلات فأقبلت الدنيا عليه وكثر مريدوه ثم انه حض على الجهاد فسارع إليه الخلق من الاقطار واستجمع له جيش من المطوعة فعسكر بظاهر بغداد وضرب له الطبل وسار بهم إلى الموصل واستفحل أمره فصار إلى اذربيجان وضاهي أمير تلك الناحية ثم خمد سوقه وتراجع عامة أصحابه ثم مات قاله في العبر

وفيها محمد بن عبد الله بن عابد ابو عبد الله المعافرى محدث قرطبة روى عن ابى عبد الله بن مفرج وطبقته ورحل فسمع من ابى محمد بن ابى زيد وابى بكر ابن المهندس وطائفة وكان ثقة عالما جيد المشاركة في الفضائل توفى فى جمادى الأولى عن بضع وثمانين سنة وهو آخر من حدث عن الأصيلى

وفيها محمد بن حامد المعروف بابن خيار الحنبلى وكان ينزل باسكاف وله قدم في انواع العلوم والآداب والفقه وكان يشار اليه بالصلاح والزهد

وفيها هبة الله بن احمد ابو الغنائم بن البغدادي أنفذه والده أبو طاهر إلى أبي يعلي فدرس عليه وانجب وأفتى وناظر وجلس بعد موت أبيه في حلقته سنة أربعين وأربعمائة

فيها مات السلطان أبو كاليجار واسمه مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة الديلمي البويهي نسبة إلى بويه مات بطريق كرمان وقصدوه في يوم ثلاث مرات وكان معه نحو أربعة آلاف من الترك والديلم فنهبت خزائنه وخريمه وجواريه وطلبوا شيراز فسلطنوا ابنه الملك الرحيم أبا نصر وكانت مدة أبي كاليجار أربع سنين وكان مولده بالبصرة سنة تسع وتسعين وثلثمائة سامحه الله

---

(١) ".

" يوم من سامرا ومات بها فبنى إلى جانبه قرية بنيت للتبرك به انتهى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة

فيها كانت وقعة الزلاقة بالأندلس بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين الفيش المتغلب على أكثر جزيرة الأندلس فدخل يعقوب وعدي من زقاق سبتة في مائة ألف وأما المطوعة فقل ما شئت وأقبل الفيش في مائتي ألف وأربعين ألفا فانتصر الإسلام وانهزم الكلب في عدد يسير وقتل من الفرنج كما أرخ أبو شامة وغيره مائة ألف وستة وأربعون ألفا وأسر ثلاثون ألفا وغنم المسلمون غنيمة لم يسمع بمثلها حتى أبيع السيف بنصف درهم والحصان بخمسة دراهم والحمار بدرهم وذلك في شعبان

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٢٦٣/٣

وفيها توفي أبو الحسن اسمعيل بن أبي سعد بن علي بن إبراهيم بن محمد الاصبهاني المحدث ويعرف بطاهرنيه الحنبلي سمع الكثير وحصل الأصول وحدث ببغداد قدمها حاجا عن فاطمة الجوزدانية وفاطمة بنت محمد ابن أحمد بن البغدادي وسمع منه أبو الفتوح بن الحصري وغيره وكان شيخا صالحا صدوقا توفي في صفر

وفيها ذاكر بن كامل الخفاف البغدادي أخو المبارك سمعه أخوه من أبي علي الباقرحي وأبي علي بن المهدي وأبي سعيد بن الطيوري والكبار وكان صالحا خيرا صواما توفي في رجب

وفيها أبو الحسن شجاع بن محمد بن سيدهم المدلجي المصري المقريء الفقيه المالكي النحوي قرأ القراءات على ابن الخطية وسمع من جماعة

". (١)

"وغير ذلك مما هو في ديوانه.

ونسب إلى الاتحاد، وأولز عاين مقامه في منازل العارفين فاستبشر، ونسب إلى الصلاح والخير والتجريد.

وجاور بمكة وبمنى.

مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ودفن في المقطم تحت العارض. وولد في ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمسمائة.

والفارض الذي يكتب الفروض.

مجلي بن خليفة ألاسنائي

؟ - قريبا من ٦٩٠ للهجرة

مجلى بن خليفة ألاسنائي، المقيم بزرنيخ، من ضواحي أسنا. كان من **المتطوعة** الصلحاء، المسقطن للدعوى. وله مكاشفات، منها حكاية الطعام، وجرح خطيب أدفو فبصق عليها، فبرئ من ساعته.

متأخر، أدركنا من أدركه، وهو من أصحاب الشيخ مسلم.

محمد بن إبراهيم الفارسي

٥١٨ - ٦٢٢ للهجرة

محمد بن إبراهيم بن احمد، الفخر الفارسي الصوفي. ذو الرياضات والمعاملات. ألف وسمع السلفي وغيره.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - مفهرس، ٤/٣٠٦

وعنه المذري وغيره. كان فيه دعاية وبداعة.

مات بزاويته بالقرافة، سنة اثنتيِن وعشرين وستمائة.

وكان معظما عند الملوك والأعيان. وآخر من خدم من الشيوخ روز نهار.

حضرة مرة مجمعا فيه الفصيح القوال، فهرب، فقال ابن الورذور: ٠دوبيت(:

كررت في المذهب في العشق زمان ... حتى ظهرت أدلة الحق وبان

ما زلت أوحد الذي أعشقه ... حتى ارتحل الشرك عن القلب وبان

فطاب الوقت، واستغنوا عن الفصيح المليح.

صدر الدين القونوي

؟ - ٦٧٢ للهجرة

محمد بن اسحق بن محمد القونوي الصوفي، صاحب ابن العربي، صاحب " الفتوحات الملكية " له تفسير الفاتحة في مجلد. عاش نيفا وستين سنة، مات سنة اثنتين وسبعين وستمائة بقونية. وأوصى بأن ينقل تأبوته، ويدفن عند شيخه ابن العربي.

محي الدين بن العربي

٥٦٠ - ٦٣٨ للهجرة

محمد بن علي بن محمد احمد، الطائي الحاتمي المرسي، محي الدين أبو بكر، ابن العربي نزيل دمشق. ذكر انه سمع من اين بشكوال وغيره، وسكن الروم مدة، وكان ذكيا كثير العلم. كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب. ثم تزهد وتعبد، وتفرد وتوحد، وسافر وتجرد، واتهم وانجد، وعمل الخلوات، وعلق شيئا كثيرا في تصوف أهل الوحدة، ومن أفحشها " الفصوص " ، ومن تكلف فيه فهو من المتكلفين. وقد حط عليه ابن عبد السلام.

مات سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

ابن الحاج العبدري

؟ - ٧٣٧ للهجرة

محمد بن محمد بم محمد العبدري، الفاسي ثم المصري، المالكي، الأيتام القدوة، المعروف بابن الحاج. من أصحاب الشيخ عبد الله بن أبي حمزة.

حدث بالموطأ عن التقى عبيد إلاسعردي، وألف كتابا في البدع والحوادث. وكان متزهدا متعبدا، عمر، عاش

بضعا وثمانين سنة. ومات في جمادي إلاول سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

نجم الدين الخبوشاني

٥١٠ - ٥٨٧ للهجرة

محمد بن موفق بن سعيد الخبوشاني الزاهد، مات سنة سبع وثمانين وخمسمائة. ودفن بالقرب من الشافعي، خلف الشباك الذي تحت رجله.

ترجمته في " طبقات الشافعية " .

مفرج الدماميني

؟ - ٦٤٨ للهجرة

مفرج بن موفق بن عبد الله الدماميني كان وليا عظيم الشأن، وكان عبدا حبشيا، اصطفاه الله.

ولما اشترى مكث ستة اشهر لا يأكل ولا يشرب، فضربه سيده، فلم يتأثر، فحسبه مجنونا، فاستندب من ضربه، وقال للجنية: " اخرجي! " ، فيقول: " خرجت! " يعني نفسه، فقيد.

فلما تكاثرت كراماته أحضرت عنده فراريج مشوية، فقال لها: " طيري! " فطارت أحياء بإذن الله.وكان يكتب اسمه في الحروز تبركا.

ذكره الصفي بن أبي المنصور، وذكر عنه انه كان أولا مجذوبا ثم صحب الشيخ ابا الحسن بن الصباغ. وذكر الشيخ عبد الكريم انه صحب أبا الحجاج الاقصري. وذكره الرشيد العطار، وقال: "كان من مشاهير الصالحين، ومن ترجى بركته، وذكرت عنه كرامات وتعبد، وكان قد عمر، وبلغ نحوا من تسعين سنة وكف بصره آخر عمره.

وقال: سمعته يقول: " التقوى مجانية ما حرم الله " .

وسمعته يقول: " من تكلم في شيء لا يصل إلى علمه كان كلامه فتنة لسامعه " .

مات يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وستمائة.." (١)

"تحتها نقطتان وبعدها نون وبعد الألف نون مدينة من مشاهير بلاد فرغانة ينسب إليها جماعة

٦٨٣ المروزي بفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو فى آخرها زاي هذه النسبة إلى مرو الشاهجان

٦٨٤ المريسي من قرى صعيد مصر وقيل غير ذلك بينته فى ترجمة بشر

---

(١) طبقات الأولياء، ص/٧٦

٦٨٥ المستعيني بضم الميم وسكون السين وفتح التا المثناة من فوق وكسر العين المهملة وسكون الياء آخر الحروف بعدها نون نسبة إلى المستعين بالله أحد الخلفاء اشتهر بهذه النسبة محمد بن عبيد الله بن الحسين أبو بكر العلاف تقدم

٦٨٦ المستغفري بضم الميم وسكون السين وفتح التاء فوقها نقطتان وسكون الغين المعجمة وكسر الفاء والراء نسبة إلى الجد نسبة جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفي الفقيه الحافظ خطيب نسف

٦٨٧ المسكي بكسر الميم وسكون السين وفى آخرها كاف نسبة إلى المسك أستاذ الصيمري ونسبة عبد القوي بن عبد الخالق بن وحشي الكناني الفقيه أبو القاسم المصري من أصحاب ابن بري النحوي تقدم

٦٨٨ المطرزي بضم الميم وفتح الطاء وكسر الراء المشددة وفى آخرها زاي نسبة ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي أبو المظفر برهان الدين ذكر السمعاني المطرز هكذا بغير ياء وقال يقال هذا لمن يطرز الثياب

٦٨٩ المطوعي بضم الميم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو وفى آخرها عين مهملة نسبة إلى المطوعة نسبة إلى من فرغ نفسه للطاعات نسبة محمد بن محمد بن عبد الله أبو منصور تقدم

٦٩٠ المظفري أحمد بن منصور رحمه الله تعالى

---

(١) ".

""""" صفحة رقم ٣١٨ """"

الأصنام الذهب والفضة المرصعة بالجواهر شيء كثير محيط بعرشه يزعمون أنها الملائكة فأحرقوا الصنم الأعظم ووجدوا في أذنيه نيفا وثلاثين حلقة فسألهم محمود عن معنى ذلك فقالوا له كل حلقة عبادة ألف سنة

وعاد محمود مظفرا منصورا وكتب إلى أمير المؤمنين القادر بالله كتابا يشرح فيه الحال ويقول فيه لقد كان العبد يتمنى قلع هذا الصنم ويتعرف الأحوال فتوصف له المفاوز إليه وقلة الماء وكثرة الرمال فاستخار العبد الله في الانتداب لهذا الواجب طلبا للأجر ونهض في شعبان سنة ست عشرة في ثلاثين ألف فارس سوى

---

(١) طبقات الحنفية، ٢/٣٤٧

المطوعة وفرق في المطوعة خمسين ألف دينار معونة وقضى الله بالوصول إلى بلد الصنم وأعان حتى ملك البلد وقلع الوثن وأوقدت عليه النار حتى تقطع وقتل خمسون ألفا من أهل البلد
وقد كان محمود افتتح قبل ذلك من الهند أماكن منيعة وغنم أموالا كثيرة وكتب إلى أمير المؤمنين إن كتاب العبد صدر في غزنة لنصف المحرم سنة عشر والدين مخصوص بمزيد الإظهار والشرك مقهور بجميع الأقطار وانتدب العبد لتنفيذ الأوامر وتابع الوقائع على كفار السند والهند فرتب بنواحي غزنة العبد محمدا مع خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وشحن بلخ وطخارستان بأرسلان الحاجب مع اثنى عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وانضم إليه جماهير المطوعة وخرج العبد من غزنة في جمادى الأولى سنة تسع بقلب منشرح لطلب السعادة ونفس مشتاقة إلى درك الشهادة ففتح قلاعا وحصونا وأسلم زهاء عشرين ألفا من عباد." (١)

""""" صفحة رقم ١٢ """"

قالت المرأة فعبر الكافر في خيله إلى باب الحصن وقد تحصن الناس وضموا أمتعتهم فضجوا بالمسلمين وخربوهم فحصر من ذلك أهل الناحية وأرادوا الخروج فمنعهم العامل دون أن تتوافى عساكر السلطان وتتلاحق المطوعة فشد طائفة من شبان الناس وأحداثهم فتقاربوا من السور بما أطاقوا حمله من السلاح وحملوا على الكفرة فتهارج الكفرة واستجروهم من بين الأبنية والحيطان فلما أصحروا كر الترك عليهم وصار المسلمون في مثل الحرجة فتخلصوا واتخذوا دارة يحاربون من ورائها وانقطع ما بينهم وبين الخصم وبعدت المؤنة عنهم فحاربوا كأشد حرب وثبتوا حتى تقطعت الأوتار والقسي وأدركهم التعب ومسهم الجوع والعطش وقتل عامتهم وأثخن الباقون بالجراحات ولما جن عليهم الليل تحاجز الفريقان
قالت المرأة ورفعت النار على المناظر ساعة عبور الكافر فاتصلت بالجرجانية وهي مدينة عظيمة في قاصية خوارزم وكان ميكال مولى طاهر من أبياتها في عسكر فحث في الطلب هيبة للأمير أبي العباس عبد الله بن طاهر رحمه الله وركض إلى هزاراسب في يوم وليلة أربعين فرسخا بفراسخ خوارزم وفيها فضل كثير على فراسخ خراسان وعد الترك الفراغ من أمر أولئك النفر فبينما هم كذلك إذ ارتفعت لهم الأعلام السود وسمعوا أصوات الطبول فأفرجوا عن القوم ووافى ميكال موضع المعركة فوارى القتلى وحمل الجرحى." (٢)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ، ٣١٨/٥

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ، ١٣/٨

"فهدم عباد بعض دارنا، قال. . . . . . . لعباد: متى طمع هذا الكيدي هكذا في ولاية القضاء حتى يتغيب.

فبلغ قوله ابن وهب، فدعا الله عليه، فعمي بعد جمعة "

حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم القرشي، قال: سمعت أبا يحيى الوقار، قال: لما طلب ابن وهب للقضاء تغيب، فسمع وهو يقول: «يارب يقدم عليك إخواني غدا علماء حلماء فقهاء، وأقدم عليك قاضيا لا يارب ولو قرضت بالمقاريض»

حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثني ابن قديد، عن يحيى بن عثمان، قال: حدثني حجاج بن مذكور المؤذن، قال: " لما طلب ابن وهب للقضاء، جمع آخاءه، وأهله، فشاورهم، فقالوا له: لعل أن يحيا الحق على يديك أو نحو هذا.

فقال لهم: أكلة في بطونكم أردتم أن تأكلوا ديني "

حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا العباس بن محمد بن العباس، قال: حدثنا أبو الربيع سليمان ابن أخي رشدين، قال: حدثني حجاج بن رشدين، قال: " أشرفت على ابن وهب من غرفتي، فسلمت عليه.

فقال لي: يا أبا الحسن، بينا أنا أرجو أن أحشر في زمرة العلماء، أأرجو أن أحشر في زمرة القضاة، وكان تغيب "

حدثنا محمد بن يوسف، قال: أخبرني عبد الحكم بن أحمد بن سلام الصدفي، قال: حدثني ابن عمرو الغافقي، قال: «كانت مواحيز مصر يعمرها أهل الديوان وطائفة **المطوعة**، وكانت أحباس السبيل التي يتولاها القضاة تجمع في كل سنة، فإذا كان شهر أبيب من شهور القبط بعث القاضي لما اجتمع من أموال السبيل، ففرقت في مواحيز مصر من العريش إلى لوبية ومراقية، فتفرق على **المطوعة**، ومن كان فقيرا من أهل الديوان، فلما هاجت الفتنة أيام خلع محمد بن هارون تشاغل السلطان عن عطاء أهل الديوان، وتعطلت المواحيز، وانقطع عنها **المطوعة** لما كان في الناس من الفتنة، ثم ولي لهيعة بن عيسى، فجمع أموال السبيل التي من الأحباس، ففرض فيها فروضا من أهل مصر، وجعل فيها **المطوعة** الذين كانوا يعمرون المواحيز، وأجرى عليهم العطاء من الأحباس،." (١)

"وسمعت أبا بكر البرقاني يقول: كان حسينك ثقة جليلا حجة.

وقال لنا مرة أخرى: سمعت منه ببغداد وكان من أثبت الناس وأنبلهم.

---

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي الكندي، أبو عمر ص/٣٠٠

أخبرني محمد بن علي المقرئ عن محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري قال:
كان حسينك تربية أبي بكر بن خزيمة، وجاره الأدنى، وفي حجره من حين ولد إلى أن توفي أبو بكر، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، فكان ابن خزيمة إذا تخلف عن مجالس السلاطين بعث بالحسين نائبا عنه، وكان يقدمه على جميع أولاده، ويقرأ له وحده ما لا يقرؤه لغيره، وكان يحكي أبا بكر في وضوئه وصلاته فإني ما رأيت من الأغنياء أحسن طهارة وصلاة منه، ولقد صحبته قريبا من ثلاثين سنة في الحضر والسفر، في الحر والبرد، فما رأيته ترك صلاة الليل، وكان يقرأ كل ليلة سبعا من القرآن ولا يفوته ذلك، وكانت صدقاته دائمة في السر والعلانية. ولما وقع الاستنفار لطرسوس دخلت عليه وهو يبكي ويقول: قد دخل الطاغي ثغر المسلمين طرسوس وليس في الخزانة ذهب ولا فضة، ثم باع ضيعتين نفيستين من أجل ضياعه بخمسين ألف درهم، وأخرج عشرة من الغزاة المتطوعة الأجلاد بدلا عن نفسه.
وسمعته غير مرة يقول: اللهم إنك تعلم أني لا أدخر ما أدخره، ولا أقتني هذه الضياع إلا للاستغناء عن خلقك والإحسان إلى أهل السنة والمستورين.
قرأت في كتاب البرقاني بخطه: ولد حسينك سنة ثلاث وتسعين ومائتين.
وقال لي القاضي أبو العلاء الواسطي: توفي حسينك صبيحة يوم الأحد الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، وصلى عليه أبو أحمد الحافظ- بنيسابور- وكان مولده في سنة ثمان وثمانين ومائتين.
٤١٥٥- الحسين بن علي بن ثابت، أبو عبد الله المقرئ [١] :
صاحب القصيدة في قراءة السبع. رواها لنا عنه أحمد بن محمد العتيقي وذكر لي أنه توفي في شهر رمضان من سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، وكان ينزل التوثة، وكان عمل القصيدة في وقت النقاش، وأعجب بها النقاش وشيوخ زمانه، وقد كان ولد أعمى وكان حافظا.
قال: وبلغني أنه كان يحضر مجلس ابن الأنباري فيحفظ ما يمليه. وكان أملى هذه

---

[١] ٤١٥٥- انظر: المنتظم، لابن الجوزي ١٤/٣٣٠.." (١)
"باب أجيد وأحيد:
أما أجيد بالجيم فهو أجيد بن عبد الله بن بشر بن محمد بن إبراهيم الكندي ابن عم أبي سهيل أحمد بن

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٧٤/٨

سهيل بن بشر روى عنه أحمد بن زهير ابن كثير وسعيد بن أيوب١ وسفيان بن عبد الحكيم.

وأما أحيد بحاء مهملة فهو أحيد بن يونس بن الجنيد كذلك يسميه عبد الله بن محمد بن يعقوب البخاري في روايته عنه٢، وأحيد بن الحسين أبو محمد البلخي البامياني حدث عن علي بن الحسن الرازي المعروف بكراع ومقاتل بن إبراهيم والليث بن مساور وغيرهما من البلخيين٣، روى عنه عبد الله بن محمد بن علي بن طرخان وأبو حرب محمد بن محمد بن أحيد وعلي بن محمد الخالدي، وأحيد بن أحمد بن يعقوب البزاز البخاري حدث عن عمه سهل بن يعقوب وإسحاق بن حمزة كنيته أبو أحمد روى عنه خلف بن محمد بن إسماعيل وأبو الأسد أحمد بن إبراهيم ومحمد بن أحمد بن حرب توفي أحيد بن أحمد بن يعقوب لثلاث بقين من صفر سنة خمس وثلاثمائة، و أحيد بن زاذجة رئيس المطوعة ببخارى روى عنه إبراهيم بن عفان البزاز البخاري، وأحيد بن محمد أبو حاتم الفقيه البخاري حدث عن خاقان وأبي حفص ومحمد بن سلام وسعيد بن منصور وسليمان بن حرب وغيرهم روى عنه محمد بن واضح ومحمد بن سعيد بن محمود،

---

١ هكذا في الأصول والمشتبه والتوضيح ووقع في التبصير "سعيد بن أبي أيوب".

٢ نص ".... الجنيد البخاري حدث عن صهيب بن عاصم المقرئ عن زيد بن الحباب روى عنه عبد الله بن محمد بن يعقوب البخاري وسماه كذلك في روايته عنه وروى عنه أحمد بن أحيد بن حمدان فسماه أحمد بالميم ينظر في تاريخ بخارى" وسيأتي في الأصل نحو هذا قبيل "الآباء" حيث أعيد في الأصل هذا الرجل.

٣ نص " ... مساور وأزهر بن سليمان البلخيين".." (١)

"والعقب من مجد الرؤساء الحسن بن علي بن حاتم «١» : علي، والأمير أبو سعد، مات علي في شهور سنة خمس وخمسين وخمس مئة، والعقب منه: محمد، ولمحمد:

الحسن، وعلي.

والعقب من الشيخ محمد بن حاتم الزاهد المعتكف، ذو الخط الحسن أبو الفضل.

والعقب من أبي الفضل: علي، وجمال الأمراء محمد الأصيل.

السالاريون

---

(١) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ابن ماكولا ٢١/١

ويرجع نسبهم إلى السالار أبي العباس المحسن بن علي بن أحمد المطوعي، وكان أبو العباس هذا قائد الغزاة، وقد ذهب مع **المطوعة** مرات إلى طرسوس «٢» للغزو، وخلف الكثير من الأولاد والأحفاد والرؤساء والفضلاء من الحكام وذوي الفضل، وكانت رئاسة القصبة برسمهم لمدة من الزمن، وقد بقي منهم اليوم أشخاص متفرقون ودع عهدهم الرفاهية.

وكل عمر إلى فناء ... وكل ملك إلى زوال

ومن هذا البيت: الزكي علي بن أحمد بن علي بن المحسن، وعلي بن أحمد بن محمد بن المحسن، والرئيس أصيل الرؤساء أبو عبد الله المحسن بن أبي نصر محمد بن علي بن المحسن، ومحمد بن الحسن بن أحمد السالار.

والنسبة إلى السالار كثيرة في هذه الناحية، إلا أن البيت القديم وأهل الفضل كانوا هم أهل هذا البيت.." (١)

---

(١) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٢٤٨

"وأخبرنا أبو القاسم الشحامي أنا أبو بكر الجعفي (١) أنا أبو طاهر الفقيه أنا أبو الحسن علي بن محمد بن سحنوية نا أبو بكر يعقوب بن يوسف المطوعي (٢) نا الربيع بن ثعلب نا يحيى بن عقبة بن أبي العيزار عن سفيان الثوري والوليد بن نوح والسري بن مصرف (٣) يذكرون عن طلحة بن مصرف عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبت لعمر بن الخطاب حين صالح أهل الشام وقال للمسلمين أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا نحيي ما كان منها في خطط المسلمين وأن لا نمنع كنائسنا أن ينزلها (٤) أحد من المسلمين في ليل ولا نهار وأن نوسع

---

(١) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٥٩٨

أبوابها للمارة وابن السبيل وأن ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم ولا نؤوي في منازلنا ولا كنائسنا جاسوسا ولا نعلم أولادنا القرآن وأن لا نظهر شركاء ولا ندعو إليه أحدا وأن لا نمنع أحدا من ذوي قراباتنا الدخول في الإسلام إن أرادوه وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شئ من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نكنا بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وأن نجز مقادم رؤوسنا وأن نلزم زينا حيث ما كنا وأن نشد الزنانير على أوساطنا وأن لا نظهر صلبنا وكتبنا في شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم وأن لا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضربا خفيا وأن لا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شئ من حضرة المسلمين وأن لا

---

(١) الاصل وخع وفي المطبوعة: البيهقي

(٢) هذه النسبة إلى المطوعة وهم جماعة فرغوا أنفسهم للجهاد والغزو ورابطوا في الثغور (الانساب)

(٣) مر قريبا " مطرف " ولعله تصحيف " مصرف "

(٤) بالاصل: " أن لا ينزلها " والمثبت عن خع." (١)

"وقف يزيد بن سياه على برذون أشهب وعليه ثياب بياض فما لبث أن اسودت ثيابه ودابته (١) مما مسح الناس به ومما صبوا عليه من الطيب انتهى أخبرنا أبو غالب الماوردي أنبأنا أبو الحسين السيرافي أنبأنا أحمد بن إسحاق نبأنا أحمد بن عمران نبأنا موسى بن زكريا نبأنا خليفة بن خياط قال بعث يعني مروان حبيش بن دلجة القيني إلى الحجاز فقتله الحنتف بن السجف العجيفي (٢) انتهى قال وقال أبو الحسن وأبو اليقظان وغيرهما قال حين جاء مروان قتل سليمان يعني ابن صرد بعين الوردة وأصحابه وجه حبيش بن دلجة القيني في رجب سنة خمس وستين إلى المدينة في أربعة آلاف من أهل الشام وقال أنت على ما كان عليه مسلم بن عقبة فخرج حبيش ومعه عبد الله بن مروان بن الحكم وعبيد الله بن الحكم بن أبي العاص ويوسف بن الحكم (٣) وابنه الحجاج وبالمدينة جابر بن الأسود بن عوف بن أخي عبد الرحمن بن عوف واليا لابن الزبير فلم يقاتله فأقام حبيش بالمدينة ثلاثا قالوا وندب عمر بن عبيد الله بن معمر بن تميم قريش الناس بالبصرة وهو واليها فانتدب (٤) ألف وثلاثمائة من المطوعة عليهم أبو العالية مولى لبني العبس وثلاثمائة من الأساورة عليهم يزيد بن سياه وولى عليهم جميعا الحنتف (٥) بن السجف بن سعد بن عوف

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٧٧/٢

بن ربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم فالتقوا بالربذة في غرة شهر رمضان سنة خمس وستين وقتل حبيش بن دلجة وعبد الله بن مروان وعبيد الله بن الحكم وقتل الحكم أخيرهم في المعركة وهرب الباقون فتبعهم الأعراب فقتلوا أكثرهم وهرب الحجاج ردف خلف أبيه انتهى أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي أنبأنا أبو محمد الجوهري أنبأنا أبو عمر بن حيوية أنبأنا أحمد بن معروف أنبأنا الحسين بن الفهم نبأنا محمد بن سعد أنبأنا محمد بن عمر نبأنا موسى بن يعقوب عن عمه أبي الحارث بن عبد الله بن

---

(١) في الطبري: ورايته

(٢) في الطبري: التميمي

(٣) بالاصل: " الحجاج " والمثبت عن الطبري ٥ / ٦١٢

(٤) بالاصل " فامتدت "

(٥) الطبري: الحنيف." (١)

"الحسن بن سفيان يقول إنما فاتني يحيى بن يحيى فالوالدة لم تدعني أخرج إليه فعوضني الله بأبي خالد بن الفراء وكان أسند من يحيى (١)

بن يحيى قال وأنا أبو عبد الله قال سمعت أبا بكر محمد بن جعفر البشتي (٢) يقول: سمعت الحسن بن سفيان يقول لولا اشتغالي بحبان بن موسى وسماع مصنفات ابن المبارك منه لجئتكم بأبي الوليد الطيالسي وسليمان (٣) بن حرب قرأت على أبي القاسم الشحامي عن أبي بكر البيهقي قال سمعت أبا عبد الله الحافظ يقول سمعت أبا بكر محمد بن داود بن سليمان يقول كنا عند الحسن بن سفيان ببالوز (٤) دخل عليه أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وأبو عمرو أحمد بن محمد الحيري وأبو بكر أحمد بن علي الرازي الحافظ في جماعة أصحاب أبي بكر المطوعة وهم متوجهون إلى فراوة (٥) فقال له أبو بكر بن عي: قد كتبت للأستاذ أبي بكر محمد بن اسحاق هذ الطبق من حديثك فقال هات اقرأ فأخذ يقرأ فلما قرأ أحاديث أدخل إسنادا منها في إسناد فرده الحسن إلى الصواب فلما كان بعد ساعة أدخل أيضا إسنادا في إسناد فرده إلى الصواب فلما كان في الثالثة قال له الحسن ما هذا لا تفعل فقد احتملتك مرتين وهذه الثالثة وأنا ابن تسعين سنة فاتق الله في المشايخ فربما استجيبت فيك دعوة فقال أبو بكر

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٨٩/١٢

محمد بن إسحاق لا تؤذ الشيخ فقال أبو بكر أنا أردت أن يعلم الأستاذ أن أبا العباس يعرف حديثه (٦) قال وسمعت أبا الوليد (٧) الفقيه يقول كان الحسن بن سفيان أديبا فقيها أخذ الأدب عن أصحاب النضر بن شميل والفقه (٨) عن أبي ثور (٩)

---

(١) الخبر نقله ابن العديم والذهبي في سير الأعلام ١٤ / ١٥٨

(٢) في سير الأعلام ١٤ / ١٥٨ وابن العديم ٥ / ٢٣٧٠ البستي

(٣) بالأصل:: وسلمان والمثبت عن المصدرين السابقين

(٤) بالأصل ببالور والصور ما أثبت وبالوز من قرى نسا على ثلاثة فراسخ منها (ياقوت)

(٥) ضبطت عن الأنساب واللباب بضم الفاء وفي ياقوت: فراوة بالفتح بليدة من أعمال نسا بينها وبين دهستان وخوارزم ويقال لها: رباط فراوة

(٦) الخبر في بغية الطلب ٥ / ٢٣٧٠ وسير أعلام النبلاء ١٤ / ١٥٨ - ١٥٩

(٧) اسمه حسان بن محمد انظر ترجمته في سير الأعلام ١٥ / ٤٩٢ وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٩٥

(٨) بالأصل: والفقيه والصواب عن سير الأعلام

(٩) الخبر في بغية الطلب ٥ / ٢ ٣٦٨ - ٢٣٦٩ وسير الأعلام ١٤ / ١٥٩." (١)

"العلاء (١) عن أبي صالح عن أبي هريرة قال كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي فإذا سجد ركب الحسن والحسين على ظهره فإذا رفع رأسه أخذهما بيده أخذا رفيقا فوضع أحدهما على فخذه والآخر في حجره فقلت يا رسول الله أذهب بهما إلى أمهما قال لا قال فبرقت برقة فقال الحقا بأمكما فلم يزالا في ضوء تلك البرقة حتى لحقا بأمهما أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين أنا أبو علي بن المذهب أنا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد (٢) حدثني أبي نا أسود بن عامر نا كامل وأبو المنذر نا كامل قال أسود قال أخبرنا المعنى (٣) عن أبي صالح عن أبي هريرة قال كنا نصلي مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) العشاء فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذا رفيقا فيضعهما على الأرض فإذا عاد عادا حتى قضى صلاته أقعدهما على فخذه (٤) قال فقمت إليه فقلت يا رسول الله أردهما فبرقت برقة فقال لهما الحقا بأمكما قال فمكث ضوؤها حتى دخلا أخبرنا أبو بكر بن المزرفي (٥) نا أبو الحسين الهاشمي أنا علي بن عمر الحرمي (٦) نا أحمد بن الحسن بن عبد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٠٢/١٣

الجبار أنا عبد الرحمن بن صالح ح وأخبرنا أبو غالب بن البنا أنا عبد الصمد بن علي بن محمد أنا أبو الحسن الدارقطني نا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز إملاء من لفظه نا عبد الرحمن بن صالح الأزدي نا موسى بن عثمان الحضرمي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال كان الحسين عند النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان يحبه حبا شديدا فقال اذهب إلى أبي وفي حديث البغوي إلى أمي (٧) فقلت أذهب معه قال فجاءت

---

(١) في بغية الطلب ٦ / ٢٥٧٥ "كامل أبو العلاء "

(٢) مسند الامام أحمد ٢ / ٥١٣

(٣) بالاصل " المعي " والمثبت عن مسند الامام أحمد

(٤) في المسند: فخذيه

(٥) بالاصل والترجمة المطبوعة: " المزرقي " والصواب بالفاء

وقد مر

(٦) كذاب الاصل وفي ترجمته في سير الاعلام ١٦ / ٥٣٨ " الحربي " وفيها: ويعرف أيضا بالصيرفي وبالكيال

(٧) قوله: " إلى أمي " عن الترجمة المطوعة ومكانها بالاصل: أمه." (١)

"أحب إليك فقال ابن عمي أحب إلي في قرابته وهذا أحب إلي في ديني فإن هذا أخي في ديني على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وناصري على ابن عمي فاستحب أن يكون مع شرحبيل بن حسنة أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو علي محمد بن محمد بن أحمد أنا علي بن أحمد بن عمر أنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن نا الحسن بن علي القطان نا إسماعيل بن عيسى العطار حدثني إسحاق بن بشر عن محمد بن إسحاق أن خالد بن سعيد لما بلغه قول أبي بكر ونزعه لبس ثيابه وتهيأ بأحسن هيئة ثم أقبل نحو أبي بكر وعنده المهاجرون والأنصار أجمع ما كانوا (١) عنده وقد تهيأ الناس وأمروا بالنزول بالعسكر فسلم على أبي بكر ثم على المسلمين ثم جلس فقال لأبي بكر أما أنت قد وليتني أمر المسلمين وأنت غير متهم لي ورأيك في حسن حتى خوفت أمرا والله لأن أخر من رأس حالق وتخطفني (٢) الطير بين السماء والأرض أحب إلي من أن يكون مني والله ما أنا في الإمارة براغب ولا أنا على البقاء

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٥٩/١٤

في الدنيا بحريص وإني لأشهدكم إني وإخوتي ومن خرجنا في وجهنا به من عون أو قوة في سبيل الله نقاتل به المشركين أبدا حتى يهلكوا أو نموت لا نريد به سلطانا ولا عرضا من الدنيا قال فقال له الناس خيرا ودعوا له وقال أبو بكر أعطاني الله في نفسي الذي أحب لك ولأخوتك والله إني لأرجو أن تكون من فصحاء الله في عباده وإقامة كتابه واتباع سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال فخرج هو وإخوته وغلمانه ومن اتبعه وكان أول من عسكر قال ولما تهيأ الناس للخروج وترافق الناس وانضمت **المتطوعة** إلى من أحبت نزل خالد بن وسيد تحت لواء أبي عبيدة يسير معه قال فقال بعض الناس لخالد بن سعيد حين تهيأ للخروج مع أبي عبيدة لو كنت خرجت مع ابن عمك يزيد بن أبي سفيان فقال ابن عمي أحب ألي من هذا لقرابته وهذا أحب إلي من أبي عمي في دينه وقرابته هذا كان أخي على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووليي وناصري قبل اليوم على ابن عمي فأنا به أشد استئناسا وإليه أشد طمأنينة

---

(١) الاصل: " ماتوا " والمثبت عن م

(٢) الاصل وم: " وتخطفي " والمثبت عن المختصر." (١)

"روى عنه ابنه أبو محمد وكان أمير الغزاة **المطوعة** من أهل دمشق أخبرنا أبو القاسم الخضر بن الحسين بن عبدان بقراءتي عليه عن عبد العزيز بن أحمد أنبأ أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن معروف قال قرأت على أبي عثمان بن القاسم قال قرئ على أبي عبد الله محمد بن المعافى بن أحمد بن محمد بن بشير بن أبي كريمة الصيداوي بصيدا وأنا أسمع نا هشام بن عمار نا سعيد بن يحيى اللخمي نا موسى بن عبيدة الربذي عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي

[٨٠٦٢] أخبرناه عاليا أبو القاسم زاهر بن طاهر عن أبي سعد محمد بن عبد الرحمن أنبأ الحاكم أبو محمد أنا أبو بكر محمد (١) بن مروان بدمشق نا هشام بن عمار مثله قرأت بخط أبي الفرج غيث بن علي قال قرأت في تاريخ المختار يعني محمد بن عبيد الله بن أحمد بن إدريس المسبحي (2) وفي هذه السنة سنة ست وخمسين وثلاثمائة توفي أبو الحسين عثمان بن القاسم بن معروف (٣) بدمشق وكانت وفاته من نزلة لحقته أعقبته (٤) ما كان سبب منيته وكان كثير الرغبة في الجهاد شديد العناية والبر

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٨١/١٦

للمجاهدين بماله ونفسه عفيفا رحمه الله ونفعه بأعماله الصالحة أخبرنا أبو محمد بن الأكفاني نا عبد العزيز الكتاني قال وذكر يعني الميداني أن أبا عثمان بن القاسم بن معروف (٣) بن أبي نصر والد عبد الرحمن توفي بدمشق سنة تسع وأربعين وثلاثمائة قال عبد العزيز حدث عن محمد بن المعافى الصيداوي حدثنا عنه ابنه عبد الرحمن وكان أمير جيوش الغزاة من دمشق

٤٦٣١ - عثمان بن قيس روى عن واثلة بن الأسقع فعله

---

(١) الزيادة عن م و " ز "

(٢) ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧ / ٣٦١

(٣) ما بين الرقمين سقط من م

(٤) اللفظة غير واضحة في الاصل و " ز "." (١)

"ما كانوا وذلك أن مسلمة لما رأى من جموعه وكثرة من معه أعجبه ذلك فكتب إليه يؤدبهم لحربهم ويتهددهم بجموعه ثم أقام بعد كتابه نحوا من ثلاثة أشهر وقد جمعوا جمعا لم يكن به طاقة وقد رأيت أن يأذن لي أن أغزوهم غزوة أطأ فيهم حريمهم وأنتقم للمسلمين منهم فقال قد أذنت لك قال فأمدني عليهم بعشرين ومائة ألف فارس رامح فقال قد فعلت ذاك وهم آتوك قال ويكتم ذاك أمير المؤمنين من خاصته وعامته فإني لو قدمت البلاد أذعت محاربة أمة من الأمم ممن خولنا غيرهم فإذا قدمت الجنود وفرغت من أمورهم اغتررتهم بالدخول عليهم قال فافعل فودعه وانصرف فلا يدري أحد ما كلمه به من ذلك قال وأخبرني الوليد قال فحدثني غير واحد ممن شهد غزاة السائحة مع مروان أحدهم شيخ من أهل قنسرين قال قدمنا على مروان في عشرين ومائة ألف فارس رامح هن (١) جميع أجناد الشام والجزيرة والموصل **والمتطوعة** كثيرة من أهل العراق وغيرهم فقدمنا عليه وهو مظهر لمحاربة ملك اللان وغيره وقد كتب إلى صاحب خزر يعرض له بالصلح فإن كان لك في شئ من ذلك هوى فوفد إلي وافدا نعاملهم عليه يقدم عليك وفدي بتمام ذلك والشهادة علي وعليك فوجه صاحب خزر وفدا ومروان يعرض الخيول ويعطل إذ (٢) ويتجهز لإمره ويحضرهم مجلسه ويقرب منهم ويسمعهم ما يحبون ويتلطى على الأمة التي ذكر حتى إذا فرغ فلم يكن إلا الشخوص أظهر لوفد الخزر الحسيبة فأغضبهم ذلك فأسمعوه فأمر بحملهم على مركبهم من البريد على طريق الباب وهي تدور ولم يأذن لهم أن يدخلوا من باب اللان وقال لهم أعلموا صاحبكم أني قد أذنته

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٠/٤٠

بحرب فمضى الوفد إلى الباب ودخل هو من باب اللان وقدموا على طاغيتهم فأخبروه أنه تجهز بجهاز لم يروا مثله وأعد جمعا لم يروامثله وقد آذنك بحرب قال وجاءه الخبر أن هذا مروان قد دخل عليك فجمع أهل مشورته وطراخينه فقال ما ترون وما تقولون قالوا إن مسلمة آذنك بحربه وتصرع في بلاده حتى جمعت له وإن هذا اعتراك فقد رهقك فإن أنت سرت إليه بمن حضرك هزمك وبلغ منك وإن أنت أردت أن تجمع له لم يجتمع لك جنودك ثلاثة أشهر وإلى ذلك ما قد بلغ منك

---

(١) كذا بالاصل وم وز

(٢) كذا بالاصل وم وز." (١)

"عيسى قال فخرجتا تمشيان متسترتين (١) فلما أن برزتا تركتا بعض التستر فبينما هما يمشيان إذ تسترت مريم قال وذلك حين دنت من القبر قال وجعلت أم يحيى لا تستتر (٢) قالت لها مريم مالك لا تستترين قالت وممن أستتر قالت أوما ترين الرجل على قبر المسيح؟ قالت لها أم يحيى ما أرى أحدا قالت لا قال فرجت (٣) مريم أن يكون جبريل قال ولم يكن لها عهد بجبريل بعد الوقعة الأولى فقالت لأم يحيى كما أنت لا تبرحي ومضت إلى القبر فلما انتهت إليه قال لها جبريل يا مريم أين تريدين قال فعرفته فقالت أريد قبر المسيح أسلم عليه وأحدث به عهدا قال يا مريم إن هذا ليس بالمسيح إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ولكن هذا الفتى الذي ألقى عليه شبه عيسى فأخذ وقتل وصلب وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون ما فعل فهم يبكون عليه فإذا كان يوم كذا وكذا فأتي غيضة كذا وكذا فإنك تلقين المسيح قال فرجعت إلى أختها وصعد جبريل قال فأخبرت أم يحيى أنه جبريل وما أخبرها جبريل من إتيان الغيضة من يوم كذا وكذا فلما كان ذلك اليوم الذي أمرها به فيه جبريل غدت مريم إلى الغيضة فإذا هي بعيسى في الغيضة فلما رآها أسرع إليها فأكب عليها فقبل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل وقال يا أمه إن القوم لم يقتلوني ولكن الله رفعني إليه وأذن لي في لقائك والموت يأتيك قريبا فاصبري واذكري (٤) الله ثم صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك اللقاة (٥) حتى ماتت وبلغني أن مريم بقيت بعد رفع عيسى خمس سنين وكان عمرها ثلاثا وخمسين سنة (٦)

٩٤٢٨ - مرية ويقال مرية امرأة هشام بن عبد الملك ومروان بن محمد ويقال إنها بنت مروان بن محمد أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم عن رشأ بن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٢٥/٥٧

(١) تقرأ بالاصل: " مشتريان " والمثبت عن المختصر والمطوعة

(٢) بالاصل: " تستر " والمثبت عن المختصر والمطبوعة

(٣) بالاصل: فرحت والمثبت عن المختصر وابن كثير

(٤) بالاصل: " واذكر " والمثبت عن البداية والنهاية

(٥) كذا بالاصل: لقاه وهي اللقية وفي البداية والنهاية

(٦) في تاريخ الطبري: بقيت بعد رفعة (عيسى) ست سنين وكان جميع عمرها نيفا وخمسين سنة وذكر أنها حملت به وكان عمرها ثلاث عشرة وأن عيسى عاش إلى أن رفع اثنتين وثلاثين سنة وبقيت بعده ست سنوات (وإذا حسبنا أشهر الحمل) يصبح عمرها ٥٢ سنة." (١)

"وقلت حلمت في النوم أحلم حلما [١] [وحلم] ليس بمصدر وإنما هو اسم، قال الله تعالى: والذين لم يبلغوا الحلم منكم

(النور: ٥٨) وإذا كان للشيء مصدر واسم لم يوضع الاسم موضع المصدر، ألا ترى أنك تقول حسبت الشيء أحسبه حسبا وحسبانا والحسب المصدر والحساب الاسم، ولو قلت ما بلغ الحسب إليك ورفعت الحسب إليك لم يجز وأنت تريد ورفعت الحساب إليك وقلت: رجل عزب وامرأة عزبة [٢] : وهذا خطأ إنما يقال رجل عزب وامرأة عزب لأنه مصدر وصف به فلا يجمع ولا يثنى ولا يؤنث، كما يقال رجل خصم وامرأة خصم. وقد أتيت بباب من هذا النوع في الكتاب وأفردت هذا منه قال الشاعر [٣] :

يا من يدل عزبا على عزب

وقلت كسرى بكسر الكاف [٤] وهذا خطأ إنما هو كسرى، والدليل على ذلك أنا وإياكم لا نختلف في النسب إلى كسرى يقال كسروي، بفتح الكاف، وليس هذا مما يغير بالنسب لبعده منها ألا ترى أنك لو نسبت إلى معزى لقلت معزوي وإلى درهم قلت درهمي ولا يقال معزوي ولا درهمي. وقلت وعدت الرجل خيرا أو شرا [٥] فإذا لم تذكر الشر قلت أوعدته بكذا نقضا لما أصلت لأنك قلت بكذا، وقولك بكذا كناية عن الشر، والصواب أن تقول إذا لم تذكر الشر قلت أوعدته. وقلت: وهم المطوعة [٦] وإنما هم المطوعة بتشديد الطاء كما قال الله تعالى: يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات

(التوبة: ٧٩) فقال: ما قلت إلا المطوعة، فقلت: هكذا قرأته عليك وقرأه غيري وأنا حاضر أسمع مرارا.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٢٢/٧٠

وقلت: هو لرشدة وزنية كما قلت هو لغية [٧] الباب فيها واحد، لأنه إنما يريد المرة الواحدة، ومصادر الثلاثي إذا أردت المرة الواحدة لم

---

[١] الفصيح: ٣٣.

[٢] الفصيح: ٦٦.

[٣] هو شطر من رجز لعمرة بنت الحمارس كما في عيون الأخبار ٢: ٢٧ والمختار من شعر بشار: ٢٣٧.

[٤] الفصيح: ٥٠.

[٥] الفصيح: ٢٥.

[٦] الفصيح: ٩١.

[٧] الفصيح: ٤٩- ٥٠.." (١)

"والمسيب بن واضح وهشام بن عمار ودحيما وأقرانه وصنف المسند الكبير والمعجم والجامع وغير ذلك روى عنه محمد بن إسحاق بن خزيمة وجعفر بن محمد بن سوار وأحمد بن الشرقي وكان محدث عصره سمعت إسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان يقول توفي جدي أبو العباس سنة ثلاث وثلاثمائة سمعت محمد بن أحمد بن علي يقول سمعت الحسن بن سفيان يقول دخلت بنيسابور سنة ست وعشرين ومائتين بعد موت يخيى بن يحيى بستة أشهر فسمعت أبا بكر محمد بن جعفر البستي يقول سمعت الحسن بن سفيان يقول لولا اشتغالي بحبان بن موسى وسماعي مصنفات ابن المبارك منه لجئتكم بأبي الوليد وسليمان بن حرب.

سمعت أبا محمد داود بن سليمان يقول كنا عند الحسن بن سفيان ببالوز دخل عليه أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وأبو عمرو أحمد بن محمد الحيري وأبو بكر أحمد بن علي الرازي الحافظ في جماعة من أصحاب أبي بكر **المطوعة** وهم متوجهون إلى فراوة فقال له أبو بكر ابن علي قد كتب الأستاذ محمد بن إسحاق هذا الطبق من حديث فقال هات فأقرأ فأخذ يقرأ فلما كان بعد ساعة أدخل أيضا إسنادا في إسناد فرده الى الصواب فلما كان في الثالثة قال له الحسن ما هذا لا تفعل قد احتملتك مرتين وهذه الثالثة وأنا ابن تسعين سنة واتق الله في المشايخ فربما استجيبت فيك دعوة فقال له أبو بكر ابن علي إنما أردت أن يعلم الأستاذ أن أبا العباس يعرف حديثه.

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٥٧/١

أخبرنا زاهر بن أبي طاهر إجازة عن زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابوني قال أنبأ الحاكم بالترجمة.

٢٧٧- الحسن بن محمد بن علي بن حاتم أبو علي الروذباري الطوسي.

سمع السنن لأبي داود من أبي بكر بن بكر بن داسة حدث بها عنه

٢٧٧- راجع ترجمته في: شذرات الذهب ١٦٨/٣ وفيه: "الحسين"، والعبر ٢٠٦/٢.." (١)

"١٤ مع الأمير إبراهيم ابن يوسف بن تاشفين اللمتوني هو وقرينه في الفضل أبو عبد الله بن الفراء وحضرا يوم قتندة المشهور بالثغر الأعلى يوم الخميس لست بقين من ربيع الآخر من السنة وحقت على المسلمين الهزيمة وكانا في من فقد رحمهما الله وقال أبو القاسم بن بشكوال في الصلة استشهد القاضي أبو علي رحمه الله في وقعة كتندة بثغر الأندلس يوم الخميس ووافق عياضا إلا في الشهر فإنه قال من ربيع الأول وهو الأصح وقال أبو عمرو الخضر بن عبد الرحمن توفي في الكاينة على المسلمين بكتندة عشر يوم الخميس الثامن عشر من شهر ربيع الأول فتابع ابن بشكوال على الشهر وقرأت بخط أبي عبد الله بن مدرك الغساني المالقي استشهد الفقيه أبو علي رحمه الله في وقعة كتندة يوم الخميس التاسع عشر من ربيع الأول وذكر السنة قال وكانت على المسلمين جبرهم الله قتل فيها من **المطوعة** نحو من عشرين ألفا ولم يقتل فيها من العسكر يعني الجند أحد وحكى غيرهم أن العسكر انصرف مفلولا إلى بلنسية في الموفي عشرين من ربيع الأول أيضا وأن القاضي أبا بكر بن العربي حضرها قال وسيل فخلصه منها عن حاله فقال حال من ترك الخبا والعبا ولم يذكرعياض في المعجم وفاة أبي علي فلزم الإتيان بها والتبيان لسببها حدثنا القاضي أبو الخطاب أحمد بن محمد القيسي الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك نا القاضي أبو القاسم أحمد بن إبراهيم بن أبي." (٢)

"من أجلاد الرجالة أهل القوة والنشاط والنية من **المطوعة** المسجدية، حتى إذا نزلوا أول منزل، تبتل شيخ، بل شيوخ من الصلحاء معروفون بحفظ من هناك من الغلمان المرموقين بالصباحة والوضاءة، فتنضاف طبقة طبقة إلى ذي معرفتهم وثقتهم وحصلوا تحت (٦٦- ظ) علمه ورايته، فلو هم أحدهم بالوضوء لصلاة لما أفرج عنه إلا برقيب ثقة أمين شيخ معروف، يمضي معه لحاجته، حتى إذا فرغ منها عاد إلى جملته. وقد رأينا في آخر أيام طرسوس رجلا يعرف برؤبة يجتمع إليه الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم، يزيد عددهم

---

(١) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ابن نقطة ص/٢٣٢

(٢) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي ابن الأبار ص/٨

على ألف صبي كلهم بالسلاح الذي يمكن مثله حمل مثله، وبمزاودهم وقد أعدوا فيها من صنوف أطعمة أمثالهم يطوف جميعهم بمطرد يحمله رؤبة، يسيرون بسيرة ويقفون بوقوفه، فلا يزال ذلك دأبهم حتى إذا عاد السلطان إلى مقر داره عند رجوعه من نفيره، دخل أولئك الصبيان أمامه على مراتبهم، يصفهم قائدهم الأمثل فالأمثل، رماتهم عن قسي الرجل التي قد عملت على مقاديرهم، ثم رماتهم عن القسي الفارسية، وربما كان فيه من أولاد اليمانية من يحمل القسي العربية بنبلها، فيدخلون فوجا فوجا صبيين صبيين، ثم من يحسن الثقاف، فيثاقف قرينه ومثله وخدينه وشكله حتى يدخل كل صنف منهم في مرتبته، ثم يتلوهم رؤبة قائدهم بمطرده وعلامته، حتى إذا خرج أحد أولئك الصبيان من حد الطفولة، واشتد عضده، وقارب حد البلوغ، أو بلغ، أو تجاوز البلوغ قليلا، إنضاف إلى قائد من قواد الرجالة الذين ذكرت، وصحبه في نفيره وغزوه، وارتاد لنفسه الرفاق بحسب ما يختار تربه وجاره وقرينه، فإذا التحى، وخرج عن حد المرد دخل في جمهور (٦٧- و) الناس، حاذقا بما يحتاج إليه، ماهرا بصيرا بأمر جهاده وتدبير أمره، نافذا يقظا إن شاء الله.

وقع إلي قصيدة الأعلام، وهي أرجوزه نظمها أبو عمرو القاسم بن أبي داود." (١)

"ذكر الهارونية

قال أبو زيد البلخي في كتابه: والهارونية غربي جبل اللكام في بعض شعابه (٧٨- ظ) وهي حصن صغير، بناها هرون الرشيد، فنسبت إليه.

وقال أحمد بن الطيب في المسالك والممالك: ومن عوادل الثغور الشامية الهارونية، كنيسة السوداء، تل جبير.

وذكر أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب في كتاب البلدان قال: وللثغور الشامية مدينة عين زربه، والهارونية، والكنيسة المحترقه.

قال: وبنى الهارونيه الرشيد في أيام المهدي، وهو ولي عهد.

قال البلاذري: ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة أمر- يعني الرشيد- ببناء الهارونية فبنيت وشحنت أيضا بالمقاتله ومن نزع إليها من المطوعة، ونسبت إليه، ويقال أنه بناها في خلافة المهدي رحمة الله عليه،

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ١/١٨٩

ثم أتمت في خلافته «١» .

***. " (١)

"ومن أفراد حرف الطاء في آباء الأحمدين

أحمد بن طغان:

قائد مذكور من قواد خمارويه بن أحمد بن طولون «١» وولي على طرسوس وعلى جميع الثغور الشامية في سنة تسع وسبعين ومائتين، سيره واليا عليها خمارويه ابن أحمد بن طولون، وعزل عنها محمد بن موسى الأعرج، ودخلها ابن طغان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من شعبان من السنة، ذكر ذلك ابن أبي الأزهر والقطربلي في تاريخهما الذي اجتمعا على تأليفه وقالا في تاريخهما المذكور: في سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وفي شعبان، كان الفداء بين المسلمين والروم على يد أحمد بن طغان، وورد كتاب فيه:

أعلمك أن أحمد بن طغان نادى في الناس بحضور الفداء «٢» ، وأنه خرج الى اللامش معسكرا بالمسلمين يوم الجمعة لخمس خلون من شعبان وأنه صلى في الجامع وركب منه، ومعه راغب ومواليه، ووجوه البلد والقواد، والموالي، **والمطوعة** بأحسن زي وأكمل عدة، ووقع الفداء يوم الثلاثاء لتسع خلون منه، فأقاموا على ذلك اثني عشر يوما، فكان جملة من فودي به من المسلمين من رجل وامرأة وصبي:

ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس، وانصرف الفريقان، وخرج أحمد بن طغان، واستخلف على طرسوس دميانة، ولم يعد الى طرسوس.." (٢)

"غادني يا غلام بالبابلي ... . (١٤٥- و)

وكان ابن نوبخت فاضلا أديبا، وكاتبا أريبا، وله رأي ثاقب، وتدبير حسن صائب؛ وقد ذكرنا دخوله حلب في ترجمة علي بن الحسن بن العلاف «١» .

من أسم أبيه عبد الله من الاحمدين

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الحسين:

أبو نصر بن أبي محمد بن أبي العباس الماسرجسي المطوعي، كان كثير الغزو والجهاد، وخرج الى طرسوس مجاهدا، فتوفي بعد دخوله الى الشام وهو متوجه إليها بأعمال حلب.

وذكره أبو عبد الله الحاكم في تاريخ نيسابور بما أخبرنا به أبو بكر عبد الله ابن عمر بن علي بن الخضر

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١/٢١٩

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٢/٨٠٧

القرشي، وعبد الرحمن بن عمر الغزال في كتابيهما قالا:

أخبرنا أبو الخير القزويني قال: أخبرنا زاهر بن طاهر الشحامي قال: أخبرنا أبو بكر البيهقي والحيري، وأبو عثمان الصابوني والبحيري فيما أذنوا لنا فيه قالوا:

أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ قال: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الحسين، أبو نصر بن أبي محمد بن أبي العباس الماسرجسي، ابن ابنه الحسن بن عيسى بن ماسرجس، وكان من **المطوعة** الكثيري الجهاد.

سمع جده أبا العباس، وأباه، وعمه أبا أحمد، وأبا أحمد والد الحسين، وغيرهم من أهل بيته، وسمع أبا بكر محمد بن اسحاق، وأبا العباس السراج وأقرانهما.." (١)

"أنبأنا أبو القاسم بن الحرستاني قال: أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة قال: حدثنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني قال: حدثنا أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله قال: حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر ابن هشام الكندي قال: حدثنا (٩٣- و) أبو العباس أحمد بن نصر بأنطاكية، قال:

حدثنا سليم بن منصور بن عمار: قال: حدثنا أبي قال: حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير مزيد بن عبد الله البرتي عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يكون لأصحابي من بعدي زلة يغفرها الله عز وجل بسابقتهم معي، يعمل بها قوم من بعدهم يكبهم الله عز وجل في النار على مناخرهم» «١» .

أحمد بن نصر النيسابوري:

سمع بأنطاكية عبد الله بن السري الأنطاكي.

أحمد بن نصر، أبو العشائر:

... «٢» ، ولاه المكتفي ثغر طرسوس وما يليه من الثغور الشامية في سنة تسعين ومائتين.

وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في حوادث سنة تسعين ومائتين قال:

ولإحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلع على أبي العشائر أحمد بن نصر، وولي طرسوس، وعزل عنها مظفر بن جاخ لشكاية أهل الثغور إياه.

قال: ولعشر خلون من جمادى الآخرة شخص أبو العشائر إلى عمله بطرسوس وخرج معه جماعة (٩٣-

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٨٥٥/٢

ظ) من المطوعة للغزو، ومعه هدايا من الكتفي إلى ملك الروم «٣» .

قال: وفي المحرم منها- يعني سنة اثنتين وتسعين ومائتين- أغار أندرونقس." (١)

"ابن سفيان أديبا فقيها، أخذ الأدب عن أصحاب النضر بن شميل، والفقه عن أبي ثور، وكان يفتي على مذهب أبي ثور «١» .

وقال الحاكم: سمعت أبا عمرو بن أبي جعفر يقول: سمعت أبا بكر بن علي الرازي يقول، في حياة الحسن بن سفيان: ليس للحسن في الدنيا نظير.

وقال: سمعت أبا الوليد يقول: سمعت الحسن بن سفيان يقول: لما قدمت على علي بن حجر وكان من آدب الناس وكان لا يرضى قراءة أصحاب الحديث، فغاب القارئ عنه يوما فقال: هاتوا من يقرأ، فقمت فقلت: أنا فقال: اجلس، ثم قال في الثانية: من يقرأ؟ قلت أنا، فقال: اجلس وزبرني الى أن قال الثالثة، فقلت:

أنا فقال كالمغضب: هات فقرأت ذلك المجلس وهو ذا يتأمل، ويجهد (٢١٤- ظ) أن يأخذ علي شيئا في النحو واللغة فلم يقدر عليه فلما فرغت قال لي: يا فتى ما اسمك قلت: الحسن، قال: ما كنيتك؟ قلت: لم أبلغ رتبة الكنية، فاستحسن قولي، قال:

كنيتك أبا العباس قال: فكان الحسن بن سفيان يفتخر أن علي بن حجر كناه.

وقال الحاكم: سمعت أبا بكر محمد بن داوود بن سليمان يقول: كنا عند الحسن بن سفيان ببالوز، دخل عليه أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة، وأبو عمر أحمد بن محمد الحيري، وأبو بكر أحمد بن علي الرازي الحافظ في جماعة أصحاب أبي بكر المطوعة، وهم متوجهون الى فراوة «٢» ، فقال له أبو بكر بن علي: قد كتبت للأستاذ أبي بكر محمد بن اسحاق هذا الطبق من حديثك، فقال: هات واقرأ فأخذ يقرأ، فلما قرأ أحاديث أدخل اسنادا منها في اسناد، فرده الحسن الى الصواب فلما كان بعد ساعة ادخل أيضا اسنادا في اسناد فرده الى الصواب، فلما كان في الثالثة قال له الحسن: ما هذا لا تفعل فقد احتملتك مرتين، وهذه الثالثة وأنا ابن تسعين سنة فاتق الله في المشاريخ فربما استجيبت فيك دعوة، فقال له أبو بكر محمد بغية الطلب في تاريخ حلب ج/ ٥ م (١٤٩)." (٢)

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١١٨٣/٣

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٢٣٦٩/٥

"المدونة «١» على طريقة أهل المغرب من المالكية، فرحل الناس للسماع منه من أقطار الأندلس والمغرب.

وتوفي على إثر ذلك كنيه وسميه أبو علي حسين بن محمد الغساني الحافظ المعروف بالجياني، شيخنا وآخر المسندين بقرطبة، وأضبط الناس لكتاب ورواية، فانفرد بعد وفاته بالامامة في الحديث بالأندلس، وكثر الراحلون إليه، وغص مجلسه واستوفت نوب السامعين منه أجزاء نهاره وكثيرا من ليله، وتنافس الناس في الأخذ منه، والحمل عنه، وشارك فيه الأكابر الأصاغر، وكان صابرا على ذلك محتسبا فيه، ولم يزل يزداد على مر الأيام معرفة وحفظا وورعا وجلالة ومنزلة من قلوب الناس مع حسن خلقه وتواضعه وجميل عشرته، حتى بذ ذكره جميع طبقات الأجلاء، وأقر بفضله جميع الفضلاء، وبعد صيته من بين العلماء.

ثم طلب أهل مرسية وشرق الأندلس من أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين أن يقلده قضاءهم فقلده ذلك في ربيع الآخر سنة خمس وخمسمائة فامتنع منه وخرج الى المرية فارا بنفسه، وترددت اليه كتب أمير المسلمين ورسله، وألزم إشخاصه الى مرسية، وشدد في الأمر فنهض إليها على كره متقلدا قضاءها وقضاء قضاة الشرق بها، فلزم هذا العمل محمود السيرة قائما (١٧٨- ظ) بالحق الى أن عزل عن القضاء نفسه، واختفى ووردت كتب السلطان برجوعه الى القضاء وهو يأبى، وبقيت الحال هكذا شهرا، وكتب الطلاب والرحالون كتابا يشكون فيه الى أمير المسلمين حالهم ونفاد نفقاتهم وانقطاع آمالهم فسعى له قاضي الجماعة عند أمير المسلمين وبين له وجه عذره الى أن أسعف رغبته، وظهر للناس.

ولما وجه أمير المسلمين الجيوش الى الثغر مع أخيه ابراهيم سنة أربع عشرة، خرج فيمن خرج من **المطوعة**، فلما جرت على المسلمين الهزيمة المشهورة بقتنده «٢» كان فيمن فقد فختم له بالشهادة، وكانت هذه الوقعة بقتنده من ثغر سرقسطة يوم الخميس لست بقين لربيع الاول من السنة المذكورة.." (١)

"فأحب أن يسكن طرسوس، فاستأذن في ذلك، فأذن له، فخرج قاصدا يريد الثغر، وكان خمارويه يومئذ بدمشق فلما بلغ راغب إلى حلب وهم بالدخول إلى طرسوس قيل له: طرسوس من عمل أبي الجيش، وهو بالقرب منك، فلو صرت إليه زائرا وقضيت حقه، وعرفته ما عزمت عليه من المقام بالثغر ما ضرك ذلك، وكان أجل لمحلك وأقوى لك على ما تريده، فبعث بثقله وجميع ما كان معه مع غلام له يعرف بمكنون وأمره أن يتقدمه إلى طرسوس، ورحل هو مخفا إلى دمشق، فلقي أبا الجيش فأحسن أبو الجيش تلقيه وسر بنظره ووصله وأحسن إليه وكان يكثر عنده ويحادثه، وكانت لراغب عارضه وبيان وحسن عبارة (١١- ظ)

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٢٧٧٩/٦

وكان قد رأى الخلفاء وعرف كثيرا من أخبارهم، فكان يصل مجلسه بشيء من أخبارهم وسيرهم، فأنس به خمارويه، وكان يستريح الى حديثه ومذاكرته، فلما رأى راغب ما يخصه به خمارويه من التكرمة والأنس به والاستدعاء إذا تأخر استحيا أن يذكر له الخروج إلى طرسوس، فلما طال مقامه بدمشق ظن مكنون غلامه أن أبا الجيش قد قبض عليه ومنعه من الخروج إلى الثغر، فأذاع ما ظنه عند **المطوعة** وشكاه إليهم، وأكثر هؤلاء **المطوعة** من أهل الجبل وخراسان، معهم غلظ الأعجمية وسوء أدب الصوفية فأحفظهم هذا القول وظنوه حقا، فقالوا: تعمد إلى رجل قد خرج إلى سبيل الله محتسبا نفسه لله عز وجل. وفي مقام مثله في الثغر قوة للمسلمين وكبت لأعدائهم من الكافرين، فتقبض عليه وتمنعه من ذلك جرأة على الله فتلففوا وتجمعوا ومشى بعضهم الى بعض وأقبلوا الى واليهم وهو ابن عم خمارويه، فشغبوا عليه، فأدخلهم إليه ليسكن منهم ويعدهم بما يحبون، فقبضوا عليه وقالوا: لا تزال في اعتقالنا أو يطلق صاحبك صاحبنا، فإن قتله قتلناك به، وتسرع سفلهم إلى داره فنبهت وهتكت حريمه ولحقه كل ما يكره، وجاءت الكتب إلى أبي الجيش بذلك فأحضر راغبا وأقرأه الكتب: وقال له: والله ما منعناك ولا حظرنا عليك الخروج ولقد سررنا بقربك وما أوليت وأوليناك (١٢- و) إلا جميلا، وقد جنى علينا سوء ظن غلامك ما لم نجنه فإذا شئت فارحل مصاحبا، وقل لأهل طرسوس:

يا جهلة ما يومنا فيكم بواحد تتسرعون الى ما نكره مرة بعد أخرى ونغضي عنكم، ويحلم الله عز وجل، ولولا المحافظة على ثغر المسلمين وعز الاسلام لا خشية منكم." (١)

"المنصور سيف الدين قلاون الصالحي المذكور في ترجمة القاضي مجلي في أوائل هذا الحرف، فاحسن السلطان إليهما، وجعل الملك خضرا وأخاه سلامش أميرين، وأقطعهما الإقطاعات الجيدة، وأسكنهما بقلعة الجبل المنصور، واستمر الأمر على ذلك، وهما مختلطان به في جملة من أهله ملازمان للركوب مع ولديه السلطان الملك الصالح علاء الدين والملك الأشرف صلاح الدين خليل.

" ولم يزل الأمر كذلك إلى شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة، فجرى من الأمر ما اقتضى الحال معه القبض على الأميرين نجم الدين خضر وبدر الدين سلامش المذكورين واعتقالهما بقلعة الجبل المنصورة وأما الملك الصالح بن الملك المنصور المذكور، فإنه كان ولي عهد أبيه، وكان حازما شديد الرأي. وتوفي في حياة والده في شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة، ثم إن والده جعل ولاية العهد إلى ولده الملك الأشرف المذكور، وقلده الملك في شهر شوال سنة سبع وثمانين المذكورة وهو من الملوك المشهورين بعلو الهمة

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٣٥٠٤/٨

والسعادة والحزم.

وتوفي الملك المنصور قلاون في يوم السبت من شهر ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة في دهليزه بمسجد التين. وكان قد خرج على نية الغزاة إلى عكا، فعرض له مرض، فقضى به نحبه وعادت العساكر إلى مستقرها.

واستقل ولده السلطان الملك الأشرف بالمملكة يجمع المعاقل والبلاد، ولم ير في الملوك أكثر سعادة منه، ولا أعلى همة ولا أكرم نفسا ولا أكثر وفاء لمن خدمه ولاذ به.

وفي أيام الملك المنصور فتحت طرابلس الشام يوم الثلاثاء تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة، وكان نازلها بنفسه وعساكره، وفتحها قهرا بالسيف، واستولى القتل والأسر والنهب على أهلها، وملك ما جاورها من قلعة جبيل والبترون وغير ذلك، ثم إن الملك الأشرف المذكور بعد استقلاله بالملك بمدة يسيرة خرج بنفسه وجمع عساكره وتوجه إلى عكا، فنازلها في يوم، وكان خروجه من مصر في يوم، واجتمع على عكا جميع الناس: الجند **والمتطوعة** وغيرهم وسائر البلاد، ويسر الله فتحها في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى سنة تسعين وستمائة، في مثل الساعة من اليوم من الشهر الذي أخذت فيه من السلمين، إلا أن الشهر كان الأولى، وأخذت من المسلمين في أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب في الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة، وأن." (١)

"٨٢٨ - (١)

يعقوب الصفار

أبو يوسف يعقوب بن الليث الصفار الخارجي؛ وقد أكثر أهل التاريخ من ذكر هذا الرجل وذكر أخيه عمرو وما ملكا من البلاد وقتلا من العباد، وما جرى للخلفاء معهما من الوقائع، وقد اخترت من ذلك ما أودعته في هذه الأوراق فأقول:

قال أبو عبد الله بن محمد الأزهر الأخباري: حدثني علي بن محمد، وكان عالما بأمور يعقوب بن الليث الصفار ومحاربته، وأول أمره أنه وأخاه عمرا كانا صفارين في حداثتهما، وكانا يظهران الزهد، وأن رجلا من أهل سجستان كان مشهورا بالتطوع (٢) في قتال الخوارج، يقال له صالح بن النضر الكناني المطوعي (٣) من أهل بست، فصحباه وحظيا به، فقتلت الخوارج الذين يقال لهم الشراة أخا يعقوب المذكور، وأقام صالح المذكور يعقوب المذكور مقام الخليفة، ثم هلك صالح فتولى مكانه درهم بن الحسين (٤) من **المطوعة**

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٥/٨٨

أيضا، فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح. ثم إن صاحب خراسان احتال لدرهم حتى ظفر به، فحمل إلى بغداد فحبس بها ثم أطلق وخدم السلطان، ثم لزم بيته يظهر النسك والحج والاقتصاد، حتى غلظ أمر يعقوب.

وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير في

---

(١) هذه الترجمة لم ترد في القسم الموجود من المسودة ولم ترد في النسخ س بر من. ووردت في ر بعد ترجمة يعقوب بن داود، وهي كاملة في ق ع. ومنها في المختار مقتطفات؛ وأخبار يعقوب الصفار في الكتب التاريخية أمثال الطبري وابن الأثير والمسعودي وابن خلدون والنجوم الزاهرة ٣: ٤٠ ومرآة الجنان ٢: ١٨٠ وصورة الأرض: ٣٥٣.

(٢) زاد في ع: والزهد.

(٣) ع: المتطوعي، وكذلك ترد " **المتطوعة** " أيضا في النسخ، وأحيانا " **المطوعة** " في ر.

(٤) وردت " الحسن " في ابن الأثير والنسخة ر ومواضع من ق ع.." [1]

"تاريخه (١) في سنة سبع وثلاثين ومائتين ابتداء أمر يعقوب المذكور، فقال: في هذه السنة تغلب إنسان من أهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب بن الليث، فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، أمير خراسان، واستنقذها منه، ثم ظهر بها إنسان اسمه درهم بن الحسين من **المطوعة** فغلب عليها، وكان غير ضابط لأمور عسكره، وكان يعقوب بن الليث قائد عسكره، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث، وملكوه أمرهم، لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمرهم، فلما تبين ذلك له لم ينازعه في الأمر وسلمه إليه، واعتزل عنه، فاستبد يعقوب بالمر وضبط البلاد وقويت شوكته، وقصدته العساكر من كل ناحية، فصار من أمره ما سنذكره.

رجعنا إلى تمام ما ذكره علي بن محمد بن أحمد (٢) :

قال: فلما دخل درهم بن الحسين بغداد تولى يعقوب أمر **المطوعة**، وحارب الخوارج الشراة فرزق الظفر بهم حتى أفناهم وأخرب ضياعهم، وأطاعه أصحابه بمكره ودهائه طاعة لم يطيعوها أحدها كان قبله. ثم اشتدت شوكته وزادت صولته (٣) ، فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها. وكان الترك بتخوم سجستان وملكهم رتبيل، ويسمى هذا القبيل من الترك الدراري، فحرضه أهل سجستان على قتالهم، وأعلموه

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٦/٤٠٢

أنهم أضر من الشراة الخوارج وأوجب محاربة، فغزا الترك فقتل رتبيل ملكهم، وقتل ثلاثة من ملوكهم بعد رتبيل، ويسمى كل ملك لهم رتبيل، وانصرف يعقوب إلى سجستان، وقد حمل رؤوسهم مع رؤوس ألوف منهم، فرهبته الملوك الذين حوله، منهم ملك المولتان وملك

(١) ابن الأثير ٧: ٦٤.

(٢) ابن أحمد: سقطت من ق.

(٣) ع ق: ثم اشتدت صوله." (١)

"شبر من أرض العروبة والاسلام وتنظيف البلاد من الغزاة الصليبيين على عهد السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل (١)

..سمعت المنادي في مستهل ربيع الاول من السنة ينادي للغزاة في سبيل الله إلى عكا، وشاهدت **المطوعة**، وفيهم المحدثون والفقهاء والمدرسون والصالحون ينضمون إلى الجيش. قال الإمام الذهبي: وكان يومها شابا في السابعة عشرة من عمره: وجاءت إليه جيوش الشام بأسرها، وأمم لا يحصيهم إلا الله تعالى من **المطوعة**، فكانوا قدرالجندمرات" (٢) ..شاهدت هؤلاء الأئمة الاعلام، وهم يجرون عجل المنجنيقات يرتلون القرآن الكريم، ويقرؤون أحاديث الجهاد، يتجهون نحو تحرير الارض، وصيانة حرمة الاسلام، فلم يلبث أن فتح المسلمون عكا في يوم واحد، كان يوم الجمعة المبارك السابع عشر من جمادى الاولى من السنة. وتوالت الانتصارات بعد فتح عكا، ففتحت صور، وصيدا، وبيروت، وغيرها حتى حررت جميع السواحل الشامية ونظفت من دنس الغزاة (٣) .

وكانت بلاد الشام إلى جانب ذلك قد أصبحت مركزا كبيرا من مراكز الحركة الفكرية، فيها من المدارس العامرة، ودور القرآن والحديث العدد الكثير، عمل على تعميرها حكامها وبعض المياسير من أهلها، ونشطت في عهد الشهيد نور الدين محمود بن زنكي. وكانت العناية بالدراسات الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد وما يتصل بها

(١) قال الذهبي في ترجمة من تاريخ الاسلام: جلس على تخت الملك سنة تسع وثماني وست مئة، واستفتح الملك بالجهاد فسار ونازل عكا وافتتحها ونظف الشام كله من الفرنج..ولو طالت حياته لاخذ

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤٠٣/٦

العراق وغيرها، فإنه كان بطلا شجاعا مقداما مهيبا عالي الهمة يملا العين ويرجف القلب رأيته مرات.." (الورقة: ٢٢٥ من مجلد أيا صوفيا ذي الرقم ٣٠١٤) .
(٢) تاريخ الاسلام للذهبي، الورقة: ٢٠٥ من المجلد المذكور.
(٣) البرزالي: المقتفي لتاريخ أبي شامة (حوادث سنة ٦٩٠) من نسختي المصورة عن أحمد الثالث ٢٩٥١، وتاريخ الاسلام للذهبي: ٢٠٧ ٢٠٥ من المجلد المذكور، والبداية لابن كثير: ١٣ / ٣٢١.." [١]

"كلاما شديدا، وعمل على ثبات البلاد حينما خلت من الجيوش القادرة على رد الغزو المدمر، فكان يدور على الاسوار يحرض الناس على الصبر والقتال، ويتلو عليهم آيات الجهادو الرباط، وأقام معسكرات التدريب في كل مكان ومنها المدارس، فكان المحدثون والفقهاء يتعلمون الرمي، ويستعدون لقتال العدو (١) . ثم سافر إلى مصر يحض الدولة والناس على القتال حتى تمكن في سنة (٧٠٢) من رص الصفوف، وتوحيد القلوب، وتحديد الهدف مما أدى إلى الانتصار الكبير في وقعة"شقحب"التي شارك الإمام ابن تيمية في القتال فيها يصحبه طلبة العلم من المحدثين والفقهاء والصالحين، وكان يحرض الجيش **والمطوعة** في ساحة القتال على البلاء ويبشرهم بالنصر (٢) ، قال ابن كثير: وجعل يحلف بالله الذي لا إله إلا هو"إنكم منصورون عليهم هذه المرة، فيقول له الامراء: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا، وأفتى الناس بالفطر مدة قتالهم وأفطر هو أيضا" (٣) .
أقول: إن هذه الشخصية العظيمة جذبت المزي إليها، فأعجب المزي بابن تيمية الاعجاب كله، وترافق معه طيلة حياته، قال الذهبي: ترافق هو وابن تيمية كثيرا في سماع الحديث، وفي النظر في العلم، وكان يقرر طريقة السلف في السنة، ويعضد ذلك بمباحث نظرية وقواعد كلامية..وما وراء ذلك بحمدالله إلا حسن إسلام وحسبة لله مع أني لم أعلمه ألف في ذلك شيئا" (٤) ، وقال التاج السبكي: واعلم أن هذه الرفقة أعني المزي والذهبي والبرزالي وكثيرا من أتباعهم، أضر بهم أبو العباس ابن تيمية إضرارا بينا،

---

(١) انظر تاريخ الاسلام، الورقة: ٣٣٤ فما بعد (أيا صوفيا: ٣٠١٤) ، والبداية: ١٤ / ١٢ ٦.
(٢) أعيان العصر: ٨ / ٧ ١ من نسختي المصورة عن أيا صوفيا: ٢٩٦٨.

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ١/١٢

(٣) البداية: ١٤ / ٢٦.

(٤) تذكرة الحفاظ: ٤ / ١٤٩٩.." (١)

"قال أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي الحافظ: هذا الأذني هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي (١) .

قال إبراهيم نفطويه: حدثني حامد بن العباس، عن رجل، عن المهتدي:

أن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن.

فصل

عن الحسين بن إسماعيل، عن أبيه، قال:

كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء (٢) خمسة آلاف - أو يزيدون نحو خمس مائة - يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت.

ابن بطة: سمع النجاد يقول: سمعت أبا بكر بن المطوعي (٣) يقول:

اختلفت إلى أبي عبد الله ثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ (المسند) على أولاده، فما كتبت عنه حديثا واحدا، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه.

قال حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي: يقال: لم يكن أحد من الصحابة أشبه هديا وسمتا ودلا من ابن مسعود بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وكان أشبه

---

(١) في الأصل: " الآذرمي " بمد الهمزة، وهو خطأ.

والصواب ما أثبتناه من كتب الأنساب والضبط.

وهي نسبة إلى " أذرمة "، قرية من قرى نصيبين.

والاذرمي هذا من شيوخ النسائي وأبي داود وثقه أبو حاتم والنسائي، وقال مسلمة في كتاب، " الصلة ": لا بأس به، وانظر " التهذيب " ٦ / ٤، ٥.

(٢) جاء في اللسان: زهاء الشئ وزهاؤه: قدره، يقال: هم زهاء مئة وزهاء مئة، أي: قدرها.

وهم قوم ذوو زهاء، أي: ذوو عدد كثير ... من زهوت القوم: إذا حزرتهم.

وفي الأصل زيادة لفظ " على " بين زهاء وخمسة آلاف.

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٢٠/١

(٣) بضم الميم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو وفي آخرها عين مهملة، هذه النسبة إلى **المطوعة**، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور، وقصدوا جهاد العدو في بلادهم، لا إذا قصد العدو بلاد الإسلام.." (١)

"لكونه أشار في (مسألة خلق العباد) إلى أن تلفظ القارئ بالقرآن مخلوق، فلوح وما صرح، والحق أوضح.

ولكن أبى البحث في ذلك أحمد بن حنبل وأبو زرعة والذهلي، والتوسع في عبارات المتكلمين سدا للذريعة، فأحسنوا، أحسن الله جزاءهم.

وسافر ابن إسماعيل مختفيا من نيسابور، وتألم من فعل محمد بن يحيى وما زال كلام الكبار المتعاصرين بعضهم في بعض لا يلوى عليه بمفرده.

وقد سقت ذلك في ترجمة ابن إسماعيل (١) - رحم الله الجميع، وغفر لهم ولنا آمين -.

ولما توفي الذهلي تقدم في الصلاة عليه أمير خراسان محمد بن طاهر في ميدان الحسين.

وخلفه في مشيخة البلد ولده حيكان، واسمه:

١٠٥ - يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي * (ق)

الحافظ المجود الشهيد، أبو زكريا.

قال الحاكم: هو إمام نيسابور في الفتوى والرئاسة، وابن إمامها، وأمير **المطوعة** بخراسان بلا مدافعة، يعني: الغزاة.

قال: وكان يسكن دار أبيه، ولكل منهما فيها صومعة وآثار لعبادتهما، والسكة والمسجد منسوبان إلى حيكان (٢) .

---

(١) سترد قصته مع الامام البخاري في الصفحة ٤٥٣.

(*) الجرح والتعديل ٩ / ١٨٦، تاريخ بغداد ١٤ / ٢١٧، ٢١٩، تهذيب الكمال: ١٥١٦، ١٥١٧، تذهيب التهذيب ٤ / ١٦٥ / ١، تذكرة الحفاظ ٢ / ٦١٦، ٦١٨، ميزان الاعتدال ٤ / ٤٠٧، العبر ٢ / ٣٦، تاريخ ابن كثير ١١ / ٤٢، تهذيب التهذيب ١١ / ٢٧٦، ٢٧٨، النجوم الزاهرة ٣ / ٤٣، خلاصة

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣١٦/١١

تذهيب الكمال: ٤٢٨، شذرات الذهب ٢ / ١٥٢، المنتظم ٥ / ٦٢.

(٢) " تذكرة الحفاظ " ٢ / ٦١٧، و" النجوم الزاهرة " ٣ / ٤٣.." [١]

"لابن طولون: أنت أريتني كتاب أمير المؤمنين بتوليته العهد، فأرني كتابه بخلعه.

قال: إنه محجوز عليه، قال: لا أدري.

قال: أنت قد خرفت وحبسه، وأخذ منه عطاءه على القضاء عشرة آلاف دينار، وأمر الموفق بلعنة أحمد بن طولون على المنابر (١) .

وسار ابن طولون، فحاصر المصيصة، وبها خادم، فسلط الخادم على جيش أحمد بثوق النهر، فهلك منهم خلق، وترحلوا، وتخطفهم أهل المدينة، ومرض أحمد، ومات مغبونا.

وفي شوال كانت الملحمة الكبرى بين الخبيث والموفق (٢) .

ثم وقعت الهزيمة على الزنج، وكانوا في جوع شديد وبلاء - لا خفف الله عنهم - وخامر عدة من قواد الخبيث وخواصه، وأدخل المعتمد في ذي القعدة إلى واسط، ثم التقى الخبيث والموفق، فانهزمت الزنج أيضا، وأحاط الجيش، فحصروا الخبيث في دار الإمارة، فانملس منها إلى دار المهلبي أحد قواده، وأسرت حرمه، فكان النساء نحو مائة، فأحسن إليهن الموفق، وأحرقت الدار.

ثم جرت ملحمة بين الموفق والخبيث في أول سنة سبعين، ثم وقعة أخرى قتل فيها الخبيث - لا رحمه الله -.

وكان قد اجتمع من الجند، ومن المطوعة مع الموفق نحو ثلاث مائة ألف.

وفي آخر الأمر شد الخبيث وفرسانه، فأزالوا الناس عن مواقفهم، فحمل الموفق، فهزمهم، وساق وراءهم إلى آخر النهر، فبينا الحرب تستعر إذ أتى فارس إلى الموفق وبيده رأس الخبيث، فما صدق، وعرضه على جماعة، فقالوا: هو هو، فترجل الموفق والأمراء، وخروا ساجدين لله، وضجوا بالتكبير، وبادر أبو العباس بن الموفق في خواصه، ومعه رأس الخبيث

---

(١) " تاريخ السيوطي ": ٣٦٥، ٣٦٦.

(٢) " تاريخ الطبري " ٩ / ٦٢٨ وما بعدها.." [٢]

---

[١] سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٢/٢٨٥

[٢] سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٢/٥٤٩

"أبوه:

٢٢ - أحمد بن إسحاق أبو إسحاق * (خ (١))

الإمام، الزاهد، العابد، المجاهد، فارس الإسلام، أبو إسحاق: من أهل سرمارى، من قرى بخارى.

سمع: من يعلى بن عبيد، وعثمان بن عمر بن فارس، وأبي عاصم، وطبقتهم.

حدث عنه: ابنه، وأبو عبد الله البخاري في (صحيحه) ، وإدريس بن عبدك، وآخرون.

وكان أحد الثقات، وبشجاعته يضرب المثل.

قال إبراهيم بن عفان البزاز: كنت عند أبي عبد الله البخاري، فجرى ذكر أبي إسحاق السرماري، فقال: ما نعلم في الإسلام مثله، فخرجت فإذا أحيد رئيس **المطوعة**، فأخبرته، فغضب ودخل على البخاري، وسأله.

فقال: ما كذا قلت: بل: ما بلغنا أنه كان في الإسلام ولا الجاهلية مثله.

سمعها إسحاق بن أحمد بن خلف من ابن عفان.

قال أبو صفوان: دخلت على أبي يوما، وهو يأكل وحده، فرأيت في مائدته عصفورا يأكل معه، فلما رآني طار.

وعن أحمد بن إسحاق، قال: ينبغي لقائد الغزاة أن يكون فيه عشر خصال: أن يكون في قلب الأسد لا يجبن، وفي كبر النمر لا يتواضع،

(*) تهذيب الكمال: خ: ١٧، تذهيب التهذيب: خ: ١ / ٦ - ٧، الوافي بالوفيات: ٦ / ٢٤١، تهذيب التهذيب: ١ / ١٣ - ١٤، خلاصة تذهيب الكمال: ٣.

(١) زيادة من " التقريب "." (١)

"يسأل عنا، ولا نسأل عنه! هو إمام يقتدى به.

قال الإمام أبو بكر محمد بن علي الشاشي: حضرت ابن خزيمة، فقال له أبو بكر النقاش، المقرئ: بلغني أنه لما وقع بين المزني وابن عبد الحكم، قيل للمزني: إنه يرد على الشافعي.

فقال المزني: لا يمكنه إلا بمحمد بن إسحاق النيسابوري.

فقال أبو بكر: كذا كان.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣٧/١٣

وعن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن المضارب، قال:

رأيت ابن خزيمة في النوم، فقلت: جزاك الله عن الإسلام خيرا.

فقال: كذا قال لي جبريل في السماء.

قال الحاكم: حدثني أبو بكر محمد بن حمدون، وجماعة من مشايخنا - إلا أن ابن حمدون كان من أعرفهم بهذه الواقعة - قال:

لما بلغ أبو بكر بن خزيمة من السن والرئاسة والتفرد بهما ما بلغ، كان له أصحاب صاروا في حياته أنجم الدنيا، مثل أبي علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي، وهو أول من حمل علوم الشافعي، ودقائق ابن سريج إلى خراسان، ومثل أبي بكر أحمد بن إسحاق - يعني: الصبغي - خليفة ابن خزيمة في الفتوى، وأحسن الجماعة تصنيفا، وأحسنهم سياسة في مجالس السلاطين، وأبي بكر بن أبي عثمان، وهو آدبهم، وأكثرهم جمعا للعلوم، وأكثرهم رحلة، وشيخ **المطوعة** والمجاهدين، وأبي محمد يحيى بن منصور، وكان من أكابر البيوتات، وأعرفهم بمذهب ابن خزيمة وأصلحهم للقضاء.

قال: فلما ورد منصور بن يحيى الطوسي نيسابور، وكان يكثر الاختلاف إلى ابن خزيمة للسماع منه - وهو معتزلي - وعاين ما عاين من الأربعة الذين سميناهم، حسدهم، واجتمع مع أبي عبد الرحمن الواعظ القدري بباب معمر في أمورهم غير مرة، فقالا: هذا إمام لا يسرع في الكلام، وينهى أصحابه عن التنازع في الكلام وتعليمه، وقد نبغ له أصحاب يخالفونه وهو لا يدري، فإنهم." (١)

"وتزوج سلطان الدولة ببنت صاحب الموصل قرواش (١) .

وقتل الدرزي (٢) الذي ادعى ربوبية الحاكم.

وامتثل ابن سبكتكين أمر القادر، فبث السنة بممالكه، وتهدد بقتل الرافضة والإسماعيلية والقرامطة، والمشبهة والجهمية والمعتزلة.

ولعنوا على المنابر (٣) .

وفيها: أعني سنة تسع، قدم سلطان الدولة بغداد (٤) .

وافتتح ابن سبكتكين عدة مدائن بالهند.

وورد كتابه ففيه: صدر العبد من غزنة في أول سنة عشر وأربع مائة، وانتدب لتنفيذ الأوامر، فرتب في غزنة خمسة عشر ألف فارس، وأنهض ابنه في عشرين ألفا، وشحن بلخ وطخارستان باثني عشر ألف فارس،

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٤/٣٧٧

وعشرة آلاف راجل، وانتخب ثلاثين ألف فارس، وعشرة آلاف راجل لصحبه راية الإسلام.

وانضم إليه **المطوعة**، فافتتح قلاعا وحصونا، وأسلم زهاء عشرين ألفا، وأدوا نحو ألف ألف من الورق، وثلاثين فيلا.

وعدة الهلكى خمسون ألفا.

ووافى العبد مدينة لهم عاين فيها نحو ألف قصر، وألف بيت ل‍لأصنام.

ومبلغ ما على الصنم ثمانية وتسعون ألف دينار، وقلع أزيد من ألف صنم. ولهم صنم

---

(١) " المنتظم ": ٧ / ٢٨٧.

(٢) في الأصل: الدوري، وهو تصحيف عن الدرزي، وهو محمد بن إسماعيل الداعي، كان من الباطنية القائلين بالتناسخ، قدم مصر واجتمع بالحاكم بأمر الله، وساعده على ادعاء الربوبية، وصنف له كتابا ذكر فيه أن روح آدم - عليه السلام - انتقلت إلى علي بن أبي طالب، وأن روح علي انتقلت إلى أبي الحاكم ثم انتقلت إلى الحاكم.

انظر " النجوم الزاهرة ": ٤ / ١٨٤.

(٣) " المنتظم ": ٧ / ٢٨٧.

(٤) " المنتظم ": ٧ / ٢٩٠.." [1]

"بعدة مراكب، فالتقوا هم وأسطول جيش، فأخذت مراكب الروم، وهرب من نجا، ثم أخذت صور، وأسر علاقة، وسلخ بمصر حيا، وولي على صور حسين بن صاحب الموصل ناصر الدولة، وهرب مفرج

(١) أمير العرب من جيش إلى جبال طيء (٢) .

وأقبل جيش طالبا لجموع الروم النازلين على فامية (٣) ، وأقبل على أحداث دمشق واحترمهم، وخلع على أعيانهم (٤) ، وسار إلى حمص، وأتته الأمداد **والمطوعة**، فالتقاه الذوفس (٥) - لعنه الله -، وحملت الروم، فطحنت القلب، ثم انهزمت ميسرة جيش وعليها ميسور نائب طرابلس، وهرب جيش في الميمنة، فركبت الروم أقفيتهم، وقتلوا نحو الألفين، وأخذوا الخيام، فثبت بشارة الإخشيدي في خمس مائة فارس، فضج الخلق من داخل فامية إلى الله بالدعاء، وكان طاغية الروم الذوفس على رابية بين يديه ابناه وعشرة فوارس، فقصده أحمد بن ضحاك الكردي على جواده، فظنه مستأمنا، فلما قرب طعنه أحمد، قتله، فصاح

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٥/١٣٥

أهل فامية: ألا إن عدو الله قتل، فانهرمت الملاعين ثم تراجعت المصريون وركبوا أقفية العدو وألجؤوهم إلى مضيق الجبل، إلى جانب بحيرة (٦) فامية، وأسر ولد الطاغية، وحمل إلى مصر من رؤوسهم نحو عشرين ألف رأس، وألفا

---

(١) هو مفرج بن دغفل بن الجراح.

(٢) انظر " الكامل " لابن الأثير ٩ / ١٢٠، و" تاريخ الإسلام " ٤ / ٧٨ / ٢.

(٣) ويقال أفامية بالهمزة في أوله: وهي مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص.

(٤) انظر " الكامل " ٩ / ١٢١، و" تاريخ الإسلام " ٤ / ٧٨ / ٢.

(٥) في " الكامل ": الدوقس بالدال المهملة والقاف.

(٦) هو اليوم مستنقع الغاب، وقد استصلح.." [١]

"وصحنا: رسول رسول.

فكفوا عن الرمي، فأدخلنا على الملك، وهو شاب مليح الوجه على سرير فضة، فخدمته بأن صفقت بيدي، وانحنيت عليهما، وقلت: جو.

فكان جوابه: باه.

وأجلسني، وقربني، وأخذ يشكو ما لحق البلاد من الخراب، ثم لبس الخلعة بعد تمنع وتعمم له تركي، وطالبته بالحلف، قال: نحلف بالأصنام والنار، وأنتم لا تقنعون بذلك.

قلت: لا بد وأحجمت عن ذكر الأصبع، فأخرج حديدة قطع بها أصبعه الصغرى ولم يكترث، وعمل على يده كافورا، ودفعت إلي وقال:

قل لصاحبك: اكفف عن أذى الرعية.

فرجع السلطان إلى خراسان، ونفذ إليه ابن مروان صاحب ديار بكر هدية، فردها وقال:

لم أردها استقلالا، ولكن علمت أن قصدك المخالطة والمصادقة، ويقبح بي أن أصادق من لا أقدر أن أنصره، وربما طرقك عدو وأنا على ألف فرسخ منك، فلا أتمكن من نصرتك.

ثم بلغ السلطان أن الهنود قالوا: أخرب أكثر بلاد الهند غضب الصنم الكبير سومنات على سائر الأصنام ومن حولها، فعزم على غزو هذا الوثن، وسار يطوي القفار في جيشه إليه، وكانوا يقولون: إنه يرزق ويحيي

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٧/٥٤

ويميت ويسمع ويعي، يحجون إليه، ويتحفونه بالنفائس، ويتغالون فيه كثيرا، فتجمع عند هذا الصنم مال يتجاوز الوصف، وكانوا يغسلونه كل يوم بماء وعسل ولبن، وينقلون إليه الماء من نهر حيل مسيرة شهر، وثلاث مائة يحلقون رؤوس حجاجه ولحاهم، وثلاث مائة يغنون.

فسار الجيش من غزنة، وقطعوا مفازة صعبة، وكانوا ثلاثين ألف فارس وخلقا من الرجالة **والمطوعة**، وقوى **المطوعة** بخمسين ألف دينار، وأنفق في الجيش فوق الكفاية، وارتحل من المليا ثاني يوم الفطر سنة ٤١٦، وقاسوا مشاق، وبقوا لا يجدون الماء إلا بعد ثلاث غطاهم في يوم ضباب عظيم، فقالت." (١)

"الفقيه، عرف: بابن المأموني.

أخذ عن: عبد الرحيم بن العجوز، وأبي عبد الله بن الشيخ، وأبي محمد الباجي، وحج، وسمع بمصر من الحافظ عبد الغني، وعبد الوهاب بن منير.

تصدر بالمرية (١) للإقراء والفقه.

روى عنه: أبو المطرف الشعبي، وأبو بكر ابن صاحب الأحباس القاضي، وغانم المالقي، وولده حجاج.

توفي: سنة ثمان وأربعين وأربع مائة.

ولده:

٤ - حجاج بن القاسم بن محمد بن هشام الرعيني *

الحافظ، المحدث، أبو محمد.

سمع من: أبي ذر الهروي، وأبي بكر المطوعي (٢) .

وحدث (بصحيح البخاري) .

وكان رأس العلماء بالمرية، ثم تحول إلى سبتة.

روى عنه: القاضي أبو محمد بن منصور، وأبو علي بن طريف، وأبو القاسم بن العجوز.

---

(١) بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء، وهي مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس. " معجم البلدان ٥ / ١١٩ ".

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٤٩٠/١٧

(*) الصلة ١ / ١٥٢، بغية الملتمس: ٢٨٠. وسيعيد المؤلف ترجمته في الصفحة ٥٢٦.
(٢) نسب إلى **المطوعة**، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور. " اللباب " ٣ / ٢٢٦.." [1]
"المطوعي (١) ، حدثنا أبو مسلم الكجي ... ، فذكر حديثا.

وقال عبد الغافر: هبة الله شيخ عفيف صوفي فاضل، طاف البلاد، وخطه مشهور، وكان كثير الفوائد.

قال أبو نصر الفاشاني: كنت إذا أتيت هبة الله بالرباط، أخرجني إلى الصحراء، وقال: اقرأ هنا، فالصوفية يتبرمون بمن يشتغل بالعلم والحديث (٢) ، يقولون: يشوشون علينا أوقاتنا.

مات هبة الله: سنة ست وثمانين وأربع مائة.

وقيل: سنة خمس في رمضان، فقيل: قام ليلة وفاته سبعين مجلسا، كل مرة يستنجي بالماء.

١٢ - الناصحي أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسين *

العلامة، قاضي القضاة، عالم الحنفية، أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسين الناصحي، النيسابوري.

سمع: القاضي أبا بكر الحيري، وأبا سعيد الصيرفي، وطائفة.

وحدث ببغداد وخراسان.

روى عنه: محمد بن عبد الواحد الدقاق، وعبد الوهاب بن الأنماطي، وأبو بكر بن الزاغوني، وآخرون.

---

(١) بضم الميم، وفتح الطاء المشددة، وكسر الواو: نسبة إلى **المطوعة** وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور، وقصدوا جهاد العدو في بلادهم.

(٢) وهذا الوصف ينطبق على أكثرهم.

(*) المنتظم: ٩ / ٦٠، الكامل في التاريخ: ١٠ / ٦٣٠، العبر: ٣ / ٣٠٦، الوافي بالوفيات: ٣ / ٣٣٨، البداية والنهاية: ١٢ / ١٣٨، الجواهر المضية: ٢ / ٦٤ - ٦٥، شذرات الذهب: ٣ / ٣٧٢، الفوائد البهية: ١٧٩ - ١٨٠.." [2]

"هلك المعتضد سنة أربع وستين وأربع مائة.

وخلفه المعتمد صاحب الترجمة، فكان فارسا شجاعا، عالما أديبا، ذكيا شاعرا، محسنا جوادا ممدحا،

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٨/٧

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٩/١٩

كبير الشأن، خيرا من أبيه.

كان أندى الملوك راحة، وأرحبهم ساحة، كان بابه محط الرحال، وكعبة الآمال (١) .

قال أبو بكر محمد بن اللبانة الشاعر (٢) :ملك المعتمد من مسورات البلاد مائتي مسور، وولد له مائة وثلاثة وسبعون ولدا، وكان لمطبخه في اليوم ثمانية قناطير لحم، وكتابه ثمانية عشر.

قال ابن خلكان (٣) :كان الأذفونش (٤) قد قوي أمره، وكانت الملوك بالأندلس يصالحونه، ويحملون إليه ضرائب، وأخذ طليطلة (٥) في سنة ثمان وسبعين بعد حصار شديد، من القادر بن ذي النون، فكان ذلك أول وهن دخل من الفرنج على المسلمين، وكان المعتمد يؤدي إليه، فلما تمكن، لم يقبل الضريبة، وتهدده، وطلب منه أن يسلم حصونا، فضرب الرسول، وقتل من معه، فتحرك اللعين، واجتمع العلماء، واتفقوا على أن يكاتبوا الأمير أبا يعقوب بن تاشفين صاحب مراكش لينجدهم، فعبر ابن تاشفين بجيوشه إلى الجزيرة، ثم اجتمع بالمعتمد، وأقبلت **المطوعة** من النواحي،

---

(١) ذكره ابن خلكان بأطول مما هنا: ٥ / ٢٤، نقلا عن أبي الحسن علي بن القطاع السعدي في كتابه " لمح الملح ".

(٢) ستأتي ترجمته في هذا الجزء برقم (٢١٥) .

(٣) في وفيات الأعيان: ٥ / ٢٨ - ٣٠.

(٤) أي ملك الفرنج فرذلند.

(٥) قال السمعاني: بضم الطاء المهملة، وفتح اللام، وسكون الياء، وكسر الطاء الأخرى، وقال ياقوت: ضبطه الحميدي بضم الطائين وفتح اللام، وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية.." (١)

"على مائة ألف، ومن **المطوعة** مثلهم، وعدى إلى الأندلس، فتمت الملحمة الكبرى، ونزل النصر والظفر، فقيل: غنموا ستين ألف زردية.

قال ابن الأثير: قتل من العدو مائة ألف وستة وأربعون ألفا، ومن المسلمين عشرون ألفا.

وذكره أبو شامة، وأثنى عليه، ثم قال (١) : وبعد هذا فاختلفت الأقوال في أمره، فقيل: إنه ترك ما كان فيه، وتجرد، وساح، حتى قدم المشرق متخفيا، ومات خاملا، حتى قيل: إنه مات ببعلبك، ومنهم من يقول: رجع إلى مراكش، فمات بها، وقيل: مات بسلا، وعاش بضعا وأربعين سنة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٩/٦١

قلت: إليه تنسب الدنانير اليعقوبية.

قال ابن خلكان (٢) : حكى لي جمع كبير بدمشق أن بالبقاع بالقرب من المجدل قرية يقال لها: حمارة، بها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك المغرب، وكل أهل تلك الناحية متفقون على ذلك.

قيل: الأظهر موته بالمغرب، فقيل: مات في أول جمادى الأولى، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: مات في صفر، سنة خمس وتسعين.

وقد يقال: لو مات مثل هذا السلطان في مقر عزه، لم يختلف هكذا في وفاته -فالله أعلم- لكن بويع في هذا الحين ولده محمد بن يعقوب المؤمني.

---

(١) (الروضتين) ، حوادث سنة ٥٨٧.

(٢) (وفيات) : ٧ / ١٠.." [1]

"الموحدين بالأندلس، وذلك أنهم ابتلوا بالصلاح في الظاهر، والأعمال الفاسدة في الباطن، فأبغضهم الناس بغضا شديدا، وتربصوا بهم الدوائر، إلى أن نجم ابن هود في سنة خمس وعشرين وست مائة بشرق الأندلس، فقام الناس كلهم بدعوته وتعصبوا معه، وقاتلوا الموحدين في البلدان، وحصروهم في القلاع، وقهروهم، وقتلوا فيهم، ونصر على الموحدين، وخلصت الأندلس كلها له، وفرح الناس به فرحا عظيما، فلما تمهد أمره أنشأ غزوة للفرنج على مدينة ماردة بغرب الأندلس، واستدعى الناس من الأقطار، فانتدب الخلق له بجد واجتهاد وخلوص نية المرتزقة **والمطوعة**، واجتمع عليه أهل الأندلس كلهم، ولم يبق إلا من حبسه العذر، فدخل بهم إلى الإفرنج، فلما تراءى الجمعان وقعت الهزيمة على المسلمين أقبح هزيمة فإنا لله وإنا إليه راجعون، وكانت تلك الأرض مديسة بماء وعزق، تسمرت فيها الخيل إلى آباطها، وهلك الخلق، وأتبعهم الفرنج بالقتل والأسر ولم يبق إلا القليل، ورجع ابن هود في أسوأ حال إلى إشبيلية، فنعوذ به من سوء المنقلب، فلم تبق بقعة من الأندلس إلا وفيها البكاء والصياح العظيم والحزن الطويل، فكانت إحدى هلكات الأندلس، فمقت الناس ابن هود، وصاروا يسمونه المحروم، ولم يقدر أن يفعل مع الفرنج كبير فعل قط إلا مرة أخذ لهم غنما كثيرة جدا، ثم قام عليه شعيب بن هلالة بلبلة، فصالح ابن هود الأدفوش على محاصرة لبلة ومعاونته على أن يعطيه قرطبة، واتفقا على ذلك، وقال له: لا يسوغ أن يدخلها الفرنج على البديهة، وإنما تهمل أمرها، وتخليها من حرس، ووجه أنت الفرنج يتعلقون بأسوارها بالليل ويغدرون بها،

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣١٩/٢١

ففعلوا كذلك.

ووجه ابن هود إلى واليه بقرطبة فأعلمه بذلك، وأمره بضياعها من حيز الشرقية فجاء الفرنج، فوجدوه خاليا، فجعلوا السلالم واستووا على السور - فلا حول ولا قوة إلا بالله -.." (١)

"بأشمون، وأقبلت الفرنج مع ريذا فرنس (١) ، فأمليت (٢) دمياط بالذخائر، وأتقنت (٣) الشواني، ونزل فخر الدين ابن الشيخ بالجيش على جيزة دمياط، وأرست مراكب الفرنج تلقاءهم في صفر، سنة سبع وأربعين، ثم طلعوا ونزلوا في البر مع المسلمين، ووقع قتال، فقتل الأمير ابن شيخ الإسلام (٤) ، والأمير الوزيري، فتحول الجيش إلى البر الشرقي الذي فيه دمياط، ثم تقهقروا، ووقع على أهل دمياط خذلان عجيب، فهربوا منها طول الليل، حتى لم يبق بها آدمي، وذلك بسوء تدبير ابن الشيخ، هربوا لما رأوا هرب العسكر، وعرفوا مرض السلطان، فدخلتها الفرنج بلا كلفة، مملوءة خيرات وعدة ومجانيق، فلما علم السلطان، غضب وانزعج، وشنق من مقاتليها ستين، ورد، فنزل بالمنصورة في قصر أبيه، ونودي بالنفير العام، فأقبل خلائق من **المطوعة**، وناوشوا الفرنج، وأيس من السلطان.

وأما الكرك، فذهب الناصر إلى بغداد، فسار ولده الأمجد إلى باب السلطان، وسلم الكرك إليه، فبالغ السلطان في إكرام أولاد الناصر، وأقطعهم بمصر.

قال ابن واصل: كان الملك الصالح نجم الدين عزيز النفس، أبيها، عفيفا، حييا، طاهر اللسان والذيل، لا يرى الهزل ولا العبث، وقورا، كثير الصمت، اقتنى من الترك ما لم يشتره ملك، حتى صاروا

---

(١) هو اسم ملك فرنسا هكذا قيده الذهبي، وهو: روا دو فرانس، أي ملك فرنسا، وهو لويس التاسع، قال الذهبي في تاريخ الإسلام: " وتواترت الاخبار بان ريذا فرنس مقدم الافرنسيسية قد خرج من بلاده في جموع عظيمة وشتا بجزيرة قبرص، وكان من أعظم ملوك الافرنج وأشدهم بأسا، وريذ بلسانهم: الملك ".

(٢) في تاريخ الإسلام: وشحنت.

(٣) في تاريخ الإسلام: وأحكمت.

(٤) يعني: فخر الدين.." (٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢١/٢٣

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٩١/٢٣

"النعمان نا شيبان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ما صف صفوف ثلاثة على ميت فيشفعون له إلا شفعوا فيه".

٦٤٣- ٩٥/ ٩- أبو الموجه الحافظ الثقة محمد بن عمرو بن الموجه الفزاري المروزي اللغوي:

سمع سعيد بن منصور وسعيد بن سليمان وعلي بن الجعد وصدقة بن الفضل وعبدان بن عثمان وطبقتهم بخراسان والعراق والحجاز. ذكره بن أبي حاتم مختصرا حدث عنه ابن أبي حاتم والحسن بن محمد بن حليم وعلي بن محمد الحبيبي وبكر بن محمد الدخمسيني وأبو بكر بن أبي نصر وخلق من المراوزة توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين بمرو. أخبرنا أحمد بن هبة الله أنا القاسم بن عبد الله أنا جدي عمرو بن أحمد أنا أبو بكر بن خلف أنا أبو عبد الله الحاكم نا أبو بكر بن أبي نصر المروزي نا أبو الموجه نا سعيد بن هبير نا وهيب عن صالح بن حيان عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس قال قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها وامسحوا بها وجوهكم" أخرجه الحاكم في مستدركه وصالح واه. قال البخاري: فيه نظر.

٦٤٤- ٩٦/ ٩- حيكان المحدث الحافظ الشهيد أبو زكريا يحيى بن الحافظ الكبير محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري إمام نيسابور ومفتيها بعد أبيه وأمير **المطوعة** وكان له بيت يتعبد فيه:

سمع يحيى بن يحيى وسليمان بن حرب وأحمد بن يونس ومسددا وعلي بن الجعد وإسماعيل بن أبي أويس وطبقتهم. حدث عنه أبوه وابن خزيمة وأبو عبد الله بن الأخرم ومحمد بن صالح بن هانئ وإبراهيم بن إسماعيل وأحمد بن محمد بن شعيب وأحمد بن علي بن حسنويه وآخرون.

قال الحاكم: كان إمام نيسابور في الفتيا والرياسة وابن إمامها، سمعت بن هانئ يقول حضرنا الإملاء عند يحيى بن محمد في رمضان وقتل في شوال سنة سبع وستين ومائتين فرفضت مجالس الحديث وخبئت المحابر حتى لم يقدر أحد يمشي بمحبرة ولا

٦٤٣- الجرح والتعديل: ٨/ ٣٥. الوافي بالوفيات: ٤/ ٢٩٠. طبقات الحفاظ: ٢٧٠.

٦٤٤- تهذيب الكمال: ٣/ ١٥١٧. تهذيب التهذيب: ١١/ ٢٧٦ "٥٥٠". تقريب التهذيب: ٢/ ٣٥٧. خلاصة تهذيب الكمال: ٣/ ١٦٠. الكاشف: ٣/ ٢٦٧. ميزان الاعتدال: ٤/ ٤٠٧. الأنساب: ٨/

١٩٤. الأعلام: ٨/ ١٦٤. والحاشية. سير الأعلام: ١٢/ ٢٨٥ والحاشية. الإكمال: ٢/ ٥٨٦. العبر: ٢/ ٣٦. تاريخ بغداد: ١٤/ ٢١٧.." (١)

"(الصبر يحمد في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه مذموم)

روى عن أبيه وعن سفيان بن عيينة ولوط ابن مخنف وروى عنه أبو حاتم السجساتي وأبو الفضل الرياشي وإسحاق بن محمد النخعي وقدم بغداد وحدث بها وكان مشتهرا بالشراب وكان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين ومن تصانيفه كتاب الخيل كتاب أشعار الأعاريب وأشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن وكتاب الذبيح وكتاب الأخلاق وغير ذلك ومن شعره القصيدة التي منها

(رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرضن عني بالخدود النواضر)

(وكن متى أبصرنني أو سمعن بي ... سعين فرقعن الكوى بالمحاجر)

توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين وقال أول شعر قلته

(بنفسي شيء لست أعرف قدره ... على أنه ما كان فهو شديد)

(تمر به الأيام تسحب ذيلها ... فتبلى ولا تبليه وهو جديد)

القائم بأمر الله الفاطمي محمد بن عبيد الله ويدعى محمد نزارا ابن المهدي القائم بالمغرب بايع لمحمد والده ،المذكور بولاية العهد بإفريقية وما معها وكانت الكتب تكتب باسمه والمظلة تحمل على راسه وجهزه أبوه إلى مصر مرتين ليأخذها الأولى في ذي الحجة سنة إحدى وثلاث مائة فوصل إلى الإسكندرية وملكها وملك الفيوم وصار في يده أكثر خراج مصر وضيق على أهلها والمرة الثانية وصل إلى الإسكندرية في سنة سبع وثلاث مائة في عسكر عظيم فخرج عامل الإمام المقتدر عنها فدخلها ثم خرج إلى الجيزة في خلق عظيم ووردت الأخبار إلى بغداد فجهز مؤنس الخادم بالرجال والأموال فلما وصل إلى مصر كان القائم قد ملك الجيزة والأشمونين وأكثر بلاد الصعيد فتلاقيا وجرى بينهما حروب عظيمة ووقع في عسكر القائم الوباء والغلاء فمات الناس والخيل فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم

---

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي الذهبي، شمس الدين ٢/١٤٣

وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد الخارجي وكانت **المطوعة** قد تبعته وقاسى منهم شدائد فأحسن) السيرة بنو." (١)

"علي الصدفي المعروف بابن سكرة من أهل سرقسطة قرأ بها القرآن على الحسن بن محمد بن مبشر المعروف بابن الإمام صاحب أبي عمر والداني وسمع من عبد الله بن محمد بن إسماعيل ابن محمد بن فورتش وأبي الوليد الباجي ومحمد بن عبد الله بن محمد ابن الصراف إمام الجامع بها وجال في الأندلس وسمع ببلنسية وبالمرية وبالمهدية ودخل مصر والإسكندرية وسمع بهما وبتنيس وحج وسمع بمكة وبالبصرة وبواسط ودخل بغداد وأقام بها خمس سنين وعلق عن أبي بكر الشاشي الشافعي تعليقته الكبرى في الخلاف وتفقه عليه وسمع الكثير من خلق كثير ببغداد وحصل الكتب والفوائد ودخل الشام وسمع بها وعاد إلى المغرب فأقام بها وأخذ الناس عنه علما كثيرا

وحدث ببغداد بحديث واحد وبعد صيته بالغرب ثم إن أهل مرسية وشرق الأندلس طلبوا من أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين أن يقلده قضاءهم فقلده فامتنع وفر بنفسه إلى المرية فترددت كتب ابن تاشفين وألزم إشخاصه إلى مرسية وشدد عليه فتقلد ذلك مكرها ولم يزل محمود السيرة إلى أن عزل نفسه واختفى فكتب ابن تاشفين برده إلى القضاء ثم شفع فيه قاضي الجماعة فأجابه إلى الإعفاء ولما وجه ابن تاشفين الجيوش إلى الثغر مع أخيه الأمير إبراهيم سنة أربع عشرة وخمس مائة خرج فيمن خرج مع **المطوعة**

فلما جرت الهزيمة على المسلمين بقتندة كان في من ختم له بالشهادة سنة أربع عشرة وخمس مائة قال القاضي عياض ولقد حدثني الفقيه أبو إسحق إبراهيم بن جعفر أنه قال له خذ الصحيح فاذكر أي متن شئت منه أذكر لك سنده أو أي سند شئت أذكر لك متنه

٣ – (ابن الفقاعي الحنبلي)

الحسين بن محمد بن موسى أبو عبد الله الفقيه الحنبلي المعروف بان الفقاعي تفقه على أبي)

عبد الله حامد وزوجته بابنته وكان من أعيان الفقهاء صاحب فتوى ونظر وكانت له حلقة بجامع المدينة وله تصانيف في الأصول والفروع وروى عنه أبو بكر الخطيب وأبو علي ابن البناء في مشيخته وتوفي سنة أربع وعشرين وأربع مائة

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٦/٤

٣ – (الحافظ أبو عروبة الحراني)

الحسين بن محمد بن مودود أبو عروبة الحراني." (١)

"كعب وعن كعب الأحبار قال ابن عبد البر ولا أعرف له حديثا مسندا

٣ – (الثوري الكوفي)

الربيع بن خثيم الثوري الكوفي من سادة التابعين وروى له الجماعة سوى أبي داود وتوفي في حدود السبعين للهجرة وقيل في حدود التسعين

وقال الشيخ شمس الدين أيضا أرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم وسمع ابن مسعود وأبا)

أيوب وعمرو بن ميمون وقال توفي في حدود المائة

٣ – (البكري الحنفي)

الربيع بن أنس البكري الحنفي روى له الأربعة وتوفي في سنة سبع وثلاثين ومائة

٣ – (ابن صبيح)

الربيع بن صبيح روى له الترمذي وابن ماجة توفي سنة ستين ومائة وروى الربيع عن الحسن وعطاء بن أبي رباح وثابت ويزيد الرقاشي وروى عنه وكيع وعبد الرحمن بن مهدي وأبو الوليد الطيالسي وعلي بن الجعد وقال أحمد لا بأس به وقال النسائي ضعيف

وقال شعبة هو عندي من سادات المسلمين وغزا في **المطوعة** أرض الهند وقال القاضي أبو محمد الرامهرمزي أول من صنف وبوب فيما أعلم الربيع بن صبيح بالبصرة ثم سعيد بن أبي عروبة بها وخالد بن جميل الذي يقال له العبد ومعمر باليمن وابن جريج بمكة وسفيان الثوري بالكوفة وحماد بن سلمة بالبصرة ثم صنف سفيان بن عيينة والوليد بن مسلم وابن المبارك وجرير بن عبد الحميد وهشيم

٣ – (المقرئ العابد المروزي)

الربيع بن ثعلب العابد المقرىء أبو الفضل المروزي قال الحافظ جزرة كان ثقة من عباد الله الصالحين وتوفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين." (٢)

"يوم واحد فمر الغلمان أن يأتمروني كونك في هذا اليوم ففعل ذلك فطلب إجانة ملأى عسلا وغمس يدي بختيار فيها ثم جعل يداوي عينيه بالأشياف الأبيض وجعل بختيار ينادي الغلمان فلا يجيبه أحد ولم

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٣/٢٨

(٢) الوافي بالوفيات الصفدي ١٤/٥٦

يزل يكحله إلى آخر النهار فبرئ

٣ - (الخادم الإخشيدي أمير دمشق)

فنك الخادم مولى كافور الإخشيدي خرج من مصر بعد موت مولاه إلى الرملة فبعثه الحسن بن عبد الله بن طغج أمير الرملة أميرا إلى دمشق فدخلها وأقام بها فلما اتصل به أن الروم أخذوا حمص يوم الأضحى نادى في الناس النفير إلى ثنية العقاب فخرج الجيش **والمطوعة** وغيرهم فلما خلا البلد انتهز الفرصة ورحل بثقله نحو عقبة دمر وسار بخواصه وطلب نحو الساحل فنهبوه وطمعوا فيه وقتلوا من تأخر من رجاله وتوفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

(الألقاب)

ابن فوران الشافعي الإمام اسمه عبد الرحمن بن محمد

ابن الفهاد الشافعي اسمه محمد بن إبراهيم

الفوركي أحمد بن محمد بن الحسن

الفوزي خطاب بن عثمان

ابن الفوطي المؤرخ كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد

فويك الصحابي فويك بالواو والياء والكاف قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئا فسأله ما أصابه قال كنت أمرت جملا لي فوقف على بيض حية فأصيب بصري فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرؤي وهو ابن ثمانين سنة يدخل الخيط في الإبرة وإن عينيه لمبيضتان)

(الألقاب)

ابن الفويره بدر الدين محمد بن عبد الرحمن

ابن الفويرة زكي الدين عبد الرحمن بن محمد." (١)

"٥٨ - الصفار يعقوب بن الليث أبو يوسف الصفار قد أكثر أهل التواريخ من ذلك هذا الرجل وذكر أخيه عمرو وما ملكا من البلاد وقتلا من العباد وما جرى للخلفاء منهما من الوقائع وقد تقدم ذكر أخيه عمرو في مكانه من حرف العين

كان يعقوب هذا وأخوه يعملان الصفر وهو النحاس في حداثتهما وكانا يظهران الزهد وكان رجل من أهل

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٧٠/٢٤

سجستان مشهورا بالتطوع في قتال الخوارج يقال له صالح بن البطر الكناني المطوعي من أهل بست فصحباه وحظيا به فقتلت الخوارج الشراة عمرا أخا يعقوب هذا وأقام صالح المذكور يعقوب هذا مقام الخليفة ثم هلك صالح فتولى مكانه درهم بن الحسين من **المطوعة** أيضا فصار يعقوب معه كما كان مع صالح ثم إن صاحب خراسان احتال لدرهم حتى ظفر به وحمله إلى بغداد فحبس ثم أطلق خدم السلطان ثم لزم بيته يظهر النسك والحج والاقتصاد حتى غلط أمر يعقوب وكان درهم هذا غير ضابط لأمور عسكره وكان يعقوب قائد عسكره فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب وملكوه أمرهم لما رأوا من حسن تدبيره وسياسته وقيامه بأمرهم فلما تبين درهم ذلك لم ينازعه وسلمه الأمر وقويت شوكة يعقوب وحارب الخوارج وظفر بهم وأفناهم وأحرق ضياعهم وغلب على سجستان وهراة." (١)

"الأصنام الذهب والفضة المرصعة بالجواهر شيء كثير محيط بعرشه يزعمون أنها الملائكة فأحرقوا الصنم الأعظم ووجدوا في أذنيه نيفا وثلاثين حلقة فسألهم محمود عن معنى ذلك فقالوا له كل حلقة عبادة ألف سنة

وعاد محمود مظفرا منصورا وكتب إلى أمير المؤمنين القادر بالله كتابا يشرح فيه الحال ويقول فيه لقد كان العبد يتمنى قلع هذا الصنم ويتعرف الأحوال فتوصف له المفاوز إليه وقلة الماء وكثرة الرمال فاستخار العبد الله في الانتداب لهذا الواجب طلبا للأجر ونهض في شعبان سنة ست عشرة في ثلاثين ألف فارس سوى **المطوعة** وفرق في **المطوعة** خمسين ألف دينار معونة وقضى الله بالوصول إلى بلد الصنم وأعان حتى ملك البلد وقلع الوثن وأوقدت عليه النار حتى تقطع وقتل خمسون ألفا من أهل البلد

وقد كان محمود افتتح قبل ذلك من الهند أماكن منيعة وغنم أموالا كثيرة وكتب إلى أمير المؤمنين إن كتاب العبد صدر في غزنة لنصف المحرم سنة عشر والدين مخصوص بمزيد الإظهار والشرك مقهور بجميع الأقطار وانتدب العبد لتنفيذ الأوامر وتابع الوقائع على كفار السند والهند فرتب بنواحي غزنة العبد محمدا مع خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وشحن بلخ وطخارستان بأرسلان الحاجب مع اثني عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وانضم إليه جماهير **المطوعة** وخرج العبد من غزنة في جمادى الأولى سنة تسع بقلب منشرح لطلب السعادة ونفس مشتاقة إلى درك الشهادة ففتح قلاعا وحصونا وأسلم زهاء عشرين ألفا من عباد." (٢)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٥٣/٢٨

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٣١٨/٥

"قالت المرأة فعبر الكافر في خيله إلى باب الحصن وقد تحصن الناس وضموا أمتعتهم فضجوا بالمسلمين وخربوهم فحصر من ذلك أهل الناحية وأرادوا الخروج فمنعهم العامل دون أن تتوافى عساكر السلطان وتتلاحق **المطوعة** فشد طائفة من شبان الناس وأحداثهم فتقاربوا من السور بما أطاقوا حمله من السلاح وحملوا على الكفرة فتهارج الكفرة واستجروهم من بين الأبنية والحيطان فلما أصحروا كر الترك عليهم وصار المسلمون في مثل الحرجة فتخلصوا واتخذوا دارة يحاربون من ورائها وانقطع ما بينهم وبين الخصم وبعدت المؤنة عنهم فحاربوا كأشد حرب وثبتوا حتى تقطعت الأوتار والقسي وأدركهم التعب ومسهم الجوع والعطش وقتل عامتهم وأثخن الباقون بالجراحات ولما جن عليهم الليل تحاجز الفريقان

قالت المرأة ورفعت النار على المناظر ساعة عبور الكافر فاتصلت بالجرجانية وهي مدينة عظيمة في قاصية خوارزم وكان ميكال مولى طاهر من أبياتها في عسكر فحث في الطلب هيبة للأمير أبي العباس عبد الله بن طاهر رحمه الله وركض إلى هزاراسب في يوم وليلة أربعين فرسخا بفراسخ خوارزم وفيها فضل كثير على فراسخ خراسان وعد الترك الفراغ من أمر أولئك النفر فبينما هم كذلك إذ ارتفعت لهم الأعلام السود وسمعوا أصوات الطبول فأفرجوا عن القوم ووافى ميكال موضع المعركة فوارى القتلى وحمل الجرحى." (١)

"تحتها نقطتان وبعدها نون وبعد الألف نون مدينة من مشاهير بلاد فرغانة ينسب إليها جماعة

٦٨٣ – المروزي بفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو فى آخرها زاي هذه النسبة إلى مرو الشاهجان

٦٨٤ – المريسي من قرى صعيد مصر وقيل غير ذلك بينته فى ترجمة بشر

٦٨٥ – المستعيني بضم الميم وسكون السين وفتح التا المثناة من فوق وكسر العين المهملة وسكون الياء آخر الحروف بعدها نون نسبة إلى المستعين بالله أحد الخلفاء اشتهر بهذه النسبة محمد بن عبيد الله بن الحسين أبو بكر العلاف تقدم

٦٨٦ – المستغفري بضم الميم وسكون السين وفتح التاء فوقها نقطتان وسكون الغين المعجمة وكسر الفاء والراء نسبة إلى الجد نسبة جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفي الفقيه الحافظ خطيب نسف

٦٨٧ – المسكي بكسر الميم وسكون السين وفى آخرها كاف نسبة إلى المسك أستاذ الصيمري ونسبة عبد القوي بن عبد الخالق بن وحشي الكناني الفقيه أبو القاسم المصري من أصحاب ابن بري النحوي تقدم

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ١٢/٨

٦٨٨ - المطرزي بضم الميم وفتح الطاء وكسر الراء المشددة وفى آخرها زاي نسبة ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي أبو المظفر برهان الدين ذكر السمعاني المطرز هكذا بغير ياء وقال يقال هذا لمن يطرز الثياب

٦٨٩ - المطوعي بضم الميم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو وفى آخرها عين مهملة نسبة إلى **المطوعة** نسبة إلى من فرغ نفسه للطاعات نسبة محمد بن محمد بن عبد الله أبو منصور تقدم

٦٩٠ - المظفري أحمد بن منصور رحمه الله تعالى." (١)

"وتتابع الجمع، والتف بهم من أهل الجهاد من **المطوعة**، واتصل منهم السير إلى قرية دلر «١» من قرى غرناطة؛ وكان من استمرار الهزيمة على ابن همشك الذي أمده بنفسه وجيشه، من نصارى وغيرهم، ما يأتي ذكره عند اسم ابن مردنيش في الموحدين، في حرف الميم، بحول الله تعالى.

انخلاعه للموحدين عما بيده وجوازه للعدوة، ووفاته بها:

قالوا «٢» : ولما فسد ما بينه وبين ابن مردنيش بسبب بنته التي كانت تحت الأمير أبي محمد بن سعد بن مردنيش إلى أن طلقها، وانصرفت إلى أبيها، وأسلمت إليه ابنها منه، مختارة كنف أبيها إبراهيم، نازعة في انصرامه إلى عروقها؛ فلقد حكي أنها سئلت عن ولدها، وإمكان صبرها عنه، فقالت: جرو كلب، جرو سوء، من كلب سوء، لا حاجة لي به؛ فأرسلت كلمتها في نساء الأندلس مثلا؛ فاشتدت بينهما الوحشة والفتنة، وعظمت المحنة، وهلك بينهما من الرعايا الممرورين، المضطرين، بقنينة «٣» الثوار ممن شاء الله بهلاكه، إلى أن كان أقوى الأسباب في تدمير ملكه.

ولما صرف ابن سعد عزمه إلى بلاده، وتغلب على كثير منها، خدم ابن همشك الموحدين ولاذ بهم واستجارهم؛ فأجاز البحر، فقدم على الخليفة عام خمسة وستين وخمسمائة، وأقره بمواضعه؛ إلى أوائل عام أحد وسبعين، فطولب بالانصراف إلى العدوة بأهله وولده، وأسكن مكناسة وأقطع بها سآما «٤» لها خطر، واتصلت تحت عنايته إلى أن هلك.

وفاته: قالوا: واستمر مقام ابن همشك بمكناسة غير كبير، وابتلاه الله بفالج غريب الأعراض، شديد سوء المزاج، إلى أن هلك؛ فكان يدخل الحمام الحار، فيشكو حره بأعلى صراخه، فيخرج، فيشكو البرد كذلك، إلى أن مضى سبيله «٥» .

إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية عبد القادر القرشي ٣٤٧/٢

يعقوب ابن عبد الحق

يكنى أبا سالم.." (١)

"كان من المتطوعة الصلحاء، المسقطن للدعوى. وله مكاشفات، منها حكاية الطعام، وجرح خطيب أدفو فبصق عليها، فبرئ من ساعته.

متأخر، أدركنا من أدركه، وهو من أصحاب الشيخ مسلم.

محمد بن إبراهيم الفارسي

٥١٨ - ٦٢٢ للهجرة

محمد بن إبراهيم بن احمد، الفخر الفارسي الصوفي. ذو الرياضات والمعاملات. ألف وسمع السلفي وغيره. وعنه المذري وغيره. كان فيه دعاية وبداعة.." (٢)

"وكان [٤٧/ب] فقيها إماما عالما بجميع العلوم، محصلا، قارب درجة الاجتهاد، ودون وصنف في كل فن. وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة، وقتل شهيدا بطريف في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة.

ولجده السلطان الأمير أبي بكر بن جزي الظهور بمدينة جيان (١). بويع بها في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمس مئة.

= قال تلميذه لسان الدين في ترجمته «من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها. كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين فقيها حافظا قائما على التدريس، مشاركا في فنون من عربية وأصول وقراءات وحديث وأدب. حافظا للتفسير، مستوعبا للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس ممتع المحاضرة، صحيح الباطن. تقدم خطيبا على حداثة سنه، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته.». وله مؤلفات كثيرة، منها: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، وكتاب الأقوال السنية في الكلمات السنية، وكتاب الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار. وكتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنبلية والحنفية، وكتاب تقريب الوصول إلى علم الأصول. وكتاب النور المبين في قواعد عقائد الدين، وكتاب المختصر البارع في

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١/١٥٥

(٢) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٤٦٦

قراءة نافع، وكتاب أصول القراء الستة غير نافع، وكتاب الفوائد العامة في لحن العامة. وله فهرسة كبيرة. وأبو القاسم بن جزي هو مؤلف التفسير الشهير-التسهيل إلى علوم التنزيل- (انظره محققا بعناية الدكتور عدنان زر زور والدكتور محمد رضوان الداية). كانت ولادة ابن جزي سنة ٦٩٣ وتوفي شهيدا في معركة طريف التي جرت سنة ٧٤١ بين دولة بني نصر المتحالفين مع بني مرين من جهة وتحالف الدول الإسبانية البرتغالية والمطوعة معهم من جهة أخرى، ومحص الله فيها المسلمين. قالوا في ترجمته إنه فقد وهو يحرض الناس -على الجهاد- ويقاتل مجاهدا. تقبل الله شهادته.

(١) جيان مدينة كبيرة، كانت حاضرة كورة باسمها.." (١)

"٧ - (وما النصر إلا من عند الله)

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وأما بنعمة ربك فحدث وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها نبشر المجلس السامي الجمالي بل نبشر المسلمين كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين فإنه استفحل أمره واستحكم شره ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد فنودوا لا تيأسوا من روح الله. ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة تمم الله على الإسلام بركتها فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح وجمعنا العربان والمطوعة وخلقا لا يعلمهم إلا الله فجاءوا من كل فج عميق ومكان سحيق. فلما كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم وقصدوا دمياط هاربين. وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل فيوحل بهم الخزي والويل. فلما أصبحنا يوم الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه في اللجج وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج. والتجأ الفرنسيس إلى المنية وطلب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته وجلاله وعظمته وذكر كلاما طويلا. وبعث المعظم مع الكتاب غفارة الملك الفرنسيس فلبسها الأمير جمال الدين بن يغمور وهي أشكرلاط أحمر بفرو سنجاب فيها بكلة ذهب فقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل: إن غفارة الفرنسيس التي جاءت جباء لسيد الأمراء كبياض القرطاس لونا ولكن صبغتها سيوفنا بالدماء." (٢)

"فأراد نكاية كتبغا وأحضر الجوسن وكتبغا عنده ولبسه وقال له: يا أمير إيش تقول يصلح هذ لي فلم يفطن كتبغا لما أراد وقال له: والله يا أمير هذا كأنه فصل لك فنظر بيبرس إلى الأمراء يشير إليهم فاشتد عجبهم من تغير الأحوال فلم يشاهد أعجب من ذلك. وأقيم العزاء في الناس لمن فقد وكانوا خلقا كثيرا. ثم

---

(١) أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ابن الأحمر ص/١٦٦

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١/٤٥٦

أخذ السلطان الناصر في التجهيز للمسير إلى الشام ثانيا وشرع الأمراء في الاهتمام بأمر السفر وجمعوا صناع السلاح للعمل. وأخذ الوزير في جمع الأموال للنفقة وكتب إلى أعمال مصر بطلب الخيل والرماح والسيوف من سائر الوجهين القبلي والبحري فبلغ القوس الذي كان يساوي ثلاثمائة درهم إلى ألف درهم وأخذت خيول الطواحين وبغالها بالأثمان الغالية وطلبت الجمال والهجن والسلاح ونحو ذلك. فأبيع ما كان. بمائة بسبعمائة وبألف ونودي بحضور الأجناد البطالين فحضر خلق كثير من الصنائعية ونزلوا أسماءهم في البطالين. وفرقت أخباز المفقودين ورسم لكل من أمراء الألوف بعشرة من البطالين يقوم بأمرهم ولكل من الطبلخاناه بخمسة ولكل من العشراوات برجلين. واستخدم جماعة من الأمراء الغزاة **المطوعة** احتسابا. واستدعى مجدي الدين عيسى بن الخشاب نائب الحسبة ليأخذ فتوى الفقهاء بأخذ المال من الرعية للنفقة على العساكر فأحضر فتوى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام للملك المظفر قطز بأن يؤخذ من كل إنسان دينار فرسم له سلار بأخذ خط الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد فأبي أن يكتب بذلك فشق هذا على سلار واستدعاه وقد حضر عنده الأمراء وشكا إليه قلة المال وأن الضرورة دعت إلى أخذ مال الرعية لأجل دفع العدو وأراد منه أن يكتب على الفتوى بجواز ذلك فامتنع فاحتج عليه ابن الخشاب بفتوى ابن عبد السلام فقال: لم يكتب ابن عبد السلام للملك المظفر قطز حتى أحضر سائر الأمراء ما في ملكهم من ذهب وفضة وحلي نسائهم وأولادهم هم وراه وحلف كلا منهم إنه لا يملك سوى هذا كان ذلك غير كاف فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد. وأما الآن فيبلغني أن كلا من الأمراء له مال جزيل وفيهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلئ ويعمل الإناء الذي يستنجي منه في الخلاء من فضة ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر وقام عنهم فطلب ناصر الدين محمد بن الشيخي متولي القاهرة ورسم له بالنظر في أموال التجار ومياسير الناس وأخذ ما يقدر عليه من كل منهم بحسب حاله. فما أهل جمادى الأولى حتى استجد عسكر كبير وغصت القاهرة ومصر وما بينهما بكثرة من ورد من البلاد الشامية حتى ضاقت بهم المساكن ونزلوا بالقرافة." (١)

"سنة اثنتين وسبعمائة في أول المحرم: قدم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز ومعه الشريفان حميضة ورميثة في الحديد فسجنا. وفي ثامنه: قدمت رسل غازان بكتابه فأعيدوا بالجواب. وجهز الأمير حسام الدين ازدمر المجيري شمس الدين محمد التيتي وعماد الدين على بن عبد العزيز بن السكري إلى غازان في عاشر ربيع الأول. فمضوا واجتمعوا به فمنعهم من العود بسبب الوقعة الآتى ذكرها ولازالوا مقيمين

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٢٧/٢

حتى هلك غازان فعادوا في أيام خدا بندا. وفي محرم: تنجزت عمارة الشواني وجهزت بالمقاتلة والآلات مع الأمير جمال الدين أقوش القاري العلائي والي البهنسا. واجتمع الناس لمشاهدة لعبهم في البحر فركب أقوش في الشينى الكبير وانحدر تجاه المقياس فانقلب ممن فيه يوم السبت ثاني عشره. وكان قد نزل السلطان والأمراء لمشاهدة ذلك واجتمع من العالم ما لا يحصيهم إلا الله تعالى وبلغ كراء المركب الذي يحمل عشرة أنفس إلى مائة درهم امتلأ البران من بولاق إلى الصناعة بالناس حتى لم يوجد موضع قدم خال. ووقف العسكر على بر بستان الخشاب وركب الأمراء الحراريق إلى الروضة. وبرزت الشواني للعب كأنها في الحرب فلعب الأول والثاني والثالث واعجب الناس بذلك إعجابا زائدا لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط وآلالات الحرب. ثم تقدم الرابع وفيه أقوش فما هو إلا أن خرج من منية الصناعة. بمصر وتوسط النيل إذا بالريح حركه فمال به ميلة واحدة انقلب وصار أعلاه أسفله فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها ذات الأحمال وتكدر ما كانوا فيه من الصفو وتلاحق الناس بالشيني وأخرجوا ما سقط منه في الماء فلم يعدم منه سوى أقوش وسلم الجميع وعاد السلطان والأمراء إلى القلعة وانفض الجمع. وبعد ثلاثة أيام أخرج الشيني فإذا امرأة الرئيس وابنها وهي ترضعه في قيد الحياة فاشتد العجب من سلامتها طول هذه الأيام ووقع العمل في إعادته حتى تنجز وندب الأمير سيف الدين كهرداش الزراق المنصوري للسفر عوضا عن أقوش القاري فسار إلى طرابلس بالشواني واستجد منها ستين مقاتلا من المماليك سوى البحرية **والمطوعة**." (١)

"الإسكندرية بأن العمارة عند القبرسي فاهتم نائب السلطان بها – وهو الأمير زين الدين خالد. – فرفع سورها القصير من جهة الباب الأخضر وصار يجتهد في العمارة ويرسل يطلب من الأمير يلبغا الخاسكي – مقدم الجيوش المنصورة الإعانة على عمارة السور ويعلمه بخبر عمارة القبرسي للمراكب الحربية فيقول: إن القبرسي أقل وأذل من أن يأتي إلى الأسكندرية. وما علم يلبغا أن شرارة أحرقت الجلمود وبعوضة أهلكت النمرود ودلمة قتلت فيلا وبرغوثا أشهر ملكا جليلا. ذكر كيفية ظفر القبرسي بالاسكندرية بما جمعه من أجناس نصارى الرومانية وغير ذلك من الواردات المستطردات. وذلك أن نائب السلطان بثغر الإسكندرية – وهو الأمير صلاح الدين خليل بن عرام – كان غائبا عن الثغر المذكور بالحجاز الشريف بسبب الحج. وكان نائبا عنه فيه بإشارة الأمير الأتابكي الخاسكي أمير يسمى جنغرا. فلما دخل جنغرا المذكور الإسكندرية رأى طوائف ما **المتطوعة** الحارسة لمينتها تبحر عليه بالجزيرة بقسيهم الجرخ الموترة وأعلامهم الحرير المنشورة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٥٣/٢

مع ما بأيديهم من المزاريق والرمح والدرق والصفاح والزرد النضيد ومصفحات الحديد والنفط الطيار الصاعد منه لهب النار وهم بملبوسهم المختلف الألوان كالزهر في البستان. فلما عاينهم جنغرا بكى وقال: هؤلاء أهل الجنة لرباطهم وجهادهم في سبيل الله قد طاب والله العيش بقوة هذا الجيش لو أتى الإسكندرية جميع نصارى الرومانية ما قدروا على هذا الجيش الثقيل على الإسكندرية بل يكسرون النصارى ويصيرونهم قتلى وأسارى. فأقام جنغرا بالإسكندرية من شوال سنة ست وستين وسبعمائة إلى المحرم ينظر إلى تلك الطوائف التي لكل طائفة منها ليلة في الأسبوع تبيت تحرس بساحل المينا وربما بات ليال في الغرفة التي على باب مسجد تربة طغية ويقدم قدامه فانوسين أكرتين مقابل باب المسجد المذكور. وتأتي طائفة الزراقين يطلقون النفط وهو ينظر من طيقان الغرفة المذكورة إلى الشرار الطيار واللوالب التي تدور بألوان النار من الخضرة والصفرة والبياض والحمرة فيتحصل بذلك الانشراح من العشي إلى الصباح ويبتهج أيضا بنظره إلى كثرة الخلائق المنتشرة على الساحل من الرماة والعوام وقد نصب لهم." (١)

"لابسين الحديد من الفرق إلى القدم والمسلمون كاللحم على وضم فكيف يقاتل اللحم الحديد وكيف يبرز العاري لمن كسى الزرد النضيد فانهزمت المسلمون وولت ومن الكفار فرت فقال الشاعر في ذلك: قد ولت المسلمون لما باللبس وافاهم جنود وكيف لايهربنون منهم والناس لحم وهم حديد ثم إن أهل الإسكندرية لما رأو ما لم يعهدوه أبدا ولا شاهدوه على طول المدى رجفت منهم القلوب وصار كل واحد من عقله مسلوب ولما رأو من الرءوس الطائرة والخيول الغائرة فتزاحموا في الأبواب بعضهم على بعض فصاروا موتى بالطول والعرض وثبت بعض الناس وقاتل وهو مجتهد حتى قتل من الفرنج ما تيسر له قبل أن يستشهد. قيل إن محمد الشريف الجزار هجم على الفرنج بساطور المجزرة جعل عظام جماعة منهم مكسرة وهو يقول: الله أكبر قتل من كفر إلى أن تكاثرت عليه منهم جماعة كثيرة فاستشهد – رحمه الله – بالجزيرة وروى بعض فقهاء المكاتب يعرف بالفقيه محمد بن الطفال – وهو قاصد الفرنج بسيفه فقيل له تموت يا فقيه محمد فقال إذا أسعد وأصير مجاورا للنبي محمد وأي موتة أحسن من الجهاد في سبيل الله لأصير إلى الجنة وهجم فيهم فصار يضربهم ويضربونه إلى أن رزق الشهادة وختم له بالسعادة. نعود إلى ذكر من قاتل بالجزيرة من المسلمين للفرنج الكافرين. وذلك أن جماعة من رماة قاعة القرافة المتطوعة. لما حوصروا في الرباط الذي عمره لهما الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن سلام خارج باب البحر بالجزيرة بسبب مبيتهم فيه وصلواتهم وذكرهم ليلة خروج طائفتهم ترابط به وكان بناؤه قبل الوقعة ما يزيد على سنة قيل وذكرهم

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٠٤/٥

ليلة خروج طائفتهم ترابط به وكان بناؤه قبل الوقعة ما يزيد على سنة قيل إنه انصرف على عمارته ثمانمائة دينار فلما تكاثرت الفرنج حول الرباط صارت رماة." (١)

"وحج بالناس من مصر في هذه السنة الأمير الطواشي فارس الدين شاهين الحسني. وأخذت في هذه السنة مدينة أشقيرة من بلاد الأندلس وذلك أن الطاغية صاحب قشتالة لما أوقع بالمسلمين في الزقاق كثرت غاراته في بلاد المسلمين بالأندلس وكثرت غاراتهم أيضا على بلاد قشتالة وكان ألفنت قد قام بأمر أخيه دون وكان عارفا بالحروب والمكايد شجاعا دريا شديد البأس فجمع لحرب المسلمين ونزل على أنتقيرة – تجاه مالقة – أول ذي الحجة فلم يستنجد أبو الحجاج يوسف بن يوسف بن محمد بن إسماعيل بن نصر بن الأحمر – صاحب غرناطة – عساكر فاس كما هي العادة بل رأى أن في عسكره كفاية وجهز أخويه محمد وعليا على عسكر الأندلس وقد جمع أهل القرى بأسرها وخرجوا من غرناطة في ثامن عشر ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثمانمائة ونزلوا على حصن أرشذونة – وهو على ستة أميال من أنتقيرة – حتى تكاملت الجموع في ثامن عشرينه ثم ساروا في ليلة التاسع والعشرين وعسكروا تجاه العدو بسفح جبل المدرج فما استقرت وقد أعجبتهم أنفسهم بهم الدار حتى زحف العدو لحربهم فثاروا لقتاله وقد أعجبتهم أنفسهم واغتروا بكثرتهم وتباهوا بزينتهم ولم يراقبوا الله في أمرهم فما أحد إلا ومعه نوع من المعاصي كالخمر والأحداث حتى لقد أخبرني من شهد الوقيعة انه سمع عالم الأندلس – أبا يحيى بن عاصم – يقول: ما أظن إلا أنا مخذولون. فلما اشتد القتال في الليل انهزم العدو بعد ما قتل من المسلمين عشرة فرسان ولما كان أول يوم من محرم سنة ثلاث عشرة نادى أخو السلطان في العسكر بالنقة وكانت نفقة السفر قد أخرت عن وقتها لئلا يأخذها العسكر ولا يشهدوا الحرب وجعلت عند حضور الجهاد فهم في أخذ النفقة وإذا بالعدو وقد أقبل عند طلوع الشمس فخرجت المطوعة وقاتلتهم وأقام العسكر بأجمعهم لأخذ النفقة وعلم العدو بذلك فرجعوا كأنهم منهزمين والمطوعة تتبعهم. وتنادي في العسكر: يا أكالين الحرام العامة فلما وصل العدو إلى معسكرهم وقفوا للحرب وقد اجتمع جميع رجالة المسلمين." (٢)

"وفي سادسه: فرق السلطان على يد الطواشي فيروز جملة فضة مؤيدية على الفقهاء والفقراء والأيتام فتوسع الناس بذلك. وفي يوم الاثنين ثامنه – وعاشر مسرى –: أوفى النيل ستة عشر ذراعا فنزل السلطان وعدى النيل إلى المقياس حتى خلق بين يديه ثم سار وفتح سد الخليج على العادة وعاد إلى القلعة. وفي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٠٩/٥

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٨٠/٦

سادس عشره: نودي أن يكون صرف الدينار المختوم الهرجة بثلاثين مؤيديا فضة وصرف الدينار الأفرنتي بثمانية وعشرين مؤيديا فيكون الدينار الهرجة بمائتين وسبعين درهما من الفلوس والدينار الأفرنتي بمائتين واثنين وخمسين درهما ومنع الناس أن يتعاملوا بالناصري وأن يقص جميع ما ظهر منه ويحسب في المثقال منه مبلغ مائتين وأربعين درهما فلوسا فلم يستقر الحال على ذلك وخرج الدينار الأفرنتي بمائتين وستين درهما والناصري بمائتين وعشرة. وفي سادس عشره: قدم الأمير صلاح الدين محمد الحاجب بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص إلى الإسكندرية في تحصيل المال فجلس بالخمس وبين يديه أعيان أهلها فجاءه الخبر بأن الفرنج الذين وصلوا ببضائع المتجر - وهم في ثمان عشاريات من مراكب بحر الملح - قد عزموا على أن يهجموا عليه وأن يأخذوه هو ومن معه فقام عجلا من غير تأن يريد الفرار وتسارع الناس أيضا يفرون فهجم الفرنج من باب البحر فدافعهم من هناك من العتالين حتى أغلقوا باب البحر وقتلوا رجلا من الفرنج فقتل الفرنج نحو عشرين من المسلمين وانتشروا على الساحل وأسروا نحو سبعين مسلما وأخذوا ما ظفروا به ولحقوا بمراكبهم وأتوا في الليل يريدون السور فتراموا ليلتهم كلها مع المسلمين إلى الفجر فأخذ كثير من المسلمين في الرحيل من الإسكندرية وأخرجوا عيالهم وقام الصياح على فقد من قتل وأسر وباتوا ليلة الجمعة مع الفرنج في الترامي من أعلى السور فقدمت طائفة من المغاربة في مركب ومعهم زيت وغيره من تجاراتهم فمال الفرنج عليهم وقاتلوهم قتالا شديدا حتى أخذوهم عنوة وأخرجوهم إلى البر وقطعوهم قطعا وأهل الإسكندرية يرونهم فلا يغيثونهم. فقدم الخبر بذلك في ليلة السبت عشرينه فاضطرب الناس بالقاهرة وخرج ناظر الخاص نجدة لولده ومضى معه عدة من الأمراء وخرج الشيخ أبو هريرة بن النقاش في عدة من المطوعة يوم الأحد حادي عشرينه وقدموا." (١)

"وفي يوم الاثنين: قدم الأمير أينال الجكمي من القدس فخلع عليه واستقر أمير مجلس عوضا عن أينال النوروزي. وهذا الجكمي من جملة مماليك الأمير جكم وانتقل إلى الأمير سودن بقجة. ثم صار إلى الأمير شيخ المحمودي. فلما تسلطن عمله من جملة المماليك الخاصكية. ثم غضب عليه ونفاه ثم أعاده من النفي لبراءته مما رمى به فرقاه ططر حتى صار من الأمراء المقدمين. ثم قبض عليه ونفي حتى أعاده السلطان في يوم تاريخه إلى الإمرة. وفي يوم السبت عشرينه: وصل الغرابان بالأسرى والغنيمة. وذلك أنهما لما مرا بدمياط تبعهما قوم من المطوعة في سلورة حتى مروا بطرابلس سار معهم غربان إلي الماغوصة فأضافهم متملكها فلم يتعرضوا لبلاده ومضوا عنه إلى بلاد يقال لها اللمسون من جزيرة قبرس وقد استعد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤١٥/٦

أهلها وأبعدوا عيالهم وخرجوا في سبعين فارسا وثلاثمائة راجل فقاتلهم المسلمون وهزموهم وقتلوا منهم فارسا واحدا وعدة رجال وحرقوا ثلاثة أغربة وغرقوا ثلاثة أغربة وعاثوا فيما وجدوه من ظروف العسل والسمن وغير ذلك. وأسروا ثلاثة وعشرين رجلا وغنموا جوخا كثيرا رفع للسلطان منه مائة وثلاث قطع طرحت على التجار ولم يعط المجاهدون منها شيئا. وفي تاسع عشرينه: نودي بخروج أهل الريف من القاهرة ومصر إلى بلادهم فلم عمل بذلك. وفي هذا الشهر: هبط ماء النيل وشرق أكثر النواحي بالصعيد والوجه البحري. ومع ذلك فالأسعار رخيصة القمح بمائة وثمانين درهما الأردب والشعير بخمسة وثمانين الأردب والفول بثمانين درهما الأردب. وفيه كثرت الفتن وتعددت بالوجه القبلي والبحري. وفيه فتحت كنيسة قمامة بالقدس وكان قد تأخر فتحها بعد ما رسم به. في يوم النحر رمى بعض المماليك من أعلا الطباق بالحجارة والسلطان يذبح الأضاحي والمماليك تنهب لحومها بخلاف العادة فأصيب بعض الأمراء بحجر. ودخل السلطان داخل الدور وكثر الكلام. وسبب ذلك أنه لم يفرق الأضاحي في." (١)

"وفي ثامن عشره: بعث صاحب تونس وإفريقية وتلمسان – أبو فارس عبد العزيز – أسطولا فيه مائتا فرس وخمسة عشر ألف مقاتل من العسكرية **والمطوعة** لأخذ جزيرة صقلية فنازلوا مدينة مارز حتى أخذوها عنوة ومضوا إلى مدينة مالطة. وحصروها حتى لم يبق إلا أخذها فانهزم من جملتهم أحد الأمراء من العلوج فانهزم المسلمون لهزيمته فركب الفرنج أقفيتهم فاستشهد منهم في الهزيمة خمسون رجلا من الأعيان ثم إنهم ثبتوا وقبضوا على العلج الذي شهر صفر أوله الأحد: في رابع عشره: خلع على السيد الشريف شهاب الدين كاتب السر ونزل إلى الجامع المؤيدي وقد استقر ناظره على العادة فقرئ به تقليده بكتابة السر تولى قراءته منشأة القاضي شرف الدين أبو بكر الأشقر نائب كاتب السر. وقد حضر قضاة القضاة الثلاث ولم يحضر الحنفي وحضر الأمير أركماس الدوادار وكثر من الأعيان فكان من المجامع الحفلة الحشمة. وفي هذه الأيام: ارتفع سعر الذهب حتى بلغ الدينار الأفرنتي مائتين وستين درهما وارتفع أيضا سعر الغلال. وقدم الخبر بغلاء الأسعار بمدينة حلب ودمشق وأن بدمشق وحمص طاعون فاش في الناس. وفي يوم الخميس سادس عشرينه: خلع على قاضي القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني وأعيد إلى قضاء القضاة عوضا عن الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر وخلع على قاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهني وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية عوضا عن بدر الدين محمود العيني ورسم باستقراره صدر الدين أحمد بن محمود العجمي في ميشخة خانكاه الأمير شيخو عوضا عن قاضي القضاة

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٠٣/٧

زين الدين التفهني ورسم أن لا يزيد الشافعي على عشرة نواب والحنفي على ثمانية والمالكي على ستة والحنبلي على أربعة فكان حسنا إن تم.." (١)

"كبيرة في مرج أغرناطة – وهي بلد همدان وبلد أوطورة وبلد دارما – فابتلعت الأرض هذه البلاد بأناسها وبقرها وغنمها وسائر ما فيها حتى صار من يمر من حولها يقول كان هنا بلد كذا وبلد كذا وانخسف في كثير من البلاد عدة مواضع وسقط نصف قلعة أغرناطة وتهدم كثير من الجامع الأعظم وسقط أعلى منارته ورؤى حائط الجامع يرتفع ثم يرجع ومقدار ارتفاعه نحو عشرة أذرع ارتفع كذلك مرتين وخاف رجل عند حدوث الزلزلة فأخذ ابنه وأراد أن يخرج من باب داره فالتصق جانبا الباب وانفرج الحائط فخرج من ذلك الفرج هو وابنه وامرأته فعاد الحائط كما كان وتراجع جانبا الباب إلى حالهما قبل الزلزلة وأقامت الأرض بعد ذلك نحو خمسة وأربعين يوما تهتز حتى خرج الناس إلى الصحراء ونزلوا في الخيم خوفا من المدينة أن تسقط مبانيها عليهم وكان هذا كله بعد وصول السلطان المخلوع أبي عبد الله محمد الأيسر من تونس إلى الأندلس وحصره قلعة أغرناطة سبعة أشهر وقتله الأجناد والرجال حتى فنيت العدد والأموال فبلغ ذلك ملك قشتالة الفنشي فجمع عساكره من الفرنج وركب البحر إلى قرطبة يريد أخذ أغرناطة من المسلمين فاشتد البلاء عليهم لقلة المال بأغرناطة وفناء عسكرها في الفتنة وموت من هلك في الزلزلة وهم زيادة على ستة آلاف إنسان ونزل الفرنج عليهم فلقوهم في يوم الجمعة عاشر رمضان من هذه السنة وقاتلوهم يومهم ومن الغد قتل من المسلمين نحو الخمسة عشر ألف وألجأهم العدو إلى دخول المدينة وعسكر بإزائها على بريد منها وهم نحو خمسمائة وثمانين ألف وقد اشتد الطمع في أخذها فبات المسلمون ليلة الأحد في بكاء وتضرع إلى الله ففتح عليهم الله تعالى وألهمهم رشدهم وذلك أن الشيخ أبا زكريا يحيى بن عمر ابن يحيى بن عمر بن عثمان بن عبد الحق – شيخ الغزاة – خرج من مدينة أغرناطة في جمع ألفين من الأجناد وعشرين ألفا من المطوعة وسار نصف الليل على جبل الفخار. حتى أبعد عن معسكر الفرنج إلى جهة بلادهم ورفع إمارة في الجبال يعلم بها السلطان بأغرناطة فلما رأى تلك العلامات من الغد خرج يوم الأحد بجميع من بقي عنده إلى الفرنج فثاروا لحربهم فولى السلطان بمن معه من المسلمين كأنهم قد انهزموا والفرنج تتبعهم حتى قاربوا المدينة ثم رفعوا الأعلام الإسلامية فلما رآها الشيخ أبو زكريا نزل بمن معه إلى

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٠٢/٧

معسكر الفرنج وألقي فيه النار ووضع السيف فيمن هنالك فقتل وأسر وسبى فلم يدع الفرنج إلا والصريخ قد جاءهم والنار ترتفع من معسكرهم فتركوا." (١)

"سبعمائه دينار وإستقر عوضه تاج الدين محمد بن نور الدين على بن القلاقسي الفوي على مال إلتزم به. وفي سحر يوم الجمعة خامس عشره: رحل زين الدين عبد الباسط من منزلته بقبة النصر حتى أناخ ببركة الحجاج ورافقه في سفره جماعات من الرجال والنساء فصار في ركب من الحجاج وكان يتردد إليه في منزلته هذه عامة الأمراء والمقام الناصري محمد ولد السلطان وجميع مباشري الدولة من الوزير وكاتب السر وناظر الجيش وناظر الخاص ومعظم أعيان القاهرة من القضاة ومشايخ العلم والتجار وغيرهم من سائر طبقات الناس فأقام ببركة الحجاج وهم يترددون إليه ويحملون له المبالغ الكثيرة من الذهب والثياب والخيول والأغنام وغير ذلك حتى إستقل بالمسير في ليلة الإثنين ثامن عشره فما زادته هذه المحنة إلا رفعة وعزا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وفي خامس عشرينه: عزل ناصر الدين محمد بن أحمد بن سلام عن ولاية دمياط ولعزله خبر يذكر وهو أن جماعة من **المطوعة** بدمياط ركبوا البحر يريدون جهاد الفرنج فمضوا من دمياط حتى أرسوا بميناء بيروت وهم في ثلاثة مراكب فإجتمع عليهم عدة من الغزاة وساروا غير بعيد وإذا بطائفة كبيرة من الفرنج في أربعة مراكب قد أقبلوا فإحتربوا معهم حربا شديدة حتى إستشهدوا بأجمعهم إلا طائفة من البحارة فإنهم ألقوا أنفسهم في البحر وأخذ الفرنج مراكب المسلمين بما فيها وأقلعوا فما هو إلا أن وصل الخبر بذلك إلى دمياط وإذا بالعزاء والمأتم قد أقيمت على من فقد من الغزاه حيث عم ذلك أهل البلد بأسرهم إلا رجلا من نصارى دمياط يقال له جرجس بن ضو فإنه في وقت عزاء الناس عمل فرحا وجمع على طعامه عدة أناس وأظهر الشماتة والمسرة بما أصاب المسلمين وكان قبل يتهمه الناس بدمياط أنه يكاتب الفرنج ويدلهم على عورات المسلمين ويحضهم على محاربتهم فلما عمل هذا المجتمع لم تصبر العامة على ذلك وثاروا به وأخرجوه وادعوا عليه عند القاضي بقوادح قامت عليه بها بينات أوجبت قتله فلما أيقن بالهلاك أظهر الإسلام وتلفظ بالشهادتين فقام ابن سلام على العامة وتخلصه من بين أيديهم على مال فيما زعموا أنه وعده به فتعصبت العامة وقتلت النصراني الأسلمي وأحرقوه بالنار ونهبوا كنائس النصارى فحنق ابن سلام وكتب إلى السلطان وإلى ناظر الخاص وهو يشنع الأمر ويذكر أن حرمة السلطان

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٢٧/٧

قد إنكسرت وضاع مال السلطان وتعطل إستخراجه فاشتد غضب ناظر الخاص وأغرى السلطان بأهل دمياط حتى غضب عليهم وبعث ثلاثين مملوكا صحبة بعض." (١)

"وفيه أفرج عن أبي الفرج، فلزم داره. وفي يوم الإثنين خامس عشرينه وهو أول مسرى: نودي على النيل بزيادة ثلاثين إصبعا لتتمة أربع عشرة ذراعا وإصبعين وهذا القدر من الزيادة ومبلغ الأذرع مما يستكثر في أول مسرى ولله الحمد. وفيه خلع على الأمير عيسى بن يوسف بن عمر الهواري أمير هوارة بالصعيد وقد رضي السلطان عن بني عمر بن عبد العزيز أمراء هوارة ورسم بإحضار أخيه الأمير إسماعيل من سجنه بمدينة الكرك ليستقر على عادته في إمرة هوارة على أن يحمل سبعين ألف دينار يعجل منها أربعين ألف دينار. وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه: رضي السلطان على الأمير أيتمش الخضري وخلع عليه بشفاعة بعض الأمراء. وفي يوم الخميس سابع عشرينه ورابع مسرى: نودي بوفاء النيل ست عشرة ذراعا وإصبعين من سبع عشره فركب المقام الناصري محمد إلى المقياس حتى خلق العامود بين يديه على العادة ثم فتح الخليج وكان وفاء النيل في رابع مسرى من النوادر التي يجب الحمد لله عليها. شهر ربيع الأول أوله يوم الأحد: وفي هذا الشهر والذي قبله: كثرت الفواكه والبطيخ بزيادة في الطيب والخصب ورخص السعر وفي يوم الإثنين تاسعه: إنحدر من ساحل بولاق ظاهر القاهرة خمسة عشر غرابا لغزو الفرنج بأحسن هيئة وأكمل عدة وأتم زاد وفيها من الأجناد والمطوعة جماعة. فعلى الأجناد وعدتهم مائتان تغرى برمش الزردكاش من أمراء العشرات ويونس المحمدي أمير أخور من العشرات أيضا وسبب هذه التجريدة كثرة عبث المتجرمة من الفرنج وأخذها مراكب التجار بما فيها فأنشأ السلطان هذه الأغربة وشحنها بما تحتاج إليه من العدد والأسلحة والمقاتلة وسيرها عسى الله أن يظفرهم فانضم إليهم طوائف من أوغاد العامة وأراذل المفسدين ومن الزعر المجرمين حتى بلغوا ألفا أو يزيدون. ولم ينفق في المماليك مال. وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه: ضربت رقبة رجل من سقاط العجم وسفلتهم وقد ثبت عليه بشهادة جماعة فوادح وعظائم أوجبت إراقة دمه شرعا وكان من." (٢)

"وكتب المتوكل إلى أمير مصر يزيد بن عبد الله بن الأغلب بالنظر في قضية ابن السائح. فجمع أهل البلد من الفقهاء والشيوخ. وكان ورود الكتاب عليه بالصرف في يوم الجمعة لسبع بقيم من شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٣٩/٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٦٠/٧

وكتب المتوكل إلى دحيم وهو عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، وهو يومئذ بفلسطين بتوليه القضاء بمصر. فشرع في التجهيز إليها. فمات قبل أن يخرج من فلسطين في شهر رمضان. فبقيت مصر بغير قاض إلى أن قدم بكار بن قتيبة في يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين. فكانت هذه القضية أول الأسباب في عزل الحارث عن قضاء مصر. ثم وقعت قضية ابن السائح التي ذكرت، وكان قد بالغ في الحط عليه، وأنه يحكم بالهوى، ويعطل حقوق الناس، بترك قبول شهادة من يشهد لهم من العدول، بغير قادح فيهم، إلا من جهة هواه.

ورفع عليه أن شاهدا شهد عنده فذكر ابن أبي الليث، فقال: تذكر ابن أبي الليث في مجلسي! فرد شهادته. وشهد عنده سهل بن سلمة الأسواني فقال: قد عدلت عندي ولكن لا أقبل شهادتك لأنك عملت لابن أبي الليث. وأن سليمان بن أبي نصر كان قد أثبت وصية إليه، فمنعه، وقال: لا أجيز وصيتك، لأنك كنت تأتي ابن أبي الليث، وأخرج الوصية من يده.

وقال أبو عمر: حكم الحارث في دار الفيل دار أبي عثيم مولى مسلمة بن مخلد وكان أبو عثيم حبس هذه الدار على مواليه الذين بفسطاط مصر، وسماهم في كتاب تحبيسه، وهم كعب بن سليمان وناصح وبسار ورافع وأولادهم وأولاد أولادهم ما تناسلوا، ذكرهم وأنثاهم سواء. فإذا انقرضوا رجعت إلى جزأين الأول الفقراء والمساكين، والآخر من يسكن مصر من بين ساعدة. وتليته من آل أبي دجانة، وهم عصبة موالي مسلمة من **المطوعة**، ومن أهل الديوان ممن لم يبلغ عطاؤه مائتين، فمن بلغها فلا حق له، فإن لم يكن بمصر أحد منهم فهو للفقراء والمساكين أيضا.." (١)

"حرف اللام

لهيعة بن عيسى بن لهيعة بن عقبة الحضرمي: تقدم باقي نسبه في عبد الله بن لهيعة. وهو من المائة الثانية.

قال ابن يونس: أمة أمة العزيز بنت غياث بن عقبة ويكنى أبا عكرمة أخذ عن عمه وعن..

روى عنه ولده عيسى، وسعيد بن عفير، ويحيى بن بكير وغيرهم.

وولاه عباد بن محمد قضاء مصر أيام الفتنة الواقعة بين الأمين والمأمون. وكان عباد يدعو للمأمون فأراد أن يولي عبد الله بن وهب القضاء فاستتر. فولى لهيعة بن عيسى وذلك في أول يوم من شعبان سنة ست وتسعين ومائة.

كان لهيعة أول من فرض لأهل مصر من **المطوعة** في الأحباس. وكانت مواحيز مصر يعمرها أهل الديوان

---

(١) رفع الإصر عن قضاة مصر ابن حجر العسقلاني ص/١٢٣

وطائفة من **المطوعة**. وكانت الأحباس تجمع في كل سنة. فإذا كان شهر أبيب بعث القاضي بما اجتمع من أموال السبيل فيفرق في المواحيز من مصر إلى العريش إلى لوبية ومراقية. فتفرق على **المطوعة** ومن كان فقيرا من أهل الديوان. فلما هاجت الفتنة تشاغل الأمراء عن عطاء أهل الديوان، وتعطلت المواحيز وانقطع عنها **المطوعة**. فعمد لهيعة لجمع أموال السبيل ففرض للمطوعة وغيرهم. فصار الناس يسمونها فروض لهيعة. إلى أن ولي ابن أبي الليث فسماها فروض القاضي.

وفي ذلك يقول فراس المرادي:

لعمري لقد سارت فروض لهيعة ... إلى بلد قد كاد يهلك صاحبه

إلى بلد تقري به البوم والصدى ... تعاوره الروم العظام تحاربه

رشيد وإخنا والبرلس كلها ... ودمياط والأشتوم تقوى مغالبه." (١)

"غيره من **المتطوعة** بالمزيد من ذلك.

ودخل في وصايا ونحوها والسلطان في غضون ذلك يلهج بالتحدث بولايته القضاء مع علمه بعدم قبوله عن الظاهر خشقدم بعد تصميمه عليه لذلك إلى أن أذعن بعد مجيء الزمام وناظر الخاص ونائب كاتب السر وناظر الدولة وغيرهم إليه وطلبه له فطلع معهم وما وجد بدا من القبول وذلك وقت الزوال من يوم الثلاثاء ثالث رجب سنة ست وثمانين وقد صرف الولولي الأسيوطي في أول يوم منه حين التهنئة ورجع ومن شاء الله معه من الأمراء والقضاة والمباشرين والنواب والطلبة إلى الصالحية على العادة ثم إلى منزله فباشر بعفة ونزاهة واستقر في أمانة الحكم بأحد فضلاء جماعته الجمال الصاني الأزهري وفي النقابة بأحد الفضلاء أيضا العلاء المحلي الحنفي أحد جماعة قاضي المحلة أوحد الدين العجيمي مع تدبير الشهاب الأبشيهي لهما ومراجعتهما له، وامتنع من ولاية أبي الفتح السوهاي مع توسله عنده بكل طريق واجتهد في عمارة الأوقاف لاستيلاء الخراب على أكثرها ولم يظهر أثر ذلك إلا لمباشريها وجباتها لكون الناصح له في العمارة وغيرها عديم والمكافح في الدفع عنه غير)

مستقيم واستمر القطع لجل مستحقيها إلى أن أمسك السلطان الأمين والنقيب وغيرهما من جماعته ورسم عليهم ولم يلتفت لمن يعذله عن ذلك مع قلتهم بل عدمهم وصرفه في أثناء ذلك عن نظر القرافتين ويقال كانت ولايته على المستحقين نقمه وجهالته في تصرفاته على المستحقين المسلمين غمه بحيث عادت محبة الناس فيه عداوة وزادت الرغبة إلى الله بزواله عقب الصلاة والتلاوة واشتد بغضه فيه ولم يعتد بغالب

---

(١) رفع الإصر عن قضاة مصر ابن حجر العسقلاني ص/٣١٢

ما يبديه وصرح بتمقته مرة بعد أخرى وطرح جانبه سرا وجهرا ولو التفت لجهة المستحقين لانكب عنه بيقين، ولكن حب الدنيا رأس كل خطيئة وعلى كل حال فهو نهاية العنقود وحامل الراية التي إلى الخير فيما نرجو تعود ولم تزل الأكابر تمتحن والصابر عليها يرتقي ل كل أمر حسن رفع الله به وعنه كل مكروه ودفع عنه من يخفضه بفوه وختم له بخير.

٨٩٣ - زهير بن حسن بن علي بن سليمان بن سنجر بن عبد الله اليساري نسبة لعرب اليسار القرافي الشافعي / أحد رؤس الركابة في الاسطبلات السلطانية كأسلافه واسمه محمد ولكنه بزهير أشهر. ولد سنة ست وعشرين وثمانمائة بباب القرافة، وحضر دروس الونائي فأكثر وكذا المناوي بل القاياتي وخالط الفقهاء من ذلك العصر وهلم جرا وكان لكثير منهم إليه الميل ودخل البلاد الشامية وحج وزار بيت المقدس واستفتى شيخنا وقد حضر عنده مجلس الاملاء فيمن." (١)

"بقين منه. وقال أبو القاسم بن بشكوال: استشهد القاضي أبو علي في وقعة قتندة، بثغر الأندلس، يوم الخميس ووافق عياضا إلا في الشهر، فانه قال من ربيع الأول. قال ابن الأبار: وهو الأصح. وقال أبو عمرو والخضر بن عبد الرحمن: توفي في الكائنة على المسلمين بكتندة، عشي يوم الخميس، الثامن عشر من شهر ربيع الأول، فتابع ابن بشكوال على الشهر. قال أبو عبد الله بن الأبار: وقرأت بخط أبي عبد الله بن مدرك بن الغساني المالقي: استشهد الفقيه أبو علي رحمه الله تعالى في وقعة كتندة، يوم الخميس، التاسع من ربيع الأول، وذكر السنة. قال: وكنت على المسلمين، جبرهم الله تعالى قتل فيها من **المطوعة** نحو عشرين ألفا، ولم يقتل فيها من العسكر يعني الجند أحد، وحكي غيرهم أن العسكر انصرف مفلولا إلى بلنسية، في الموفى عشرين من ربيع الأول أيضا، وأن القاضي أبا بكر بن العربي حضرها. قال: وسئل مخلصه منها عن حاله، فقال، حال من ترك الخبا والعبا. قال أبي بشكوال: وكان القاضي أبو علي يومئذ من ابناء الستين، وقد ذكره ابن بشكوال، وقال: وهو ممن كتب إلينا بإجازة ما رواه، ولم ألقه. وذكره ابن الأبار في معجم أصحابه، وقد ألف ابن الأبار هذا المعجم في أصحاب القاضي أبي علي، كما ألف القاضي أبو الفضل عياض بن موسى نعجم شيوخه، رحمة الله عليهم أجمعين.

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى:

أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهلالي، يعرف بابن بقوى، ويقال ابن بقوة، من أهل غرناطة، وسكن

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢٣٨/٣

المرية وسمع من شيوخ المرية، مثل طاهر ابن هشام الأزدي، وأبي محمد حجاج بن علي بن محمد الرعيني، المعروف بابن." (١)

"الأمان! إما قبلت منا وإما سترت وأمسكت عن أذانا

حتى نخرج عن بلادك راجعين! فأمنه فذكر له حالهم وحال عبد الله بن محمد أرسله أبوه إليه فرحب بهم وبايعهم، وأنزل عبد الله عنده مختفيا، ودا كبراء أهل البلد وقواده وأهل بيته إلى البيعة فأجابوه، فقطع ألويتهم البيض، وهيأ لبسه من البياض ليخطب فيه، وتهيأ لذلك يوم الخميس، فوصله مرك لطيف فيه رسول من امرأة عمر بن حفص تخبره بقتل محمد بن عبد الله، فدخل على عبد الله فأخبره وعزاه، فقال له عبد الله: إن أمري قد ظهر ودمي في عنقك، فقال عمر: قد رأيت رأيا، ههنا ملك من ملوك السند عظيم الشأن كبير المملكة، وهو على شوكة أشد تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو وفي أرسل إليه وأعقد بينك وبينه عقدا فأوجهك إليه فلست ترام معه، ففعل ذلك وسار إليه عبد الله فأكرمه وأظهر بره، وتسللت إليه الزيدية حتى اجتمع معه أربع مائة إنسان من أهل البصائر فكان يركب فيهم ويتصيد في هيئة الملوك وآلاتهم، فلما انتهى ذلك إلى المنصور بلغ منه ما بلغ وكتب إلى عمر بن حفص يخبره ما بلغه، فقرأ الكتاب على أهله وقال لهم: إن أقررت بالقصة عزلني، وإن صرت إليه قتلني، وإن امتنعت حاربني، فقال له رجل منهم: ألق الذنب علي وخذني وقيدني! فإنه سيكتب في حملي إليه فاحملني! فإنه لا يقدم علي لمكانك في السند وحال أهل بيتك بالبصرة، فقال عمر: أخاف عليك خلاف ما تظن، قال: إن قتلت فنفسي فداء لنفسك! فقيده وحبسه وكتب إلى المنصور بأمره، فكتب إليه المنصور يأمره بحمله، فلما صار إليه ضرب عنقه، ثم استعمل على السند هشام بن عمرو التغلبي وأمر أن يكاتب ذلك الملك بتسليم عبد الله بن محمد، فسار هشام إلى السند فملكها وكره أخذ عبد الله بن محمد وأقبل يرى الناس أنه يكاتب ذلك الملك، واتصلت الأخبار بالمنصور بذلك فجعل يكتب إليه يستحثه، فبينا هو كذلك إذ خرجت خارجة ببلاد السند فوجه هشام أخاه سفيحا فخرج في جيشه وطريقه بجنبات ذلك الملك، فبينا هو يسير إذ غبرة قد ارتفعت فظن أنهم مقدمة العدو الذي يقصده، فوجه طلائعه فزحفت إليه فقالوا: هذا

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ١٥٤/٣

عبد الله بن محمد العلوي يتنزه على شاطىء مهران! فمضى يريده فقال نصحاؤه: هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم! وقد تركه أخوك متعمدا مخافة أن يبوء بدمه فلم يقصده، فقال: ما كنت لأدع أخذه ولا أدع أحدا يحظى بأخذه أو قتله عند المنصور، وكان عبد الله في عشرة فقصده فقاتله عبد الله وقاتل أصحابه حتى قتل وقتلوا جميعا فلم يفلت منهم مخبر وسقط عبد الله ببين القتلى فلم يشعر به، وقيل: إن أصحابه قذفوه في مهران حتى لا يحمل رأسه، فكتب هشام بذلك إلى المنصور فكتب إليه المنصور يشكره ويأمره بمحاربة ذلك الملك، فحاربه حتى ظفر به وقتله وغلب على مملكته.

وكان عبد الله قد اتخذ سراري فأولد واحدة منهن ولدا وهو محمد بن عبد الله الذي يقال له: ابن الأشتر، فأخذ هشام السراري والولد معهن فسيرهن إلى المنصور، فسير المنصور الولد إلى عامله بالمدينة وكتب معه بصحة نسبه وتسليمه إلى أهله، وكان ذلك سنة إحدى وخمسين ومائة كما في الكامل.

عبد الملك بن شهاب المسمعي

سيره المهدي بن المنصور العباسي إلى بلاد الهند سنة تسع وخمسين ومائة وفرض مه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد وأشخصهم معه ومن **المطوعة** الذين كانوا يلزمون المرابطات ألفا وخمس مائة رجل، ووجه معه قائدا من أبناء أهل الشام يقال له، ابن الحباب المذحجي، في سبع مائة من أهل الشام، وخرج معه من مطوعة أهل البصرة بأموالهم ألف رجل فيهم فيما ذكر الربيع بن صبيح، ومن." (١)

"الأسواريين والسبابجة أربعة آلاف رجل، فولى

عبد الملك بن شهاب المنذر بن محمد الجارودي الألف الرجل **المطوعة** من أهل البصرة، وولي ابنه غسان بن عبد الملك الألفي الرجل الذين من فرض البصرة، وولي ابنه عبد الواحد بن عبد الملك الألف والخمس مائة الرجل من مطوعة المرابطات.

وأفرد يزيد بن الحباب في أصحابه فخرجوا وكان المهدي وجه لتجهيزهم حتى شخصوا أبا القاسم محرز بن إبراهيم فرضوا لوجههم وساروا في البحر حتى نزلوا على باربد سنة ستين

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٤٦/١

ومائة، فلما نازلوها حصروها من نواحيها وحرض الناس بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا أهلها ففتحها الله عليهم هذه السنة عنوة، واحتمى أهلها بالبد بت خانه الذي لهم فأحرقه المسلمون عليهم، فأحرق بعضهم وقتل الباقون، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا وأفاءها الله عليهم، فهاج عليهم البحر فأقاموا إلى أن يطيب، فأصابهم مرض في أفواههم فمات منهم نحو من ألف رجل منهم الربيع بن صبيح، ثم رجعوا فلما بلغوا ساحلا من فارس يقال له بحر حمران عصفت بهم الريح ليلا فانكسر عامة مراكبهم فغرق البعض ونجا البعض ووصل عبد الملك إلى بغداد، فولاه المهدي بن المنصور على بلاد السند سنة إحدى وستين ومائة وعزله بعد سبعة عشر يوما من قدومه أرض الهند، كما في الكامل.

عمر بن حفص العتكي

عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة العتكي المعروف بهزار مرد- يعني ألف رجل- كان من قواد المنصور ممن بايع محمد بن عبد الله العلوي المشهور بالنفس الزكية، استعمله المنصور على السند والهند سنة اثنتين وأربعين ومائة، فقدمها فحارقه عيينة بن موسى التميمي فسار حتى ورد السند فغلب عليها وقام بالملك.

وفي أيامه قدم الهند عبد الله بن محمد بن عبد الله العلوي وقد تقدم خبره في ترجمته، وقد عزل المنصور في تلك القصة عمر بن حفص عن السند سنة إحدى وخمسين ومائة واستعمله على أفريقية، فسار إلى قيروان في خمس مائة فارس فاجتمع وجوه البلد فوصلهم وأحسن إليهم وأقام والأمور مستقيمة ثلاث سنين، فسار إلى الزاب لبناء مدينة طبنة بأمر المنصور واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب المهلبي، فخلت أفريقية من الجند فثار بها البربر واجتمعوا بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم الأباضي وعمت الفتنة البلاد كلها، ورجع عمر إلى القيروان فحصروه وطال الحصار حتى أكلوا دوابهم وفي كل يوم يكون بينهم قتال وحرب، فلما ضاق الأمر بعمر وبمن معه فعزم على إلقاء نفسه إلى الموت فأتى الخبر أن المنصور قد سير إليه يزيد بن حاتم المهلبي في ستين ألف مقاتل وأشار عليه من عنده بالتوقف عن القتال إلى أن يصل العسكر، فلم يفعل وخرج وقاتل فقتل في منتصف ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائة، كما في الكامل.

عمرو بن محمد الثقفي
عمرو بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي الذي كان والده فتح بلاد السند وكان مع الحكم بن عوانة الكلبي حين ولي بلاد السند فكان يفوض إليه ويقلده جسيم أموره وأعماله، فلما قتل الحكم سنة اثنتين وعشرين ومائة قام بالملك ورضي بولايته هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي فحارب العدو وظفر، ثم بغي عليه مروان بن يزيد بن المهلب فقتله، ولما مات هشام وولي بعده يزيد بن الوليد عزل." (١)

"ناصر الدين سبكتكين الغزنوي
الملك المؤيد المنصور ناصر الدين سبكتكين الغازي ملك غزنة، كان من غلمان ألبتكين صاحب جيش غزنة للسامانية، اتفق الناس عليه بعد ما توفي أبو إسحاق ابن ألبتكين سنة ست وستين وثلث مائة، ولم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم، فاتفقوا على سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته وكمال خلال الخير فيه، فقدموه عليهم وولوه أمرهم وحلفوا له وأطاعوه، فوليهم وأحسن السيرة فيهم، وساس أمورهم سياسة حسنة وجعل نفسه كأحدهم في الحال والمآل، وكان يدخر من أقطاعه ما يعمل منه طعاما لهم في كل أسبوع مرتين، ثم لما عظم شأنه وارتفع قدره وحسن بين الناس ذكره، تعلقت الأطماع بالاستعانة به فأتاه صاحب بست مستعينا به، وضمن له مالا مقررا وطاعة يبذلها له، فتجهز وسار معه ونزل على بست، وقاتل خصيمه قتالا شديدا، وتسلم صاحبه البلد، ثم إنه أخذ في المطل فقاتله واستولى على بست ثم إنه سار إلى قصدار، وكان متوليها قد عصى عليه لصعوبة مسالكها وحصانتها وظن أن ذلك يمنعه فسار إليه جريدة مجدا فلم يشعر إلا والخيل معه فأخذ من داره، ثم إنه من عليه ورده إلى ولايته وقرر عليه مالا يحمله كل سنة، ثم جمع العساكر وسار نحو الهند فافتتح قلاعا حصينة على شواهق الجبال وبنى المساجد بها في سنة سبع وستين وثلث مائة.
ورجع إلى غزنة سالما ظافرا، ولما رأى جي بال ملك بنجاب ما دهاه وأن بلاده تملك من أطرافها، أخذه ما قدم وحدث فحشد وجمع واستكثر من الفيول وسار حتى اتصل بولاية

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٤٧/١

سبكتكين وسار سبكتكين عن غزنة إليه ومعه عساكره وخلق كثير من **المتطوعة** فالتقوا واقتتلوا أياما كثيرة وصبر الفريقان، وبالقرب منهم عقبة غورك وفيها عين ماء لا تقبل نجسا ولا قذرا وإذا ألقى فيها شيء من ذلك أكفهرت السماء وهبت الرياح، وكثر الرعد والبرق والأمطار، ولا تزال كذلك إلى أن تطهر من الذي ألقى فيها، فأمر سبكتكين بإلقاء نجاسة في تلك العين فجاء الغيم والرعد والبرق وقامت القيامة على الهنود لأنهم رأوا ما لم يروا مثله، وتوالت عليهم الصواعق والأمطار واشتد البرد حتى هلكوا وعميت عليهم المذاهب واستسلموا لشدة ما عاينوه، وأرسل جي بال إلى سبكتكين يطلب الصلح، وترددت الرسل فأجابهم إليه بعد امتناع من ولده محمود على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها إليه، فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد وسير معه سبكتكين من يتسلمها فإن المال والفيلة كانت معجلة، فلما أبعد جي بال قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عند عوضا عن رهائنه.

فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر وسار نحو الهند فأخرب كل ما مر عليه من بلادهم، وقصد لمغان وهي من أحسن قلاعهم فافتتحها عنوة وهدم بيوت الأصنام، وأقام فيها شعار الإسلام، وسار عنها يفتح البلاد ويقتل أهلها، فلما بلغ ما أراده عاد إلى غزنة، فلما بلغ الخبر جي بال سقط في يده وجمع العساكر وسار في مائة ألف مقاتل فلقيه سبكتكين وأمر أصحابه أن يتناوبوا القتال مع الهنود ففعلوا ذلك فضجر الهنود من دوام القتال معهم وحملوا حملة واحدة، فعند ذلك اشتد الأمر وعظم الخطب، وحمل أيضا المسلمون جميعهم واختلط بعضهم ببعض فانهزم الهنود، وأخذهم السيف من كل جانب وأسر منهم ما لا يعد وغنم أموالهم وأثقالهم ودوابهم الكثيرة، وذل الهنود بعد هذه الوقعة، ولم يكن لهم بعدها راية، ورضوا بأن لا يطلبوا في أقاصي بلادهم.

ولما قوي سبكتكين بعد هذه الواقعة أطاعه الأفغانية والخلج وصاروا في طاعته." (١)

"وهدى بهم خلقا كثيرا من عباده، وكان راسخا في الاسلام وعقيدة التوحيد، حريصا على اتباع الكتاب والسنة، واقتفاء الآثار النبوية والطريقة المرضية، شديد الكراهة للكفر والشرك والبدعة، ولما حضرته الوفاة أوصى أصحابه بأن يجعلوه في الحجر حتى يفارق الدنيا، كما لحق النبي صلى الله

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٦٠/١

عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى وهو في حجر عائشة بين سحرها ونحرها، ودعا بنته وضمها إلى صدره، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يزل لاهجا بذكر الله إلى آخر عهده بالدنيا، وقال بعض أصحابه وهو يجود بنفسه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فقال: لم يرد هذا في الحديث عند الموت، وإنما ورد: لا إله إلا الله، وكان متعلق القلب برمضان كثير السؤال عنه، يتمنى أن يموت فيه، ومات في سلخ شعبان سنة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بعد ما أهل رمضان، كما جاء في كتاب للشيخ عبد الحق إلى الشيخ أحمد حسن منشيء صحيفة شحنة هند.

مولانا عبيد الله السندي

الشيخ العالم الصالح عبيد الله الحنفي السندي أحد العلماء المشهورين، ولد في بيت من بيوت الوثنيين في تاسع محرم سنة تسع وثمانين ومائتين وألف في بلدة سيالكوث وتوفي والده قبل ولادته فتربى في حجر خاله الوثني، وتعلم الخط والحساب والتاريخ وغيرها في المدرسة إنكليزية، ورأى ذات يوم في اليقظة أن نقطة من النور حاذت بين عينيه ثم دخلت في قلبه، فوجد بردا وسكينة في قلبه، وألقى في روعه أنه سيدخل في دين الإسلام، فرغب إليه وحصل بعض الكتب الاسلامية كتحفة الهند للشيخ عبيد الله البائلي وتقوية الايمان للشيخ الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، واشتغل بها مدة حتى رسخ في قلبه الايمان، فهاجر من بلدته إلى أرض السند سنة أربع وثلاثمائة وألف وأسلم على يد الشيخ الحاج محمد صديق السندي وبايعه في الطريقة القادرية، واشتغل بالعلم فقرأ رسائل النحو والصرف إلى كافية ابن الحاجب، ثم سافر إلى الملتان ومنها إلى ديوبند وقرأ على أساتذة المدرسة بعض رسائل المنطق، ثم سافر إلى كانبور وقرأ أكثر اكبت الدرسية لعله على مولانا أحمد حسن الكانبوري، ثم رجع إلى ديوبند وأخذ الحديث عن العلامة محمود حسن الديوبندي وتفقه عليه، ثم ولي التدريس بمدرسة دار الرشاد في أرض سند فدرس بها زمانا، ثم رجع إلى ديوبند وأقام بها مدة من الزمان وأسس جمعية مؤتمر الأنصار، وخالفه أعضاء المدرسة العربية في بعض الأمور واتهموه بسوء الاعتقاد، فسار إلى دهلي وأسس نظارة المعارف بفناء المسجد الفتحبوري، وأعلن أنه يدرس القرآن الكريم وحجة الله البالغة وبعض كتب الحديث في سنتين لمن يريد الأخذ ممن نالوا درجة الفاضلية في الإنكليزية فدرس بها أعواما.

ثم لما نشبت الحرب الكبرى سافر إلى حدود أفغانستان مختفيا متسترا بايعاز من شيخه العلامة

محمود حسن الديوبندي، يحمل رسالة الجهاد والثورة على الإنجليز إلى خاصة تلاميذه، وليحمل أمير أفغانستان على محاربة الإنجليز والهجوم على الحكومة الإنجليزية في الهند، فورد في كابل في خامس ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف، وقابل الأمير حبيب الله خان والي أفغانستان ونائبه، واقترح عليهما زحف الجنود الأفغانية إلى الهند، ووعد الأمير، واتفقوا على أنه إذا نجحت هذه المهمة وتحقق الجلاء فإنه سيجلس على عرش دهلي ابن من أبناء الأمير كملك دستوري للبلاد، وقامت في كابل حكومة هندية موقتة كان رئيسها راجه مهندر برتاب أحد الثوار من الولاية الشمالية الهندية، وكان الشيخ عبيد الله وزير الداخلية في هذه الحكومة، وبدأ عبيد الله يشكل فرقة من **المتطوعة** لهذا الغرض سماها جنود الله، وأرسل في هذه المدة رسائل سرية إلى شيخه، اشتهرت فيما بعد بالرسائل الحريرية، لأنها كانت كتبت على منادل من الحرير، وأصبحت الشغل الشاغل للإنجليز، وجرت حولها مباحثات وتحقيقات.

وتنكرت الحكومة الأفغانية للشيخ عبيد الله لعل ذلك بايعاز من الإنجليز وفرضت عليه رقابة وألزمته." (١)

"واستقر مدرسا في مدينة الإسماعيلية، فاستخلص أفرادا صارحهم بما في نفسه، فعاهدوه على السير معه (لإعلاء كلمة الإسلام) واختار لنفسه لقب (المرشد العام) فأقاموا بالإسماعيلية أول دار (للإخوان) وبادروا إلى إعلان (الدعوة) بالدروس والمحاضرات والنشرات، وانفرد هو بزيارة المدن الأخرى. ثم كان يوجه بعض ثقاته في رحلات. فما عتم أن أصبح له في كل بلد سعى إليه دار، و (دار الإسماعيلية) مركز قيادة الدعوة. ولم يقتصر على دعوة الرجال، فأنشأ في الإسماعيلية (معهد أمهات المسلمين) لتربية البنات تربية دينية صالحة، ونقل (مدرسا) إلى القاهرة، فانتقل معه (المركز العام ومقر القيادة) ولقي فيها إقبالا على دعوته.

وعظم أمر (الإخوان) وناهز عددهم نصف مليون. وخشي رجال السياسة في مصر اصطدامهم بهم، فحاولوا إبعادهم عن (السياسة) فقام الشيخ يعرف الإسلام في إحدى خطبه الكثيرة، بأنه (عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق ومادة وثقافة وقانون) وأنشأ بالقاهرة جريدة (الإخوان المسلمين) يومية، فكانت منبره الكت أبي إلى جانب منابره الخطابية. وحدثت كارثة فلسطين، فكانت (كتيبة) الإخوان المسلمين فيها، من أنشط الكتائب **المتطوعة**. ونودي بالهدنة، وفي أيدي (الإخوان) سلاح دربوا على استعماله، وادخروه للملمات، فحدثت في القاهرة والإسكندرية أحداث إرهابية عجزت السلطات القائمة

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ١٣٠٠/٨

عن معالجتها، فلجأ رئيس الوزارة (محمود فهمي النقراشي) إلى إقفال أندية (الإخوان) ومطاردة البارزين منهم، واعتقال الكثيرين، والتضييق على زعيمهم (البنا) فتحولوا إلى (خلايا) سرية، تعمل في الخفاء. وتصدى أحدهم إلى النقراشي، فاغتاله جهرة، أمام حرسه وجنده. ولم يمض وقت طويل حتى تصدى له ثلاثة أشخاص وهو أمام مركز (جمعية الشبان المسلمين) في القاهرة،." (١)

"المهدي العباسي على طبرستان، ومن كبار قواده. كان جوادا حازما، وفيه يقول بشار:

" إذا أرقتك جسام الأمور ... فنبه لها عمرا ثم نم "

قال البلاذري: كان ابن العلاء " جزارا " من أهل الري، وجمع جمعا، وقاتل " سنفاذ " حين خرج بطبرستان، في أيام المنصور، فأبلى البلاء الحسن، فأوفده جمهور بن مرار العجلي على المنصور، فجعله في جملة القواد، وحضنه. ثم إنه ولي طبرستان، واستشهد بها في خلافة المهدي (١) .

المطوعي

(٠٠٠ - نحو ٤٤٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ١٠٤٨ م)

عمر بن علي المطوعي، أبو حفص: أديب، له شعر رقيق. من أهل نيسابور. خدم في شبابه الأمير أبا الفضل الميكالي (عبيد الله) وصنف كتاب " درج الغرر ودرج الدرر " في محاسن نظم الميكالي ونثره. ولما ألف الثعلبي (صاحب اليتيمة) كتابه " فضل من اسمه الفضل " عارضه المطوعي بكتاب سماه " حمد من اسمه أحمد " وله " أجناس التنجيس " وكتب أخرى (٢) .

الليثي

(٠٠٠ - ٤٦٦ هـ = ٠٠٠ - ١٠٧٤ م)

عمر بن علي بن أحمد بن الليث، أبو مسلم الليثي البخاري: من حفاظ الحديث، واسع الرحلة، كثير التصانيف. اتهم بالتعصب لأهل البدع. قال يحيى ابن مندة: كان فيه تدليس وعجب.

---

(١) سمط اللآلي ٥٥١ وفتوح البلدان للبلاذري ٣٤٦ و ٣٤٧.

(٢) يتيمة الدهر ٤: ٣١١ وفي اللباب ٢: ١٥١ " المطوعي نسبة إلى المطوعة وهم جماعة فرغوا أنفسهم

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٨٤/٢

للغزو ومرابطة الثغور وقصدوا جهاد العدو في بلاده " وفي التاج ٥: ٤٤٥ " **المطوعة** بتشديد الطاء والواو الذين يتطوعون بالجهاد ".

سكن مدة بأصبهان ومات بخوزستان (بالأهواز) من كتبه " مسند الصحيحين " (١) .." (١)

"نظمه في شبابه. وانقطع عن الشعر في بدء كهولته، فتصدى لتدريس الفقه وأصوله، وصنف في ذلك كتبا لم تطبع. وكان في جملة العلماء الذين أفتوا بالجهاد، في بدء الحرب العامة الأولى، لصد الزحف البريطاني عن العراق، وقاتل على رأس جماعة من **المتطوعة**، في (الشعيبة) مع الجيش العثماني. وبعد فشل المقاومة لم يتمكن من العودة إلى النجف، فنزل بمدينة الناصرية وتوفي بها (١) .

الأيوبي

(٠٠٠ - ١٣٣٥ هـ = ٠٠٠ - ١٩١٧ م)

محمد سعيد بن محمد علي بن عطاء الله بن سعيد الأيوبي: مؤرخ دمشقي. كان رئيس الكتاب في محكمة الباب بدمشق. واستمر بها طويلا، قال الحصني: جمع تاريخا في تراجم رجال القرن الثالث عشر إلا أنه لم يطبع (٢) .

---

(١) العقد المفصل: مقدمته. وفيه تخطئة من جعل نسبه (الحسيني) كما هو في صدر ديوانه المطبوع ببيروت، وعنه فهرس دار الكتب ٧: ١٣٧ والصواب (الحسني) . والحقائق الناصعة ١: ٣٧.

(٢) منتخبات التواريخ لدمشق ٨٣٤.." (٢)

"اليمن كتاب (تحفة المؤمنين) في الطب. وجمع مكتبة نفيسة وقفها في المدينة. وصنف كتبا، منها (حصر الشارد في أسانيد محمد عابد - ط) و (المواهب اللطيفة على مسند الإمام أبي حنيفة) و (طوالع الأنوار على الدر المختار) و (شرح بلوغ المرام لابن حجر - خ) قطعة منه في المدينة، ولم يتمه، و (منحة الباري بمكررات البخاري) و (ترتيب مسند الإمام الشافعي - ط) رتبه على أبواب الفقه، ورسالة في (جواز الاستغاثة والتوسل - خ) في خزانة الرباط، أول المجموعة ١١٤٣ كتاني. ورأيت في خزانة الرباط (١٧٥٦ كتاني) مخطوطة باسم (ديوان عابد السندي) في جزء صغير ونظمه حسن، أكثره في المناسبات (١) .

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٥/٥٥

(٢) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٦/١٤٢

ابن سودة

(١٢٧٢ - ١٣٥٩ هـ = ١٨٥٥ - ١٩٤٠ م)

محمد العابد بن أحمد بن الطالب، ابن سودة المري: مؤرخ فقيه، من علماء فاس. كان فيها خطيب مسجد المولى إدريس أكثر من خمسين سنة. وشجر خلاف بين أهلها في تقسيم الماء الداخل اليها من الوادي (سنة ١٣٣٦ هـ فوضع

---

(١) فهرس الفهارس ١: ٢٧٠ - ٢٧٥ والدر الفريد ١١٩ والرسالة المستطرفة ٦٤ وإيضاح المكنون ١: ١٩٦ والروض الأزهر ١٤٨ وانفرد أبجد العلوم ٨٥٠ بتأريخ وفاته سنة ١٢٥٢ هـ

والفهرس التمهيدي ٦٥ ونيل الوطر ٢: ٢٧٩ وسماه (محمد عابدين) خطأ (انظر خطه) وقال: إن هذا غير الشيخ محمد عابدين السندي المكي أمير **المتطوعة** في جهاد الفرانسة، المتوفى بمكة في شوال ١٢١٣ وشوارق الأنوار - خ.." [1]

"مؤسس آخر دولة ملكية بمصر. ألباني الأصل، مستعرب.

ولد في قولة (التابعة الآن لليونان، وكانت من البلاد العثمانية) واحترف تجارة الدخان، فأثرى.

وكان أميا، تعلم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره. وقدم مصر وكيلا لرئيس قوة من **المتطوعة** جهزتها (قولة) تتألف من ٣٠٠ رجل، نجدة لرد غزاة الفرنسيين عن مصر، فشهد حرب أبي قير (سنة ١٢١٤ هـ وجامل المماليك فناصروه مع الألبانيين وأتراك قولة.

ومازال حتى كان والي مصر (سنة ١٢٢٠) في حديث طويل، فعنى بتنظيم حكومتها، وقتل المماليك (سنة ١٢٢٦) بوسيلة تقوم على الغدر (كما يقول صاحب المجمل في التاريخ المصري ٣٠٥) وأنشأ السفن في النيل، وضم معظم السودان الشرقي إلى مصر، وأنشأ في الإسكندرية دار صناعة (ترسانة) للسفن. واضطربت الدولة العثمانية لتوسع السعوديين (في دولتهم الأولى) بالحجاز وغيره، فانتدبته، كما انتدبت واليها ببغداد والشام، لحربهم، فكانت له معهم وقائع معروفة. وشارك في حرب (المورة) واستولى على سورية ولم تلبث

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٨٠/٦

أن انتزعت منه بعد أن جعلت له الدولة العثمانية حكم مصر وراثيا (سنة ١٢٥٧) وكثرت في أيامه المدارس." (١)

"وأقبل أهلها على البناء في عهده. وقصدت من الأندلس وإفريقية وسائر بلاد المغرب، فضاقت بسكانها، فبنيت الأرباض (الضواحي) بخارجها. وفي أيامه بنى جامع القرويين. توفي بفاس (١) .

يحيى البحراني

(٠٠٠ - ٢٥٨ هـ = ٠٠٠ - ٨٧٢ م)

يحيى بن محمد الأزرق البحراني: ثائر فتاك، من أهل البحرين. خرج على المهتدي العباسي (سنة ٢٥٥ هـ ولحق بصاحب الزنج الثائر أيضا، فشهد معه الوقائع، ثم تفرد لقتال البصريين، فهزمهم وقتل كثيرا منهم. ودخل البصرة، فنهب وأحرق وبغى، فأقامه صاحب الزنج أميرا عليها، وولاه قيادة جيشه، فاستمر الى أن زحف الموفق العباسي بجيش كبير، فأصيب يحيى بسهام وجراحات ثم قيد أسيرا، فحمله الموفق إلى سامرا، وقطعت يداه ورجلاه، وقتل (٢) .

حيكان

(٠٠٠ - ٢٦٧ هـ = ٠٠٠ - ٨٨٠ م)

يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي، من ذهل بن شيبان، أبو زكريا، الملقب بحيكان: إمام أهل الحديث بنيسابور، وابن إمامهم. سافر إلى العراق، وسمع من أحمد بن حنبل وغيره. ثم كان أمير **المطوعة** المجاهدين، والمقدم على الغزاة بنيسابور، فدخلها خارجي يدعى " أحمد بن عبد الله الخجستاني " وغلب عليها، فقاتله حيكان، وفر من معه، فسجنه الخجستاني ثم دخل عليه وقتله في سجنه (٣) .

---

(١) الاستقصا ١: ٧٦ وجذوة الاقتباس ٣٣٤ وابن خلدون ٤: ١٥ والأنيس المطرب القرطاس ٨ من الكراس ٤.

(٢) ابن الأثير ٧: ٨٤ والطبري ١١: ٢٢٦.

(٣) مرآة الجنان ٢: ١٨١ وتهذيب التهذيب ١١: ٢٧٦ والتاج ٧: ١٢٥ والنجوم ٣: ٤٣.." (٢)

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٢٩٩/٦

(٢) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٦٤/٨

"من آثاره: الممتع في شرح المقنع في علم ابي مقرع في الميقات، الاشارة الناصحة لمن طلب الولاية الصالحة، المستعان في احكام الاوزان، منظومة في علم الحجر، ومنظومة في النحو.

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) المحبي: خلاصة الاثر ٣: ٤٧٢، ٤٧٣، محمد المراكشي: السعادة الابدية ٩٦ - ١٠٠، الكتاني: فهرس الفهارس ١: ٤١٧ - ٤١٩، البغدادي: هدية العارفين ٢: ٢٩٦، فهرست الخديوية ٥: ٣٧١، ٣٧٢، ٧ / ١: ٢٨٤، ٢٨٥، ٧ / ٢: ٥١٦، ٥١٧، فهرس الازهرية ٦: ٣١٨، المكتبة البلدية: فهرس الرياضيات ٦٢، فهرس التيمورية ٣: ٢٧٢، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٨٥، ٢: ٤٥١، ٥٤٨ ٧٠٨ ، ٧٠٧: Brockelmann: s , ll

محمد حبوبي (١٢٦٦ - ١٣٣٣ ه) (١٨٥٠ - ١٩١٥ م) محمد سعيد بن محمود حبوبي، النجفي اديب، شاعر.

ولد بالنجف في ٤ جمادى الآخرة، وبها نشأ، ودرس الفقه والاصول والادب والرياضيات، وكان ممن افتوا بالجهاد في بدء الحرب العامة الاولى لصد الزحف البريطاني عن العراق وقاتل على رأس جماعة من **المتطوعة** في الشعبية مع الجيش العثماني، ورحل إلى الحجاز ونجد، وتوفي في ٢ شعبان، ونقل إلى النجف، ودفن في الحرم الحيدري.

من آثاره: ديوان شعر.

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) رضا وظاهر وزين: العراقيات، العاملي: أعيان الشيعة ٤٥: ١٥٩ - ١٦٥، ادهم الجندي: أعلام الادب والفن ٢: ١٨٤، سركيس: معجم المطبوعات ٧٤٠، جعفر محبوبة: ماضي وحاضرها ٢٤٦، الزركلي: الاعلام ٧: ١٤ (م) المقتبس ٨: ٥٥٠ - ٥٥٢ محمد الجزائري (٠٠٠ - ١٨٦١ ه) (٠٠٠ - ١٢٧٨ م)

محمد سعيد بن محيي الدين بن مصطفى الجزائري، الحسني (١) .

صوفي مشارك في علوم متنوعة.

تولى مشيخة الطريقة القادرية في المغرب، وتوفي بدمشق، ودفن بجبل قاسيون.

من آثاره: اتقان الصنع في شرح رسالة الوضع للايجي، (خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) جميل الشطي: روض البشر ٢١٣، تقي الدين: منتخبات التواريخ ٢: ٦٩٦، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٢٢، فهرس دار الكتب المصرية ٢: الملحق الثاني: ٨

(١) الشقيق الاكبر للامير عبد القادر الجزائري." (١)

"الثانية- وقد تمسك بعض العلماء بهذه الآية بأن أهل الديوان أعظم أجرا من أهل التطوع، لأن أهل الديوان لما كانوا متملكين بالعطاء، ويصرفون في الشدائد، وتروعهم «١» البعوث والأوامر، كانوا أعظم من المتطوع، لسكون جأشه ونعمة باله في الصوائف «٢» الكبار ونحوها. قال ابن محيريز: أصحاب العطاء أفضل من المتطوعة لما يروعون. قال مكحول: روعات البعوث تنفي روعات القيامة. الثالثة- وتعلق بها أيضا من قال: إن الغنى أفضل من الفقر، لذكر الله تعالى المال الذي يوصل به إلى صالح الأعمال. وقد اختلف الناس في هذه المسألة مع اتفاقهم أن ما أحوج من الفقر مكروه، وما أبطر من الغنى مذموم، فذهب قوم إلى تفضيل الغني، لأن الغني مقتدر والفقير عاجز، والقدرة أفضل من العجز. قال الماوردي: وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة. وذهب آخرون إلى تفضيل الفقر، لأن الفقير تارك والغني ملابس، وترك الدنيا أفضل من ملابستها . قال الماوردي: وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة. وذهب آخرون إلى تفضيل التوسط بين الأمرين بأن يخرج عن حد الفقر إلى أدنى مراتب الغنى ليصل إلى فضيلة الأمرين، وليسلم من مذمة الحالين. قال الماوردي: وهذا مذهب من يرى تفضيل الاعتدال وأن (خير الأمور أوسطها). ولقد أحسن الشاعر الحكيم حيث قال:

ألا عائذا بالله من عدم الغنى ... ومن رغبة يوما إلى غير مرغب

الرابعة- قوله تعالى: (غير أولي الضرر) قراءة أهل الكوفة وأبو عمرو (غير) بالرفع، قال الأخفش: هو نعت للقاعدين، لأنهم لم يقصد بهم قوم بأعيانهم فصاروا كالنكرة فجاز وصفهم بغير، والمعنى لا يستوي القاعدون غير أولي الضرر، أي لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر. والمعنى لا يستوي القاعدون الأصحاء، قاله الزجاج. وقرأ أبو حيوة (غير) جعله نعتا للمؤمنين، أي من المؤمنين الذين هم غير أولي الضرر من المؤمنين الأصحاء.

---

(١). في نسخ الأصل اختلاف في هذه العبارة والذي أثبتناه هو ما في ابن عطية، وهو الواضح.

(٢). الصائفة: الغزوة في الصيف.." (٢)

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٣٩/١٠

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٤٣/٥

"[**السمندل] يدخل فيها فلا تضره، وغيره إذا دخل تحرقه، فأشار هنا أن ذلك أمر مهول تنكره العقول كلها.

قوله تعالى: ﴿خشعا ... (٧)﴾

ابن عطية: ذكر أن رجلا من **[المتطوعة*]**، قال قبل أن يستشهد: رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في النوم فسألته عن خشعا، وخاشعا، فقال: خاشعا بالألف. انتهى، [المرائي*] النومية لا يثبت بها حكم، لأن [التحمل من شروطه العقل والرأى غير عاقل*]، وقد ذكر ابن سهل في أحكامه منها كثيرا، وأنه سأل عن مسائل، وأجيب عنها، وحكى جابر لاستفتاء في المرأى حكايات، وحكى أن رجلا أتى سيدنا الشيخ الصالح أبا عبد الله محمد المغربي، فقال: رأيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في النوم، وقال: ارض لفلان، وقل له: يعطيك دينارا فأعطاه إياه، ثم إن بعض الفقهاء قال له مثل ذلك، فقال له: ذلك الفقيه، قال لي: أنا في اليقظة، لا تعطه شيئا [فأخبر*] بذلك الشيخ الصالح المغربي، فقال: إنما أعطيه الدنيا لكلامه، ولو صح عندي ما قال لبالغت في الإعطاء، وحكى النحويون: أن رجلا رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال له: أنت قلت: الحياء خير كله بالقصر، فقال: لا ثم رآه ثاني مرة، فسأله مثل ذلك، فأجابه بمثل ذلك، فأخبر بذلك بعض العلماء، فقال له: الحياء بالقصر، هو فرج الناقة، وإنما في الحديث: الحياء بالمد، فرآه الثالثة وسأله، أنت قلت: الحياء خير كله، قال: نعم، وقال ابن [رشد*]: ما ورد من قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "من رآني فقد رآني حقا"، إنما معناه من رآني على الصفة التي أنا عليها، الموصوفة في الكتب.

قوله تعالى: ﴿يقول الكافرون ... (٨)﴾

نسب القول إليهم دون غيرهم، لأنه عليهم أشد.

قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح ... (٩)﴾

هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتخويف وإنذار لقريش، واحتج بنظائرها على إثبات القياس،

لأن قوم نوح أهلكوا لأجل تكذيبهم، فلذلك هؤلاء. في الآية ثلاثة أسئلة، الأول: ما أفاد قوله تعالى: (فكذبوا عبدنا)، مع أن الأول يغني عنه، وأجابه من ثلاثة أوجه:." (١)

"فيه ولا ريب.

فإذا لم يكن لمن يقضي بين المسلمين بشرع الله في أموال الله حظ لم يكن لمن يغزو أو يرابط في ثغورهم، أو يدفع عن حوزتهم أو نحو ذلك حظ، وعند هذا تصير أموال الله التي أمر أئمة المسلمين وسلاطينهم بقبضها من أهلها ووضعها في مواضعها ضائعة متروكة هملا، فتذهب ثغور المسلمين ويبطل الغزو، وينهدم ربوع الشرع، ويذهب رونقه، وتتغير بهجته، ويصير الناس في فتنة عمياء صماء، وينخرم النظام، وتنقطع السبل، ويأكل القوي الضعيف، وتنتهك الحرم وتراق الدماء، وتنهب الأموال؛ فإنها إنما انتظمت المعائش، وقامت الأديان، وحفظت الحرم بصرف هذه الأموال في هذه المصارف العائدة على المسلمين بمصالح الدين والدنيا؛ فإن الناس أنواع، فمنهم من يشتغل بالزرائع [٤أ]، ومنهم من يقوم بالتجارة ونحوها من الحرف، ومنهم من يسعى في تحصيل الأمور التي تحتاج إليها في المعاش، ومنهم من يحفظ للناس دينهم ويعلمهم معالم الإسلام، ومنهم من يجاهد الأعداء ويكف يد القوي عن الضعيف، وينتصف المظلوم من الظالم، وتؤمن السبل، تقيم الحدود وهم الأئمة ومن معهم من الجنود، فإذا لم تؤخذ أموال الله من مواضعها وتصرف في مصارفها لم يبق من يحفظ على الناس دينهم، ولا من ينتظم به أمر معاشهم، لأن الجنود المتطوعة الذين لا يرتزقون لا يوجدون إلا في أندر الأزمنة، وأقل الأحوال، وكذلك القائمون بالوظائف الدينية من القضاء والإفتاء." (٢)

"يئس الاستعمار من آسيا ويئس شيطانه أن يعبد في أرضها فقنع منها بما دون ذلك، وهو بث البغضاء بين شعوبها، وإثارة الشقاق والنزاع بينهم على صغائر هن من صنع يده، فكر على إفريقيا ذات الشمس الضاحية، والسماء الصاحية، والقرب القريب من منابعه، والنفوس المتطوعة لتحريك أصابعه، ليتخذ من أهلها وقودا بشر للحرب، ومن سوائلها المكنوزة وقودا لآلاتها. وباب افريقيا ومدخلها الموطأ الأكناف بالنسبة إلى أوروبا وأمريكا معا هو الجزائر، فمن هنا نشأ التهافت الذي نراه من فرنسا على هذه القطعة من إفريقيا، بحيث لو استطاعت أن تردم البحر المتوسط لتصبح الجزائر قطعة بر متصلة بفرنسا فتصحح دعواها فيها، فإذ لم تستطع، فلا أقل من أن تكون بوابا لهذا الباب، وحارسا لهذا المدخل، لتنال من دهاقنة المال

---

(١) تفسير ابن عرفة ٤/١١١

(٢) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، الشوكاني ٩/٤٤٤٩

الأمريكيين والإنكليز أجر الحراسة على الأقل، وللأمريكيين حاسة سادسة للشم، ولكنها لا تشم إلا رائحة الذهب وال نفط، فهم يجرون مع كل خيال يخيل لهم وجود الذهب والزيت، والجزائر وصحراؤها غنية بهذين النوعين، فكيف لا تكون مهوى أفئدتهم، وكيف لا يسيل لعابهم إذا ذكروا أن الجزائر مفتاح إفريقيا كلها.
أما إخوانكم المجاهدون الجزائريون فقد عقدوا النية وصمموا وعاهدوا الله على أن لا يكون للاستعمار من ظاهر أرضهم موضع بيت، ولا من باطنها دانق ذهب، ولا قطرة زيت.." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٤٣ """"""""""

والخامس : أن عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليصل إلى إنكارها ، ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر ليأمر بإقامته ؛ وليس على المتطوع بحث ولا فحص .

والسادس : أن له أن يتخذ على الإنكار أعوانا ، لأنه عمل هو له منصوب ، وإليه مندوب ، ليكون له أقهر ، وعليه أقدر ؛ وليس للمتطوع أن يندب لذلك عونا .

والسابع : أن له أن يعزر في المنكرات الظاهرة ولا يتجاوز بها الحدود ؛ وليس للمتطوع أن يعزر بها .

والثامن : أن له أن يرزق على حسبته من بيت المال ؛ ولا يجوز للمتطوع أن يرزق على إنكار منكر .

والتاسع : أن له اجتهاد رأيه فيما تعلق بالعرف دون الشرع ، كالمقاعد في الأسواق وإخراج الأجنحة ، فيقر وينكر من ذلك ما أداه إليه اجتهاده ؛ وليس هذا للمتطوع .

فهذا هو الفرق بين متولي الحسبة وبين المتطوعة ، وإن اتفقا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ذكر أوضاع الحسبة وقصورها عنه وزيادتها عليه ، وموافقتها لنظر المظالم وقصورها عنه
.

قال : واعلم أن الحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم .

فأما ما بينها وبين القضاء ، فهي موافقة للقضاء من وجهين ، ومقصرة عنه من وجهين ، وزائدة عليه من وجهين .

موافقتها أحكام القضاء

فأحدهما جواز الاستعداء إليه . وسماعه دعوى المستعدي على المستعدى عليه من حقوق الآدميين ، وليس في عموم الدعاوى .

وإنما يختص بثلاثة أنواع من الدعوى : أحدها : أن يكون فيما تعلق ببخس وتطفيف في كيل أو وزن .

---

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، البشير الإبراهيمي ٥/٦٧

والثاني : فيما تعلق بغش أو تدليس في مبيع أو ثمن .

والثالث : فيما تعلق بمطل وتأخير لدين مستحق مع المكنة .

وإنما جاز نظره في هذه الأنواع الثلاثة من الدعاوى دون ما عداها ، لتعلقها بمنكر ظاهر هو منصوب." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٥٣ """""""

وأما ما لم يظهر من المحظورات ، فليس للمحتسب أن يبحث عنها ولا أن يهتك الأستار فيها ؛ فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " من أتى من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم حد الله عليه " . فإن استتر أقوام لارتكاب محظور يخشى فواته مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا برجل ليقتله أو امرأة ليزني بها ، فيجوز له في مثل هذه الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث ، حذرا من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات .

وهكذا لو عرف ذلك قوم من **المتطوعة** جاز لهم الإقدام على الكشف والإنكار .

وأما ما هو دون هذه الرتبة ، فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه .

وإن سمع أصوات ملاه منكرة من دار تظاهر أهلها بأصواتهم ، أنكرها خارج الدار ولم يهجم عليها بالدخول .

وأما ما تعلق بالمعاملات المنكرة ، كالربا والبيوع الفاسدة وما منع الشرع منه مع تراضي المتعاقدين به إذا كان متفقا على حظره ، فعلى والي الحسبة إنكاره والمنع منه الزجر عليه .

وأمره بالتأديب مختلف بحسب الأحوال وشدة الحظر .

فأما ما اختلف الفقهاء في حظره وإباحته ، فلا مدخل له في إنكاره ، إلا أن يكون مما يضعف الخلاف فيه وكان ذريعة إلى محظور متفق عليه – كربا النقدين : الخلاف فيه ضعيف ، وهو ذريعة إلى ربا النساء المتفق على تحريمه – فهل يدخل في إنكاره ، أم لا .

وكذلك في عقود الأنكحة ينكر منها ما اتفق الفقهاء على حظرها ، ولا يتعرض لما اختلف فيه ، إلا أن يكون مما ضعف الخلاف فيه وكان ذريعة إلى محظور متفق عليه ، كالمتعة فربما صارت ذريعة إلى استباحة الزنا ، ففي إنكاره لها وجهان .

ومما يتعلق بالمعاملات غش المبيعات وتدليس الأثمان ، فينكره ويمنع منه ويؤدب عليه بحسب الحال فيه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٤٣/٦

؛ فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " ليس منا من غش " وفي لفظ : " من غشنا فليس منا " .

فإن كان هذا الغش تدليسا على المشتري وهو مما يخفى عليه ، فهو أغلظ الغشوش تحريما وأعظمها مأثما ، والإنكار عليه أغلظ والتأديب أشد .

وإن كان مما لا يخفى على المشتري ، كان أخف مأثما وألين إنكارا .

وينظر في المشتري : فإذا كان اشتراه ليبيعه من غيره ، توجه الإنكار على البائع لغشه ، وعلى المشتري لابتياعه ؛ لأنه قد يبيعه من لم يعلم بغشه ؛ وإن كان المشتري اشتراه ليستعمله ، خرج من جملة الإنكار ، واختص الإنكار بالبائع وحده .

وكذلك في تدليس الأثمان .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٢١ """"""""

وفيها غزا أمية أيضا ، وعبر نهر بلخ ، فحوصر حتى جهد هو وأصحابه ، ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك ، ورجعوا إلى مرو .

وغزا الوليد بن عبد الملك الصائفة .

ذكر غزو عبيد الله بن أبي بكرة رتبيل

وفي سنة تسع وسبعين غزا عبيد الله بن أبي بكرة بلاد رتبيل ، وكان الحجاج قد استعمله على سجستان ، وكان رتبيل يؤدي الخراج ، وربما امتنع منه ، فبعث الحجاج إلى عبيد الله ابن أبي بكرة يأمره بمناجزته ، وألا يرجع حتى يستبيح بلاده ، ويهدم قلاعه ، ويقتل رجاله .

فسار عبيد الله في أهل البصرة والكوفة ، وعلى أهل الكوفة شريح ابن هانيء ؛ فمضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل ، فأصاب من الغنائم ما شاء ، وهدم حصونا ، وغلب على أرض من أراضيهم ، وأصحاب رتبيل من الترك يخلون للمسلمين أرضا بعد أرض ، حتى أمعنوا في بلادهم ، ودنوا من مدينتهم ، وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا ، فأخذ الترك عليهم الشعاب والعقاب ، فصالحهم عبيد الله على سبعمائة ألف يوصلها إلى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج ، فلقيه شريح فقال : إنكم لا تصالحون ، على شيء إلا حسبه السلطان من أعطياتكم ، ثم قال : يأهل الإسلام ، تعاونوا على عدوكم ، فقال له ابن أبي بكرة : إنك شيخ قد خرفت . فقال شريح : يأهل الإسلام ، من أراد منكم الشهادة فإلي ، فاتبعه ناس من المطوعة غير كثير

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٦/٢٥٣

، وفرسان الناس ، وأهل الحفاظ ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا ، وجعل شريح يرتجز ويقول :

أصبحت ذابث أقاسي الكبرا . . . قد عشت بين المشركين أعصرا

ثمت أدركت النبي المنذرا . . . وبعده صديقه وعمرا

ويوم مهران ويوم تسترا . . . والجمع في صفينهم والنهرا

هيهات ما أطول هذا العمر." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢١٢ """""""""

فلما ولي سليمان يزيد خراسان لم يكن له همة غير جرجان ، فسار إليها في مائة ألف سوى الموالي والمتطوعة ، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة ، إنما هي جبال ومخارم وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يقدر عليه أحد ، فابتدأ بقهستان فحاصرها ، وكان أهلها طائفة من الترك ، فقاتلهم قتالا شديدا ، واشتدت الحرب ، وقطع عنهم الميرة ، فبعث دهقانها ، واسمه صول يطلب من يزيد الأمان لنفسه وأهله وماله ، ويسلم إليه المدينة بما فيها ، فأمنه ووفي له ، ودخل المدينة فقتل بها أربعة عشر ألف تركي صبرا ، وأخذ ما فيها من الكنوز والسبي وغير ذلك ، ثم خرج حتى أتى جرجان فهابه أهلها ، وأتوه وصالحوه ، فأجابهم إلى ذلك ، وصالحهم ، فطمع في طبرستان ، فسار إليها فصالحه اصبهذها على سبعمائة ألف ، وقيل خمسمائة ألف وأربعمائة وقرزعفران ، أو قيمته من العين ، وأربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان ، ومع كل رجل جام من فضة وسرقة حرير وكسوة ، فأرسل من يقبض ذلك وانصرف إلى جرجان . والله أعلم .

ذكر فتح جرجان الفتح الثاني وانشاء مدينتها

قال : ولما سار يزيد إلى طبرستان غدر أهل جرجان ، فعاد إليهم وعاهد الله إن ظفر بهم لا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ويأكل من ذلك الطحين ، فحصرهم سبعة أشهر وهم يخرجون إليه يقاتلونه ويرجعون ، فبينما هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان يتصيد ، وقيل من طيئ ، فأبصر وعلا في الجبل فتبعه فلم يشعر حتى هجم على عسكرهم ، فرجع يريد أصحابه ، وجعل يخرق قباءه ويعقد على الشجر علامات ، فأتى يزيد فأخبره فضمن له يزيد دية إن دلهم على الحصن ؛ فانتخب معه ثلاثمائة رجل ، واستعمل عليهم ابنه خالدا ، وقال له : إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت ، وإياك أن أراك

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ١٢١/٢١

عندي مهزوما ، وضم إليه جهم بن زحر ، وقال للرجل : متى تصل ؟ قال : غدا العصر . قال يزيد : سأجهد على مناصحتهم عند الظهر .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٥٦ """"""""

ذكر غزو مروان بن محمد بلاد الترك ودخوله إلى بلاد ملك السرير وغيرها من بلادهم وما افتتحه وقرره وصالح عليه الملوك

وفي سنة ١١٤ أربع عشرة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية . وسبب ذلك أنه كان في عسكر مسلمة بن عبد الملك حين غزا الخزر ، فلما عاد مسلمة – كما تقدم – سار مروان إلى هشام فلم يشعر به حتى دخل عليه ، فسأله عن سبب قدومه ، فقال : ضقت ذرعا بما أذكره ، ولم أر من يحمله غيري . قال : وما هو ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه كان من دخول الخزر إلى بلاد الإسلام وقتل الجراح وغيره ما دخل به الوهن على المسلمين . ثم رأى أمير المؤمنين أن يوجه أخاه مسلمة إليهم ، فوالله ما وطيء من بلادهم إلا أدناها ، ثم إنه لما رأى كثرة جمعه أعجبه ذلك ، فكتب إلى الخزر يؤذنهم بالحرب ، وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر ، فاستعد القوم وحشدوا ، فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية ، فكان قصاراه السلامة ، وقد أردت أن تأذن لي في غزوة أذهب بها عنا العار ، وأنتقم من العدو . قال : قد أذنت لك . قال : وتمدني بمائة ألف وعشرين ألف مقاتل ؟ قال : قد فعلت . قال : وتكتم هذا الأمر عن كل أحد ؟ قال : قد فعلت . وقد استعملتك على إرمينية .

فودعه وسار إلى إرمينية واليا عليها وسير إليه هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة ، فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة ألف وعشرون ألفا ، فأظهر أنه يريد غزو اللان ، وأرسل إلى ملك الخزر يطلب منه المهادنة ، فأجابه إلى ذلك ، وأرسل إليه من يقرر الصلح ، فأمسك الرسول عنده إلى أن فرغ من جهازه ، وأحضره ، ثم أغلظ لهم في القول وآذنهم بالحرب ، وسير الرسول إلى صاحبه بذلك ، ووكل به من يسير به على طريق فيه بعد ، وسار هو في أقرب الطرق ، فما وصل الرسول إلى صاحبه إلا ومروان قد وافاهم بالجنود ، فاستشار ملك الخزر أصحابه ، فقالوا : إن هذا قد جمع ودخل بلادك ، فإن أقمت إلى أن تجمع لم يجتمع جندك إلى مدة ، فيبلغ منك ما يريد ، وإن أنت لقيته على حالك هذه هزمك وظفر بك ، والرأي أن تتأخر إلى أقصى بلادك ، وتدعه وما يريد .

فقبل رأيهم وسار ودخل مروان البلاد ، وأوغل فيها ، وأخربها ، وغنم وسبى ، وانتهى إلى آخرها ، وأقام فيها

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢١/٢١٢

عدة أيام أذلهم ، ودخل بلاد ملك السرير ، فأوقع بأهلها ، وفتح قلاعا ، ودان له الملك ، وصالحه على ألف رأس : خمسمائة غلام ، وخمسمائة جارية سود الشعور ، ومائة ألف مدى تحمل إلى الباب ، وصالح أهل تومان." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٠٦ """""""

ودخلت سنة ثمان وثمانين ومائة .

في هذه السنة غزا إبراهيم بن جبريل الصائفة ، فدخل أرض الروم من درب الصفصاف فخرج إليه نقفور ملك الروم ، فأتاه من ورائه أمر صرفه عنه ، فلقي جمعا من المسلمين فجرح ثلاث جراحات وانهزم ، وقتل من الروم أربعون ألفا وسبعمائة . وحج الرشيد بالناس في هذه السنة .

ودخلت سنة تسع وثمانين ومائة .

ذكر مسير الرشيد إلى الري

في هذه السنة سار الرشيد إلى الري ، وسبب ذلك أن أهل خراسان تظلموا من علي بن عيسى بن ماهان ، وشكوا سوء سيرته فيهم ، وقيل للرشيد إنه قد أجمع على الخلاف ، فسار إلى الري في جمادى الأولى ومعه ابناه المأمون والقاسم المؤتمن ، وأحضر القضاة والشهود وأشهدهم أن جميع ما في عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكراع وغير ذلك للمأمون ، وليس له فيه شيء ، وأقام الرشيد بالري أربعة أشهر ، حتى أتاه علي بن عيسى من خراسان فأهدى إليه الهدايا الكثيرة والأموال العظيمة ، وأهدى لجميع من معه من أهل بيته وولده وكتابه وقواده من الطرف والجواهر وغير ذلك ، فرأى الرشيد خلاف ما كان يظن فرده إلى خراسان ، ورجع الرشيد إلى العراق في آخر هذه السنة .

وفيها كان الفداء بين الروم والمسلمين ، فلم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودي به . وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله .

ودخلت سنة تسعين ومائة .

ذكر فتح هرقلة

في هذه السنة فتح الرشيد هرقلة وخربها ، وكان سبب مسيره إليها ما قدمناه في سنة سبع وثمانين من غدر نقفور ، فكان فتحها في شوال وحصرها ثلاثين يوما . قال : ودخل البلاد في مائة ألف وخمس وثلاثين

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٥٦/٢١

ألفا من المرتزقة ، سوى الأتباع والمتطوعة ومن لا ديوان لهم ، ووجه داود بن عيسى بن موسى في سبعين ألفا ، فسار في أرض." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٠٩ """"""""

وصرفت من طول العساكر قافلا . . . عنه وجارك آمن مسرور

نقفور إنك حين تغدر إن نأى . . . عنك الإمام لجاهل مغرور

ألقاك حينك في زواخر بحره . . . فطمت عليك من الإمام بحور

إن الإمام على اقتسارك قادر . . . قربت ديارك أم نأت بك دور

ليس الإمام وإن غفلنا غافلا . . . عما يسوس بحزمه ويدير

ملك تجرد للجهاد بنفسه . . . فعدوه أبدا به مقهور

يا من يريد رضى الإله بسعيه . . . والله لا يخفى عليه ضمير

لا نصح ينفع من يغش إمامه . . . والنصح من نصحائه مشكور

نصح الإمام على الأنام فريضة . . . ولأهله كفارة وظهور

قال : فلما أنشده قال الرشيد : أو قد فعل وعلم أن الوزراء قد احتالوا في ذلك ، قال : فسار الرشيد قاصدا إليه ، وجعل قبل وصوله إلى هرقلة يفتتح الحصون والمدن ويحرقها ، حتى أناخ على هرقلة وهي على أوثق حصن وأعزه جانبا وأمنعه ركنا ، فتحصن أهلها ، وكان بابها على واد ولها خندق يطيف بها ، قال : فحدثني شيخ من مشايخ المطوعة وملازمي الثغور ، يقال له علي بن عبد الله قال حدثني جماعة من أهل الثغر : أن الرشيد لما حصر أهل هرقلة وألح عليهم بالمجانيق والسهام والعرادات فتح الباب ذات يوم ، فاستشرف المسلمون لذلك ، فإذا رجل من أهلها كأكمل الرجال ، قد خرج في أكمل السلاح فنادى : قد طال مواقفتكم إيانا فليبرز إلي منكم رجلان ، ثم لم يزل حتى بلغ عشرين ، فلم يجبه أحد ، فدخل وأغلق الباب ، وكان الرشيد نائما فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه ، فغضب ولام خدمه وغلمانه على تركهم إنباهه ، وتأسف لفوته ، فقيل له إن الامتناع منه سيغريه ويطغيه ، وأحرى به أن يخرج في غد فيطلب مثل ما طلب ، فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له ، فإذا بالباب قد فتح وخرج الرجل طالبا للبراز ، وذلك في

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ١٠٦/٢٢

يوم شديد الحر ، فجعل يدعو أنه يثبت لعشرين منهم ، فقال الرشيد : من له ؟ فابتدره جلة القواد كهرثمة ويزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وخزيمة بن خازم وأخيه عبد الله وداود بن يزيد." (١)

""""""""" صفحة رقم ١١٠ """""""

وأخيه ، فعزم على إخراج بعضهم ، فضج **المطوعة** حتى سمع ضجيجهم ، فأذن لعشرين منهم فقال قائلهم : يا أمير المؤمنين ، قوادك مشهورون بالنجدة والبأس وعلو الصوت ومدارسة الحرب ، ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم يكبر ذاك ، وإن قتله العلج كان وصمة على العسكر قبيحة وثلمة لا تسد ، ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلا فنخرجه إليه ، فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعرفهم ، على يد رجل من العامة من أفناء الناس ، وإن قتل الرجل فإنما استشهد ، ولم يؤثر ذهابه في العسكر ولم يثلمه رجل ، وخرج إليه بعده مثله حتى يقضي الله ما شاء ، فقال الرشيد : قد استصوبت رأيكم هذا ، فاختاروا رجلا يعرف بابن الجزري ، وكان معروفا في الثغر بالبأس والنجدة ، فقال له الرشيد : أتخرج ؟ قال نعم وأستعين بالله تعالى ، فقال : أعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا بفرسي أوثق ، ورمحي بيدي أشد ، ولكني قد قبلت السيف والترس ، فلبس سلاحه واستدناه الرشيد فودعه وأتبعه الدعاء ، وخرج معه عشرون من **المطوعة** ، فلما انقض في الوادي قال لهم العلج – وهو يعدهم واحدا واحدا – إنما كان الشرط عشرين ، وقد زدتم رجلا ولكن لا بأس ، فنادوه ليس يخرج إليك إلا رجل واحد ، فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله الرومي ، وقد أشرف أكثر الناس من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن ، فقال له الرومي : أتصدقني عما أستخبرك ؟ قال : نعم ، قال : أنت بالله ابن الجزري ؟ قال : اللهم نعم ، فكفر له ثم أخذا في شأنهما ، فتطاعنا حتى طال الأمر بينهما وكاد الفرسان يقومان ، وليس يخدش واحد منهما صاحبه ، ثم تحاجزا بشيء فزج كل واحد منهما رمحه ، وانتضى سيفه فتجالدا مليا ، واشتد عليهما الحر وتبلد الفرسان ، وجعل ابن الجزري يضرب الضربة التي يرى أنه قد بلغ بها ، فيتقيها الرومي وكان ترسه من حديد ، ويضربه الرومي ضربة معذر ، فلما يئس كل واحد منهما من الوصول إلى صاحبه انهزم ابن الجزري ، فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئبوا مثلها قط ، وعطعط المشركون اختيالا وتطاولا ، وإنما كانت هزيمته حيلة منه فاتبعه العلج ، وتمكن ابن الجزري منه." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٠٩/٢٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١١٠/٢٢

أن يبني الحصون التي خربها بابك فيما بين زنجان وأردبيل ، ويجعل فيها الرجال لحفظ الطريق لمن يجلب الميرة إلى أردبيل ، فتوجه أبو سعيد لذلك وبنى الحصون ، ووجه بابك سرية في بعض غاراته فأغارت ورجعت ، فبلغ ذلك أبا سعيد فخرج في طلب السرية ، فاعترضها في بعض الطريق فظفر بهم وقتل وأسر منهم ، وبعث بالرءوس والأسرى إلى المعتصم ، وكانت هذه أول هزيمة على أصحاب بابك ، ثم كانت الأخرى لمحمد بن البعيث ، وذلك أن محمدا كان في قلعة له حصينة تسمى شاهي من أذربيجان ، وله حصن آخر في أذربيجان يسمى تبريز ، وكان مصالحا لبابك تنزل سراياه عنده فيضيفهم حتى أنسوا به ، ثم وجه بابك قائدا من قواده اسمه عصمة في سرية ، فنزل بمحمد بن البعيث فأنزل له الضيافة على عادته ، واستدعاه إليه في خاصته ووجوه أصحابه فصعدوا إليه ، فغذاهم وسقاهم الخمر حتى سكروا ، ثم وثب على عصمة فاستوثق منه وقتل من كان معه من أصحابه ، وأمره أن يسمي له رجلا رجلا من أصحابه ، فكان يدعو الرجل باسمه فيصعد فيضرب عنقه حتى علموا بذلك ، وسير عصمة إلى المعتصم ، فسأله عن بلاد بابك فأعلمه طرقها ووجوه القتال فيها ، ثم حبسه فبقي إلى أيام الواثق ، ثم سار الأفشين بعد ذلك إلى بلاد بابك ، فنزل برزند وعسكر بها وضبط الطرق والحصون فيما بينه وبين أردبيل ، ثم سار الأفشين والتقى ببابك واقتتلوا قتالا شديدا ، وكانت وقعة عظيمة في سنة عشرين ومائتين ، قتل فيها كثير من أصحاب بابك الذين كانوا معه ، وأفلت هو في نفر يسير ، واستمرت الحرب بينه وبين بابك المرة بعد المرة إلى سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، ففتح الأفشين البذ – مدينة بابك – وأسر بابك ، وخرب المسلمون المدينة واستباحوها وذلك لعشر بقين من شهر رمضان في هذه السنة ، وكانت حروب يطول شرحها انجلت عن ظفر المسلمين .

قال : وكان الأفشين قد قصر في الحصار ، فرأى رجل من أصحابه في منامه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول له : قل للأفشين – إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت في أمره وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة ، وشاعت هذه الرؤيا فثار **المتطوعة** وصمموا على الحصار ، وحاصروا وكانت حروب عظيمة انجلت عن الفتح في التاريخ المذكور ، وهرب بابك ثم أحضر هو وأخوه عبد الله لعشر خلون من شوال ، وكان وصولهما إلى المعتصم بسامرا في صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين . ولما وصل إلى." (١)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب. ، ١٧٩/٢٢

""""""""" صفحة رقم ٢٠٩ """"""""

يحضر الفداء ويستخلف على القضاء ، فأذن له المتوكل واستخلف على القضاء ابن أبي الشوارب – وهو شاب ، ووقع الفداء على نهر اللامس ، فكان أسرى المسلمين من الرجال سبعمائة وخمسة وثلاثين رجلا ، ومن النساء مائة وخمسا وعشرين امرأة .

ذكر غارة البجاة بمصر

في هذه السنة غارت البجاة على أرض مصر ، وكانت قبل ذلك لا تغير لهدنة قديمة ، وكانوا يؤدون إلى عمال مصر الخمس مما في بلادهم من معادن الذهب ، فامتنعوا من ذلك فكتب صاحب البريد إلى المتوكل بخبرهم ، وأنهم قتلوا عدة من المسلمين ممن يعمل في المعادن ، وزاد شرهم حتى خاف أهل الصعيد منهم على أنفسهم ، فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمي حربهم ، واستعمله على معونة قفط والأقصر وأرمنت وإسنا وأسوان ، وأمره بمحاربة البجاة ، وكتب إلى عنبسة بن إسحاق الضبي – عامل حرب مصر – بإزاحة علته وإعطائه من الجند ما يحتاج إليه ففعل ، وسار محمد إلى أرض البجاة وتبعه من **المتطوعة** وعمال المعادن خلق كثير ، فبلغت عدتهم نحوا من عشرين ألفا من فارس وراجل ، وحمل له في بحر القلزم سبع مراكب موقورة بالدقيق والزيت والتمر والشعير والسويق ، وسارت لتوافيه على ساحل البحر ببلاد البجاة ، وسار هو إلى بلادهم في البر حتى بلغ حصونهم ، فخرج إليه ملكهم – واسمه علي بابا – في جموع عظيمة أضعاف المسلمين وهم على المهاري ، فلم يصدقهم القتال وأراد مطاولتهم حتى تفنى أزوادهم ، فيأخذهم باليد من غير حرب ، فأقبلت المراكب التي فيها الأقوات ففرقها محمد – على من معه ، فعندها صدقهم علي بابا القتال وقاتلهم قتالا شديدا ، وكانت إبلهم زعرة تنفر من كل شيء ، فجمع القمي الأجراس وجعلها في أعناق خيله ، وحمل عليهم فنفرت إبل البجاة لأصواتها وتفرقت ، وسارت على الجبال والأودية وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون إلى الليل ، ولم يقدروا على إحصاء القتلى لكثرتهم ، ثم طلب ملكهم الأمان على أن يرد عليه مملكته وبلاده ، ويؤدي الخراج للمدة التي منعها وهي أربع سنين ،." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢١٦ """"""""

ذكر غزو الفرنج

وفي هذه السنة تجهز لذريق ملك الفرنج وجمع جموعه ليسير إلى مدينة طرطوشة ليحصرها ، فبلغ ذلك الحكم فجمع العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن ، فاجتمعوا في جيش عظيم وتبعهم كثير من **المتطوعة**

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٠٩/٢٢

، فساروا حتى لقوا الفرنج في أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد الإسلام شيئا ، فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفد وسعه فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين ، وهزم الكفار وكثر القتل فيهم والإسار ، وانتهبت أموالهم ، ورجع المسلمون بالظفر .

ذكر عصيان حزم على الحكم

وفي هذه السنة خالف حزم بن وهب بناحية باجة ووافقه غيره ، وقصدوا لشبونة . فلما بلغ الحكم الخبر ، سار إليه الحكم في جمع كبير ، فنازله وقطع الأشجار وضيق عليهم حتى أذعنوا إلى طلب الأمان ، فأمنه وأخذ رهائنه على المصالحة والطاعة ، وعاد عنه الحكم إلى قرطبة .

ذكر عودة أهل ماردة إلى العصيان وغزو الحكم بلاد الفرنج

قال : ثم عاد أهل ماردة إلى العصيان والخلاف على الحكم في سنة أربع وتسعين ، فسار الحكم بنفسه إليهم وقابلهم . ولم تزل سراياه وجيوشه تتردد وتقاتلهم إلى سنة ست وتسعين ومائة ، فطمع الفرنج في ثغور المسلمين وقصدوها بالغارات والقتل والنهب والسبي . وقد شغل الحكم بأهل ماردة عنهم حتى أتاه الخبر بشدة الأمر على أهل الثغور وما نال العدو منهم ، وسمع أن امرأة أخذت أسيرة فقالت : واغوثاه يا حكم فعظم عليه الأمر وجمع العساكر واستعد وحشد ، وسار إلى بلاد الفرنج في سنة ست وتسعين ومائة فأثخن في بلادهم ، وافتتح عدة حصون وخرب وقتل الرجال وسبى الحريم ونهب الأموال ، وقصد الناحية التي بها تلك المرأة فأسر لهم من الأسرى ما يفادون به أسراهم ، وبالغ في الوصية في تخليص تلك المرأة فخلصت من الأسر وقتل بقية الأسرى .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٦٣ """""""

هلال وأصحابه ، وتبعهم السودان فقتلوا من أصحاب أبي هلال أكثر من ألف وخمسمائة رجل ، وأخذوا منهم أسرى فأمر صاحب الزنج بقتلهم ، ثم أتاه من أخبره أن الزينبي قد أعد له الجند **والمتطوعة** والبلالية السعدية ، وهم خلق كثير ، وأنهم قد أعدوا الحبال لتكتيف من يأخذونه من السودان ، وأن المقدم عليهم أبو منصور أحد موالي الهاشميين ، فأرسل على بن أبان في مائة أسود ليأتيه بخبرهم ، فلقي طائفة منهم فهزمهم ، وصار من معهم من العبيد إلى علي بن أبان ، وأرسل طائفة أخرى من أصحابه ، إلى موضع فيه ألف وتسعمائة سفينة ومعها من يحفظها ، فلما رأوا الزنج هربوا عنها ، فأخذ الزنج السفن وأتوا صاحبهم بها ، فلما أتوه جلس على نشز من الأرض ، وكان في السفن قوم حجاج وأرادوا أن يسلكوا طريق البصرة ،

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢١٦/٢٣

فناظرهم فصدقوه في قوله ، وقالوا له : لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك فأطلقهم ، و أرسل طليعة تأتيه بخبر ذلك العسكر فأتاه بخبرهم : أنهم قد أتوا بخلق كثير ، فأمر محمد بن سلم على ابن أبا أن يعقدوا لهم بالنخيل ، وقعد هو على جبل مشرف ، فلم يلبث أن طلعت الأعلام و الرجال ، فأمر الزنج فكبروا وحملوا عليهم ، فحملت الخيول فتراجع الزنج حتى أتوا لجبل ، ثم حملوا فثبتوا لهم ، وقتل من الزنج فتح الحجام ، وصدق الزنج الحملة فأخذوهم بين أيديهم ، وجرح محمد بن سلم ، وحملوا عليه فقتلوا منهم ، وانهزم الناس وذهبوا كل مذهب ، وتبعهم السودان إلى نهر بيان فوقعوا في الوحل ، فقتلهم السودان وغرق كثير منهم ، وأتى الخبر إلى الزنوج بأن لهم كمينا ، فساروا إليه فإذا الكمين في ألف من المغاربة ، فقاتلوهم قتالا شديدا ، ثم حمل السودان عليهم فقتلوهم أجمعين وأخذوا سلاحهم ، ثم وجه أصحابه فرأوا مائتي سفينة ، فيها دقيق فأخذوه ومتاع فنهبوه ، ونهب المعلى بن أيوب ، ثم سار فرأى مسلحة الزيىنبي فقاتلوه ، فقاتلهم فقتلهم أجمعين ، وكانوا مائتين ، ثم سار فنهب قرية منذران ، ورأى فيها جمعا من الزنج ففرقهم على قواده ، ثم سار فلقيه ستمائة فارس مع سليمان ؛ ابن أخي الزيني ، ولم يقاتله فأرسل من ينهب ، فأتوه بغنم وبقر فذبحوا وأكلوا ، وفرق أصحابه في إنتهاب ما هناك . ثم سار صاحب الزنج يريد البصرة ، حتى إذا قابل النهر المعروف بالرياحي ، أتاه قوم من السودان ، فأعلموه أنهم رأوا في الرياحي بارقة ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى تنادى السودان : السلاح السلاح فأمر علي بن أبان بالعبور إليهم ، فعبر في ثلاثمائة." (١)

"""""""" صفحة رقم ٦٤ """"""

رجل ، وقال له : إن احتجت إلى مدد فاستمدني ، فلما مضى على بن أبان صاح الزنج ، السلاح السلاح لحركة رأوها في جهة أخرى ، فوجه محمد بن سلم بجمع فحاربهم من وقت الظهيرة إلى وقت العصر ، ثم حمل الزنوج حملة صادقة فهزموهم ، وقتلوا من أهل البصرة والأعراب زهاء خمسمائة ، ورجعوا إلى صاحبهم ، ثم أقبل علي بن أبان في أصحابه – وقد هزموا من بإزائهم وقتلوا منهم ، ومعه رأس ابن أبي الليث البلالي القواريري من أعيان البلالية ، ثم سار من الغد عن ذلك المكان ، ونهى أصحابه عن دخول البصرة ، فتسرع بعضهم فلقيهم أهل البصرة في جمع عظيم ، وانتهى الخبر إليه فوجه محمد بن سلم وعلي بن أيان ومشرقا وخلقا كثيرا ، وجاء هو يسايرهم فلقوا البصريين ، فأرسل إلى أصحابه ليتأخروا ، عن المكان الذي فيه ، فتراجعوا فأكب عليهم أهل البصرة فانهزموا ، وذلك عند العصر ، ووقع الزنوج في نهر كبير ، وقتل منهم جماعة وغرق جماعة وتفرق الباقون ، وتخلف صاحبهم عنهم وبقي في نفر يسير فنجا ، ثم لحقهم وهو

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٦٣/٢٥

متحيرون لفقده ، وسأل عن أصحابه فإذا ليس معه منهم إلا خمسمائة رجل ، فأمر بالنفخ في البوق الذي يجتمعون إليه ، فنفخ فيه فلم يأته أحد ، وكان أهل البصرة قد انتهبوا السفن التي كانت للزنوج وبها متاعهم ، فلما أصبح رأى أصحابه في ألف رجل ، فأرسل محمد بن سلم إلى البصرة يعظهم ويعلمهم : ما الذي دعاه إلى الخروج ؟ فقتلوه ، فلما كان يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين جمع أهل البصرة وحشدوا ، لما رأوا من ظهورهم عليه ، وانتدب لذلك رجل يعرف بحماد الساجي وكان من غزاة البحر ، وله علم في ركوب السفن ، فجمع **المطوعة** ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومن خف معه من البلالية والسعدية وغيرهم ، وشحن ثلاثة مراكب مقاتلة ، ومضى جمهور الناس رجالة ، منهم من معه سلاح ومنهم نظارة ، فدخلت المراكب في المد والرجالة على شاطىء النهر ، فلما علم صاحب الزنج بذلك وجه طائفة من أصحابه مع زريق الأصفهاني كمينا في شرقي النهر ، وطائفة مع شبل وحسين الحمامي في غربية كمينا ، وأمر علي بن أبان أن يلقي أهل البصرة وأن يتستر هو ومن معه – بتراسهم ، ولا يقاتل حتى يظهر أصحابه ، وتقدم إلى الكمينين – إذا جازوهم أهل البصرة – أن يخرجوا ويصيحوا بالناس ، وبقى هو في نفر يسير من أصحابه ، وقد هاله ما رأى من كثرة الجمع ، فثار أصحابه إليهم وظهر الكمينان من جانبي النهر وراء السفن والرحالة ، فضربوا من ولى من الرجالة والنظارة ، فغرقت طائفة وقتلت طائفة وهرب الباقون إلى الشط ، فأدركهم السيف فمن ثبت قتل ، ومن ألقى نفسه في الماء غرق ، فهلك أكثر ذلك الجمع فلم ينج إلا الشريد ، وكثر المفقودون من أهل البصرة ، وعلا العويل من." (١)

""""""""" صفحة رقم ٩٠ """""""

يمنعهم من الخروج ، وأمر بهبود – وهو من أشر قواده ، أن يخرج من الشذاوات ، فخرج فبرز إليه أبو العباس في شذاواته وقاتله ، واشتدت الحرب فانهزم بهبود إلى فناء قصر صاحب الزنج ، وأصابته طعنتان وجرح بالسهام ، فولج نهر أبي الخصيب وقد أشفى على الموت ، وقتل ممن كان معه قائد ذو بأس – يقال له عميرة ، وظفر أبو العباس بشذاة فقتل أهلها ، ورجع هو ومن معه سالمين ، واستأمن إلى أبي العباس أهل شذاة فأمنهم وأحسن إليهم وخلع عليهم ، ورجع الموفق ومن معه إلى عسكره بالنهر المبارك ، واستأمن إليه عند منصرفه خلق كثير ، فأمنهم وخلع عليهم ووصلهم وأثبت أسماءهم مع أبي العباس ، وأقام في عسكره يومين لست ليال بقين من شهر رجب إلى نهر جطي فنزله ، وقام به إلى منتصف شعبان لم يقاتل

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٦٤/٢٥

.

ثم ركب في منتصف شعبان في الخيل والرجل وأعد الشذاوات والسميريات ، وكان معه من الجند **والمطوعة** زهاء خمسين ألفا ، وكان مع صاحب الزنج أكثر من ثلاثمائة ألف إنسان ، كلهم ممن يقاتل بسيف أو رمح أو مقلاع أو منجنيق ، وأضعفهم رماة الحجارة من أيديهم وهم النظارة ، والنساء تشركهم في ذلك ، فأقام أبو أحمد ذلك اليوم ، ونودي بالأمان للناس كافة إلا صاحب الزنج ، وكتب الأمان في رقاع ورميت في السهام ، ووعد فيها الإحسان ، فمالت قلوب أصحاب صاحب الزنج فاستأمن من ذلك اليوم خلق كثير ، فخلع عليهم ووصلهم ، ولم يكن ذلك اليوم حرب .

ثم رحل من نهر جطى من الغد فعسكر قرب مدينة صاحب الزنج ، ورتب قواده وأجناده وعين لكل طائفة موضعا يحافظون عليه ويضبطونه ، وكتب الموفق إلى البلاد في عمل السميريات والشذاوات والزواريق والإكثار منها ، ليضبط بها لتنقطع الميرة عن صاحب الزنج وأسس في منزلته سماها الموفقية ، وكتب إلى عماله من النواحي بحمل الأموال والميرة في البر والبحر إلى مدينته ، وأمرهم بإنقاذ من يصلح للإثبات في الديوان ، وأقام ينتظر ذلك شهرا ، فوردت عليه الميرة متتابعة ، وجهز التجار صنوف التجارات إلى الموفقية ، واتخذت فيها الأسواق ، ووردتها مراكب البحر ، وبنى الموفق بها المسجد الجامع وأمر الناس بالصلاة فيه ، فجمعت هذه المدينة من المرافق وسيق إليها من صنوف الأشياء ما لم يكن في مصر من الأمصار القديمة ، وحملت الأموال وأدرت الأرزاق .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٤٤ """"""""

قال : أفعل ، قال : تقول الذي أنزل بجيشك ما أنزل بغتك ، هذا بلد كان خارجا عن بلدك غلبت عليه وأقمت به وكان في من الفضل ما آخذ غيره ، فما عرضت لما كان في يدك ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلا ، ولا نلت أحدا من رعيتك بسوء ، فتوجيهك إلى الجيوش لأي سبب ؟ اعلم إني لا أبرح عن هذا البلد ولا يوصل إليه وفي ، وفي هذه العصابة التي معي روح ، فاكفني نفسك ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة ، ولا تصل إلى مرادك منه إلا ببلوغ القلوب الحناجر ، وأطلقه وأرسل معه من يرده إلى مأمنه ، فأوردوه بعض السواحل فصادف مركبا فركب فيه إلى الأباة ، ووصل إلى بغداد في شهر رمضان من السنة . قال : وقد كان الناس يعظمون أمر العباس ويكثرون ذكره ويسمونه قائد الشهداء ، فلما وصل إلى المعتضد بالله عاتبه على تركه الاستظهار والتحرز وأنبه ، فاعتذر بهرب بني ضبة ومن كان معهم من **المطوعة** وهرب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٥/٩٠

أصحابه عنه ، وأنه لو أراد الهرب لأمكنه ، فلم يبرح حتى رضي عنه وزال همه ، ثم سأله عن خبره فعرفه جميعه ، ووصف له أحوال القرامطة وما قاله أبو سعيد بعد أن استأذنه في ذلك فأذن له ، فقال : صدق ما أخذ شيئا كان في أيدينا ، وأطرق مفكرا ثم رفع رأسه ، فقال : كذب عدو الله الكافر ، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بي عمر لأشخصن بنفسي إلى البصرة وجميع غلماني ، ولأوجهن إليه جيشا كثيفا فإن هزمه وجهت جيشا ، فإن هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي إليه ، حتى يحكم الله بيني وبينه ، وشغله بعد ذلك أمر وصيف غلام ابن أبي الساج وأحفزه ، فخرج في طلبه وهو عليل ، وذلك في شوال من هذه السنة ، فأخذه وعاد إلى بغداد فدامت علته واستمر وجعه ومات .

قال القاسم بن عبيد الله : ما زال أمير المؤمنين المعتضد بالله يذكر أمر أبي سعيد في مرضه ويتلهف ، فقلت : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت في نفسي أن أركب ، ثم أخرج إلى باب البصرة متوجها نحو البحرين ، ثم لا ألقي أحدا أطول من سيفي إلا ضربت عنقه ، وإني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة .

قال : وأقبل أبو سعيد بعد إطلاق العباس على جمع الخيل وإعدا السلاح واتخاذ الإبل وإصلاح الرجل ونسج الدروع والمغافر ونظم والجواشن وضرب السيوف والأسنة وإتخاذ الروايا والمزاد والقرب وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الأعراب عن قربه وسد الوجوه إلى يتعرف منا أمر بلده وأحواله بالرجال وإصلاح أراضي المزارع وأصول النخل وعمارته ، وإصلاح مثل هذه الأمور وتفقدها . ونصب الأمناء على." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٨٠ """""""""

عشرة وثلاثمائة ، فأقام به ثم سار إلى الكوفة فدخلها في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، فاشتروا منها أمتعة وأسروا خلقا من السواد ، وعاثوا ورجعوا بعد خمسين يوما إلى بلدهم ، فأقاموا به .

وأنفذ أبوطاهر سرية إلى جنابه وسينيز ومهروبان في البحر ، فيها وجوه أصحابه في نحو أربعين مركبا ، فوافت ساحل سينيز فصعدوا من المراكب ، فحملوا على أهلها حملة واحدة فانكشف الناس عنهم ، فوضعوا فيهم السيف فما لقوا أحدا إلا قتلوه من رجل وامرأة ، فما نجا إلا من لحق بالجبال وسبوا النساء ، فترك الناس الديار وخرجوا يريدون الهرب ، فنادى أبو بكر الطرازي في الناس : لا يهرب أحد ، فإنا نقاتل من ورد إلينا ، وضرب بالبوق ووجه من حبس الناس عن سلوك الطرقات وردهم إلى البلد ، وجمع الناس بالمسجد الجامع ورغبهم في الجهاد وأسعفهم بماله ، ورغبت **المتطوعة** في الاجتماع فقويت قلوب الناس ، وأنفذ

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٥/١٤٤

أبو بكر سرية من وقته من خاصة غلمانه في نحو ثلاثمائة رجل في البحر ، ووجه سرية أخرى في البر ، وأنفذ إلى مهروبان يخبر أنه على لقاء العدو ، وسألهم الإنجاد في المراكب لمعاونة أهل جنابه على قتال القرامطة ، فساروا والتقى الفريقان في البر والبحر من أهل جنابه وسينيز ، ووافت قوارب مهروبان فأشعلوا النيران في القوارب ، فأحرقوا بعضها وتخلص منهم نحو عشرين قاربا ، وانتشبت الحرب فقتل الله منهم خلقا كثيرا ، وأسر جماعة ولحق بعضهم بالجبال ، وورد على أبي بكر الطرازي من أخبره بذلك ، فجمع الناس وغدا نحو الجبال ، وأرسل فارسا إلى من بسينيز من أصحابه أن يلحقوا به ، وأنفذ إلى جنابه ألا يتخلف عنه من فيه حراك ، لتكون الوقعة بهم من كل وجه ، فوافوا المنهزمين من القرامطة في بعض كهوف الجبال ، وذلك في يوم الأربعاء فلما رأوا الناس قد أقبلوا نحوهم كسروا جفون سيوفهم ، وحملوا عليهم فثبتوا لهم ، ولم نزل الحرب قائمة بينهم يوم الأربعاء والخميس إلى نصف النهار ، ثم نادى أبو بكر الطرازى ، من جاء برأس فله خمسون درهما ، فتنادى الناس بالشهادة وجدوا ونشطوا ، وقتلوا خلقا كثيرا وأخذوا جميع من بقي أسرى ، وحملوا مشهرين والناس يكثرون حمد الله عز وجل والثناء عليه ، ولم يفلت منهم أحد .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٠٤ """""""

على جرجان بارس التركي الكبير ، وألزمه إحضار محمد بن هارون ، فكاتبه بارس وضمن له إصلاح أمره ، فقصد بخاري فلما بلغها قيد وحمل على جمل ، وحبس فمات بعد شهرين محبوسا ؛ وكان ابتداء أمر محمد بن هارون أنه كان خياطا ، ثم جمع جمعا من أهل الفساد وقطع الطريق في مفازة سرخس مدة ثم استأمن إلى رافع بن هرثمة وبقي معه إلى أن انهوم من عمرو الصفار فاستأمن إلى إسماعيل الساماني فسيره إسماعيل لقتال العلوي كما قدمناه ثم خرج عليه كما ذكرنا .

وفي سنة إحدى وتسعين ومائتين خرجت الترك في خلق كثير لا يحصون كثرة ، وكان عسكرهم سبعمائة قبة تركية ، ولا تكون القبة التركية إلا لرؤساتهم ، فوجه إليهم إسماعيل جيشا عظيما وتبعهم خلق من المطوعة فوصلوا إلى الترك وهم غادون ، فكسبهم المسلمون في الصبح فقتلوا منهم خلقا كثيرا وانهزم الباقون لأقبح هزيمة .

ذكر وفاة إسماعيل وولاية ابنه أحمد

كانت وفاته في منتصف صفر سنة خمس وتسعين ومائتين ، ولقب بعد موته بالماضي ، وكان رحمة الله

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٥/١٨٠

تعالى عاقلا عادلا حسن السيرة في رعيته حليما . حكى عنه أنه كان لولده أحمد مؤدب يؤدبه ، فمر به الأمير إسماعيل فسمع المؤدب يسبه ، ويقول : لا بارك الله فيك ولا فيمن ولدك ، فدخل عليه وقال : يا هذا نحن لم نذنب ذنبا فتسبنا ، فهل ترى أن تعفينا من سبك ، وتخص المذنب بذمك وشتمك ؟ فارتاع المؤدب وخرج إسماعيل عنه ، وأمر له بصلة جزاء لخوفه منه . وجرى بين يديه ذكر الأنساب والأحساب فقال لبعض جلسائه : كن عصاميا ولا تكن عظاميا . ومن مكارمه وآدابه أنه ولى بعد أخيه نصر واستقل بالأمر استمر يكاتب أصحابه وأصدقاءه بما كان يكاتبهم به أولا ، فقيل له في ذلك فقال : يجب علينا إذا زادنا الله رفعة إلا ننقص إخواننا ، بل نزيدهم رفعة وعلاء وجاها ليزيدوا لنا خلوصا وشكرا ؛ وكانت مدة ولايته منذ أفضى الأمر إليه بعد وفاة أخيه ست عشرة سنة .

ولما مات ولى بعده ابنه :

أبو نصر أحمد بن إسماعيل

قال : ولما استوثق له الأمر ببخاري قصد بالخروج إلى الري فأشار عليه إبراهيم بن زيدوية بقصد سمرقند ، والقبض على عمه إسحاق بن أحمد لئلا يخرج عليه ، فاستدعى عنه إلى بخاري فحضر إليه واعتقله بها ، ولم يزل سنة ثمان." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٦ """""""

أحاطت به الخيل من كل جانب ، فطاردهم ساعة وانهزم بحالة للعرب ، وكانوا في طاعة يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، فأمهلوه حتى أظلم الليل ووثبوا عليه فأخذوه وقتلوه ، وكان ذلك خاتمة أمره وآخر ما اتفق لآل سامان ، ولم يقم منهم بعده أحد ، والله أعلم .

ذكر أخبار الدولة الصفارية وابتداء أمرها

أول من قام منهم يعقوب بن الليث الصفار ، وكان يعقوب هذا وأخوه عمرو يعملان الصفر بسجستان ويظهران الزهد والتقشف ، وكان في أيامهما رجل من أهل سجستان اسمه صالح بن النضر الكناني قد تغلب على سجستان في سنة سبع وثلاثين ومائتين في خلافة المتوكل على الله ، فصحبه يعقوب وقاتل معه وجعله صالح مقام الخليفة عنه ، فاستنفذ طاهر بن عبد الله بن طاهر – أمير خراسان – سجستان من يده ، ثم هلك بعد ذلك فقام مقامه بأمر المتطوعة رجل اسمه درهم بن الحسن ، فغلب على سجستان وكان غير ضابط لعسكره وكان يعقوب هو قائد العسكر ، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٠٤/٢٥

على يعقوب بن الليث ، وملكوه أمرهم لما رأوه من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمرهم ، فلما تبين ذلك لدرهم لم ينازعه في الأمر ، وسلمه إليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالأمر ؛ وقيل بل احتال صاحب خراسان على درهم حتى قبض عليه ، وحمله إلى بغداد فحبس بها ثم أطلق وخدم الخليفة ببغداد ، واستقل يعقوب بعده بالأمر وعظم شأنه وتولى أمر **المتطوعة** ، وقام بمحاربة الشراة فظفر بهم وأكثر القتل فيهم حتى كاد يفنيهم ، وخرب قراهم ، وأطاعه أصحابه طاعة لم يطيعوا أحدا قبله ، فاشتدت شوكته فغلب على سجستان وأظهر التمسك بطاعة الخليفة ، وكاتبه وصدر عن أمره وأظهر أنه أمره بقتال الشراة ، وملك يعقوب سجستان وضبط الطريق ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فكثر اتباعه .

ذكر ملك يعقوب هراة وبوشنج

قال : ولما كثرا أتباعه خرج عن حد طلب الشراة ، فصار يتناول أصحاب خراسان ، وسار من سجستان إلى هراة من أعمال خراسان في سنة ثلاث وخمسين." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٧ """""""

ذكر قتل خوارزم شاه وملك يمين الدولة خوارزم

وفي سنة سبع وأربعمائة قتل خوارزم شاه أبو العباس مأمون بن مأمون . وسبب ذلك انه كان قد ملك خوارزم الجرجانية ، وحضر عند يمين الدولة ، وتزوج أخته ، ثم بعث إليه يمين الدولة أم يخطب له على منابر بلاده ، فأجابه إلا ذلك ، واستشار أمراءه ، فغضبوا من ذلك ، وامتنعوا منه ، وتهددوه بالقتل إن فعل ، فعاد الرسول إلى يمين الدولة ، وأخبره بما شاهده ، ثم خافه الأمراء فقتلوه غيلة ، ولم يعلم قاتله ، وأجلسوا أحد أولاده مكانه ، وتعاهدوا على قتال يمين الدولة إن قصدهم ، واتصل الخبر به ، فجمع العساكر ، وسار نحوهم والتقوا ، واشتدت الحرب ، فثبت الخوارزمية إلا نصف النهار ثم انهزموا ، فأخذهم بالسيف ، ولم يبق منهم إلا القليل ، وجمع من اسر منهم وسيرهم إلى أطراف بلاده الهند ، وملك يمين الدولة خوارزم ، واستناب بها حاجبه ال‍تونتاش .

ذكر غزوة قشمير وقنوج وغيرهما من الهند

وفي سنة سبع وأربعمائة أيضا بعد فراغ يمين الدولة من خوارزم سار إلى غزنة ، ثم منها إلا الهند عازما على غزو قشمير ، واجتمع له من **المتطوعة** من بلاد ما وراء النهر وغيره نحو عشرين ألف مقاتل ، وسار من غزنة إليها مسيرا دائما في ثلاثة أشهر ، وعبر نهر سيحون ، وجيلم ، وهما نهران عميقان شديدا الجرية ،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٢٦/٢٥

ووطئ أرض الهند ، وأتته رسل ملوكها بالطاعة ، وبذل الإتاوة ، فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها وأسم من شهر رجب ، وفتح ما خولها من الحصون المنيعة ، حتى بلغ حصن هودب ، وهو أحد ملوك الهند فنظر هودب من أعلى حصنه ، فرأى من العساكر ما هاله ، فعلم أن لا ينجيه إلا الإسلام ، فنزل في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة واحدة الإخلاص ، فاقبل عليه يمين الدولة وأكرمه وسار عنه إلى قلعة كلجند ، وهو من أعيان الهند ، وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها إلا بمشقة ، فسير كلجند عساكره وفيلته إلى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها ، فترك يمسن الدولة عليهم من يقاتلهم ، وسلك طريقا مختصرا إلا الحصن ، فلم يشعروا به إلا وهو معهم ، فقاتلهم." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٩ """""""

على أطراف البلاد ، فسأل طغان خان الله تعالى أن يعافيه لينتقم منهم ، ويحمي البلاد ، ثم يفعل به ما يشاء ، فعافاه الله تعالى ، فجمع العساكر واستنفر جميع بلاد الإسلام ، فاجتمع له من **المتطوعة** مائة ألف وعشرون ألف مقاتل ، فلما بلغ الترك ذلك رجعوا ، فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر ، فأدركهم وهم آمنون ، فكسبهم ، وقتل منهم زيادة على مائتي ألف رجل وأسر نحو مائة ألف ، وغنم من الدواب ، والخركاهات ، والأواني الذهبية والفضية ، ومعمول الصين مالا عهد بمثله ، وعاد إلى بلاساغون ، فعادوه المرض ، فمات رحمه الله تعالى . وكان عادلا خيرا دنيا يحب العلم وأهله ، ويميل لأهل الدين ، ويصلهم ويقربهم . ولما مات ملك بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان ، ولقبه شرف الدولة ، فخالف عليه قدر خان يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان ، وكان ينوب عن طغان خان بسمرقند ، وكاتب يمين الدولة يستنجده على أرسلان ، فعقد يمين الدولة على نهر جيحون جسرا من السفن ، وضبطه بالسلاسل وعبر عليه ، ولم تكن تعرف الجسور قبل ذلك هناك ، فلما عبر النهر اتفق قدرخان وأرسلان خان وتعاقدا على قصد بلاد يمين الدولة واقتسمها ، فعاد يمين الدولة إلى بلاده ، وسار قدرخان وأرسلان خان إلى بلخ والتقوا بيمين الدولة واقتتلوا قتالا شديدا كان الظفر فيه ليمين الدولة عليهما ، فعادا وعبرا جيحون ، وكان من غرق منهم أكثر ممن نجا .

ذكر أخبار قدر خان وأولاده

كان قدرخان يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان عادلا حسن السيرة كثير الجهاد ، فمن فتوحه ختن ، وهي بلاد بين الصين وتركستان ، كثيرة العلماء والفضلاء واستمر إلى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، فتوفي

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٧/٢٦

. وكان يديم الصلاة في الجماعة . ولما توفي ملك أولاده بعده ، واقتسموا البلاد ، فملك أبو شجاع أرسلان خان ، ولقبه شرف الدولة ، كاشغر ، وختن ، وبلاساغون . وخطب له على منابرها . قبل : ولم." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٤ """""""""

ذكر فتح سومنات

وفي سنة ست عشرة وأربعمائة فتح يمين الدولة عدة حصون ومدن من بلاد الهند ، وأخذ الصنم المعروف بسومنات ، وهو اعظم أصنام الهند ، وكانوا يحجون إليه كل ليلة خسوف ، فيجتمع عنده ما ينوف على ألف إنسان ، وزعم الهنود أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه فينشئها فيما ينشأ ، وان المد والجزر غنما هو عادة للبحر ويحملون إليه كل علق نفيس ، ويعطون سدنته الأموال الجليلة ، وفيه من نفيس الجواهر ما لا تحصى قيمته ، وبينه وبين نهر الكنك الذي تعظمه الهنود نحو مائتي فرسخ يتحملون من ماء هذا النهر إلى سومنات ماء يغسل به كل يوم ، وعنده من البراهمة ألف رجل لعبادته ، وتقديم الوراد إليه ، وثلثمائة رجل تحلق رؤس زواره ولحاهم ، وخمسمائة رجل ، وخمسمائة امرأة يغنون ، ويرقصون على باب الصنم ، ولكل منهم في كل يوم شيء معلوم ، وكان لسومنات من الضاع الموقفة عليه ما يزيد على عشرة آلاف ضيعة . وقال وكان يمين الدولة كلما فتح فتحا من بلاد الهند ، وكسر أصناما ، تقول الهنود : إنا هذه الأصنام قد سخط عليها سومنات ، ولو أنه راض عنها لأهلك من تقصدها بسوء . فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه ، وإهلاكه لعل الهنود إذا فقدوه ، ورأوا دعاواهم باطلة دخلوا في دين الإسلام ، فاستخار الله تعالى ، وسار من غزنة في عاشر شعبان من هذه السنة في ثلاثين ألف رأس من عساكره سوى المتطوعة ، وسلك طريق الملتان فوصلها في منتصف شهر رمضان ، وفي طريقه إلى الهند قفار لا تسلك ، لا ماء فيها ولا ميرة ، فحمل ما يحتاج إليه هو وعسكره ، وزاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل ، يحملون الماء والميره ، وقصد أنهلوارة ، فلما قطع المفازة رأى في طريقها حصونا مشحونة بالرجال فيسر الله فتحها عليه ، وامتار منها ، وسار إلى أنهلوارة ، فوصلها في مستهل ذي القعدة ، فهرب عنها صاحبها المدعو نهيم ، وقصد حصنا له يحتمي به ، فاستولى يمين الدولة على المدينة وسار إلى سومنات ، فلقي في طريقه عدة حصون بها كثير من الأوثان تشبه الحجاب والنقباء لسومنات ، فقاتل من بها ، وفتحها وخربها وكسر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٩/٢٦

أصنامها ، وسار منها إلى مفازة قفز قليلة المياه ، فلقي فيها عشرين ألف مقاتل من سكانها لا يدينون لملك ،." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٠٧ """""""

عنه ، فلم يفعلوا ، فلشدة ما ناله هرب منه ، ودخل بين خواص السلطان ، فرآه السلطان مذعورا ، فاستراب منه ، وقال لغلام له أن يمسكه من غير أن يعلمه أحد ففعل ، فرأى الدرع تحت ثيابه ، فأعلم السلطان بذلك ، فاستشعر السوء وقال : إذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا الدروع ، فما ظنك بغيرهم من الجند ، ونهض وعاد إلى داره ، فلما كان في ثالث عشر . استدعى الأمير صدقة وإياز ، وجكرمش ، وغيرهم من الأمراء ، فلما حضروا أرسل إليهم : أنا بلغنا أن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش ، قصد ديار بكر ليملكها ، ويسير منها إلى الجزيرة ، وينبغي أن تجتمع أراؤكم على من يسير إليه ليمنعه ، ويقاتله ، فقال الجماعة : ليس هذا الأمير إلا الأمير إياز . فقال إياز : ينبغي أن أجتمع أنا وسيف الدولة صدقة على هذا الأمر ، فقبل ذلك استدعى السلطان ، فاستدعى إياز وصدقة والوزير سعد الملك ، فقاموا ليدخلوا عليه ، وكان قد أعد جماعة من خواصه لقتل إياز إذا دخل عليه ، فلما دخل ضرب أحدهم رأسه فأبانه ، فغطى صدقة وجه بكمه ، وأما الوزير فغشي عليه ، وتفرق أصحاب إياز ، وكان زوال نعمته العظيمة ودولته في مزحة مزحها غلمانه ، ولما كان الغد كفنه قوم من المتطوعة ودفنوه .

وكان من جملة مماليك السلطان ملكشاه ، وكان غزير المروءة ، شجاعا حسن الرأي في الحرب ، ولما قتل اختفى وزيره الصفي ، ثم أخذ وحمل إلى الوزير سعد الملك ، ثم قتل في شهر رمضان ، وسار السلطان إلى أصفهان ، فوصل إليها في شهر رمضان وأمن أهلها .

ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد والقبض عليه

وفي المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة أظهر منكبرس ابن الملك بوزي برس بن الب أرسلان ، وهو ابن عم السلطان محمد العصيان ، والخلاف على السلطان ، وسبب ذلك أنه كان بأصبهان ، فلحقته ضائقة شديدة ، وانقطعت عنه المواد ، فسار إلى نهاوند ، واجتمع عليه بها جماعة من العسكر ، وظاهره عل أمره جماعة من الأمراء ، فتغلب على نهاوند ، وخطب لنفسه بها ، وكاتب الأمراء بني برسق يدعوهم إلى طاعته ونصرته ، وكان السلطان محمد قد قبض على أخيهم زنكن بن برسق ، فكاتب زنكي إخوته ، وحذرهم من طاعته ، وأمرهم بالتدبير في القبض عليه ، فلما أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا إلى منكبرس يبذلون له

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٣٤/٢٦

الطاعة والموافقة ، فسار إليهم وساروا غليه ، واجتمعوا به ، وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم ، وهي بلد خوزستان ، وتفرق أصحابه وأتوابه إلى أصفهان ، فاعتقله السلطان مع بني عمه تكش ، وأخرج." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٧٨ """"""""

وتقدم إلى الشقيف وضيق من به ، وترك عليه من يحفظه ويمنع الوصول إليه . فتسلمه في يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين ، وأطلق صاحبه .

ذكر مسير السلطان من مرج العيون إلى صور وما كان عليه من الوقائع

قال : وجاءت السلطان كتب من أصحابه الذين جعلهم يزكا في مقابلة الفرنج على مدينة صور يخبرونه إن الفرنج قد اجتمعوا على عبور الجسر الذي لصور ، وعزموا على حصار صيدا ، فسار جريدة في شجعان أصحابه ، فوصل بعد أن كانت الوقعة بين الفرنج ولين اليزك .

وذلك أن الفرنج خرجوا من مدينة صور فلقيهم اليزك على مضيق وقاتلوهم ومنعوهم ، وكانت حربا شديدة ، وأسر من الفرنج جماعة ، منهم سبعة رجال من فرسانهم المشهورين ، وقتل من المسلمين جماعة ، ثم عجز الفرنج عن الوصول إلى صيدا فعادوا إلى صور والله أعلم .

ثم كانت وقعة ثانية بعد وصول السلطان مع **المتطوعة** .

وذلك أن السلطان لما جاء إلى صور أقام مع اليزك في خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج للخروج ؛ فركب في بعض الأيام في عدة يسيرة لينظر إلى مخيم الفرنج من الجبل ، فظن أن هناك من **المتطوعة** أنه قصد الغزاة ، فساروا مجدين أوغلوا في أرض العدو وبعدوا ١٢٨ عن العسكر ، وخلفوا السلطان وراء ظهورهم ؛ فبعث من يردهم فلم يرجعوا ، وظن الفرنج أن وراءهم من يحميهم فأحجموا عنهم ؛ فلما علموا بانفرادهم حملوا عليهم حملة رجل واحد ، فقتل منهم جماعة من المعروفين : فشق على السلطان والمسلمين ، وكانت هذه الوقعة في تاسع جمادى الأولى . فلما رأى السلطان ذلك انحدر من الجبل بمن معه ، وحمل على الفرنج فردهم إلى الجسر ، فرموا بأنفسهم في الماء ، فغرق منهم مائة دارع سوى من قتل ، وعادوا إلى مدينة صور ، فعادا السلطان إلى تبنين ثم إلى عكا .

ثم كانت وقعة ثالثة في يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة صبر فيها الفريقان .." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٠٧/٢٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٧٨/٢٨

يبشر الإسلام كافة – بما من الله به على المسلمين ، من الظفر بعدو الدين . فإنه كان قد استفحل أمره ، واستحكم شره ، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد . فنودوا : لا تيأسوا من روح الله .

ولما كان في يوم الأربعاء – مستهل السنة المباركة – تمم الله على الإسلام بركاتها – فتحنا الخزائن ، وبذلنا الأموال ، وفرقنا السلاح ، وجمعنا العربان والمطوعة ، واجتمع خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى ، وجاؤوا من كل فج عميق ، ومن كل مكان بعيد سحيق . ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح ، على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل ، فأبينا . ولما كان الليل ، تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم ، وقصدوا دمياط هاربين ، ونحن في آثارهم طالبين . وما زال السيف يعمل في أدبارهم ، عامة الليل . وحل بهم الحرب والويل .

فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا ، غير من ألقى نفسه في اللجج . وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حجر . والتجأ الإفرنسيس إلى المنية ، وطلب الأمان فأمناه ، وأخذناه وأكرمناه . وتسلمنا دمياط بعون الله تعالى ، وقوته وجلاله وعظمته . وذكر كلاما طويلا .

وبعث مع الكتاب غفارة ريدا فرنس إلى الأمير جمال الدين ، فلبسها . وهي." (١)

"وقرأ ابن القعقاع ، وعمرو بن عبيد : ولا يضار ، بجزم الراء ، وهو ضعيف لأنه في التقدير جمع بين ثلاث سواكن ، لكن الألف لمدها يجري مجرى المتحرك ، فكأنه بقي ساكنان ، والوقف عليه ممكن. ثم أجريا الوصل مجرى الوقف.

وقرأ عكرمة : ولا يضارر ، بكسر الراء الأولى والفك ، كاتبا ولا شهيدا بالنصب أي : لا يبدأهما صاحب الحق بضرر.

ووجوه المضارة لا تنحصر ، وروي مقسم عن عكرمة أنه قرأ : ولا يضار ، بالإدغام وكسر الراء لالتقاء الساكنين.

وقرأ ابن محيصن : ولا يضار ، برفع الراء المشددة ، وهي نفي معناه النهي. وقد تقدم تحسين مجيء النهي بصورة النفي ، وذلك أن النهي إنما يكون عن ما يمكن وقوعه ، فإذا برز في صورة النفي كان أبلغ ، لأنه صار مما لا يقع ، ولا ينبغي أن يقع.

﴿وإن تفعلوا فإنه فسوقا بكم﴾ ظاهره أن مفعول : تفعلوا ، المحذوف راجع إلى المصدر المفهوم من قوله

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٣١/٢٩

: ولا يضار ، وإن تفعلوا لمضارة أو الضرار فإنه ، أي الضرار ، فسوق بكم أي : ملتبس بكم ، أو تكون الباء ظرفية ، أي : فيكم ، وهذا أبلغ ، إذ جعلوا محلا للفسق.

والخطاب في : تفعلوا ، عائد الكاتب والشاهد ، إذ كان قوله : ولا يضار ، قد قدر مبنيا للفاعل ، وأما إذا قدر مبنيا للمفعول فالخطاب للمشهود لهم. وقيل : هو راجع إلى ما وقع النهي عنه ، والمعنى وإن تفعلوا شيئا مما نهيتكم عنه ، أو تتركوا شيئا مما أمرتكم به ، فهو عام في جميع التكاليف ، فإنه فسوق بكم ، أي : خروج عن أمر الله وطاعته.

﴿واتقوا الله﴾ أي : في ترك الضرار ، أو : في جميع أوامره ونواهيه ، ولما كان قوله ﴿وإن تفعلوا فإنه فسوقا بكم﴾ خطابا على سبيل الوعيد ، أمر بتقوى الله حتى لا يقع في الفسق.

﴿ويعلمكم الله﴾ هذه جملة تذكر بنعم الله التي أشرفها : التعليم للعلوم ، وهي جملة مستأنفة لا موضع لها من الإعراب ، وقيل : هي في موضع نصب على الحال من الفاعل في : واتقوا ، تقديره : واتقوا الله مضمونا لكم التعليم والهداية. وقال أبو البقاء : ويجوز أن يكون حالا مقدرة. انتهى. وهذا القول ، أعني : الحال ، ضعيف جدا ، لأن المضارع الواقع حالا ، لا يدخل عليه واو الحال إلا فيما شذ من نحو : قمت وأصك عينه. ولا ينبغي أن يحمل القرآن على الشذوذ.

﴿والله بكل شيء عليم﴾ إشارة إلى احاطته تعالى بالمعلومات ، فلا يشذ عنه منها شيء. وفيها إشعار بالمجازاة للفاسق والمتقي ، وأعيد لفظ الله في هذه الجمل الثلاث على طريق تعظيم الأمر ، جعلت كل جملة منها مستقلة بنفسها لا تحتاج إلى ربط بالضمير ، بل اكتفي فيها بربط حرف العطف ، وليست في معنى واحد ، فالأولى : حث على التقوى ، والثانية : تذكر بالنعم ، والثالثة : تتضمن الوعد والوعيد. وقيل : معنى الآية الوعد ، فإن من اتقى علمه الله ، وكثيرا ما يتمثل بهذه بعض المتطوعة من الصوفية الذين يتجافون عن الاشتغال بعلوم الشريعة ، من الفقه وغيره ، إذا ذكر له العلم ، والاشتغال به ، قالوا : قال الله : واتقوا الله ويعلمكم الله ، ومن أين تعرف التقوى ؟ وهل تعرف إلا بالعلم ؟.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٤١

﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة﴾ . مفهوم الشرط يقتضي امتناع الاستيثاق بالرهن ، وأخذه في الحضر ، وعند وجدان الكاتب ، لأنه تعالى علق جواز ذلك على وجود

٣٥٤

السفر وفقدان الكاتب ، وقد ذهب مجاهد ، والضحاك : إلى أن الرهن والائتمان إنما هو في السفر ، وأما

في الحضر فلا ينبغي شيء من ذلك ، ونقل عنهما أنهما لا يجوزان الارتهان إلا في حال السفر ، وجمهور العلماء على جواز الرهن في الحضر ، ومع وجود الكاتب ، وأن الله تعالى ذكر السفر على سبيل التمثيل للإعذار ، لأنه مظنة فقدان الكاتب ، وإعواز الإشهاد ، فأقام التوثق بالرهن مقام الكتابة والشهادة ، ونبه بالسفر على كل عذر ، وقد يتعذر الكاتب في الحضر ؛ كأوقات الاشتغال والليل وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه في الحضر ، فدل ذلك على أن الشرط لا يراد مفهومه.

وقرأ الجمهور : كاتبا ، على الإفراد وقرأ أبي ، ومجاهد ، وأبو العالية : كاتبا على أنه مصدر ، أو جمع كاتب. كصاحب وصحاب. ونفي الكاتب يقتضي نفي الكتابة ، ونفي الكتابة يقتضي أيضا نفي الكتب.

وقرأ ابن عباس والضحاك : كتابا ، على الجمع اعتبارا بأن كل نازلة لها كاتب ، وروي عن أبي العالية : كتبا جمع كتاب ، وجمع اعتبارا بالنوازل أيضا.

." (١)

"﴿ ٦٠ ﴾ ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ .

يقول تعالى: ﴿ إنما الصدقات ﴾ أي: الزكوات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد.

أي: إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف.

الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع، صنفان متفاوتان، فالفقير أشد حاجة من المسكين، لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئا، أو يجد بعض كفايته دون نصفها.

والمسكين: الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنيا، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم وم سكنتهم.

والثالث: العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها.

والرابع: المؤلفة قلوبهم، المؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٦٩/٢

والمصلحة.

الخامس: الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالا لدخوله في قوله: ﴿ وفي الرقاب ﴾

السادس: الغارمون، وهم قسمان:

أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنيا.

والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يعطى ما يوفى به دينه.

والسابع: الغازي في سبيل الله، وهم: الغزاة **المتطوعة**، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، من ثمن سلاح، أو دابة، أو نفقة له ولعياله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه.

وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله.

وقالوا أيضا: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه، [وفيه نظر] (١) .

والثامن: ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم.

﴿ فريضة من الله ﴾ فرضها وقدرها، تابعة لعلمه وحكمه ﴿ والله عليم حكيم ﴾ واعلم أن هذه الأصناف الثمانية، ترجع إلى أمرين:

أحدهما: من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير، والمسكين، ونحوهما.

والثاني: من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به، فأوجب الله هذه الحصة في أموال الأغنياء، لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية.

(١) زيادة من هامش:ب.." (١)

"وبإزائهم قوم يصوتون به، ويسمعون قراءته من غير تحرك عنه، ولا وجد فيه، ولا ذوق لحقائقه ومعانيه، وهم ظاهرية العباد والمتطوعة والمتقرئة، فهذان الصنفان صاحب حال تحرك الأصوات حاله،وليست تلك الحركة والحال عن الصوت بالقرآن،وصاحب مقال يميز بين الأقوال وينظر فيها وليس ذلك النظر والمقال عن القرآن، وبإزائهما صاحب عبادة ظاهرة معه استماع ظاهر القرآن وتلاوته، وصاحب علم ظاهر معه حفظ حروف القرآن أو تفسير حروفه من غريبه وإعرابه، وأسباب نزوله ونحو ذلك .

فهذه الأقسام الأربعة الذين وقفوا مع ظاهر العلم والعمل المشروعين، والذين خاضوا في باطن العلم والعمل، لكن غير المشروعين جاء التفريط والاعتداء منهم .

ولهذا وقع بينهم التعادي؛ فالأولون يرمون الآخرين بالبدعة والضلالة، وقد صدقوا . والآخرون ينسبون الأولين إلى الجهالة والعجز، وقد صدقوا . ثم قد يكون مع بعض الأولين كثير من العلم والعمل المشروع، كما قد يكون مع بعض الآخرين كثير من العلم الباطن والحال الكامن، كما قد روى الحسن البصري ـ في مراسيله ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (العلم علمان : علم في القلب، وعلم في اللسان . فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان حجة الله على عباده) . وقال يحيى بن سعيد التيمي أبو حيان ـ فيما رواه الخلال في جامعه عن الثوري : العلماء ثلاثة : فعالم بالله ليس عالما بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالما بالله، وعالم بالله وبأمر الله .." (٢)

"بغنيمة جليلة، فعقد موسى بن نصير صاحب المغرب لمولاه طارق بن زياد على الأندلس، ووجهه مع يليان صاحب سبتة، انتهى.

وسيأتي في أمر طريف وغيره ما يخالف هذا السياق (١) ، وهي أقوال.

وقال ابن حين: إن أول أسباب فتح الأندلس كان أن ولى الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز على إفريقية وما خلفها سنة ثمان وثمانين فخرج في نفر قليل من المطوعة، فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا، وفعل ذلك في إفريقية، وجعل على مقدمته مولاه طارقا، فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مدائنهم، حتى بلغ مدينة طنجة، وهي قصبة بلادهم وأم مدائنهم فحصرها حتى فتحها، وأسلم أهلها، ولم

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٤١

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٢٢/٢

تكن فتحت قبله، وقيل: بل فتحت ثم استغلقت.

وذكر ابن حيان أيضا استصعاب سبتة على موسى بتدبير صاحبها الداهية الشجاع يليان النصراني، وأنه في أثناء ذلك وقع بينه وبين لذريق صاحب الأندلس، ثم سرد ما يأتي ذكره.

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله: وحديث الفتح، وما من الله به على الإسلام من المنح، وأخبار ما أفاء الله من الخير، على موسى بن نصير، وكتب من جهاد، لطارق بن زياد، مملول قصاص وأوراق، وحديث أفول وإشراق، وإرعاد وإبراق، وعظم امتشاش، وآلة معلقة في دكان قشاش، انتهى.

وقال في المغرب: طارق بن زياد من إفريقية.

وقال ابن بشكوال: إنه طارق بن عمرو، فتح جزيرة الأندلس ودوخها، وإليه نسب جبل طارق الذي يعرفه العامة بجبل الفتح، في قبلة الجزيرة الخضراء، ورحل مع سيده بعد فتح الأندلس إلى الشام وانقطع خبره، انتهى.

---

(١) ك: الانسياق.." (١)

"[ملخص خبر الفتح من الكتاب الخزائني]

وفي الكتاب الخزائني وغيره سياقة فتح الأندلس على أتم الوجوه، فلنذكر ملخصه، قالوا: استعمل أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك - رحمه الله تعالى - موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز بن مروان، ويقال: بل هو بكري، وذلك أن أباه نصيرا أصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد - رضي الله عنه - في عين التمر، فادعوا أنهم رهن، وأنهم من بكر بن وائل، فصار نصير وصيفا لعبد العزيز بن مروان، فأعتقه، فمن هذا يختلف فيهن وقيل: إنه لخمي، وعقد له على إفريقية وما خلفها في سنة ثمان وثمانين، فخرج إلى ذلك الوجه في نفر قليل من **المطوعة**، فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا، وأتى إفريقية عملهن فأخرج من أهلها معه ذوي القوة والجلد، وصير على مقدمته طارقبن زياد، فلم يزل يقاتل البربر ويفض جموعهم، ويفتح بلادهم ومدائنهم، حتى بلغ طنجة، وهي قصبة ملك البربر وأم مدائنهم، فحصرها حتى افتتحها - وقيل: إنها لم تكن افتتحت قبله، وقيل: افتتحت ثم ارتجعت - فأسلم أهلها، وخطها قيروانا للمسلمين، ثم ساروا إلى مدائن على شط البحر فيها عمال لصاحب الأندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها، ورأس تلك المدائن سبتة، وعليها علج يسمى يليان، قاتله موسى فألفاه في نجدة وقوة وعدة فلم

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٢٣٠

يطقه، فرجع إلى مدينة طنجة فأقام بمن معه، وأخذ في الغارات على ما حولهم والتضييق عليهم، والسفن تختلف إليهم بالميرة والأمداد من الأندلس من قبل ملكها غيطشة، فهم يذبون عن جريمهم ذبا شديدا، ويحمون بلادهم حماية تامة، إلى أن هلك غيطشة ملك الأندلس، وترك أولادا لم يرضهم أهلها للملك، فاضطرب حبل أهل (١) الأندلس، ثم تراضوا بعلج من كبارهم يقال له لذريق مجرب شجاع بطل، ليس من بيت أهل الملك، إلا

---

(١) أهل: سقطت من ق.." (١)

"قرطبة، فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه، فقال له ابن عباد: أنت رسولي إليه في ذلك، فامتنع، وإنما أراد أن يبرئ نفسه من ذلك، فألح عليه المعتمد، فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فوجده بسبتة، وأبلغه الرسالة وأعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش، ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس، وأرسل إلى مراكش في طلب من بقي من العساكر، فأقبلت إليه يتلو بعضها بعضا، فلما تكاملت عنده عبر البحر، واجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية، وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا، وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير، وقصده **المطوعة** من سائر بلاد الأندلس، ووصلت الأخبار إلى الأذفونش فجمع عساكره، وحشد جنوده، وسار من طليطلة، وكتب إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يغلظ له في القول، ويصف ما معه من القوة والعدد والعدد، وبالغ في ذلك، فلما وصله وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر ابن القصيرة أن يجيبه، وكان كاتبا مفلقا، فكتب وأجاد، فلما قرأه على أمير المسلمين قال: هذا كتاب طويل، أحضر كتاب الأذفونش واكتب في ظهره: الذي يكون ستراه وأرسله إليه، فلما وقف عليه الأذفونش ارتاع له، وعلم أنه بلي برجل لا طاقة له به.

وذكر ابن خلكان (١) أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة، وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملا قط ولا خيلهم، فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها، وكان ليوسف في عبور الجمال رأي مصيب، فكان يحدق بها عسكره، ويحضرها للحرب، فكانت خيل الفرنج تجمح منها، وقدم يوسف بين يديه كتابا للأذفونش يعرض عليه فيه الدخول في الإسلام أو الجزية أو الحرب، كما هي السنة، ومن جملة ما في الكتاب: بلغنا يا أذفونش أنك دعوت إلى الاجتماع بنا، وتمنيت أن

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/ ٢٥٠

(١) وفيات الأعيان ٦: ١١٥.." (١)

"الهزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى، قتل فيها من **المطوعة** نحو من عشرين قتيلا، ولم يقتل فيها من العسكر أحد، وكان على المسلمين الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي ألف الفتح باسمه قلائد العقيان وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة، وممن حضرها الشيخ أبو علي الصدفي السابق الذكر، وقرينه في الفضل أبو عبد الله ابن الفراء خرجا غازيين، فكانا ممن فقد فيها.

وقال غير واحد: إن العسكر انصرف مفلولا إلى بلنسية، وإن القاضي أبا بكر ابن العربي كان ممن حضرها، وسئل مخلصه منها عن حاله، فقال: حال من ترك الخباء والعباء، بمعنى أنه ذهب جميع ما لديه.

لوشة - ٦٢٢

ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة (١) ، مع السيد أبي محمد البياسي في الفتنة التي كانت بينه وبين العادل، فعاثوا فيها أشد العيث، ثم ردها المسلمون إلى أن أخذت بعد ذلك كما يأتي.

المرية - ٥٤٢

ودخل العدو مدينة المرية يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، عنوة، وحكى أبو زكريا الجعيدي (٢) عن أبي عبد الله بن سعاد الشاطبي المعمر أن أبا مروان ابن ورد أتاه في النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه في عضديه من خلفه، وهزه هزا عنيفا حتى أرعبه، وقال له قل:

(١) سنة ٦٢٣ عند ابن عذاري (٣: ٢٤٩).

(٢) الجعيدي هو يحيى بن زكريا بن علي بن يوسف الأنصاري البلنسي، توفي سنة ٦١٩ (التكملة رقم: ٢٠٦٣). وفي ص: الحميدي، وهو خطأ.." (٢)

"وقرا جمهور القراء (خشعا) وهي قراءة الأعرج وأبي جعفر وشيبة والحسن وقتادة

وقرا أبو عمرو وحمزة والكسائي (خاشعا) وهي قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد والجحدري وهو إفراد بمعنى الجمع ونظيره قول الشاعر الحارث بن اوس الإيادي

(وشباب حسن اوجههم

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٦١/٤

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٦١/٤

من إياد بن نزار بن معد) " الرمل "

ورجح أبو حاتم هذه القراءة وذكر ان رجلا من **المتطوعة** قال قبل ان يستشهد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسألته عن (خشعا وخاشعا) فقال (خاشعا) بالألف وفي مصحف ابي بن كعب وعبد الله (خاشعة)

وخص الأبصار بالخشوع لأنه فيها أظهر منه في سائر الجوارح وكذلك سائر ما في نفس الإنسان من حياء او صلف او خوف ونحوه إنما يظهر في البصر

و " الأجداث " جمع جدث وهو القبر وشبههم بالجراد المنتشر وقد شبههم في اخرى ب " الفراش المبثوث " القارعة ٤ وفيهم من كل هذا شبه وذهب بعض المفسرين الى انهم اولا كالفراش حين يموجون بعض في بعض ثم في رتبة أخرى كالجراد إذا توجهوا نحو المحشر والداعي وفي الحديث إن مريم بنت عمران دعت للجراد فقالت اللهم اعشها بغير رضاع وتابع بينها بغير شباع

والمهطع المسرع في مشيه نحو الشيء مع هز ورهق ومد بصر نحو المقصد إما لخوف او طمع او نحوه و " يقول الكافرون هذا يوم عسر " لما يرون من مخايل هوله وعلامات مشقته

قوله عز وجل

سورة القمر ٩ - ١٧

سوق هذه القصة وعيد لقريش وضرب مثل لهم وقوله " وازدجر " إخبار من الله انهم زجروا نوحا

٢١٤

بالسب والنجه والتخويف قاله ابن زيد وقرأ " لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين " الشعراء ١١٦ وذهب مجاهد الى ان " وازدجر " من كلام " قوم نوح " كأنهم قالوا " مجنون وازدجر " والمعنى استطير جنونا واستعر جنونا وهذا قول فيه تعسف وتحكم

وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم والأعرج والحسن (أني) بفتح الألف أي (بأنه) كان دعاءه كأن هذا المعنى وقرأ عاصم أيضا وابن ابي اسحاق وعيسى (إني) بكسر الألف كأن دعاءه كان هذا اللفظ قال سيبويه المعنى قال إني

وذهب جمهور المفسرين الى ان المعنى أني قد غلبني الكفار بتكذيبهم وتخويفهم انتصر لي منهم بان تهلكهم ويحتمل ان يريد فانتصر لنفسك اذ كذبوا رسولك ويؤيده قول ابن عباس ان المراد بقوله لمن كان كفر الله تعالى فوقعت الأجابة على نحو ما دعا نوح عليه السلام وذهبت المتصوفة الى ان المعنى إني قد

غلبتني نفسي في افراطي في الدعاء على قومي فانتصر مني يا رب بمعاقبة إن شئت والقول الأول هو الحق إن شاء الله يدل على ذلك اتصال قوله " ففتحنا " الآية وذلك هو الانتصار من الكفار

وقرأ جمهور القراء (ففتحنا) بتخفيف التاء

." (١)

"حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: حدثنا قريش بن أنس عن كليب ابن وائل رجل من المطوعة قال: رأيت ببلاد الهند شجرا له ورد أحمر مكتوب فيه ببياض " محمد رسول الله " . والعرب تقول في مثل هذا هو " أشكر من البروقة " ، وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم.

ويزعم قوم أن النارجيل هو نخل المقل قلبه طباع البلد.

لصاحب الفلاحة في الكرنب والكرم وقال صاحب الفلاحة: بين الكرنب وبين الكرم عداوة، فإذا زرع الكرنب بحضرة الكرم ذبل أحدهما وتشنج، ولذلك يبطىء السكر عمن أكل منه ورقات على ريق النفس ثم شرب. وقضبان الرمان إذا ضرب بها ظهر رجل اشتد عليه الألم.

وقالوا: وكل زهر ونور فإنه ينحرف مع الشمس ويحول إليها وجهه؛ ولذلك يقال: يضاحك الشمس.

للأعشى قال الأعشى:

ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزز بعميم النبت مكتهل

وقال آخر:

فنواره ميل إلى الشمس زاهره

والخبازي ينضم ورقه بالليل وينفتح بالنهار.

والنيلوفر ينبت في الماء فيغيب الليل كله ويظهر إذا طلعت الشمس.

في الطحلب وقالوا في الطحلب: إن اخذ فجفف في الظل ثم سقط في النار لم يحترق.

وذكروا أن قسا راهن على صليب في عنقه من خشب أنه لا يحترق، وقال: هو من العود، الذي صلب عليه المسيح، فكاد يفتن بذلك خلقا حتى فطن له بعض أهل النظر فأتاهم بقطعة، تكون بكرمان فكان أبقى على النار من صليبه. والطلق كذلك لا يصير جمرا.

وطلاء النفاطين طلق وخطمي ومغرة.

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٩٤/٥

وقالوا: إذا أخذ بزر السذاب البري وزرع وطال به ذلك تحول حرملا، والنمام إذا أعتق تحول حبقا.

قالوا: والقسط إنما هو جزر بحري.

قالوا: بالسند نبت من الحشيش يسمى ترية، إذا أخذ فطبخ ثم صفي ماؤه فجعل في وعاء لم يلبث إلا يسيرا حتى يشتد ويسكر شاربه إسكار الخمر.

لصاحب الفلاحة في إفساد البقل والرمان قال صاحب الفلاحة: من أراد أن يضر بمبقلة عمد إلى شيء من خرء البط فخلط به كل من ملح ثم طرحا في ماء فديفا فيه فينضح ذلك الماء على البقل فإنه يفسد.

قال: ومن أراد إفساد الرمان الكثير ألقى في أضعافه نوى التمر والملح والجريش. ومن أراد قتل السمك في الماء القائم عمد إلى نبت يسمى " ما هي زهره " فدق وطرح في الماء فإنه يموت سمك ذلك الماء؛ والمازريون يفعل ذلك.

قال: ومما يجص له الشجر أن يعمد إلى مسمار من حديد فيحمى بالنار حتى تشتد حمرته ثم يدق في أصل الشجرة، وأن يعمد إلى وتد من طرفاء فيثقب أصل الشجرة بمثقب حديد يجعل ذلك العود على قدر الثقب في المثقب فتجف الشجرة إن كان غلظ العود على قدر الثقب.

لماسرجويه في أن النظر إلى الخضرة فضائل قيل لماسرجويه: ما بال الأكرة وسكان البساتين مع أكلهم الكراث والتمر وشربهم الحار على السمك المالح أقل عميانا وعورانا وعمشانا؟ قال: فكرت في ذلك فلم أجهد علة طول وقوع أبصارهم على الخضرة.

الحجارة

لأرسطاطاليس قال أرسطاطاليس: حجر سنقيلا إذا ربط على بطن صاحب الاستسقاء نشف منه الماء والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجد قد زاد في وزنه؛ وذاكرت بهذا رجلا من علماء الأطباء فعرفه، وقال: هذا الحجر مذكور في التوراة. وحجر المغناطيس يجذب الحديد من بعد وإذا وضع عليه علقه، فإن دلك بالثوم بطل عمله.

قالوا: والرماد ؤالقلي يدبران فيستحيلان حجارة سودا تصلح للأرجاء. ومن الحجارة حصاة في صورة النواة تسبح في الخل كأنها سمكة. ومنها خرزة العقر إن كانت في حقو المرأة فلا تحبل. وحجر يوضع على حرف التنور فيتساقط خبز التنور كله.

وبمصر حجر من قبض عليه بجمبع كفيه فأكل شيئا في جوفه فإن هو لم ينبذه من كفه خيف عليه. ومن الحجارة النشف، ليس شيء من الحجارة يطفو على الماء غيره وفيه حفر صغار.." (١)

" إذا تدفق وهمع والنهار إذا تألق ولمع

ولا شيء أعود على الأمة وأدعى إلى سبوغ النعمة من علو كلمتهم وارتفاع رايتهم وتحصين حوزتهم وإيمان منصتهم وتأدية الفريضة في مجاهدة أعدائهم وصرفهم عن غلوائهم وأقتيادهم بالإذلال والصغار وكبحهم بشكائم الإهوان والاقتسار ومواصلتهم بغزو الديار وتعفية الآثار وإيداع الرعب في صدورهم وتكذيب أماني غرورهم ووعظهم بألسنة القواضب ومكاتبتهم على أيدي الكتائب لما في ذلك من ذل الشرك وثبوره وعز التوحيد وظهوره ووضوح حجة أولياء الله تعالى على أعدائه بما ينزله عليهم من نصره ومعونته ويؤيدهم به من تأييده وعنايته لا جرم أن أمير المؤمنين مصروف العزمة موقوف الهمة على تنفيذ البعوث والسرايا والمواصلة بالجيوش والعرايا وتجهيز المرتزقة من أولياء الدولة وحض **المطوعة** من أهل الملة على ما أمر الله تعالى به من غزو المشركين وجهاد الملحدين نافذا في ذلك بنفسه وباذلا فيه عزيز مهجته عند تسهل السبل إلى البعثة ووجود الفسحة ومعولا فيه عند التعذر على أهل الشجاعة والرجاحة من أعيان أهل الإسلام الذين أيقنت ضمائرهم وخلصت بصائرهم ورغبوا في عاجل الذكر الجميل وآجل الأجر الجزيل وأمير المؤمنين يسأل الله تعالى أن يجريه فيما يصدر ويورد على أفضل ما لم يزل يولى ويعود من التوفيق في رأيه وعزمه والتسديد في تدبيره وحزمه ويؤتيه من ذلك أفضل ما آتاه وليا استخلفه وأمينا كفله عباده وكلفه وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين ممن يعده لجلائل مهماته ويعده من أعيان كفاته ورآه سدادا للخلل وعمادا في الحادث الجلل وسهما في كنانته صائبا وشهابا في سماء دولته ثاقبا وسيفا بيد الدين قاطعا ومجنا عن الحوزة دافعا ." (٢)

"بدا لأهلها في مخالفة سلطانهم الذي جددنا عهده وأبرمنا سلمه وأكدنا عقده وأوجبنا لتوفر البواعث نصره فأهبلنا للحين غرة وانتهزناها فرصة وحللنا إليها عقال الفتك الذي كان قد قيده الإيمان وسللنا عليها سيف الله الذي أغمدته الموادعة والآمال بعد أن استخرنا الله الولي في الغربة الناصر في الشدة الذي بيده القدرة والعزة والحول والقوة لا إله إلا هو خير الناصرين ومظهر دينه على كره الكافرين ونوينا أن نرفع بها

---

(١) عيون الأخبار، ص/١٧٩

(٢) صبح الأعشى، ٤١٦/١٠

هضم الإسكندرية ونقوم بفرض الكفاية عن الكافة فأثمرت استخارة الله لدينا والقوة به والتوكل عليه الإستهانة بأسوارها المشيدة وحماتها البئيسة وشهرتها الجامحة فأبرمنا الحزم الذي شحذ التوكل غربه وسدد الاستبصار سهمه وأضفى الصبر جنته وسهلت الثقة بالله حزبه واستدعينا أهل الجهاد لتصير الجهاد ونفضنا أطراف البلاد عن أولى الجلادة على الجلاد وعينا أمدا أضاف الانحفاز مدته وتحيفت البدار فسحته وعلى ذلك فاستكثرنا من آلات القتال ورفعنا المجانيق على أفلاك الأعجال وأفضنا العطا الذي تجاوز شهور الأستحقاق إلى ما وراءها مما لم يستهل جنين هلاله ولا وسمت خيلان الليالي صفحة جماله وأوصلنا الجيوش إلى المطوعة الغازين والمرتزقة المدونين إلى حقوقها في الغنم المتقدم والنفل المبارك المتيقن فتضاعفت الارتياش وأزيحت العلل وأخلصت الضماير النصفة وأطابت القلوب المعدلة ولما تكاملت الجموع
". (١)

"

الحصن كنيسة جعلت هريا وكانت الطوالع من إنطاكية تطلع عليها في كل عام فتشتوا بها ثم تنصرف وعدة من كان يطلع إليها ألف وخمسمائة رجل إلى ألفين قالوا وشخص عمر بن العزيز حتى نزل هرى المصيصية وأراد هدمها لانه خاف أن يحاصرها الروم ومن بها فاعلمه الناس إنها إنما عمرت لتدفع عن إنطاكية فانه أن اخربها لم يكن للعدو ناهية دون إنطاكية ثم بنى هشام بن عبد الملك ربض المصيصية وبنى مروان بن محمد الحصون في شرقي جيحان وبنى عليها حائطا واسكنها قوما من الفرس والصقالبة والانماط والنصارى وجعل حواليها خندقا وعليها بابا من خشب

ثم لما استخلف أبو العباس فرض بالمصيصية لأربعمائة رجل زيادة في شحنتها واقطعهم فلما استخلف المنصور فرض لاربع مائة رجل آخرين ثم لما دخلت سنة تسع وثلاثون ومائة أمر بعمران مدينة المصيصية وكان حائطها متشعثا من الزلازل واهلها قليلون في داخل المدينة فبنى سورها وأسكنها أهلها سنة أربعين ومائة وسماها المعمورة وبنى فيها مسجد جامعا في موضع هيكل كان فيها ونقل أهل الحصون إلى المدينة وأعطاهم خططا بها ومنازل عوضا من منازلهم

ولما استخلف المهدي فرض بالمصيصة لالفي رجل ولم يقطعهم لأنها قد كانت شحنت بالجند والمطوعة ولم تزل الطوالع تأتيها من إنطاكية في كل عام حتى كثر من بها وقووا في خلافة المهدي وبنى الرشيد كفربيا وحصنها بخندق ثم رفع إلى المأمون في غلة كانت على منازلها فأبطلها وكانت منازلها

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ١٣٩/١

كالخانات وأمر بأن يبني عليها سور فما استتم حتى توفي فقام المعتصم بالله بتمامه وتشريفه وكان الذي بنى حصن

". (١)

"

أمرها على يد فرج أبي سليم الخادم فوكل أبو سليم ببنائها وتوجه إلى مدينة السلام فأنهض الندبة الأولى من أهل خراسان وهم ثلاثة آلاف رجل فوردوا طرسوس ثم اشخص الندبة الثانية وهم آلفا رجل منهم من أهل المصيصية ألف رجل ومن أهل إنطاكية ألف رجل على زيادة لكل رجل في اصل عطائه عشرة دنانير فعسكروا مع الندبة الأولى بالميدان على الباب المعروف بالجهاد في أول يوم من المحرم سنة اثنتين وسبعين ومائة إلى أن استتم بناء طرسوس وتحصينها وبناء مسجدها ومسح فرج ما بين النهر إلى النهر فبلغ ذلك أربعة آلاف خطة كل خطة عشرون ذراعا في مثلها واقطع أهل طرسوس الخطط وسكنتها الندبتان في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين ومائة

ولما كانت سنة ثمانين ومائة أمر الرشيد بابتناء مدينة عين زربة وتحصينها وندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم واقطعهم بها المنازل ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة أمر ببناء الهارونية فبنيت وشحنت أيضا بالمقاتلة ومن نزح من **المطوعة** ونسبت إليه قالوا وكانت الكنيسة السوداء من حجارة سود بناها الروم على وجه الدهر ولها حصن قديم اخرب فيما اخرب فأمر الرشيد بناء الكنيسة السوداء وتحصينها وندب إليها المقاتلة على زيادة في العطاء

قالوا وكانت بالثغور ايغارات قد أبطلت وتحيفت اكثر ما يرتفع من أعشارها وأمر المتوكل على الله في سنة ثلاث وأربعين ومائتين بإبطال تلك الايغارات فأبطلت

". (٢)

"وصار طاهر إلى الرقة فالتقى هو نصر بن شبث، فقاتله نصر وأثخن في أصحابه ولم يزل الحرب بينه وبينه حتى ورد المأمون بغداد فقدم عليه ووجه الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن أبي خالد إلى أبي

---

(١) الخراج وصناعة الكتابة، ص/٣٠٨

(٢) الخراج وصناعة الكتابة، ص/٣١١

السرايا فالتقوا، فقتل عبدوس أصحابه، وأقبل أهل الكوفة حتى صاروا إلى نهر صرصر وأخذوا واسطا والبصرة، فبعث الحسن بن سهل السندي ابن شاهك إلى هرثمة وهو بحلوان فرده وبعث به فسار إلى نهر صرصر فكشقهم وأتبعهم فأدركهم بالقرب من قصر ابن هبيرة فواقعهم فقتل منهم خلقا كثيرا وانهزموا حتى دخلوا الكوفة، ومات أبو طباطبا فنصب أبو السرايا مكانة فتى من العلويين يقال له محمد بن محمد، ولم يزل هرثمة يحاربهم وقد أثخنوا في أصحابه حتى ضعفوا وكاتبوه، وهرب أبو السرايا ومعه العلوي ودخلها هرثمة فأقام بها أياما ثم استخلف عليا ثم رجع إلى بغداد ومضى إلى خراسان وحارب أهل بغداد الحسن بن سهل ورئيسهم محمد بن أبي خالد المروزي وبنوه عيسى وهارون وأبو زنبيل والحسن بالمدائن، وصار الناس فوضى لا أمير عليهم، فخرج سهل بن سلامة **والمطوعة** وبعث المأمون إلى علي بن موسى الذي يدعى الرضى فحمله إلى خراسان فبايع له بولاية العهد بعده وأمر الناس بلباس الخضرة، وصار أهل بغداد إلى إبراهيم بن المهدي فبايعوه بيعة الخلافة فخرج إلى الحسن بن سهل فألحقه بواسط وأقام إبراهيم بالمدائن، ثم وجه الحسن علي بن هشام وحميدا الطوسي فاقتتلوا فهزمهم حميد وجلس علي بن عيسى مكان سهل بن سلامة وأمره بالمعروف، فاحتال حتى خذل من معه وظفر به ودفعه إلى إبراهيم بن المهدي فغيبه عنده ولم يعرف خبره حتى قرب المأمون من بغداد.

ووجه الحسن بن سهل هارون بن المسيب إلى الحجاز لقتال العلوية فاقتتلوا فهزمهم هارون بن المسيب وظفر بمحمد بن جعفر فحماه إلى المأمون مع عدة من أهل بيته، فلم يرجع أحد منهم ومات الرضي بخراسان ولمل صار هرثمة إلى خراسان جرى بينه وبين الفضل بن سهل كلام بين يدي المأمون، فامر بسجنه فحبس في قبة في دار المأمون فمكث فيها أياما ثم أخرج ميتا فلف في خيشة ودفن في خندق كان لأهل السجن بمرو.

فلما بلغ حاتم بن هرثمة وهو على أرمينية ما صنع أبوه كاتب الأحرار هناك والملوك ودعاهم إلى الخلاف، فبينما هو على ذلك أتاه الموت.

فيقال: إن سبب خروج بابك كان ذاك، فمكث بابك نيفا وعشرين سنة وكان أبو إسحاق المعتصم مع الحسن بن سهل فهرب إلى إبراهيم بن المهدي وكان يقاتل مع الحسن وأصحابه، ثم التقى هو ومهدي الشاري سنة ثلاث ومائتين فانهزم أبو إسحاق إلى بغداد، ولم تزل الحرب بين أهل بغداد وبين الحسن بن سهل حتى ظفر بهم الحسن وأسر منهم خلقا وحملهم إلى خراسان مع أحمد بن أبي خالد فوافى خراسان

وقد قتل الفضل بن سهل بسرخس في سنة ثلاث ومائتين، فاتخذه المأمون وزيرا مكان الفضل واستخلف على خراسان غسان بن عباد.." (١)

"وحكي لنا عن بشر بن الحارث مثله، ولعمري إن المقبرة لمحلة يدعو حضورها ذا اللب وسلامة الصدر والقلب، إلى الرهبة والدعاء، والتذكر والبكاء، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم استأذن ربه في زيارة قبر أمه، فأذن له وأنه زارها في ألف مقنع، فلم ير باك ولا باكية أكثر من يومئذ.

مجاهد تلفظه الأرض

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا العكلي، قال: أخبرني رجل من أهل البصرة، قال: رأيت رجلا له هيئة وسمت وعليه الصوف، فسألته عن اسمه، فقال: اسمي علي بن محمد فجلست إليه فحدثته فخبرني أنه مضى إلى المصيصة غازيا، فرأى في مسجدها شيخا جميلا هيبا، وحوله قوم يسمعون من حديثه، قال: فجلست إليه فسألني عن حالتي، فقلت: رجل من أهل العراق قدمت أريد وجه الله تعالى والدار الآخرة، فقال: رزقك الله حياة طيبة ومنقلبا كريما، ثم قال لي: إن لي إليك حاجة لا تردني عنها، قلت: نعم، قال: تتحول إلي وتنزل علي فما كان إلا ساعة، ثم نزلت برجل قد وهب الله له قوة على الصيام والقيام وطلب الخير، فأقمت عنده حتى تهيأ لصاحب الثغر الغزو، وخف معه عشرة آلاف من **المطوعة**، فقدم ابنه وكان حدثا، وكان رب منزلي فيمن خرج فخرجت بخروجه، فلما أوغلنا في بلاد العدو دلف إلينا جمع عظيم فوقفنا لهم وأقبل الفتى يحرض الناس ثم برز الشيخ فتكلم، وقال: هذه أبواب الجنة فافتحوها بسيوفكم، فحمل الفتى فأصيب، وحمل الشيخ رب منزلي فأصيب رحمهما الله، ثم إن الله تعالى منحنا أكتاف العدو فقتلنا وأسرنا ورجعنا إلى مواضعنا، فخفرنا لمن أكرمهم الله بالشهادة فدفناهم، ودفنا الشيخ، وسوينا عليه لحده، فارتجت الأرض ورجفت بنا، ثم لفظت الشيخ فوقع على عشرة أذرع من قبره، فقلنا: رجفة أو زلزلة، فحفرنا له قبرا آخر وسوينا عليه، فسمعنا ما هو أهول وأفظع، ولفظت به الأرض أبعد من ذلك الموضع، فحفرنا له قبرا ثالثا ودفناه، فجاءت هدة طاشت منها عقولنا ولفظته الأرض، وسمعنا هاتفا يقول: أيتها العصابة! إن هذا الرجل لم يزل يدعو الله أن يجعل محشره من بطون السباع وحواصل الطير، فدعوه إن الله جل جلاله قد سمع نداه، فتركناه وانصرفنا.

ابن صفوان ينصح السفاح بالاستمتاع بالنساء

---

(١) المعارف، ص/٨٩

حدثنا الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي، قال: حدثنا أبو الفضل الربعي، عن العباس بن الفضل، قال: قال: إسحاق يعني ابن إبراهيم الموصلي، قال شبيب بن شيبة:." (١)

" فتحصن أهلها وكان بابها يطل على واد ولها خندق يطيف بها فحدثني شيخ من مشايخ **المطوعة** وملازمي الثغور يقال له علي بن عبد الله قال حدثني جماعة أن الرشيد لما حصر أهل هرقلة وغمهم وألح بالمجانيق والسهام والعرادات فتح الباب فاستشرف المسلمون لذلك فإذا برجل من أهلها كأكمل الرجال قد خرج في أكمل السلاح فنادى قد طالت مواقعتكم إيانا فليبرز إلي منكم رجلان ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلا فلم يجبه أحد فدخل وأغلق باب الحصن وكان الرشيد نائما فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه فغضب ولام خدمه وغلمانه على تركهم إنباهه وتأسف لفوته فقيل له إن امتناع الناس منه سيغويه ويطغيه وأحر به أن يخرج في غد فيطلب مثل ما طلب فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له ثم إذا هو بالباب قد فتح وخرج طالبا للمبارزة وذلك في يوم شديد الحر وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم فقال الرشيد من له فابتدره جلة القواد كهرثمة ويزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وخزيمة بن حازم وأخيه عبد الله وداود بن يزيد وأخيه فعزم على إخراج بعضهم فضجت **المطوعة** حتى سمع ضجيجهم فأذن لعشرين منهم فاستأذنوه في المشورة فأذن لهم فقال قائلهم يا أمير المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصوت ومداوسة الحروب ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم يكبر ذلك وإن قتله العلج كانت وضيعة على العسكر عجيبة وثلمة لا تسد ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة فإن رأى أمير ." (٢)

" المؤمنين أن يخلينا نختار رجلا فنخرجه إليه فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين قد ظفر بأعزهم على يد رجل من العامة ومن أفناء الناس ليس ممن يوهن قتله ولا يؤثر وإن قتل الرجل فإنما استشهد رجل ولم يؤثر ذهابه في العسكر ولم يثلمه وخرج إليه رجل بعده مثله حتى يقضي الله ما شاء قال الرشيد قد استصوبت رأيكم هذا فاختاروا رجلا منهم يعرف بابن الجزري وكان معروفا في الثغر بالبأس والنجدة فقال الرشيد أتخرج قال نعم وأستعين الله فقال أعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا فقال يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ورمحي بيدي أشد ولكني قد قبلت السيف والترس فلبس سلاحه واستدناه الرشيد فوعده واستتبعه بالدعاء وخرج معه عشرون رجلا من **المطوعة** فلما انقض في الوادي قال لهم العلج وهو يعدهم واحدا

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٢٦٠

(٢) الأغاني، ٢٥١/١٨

واحدا إنما كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلا ولكن لا بأس فنادوه ليس يخرج إليك منا إلا رجل واحد فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله الرومي وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن حتى ظنوا أنه لم يبق في الحصن أحد إلا أشرف فقال الرومي أتصدقني عما أستخبرك قال نعم فقال أنت بالله ابن الجزري قال اللهم نعم فكفر له ثم أخذا في شأنهما فاطعنا حتى طال الأمر بينهما وكاد الفرسان أن يقوما وليس يخدش واحد منهما صاحبه ثم تحاجزا بشيء فزج كل واحد منهما برمحه وأصلت سيفه فتجالدا مليا واشتد الحر عليهما وتبلد الفرسان وجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يرى أنه قد بلغ فيها فيتقيها الرومي وكان ترسه حديدا فيسمع لذلك صوت منكر ويضربه الرومي ضرب منذر لأن ترس ابن الجزري كان درقة فكان العلج يخاف أن يعض بالسيف فيعطب فلما يئس من وصول كل واحد منهما إلى صاحبه انهزم ابن الجزري فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئب مثلها قط ." (١)

"تناثرت أحجاره طويلا، ثم نامت على وسادة الدهر

حتى نام الدهر على وسادتها..

وصحا علىنصيحة المتنبي:

لا تلق دهرك إلا...

ثم تفصلنا الطرقات، عين الرقيب وجفاف قبل المصب في الحلق

عندما يختنق الهاتف بصوتينا المبحوحين،

بل بالكلمات ذاتها التي تسيل في الفواتير الباهظة

كالسيل على منحدر (تدفعينها أنت فيما مضى)

تدفعينها أنت، عندما كانت الأسلاك تنسى

وتداعبنا أحيانا:

كفا قليلا.

تعبنا من أزيز الكهرباء الذي يقرص الخاصرة،

من العازل الطبي المضمخ بالعطر

والمنحدر الذي ما عاد في مكانه بعد أن هبت

ريح أخرى، بعد أن ذبلت أزهار السيل..

---

(١) الأغاني، ١٨/٢٥٢

واقتفى المتنبي آثار قافيته

كفا، كفا قليلا..

(ولم نكف حتى اليوم)

في خرجه أثر القافية..

في حقيبتك بطاقة الباب الممغنطة

وفي رأسي هذا (كلما نسيت النصيحة)

أرقامها السرية .

شعراء الجزيرة العربية >> محمد الحارثي >> فتاة اليونيسيف

فتاة اليونيسيف

رقم القصيدة : ٣٣٥٤6

في 1٠/٣/٢٠٤١ من عام النمر التقينا.

في ليلة كان عليها أن تدور على الحانات بحثا

عن متبرع لصالح الطفولة الشقية. أنا وفتاة اليونيسيف

المتطوعة لاستجداء السياح

بضعة قروش (مقابل طيف بوذا أو تمثال للملك).

وعدتها بضعف المبلغ المقترح للمنظمة ليلة محفل القمر المكتمل.

تمنعت في البداية، لكنها رافقتني في الطريق المظلم إلى جنة

الساعة الواحدة.

مختارا طيف بوذا تذكارا لا ينسى

من اليونيسيف، بعد أن توقفت المروحة

وتصبب العرق في الشرشف،

مبجلا تعاليمه في جنة الساعتين.

هكذا كان الوداع، دون أن يخطر

في بالي طيف ابتسامة، في نوم

الصباحات التالية، يطل من البحر بزهرة أوركيد

وتمثال جديد للملك.

شعراء الجزيرة العربية >> محمد الحارثي >> غلمان الباوهاوس

غلمان الباوهاوس

رقم القصيدة : ٦٣٣٥٥

-----------------------------------. " (١)

"صلاة الجنازة فإن المحاذاة لا تفسدها ؛ لأنها ليست بصلاة على الحقيقة ، وإنما هي دعاء للميت ، وإنما لا يصح اقتداء الرجل بالمرأة فيها لشبهها بالصلاة المطلقة في اشتمالها على التحريم والتحليل وشرط الاشتراك وهو يتحقق باتحاد الفرضين وباقتداء **المتطوعة** بالمتطوع وبالمفترض ، وأن يكون الاشتراك تحريمة وأداء حتى لا تكون المحاذاة في أداء ما سبقا به مفسدة ؛ لأن المسبوق في أداء ما سبق منفرد بدليل وجوب القراءة وسجدة السهو فلم يكونا مشتركين أداء بخلاف اللاحق ؛ لأنه يؤدي مع الإمام تقديرا .

فإن قيل : إذا اقتدت ناوية للعصر برجل يصلي الظهر لم يصح اقتداؤها فرضا ، وإنما يصح نفلا فقد وجدت الشروط ولم تفسد الصلاة .

أجيب بالمنع وشرط عدم الحائل ؛ لأنه إذا كان بينهما حائل مثل مؤخرة الرحل لا تفسد ، وقد ظهر من هذا أنه إذا فات شرط من شروطها لا تفسد لما قال إنها عرفت مفسدة بالنص ، وهو ما روى أنس رضي الله عنه أن جدته مليكة صنعت طعاما إلى آخر ما روينا ، بخلاف القياس فيراعى جميع ما ورد به النص ، وأما إذا وجدت هذه الشروط كلها فإنها تفسد عندنا خلافا للشافعي وهو القياس اعتبارا بصلاتها فإنها لا تفسد .

ووجهه ظاهر ؛ لأن المحاذاة لما لم توجب فساد صلاة المرأة لم توجب فساد صلاة الرجل ؛ لأن المحاذاة فعل يتحقق من الجانبين .

ووجه الاستحسان وهو الذي ذهب إليه علماؤنا أن هذا ترك فرض مقام الإمام ، ومن ترك فرض المقام فسدت صلاته ، أما أنه ترك." (٢)

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٦٥/٦٧

(٢) العناية شرح الهداية، ٧٨/٢

"يعنى لا ينبغى له أن يعاقبه في المرة الاولى لان هذه عثرة منه - وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم (١) "، ولكن يتقدم إليه وإلى الجند جميعا أنه يؤدب من خالف أمره بعد ذلك، فيكون ذلك إنذارا منه.

قال صلى الله عليه وسلم: " قد أعذر من أنذر ".

وبيان هذا في قوله تعالى ﴿ وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾ (٢)، فإن عصاه عاص بعد ذلك من غير عذر فما أحسن أدبه في ذلك ليكون ذلك فطاما له وزجرا لغيره عن إساءة الادب لمخالفة أمره، فإن امتناع الناس مما لا يحل لمخالفة العقوبة أكثر من امتناعهم خوفا من الله تعالى.

وبه ورد الاثر، قال صلى الله عليه وسلم: " إن الله يزع (٣) بالسلطان فوق ما يزع بالقرآن " (٤).

١٧٤ - وإن ادعى عذرا يعتذر به وحلف على ذلك فلا سبيل له عليه، لانه أخبر بخبر محتمل للصدق (٥)، وأكد ذلك بيمينه.

فينبغي أن يكف عنه إذ ليس ها هنا خصم ينازعه في ذلك وإنما لا يجعل اليمين في جانب المدعى في الخصومات، لان الخصم ينازعه في ذلك.

والشرع جعل اليمين في جانب المنكر دون المدعى.

١٧٥ - وإذا نادى منادى الامير أن الساقة غدا على أهل الكوفة فلا يتخلفن رجل من أهل الديوان ولا من المطوعة (٦).

لانهم جميعا رعيته حين خرجوا للجهاد تحت رايته، فعليهم طاعته، إلا أن يكون الامر المشهور أنه إذا نادى بهذا يريد به أهل الديوان خاصة، فحينئذ الثابت بالعرف كالثابت بالنص.

---

(١) في هامش ق " يعنى اتركوا لاهل المروءآت ذلاتهم.
كذا في المناوى ".

(٢) سورة ق، ٥٠، الآية ٢٨.

(٣) في هامش ق " وزعته كوضع وزعا كففته.
قاموس " " والكف الصرف - قاموس ".

(٤) ب " ما نزع السلطان فوق ما نزع القرآن " هـ " إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن "
ط " ان الله وزع... " والبقية مثل هـ أثبتنا رواية ق لقربها من رواية ب، أ.

(٥) ط، ق " يحتمل الصدق ".

(٦) في هامش " أهل الديوان ما أجرى عليهم وثبت أساميهم في الجريدة، والمطوعة ما خرجوا طائعيين بغير أجر.

حصيرى ".

[*]." (١)

" تشبها بالصائمين كذا في البدائع في فصل حكم الصوم المؤقت وكذا الذي أكل وهو يرى أن الشمس قد غابت فظهر أنها لم تغب وكذا من أفطر خطأ أو مكرها هكذا في الخلاصة وقيل الإمساك مستحب لا واجب والصحيح الوجوب كذا في فتح القدير وأجمعوا على أنه لا يجب التشبه بالصائم على الحائض والنفساء والمريض والمسافر كذا في الخلاصة وهل تأكل الحائض سرا أو جهرا قيل سرا وقيل جهرا وللمسافر والمريض الأكل جهرا رواية واحدة كذا في السراج الوهاج ومن دخل في صوم التطوع ثم أفسده قضاه كذا في الهداية سواء حصل الفساد بصنعه أو بغير صنعه حتى إذا حاضت الصائمة المتطوعة يجب القضاء في أصح الروايتين كذا في النهاية اختلف أصحابنا رضي الله تعالى عنهم في الصوم المظنون إذا أفسده بأن شرع في صوم أو صلاة على ظن أنه عليه ثم تبين أنه ليس عليه فأفطر متعمدا قال أصحابنا الثلاثة لا قضاء عليه لكن الأفضل أن يمضي فيه وعلى هذا الخلاف إذا شرع في صوم الكفارة ثم أيسر في خلاله فأفطر متعمدا كذا في البدائع إذا نوى صوم القضاء بعد طلوع الفجر ولم يصح عن القضاء هل يصح عن التطوع قال الإمام النسفي إنه يصح وإن أفطر يلزمه القضاء كذا في الخلاصة ومن لم ينو رمضان كله صوما ولا فطرا فعليه قضاؤه كذا في الهداية ولا كفارة بإفساد صوم غير رمضان كذا في الكنز كفارة الفطر وكفارة الظهار واحدة ١ وهي عتق رقبة مؤمنة أو كافرة فإن لم يقدر على العتق فعليه صيام شهرين متتابعين وإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكينا كل مسكين صاعا من تمر أو شعير أو نصف صاع من حنطة وإنما يعتبر حال المكفر في جميع الكفارات وقت الأداء لا وقت وجوبها فإن كان وقت الأداء معسرا يجزيه الصيام وإن كان موسرا وقت الوجوب كذا في الخلاصة ولو جامع مرارا في أيام من رمضان واحد ولم يكفر كان عليه كفارة واحدة ولو جامع وكفر ثم جامع عليه كفارة أخرى في ظاهر الرواية كذا في فتح القدير ولو أفطر في يوم فأعتق ثم أفطر في اليوم الثاني فأعتق ثم أفطر في اليوم الثالث فأعتق ثم استحقت الرقبة الأولى فلا شيء عليه وكذا لو استحقت الثانية ولو استحقت الثالثة فعليه إعتاق رقبة واحدة لأن ما تقدم لا يجزئ

---

(١) السير الكبير، ١/١٦٩

عما تأخر ولو استحقت الثانية أيضا فعليه إعتاق رقبة واحدة لليوم الثاني والثالث ولو استحقت الأولى أيضا فعليه كفارة واحدة ولو استحقت الأولى والثالثة أعتق رقبة واحدة لليوم الثالث ولو جامع في رمضانين ولم يكفر للأول فعليه لكل جماع كفارة في الظاهر كذا في البدائع إذا لزمت الكفارة على السلطان وهو موسر بماله الحلال وليس عليه تبعة لأحد يفتى بإعتاق الرقبة كذا في البحر الرائق شهر رمضان إذا جاء يوم الخميس ويوم عرفة جاء يوم الخميس أيضا كان ذلك اليوم يوم عرفة لا يوم الأضحى حتى لا تجوز التضحية في هذا اليوم اعتمادا على قول علي رضي الله عنه يوم نحركم يوم صومكم لأنه يحتمل أنه أراد به ذلك العام دون الأبد كذا في فتاوى قاضي خان في فصل رؤية الهلال ٢ اعلم أن الصيامات اللازمة فرضا ثلاثة عشر سبعة منها يجب فيها التتابع وهي رمضان وكفارة القتل وكفارة الظهار وكفارة اليمين وكفارة الإفطار في رمضان والنذر المعين وصوم اليمين المعين وستة لا يجب فيها التتابع وهي قضاء رمضان وصوم المتعة وصوم كفارة الحلق وصوم جزاء الصيد وصوم النذر المطلق وصوم اليمين بأن قال والله لأصومن شهرا كذا في البحر الرائق ثم إذا كان مخيرا في قضاء رمضان فالمتابعة مستحقة مسارعة إلى

". (١)

"والمماثلة بين الصلاة والصوم ثابتة ومثل مثل الشيء جاز أن يكون مثلا لذلك الشيء وعلى تقدير ذلك يجب الإطعام وعلى تقدير عدمها لا يجب فالاحتياط في الإيجاب فإن كان الواقع ثبوت المماثلة حصل المقصود الذي هو السقوط وإلا كان برا مبتدأ يصلح ماحيا للسيئات ولذا قال محمد فيه يجزيه إن شاء الله تعالى من غير جزم كما قال في تبرع الوارث بالإطعام بخلاف إيصائه به عن الصوم فإنه جزم بالإجزاء قوله هو الصحيح احتراز من قول ابن مقاتل إنه يطعم لكل صلاة يوم مسكينا لأنها كصيام يوم ثم رجع إلى ما في الكتاب لأن كل صلاة فرض على حدة فكانت كصوم يوم قوله ومن دخل في صوم التطوع ثم أفسده قضاه لا خلاف بين أصحابنا رحمهم الله في وجوب القضاء إذا فسد عن قصد أو غير قصد بأن عرض الحيض للصائمة المتطوعة خلافا للشافعي رحمه الله وإنما اختلاف الرواية في نفس الإفساد هل يباح أولا ظاهر الرواية لا إلا بعذر ورواية المنتقى يباح بلا عذر

---

(١) الفتاوى الهندية، ٢١٥/١

ثم اختلف المشايخ رحمهم الله على ظاهر الرواية هل الضيافة عذر أو لا قيل نعم وقيل لا وقيل عذر قبل الزوال لا بعده إلا إذا كان في عدم الفطر بعده عقوق لأحد الوالدين لا غيرهما حتى لو حلف عليه رجل بالطلاق الثلاث ليفطرن لا يفطر

وقيل إن كان صاحب الطعام يرضى بمجرد حضوره وإن لم يأكل لا يباح الفطر وإن كان يتأذى بذلك يفطر

واعتقادي أن روية المنتقى أوجه وعلى اعتبار ذلك ينصب الكلام في خلافية الشافعي رحمه الله آخرا ويتبين وجه اختيارنا لها في ضمنه إن شاء الله تعالى وأحسن ما يستدل به للشافعي رحمه الله ما في مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل على النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل عندكم شيء فقلنا لا قال فإني إذا صائم ثم أتانا يوما آخر فقلنا يا رسول الله أهدى لنا حيس قال أرنيه

." (١)

"في آخره بمرة

وعن أبي يوسف لو أعطي نصف صاع من برعن (((بر))) عن يوم واحد لمساكين يجوز

قالالحسن وبه نأخذ وإن أعطى مسكينا عن يومين فعن أبي يوسف روايتان

وعند أبي حنيفة لا يجزئه كالإطعام في كفارة اليمين

وفي الفتاوي الظهيرية استشهادا لكون البدل لا بدل له

وذكر الصدر الشهيد إذا كان جميع رأسه مجروحا فربط الجبيرة لم يجب عليه أن يمسح هنا أصل منصوص عليه لا بدل عن غيره ا هـ

قوله (وللمتطوع بغير عذر في رواية ويقضي) أي له الفطر بعذر وبغيره وإذا أفطر قضى إن كان نفلا قصديا وهذه الرواية عن أبي يوسف وظاهر الرواية أنه ليس له الفطر إلا من عذر

وصححه في المحيط

وإنما اقتصر على هذه الرواية لأنها أرجح من جهة الدليل ولهذا اختارها المحقق في فتح القدير وقال إن الأدلة (((الدلالة))) تظافرت (((تضافرت))) عليها وهي أوجه

---

(١) شرح فتح القدير، ٣٦٠/٢

ثم اختلف المشايخ على ظاهر الرواية هل الضيافة عذر أو لا قيل نعم وقيل لا وقيل عذر قبل الزوال لا بعده إلا إذا كان في عدم الفطر بعده عقوق لأحد الوالدين لا غيرهما حتى لو حلف عليه رجل بالطلاق الثلاث ليفطرن لا يفطر

وقيل إن كان صاحب الطعام يرضى بمجرد حضوره وإن لم يأكل لا يباح الفطر وإن كان يتأذى بذلك يفطر

كذا في فتح القدير

ولم يصحح شيئا كما ترى

وفي الكافي والأظهر أنها عذر

وصحح قاضيخان في شرح الجامع الصغير من أحكام الخلوة أن الضيافة عذر

وفي الفتاوي الظهيرية قالوا والصحيح من المذهب أنه ينظر في ذلك إن كان صاحب الدعوة ممن يرضى بمجرد حضوره ولا يتأذى بترك الإفطار لا يفطر

وقال شمس الأئمة الحلواني أحسن ما قيل في هذا الباب أنه إن كان يثق من نفسه القضاء يفطر دفعا للأذى عن أخيه المسلم وإن كان لا يثق لا يفطر وإن كان في ترك الإفطار أذى أخيه المسلم

وفي مسألة اليمين يجب أن يكون الجواب على هذا التفصيل ا هـ

وفي موضع آخر منها وإن كان صائما عن قضاء رمضان يكره له أن يفطر لأن له حكم رمضان ا هـ

ولهذا لا يفطر لو حلف رجل بالطلاق ليفطرن كذا في المحيط

وفي النهاية الأظهر أن الضيافة عذر

وفي البزازية لو حلف بطلاق امرأته إن لم يفطر أن نفلا أفطر وإن قضاء لا والاعتماد على أنه يفطر فيهما ولا يحنثه وإذا قلنا بأن الضيافة عذر في التطوع تكون عذرا في حق الضيف والمضيف

كذا في شرح الوقاية

وأطلق في قضاء التطوع فشمل ما إذا كان فطره عن قصد أو لا بأن عرض الحيض للصائمة المتطوعة في أصح الروايتين

كذا في النهاية

وقيدنا النفل بكونه قصديا لأنه لو شرع على ظن أنه عليه ثم علم أنه لا شيء عليه كان متطوعا والأحسن أن يتمه فإن أفطر لا قضاء عليه

كذا في المحيط وغيره

وقيده صاحب الهداية في التجنيس بأن لا يمضي عليه ساعة من حين ظهر بأن لا شيء عليه فإن مضى ساعة ثم أفطر فعليه القضاء لأنه لما مضى عليه ساعة صار كأنه نوى في هذه الساعة فإن (((فإذا))) كان قبل الزوال صار شارعا في صوم التطوع فيجب عليه ثم قال إذا نوى الصوم للقضاء بعد طلوع الفجر حتى لا تصبح (((تصح))) نيته عن القضاء يصير صائما وإن أفطر يلزمه القضاء كما إذا نوى التطوع ابتداء وهذه ترد إشكالا على مسألة المظنون ا هـ

وقد تقدم الكلام عليه عند قوله وما بقي لم يجز إلا بنية معينة

وفي البدائع إذا شرع في صوم الكفارة ثم أيسر في خلاله لا قضاء عليه

وفي الفتاوي الظهيرية ويكره للعبد أو للأجير أو للمرأة أن يتطوع بالصوم إلا أن يأذن من له حق فيه ومن له الحق له أن يفطره

وفي الولوالجية وابنة الرجل وقرابته تتطوع بدون إذنه لأنه لا يفوت حقه ا هـ

وقيد في المحيط والولوالجية كراهة صوم المرأة بأن يضر بالزوج أما إذا كان لا يضره بأن كان صائما أو مريضا فلها أن تصوم وليس له منعها لأنه ليس فيه إبطال حقه بخلاف العبد والمدبر وأم

". (١)

"الحشر : ٧] ، ولأنه كالمتروك رعبا في كونه فيئا ، فوجب أن يكون مخمسا .

والقول الثاني قاله في القديم : أنه لا يخمس : لأنه لما كان في الغنيمة مالا يخمس وهو السلب ، كان في الفيء مالا يخمس وهو العقار ، والأول من هذين القولين أشهر وأصح .

فأما أربعة أخماس الفيء ففي مصرفه الآن قولان للشافعي : أحدهما : أنه مصروف في مصالح المسلمين العامة من أرزاق المقاتلة والأئمة والقضاة وبناء الحصون والمساجد والقناطر وإعداد القلاع والسلاح : لأن رسول الله - ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ - كان يتملك ذلك فيصرفه في هذه المصالح ، فكذلك بعد موته .

والقول الثاني : أنه مصروف في أرزاق الجيش المقاتلة الخاصة المندوبون لجهاد الجزء الثامن (٢) العدو

---

(١) البحر الرائق، ٢/٣٠٩

(٢) ٤٤٣

والذب عن البيضة والمنع من الحريم ، لأنهم القائمون بذلك بعد الرسول فملكوا بعده ما كان له .

وجملة المجاهدين ضربان : مرتزقة ، ومتطوعة .

فأما المرتزقة فهم الذين فرغوا أنفسهم للجهاد فلم يشغلوا إلا به الفيء وثبتوا في الديوان فصاروا جيشا للمسلمين ومقاتلة للمشركين ، فهؤلاء يرزقون من أربعة أخماس الفيء ولا حق لهم في الصدقات ، وأما **المتطوعة** فهم أرباب المعائش والصنائع ،." (١)

"والأعراب الذين يتطوعون بالجهاد إن شاءوا ويقعدون عنه إن أحبوا ولم يثبتوا في الديوان ولا جعل لهم رزق ، فهؤلاء يعطون من الصدقات من سهم سبيل الله ولا حق لهم في الفيء : ولهذا تميز أهل الصدقة عن أهل الفيء .

وقد كان **المتطوعة** يسمون أعرابا ، ويسمى المقاتلة مهاجرين فتميزوا بهذين الاثنين لتميزهم في المالين ، ومنه قول الشاعر : قد حسها الليل بعصلبي أروع خراج من الدوي مهاجر ليس بأعرابي ." (٢)

" مسألة : قال الشافعي : " فإن كان فيهم رجل من أهل الفيء ضرب عليه البعث في الغزو ولم يعط ، فإن قال لا أغزو واحتاج أعطي ، فإن هاجر بدوي (واحتاج) واقترض وغزا صار من أهل الفيء وأخذ فيه ، ولو احتاج وهو في الفيء لم يكن له أن يأخذ من الصدقات حتى يخرج من الفيء ويعود إلى الصدقات فيكون ذلك له " .

قال الماوردي : وهذا كما قال ، قد ذكرنا أن أهل الفيء بمعزل عن أهل الصدقات ينصرف إليهم مال الفيء دون الصدقات ، وأهل الصدقات بمعزل عن أهل الفيء ينصرف إليهم مال الصدقات دون الفيء ، وضرب هم من أهل الصدقة ، فأما غزاة أهل الفيء فهم المقترضون في ديوان الفيء من المقاتلة فهم لا يعطون أرزاقهم من مال الفيء ، ولا يجوز أن يعطوا من الصدقات ، وأما غزاة أهل الصدقات فهم **المتطوعة** من الأعراب وأهل الصنائع من أهل الأمصار الذين إن شاءوا غزوا وإن شاءوا أقاموا ، فهؤلاء إذا أرادوا الغزو أعطوا من مال الصدقات من سهم سبيل الله ، ولم يجز أن يعطوا من مال الفيء لرواية ابن عباس وقال :

---

(١) الحاوى الكبير ـ الماوردى، ٨/١١١٨

(٢) الحاوى الكبير ـ الماوردى، ٨/١١١٩

كان أهل الفيء على عهد رسول الله – ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ – بمعزل عن أهل الصدقات ، وأهل الصدقات بمعزل عن أهل الفيء ، فلو أن رجلا من أهل." (١)

" فصل : والقسم الثالث : أن يجعل لجميع من غزا معه ألف دينار للإمام فهذا على ضربين : أحدهما : أن يكون المال في الذمة ، فيدخل في الجعالة من المسلمين من غزا من المتطوعة دون مرتزقة أهل الفيء ، ويدخل فيها من المشركين أهل الذمة دون المعاهدين ، على ما ذكرنا في الجعالة المفردة ، ثم يقسم ذلك بين جميعهم من المسلمين ، وأهل الذمة ، على أعداد رءوسهم ، قلوا أو كثروا ، ولا يفضل مسلم على ذمي ، ولا من يسهم له على من لا يسهم له ، ولا يدخل فيها من العبيد المأذون لهم إلا من لا يدخل فيها سيده : لأنه يعود على سيده ، ولا يملك فيصير سيده بذلك مفضلا على غيره ، ووجوب التسوية بينهم تمنع من التفضيل ، بخلاف الجعالة المفردة .

وأما النساء فإن جعلت على القتال دخلن ، وإن جعلت على الغزو لم يدخلن كالجعالة المفردة .

فأما الصبيان فإن لم يدخل فيها أولياؤهم لم يدخلوا كالجعالة المفردة ، وإن دخل فيها أولياؤهم دخلوا بخلاف الجعالة المفردة : لأن العقد في الجعالة الجامعة واحد فدخلوا فيه تبعا ، وفي المفردة عقود فلم يكونوا فيه تبعا .

والضرب الثاني : أن يكون مال هذه الجعالة معينا فيقول : قد حصلت لجميع من غزا معي." (٢)

"هذا المال الحاضر ، فيصح هذا سواء كان المال معلوما ، أو مجهولا : لأنه لما صح بالمعلوم لعدد مجهول صح بالمجهول ، ويكون الداخل في هذه الجعالة معتبرا بحكم المال ، وهو على ثلاثة أضرب : أحدها : أن يكون من مال الصدقات فيخرج المشركون من هذه الجعالة : لأنه لا حق لهم في مال الصدقات ، ويدخل فيها المتطوعة من المسلمين دون مرتزقة أهل الفيء ، ولا يجوز أن يسترجع منهم إن لم يغزوا : لأنهم أخذوا ما يستحقونه بغير جعالة .

والضرب الثاني : أن يكون من مال المصالح وهو سهم رسول الله – ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ – المعد لمصالح المسلمين العامة ، فيدخل فيها متطوعة المسلمين ، وأهل الذمة من المشركين : لأنه مال يصح مصرفه إلى الفريقين ، فإن لم يغزوا استرجع ما أخذه المشركون ، ولم يسترجع ما أخذه المسلمون : لأنه مال مرصد لمصالح المسلمين دون المشركين .

---

(١) الحاوى الكبير . الماوردى، ١٣٧٣/٨

(٢) الحاوى الكبير . الماوردى، ٢٨٧/١٤

والضرب الثالث : أن يكون المال من أربعة أخماس الفيء ففي هذه الجعالة المعقودة به قولان من اختلاف القولين في وجوب مصرفه : الجزء الرابع عشر (١) أحدهما : أنها باطلة إذا قيل : إن مصرفه في الجيش خاصة : لأنه موقوف على أرزاقهم ، فإذا استوفوها لم يستحقوا غيرها ولم." (٢)

" العدو والذب عن البيضة والمنع من الحريم ، لأنهم القائمون بذلك بعد الرسول فملكوا بعده ما كان له . وجملة المجاهدين ضربان : مرتزقة ، ومتطوعة . فأما المرتزقة فهم الذين فرغوا أنفسهم للجهاد فلم يشغلوا إلا به الفيء وثبتوا في الديوان فصاروا جيشا للمسلمين ومقاتلة للمشركين ، فهؤلاء يرزقون من أربعة أخماس الفيء ولا حق لهم في الصدقات ، وأما **المتطوعة** فهم أرباب المعائش والصنائع ، والأعراب الذين يتطوعون بالجهاد إن شاءوا ويقعدون عنه إن أحبوا ولم يثبتوا في الديوان ولا جعل لهم رزق ، فهؤلاء يعطون من الصدقات من سهم سبيل الله ولا حق لهم في الفيء : ولهذا تميز أهل الصدقة عن أهل الفيء . وقد كان **المتطوعة** يسمون أعرابا ، ويسمى المقاتلة مهاجرين فتميزوا بهذين الاثنين لتميزهم في المالين ، ومنه قول الشاعر : قد حسها الليل بعصلبي أروع خراج من الدوي مهاجر ليس بأعرابي

فصل : وإذ قد تميز أهل الفيء عن أهل الصدقة بما وصفنا ، فسنذكر أهل الصدقة في قسم الصدقات ونبين حكم أهل الفيء فنقول : ينبغي للإمام أن يثبت المقاتلة في جميع الثغور والبلدان في ديوانه وما يحتاجون إليه في نفقاتهم ومؤناتهم فيعطيهم من مال الفيء قدر كفاياتهم حتى لا يتشاغلوا باكتساب المال عن جهاد العدو ويكونوا متشاغلين بالحرب في الذب عن البيضة . وإذا لزم الإمام القيام بكفايتهم فكفايتهم تختلف من خمسة أوجه : أحدها : كثرة العيال وقلتهم الذين تلزم نفقاتهم من الأولاد والزوجات والعبيد والخدم ، فيثبت ذرية كل واحد منهم وهم من لم يبلغ من أولاده فثبت ما يحتاجون إليه في حال الفقر ، ثم في حال النشوء والكبر ، هذا معنى قول الشافعي : وتعطي المنفوس شيئا وكلما كبر يزاد على قدر مؤنته ، يعني : أنه يعطي أباه لأجله ويزيد لكبره . ويفعل مثل ذلك في الزوجات والعبيد والخدم ليعلم بذلك قدر مؤنته . والثاني : أن يعرف حاله هل هو من الرجالة أو الفرسان ، فإن كان من الفرسان عرف عدد خيله وظهره . والثالث : أن يعرف حال بلده في قربه من المغزى وبعده ، فإنه إن بعد كثرت مؤنته وإن قرب قلت

---

(١) ١٣٦

(٢) الحاوى الكبير . الماوردى، ١٤/٢٨٨

. والرابع : أن يعرف خصب بلده وجدبه ، فإن المؤن في بلاد الخصب قليلة في بلاد الجدب كثيرة . والخامس : أن يعرف غلاء السعر ورخصه ليزيده مع الغلاء وينقصه مع الرخص ، ." (١)

" اتفقا ، فاختلافهما أن يكون أحدهما لحاجته إلينا والآخر لحاجتنا إليه كالعامل إذا كان فقيرا والغازي إذا كان مسكينا ، واتفاقهما أن يكونا معا لحاجته إلينا كالفقير إذا كان غارما والمسكين إذا كان مكاتبا ، كما أنه لا يورث أحد بسببين متفقين كفرضين أو نصيبين ويورث بسببين مختلفين من فرض وتعصيب ، فإذا تقرر هذا وقيل : إنه لا يعطى بهما وكان فقيرا غارما ، خير في إعطائه بأي السببين شاء من فقر وغرم ، فإن اختار أن يعطى بالفقر سلم إليه وكان لصاحب الدين أن يأخذه من دينه ، وإن اختار أن يعطى بالغرم جاز أن يسلم إليه وجاز أن يعطيه لصاحب الدين بأمره . فإن قيل : فأيهما أولى ؟ قلنا : إن كان بقدر دينه كله فأولى دفعه إلى صاحب الدين ، وإن كان أقل فالأولى دفعه إلى الغارم لعله أن يتجر به فينمى ، وإن قيل : يجوز أن يعطى بالسببين ، أعطي بالفقر والغرم ، فإن كان في سهم الغرم وفاء لدينه استبقى سهم الفقر ، وإن كان يعجز عن دينه كان له أن يأخذ منه سهم الفقر ليستوفي دينه ، والله أعلم بالصواب .

مسألة : قال الشافعي : " فإن كان فيهم رجل من أهل الفيء ضرب عليه البعث في الغزو ولم يعط ، فإن قال لا أغزو واحتاج أعطي ، فإن هاجر بدوي (واحتاج) واقترض وغزا صار من أهل الفيء وأخذ فيه ، ولو احتاج وهو في الفيء لم يكن له أن يأخذ من الصدقات حتى يخرج من الفيء ويعود إلى الصدقات فيكون ذلك له " . قال الماوردي : وهذا كما قال ، قد ذكرنا أن أهل الفيء بمعزل عن أهل الصدقات ينصرف إليهم مال الفيء دون الصدقات ، وأهل الصدقات بمعزل عن أهل الفيء ينصرف إليهم مال الصدقات دون الفيء ، وضرب هم من أهل الصدقة ، فأما غزاة أهل الفيء فهم المقترضون في ديوان الفيء من المقاتلة فهم لا يعطون أرزاقهم من مال الفيء ، ولا يجوز أن يعطوا من الصدقات ، وأما غزاة أهل الصدقات فهم المتطوعة من الأعراب وأهل الصنائع من أهل الأمصار الذين إن شاءوا غزوا وإن شاءوا أقاموا ، فهؤلاء إذا أرادوا الغزو أعطوا من مال الصدقات من سهم سبيل الله ، ولم يجز أن يعطوا من مال الفيء لرواية ابن عباس وقال : كان أهل الفيء على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمعزل عن أهل الصدقات ، وأهل الصدقات بمعزل عن أهل الفيء ، فلو أن رجلا من أهل الفيء معترضا في ديوانه ضرب عليه البعث في

---

(١) الحاوي في فقه الشافعي – الماوردي، ٤٤٣/٨

الغزو أو لم يضرب عليه فأراد الخروج من أهل الفيء والدخول في أهل الصدقات ليغزو إن شاء ويقعد عنه إن اختار كان ذلك له : لأنه لم يكن عليه عقد لازم ، وإنما هو جعالة فيسقط رزقه من ديوان الفيء ويعطى من مال الصدقات ، ولو أن أعرابيا من أهل الصدقات هاجر وأراد أن يقترض من ديوان الفيء جاز أن يقرضه الإمام ، فإذا رآه الإمام أهلا لذلك خرج من أهل الصدقات .

مسألة : قال الشافعي – رحمه الله تعالى – : " وإن لم يكن رقاب ولا مؤلفة ولا غارمون ، ابتدئ القسم على خمسة أسهم أخماسا على ما وصفت ، فإن ضاقت الصدقة قسمت على ." (١)

" الذي اخترته يستحقها ، وإن بلغ ، ذلك وزاد عليه ، ولا يستحق المشرك من الغنم سهما ، ولا رضخا : لأنه لا يستحق بغير جعالة ، فكان أولى أن لا يستحقه مع الجعالة .

فصل : والقسم الثالث : أن يجعل لجميع من غزا معه ألف دينار للإمام فهذا على ضربين : أحدهما : أن يكون المال في الذمة ، فيدخل في الجعالة من المسلمين من غزا من المتطوعة دون مرتزقة أهل الفيء ، ويدخل فيها من المشركين أهل الذمة دون المعاهدين ، على ما ذكرنا في الجعالة المفردة ، ثم يقسم ذلك بين جميعهم من المسلمين ، وأهل الذمة ، على أعداد رءوسهم ، قلوا أو كثروا ، ولا يفضل مسلم على ذمي ، ولا من يسهم له على من لا يسهم له ، ولا يدخل فيها من العبيد المأذون لهم إلا من لا يدخل فيها سيده : لأنه يعود على سيده ، ولا يملك فيصير سيده بذلك مفضلا على غيره ، ووجوب التسوية بينهم تمنع من التفضيل ، بخلاف الجعالة المفردة . وأما النساء فإن جعلت على القتال دخلن ، وإن جعلت على الغزو لم يدخلن كالجعالة المفردة . فأما الصبيان فإن لم يدخل فيها أولياؤهم لم يدخلوا كالجعالة المفردة ، وإن دخل فيها أولياؤهم دخلوا بخلاف الجعالة المفردة : لأن العقد في الجعالة الجامعة واحد فدخلوا فيه تبعا ، وفي المفردة عقود فلم يكونوا فيه تبعا . والضرب الثاني : أن يكون مال هذه الجعالة معينا فيقول : قد حصلت لجميع من غزا معي هذا المال الحاضر ، فيصح هذا سواء كان المال معلوما ، أو مجهولا : لأنه لما صح بالمعلوم لعدد مجهول صح بالمجهول ، ويكون الداخل في هذه الجعالة معتبرا بحكم المال ، وهو على ثلاثة أضرب : أحدها : أن يكون من مال الصدقات فيخرج المشركون من هذه الجعالة : لأنه لا حق لهم في مال الصدقات ، ويدخل فيها المتطوعة من المسلمين دون مرتزقة أهل الفيء ، ولا يجوز أن

---

(١) الحاوي في فقه الشافعي – الماوردي، ٨/٥٤١

يسترجع منهم إن لم يغزوا : لأنهم أخذوا ما يستحقونه بغير جعالة . والضرب الثاني : أن يكون من مال المصالح وهو سهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المعد لمصالح المسلمين العامة ، فيدخل فيها متطوعة المسلمين ، وأهل الذمة من المشركين : لأنه مال يصح مصرفه إلى الفريقين ، فإن لم يغزوا استرجع ما أخذه المشركون ، ولم يسترجع ما أخذه المسلمون : لأنه مال مرصد لمصالح المسلمين دون المشركين . والضرب الثالث : أن يكون المال من أربعة أخماس الفيء ففي هذه الجعالة المعقودة به قولان من اختلاف القولين في وجوب مصرفه : ." (١)

" =كتاب قسم الفيء والغنيمة =

الفيء مال حصل

لنا

من كفار بلا قتال وايجاف

أي اسراع

خيل و

لا سير

ركاب

أي إبل ونحوها كبغال وحمير فمتى حصل المال بأحد هذه الأشياء انتفى عنه اسم الفيء فالشرط فيه انتفاء كل واحد وذلك

كجزية وعشر تجارة

من كفار

وما جلوا

أي تفرقوا

عنه خوفا

من المسلمين

ومال مرتد قتل أو مات

---

(١) الحاوي في فقه الشافعي – الماوردي، ١٣٥/١٤

على ردته

وذمي مات بلا وارث فيخمس

جميعه خمسة أقسام متساوية

وخمسه

أي الفئ

لخمسة أحدها مصالح المسلمين كالثغور

أي سدها وتحصينها جمع ثغر وهي مواضع الخوف من أطراف بلاد المسلمين

و

أرزاق

القضاه والعلماء

وكل ما فيه مصلحة عامة للمسلمين كمعلمي القرآن وكذلك العاجز عن الكسب مع الفقر

يقدم الأهم

فالأهم وجوبا وأهما الثغور

والثاني بنو هاشم والمطلب يشترك الغني والفقير والنساء

في خمس الخمس

و

لكن

يفضل الذكر

على الأنثى

كالإرث والثالث اليتامى

جمع يتيم

وهو صغير لا أب له

وهو مسلم ولو ابن زنا

ويشترط فقره على المشهور

ومقابله لا يشترط

والرابع والخامس المساكين وابن السبيل

وسيأتي بيانهما ويشترط في ابن السبيل الفقر

ويعم

الامام

الأصناف الأربعة المتأخرة

بالعطاء وجوبا ولا يجوز الاقتصار على ثلاثة من كل صنف

وقيل بخص بالحاصل في كل ناحية من فيها منهم

كالزكاة

وأما الأخماس الأربعة فالأظهر أنها للمرتزقة وهم الاجناد المرصدون للجهاد

بتعيين الامام وأما المتطوعة وهم الذين يغزون إذا نشطوا فإنما يعطون من الزكاة

فيضع الامام

لهم

ديوانا

وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماؤهم وقدر أعطياتهم

وينصب لكل قبيلة أو جماعة عريفا

ليجمعهم عند الحاجة ويعرفه بأحوالهم

". (١)

"ركبها حيث أذنا له فنقصت بركوبه ضمن النقصان والله أعلم (الثالثة) إذا ولد الهدي أو الاضحية المتطوعة بهما فالولد ملك له كالام فيتصرف فيه بما شاء من بيع وغيره كالام * ولو ولدت التي عينها ابتداء بالنذر هديا أو أضحية تبعها ولدها بلا خلاف وسواء كانت حاملا عند النذر أو حدث الحمل بعده لما ذكره المصنف فان ماتت الام بقي حكم الولد كما كان ويجب ذبحه في وقت ذبح الام ولا يرتفع حكم الهدى فيه بموت أمه كما لا يرفع حكم ولد أم الولد بموتها * ولو عينها بالنذر عما كان التزمه في ذمته فثلاثة أوجه (الصحيح) أن حكم ولدها حكمها كولد المعينة بالنذر ابتداء (والثاني) لا يتبعها بل هو ملك

---

(١) السراج الوهاج، ص/٣٥١

المضحي والمهدي لان ملك الفقراء ليس بمستقر في هذه فانها لو غابت عادت إلى ملكه (والثالث) يتبعها مادامت حية فان ماتت لم يبق حكم الهدي ولا الاضحية فيه والمذهب الاول * قالوا ويجري هذا الخلاف في ولد الامة المبيعة إذا ماتت في يد البائع والله أعلم * قال المصنف والاصحاب وإذا لم يطق ولد الهدي المشي حمل على أمه أو غيرها حتى يبلغ الحرم لما ذكره المصنف والله أعلم * وإذا ذبح الام والولد في أضحية التطوع ففي تفرقة لحمهما ثلاثة اوجه (أحدها) لكل واحد حكم أضحية مستقلة فيتصدق من كل واحدة بشئ لانهما ضحيتان (والثاني) يكفي التصدق من أحداهما لانه بعضها (والثالث) لا بد من التصدق من الام لانها الاصل وهذا هو الاصح عند الغزالي وصحح الروياني الاول وهو المختار * ويشترك الوجهان الاخيران في جواز أكل جميع الولد (أما) إذا ذبحها فوجد في بطنها جنينا فقال الرافعي يحتمل أن يكون فيه الخلاف ويحتمل القطع بأنه بعضها هذا كلام الرافعي

والمختار أنه يبني على القولين المعروفين أن الحمل له حكم وقسط من الثمن أم لا (إن قلنا) لا فهو بعض كيدها والا فالظاهر طرد الخلاف ويحتمل القطع بانه بعض (والاصح) على الجملة أنه لا يجوز أكل جميعه هنا والله أعلم * (الرابعة) إذا كان لبن الهدي أو الأضحية المنذورين قدر كفاية الولد لا يجوز حلب شئ منه فان حلب فنقص الولد بسببه لزمه (١) وان فضل عن رى الولد حلب الفاضل ثم قال

---

(١) بياض بالاصل) *)." (١)

" والحمل عليه إلا لحاجة للحديث السابق وممن صرح به الشيخ أبو حامد والبندنيجي والمتولي وصاحب البيان وآخرون وهو ظاهر نص الشافعي فإنه قال يركب الهدي إذا اضطر إليه قال الماوردي ويجوز بلا ضرورة ما لم يهز لها وأما الشيخ أبو حامد فقال لا يجوز أن يركب الهدي قال الشافعي فإن اضطر إلى ركوبه ركبه ركوبا غير فادح وقال البندنيجي لا يجوز ركوبه إلا لضرورة وقال الروياني قال الشافعي في الأوسط ليس له ركوبه إلا من ضرورة وله حمل المضطر والمعي قال وقال القفال هل يجوز الركوب فيه وجهان أصحهما له الركوب بحيث لا يضر الهدي سواء كان ضرورة أم لا قال الروياني هذا خلاف النص والله أعلم واتفق أصحابنا مع نصوص الشافعي على أنه إذا ركبها حيث أذنا له فنقصت بركوبه ضمن النقصان والله أعلم الثالثة إذا ولد الهدي أو الأضحية المتطوعة بهما فالولد ملك له كالأم فيتصرف فيه بما شاء من بيع وغيره كالأم ولو ولدت التي عينها ابتداء بالنذر هديا أو أضحية تبعها ولدها بلا خلاف وسواء كانت حاملا

---

(١) المجموع، ٣٦٦/٨

عن النذر أو حدث الحمل بعده لما ذكره المصنف فإن ماتت الام بقي حكم الولد كما كان ويجب ذبحه في وقت ذبح الأم ولا يرتفع حكم الهدي فيه بموت أمه كما لا يرفع حكم ولد أم الولد بموتها ولو عينها بالنذر عما كان التزمه في ذمته فثلاثة أوجه الصحيح أن حكم ولدها حكمها كولد المعينة بالنذر ابتداء والثاني لا يتبعها بل هو ملك المضحى والمهديل أن ملك الفقراء ليس بمستقر في هذه فإنها لو غابت عادت إلى ملكه والثالث يتبعها ما دامت حية فإن ماتت لم يبق حكم الهدي ولا الأضحية فيه والمذهب الأول قالوا ويجزي هذا الخلاف في ولد الأمة المبيعة إذا ماتت في يد البائع والله أعلم قال المصنف والأصحاب وإذا لم يطق ولد الهدي المشي حمل على أمه أو غيرها حتى يبلغ الحرم لما ذكره المصنف والله أعلم وإذا ذبح الأم والولد في أضحية التطوع ففي تفرقة لحمهما ثلاثة أوجه أحدها لكل واحد حكم أضحية مستقلة فيتصدق من كل واحدة بشيء لأنهما ضحيتان والثاني يكفي التصدق من أحداهما لأنه بعضها والثالث لا بد من التصدق من الأم لأنها الأصل وهذا هو الأصح عند الغزالي وصحح الروياني الأول وهو المختار ويشترك الوجهان الأخيران في جواز أكل جميع الولد أما إذا ذبحها فوجد في بطنها جنينا فقال الرافعي يحتمل أن يكون فيه الخلاف ويحتمل القطع بأنه بعضها هذا كلام الرافعي والمختار أنه يبني على القولين المعروفين أن الحمل له حكم وقسط من الثمن أم لا إن قلنا لا فهو بعض كيدها وإلا فالظاهر طرد

" (١).

"الحرة والقنة بعد العتق (الحامل والمرضع) غير المتحيرة وإن كانت مستأجرة أو متطوعة أو كانتا مريضتين أو مسافرتين (إذا أفطرتا خوفا على الولد) فقط وإن كان من غير المرضع للآية السابقة فإنها على القول بنسخها باقية بلا نسخ في حقهما كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما

أما المتحيرة فلا فدية عليها للشك

وهذا إن أفطرت ستة عشر يوما فأقل وإلا لزمتها الفدية لما زاد لأنه لا يحتمل فساده بسبب الحيض والفطر فيما ذكر جائز بل واجب أن خيف تضرر الولد لكن محله في المستأجرة **والمتطوعة** إذا لم توجد مرضعة مفطرة أو صائمة

---

(١) المجموع، ٢٦٠/٨

ولا تتعدد الفدية بتعدد الأولاد بخلاف العقيقة لأنها فداء عن كل واحد ولو أفطرت المريضة أو المسافرة بنية الترخص لم يلزمها فدية

". (١)

"مات قبل التمكن منه بأن مات عقب موجب القضاء أو النذر أو الكفارة أو استمر به العذر كالسفر أو المرض إلى موته فإنه لا فدية عليه كما لا زكاة على من تلف ماله بعد الحول وقبل التمكن من الأداء ويجب المد لكل يوم أيضا على من لا يقدر على الصوم الواجب سواء رمضان وغيره بأن عجز عنه لهرم أوزمانة أو لحقته مشقة شديدة لأجل مرض لا يرجى برؤه قال الله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين البقرة أي لا يطيقونه أو يطيقونه حال الشباب ثم بعجزون عنه أو يطيقونه أي يكلفونه فلا يطيقونه بناء على خلاف ما عليه الأكثرون من عدم نسخ الآية والفدية هنا واجبة ابتداء لا بدلا عن الصوم فلو أخرت عن السنة الأولى لم يلزمه للتأخير شيء ولو عجز عنها لم تثبت في ذمته على ما بحثه النووي الطريق الثاني فوات فضيلة الوقت و من ثم وجبت الفدية أيضا على

الحرة والقنة بعد العتق الحامل والمرضع غير المتحيرة وإن كانت مستأجرة أو متطوعة أو كانتا مريضتين أو مسافرتين إذا أفطرتا خوفا على الولد فقط وإن كان من غير المرضع للآية السابقة فإنها على القول بنسخها باقية بلا نسخ في حقهما كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما أما المتحيرة فلا فدية عليها للشك وهذا إن أفطرت ستة عشر يوما فأقل وإلا لزمتها الفدية لما زاد لأنه لا يحتمل فساده بسبب الحيض والفطر فيما ذكر جائز بل واجب أن خيف تضرر الولد لكن محله في المستأجرة **والمتطوعة** إذا لم توجد مرضعة مفطرة أو صائمة ولا تتعدد الفدية بتعدد الأولاد بخلاف العقيقة لأنها فداء عن كل واحد ولو أفطرت المريضة أو المسافرة بنية الترخص لم يلزمها فدية." (٢)

"(٤) ينظر : المستصفى في علم الأصول (٢/٢٩) .

(٥) ينظر : أبو حنيفة ، ص(٣٥٠) .

(١) ينظر : المستصفى (١/٢٨٧) .

(٢) ينظر : علم أصول الفقه ، ص(٨٠) .

---

(١) المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية، ص/٥٣٦

(٢) المنهج القويم شرح المقدمة الحضرمية للهيتمي، ص/٣١٥

(٣) ...ينظر : البحر المحيط (٦/١٦) ، البرهان (٢/١١٣٥) ، سلاسل الذهب ، ص (٤٢٥) .

(١) ينظر : البحث الفقهي، إسماعيل سالم عبدالعال ، ص (١٧٩ ، ١٨٠) .

(٢)...ينظر: حاشية ابن عابدين (١/٥١،٥٠) .

(٣) ...ينظر : م . ن (١/٦٩) .

(٤)... ينظر : م . ن .

(٥)...ينظر : حاشية ابن عابدين (١/٦٩)

(١)...ينظر : المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية ، ص (١٠٨- ١٠٩) .

(٢)...ينظر : رد المحتار (١/٤) ، شرح فتح القدير (١/٦) . ...

(٣)...ينظر : المدخل ، ص (١٠٩)

(١٦٥) مسائل : جمع مسألة ، وهي في اللغة : السؤال .

اصطلاحا : مطلوب خبري يبرهن عليه في العلم، كما في قولنا مثلا: الوتر مندوب، فثبوت الندب للوتر مطلوب خبري يقال عليه البرهان في العلم .

(لسان العرب (٣/١٩٠٦)، الفوائد المكية ،ص (٦٢)) .

(١٦٦) التطوع في اللغة: فعل الطاعة من غير وجوب، والتطوع بالشيء: التبرع، ومنه: **المطوعة**: الذين يتطوعون بالجهاد، فهو يطلق في اللغة على كل خير يباشره المرء عن طوع من غير إيجاب موجب .

وقال الإمام النووي معرفا التطوع نقلا عن العلماء بأن التطوع في الأصل،: فعل الطاعة وصار في الشرع مخصوصا بطاعة غير واجبة.

(تهذيب اللغة (٣/١٠٤)، النظم المستعذب (١/٨٩)، المجموع للنووي(٣/٤٩٦)، معجم مقاييس اللغة (٣/٤٣١) ، أصول السرخسي (١/١١٣)، المعتمد (١/٣٦٧)، ميزان الأصول (١/١٣٦)) .

(١٦٧) النوافل : جمع نافلة، والنافلة عبارة عن الزيادة؛ ولهذا سمى ولد الولد نافلة، لكونه زيادة على الولد الصلبي.

(لسان العرب (٤/٢٤٠٩)، الصحاح (٥/١٢٦) ، ميزان الأصول (١/١٢٧)) .

(١٦٨) الراتبة أي : الثابتة الدائمة، يقال: رتب الشيء يرتب رتوبا، أي : ثبت، وأمر راتب، أي : دائم

ثابت.

(لسان العرب (١٥٧٤/٣)، النظم المستعذب (٨٩/١)) .." [١]

"أو عامل أو غارم أو رجل اشتراها بماله أو رجل له جار مسكين فتصدق عليه فأهداها إليه الصنف السابع المجاهدون في سبيل الله

وهم **المطوعة** من الغزاة الذين لا يأخذون من الفيء ولا اسم لهم في الديوان

يعطون هذا السهم للصرف إلى السلاح والفرس والنفقة إعانة على الغزو وإن كانوا أغنياء

فأما من له اسم في الديوان فلا يعطى من الصدقة لأن حقهم في الفيء إلا إذا قاتلوا مانعي الزكاة وكان قتالهم كالعمل على تحصيل الزكاة فلا يبعد أن يعطوا سهم العاملين الصنف الثامن ابن السبيل

وهو الذي شخص من بلده أو اجتاز به يصرف إليه سهم وإن كان معسرا وإن كان له ببلد آخر مال أعطي قدر بلغته إليه

وهذا بشرط أن يكون السفر طاعة فإن كان معصية فلا وإن كان مباحا فيعطى

وفي طريقة العراق وجه أنه يشترط كونه طاعة

." [٢]

"وما يجوز أكله فلا يجوز إتلافه ولا أن يملك الأغنياء ليتصرفوا فيها بالبيع لأن الضيافة مقصودة

فرع لو أكل الكل على قولنا يمتنع ذلك ففيما يلزمه من الغرم وجهان أحدهما قدر ما ينطلق عليه الإسم وهو الصحيح والثاني النصف أو الثلث هذا كله في المتطوع به أما المنذورة ففي جواز الأكل منها وجهان أحدهما أنها **كالمتطوعة** والثاني أنه لا يجوز الأكل منها كدماء الجبرانات

فإن قيل ما حكم جلد الضحية قلنا الصحيح أنه لا يباع لكن ينتفع به في البيت أو يتصدق به وحكى صاحب التقريب قولا بعيدا أنه يباع ويصرف ثمنه مصرف الضحايا وهو ضعيف نعم قال لو تصدق بالجلد بدلا عن اللحم إذا قلنا إن عليه التصدق لم يجزه ذلك وهو أحسن

---

(١) النكت في المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة – من مسائل التطوع والاعتكاف، ٣٩٩/١

(٢) الوسيط، ٥٦٣/٤

فرع ولد الضحية المعينة لها حكم الأم والصحيح أن التصدق بجزء من الأم يسلط على أكل جميع الولد كما يسلط على أكل جميع اللبن فإنه في حكم جزء وفيه وجه أنه لا بد من التصدق بشيء من الولد لأنه حيوان مستقل

فرع آخر لو اشترى شاة ثم قال جعلتها ضحية ثم وجد عيبا امتنع ردها وله

". (١)

"عن دين الله وطلبوا الرزق من مال الله تعالى

وخرج بهم المتطوعة بالغزو إذا نشطوا فيعطون من الزكاة لا من الفيء

(قوله وخمسها) أي الفيء والغنيمة أي الخمس الخامس منهما يخمس أي يجعل خمسة أسهم

(قوله سهم للمصالح) قال في التحفة وهذا السهم كان له ينفق منه على نفسه وعياله ويدخر منه مؤنة سنة ويصرف الباقي في المصالح

كذا قاله الأكثرون قالوا وكان له الأربعة الأخماس الآتية فجملة ما كان يأخذه إحدى وعشرون من خمسة وعشرين

قال الروياني وكان يصرف العشرين التي له للمصالح قيل وجوبا وقيل ندبا

وقال الغزالي وغيره بل كان الفيء كله له في حياته وإنما خمس بعد موته

اه

(قوله كسد ثغر) أي شحنه بآلة الحرب وبالغزاة

والثغر موضع الخوف من طرف بلاد المسلمين التي تليها بلاد المشركين

وفي المصباح الثغر من البلاد الذي يخاف منه هجوم العدو فهو كالثلمة في الحائط يخاف هجوم السارق منها

والجمع على ثغور مثل فلس وفلوس

اه

(قوله وعمارة حصن) أي كالقلعة ويجمع على حصون

(وقوله ومسجد) أي وعمارة مسجد

---

(١) الوسيط، ١٥١/٧

(قوله وأرزاق القضاة) أي قضاة البلاد فيعطون ولو أغنياء لا قضاة العسكر وهم الذين يحكمون لأهل الفيء في مغزاهم فيرزقون من الأخماس الأربعة لا من خمس الخمس

(قوله والمشتغلين بعلوم الشرع) أي وأرزاق المشتغلين بما ذكر

(وقوله وآلاتها) أي علوم الشرع كالنحو والصرف

(قوله والأئمة والمؤذنين) أي أئمة المساجد ومؤذنيها ومثلهم كل من يشتغل عن نحو كسبه بمصالح المسلمين كمن يشتغل بتجهيز الموتى وحفر القبر لعموم نفعهم

(قوله ويعطى) بالبناء للمجهول هؤلاء أي القضاة ومن ذكر بعدهم

(وقوله مع الغنى) أي مع كونهم أغنياء

(قوله ما رآه الإمام) مفعول ثان ليعطى أي يعطى القدر الذي يراه الإمام للمصلحة ويختلف بضيق المال وسعته

(قوله ويجب تقديم إلخ) مقابل محذوف تقديره ويعمم الإمام بهذا السهم كل الأفراد إن وفى بهم فإن لم يف قدم الأهم فالأهم

(وقوله مما ذكر) أي من المصالح

(قوله وأهمها) أي المصالح

(وقوله الأول) أي سد الثغور

(قوله ولو منع هؤلاء إلخ) أي ولو منع الإمام القضاة ومن ذكر بعدهم حقوقهم من بيت المال

(وقوله وأعطى أحدهم منه) الفعل مبني للمجهول وما بعده نائب فاعل

أي وأعطى غير الإمام أحد المستحقين من بيت المال

ومثل الإعطاء أخذه بنفسه

(قوله ما لم يزد على كفايته) فإن زاد فلا يجوز له أخذ الزائد

ولو قال جاز له أخذه كفايته لا الزائد لكان أولى

(قوله على المعتمد) مقابله أقوال القول الأول منها لا يجوز له أخذ أصلا

ثانيها يأخذ كفاية يوم بيوم

ثالثها يأخذ كفاية سنة

وعبارة التحفة (فائدة) منع السلطان المستحقين حقوقهم من بيت المال ففي الإحياء قيل لا يجوز لأحدهم أخذ شيء منه أصلا لأنه مشترك ولا يدري حصته منه

وهذا غلو

وقيل يأخذ كفاية يوم بيوم وقيل كفاية سنة وقيل ما يعطى إذا كان قدر حقه والباقون مظلومون

وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركا بين المسلمين ومن ثم من مات وله فيه حق لا يستحقه وارثه

اه

وخالفه ابن عبد السلام فمنع الظفر في الأموال العامة لأهل الإسلام ومال المجانين والأيتام

اه

(قوله وسهم للهاشمي والمطلبي) أي لبني هاشم ولبني المطلب أي وبناتهم دون غيرهم من أبناء عبد مناف وذلك لأنه وضع سهم ذوي القربى الذي في الآية فيهم دون بني عبد شمس ونوفل مجيبا عن ذلك لما سألوه أن يعطيهم بقوله نحن وبنو المطلب شيء واحد

وشبك بين أصابعه

رواه البخاري

أي لم يفارقوا بني هاشم في نصرته جاهلية ولا إسلاما حتى أنه لما بعث بالرسالة نصروه وذبوا عنه بخلاف بني الآخرين بل كانوا يؤذونه

والعبرة في الانتساب بالنسب إلى الآباء فلا يعطى أولاد البنات شيئا لأنهم ليسوا من الآل ولذلك لم يعط الزبير وعثمان رضي الله عنهما مع أن أميهما هاشميتان

ومن بني المطلب إمامنا الشافعي رضي الله عنه فإنه مطلبي والنبي هاشمي

(قوله للذكر منهما) أي الهاشمي والمطلبي

(وقوله مثل حظ الأنثيين) أي مثل نصيبهما كالإرث بجامع أنه استحقاق

". (١)

---

(١) إعانة الطالبين- دار الفكر، ٢/٢٠٦

"بذلك لانهم أرصدوا أنفسهم للذب عن دين الله، وطلبوا الرزق من مال الله تعالى.

وخرج بهم **المتطوعة** بالغزو إذا نشطوا فيعطون من الزكاة، لا من الفئ.

(قوله: وخمسها) أي الفئ والغنيمة، أي الخمس الخامس منهما يخمس، أي يجعل خمسة أسهم.

(قوله: سهم للمصالح) قال في التحفة: وهذا السهم كان له (ص) ينفق منه على نفسه وعياله، ويدخر منه مؤنة سنة، ويصرف الباقي في المصالح.

كذا قاله الاكثرون، قالوا: وكان له الاربعة الاخماس الآتية، فجملة ما كان يأخذه: إحدى وعشرون من خمسة وعشرين.

قال الروياني: وكان يصرف العشرين التي له للمصالح، قيل وجوبا، وقيل ندبا.

وقال الغزالي وغيره: بل كان الفئ كله له في حياته، وإنما خمس بعد موته.

اه.

(قوله: كسد ثغر) أي شحنه بآلة الحرب وبالغزاة.

والثغر: موضع الخوف من طرف بلاد المسلمين التي تليها بلاد المشركين.

وفي المصباح: الثغر: من البلاد الذي يخاف منه هجوم العدو، فهو كالثلمة في الحائط، يخاف هجوم السارق منها.

والجمع على ثغور: مثل فلس وفلوس.

اه.

(قوله: وعمارة حصن) أي كالقلعة، ويجمع على حصون.

(وقوله: ومسجد) أي وعمارة مسجد.

(قوله: وأرزاق القضاة) أي قضاة البلاد، فيعطون ولو أغنياء، لا قضاة العسكر - وهم الذين يحكمون لاهل الفئ في مغزاهم - فيرزقون من الاخماس الاربعة، لا من خمس الخمس.

(قوله: والمشتغلين بعلوم الشرع) أي وأرزاق المشتغلين بما ذكر.

(وقوله: وآلاتها) أي علوم الشرع، كالنحو والصرف.

(قوله: والائمة والمؤذنين) أي أئمة المساجد ومؤذنيها، ومثلهم كل من يشتغل عن نحو كسبه بمصالح المسلمين - كمن يشتغل بتجهيز الموتى، وحفر القبر - لعموم نفعهم.

(قوله: ويعطى) - بالبناء للمجهول - هؤلاء، أي القضاة ومن ذكر بعدهم.

(وقوله: مع الغنى) أي مع كونهم أغنياء.

(قوله: ما رآه الامام) مفعول ثان ليعطى أي يعطى القدر الذي يراه الامام للمصلحة، ويختلف بضيق المال وسعته.

(قوله: ويجب تقديم إلخ) مقابل محذوف تقديره، ويعمم الامام بهذا السهم كل الافراد إن وفى بهم، فإن لم يف، قدم الاهم، فالاهم.

(وقوله: مما ذكر) أي من المصالح.

(قوله: وأهمها) أي المصالح.

(وقوله: الاول) أي سد الثغور.

(قوله: ولو منع هؤلاء إلخ) أي ولو منع الامام القضاة ومن ذكر بعدهم حقوقهم من بيت المال.

(وقوله: وأعطى أحدهم منه) الفعل مبني للمجهول، وما بعده نائب فاعل.

أي وأعطى غير الامام أحد المستحقين من بيت المال.

ومثل الاعطاء أخذه بنفسه.

(قوله: ما لم يزد على كفايته) فإن زاد فلا يجوز له أخذ الزائد.

ولو قال: جاز له أخذه كفايته لا الزائد - لكان أولى.

(قوله: على المعتمد) مقابله أقوال - القول الاول منها: لا يجوز له أخذ أصلا.

ثانيها: يأخذ كفاية يوم بيوم.

ثالثها: يأخذ كفاية سنة.

وعبارة التحفة: (فائدة) منع السلطان المستحقين حقوقهم من بيت المال، ففي الاحياء: قيل لا يجوز لاحدهم أخذ شئ منه أصلا، لانه مشترك، ولا يدري حصته منه.

وهذا غلو.

وقيل يأخذ كفاية يوم بيوم، وقيل كفاية سنة، وقيل ما يعطى إذا كان قدر حقه والباقون مظلومون.

وهذا هو القياس، لان المال ليس مشتركا بين المسلمين، ومن ثم من مات وله فيه حق لا يستحقه وارثه. اه.

وخالفه ابن عبد السلام: فمنع الظفر في الاموال العامة لاهل الاسلام ومال المجانين والايتام اه.

(قوله: وسهم للهاشمي والمطلبي) أي لبني هاشم ولبني المطلب، أي وبناتهم دون غيرهم من أبناء عبد

مناف، وذلك لانه (ص) وضع سهم ذوي القربى – الذي في الآية – فيهم، دون بني عبد شمس ونوفل، مجيبا عن ذلك – لما سألوه أن يعطيهم – بقوله: نحن وبنو المطلب شئ واحد.

وشبك بين أصابعه.

رواه البخاري.

أي لم يفارقوا بني هاشم في." (١)

"والمقاتلون بعده هم المرصدون للقتال

(في مصالح المسلمين) بتعيين الإمام لهم سموا مرتزقة لأنهم أرصدوا أنفسهم للذب عن الدين وطلبوا الرزق من مال الله

وخرج بهم **المتطوعة** وهم الذين يغزون إذا نشطوا وإنما يعطون من الزكاة لا من الفيء عكس المرتزقة

تتمة يجب على الإمام أن يبحث عن حال كل واحد من المرتزقة وعمن تلزمه نفقتهم من أولاد وزوجات ورقيق لحاجة غزو أو لخدمة إن اعتادها لا رقيق زينة وتجارة وما يكفيهم فيعطيه كفايته وكفايتهم من نفقة وكسوة وسائر المؤن بقدر الحاجة ليتفرغ للجهاد ويراعي في الحاجة حاله في مروءته وضدها والمكان والزمان والرخص والغلاء وعادة البلد في المطاعم والملابس ويزاد إن زادت حاجته بزيادة ولد أو حدوث زوجة ومن لا رقيق له يعطى من الرقيق ما يحتاجه للقتال معه أو لخدمته إذا كان ممن يخدم وتعطى زوجته وأولاده الذين تلزمه نفقتهم في حياته إذا مات بعد أخذ نصيبه لئلا يشتغل الناس بالكسب عن الجهاد إذا علموا ضياع عيالهم بعدهم فتعطى الزوجة حتى تنكح لاستغنائها بالزوج ولو استغنت بكسب أو إرث أو نحوه

كوصية لم تعط وحكم أم الولد كالزوجة وكذا الزوجات ويعطى الأولاد حتى يستقلوا بكسب أو نحوه

كوصية واستنبط السبكي رحمه الله تعالى من هذه المسألة أن الفقيه أو المعيد أو المدرس إذا مات تعطى زوجته وأولاده مما كان يأخذ ما يقوم بهم ترغيبا في العلم كالترغيب هنا في الجهاد اه

وفرق بعضهم بينهما بأن الإعطاء من الأموال العامة وهي أموال المصالح أقوى من الخاصة كالأوقاف فلا يلزم من التوسع في تلك التوسع في هذه لأنه مال معين أخرجه شخص لتحصيل مصلحة نشر العلم في هذا المحل المخصوص فكيف يصرف مع انتفاء الشرط ومقتضى هذا الفرق الصرف لأولاد العالم من مال المصالح كفايتهم كما كان يصرف لأبيهم وهذا هو الظاهر

---

(١) إعانة الطالبين، ٢/٢٣٢

فصل في الجزية تطلق على العقد وعلى المال الملتزم به وهي مأخوذة من المجازاة لكفنا عنهم وقيل من الجزاء بمعنى القضاء قال تعالى ﴿ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ﴾ أي لا تقضي

والأصل فيها قبل الإجماع آية ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ﴾ وقد أخذها صلى الله عليه وسلم من مجوس هجر

وقال سنوا بهم سنة أهل الكتاب كما رواه البخاري ومن أهل نجران كما رواه أبو داود والمعنى في ذلك أن في أخذها معونة لنا وإهانة لهم وربما يحملهم ذلك على الإسلام

وفسر إعطاء الجزية في الآية بالتزامها والصغار بالتزام أحكامنا

وأركانها خمسة عاقد ومعقود له ومكان ومال وصيغة

وشرط في الصيغة وهي الركن الأول ما مر في شرطها في البيع والصيغة إيجابا كأقررتكم أو أذنت في إقامتكم بدارنا مثلا على أن تلتزموا كذا جزية

وتنقادوا لحكمنا وقبولا نحو قبلنا ورضينا وشرط في العاقد كونه إماما يعقد بنفسه أو بنائبه

ثم شرع المصنف في شروط المعقود له وهو الركن الثاني بقوله (وشرائط وجوب) ضرب (الجزية) على الكفار المعقود

---

(١) ".

" التشريق فنزل بالمحصب وطاف في ليلته للوداع ثم رحل من مكة قبل صلاة الصبح فلم يقم أربعا في مكان واحد فلو نوى العبد والزوجة والجندي المثبت في الديوان لا غيره من **المتطوعة** الإقامة ولم ينو ها المطاع وهو السيد والزوج والأمير فلهم القصر لعدم استقلالهم فنيتهم كالعدم وقوله مثبت لا غيره زاده دفعا لاستشكال حكمه المذكور هنا بحكمه المذكور فيما يأتي وفارق المثبت غيره بأنه تحت قهر الأمير كالزوجة بخلاف غيره وإن كان المسافر بموضع يتوقع الخروج منه يوما فيوما إن حصلت حاجته أو حبسه الريح في البحر في موضع قصر ثمانية عشر يوما غير يومي الدخول والخروج لأنه صلى الله عليه وسلم أقامها بمكة عام الفتح لحرب هوازن يقصر الصلاة رواه أبو داود والترمذي وحسنه وإن كان في سنده ضعيف

---

(١) الإقناع للشربيني، ٥٦٨/٢

لأن له شواهد تجبره قاله شيخنا شيخ الإسلام الشهاب ابن حجر وروي خمسة عشر وسبعة عشر وتسعة عشر وعشرين رواها أبو داود وغيره إلا تسعة عشر

فالبخاري قال البيهقي وهو أصح الروايات ومن ثم اختارها ابن الصلاح والسبكي وقد جمع الإمام وغيره بين الروايات ما عدا روايتي خمسة عشر وعشرين بأن راوي تسعة عشر عد يومي الدخول والخروج وراوي سبعة عشر لم يعدهما وراوي ثمانية عشر عد أحدهما فقط وأما رواية خمسة عشر فضعيفة ورواية عشرين وإن كانت صحيحة فشاذة كما قاله شيخنا المذكور آنفا وهذا الجمع يشكل على قولهم يقصر ثمانية عشر غير يومي الدخول والخروج وقد يجمع بينهما ما عدا روايتي خمسة عشر وسبعة عشر لأن راوي عشرين عد اليومين وراوي ثمانية عشر لم يعدهما وراوي تسعة عشر عد أحدهما وبه يزول الإشكال ويجاب عن تقديمهم رواية ثمانية عشر على رواية سبعة عشر بما قام عندهم من الشواهد الجابرة وغيرها

وإن كان المتوقع أو من حبسه الريح في البحر غير محارب كالمتفقه والتاجر فإنه يقصر ثمانية عشر كالمحارب ولا يؤثر الفرق لأن للحرب أثرا في تغيير صفة الصلاة لأن الحرب ليست هي المرخصة وإنما المرخص السفر وكلاهما فيه سواء ومتى فارق مكانه ثم ردته الريح إليه فأقام فيه استأنف المدة لأن إقامته فيه إقامة جديدة فلا تضم إلى الأولى بل تعتبر مدتها وحدها وهذا من زيادته وذكره في المجموع وقال فيه لو خرجوا وأقاموا بمكان ينتظرون رفقتهم فإن نووا أنهم إن أتوا سافروا أجمعين وإلا رجعوا لم يقصروا لعدم جزمهم بالسفر وإن نووا أنهم وإن لم يأتوا سافروا قصروا لجزمهم بالسفر تنبيه قال الإسنوي ما رجحوه من أن القصر ثمانية عشر يحتمل اطراده في باقي الرخص كالجمع والفطر ويدل له تعبير الوجيز بالترخص ويحتمل اختصاصه بالقصر لأنهم إذا منعوه فيما زاد على الثمانية عشر لعدم وروده مع أن أصله قد ورد فالمنع فيما لم يرد بالكلية بطريق الأولى وهذا أقوى

قال الزركشي وكأنه لم يستحضر فيها نقلا وحكي عن الشافعي وغيره ما حاصله الأول ثم قال فالصواب أنه يباح له سائر الرخص لأن السفر منسحب عليه نعم يستثنى منه سقوط الفرض بالتيمم وتوجه القبلة في النافلة لما عرف في بابيهما

فصل السفر الطويل بالأميال ثمانية وأربعون ميلا هاشمية لأن ابن عمر وابن عباس كانا يقصران ويفطران في أربعة برد علقه البخاري بصيغة الجزم وأسنده البيهقي بسند صحيح ومثله إنما يفعل

." (١)

" المنع لأنه على خلاف القياس فيقتصر عليه فتتعين الفدية ثم القريب يكفي وإن لم يكن عصبة ولا وارثا ولا ولي مال لما في خبر مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لامرأة قالت له إن أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها صومي عن أمك قال في المجموع وهذا يبطل احتمال ولاية المال والعصوبة قال ومذهب الحسن البصري أنه لو صام عنه ثلاثون بالإذن في يوم واحد أجزأه قال وهو الظاهر الذي أعتقده ولو مات وعليه صلاة أو اعتكاف لم يقض ولم يفد عنه لعدم ورودهما بل نقل القاضي عياض الإجماع على أنه لا يصلى عنه ولا يصح الصوم عن حي بلا خلاف معذورا كان أو غيره فرع من عجز عن الصوم لهرم أو زمانة أو اشتدت عليه مشقة سقط عنه لقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج ولزمته الفدية قال تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين المراد لا يطيقونه أو يطيقونه حال الشباب ثم يعجزون عنه بعد الكبر وروى البخاري أن ابن عباس وعائشة كانا يقرآن وعلى الذين يطوقونه ومعناه يكلفون الصوم فلا يطيقونه وهل الفدية في حق كل من ذكر بدل عن الصوم أو واجبة ابتداء وجهان في الأصل أصحهما في المجموع الثاني ويظهر أثرهما فيما لو قدر بعد على الصوم وفي انعقاد نذره له وسيأتيان فإذا عجز عن الفدية ثبتت في ذمته كالكفارة وكالقضاء في حق المريض والمسافر هذا ما اقتضاه كلام الأصل لكن قال في المجموع ينبغي أن يكون الأصح هنا عكسه كالفطرة لأنه عاجز حال التكليف بالفدية وليست في مقابلة جناية ونحوها وما بحثه جزم به القاضي وهو مردود بما مر أن حق الله تعالى المالي إذا عجز عنه العبد وقت الوجوب يثبت في ذمته وإن لم يكن على جهة البدل إذا كان بسبب منه وهو هنا كذلك إذ سببه فطره بخلاف زكاة الفطر والتصريح بثبوت الفدية في ذمة الزمن من زيادة المصنف ولو نذر الهرم والزمن صوما لم يصح نذرهما لما مر من أنه لم يخاطب بالصوم ابتداء بل بالفدية ولو قدر من ذكر على الصوم بعد الفطر لم يلزمه الصوم قضاء لذلك وبه فارق نظيره في الحج عن المعضوب إذا قدر عليه وكلامه في هذه شامل للزمن بخلاف كلام أصله وظاهر أن من اشتدت مشقة الصوم عليه كالهرم والزمن في هذه والتي قبلها كما شمله كلام أصله وتعبيره بمن عجز لهرم أعم من تعبير أصله بالشيخ الهرم الطريق الثاني تجب الفدية بفوات فضيلة الوقت فإذا خافت الحامل والمرضع ولو كانت المرضع مستأجرة على الإرضاع ومتطوعة به على الأولاد فقط ولو كانوا من غير المرضع أفطرتا جوازا بل وجوبا إن خافتا هلاكهم وعليهما مع القضاء الفدية من مالهما وإن كانتا مسافرتين أو مريضتين لما روى أبو داود والبيهقي بإسناد حسن عن ابن عباس

---

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، ٢٣٧/١

في قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية أنه نسخ حكمه إلا في حقهما حينئذ والناسخ له قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه والقول بنسخه قول أكثر العلماء وقال بعضهم أنه محكم غير منسوخ بتأويله بما مر في الاحتجاج به ويستثنى المتحيرة فلا فدية عليها للشك كما مر بيانه في الحيض وفارق لزومها للمستأجرة عدم لزوم دم التمتع للأجير بأن الدم ثم من تتمة الحج الواجب على المستأجر وهنا الفطر من تتمة إيصال المنافع اللازمة للمرضع وظاهر أن محل ما ذكر في المستأجرة **والمتطوعة** إذا لم توجد مرضعة مفطرة أو صائمة لا يضرها الإرضاع ولا تتعدد الفدية بتعدد الأولاد لأنها بدل الصوم بخلاف العقيقة تتعدد بتعددهم لأنها فداء عن كل واحد فإن خافتا على

(١) ".

" به ولأن اغتناءهم بمال أبيهم إذا منع استحقاقهم فاغتناؤهم بمالهم أولى بمنعهم ويعمهم بالعطاء وجوبا للآية ولا تجب التسوية بينهم كما سيأتي السهم الرابع والخامس للمساكين الشاملين للفقراء كما سيأتي وابن السبيل للآية وتقدم بيانهم ويشترط في ابن السبيل الفقر صرح به الفوراني وغيره قال الماوردي ويجوز للإمام أن يجمع للمساكين بين سهمهم من الزكاة وسهمهم من الخمس وحقهم من الكفارات فيصير لهم ثلاثة أموال قال وإذا اجتمع في واحد يتم ومسكنة أعطى باليتم دون المسكنة لأن اليتم وصف لازم والمسكنة زائلة وقضيته أنه إذا كان الغازي من ذوي القربى لا يأخذ بالغزو بل بالقرابة فقط لكن ذكر الرافعي في قسم الصدقات أنه يأخذ بهما واقتضى كلامه أنه لا خلاف فيه وهو ظاهر

والفرق بين الغزو والمسكنة أن الأخذ بالغزو لحاجتنا وبالمسكنة لحاجة صاحبها ويعممون بالعطاء وجوبا كما في ذوي القربى وللآية لكن يفاضل بين أفرادهم بقدر الحاجة كاليتامى لأن استحقاقهم بالحاجة وهي تتفاوت بخلاف ذوي القربى فإنهم يستحقون بالقرابة كما مر ولا يعطى كافر كما في الزكاة قال في الكفاية إلا من سهم المصالح عند المصلحة فرع يدخل الفقراء هنا في اسم المساكين كما مرت الإشارة إليه فرع من فقد من الأصناف أعطي الباقون نصيبه كما في الزكاة إلا سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه للمصالح كما مر ويصدق مدعي المسكنة والسفر بلا بينة وإن اتهم لا مدعي اليتم ولا مدعي القرابة فلا يصدقان إلا ببينة فصل وأما الأربعة الأخماس فهي للمرتزقة لعمل الأولين به ولأنها كانت له صلى الله عليه وسلم كما سيأتي لحصول النصرة به والمقاتلون بعده هم المرصدون لها كما قال وهم المرصدون للجهاد

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، ٤٢٨/١

بتعيين ال إمام وكانت للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته مضمومة إلى خمس الخمس فجملة ما كان له من الفيء أحد وعشرون سهما سهم منها للمصالح كما مر والمراد أنه كان يجوز له أن يأخذ ذلك لكنه لم يأخذه وإنما كان يأخذ خمس الخمس كما مر وكما سيأتي في الخصائص وخرج بالمرتزقة **المتطوعة** الذين يغزون إذا نشطوا فإنما يعطون من الزكاة لا من الفيء عكس المرتزقة فيضع الإمام ندبا لأسمائهم وأرزاقهم ديوانا بكسر الدال على المشهور أي الدفتر وأول من وضعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ويستحب لكل قوم من قبيلة أو عدد يراه الإمام عريف أي يستحب للإمام نصبه ليعرض عليه أحوالهم ويجمعهم عند الحاجة كل ذلك للتسهيل وزاد الإمام على ذلك فقال وينصب الإمام صاحب جيش وهو ينصب النقباء وكل نقيب ينصب العرفاء وكل عريف يحيط بأسماء المخصوصين به فيدعو الإمام صاحب الجيش وهو يدعو النقباء وكل نقيب يدعو العرفاء الذين تحت رايته وكل عريف يدعو من تحت رايته

ويعطي كلا منهم وإن كان غنيا قدر حاجته وحاجة من يمونه وجوبا من أولاد صغار وكبار وزوجات وعبيد خدمة لمعتاد بها إن لم يكتف بواحد أو عبيد لحاجة الغزو أو الجهاد لا غيرهما أو لا عبيد زينة وتجارة وعلم من كلامه أنه لو نكح جديدة زيد في العطاء وبه صرح الأصل أما إذا اكتفى بعبد واحد للخدمة فلا يعطى لأكثر منه بخلاف الأولاد يعطى لحاجتهم وإن كثروا إذ لا اختيار له في لزوم نفقتهم وبخلاف الزوجات لانحصارهن في أربع بخلاف العبيد وقوله من نفقة وكسوة أي وسائر المؤن متعلق بقدر الحاجة ويراعي في مروءته وضدها والزمان والمكان وعادة البلد في المطعوم وما

". (١)

" أحدكم وحمد الله تعالى كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان قال العلماء معناه أن العطاس سببه محمود وهو خفة الجسم التي تكون لقلة الأخلاط وتخفيف الغذاء وهو أمر مندوب إليه لأنه يضعف الشهوة ويسهل الطاعة والتثاؤب بضد ذلك فإن غلب ه التثاؤب ستر فمه بيده أو غيرها لخبر مسلم إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فمه فإن الشيطان يدخل سواء كان في صلاة أم لا والتقييد بالغلبة من زيادة المصنف

---

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، ٣/٨٩

وأن يلبي الداعي أي المنادي له بأن يقول له لبيك وسعديك أو لبيك فقط وأن يرحب بالقادم عليه بأن يقول له مرحبا قال الأذرعي والذي يظهر تحريم تلبية الكافر والترحيب به ويبعد استحباب تلبية الفاسق والترحيب به أيضا وأن يخبر أخاه بحبه له في الله للأمر به في الأخبار الصحيحة وأن يدعو لمن أحسن إليه بأن يقول له جزاك الله خيرا أو حفظك الله أو نحوهما للأخبار المشهورة في ذلك قال في الأذكار ولا بأس بقوله للرجل الجليل في علمه أو صلاحه أو نحوهما جعلني الله فداك أو فداك أبي وأمي ونحوهما ودلائله من الأحاديث الصحيحة كثيرة مشهورة

الباب الثاني في كيفية الجهاد وما يتعلق به وفيه أطراف أربعة الأول في قتال الكفار ويكره الغزو بغير إذن الإمام أو نائبه نادبا معه ولأنه أعرف من غيره بمصالح الجهاد ولا يحرم إذ ليس فيه أكثر من التغرير بالنفوس وهو جائز في الجهاد قال الأذرعي وينبغي تخصيص ذلك **بالمتطوعة** أما المرتزقة فلا يجوز لهم ذلك قطعا لأنهم مرصودون لمهمات تعرض للإسلام يصرفهم فيها الإمام فهم بمنزلة الأجراء واستثنى البلقيني من اعتبار الإذن ما لو كان الذهاب للاستئذان يفوت المقصود أو عطل الإمام الغزو وأقبل هو وجنوده على الدنيا أو غلب على الظن أنه إن استؤذن لم يأذن

وإن بعث سرية سن له أن يؤمر عليهم أميرا وأن يلزمهم طاعته ويوصيه بهم لخبر أبي داود إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم ولخبر مسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله

وأن يبايعهم أن لا يفروا للاتباع رواه مسلم

وأن يخرجوا صبح يوم الخميس لأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يخرج فيه

وأن يبعث الطلائع ويتجسس أخبار الكفار وأن يعقد الرايات

ويجعل لكل فريق راية وشعارا حتى لا يقتل بعضهم بعضا بيانا

وأن يعبيهم بالباء المشددة بعد العين للقتال بأن يدخل دار الحرب بتعبية الحرب لأنه أحوط وأهيب

وأن يحرضهم عليه وعلى الصبر والثبات

وأن يدعو عند اللقاء وأن يستنصر بالضعفاء

وأن يكبر بلا إسراف في رفع الصوت وكل ذلك مشهور في سير النبي صلى الله عليه وسلم

ويجب عرض الإسلام أولا على الكفار بأن يدعوهم إليه إن علمنا أنه لم تبلغهم الدعوة وإلا استحب

وجاز بياتهم أي الإغارة عليهم ليلا بغير دعاء وإن كان فيهم النساء والذراري لأنه صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وسئل عن المشركين يبيتون فيصاب من نسائهم وذراريهم فقال هم منهم رواهما الشيخان وأما خبر النهي عن قتلهم فمحمول على ما بعد السبي لأنهم غنيمة

وجاز قتالهم حتى يسلموا أو يؤدي أهل الجزية الجزية ويجوز مع ذلك أن تسبى نساء غير أهل الجزية وأن تغنم أموالهم حتى يسلموا كما سيأتي

وله الاستعانة عليهم بعبيد أذن لهم ومراهقين أقوياء كذلك واستثنى البلقيني العبد الموصى بمنفعته لبيت المال والمكاتب كتابة صحيحة فلا يعتبر إذن سيدهما وفيما قاله في المكاتب وقفة

". (١)

" والنساء والخناثى إن كانوا أحرارا فكالمراهقين في استئذان الأولياء أو أرقاء فكالعبيد في استئذان السادات وبذلك علم أنه يعتبر في الرقيق إذن سيده لا أصله وبه صرح الماوردي قال ويعتبر في المبعض إذن أصله بما فيه من الحرية وإذن سيده بما فيه من الرق

وله الاستعانة بكفار ذميين أو مشركين أمناهم بأن عرفنا حسن رأيهم فينا ونحن نقاوم الفريقين أي المستعان بهم والمستعان عليهم لو اجتمعنا بأن لا يكثر العدد بالمستعان بهم كثرة ظاهرة وبذلك يجمع بين الأخبار الدالة لذلك والأخبار الدالة للمنع وظاهر كلامه جواز إحضار نسائهم وصبيانهم كالمسلمين وهو أحد قولين ذكرهما الأصل بلا ترجيح

ثانيهما لا إذ لا قتال منهم ولا رأي ولا يتبرك بحضورهم والراجح الجواز فقد نص عليه في الأم ويتميزون عنا أو يختلطون بنا بحسب المصلحة التي يراها الإمام

ويرد مخذل عن الخروج في الجيش وهو من يخوف الناس كأن يقول عدونا كثير وخيولنا ضعيفة ولا طاقة لنا بهم ومرجف وهو من يكثر الأراجيف كأن يقول قتلت سرية كذا أو لحقهم مدد للعدو من جهة كذا أو لهم كمين في موضع كذا وخائن وهو من يتجسس لهم ويطلعهم على العورات بالمكاتبة والمراسلة وإنما كان صلى الله عليه وسلم يخرج عبد الله بن أبي ابن سلول في الغزوات وهو رأس المنافقين مع ظهور التخذيل وغيره منه لأن الصحابة كانوا أقوياء في الدين لا يبالون بالتخذيل ونحوه وأنه صلى الله عليه وسلم

---

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، ١٨٨/٤

كان يطلع بالوحي على أفعاله فلا يستضر بكيده ويمنع كل من الثلاثة من أخذ شيء من الغنيمة حتى سلب قتيله

فصل لا يصح من أحد استئجار مسلم للجهاد لأنه يقع عنه وتقدم بيانه في الإجارة مع زيادة ولو عبدا فإنه لا يصح استئجاره للجهاد بناء على الأصح من أنه لو دخل الكفار دارنا تعين على العبد الجهاد

وللإمام ولو بنائبه بذل الأهبة ومنها السلاح من بيت المال أو من مال نفسه وله الأولى فله ثواب عمله أي إعانته لخبر الصحيحين من جهز غازيا فقد غزا

وثواب الجهاد لمباشره وكذا للآحاد بذل ذلك من مالهم ولهم ثواب إعانتهم وثواب الجهاد لمباشره ومحله في المسلم أما الكافر فلا بل يرجع فيه إلى رأي الإمام لاحتياجه إلى اجتهاد لأن الكافر قد يخون وما ذكر محله إذا بذل ذلك لا على أن يكون الغزو للباذل وإلا لم يجز كما صرح به الروياني وغيره

وما يدفع إلى المرتزقة من الفيء وإلى **المتطوعة** من الصدقات كما صرح به الأصل ليس بأجرة لهم بل هو مرتبهم وجهادهم واقع عنهم كما صرح به الأصل

ولو أجبر الإمام حرا على غسل أو دفن فقير ميت ولا بيت مال ثم فلا أجرة له بخلاف ما لو أجبره غير الإمام أو كان غنيا أو كان ثم بيت مال كما مر في آخر الإجارة وقوله حرا من تصرفه ولو عبر كأصله برجلا كان أولى وكان الحامل له على ذلك الاختصار في قوله أو أجبر حرا مسلما على الجهاد فكذلك أي فلا أجرة له وإن قاتل إن تعين عليه لما مر وإلا فله أجرة الذهاب أو أجبر عليه عبدا فلسيده الأجرة من حين ذهابه إلى عوده ليده

وللإمام لا لغيره استئجار كافر للجهاد ولو بأكثر

---

(١) ".

"الخيل مقبلا * أبا حسن يهوى دهتك الوساوس وأيقنت أن الموت حق وأنه * لنفسك إن لم تمض في الركض حابس فإنك لو لاقيته كنت بومة * أتيح لها صقر من الجو آنس وماذا بقاء القوم بعد اختباطه * وإن امرأ يلقى عليا لآيس دعاك فصمت دونه الأذن هاربا * بنفسك قد ضاقت عليك الأمالس وأيقنت أن الموت أقرب موعد * وأن التى ناداك فيها الدهارس وتشمت بى أن نالنى حد رمحه * وعضضنى ناب من الحرب ناهس (١) أبى الله إلا أنه ليث

---

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، ١٨٩/٤

غابة * أبو أشبل تهدى إليه الفرائس وأنى امرؤ باق فلم يلف شلوه * بمعترك تسفى عليه الروامس فإن كنت في شك فأرهج عجاجة * وإلا فتلك الترهات البسابس نصر: حدثنا عمرو بن شمر قال: حدثنا أبو ضرار قال: حدثنى عمار ابن ربيعة قال: غلس على بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، وقيل عاشر شهر صفر، ثم زحف إلى أهل الشام بعسكر العراق والناس على راياتهم، وزحف إليءم أهل الشام، وقد كانت الحرب أكلت الفريقين ولكنها في أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعا، فقد ملوا الحرب وكرهوا القتال، وتضعضعت أركانهم. قال: فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميت ذنوب، عليه السلاح، لا يرى منه إلا عيناه،

(١) في الأصل: " عضعضنى " والوجه ما أثبت. **والمطوعة** لم ترد في مظنها من ح. (*)

[٤٧٤]

وبيده الرمح، فجعل يضرب رءوس أصحاب على بالقناة ويقول: سووا صفوفكم [رحمكم الله]. حتى إذا عدل الصفوف والرايات استقبلهم بوجهه وولى أهل الشام ظهره، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذى جعل فينا ابن عم نبيه (١)، أقدمهم هجرة، وأولهم إسلاما، سيف من سيوف لله صبه على أعدائه. فانظروا (٢). إذا حمى الوطيس وثار القتام وتكسر المران، وجالت الخيل بالأبطال، فلا أسمع إلا غمغمة أو همهمة، [فاتبعوني وكونوا في إثرى]. قال: ثم حمل على أهل الشام وكسر فيهم رمحه ثم رجع، فإذا هو." [١]

"فإننا لم نملكه بل نرده على مالكه إن عرف وإلا فيحفظ ومن الفئ الجزية وعشر تجارة من كفار شرطت عليهم إذا دخلوا دارنا وخراج ضرب عليهم، على اسم الجزية وما جلوا أي تفرقوا عنه، ولو لغير خوف كضر أصابهم ومن قتل أو مات على الردة أو ذمي أو نحوه، مات بلا وارث أو ترك وارثا غير جائز، ثم شرع في قسمته بقوله: (ويقسم مال الفئ).

وما ألحق به من الاختصاصات (على خمس).

لقوله تعالى: * (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) * الآية (يصرف خمسه) وجوبا (على من يصرف عليهم خمس الغنيمة) فيخمس جميعه خمسة أخماس متساوية كالغنيمة خلافا للائمة الثلاثة.

حيث قالوا لا يخمس

---

(١) وقعة صفين- ابن مزاحم المنقري، ص/٣٨٣

بل جميعه لمصالح المسلمين ودليلنا قوله تعالى: * (ما أفاء الله على رسوله) * الآية فأطلق ها هنا وقيد في الغنيمة فحمل المطلق على المقيد جمعها بينهما لاتحاد الحكم فإن الحكم واحد وهو رجوع المال من المشركين للمسلمين وإن اختلف السبب بالقتال وعدمه.

كما حملنا الرقبة في الظهار على المؤمنة في كفارة القتل وكان (ص) يقسم له أربعة أخماسه، وخمس خمسه.

ولكل من الاربعة المذكورين معه في الآية خمس الخمس كما مر في الفصل قبله.

وأما بعده (ص) فيصرف ما كان له من خمس الخمس لمصالحنا كما مر أيضا في الفصل قبله.

(ويعطى أربعة أخماسها) التي كانت له (ص) في حياته (للمقاتلة) أي المرتزقة لعمل الاولين به.

لانها كانت رسول الله (ص) لحصول النصرة به والمقاتلون بعده هم المرصدون للقتال.

(في مصالح المسلمين) بتعيين الامام لهم سموا مرتزقة لانهم أرصدوا أنفسهم للذب عن الدين وطلبوا الرزق من مال الله.

وخرج بهم المتطوعة وهم الذين يغزون إذا نشطوا وإنما يعطون من الزكاة لا من الفئ عكس المرتزقة.

تتمة: يجب على الامام أن يبحث عن حال كل واحد من المرتزقة وعمن تلزمه نفقتهم من أولاد وزوجات ورقيق لحاجة غزو أو لخدمة إن اعتادها لا رقيق زينة وتجارة وما يكفيهم فيعطيه كفايته وكفايتهم من نفقة وكسوة وسائر المؤن، بقدر الحاجة ليتفرغ للجهاد ويراعي في الحاجة حاله في مروءته وضدها والمكان والزمان والرخص والغلاء وعادة البلد في المطاعم والملابس، ويزاد إن زادت حاجته بزيادة ولد أو حدوث زوجة ومن لا رقيق له، يعطى من الرقيق ما يحتاجه للقتال معه أو لخدمته إذا كان ممن يخدم وتعطى زوجته وأولاده الذين تلزمه نفقتهم في حياته إذا مات بعد أخذ نصيبه لئلا يشتغل الناس بالكسب عن الجهاد إذا علموا ضياع عيالهم بعدهم فتعطى الزوجة حتى تنكح لاستغنائها بالزوج ولو استغنت بكسب أو إرث أو نحوه.

كوصية لم تعط وحكم أم الولد كالزوجة وكذا الزوجات ويعطى الاولاد، حتى يستقلوا بكسب أو نحوه.

كوصية واستنبط السبكي رحمه الله تعالى من هذه المسألة أن الفقيه أو المعيد أو المدرس إذا مات تعطى زوجته وأولاده مما كان يأخذ ما يقوم بهم ترغيبا في العلم كالترغيب هنا في الجهاد اه.

وفرق بعضهم بينهما بأن الاعطاء من الاموال العامة وهي أموال المصالح أقوى من الخاصة كالاوقاف: فلا يلزم من التوسع في تلك التوسع في هذه لانه مال معين أخرجه

شخص لتحصيل مصلحة نشر العلم في هذا المحل المخصوص فكيف يصرف مع انتفاء الشرط، ومقتضى." (١)

"فعلى ذلك الراجح مذهب المالكية وهو قول في المذهب واختيار شيخ الإسلام أن الغارم الميت يجوز أن يبرأ ذمته من دينه بالزكاة .

قال : (السابع : في سبيل الله)

لقوله تعالى : ﴿ وفي سبيل الله ﴾

قال : (وهم الغزاة **المتطوعة** الذين لا ديوان لهم)

أي لا يعطون رواتب من الديوان أي من بيت المال أي من الفيء .

فإذا كان يعطى من الفيء فإنه لا يعطي من الزكاة أما إن لم يكن يعطى من الفيء أو كان يعطى من الديوان ما لا يكفيه فإنه حينئذ يعطى من الزكاة . يعطى – المجاهد – ما يكفيه لغزوته ذهابا وإيابا وما يحتاج إليه من أدوات الحرب ومراكبه وما يحتاج إليه من الطعام وغيره ، لقوله تعالى : ﴿ وفي سبيل الله ﴾ يعني الجهاد هذا ولو كان غنيا ، وذلك لما تقدم من التعليل السابق فإنه إنما يعطى للمصلحة العامة ، ولأن الله أطلق فقال : ﴿ وفي سبيل الله ﴾ ولم يقيده بالفقراء .

ويعطى من يريد الجهاد في سبيل الله ما يكفيه لغزوته تلك وليس له أن يوفر من ذلك شيئا ، فإذا بقى معه شيء من المال فاض عن غزوته فإنه يجب عليه أن يخرجه زكاة أو أن يعيده إلى مصلحة الزكاة . – وأدخل الحنابلة الحج والعمرة الفرض ، فقالوا : يجوز أن يأخذ الحاج والمعتمر من الزكاة ما يحج به ويعتمر .

– وفي إحدى الروايتين عن الإمام أحمد : في فرض أو نفل ، وهو ظاهر إطلاق بعض الحنابلة فيأخذ للحج والعمرة سواء كان فرضا أو نفلا .." (٢)

"فعلى ذلك الراجح مذهب المالكية وهو قول في المذهب واختيار شيخ الإسلام أن الغارم الميت يجوز أن يبرأ ذمته من دينه بالزكاة .

قال : (السابع : في سبيل الله)

لقوله تعالى : ﴿ وفي سبيل الله ﴾

قال : (وهم الغزاة **المتطوعة** الذين لا ديوان لهم)

---

(١) الإقناع، ٢٢١/٢

(٢) شرح الزاد للحمد، ١٨١/٩

أي لا يعطون رواتب من الديوان أي من بيت المال أي من الفيء .
فإذا كان يعطى من الفيء فإنه لا يعطي من الزكاة أما إن لم يكن يعطى من الفيء أو كان يعطى من الديوان ما لا يكفيه فإنه حينئذ يعطى من الزكاة . يعطى – المجاهد – ما يكفيه لغزوته ذهابا وإيابا وما يحتاج إليه من أدوات الحرب ومراكبه وما يحتاج إليه من الطعام وغيره ، لقوله تعالى : ﴿ وفي سبيل الله ﴾ يعني الجهاد هذا ولو كان غنيا ، وذلك لما تقدم من التعليل السابق فإنه إنما يعطى للمصلحة العامة ، ولأن الله أطلق فقال : ﴿ وفي سبيل الله ﴾ ولم يقيده بالفقراء .
ويعطى من يريد الجهاد في سبيل الله ما يكفيه لغزوته تلك وليس له أن يوفر من ذلك شيئا ، فإذا بقى معه شيء من المال فاض عن غزوته فإنه يجب عليه أن يخرجه زكاة أو أن يعيده إلى مصلحة الزكاة . – وأدخل الحنابلة الحج والعمرة الفرض ، فقالوا : يجوز أن يأخذ الحاج والمعتمر من الزكاة ما يحج به ويعتمر .
– وفي إحدى الروايتين عن الإمام أحمد : في فرض أو نفل ، وهو ظاهر إطلاق بعض الحنابلة فيأخذ للحج والعمرة سواء كان فرضا أو نفلا .." (١)

"أهل الزكاة ثمانية(١): الفقراء: وهم من لا يجدون شيئا أو يجدون بعض الكفاية (دون نصفها)، والمساكين: يجدون أكثرها أو نصفها، والعاملون عليها: وهم جباتها وحفاظها. والرابع: المؤلفة قلوبهم ممن يرجى إسلامه، أو كف شره، أو يرجى بعطيته قوة إيمانه. والخامس: الرقاب، وهم المكاتبون، ويفك منها الأسير المسلم. السادس: الغارم لإصلاح ذات البين ولو مع غني، أو لنفسه مع الفقر. السابع: في سبيل الله: وهم الغزاة المتطوعة الذين لا ديوان لهم. والثامن: ابن السبيل المسافر المنقطع به دون المنشئ للسفر من بلده، فيعطى قدر ما يوصله إلى بلده، ومن كان ذا عيال أخذ ما يكفيهم، ويجوز صرفها إلى صنف واحد، ويسن إلى أقاربه الذين لا تلزمه مؤنتهم.
فصل
ولا تدفع إلى هاشمي ومطلبي(٢)

---

(١) قال في الاختيارات: ولا ينبغي أن يعطي الزكاة لمن لا يستعين بها على طاعة الله، فإن الله تعالى فرضها معونة على طاعته لمن يحتاج إليها من المؤمنين كالفقراء والغارمين أو لمن يعاون المؤمنين، فمن لا يصلي من أهل الحاجات لا يعطى شيئا حتى يتوب، ويلتزم أداء الصلاة، ويجب صرف الزكاة إلى الثمانية

---

(١) شرح الزاد للحمد، ٤١/١٨١

إن كانوا موجودين وإلا صرفت إلى الموجود منهم. انتهى.
(٢) قوله: (ولا تدفع إلى هاشمي(١)) إلى آخره، قال في الاختيارات: وبنو هاشم إذا منعوا من خمس الخمس جاز لهم الأخذ من الزكاة، وهو قول القاضي يعقوب وغيره من أصحابنا، وقاله أبو يوسف والأصطخري من الشافعية لأنه محل حاجة وضرورة، ويجوز لبني هاشم الأخذ من زكاة الهاشميين، وهو محكي عن طائفة من أهل البيت إلى أن قال: وإذا كانت الأم فقيرة ولها أولاد صغار لهم مال ونفقتها تضر بهم أعطيت من زكاتهم، والذي يخدمه إذا لم تكفه أجرته أعطاه من زكاته إذا لم يستعمله بدل خدمته. انتهى.
(١) لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس) أخرجه مسلم في: باب ترك استعمال آل النبي - صلى الله عليه وسلم - على الصدقة، من كتاب الزكاة حديث رقم ١٠٧٢، ط ابن حزم ج٢.." (١)
."

(قوله وإن لم تتعين إلخ) ما بحثه الشيخ في شرح الروض مع أن محل ما ذكر أي : من الفطر مع القضاء والفدية في المستأجرة **والمتطوعة** إذا لم توجد مرضعة مفطرة أو صائمة لا يضرها الإرضاع محمول في المستأجرة على ما إذا غلب على ظنها احتياجها إلى الإفطار قبل الإجارة وإلا فالإجارة بالإرضاع لا تكون إلا إجارة عين ولا يجوز إبدال المستوفى منه فيها شرح م ر (قوله وإن لم تتعين) بأن تعددت المراضع ثم كما صرح به في المجموع وعبارته في شرح العباب ما نصه وبحث أن محله في المستأجرة والمتبرعة إن لم توجد مرضعة مفطرة أو صائمة لا يضرها الإرضاع أي وتبرعت كل منهما به لكن يرده قول المجموع لو كان هناك نسوة مراضع فلواحدة منهن إرضاعه تقربا والفطر للخوف عليه وإن لم يتعين عليها ا هـ فتأمل تصويره ذلك بما إذا كان ثم مراضع وقوله وإن لم تتعين تجده صريحا في رد ذلك البحث ا هـ وأقول صراحته في ذلك ممنوعة قطعا ؛ لأن كلا من ذلك التصوير وذلك القول صادق مع وجود مفطرة أو من لا يضرها الإرضاع ومع عدمهما كما هو ظاهر فيمكن تخصيصه بالثاني فأين الصراحة مع ذلك فتأمله .
(قوله في المتن لزمتهما الفدية في الأظهر) أي : مع القضاء قال الناشري ولا تتعدد الفدية بتعدد الأولاد الرضعاء في الأصح ا هـ وعبارة الروض ولا تتعدد بتعدد الأولاد ا هـ قال في العباب وتبقى في ذمة المعسرة

---

(١) كلمات السداد، ص/١٠٦

والرقيقة إلى اليسار ا هـ .

(قوله لزمتهما الفدية) الظاهر اختصاص هذا برمضان كما." (١)

"يدل عليه تعبير العباب بقوله الثانية أي : من طرق الفدية فوات فضيلة رمضان .

(قوله وفارقت كون دم التمتع على المستأجر إلخ) يتأمل هذا الكلام فإن الإرضاع هنا نظير الإتيان بأعمال الحج فإن أريد بوجوب إيصال المنفعة عليها الذي هو الإرضاع وجوبه بمقتضى الإجارة فالإتيان بأعمال الحج كذلك فإنه واجب على الأجير بمقتضى الإجارة وإن أريد وجوب ذلك بمقتضى التكليف فكما أن أعمال الحج واجبة على المستأجر فإيصال اللبن واجب على ولي الصبي فإنه المكلف به وإن لم يباشره بنفسه على أن الحكم جاز مع إمكان مباشرته بنفسه بأن يكون الولي وصيا من أم وإن علت لها لبن فما معنى الفرق .

(قوله بأن فعل تلك) أي : وهو فطرها كما عبر به في شرح الروض .

(قوله الواجب عليها) يخرج **المتطوعة** بخلاف وأيضا الآتي أي بخلاف قول الشارح بعد وأيضا فالعبادة هنا إلخ .

(قوله وأيضا فالعبادة هنا) يحتمل أن المراد بالعبادة هنا الصوم وأن المراد بوقوعها ولو بقضائها ويكون حاصل الفرق أن الفدية وقوعها هنا لجبر الصوم حيث فاتت فضيلة وقته والصوم واقع لها والفدية في الحج لجبره وهو واقع للمستأجر ويحتمل أن المراد بها الفطر وفي إطلاق أنها عبادة وأنه لها مع أن نفعه للطفل أيضا بل هو المقصود بنفعه نظر ثم رأيت ما يأتي قريبا مما حاصله تصويب إطلاق وجوب الفطر فيكون عبادة مطلقا (قوله أما المرضعة المتحيرة فلا فدية عليها إلخ) ثم محل ما ذكر في المتحيرة إذا أفطرت." (٢)

"يكون الخوف مع غيرهما أو لا وهي قوله تعالى ﴿ ومن كان مريضا ﴾ إلى آخرها ا هـ .

(قوله وهو الخوف إلخ) كونه مانعا محل تأمل وليس في قوله ألا ترى إلخ ما يدل لذلك فتأمل بصري (قوله بغير ذلك) يعني بدون الخوف على الولد (قوله أو خافتا على الولد) أي : ولو حربيا على الأوجه ؛ لأنه محترم خلافا لما يقتضيه كلام الزركشي إيعاب (قوله ولو حربيا) أي بأن استؤجرت امرأة مسلمة لإرضاع ولد حربي مثلا ع ش .

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ١٤/٨

(٢) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ١٤/٩

(قوله ولو من تبرعت إلخ) الأولى إسقاط لفظة من .
(قوله وإن لم تتعين إلخ) خلافا للمغني والأسنى عبارة الأول وظاهر كما قال شيخنا أن محمل ما ذكر أي : جواز الفطر مع القضاء والفدية في المستأجرة والمتطوعة إذا لم يوجد مرضعة مفطرة أو صائمة لا يضرها الإرضاع ا هـ وعبارة النهاية وما بحثه الشيخ من أن محل ما ذكر في المستأجرة والمتطوعة إذا لم توجد مرضعة مفطرة إلخ محمول في المستأجرة على ما إذا غلب على ظنها احتياجها إلى الإفطار قبل الإجارة وإلا فالإجارة بالإرضاع لا تكون إلا إجارة عين ولا يجوز إبدال المستوفى منه فيها ا هـ وأقره م ر قال الرشيدي قوله م ر محمول على ما إذا غلب على ظنها إلخ وحينئذ فلا تصح الإجارة لعدم قدرتها على تسليم المنفعة شرعا وخرج بذلك ما إذا لم يغلب على ظنها ما ذكر فتصح الإجارة ويجوز لها الفطر بل يجب ويمتنع عليه دفع الطفل لغيرها وهو موضوع كلام الأصحاب وهو حاصل قوله م ر وإلا فالإجارة إلخ ا هـ قول المتن (لزمتهما الفدية) أي :." (١)

"من مالهما مع القضاء مغني زاد النهاية والفطر فيما ذكر جائز بل واجب إن خيف نحو هلاك الولد ولا تتعدد الفدية بتعدد الأولاد ؛ لأنها بدل عن الصوم بخلاف العقيقة ؛ لأنها فداء عن كل واحد ا هـ قول المتن (لزمتها الفدية إلخ) أي مع القضاء ولا تتعدد الفدية بتعدد الأولاد ناشري وروض والظاهر اختصاص ذلك أي : لزوم الفدية برمضان كما يدل عليه تعبير العباب بقوله الثانية أي : من طرق الفدية فوات فضيلة رمضان سم .
(قوله أنها منسوخة إلخ) أي والناسخ له قوله تعالى ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ والقول بنسخه قول أكثر العلماء مغني (قوله وفارقت كون دم التمتع إلخ) يتأمل هذا الكلام فإن الإرضاع هنا نظير الإتيان بأعمال الحج ا هـ سم بحذف .
(قوله بأن فعل تلك) أي : وهو فطرها كما عبر به في شرح الروض أي : والنهاية والمغني ا هـ سم .
(قوله الواجب إلخ) يخرج المتطوعة بخلاف قوله الآتي وأيضا إلخ سم (قوله وفعل هذا) أي : الدم أسنى ومغني (قوله وأيضا فالعبادة إلخ) لعل المراد بالعبادة هنا الفطر وفي إطلاق أنها عبادة وأنه لها مع أن نفعه للطفل أيضا بل هو المقصود بنفعه نظر ثم رأيت ما يأتي قريبا مما حاصله تصويب إطلاق وجوب الفطر فيكون عبادة مطلقا ا هـ سم بحذف .
(قوله أما المرضعة إلخ) وكذا الحاملة المتحيرة بناء على أن الحامل تحيض نهاية ومغني وشرح بافضل (

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ١٣/١٤

قوله للشك) أي : في أنها حائض أو لا مغني (قوله فلا فدية عليها إلخ) هذا ظاهر فيما إذا أفطرت ستة عشر." (١)

"(وأما الأخماس الأربعة) التي كانت هي خمس الخمس للنبي صلى الله عليه وسلم على ما مر (فالأظهر أنها للمرتزقة) وقضاتهم وأئمتهم ومؤذنيهم وعمالهم ما لم يوجد متبرع (وهم الأجناد المرصدون) في الديوان (للجهاد) لحصول النصرة بهم بعده صلى الله عليه وسلم سموا بذلك ؛ لأنهم أرصدوا نفوسهم للذب عن الدين وطلبوا الرزق من مال الله تعالى وخرج بهم **المتطوعة** بالغزو وإذا نشطوا فيعطون من الزكاة دون الفيء عكس المرتزقة أي ما لم يعجز سهمهم عن كفايتهم فيكمل لهم الإمام من سهم سبيل الله أخذا من كلام الإمام الذي قال الأذرعي عقبه إنه حسن صحيح غريب وحاصله أنه إذا عدم مال الفيء من يد الإمام والمرتزقة مفقود فيهم شرط استحقاق سهم سبيل الله لم يجز صرفه إليهم فإن لم يفقد فيهم ولو لم يكفهم لضاعوا ورأى صرفه إليهم ، وأن انتهاضهم للقتال أقرب من انتهاض **المتطوعة** لم يعترض عليه ا هـ وزيف أعني الإمام قول الصيدلاني إذا لم يكن للمرتزقة شيء صرف إليهم من سهم سبيل الله إذا قاتلوا مانعي الزكاة ا هـ وكان وجه التزييف أن اشتراط مقاتلتهم لمانعي الزكاة إنما يناسب الأخذ من سهم المؤلفة وقول الغزالي إذا قاتلوا مانعي الزكاة لم يبعد أن يعطوا من سهم الغارمين بعيد جدا (فيضع) وجوبا عند جمع وادعوا أنه ظاهر كلام الروضة وندبا عند آخرين ، وهو الأوجه ؛ لأن القصد الضبط ، وهو لا ينحصر في ذلك (الإمام ديوانا) أي دفترا اقتداء بعمر رضي الله عنه." (٢)

."

(قول المتن : غزاة) أي : ذكور .

ا هـ .

مغني (قوله : أي : لا سهم) إلى قوله فإن امتنعوا في النهاية إلا قوله على أن إلى المتن وقوله ومر إلى وإن عدم (قوله : المخالف) نعت تفسير إلخ وقوله : له بالحج متعلق به أي : بتفسير إلخ وضمير له لابن السبيل (قوله : أجابوا إلخ) أي : أكثر العلماء (قوله : بأنا لا نمنع إلخ) متعلق بقوله : أجابوا (قوله : في سبيل الله في الآية) أي : في المراد به (قوله : وقوله إلخ) مبتدأ خبره قوله : صريح إلخ .
(قوله : بهم) أي : بطائفة سبيل الله وكان الأولى به أي : بلفظ سبيل الله وقوله فيها أي : الآية وقوله :

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ١٤/١٤

(٢) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ٤١٨/٢٨

من ذكرناه أي : الغزاة **المتطوعة** (قوله : ذلك الحديث) أي : الذي استدل به أحمد وغيره (قوله : جعل صدقة إلخ) أي : وقفا (قوله : لمن يحج) متعلق بإعطاء إلخ (قوله : ومر) أي : في قسم الفيء وقوله : لهم أي : للمتطوعة وقوله لأهله أي : الفيء وهم المرتزقة (قوله : على ما مر) أي : في قسم الفيء (قوله : فيهم) أي : أهل الفيء وقوله عن الإمام ، وهو أنه إذا عجز سهمهم عن كفايتهم كمل لهم من سهم سبيل الله .

ا هـ .

سم .

(قوله : فإن عدم) أي : الفيء .

ا هـ .

سم (قوله : إليهم) أي : المرتزقة (قوله : فإن امتنعوا) أي : الأغنياء (قوله : ولم يجبرهم) أي : الأغنياء الممتنعين وفي بعض النسخ ولم يجد غيرهم وعليه فقوله : غيرهم أي : غير أهل الفيء ، وهو بالنصب مفعول " لم يجد " وفاعله الإمام (قوله : وإنما لم يعط الآل إلخ) سيأتي ما يتعلق بذلك." (١)

"أصابه من نحو كلب أو مع الطهر بمستعمل ، أو فعل ما يجوز في اعتقادهم لم يتعرض له بتعزير ولا نحوه كمنعه من ذلك فليحرر ، ثم رأيت في باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ما لفظه : وكذلك قالوا : ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من يخالفه إذا لم يخالف نصا أو إجماعا أو قياسا جليا ا هـ .

وهو بظاهره شامل لما نحن فيه .

(قوله ولكن لو احتيج إنكار ذلك لقتال لم يفعله إلخ) في شرح مسلم قال إمام الحرمين : ويسوغ لآحاد الرعية أن يصد مرتكب الكبيرة إن لم يندفع عنها بقوله ما لم ينته الأمر إلى نصب قتال وشهر سلاح ، فإن انتهى الأمر إلى ذلك ربط الأمر بالسلطان .

ا هـ .

وذكر قبله عن القاضي عياض مثله .

(قوله : وليس لأحد البحث والتجسس إلخ) عبارة شرح مسلم قال أي إمام الحرمين : وليس للآمر بالمعروف البحث والتنقير والتجسس واقتحام الدور بالظنون ، بل إن عثر على منكر غيره جهده ، هذا كلام

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ٤٣/٢٩

إمام الحرمين ، وقال : أقضى القضاة الماوردي : وليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات فإن غلب على الظن استسرار قوم بها لإمارة وآثار ظهرت فذلك ضربان : أحدهما : أن يكون في انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل : أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها ؛ فيجوز له في مثل هذا الحال أن يتجسس ويقدم على البحث والكشف حذرا من فوات ما لا يستدرك ، وكذا لو عرف ذلك غير المحتسب من **المتطوعة** جاز لهم الإقدام على الكشف والإنكار ، الضرب الثاني : ما." (١)

"وليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات فإن غلب على الظن استسرار قوم بها لأمارة وآثار ظهرت فذلك ضربان أحدهما أن يكون في انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها فيجوز له في مثل هذا الحال أن يتجسس ويقدم على البحث والكشف حذرا من فوات ما لا يستدرك .

وكذا لو عرف غير المحتسب من **المتطوعة** جاز لهم الإقدام على الكشف والإنكار والضرب .

الثاني ما قصر عن هذه الرتبة فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه فإن سمع أصوات الملاهي المنكرة من دار أنكرها خارج الدار ولم يهجم عليها بالدخول ؛ لأن المنكر ليس ظاهرا وليس عليه أن يكشف عن الباطن .

ا هـ .

سم (قوله : وليس لأحد) أي من الآمر والناهي .

ا هـ .

أسنى (قوله : واقتحام الدور) أي الدخول فيها للبحث عما فيها .

ا هـ .

ع ش (قوله : ولو بقرينة ظاهرة) انظر هذه الغاية وعبارة الأنوار فإن غلب على الظن استسرار قوم بالمنكر بآثار وأمارة فإن كان مما يفوت تداركه إلخ .

ا هـ .

رشيدي (قوله : وإلا إلخ) أي وإن لم يفت تداركها فلا يجوز التجسس .

(قوله : ولو توقف إلخ) عبارة المغني والروض مع شرحه والإنكار للمنكر يكون باليد فإن عجز فباللسان

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ٣٩/٣٩٣

ويرفق بمن يخاف شره ويستعين عليه بغيره إن لم يخف فتنة فإن عجز عنه رفع ذلك إلى الوالي فإن عجز أنكر بقلبه .

ا هـ .

(قوله : من هتك) أي لعرضه .

ا هـ .

نهاية (قوله : قاله ابن القشيري إلخ) نعم لو لم." (١)

"(فصل في مكروهات ومحرمات ومندوبات في الغزو) (قوله : في مكروهات) إلى قوله ، ولخبر مسلم في النهاية إلا قوله : كما صح إلى ويسن ، وقوله : وذكرت إلى المتن (قوله : وما يتبعها) أي : وما يجوز قتالهم به .

ا هـ .

مغني (قوله : لأن الغازي إلخ) أي : وسمي المقاتل غازيا لأن إلخ .

ا هـ .

ع ش (قوله يطلب إعلاء كلمة الله) أي : المطلوب منه ذلك .

ا هـ .

ع ش (قول المتن أو نائبه) أو بمعنى الواو .

ا هـ .

سيد عمر (قوله ؛ لأن أحدهما) إلى قول المتن وإذا بعث في المغني إلا قوله أي ولم يخش إلى المتن وقوله ما لم يخش فتنة (قوله : لأن أحدهما) عبارة النهاية إذ كل منهما .

ا هـ .

وهي أحسن (قوله : منه) عبارة المغني من غيره .

ا هـ .

(قوله وبحث الزركشي إلخ) عبارة المغني وينبغي كما قال الأذرعي تخصيص ذلك **بالمتطوعة** وأما المرتزقة فلا يجوز لهم ذلك ؛ لأنهم مرصدون لمهمات تعرض للإسلام يصرفهم فيها الإمام فهم بمنزلة الأمراء .

ا هـ .

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ٤٠١/٣٩

(قوله : إنه ليس إلخ) قضيته أنه لا فرق بين أن يعطل الإمام الغزو وأن لا وعليه فيختص ما يأتي من عدم كراهة الغزو بغير إذن بالمتطوعين بالغزو .

ا هـ .

ع ش (قوله : لمرتزق) هو من أثبت اسمه في الديوان وجعل له رزق من بيت المال .

ا هـ .

ع ش (قوله : و البلقيني إلخ) عبارة المغني تنبيه استثنى البلقيني من الكراهة صورا أحدها أن يفوته المقصود بذهابه للاستئذان ثانيها إذا عطل الإمام الغزو وأقبل هو وجنوده على أمور الدنيا كما يشاهد ثالثها إذا غلب على ظنه." (١)

"أقامتها وتركها

واستحب القاضي وأصحابه وأبو الفرج والشيخ والترغيب تركه للترغيب في الستر وهذا يخالف ما جزم به في آخر الرعاية من وجوب الإغضاء عن من ستر المعصية فإنهم يفرقوا وهو ظاهره كلام الخلال ويتوجه فيمن عرف بالشر والفساد أن لا يستر عليه وهو يشبه قول القاضي المتقدم في المقر بالحد

وسبق قول شيخنا في إقامة الحد وللحاكم في الأصح أن يعرض له بالتوقف عنها كتعريضه لمقر ليرجع وفيه في الانتصار تلقينه الرجوع مشروع وإن دعا زوج أربعة لتحملها بزنا امرأته جاز لقوله تعالى ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم ﴾ النساء ١٥ الآية وقيل لا كغيره أو لإسقاطه (((لإسقاط))) الحد

وفي الأحكام السلطانية إن ظن قوم من المتطوعة استسرار قوم بمعصية في انتهاك حرمة يفوت استدراكها كقتل وزنا فلهم الكشف والإنكار كالذي كان من شأن المغيرة وشهوده ولم ينكر عليهم هجومهم وإن حدهم لقصور الشهادة قال في الرعاية وإن قال احضرا لستمعا (((لتسمعا))) قذف زيد لي لزمهما ويتوجه إن لزم إقامة الشهادة

ولا يقيم شهادة لآدمي حتى يسأله ولا يقدح فيه كشهادة حسبة ويقيمها بطلبه ولو لم يطلبها حاكم ويحرم كتمها قال شيخنا ويقدح فيه وقال إن كان بيد من لا يستحقه ولا يصل إلى من يستحقه لم يلزمه إعانة أحدهما ويعين متأولا مجتهدا على غيره وفيه واضح ابن عقيل في خبر واحد يحرم كتمها وإن لم يلزم عمل بقول واحد أو من ظاهره العدالة فيما يعتبر البحث عنه

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ٤٨٧/٣٩

ويستحب إعلامه قبل إقامتها وقال شيخنا الطلب العرفي أو الحالي كاللفظي علمها الآدمي أو لا وأنه ظاهر الخبر وإن خبر يشهد ولا يستشهد على الزور وأنها ليست حقا لأحد ولا لتعين إعلامه ولما تحملها بلا إذنه وقال في رده على الرافضي إذا أداها قبل طلبه قام بالواجب وكان أفضل كمن عنده أمانة فأداها عند الحاجة وأن المسألة تشبه الخلاف في الحكم قبل الطلب

وتحرم الشهادة إلا بما يعلمه (((يعلمه))) وهو برؤية أو سماع غالبا لأحمد من له على رجل حق يجحده وقوم هو عندهم عدل يشهدون به له قال هو قول سوء

---

(١) ".

"أو برحى بعطبته قوة إيمانه الخامس الرقاب وهم المكاتبون ويفك منها الأسير المسلم السادس الغارم لإصلاح ذات البين ولو مع غنى أو لنفسه مع الفقر السابع في سبيل الله وهم الغزاة **المتطوعة** الذين لا ديوان لهم الثامن ابن السبيل المسافر المنقطع به دون المنشي للسفر من بلده فيعطي ما يوصله إلى بلده ومن كان ذا عيال أخذ ما يكفيهم ويجوز صرفها إلى صنف واحد ويسن إلى أقاربه الذين لا تلزمه مؤنتهم

فصل ولا تدفع إلى هاشمي ومطلي ومواليهما ولا إلى فقيرة تحت غني منفق ولا إلى فرعه وأصله ولا إلى عبد وزوج وإن أعطاها لمن ظنه غير أهل فبان أهلا أو بالعكس لم يجزه إلا لغني ظنه فقيرا وصدقة التطوع مستحبة وفي رمضان وأوقات الحاجات أفضل وتسن بالفاضل عن كفايته ومن يمونه ويأثم بما ينقصها

---

(٢) ".

"أحدهما : غارم لغيره ، وهو الغارم لأجل إصلاح ذات البين ، بأن يقع بين قبيلتين أو قريتين نزاع في دماء أو أموال ، ويحدث بسبب ذلك بينهم شحناء وعداوة ، فيتوسط الرجل بالصلح بينهما ، ويلتزم في ذمته مالا عوضا عما بينهم ، ليطفئ الفتنة ، فيكون قد عمل معروفا عظيما ، من المشروع حمله عنه من الزكاة ، لئلا تجحف الحمالة بماله ، وليكون ذلك تشجيعا له ولغيره على مثل هذا العمل الجليل ، الذي يحصل به كف الفتن والقضاء على الفساد ، بل لقد أباح الشارع لهذا الغارم المسألة لتحقيق هذا الغرض

---

(١) الفروع، ٦/٤٧٥

(٢) زاد المستقنع، ص/٧٧

بما ففي " صحيح مسلم " عن قبيصة ، قال : تحولت حمالة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها

الثاني : الغارم لنفسه ، كأن يفتدي نفسه من كفار ، أو يكون عليه دين لا يقدر على تسديده ، فيعطى من الزكاة ما يسدد به دينه ، لقوله تعالى : والغارمين

السابع : في سبيل الله ، بأن يعطى من الزكاة الغزاة **المتطوعة** الذين لا رواتب لهم من بيت المال ؛ لأن المراد بسبيل الله عند الإطلاق الغزو ، قال تعالى : إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله وقال تعالى : وقاتلوا في سبيل الله

الثامن : ابن السبيل ، وهو المسافر المنقطع به في سفره بسبب نفاد ما معه أو ضياعه ؛ لأن السبيل هو الطريق ، فسمي من لزمه ابن السبيل ، فيعطى ابن السبيل ما يوصله إلى بلده ، وإن كان في طريقه إلى بلد قصده ، أعطي ما يوصله ذلك البلد ، وما يرجع به إلى بلده ، ويدخل في ابن السبيل الضيف كما قال ابن عباس وغيره ، وإن بقي مع ابن السبيل أو الغازي أو الغارم أو المكاتب شيء مما أخذوه من الزكاة زائدا عن حاجتهم ، وجب عليهم رده ؛ لأنه لا يملك ما أخذه ملكا مطلقا ، وإنما يملكه ملكا مراعى بقدر الحاجة ، وتحقق السبب الذي أخذه من أجله ، فإذا زال السبب ، زال الاستحقاق .." (١)

"ولا يجوز له صرفه في غيره، ولو فقيرا(١) وإن دفع إلى الغارم لفقره، جاز أن يقضي منه دنيه(٢)

(السابع في سبيل الله، وهم الغزاة **المتطوعة** الذين لا ديوان لهم)(٣).

(١) أي غير ما أعطي له، وإن كان فقيرا، لأنه إنما يأخذ أخذا مراعى.

(٢) لملكه إياه ملكا تاما،ومن فيه سببان، أخذ بهما وفاقا، والمذهب أن من أخذ بسبب يستقر الأخذ به، وهو الفقر، والمسكنة، والعمالة، والتأليف، صرفه فيما شاء، كسائر ماله، وإن دفع المالك إلى الغريم، بلا إذن الفقير صح، كقضاء الإمام عن الحي بلا وكالة.

(٣) أي لا حق لهم في الديوان، وسموا به لأن السبيل عند الإطلاق هو الغزو، لقوله ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ﴾ ،وقوله ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وإنما استعملت هذه الكلمة في الجهاد، لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين، ولا خلاف في استحقاقهم، وبقاء حكمهم

(١) الملخص الفقهي وكتب أخرى، ٢٧/٤

في الديوان، إذا كانوا متطوعة، لأن من له رزق من بيت المال راتب يكفيه، فهو مستغن به وفاقا، وأبو حنيفة يخص به الفقير، ومالك والشافعي وأحمد قالوا: يأخذ الغني منهم، كما يأخذ الفقير، «والديوان» بالكسر، وأصله «دوان» فعوض من إحدى الواوين ياء، لقولهم في جمعه دواوين، وأول من دون الدواوين في الإسلام عمر رضي الله عنه.." (١)

"إن منعها جحدا لوجوبها كفر ... ٢٩٣

تجب في مال صبي ومجنون ... ٢٩٦

الأفضل أن يفرقها بنفسه ويجوز دفعها للإمام ... ٢٩٧

ما يقول هو وآخذها عند دفعها ... ٢٩٨

حكم نقل الزكاة إلى ما تقصر فيه الصلاة ... ٣٠٠

بعث السعادة زمن الوجوب لقبضها وتعجيلها وما يشترط له ... ٣٠٤

ما أخذ العامل باسم الزكاة اعتد به ... ٣٠٧

باب أهل الزكاة وصدقة التطوع وحكم السؤال ... ٣٠٨

أهلها ثمانية أصناف لا يجوز صرفها إلى غيرهم ... ٣٠٨

من لا يصلي لا يعطي منها حتى يتوب ... ٣٠٩

الغنى في باب الزكاة نوعان ... ٣١١

ثبوت حق المؤلفة قلوبهم عند الحاجة ... ٣١٤

الغارمون نوعان ... ٣١٧

من أهل الزكاة (في سبيل الله) وهم: الغزاة المتطوعة ... ٣١٩

المراد بـ "ابن السبيل" وما يعطى منها ... ٣٢٠

أهل الزكاة قسمان ... ٣٢٢

من ادعى عيالا أو فقرا والتحقيق في ذلك ... ٣٢٣

يجوز صرفها إلى صنف واحد ... ٣٢٤

الذي عليه الدين لا يعطيه ليستوفي دينه ... ٣٢٦

فصل فيمن لا يجزئ دفع الزكاة إليه وفضل صدقة التطوع ... ٣٢٨

---

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم، ٥/٢٩١

"تدين (لنفسه) في شراء من كفار أو مباح أو محرم وتاب (مع الفقر ويعطى وفاء دينه ولو لله ولا يجوز له صرفه في غيره ولو فقيرا وإن دفع إلى الغارم لفقره جاز أن يقضي منه دينه (السابع في سبيل الله وهم الغزاة **المتطوعة** أي) الذين (لا ديوان لهم) أو لهم دون ما يكفيهم فيعطى ما يكفيه لغزوة ولو غنيا ويجزئ أن يعطي منها لحج فرض فقير وعمرته لا أن يشتري منها فرسا يحبسها أو عقارا يقفه على الغزاة وإن لم يغز رد ما أخذه نقل عبد الله إذا خرج في سبيل الله أكل من الصدقة (الثامن ابن السبيل) وهو (المسافر المنقطع به) أي بسفره المباح أو المحرم إذا تاب (دون المنشيء للسفر من بلده) إلى غيرها لأنه ليس في سبيل الله لأن السبيل هي الطريق فسمي من لزمها ابن السبيل كما يقال ولد الليل لمن يكثر خروجه فيه وابن الماء نظيره لملازمته له (فيعطى) ابن السبيل (ما يوصله إلى

---

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم، ٣٠/٦

." (١)

"نفق : قد تكرر في الحديث ذكر ﴿ النفاق ﴾ وما تصرف منه اسما وفعلا، وهو اسم إسلامي، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفا. يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقا، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد جحرة اليربوع، إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر، وخرج منه. وقيل: هو من النفق: وهو السرب الذي يستتر فيه، لستره كفره. وفي حديث حنظلة ﴿ نافق حنظلة ﴾ أراد أنه إذا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم أخلص وزهد في الدنيا، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها، فكأنه نوع من الظاهر والباطن، ما كان يرضى أن يسامح به نفسه. وفيه ﴿ أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها ﴾ أراد بالنفاق ها هنا الرياء لأن كليهما إظهار غير ما في الباطن. وفيه ﴿ المنفق سلعته بالحلف كاذب ﴾ المنفق بالتشديد: من النفاق، وهو ضد الكساد. ويقال: نفقت السلعة فهي نافقة، وأنفقتها ونفقت٥١، إذا جعلتها نافقة. ومنه الحديث ﴿ اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة ﴾ أي هي مظنة لنفاقها وموضع له. ومنه حديث ابن عباس ﴿ لا ينفق بعضكم لبعض ﴾ أي لا يقصد أن ينفق سلعته على جهة النجش، فإنه بزيادته فيها يرغب السامع، فيكون قوله سببا لابتياعها، ومنفقا لها. ومنه حديث عمر ﴿ من حظ المرء نفاق أيمه ﴾ أي من حظه وسعادته أن تخطب إليه نساؤه، من بناته وأخواته، ولا يكسدن كساد السلع التي لا تنفق. وفي حديث ابن عباس ﴿ والجزور نافقة ﴾ أي ميتة. يقال: نفقت الدابة، إذا ماتت

نفل : في حديث الجهاد ﴿ أنه نفل في البدأة الربع، وفي القفلة الثلث ﴾ النفل بالتحريك: الغنيمة، وجمعه: أنفال. والنفل بالسكون وقد يحرك: الزيادة وقد تقدم معنى هذا الحديث في حرف الباء وغيره. ومنه الحديث ﴿ أنه بعث بعثا قبل نجد، فبلغت سهمانهم اثني عشر بعيرا، ونفلهم بعيرا بعيرا ﴾ أي زادهم على سهامهم. ويكون من خمس الخمس. ومنه حديث ابن عباس ﴿ لا نفل في غنيمة حتى تقسم جفة كلها ﴾ أي لا ينفل منها الأمير أحدا من المقاتلة بعد إحرازها حتى تقسم كلها، ثم ينفله إن شاء من الخمس، فأما قبل القسمة فلا. وقد تكرر ذكر ﴿ النفل والأنفال ﴾ في الحديث، وبه سميت النوافل في العبادات، لأنها زائدة على الفرائض. ومنه الحديث ﴿ لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل ﴾ الحديث. وفي حديث قيام رمضان ﴿ لو نفلتنا بقية ليلتنا هذه ﴾ أي زدتنا من صلاة النافلة. والحديث الآخر ﴿ إن المغانم كانت محرمة على

(١) الروض المربع، ٤٠٣/١

الأمم قبلنا، فنفلها الله تعالى هذه الأمة ﴾ أي زادها. وفي حديث القسامة ﴿ قال لأولياء المقتول: أترضون بنفل خمسين من اليهود ما قتلوه؟ ﴾ يقال: نفلته فنفل: أي حلفته فحلف. ونفل وانتفل، إذا حلف. وأصل النفل: النفي يقال: نفلت الرجل عن نسبه، وانفل عن نفسك إن كنت صادقا: أي انف عنك ما قيل فيك، وسميت اليمين في القسامة نفلا لأن القصاص ينفى بها. ومنه حديث علي ﴿ لوددت أن بني أمية رضوا ونفلناهم خمسين رجلا من بني هاشم، يحلفون ما قتلنا عثمان، ولا نعلم له قاتلا ﴾ يريد نفلنا لهم. ومنه حديث ابن عمر ﴿ أن فلانا انتفل من ولده ﴾ أي تبرأ منه. وفي حديث أبي الدرداء ﴿ إياكم والخيل المنفلة التي إن لقيت فرت، وإن غنمت غلت ﴾ كأنه من النفل: الغنيمة: أي الذين قصدهم من الغزو الغنيمة والمال، دون غيره، أو من النفل، وهم **المطوعة** المتبرعون بالغزو، والذين لا إسم لهم في الديوان، فلا يقاتلون قتال من له سهم. هكذا جاء في كتاب أبي موسى من حديث أبي الدرداء. والذي جاء في ﴿ مسند أحمد ﴾ من رواية أبي هريرة ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والخيل المنفلة، فإنها إن تلق تفر، وإن تغنم تغلل ﴾ ولعلهما حديثان

نفه : فيه ﴿ هجمت له العين ونفهت له النفس (رواية الهروي واللسان: ﴿ هجمت عيناك ونفهت نفسك ﴾ قال في اللسان: رواه أبو عبيد ﴿ نفهت ﴾ والكلام: ﴿ نفهت ﴾ ويجوز أن يكونا لغتين. وانظر صحيح مسلم (باب النهي عن صوم الدهر، من كتاب الصيام) صفحتي ٨١٥،٨١٦. ﴾) أي أعيت وكلت." (١)

"الشنار لفظة جامعة لمعنى النار والعار يريد أو الغلول شين وعار ومنقصة في الدنيا ونار في الآخرة (تخريجه) أورده الهيثمي وقال رواه أحمد و (بز طب) وفيه أم حبيبة بنت العرباض لم أجد من وثقها ولا جرحها هذا طرف من حديث طويل تقدم بطوله وسنده وشرحه وتخريجه في أول باب فرض الخمس فارجع إليه (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى بن إسحاق أنبأنا ابن لهيعة حدثنا زيد بن أبي حبيب بن عقبة عن أبي الورد قال إسحاق المديني عن أبي هريرة الخ (غريبة) أي إياكم وأصحاب الخيل الخ فمعناه التحذير من أصحاب الخيل لا من نفس الخيل ، وأورده هذا الحديث صاحب النهاية من رواية أبي الدرداء بلفظ (إياكم والخيل المنفلة التي إن لقيت فرت وإن غمت غلت) ثم قال كأنه من النفل الغنيمة أي الذين قصدهم من الغزو الغنيمة والمال دون غيره أو من النفل وهم **المطوعة** المتبرعون بالغزو الذين لا اسم لهم في الديوان فلا يقاتلون قتال من له سهم، هكذا جاء في كتاب أبي موسى من حديث أبي الدرداء والذي جاء في مسند أحمد من رواية أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال إياكم والخيل المنفلة فإنها إن تلق تفر

---

(١) جامع غريب الحديث، ٤١٥/٢

وإن تغنم تغلل ولعلها حديثان اهـ (تخريجه) لم أقف عليه لغير الإمام أحمد وفي إسناده بن لهيعة قال الهيثمي حديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقاة وعزاه للإمام أحمد فقط (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن سماك بن حرب الخ (غريبة) أي قبل قسمتها أو للشك من الراوي يشك هل قال النبي كحبلى أو النهبة كغرفة وكلا اللفظين جاءت به الأحاديث، وهو اسم للمندوب من الغنيمة أو غيرها : لكن المراد هنا الغنيمة (وقوله لا تصلح) معناه لا تحل كما صرح بذلك في رواية أخرى لأن الناهب إنما يأخذ على قدر قوته لا على قدر استحقاقه فيؤدي إلى أن يأخذ بعضهم فوق حظه ويبخس بعضهم حظه، وإنما لهم سهام معلومة للفرس سهمان وللراجل سهم، فإذا انتهبوا الغنيمة بطلت الغنيمة وفاتت التسوية هو." (١)

"وقوله : (([أحد المتصدقين])) ، لم نروه إلا بالتثنية ، ومعناه : أنه بما فعل متصدق ، والذي أخرج الصدقة بما أخرج متصدق آخر ، فهما متصدقان. ويصح أن يقال على الجمع ، ويكون معناه : أنه متصدق من جملة المتصدقين .

و ((آبي اللحم)) ، اختلف في [سبب] تسميته بذلك ، فمنهم من قال : بما جاء بيانه في الحديث الآخر بعده ؛ وذلك : أنه لما ضرب عبده على دفع اللحم سمي آبي اللحم لذلك . وقيل : لأنه كان لا يأكل من لحم ما ذبح على النصب ، وقيل : لأنه كان لا يأكل اللحم جملة . و" آبي اللحم " : بطن من(٥) غفار ، ومولاه عمير منهم .

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((الأجر بينكما)) ؛ يعني : فيما أعطى العبد ، مما جرت العادة

....

بإعطائه ، والمسامحة بأمثاله ؛ كاللحم ، واللبن ، والطعام اليسير ، وغير ذلك . وأما لو دفع ماله بال مما لم تجر العادة بإعطائه لكان عليه الوزر ، وللمالك كل الأجر .

وقوله : ((لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه)) ، البعل : الزوج . وشاهد : لا تصوم المرأة حاضر . ومحمل هذا على المتطوعة بالصوم ؛ لأن مراعاة حق الزوج واجبة عليها ، وحقه عليها مستصحب ، فلو [سوغ] لها الصوم بغيرإذنه ، لكان ذلك منعا للزوج من حقه ، فلو شرعت في صوم التطوع بغير إذنه ، فله أن يحللها ؛ لأن حقه مقدم على ما شرعت فيه ، وكذلك لو أحرمت بالحج والعمرة تطوعا .

وقوله : ((ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه)) ، تخصيص المنع بحضور الزوج ؛ يدل على أن ذلك

---

(١) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ١/١٨٩

لحق الزوج في زوجته ؛ إذ قد يكون المأذون له في تلك الحال ممن يشوش على الزوج مقصوده وخلوته بها
.

وعلى هذا تظهر المناسبة بين هذا النهي عن الصوم المتقدم . وقال بعض
" (١).

"والحديث مرسل لا يقاوم الصحيح على أن الأمر يحتمل الاستحباب كالأصل قال ابن حجر ومن هذا أخذ الشافعي أنه يجوز النفل بنية قبل الزوال لا بعد مضي معظم العبادة بلا نية خلافا لمن قال به كأحمد وغيره وهو قول للشافعي وقال مالك يجب التبييت فيه كالفرض بحديث إنما الأعمال بالنيات فالامساك أول النهار عمل بلا نية وقياسا على الصلاة إذا نفلها كغرضها في النية قال ولا دلالة في هذا الحديث لاحتمال أن المراد من السؤال أن يجعل المسؤل معدا للإفطار حتى تطمئن نفسه للعبادة ولا يتكلف لتحصيل ما يفطر عليه فلما قالوا له أي إني صائم كما كنت أو أنه عزم على الفطر لعذر فلما قيل له تمم الصوم وفيه أن النية اقترانها به كاقترانها بما قبله ويدل على مذهب الجمهور رواية إذن أصوم ورواية من غداء الله أعلم رواه مسلم قال ابن حجر وفي رواية أخرى لمسلم فأكل ثم قال كنت أصبحت صائما قال الشمني وزاد النسائي ولكن أصوم يوما مكانه وصحح عبد الحق هذه الزيادة واستدل بهذا الحديث أبو يوسف على أن المتنفل يفطر بغير عذر ويقضي وفي الهداية ومن دخل في صوم التطوع أو صلاة التطوع ثم أفسده قضاه قال ابن الهمام لا خلاف بين أصحابنا في وجوب القضاء إذا فسد عن قصد أو غير قصد بأن عرض الحيض للصائمة **المتطوعة** خلافا للشافعي وإنما اختلاف الرواية في نفس الإفساد هل يباح أولا ظاهر الرواية لا إلا بعذر ورواية المنتقي يباح بلا عذر ثم اختلف المشايخ على ظاهر الرواية هل الضيافة عذر أو لا قيل نعم وقيل لا وقيل عذر قبل الزوال لا بعده إلا إذا كان في عدم الفطر عقوق لأحد الوالدين لا غيرهما وقيل إن كان صاحب الطعام يرضى بمجرد حضوره وإن لم يكن يأكل لا يباح الفطر وإن كان يتأذى بذلك يفطر وعندي أن رواية المنتقى أوجه قال وأحسن مما يستدل للشافعي ما في مسلم عن عائشة يعني الحديث السابق ولنا الكتاب والسنة والقياس أما الكتاب فقوله تعالى لا تبطلوا أعمالكم محمد وقال تعالى ورهبانية." (٢)

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٩/٣٨

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٦/٤٠٧

"وقد تقدم البسط في هذه المسألة في شرح حديث حفصة لا صيام لمن يجمع الصيام من الليل (أهدي لنا) أي أرسل إلينا بطريق الهدية (حيس) بفتح الحاء المهملة وسكون التحتية بعدها سين مهملة تمر مخلوط بسمن وقط. وقيل : طعام يتخذ من الزبد والتمر والإقط ، وقد يبدل الإقط بالدقيق ، والزبد بالسمن ، وقد يبدل السمن بالزيت قاله القاري. وقال في القاموس : الحيس الخلط ، وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديدا ، ثم يندر منه نواه وربما جعل فيه سويق–انتهى. (أرينيه) أمر من إلا راءة ، ورواية أبي داود أدنيه من الإدناء ، وكذا وقع في رواية للنسائي "وأرينيه" كناية عنها لأن ما يكون قريبا يكون مرئيا ذكره الطيبي ، وفي رواية لمسلم هاتيه (فلقد أصبحت صائما) وفي رواية للنسائي إني قد أصبحت أريد الصوم. (فأكل) وفي رواية أخرى لمسلم فأكل ، ثم قال قد كنت أصبحت صائما ، وفي رواية للنسائي فأفطر. قال السندي : هذا يدل عى جواز الفطر للصائم تطوعا بلا عذر وعليه كثير من محققي علماءنا الحنفية ، لكنهم أوجبوا القضاء. وقال ابن الهمام : لا خلاف بين أصحابنا في وجوب القضاء إذا أفسد عن قصد أو غير قصد بأن عرض الحيض للصائمة **المطوعة** خلافا للشافعي. وإنما اختلاف الرواية في نفس الإفساد هل يباح أولا ، فظاهر الرواية لا إلا بعذر ورواية المنتقى يباح بلا عذر ، قال وعندي إن رواية المنتقى أوجه– انتهى. وقال الخطابي (ج٢ص١٢٤) في الحديث من الفقه جواز إفطار الصائم قبل الليل إذا كان متطوعا به ، ولم يذكر فيه إيجاب القضاء وكان غير واحد من الصحابة يفعل ذلك ، منهم ابن مسعود وحذيفة وأبوالدرداء وأبوأيوب الأنصاري ، وبه قال الشافعي وأحمد. وقال ابن قدامة : (ج٣ص١٥١) من دخل في صيام تطوع استحب له إتمامه ولم يجب فإن خرج منه فلا قضاء عليه ، روى عن ابن عمر وابن عباس أنهما أصبحا صائمين ثم أفطرا.." (١)

"ص –٦٢٧– وأما في الدنيا فإن المسلمين أقدر على المكافأة في الخير والشر من كل أحد ومن حاربوه فالويل كل الويل له والملك لا بد أن يكون سمع السير وبلغه أنه ما زال في المسلمين النفر القليل منهم من يغلب أضعافا مضاعفة من النصارى وغيرهم فكيف إذا كانوا أضعافهم وقد بلغه الملاحم المشهورة في قديم الدهر وحديثه : مثل أربعين ألفا يغلبون من النصارى أكثر من أربعمائة ألف أكثرهم فارس . وما زال المرابطون بالثغور مع قلتهم واشتغال ملوك الإسلام عنهم يدخلون بلاد النصارى فكيف وقد من الله تعالى على المسلمين باجتماع كلمتهم وكثرة جيوشهم وبأس مقدميهم وعلو هممهم ورغبتهم فيما يقرب إلى الله تعالى واعتقادهم أن الجهاد أفضل الأعمال **المطوعة** وتصديقهم بما وعدهم نبيهم حيث قال : " يعطى

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٢١١/٧

الشهيد ست خصال : يغفر له بأول قطرة من دمه . ويرى مقعده في الجنة . ويكسى حلة الإيمان . ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين . ويوقى فتنة القبر . ويؤمن من الفزع الأكبر يوم القيامة " . ثم إن في بلادهم من النصارى أضعاف ما عندكم من المسلمين، فإن فيهم من رءوس النصارى من ليس في البحر مثلهم إلا قليل . وأما أسراء المسلمين فليس فيهم من يحتاج إليه المسلمون ولا من ينتفعون به وإنما نسعى في تخليصهم لأجل الله تعالى رحمة لهم وتقربا إليه يوم يجزي." (١)

"ص -٣٧٧- فهم لمعانيه، ولا معرفة للمقالات التي توافقه أو تخالفه، ووجه بيانه لمسائلها ودلائلها، وهم ظاهرية القراء والمحدثين ونحوهم . وهذان الصنفان نظير متفقه لا يعرف الحديث، أو صاحب حديث لا يتفقه فيه . وكذلك متكلم لا يتدبر القرآن أو قارئ لا يعرف من القرآن أنواع الكلام الحق والباطل، فهاتان فرقتان علميتان .

والثالثة : قوم تركوا استماع القلوب له والتنعم به، وتحرك القلب عن محركاته وذوق حلاوته، ووجود طعمه إلى سماع أصوات تغيره من شعر أو ملاه، من أصوات الصابئة أو النصارى، أو ما هو مولد عن ذلك ومجانس له، أو نحو ذلك، وهم منحرفة المتصوفة والمتفقرة .

وبإزائهم قوم يصوتون به، ويسمعون قراءته من غير تحرك عنه، ولا وجد فيه، ولا ذوق لحقائقه ومعانيه، وهم ظاهرية العباد **والمتطوعة** والمتقرئة، فهذان الصنفان صاحب حال تحرك الأصوات حاله، وليست تلك الحركة والحال عن الصوت بالقرآن، وصاحب مقال يميز بين الأقوال وينظر فيها وليس ذلك النظر والمقال عن القرآن، وبإزائهما صاحب عبادة ظاهرة معه استماع ظاهر القرآن وتلاوته، وصاحب علم ظاهر معه حفظ حروف القرآن أو تفسير حروفه من غريبه وإعرابه، وأسباب نزوله ونحو ذلك .

فهذه الأقسام الأربعة الذين وقفوا مع ظاهر العلم والعمل المشروعين، والذين خاضوا في باطن العلم." (٢)

"وقال المرداوي من الحنابلة في مقنعه: وللمكاتب الأخذ أي من الزكاة قبل حلول نجم ويجزئ أن يشتري منها رقبة لا تعتق عليه فيعتقها ولا يجزئ عتق عبده ومكاتبه عنها، وهو موافق لما رواه

ابن أبي حاتم وأبو عبيد في الأموال بسند صحيح عن الزهري أنه كتب لعمر بن عبد العزيز أن سهم الرقاب يجعل نصفين: نصف لكل مكاتب يدعي الإسلام ونصف يشتري به رقاب من صلى وصام وعدل من اللام

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٢٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/٢٢٦

إلى في قوله: ﴿وفي الرقاب﴾ للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب، وقيل للإيذان بأنهم أحق بها (﴿وفي سبيل الله﴾) [التوبة: ٦٠] أي وللصرف في الجهاد بالإنفاق على المتطوعة به ولو كانوا أغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام: "لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله" وخصه أبو حنيفة بالمحتاج، وعن أحمد الحج من سبيل الله.

(ويذكر) بضم أوله وفتح ثالثه (عن ابن عباس -رضي الله عنهما-) مما وصله أبو عبيد في كتاب الأموال عن مجاهد عنه: (يعتق) الرجل بضم التحتية وكسر الفوقية (من زكاة ماله) الرقبة (ويعطي) منها (في الحج) المفروض للفقير، وبه قال أحمد محتجا بقول ابن عباس هذا مع عدم ما يدفعه، ثم رجع عنه كما في رواية الميموني لاضطرابه لكونه اختلف في إسناده على الأعمش، ومن ثم لم يجزم به المؤلف بل أورده بصيغة التمريض لكن جزم المرداوي بصحته في العتق والحج وعلى قوله الفتوى عند الحنابلة.

(وقال الحسن): البصري (إن اشترى أباه من الزكاة جاز) هذا بمفرده وصله ابن أبي شيبة بلفظ: سئل الحسن عن رجل اشترى أباه من الزكاة فأعتقه، قال: اشترى خير الرقاب (ويعطي في المجاهدين) في سبيل الله (والذي لم يحج) إذا كان فقيرا (ثم تلا) الحسن قوله تعالى: (﴿إنما الصدقات للفقراء﴾) [التوبة: ٦٠] ومفهوم تلاوته للآية أنه يرى أن اللام في للفقراء لبيان المصرف لا للتمليك فلو صرف الزكاة في صنف واحد كفى (وفي أيها) أي أي مصرف من المصارف الثمانية (أعطيت أجزأت) بسكون الهمزة وفتح التاء، ولأبي ذر: أجزأت بفتح الهمزة وسكون التاء، وفي بعض النسخ أجزت بغير همزة مع تسكين التاء أي قضت عنه، وفي بعضها أجرت بضم الهمزة وسكون الراء من الأجر.

(وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-): مما يأتي موصولا في هذا الباب إن شاء الله تعالى: (إن خالدا احتبس أدراعه في سبيل الله) بفتح الراء وألف بعدها، ولأبي ذر: أدرعه بضمها من غير ألف (ويذكر) بصيغة التمريض (عن أبي لاس) بسين مهملة منونة بعد ألف مسبوقة بلام، ولأبي الوقت زيادة: الخزاعي. قال في فتح الباري؛ وتبعه العيني: اختلف في اسمه فقيل عبد الله، وقيل زياد بن عنمة بمهملة ونون مفتوحتين وكذا قال في الإصابة، وقال في المقدمة يقال اسمه عبد الله بن عنمة ولا يصح، وقال في تقريب التهذيب والصواب أنه غيره انتهى.

ولأبي لاس هذا صحبة وحديثان. هذا أحدهما وقد وصله ابن خزيمة والحاكم (حملنا النبي -صلى الله عليه وسلم- على إبل الصدقة للحج) ولفظ أحمد على إبل من إبل الصدقة ضعاف للحج فقلنا يا رسول الله ما نرى أن تحمل هذه فقال: "إنما يحمل الله" الحديث ورجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة ابن إسحاق

ولهذا توقف ابن المنذر في ثبوته، وأورده المؤلف بصيغة التمريض.

١٤٦٨ – حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب قال حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالصدقة، فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب. فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله ورسوله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا، قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله، وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فهي عليه صدقة ومثلها معها".

تابعه ابن أبي الزناد عن أبيه. وقال ابن إسحاق عن أبي الزناد "هي عليه ومثلها معها".

وقال ابن جريج: حدثت عن الأعرج بمثله.

وبالسند قال: (حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع قال: (أخبرنا شعيب) هو ابن أبي حمزة (قال: حدثنا أبو الزناد) عبد الله بن ذكوان (عن الأعرج) عبد الرحمن بن هرمز (عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالصدقة)، الواجبة أو صدقة التطوع، ورجحه بعضهم تحسينا للظن بالصحابة إذ لا يظن بهم منع الواجب، وعلى هذا فعذر خالد واضح لأنه أخرج ماله في سبيل الله فما بقي له مال يحتمل المواساة، وتعقب بأنهم ما منعوه جحدا ولا عنادا، أما ابن جميل فقد قيل إنه كان منافقا ثم تاب بعد كما حكاه المهلب. قيل وفيه نزلت ﴿وما نقموا﴾ الآية إلى قوله: ﴿فإن يتوبوا يك خيرا لهم﴾ [التوبة: ٧٤] فقال استتابني الله، فتاب وصلح حاله والمشهور نزولها في غيره، وأما خالد فكان متأولا بإجزاء ما حبسه عن الزكاة فالظاهر أنها الصدقة." (١)

"فرحب بسلمان (فصنع له (طعاما) وقربه إليه ليأكل (فقال): سلمان لأبي الدرداء (كل قال): أبو الدرداء (فإني صائم) وفي رواية الترمذي فقال: كل فإني صائم، وعلى هذا فالقائل أبو الدرداء والمقول له سلمان (قال) سلمان لأبي الدرداء (ما أنا بآكل) من طعامك (حتى تأكل). أراد سلمان أن يصرف أبا الدرداء عن رأيه فيما يصنعه من جهد نفسه في العبادة وغير ذلك مما شكته إليه زوجته (قال: فأكل)، أبو الدرداء معه.

فإن قلت: لم يذكر في هذا الحديث قسما من سلمان حتى تقع المطابقة بينه وبين الترجمة حيث قال من أقسم على أخيه؟ قلت أجاب ابن المنير بأنه إما لأنه في طريق آخر وإما لأن القسم في هذا السياق مقدر

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٥٧/٣

قبل لفظ ما أنا بآكل كما قدر في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] وتعقبه في المصابيح بأنه يحتاج إلى إثبات الطريق الذي وقع فيه القسم والاحتمال ليس كافيا في ذلك، وتقدير قسم هنا تقدير ما لا دليل عليه فلا يصار إليه انتهى.

وقد وقع في رواية البزار عن محمد بن بشار شيخ المؤلف كما أفاده في الفتح فقال: أقسمت عليك لتفطرن، وكذا رواه ابن خزيمة عن يوسف بن موسى والدارقطني من طريق علي بن مسلم وغيره والطبراني من طريق أبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة والعباس بن عبد العظيم، وابن حبان من طريق أبي خيثمة كلهم عن جعفر بن عون به، فكأن محمد بن بشار لم يذكر هذه الجملة لما حدث به المؤلف وبلغ المؤلف ذلك من غيره فاستعمل هذه الزيادة في الترجمة.

(فلما كان الليل) أي أوله (ذهب أبو الدرداء) حال كونه (يقوم) يعني يصلي. وقد روى الطبراني هذا الحديث من وجه آخر عن محمد بن سيرين مرسلا فعين الليلة التي بات سلمان فيها عند

أبي الدرداء ولفظه كان أبو الدرداء يحيي ليلة الجمعة ويصوم يومها. (قال) سلمان له (نم فنام) أبو الدرداء (ثم ذهب يقوم، فقال) له سلمان: (نم فلما كان من آخر الليل) عند السحر (قال) له (سلمان. قم الآن) فقام أبو الدرداء وسلمان وتوضأ (فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا) زاد الترمذي وابن خزيمة وإن لضيفك عليك حقا (فأعط كل ذي حق حقه). بقطع همزة فأعط وللدارقطني فصم وأفطر ونم وائت أهلك (فأتى) أبو الدرداء (النبى -صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك) الذي قاله سلمان (له) عليه الصلاة والسلام (فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-):

(صدق سلمان) وللترمذي فأتيا بالتثنية وفيه: أنه لا يجب إتمام صوم التطوع إذا شرع فيه كصلاته واعتكافه لئلا يغير الشروع حكم المشروع فيه ولحديث الترمذي وصححه الحاكم: الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر ويقاس بالصوم الصلاة ونحوها، لكن يكره الخروج منه لظاهر قوله: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ [محمد -صلى الله عليه وسلم-: ٣٣] وللخروج من خلاف من أوجب إتمامه كما يأتي قريبا إن شاء الله تعالى إلا بعذر كمساعدة ضيف في أكل إذا عز عليه امتناع مضيفه منه أو عكسه فلا يكره الخروج منه، بل يستحب لحديث الباب مع زيادة الترمذي: وإن لضيفك عليك حقا أما إذا لم يعز على أحدهما امتناع الآخر من ذلك فالأفضل عدم خروجه منه ذكره في المجموع، وإذا خرج منه قال المتولي: لا يثاب على ما مضى لأن العبادة لم تتم، وحكي عن الشافعي أنه يثاب عليه وهو الوجه إن خرج منه بعذر ويستحب قضاؤه سواء خرج بعذر أو بغيره وهذا مذهب الشافعية والحنابلة والجمهور، وقال المالكية: يجب

البقاء في صوم النفل بالفطر إذا كان عمدا حراما فلا قضاء على من أفطر ناسيا ولا على من أفطر لعذر من مرض أو غيره، فلو شرع في صوم نفل وجب عليه إتمامه وحرم عليه الفطر من غير عذر ولو حلف عليه شخص بالطلاق الثلاث فإنه يحنثه ولا يفطر فإن أفطر وجب عليه القضاء إلا في كوالد وشيخ وإن لم يحلفا.

وفي حكايات أهل الطريق أن بعض الشيوخ حضر دعوة فعرض الطعام على تلميذه فقال: إني على نية وأبى أن يأكل فقال له الشيخ: كل وأنا أضمن لك أجر سنة فأبى، فقال الشيخ: دعوه فإنه سقط من عين الله فنسأل الله العافية.

وقال الحنفية يلزمه القضاء مطلقا أفسد عن قصد أو غير قصد بأن عرض الحيض للصائمة **المتطوعة** لا خلاف بين." (١)

" على ما اذا لم يخف منه اثارة مفسدة أعظم منه قال وليس للآمر بالمعروف البحث والتنقير والتجسس واقتحام الدور بالظنون بل ان عثر على منكر غيره جهده هذا كلام امام الحرمين وقال أقضى القضاة الماوردى ليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات فان غلب على الظن استسرار قوم بها لأمارة وآثار ظهرت فذلك ضربان أحدهما أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزنى بها فيجوز له فى مثل هذا الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات مالا يستدرك وكذا لوعرف ذلك غير المحتسب من **المتطوعة** جازلهم الاقدام على الكشف والانكار الضرب الثانى ما قصر عن هذه الرتبه فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الاستار عنه فان سمع أصوات الملاهى المنكرة من دار أنكرها خارج الدار لم يهجم عليها بالدخول لأن المنكر ظاهر وليس عليه أن يكشف عن الباطن وقد ذكر الماوردى في آخر الاحكام السلطانية بابا حسنا فى الحسبة مشتملا على جمل من قواعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد أشرنا هنا إلى مقاصدها وبسطت الكلام فى هذا الباب لعظم فائدته وكثرة الحاجة إليه وكونه من أعظم قواعد الاسلام والله أعلم قوله (وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبى سعيد وعن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبى سعيد) فقوله وعن قيس معطوف على إسماعيل

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٣/٤٠٠

معناه رواه الأعمش عن إسماعيل عن قيس والله أعلم [٥٠] قوله (عن صالح بن كيسان عن الحرث عن جعفر بن عبد الله بن الحكم عن ." (١)

" مع ما مر آنفا وسيأتي بيان الصنفين وبيان الفقير في الباب الآتي ويجوز أن يجمع للمساكين بين الكفارة وسهمهم من الزكاة والخمس فيكون لهم ثلاثة أموال وإن اجتمع في أحدهم يتم ومسكنة أعطي باليتم فقط لأنه وصف لازم والمسكنة زائلة وللإمام التسوية والتفضيل بينهم بحسب الحاجة وقولي منا مع الفقير من زيادتي ويعم الإمام ولو بنائبه الأصناف الأربعة الأخيرة بالإعطاء وجوبا لعموم الآية فلا يخص الحاضر بموضع حصول الفيء ولا من في كل ناحية منهم بالحاصل فيها نعم لو كان الحاصل لا يسد مسدا بالتعميم قدم الأحوج ولا يعم للضرورة ومن فقد من الأربعة صرف نصيبه للباقين منهم والأخماس الأربعة للمرتزقة وهم المرصدون للجهاد بتعيين الإمام لهم لعمل الأولين به بخلاف **المتطوعة** فلا يعطون من الفيء بل من الزكاة عكس المرتزقة كما سيأتي ويشرك المرتزقة في ذلك قضاتهم كما مر وأئمتهم ومؤذنوهم وعمالهم فيعطي الإمام وجوبا كلا من المرتزقة وهؤلاء بقدر حاجة ممونه من نفسه وغيرها كزوجاته ليتفرغ للجهاد ويراعي في الحاجة الزمان والمكان والرخص والغلاء وعادة الشخص مروءة وضدها ويزاد إن زادت حاجته بزيادة ولد أو حدوث زوجة فأكثر ومن لا عبد له يعطى من العبيد ما يحتاجه للقتال معه أو لخدمته إن كان ممن يخدم ويعطى مؤنته ومن يقاتل فارسا ولا فرس له يعطى من الخيل ما يحتاجه للقتال ويعطى مؤنته بخلاف الزوجات يعطى لهن مطلقا لانحصارهن في أربع ثم ما يدفع إليه لزوجته وولده الملك فيه لهما حاصل من الفيء وقيل يملكه هو ويصير إليهما من جهته فإن مات أعطى الإمام أصوله وزوجاته وبناته إلى أن يستغنوا بنحو نكاح أو إرث وبنيه إلى أن يستقلوا بكسب أو قدرة على الغزو فمن أحب إثبات اسمه في الديوان أثبت وإلا قطع وذكر حكم الأصول من زيادتي وتعبيري بزوجات وبالاستغناء فيهن وفي البنات أولى من تعبيره بالزوجة وبالنكاح فيها وبالاستقلال في البنات كالبنين

وسن أن يضع ديوانا بكسر الدال أشهر من فتحها

". (٢)

---

(١) شرح النووي على مسلم، ٢/٢٦

(٢) فتح الوهاب شرح منهج الطلاب، ٤/٨٩

"مسألة]: لا يجزىء دفع أقل من مد لكل مسكين، بخلاف زكاة الفطر يجوز، بل يجب صرف صاع الفطرة لواحد وعشرين، ثلاثة من كل صنف على المعتمد، وخالف بعضهم فوسع وقال: يكفي دفعها إلى ثلاثة فقراء أو مساكين مثلا، وممن اختاره السبكي والإصطخري وجماعة من الأصحاب، وكذلك الروياني في الحلية، وحكى الأذرعي تصحيحه عن الجرجاني، قال الحناطي وهو المفتى به في زمننا، وقال الشيرازي بجواز الصرف إلى واحد، ونقله في البحر عن أبي حنيفة ثم قال: وأنا أفتي به، قال الأذرعي: وعليه العمل في الأعصار والأمصار والاحتياط دفعها إلى ثلاثة اهـ. وفي حاشيتنا على فتح المعين توضيح فراجعها إن شئت. [مسألة]: من مات وعليه صلاة أو اعتكاف فلا قضاء عليه ولا فدية، ولا يصح الصوم عن حي ولو هرما اتفاقا. وحكى القفال عن بعض أصحابنا أنه يطعم عن كل صلاة مدا كما في التهذيب. وحكى عن القديم أنه يجب على الولي أن يصلي عنه م ا فاته، واعتمده جمع من محققي المتأخرين، وفعل به السبكي عن بعض أقاربه، وعن البويطي أن الشافعي قال في الاعتكاف: يعتكف عنه وليه. [مسألة]: المد أصل مستقل فيمن لم يقدر على الصوم لمرض لا يرجى برؤه، أو هرم لا بدل عن الصوم، فمتى عجز عنه سقط، ولا يستقر في ذمته عند (حج) فعليه لو قدر بعد ذلك على المد لم يجب كما في الفطرة، وقال (م ر) : يستقر فمتى أيسر به وجب إخراجه. [مسألة]: لو أخر نحو الهرم الفدية عن السنة الأولى لم يجب شيء للتأخير، لأن وجوبها على التراخي كما في ب ج عن الإيعاب، والطريق الثاني يجب المد أيضا لفوات فضيلة الوقت. [مسألة]: يجوز فطر المرضعة إذا خيف على الولد بقلة اللبن محذور تيمم بل يجب، ومحله كما في المستأجرة **والمتطوعة**، إذا لم توجد مرضعة مفطرة أو صائمة لا يضرها الإرضاع، لكن الإجارة للإرضاع إجارة عين، ولا يجوز فيها إبدال المستوفى منه.." (١)

"الصنف السابع في سبيل الله للآية الكريمة وهم الغزاة الذين لا رزق لهم في الفيء وأصحاب الفيء يسمون المرتزقة ولا يصرف شيء من الصدقات إلى الغزاة المرتزقة كما لا يصرف شيء من الفيء إلى **المتطوعة** ولو عدم الفيء لم يعط المرتزقة من الصدقات في الأصح والله أعلم

الصنف الثامن ابن السبيل للآية الكريمة وهو المسافر وسمي به لملازمته السبيل وهو الطريق ويشترط أن لا يكون سفره معصية فيعطى في سفر الطاعة قطعا وكذا في المباح كطلب الضالة على الصحيح ويشترط أن لا يكون معه ما يحتاج إليه فيعطى من لا مال له أصلا وكذا من له مال في غير البلد المنتقل منه والله أعلم قال

---

(١) كتاب إثمد العينين في بعض اختلاف الشيخين، ص/٧٨

(ولا يقتصر على أقل من ثلاثة من كل صنف إلا العامل)

اعلم أنه يجب استيعاب الأصناف الثمانية عند القدرة عليهم فإن فرق بنفسه أو فرق الإمام وليس هناك عامل فرق على سبعة وأقل ما يجزىء أن يدفع إلى ثلاثة من كل صنف لأن الله تعالى ذكرهم بلفظ الجمع إلا العامل فإنه يجوز أن يكون واحدا يعني إذا حصلت به الكفاية فلو صرف إلى اثنين مع القدرة على الثالث غرم للثالث ولو لم يجد إلا دون الثلاثة من كل صنف أعطي من وجد وهل يصرف باقي السهم إليه إن كان مستحقا أم ينقله إلى بلد آخر قال في زيادة الروضة الأصح أنه يصرف إليه وممن صححه الشيخ نصر المقدسي ونقله هو وغيره عن الشافعي ودليله ظاهر والله أعلم قال

(وخمسة لا يجوز دفعها إليهم الغني بمال أو كسب)

لقوله صلى الله عليه وسلم

(ولا حظ فيها لغني ولا لذي مرة سوى وهي القوة) نعم لو لم يجد من يستكسبه أعطى فلا يعطي هؤلاء الحرافشة ولا أهل البطالات من المتصوفة كمن بسط له جلدا في زاوية من زوايا الجامع ولبس مرطا دلس به على الأغنياء من أهل الدنيا الذين لا حظ لهم في العلم يعطون بجهالتهم من لا يستحق ويذرون المستحق والله أعلم قال

(والعبد) أي لا يجوز صرف الزكاة إلى العبيد لأنهم أغنياء بنفقة مواليهم أو لأنهم لا يملكون قال

(وبنو هاشم وبنو المطلب)

." (١)

"

حتى أقضيك دينك ففعل أجزأه عن الزكاة ولا يلزم المدين الدفع إليه عن دينه، ولو قال صاحب الدين: اقبض ما عليك لأرده عليك من زكاتي ففعل صح القضاء، ولا يلزم رده فلو دفع إليه وشرط أن يقضيه ذلك عن دينه لم يجزئه ولا يصح قضاؤه بها ولو نوياه بلا شرط جاز ولو كان عليه دين فقال: جعلته عن زكاتي لا يجزئه على الصحيح حتى يقبضه ثم يرده إليه وقيل يجزئه كما لو كان وديعة ولو كان له عند الفقير حنطة وديعة فقال: كل لنفسك كذا وكذا ونوى زكاة ففي إجزائه عن الزكاة و جهان: وجه المنع أن المالك لم يوكله فلو كان الفقير وكيلا بالشراء فاشتراه وقبضه فقال الموكل: خذه لنفسك ولواه عن الزكاة أجزأه ولا يحتاج إلى

---

(١) كفاية الأخيار، ص/١٩٤

وكيله والله أعلم.

الصنف السابع: في سبيل الله للآيه الكريمة وهم الغزاة الذين لا رزق لهم في الفيء، وأصحاب الفيء يسمون المريزقة ولا يصرف شيء من الصدقات إلى الغزاة كما لا يصرف شيء من الفيء إلى **المتطوعة**، ولو عدم الفيء لم يعط المرتزقة من الصدقات في الأصح والله أعلم.

الصنف الثامن: ابن السبيل للآية الكريمة وهو المسافر، وسمي به لملازمته السبيل وهو الطريق، ويشترط أن لا يكون سفره في معصية فيعطى في سفر الطاعة قطعا وكذا في المباح كطلب الضالة على الصحيح، ويشترط أن لا يكون معه ما يحتاج إليه فيعطى من لا مال له أصلا وكذا من له مال في غير البلد المنتقل منه والله أعلم. قال:

(ولا يقتصر على أقل من ثلاثة من كل صنف إلا العامل) اعلم أنه يجب استيعاب الأصناف الثمانية عند القدرة عليهم فإن فرق بنفسه أو فرق الإمام وليس هناك عامل فرق على سبعة، وأقل ما يجزىء أن يدفع إلى ثلاثة من كل صنف لأن الله تعالى ذكرهم بلفظ الجمع إلا العامل فإنه يجوز أن يكون واحدا ي عني إذا حصلت به الكفاية فلو صرف إلى اثنين مع القدرة على الثالث غرم الثالث ولو لم يجد إلا دون الثلاثة من كل صنف أعطي من وجد، وهل يصرف باقي السهم إليه إن كان مستحقا أم ينقله إلى بلد آخر؟ قال في زيادة الروضة: الأصح أنه يصرف إليه، وممن صححه الشيخ نصر المقدسي ونقله هو وغيره عن الشافعي ودليله ظاهر، والله أعلم. قال:." (١)

"للمرضع وظاهر كما قال شيخنا أن محل ما ذكر في المستأجرة **والمتطوعة** إذا لم يوجد مرضعة مفطرة أو صائمة لا يضرها الإرضاع

(والأصح أنه يلحق بالمرضع) في إيجاب الفدية في الأظهر مع القضاء (من أفطر لإنقاذ) آدمي معصوم أو حيوان محترم (مشرف على هلاك) بغرق أو غيره بجامع الإفطار فيجب عليه الفطر إذا لم يمكنه تخليصه إلا بفطره إبقاء لمهجته فهو فطر ارتفق به شخصان وهو حصول الفطر للمفطر والخلاص لغيره فلو أفطر لتخلص مال لا فدية عليه كما صرح به القفال لأنه لم يرتفق به إلا شخص واحد ولا يجب الفطر لأجله بل هو جائز

بخلاف الحيوان المحترم فإنه يرتفق بالفطر شخصان

---

(١) كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار، ٢٠١/١

وهذا هو ظاهر مفهوم تقييد القفال بالمال وإن قال بعض المتأخرين في البهيمة نظر لأنهم نزلوا الحيوان المحترم في وجوب الدفع عنه منزلة الآدمي المعصوم بل قضية كلام المصنف كأصله التسوية بين النفس والمال لولا ما قدرته ولا يجوز الفطر للحيوان الغير المحترم

والثاني لا يلحق بها لأن إيجاب الفدية مع القضاء بعيد عن القياس

وإنما قلنا به في الحامل والمرضع لورود الإخبار به فبقي ما عداه على الأصل

(لا المتعدي بفطر رمضان بغير جماع) فإنه لا يلحق بالحامل والمرضع في لزوم الفدية مع القضاء في الأصح بل يلزمه القضاء فقط لأنه لم يرد في الفدية توقيف والأصل عدمه

والثاني يلحق بهما في اللزوم من باب أولى لتعديه

وفرق الأول بأن فطر المرضع ونحوها ارتفق به شخصان فجاز أن يجب به أمران كالجماع لما حصل مقصوده للرجل والمرأة تعلق به القضاء والكفارة العظمى وبأن الفدية غير معتبرة بالإثم وإنما هي حكمة استأثر الله تعالى بها ألا ترى أن الردة في شهر رمضان أفحش من الوطء مع أنه لا كفارة فيها وبما ذكر يندفع ما استشكل به من أنه لو ترك بعضا من أبعاض الصلاة عمدا أنه يسجد له للسهو فقد قالوا هناك إنه أولى بالجبر من السهو

(ومن أخر قضاء رمضان) أو شيئا منه (مع إمكانه) بأن لم يكن به عذر من سفر أو غيره (حتى دخل رمضان آخر لزمه مع القضاء لكل يوم مد) لأن ستة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا بذلك ولا مخالف لهم قاله الماردوي

ويأثم بهذا التأخير كما في المجموع وفيه أنه يلزمه المد بدخول رمضان فإن لم يمكنه القضاء لاستمرار عذره كأن استمر مسافرا أو مريضا أو المرأة حاملا أو مرضعا حتى دخل رمضان فلا فدية عليه بهذا التأخير لأن تأخير الأداء بهذا العذر جائز فتأخير القضاء أولى

وقضية إطلاقه أنه لا فرق عند التأخير بعذر بين أن يكون الفوات بعذر أم لا وبه صرح المتولي في التتمة و سليم الرازي في المجرد لكن نقل الشيخان في صوم التطوع عن البغوي من غير مخالفة أن ما فات بغير عذر يحرم تأخيره بعذر السفر

وقضيته لزوم الفدية وهو الظاهر

قال الأذرعي وينبغي أن يستثنى من الكتاب ما إذا نسي القضاء أو جهله حتى دخل رمضان آخر فإنه لا فدية عليه كما أفهمه كلامهم اه والظاهر أنه إنما يسقط عنه بذلك الإثم لا الفدية

فائدة وجوب الفدية هنا للتأخير وفدية الشيخ الهرم ونحوه لأصل الصوم وفدية المرضع والحامل لتفويت فضيلة الوقت

(والأصح تكرره) أي المد إذا لم يخرجه (بتكرر السنين) لأن الحقوق المالية لا تتداخل والثاني لا يتكرر كالحدود

ومحل الخلاف إذا لم يكن أخرج الفدية فإن أخرجها ثم لم يقض حتى دخل رمضان آخر وجبت ثانيا بلا خلاف

وهكذا حكم العام الثالث والرابع فصاعدا كما ذكره البغوي وغيره وقال الإسنوي إنه واضح لأن الحدود بعد إقامتها تقتضي التكرار عند الفعل ثانيا بلا خلاف مع أنها أخف مما نحن فيه بدليل أنه يكفي العدد منها حد واحد بلا خلاف

(و) الأصح (أنه لو أخر القضاء) أي قضاء رمضان (مع إمكانه) وقلنا بالجديد السابق حتى دخل رمضان آخر

(فمات أخرج من تركته لكل يوم مدان مد للفوات) للصوم (ومد للتأخير) للقضاء

". (١)

"صغرها فإن الجد يزوجها فلا ينافي ما هنا ولعل هذا مراده بلا شك

تنبيه كان الأولى للمصنف أن يقيد اليتيم بالمسلم لأن أيتام الكفار لا يعطون من سهم اليتامى شيئا قاله الإمام والماوردي والصيمري وغيرهم لأنه مال أخذ من الكفار فلا يرجع إليهم وكذلك يشترط الإسلام في ذوي القربى والمساكين وابن السبيل لذلك

ويندرج في تفسيرهم اليتيم ولد الزنا واللقيط والمنفي باللعان ولا يسمون أيتاما لأن ولد الزنا لا أب له شرعا فلا يوصف باليتيم واللقيط قد يظهر أبوه والمنفي بلعان قد يستخلفه نافيه ولكن القياس أنهم يعطون من سهم اليتامى

فائدة يقال لمن فقد أمه دون أبيه منقطع واليتيم في البهائم من فقد أمه وفي الطير من فقد أمه وأباه

---

(١) مغني المحتاج، ٤٤١/١

(ويشترط) في إعطاء اليتيم لا في تسميته يتيما (فقره) الآتي تعريفه في الكتاب الآتي الشامل لمسكنته (على المشهور) لإشعار لفظ اليتم به ولأن اغتناءه بمال أبيه إذا منع استحقاقه فاغتناؤه بماله أولى بمنعه

والثاني لا يشترط وقال القاضي إنه مذهب أصحابنا وإلا لما كان في ذكره فائدة لدخوله في الفقراء ورد بأن الفائدة عدم حرمانه

(والرابع والخامس المساكين) الشاملون للفقراء (وابن السبيل) وسيأتي بيانهما في الكتاب الذي بعد هذا

ويشترط في ابن السبيل الفقر كما صرح به الفوراني وغيره وإن كان ظاهر إطلاق المصنف عدم الاشتراط

قال الماوردي ويجوز للإمام أن يجمع للمساكين بين سهمهم من الزكاة وسهمهم من الخمس وحقهم من الكفارات فيصير لهم ثلاثة أموال قال وإذا اجتمع في واحد يتم ومسكنة أعطى باليتم دون المسكنة لأن اليتم وصف لازم والمسكنة زائلة واعترض بأن اليتم لا بد فيه من فقر ومسكنة

وقضية كلام الماوردي أنه إذا كان الغازي من ذوي القربى لا يأخذ بالغزو بل بالقرابة فقط لكن ذكر الرافعي في قسم الصدقات أنه يأخذ بهما واقتضى كلامه أنه لا خلاف فيه وهو ظاهر والفرق بين الغزو والمسكنة أن الأخذ بالغزو لحاجتنا وبالمسكنة لحاجة صاحبها

(ويعم) الإمام ولو بنائبه (الأصناف الأربعة المتأخرة) بالعطاء وجوبا غائبهم عن موضع الفيء وحاضرهم

نعم يجعل ما في كل إقليم لساكنيه فإن عدمه بعض الأقاليم بأن لم يكن في بعضها شيء أو لم يستوعبهم السهم بأن لم يف بمن فيه إذا وزع عليهم نقل إليهم بقدر ما يحتاج إليه الإمام في التسوية بين المنقول إليهم وغيرهم ولا يجوز الاقتصار على ثلاثة من كل صنف كما في الزكاة كما جزما به

ويجوز أن يفاضل بين اليتامى وبين المساكين وبين أبناء السبيل لأنهم يستحقون بالحاجة فتراعى حاجتهم بخلاف ذوي القربى فإنهم يستحقون بالقرابة كما مر فإن كان الحاصل يسيرا لا يسد مسدا بالتوزيع قدم الأحوج فالأحوج ولا يستوعب للضرورة وتصير الحاجة مرجحة وإن لم تكن معتبرة في الاستحقاق

ومن فقد من الأصناف أعطي الباقون نصيبه كما في الزكاة إلا سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه للمصالح كما مر

ويصدق مدعي المسكنة والفقر بلا بينة وإن اتهم ولا يصدق مدعي اليتم ولا مدعي القرابة إلا ببينة

(وقيل يخص بالحاصل) من مال الفيء (في كل ناحية من فيها منهم) كالزكاة ولمشقة النقل

ورد بأنه يؤدي إلى حرمان بعضهم وهو مخالف للآية (وأما الأخماس الأربعة) التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مضمونة إلى خمس الخمس (فالأظهر أنها للمرتزقة) لعمل الأولين به لأنها كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحصول النصرة به كما مر والمقاتلون بعده هم المرصدون لها كما قال (وهم الأجناد المرصدون للجهاد) بتعيين الإمام لهم سموا مرتزقة لأنهم أرصدوا أنفسهم للذب عن الدين وطلبوا الرزق من مال الله

وخرج بهم المتطوعة وهم الذين يغزون إذا نشطوا فإنما يعطون من الزكاة لا من الفيء عكس المرتزقة والثاني أنها للمصالح كخمس الخمس وأهمها المرتزقة وعلى الأول لو لم يف المال بحاجة المرتزقة وهم فقراء صرف الإمام لهم من سهم سبيل الله وإذا علم أن الأخماس الأربعة للمرتزقة (فيضع الإمام) لهم (ديوانا) ندبا كما صرح به الإمام وهو ظاهر كلام أبي الطيب وإن أفهم كلام الروضة الوجوب

وأول من وضعه في الإسلام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه

". (١)

"لهم ودفع بأن هذا يؤدي إلى الإيجاب على جميع الأمة وفي ذلك حرج من غير حاجة

تنبيه قائل هذا الوجه إنما يوجب على الأقربين فالأقربين بلا ضبط حتى يصل الخبر بأنهم قد كفوا فكان ينبغي للمصنف أن يقول ومن على مسافة

قيل يلزمهم الأقرب فالأقرب والأصح إن كفى أهلها لم يلزمهم (ولو أسروا) أي الكفار (مسلما فالأصح وجوب النهوض إليهم) وإن لم يدخلوا دارنا (لخلاصه إن توقعناه) بأن يكونوا قريبين كما ننهض إليهم عند دخولهم دارنا بل أولى لأن حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار

والثاني المنع لأن إزعاج الجنود لخلاص أسير بعيد أما إذا لم يمكن تخليصه بأن لم يرجوه فلا يتعين جهادهم بل ينتظر للضرورة وذكر في التنبيه وغيره فك من أسر من الذميين

تتمة لا تتسارع الطوائف والآحاد منا إلى دفع ملك منهم عظيم شوكته دخل أطراف بلادنا لما فيه من عظم الخطر

---

(١) مغني المحتاج، ٩٥/٣

فصل فيما يكره من الغزو ومن يحرم أو يكره قتله من الكفار وما يجوز قتالهم به (يكره غزو بغير إذن الإمام أو نائبه) تأدبا معه ولأنه أعرف من غيره بمصالح الجهاد وإنما لم يحرم لأنه ليس فيه أكثر من التغرير بالنفوس وهو جائز في الجهاد وينبغي كما قال الأذرعي تخصيص ذلك **بالمتطوعة** أما المرتزقة فلا يجوز لهم ذلك لأنهم مرصدون لمهمات تعرض للإسلام يصرفهم فيها الإمام فهم بمنزلة الأجراء

تنبيه استثنى البلقيني من الكراهة صورا أحدها أن يفوته المقصود بذهابه للاستئذان

ثانيها إذا عطل الإمام الغزو وأقبل هو وجنوده على أمور الدنيا كما يشاهد

ثالثها إذا غلب على ظنه أنه لو استأذنه (لم يأذن له) ويسن للإمام أو نائبه (إذا بعث سرية) لبلاد الكفار وهي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة سميت بذلك لأنها تسري في الليل وقيل لأنها خلاصة العسكر وخياره

روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيش أربعة الاف ولن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة رواه الترمذي وأبو داود وزاد أبو يعلى الموصلي إذا صبروا وصدقوا (أن يؤمر عليهم) أميرا مطاعا يرجعون إليه في أمورهم (ويأخذ) عليهم (البيعة) وهي بفتح الموحدة الحلف بالله تعالى (بالثبات) على الجهاد وعدم الفرار اقتداء به صلى الله عليه وسلم كما هو مشهور في الصحيح وأن يبعث الطلائع ويتجسس أخبار الكفار

قال الشافعي رضي الله تعالى عنه في الأم ولا ينبغي أن يولي الإمام الغزو إلا ثقة في دينه شجاعا في بدنه حسن الإنابة عارفا بالحرب يثبت عند الهرب ويتقدم عند الطلب وأن يكون ذا رأي في السياسة والتدبير ليسوس الجيش على اتفاق الكلمة في الطاعة وتدبير الحرب في انتهاز الفرصة وأن يكون من أهل الاجتهاد في أحكام الجهاد

وأما في الأحكام الدينية ففيه وجهان والظاهر عدم اشتراطه ويستحب أن يخرج بهم يوم الخميس أول النهار لأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يخرج يوم الخميس وأن يبعث الطلائع ويتجسس أخبار الكفار ويعقد الرايات ويجعل لكل فريق راية وشعارا

روى الحاكم عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنكم ستلقون عدوكم فليكن شعاركم حم لا ينصرون قال ابن عباس حم اسم من أسماء الله تعالى فكأنه حلف بالله لا ينصرون وأن يحرصهم على القتال

وأن يدخل دار الحرب بنفسه

لأنه أحوط وأرهب وأن يدعو عند التقاء الصفين قال صلى الله عليه وسلم ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء عند حضور الصلاة وعند التقاء الصف في سبيل الله تعالى ويستنصر بالضعفاء قال صلى الله عليه وسلم هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم

ويكبر بلا إسراف في رفع

". (١)

"وأما ثواب الجهاد فلمباشره وللآحاد بذل ذلك من أموالهم لهم ثواب إعانتهم وثواب الجهاد لمباشره كما مر ومحله في المسلم

أما الكافر فلا بل يرجع فيه إلى رأي الإمام لاحتياجه إلى اجتهاد لأن الكافر قد يخون

تنبيه ما ذكر محله إذا بذل ذلك لا على أن يكون الغزو للباذل وإلا لم يجز كما صرح به الروياني وغيره (ولا يصح استئجار مسلم لجهاد) لأنه يقع عنه وما يأخذه المرتزقة من الفيء **والمتطوعة** من الصدقات ليس بأجرة لهم بل هو مرتبهم وجهادهم وقع منهم ولو أكره الإمام جماعة على الغزو لم يستحقوا أجرة لوقوع غزوهم لهم

قال البغوي هذا إن تعين عليهم وإلا فلهم الأجرة من الخروج إلى حضور الوقعة

قال الرافعي وهو حسن فليحمل إطلاقهم عليه

تنبيه قد ذكر المصنف هذه المسألة في باب الإجارة وذكر ههنا توطئا لقوله (ويصح استئجار ذمي) ومعاهد ومستأمن (للإمام) حيث تجوز الاستعانة بهم ولو بأكثر من سهم لراجل أو فارس لأنه لا يقع عنه

فأشبه استئجار الدواب واغتفرت الجهالة للضرورة فإن المقصود القتال ولأن معاقدة الكفار يحتمل فيها ما لا يحتمل في معاقدة المسلمين (قيل ولغيره) من الآحاد كالأذان والأصح المنع لأنه من المصالح العامة لا تتولاها الآحاد والأذان الأجير فيه مسلم وهذا كافر لا يؤتمن

تنبيه قضية كلامه صحة استئجار الذمي ونحوه بأي مال كان من نفسه أو من أموال بيت المال وليس مرادا بل إنما يعطى من سهم المصالح سواء كان مسمى أو أجرة مثل ولو من غير غنيمة قتاله لا من أصل الغنيمة ولا من أربعة أخماسها لأنه يحضر للمصلحة لا أنه من أهل الجهاد فإن أسلم انفسخت الإجارة

---

(١) مغني المحتاج، ٤/٢٢٠

وإن أكرهه الإمام عليه أو استأجره بمجهول كأن قال أرضيك أو أعطيك ما تستعين به وقاتل وجب له أجرة المثل بخلاف ما إذا لم يقاتل كنظائره وإن قهر الكفار على الخروج إلى الجهاد فهربوا قبل وقوعهم في الصف أو خلي سبيلهم قبله فلهم أجرة الذهاب فقط وإن تعطلت منافعهم في الرجوع لأنهم ينصرفون حينئذ كيف شاؤوا ولا حبس ولا استئجار وإن رضوا بالخروج ولم يعدهم بشيء رضخ لهم من أربعة أخماس الغنيمة كما مر في بابها وتفارق الأجرة بأنه إذا حضر طامعا بلا مسمى فقد شبه بالمجاهدين فجعل في القسمة معهم بخلاف ما إذا حضر بأجرة فإنها عوض محض ونظر مقصور عليها فجعلت فيما يختص بيد الإمام وتصرفه ولا يزاحمه فيه الغانمون أما إذا خرجوا بلا إذن من الإمام فلا شيء لهم لأنهم ليسوا من أهل الذب عن الدين بل متهمون بالخيانة والميل إلى أهل دينهم سواء نهاهم عن الخروج أم لا بل له تعزيرهم فيما نهاهم عنه إن رآه

(ويكره لغاز قتل قريب) له كافر لأن الشفقة قد تحمل على الندامة فيكون ذلك سببا لضعفه عن الجهاد ولأن فيه قطع الرحم المأمور بصلتها وهي كراهة تنزيه وإن اقتضت العلة الثانية أنها كراهة تحريم (و) قتل قريب (محرم) له (أشد) كراهة لأنه صلى الله عليه وسلم منع أبا بكر يوم أحد من قتل ولده عبد الرحمن ومنع أبا حذيفة من قتل أبيه يوم بدر

(قلت إلا أن يسمعه) أو يعلم بطريق يجوز له اعتماده أنه (يسب الله) تعالى (أو رسوله صلى الله عليه وسلم) بأن يذكره بسوء فلا كراهة حينئذ (والله أعلم) بل ينبغي الاستحباب تقديما لحق الله تعالى وحق رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ وفي الصحيحين والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده زاد مسلم والناس أجمعين

وكذا لا كراهة إذا قصد هو قتله فقتله دفعا عن نفسه (ويحرم) عليه (قتل صبي ومجنون) ومن به رق (وامرأة وخنثى مشكل) للنهي عن قتل الصبيان والنساء في الصحيحين وألحق المجنون بالصبي والخنثى بالمرأة لاحتمال أنوثته

تنبيه يستثنى من ذلك مسائل الأول إذا لم يجد المضطر سواهم فله قتلهم وأكلهم على الأصح في زيادة الروضة

". (١)

" الاثنين تعجيل فدية يومين فأكثر ولهم تعجيل فدية يوم فيه أو في ليلته ومقابل الأظهر المنع لأنه أفطر لأجل نفسه بعذر فأشبه المسافر والمريض إذا ماتا قبل انقضاء السفر والمرض وفرق الأول بأن الشيخ لا يتوقع زوال عذره بخلافهما وأما الحامل والمرضع فإن أفطرتا خوفا من الصوم على نفسيهما ولو مع ولديهما تغليبا للمسقط وعملا بالأصل من حصول مرض ونحوه بالصوم كالضرر الحاصل من الصوم للمريض وجب عليهما القضاء بلا فدية كالمريض المرجو البرء أو على الولد وحده ولو من غيرها بأن خافت الحامل من إسقاطه وخافت المرضع من أن يقل اللبن فيهلك الولد لزمتهما مع القضاء الفدية في الأظهر في مالهما وإن كانتا مسافرتين أو مريضتين نعم إن أفطرتا لأجل السفر أو المرض فلا فدية عليهما وكذا إن أطلقتا في الأصح ثم الكلام في الحرة أما القنة فستأتي وفي غير المرضع المتحيرة وأما هي فلا فدية عليها للشك وكذا الحامل المتحيرة بناء على أن الحامل تحيض ثم محل ما ذكر في المتحيرة إذا أفطرت ستة عشر يوما فأقل فإن أفطرت أزيد من ذلك وجبت الفدية لما زاد لأنها أكثر ما يحتمل فساده بالحيض حتى لو أفطرت كل رمضان لزمها مع القضاء فدية أربعة عشر يوما نبه عليه الجلال البلقيني وشمل كلام المصنف المستأجرة للإرضاع وإنما لزمها ولم يلزم الأجير دم التمتع لأن الدم ثم من تتمة الحج الواجب على المستأجر وهنا الفطر من تتمة إيصال المنافع اللازمة للمرضع وما بحثه الشيخ من أن محل ما ذكر في المستأجرة **والمتطوعة** إذا لم توجد مرضعة مفطرة أو صائمة لا يضرها الإرضاع محمول في المستأجرة على ما إذا غلب على ظنها احتياجها إلى الإفطار قبل الإجارة وإلا فالإجارة للإرضاع لا تكون إلا إجارة عين ولا يجوز

". (٢)

" الحاصل بحيث لو عم لم يسد مسدا خص به الأحوج للضرورة وقيل يختص بالحاصل في كل ناحية من فيها منهم كالزكاة ويرده أن النقل لإقليم لا شيء فيه أو فيه مالا يفي بمساكينه إذا وزع عليهم بقدر ما يحتاج إليه في التسوية بين المنقول إليهم وغيرهم إنما هو لموافقة الآية المقتضية لوجوب تعميم جميعهم في جميع الأقاليم ويفرق بينه وبين الزكاة بأن التشوف لها في محلها فقط لأن الغالب أنه لا يفرقها إلا الملاك بخلاف الفيء لأن المفرق له الإمام أو نائبه وهو لسعة نظره يتشوف كل من في حكمه لوصول

---

(١) مغني المحتاج، ٢٢٢/٤

(٢) نهاية المحتاج، ١٩٤/٣

شيء من الفيء إليه مع أنه لا مشقة عليه في النقل فاندفع ما للسبكي هنا ومن فقد من الأصناف الأربعة صرف نصيبه للباقين منهم وأما الأخماس الأربعة التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مضمومة إلى خمس الخمس فالأظهر أنها للمرتزقة وقضاتهم وأئمتهم ومؤذنيهم وعمالهم ما لم يوجد متبرع وهم الأجناد المرصودون في الديوان للجهاد لحصول النصرة بهم بعده صلى الله عليه وسلم سموا بذلك لأنهم أرصدوا نفوسهم للذب عن الدين وطلب الرزق من ماله تعالى وخرج بهم **المتطوعة** بالغزو إذا نشطوا فيعطون من الزكاة دون الفيء عكس المرتزقة ما لم يعجز سهمهم عن كفايتهم فيكمل لهم الإمام من سهم سبيل الله فيضع ندبا كما صرح به الإمام وهو ظاهر كلام أبي الطيب وإن صرح جمع بالوجوب وأفهمه كلام الروضة لأن القصد الضبط وهو غير منحصر في ذلك الإمام ديوانا بكسر الدال أي دفترا اقتداء بعمر رضي الله عنه فإنه أول من وضعه لما كثر المسلمون وهو فارسي معرب وقيل عربي وينصب ندبا لكل قبيلة أو جماعة عريفا يعرفه بأحوالهم ويجمعهم عند الحاجة وروى أبو داود وغيره خبر العرافة حق ولا بد للناس منها ولكن العرفاء في النار أي لأن الغالب عليهم الجور فيمن تولوا عليه ويبحث الإمام وجوبا بنفسه أو نائبه عن حال كل واحد من المرتزقة وعياله وهم من تلزمه نفقتهم وما يكفيه فيعطيه ولو غنيا كفايتهم من نفقة وكسوة وسائر مؤنتهم مراعيا في ذلك الزمن والرخص والغلاء وعادة المحل والمروءة وغيرها

".(١)

"بذلك لانهم أرصدوا أنفسهم للذب عن دين الله، وطلبوا الرزق من مال الله تعالى.

وخرج بهم **المتطوعة** بالغزو إذا نشطوا فيعطون من الزكاة، لا من الفئ.

(قوله: وخمسها) أي الفئ والغنيمة، أي الخمس الخامس منهما يخمس، أي يجعل خمسة أسهم.

(قوله: سهم للمصالح) قال في التحفة: وهذا السهم كان له (ص) ينفق منه على نفسه وعياله، ويدخر منه مؤنة سنة، ويصرف الباقي في المصالح.

كذا قاله الاكثرون، قالوا: وكان له الاربعة الاخماس الآتية، فجملة ما كان يأخذه: إحدى وعشرون من خمسة وعشرين.

قال الروياني: وكان يصرف العشرين التي له للمصالح، قيل وجوبا، وقيل ندبا.

وقال الغزالي وغيره: بل كان الفئ كله له في حياته، وإنما خمس بعد موته.

---

(١) نهاية المحتاج، ٦/١٣٩

اه.

(قوله: كسد ثغر) أي شحنه بآلة الحرب وبالغزاة.

والثغر: موضع الخوف من طرف بلاد المسلمين التي تليها بلاد المشركين.

وفي المصباح: الثغر: من البلاد الذي يخاف منه هجوم العدو، فهو كالثلمة في الحائط، يخاف هجوم السارق منها.

والجمع على ثغور: مثل فلس وفلوس.

اه.

(قوله: وعمارة حصن) أي كالقلعة، ويجمع على حصون.

(وقوله: ومسجد) أي وعمارة مسجد.

(قوله: وأرزاق القضاة) أي قضاة البلاد، فيعطون ولو أغنياء، لا قضاة العسكر - وهم الذين يحكمون لاهل الفئ في مغزاهم - فيرزقون من الاخماس الاربعة، لا من خمس الخمس.

(قوله: والمشتغلين بعلوم الشرع) أي وأرزاق المشتغلين بما ذكر.

(وقوله: وآلاتها) أي علوم الشرع، كالنحو والصرف.

(قوله: والائمة والمؤذنين) أي أئمة المساجد ومؤذنيها، ومثلهم كل من يشتغل عن نحو كسبه بمصالح المسلمين - كمن يشتغل بتجهيز الموتى، وحفر القبر - لعموم نفعهم.

(قوله: ويعطى) - بالبناء للمجهول - هؤلاء، أي القضاة ومن ذكر بعدهم.

(وقوله: مع الغنى) أي مع كونهم أغنياء.

(قوله: ما رآه الامام) مفعول ثان ليعطى أي يعطى القدر الذي يراه الامام للمصلحة، ويختلف بضيق المال وسعته.

(قوله: ويجب تقديم إلخ) مقابل محذوف تقديره، ويعمم الامام بهذا السهم كل الافراد إن وفى بهم، فإن لم يف، قدم الاهم، فالاهم.

(وقوله: مما ذكر) أي من المصالح.

(قوله: وأهمها) أي المصالح.

(وقوله: الاول) أي سد الثغور.

(قوله: ولو منع هؤلاء إلخ) أي ولو منع الامام القضاة ومن ذكر بعدهم حقوقهم من بيت المال.

(وقوله: وأعطى أحدهم منه) الفعل مبني للمجهول، وما بعده نائب فاعل.

أي وأعطى غير الامام أحد المستحقين من بيت المال.

ومثل الاعطاء أخذه بنفسه.

(قوله: ما لم يزد على كفايته) فإن زاد فلا يجوز له أخذ الزائد.

ولو قال: جاز له أخذه كفايته لا الزائد - لكان أولى.

(قوله: على المعتمد) مقابله أقوال - القول الاول منها: لا يجوز له أخذ أصلا.

ثانيها: يأخذ كفاية يوم بيوم.

ثالثها: يأخذ كفاية سنة.

وعبارة التحفة: (فائدة) منع السلطان المستحقين حقوقهم من بيت المال، ففي الاحياء: قيل لا يجوز لاحدهم أخذ شئ منه أصلا، لانه مشترك، ولا يدري حصته منه.

وهذا غلو.

وقيل يأخذ كفاية يوم بيوم، وقيل كفاية سنة، وقيل ما يعطى إذا كان قدر حقه والباقون مظلومون.

وهذا هو القياس، لان المال ليس مشتركا بين المسلمين، ومن ثم من مات وله فيه حق لا يستحقه وارثه. اه.

وخالفه ابن عبد السلام: فمنع الظفر في الاموال العامة لاهل الاسلام ومال المجانين والايتام اه.

(قوله: وسهم للهاشمي والمطلبي) أي لبني هاشم ولبني المطلب، أي وبناتهم دون غيرهم من أبناء عبد مناف، وذلك لانه (ص) وضع سهم ذوي القربى - الذي في الآية - فيهم، دون بني عبد شمس ونوفل، مجيبا عن ذلك - لما سألوه أن يعطيهم - بقوله: نحن وبنو المطلب شئ واحد.

وشبك بين أصابعه.

رواه البخاري.

أي لم يفارقوا بني هاشم في." (١)

"أطلق هذا الأسير وعلي كذا فأطلقه لزمه ولا رجوع له به على الأسير ما لم يأذن له في إفدائه فيرجع عليه وإن لم يشرط له الرجوع كما علم من آخر باب الضمان شرح م ر

فصل فيما يكره من الغزو الخ أي وما يتبع ذلك من قوله وسن أن يؤمر على سرية الخ

---

(١) حاشية إعانة الطالبين، ٢٣٢/٢

ومن قوله وحرم انصراف إلى آخر الفصل

قوله (كره غزو الخ) أي للمتطوعة

وأما المرتزقة فيحرم بغير إذن الإمام شرح م ر وزي لأنهم مرصدون لمهمات تعرض للإسلام يصرفهم الإمام فيها فهم بمنزلة الإجراء شرح الروض

وسواء في الحرمة عطل الإمام الغزو أم لا فيخص ما يأتي من عدم كراهة الغزو بغير إذنه حينئذ بالغزاة المتطوعة به ا هـ ع ش على م ر وهو بعيد بل المرتزقة كغيرهم

قوله (إن عطل الغزو الخ) وينبغي الوجوب في هذه ا هـ ط ب سم

قوله (لغة الطلب) وشرعا الخروج لقتال الكفار ح ل

قوله (لأن الغازي) أي وسمي المقاتل مغازيا لأن الخ ع ش

فهو علة المحذوف أو تقديره وسمي الطلب غزوا لأن الغازي الخ

قوله (وسن له أن يؤمر) وينبغي وفاقا لطب الوجوب إذا أدى تركه إلى التغرير الظاهري المؤدي إلى الضرر الذي يخل بالحرب سم

قال م ر في شرحه ويسن التأمير لجمع قصدوا سفرا ولو قصيرا وتجب طاعة الأمير بما يتعلق بما هم فيه قال ع ش أي بأن يؤمروا واحدا منهم عليهم

قوله (طائفة من الجيش) سميت بذلك لأنها تسري بالليل زي فهي فعيلة بمعنى فاعلة يقال أسرى وسرى إذا ذهب ليلا قاله النووي

قوله (يبلغ أقصاها) ومبدؤها مائة بابلي

وقال حج هي من مائة إلى خمسمائة فما زاد منسر إلى ثمانمائة

وقوله إلى ثمانمائة هذا في اصطلاح الفقهاء فلا ينافي ما تقدم عن المصباح أنه من المائة إلى المائتين لأن ذاك اصطلاح لغوي ا هـ

فما زاد جيش إلى أربعة آلاف فما زاد جحفل

وأما الخميس فهو الجيش العظيم وسمي خميسا لأن له ميمنة وميسرة وقلبا وأماما وخلفا

وقوله إلى خمسمائة الغاية في كلام حج خارجة فلا ينافي كلام الشارح

قوله (وأن يأخذ البيعة) بفتح الباء أي الحلف بالله فيحلفهم الإمام على أنهم يثبتون على الجهاد وعدم الفرار وعلى أنهم يطيعون الأمير ع ش

قوله (بشروطه الآتية) أي إن أمناهم وقاومنا الفريقين فأطلق الجمع على ما فوق الواحد فقول المتن إن أمناهم الخ راجع لكل من الأكثر أو الاستعانة ويصح أن يراد بالشروط ما يأتي في المتن والشارح لأن الشارح ذكر شرطا آخر وهو قوله عند الحاجة فيكون الجمع على حقيقته

قوله (لأنه لا يقع عنهم) هلا وقع عنهم لأنهم مخاطبون بالفروع وأجاب سم بأن الفروع المخاطبين بها غير الجهاد

قوله (لأن المقصود الخ) جواب بالتسليم

وعبارة م ر للضرورة إذ يحتمل في معاقدة الكفار ما لا يحتمل الخ

قوله (اكتراءه) أي غير الإمام مع أن الأذان من المصالح العامة

قوله (المسلمون) ولو صبيانا وعبيدا ونساء وخناثى ومرضى وتعليلهم ذلك بأنه يتعين عليهم الجهاد بحضور الصف فيه نظر لأن فيه قصورا لأن من لا يلزمه الجهاد لا يحرم عليه الانصراف كما سيأتي ح ل

قوله (وله استعانة) أي في القتال وغيره كمسك الدواب بأجرة أو بدونها فهذا من عطف العام على الخاص وهل لنا أن نمكنهم من ركوب الخيل عند الاستعانة بهم للقتال وفي شرح الروض تمكينهم من ركوبها للضرورة كما استظهره الأذرعي

قوله (عند الحاجة إليها) أي إلى الاستعانة

قال س ل أي من حيث كثرة العدد لا من حيث المقاومة وعدمها ا هـ

وعبارة شرح م ر ويشترط في جواز الاستعانة احتياجنا لهم ولو لنحو خدمة أو قتال لقلتنا

ولا ينافي في هذا اشتراط مقاومتنا للفريقين

قال المصنف لأن المراد باشتراط المقاومة للفريقين قلة المستعان بهم حتى لا تظهر كثرة العدو بهم لو انقلبوا معهم وأجاب البلقيني بأن العدو إذا كان مائتين ونحن مائة وخمسون ففينا قلة بالنسبة لاستواء العددين أي عدد المسلمين والكفار فإذا استعنا بخمسين فقد استوى العددان ولو انحاز الخمسون إليهم أمكننا مقاومتهم

". (١)

---

(١) حاشية البجيرمي، ٢٥٢/٤

"الآية خمس الخمس كما مر في الفصل قبله .

وأما بعده صلى الله عليه وسلم فيصرف ما كان له من خمس الخمس لمصالحنا كما مر أيضا في الفصل قبله .

(ويعطى أربعة أخماسها) التي كانت له صلى الله عليه وسلم في حياته .

(للمقاتلة) أي المرتزقة لعمل الأولين به ؛ لأنها كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحصول النصرة به والمقاتلون بعده هم المرصدون للقتال .

(في مصالح المسلمين) بتعيين الإمام لهم سموا مرتزقة لأنهم أرصدوا أنفسهم للذب عن الدين وطلبوا الرزق من مال الله .

وخرج بهم **المتطوعة** وهم الذين يغزون إذا نشطوا وإنما يعطون من الزكاة لا من الفيء عكس المرتزقة .

تتمة : يجب على الإمام أن يبحث عن حال كل واحد من المرتزقة وعمن تلزمه نفقتهم من أولاد وزوجات ورقيق لحاجة غزو أو لخدمة إن اعتادها لا رقيق زينة وتجارة وما يكفيهم فيعطيه كفايته وكفايتهم من نفقة وكسوة وسائر المؤن بقدر الحاجة ليتفرغ للجهاد ويراعى في الحاجة حاله في مروءته وضدها والمكان والزمان والرخص والغلاء وعادة البلد في المطاعم والملابس ، ويزاد إن زادت حاجته بزيادة ولد أو حدوث زوجة ومن لا رقيق له ، يعطى من الرقيق ما يحتاجه للقتال معه أو لخدمته إذا كان ممن يخدم وتعطى زوجته وأولاده الذين تلزمه نفقتهم في حياته إذا مات بعد أخذ نصيبه لئلا يشتغل الناس بالكسب عن الجهاد إذا علموا ضياع عيالهم بعدهم فتعطى الزوجة حتى تنكح لاستغنائها بالزوج ولو استغنت بكسب أو إرث." (١)

"أيضا لإنقاذ آدمي إلخ محله في منقذ لا يباح له الفطر لولا الإنقاذ أما من يباح له الفطر لعذر كسفر أو غيره فأفطر فيه عند الإنقاذ ولو بلا نية الترخص قال الأذرعي فالظاهر أنه لا فدية ويتجه تقييده بما مر آنفا في الحامل والمرضع ا هـ شرح م ر أي بأن أفطر لنحو السفر أو أطلق لا للإنقاذ وقال قبل ذلك في الحامل والمرضع ما نصه أو على الولد وحده ولو من غيرها بأن خافت الحامل من إسقاطه وخافت المرضع من أن يقل اللبن فيهلك الولد لزمتهما مع القضاء الفدية في الأظهر في مالهما وإن كانتا مسافرتين أو مريضتين نعم إن أفطرتا لأجل السفر أو المرض فلا فدية عليهما وكذا إن أطلقتا في الأصح ا هـ أي بأن لم يريدا بالفطر خصوص الولد ولا السفر أو المرض ا هـ ع ش قوله أو لخوف ذات ولد عليه أي ما لم تكن إحداهما مريضة أو مسافرة وتفطر بسبب المرض أو السفر أو تطلق أما لو أفطرت بسبب الحمل والرضاع

---

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب، ١٥/١٣

فإنها تجب ا هـ برماوي قوله أيضا أو لخوف ذات ولد عليه ويجب عليها الفطر وإذا امتنعت ولم ترضعه ومات الولد فلا ضمان عليها لأنها لم تحدث فيه صنعا ا هـ برماوي قوله أو مرضع شمل كلامه المستأجرة للإرضاع وإنما لزمها الفدية ولم يلزم الأجير دم التمتع لأن الدم ثم من تتمة الحج الواجب على المستأجر وهنا الفطر من تتمة المنافع اللازمة للمرضع وما بحثه الشيخ من أن محل ما ذكر في المستأجرة **والمتطوعة** إذا لم توجد مرضعة مفطرة أو صائمة لم يضرها الإرضاع محمول في المستأجرة على ما إذا غلب على ظنها احتياجها إلى الإفطار قبل الإجارة وإلا فالإجارة للإرضاع لا تكون إلا إجارة عين ولا يجوز إبدال المستوفى منه فيها ا هـ شرح م ر وقوله محمول في المستأجرة على ما إذا غلب على ظنها إلخ أي وحينئذ فلا تصح الإجارة لعدم قدرتها على تسليم المنفعة شرعا وخرج بذلك ما إذا لم يغلب على ظنها ما ذكر فتصح الإجارة ويجوز لها الفطر بل يجب ويمتنع عليها دفع الطفل لغيرها وهذا موضوع كلام الأصحاب وهو حاصل." (١)

"الامتناع والاقتتال وهذا لا ينافي أنه قد يعلم أنه يقتل على فرض أن يقاتل ويمتنع من الاستسلام تأمل قوله وإلا تعين الجهاد راجع للقيود الثلاثة أي قوله وجوزا سرا وقتلا وقوله إن علم أنه إن امتنع قتل وقوله وأمنت المرأة فاحشة فقوله كما مر أي في قوله لكن علم كل من قصد أنه إن أخذ قتل هذا محترز قوله إن علم أنه إن امتنع قتل وقوله أو لم تأمن المرأة إلخ هذا محترز قوله وأمنت المرأة فاحشة قوله احتمل جواز استسلامها نقل الزركشي ترجيحه وعن البسيط أن الظاهر المنع ا هـ ز ي قوله لزمنا نهوض إلخ أي على سبيل فرض العين ا هـ شرح م ر والظاهر أنه لا يصح بل يتعين أنه فرض كفاية فإذا قام به بعض المكلفين سقط الحرج عن غيره كما لا يخفى تأمل قوله فإن توغلوا في بلادهم إلخ عبارة شرح م ر ويندب عند العجز عن خلاصه افتداؤه بمال فمن قال لكافر أطلق هذا الأسير وعلي كذا فأطلقه لزمه ولا رجوع له به على الأسير ما لم يأذن في فدائه فيرجع عليه وإن لم يشترط له الرجوع كما علم من آخر باب الضمان انتهت فصل فيما يكره من الغزو إلخ أي وما يتبع ذلك من قوله وسن أن يؤمر على سرية إلخ ومن قوله وحرم انصراف من لزمه جهاد عن صف إلى آخر الفصل قوله كره غزو أي للمتطوعة وأما المرتزقة فيحرم عليهم بغير إذن الإمام ا هـ ح ل ومثله في شرح م ر وسواء في الحرمة عطل الإمام الغزو أو لا فيخص ما يأتي من عدم كراهة الغزو وبغير إذنه بالغزاة **المتطوعة** به ا هـ ع ش على م ر قوله لغة الطلب أي وشرعا الخروج لقتال الكفار ا هـ ح ل قوله وسن له أن يؤمر إلخ ينبغي وفاقا للطبلاوي الوجوب إذا أدى تركه إلى التغرير

---

(١) حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ٤/٤٢٩

الظاهري المؤدي إلى الضرر ا هـ سم قوله أن يؤمر أي شخصا يثق بدينه ويسن كونه مجتهدا في الأحكام الدينية فإن أمر فاسقا أو نحوه اتجهت حرمة توليته أخذا من حرمة تولية نحو الإمامة والآذان ا هـ شرح م ر وقوله اتجهت حرمة توليته أي وتجب طاعته لئلا يختل أمر الجيش ومحل حرمة التولية ما لم." (١)

"المستأجر وهنا الفطر من تتمة إيصال المنافع اللازمة للمرضع ، وما بحثه الشيخ من أن محل ما ذكر في المستأجرة **والمتطوعة** إذا لم توجد مرضعة مفطرة أو صائمة لا يضرها الإرضاع ، محمول في المستأجرة على ما إذا غلب على ظنها احتياجها إلى الإفطار قبل الإجارة ،

وإلا فالإجارة للإرضاع لا تكون إلا إجارة عين ، ولا يجوز إبدال المستوفى منه فيها والفطر فيما ذكر جائز بل واجب إن خيف نحو هلاك الولد ولا تتعدد الفدية بتعدد الأولاد لأنها بدل عن الصوم ، بخلاف العقيقة لأنها فداء عن كل واحد ، ومقابل الأظهر لا يلزمهما كالمسافر والمريض لأن فطرهما لعذر ، وقيل يجب على المرضع دون الحامل لأن فطرها لمعنى فيها كالمريض (والأصح أنه يلحق بالمرضع) في إيجاب الفدية مع القضاء

الشرح

(قوله : وأما الحامل) أي ولو كان الحمل من زنا أو بغير آدمي ولا فرق في الرضيع بين أن يكون آدميا أو حيوانا محترما ثم رأيته في الزيادي (قوله من حصول مرض ونحوه) أي من كل ضرر يبيح التيمم حج .." (٢)

" الابن ، ويستوي ذو الجهتين كالشقيق مع ذي الجهة ، كالأخ للأب قال الأذرعي : ويعطى الخنثى نصيب أنثى بلا وقف ، واعتمده شيخنا وفي شرح شيخنا يوقف له تمام نصيب ذكر ، ولعله إن رجى اتضاحه لتعذر الصلح فراجعه . قوله : (كما فعل الأولون) أي فهو إجماع مخصص لما قبله . قوله : (أي اليتيم) أي الذي هو مفرد اليتامى معناه لغة صغير ، ولو أنثى أو خنثى ، ولو مميزا لا أب له أي معروف شرعا فدخل ولد الزنا واللقيط والمنفي باللعان ، وإذا ظهر الأب فيهما رجع عليهما بما دفع لهما ، كذا نقل عن شيخنا الرملي وخالفه شيخنا الزيادي فيهما وهذا في حق الآدمي سواء كان له جد وأم ، أم لا ، وفاقد

---

(١) حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ٢١٤/١٠

(٢) حاشية الشبراملسى، ٣١٩/١٣

الأم منه يقال له منقطع ، وأما اليتيم في البهائم فهو فاقد الأم ، وفي الطيور فهو فاقد أبويه معا . قوله : (ويشترط) أي من حيث الإعطاء لا من حيث الاسم كما ذكره مقابل المشهور . قوله : (فقره) بالمعنى الشامل للمسكنة ، ويشترط إسلامه أيضا . قوله : (المساكين) بالمعنى الشامل للفقراء فيشترط الإسلام أيضا . قوله : (وابن السبيل) أي الطريق بشرط الفقر والإسلام وإباحة السفر . قوله : (يعم) أي وجوبا إن وفى المال . قوله : (الأصناف) وكذا آحادها ، وله التفضيل في الأصناف والآحاد . قوله : (الأربعة المتأخرة) حيث ثبت اتصافهم بالاستحقاق وهو بالبينة في ذوي القربى أو بالاستفاضة فيهم ، كما قاله شيخنا الرملي وبالبينة في اليتامى وكذا في المساكين إن عرف للمدعي مال وادعى تلفه أو ادعى عيالا وإلا صدق بيمينه كابن السبيل ولا بد من البينة في أهل الخمس الأول مطلقا ، ويجوز أن يجمع الإمام للفقراء مع الخمس نصيبهم من الزكاة والكفارة ، فيجتمع لهم ثلاثة أموال ، ومن اجتمع فيه وصفان أخذ بأحدهما باختياره ، فإن كان أحدهما غزوا جاز الأخذ بهما ، وقول بعضهم لو اجتمع في شخص يتم ، ومسكنة أخذ باليتم لأنه وصف لازم مردود ناشئ عن غفلة لأن الفقر شرط في استحقاق اليتيم ، فتأمل ، ولو فقد واحد من الأصناف صرف ما يخصه إلى الباقين منهم . قوله : (قيل يخص) ظاهره وجوبا . قوله : (وإن لم يعم) قال بعضهم : المناسب وإن عم الجميع بأن كان كثيرا فراجعه وقد يراد بالأول وإن لم يعم الإمام بالإعطاء جميع من في تلك الناحية وبالثاني وإن عم المال لكثرته جميع الأصناف ، واختار الشارح الأول لأنه في مقابلة التعميم الذي يجب على الوجه الأول . قوله : (بقدر الحاجة) مقتضاه أن ما زاد على قدرها يمتنع نقله بلا خلاف ، وليس كذلك كما علم مع أن النظر لعموم الآية الذي جعله علة للجواب لا يفيد ذلك القيد فتأمل ، وفارق ما هنا من جواز النقل ما في الزكاة من منعه بتشوف أهلها إليها ، وبأن الغالب أن المالك يفرقها كذا أجاب بعضهم ، وفيه بحث لأن ما ذكره إنما يفيد الأولوية لا المنع ، والوجه أن يقال : لأن فقراء المحل قد ملكوا الزكاة قبل صرفها بخلاف الفيء فتأمل . قوله : (للمرتزقة) ومنهم قضاتهم وأئمتهم ومؤذنوهم ونحوهم كما مر . وسموا بذلك لطلبهم من الإمام أرزاقهم . قوله : (المرصدون للجهاد) بخلاف المتطوعة فيعطون من الزكاة كما سيأتي آنفا . قوله : (وعلى الأول) إنما خصه لأن ما سيأتي فيما إذا فضلت لا يتأتى على غيره .

".(١)

---

(١) حاشية قليوبي، ٣/١٩٠

" تنبيه : هذا الخلاف والتفصيل خاص بالفرع والمدين ، كما هو صريح كلام المصنف فغيرهما له الرجوع والانصراف مطلقا إلا مع الفشل كما مرت الإشارة إليه آنفا . قوله : (بلدة لنا) هما مثال إذ غير البلد كالجبل والخراب القريب منها كذلك ، وبلاد الذميين كبلادنا لأنه يلزمنا الذب عنهم كما يأتي . قوله : (إن علم إلخ) أو لم تأمن من المرأة والأمرد فاحشة لو أخذا . قوله : (وإن جوز إلخ) أو أمن من ذكر الفاحشة ولو حال القتال ، وله الدفع إذا أريدت منه بعد الأسر . قوله : (فله أن يستسلم) لأنه قد أمن المحذور الآن وقد يستمر وبذلك فارق ما لو صال عليه كافر فتأمل . قوله : (في الأصح) هو المعتمد والكلام فيمن يلزمه الجهاد ابتداء وليس لمن بلغه الخبر تأخير لترقب خروج غيره بلا خلاف ، قوله : (بقدر الكفاية) فهو فرض كفاية في حقهم وفيمن بلغه الخبر بما علمت ، . قوله : (ولو أسروا مسلما فالأصح وجوب النهوض إليهم) ولو على رقيق ونحوه بلا إذن . قوله : (وإن توقعناه) أي خلاصه وإلا كأن توغلوا في بلادهم تركناه للضرورة . فصل فيما يكره من الغزو ومن يكره له وما يجوز أو يسن فعله بهم ، ومن يحرم قتله منهم وما يتبع ذلك والغزو لغة الطلب ، لأن الغازي يطلب إعلاء كلمة الله تعالى واصطلاحا يعلم مما يأتي . قوله : (يكره) أي في المتطوعة ويحرم في المرتزقة بلا إذن نعم إن كانت المصلحة في الغزو لكن تركه الإمام وجنده بإقبالهم على الدنيا أو امتنع من الإذن فيه أو كان انتظار الإذن يفوت مقصودا لم يكره بغير إذنه . . قوله : (ويسن أن يؤمر إلخ) نعم إن لزم على عدم الإمارة خلل في القتال وجبت ويسن منع مخذل أو مرجف من الخروج ومن الجهاد بل يجب إن لزم على خروجه فساد في القتال أو طمع في المسلمين قوله : (إذا بعث سرية) سميت بذلك لأنها تخرج سرا أو ليلا غالبا ، وتعود إلى الجيش و أقلها مائة وأكثرها أربعمائة والمراد بها هنا مطلق الجماعة الشاملة للبعث والكتيبة والفئة ، وهي ما دونها إلى الواحد ولما فوقها ويسمى بالمنسر إلى ثمانمائة ثم بالجيش والخميس إلى أربعة آلاف ثم بالجحفل لما زاد بلا نهاية . قوله : (البيعة) بفتح الموحدة اليمين بالله . قوله : (بطاعة الأمير) ويحرم كونه مبتدعا نحو فاسق . تنبيه : يجوز بل يندب لكل جماعة أرادوا سفرا ولو قصيرا أن يؤمروا عليهم واحدا منهم ويجب عليهم طاعته وتحرم مخالفته . قوله : (وله الاستعانة بكفار) وإن لم يخالفوا معتقد العدو على المعتمد وسواء احتيج إليهم أو لا ويراد بالمقاومة ولو بالقوة وشمل الكفار ما لو كانوا نساء بإذن أزواجهن .

---

(١) ".

---

(١) حاشية قليوبي، ٤/٢١٨

"وجوبا (الاهم) فالاهم، (ولبني هاشم و) بني (المطلب) وهم المرادون بذي القربى في الآية، لاقتصاره (صلى الله عليه وسلم) في القسم عليهم، مع سؤال غيرهم من بني عميهم نوفل وعبد شمس له.
ولقوله أما بنو هاشم وبنو المطلب فشئ واحد وشبك بين أصابعه.
رواهما البخاري، فيعطون (ولو
أغنياء) للخبرين السابقين ولانه (صلى الله عليه وسلم) أعطى العباس وكان غنيا (ويفضل الذكر) على الانثى (كالارث) فله سهمان، ولها سهم لانها عطية من الله تعالى تستحق بقرابة الاب كالارث سواء الصغير والكبير، والعبرة بالانتساب إلى الآباء فلا يعطى أولاد البنات من بني هاشم والمطلب شيئا لانه (صلى الله عليه وسلم) لم يعط الزبير وعثمان، مع أن أم كل منهما كانت هاشمية (ولليتامى) للآية (الفقراء) لان لفظ اليتيم يشعر بالحاجة (منا) لانه مال أو نحوه أخذ من الكفار فاختص بنا كسهم المصالح (واليتيم صغير) ولو أنثى لخبر لا يتم ب ء د احتلام.
رواه أبو داود وحسنه النووي لكن ضعفه غيره (لا أب له) وإن كان له جد واليتيم في البهائم من فقد أمه وفي الطيور من فقد أباه وأمه، ومن فقد أمه فقط من الآدميين يقال له منقطع (وللمساكين) الصادقين بالفقراء (ولابن السبيل) أي الطريق، (الفقير منا ذ) كورا كانوا أو إناثا للآية مع ما مر آنفا وسيأتي بيان الصنفين وبيان الفقير في الباب الآتي.
ويجوز أن يجمع للمساكين بين الكفارة وسهمهم، من الزكاة والخمس فيكون لهم ثلاثة أموال، وإن اجتمع في أحدهم يتم ومسكنة أعطى باليتيم فقط لانه وصف لازم والمسكنة زائلة وللامام التسوية والتفضيل بينهم بحسب الحاجة وقولي: منامع الفقير من زيادتي.
(ويعم الامام) ولو بنائبه الاصناف (الاربعة الاخيرة)، بالاعطاء وجوبا لعموم الآية.
فلا يخص الحاضر بموضع حصول الفئ ولا من في كل ناحية منهم بالحاصل فيها، نعم لو كان الحاصل لا يسد مسدا بالتعميم قدم الاحوج ولا يعم للضرورة، ومن فقد من الاربعة صرف نصيبه للباقين منهم، (والاخماس الاربعة للمرتزقة) وهم المرصدون للجهاد بتعيين الامام لهم لعمل الاولين به، بخلاف **المتطوعة**، فلا يعطون من الفئ، بل من الزكاة عكس المرتزقة، كما سيأتي.
ويشرك المرتزقة في ذلك قضاتهم كما مر، وأئمتهم ومؤذنوهم وعمالهم (فيعطى) الامام وجوبا (كلا) من المرتزقة وهؤلاء (بقدر حاجة ممونه) من نفسه، وغيرها كزوجاته، ليتفرغ للجهاد ويراعى في الحاجة الزمان والمكان والرخص والغلاء.

وعادة الشخص مروءة وضدها.
ويزاد إن زادت حاجته بزيادة ولد أو حدوث زوجة فأكثر، ومن لا عبد له يعطى من العبيد ما يحتاجه للقتال معه أو لخدمته إن كان
ممن يخدم ويعطي مؤنته ومن يقاتل فارسا، ولا فرس له يعطى من الخيل ما يحتاجه للقتال ويعطى مؤنته بخلاف الزوجات يعطى لهن مطلقا لانحصارهن في أربع، ثم يدفع إليه لزوجته وولده الملك فيه لهما حاصل من الفئ، وقيل يملكه هو ويصير إليهما من جهته.." (١)

"وفي المعضوب بالحج دون الانابة قوله: (وثم المعضوب مخاطب بالحج) أي ابتداء رشيدي قال ع ش ويقع الحج الاول للنائب ويسترده منه ما دفعه إليه من الاجرة اه.
قول المتن (وأما الحامل الخ) أي ولو كان الحمل من زنى أو بغير آدمي ولا فرق في الرضيع بين أن يكون آدميا أو حيوانا محترما ثم رأيته في الزيادي ع ش قول المتن و (المرضع) ينبغي ولو لحيوان محترم غير آدمي سم عبارة المغني وأما الحامل والمرضع فيجوز لهما الافطار إذا خافتا على أنفسهما أو على الولد سواء كان الولد ولد المرضعة أم لا وسواء كانت مستأجرة أم لا ويجب الافطار إن خافت هلاك الولد وكذا يجب على المستأجرة كما صححه في الروضة لتمام العقد وإن لم تخف هلاك الولد وأما القضاء فإن أفطرتا خوفا الخ اه قول المتن (على نفسهما) الاولى أنفسهما قوله: (غير المتحيرة الخ) سيذكر محترز ذلك قوله: (أن يحصل لهما من الصوم الخ) وينبغي في اعتماد الخوف المذكور أنه لا بد من إخبار طبيب مسلم عدل ولو رواية أخذا مما قيل في التيمم ع ش قوله: (لانه وقع تبعا) أشار به إلى رد ما يقال أنه ارتفق به
شخصان فكان حقه لزوم الفدية ووجه الرد أن الخوف هنا تابع لخوفها على نفسها ويغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع والفطر في الانقاذ الآتي لم يجب عينا بل لكونه وسيلة إلى الانقاذ الواجب فالخوف على النفس ليس أصليا فوجبت الفدية لما في ذلك من الارتفاق بصري وعبارة المغني فإن قيل إذا خافتا على أنفسهما مع ولديهما فهو فطر ارتفق به شخصان فكان ينبغي الفدية قياسا على ما سيأتي أجيب بأن الآية وردت في عدم الفدية فيما إذا أفطرتا خوفا على أنفسهما فلا فرق بين أن يكون الخوف مع غيرهما أولا وهي قوله تعالى * (ومن كان منكم مريضا) * إلى آخرها اقوله: (وهو الخوف الخ) كونه مانعا محل تأمل وليس في قوله ألا ترى الخ ما يدل لذلك فتأمل بصري قوله: (بغير ذلك) يعني بدون الخوف على الولد قوله: (أ خافتا على الولد) أي ولو حربيا على الاوجه لانه محترم خلافا لما يقتضيه كلام الزركشي إيعاب

(١) فتح الوهاب، ٤٠/٢

قوله: (ولو حربيا) أي بأن استؤجرت امرأة مسلمة لارضاع ولد حربي مثلا ع ش قوله: (ولو من تبرعت الخ) الاولى إسقاط لفظة من قوله: (وإن لم تتعين الخ) خلافا للمغني والاسنى عبارة الاول وظاهر كما قال شيخنا أن محل ما ذكر أي جواز الفطر مع القضاء والفدية في المستأجرة **والمتطوعة** إذا لم يوجد مرضعة مفطرة أو صائمة لا يضرها الارضاع اه وعبارة النهاية وما بحثه الشيخ من أن محل ما ذكر في المستأجرة **والمتطوعة** إذا لم توجد مرضعة مفطرة الخ محمول في المستأجرة على ما إذا غلب على ظنها احتياجها إلى الافطار قبل الاجارة وإلا فالاجارة بالارضاع لا تكون إلا إجارة عين ولا يجوز إبدال المستوفى منه فيها اه وأقره سم قال الرشيدي قوله م ر محمول على ما إذا غلب على ظنها الخ أي وحينئذ فلا تصح الاجارة لعدم قدرتها على تسليم المنفعة شرعا وخرج بذلك ما إذا لم يغلب على ظنها ما ذكر فتصح الاجارة ويجوز لها الفطر بل يجب ويمتنع عليها دفع الطفل لغيرها وهو موضوع كلام الاصحاب." (١)

"وهو حاصل قوله مر وإلا فالاجارة الخ اه قول المتن (لزمتهما الفدية) أي من مالهما مع القضاء مغني زاد النهاية والفطر فيما ذكر جائز بل واجب إن خيف نحو هلاك الولد ولا تتعدد الفدية بتعدد الاولاد لانها بدل عن الصوم بخلاف العقيقة لانها فداء عن كل واحد اه قول المتن (لزمتهما الفدية الخ) أي مع القضاء ولا تتعدد الفدية بتعدد الاولاد ناشري وروض والظاهر اختصاص ذلك أي لزوم الفدية برمضان كما يدل عليه تعبير العباب بقوله الثانية أي من طرق الفدية فوات فضيلة رمضان سم قوله: (أنها منسوخة الخ) أي والناسخ له قوله تعالى * (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) * والقول بنسخه قول أكثر العلماء مغني قوله: (وفارقت كون دالتمتع الخ) يتأمل هذا الكلام فإن الارضاع هنا نظير الاتيان بأعمال الحج اه سم بحذف. قوله: (بأن فعل تلك) أي وهو فطرها كما عبر به في شرح الروض أي والنهاية والمغني اه سم قوله: (الواجب الخ) يخرج **المتطوعة** بخلاف قوله الآتي وأيضا الخ سم قوله: (وفعل هذا) أي الدم أسنى ومغني قوله: (وأيضا فالعبادة الخ) لعل المراد بالعبادة هنا الفطر وفي إطلاق أنها عبادة وأنه لها مع أن نفعه للطفل أيضا بل هو المقصود بنفعه نظر ثم رأيت ما يأتي قريبا مما حاصله تصويب إطلاق وجوب الفطر فيكون عبادة مطلقا اه سم بحذف.

قوله: (أما المرضعة الخ) وكذا الحاملة المتحيرة بناء على أن الحامل تحيض نهاية ومغني وشرح بافضل قوله: (للشك) أي في أنها حائض أو لا مغني قوله: (فلا فدية عليها الخ) هذا ظاهر فيما إذا أفطرت ستة عشر يوما فأقل فإن أفطرت أزيد من ذلك وجبت الفدية لما زاد لانها أكثر ما يحتمل فساده بالحيض حتى لو

---

(١) حواشي الشرواني، ٣/٤٤١

أفطرت كل رمضان لزمها مع القضاء فدية أربعة عشر يوما نهاية ومغني قوله: (لاجله) أي السفر أو المرض نهاية قوله: (وترخصتا) أي وإن خيف على الولد سم قوله: (أو أطلقتا) أي قصدا الترخص لكن لم يقصداه لاجل السفر أو المرض أو لاجل الرضيع أو الحمل ويبقى إذا لم يقصدا ترخصا مطلقا سم وقوله ويبقى ما إذا لم يقصدا الخ والظاهر أنها حينئذ مفطرة بلا عذر فتدخل في قول المصنف الآتي لا المتعدي بفطر رمضان بغير جماع عبارة شرح بافضل ولو أفطرت المريضة أو المسافرة بنية الترخص أي لاجل السفر أو المرض لم." (١)

": (فيعطى الخ) فإن وفى أي الضامن ما على الاصيل بما قبضه من الزكاة فلا رجوع له على الاصيل وإن ضمن بإذنه وصرفه إلى الاصيل المعسر أولى لان الضامن فرعه مغني ونهاية قوله: (وقد أعسرا) أي الضامن والاصيل قوله: (وإن ضمن الخ) غاية قوله: (أو أعسر هو وحده) فإن أعسر الاصيل وحده أعطي دون الضامن وإن كانا موسرين لم يعط واحد منهما مغني ونهاية قوله: (ومنه) أي الغارم قوله: (لنحو عمارة مسجد) كبناء قنطرة وفك أسير اه.

مغني قوله: (بمن استدان لنفسه) أي فيعطى بشرط الحاجة قوله: (ورجحه جمع متأخرون) واعتمده شيخنا الرملي اه.

سم وكذا اعتمده المغني.

قوله: (وواضح أن الكلام الخ) لا يخفى أن في ارتباط هذا الكلام بسابقه خفاء أي خفاء ثم راجعت أصله رحمه الله فرأيت قبله مضروبا عليه ما صورته وجزم بعضهم بأنه لا يقضي منها دين ميت إلا ما استدانه للاصلاح وهو محتمل حملا على هذه المكرمة وواضح الخ ووجه الضرب إغناء قوله السابق ولا يعطي غارم مات الخ عنه فالذي يغلب على الظن والله أعلم أنه عند الضرب على ما هنا أغفل ما ذكره مع أن اللائق نقله إلى ما سبق فليتأمل وليحرر اه.

سيد عمر قوله: (لا يتعين) إلى قوله بخلاف الخ في النهاية قوله: (الصرف فيما أخذ له) أي لا يتعين صرف ما أخذ من الزكاة في العتق اه.

كردي قوله: (كما مر) أي قبيل قول المتن والغارم قوله: (وكذا الغارم الخ) والتسليم لما يستحقه المكاتب أو الغارم إلى السيد أو الغريم بإذن المكاتب أو الغارم أحوط وأفضل إلا أن يكون ما يستحقه أقل مما عليه وأراد أن يتجر فيه فلا يستحب تسليمه إلى من ذكر وتسليمه إليه بغير إذن المكاتب أو الغارم لا يقع عن

---

(١) حواشي الشرواني، ٤٤٢/٣

زكاة لانهما المستحقان ولكن يسقط عنهما قدر المصروف لان من أدى عنه دينه بغير إذنه تبرأ ذمته اه.
مغني قوله: (وابن السبيل) وهذا لا ينافي قوله الآتي وشرطه الحاجة لان الفرض أنه أعطي قبل الاكتساب اه.
سم وهذا يجري أيضا في الغارم المستدين لمصلحة لنفسه.
قوله: (إذا أرادوا لذلك) أي الصرف في غير ما أخذوا له فليتأمل اه.
سم قوله: (ويحتمل خلافه) هذا هو الذي يظهر ويقتضيه كلامهم كما هو ظاهر عند المتتبع المتأمل اه.
سيد عمر قول المتن: (غزاة) أي ذكور اه.
مغني قوله: (أي لا سهم) إلى قوله فإن امتنعوا في النهاية إلا قوله على أن إلى المتن وقوله ومر إلى وإن عدم قوله: (المخالف) نعت تفسير الخ وقوله له بالحج متعلق به أي بتفسير الخ وضمير له لابن السبيل قوله: (أجابوا الخ) أي أكثر العلماء قوله: (بأنا لا نمنع الخ) متعلق بقوله أجابوا قوله: (في سبيل الله في الآية) أي في المراد به قوله: (وقوله الخ) مبتدأ خبره قوله صريح الخ قوله: (بهم) أي بطائفة سبيل الله وكان الاولى به أي بلفظ سبيل الله وقوله فيها أي الآية وقوله من ذكرناه أي الغزاة المتطوعة قوله: (ذلك الحديث) أي الذي استدل به أحمد وغيره قوله: (جعل صدقة الخ) أي وقفا قوله: (لمن يحج) متعلق بإعطاء الخ.
قوله: (ومر) أي في قسم الفئ وقوله: لهم أي للمتطوعة وقوله لاهله أي الفئ وهم المرتزقة قوله: (على ما مر) أي في قسم الفئ قوله: (فيهم) أي أهل الفئ وقوله عن الامام وهو أنه إذا عجز سهمهم عن كفايتهم كمل لهم من سهم سبيل الله اه.
سم قوله." (١)

"الناس على مذهبه مغني وروض مع شرحه زاد شرح الروض لانه لم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين في الفروع ولا ينكر أحد على غيره مجتهدا فيه وإنما ينكرون ما خالف نصا أو إجماعا أو قياسا جليا اه.
قوله: (وليس لاحد البحث إلخ) عبارة شرح مسلم وقال أقضى القضاة الماوردي وليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات فإن غلب على الظن استسرار قوم بها لامارة وآثار ظهرت فذلك ضربان أحدهما أن يكون في انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلي برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها فيجوز له في مثل هذا الحال أن يتجسس ويقدم على البحث والكشف حذرا من فوات ما لا يستدرك وكذا لو عرف غير المحتسب من المتطوعة جاز لهم الاقدام على الكشف والانكار والضرب

---

(١) حواشي الشرواني، ١٥٩/٧

الثاني ما قصر عن هذه الرتبة فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الاستار عنه فإن سمع أصوات الملاهي المنكرة من دار أنكرها

خارج الدار ولم يهجم عليها بالدخول لان المنكر ليس ظاهرا وليس عليه أن يكشف عن الباطن اه سم قوله: (وليس لاحد) أي من الآمر والناهي اه أسنى قوله: (واقتحام الدور) أي الدخول فيها للبحث عما فيها اه ع ش قوله: (ولو بقرينة ظاهرة) ظاهر هذه الغاية وعبارة الانوار فإن غلب على الظن استسرار قوم بالمنكر بآثار وأمارة فإن كان مما يفوت تداركه الخ اه رشيدي قوله: (وإلا إلخ) أي وإن لم يفت تداركها فلا يجوز التجسس قوله: (ولو توقف إلخ) عبارة المغني والروض مع شرحه والانكار للمنكر يكون باليد فإن عجز فباللسان ويرفق بمن يخاف شره ويستعين عليه بغيره إن لم يخف فتنة فإن عجز عنه رفع ذلك إلى الوالي فإن عجز أنكر بقلبه اه قوله: (من هتك) أي لعرضه اه نهاية قوله: (قاله ابن القشيري إلخ) نعم لو لم ينزجر إلا به أي الرفع للسلطان جاز اه نهاية قال الرشيدي المناسب وجب كما في التحفة اه قوله: (وله احتمال بوجوبه) ظاهره ولو م ع الهتك وتغريم المال ولينظر هل المراد تغريم الرافع أو المرفوع وعلى الاول فلعله إذا احتمل ذلك المال عادة سم وفيه تأمل أما أولا فلان المتبادر إلى الفهم أن المراد تغريم المرفوع كما هو شأن ولاة الجور وأما ثانيا فقضية صنيع المحشي أنه لا ينظر لتغريم المرفوع ولو عظم وهو مشكل بل الذي يتجه أن ينظر إلى مفسدة ذلك المنكر ومفسدة أخذ المال ويقيد إطلاقهم إذ في إطلاق الاخذ به ما يؤدي إلى مفاسد لا تليق بمحاسن الشريعة الغراء فليتق الله فاعل ذلك ويبذل جهده في النظر إلى أخف المفسدتين اه سيد عمر قوله: (بل الوجه أنه فرض عين) أقول الوجه المتعين أن مرادهم بقولهم السابق فالقلب أنه إذا تعذر المرتبتان الاوليان اكتفي بالقلب وهذا لا ينافي تعين الانكار به بالمعنى المذكور مطلقا ولو حال الانكار بغيره." (١)

"فصل في مكروهات ومحرمات ومندوبات في الغزو قوله: (في مكروهات) إلى قوله ولخبر مسلم في النهاية إلا قوله كما صح إلى ويسن وقوله وذكرت إلى المتن قوله: (وما يتبعها) أي وما يجوز قتالهم به اه مغني قوله: (لان الغازي إلخ) أي وسمي المقاتل غازيا لان إلخ اه ع ش قوله: (يطلب إعلاء كلمة الله) أي المطلوب منه ذلك اه ع ش قول المتن: (أو نائبه) أو بمعنى الواو اه سيد عمر قوله: (لان أحدهما) إلى قول المتن وإذا بعث في المغني إلا قوله أي ولم يخش إلى المتن وقوله ما لم يخش فتنة قوله: (لان أحدهما) عبارة النهاية إذ كل منهما اه وهي أحسن قوله: (منه) عبارة المغني من غيره اه قوله: (وبحث الزركشي إلخ)

---

(١) حواشي الشرواني، ٢١٩/٩

عبارة المغني وينبغي كما قال الاذرعي تخصيص ذلك **بالمتطوعة** وأما المرتزقة فلا يجوز لهم ذلك لانهم مرصدون لمهمات تعرض للاسلام يصرفهم فيها الامام فهم بمنزلة الامراء اه قوله: (إنه ليس إلخ) قضيته أنه لا فرق بين أن يعطل الامام الغزو وأن لا وعليه فيختص ما يأتي من عدم كراهة الغزو بغير إذن بالمتطوعين بالغزو اه ع ش قوله: (لمرتزق) هو من أثبت اسمه في الديوان وجعل له رزق من بيت المال اه ع ش قوله: (والبلقيني إلخ) عبارة المغني تنبيه استثنى البلقيني من الكراهة صورا أحدها أن يفوته المقصود بذهابه للاستئذان ثانيها إذا عطل الامام الغزو وأقبل هو وجنوده على أمور الدنيا كما يشاهد ثالثها إذا غلب على ظنه أنه إذا استأذنه لا يأذنه اه قوله: (أو ظن أنه لا يأذن) أي وإن كان المصلحة في الاذن أما لو ظن أنه لا يأذن لانه رأى المصلحة في عدمه فينبغي بقاء الكراهة سم وسيد عمر قوله: (منع مخذل) من التخذيل عبارة المغني وشرح الروض ويرد المخذول وهو من يخوف الناس كأن يقول عدونا كثير وجنودنا ضعيفة ولا طاقة لنا بهم ويرد المرجف وهو من يكثر الاراجيف كأن يقول قتلت سرية كذا أو لحق مدد للعدو من جهة كذا أو لهم كمين في موضع كذا ويرد أيضا الخائن وهو من يتجسس لهم ويطلعهم على العورات بالمكاتبة والمراسلة ويمنع هذه الثلاثة من أخذ شئ من الغنيمة حتى سلب قتيلهم اه قوله: (وجوب ذلك) أي المنع والاخراج اه رشيدي قوله: (علم منه) لعل المراد به ما يشمل الظن الغالب قوله: (فيمن علم إلخ) أي الامام أو نائبه عبارة النهاية حيث غلب على ظنه حصول ذلك منه اه.

قوله: (ومر بيانها) أي أنها من مائة إلى خمسمائة اه سم عبارة المغني وهي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة سميت بذلك لانها تسري في الليل وقيل لانها خلاصة العسكر وخياره روى ابن عباس أن النبي (ص) قال خير الاصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيش أربعة آلاف ولن تغلب اثنا عشر ألفا من القلة رواه الترمذي وأبو داود وزاد أبو يعلى الموصلي إذا صبروا أو صدقوا اه وفي الرشيدي ما يوافقه في المقدار ووجهي التسمية لكنه مال إلى ترجيح الثاني حيث قال بعد ذكر المقدار المذكور والوجه الاول عن تحرير المصنف ما نصه وضعف ابن الاثير ما ذكره المصنف وقال سميت بذلك لانه خلاصة العسكر وخياره من الشئ السري النفيس اه قوله: (وذكرها مثال) أو أراد بها أعم من معناها السابق اه سم قول المتن: (أن يؤمر عليهم) ينبغي وفاقا للطبلاوي الوجوب إذا أدى تركه إلى التغرير الظاهر المؤدي إلى الضرر سم على المنهج اه ع ش ويأتي عن سم عند قول الشارح الآتي ومن ثم أوجب جمع الخ ما يوافقه قوله: (من يوثق) ببناء المفعول وعبارة غيره يثق قوله: (وخبرته) قال الشافعي رضي الله تعالى عنه في الام ولا ينبغي أن يولي الامام الغزو إلا ثقة في دينه شجاعا في بدنه حسن الانابة عارفا بالحرب يثبت عند الهرب ويتقدم عند

الطلب وأن يكون ذا رأي في السياسة والتدبير ليسوس الجيش على اتفاق الكلمة في الطاعة وتدبير الحرب في انتهاز الفرصة وأن يكون من أهل الاجتهاد في أحكام الجهاد وأما في الاحكام الدينية ففيه وجهان والظاهر عدم اشتراطه ويستحب وأن يخرج بهم يوم الخميس أول النهار وأن يبعث الطلائع ويتجسس أخبار الكفار ويعقد الرايات." (١)

"(وجعل الديوان) اللخمي : يستحب لمن أراد الغزو أن لا يأخذ عليه أجرا ، وإن أحب أن يكتب في ديوان الجند والعطاء لم يمنع إذا كان العطاء من حيث يجوز .

قال الأوزاعي : أوقف عمر رضي الله عنه الفيء وخراج الأرضين للمجاهدين ، ففرض منه للمقاتلة والعيال والذرية فصار ذلك سنة لمن بعده ، فمن افترض فيه ونيته الجهاد فلا بأس به .

قال ابن محرز : أصحاب العطاء أفضل من **المتطوعة** لما يروعون .

قال مكحول : روعات البعوث تقي روعات القيامة (وجعل من قاعد لمن يخرج عنه إن كانا بديوان) ابن شاس : الجعالة للمسلم على الجهاد جائزة يجعل القاعد للخارج إن كانا من أهل ديوان واحد ، ويجوز استئجار العبيد .

وعن مجاهد قال : قلت لابن عمر : أريد الغزو فقال : إني أحب أن أعينك بطائفة من مالي قلت : قد أوسع الله علي قال : إن غناك لك وإني أحب أن يكون من مالي في هذا الوجه .

انظر بعد هذا عند قوله : ﴿ من قتل فله السلب ﴾ .." (٢)

"وقيل يختص بالحاصل في كل ناحية من فيها منهم وإن لم يعم الجميع للمشقة في النقل وهو مردود بأن النقل لإقليم لا شيء فيه أو فيه ما لا يفي بساكنيه إنما يوافق الآية لأنها لم تفرق بين أهل إقليم وإقليم بخلاف الزكاة فإن المتشوفين لها هم أهل الإقليم الذي أخذت فيه كما أن الغالب في الزكاة أن يوزعها الملاك بخلاف الفيء فإن الموزع له هو الإمام أو نائبه فإن كل من في حكمه يتشوف لوصول شيء من الفيء إليه كما أنه لا مشقة عليه في النقل ومن فقد من الأصناف الأربعة صرف نصيبه للباقين منهم وأما الأخماس الأربعة والتي كانت هي وخمس الخمس للنبي صلى الله عليه وسلم فالأظهر أنها للمرتزقة وقضاتهم وأئمتهم ومؤذنيهم وعمالهم وسموا مرتزقة لأنهم يطلبون أرزاقهم من الإمام وهم أي المرتزقة الأجناد المرصدون للجهاد في الديوان وسموا بذلك لأنهم أرصدوا نفوسهم للذب عن الدين وطلبوا الرزق من مال الله تعالى

---

(١) حواشي الشرواني، ٢٣٧/٩

(٢) التاج والإكليل لمختصر خليل، ١٥٨/٥

وأما **المتطوعة** وهم الذين يغزون إذا نشطوا فإنما يعطون من الزكاة لا من الفيء عكس المرتزقة. وإذا لم يكن جهادا أو كان ولم يستوعب مال الفيء فيرصد للمصالح وإذا لم يف المال بحاجة المرتزقة وهم فقراء فيصرف لهم الإمام من سهم سبيل الله ولما كانت الأخماس من الأربعة للمرتزقة فيضع الإمام لهم ديوانا و أول من وضعه في الإسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماؤهم وقدر أرزاقهم ويطلق الديوان أيضا على المكان الذي يجلس فيه للكتابة وينصب لكل قبيلة أو جماعة عريفا ليعرض عليه أحوالهم ويجمعهم عند الحاجة وقيل هو ينصب النقباء وهم ينصبون العرفاء وسموا بذلك لأنهم يعرفون أسماء الناس." (١)

"حتى يقبضه، ثم يرده إليه إن شاء، وعلى الثاني: يجزئه كما لو كان وديعة، حكاه في البيان ولو ضمن دية مقتول عن قاتل لا يعرف، أعطي مع الفقر والغنى كما سبق. وإن ضمن عن قاتل معروف، لم يعط مع الغني، كذا حكاه في البيان عن الصيمري، وفي هذا التفصيل نظر. والله أعلم. الصنف السابع: في سبيل الله، وهم الغزاة الذين لا رزق لهم في الفيئ، ولا يصرف شئ من الصدقات إلى الغزاة المرتزقة، كما لا يصرف شئ من الفيئ إلى **المطوعة**. فإن لم يكن مع الامام شئ للمرتزقة، واحتاج المسلمين إلى من يكفيهم شر الكفار، فهل يعطى." (٢)

"الخامسة: يمنع المخذل من الخروج في الجيش، فإن خرج، رده، فلو قاتل، لم يستحق شيئا، ولو قتل كافرا، لم يستحق سلبه، والمخذل من يخوف الناس، بأن يقول: عدونا كثير، وخيولنا ضعيفة، ولا طاقة لنا بهم، ونحو ذلك، وفي معناه المرجف والخائن، فالمرجف: من يكثر الاراجيف، بأن يقول: قتلت سرية كذا، أو لحقهم مدد للعدو من جهة كذا، أو لهم كمين في موضع كذا، والخائن: من يتجسس لهم، ويطلعهم على العورات بالمكاتبة والمراسلة، وحكى الروياني وجها، أنه يسهم للمخذل إذا لم ينهه الامام، ووجها أنه يرضخ له، والصحيح الذي قطع به الاصحاب، لا سهم ولا رضخ مطلقا. السادسة: لا يجوز أن يستأجر الامام ولا أحد الرعية مسلما للجهاد، لان إن لم يكن متعينا عليه، فمتى حضر الصف، تعين، ولا يجوز أخذ أجرة عن فرض العين، وعن الصيدلاني أنه يجوز للامام أن يستأجره، ويعطيه أجرة من سهم المصالح، والصحيح الاول، لكن الامام يرغب في الجهاد ببذل الاهبة والسلاح من بيت المال، أو من مال نفسه، فينال ثواب الاعانة، ويقع الجهاد عن المباشر، وكذا إذا بذل أهبته واحد من الرعية من ماله،

---

(١) دليل المحتاج شرح المنهاج للإمام النووي لفضيلة الشيخ رجب نوري مشوح، ١٣/٣

(٢) روضة الطالبين- الكتب العلمية، ١٨٣/٢

قال الاصحاب: وما يدفع إلى المرتزقة من الفئ، وإلى **المطوعة** من الصدقات حقوقهم المرتبة، وليس أجرة، وجهادهم واقع عنهم، ولو أكره الامام جماعة على الخروج والجهاد، لم يستحقوا أجرة لما ذكرنا من وقوع الجهاد عنهم، وامتناع استئجارهم، هكذا أطلقوه، وقال البغوي: إن تعين عليهم الجهاد، فالحكم كذلك، وإلا فلهم الاجرة من حين أخرجهم إلى أن حضروا الوقعة، وأطلق مطلقون أنه لو عين الامام رجلا، وألزمه بغسل الميت ودفنه، لم يكن له أجرة، واستدرك الامام فقال: هذا إذا لم يكن للميت تركة، ولا في بيت المال اتساع، فإن كان له تركة، فمؤنة تجهيزه في تركته، وإلا ففي بيت المال إن اتسع، فيستحق المكره الاجرة، والتفصيلان حسنان، فليحمل عليهما الاطلاقان. وهل يجوز للامام استئجار عبيد المسلمين ؟ قال الامام: إن جوزنا استئجار الحر، فكذا العبد، وإلا فوجهان بناء على أنه لو وطئ الكفار دار المسلمين هل." (١)

"كما سبق

وإن ضمن عن قاتل معروف لم يعط مع الغني كذا حكاه في البيان عن الصيمري وفي هذا التفصيل نظر

والله أعلم

الصنف السابع في سبيل الله وهم الغزاة الذين لا رزق لهم في الفييء ولا يصرف شيء من الصدقات إلى الغزاة المرتزقة كما لا يصرف شيء من الفييء إلى **المطوعة**

فإن لم يكن مع الإمام شيء للمرتزقة واحتاج المسلمين إلى من يكفيهم شر الكفار فهل يعطى المرتزقة من الزكاة من سهم سبيل الله فيه قولان

أظهرهما لا بل تجب إعانتهم على أغنياء المسلمين ويعطى الغازي غنيا كان أو فقيرا

الصنف الثامن ابن السبيل وهو شخصان

أحدهما من أنشأ سفرا من بلده أو من بلد كان مقيما به والثاني الغريب المجتاز بالبلد

فالأول يعطى قطعا وكذا الثاني على المذهب

وقيل إن جوزنا نقل الصدقة جاز الصرف إليه وإلا فلا

ويشترط أن لا يكون معه ما يحتاج إليه في سفره فيعطى من لا مال له أصلا وكذا من له مال في غير البلد المنتقل إليه منه

---

(١) روضة الطالبين- الكتب العلمية، ٤٤٢/٧

ويشترط أن لا يكون سفره معصية فيعطى في سفر الطاعة قطعا وكذا في المباح كالتجارة وطلب الآبق على الصحيح

وعلى الثاني لا يعطى فعلى هذا يشترط كون السفر طاعة فإذا قلنا يعطى في المباح ففي سفر النزهة وجهان لأنه ضرب من الفضول

والأصح أنه يعطى

" (١).

"من الفيء وإلى **المطوعة** من الصدقات حقوقهم المرتبة وليس أجرة وجهادهم واقع عنهم ولو أكره الإمام جماعة على الخروج والجهاد لم يستحقوا أجرة لما ذكرنا من وقوع الجهاد عنهم وامتناع استئجارهم هكذا أطلقوه وقال البغوي إن تعين عليهم الجهاد فالحكم كذلك وإلا فلهم الأجرة من حين أخرجهم إلى أن حضروا الوقعة وأطلق مطلقون أنه لو عين الإمام رجلا وألزمه بغسل الميت ودفنه لم يكن له أجرة واستدرك الإمام فقال هذا إذا لم يكن للميت تركة ولا في بيت المال اتساع فإن كان له تركة فمؤنة تجهيزه في تركته وإلا ففي بيت المال إن اتسع فيستحق المكره الأجرة والتفصيلان حسنان فليحمل عليهما الإطلاقان

وهل يجوز للإمام استئجار عبيد المسلمين قال الإمام إن جوزنا استئجار الحر فكذا العبد وإلا فوجهان بناء على أنه لو وطىء الكفار دار المسلمين هل يتعين على العبيد الجهاد إن قلنا نعم فهم من أهل فرض الجهاد فإذا وافوا الصف وقع الجهاد عنهم فيكون استئجارهم كالأحرار وإلا فيجوز استئجارهم وإن أخرج الإمام العبيد قهرا لزمت أجرتهم من يوم الإخراج إلى أن يعود كل عبد إلى يد سيده هكذا أطلقه البغوي وغيره وينبغي أن يبنى ذلك على الوجهين إن قلنا إنهم من أهل فرض الجهاد فكالأحرار أما الذمي فللإمام أن يستعمله للجهاد بمال يبذله له وهل طريقه الإجارة أم الجعالة وجهان أحدهما الجعالة لجهالة العمل وأصحهما الإجارة وتحتمل جهالة العمل لأن المقصود القتال ولو كان جعالة لجاز للذمي الانصراف متى شاء وهو بعيد وعلى هذا وجهان أحدهما لا يجوز أن يبلغ بالأجرة سهم راجل وكان حاصل هذا الوجه الحكم بالانفساخ و الرد إلى أجرة المثل إن بان زيادة الأجرة على سهم وإلا ففي الابتداء لا يعلم سهم الراجل من الغنيمة والصحيح

---

(١) روضة الطالبين- المكتب الإسلامي، ٢/٣٢١

." (١)

"أن قول الشارح وهل المد في حق كل منهما إلخ مشكل ؟ وليس على ما ينبغي وكذا رأيت في الرافعي فرض الوجهين في الهرم فقط كذا بخط شيخنا (قوله : أصحهما في المجموع الثاني) لكن لو تكلف الصوم أجزأه قاله الجوجري ولم يفرعه على شيء فيحتمل أن يكون مفرعا على الأول ، والوجه التعميم (فرع) بحث الزركشي أن الفدية على التراخي لعدم التعدي (تنبيه) حاول بعض المتأخرين أن يحمل كلام شرح المهذب على الذي لا يطيق بوجه ، والثاني الذي وجهه ابن الرفعة على الذي يطيق بمشقة تبيح الفطر بر وقوله : الوجه التعميم للإسنوي اعتراض يصرح بالتعميم فراجعه (قوله : في الروضة عدمه) أي الانعقاد (قوله : وقال : في المجموع إلخ) قال : في شرح الروض وما بحثه جزم به القاضي وهو مردود بأن : حق الله المالي إذا عجز عنه العبد وقت الوجوب ثبت في ذمته وإن لم يكن على جهة البدل إذا كان بسبب منه وهو هنا كذلك ، أو سببه فطره بخلاف زكاة الفطر (قوله : أو كذات حمل ، أو مرضع) يحتمل ولو لبهيمة محترمة كما في نظيره من إنقاذ المشرف على الهلاك (قوله : بأجرة ، أو دونها) وظاهر أن محل ما ذكر في المستأجرة ، **والمتطوعة** إذا لم توجد مرضعة مفطرة ، أو صائمة لا يضرها الإرضاع شرح الروض (قوله : وقد أفطرتا) وإن كانتا مسافرتين ، أو مريضتين شرح الروض (قوله : لكل يوم مد) أي مع القضاء قال : في العباب وتبقى أن الفدية في ذمة المعسرة ، والرقيقة إلى اليسار (قوله : أي عليه) أي وحده." (٢)

"٦٧ - (٥٦٠) حدثنا محمد بن عباد .

حد ، شا حاتم - هو ابن إسماعيل - عن يعقوب بن مجاهد ، عن ابن أبى عتيق ؛ قال : تحلثت أ نا والقاسم عند عائشة - رضى الله عنها - حديثا ، وكان القاسم رجلا لحانة ، وكان لالمم ولد .

فقالت له عائشة : مالك لا تحدث كما يتحدث ابن أخى هذا ؟ أما إنى قد علمت من أين أتيت .

هذا أدبته أمه وأنت أدبتك أمك .

قال : فغضب القاسم وأضب عليها .

فلما رأى مائدة عائشة قد اتى بها قام .

قالت : أين ؟ قال : أصلى .

---

(١) روضة الطالبين- المكتب الإسلامي، ٢٤١/١٠

(٢) شرح البهجة الوردية، ١٥١/٧

قالت : اجلس .

قال : إنى أصلى .

قالت : اجلس غدر ، إنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " لا صلا" بحضرة الطعام ، ولا هو يدافعه الأخبثان " .

أردف ذلك فقال : ثنا (١) الصلت بن مسعود ، نا سفيان عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن النبى (صلى الله عليه وسلم) (٢) ، هكذا فى نسخة أبى العلاء بن ماهالن : سفيالن عن أيوب غير منسوبين وفى رواية السجزى عن الجلودى : نا سفيان بن موسى عن أيوب عن نافع عن ابن عمر .

قال بعضهم : سفيان بن موسى هذا رجل من أهل البصرة يروى عن أيوب ثقة ، وكذلك نسبه ائو مسعود الدمشقى فى كتاب الاطراف عن مسلم عن الصلت عن مسعود عن سفيان ابن موسى عن أيوب ، وذكر الحاكم أن مسلمأ انفرد بالرواية لسفيان بن موسى عن أيوب ، قال : سمعت الدارقطنى يقول : ذكر لبعض أصحابنا ممن يدعى الحفظ ونحن بمصر حديث لسفيان بن موسى عن أيوب فقال : هذا خطأ ، إنما هو[عن] (٣) سفيان بن عيينة عن أيوب ، قال : ولم يعرف سفيان بن موسى البصرى وهو ثقه مأمون ، قال بعضهم : وقد غير هذا الإسناد فى بعض النسخ من كتاب مسلم : ورد عن سفيان عن أيوب بن موسى ، وهو خطأ .

قال القاصى : أرى أن الناقل عن بعض الرواة غلط فى تخريج نسب سفيان المذكور

بعد اسمه حين إلحاقه ، فخرجه بعد أيوب فوقع الوهم فيه .

قال الإمام : وقوله : لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الاخبثان) : قال الهروى وغيره : يعنى الغائط والبول ، قال الإمام : وقوله هنا : (بحضرة الطعام) هو

(١) الذى فى المطوعة .

وحط ثا

(٢) بعدها فى المطبوعة : بنحوه ، والاختلاف بينه رواية ابن ماهان ال!ى قدها القاضى ، وهو فى قوله : (إذا حضرعثا احدكم ثا .

(٣) من ت .

١٠٤ / ب

.

إلخ (

.

) ! دثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وابن حجر ، قالوا : حد"ننا إسماعيل - وهو ابن جعفر - أخبرنى أبو حزرة القاص ، عن عبد الله بن أبى عتيق ، عن عائشة ، عن النبى (صلى الله عليه وسلم) .

بمثله .

ولم يذكر فى الحديث قصة القاس! .

قوله[ائضأ] (١) : (إذا قرب العشاء وحضرت الصلاة ، فابدؤوا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب) معناه : ان به من الشهوة إلى الطعام ما يشغله عن صلاته ، فصار ذلك بمنزله (٢) الحقن الذى أمره بإزالته قبل الصلاة

.

قال القاضى : قد وقع فى هذا الحديث نفسه فى غير كتاب مسلم فى رواية موسى بن أعن عن عمرو بن الحرث عن الزهرى زياثة حسنة تفسر المعنى ، وقد أخرج / مسلم الحديث عن ابن وهب عن عمرو عن الزهرى ولم يذكر فيه هذه الزيادة .

قال الدارقطنى : روى هذا الحديث عن عمرو بن الحرث ثقخان حافظان : ابن وهب وموسى بن أعن ، ولموسى فيه زيادة حسنة ، فأخرج مسلم الحديث الناقص وترك التام ، إلا أن يكون لم يبلغه وهو قوله : (إذا وضع العشاء وأحدكم صائم فابدؤوا به قبل أن تصلوا) .

وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث ، فذهب الشافعى (٣) إلى ما تقدم من معناه ، وذكر نحوه ابن حبيب ، وحكى ابن المنذر عن مالك : أنه يبدأ بالصلاة إلا أن يكون طعاما خفيفأ ، وذهب الثورى وإسحق وأحمد ، وأهل الظاهر إلى الأخذ بظاهر الحديث وتقديم الطعام ، وروى مثله عن عمر بن الخطاب وابنه ، زاد أهل الظاهر : فإن صلى فصلاته باطلة .

فى الحديث حجة على توسعة وقت المغرب (٤) وسياتى هذا فى الاوقات .

وفيه حجة

أن صلاة الجماعة ليست بفرض على الاعيان فى كل حال ؛ لقوله : (وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء) .

ومنعه عن الصلاة وهو يدافعه الاخبثان - يعنى البول والغائط - مثل النهى عن صلاة الحاقن وذلك لشغله بها ، وقد اختلف العلماء فى ذلك ، فذهب مالك وغيره إلى أن ذلك مؤثر فى الصلاة بشرط شغله عنها ،

واستحب الإعادة فى الوقت وبعده فى ذلك ، قال : والذى يعجل صلاته من أجله هو الذى يشغله ، وتأوله بعض أصحابنا

(١) ساقطة من ت .

(٢) فى ت : بمعنى .." (١)

"فهو من رأس ماله ، وإن طال فمن ثلثه ، انتهى .

ص (وجاز أخذ محتاج إلخ) ش : قال ابن عرفة ولو نهاهم الإمام عنه ثم اضطروا إليه جاز لهم أكله انتهى .

ص (وإن نعما) ش : قال في التوضيح : وإذا أخذ الأنعام للحاجة فله أخذ جلدها إن احتاج إليه وإلا رده للمغانم ، انتهى .

ص (وحرق إن أكلوا الميتة) ش : قال البرزلي ما وقف في بلاد العدو من الخيل والحيوان فإنها تعرقب ، وإن خيف أكلها أحرقت ، انتهى .

ص (وجعل الديوان) ش : قال ابن عرفة الديوان لقب لرسم جميع أنواع المعدين لقتال العدو بعطاء ، انتهى .

(فرع) قال في المدونة قال ابن محيريز : أصحاب العطاء أفضل من المتطوعة لما يروعون ، قال أبو الحسن : وذلك أن أصحاب العطاء كالعبيد ، والعبد يأمره سيده وينهاه ، انتهى .

قال ابن عرفة وحاصله الترجيح بكثرة العمل ، فإذا اتحد كان دون عطاء أفضل ، انتهى .

ومنه أسند سحنون أن أبا ذر قال لمن قال له : لا أفترض : افترض فإنه اليوم معونة وقوة فإذا كان ثمن دين أحدكم فلا تقربوه ، انتهى .

وقوله : وجعل بفتح الجيم أي يجوز للإمام أن يجعل ديوانا ويصح أن يكون بضم الجيم أي وجاز للشخص المجاهد أن يأخذ جعلا من الديوان ونحوه قوله في الشامل : ويجوز جعل من ديوان .." (٢)

" & كما قال أول مرة قال لا فقال فارجع فلن نستعين بمشرك ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة تؤمن بالله ورسوله قال نعم فقال له & فانطلق فقال ابن حبيب هذا في الصف وازحف أما في الهدم والمنجنيق ونحوه فلا بأس وقال أيضا لا بأس أن يقوم بمن سالمه على من حاربه لأنه & استعان

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض، ٢٧٤/٢

(٢) مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ٤٥٦/٩

بأهل الكتاب على عبدة الأوثان والجواب عن الحدث السابق أنه & تفرس فيه الإسلام إذ منعه البحث الخامس في الدواوين وما يتعلق بها يروى أن من أول من دون الدواوين في الإسلام عمر رضي الله عنه وفي الكتاب لا بأس بكتابة الرجل اسمه في ديوان مصر أو الشام أو غيرهما فإن تنازع رجلان في أسم مكتوب في العطاء فأعطى أحدهما الآخر مالا ليترك له ذلك الاسم قال ابن القاسم لا يجوز لقول مالك لا يجوز بيع الزيادة في العطاء بعرض ولأن المعطي إن كان صاحب الإسم فقد أخذ الآخر حراما وإن كان غيره فقد باع ما لم يعلم قال ابن يونس إذا لم يعلم ذلك تحالفا واقتسماه إن رآه الإمام ولو كان المتنازع فيه الخروج وليس عطاء ثابتا أخرج الإمام أيهما شاء وأعطاه ذلك ومراده في الكتاب الأعطية الثانية وفي الكتاب وقد وقف عمر رضي الله عنه والصحابة بعده الفيء وخراج الأرضين للمجاهدين وفرضوا منه للمقاتلة والعيال والذراري فهو سنة لمن بعدهم فمن افترض فيه ونيته الجهاد جاز قال ابن جرير أصحاب العطاء أفضل من المتطوعة لما يرعون وقال مكحول روعات البعوث تنفي رواعات يوم القيامة قال اللخمي المستحب أن لا يأخذ أجرا ويغزو لله تعالى خالصا فإن أخذ من الديوان جاز إذا كانت جهة تجوز وإذا أراد رجلان أن يتطاويا وهما من ما حوزين فيرجع كل واحد منهما إلى ما حوز صاحبه جاز إذا أراد ذلك عرفاؤهم وفي التنبيهات الطوا بفتح الطاء والواو مقصور والماحوز بالحاء المهملة والراء المعجمة وفي النكت الماحوز الموضع الذي يرابط فيه نحو الإسكندرية والمنستير والطوا المبادلة فإذا كتب الإمام بعضهم للخروج إلى

---

(١) ".

"١١٦٦ – وما كان مثل ديوان مصر والشام والمدينة مثل دواوين العرب فلا بأس. وإذا تنازع رجلان في اسم مكتوب في العطاء، فأعطى احدهما الآخر مالا على أن يبرأ إليه من ذلك الاسم لم يجز، [لأنه إن كان الذي أعطاه الدراهم أخذ غير اسمه فلا يجوز شراؤه، وإن كان الذي أعطى الدراهم صاحب الاسم فقد باع ما لا يحل له، وإن كان الآخر هو صاحب الاسم فلا يجوز له، لأنه لا يدري ما باع أقليلا بكثير، أو كثيرا بقليل]، ولا يدري ما تبلغ حياة صاحبه فهذا غرر لا يجوز. وكذلك لا يجوز لمن زيد في عطائه أن يبيع تلك الزيادة بعرض.

١١٦٧ – قال الأوزاعي: أوقف عمر والصحابة الفيء وخراج الأرض للمجاهدين، ففرض منه للمقاتلة والعيال والذرية فصار ذلك سنة لمن بعده، فمن افترض فيه ونيته الجهاد فلا بأس به، قال ابن محيريز:

---

(١) الذخيرة، ٤٠٦/٣

أصحاب العطاء أفضل من **المتطوعة** لما يروعون، وقال مكحول: روعات البعوث تنفي روعات القيامة.
١١٦٨ - ولا بأس بالجعائل في البعوث، يجعل القاعد للخارج، مضى الناس على ذلك لمن كان من أهل ديوان واحد، لأن عليهم سد الثغور، قال مالك: ربما خرج لهم العطاء، وربما لم يخرج، ولا ينبغي أن يجعل لمن ليس معه في ديوان ليغزو عنه.((١))
١١٦٩ - وقد كره [مالك] لمن في سبيل الله إجارة فرسه لمن يغزو به، أو يرابط عليه كمن بعسقلان وشبهها، فهو إذا أجر نفسه أشد كراهة.
١١٧٠ - قال يحيى بن سعيد: لا بأس بالطوى من ماحوز إلى ماحوز [والطوى] أن يقول لصاحبه: خذ بعثي وآخذ بعثك وأزيدك كذا، قال شريح: يكره ذلك من قبل أن يكتتبا فأما بعد الكتبة فجائز، إلا من انتصب من ماحوز إلى ماحوز [آخر] يريد الزيادة في الجعل.
١١٧١ - قال مكحول: وإذا اكتتب في المغزى ففرض له فيه جعل فليأخذه، وإن كان لا يغزو إلا بجعل فمكروه.

---

(١) انظر: المدونة (٣/٤٣)، والكافي (١/٢٠٧).." (١)

"١١٦٦ - وما كان مثل ديوان مصر والشام والمدينة مثل دواوين العرب فلا بأس. وإذا تنازع رجلان في اسم مكتوب في العطاء، فأعطى احدهما الآخر مالا على أن يبرأ إليه من ذلك الاسم لم يجز، [لأنه إن كان الذي أعطاه الدراهم أخذ غير اسمه فلا يجوز شراؤه، وإن كان الذي أعطى الدراهم صاحب الاسم فقد باع ما لا يحل له، وإن كان الآخر هو صاحب الاسم فلا يجوز له، لأنه لا يدري ما باع أقليلا بكثير، أو كثيرا بقليل]، ولا يدري ما تبلغ حياة صاحبه فهذا غرر لا يجوز. وكذلك لا يجوز لمن زيد في عطائه أن يبيع تلك الزيادة بعرض.
١١٦٧ - قال الأوزاعي: أوقف عمر والصحابة الفيء وخراج الأرض للمجاهدين، ففرض منه للمقاتلة والعيال والذرية فصار ذلك سنة لمن بعده، فمن افترض فيه ونيته الجهاد فلا بأس به، قال ابن محيريز:
أصحاب العطاء أفضل من **المتطوعة** لما يروعون، وقال مكحول: روعات البعوث تنفي روعات القيامة.
١١٦٨ - ولا بأس بالجعائل في البعوث، يجعل القاعد للخارج، مضى الناس على ذلك لمن كان من أهل ديوان واحد، لأن عليهم سد الثغور، قال مالك: ربما خرج لهم العطاء، وربما لم يخرج، ولا ينبغي أن يجعل

---

(١) تهذيب المدونة، ١/٢٦٩

لمن ليس معه في ديوان ليغزو عنه.((١))

١١٦٩ - وقد كره [مالك] لمن في سبيل الله إجارة فرسه لمن يغزو به، أو يرابط عليه كمن بعسقلان وشبهها، فهو إذا أجر نفسه أشد كراهة.

١١٧٠ - قال يحيى بن سعيد: لا بأس بالطوى من ماحوز إلى ماحوز [والطوى] أن يقول لصاحبه: خذ بعثي وآخذ بعثك وأزيدك كذا، قال شريح: يكره ذلك من قبل أن يكتتبا فأما بعد الكتبة فجائز، إلا من انتصب من ماحوز إلى ماحوز [آخر] يريد الزيادة في الجعل.

١١٧١ - قال مكحول: وإذا اكتتب في المغزى ففرض له فيه جعل فليأخذه، وإن كان لا يغزو إلا بجعل فمكروه.

---

(١) انظر: المدونة (٣/٤٣)، والكافي (١/٢٠٧).." (١)

"جسده لم يلدغ ذلك الموضع منه زنبور. وإن لدغ أحدا زنبور فآذاه فشرب من مائه نفعه. والبشكول وهو الطرشقوق إن دق فضمد به لسعة العقرب نفع إذا أغلي أو شرب من عصيره. قالوا: وإن أخذ من حذر على نفسه السموم القاتلة التين مع الشونيز على الريق وقاه.

النبات

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: حدثنا قريش بن أنس عن كليب أبي وائل رجل من المطوعة قال: رأيت ببلاد الهند شجرا له ورد أحمر مكتوب فيه ببياض «محمد رسول الله» . والعرب تقول في مثل هذا هو: «أشكر من البروقة» «١» ، وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم. ويزعم قوم أن النارجيل هو نخل المقل قلبه طباع البلد. وقال صاحب الفلاحة: بين الكرنب وبين الكرم عداوة، فإذا زرع الكرنب بحضرة الكرم ذبل أحدهما وتشنج، ولذلك يبطيء السكر عمن أكل منه ورقات على ريق النفس ثم شرب.

وقضبان الرمان إذا ضرب بها ظهر رجل اشتد عليه الألم. قالوا: وكل زهر ونور فإنه ينحرف مع الشمس ويحول إليها وجهه؛ ولذلك يقال: هو يضاحك الشمس. قال الأعشى: [بسيط]

ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل «٢»

يضاحك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزة بعميم النبت مكتهل «٣»." (٢)

---

(١) تهذيب مسائل المدونة المسمى ((التهذيب في اختص ا ر المدونة))، ١/٢٦٩

(٢) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ٢/١٢١

" فتحصن أهلها وكان بابها يطل على واد ولها خندق يطيف بها فحدثني شيخ من مشايخ **المطوعة** وملازمي الثغور يقال له علي بن عبد الله قال حدثني جماعة أن الرشيد لما حصر أهل هرقلة وغمهم وألح بالمجانيق والسهام والعرادات فتح الباب فاستشرف المسلمون لذلك فإذا برجل من أهلها كأكمل الرجال قد خرج في أكمل السلاح فنادى قد طالت مواقعتكم إيانا فليبرز إلي منكم رجلان ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلا فلم يجبه أحد فدخل وأغلق باب الحصن وكان الرشيد نائما فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه فغضب ولام خدمه وغلمانه على تركهم إنباهه وتأسف لفوته فقيل له إن امتناع الناس منه سيغويه ويطغيه وأحر به أن يخرج في غد فيطلب مثل ما طلب فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له ثم إذا هو بالباب قد فتح وخرج طالبا للمبارزة وذلك في يوم شديد الحر وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم فقال الرشيد من له فابتدره جلة القواد كهرثمة ويزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وخزيمة بن حازم وأخيه عبد الله وداود بن يزيد وأخيه فعزم على إخراج بعضهم فضجت **المطوعة** حتى سمع ضجيجهم فأذن لعشرين منهم فاستأذنوه في المشورة فأذن لهم فقال قائلهم يا أمير المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصوت ومداوسة الحروب ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم يكبر ذلك وإن قتله العلج كانت وضيعة على العسكر عجيبة وثلمة لا تسد ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة فإن رأى أمير ." (١)

" المؤمنين أن يخلينا نختار رجلا فنخرجه إليه فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين قد ظفر بأعزهم على يد رجل من العامة ومن أفناء الناس ليس ممن يوهن قتله ولا يؤثر وإن قتل الرجل فإنما استشهد رجل ولم يؤثر ذهابه في العسكر ولم يثلمه وخرج إليه رجل بعده مثله حتى يقضي الله ما شاء قال الرشيد قد استصوبت رأيكم هذا فاختاروا رجلا منهم يعرف بابن الجزري وكان معروفا في الثغر بالبأس والنجدة فقال الرشيد أتخرج قال نعم وأستعين الله فقال أعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا فقال يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ورمحي بيدي أشد ولكني قد قبلت السيف والترس فلبس سلاحه واستدناه الرشيد فوعده واستتبعه بالدعاء وخرج معه عشرون رجلا من **المطوعة** فلما انقض في الوادي قال لهم العلج وهو يعدهم واحدا واحدا إنما كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلا ولكن لا بأس فنادوه ليس يخرج إليك منا إلا رجل واحد فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله الرومي وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن حتى ظنوا أنه لم يبق في الحصن أحد إلا أشرف فقال الرومي أتصدقني عما أستخبرك قال نعم فقال أنت بالله ابن

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٥١/١٨

الجزري قال اللهم نعم فكفر له ثم أخذا في شأنهما فاطعنا حتى طال الأمر بينهما وكاد الفرسان أن يقوما وليس يخدش واحد منهما صاحبه ثم تحاجزا بشيء فزج كل واحد منهما برمحه وأصلت سيفه فتجالدا مليا واشتد الحر عليهما وتبلد الفرسان وجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يرى أنه قد بلغ فيها فيتقيها الرومي وكان ترسه حديدا فيسمع لذلك صوت منكر ويضربه الرومي ضرب منذر لأن ترس ابن الجزري كان درقة فكان العلج يخاف أن يعض بالسيف فيعطب فلما يئس من وصول كل واحد منهما إلى صاحبه انهزم ابن الجزري فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئب مثلها قط ." (١)

"على الصيام والقيام وطلب الخير، فأقمت عنده حتى تهيأ لصاحب الثغر الغزو، وخف معه عشرة آلاف من **المطوعة**، فقدم ابنه وكان حدثا، وكان رب منزلي فيمن خرج فخرجت بخروجه، فلما أوغلنا في بلاد العدو دلف إلينا جمع عظيم فوقفنا لهم وأقبل الفتى يحرض الناس ثم برز الشيخ فتكلم، وقال: هذه أبواب الجنة فافتحوها بسيوفكم، فحمل الفتى فأصيب، وحمل الشيخ رب منزلي فأصيب رحمهما الله، ثم إن الله تعالى منحنا أكتاف العدو فقتلنا وأسرنا ورجعنا إلى مواضعنا، فخفرنا لمن أكرمهم الله بالشهادة فدفناهم، ودفنا الشيخ، وسوينا عليه لحده، فارتجت الأرض ورجفت بنا، ثم لفظت الشيخ فوقع على عشرة أذرع من قبره، فقلنا: رجفة أو زلزلة، فحفرنا له قبرا آخر وسوينا عليه، فسمعنا ما هو أهول وأفظع، ولفظت به الأرض أبعد من ذلك الموضع، فحفرنا له قبرا ثالثا ودفناه، فجاءت هدة طاشت منها عقولنا ولفظته الأرض، وسمعنا هاتفا يقول: أيتها العصابة! إن هذا الرجل لم يزل يدعو الله أن يجعل محشره من بطون السباع وحواصل الطير، فدعوه إن الله جل جلاله قد سمع نداه، فتركناه وانصرفنا.

ابن صفوان ينصح السفاح بالاستمتاع بالنساء

حدثنا الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي، قال: حدثنا أبو الفضل الربعي، عن العباس بن الفضل، قال: قال: إسحاق يعني ابن إبراهيم الموصلي، قال شبيب بن شيبة:

دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس وليس عنده أحد، فقال: يا أمير المؤمنين! إني والله ما زلت منذ قلدك الله تعالى خلافة المسلمين إلا وأنا أحب أن أصير إلى مثل هذا الموقف في الخلوة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب حتى أفرغ فعل، قال: فأمر الحاجب بذلك، فقال: يا أمير المؤمنين! إني فكرت في أمرك، وأجلت الفكر فيك فلم أر أحدا له مثل قدرك، ولا أقل استمتاعا في الاستمتاع بالنساء

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٥٢/١٨

منك، ولا أضيق فيهن عيشا، إنك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين واقتصرت عليها، فإن مرضت مرضت، وإن غابت غبت، وإن عركت عركت، وحرمت نفسك يا أمير المؤمنين التلذذ باستطراف الجواري وبمعرفة اختلاف أحوالهن، والتلذذ بما يشتهى منهن؟ إن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة التي تشتهى لجسمها، والبيضاء التي تحب لروعتها، والسمراء اللعساء، والصفراء العجزاء، ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر، وبنات سائر الملوك، وما يشتهى من نظافتهن وحسن هندامهن، وتخلل بلسانه فأطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه إليهن، فلما فرغ خالد، قال: ويحك! ما سلك مسامعي والله كلام قط أحسن من هذا، فأعد علي كلامك فقد وقع مني موقعا، فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه، ثم قال: انصرف، وبقي أبو العباس مفكرا فيما سمع من خالد يقسم أمره، فبينا هو يفكر إذ دخلت عليه أم سلمة، وقد كان أبو العباس." (١)

"لأنها لا تقي وربما كان ضعفها وهنا، ويتفقد ظهور الامتطاء والركوب، فيخرج منها ما لا يقدر على السير ويمنع من حمل زيادة على طاقتها، قال الله –تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ [الأنفال: ٦٠] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارتبطوا الخيل، فإن ظهورها لكم عز، وبطونها لكم كنز"١.

والثالث: أن يراعي من معه من المقاتلة وهم صنفان: مسترزقة ومتطوعة، فأما المسترزقة فهم أصحاب الديوان من أهل الفيء والجهاد، يفرض لهم العطاء من بيت المال من الفيء بحسب الغنى والحاجة.

وأما **المتطوعة** فهم الخارجون عن الديوان من البوادي والأعراب وسكان القرى والأمصار الذين خرجوا في النفير الذي ندب الله –تعالى– إليه بقوله: ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ [التوبة: ٤١] .

وفي قوله –تعالى: ﴿خفافا وثقالا﴾ .

أربعة تأويلات٢:

أحدها: شبانا وشيوخا. قاله الحسن وعكرمة.

والثاني: أغنياء وفقراء قاله أبو صالح.

والثالث: ركبانا ومشاة قاله أبو عمر.

والرابع: ذا عيال وغير ذي عيال قاله الفراء. وهؤلاء يعطون من الصدقات دون الفيء من سهم رسول الله –

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي الم عافى بن زكريا ص/٤٠٦

صلى الله عليه وسلم- المذكور في آية الصدقات، ولا يجوز أن يعطوا من الفيء لأن حقهم في الصدقات ولا يعطى أهل الفيء المسترزقة من الديوان من مال الصدقات؛ لأن حقهم في الفيء، ولكل واحد من الفريقين مال لا يجوز أن يشارك غيره فيه، وجوز أبو حنيفة صرف كل واحد من المالين إلى كل واحد من الفريقين بحسب الحاجة، وقد ميز الله تعالى

---

١ لم أقف عليه.

٢ انظر: تفسير ابن جرير "١٠/ ١٣٨".." (١)

"وفرسه بعد دخول دار الحرب أسهم له، وإذا جاءهم مدد قبل انجلاء الحرب شاركوهم في الغنيمة، وإن جاءوا بعد انجلائها لم يشاركوهم، وقال أبو حنيفة: إن دخلوا دار الحرب قبل انجلائها شاركوهم، ويسوى في قسمة الغنائم بين مرتزقة الجيش وبين **المتطوعة** إذا شهد جميعهم الوقعة.

وإذا غزا قوم بغير إذن الإمام كان ما غنموه مخموسا، وقال أبو حنيفة: لا يخمس، وقال الحسن: لا يملك ما غنموه.

وإذا دخل المسلم دار الحرب بأمان، أو كان مأسورا معهم، فأطلقوه وأمنوه لم يجز أن يغتالهم في نفس ولا مال، وعليه أن يؤمنهم، وقال داود: يجوز أن يغتالهم في أنفسهم وأموالهم إلا أن يستأمنوه، فيلزمه الموادعة ويحرم عليه الاغتيال.

وإذا كان في المقاتلة من ظهر عناؤه وأثر بلاؤه لشجاعته وإقدامه أخذ سهمه من الغنيمة أسوة غيره، وزيد من سهم المصالح بحسب عنائه، فإن لذي السابقة والإقدام حقا لا يضاع؛ قد عقد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أول راية عقدها في الإسلام بعد عمه حمزة بن عبد المطلب لعبيدة بن الحارث في شهر ربيع الأول في السنة الثانية من الهجرة، وتوجه معه سعد بن أبي وقاص إلى أدنى ماء بالحجاز، وكان أمير المشركين عكرمة بن أبي جهل فرمى سعد ونكى؛ كان أول من رمى سهما في سبيل الله فقال "من الوافر":

ألا هل أتى رسول الله أني ... حميت صحابتي بصدور نبلي

أذود بها أوائلهم ذيادا ... بكل حزونة وبكل سهل

فما يعتد رام في عدو ... بسهم يا رسول الله قبلي

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي الماوردي ص/٧٠

وذلك أن دينك دين صدق ... وذو حق أتيت به وعدل

فلما قدم اعتذر له رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بما سبق إليه وتقدم فيه.." (١)

"عما ترك من المعروف الظاهر؛ ليأمر بإقامته، وليس على غيره من **المتطوعة** بحث ولا فحص.

والسادس: إن له أن يتخذ على إنكاره أعوانا؛ لأنه عمل هو له منصوب وإليه مندوب؛ ليكون له أقهر وعليه أقدر، وليس للمتطوع أن يندب لذلك أعوانا.

والسابع: إن له أن يعزر في المنكرات الظاهرة لا يتجاوز إلى الحدود، وليس للمتطوع أن يعزر على منكر.

والثامن: أن له أن يرتزق على حسبته من بيت المال، ولا يجوز للمتطوع أن يرتزق على إنكار منكر.

والتاسع: إن له اجتهاد رأيه فيما تعلق بالعرف دون الشرع؛ كالمقاعد في الأسواق وإخراج الأجنحة فيه، فيقر وينكر من ذلك ما أداه اجتهاده إليه، وليس هذا للمتطوع، فيكون الفرق بين والي الحسبة وإن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وبين غيره من المتطوعين وإن جاز أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من هذه الوجوه التسعة.

وإذا كان كذلك فمن شروط والي الحسبة أن يكون حرا عدلا، ذا ر أي وصرامة وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة١.

---

١ قال ابن تيمية موضحا ما يندرج ويقع تحت اختصاصات المحتسب: وأما ولاية الحسبة فخاصتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم، فعلى متولي الحسبة أن يأمر العامة بالصلوات الخمس في مواقيتها، ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس، وأما القتل فإلى غيره.

ويتعاهد الأئمة والمؤذنين، فمن فرط منهم فيما يجب عليه من حقوق الأمة وخرج عن المشروع ألزمه به، واستعان فيما يعجز عنه بوالي الحرب والقاضي، واعتناء ولاة الأمور بإلزام الرعية بإقامة الصلاة أهم من كل شيء، فإنها عماد الدين وأساسه وقاعدته، وكان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يكتب إلى عماله أن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة. ويأمر والي الحسبة بالجمعة والجماعة، وأداء الأمانة والصدق، والنصح في الأقوال والأعمال، وينهى عن

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي الماوردي ص/٢٢٠

الخيانة وتطفيف المكيال والميزان، والغش في الصناعات والبياعات، ويتفقد أحوال المكاييل والموازين، وأحوال الصناع الذين يصنعون الأطعمة والملابس والآلات، فيمنعهم من صناعة المحرم =." (١)

"عليه" ١.

فإن غلب على الظن استسرار قوم بها لأمارات دلت، وآثار ظهرت، فذلك ضربان:

أحدهما: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها، مثل: أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا بامرأة ليزني بها، أو برجل ليقتله، فيجوز له في مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث، حذرا من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم، وارتكاب المحظورات، وهكذا لو عرف ذلك من المتطوعة جاز لهم الإقدام على الكشف، والبحث في ذلك، والإنكار، كالذي كان من شأن المغيرة بن شعبة.

فقد روي أنه كان تختلف إليه بالبصرة امرأة من بني هلال يقال لها أم جميل بنت محجن ابن الأفقم، وكان لها زوج من ثقيف يقال له: الحجاج بن عبيد، فبلغ ذلك أبا بكر بن مسروح، وسهل بن معبد، ونافع بن الحارث، وزياد بن عبيد، فرصدوه حتى إذا دخلت عليه هجموا عليهما، وكان من أمرهم في الشهادة عليه عند -ماهو مشهور، فلم ينكر عليهم عمر -رضي الله عنه- هجومهم، وإن كان حدهم القذف عند قصور الشهادة.

والضرب الثاني: ما خرج عن هذا الحد وقصر عن حد هذه الرتبة، فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه.

حكي أن عمر -رضي الله عنه- دخل على قومه يتعاقرون على شراب، ويوقدون في أخصاص، فقال: نهيتكم عن المعاقرة فعاقرتم، ونهيتكم عن الإيقاد في الأخصاص فأوقدتم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، قد نهاك الله عن التجسس فتجسست، ونهاك عن الدخول بغير إذن فدخلت، فقال عمر -رضي الله عنه: هاتان بهاتين وانصرف ولم يتعرض لهم. فمن سمع أصواتا ملأة منكرة من دار تظاهر أهلها بأصواتهم أنكرها خارج الدار، ولم يهجم عليه بالدخول؛ لأن المنكر ظاهر وليس عليه أن يكشف عما سواه من الباطن.

---

١ صحيح: رواه مالك في الموطأ، كتاب الحدود "١٥٦٢".." (٢)

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي الماوردي ص/٣٥٠

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي الماوردي ص/٣٦٦

المطهر بن علي أبو الحسن ذو المجدين: ٤٨٤/١

المطهر بن علي أبو المكارم: ٣١٧/١

المطوعة: ١٤٠/١

مطيار الاصفهاني أبو طاهر: ٤٣٩/١

المظفر بن ابراهيم الجرجاني أبو مسعود: ٥٩٩/١

المظفر بن أحمد الطيب البوشنجي: ٩٠٧/٢

المظفر بن أحمد بن حمدان- أبو غانم الكاتب

المظفر بن اسماعيل الجرجاني أبو الفرج: ٥٩٦/١." (١)

"[نجدة الإمام وعدته] [خطة وترتيب]

ج - نجدة الإمام وعدته.

خطة وترتيب.

٣٤٦ - والآن أبتدئ ذكر نجدة الإمام وعدته: ليس يخفى على ذي بصيرة أن الإمام يحتاج في منصبه العظيم، وخطبه الشامل العميم، إلى الاعتضاد بالعدد والعتاد، والاستعداد بالعساكر والأجناد، فإنه متصد لحراسة البيضة، وحفظ الحريم، والتشوف إلى بلاد الكفار ؛ فيجب أن يكون عسكره معقودا، يرون التطلع إلى أوامره شوفا مقصودا ومطمحا معمودا، ولا يجوز أن يكون معوله **المتطوعة** الذين لا يتنشئون إذا ندبوا مبادرين، حتى يتأهبوا، ويستعدوا ويتألبوا ولن تقوم الممالك إلا بجنود مجندة، وعساكر مجردة، هم مشرئبون للانتداب، مهما ندبوا، بعزائم جامعة، وآذان متشوفة إلى صوت هائعة، وهؤلاء هم المرتزقة." (٢)

"يبدد الأموال في ابتناء القناطر والدساكر، ويترك ما هو ملاذ العساكر؟

والإطناب في الواضحات سيزري بذوي الألباب.

فإذا تعين على الإمام الاحتفاظ بفضلات الأموال، فإنها تنزل من نجدة الإسلام منزلة السور من الثغور.

٣٦٠ - فإن قيل: إن احتاج الإمام إلى مال أخذه من الجهة التي يأخذ منها لو صفر بيت المال.

قلنا: هذا [ضعف] بين في الرأي، وانحلال واضح في النظر في العواقب، ولا يستتب بهذا النظر أمر جزئي، فكيف الظن بسياسة الإسلام.

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١٦٧٠/٣

(٢) غياث الأمم في التياث الظلم الجويني، أبو المعالي ص/٢٤٠

ولو ساغ ذلك، لجاز ألا يستظهر بالجنود المعقودة، ويعول على استنفار **المطوعة**، مهما عنت حاجة، وألمت ملمة.

وهذا باطل لا سبيل إلى المصير إليه، والتعويل عليه.

٣٦١ - وأما ما تعلق به الأولون من سير الخلفاء، فحق على." (١)

"فلما كان غايتهم الاستشهاد - والشهادة إحدى الحسنيين - لم يمنع **المطوعة** من التشمير للقتال. والنزاع بين المسلمين محذور، والسبب المفضي إليه محرم محظور. فإذا استقل فرد الزمان بعدة لا تصادم، واستطالت يده الطولى، على الممالك عرضا وطولا، واستتبت الطاعة، وأمكنت الاستطاعة فقيامه بمصالح أهل الإيمان بالسيف والسنان، كقيام الواحد من أهل الزمان بالموعظة الحسنة باللسان.

وها أنا الآن أنهي القول فيه، إلى قصارى البيان، والله تعالى المستعان.

٤٨٧ -[فالمتبع] في [حق المتعبدين] الشريعة ومستندها القرآن، ثم الإيضاح من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والبيان، ثم الإجماع المنعقد من حملة الشريعة من أهل الثقة والإيمان.

فهذه القواعد. وما عداها من مستمسكات الدين كالفروع والأفنان.." (٢)

"يعني لا ينبغي له أن يعاقبه في المرة الأولى؛ لأن هذه عثرة منه - وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم» ، ولكن يتقدم إليه وإلى الجند جميعا أنه يؤدب من خالف أمره بعد ذلك، فيكون ذلك إنذارا منه. قال - صلى الله عليه وسلم -: «قد أعذر من أنذر» . وبيان هذا في قوله تعالى: ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ [ق: ٢٨] ، فإن عصاه عاص بعد ذلك من غير عذر فما أحسن أدبه في ذلك ليكون ذلك فطاما له وزجرا لغيره عن إساءة الأدب لمخالفة أمره، فإن امتناع الناس مما لا يحل لمخافة العقوبة أكثر من امتناعهم خوفا من الله تعالى. وبه ورد الأثر، «إن الله يزع بالسلطان فوق ما يزع بالقرآن» . .

١٧٤ - وإن ادعى عذرا يعتذر به وحلف على ذلك فلا سبيل له عليه، لأنه أخبر بخبر محتمل للصدق، وأكد ذلك بيمينه، فينبغي أن يكف عنه إذ ليس ها هنا خصم ينازعه في ذلك. وإنما لا يجعل اليمين في جانب المدعِي في الخصومات، لأن الخصم ينازعه في ذلك. والشرع جعل اليمين في جانب المنكر دون المدعي.

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم الجويني، أبو المعالي ص/٢٥١

(٢) غياث الأمم في التياث الظلم الجويني، أبو المعالي ص/٣٣٦

- وإذا نادى مناد الأمير أن الساقة غدا على أهل الكوفة فلا يتخلفن رجل من أهل الديوان ولا من **المطوعة**. لأنهم جميعا رعيته حين خرجوا للجهاد تحت رايته، فعليهم طاعته، إلا أن يكون الأمر المشهور أنه إذا نادى بهذا يريد به أهل الديوان خاصة، فحينئذ الثابت بالعرف كالثابت بالنص.." (١)

"ولما أخذنا في المسير قال اعلم أنني ابن فلان التاجر الذي يقع قصره في مكان كذا من هذه المدينة والناس كلهم يعرفون أي رجل كان والدي وما كان له من مال وثروة وخلاصة الأمر أنه لما انتقل والدي إلى جوار ربه أطلقت لهواي العنان وسمت سرح اللهو وعاقرت ابنة الكرم سنوات فابتليت بمرض عضال فقدت معه كل أمل بالشفاء ونذرت نذرا لله تعالى أنني سأحج وأغزو إذا ما شفيت من مرضي ومن الله تعالى بالشفاء علي وقمت من المرض سالما وعقدت العزن على الحج ومن ثم الغزو وأعتقت جواري وغلماني جميعا ووهبتهم مالا وبيوتا وضياعا وألفت بيهم بالزواج ثم بعت ما كان لي من أسباب وضياع ومستغلات بخمسين ألف دينار ذهبا وفكرت في نفسي بأنني مقدم على سفرين محفوفين بالمخاطر فليس صوابا أن أحمل الذهب كله معي ورأيت أن أحمل ثلاثين الفا وأبقي العشرين الأخرى فاشتريت إبريقي نحاس ووضعت في كل منهما عشرة الاف دينار وقلت وال١ن عند من أودعها ولم يدلني ضميري إلا على قاضي القضاة من المدينة كلها وقلت في نفسي إنه رجل عالم وقاض وقد اعتمده الملك ووكل إليه دماء المسلمين وأموالهم انه لن يخونني على أية حال فمضيت إليه وكلمته بالأمر سرا فقبل هو وسررت أنا ونهضت سحرا وحملت الإبريقين إلى بيته ووضعتهما عنده وديعة ثم مضيت في سبيلي فأديت فريضة الحج وتوجهت من مكة والمدينة إلى بلاد الروم والتحقت بالغزاة وقضيت سنوات أجاهد في سبيل الله وفي إحدى المعارك مع الكفار أصبت بجروح في مواطن من وجهي وعنقي وركبتي وفخذي ووقعت أسيرا بيد الروم وأمضيت أربع سنوات في أغلالهم وسجنهم إلى الوقت الذي ابتلي فيه القيصر بمرض فأطلق سراح جميع الأسرى وبعد فكاكي من الأسر التحقت **بالمطوعة** وخدمت في صفوفهم ولما هيأت نفقات طريق العودة قفلت راجعا على أمل أنني كنت قد أودعت قاضي بغداد عشرين ألف دينار

وبعد عشر سنوات عدت إلى بغداد صفر اليدين رث الملابس هزيل الجسم لشدة ما قاسيت من مشاق السفر والام ضنك العيش في تلك المدة وذهبت إلى القاضي فسلمت عليه وجلست عنده وانصرفت وترددت عليه على هذه الحال يومين ولما لم يقل لي شيئا ذهبت إليه في اليوم الثالث وجلست طويلا فلما

---

(١) شرح السير الكبير السرخسي ص/١٦٩

لم يبق أحد اقتربت منه وقلت له بهدوء وبطء أنا فلان ابن فلان قد حججت وغزوت وعانيت المتاعب." (١)

"أنه منكور غير معروف ولا مرئي مثله. قال الخليل: النكر: نعت للأمر الشديد والرجل الداهية. وقال مالك بن عوف النصري: [الرجز]

أقدم محاج إنه يوم نكر ... مثلي على مثلك يحمى ويكر

ونكر فعل وهو صفة، وذلك قليل في الصفات، ومنه مشية سجح وقال الشاعر [حسان بن ثابت الأنصاري] : [البسيط]

دعوا التخاجؤ وامشوا مشية سجحا ... إن الرجال ذوو عصب وتذكير

ومنه رجل شلل وناقة أجد.

وقرأ جمهور القراء: «خشعا» وهي قراءة الأعرج وأبي جعفر وشيبة والحسن وقتادة. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: «خاشعا» ، وهي قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد والجحدري، وهو إفراد بمعنى الجمع، ونظيره قول الشاعر [الحارث بن أوس الإيادي] : [الرمل]

وشباب حسن أوجههم ... من إياد بن نزار بن معد

ورجح أبو حاتم هذه القراءة وذكر أن رجلا من المتطوعة قال قبل أن يستشهد: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسألته عن «خشعا وخاشعا» فقال: «خاشعا» بالألف، وفي مصحف أبي بن كعب وعبد الله: «خاشعة» .

وخص الأبصار بالخشوع لأنه فيها أظهر منه في سائر الجوارح، وكذلك سائر ما في نفس الإنسان من حياء أو صلف أو خوف ونحوه إنما يظهر في البصر. و: الأجداث جمع جدث وهو القبر، وشبههم بالجراد المنتشر، وقد شبههم في أخرى ب الفراش المبثوث [القارعة: ٤] ، وفيهم من كل هذا شبه، وذهب بعض المفسرين إلى أنهم أولا كالفراش حين يموجون بعض في بعض ثم في رتبة أخرى كالجراد إذا توجهوا نحو المحشر والداعي، وفي الحديث: إن مريم بنت عمران دعت للجراد فقالت: اللهم اعشها بغير رضاع وتابع بينها بغير شباع.

والمهطع: المسرع في مشيه نحو الشيء مع هز ورهق ومد بصر نحو المقصد، إما لخوف أو طمع أو نحوه، ويقول الكافرون هذا يوم عسر لما يرون من مخايل هوله وعلامات مشقته.

---

(١) سياست نامه = سير الملوك نظام الملك ص/١١٢

قوله عز وجل:

[سورة القمر (٥٤) : الآيات ٩ الى ١٧]
كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر (٩) فدعا ربه أني مغلوب فانتصر (١٠) ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (١١) وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر (١٢) وحملناه على ذات ألواح ودسر (١٣)
تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر (١٤) ولقد تركناها آية فهل من مدكر (١٥) فكيف كان عذابي ونذر (١٦) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (١٧)
سوق هذه القصة وعيد لقريش وضرب مثل لهم، وقوله: وازدجر إخبار من الله أنهم زجروا نوحا." [١]
"وقد روى الترمذي (١)، وأبو داود (٢)، عن أبي هريرة: "حذف السلام سنة".
فإن قيل: ما معنى حذف السلام؟
قيل: هو الإسراع به.
وقيل: ألا يكون أحد يسلم قبله.
وقيل: هو ألا يكون فيه "ورحمة الله"، فحذفت منه "ورحمة الله".
وروي عن النخعي (٣) أنه كان يقول: التكبير جزم، والكلام حذم بالحاء والذال المعجمة (٤)، فإن كان بالجيم والزاي فهو رد على من يقوله بتحريك الذال والميم على قراءة ابن كثير في الوقف، وإن كان: السلام حذم، كما قيل بالذال المعجمة، فمعناه: سريع الحذم، والحذم في اللسان السرعة، ومنه قيل للأرنب حذمة (٥)، وفي الحديث: "إذا أذنت فترسل وإذا أقمت فاحذم" (٦) أي أسرع.
تكملة:
قيل: إن السلام من أسمائه تعالى؛ لأنه لا يلحقه (٧) نقص، ولا تدركه آفات الخلق، فهذا قلت: "السلام عليكم"، فيحتمل: الله عليكم رقيب. وإن أردت به: بيني وبينكم عقد السلام ودوام النجاة (٨)، فيحتمل أن يكون: أنت مني في أمان، كأن المصلي إذا فعل ما أمر به من أداء الفريضة، قد أمن من العذاب على تركها، والله أعلم.
العربية:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢١٣/٥

وقيل في معنى: "السلام عليكم": هو مصدر سلم يسلم سلامة وسلاما، قاله ابن السكيت (٩).

---

(١) في جامعه الكبير (٢٩٧) وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٢) في سننه (١٠٠٤).

(٣) أورده الترمذي في جامعه الكبير: ١/ ٣٢٩، وانظر تلخيص الحبير: ١/ ٢٢٥.

(٤) ذكر المؤلف في العارضة أن هذا الضبط قيده غيره.

(٥) انظر غريب الحديث لأبي عبيد: ٣/ ٢٤٥.

(٦) أخرجه الدارقطني: ١/ ٢٣٨، والعسكري في تصحيفات المحدثين: ٢/ ١٠٧، والبيهقي: ١/ ٤٢٨ من قول عمر بن الخطاب، وانظر تلخيص الحبير: ١/ ٢٠٠.

(٧) م، غ: "فإنه لايلحقه".

(٨) قاله في أحكام القرآن: ١/ ٤٦٧ إلا أنه قال: "وذمام" بدل "ودوام".

(٩) لم نجده في الكتب المطوعة لابن السكيت، وانظر نحوه في إصلاح المنطق: ٣٠، ٢٩٢. وانظر كت ا ب =." (١)

"المطلب الرابع جهاده

كان، رحمه الله، من العلماء المجاهدين في الله لإعلاء كلمة الله فكان، رحمه الله، يحث الحكام والمحكومين على الجهاد ويشارك في كل المعارك.

وعندما حصلت المواجهة بين المسلمين والصليبيين في معركة (كتندة)، من أعمال سرقسطة ببلاد الأندلس، سنة (٥١٤ هـ) قام المسلمون جميعا يقودهم الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين وكانت هذه المعركة من أشد المعارك على المسلمين، وقد اشترك فيها القاضي ونجا فيها بفضل الله.

يقول عن ذلك ابن الأبار: يوم (كتندة) المشهور بالثغر الأعلى، يوم الخميس لست بقين من ربيع الآخر من تلك السنة (أي سنة ٥١٤ هـ)، وحقت على المسلمين الهزيمة .. وقد قتل فيها من المتطوعة نحو عشرين ألفا، ولم يقتل فيها من العسكر، يعني الجند، أحد .. وكان القاضي أبو بكر بن العربي حضرها وسئل عن تخلصه منها عن حاله فقال: حال من ترك الخباء والعباءة [المعجم لابن الأبار ص ٤ - ٥].

ويشير، رحمه الله، إلى دوره البارز في تحريض المسلمين على الجهاد في حادثة أخرى بعد الحادثة الأولى

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ٢/٣٩٧

بثلاث عشرة سنة، وبالتحديد سنة (٥٢٧ هـ).

فيقول: ولقد نزل بنا العدو: قصمه الله، سنة سبع وعشرين وخمسمائة، فجاس ديارنا وأسر جيرتنا وتوسط بلادنا في عدد هال الناس عدده وإن لم يبلغ ما حددوه فقلت للوالي والمولى عليه: هذا عدو الله وقد حصل على الشرك والشبكة فلتكن عندكم بركة، ولتظهر منكم إلى نصرة دين الله المتعينة عليكم حركة، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع هذه الأقطار فيخاطبه فإنه هالك لا محالة، إن يسركم الله له، فغلبت الذنوب ووجفت القلوب بالمعاصي، وصار كل أحد ثعلبا يأوي إلى وجاره وإن رأى المكروه بجاره، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل ...

فكيف بنا وعندنا عهد الله ألا نسلم إخواننا إلى الأعداء، وننعم وهم في الشقاء، وأن نملك بالحريۃ وهم أرقاء يالله لهذا الخطب الجسيم نسأل الله التوفيق للجمهور والمنة بصلاح الأمر والمأمور. [الأحكام ٢/ ٩٥٥ - ٩٥٦].

وفي سنة ٥٢٢ هـ خرج مع الأمير أبي بكر بن يوسف بن تاشفين للغزو في الثغور الشرقية للأندلس. انظر التكملة ص ١/ ٣٥٠.." (١)

"الثالث أن يراعي من معه من المقاتلة وهم صنفان مسترزقه ومتطوعة أما المسترزقة فهم أصحاب الديوان فيفرض لهم من العطاء من بيت المال من الفيء بحسب الغني والكفاية وأما المتطوعة فهم الخارجون عن الديوان الذين خرجوا في النفير فيعطوا من بيت المال من." (٢)

"قوله تعالى: أما السفينة فكانت لمساكين وأنه صلى الله عليه وسلم كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر. وقيل بالعكس لقوله تعالى: أو مسكينا ذا متربة. والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها. والمؤلفة قلوبهم قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستأنف قلوبهم أو أشراف قد يترتب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام نظرائهم، وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك. وقيل أشراف يستألفون على أن يسلموا فإنه صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم والأصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة. وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وأكثر أهله سقط. وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم. وقيل بأن تبتاع الرقاب

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/٢٧

(٢) المنهج المسلوك في سياسة الملوك الشيزري ص/٥٩٩

فتعتق وبه قال مالك وأحمد أو بأن يفدي الأسارى. والعدول عن اللام إلى في للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب. وقيل للايذان بأنهم أحق بها.

والغارمين والمديونين لأنفسهم في غير معصية ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين وإن كانوا أغنياء

لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغاز في سبيل الله أو لغارم، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل عليها»

وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالإنفاق على **المتطوعة** وابتياع الكراع والسلاح. وقيل وفي بناء القناطر والمصانع. وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله. فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية الكريمة أي فرض لهم الله الصدقات فريضة، أو حال من الضمير المستكن في للفقراء. وقرئ بالرفع على تلك فريضة. والله عليم حكيم يضع الأشياء في مواضعها، وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك وإليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه، وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جواز صرفها إلى صنف واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا، وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله تعالى على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا إيجاب قسمها عليهم.

[سورة التوبة (٩) : آية ٦١]

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (٦١)

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه، سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك، أو اشتق له فعل من أذن أذنا إذا استمع كأنف وشلل. روي أنهم قالوا محمد أذن سامعه نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول. قل أذن خير لكم تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث إنه يسمع الخير ويقبله، ثم فسر ذلك بقوله: يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الأدلة. ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم، واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم وإيمان الأمان. ورحمة أي وهو رحمة. للذين آمنوا منكم لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره، وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم. وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير. وقرئ بالنصب على أنها علة

فعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم رحمة. وقرأ نافع أذن بالتخفيف فيهما.
وقرئ «أذن خير» على أن خير صفة له أو خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم بإيذائه.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٦٢ الى ٦٣]
يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين (٦٢) ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم (٦٣)." (١)

"هذا الحديث إن صح فقد يستدل به على أنهم لم يكونوا يفعلون عنه عبادة إلا بإذنه، ولو كان مشروعا عندهم التضحية عنه بدون إذنه لما أنكر ذلك على علي، ولبين علي أنه يشرع هذا وغيره من الأعمال عنه بغير إذنه.

وأما احتجاجه بحديث أبي بن كعب الذي فيه "أجعل صلاتي كلها لك، قال: إذا تكفى همك ويغفر ذنبك"، فيقال له: ليس حملك هذا الحديث على صلاته المتطوعة بأولى من حمل غيرك له على الدعاء، إذ قد سلمت أنه ليس المراد به الصلاة الواجبة ذات الركوع والسجود، فيقال له: كما لم يدخل هذه الصلاة فلا يدخل ما كان من جنسها وهو التطوع، فإنهما من جنس واحد، ولم يعرف أن في السنة أن يكون جميع ما يتطوع به العبد من الصلاة لغيره، كما لم يعرف مثل ذلك في الصيام والحج.

فإن قيل: يحصل له من أجر الإهداء أكثر من ثواب التطوع، قيل: فسووا ذلك في الفريضة، واجعلوا من المسنون أن يهدي الرجل ثواب فرائضه لبعض الموتى، ويكون ما يحصل من ثواب ذلك أعظم من أجر الفريضة مع أن ذمته بريئة. وقد تقدم أن في إهداء ثواب الفريضة قولين في مذهب أحمد وغيره.

والذين جوزوا ذلك قالوا: الفرض له مقصودان: براءة الذمة باندفاع العقاب، وحصول الأجر والثواب، فأما براءة الذمة وهو الذي امتاز به عن النافلة فلا يمكن إهداؤه، وأما الأجر وهو المشترك بينهما فيمكن إهداؤه، ولا ريب أن الحديث لا يمكن." (٢)

"فسار عبيد الله فى أهل البصرة والكوفة، وعلى أهل الكوفة شريح ابن هانىء؛ فمضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل، فأصاب من الغنائم ما شاء، وهدم حصونا، وغلب على أرض من أراضيهم، وأصحاب رتبيل من الترك يخلون للمسلمين أرضا بعد أرض، حتى أمعنوا فى بلادهم، ودنوا من مدينتهم، وكانوا منها

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٨٦/٣

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٥٦/٤

على ثمانية عشر فرسخا، فأخذ الترك عليهم الشعاب والعقاب «١» ، فصالحهم عبيد الله على سبعمائة ألف يوصلها إلى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج، فلقيه شريح فقال: إنكم لا تصالحون «٢» ، على شيء إلا حسبه السلطان من أعطياتكم، ثم قال: يأهل الإسلام، تعاونوا على عدوكم، فقال له ابن أبى «٣» بكرة: إنك شيخ قد خرفت. فقال شريح:

يأهل الإسلام، من أراد منكم الشهادة فإلى، فاتبعه ناس من **المطوعة** «٤» غير كثير، وفرسان الناس، وأهل الحفاظ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا، وجعل شريح يرتجز ويقول «٥» :

أصبحت ذابث أقاسى الكبرا ... قد عشت بين المشركين أعصرا

ثمت أدركت النبى المنذرا ... وبعده صديقه وعمرا

ويوم مهران ويوم تسترا ... والجمع فى صفينهم والنهرا

هيهات ما أطول هذا العمرا «٦»." (١)

"خراسان إلا على فارس وكرمان.

فلما ولى سليمان يزيد خراسان لم يكن له همة غير جرجان، فسار إليها فى مائة ألف سوى الموالى **والمتطوعة**، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة، إنما هى جبال ومخارم وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يقدر عليه أحد، فابتدأ بقهستان «١» فحاصرها، وكان أهلها طائفة من الترك، فقاتلهم قتالا شديدا، واشتدت الحرب، وقطع عنهم الميرة، فبعث دهقانها، واسمه صول «٢» يطلب من يزيد الأمان لنفسه وأهله وماله، ويسلم إليه المدينة بما فيها، فأمنه ووفى له، ودخل المدينة فقتل بها أربعة عشر ألف تركى صبرا، وأخذ ما فيها من الكنوز والسبى وغير ذلك، ثم خرج حتى أتى جرجان فهابه أهلها، وأتوه وصالحوه، فأجابهم إلى ذلك، وصالحهم، فطمع فى طبرستان، فسار إليها فصالحه اصبهذها «٣» على سبعمائة ألف «٤» ، وقيل خمسمائة ألف وأربعمائة وقر زعفران، أو قيمته من العين، وأربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان، ومع كل رجل جام من فضة وسرقة حرير وكسوة، فأرسل من يقبض ذلك وانصرف إلى جرجان. [والله أعلم «٥»] .." (٢)

"حتى دخل عليه، فسأله عن سبب قدومه، فقال: ضقت ذرعا بما أذكره، ولم أر من يحمله غيرى. قال: وما هو؟ قال:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢١/١٩٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢١/٣٥٠

يا أمير المؤمنين؛ إنه كان من دخول الخزر إلى بلاد الإسلام وقتل الجراح وغيره ما دخل به الوهن على المسلمين. ثم رأى أمير المؤمنين أن يوجه أخاه مسلمة إليهم، فو الله ما وطىء من بلادهم إلا أدناها، ثم إنه لما رأى كثرة جمعه أعجبه ذلك، فكتب إلى الخزر يؤذنهم بالحرب، وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر، فاستعد القوم وحشدوا، فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية، فكان قصاراه السلامة، وقد أردت أن تأذن لى فى غزوة أذهب بها عنا العار، وأنتقم من العدو. قال: قد أذنت لك. قال: وتمدنى بمائة ألف وعشرين ألف مقاتل؟

قال: قد فعلت. قال: وتكتم هذا الأمر عن كل أحد؟ قال: قد فعلت. وقد استعملتك على إرمينية.

فودعه وسار إلى إرمينية واليا عليها وسير إليه هشام الجنود [من الشام والعراق والجزيرة، فاجتمع عنده من الجنود] «١» **والمتطوعة** مائة ألف وعشرون ألفا، فأظهر أنه يريد غزو اللان، وأرسل إلى ملك الخزر يطلب منه المهادنة، فأجابه إلى ذلك، وأرسل «٢» إليه من يقرر الصلح، فأمسك الرسول عنده إلى أن فرغ من جهازه، وأحضره، ثم أغلظ لهم فى القول وآذنهم بالحرب، وسير الرسول إلى صاحبه بذلك، ووكل به من يسير به." (١)

"تظلموا من على بن عيسى بن ماهان، وشكوا سوء سيرته فيهم، وقيل للرشيد إنه قد أجمع على الخلاف، فسار إلى الرى فى جمادى الأولى ومعه ابناه المأمون والقاسم المؤتمن، وأحضر القضاة والشهود وأشهدهم أن جميع ما فى عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكراع وغير ذلك للمأمون، وليس له فيه شيء، وأقام الرشيد بالرى أربعة أشهر، حتى أتاه على بن عيسى من خراسان فأهدى إليه الهدايا الكثيرة والأموال العظيمة، وأهدى لجميع من معه من أهل بيته وولده وكتابه وقواده من الطرف والجواهر وغير ذلك، فرأى الرشيد خلاف ما كان يظن فرده إلى خراسان، ورجع الرشيد إلى العراق فى آخر هذه السنة.

وفيها كان الفداء بين الروم والمسلمين، فلم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودى به. وحج بالناس فى هذه السنة العباس بن موسى بن محمد بن على «١» ابن عبد الله.

ودخلت سنة تسعين ومائة.

ذكر فتح هرقلة

فى هذه السنة فتح الرشيد هرقلة وخربها، وكان سبب مسيره إليها ما قدمناه فى سنة سبع وثمانين من غدر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤٢٢/٢١

نقفور، فكان فتحها فى شوال وحصرها ثلاثين يوما. قال: ودخل البلاد فى مائة ألف وخمس وثلاثين ألفا من المرتزقة، سوى الأتباع والمتطوعة ومن لا ديوان لهم، ووجه داود بن عيسى ابن موسى فى سبعين ألفا، فسار فى أرض الروم يخرب وينهب، وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن وديسه «٢» ، وافتتح يزيد بن محلد." (١)

"نصح الإمام على الأنام فريضة ... ولأهله «١» كفارة وظهور

قال: فلما أنشده قال الرشيد: أو قد فعل!! وعلم أن الوزراء قد احتالوا فى ذلك، قال: فسار الرشيد قاصدا إليه، وجعل قبل وصوله إلى هرقلة يفتتح الحصون والمدن ويحرقها، حتى أناخ على هرقلة وهى أوثق حصن وأعزه جانبا وأمنعه ركنا، فتحصن أهلها، وكان بابها على واد ولها خندق يطيف بها؛ قال: فحدثنى شيخ من مشايخ المطوعة وملازمى الثغور، يقال له على بن عبد الله قال حدثنى جماعة من أهل الثغر:

أن الرشيد لما حصر أهل هرقلة وألح عليهم بالمجانيق والسهام والعرادات فتح الباب ذات يوم، فاستشرف المسلمون لذلك، فإذا رجل من أهلها كأكمل الرجال، قد خرج فى أكمل السلاح فنادى: قد طال مواقفتكم إيانا فليبرز إلى منكم رجلان، ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين، فلم يجبه أحد، فدخل وأغلق الباب، وكان الرشيد نائما فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه، فغضب ولام خدمه وغلمانه على تركهم إنباهه، وتأسف لفوته، فقيل له إن الامتناع منه سيغريه «٢» ويطغيه، وأحرى به أن يخرج فى غد فيطلب مثل ما طلب، فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له، فإذا بالباب قد فتح وخرج الرجل طالبا للبراز، وذلك فى يوم شديد الحر، فجعل يدعو أنه يثبت لعشرين منهم، فقال الرشيد: من له؟ فابتدره جلة القواد كهرثمة ويزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وخزيمة بن خازم وأخيه عبد الله وداود بن يزيد وأخيه، فعزم على إخراج بعضهم، فضج المطوعة حتى سمع ضجيجهم، فأذن لعشرين منهم فقال قائلهم: يا أمير المؤمنين، قوادك." (٢)

"مشهورون بالنجدة والبأس وعلو الصوت ومدارسة الحرب، ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم يكبر ذاك، وإن قتله العلج كان وصمة على العسكر قبيحة وثلمة لا تسد، ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلا فنخرجه إليه، فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعرفهم «١» ، على يد رجل من العامة «٢» من أفناء الناس، وإن قتل الرجل فإنما استشهد، ولم يؤثر ذهابه فى العسكر ولم يثلمه رجل، وخرج إليه بعده مثله حتى يقضى الله ما

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥١/٢٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥٥/٢٢

شاء، فقال الرشيد: قد استصوبت رأيكم هذا، فاختاروا رجلا يعرف بابن الجزرى «٣» ، وكان معروفا فى الثغر بالبأس والنجدة، فقال له الرشيد:

أتخرج؟ قال نعم وأستعين بالله تعالى، فقال «٤» : أعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا بفرسى أوثق، ورمحى بيدى أشد، ولكنى قد قبلت السيف والترس، فلبس سلاحه و استدناه الرشيد فودعه وأتبعه الدعاء، وخرج معه عشرون من المطوعة، فلما انقض فى الوادى قال لهم العلج- وهو يعدهم واحدا واحد- إنما كان الشرط عشرين، وقد زدتم رجلا ولكن لا بأس، فنادوه ليس يخرج إليك إلا رجل واحد، فلما فصل منهم ابن الجزرى تأمله الرومى، وقد أشرف أكثر الناس من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن «٥» ، فقال له الرومى: أتصدقنى عما استخبرك؟ قال:

نعم، قال: أنت بالله ابن الجزرى؟ قال: اللهم نعم، فكفر له ثم أخذا فى شأنهما، فتطاعنا حتى طال الأمر بينهما وكاد الفرسان يقومان، وليس." (١)

"برزند «١» وعسكر بها وضبط الطرق والحصون فيما بينه وبين أردبيل، ثم سار الأفشين والتقى ببابك واقتتلوا قتالا شديدا، وكانت وقعة عظيمة فى سنة عشرين ومائتين، قتل فيها كثير من أصحاب بابك الذين كانوا معه، وأفلت هو فى نفر يسير، واستمرت الحرب بينه وبين بابك المرة بعد المرة إلى سنة اثنتين وعشرين ومائتين، ففتح الأفشين البذ- مدينة بابك- وأسر بابك، وخرب المسلمون المدينة واستباحوها وذلك لعشر بقين من شهر رمضان فى هذه السنة، وكانت حروب يطول شرحها انجلت «٢» عن ظفر المسلمين.

قال: وكان الأفشين قد قصر فى الحصار، فرأى رجل من أصحابه فى منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له: قل للأفشين- إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت فى أمره وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة، وشاعت هذه الرؤيا فثار المتطوعة وصمموا على الحصار، وحاصروا وكانت حروب عظيمة انجلت «٣» عن الفتح فى التاريخ المذكور، وهرب بابك ثم أحضر هو وأخوه عبد الله لعشر خلون من شوال، وكان وصولهما إلى المعتصم بسامرا فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين. ولما وصل إلى سامرا أمر المعتصم أن يركب فيلا والناس ينظرونه، وأدخل دار المعتصم فأمر بإحضار سياف بابك، وأمره أن يقطع يديه ورجليه فقطعهما فسقط.

ثم أمر به فذبح وشق بطنه، وأنفذ رأسه إلى خراسان وصلب بدنه بسامرا.

وأمر بحمل أخيه عبد الله إلى بغداد، وأن يفعل به كما فعل ببابك، ففعل به ذلك وصلب فى الجانب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥٦/٢٢

الشرقى بين الجسرين. وكان من قتله بابك فى عشرين سنة مائتى ألف وخمسة وخمسين ألفا وخمسمائة إنسان؛ هذا ما كان أمره على سبيل الاختصار.." (١)

"قتلته- حتى قتلت من أسرى المسلمين أثنى عشر ألفا، ثم أرسلت تطلب المفاداة لمن بقى منهم، فأرسل المتوكل شنيفا الخادم على الفداء، وطلب قاضى القضاة جعفر بن عبد الواحد أن يحضر الفداء ويستخلف على القضاء، فأذن له المتوكل واستخلف على القضاء ابن أبى الشوارب- وهو شاب، ووقع الفداء على نهر اللامس، فكان أسرى المسلمين من الرجال سبعمائة وخمسة وثلاثين رجلا، ومن النساء مائة وخمسا وعشرين امرأة.

ذكر غارة البجاة بمصر

فى هذه السنة غارت البجاة على أرض مصر، وكانت قبل ذلك لا تغير لهدنة قديمة، وكانوا يؤدون إلى عمال مصر الخمس مما فى بلادهم من معادن الذهب، فامتنعوا من ذلك فكتب صاحب البريد إلى المتوكل بخبرهم، وأنهم قتلوا عدة من المسلمين ممن يعمل فى المعادن، وزاد شرهم حتى خاف أهل الصعيد منهم على أنفسهم، فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمى حربهم، واستعمله على معونة قفط والأقصر وأرمنت وإسن ا وأسوان، وأمره بمحاربة البجاة، وكتب إلى عنبسة بن إسحاق الضبى- عامل حرب مصر- بإزاحة علته وإعطائه من الجند ما يحتاج إليه ففعل، وسار محمد إلى أرض البجاة وتبعه من **المتطوعة** وعمال المعادن خلق كثير، فبلغت عدتهم نحوا من عشرين ألفا من فارس وراجل، وحمل له فى بحر القلزم سبع مراكب موقورة بالدقيق والزيت والتمر والشعير والسويق، وسارت لتوافيه على ساحل البحر ببلاد البجاة، وسار هو إلى بلادهم فى البر حتى بلغ حصونهم، فخرج إليه ملكهم- واسمه على بابا- فى جموع عظيمة أضعاف المسلمين وهم على المهارى، فلم يصدقهم القتال وأراد مطاولتهم حتى تفنى أزوادهم، فيأخذهم باليد من غير حرب، فأقبلت المراكب التى فيها الأقوات ففرقها محمد- على من معه، فعندها صدقهم على بابا القتال." (٢)

"أنهم أعلنوا العصيان له، فرجع إلى قرطبة مبادرا، فوصلها فى ثلاثة أيام وكشف عن الذين أثاروا الفتنة فصلبهم منكسين، وضرب أعناق جماعة. فارتدع الباقون بذلك واشتدت كراهتهم للحكم، ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون وتارة يعصون إلى سنة اثنتين وتسعين، فضعف أمر أصبغ بن عبد الله لأن الحكم تابع

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٤٩/٢٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٨٨/٢٢

إرسال الجيوش واستمال جماعة من أهل ماردة وثقات أصحابه فمالوا إلى الحكم وفارقوا أصبغ حتى أخوه، فضعفت نفسه فطلب الأمان فأمنه الحكم، ففارق ماردة، وحضر إلى الحكم وأقام بقرطبة.

ذكر غزو الفرنج

وفى هذه السنة تجهز لذريق «١» ملك الفرنج وجمع جموعه ليسير إلى مدينة طرطوشة «٢» ليحصرها، فبلغ ذلك الحكم فجمع العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن، فاجتمعوا فى جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة، فساروا حتى لقوا الفرنج فى أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد الإسلام شيئا، فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفد وسعه فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين، وهزم الكفار وكثر القتل فيهم والإسار، وانتهبت أموالهم، ورجع المسلمون بالظفر.." (١)

"ابن محمد في خمسمائة رجل فلقوا البصريين، فانهزم «١» البصريون منهم وأخذوا سلاحهم، ثم قاتل طائفة أخرى عند قرية تعرف بقرية اليهود «٢» فهزمهم أيضا، وأثبت أصحابه في الصحراء، ثم أسرى إلى الجعفرية فوضع في أهلها السيف، فقتل أكثرهم وأتى منهم بأسرى فأطلقهم، ولقى جيشا كبيرا للبصريين مع رميس وعقيل، فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا، وكان معهم سفن فهبت ريح فألقتها إلى الشط، فنزل الزنج وقتلوا من وجدوا فيها وغنموا ما فيها، وكان مع رميس سفن فركبها ونجا، فأنفذ صاحب الزنج فأخذها ونهب ما فيها، ثم نهب القرية المعروفة بالمهلبية وأحرقها، وعاث في الأرض وأفسد، ثم لقيه قائد من قواد الأتراك، يقال له أبو هلال في أربعة آلاف مقاتل، فاقتتلوا على نهر الريان، فحمل السودان عليهم حملة صادقة، فقتلوا صاحب علمه فانهزم أبو هلال وأصحابه، وتبعهم السودان فقتلوا من أصحاب أبى هلال أكثر من ألف وخمسمائة رجل. وأخذوا منهم أسرى فأمر صاحب الزنج بقتلهم، ثم أتاه من أخبره أن الزينبى قد أعد له الجند والمتطوعة والبلالية والسعدية، وهم خلق كثير، وأنهم قد أعدوا الحبال لتكتيف من يأخذونه من السودان، وأن المقدم عليهم أبو منصور أحد «٣» موالى الهاشميين، فأرسل على بن أبان في مائة أسود ليأتيه بخبرهم، فلقى طائفة منهم فهزمهم، وصار من معهم من العبيد إلى على بن أبان، وأرسل طائفة أخرى من أصحابه، إلى موضع فيه ألف." (٢)

"منهم جماعة وغرق جماعة وتفرق الباقون، وتخلف صاحبهم عنهم وبقى في نفر يسير فنجا، تم لحقهم وهم متحيرون لفقده، وسأل عن أصحابه فإذا ليس معه منهم إلا خمسمائة رجل، فأمر بالنفخ في

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٦٨/٢٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٠٩/٢٥

البوق الذى يجتمعون إليه، فنفخ فيه فلم يأته أحد، وكان أهل البصرة قد انتهبوا السفن التى كانت للزنوج وبها متاعهم، فلما أصبح رأى أصحابه في ألف رجل، فأرسل محمد بن سلم إلى أهل البصرة يعظهم ويعلمهم: ما الذى دعاه إلى الخروج؟ فقتلوه، فلما كان يوم الاثنين لأربع «١» عشرة خلت من ذى القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين جمع أهل البصرة وحشدوا، لما رأوا من ظهورهم عليه، وانتدب لذلك رجل يعرف بحماد «٢» الساجى وكان من غزاة البحر، وله علم في ركوب السفن، فجمع **المطوعة** ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومن خف معه من البلالية والسعدية وغيرهم، وشحن ثلاثة مراكب مقاتلة، ومضى جمهور الناس رجالة، منهم من معه سلاح ومنهم نظارة، فدخلت المراكب في المد والرجالة على شاطىء النهر، فلما علم صاحب الزنج بذلك وجه طائفة من أصحابه مع زريق «٣» الأصفهانى كمينا في شرقى النهر، وطائفة مع شبل وحسين الحمامى فى غربيه كمينا، وأمر على بن أبان أن يلقى أهل البصرة وأن يتستر هو ومن معه- بتراسهم، ولا يقاتل حتى يظهر أصحابه، وتقدم إلى." (١)

"الزنج ذلك أمر برد أصحاب السميريات إلى نهر أبى الخصيب، ووكل بفوهة النهر من يمنعهم من الخروج، وأمر بهبوذ- وهو من أشر قواده، أن يخرج في الشذاوات، فخرج فبرز إليه أبو العباس في شذاواته وقاتله، واشتدت الحرب فانهزم بهبوذ إلى فناء قصر صاحب الزنج، وأصابته طعنتان وجرح بالسهام، فولج نهر أبى الخصيب وقد أشفى على الموت، وقتل ممن كان معه قائد ذو بأس- يقال له عميرة، وظفر أبو العباس بشذاة فقتل أهلها، ورجع هو ومن معه سالمين، واستأمن إلى أبى العباس أهل شذاة فأمنهم وأحسن إليهم وخلع عليهم، ورجع الموفق ومن معه إلى عسكره بالنهر المبارك، واستأمن إليه عند منصرفه خلق كثير، فأمنهم وخلع عليهم ووصلهم وأثبت أسماءهم مع أبى العباس، وأقام في عسكره يومين ثم نقل عسكره لست ليال بقين من شهر رجب إلى نهر جطى فنزله، وقام به إلى منتصف شعبان لم يقاتل.

ثم ركب في منتصف شعبان في الخيل والرجل وأعد الشذاوات والسميريات، وكان معه من الجند **والمطوعة** زهاء خمسين ألفا، وكان مع صاحب الزنج أكثر من ثلاثمائة ألف انسان، كلهم ممن يقاتل بسيف أو رمح أو مقلاع أو منجنيق، وأضعفهم رماة الحجارة من أيديهم وهم النظارة، والنساء تشركهم في ذلك، فأقام أبو أحمد ذلك اليوم، ونودى بالأمان للناس كافة إلا صاحب الزنج، وكتب الأمان فى رقاع ورميت في السهام،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٥/١١٢

ووعد فيها الإحسان، فمالت قلوب أصحاب صاحب الزنج فاستأمن من ذلك اليوم خلق كثير، فخلع عليهم ووصلهم، ولم يكن ذلك اليوم حرب.." (١)

"حبس الناس عن سلوك الطرقات وردهم إلى البلد، وجمع الناس بالمسجد الجامع ورغبهم في الجهاد وأسعفهم بماله، ورغبت المتطوعة في الاجتماع فقويت قلوب الناس، وأنفذ أبو بكر سرية من وقته من خاصة غلمانه في نحو ثلاثمائة رجل في البحر، ووجه سرية أخرى في البر، وأنفذ إلى مهروبان يخبر أنه على لقاء العدو، وسألهم الإنجاد في المراكب لمعاونة أهل جنابه على قتال القرامطة، فساروا والتقى الفريقان في البر والبحر من أهل جنابه وسينيز، ووافت قوارب مهروبان فأشعلوا النيران في القوارب، فأحرقوا بعضها وتخلص منهم نحو عشرين قاربا، وانتشبت الحرب فقتل الله منهم خلقا كثيرا، وأسر جماعة ولحق بعضهم بالجبال، وورد على أبى بكر الطرازى من أخبره بذلك، فجمع الناس وغدا نحو الجبال، وأرسل فارسا إلى من بسينيز من أصحابه أن يلحقوا به، وأنفذ إلى جنابه ألا يتخلف عنه من فيه حراك، لتكون الوقعة بهم من كل وجه، فوافوا الـمنهزمين من القرامطة في بعض كهوف الجبال، وذلك في يوم الأربعاء فلما رأوا الناس قد أقبلوا نحوهم كسروا جفون سيوفهم، وحملوا عليهم فثبتوا لهم، ولم تزل الحرب قائمة بينهم يوم الأربعاء والخميس إلى نصف النهار، ثم نادى أبو بكر الطرازى: من جاء برأس فله خمسون درهما، فتنادى الناس بالشهادة وجدوا ونشطوا، وقتلوا خلقا كثيرا وأخذوا جميع من بقى أسرى، وحملوا مشهرين والناس يكثرون حمد الله عز وجل والثناء عليه، ولم يفلت منهم أحد.

وكتب الناس محضرا أنفذوه إلى بغداد، وحملت الأسرى والرؤوس معه، قال الشريف: ونسخة المحضر:." (٢)

"وألزمه احضار محمد بن هارون، فكاتبه بارس وضمن له اصلاح أمره.

فقصد بخارى فلما بلغها قيد وحمل على جمل، وحبس فمات بعد شهرين محبوسا؛ وكان ابتداء أمر محمد بن هارون أنه كان خياطا، ثم جمع جمعا من أهل الفساد وقطع الطريق في مفازه سرخس مدة، ثم استأمن إلى رافع بن هرثمة وبقى معه إلى أن انهزم من عمرو الصفار فاستأمن إلى إسماعيل السامانى فسيره إسماعيل لقتال العلوى كما قدمناه ثم خرج عليه كما ذكرنا.

وفي سنة إحدى ونسعين ومائتين «١» خرجت الترك في خلق كثير لا يحصون كثرة، وكان عسكرهم سبعمائة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥٣/٢٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٩٨/٢٥

قبة تركية، ولا تكون القبة التركية إلا لرؤسائهم، فوجه إليهم إسماعيل جيشا عظيما وتبعهم خلق من **المطوعة** فوصلوا إلى الترك وهم غادون، فكبسهم المسلمون في الصبح فقتلوا منهم خلقا كثيرا وانهزم الباقون أقبح هزيمة.

ذكر وفاة اسماعيل وولاية ابنه أحمد

كانت وفاته في منتصف صفر سنة خمس وتسعين ومائتين.

ولقب بعد موته بالماضى، وكان رحمه الله تعالى عاقلا عادلا حسن السيرة في رعيته حليما.

حكى عنه أنه كان لولده أحمد مؤدب يؤدبه، فمر به الأمير إسماعيل فسمع المؤدب يسبه، ويقول: لا بارك الله فيك ولا فيمن ولدك. فدخل عليه وقال: يا هذا نحن لم نذنب ذنبا فتسبنا. فهل." (١)

"ذكر أخبار الدولة الصفارية وابتداء أمرها

أول من قام منهم يعقوب بن الليث الصفار، وكان يعقوب هذا وأخوه عمرو يعملان الصفر بسجستان ويظهران الزهد والتقشف، وكان في أيامهما رجل من أهل سجستان اسمه صالح بن النضر الكنانى قد تغلب على سجستان في سنة سبع وثلاثين ومائتين في خلافة المتوكل على الله، فصحبه يعقوب وقاتل معه وجعله صالح مقام الخليفة عنه، فاستنقذ طاهر بن عبد الله بن طاهر- أمير خراسان- سجستان من يده، ثم هلك صالح بعد ذلك فقام مقامه بأمر **المتطوعة** رجل اسمه درهم بن الحسن «١» ، فغلب على سجستان وكان غير ضابط لعسكره وكان يعقوب هو قائد العسكر، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث، وملكوه أمرهم لما رأوه من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمرهم، فلما تبين ذلك لدرهم لم ينازعه في الأمر، وسلمه إليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالأمر؛ وقيل بل احتال صاحب خراسان على درهم حتى قبض عليه، وحمله إلى بغداد فحبس بها ثم أطلق وخدم الخليفة ببغداد، واستقل يعقوب بعده بالأمر وعظم شأنه وتولى أمر **المتطوعة**، وقام بمحاربة الشراة فظفر بهم وأكثر القتل فيهم حتى كاد يفنيهم، وخرب قراهم، وأطاعه أصحابه طاعة لم يطيعوا أحدا قبله، فاشتدت شوكته فغلب على سجستان." (٢)

"ذكر غزوة قشمير وقنوج «١» وغيرهما من الهند

وفي سنة سبع وأربعمائة أيضا بعد فراغ يمين الدولة من خوارزم سار إلى غزنة، ثم منها إلى الهند عازما على غزو قشمير، واجتمع له من **المتطوعة** من بلاد ما وراء النهر وغيره نحو عشرين ألف مقاتل، وسار من غزنة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٣٧/٢٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٧٣/٢٥

إليها سيرا دائما في ثلاثة أشهر، وعبر نهر سيحون، [وجيلم] «٢» ، وهما نهران عميقان شديدا الجرية، ووطىء أرض الهند، وأتته رسل ملوكها بالطاعة، وبذل الأتاوة، فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها «٣» وأسلم على يده، وسار بين يديه إلى مقصده، فبلغ [ماء جون] «٤» في العشرين من شهر رجب، وفتح ما حولها من الحصون المنيعة، حتى بلغ حصن هودب، «٥» وهو أحد ملوك الهند فنظر «هودب» من أعلى حصنه، فرأى من العساكر ما هاله، فعلم أنه لا ينجيه إلا الإسلام، فنزل في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الإخلاص، فأقبل عليه يمين الدولة وأكرمه وسار عنه إلى قلعة كلجند «٦» ، وهو من أعيان الهند، وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها إلا بمشقة،." (١)

"هرب صاحبها، فأخذها يمين الدولة بما فيها، ثم سار إلى قلعة شروه «١» وصاحبها جندارى، فلما قاربه نقل ماله وفيلته إلى جبال هناك منيعة، فنازل يمين الدولة حصنه وافتتحه، وغنم ما فيه وسار في طلب جندارى جريدة، فلحقه في آخر شعبان فقاتله، وقتل رجاله، وأسر كثيرا منهم، وغنم ما معه من مال وفيلة، ونجا جذارى في نفر يسير من أصحابه. ثم عاد يمين الدولة إلى غزنة، فبنى بها الجامع الذى لم يسمع بمثله، وأنفق ما غنم في هذه الغزوة على بنائه. والله أعلم بالصواب.

ذكر أخبار الملوك الخانية بما وراء النهر والأتراك

وفي سنة ثمان وأربعمائة خرج الترك من الصين، وسبب ذلك أن طغان خان مرض مرضا شديدا، وطال به المرض، فطمعوا في البلاد، وساروا من الصين في عدد يزيد على ثلاثمائة ألف خركاه من أجناس الترك منهم الخطا الذين ملكوا ما وراء النهر، فساروا إلى أن قربوا من بلا ساغون «٢» ، وبقى بينهم وبينها ثمانية أيام واستولوا على أطراف البلاد، فسأل طغان خان الله تعالى أن يعافيه لينتقم منهم.

ويحمى البلاد، ثم يفعل به ما يشاء. فعافاه الله تعالى، فجمع العساكر واستنفر جميع بلاد الإسلام، فاجتمع له من **المتطوعة** مائة ألف وعشرون ألف مقاتل، فلما بلغ الترك ذلك رجعوا، فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر، فأدركهم وهم آمنون، فكبسهم، وقتل منهم زيادة على مائتى ألف رجل." (٢)

"دخلوا في دين الإسلام؛ فاستخار الله تعالى، وسار من غزنة في عاشر شعبان من هذه السنة في ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى **المتطوعة**، وسلك طريق الملتان فوصلها في منتصف شهر رمضان، وفي طريقه إلى الهند قفار لا تسلك، لا ماء فيها ولا ميرة، فحمل ما يحتاج إليه هو وعسكره، وزاد بعد

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥٠/٢٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥٢/٢٦

الحاجة عشرين ألف جمل، تحمل الماء والميره، وقصد «١» أنهلوارة، فلما قطع المفازة رأى في طريقها حصونا مشحونة بالرجال فيسر الله فتحها عليه، وامتار منها، وسار إلى أنهلوارة، فوصلها في مستهل ذى القعدة، فهرب عنها صاحبها المدعو نهيم، وقصد حصنا له يحتمى به، فاستولى يمين الدولة على المدينة وسار إلى سومنات، فلقى في طريقه عدة حصون بها كثير من الأوثان تشبه الحجاب والنقباء لسومنات، فقاتل من بها، وفتحها وخربها وكسر أصنامها، وسار «٢» منها إلى مفازة قفر قليلة المياه، فلقى فيها عشرين ألف مقاتل من سكانها لا يدينون لملك، فهزمهم، وغنم مالهم، وامتار من عندهم، وسار حتى بلغ دبو الواره «٣» ، وهى على مرحلتين من سومنات، وقد ثبت." (١)

"الدولة صدقة على هذا الأمر، فقبل ذلك السلطان، فاستدعى إياز وصدقة والوزير سعد الملك، فقاموا ليدخلوا عليه، وكان قد أعد جماعة من خواصه لقتل إياز إذا دخل عليه، فلما دخل ضرب أحدهم رأسه فأبانه، فغطى صدقة وجهه بكمه، وأما الوزير فغشى عليه، وتفرق أصحاب إياز، وكان زوال نعمته العظيمة ودولته في مزحة مزحها غلمانه، ولما كان الغد كفنه قوم من **المتطوعة** ودفنوه.

وكان من جملة مماليك السلطان ملكشاه، وكان غزير المروءة، شجاعا حسن الرأي في الحرب. ولما قتل اختفى وزيره الصفى، ثم أخذ وحمل إلى الوزير سعد الملك، ثم قتل في شهر رمضان، وسار السلطان إلى أصفهان، فوصل إليها في شهر رمضان وأمن أهلها.

ذكر خروج منكبرس «١» على السلطان محمد والقبض عليه

وفي المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة أظهر منكبرس ابن الملك بوزى برس «٢» بن ألب أرسلان، وهو ابن عم السلطان محمد العصيان، والخلاف على السلطان، وسبب ذلك أنه كان بأصبهان، فلحقته ضائقة شديدة، وانقطعت عنه المواد، فسار إلى نهاوند، واجتمع عليه بها جماعة من العسكر، وظاهره على أمره جماعة من الأمراء، فتغلب على نهاوند، وخطب لنفسه بها، وكاتب الأمراء بنى برسق يدعوهم إلى طاعته ونصرته، وكان السلطان محمد قد قبض على أخيهم زنكن بن برسق، فكاتب زنكى إخوته، وحذرهم." (٢)

"جماعة. ثم عجز الفرنج عن الوصول إلى صيدا فعادوا إلى صور والله أعلم «١» .

ثم كانت لهم وقعة ثانية بعد وصول السلطان مع **المتطوعة**.

وذلك أن السلطان لما جاء إلى صور أقام مع اليزك فى خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج للخروج؛ فركب فى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦٢/٢٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٦٠/٢٦

بعض الأيام فى عدة يسيرة لينظر إلى مخيم الفرنج من الجبل، فظن من هناك من **المتطوعة** أنه قصد الغزاة، فساروا مجدين وأوغلوا فى أرض العدو وبعدوا [١٢٨] عن العسكر، وخلفوا السلطان وراء ظهورهم؛ فبعث من يردهم فلم يرجعوا. وظن الفرنج أن وراءهم من يحميهم فأحجموا عنهم؛ فلما علموا بانفرادهم حملوا عليهم حملة رجل واحد، فقتل منهم جماعة من المعروفين؛ فشق ذلك على السلطان والمسلمين. وكانت هذه الوقعة فى تاسع جمادى الأولى.

فلما رأى السلطان ذلك انحدر من الجبل بمن معه، وحمل على الفرنج فردهم إلى الجسر، فرموا بأنفسهم فى الماء، فغرق منهم مائة دارع سوى من قتل. وعادوا إلى مدينة صور، فعادا السلطان إلى تبنين ثم إلى عكا.

ثم كانت وقعة ثالثة فى يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة صبر فيها الفريقان «٢» .

ذكر مسير الفرنج إلى عكا ومحاصرتها

قال المؤرخ: لما كثر جمع الفرنج بصور، على ما ذكرناه من أن السلطان كان كلما فتح حصنا أو مدينة بالأمان سار أهلها إلى صور." (١)

"ولما كان فى يوم الأربعاء- مستهل السنة المباركة- تمم الله على الإسلام بركاتها- فتحنا الخزائن، وبذلنا الأموال، وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان **والمطوعة** «١» ، واجتمع خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى، وجاءوا من كل فج عميق، ومن كل مكان بعيد سحيق. ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح، على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل، فأبينا. ولما كان الليل، تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم، وقصدوا دمياط هاربين، ونحن فى آثارهم طالبين. وما زال السيف يعمل فى أدبارهم، عامة الليل.

وحل بهم الحرب والويل.

فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا، غير من ألقى نفسه فى اللجج. وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج. والتجأ الإفرنسيس إلى المنية «٢» ، وطلب الأمان فأمناه، وأخذناه وأكرمناه. وتسلمنا دمياط بعون الله تعالى، وقوته وجلاله وعظمته. وذكر كلاما طويلا.." (٢)

"والتاسع- أن له اجتهاد رأيه فيما تعلق بالعرف دون الشرع، كالمقاعد فى الأسواق وإخراج الأجنحة، فيقر وينكر من ذلك ما أداه اليه اجتهاده؛ وليس هذا للمتطوع.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٨/٤١٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ال نويري ٢٩/٣٥٧

فهذا هو الفرق بين متولى الحسبة وبين **المتطوعة**، وإن اتفقا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ذكر أوضاع الحسبة وموافقتها للقضاء وقصورها عنه وزيادتها عليه، وموافقتها لنظر المظالم وقصورها عنه

قال: واعلم أن الحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم. فأما ما بينها وبين القضاء، فهى موافقة للقضاء من وجهين، ومقصرة عنه من وجهين، وزائدة عليه من وجهين.

أما الوجهان فى موافقتها أحكام القضاء- فأحدهما جواز الاستعداء اليه. وسماعه دعوى المستعدى على المستعدى عليه [١] من حقوق الآدميين، وليس فى عموم الدعاوى. وإنما يختص بثلاثة أنواع من الدعوى:

أحدها: أن يكون فيما تعلق ببخس وتطفيف فى كيل أو وزن.

والثانى: فيما تعلق بغش أو تدليس فى مبيع أو ثمن.

والثالث: فيما تعلق بمطل وتأخير لدين مستحق مع المكنة. وإنما جاز نظره فى هذه الأنواع الثلاثة من الدعاوى دون ما عداها، لتعلقها بمنكر ظاهر هو منصوب لإزالته، واختصاصها بمعروف بين هو مندوب الى إقامته. وليس له أن يتجاوز ذلك الى الحكم الناجز والفصل البات. فهذا أحد وجهى الموافقة.

---

[١] كذا فى الأحكام السلطانية. وفى الأصل: «وسماعه دعوى المستعدى عليه على المستعدى» وهو تحريف.." (١)

"شواهد الأحوال يكون إنكاره وإقراره. وقد كانت عائشة رضى الله عنها فى صغرها تلعب بالبنات بمشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكره عليها.

وأما ما لم يظهر من المحظورات [١] ، فليس للمحتسب أن يبحث عنها ولا أن يهتك الأستار فيها؛ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أتى من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم حد الله عليه»

. فإن استتر أقوام لارتكاب محظور يخشى فواته مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا برجل ليقتله أو امرأة ليزنى بها، فيجوز له فى مثل هذه الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث، حذرا من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات. وهكذا لو عرف ذلك قوم من **المتطوعة** جاز لهم الإقدام على الكشف والإنكار. وأما ما هو دون هذه الرتبة، فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه. وإن سمع أصوات ملاه منكرة من دار تظاهر أهلها بأصواتهم، أنكرها خارج الدار ولم يهجم عليها

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٩٣/٦

بالدخول.

وأما ما تعلق بالمعاملات المنكرة، كالربا والبيوع الفاسدة وما منع الشرع منه مع تراضى المتعاقدين به اذا كان متفقا على حظره، فعلى والى الحسبة إنكاره والمنع منه والزجر عليه. وامره بالتأديب مختلف بحسب الأحوال وشدة الحظر.

فأما ما اختلف الفقهاء فى حظره وإباحته، فلا مدخل له فى إنكاره، إلا أن يكون مما يضعف الخلاف فيه وكان ذريعة [الى محظور متفق عليه- كربا النقدين:

الخلاف فيه ضعيف، وهو ذريعة الى ربا النساء المتفق على تحريمه- فهل يدخل فى إنكاره، أم لا. وكذلك فى عقود الأنكحة ينكر منها ما اتفق الفقهاء على حظرها،

---

[١] كذا فى الأحكام السلطانية، وفى الأصل: «وأما ما لم يظهر بالمحظورات» .." (١)

"فلذلك لا يجب: على أهل الذمة، والصبيان، والمجانين، والنساء، والعبيد والمرضى بما يمنع القتال، والفقراء العاجزين عن ما يحتاجون إليه من سلاح وغيره لهم ولعيالهم في سفرهم. ولا يجوز استئجار المسلم على الجهاد، لأنه إذا حضر القتال تعين عليه، فيصير الجهاد في حقه فرض عين، وفرض العين لا يجوز أخذ الأجرة عليه.

١٤١ - وليس ما يأخذه الأجناد من العطاء والإقطاع أجرة ولا ما تأخذه **المتطوعة** بالجهاد من الصدقات أجره، ولكنه حق لهم، وجعل لما أرصدوا نفوسهم له. (٥٤ / أ) أما الجعالة على الجهاد، وأخذ الجعل عليه: فجوزه مالك وأبو حنيفة لما روي أن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: " للغازي أجره، وللجاعل أجره وأجر الغازي ". وقال الشافعي: لا يجوز الغزو بجعل، لأن الجهاد يتعين عليه بالحضور، فلا يجوز أخذ الجعل عليه.." (٢)

"فصل (٦)

إذا فرغ من الرضخ قسم الأخمآس الأربعة بين الغانمين من أهل السهام، وهم كل من شهد الوقعة بنية الغزو من الرجال الكاملين المسلمين، الأحرار، والأجناد المرتزقة **والمتطوعة** فيه سواء، والمقاتل وغيره فيه سواء إذا كانا في الصف. والحاضر في أول القتال أو في أثنائه والقتال قائم سواء وقال أبو حنيفة - رحمه الله

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦/٣٠٧

(٢) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ابن جماعة، بدر الدين ص/١٥٧

تعالى: إذا دخل المدد دار الحرب والقتال قائم استحقوا، وإن لم يدركوا القتال أو فتح الحصن. ومن مرض في أثناء القتال لم يبطل حقه. ومن مات أو ماتت فرسه قبل القتال لم يسهم لهما. وإن مات بعد القتال أسهم لهما. وإن مات أثناءه، فالأصح: أنه يسهم للفرس إذا مات في أثناء القتال ولا يسهم للفارس.." (١)

"مبنيا للفاعل، وأما إذا قدر مبنيا للمفعول فالخطاب للمشهود لهم. وقيل: هو راجع إلى ما وقع النهي عنه، والمعنى وإن تفعلوا شيئا مما نهيتكم عنه، أو تتركوا شيئا مما أمرتكم به، فهو عام في جميع التكاليف، فإنه فسوق بكم، أي: خروج عن أمر الله وطاعته.

واتقوا الله أي: في ترك الضرار، أو: في جميع أوامره ونواهيه. ولما كان قوله وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم خطابا على سبيل الوعيد، أمر بتقوى الله حتى لا يقع في الفسق.

ويعلمكم الله هذه جملة تذكر بنعم الله التي أشرفها: التعليم للعلوم، وهي جملة مستأنفة لا موضع لها من الإعراب، وقيل: هي في موضع نصب على الحال من الفاعل في: واتقوا، تقديره: واتقوا الله مضمونا لكم التعليم والهداية. وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون حالا مقدرة. انتهى. وهذا القول، أعني: الحال، ضعيف جدا، لأن المضارع الواقع حالا، لا يدخل عليه واو الحال إلا فيما شذ من نحو: قمت وأصك عينه. ولا ينبغي أن يحمل القرآن على الشذوذ.

والله بكل شيء عليم إشارة إلى إحاطته تعالى بالمعلومات، فلا يشذ عنه منها شيء. وفيها إشعار بالمجازاة للفاسق والمتقي، وأعيد لفظ الله في هذه الجمل الثلاث على طريق تعظيم الأمر، جعلت كل جملة منها مستقلة بنفسها لا تحتاج إلى ربط بالضمير، بل اكتفي فيها بربط حرف العطف، وليست في معنى واحد، فالأولى: حث على التقوى، والثانية: تذكر بالنعم، والثالثة: تتضمن الوعد والوعيد. وقيل: معنى الآية الوعد، فإن من اتقى علمه الله، وكثيرا ما يتمثل بهذه بعض **المتطوعة** من الصوفية الذين يتجافون عن الاشتغال بعلوم الشريعة، من الفقه وغيره، إذا ذكر له العلم، والاشتغال به، قالوا: قال الله: واتقوا الله ويعلمكم الله، ومن أين تعرف التقوى؟ وهل تعرف إلا بالعلم؟.

وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة. مفهوم الشرط يقتضي امتناع الاستيثاق بالرهن، وأخذه في الحضر، وعند وجدان الكاتب، لأنه تعالى علق جواز ذلك على وجود السفر وفقدان الكاتب، وقد ذهب مجاهد، والضحاك: إلى أن الرهن والائتمان إنما هو في السفر، وأما في الحضر فلا ينبغي شيء من

---

(١) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ابن جماعة، بدر الدين ص/٢٢٣

ذلك، ونقل عنهما أنهما لا يجوزان الارتهان إلا في حال السفر، وجمهور العلماء على جواز الرهن في الحضر، ومع وجود الكاتب، وأن الله تعالى ذكر السفر على سبيل التمثيل للإعذار، لأنه مظنة فقدان." (١)

"بدا لأهلها في مخالفة سلطانهم الذي جددنا عهده، وأبرمنا سلمه، وأكدنا عقده، وأوجبنا لتوفر البواعث نصره. فأهنبلنا للحين غرة، وانتهزناها فرصة، وحللنا إليها عقال الفتك، الذي كان قد قيده الإيمان، وسللنا عليها سيف الله الذي أغمدته الموادعة والآمال، بعد أن استخرنا الله، الولي في الغربة، الناصر في الشدة، الذي بيده القدرة والعزة، والحول والقوة، لا إله إلا هو خير الناصرين، ومظهر دينه على كره الكافرين، ونوينا أن نرفع بها هضم الإسكندرية، ونقوم بفرض الكفاية عن الكافة، فأثمرت استخارة الله لدينا، والقوة به، والتوكل عليه، الإستهانة بأسوارها المشيدة، وحماتها البئيسة، وشهرتها الجامحة، فأبرمنا الحزم الذي شحذ التوكل غربه، وسدد الاستبصار سهمه، وأضفى الصبر جنته، وسهلت الثقة بالله حزبه. واستدعينا أهل الجهاد [لتصير الجهاد] ، ونفضنا أطراف البلاد، عن أولى الجلادة على الجلاد، وعينا أمدا أضاف الانحفاز مدته وتحيفت البدار فسحته، وعلى ذلك فاستكثرنا من آلات القتال، ورفعنا المجانيق على أفلاك الأعجال، وأفضنا العطا الذي تجاوز شهور الأستحقاق إلى ما وراءها، مما لم يستهل جنين هلاله، ولا وسمت خيلان الليالي صفحة جماله، وأوصلنا الجيوش إلى المطوعة الغازين والمرتزقة المدونين إلى حقوقها في الغنم المتقدم، والنفل المبارك المتيقن، فتضاعفت الارتياش، وأزيحت العلل، وأخلصت الضماير النصفة، وأطابت القلوب المعدلة، ولما تكاملت الجموع." (٢)

"يروى أن ابن عوف أتى بصرة تملأ الكف، وأن أبا عقيل .. الحديث.

ومحل ﴿لذين يلمزون﴾ [التوبة: ٧٩] نصب بالذم، أو رفع على الذم، أو جر بدلا من الضمير في ﴿سرهم ونجواهم﴾ [التوبة: ٧٨] والمطوعين: المتطوعين المتبرعين. وزعم أبو إسحاق أن الرواية عن ثعلب بتخفيف الطاء وتشديد الواو. وقال: وهو غير جيد. والصحيح تشديدهما. وأنكر ذلك ثعلب عليه، وقال: إنما هو بالتشديد. وقال التدميري في "شرحه": هم الذين يخرجون إلى الغزو بنفقات أنفسهم من غير استعانة منهم برزق وسلطان وغيرهم. قال: ووزنهم المفعلة من الطوع. يقال: طاع له كذا وكذا أي: أتاه طوعا. ولساني لا يتطوع أي: لا ينقاد. وقد طوعوا يطوعون. وهم المطوعة من ذلك.

وقوله: (إن لبعضهم اليوم لمائة ألف) قال شقيق -أحد رواته- فرأيت أنه يعني نفسه. كذا في "صحيح

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢/٧٤٢

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١/١٦٣

الإسماعيلي". وقوله: مائة ألف. كذا هو في البخاري. وكذا شرحه ابن التين، وذكره ابن بطال أيضا (١). وأما شيخنا علاء الدين فكتب بخطه في الأصل: وإن لبعضهم اليوم ثمانية آلاف. ثم قال: وفي "فضل الصدقة" لابن أبي الدنيا مائة ألف. فأبعد النجعة، وصحف ما في البخاري فاحذره.

ومعنى (وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف) أنهم كانوا يتصدقون بما يجدون، وهؤلاء يكنزون المال، ولا يتصدقون.

وفيه: ما كان عليه السلف من التواضع، والحرص على الخير، واستعمالهم أنفسهم في المهن والخدمة، رغبة منهم في الوقوف عند حدود الله، والاقتداء بكتابه، وكانوا لا يتعلمون شيئا من القرآن

---

(١) "شرح ابن بطال" ٣/ ٤١٦.." (١)

"فكان بعد ذلك يغزو ويقول: ادفعوا إلي اللواء وأقيموني بين الصفين فإني لا أستطيع أن أفر (١).

فائدة:

اقتضت الآية فضل المجاهدين على أولي الضرر بدرجة، وعلى القاعدين غير أولى الضرر بدرجات.

قال أبو إسحاق: وكان يقال: الإيمان درجة، والهجرة في سبيل الله درجة، والجهاد في الهجرة درجة، والقتل في الجهاد درجة. وقال ابن محيريز في هذه الآية: هو سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا (٢).

فائدة:

قوله: ﴿القاعدون﴾ إلى آخره ليس بمانع أن يكون في غيره؛ لأن القرآن ينزل في الشيء ويحتمل على ما في معناه، وقد أسلفنا أن ابن أم مكتوم كان يخرج في الجهاد؛ لقوله تعالى: ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ [التوبة: ٤١].

فائدة:

اختلف أهل العلم: أي الجهاد أفضل، **المتطوعة** أم أهل الديوان؟ فذهب الجمهور -كما قال ابن النقيب- إلى الأول، ووجه الثاني أنهم مملكون بالعطاء ينصرفون إلى الثغور بالأوامر.

فائدة:

تعلق بهذه الآية من قال: الغنى أفضل من الفقر؛ لقوله: ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٢٨٣/١٠

(١) رواه ابن المنذر كما في "الدر المنثور" ٢/ ٣٦٣.

(٢) رواه الطبري في "تفسيره" ٤/ ٢٣٣.." [1]

"فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب وكتب في جوابه

من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم

أما بعد فقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما ترى لا ما تسمع ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾

وفي سنة تسعين ومائة سار بنفسه في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة سوى من لم يرد الديوان من الأتباع **والمتطوعة** حتى نزل هرقلة من بلاد الروم وحصرها ثلاثين يوما ثم فتحها وبث ملك الروم بالجزية عن رعيته إليه

ونقض أهل قبرص العهد فأغزاهم من سواحل مصر والشام فسبى وغنم وغزا في خلافته ثماني غزوات وحج ثمان حجات." [2]

"إذا تدفق وهمع «١» ، والنهار إذا تألق ولمع. ولا شيء أعود على الأمة، وأدعى إلى سبوغ النعمة من علو كلمتهم، وارتفاع رايتهم، وتحصين حوزتهم، وإيمان منصتهم، وتأدية الفريضة في مجاهدة أعدائهم، وصرفهم عن غلوائهم، واقتيادهم بالإذلال والصغار، وكبحهم بشكائم الإهوان والاقتسار، ومواصلتهم بغزو الديار، وتعفية الآثار، وإيداع الرعب في صدورهم، وتكذيب أماني غرورهم، ووعظهم بألسنة القواضب، ومكاتبتهم على أيدي الكتائب: لما في ذلك من ذل الشرك وثبوره، وعز التوحيد وظهوره، ووضوح حجة أولياء الله تعالى على أعدائه بما ينزله عليهم من نصره ومعونته، ويؤيدهم به من تأييده وعنايته؛ لا جرم أن أمير المؤمنين مصروف العزمة، موقوف الهمة، على تنفيذ البعوث والسرايا، والمواصلة بالجيوش والعرايا «٢» ، وتجهيز المرتزقة من أولياء الدولة، وحض **المطوعة** من أهل الملة، على ما أمر الله تعالى به من غزو المشركين، وجهاد الملحدين، نافذا في ذلك بنفسه، وباذلا فيه عزيز مهجته، عند تسهل السبل إلى البعثة، ووجود الفسحة، ومعولا فيه عند التعذر على أهل الشجاعة والرجاحة من أعيان أهل الإسلام الذين أيقنت ضمائرهم، وخلصت بصائرهم، ورغبوا في عاجل الذكر الجميل وآجل الأجر الجزيل، وأمير المؤمنين يسأل الله تعالى أن يجريه فيما يصدر ويورد، على أفضل ما لم يزل يولى ويعود: من التوفيق في رأيه وعزمه، والتسديد في تدبيره وحزمه، ويؤتيه من ذلك أفضل ما آتاه وليا استخلفه، وأمينا كفله عباده وكلفه؛ وما توفيق

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٢٥٨/٢٢

(٢) مآثر الإنافة في معالم الخلافة القلقشندي ١٩٦/١

أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب.

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين ممن يعده لجلائل مهماته، ويعده من أعيان كفاته، ورآه سدادا للخلل، وعمادا في الحادث الجلل، وسهما في كنانته صائبا وشهابا في سماء دولته ثاقبا، وسيفا بيد الدين قاطعا، ومجنا عن الحوزة دافعا،." (١)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤١٦/٥١

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٥/١٨٣

"بغنيمة جليلة، فعقد موسى بن نصير صاحب المغرب لمولاه طارق بن زياد على الأندلس، ووجهه مع يليان صاحب سبتة، انتهى.

وسيأتي في أمر طريف وغيره ما يخالف هذا السياق (١) ، وهي أقوال.

وقال ابن حين: إن أول أسباب فتح الأندلس كان أن ولى الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز على إفريقية وما خلفها سنة ثمان وثمانين فخرج في نفر قليل من **المطوعة**، فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا، وفعل ذلك في إفريقية، وجعل على مقدمته مولاه طارقا، فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مدائنهم، حتى بلغ مدينة طنجة، وهي قصبة بلادهم وأم مدائنهم فحصرها حتى فتحها، وأسلم أهلها، ولم تكن فتحت قبله، وقيل: بل فتحت ثم استغلقت.

وذكر ابن حيان أيضا استصعاب سبتة على موسى بتدبير صاحبها الداهية الشجاع يليان النصراني، وأنه في أثناء ذلك وقع بينه وبين لذريق صاحب الأندلس، ثم سرد ما يأتي ذكره.

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله: وحديث الفتح، وما من الله به على الإسلام من المنح، وأخبار ما أفاء الله من الخير، على موسى بن نصير، وكتب من جهاد، لطارق بن زياد، مملول قصاص وأوراق، وحديث أفول وإشراق، وإرعاد وإبراق، وعظم امتشاش، وآلة معلقة في دكان قشاش، انتهى.

وقال في المغرب: طارق بن زياد من إفريقية.

وقال ابن بشكوال: إنه طارق بن عمرو، فتح جزيرة الأندلس ودوخها، وإليه نسب جبل طارق الذي يعرفه العامة بجبل الفتح، في قبلة الجزيرة الخضراء، ورحل مع سيده بعد فتح الأندلس إلى الشام وانقطع خبره، انتهى.

---

(١) ك: الانسياق.." (١)

"[ملخص خبر الفتح من الكتاب الخزائني]

وفي الكتاب الخزائني وغيره سياقة فتح الأندلس على أتم الوجوه، فلنذكر ملخصه، قالوا: استعمل أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك - رحمه الله تعالى - موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز بن مروان، ويقال: بل هو بكري، وذلك أن أباه نصيرا أصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد - رضي الله عنه - في عين التمر، فادعوا أنهم رهن، وأنهم من بكر بن وائل، فصار نصير وصيفا لعبد العزيز بن مروان، فأعتقه،

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمسانی ١/ ٢٣٠

فمن هذا يختلف فيهن وقيل: إنه لخمي، وعقد له على إفريقية وما خلفها في سنة ثمان وثمانين، فخرج إلى ذلك الوجه في نفر قليل من **المطوعة**، فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا، وأتى إفريقية عملهن فأخرج من أهلها معه ذوي القوة والجلد، وصير على مقدمته طارقبن زياد، فلم يزل يقاتل البربر ويفض جموعهم، ويفتح بلادهم ومدائنهم، حتى بلغ طنجة، وهي قصبة ملك البربر وأم مدائنهم، فحصرها حتى افتتحها - وقيل: إنها لم تكن افتتحت قبله، وقيل: افتتحت ثم ارتجعت - فأسلم أهلها، وخطها قيروانا للمسلمين، ثم ساروا إلى مدائن على شط البحر فيها عمال لصاحب الأندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها، ورأس تلك المدائن سبتة، وعليها علج يسمى يليان، قاتله موسى فألفاه في نجدة وقوة وعدة فلم يطقه، فرجع إلى مدينة طنجة فأقام بمن معه، وأخذ في الغارات على ما حولهم والتضييق عليهم، والسفن تختلف إليهم بالميرة والأمداد من الأندلس من قبل ملكها غيطشة، فهم يذبون عن جريمهم ذبا شديدا، ويحمون بلادهم حماية تامة، إلى أن هلك غيطشة ملك الأندلس، وترك أولادا لم يرضهم أهلها للملك، فاضطرب حبل أهل (١) الأندلس، ثم تراضوا بعلج من كبارهم يقال له لذريق مجرب شجاع بطل، ليس من بيت أهل الملك، إلا

(١) أهل: سقطت من ق.." [1]

"قرطبة، فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه، فقال له ابن عباد: أنت رسولي إليه في ذلك، فامتنع، وإنما أراد أن يبرئ نفسه من ذلك، فألح عليه المعتمد، فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فوجده بسبتة، وأبلغه الرسالة وأعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش، ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس، وأرسل إلى مراكش في طلب من بقي من العساكر، فأقبلت إليه يتلو بعضها بعضا، فلما تكاملت عنده عبر البحر، واجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية، وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا، وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير، وقصده **المطوعة** من سائر بلاد الأندلس، ووصلت الأخبار إلى الأذفونش فجمع عساكره، وحشد جنوده، وسار من طليطلة، وكتب إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يغلظ له في القول، ويصف ما معه من القوة والعدد والعدد، وبالغ في ذلك، فلما وصله وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر ابن القصيرة أن يجيبه، وكان كاتبا مفلقا، فكتب وأجاد، فلما قرأه على أمير المسلمين قال: هذا كتاب طويل، أحضر كتاب الأذفونش واكتب في ظهره: الذي يكون ستراه

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥٢٥/١

وأرسله إليه، فلما وقف عليه الأذفونش ارتاع له، وعلم أنه بلي برجل لا طاقة له به.
وذكر ابن خلكان (١) أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة، وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملا قط ولا خيلهم، فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها، وكان ليوسف في عبور الجمال رأي مصيب، فكان يحدق بها عسكره، ويحضرها للحرب، فكانت خيل الفرنج تجمح منها، وقدم يوسف بين يديه كتابا للأذفونش يعرض عليه فيه الدخول في الإسلام أو الجزية أو الحرب، كما هي السنة، ومن جملة ما في الكتاب: بلغنا يا أذفونش أنك دعوت إلى الاجتماع بنا، وتمنيت أن

---

(١) وفيات الأعيان ٦: ١١٥.." (١)

"الهزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى، قتل فيها من **المطوعة** نحو من عشرين قتيلا، ولم يقتل فيها من العسكر أحد، وكان على المسلمين الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي ألف الفتح باسمه قلائد العقيان وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة، وممن حضرها الشيخ أبو علي الصدفي السابق الذكر، وقرينه في الفضل أبو عبد الله ابن الفراء خرجا غازيين، فكانا ممن فقد فيها.
وقال غير واحد: إن العسكر انصرف مفلولا إلى بلنسية، وإن القاضي أبا بكر ابن العربي كان ممن حضرها، وسئل مخلصه منها عن حاله، فقال: حال من ترك الخباء والعباء، بمعنى أنه ذهب جميع ما لديه.
لوشة - ٦٢٢
ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة (١) ، مع السيد أبي محمد البياسي في الفتنة التي كانت بينه وبين العادل، فعاثوا فيها أشد العيث، ثم ردها المسلمون إلى أن أخذت بعد ذلك كما يأتي.
المرية - ٥٤٢
ودخل العدو مدينة المرية يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، عنوة، وحكى أبو زكريا الجعيدي (٢) عن أبي عبد الله بن سعاد الشاطبي المعمر أن أبا مروان ابن ورد أتاه في النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه في عضديه من خلفه، وهزه هزا عنيفا حتى أرعبه، وقال له قل:

---

(١) سنة ٦٢٣ عند ابن عذاري (٣: ٢٤٩) .

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٦١/٤

(٢) الجعيدي هو يحيى بن زكريا بن علي بن يوسف الأنصاري البلنسي، توفي سنة ٦١٩ (التكملة رقم: ٢٠٦٣) . وفي ص: الحميدي، وهو خطأ.." (١)
"الكاتب: جمال الدين القاسمي

ميزان الجرح والتعديل [*]

(٢)

درء وهم واشتباه

يقول بعضهم: إن مسلما روى عن ابن عباس أنه قال في نجدة الحروري:
(لولا أن أرده عن نتن يقع فيها ما كتبت إليه ولا نعمة عين) . قال النووي:
كان ابن عباس يكرهه لبدعته وهي كونه من الخوارج.
والجواب: أنه لا يلزم من كراهة الفرد كراهة المجموع، وإلا لما خرج
لثقاتهم وعلمائهم الشيخان وغيرهما، وهل يؤخذ الجميع بجريرة الفرد؟ على
أن نجدة ليس من رجال الرواية عند المحدثين، فقد ضعفه الذهبي في (ميزان
الاعتدال) وقال عنه: ذكر في الضعفاء للجوزجاني، على أن الحال وصل
إليه في قومه أن يختلفوا عليه وينبزوه بالكفر كما تراه في كتاب (الفرق)
للإمام أبي منصور البغدادي، والملل والنحل للشهرستاني وغيرهما، فلا نعمة
عين - كما قال ابن عباس - ولو كان يكره كل خارجي لبدعته لما أخرج
لأثباتهم أئمة السنة في الصحاح والمسانيد، ويكفي أن الإمام مالكا رضي الله
عنه عد ممن يرى رأيهم، كما رواه الإمام المبرد في كامله [١] . ومن عزا لك
ما يأثره، وأراك مصدره، فقد أوقفك من المسالك على الصراط المستقيم.
ومن الغريب أن يستدل بعضهم على معاداة المبدعين بأمر النبي صلى الله
عليه وسلم بهجر الثلاثة الذين خلفوا، ورفض تكليمهم حتى تيب عليهم، مع
أنه لا تناسب بين دليله والدعوى بوجه ما؛ لأن البحث في الرواة المجتهدين
الثقات المتقنين الذين ما نبذ السلف مرويهم لرأي رأوه أو مذهب انتحلوه، فهل كان

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤/٤٦١

المخلفون كذلك؟ وما المناسبة بين قوم هجرهم النبي صلى الله عليه وسلم لذنب محقق اعترفوا به حتى تيب عليهم، وقوم لا يرون ما هم عليه إلا طاعة وعقدا صحيحا يدان الله به، وتنال النجاة والزلفى بسببه؟ فالإنصاف يا أولي الألباب الإنصاف، وحذار من الجري وراء التعصب والاعتساف.

غريب أمر المتعصبين والغلاة الجافين، تراهم سراعا إلى التكفير والتضليل والتفسيق والتبديع، وإن كان عند التحقيق لا أثر لشيء من ذلك إلا ما دعا إليه الحسد، أو حمل عليه الجمود وضعف العلم، وجهل مشرب البخاري ومسلم، وأصحاب المسانيد والسنن هداة الأمة، ولا قوة إلا بالله.

* * *

ثمرة الرفق بالمخالفين

قال بعض علماء الاجتماع: يختلف فكر عن آخر باختلاف المنشأ والعادة والعلم والغاية، وهذا الاختلاف طبيعي في الناس، وما كانوا قط متفقين في مسائل الدين والدنيا، ومن عادة صاحب كل فكر أن يحب تكثير سواد القائلين بفكره، ويعتقد أنه يعمل صالحا ويسدي معروفا وينقذ من جهالة ويزع عن ضلالة، ومن العدل أن لا يكون الاختلاف داعيا للتنافر ما دام صاحب الفكر يعتقد ما يدعو إليه، ولو كان على خطأ في غيره؛ لأن الاعتقاد في شيء أثر الإخلاص، والمخلص في فكر ما إذا أخلص فيه يناقش بالحسنى؛ ليتغلب عليه بالبرهان، لا بالطعن وإغلاظ القول وهجر الكلام، وما ضر صاحب الفكر لو رفق بمن لا يوافقه على فكره ريثما يهتدي إلى ما يراه صوابا، ويراه غيره خطأ، أو يقرب منه، وفي ذلك من امتثال الأوامر الربانية، والفوائد الاجتماعية ما لا يحصى، فإن أهل الوطن الواحد لا يحيون حياة طيبة إلا إذا قل تعاديهم، واتفقت على الخير كلمتهم، وتناصفوا وتعاطفوا، فكيف تريد مني أن أكون شريكك، ولا تعاملني معاملة الكفؤ على قدم المساواة؟

دع مخالفك - إن كنت تحب الحق - يصرح بما يعتقد، فإما أن يقنعك وإما أن تقنعه، ولا تعامله بالقسر، فما قط انتشر فكر بالعنف، أو تفاهم قوم

بالطيش والرعونة، من خرج في معاملة مخالفه عن حد التي هي أحسن يحرجه فيخرجه عن الأدب ويحوجه إليه؛ لأن ذلك من طبع البشر مهما تثقفت أخلاقهم وعلت في الآداب مراتبهم.

وبعد فإن اختلاف الآراء من سنن هذا الكون، هو من أهم العوامل في رقي البشر، والأدب مع من يقول فكره باللطف قاعدة لا يجب التخلف عنها في كل مجتمع، والتعادي على المنازع الدينية وغيرها من شأن الجاهلين لا العالمين، والمهوسين لا المعتدلين. اهـ مع تلخيص وزيادة.

ولا يخفى أن الأصل في هذا الباب قوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (العنكبوت: ٤٦) وقوله سبحانه: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ (البقرة: ٨٣) وقوله جل ذكره: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ (الحجرات: ١١) ولا تنس ما أسلفنا عن السلف في تفسيرها.

* * *

حملة الأعلام المحققين على المتفقهة المكفرين

لما استفحل الرمي بالتكفير والتضليل لخيار العلماء في منتصف قرون الألف الأولى من الهجرة ضجت عقلاء الفقهاء، وصوبت سهام الردود في وجوه زاعمي ذلك، حتى قالت الحنفية – عليهم الرحمة – ما معناه: (لو أمكن أن يكفر المرء في أمر من تسعة وتسعين وجها، ومن وجه واحد لا يكفر؛ يرجح عدم التكفير على التكفير لخطره في الدين) .

ولم يشتد الرمي بالتكفير والإرهاق لأجله والإرجاف به في عصر من العصور مثل القرن الثامن للهجرة، ومن سبر تاريخ الحافظ ابن حجر المسمى (بالدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) أخذه من ذلك المقيم المقعد؛ إذ يرى أن العالم الجليل الذي هو زينة عصره وتاج دهره، كان لا يأمن على نفسه من الإفك عليه والسعاية به فيما يكفره ويحل دمه، حتى صار يخشى

على نفسه من أخذت منه السن، وأقعده الهرم، وأفلجته الشيخوخة، ولا من راحم أو منصف –كما تقرأ ذلك في ترجمة علاء الدين العطار تلميذ الإمام النووي، وأنه مع زمانته، وكونه صار حلس بيته، يتأبط دائما وثيقة أحد القضاة بصحة إيمانه وبراءته من كل ما يكفره، ولقد أريقت دماء محرمة، وعذبت أبرياء بالسجون والنفي والإهانات باسم الدين، وروعت شيوخ وشبان أعواما وسنين، حتى عج لسان حالها وقالها بالدعاء إلى فاطر الأرض والسموات، بكشف هذه الغمم والظلمات، ولم يزل سبحانه يملي لها ويستدرجها في غيها، ولم تحسب للأيام ما خبئ لها في طيها، إلى أن امتلأ إناؤها، وحان حصدها وإفناؤها، فأخذها الله وهي ظالمة جائرة، ودارت على دولتها الدائرة، ومحق الله بفضله تلك الدولة المجنونة الجاهلة، وأورثها للدولة الصالحة العاقلة، فأمنت الناس على أنفسها ودمائها، وذهبت عصبة الجمود بزبدها وغثائها.

سيقول بعض الناس ممن تغره القشور، ولم تقف مداركه على لباب روح العصور: إن تلك الدماء المراقة والأرواح المهدرة، لم يحكم عليها إلا بالبينة والشهود، التي بمثلها تقام الحدود، وهل بعد ذلك من ملام أو جحود؟ يقول ويجهل أو يتجاهل أن التعصب يحمل على الأخذ بالظنة، أو الإيقاع بالشبهة، وأن **المتطوعة** بالشهادة قد يحملهم على اختلاقها ظن الأجر بنصرة الدين بقتل هؤلاء المساكين، لا سيما إذا دفعوا بتشويق المتصولحين والمتمفقرين [٢] ، والحشوية البكائين، احتيالا وقنصا للمغفلين.

ولقد استفيض عن كثير من هؤلاء الضالين المضلين الإغراء بقتل الداعين إلى الكتاب والسنة، والمجاهدين في الإصلاح العاملين، على أن قاعدة المحققين هي عدم البت في أمر تاريخي إلا بعد تعرفه من أطرافه، ومراجعة عدة أسفار للوقوف على كنهه وحقيقته، والإشراف على غثه وسمينه، ووزنه بميزان العقول السليمة، والقواعد الاجتماعية المعقولة، كما أشار إليه الإمام ابن خلدون في مقدمته.

نحن لم نصم أعمال أولئك بالظلم والجور والبغي إلا لما فضح نبذا منها الإمام زين الدين ابن الوردي الشهير صاحب (البهجة، واللامية، والديوان، والمقامات) فقد شفى بالحقيقة الأوام، وأوضح عن مكر أولئك بالتمويه والإيهام في مقالة بديعة أنشأها في القاضي الرباحي المالكي [٣] سماها (الحرقة للخرقة) . ولا بأس بنقل جمل منها تأييدا لما قلناه، قال رضي الله عنه: أما بعد، حمدا لله الذي لا يحمد على المكاره سواه، والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي خاف مقام ربه وعصم من اتباع هواه، وعلى آله وصحبه الذين بذل كل منهم في صون الأمة قواه، وسلمت صدورهم من فساد النيات، وإنما لكل امرئ ما نواه، فإن نصيحة أولي الأمر تلزم، والتنبيه على مصالح العباد قبل حلول الفساد أحزم، والمتكلم لله تعالى مأجور، والظالم ممقوت مهجور، وتحسين الكلام لدفع الضرر عن الإسلام عبادة، والنثر والنظم للذب عن أهل الإسلام من باب الحسنى وزيادة، وجرحة الحاكم الأعراض بالأغراض صعبة؛ إذ نص الحديث النبوي: أن حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة، ومخرق خرقته مذموم، ولحم العلماء مسموم، وهذه رسالة أخلصت فيها النية، وقصدت بها النصيحة للرعاة والرعية، أودعتها من جوهر فكري كل ثمين، وناديت بها على هزيل ظلم أبناء جنسي مناداة اللحم السمين، لكن جنبتها فحش القول؛ إذ لست من أهله، وخلدتها في ديوان الدهر شاهدة على المسيء بفعله، ورجوت بها الثواب، نصرة للمظلوم، وغيرة على حملة العلوم، وسميتها: (الحرقة للخرقة) فقلت: اعلموا يا ولاة الأمر، ويا ذوي الكرم الغمر، أبقاكم الله بمصر [٤] للأمة، ووفقكم لدفع الإصر وبراءة الذمة، أن حلب قد نزعت للزبدة، ووقعت من ولاية التاجر الرباحي في خسر وشدة، قاض سلب الهجوع وسكب الدموع، وأخاف السرب، وكدر الشرب، بجراءته التي طمت وطمت، وعمايته التي عمت وغمت، وفتنته التي بلغت الفراقد، وأسهرت ألف راقد، ووقاحته التي أدهشت الألباب، وأخافت النطف في الأصلاب، فكم لطخ من زاهد، وكم أسقط من شاهد، وكم رعب

بريا، وكم قرب جريا، وكم سعى في تكفير سليم، وكم عاقب بعذاب أليم، وكم قلب ذائب، بنائبة توسط بها عند النائب، فامتنعت الأمراء عن الشفاعة، وظنوا هم والنائب أن هذا امتثال لأمر الشرع وطاعة:

يا حامل النائب في حكمه أن يقتل النفس التي حرمت

غششته والله في دينه بشراك بالنار التي أضرمت

(إلى أن قال الزين ابن الوردي) : ثم إنه فسق مفتيا في الدين، وفضح خطيبا على رؤوس المسلمين، ثم قال: يحب إثبات الردة والكفر كحب الدنانير الصفر.

حاكم يصدر منه ... خلف كل الناس حفر

يتمنى كفر شخص ... والرضا بالكفر كفر

(ثم قال) : إذا وقع عنده عالم فقد وقع بين مخالب الأسود، وأنياب الأفاعي السود:

أدركوا العلم وصونوا أهله ... من جهول حاد عن تبجيله

إنما يعرف قدر العلم من ... سهرت عيناه في تحصيله

ثم قال: ما أقدره على السفير، وما أسهل عليه التفسيق والتكفير، كم دعى إلى بابلة فما ارتاح إلى الباب، ونراه حيران لعدم الرقة، فإذا قيل له: فلان قد كفر، طاب، يحبس على الردة بمجرد الدعوى، ويقوي شوكته على أهل التقوى، قد ذلل الفقهاء والأخيار، وجرأ عليهم السفهاء والأغيار:

يحبس في الردة من ... شاء بغير شاهد

لا كان من قاض حكى الـ ... فقاع جد بادر

أراح الله من تعرضه، وصان عراض الأعراض من تعرضه، يقصد بذلك أهل الدين، والقراء المجودين:

جرحت الأبرياء فأنت قاض ... على الأعراض بالأغراض ضاري

ألم تعلم بأن الله عادل ... (ويعلم ما جرحتم بالنهار)

هذا بعض ما جاء في رسالة الإمام ابن الوردي التي هي أشبه بمقامة بديعية،

وكلها حقائق صادقة ناطقة بما كان عليه تعصب قضاة ذلك الوقت، ولا سيما المالكية منهم، ولقد كان قضاة المذاهب يحيلون الأمر في التعزير والتأديب إلى القاضي المالكي لما اشتهر في الفقه المالكي من مضاعفة النكال، وشدة التأديب في باب التعزير؛ إذ بسط للقاضي يده فيه بسطا لم يوجد في مذهب غيره، فلذا كان محبو الانتقام والتشفي يعمدون إلى إحالة القضية إلى القاضي المالكي؛ لما يعلمون ما وراء قضائه، مما فصل بعضه الإمام ابن الوردي كما قرأت، على أن الأمر في التعصب لم يقف عند القاضي المالكي وحده لنتعصب ضده، وإنما كان هو الأقوى تعصبا والأشد تصلبا، وإلا فإن مظهر ذاك العصر كان التعصب لجميعهم، فقد حكى الشيخ الشعراني رحمه الله تعالى في مقدمة طبقاته الكبرى المسماة بلواقح الأنوار ما مثاله: وقد أخبرني شيخنا الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري بمصر المحروسة أن شخصا وقع في عبارة موهمة للتكفير، فأفتى علماء مصر بتكفيره، فلما أرادوا قتله قال السلطان جقمق: هل بقي أحد من العلماء لم يحضر؟ فقالوا: نعم، الشيخ جلال الدين المحلي شارح المنهاج، فأرسل وراءه فحضر، فوجد الرجل في
الحديد بين يدي السلطان، فقال الشيخ: ما لهذا؟ قالوا: كفر، فقال: ما مستند من أفتى بتكفيره، فبادر الشيخ صالح البلقيني من مشاهير الشافعية، وقال: قد أفتى والدي شيخ الإسلام الشيخ سراج الدين في مثل ذلك بالتكفير، فقال الشيخ جلال الدين رضي الله عنه: يا ولدي أتريد أن تقتل رجلا مسلما موحدا يحب الله ورسوله بفتوى أبيك؟ حلوا عنه الحديد، فجردوه، وأخذه الشيخ جلال الدين بيده وخرج والسلطان ينظر، فما تجرأ أحد يتبعه رضي الله تعالى عنه.

وقد عد الشعراني من الأعلام الذين أكفرهم الجامدون المتعصبون ما يقرب من الثلاثين، فمنهم القاضي عياض، اتهموه بأنه يهودي؛ لملازمته بيته للتأليف نهار السبت، وذكر أن المهدي قتله.

ومنهم الإمام الغزالي كفره قضاة المغرب وأحرقوا كتبه، ومنهم التاج السبكي رموه بالكفر مرارا، وسجن أربعة أشهر [٥] ، وكل هذا إنما كان بزعم المتعصبين بشهادات وأقضية وفتاوى، ولكن سرعان ما فضحهم التاريخ

وكشف عوارهم، كما حكاه الشعراني وغيره، والحمد لله الذي جعل الباطل زهوقا.

وهكذا يمر بتواريخ تلك القرون ما لا يحصى من حوادث من أقيمت عليهم الفتن، واتهموا بما اتهموا به، مع أن الحدود تدرأ بالشبهات، ونعني بالحدود ما نص عليه في الكتاب العزيز والسنة الغراء. فإذا كانت في تلك المكانة وقد شرع فيها محاولة درئها بالشبهات، فكيف بحدود لا سند لها إلا بالاجتهاد، وليس لها أصل قاطع، ولا نص محكم، فلا ريب أنها أولى بالدرء، وأجدر بالدفع، ولا يدري المرء ما الذي حملهم على نسيان هذه الموعظة حتى عكسوا القضية، وأصبحوا يكبرون الصغير، ويعظمون الحقير، ويهولون الأمور، ويدعون بالويل والثبور، مما لا يقومون بعشره للمنكرات المجمع عليها، والكبائر التي يجاهر بها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ولما تشددت القضاة المالكية في هذا الباب، أصبحوا هدفا لأولي الألباب، حتى قال الإمام ابن الوردي في ذاك القاضي المتقدم الرباحي: إن المالكية بدمشق كتبوا إليه: يا مغلوب، لقد بغضت مذهب مالك إلى القلوب، وقطعت المذاهب الأربعة عليه بالخطا، وزالت بهجته عند الناس وانكشف الغطا، إلخ.

والسبب في ذلك ما ابتدعه الملك الظاهر برقوق من توظيف قضاة أربعة على المذاهب الأربعة مما لم يعهد قبله في دولة من الدول، حتى نشأ من ذلك ما نقمه عليه الأعلام، وعدوه من التفرقة في الإسلام، قال التاج السبكي في طبقاته [٦] ، في ترجمة قاضي القضاة بالديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعي المتوفى سنة ٥٦٦، ما مثاله: وفي أيامه جدد الملك الظاهر القضاة الثلاثة في القاهرة، ثم تبعتها دمشق وكان الأمر متمحضا للشافعية، فلا يعرف أن غيرهم حكم في الديار المصرية منذ وليها أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي في سنة ٢٨٤ إلى زمان الظاهر إلا أن يكون نائب يستنيبه بعض قضاة الشافعية في جزئية خاصة، وكذا دمشق لم يلها بعد أبي زرعة المشار إليه إلا شافعي غير التلاشا عوني التركي، الذي وليها يويمات

وأراد أن يجدد في جامع بني أمية إماما حنفيا، فأغلق أهل دمشق الجامع، وعزل القاضي [٧] .

(قال السبكي) : واستمر جامع بني أمية في يد الشافعية، كما كان في زمن الشافعي رضي اللہ عنه، قال: ولم يكن يلي قضاء الشام والخطابة والإمامة بجامع بني أمية إلا من يكون على مذهب الأوزاعي إلى أن انتشر مذهب الشافعي، فصار لا يلي ذلك إلا الشافعية. ثم قال السبكي: وقد حكي أن الملك الظاهر رؤي في النوم فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: عذبني عذابا شديدا بجعل القضاة أربعة، وقال: فرقت كلمة المسلمين. اهـ.

ولا يخفى على ذي بصيرة ما حصل من تفرق الكلمة، وتعدد الأمراء واضطراب الآراء، وقد قال أبو شامة لما حكى ضم القضاة، أنه ما يعتقد أن هذا وقع قط. قال السبكي: وصدق فلم يقع هذا في وقت من الأوقات، قال: وبه حصلت تعصبات المذاهب، والفتن بين الفقهاء، فإنه يؤيد ما قدمناه من اتخاذ هذه آلة للفتن والتشفي من المخالفين، حتى أدال الله من تلك الدولة للسلطان سليم خان، فنسخ كل ذلك، وقصر الأمر على قاض حنفي واحد، ولا ريب أن هذا كان من النعم الكبيرة، إذ قمعت به فتن خطيرة، وحسمت به شرور وفيرة، نعم لم يزل في الأمر حاجة إلى الكمال، وهو سعي أولي الحل والعقد بعقد مؤتمر علمي من كبار فقهاء المذاهب المعروفة، وتأليف مجلة تستمد من فقه سائر الأئمة الأربعة وغيرهم مما فيه رحمة ويسر، ومشى مع المصالح والمنافع، ودفع المضار في أبواب المعاملات، فبذلك تظهر محاسن الدين في الأقضية والأحكام، ويعرف أنه دين المدنية في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة وساعة القيام، وإن اليوم الذي تتحقق فيه هذه الأمنية لهو أسعد الأيام، والمستعان بالله ذي الجلال والإكرام اهـ.

(*) لعالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي.

(١) جزء ٢.

(٢) المتمفقر: كالمتمسكن مدعي الفقر، أي: التصوف، وليس من أهله.
(٣) راجعها في ص (١٩٠) من المجموعة الأدبية التي طبعت في مطبعة الجوائب عام (١٣٠٠) ، مشتملة على لامية العرب وشرحها وشرح المقصورة الدريدية، وديوان ابن الوردي، وديوان الخشاب ورسائله.
(٤) كانت مصر في عهد المؤلف، وهو القرن الثامن: عاصمة دولة المماليك.
(٥) ذكر السبكي محنته هذه في آخر منظومة له في الفقه، عندي الكراسة الأخيرة منها.
(٦) جزء (٥) ص (١٣٤) .
(٧) تأمل هذا التعصب واسترجع وحوقل، أين غاب عنهم فضل سائر الأئمة المبتوعين الأربعة وغيرهم، وكيف نسوا أن الناس عيال عليهم، تستمد من بركة فقههم واستنباطهم وتأصيلهم وتفريعهم؟ ما أجمد قوما يزعمون أنهم تعبدوا بمذهب واحد، أو اتباع إمام واحد، أو ما علموا أن كلهم من رسول الله ملتمس، وأن الله تعالى إنما تعبد الناس بتنزيله الكريم وهدي نبيه المعصوم.." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

معاهدة الصلح مع تركية

خلاصتها

في يوم ١٢ مايو سنة ١٩٢٠ عقدت في (قاعة الساعة) بوزارة الخارجية
الإفرنسية جلسة ذات خمس دقائق حضرها سفير إنكلترة ، وسفير إيطالية ، وسفير
اليونان ، ومندوب بلجيكا ، ومندوب اليابان ، ومندوب الحجاز ، ومندوب الصين ،
ومندوب البرتغال ، ومندوب رومانية ، ومندوب التشك سلوفاكية ، ومندوب الصرب، ورئيس الوفد الأرمني،
وبعد التئام المجلس أدخل المسيو فوكير الوفد
التركي يرافقه ضابط إيطالي فقام الجميع، وبعد أن جلس رئيس الوفد توفيق
باشا في المكان المعد له، وإلى جانبه وزير الداخلية رشيد باشا ، وفخر الدين بك
وزير المعارف، والدكتور جمال باشا وزير النافعة والأشغال، قال الموسيو
ميللران رئيس وزارة فرنسة:

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٣٠/١٦

حضرات مندوبي السلطنة العثمانية:
(إن الدول الحليفات نطن بي أن أقدم لكم هذا المشروع للمعاهدة، وهن يطلبن منكم قبوله، وقررن أن تكون المناقشة كتابة، فتفضلوا بتقديم ملاحظاتكم مكتوبة لتجابوا عليها كتابة، ولكم مدة شهر لتبلغوا ملاحظاتكم، وإننا مستعدون منذ الآن بأن نتلقى كل مستند ترون إبلاغه لنا) .
وبعد أن أتم خطابه مبينا بأن تركية هي التي أطالت زمن الحرب على
الأحلاف إلخ، قدم الموسيو فوكير نسخة من مشروع معاهدة الصلح لرئيس الوفد، فرد الرئيس بهذه الكلمة: (الوفد يحفظ لنفسه الحق بأن يرد على الدول الحليفات في الموعد المضروب بعد أن يدرس شروط الصلح التي قدمت إليه درسا دقيقا) .
وهاك الخلاصة التي نشرتها صحف باريز ولندن من المعاهدة:
***

الشروط السياسية

الآستانة

يسلم الفريقان بتأييد سيادة تركية على الآستانة ، ولكن على شرط هو أنه إذا أخلت تركية باتباع أحكام المعاهدة، أو المعاهدات، أو الاتفاقات الملحقة بها لا سيما ما يتعلق بحماية الأقليات – فإن للدول المتحالفة تعديل القرارات السابقة، وتتعهد تركية بأن تقبل كل التدابير التي تتخذ بهذا الشأن.

البواغيز

تفتح طريق الملاحة بالمستقبل في البواغيز – أي: الدردنيل وبحر مرمرا والبوسفور – في زمن الحرب وزمن السلم لجميع المراكب التجارية والحربية، وللطيارات المائية البحرية والتجارية بلا تمييز بين الرايات، ولا تكون مياه تلك البواغيز موضوعا للحصر البحري، ولا يجوز إتيان أي عمل فدائي فيها إلا فيما يلزم لإنفاذ قرار من قرارات عصبة الأمم، وستنشأ لجنة للبواغيز للقيام بالمراقبة عليها، وستخول الحكومتان التركية واليونانية تلك اللجنة السلطة اللازمة من لدنهما، وتؤلف اللجنة من ممثلين معتمدين من الولايات المتحدة (إذا رغبت حكومة

واشنطن في ذلك، ومتى أبلغت موافقتها بهذا الشأن) ومن السلطنة البريطانية، وفرنسة، وإيطالية، واليابان، وروسية (إذا اعترف بروسية عضوا في عصبة الأمم وبعد ذلك الاعتراف) ومن اليونان، ورومانية، وبلغارية (إذا اعترف ببلغاريا عضوا في عصبة الأمم، وبعد ذلك الاعتراف) ولكل دولة أن تعتمد ممثلا واحدا لها، ولكن يكون لكل من ممثلي الولايات المتحدة، والسلطنة البريطانية، وفرنسة، وإيطالية، واليابان، وروسية صوتان، ولكل من ممثلي سائر الدول صوت واحد، وللجنة أن تستخدم سلطتها مستقلة عن السلطة المحلية، ويكون لها رايتها الخاصة، وميزانيتها الخاصة، ونظامها المستقل، وهي مكلفة إنفاذ جميع الأعمال اللازمة لتحسين سبل الملاحة في البواغيز، وفي مداخل الموانئ ولها مراقبة سير السفن، وقطرها، ورسوها، وكذلك المراقبة اللازمة في ثغري الآستانة، وحيدر باشا لتنفيذ النظام المنصوص عليه في الشطر عن المعاهدة الخاص بالموانئ، والطرق المائية، والخطوط الحديدية.

وفي حالة الاعتداء على حرية المرور بالبواغيز قد ورد نص خاص يقتضي باستنجاد اللجنة بممثلي الدول المحتلة في الآستانة، وهؤلاء الممثلون يقررون بالاتفاق مع القومندان البحري والعسكري لقوات الحلفاء التدابير الواجب اتخاذها، وللجنة أن تقتني الأملاك، أو أن تقوم بالأعمال الدائمة التي تراها لازمة. أما الوسائل المالية فستتوافر بواسطة القروض التي تكون بضمان الرسوم التي يحق لها جبايتها على البواخر التي تمر بالبواغيز، وهناك أحكام تنقل إلى لجنة البواغيز السلطة الممنوحة لمجلس الصحة الأعلى، وغيره من الهيئات، وتقرر علاقاتها مع الشركات صاحبة الامتيازات الخاصة بالمنائر والأرصفة والأحواض إلخ، وللجنة أن تنظم قوة بوليس، وتحيل كل مخالفة للقوانين إلى المحاكم القنصلية، أما الرسوم التي تضعها على السفن فيجب أن تكون واحدة أيا كان الميناء الخارجة منه المراكب أو المسافرة إليه، وأيا كانت رايتها، وجنسية صاحبها.

وهناك نصوص أشبه بالنصوص الواردة باتفاق سنة ١٨٨٨ الخاص بقناة السويس بشأن مرور السفن الحربية دون أي قيد خاص بالدولة المحاربة، التي

تعمل لإنفاذ قرار من قرارات عصبة الأمم.

كردستان

تقبل تركية سلفا بمشروع استقلال محلي للأراضي التي يقطنها أكثرية من الأكراد شرقي الفرات ، وجنوبي أرمينية ، كما ستحددها لجنة مؤلفة من الإنكليز والفرنسويين، والإيطاليين، ويكون مركزها في الآستانة، وهذا المشروع يصون حقوق الآشوريين، والكلدانيين، والأقليات الأخرى الجنسية، والدينية في تلك الأراضي، ولتوقع المعاهدة تعديلا لحدود تركية المتاخمة لإيران.

وإذا طلب الأكراد في تلك المنطقة استقلالهم من عصبة الأمم في موعد معين فإن هذا الاستقلال المعين يمنح لهم إذا أوصت به العصبة، وحينئذ يجوز للأكراد القاطنين في الجزء من كردستان الذي كان تابعا حتى الآن لولاية الموصل أن ينضموا إلى الدولة الكردية المستقلة.

أزمير

تقبل الحكومة التركية بنقل التمتع بحقوق سيادتها على أزمير والمنطقة المتاخمة لها كما هي معينة في الخريطة الملحقة بالمعاهدة إلى الحكومة اليونانية، ويرفع العلم التركي على حصن من حصون أزمير الخارجية دلالة على السيادة العثمانية، وتكون الحكومة اليونانية مسئولة عن إدارة المنطقة، ويجوز لها إبقاء جنود فيها لصيانة النظام كما أنه مرخص لها إدخال تلك المنطقة في نظامها الجمركي، ويجب عليها إنشاء برلمان محلي على قاعدة التمثيل النسبي للأقليات، وهذا المشروع الواجب عرضه على مجلس عصبة الأمم يدخل في طور التنفيذ بعد موافقة أكثرية المجلس عليه، ويجوز تأخير الانتخابات المحلية لمدة معينة تتم عودة السكان الذين أبعدتهم السلطة التركية، وهناك أحكام خصوصية ترمي إلى حماية الأقليات، وجنسيات السكان في البلاد، والخارج، وإلى إيقاف الخدمة العسكرية الإلزامية، وإلى الاحتفاظ بحرية العمل، واستخدام تركية لمرفأ أزمير وقد نص على أنه لا يجوز للحكومة اليونانية أن تقدم على ما من شأنه إنزال قيمة النقود التركية، وستحمل منطقة أزمير شطرا مناسبا من الدين العثماني، وبعد مضي

خمس سنوات يجوز للبرلمان المحلي أن يطلب من عصبة الأمم ضم منطقة أزمير إلى مملكة اليونان، ويحق لمجلس العصبة أن يستشير الأهلين فإذا منحوا حق الانضمام إلى اليونان فإن تركية ترضى منذ الآن بالتنازل عن جميع حقوق سيادتها إلى اليونان.

اليونان

تتنازل تركية لليونان عن حقوقها واختصاصاتها على الأراضي الواقعة في تركية أوربة خارجا عن الحدود المبينة في الخريطة الملحقة بالمعاهدة، وعلى جزر أميروس، وتنيدس، وليموند، وصامطراس، ومدله، وصاموس، ونيكاريا وصاقس، وعلى جزر أخر من بحر الأرخبيل، تقبل حكومة اليونان مبدئيا في منطقة البواغيز نفس التعهدات المأخوذة على تركية، وتنص بعض المواد على معاهدة أخرى توقعها اليونان لحماية الأقليات الجنسية، والدينية، واللغوية في أملاكها الحديثة، ولا سيما في أدرنة ، ولصيانة حرية تجارة المرور، ومعاملة تجارة سائر الأمم على قاعدة المساواة، وتتحمل اليونان أيضا بعض تعهدات مالية.

أرمينية

تعترف تركية بأرمينية كدولة حرة مستقلة، وترضى بتحكيم رئيس الولايات المتحدة بشأن التخوم بين تركية وأرمينية في ولايات أرضروم ، وطرابزون ، ووان ، وبتليس، وبشأن منفد لأرمينية على البحر، وتذكر المعاهدات واجبات أرمينية، وحقوقها فيما لو ألحق بها قرار رئيس الولايات المتحدة أملاكا تركية، أما تحديد التخوم بين أرمينية والكرج ، أو آزربيجان فيكون موضوع اتفاق يعقد بين تلك الحكومات الثلاث، ويجب على أرمينية توقيع معاهدة على حدة تضمن فيها حقوق الأقليات، وحرية تجارة المرور إلخ.

سورية والعراق

وفلسطين

يعترف المتعاقدون بسورية والعراق كدولتين مستقلتين بمقتضى المادة ٢٢ من عهدة عصبة الأمم، أما من الوجهة الإدارية فتكون تلك البلاد خاضعة لآراء

ومساعدة دولة منتدبة إلى أن تصبح قادرة على حكم نفسها بنفسها، وستعين الدول المتحالفة الكبرى الحدود، وتختار المنتدبين، ويعهد أيضا بإدارة فلسطين إلى دولة منتدبة طبقا لأحكام المادة ٢٢ من عهدة عصبة الأمم، وتعين الدول المتحالفة الكبرى الدولة المنتدبة، وتحدد التخوم، وقد أثبت التصريح الأصلي الذي صرحته الحكومة البريطانية في ٨ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، ووافقت عليه الحكومات المتحالفة بشأن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وستكلف لجنة خاصة تختار رئيسها عصبة الأمم بدرس وتسوية جميع المسائل الخاصة بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين.

أما حدود الانتداب فستعينها الدول المتحالفة الكبرى، وتعرضها على موافقة مجلس عصبة الأمم.

الحجاز

تعترف تركية كما اعترف الحلفاء بالحجاز كدولة حرة مستقلة، وتنقل إليها حقوق سيادتها على الأراضي الواقعة وراء حدود السلطنة العثمانية القديمة قبل التخوم التي ستحدد فيما بعد للحجاز.

وبالنظر للصفة المقدسة المعترف بها من جميع المسلمين لمكة والمدينة، يتعهد ملك الحجاز بأن يدع الدخول إليهما حرا وسهلا لمسلمي جميع الأقطار الذين يقصدونهما للحج، أو لأي غرض ديني آخر، وسيعمل أيضا على احترام الأوقاف.

وقد وضع قرار أيضا لضمان المساواة التجارية التامة في أراضي الحجاز للدول الجديدة المؤلفة من تركية ولسائر الدول.

مصر والسودان وقبرص

تتنازل تركية عن جميع حقوقها واختصاصاتها على القطر المصري ابتداء من ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤، وتعترف بحماية بريطانية العظمى على القطر المصري المعلنة في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤، وقد وضعت نصوص خاصة بالأمور الآتية: اكتساب الأتراك الجنسية المصرية، وترك الحرية للأتراك في اختيار الجنسية التركية، ومعاملة مصر والرعايا المصريين وبضائعهم، ومراكبهم، وحماية

بريطانية العظمى للرعايا المصريين في الخارج، والتنازل لبريطانية العظمى عن السلطات المخولة لسلطان تركية بالاتفاق في الخارج، والتنازل لبريطانية العظمى عن السلطات المخولة لسلطان تركية بالاتفاق المعقود في الآستانة في ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ بشأن قناة السويس، وكيفية معاملة الأملاك الخاصة بالحكومة التركية، وبالرعايا الأتراك في القطر المصري، تنازل تركية عن المطالب التي قدمتها بشأن الويركو الذي كانت تدفعه مصر، وقبول بريطانية العظمى تحمل المسئوليات التي كانت على تركية من جراء القروض التركية التي كانت بضمانة ويركو مصر.

ويأخذ المتعاقدون عهدا بالاتفاق المبرم بين الحكومتين البريطانية والمصرية في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩، وبالاتفاق الإضافي المبرم في ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ بشأن نظام إدارة السودان.

ويعترف المتعاقدون أيضا بضم قبرس الذي أعلنته بريطانية العظمى في ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤، وتتنازل تركية عن جميع حقوقها على تلك الجزيرة بما في ذلك التمتع (بالجزية) التي كانت تدفعها الجزيرة للسلطان، وقد وضع قرار بشأن اكتساب الرعايا الأتراك المولودين في قبرس أو المقيمين فيها عادة للجنسية البريطانية.

المغرب وتونس

تعترف تركيا بحماية فرنسة على المغرب الأقصى كما وضعت بالاتفاق المعقود في ٣٠ مارس سنة ١٩١٢، وبحمايتها على تونس كما وضعت في ١٢ مايو سنة ١٨٨١ ، وتعامل البضائع المراكشية والتونسية في تركية معاملة البضائع الفرنسية.

طرابلس وجزر بحر إيجة

تتنازل تركية عن الحقوق والامتيازات الممنوحة للسلطان في طرابلس بمقتضى معاهدة لوزان المعقودة في ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٢، وتتنازل أيضا لإيطالية عن جميع حقوقها، واختصاصاتها في جزر الدوديكانز التي تحتلها الآن إيطالية في جزيرة كاستللورينزو.

الجنسية

وقد أدرج في المعاهدة أحكام خصوصية لتسوية مسألة جنسية الرعايا الأتراك المقيمين عادة في الأراضي التي سلخت عن تركية بمقتضى المعاهدة، وهذه الأحكام تشبه بوجه عام الأحكام التي أدرجت في المعاهدة مع النمسة.

أحكام عمومية

تحت هذا العنوان أدرجت نصوص تعترف تركيه بموجبها، وتقبل بالمعاهدات والاتفاقات الإضافية التي عقدت مع الدول التي أنشئت، أو ستنشأ في الإمبراطورية الروسية القديمة، وتعترف أيضا بإلغاء معاهدة بريست ليتوفسك، وجميع المعاهدات والاتفاقات التي عقدتها تركية مع حكومة روسية المكسيمالية.

وسيناط بلجنة خاصة وضع نظام قضائي في تركية يحل محل نظام الامتيازات الأجنبية.

وتنص المعاهدة على وجه إصدار تركية عفوا عن جميع الرعايا الأتراك الذين قاتلوا أثناء الحرب في جانب الحلفاء، وعلى تنازل تركية عن جميع حقوق سيادتها واختصاصها على جميع المسلمين الخاضعين لسيادة أو لحماية دولة أخرى.

الشروط المالية

تخصص جميع موارد تركية – ما عدا المخصص منها لخدمة صندوق الدين العثماني – للقيام بالنفقات الآتية حسب ترتيب أولوياتها:

١– النفقات العادية لقوات الاحتلال المتحالفة بعد تنفيذ المعاهدة.

٢– نفقات الاحتلال من تاريخ ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ في الأراضي الباقية عثمانية، وفي الأراضي التي سلخت عن تركية، وألحقت بدولة غير الدولة التي تحملت نفقات الاحتلال.

٣– دفع التعويضات التي يطالب بها الحلفاء عن أضرار أصابت رعاياهم أثناء الحرب، ولغاية إنفاذ المعاهدة.

أملاك الحكومة العثمانية

الدولة التي استولت على أراض سلخت من تركية تكون صاحبة الملكية في

جميع الممتلكات التي كانت خاصة بالحكومة العثمانية في تلك الأراضي.

توزيع الدين العثماني

الدول التي استولت على أراض سلخت من تركية ينبغي لها أن تشترك في تحمل الأقساط السنوية الخاصة بالدين العثماني.

وعلى الدول البلقانية، والدول التي نشأت حديثا في آسية أن تقدم الضمانات بشأن دفع ما يخصها من هذا القبيل.

أما معدل ما تتحمله كل دولة من الدين العثماني فيبنى على نسبة دخل الأملاك التي دخلت في حوزتها إلى مجموع دخل تركية في السنوات الثلاث التي تقدمت الحرب البلقانية.

وستسري هذه القواعد نفسها من حيث تحمل نصيب من الدين العثماني على الدول التي استولت على أملاك عثمانية عقب الحروب البلقانية.

مراقبة المالية العثمانية

ينشأ في تركية قومسيون مؤلف من مندوب بريطاني، ومندوب فرنسي، وآخر إيطالي، ويضم إليهم مندوب عثماني يكون صوته استشاريا ليتولى وضع الطرق التي يراها أنسب لإصلاح مالية تركية، ويدخل في اختصاص هذا القومسيون:

- فحص الميزانية العثمانية التي لا يمكن إنفاذها بدون موافقة القومسيون.
- تقرير التدابير اللازمة لإصلاح النظام النقدي في البلاد التركية.
- ولا يسع الحكومة العثمانية وضع أي ضريبة جديدة، ولا تعديل نظامها الكمركي، ولا عقد أي قرض داخلي أو خارجي، ولا إعطاء أي امتياز بلا موافقة القومسيون.

وتنص المعاهدة على إمكان حلول هذا القومسيون المالي محل صندوق الدين لإدارة الإيرادات المتنازل عنها لذلك الصندوق، ويكون ذلك بقرار من الأكثرية بعد استشارة حملة أسهم الدين، وذلك في ميعاد ستة أشهر قبل انتهاء مدة مجلس الإدارة الحالي.

وقد عهد إلى القومسيون المالي فيما يتعلق بإنفاذ هذه المعاهدة بما يأتي:

- تعيين قيمة الأقساط الواجب على تركية دفعها تسديدا لمصاريف القوات الاحتلالية، وتعويضا للأضرار التي أصابت الدول التي استولت على أملاك عثمانية، وذلك مقابل نصيبها في الدين العثماني.

تقرير كيفية تخصيص المبالغ الذهبية التي يجب نقلها من ألمانية ، والنمسة إنفاذا لشروط المعاهدتين المعقودتين مع تيك الدولتين.

الشروط الاقتصادية

تظل العلاقات التجارية بين الحلفاء وتركية خاضعة لأحكام الامتيازات التي يعاد نظامها إلى ما كانت عليه قبل الحرب، وقد ألغيت الامتيازات أثناء الحرب.

وعليه فتكون الرسوم على الواردات كما قررها اتفاق ٢٥ أبريل سنة ١٩٠٧ على أنه تركت سلطة واسعة للقومسيون المالي لتعديل الرسوم حسب الحاجة، ولتطبيق الضرائب التي قد توضع على الأتراك، أو على الرعايا الأجانب أيضا المقيمين في تركية إلى غير ذلك من الاختصاصات الخاصة بفرض رسوم جديدة، أو تعديل الرسوم الموجودة.

تجريد تركية من السلاح

(الجيش)

يؤلف الجيش التركي من **المتطوعة**، ومدة الخدمة ١٢ سنة (و٢٥ للضباط) ويؤلف من ٣٥٠٠٠ نفر جاندرمة مع قوة مؤلفة من ١٥٠٠٠ لتعزيز الجاندرمة، و٧٠٠ للحرس السلطاني، ويشترك في قيادة الجاندرمة ضباط من الحلفاء، والمحايدين، وتدمر جميع الحصون القائمة على شواطئ بحر مرمرا، والبوغازين إلى مسافة عشرين كيلو مترا.

(البحرية)

تؤخذ من تركية جميع السفن الحربية ما عدا بعض سفن مسلحة تسليحا خفيفا تبقى لحاجة البوليس.

(الطيران)

لا يترك لتركية شيء من أسباب الطيران العسكري أو المائي.

(المراقبة)

تؤلف لجان من الحلفاء لمراقبة نزع السلاح، وتؤلف الجاندرمة الجديدة على يد لجنة عسكرية من الحلفاء تتولى العمل لمدة خمس سنوات على الأقل.

تمت خلاصة شروط معاهدة الصلح مع تركية

". (١)

"- ص// س ١٢: "الخلدي". الصواب: "الخلدي". "معجم البلدان" (الخلد).

- ص ١٣٩ س ١١: "وهو عرق النسا، ولا يقال: عرق النسا". الصواب: "وهو النسا، ولا يقال: عرق النسا". "اللسان" وغيره.

- ص ١٤٠ س ١١ - ١٢: "وقد أتيت ... وافردت". الصواب: "وقد أتيت ... وأفردت".

- ص ١٤١ س ٩: "**المطوعة**". الصواب: "**المطوعة**". "اللسان" و"التاج" (ط وع).

- ص ١٤٨ س ٩: "فقال". الصواب: "فيقال".

- ص ١٥١ س ٦: "كتاب الفرق". الصواب: "كتاب الفرق".

- ص// س ١٢: "العنزي". الصواب: "العنزي".

- ص ١٥٢ س ٣: // // //.

- ص ١٥٢ س ٩: "في جمال". الصواب:؟ (١).

- ص// س ١٠: "العير". الصواب:؟ (٢).

- ص ١٥٣ س ٢: "أبو الحسن الجبائي". الصواب:؟ (٣).

- ص ١٥٤ س ٧: "أمير". الصواب: "أمير".

---

(١) الصواب: "في حمار" كما في طبعة إحسان عباس (١/ ٦٥).

(٢) ما في المطبوعة صواب، وقد أشكل لإشكال ما سبق.

(٣) صوابه في نشرة إحسان عباس (١/ ٦٤): "أبو الحسن اللحياني".." (٢)

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٤٠٦/٢١

(٢) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني عبد الرحمن المعلمي اليماني ١٨٦/٢٣

"وفي «المقنع» من كتب الحنابلة: وللمكاتب الأخذ من الزكاة قبل حلول النجم، ويجزئ أن يشتري منها رقبة لا تعتق عليه فيعتقها، ولا يجزئ عتق عبده ومكاتبه عنها، وهو موافق لما رواه ابن أبي حاتم وأبو عبيد في «الأموال» بإسناد صحيح عن الزهري: أنه كتب لعمر بن عبد العزيز أن سهم الرقاب يجعل نصفين: نصف لكل مكاتب يدعي الإسلام، ونصف يشتري به رقاب من صلى وصام، وإنما عدل عن اللام إلى في، وفي الأربعة الأخيرة وقال: ﴿وفي الرقاب﴾ للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب.

وقيل: للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره؛ لأن «في» للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن يوضع فيهم الصدقات، ويجعلوا مظنة لها ومصبا، وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الأسر أو الرق، وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ،

[ج ٧ ص ٢١٦]

ولما في الغازي الفقير أو المنقطع في الحج من الجمع بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال، وتكرير «في» في قوله: ﴿وفي سبيل الله وابن السبيل﴾ ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين ﴿والغارمين﴾ وهم الذين ركبتهم الديون استدانوا في غير إفساد ولا تبذير، ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب، وقيل: الذين تحملوا الحمالات فتدينوا فيها وغرموا.

وقال مجاهد: ثلاثة من الغارمين: رجل ذهب السيل بماله، ورجل أصابه حريق فهلك ماله، ورجل ليس له مال وله عيال فهو يستدين وينفق على عياله.

﴿وفي سبيل الله﴾ وهو منقطع الغزاة عند أبي يوسف، ومنقطع الحاج عند محمد، وفي «المبسوط»: وفي سبيل الله: فقراء الغزاة عند أبي يوسف، وفقراء الحاج عند محمد. وقال ابن المنذر: وفي سبيل الله: هو الغازي الغير الغني في قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد. وحكى أبو ثور عن أبي حنيفة: أنه الغازي دون الحاج، وذكر ابن بطال أنه قول أبي حنيفة ومالك والشافعي، وبمثله قال النووي في «المهذب».

وعن الشافعي: إن المراد بقوله: ﴿وفي سبيل الله﴾ الجهاد بالإنفاق على **المتطوعة**، ولو كانوا أغنياء؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغاز في سبيل الله)) وخصه أبو حنيفة رحمه الله بالمحتاج كما تقدم، وعن أحمد: المراد الحج.." (١)

"(والقربى) أي: وذوي القربى، يحتمل أن يكون هم في من ذكر في الخمس، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب، وقيل: بنو هاشم وحدهم، وقيل: جميع قريش، والغني والفقير فيه سواء، وقيل: مخصوص

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٥٩٩١

بفقرائهم، ويحتمل أن يراد بهم قربى الواقف، وبهذا جزم القرطبي.

(والرقاب) أي: وفي فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم، وقيل: بأن يبتاع الرقاب فتعتق، وبه قال مالك وأحمد، أو بأن يفدي الأسارى.

(وفي سبيل الله) أي: وفي الصرف في سبيل الله بالإنفاق على **المتطوعة** من المجاهدين وابتياع الكراع والسلاح، وقيل: وفي بناء القناطر والمصانع (والضيف) وهو من نزل بقوم يريد القرى، وقد تقدم القول فيه في ((الهبة)) [خ¦٢٢٨٠].

(وابن السبيل) وهو المسافر المنقطع عن ماله (لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف) قد تقدم البحث فيه قبل أبواب [خ¦٢٧٦٤]، قال القرطبي: جرت العادة بأن العامل يأكل من ثمرة الوقف. حتى لو اشترط الواقف أن العامل لا يأكل منه لاستقبح ذلك منه، والمراد بالمعروف: القدر الذي جرت به العادة، وقيل: القدر الذي يدفع الشهوة، وقيل: المراد أن يأخذ منه بقدر عمله، والأول أولى.

(أو يطعم صديقا) وفي رواية صخر: ((أو يؤكل)) بضم الياء، وهي بمعنى يطعم (غير متمول به) ويروى: [(١)]، ويروى بدون: به، وفيه، والمعنى: غير متخذ منها مالا؛ أي: ملكا، والمراد أنه لا يتملك شيئا من رقابها.

وزاد الأنصاري وسليم: قال: فحدثت به ابن سيرين فقال: ((غير متأثل مالا))، والقائل: فحدثت به، هو ابن عون راويه عن نافع. بين ذلك الدارقطني من طريق أبي أسامة، عن ابن عون قال: ذكرت حديث نافع لابن سيرين فذكره، زاد سليم: قال ابن عون: وأنبأني من قرأ هذا الكتاب أن فيه: ((غير متأثل مالا)).

وفي رواية الترمذي من طريق ابن علية، عن ابن عون: ((حدثني رجل أنه قرأها في قطعة أديم أحمر)). قال ابن علية: وأنا قرأتها عند ابن عبيد الله بن عمر

[ج ١٣ ص ١٢٢]

كذلك، وقد أخرج أبو داود صفة كتاب وقف عمر رضي الله عنه من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري قال: نسخها لي عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، فذكره وفيه: ((غير متأثل مالا)).."
(٢)

---

(١) فيه

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٠٧٦٨

"﴿والغارمين﴾ الذين يدينون لأنفسهم من غير معصية إذا لم يكن لهم وفاء، أو لإصلاح ذات بين بتحمل الحمالات وإن كانوا أغنياء؛ لقوله : "لا تحل الصدقة إلا لخمسة: لغاز في سبيل الله، أو لغارم، أو رجل اشتراها بماله، أو رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني، أو لعامل عليها" (٣).

* * *

(١) في (ك) و (م): "يحشر". (٢) "يكون": ليست في (ك) و (م). (٣) رواه بمعناه أبو داود (١٦٣٦)، وابن ماجه (١٨٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري .

الجزء: ٤ - الصفحة: ٣٨٥

﴿وفي سبيل الله﴾؛ أي: وللصرف في الجهاد بالإنفاق (١) على **المتطوعة** (٢)، وابتياع الكراع والسلاح، وقيل: في بناء القنطرة والمصانع (٣).

وإعادة الجار؛ لأنه من نوع آخر.

﴿وابن السبيل﴾ أخره عن سبيل الله تعالى مع أنه من قبيل ما سبق؛ رعاية لظاهر الكلام؛ فإن ابن السبيل يناسبه أن يذكر بعد السبيل، والمراد منه المسافر المنقطع عن ماله، وابن السبيل كالعلم، فلذلك لم يجمع.

﴿فريضة من الله﴾ مصدر مؤكد؛ لأن معنى قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾: فرض الله الصدقات لهم، أو حال من الضمير في قوله: ﴿للفقراء﴾.

وقرئ: (فريضة) بالرفع (٤)، أي: تلك الفريضة.

﴿والله عليم﴾ بمواضع الاستحقاق ﴿حكيم﴾ يضع الأشياء مواضعها.

(٦١) - ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة

للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾.

﴿ومنهم﴾؛ أي: من المنافقين ﴿الذين يؤذون النبي﴾ روي أن جماعة منهم

* * *." (١)

"(١) في (ك): "بالإنفاع"، وفي هامش (م): "بالإيقاع". (٢) في (ف): "**المطوعة**"، وفي (م): "المتطوع". (٣) في (ف): "والمضائق". (٤) انظر: "الكشاف" (٢/ ٢٨٣)، ونسبها القرطبي في "تفسيره" (١٠/ ٢٨٢) لابن أبي عبلة. قال الزجاج في "معاني القرآن" (٢/ ٤٥٧): ولا أعلمه قرئ به. وقال الفراء في "معاني القرآن" (١/ ٤٤٤): والرفع في (فريضة) جائز لو قرئ به.

الجزء: ٤ - الصفحة: ٣٨٦

ذموه وبلغه ذلك، فاشتغلت قلوبهم، فقال بعضهم: لا عليكم إنما هو (١) أذن سامعة، قد سمع كلام المبلغ فتأذى، ونحن نأتيه فنعتذر فيسمع عذرنا أيضا فيرضى (٢).

وهذا ما ذكره بقوله: ﴿ويقولون هو أذن﴾ الأذن من إذا قيل له شيء سمعه، وحدث بشيء لا ينكره، فإن الأذن الذي هو جارحة السماع كذلك؛ أي: ليس فيه وراء الاستماع تمييز الحق من الباطل.

وأرادوا ذمه ، فما ذكر من قبيل التشبيه، والغرض: المبالغة في الذم.

وأما إطلاق العين على الجاسوس فمن قبيل المجاز العقلي، كإطلاق العدل على العادل، والغرض منه المبالغة في المدح، فأين هذا من ذاك؟!

كان النبي يستمع إلى كلام كل من يحدثه بشيء؛ لكرمه وحسن خلقه، فظن أولئك أنه لسلامة قلبه وغفلته.

ولقد أحسن من قال: عابه الجهال بما هو آية غاية كرمه، وعلامة حسن شيمه (٣)، قال : "المؤمن غر

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ١٢٧/٤

كريم، والمنافق خب لئيم" (٤).

﴿قل أذن خير لكم﴾ أضاف الأذن إلى ﴿خير﴾ للمبالغة، كقولك: رجل صدق، تريد وصفه بالجودة والصلاح، كأنه مطبوع منه ولا يتبين إلا به، نحو: خاتم

* * *". (١)

"الحال أن يتجسس، ويقدم على الكشف والبحث؛ حذارا من فوات ما لا يستدرك، وكذلك لو عرف ذلك غير المحتسب من **المتطوعة** جاز لهم الإقدام على الكشف والإنكار. قال ابن النحاس: قلت: والأمر مداره على التقوى.

والوجه الثاني: ما قصر عن هذه الرتبة، فلا يجوز التجسس عليه، ولا كشف الأستار عنه".

وقال ابن مفلح في (الآداب الشرعية): نص أحمد فيمن رأى إناء يرى أن فيه مسكرا، نص أنه يدعه، يعني: أنه لا يفتشه، ترجم عليه الخلال: ما يكره أن يفتش إذا استراب به، وقطع القاضي في (المعتمد) أنه لا يجوز إنكار المنكر إذا ظن وقوعه، وحكى عن بعضهم أنه يجب، واختار ابن المنذر وغيره من الأئمة أن الميت إذا نيح عليه يعذب إذا لم يوص بتركه، وكان من عادة أهله النوح، وهذا معنى اختيار الشيخ فخر الدين في (التلخيص).

قال الشيخ مجد الدين في (شرح الهداية)، وهو أصح الأقوال: لأنه متى غلب على ظنه فعلهم له، ولم يوص بتركه مع القدرة، فقد رضي به، فصار كتارك النهي عن المنكر مع القدرة، فقد جعل ظن وقوع المنكر بمنزلة المنكر الموجود في وجوب الإنكار، والمشهور عندنا في هذه الحال: أنه لا يعذب.

وذكر القاضي أبو يعلى في (الأحكام السلطانية): إن غلب على الظن استسرار قوم بالمعصية؛ لأمارة دلت، وآثار ظهرت، فإن كان في انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل: أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا برجل ليقتله، أو بامرأة ليزني بها جاز أن يتجسس، ويقدم على البحث والكشف، وهذا في المحتسب دون غيره.." (٢)

"ويسمى في الجزائر "**المطوعة**". وهو يصنع من الدقيق الذي يستخلص عادة من أصناف القمح الصلب غير أنه يمكن أن يصنع أيضا من دقيق الشعير أو الذرة. وهذا الخبز مستدير الشكل ويبلغ قطره

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ١٢٨/٤

(٢) الحسبة - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/١٥٩

٢٠ سم وسمكه حوالي ٢ سم، وهو ذو قشرة خارجية بنية اللون ولب أبيض من الداخل، وقد يرش عليه أحيانا القليل من بذور السمسم أو الينسون.

خبز الكسرة السوداني. هذا النوع من الخبز هو الأكثر استهلاكا في السودان، ويحضر من دقيق الذرة الرفيعة أو دقيق الدخن. ويمكن أن تشمل كلمة كسرة أنواعا كثيرة من الخبز والعصيدة المصنوعة من عجينة الذرة الرفيعة المتخمرة.

وخبز الكسرة الشائع يكون على شكل رقائق رفيعة جدا يتراوح سمكها بين ١ و ٢ مليمتر. وتتم عملية الخبز على صاج ساخن، وعادة يستخدم الخشب أو الفحم في التسخين وإن كانت الكهرباء قد أصبحت تستخدم في بعض المنازل في الآونة الأخيرة.

خبز التمر. يعتبر خبز التمر من أهم الأغذية التقليدية في دول الخليج العربي، حيث كان التمر يلعب دورا هاما في تغذية الإنسان خاصة قبل اكتشاف النفط.

ويخبز هذا الخبز في فرن خاص من الطين يقام في فتحة في الأرض. وهو يؤكل عادة مع الحلوى الخليجية والقهوة العربية وكذلك في حفلات الزواج والمناسبات الاجتماعية الأخرى. وفي الوقت الحاضر فإن هذا الخبز أصبح من التراث الخليجي، حيث قل عدد المخابز التقليدية التي تقوم بتحضيره بشكل ملحوظ ولا توجد إلا بضعة مخابز شعبية في البحرين تقوم بتحضيره. وتشابه طريقة تحضير هذا الخبز طريقة تحضير خبزر التنور إلا أنه يضاف إلى العجينة التمر أو شراب التمر "الدبس" وأحيانا السكر، مما يرفع من قيمته الغذائية من ناحية الطاقة الحرارية والأملاح المعدنية.." (١)

"المسلمين كان يناصر التتار ويؤذي الجنود المسلمين، ويذكر ابن كثير في حوادث سنة (٧٠٠ هـ) هذا الأمر فيقول: " وفي شوال فيها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتتر ويؤذي المسلمين، وشنق منهم طائفة، وسمر آخرون، وكحل بعضهم، وقطعت ألسن، وجرت أمور كثيرة. . . . .

وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية [يشير إلى جبال الجرد وكسراوات] بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتار وهربوا حين اجتازوا ببلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيرا منهم، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤوسهم إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستتابهم وبين لكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير (١).

---

(١) الغذاء والتغذية عبد الرحمن مصيقر ص/١١٣

٢ – تدخل بعض السياسيين بالفتوى فيما لا يعلمه، يذكر ابن كثير في حوادث سنة تسع وسبعمائة: أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون جمع العلماء في مجلسه وسألهم فيما قاله ابن الخليلي وزيرهم في شأن إعادة أهل الذمة إلى لبس العمائم البيضاء لقاء أن يدفعوا للديوان سبعمائة ألف في كل سنة، ولم يتكلم الحاضرون، وكان من بينهم قضاة وعلماء، لكن ابن تيمية انبرى للسلطان مبينا له خطأ هذا التصرف قائلا: حاشاك أن يكون أول مجلس جلسته في أبهة الملك تنصر فيه أهل الذمة لأجل حطام الدنيا الفانية، فاذكر نعمة الله عليك إذ رد ملكك إليك وكبت عدوك ونصرك على أعدائك (٢) وفي هذا الأمر ما فيه دلالة على طلب الدنيا وتدل رفعة الإسلام من الوزير، ودلالة على موقف بعض العلماء بالسكوت، إيثارا للسلامة، في مقابل الحق دون خشية لمخلوق.

٣ – تجرؤ بعض النصارى على رسول الإسلام، إذ أن رجلا يدعى عساف النصراني قد سب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحين علم العلماء بذلك، ومنهم:

---

(١) ابن كثير / البداية والنهاية / ١٤/ ١١، ١٢. مطبعة المتوسط، بيروت لبنان.

(٢) ابن كثير / البداية والنهاية / ١٤/ ٤٦، ٤٧.." (١)

"تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك، قال: لأن قوله: ﴿وفي سبيل الله﴾ (١) عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره. اهـ (٢).

* * *

وقال محمد جمال الدين القاسمي: ثم ذكر تعالى الإعانة على الجهاد بقوله: ﴿وفي سبيل الله﴾ (٣) فيصرف على المتطوعة في الجهاد ويشترى لهم الكراع والسلاح. وقال الرازي: لا يوجب قوله: ﴿وفي سبيل الله﴾ (٤) القصر على الغزاة. ولذا نقل القفال في تفسيره عن بعض الفقهاء جواز صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون، وعمارة المساجد؛ لأن قوله: ﴿وفي سبيل الله﴾ (٥) عام في الكل. انتهى.

ولذا ذهب الحسن وأحمد وإسحاق إلى أن الحج من سبيل الله فيصرف للحجاج منه، قال في الإقناع وشرحه: والحج من سبيل الله نصا. وروي عن ابن عباس وابن عمر؛ لما روى أبو داود: أن رجلا جعل ناقة في سبيل الله فأرادت امرأته الحج فقال لها النبي – صلى الله عليه وسلم – «اركبيها فإن الحج من سبيل

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ١٥/١٩٨

الله (٦)» فيأخذ إن كان فقيرا من الزكاة ما يؤدي به فرض حج أو عمرة أو يستعين به فيه وكذا في نافلتهما؛ لأن كلا من سبيل الله. انتهى.

قال ابن الأثير: وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سلك به طريق التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات، وإذا أطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه. انتهى.

وقال في التاج: كل سبيل أريد به الله عز وجل - وهو بر - داخل في سبيل الله. اهـ (٧).

* * *

وقال أحمد مصطفى المراغي في تفسيره قوله تعالى: ﴿وفي سبيل الله﴾ (٨)

وسبيل الله هو الطريق الموصل إلى مرضاته ومثوبته، والمراد به الغزاة والمرابطون للجهاد، وروي عن الإمام أحمد أنه جعل الحج من سبيل الله. ويدخل في ذلك جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد ونحو ذلك.

______

(١) سورة التوبة الآية ٦٠

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل جـ ٣ ص ٩٢

(٣) سورة التوبة الآية ٦٠

(٤) سورة التوبة الآية ٦٠

(٥) سورة التوبة الآية ٦٠

(٦) سنن الدارمي الوصايا (٣٣٠٤).

(٧) محاسن التأويل جـ ٨ ص ٣١٨١ مطبعة الحلبي.

(٨) سورة التوبة الآية ٦٠." [١]

"قال الحاكم: حدثني أبو بكر محمد بن حمدون وجماعة من مشايخنا -إلا أن ابن حمدون كان من أعرفهم بهذه الواقعة-، قال: لما بلغ أبو بكر بن خزيمة من السن والرئاسة والتفرد بهما ما بلغ، كان له أصحاب صاروا في حياته أنجم الدنيا، مثل أبي علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي، وهو أول من حمل علوم الشافعي ودقائق ابن سريج إلى خراسان، ومثل أبي بكر أحمد بن إسحاق -يعني الصبغي - خليفة

______

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٤٣/٢

ابن خزيمة في الفتوى، وأحسن الجماعة تصنيفا، وأحسنهم سياسة في مجالس السلاطين، وأبي بكر بن أبي عثمان، وهو آدبهم، وأكثرهم جمعا للعلوم، وأكثرهم رحلة، وشيخ **المطوعة** والمجاهدين، وأبي محمد يحيى بن منصور، وكان من أكابر البيوتات، وأعرفهم بمذهب ابن خزيمة وأصلحهم للقضاء.

قال: فلما ورد منصور بن يحيى الطوسي نيسابور، وكان يكثر الاختلاف إلى ابن خزيمة للسماع منه، وهو معتزلي، وعاين ما عاين من الأربعة الذين سميناهم حسدهم، واجتمع مع أبي عبد الرحمن الواعظ القدري بباب معمر في أمورهم غير مرة فقالا: هذا إمام لا يسرع في الكلام، وينهى أصحابه عن التنازع في الكلام وتعليمه، وقد نبغ له أصحاب يخالفونه وهو لا يدري، فإنهم على مذهب الكلابية فاستحكم طمعهما في إيقاع الوحشة بين هؤلاء الأئمة.

قال الحاكم: سمعت الإمام أبا بكر أحمد بن إسحاق يقول: كان من قضاء الله –تعالى– أن الحاكم أبا سعيد لما توفي أظهر ابن خزيمة الشماتة بوفاته، هو وجماعة من أصحابه –جهلا منهم– فسألوه أن يتخذ ضيافة، وكان لابن خزيمة بساتين نزهة. قال: فأكرهت أنا من بين الجماعة على الخروج في الجملة إليها.." (١)

"ثم بلغ السلطان أن الهنود قالوا: أخرب أكثر بلاد الهند غضب الصنم الكبير سومنات على سائر الأصنام ومن حولها، فعزم على غزو هذا الوثن، وسار يطوي القفار في جيشه إليه، وكانوا يقولون: إنه يرزق ويحيي ويميت ويسمع ويعي، يحجون إليه، ويتحفونه بالنفائس، ويتغالون فيه كثيرا، فتجمع عند هذا الصنم مال يتجاوز الوصف، وكانوا يغسلونه كل يوم: بماء وعسل ولبن، وينقلون إليه الماء من نهر حيل مسيرة شهر، وثلاثمائة يحلقون رءوس حجاجه ولحاهم، وثلاثمائة يغنون. فسار الجيش من غزنة، وقطعوا مفازة صعبة، وكانوا ثلاثين ألف فارس وخلقا من الرجالة **والمطوعة**، وقوى **المطوعة** بخمسين ألف دينار، وأنفق في الجيش فوق الكفاية، وارتحل من المليا ثاني يوم الفطر سنة ٤١٦، وقاسوا مشاق، وبقوا لا يجدون الماء إلا بعد ثلاث، غطاهم في يوم ضباب عظيم، فقالت الكفرة: هذا من فعل الإله سومنات.." (٢)

"بهذا القول مجموعة من العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء.

وفيما يلي بعض من أقوالهم:

قال الفخر الرازي: إن ظاهر اللفظ في قوله تعالى: ﴿وفي سبيل الله﴾ (١) لا يوجب القصر على الغزاة –

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين أعلام/٧٢٨

(٢) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من ا لمؤلفين أعلام/١١٢٦

ثم قال: فلهذا المعنى نقل القفال في [تفسيره] ، عن بعض الفقهاء: أنهم أجازوا صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد؛ لأن قوله: ﴿وفي سبيل الله﴾ (٢) عام في الكل. اهـ (٣) .

وقال الخازن في [تفسيره] : وقال بعضهم: إن اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط؛ ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى، وبناء الجسور والحصون، وعمارة المساجد، وغير ذلك، قال: لأن قوله: ﴿وفي سبيل الله﴾ (٤) عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره. اهـ (٥) .

وقال محمد جمال الدين القاسمي: ثم ذكر تعالى الإعانة على الجهاد بقوله: ﴿وفي سبيل الله﴾ (٦) فيصرف على المتطوعة في الجهاد، ويشترى لهم الكراع والسلاح، قال الرازي: لا يوجب قوله: ﴿وفي سبيل الله﴾ (٧) القصر على الغزاة، ولذا نقل القفال في [تفسيره] ، عن بعض الفقهاء جواز صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى،

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٠

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠

(٣) [تفسير الرازي] ، (١٦\ ١١٣) .

(٤) سورة التوبة الآية ٦٠

(٥) [لباب التأويل في معاني التنزيل] ، (٣\ ٩٢) .

(٦) سورة التوبة الآية ٦٠

(٧) سورة التوبة الآية ٦٠." [1]

---

(١) أبحاث هيئة كبار العلماء مجموعة من المؤلفين ١/١٢٤